العدد ٦٤ السنة السادسة - مارس ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

نهضة افريقية



تشومبي يعالج عينيه



اوجنيجا اودينجا يخطب في موشي

OGINIGA ODINGA MAKES AN ADDRESS AT MOSHI

نهضـــــة افريقيـــة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .

٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية

٢٧ شـارع عبـد الخالق ثروت

تليـفون ٤٦٢٧٣

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربيـة المتحـدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبـار اليوم للتوزيع

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ...

ان ما يحدث الآن فى العالم العربى لا يعتبر غريبا عن أفريقية .. ذلك لان أية ثورة فى العالم الاسيوى – وبخاصة المنطقة العربية – تجد صداها فى العالم الافريقى .

فكل من القارتين تحتضن الاخرى، وتقرب بينهما محن الماضى وبناء الحاضر والتطلع الى الرخاء فى المستقبل ، بالاضافة الى جسور التعارف التى تقيمها بين الحين والآخر والمؤتمرات الافرسيوية ، والذى يعتبر مؤتمر ((موشى)) آخرها . وقد حدثت فى المنطقة العربية فى الفترة الاخيرة عدة انفجارات تعتبر قمتها ثورتى سوريا والعراق ، وتلتقى عند حد عزل القيادات الرجعية ، وتصفية العناصر التى تحرك من الخارج ، والتى لاتلتزم الا بتحين الفرص ، والوقوف على مرتكزات فكرية قد لايهضم منها الا عملية الوصول الى التجمعات فى مناطق حساسة ، وفك الاواصر بين الماضى والحاضر ، ثم أخيرا التقدم فى هندسة غير مرئية للحصول على مكاسب مستمرة .

ومع أن العالم العربى قد أوقف هذا فى أجزاء متعددة من جسمه ، الا أن العبرة التى يجب أن يأخذها العالم الافريقى هو أن ما يجرى اليوم فى المنطقة العربية ، قد يحدث غدا فى اى جزء من اجزائه ، وأن الطريق الى مستقبلها يجب أن يكون دائما بعيدا عن جمود الرجعيين ، وعن انتهازية المتربصين .

فالحلول الصادقة هى التى يجب أن تنبع من القارة ، والتى تستوحى فى الوقت نفسه ماضيها وحاضرها ومستقبلها .

عبده بدوى

فهرس المجلة

حديث الشهر

تشومبي يعالج عينيه

بقلم المحرر الدبلوماسي

كان موبس تشومبي يحدق بعينيه الواسعتين الجاحظتين في مراسلي الصحف الذين تجمعوا حوله في مطار ((أورلي)) بباريس وهو يجيب على أحد الاسئلة :

ــ لماذا جئت الى فرنسا ...

وكانت اجابته قصيرة مقتضبة :

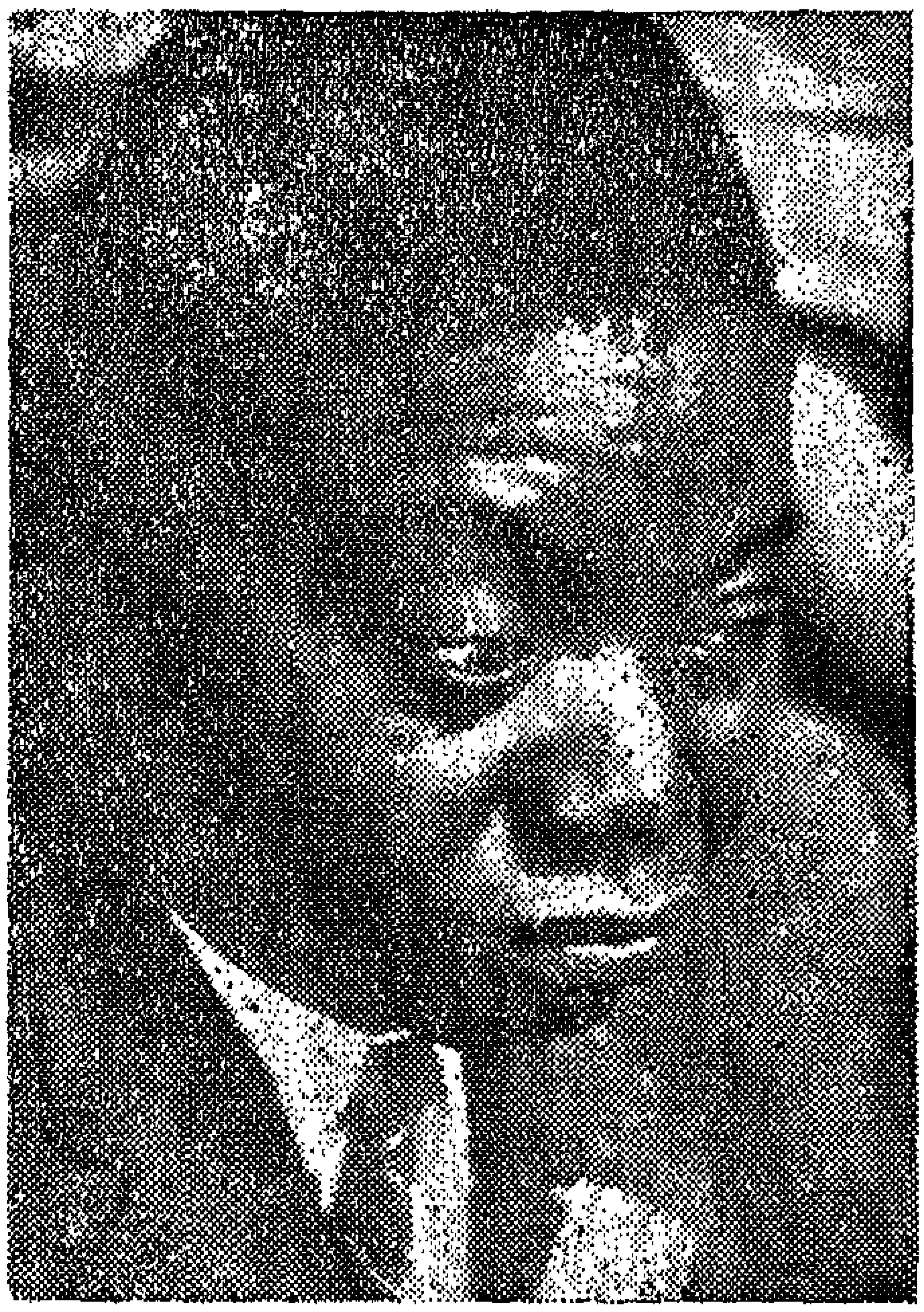
ــ جئت لأعالج عيني ....

ومضى تشومبي من المطار وفي زراعه دليل ساطع على ضعف اجابته وقوة بصره ، وكان ذلك الدليل ــ الذي وصفته وكالات الانباء ــ فتاة شقراء رائعة الجمال ..

والواقع أن ((كويسلنج)) الافريقي قد أسرع بالفرار من ((اليزابيث فيل)) ثم من ((كاتانجا)) ثم من القارة الافريقية ، بعد أن وصل الى عاصمة المقاطعة التي سلخها عن الوطن الام ((وزير مقيم)) من ((ليوبولدفيل)) وبعد أن وصلت اليها طلائع جيش الحكومة المركزية .

وفي ((اليزابيث فيل)) استدعاه ((الوزير المقيم)) وجلس منه مجلس الرئيس من المرءوس وأملى عليه ((تعليماته)) بمحو مظاهر الانفصال .

وخرج تشومبي ليعلن أنه يعمل ــ مخلصا ..! ــ على انهاء الانفصال



تشومبي

ولكنه يرجو ــ يرجو فقط ــ الا يزيد ((الوزير المقيم)) من تعجل الامور .

وكانت هنالك طائرة تتجه في الوقت نفسه من ((اليزابيث فيل)) الى ((ليوبولدفيل)) وعليها عشرات من الضباط الافريقيين ال ((كاتنجيين)) الذين سبق لهم أداء يمين الولاء ((للرئيس)) تشومبي .

وما هي الا ساعات معدودة حتى وصل هؤلاء السادة الى ((ليوبولدفيل)) وأدوا يمين الولاء ((للرئيس كازافوبو))

ولم تكن هذه الاحداث وحدها هى التى أصابت عينى السيد تشومبى ودفعته الى التماس راحة البصر، وراحة النفس فى باريس، ثم فى شاطىء الريفييرا، فان رجال شرطة ((كاتانجا)) ، وهى القوة العسكرية الوحيدة التى بقيت له بعد ذهاب المرتزقة الاجانب قد بدأت فى التذمر لتأخر سلطات ((كاتانجا)) فى دفع رواتبها ..

ولما كان ولاء تلك القوة للسيد تشومبى وبطانته مرهونا بالدفع فقط، فقد بدا فى الجو ما ينذر بانقلابهم عليه، والفتك به، رغم ما حصل عليه من وعود ((الحماية)) من سلطات الامم المتحدة ..

ولقد كان مما يدعو الى السخرية أن تعجز خزانة ((كاتانجا)) — وهى التى كانت تسهم ب ٧٠ فى المائة من ميزانية الكونغو قبل الاستقلال، وكانت تغدق الملايين من الدولارات على الضباط المرتزقة، بعد الانفصال، أن تعجز عن دفع مرتبات شرطتها .

ولكن السبب فى هذا الوضع الساخر، وهو من أسباب تعجيل السيد تشومبى بالرحيل ((لفحص عينيه فى باريس)) ، ان السيد المذكور هو الذى سطا على الخزانة، وبعث بمحتوياتها الى حساباته الخاصة فى بنوك اوربا ، مما جعل الحكومة المركزية والامم المتحدة ، توجهان اليه أصبع الاتهام بالاختلاس والسرقة ..

ولم تكن هذه الظواهر المادية وحدها هى التى دفعت مويس تشومبى الى التنقل — مذعورا — بين ((انجولا)) و ((روديسيا الشمالية . ثم اى الطيران الى فرنسا ، وانما كان هناك ((شبح)) أخذ يتبلور ويزيد تجسما ووضوحا أمام عينى تشومبى بعد أن دالت ((دولته)) فى كاتانجا ، الا وهو ((شبح لومومبا)) ..

لقد حرص تشومبى — قبل التسليم بانهاء الانفصال — على أن يحصل من الحكومة المركزية على وعد ((بالعفو العام)) وحصل من الامم المتحدة على وعد ((بالحماية)) ، ولكن الواقع أنه لا الحكومة المركزية ولا الامم المتحدة قادرة على أن تغسل يدى تشومبى من دم لومومبا ، وهذا هو الاحساس الصادق الذى يلازم — ويؤرق — القاتل الهارب الى أوربا لفحص عينيه ..

((محمد عبد العزيز اسحق))

مبادئ للتعجيل بالتنمية الصناعية

في البلاد الافريقية

للدكتور راشد البراوي

حصلت معظم البلاد الافريقية على الاعتراف بحقها في الحرية والاستقلال والسيادة ، وليس تحرر المناطق التى لاتزال تعانى من التبعية سوى مسألة وقت ولن يطول هذا الوقت على وجه التأكيد . وهذا الوضع الاستقلالى معناه توفير الاداة أو الادوات اللازمة لمواجهة المشكلة الرئيسية الا وهى التخلف الاقتصادى والاجتماعى فى القارة ، وما من شك ان النمو الاقتصادى هو القاعدة الاساسية الصلدة التى يتعين ارساؤها ، وما من شك أيضا أن هذا النمو يجب أن تعبأ من أجله الجهود حتى يتحقق بالسرعة الواجبة التى تتفق مع الموارد والطاقات ، ويشغل التصنيع السليم حجر الزاوية فى هذه العملية .

وفى حالة البلد المتخلف يبدو النمو الاقتصادى على أنه أصلا زيادة فى رأس مال الجماعة وانتاجية العمل . والزيادة فى انتاجية العمل هى الى حد كبير وليدة التكوين الرأسمالى أى زيادة رأس المال البشرى والمادى ثراء عن طريق الاستثمار فى المهارات والمعدات . وعلى ضوء هذه الحقيقة نرى ان أهم قرار يتعين على البلاد الافريقية أن تتخذه وهى بصدد تخطيط نموها الاقتصادى ، هو اختيار تلك النسبة التى ينبغى اقتطاعها من دخلها القومى بقصد استخدامها فى اجراء استثمارات جديدة .

وتحقيق التنمية الصناعية يقتضى أن يكون حجم الاستثمار كبيرا حتى فى المراحل الاولية من النمو الاقتصادى ، وذلك راجع الى ما يتسم به النظام الصناعى الحديث من الترابط الشديد بين مختلف أجزائه .

فالاستثمارات فى صناعة معينة تتوقف على انتاج غيرها وهذا بدوره يتوقف بالمثل على الاستثمارات فى كل منها . ولكى تؤدى جميع الوحدات التى يتكون منها الصرح الصناعى عملها بكفاءة ، وحتى يتسنى تحقيق الوفورات الخارجية ، لابد من ان تبدأ هذه الوحدات وأن تعمل فى تضامن وانسجام وفى الوقت الواحد ، ومن هنا يتعين ان يكون معدل الاستثمار وحجمه كبيرين حتى خلال المراحل المبدئية فى التصنيع . كذلك تصبح التسهيلات غير المباشرة ، والواسعة النطاق ، من الاشياء الضرورية ، كعامل الكهرباء والماء ، وشبكات السكك الحديدية والنقل ، والنظم التى تتعلق بالتجارة والتسويق ، وضروب النشاط فى مجالات التعليم والتدريب والبحث ، ورعاية شئون العمال الاجتماعية ، وما الى ذلك .

وقد يرى البعض ، عن هوى أو ضعف ارادة ، ان الاسراع بالتنمية الصناعية عملية طويلة الامد ، وهم يحاولون التدليل على رأيهم هذا بأن فترة التصنيع استغرقت حوالى ثلاثين عاما فى بريطانيا « ١٨١٩ - ١٨٤٨ » والولايات المتحدة الامريكية «١٨٦٨-١٨٩٣» . ولكنا نلاحظ فى الوقت نفسه ان الاتحاد السوفيتى تمكن عن طريق التخطيط من اختزال هذه الفترة الى حوالى ١٢ عاما أو نحو ذلك « ١٩٢٩ - ١٩٤٠ » ، كما ان الانتعاش الاقتصادى الذى شهدته المانيا الغربية بعد الدمار الذى أصابها بفعل الحرب العالمية الثانية تحقق فى حوالى ١٠ - ١٢ سنة ، وينطبق الامر نفسه على اليابان أثر تلك الحرب ثم على دول أوربا الشرقية ، بل ان اليابان استطاعت قبل ذلك وعند خروجها من حياة

القرون الوسطى أن تختزل الفترة الى عشرين عاما « ١٩٠٠ – ١٩٢٠ » معنى هذا أن فى وسع البلاد الافريقية أن تحقق « انطلاقة » تصنيعية فى فترة قد لاتتجاوز ١٥ عاما ، اذا عملت على الاستفادة من المعرفة التكنولوجية المتاحة وعلى استعارة ما تملك البلاد المتقدمة من الخبرة الصناعية . ولعل فى « الانطلاقة » التى حدثت فى الجمهورية العربية المتحدة بعد ثورة عام ١٩٥٢ ما يبعث على الامل والتفاؤل الكبيرين .

قلنا انه لتحقيق التنمية الصناعية والسريعة بوجه خاص يتعين ان يكون حجم الاستثمار الاجمالى كبيرا حتى فى المراحل المبكرة من النمو الاقتصادى ، وهنا يمكن الاسترشاد بالتجارب التى مرت بها بلاد عدة عندمااخذت تأخذ بأسباب التصنيع . ففى تنمية اقتصاديات أوربا الغربية وامريكا الشمالية تقلبت نسبة تكوين رأس المال الداخلى الاجمالى بين حوالى ١٠ وحوالى ٢٥ فى المائة . الا أنه يبدو ان معدل الاستثمار خلال المراحل الاولية من النمو الاقتصادى نادرا ما يكون فى الامكان رفعه الى أكثر من ١٠ — ١٥ فى المائة من المنتج القومى الاجمالى ، كما نلاحظ الامر نفسه فى حالة بلاد مثل سيلان والفلبين وشيلى والمكسيك خلال السنوات « ١٩٤٧–١٩٥٢ » . وكان المعدل فى الاتحاد السوفيتى خلال المرحلة المبدئية فى حدود ١٥ — ١٦ فى المائة . الا أن هذه النسبة « ١٠ — ١٥ ٪ ليست جامعة وانما من السهل رفعها الى ٢٠ فى المائة أو أكثر اذا توافرت بالبلد المتخلف موارد كثيرة لم تكن موضع الاستخدام أو الاستغلال . فبهذه الطريقة تمكنت الولايات المتحدة بمواردها الشاسعة غير المستغلة ان تستهل تصنيعها بنسبة قدرها ٢٠ — ٢٢ فى المائة . واذن ففى وسع البلاد الافريقية الحديثة ان تحذو حذو الولايات المتحدة ، وذلك بفضل ما تملك من موارد شاسعة غير مستغلة ، وهذا متوقف بطبيعة الحال على امكانية اغراء امثال هذه الموارد أو اجتذابا للاشتراك فى عملية التكوين الرأسمالى . بل وفى المستطاع ايضا بفضل المعونات الخارجية تجاوز هذه النسبة كثيرا ، لان المعونة فى هذه الحالة تعتبر اضافة صافية الى الاقتصاد ، خاصة اذا كان النقص فى العملات الاجنبية هو عنق الزجاجة فى عملية تكوين رأس المال .

غير ان هناك مشكلة تواجه البلاد الافريقية وهى فى حالتها الراهنة من التخلف ، ونقصد بذلك مشكلة المدخرات . ففى البلد المتخلف تشكل المدخرات الفردية نسبة ضئيلة اذ يظل الميل الى الاستهلاك عاليا حين تحوم الدخول حول مستوى عيش الكفاف . والدخول التى تعلو فوق هذا المستوى المنخفض تعانى من ارتفاع الميل الحدى الى الاستهلاك ، وبذلك لا تقل قدرا من المدخرات لتكوين رأس المال وبالتالى تحقيق النمو الاقتصادى ، وبهذا يميل تكوين المدخرات وتوجيهها الى أن يكونا من مسئولية الدولة ، وهذا الدور الذى يتعين على الدولة ان تضطلع به له وسائل عدة من قبيل حسن استخدام الجهاز الضريبى ، وتحقيق العدالة فى توزيع الدخول ، وفرض القيود المناسبة على الاستهلاك .

ورفع الطاقة على فرض الضرائب مسألة لها اهميتها . فحين تصمم الجماعة على استخدام جهودها من اجل تحقيق هدف اجتماعى ، فيظهران طاقتها على فرض الضرائب على نفسها ترتفع بدرجة لها أهميتها . ومثال ذلك أنه حين يتعرض البقاء السياسى للشعوب الى التحدى من قبل عدو خارجى فانها ترفع ضرائبها ومصروفاتها بدرجة عالية تتجاوز كثيرا المعدلات السائدة قبل الحرب . ويعتبر الوجود الاقتصادى تحديا من الداخل بالنسبة الى الكثير من البلاد المتخلفة ، ويمكن التخفيف باطراد من عبء الضرائب العالية المؤقت اذا حدث ارتفاع فى مستوى الدخل الحقيقى . وهكذا اذا تقبل المجتمع هدفا وتعاون على بلوغه زادت الطاقة الكامنة فى الصرح الاقتصادى على احتمال العبء المرتفع وعلى استثمار المال بصورة منتجة فى هذا الهدف الاجتماعى .

وليس من السهل أن نحكم بأى قدر من الدقة فى طاقة بلد فى فرض الضرائب اذ يبدو أن هذه الطاقة تتوقف على الصرح الضريبى ، كما تتوقف أيضا على مصروفات

الدولة . فحين تكون المصروفات ذات طبيعة انتاجية ترتفع طاقة المجتمع على فرض الضرائب ومن هنا لايمكن ان يكون ثمة مبرر لوضع معدل ثابت مثل ٢٥ فى المائة من المنتج القومى، بوصفه الحد الذى تصل اليه الضرائب اذ الحقيقة — وحتى فى ظروف السلم العادية كما فى الفترة (١٩٥٣ — ٥٤) — تجاوزت الايرادات فى بعض البلاد هذا المستوى بصورة ظاهرة ، حيث وصلت الى النسب المئوية التالية من المنتج القومى ، وهى ٢٨ر٩٠ فى فرنسا ، ٣٧ر٩ فى المملكة المتحدة ، ٣٣ر١٨ فى نيوزيلنده ، ٣٣ر٣١ فى السويد ، ٢٩ر٣١ فى الولايات المتحدة الامريكية . والملاحظ على ضوء التجارب فى كثير من البلاد المتقدمة انه حين تقوم الخطة الموضوعة للتنمية على نظرة قوامها التفاؤل من ناحية المستقبل فان المعدل الضريبى العالى قد لايصبح من العوامل التى تحد بالضرورة من الزيادة فى الانتاجية ، ولكنه قد يجعل فى الامكان تحقيق مدخرات تكفى للتعادل من المستويات الاخذة فى الارتفاع ، للاستثمارات . ويمكن على ضوء تجارب الغير أيضا القول بان نسبة قدرها ٣٠ فى المائة من المنتج تعتبر المعدل الامثل للمدخرات ، وان كان فى الوسع افتراض نسبة أعلى اذا كانت الظروف السائدة أفضل .

وحين يسير البلد المتخلف فى طريق التصنيع تواجهه فى الغالب مشكلة نقص العملات الاجنبية . فحاجته الى الواردات من المعدات الرأسمالية والخامات الصناعية وانواع الوقود بل بعض موارد الاستهلاك ، تزداد بسرعة ولكن طاقته الكامنة على التصدير لاتنمو بالطريقة ذاتها سواء من حيث المعدل أو الاتجاه الذى تسير فيه . والواقع أن البلاد الافريقية ومعظمها لايزال يعيش فى المرحلة التى تسبق التصنيع ، يواجهها الآن طلب راكد بدرجة أو أكثر على منتجاتها الزراعية ، وفى عالم تسير فيه التجارة الدولية فى طريق التوسع نجد أن قيمة حصيلتها من الصادرات أصبحت تمثل نسبة متناقصة من القيمة الكلية . ان الطلب الدولى الذى يسير فى طريق التوسع كان منصبا فى الغالب على المنتجات الصناعية كالبترول والمعادن والكيماويات وما اليها وهذا عاد بالفائدة أصلا على البلاد الصناعية وبعض الاقتصاديات المتأخرة التى ملكت الموارد الجيولوجية اللازمة . وعلى وجه العموم تعانى معظم البلاد الافريقية من عدم مرونة الطلب على صادراتها التقليدية بغض النظر عن قدرتها على توسيع نطاق الاستهلاك الداخلى أو تقييده . ولقد جرت محاولات فى الاونة الاخيرة لفتح أسواق جديدة فى بلاد كالاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وبلاد أوربا الشرقية ، وهى محاولات أسفرت عن نتائج مشجعة الى حد ما ، ولكنا نلاحظ ان التوسع فى الصادرات لم يبلغ الحجم الذى يكفى بوجه عام لمواجهة التوسع المنتظر فى الواردات . ويظهر من جهة أخرى أن الزيادة فى الصادرات تعتمد على اجراء تغيير فى البنيان السلعى لصالح المنتجات الصناعية التى هى أصلا ثمرة تتولد عن التنمية الصناعية . هذا التناقض يحد من المعدل الذى ترتفع به الطاقة على استيراد المعدات والسلع الرأسمالية التى لابد منها للتنمية ، وبهذا يمثل عنق زجاجة فى عملية التصنيع .

ومن هنا تبدو الحاجة فى الاقتصاديات الافريقية الى وضع تاكيد مبكر على الاعتماد على النفس عن طريق تنمية الانتاج المحلى من السلع الانتاجية . وفضلا عن هذا فخلال الاسراع بتكوين راس المال المحلى يتعين كذلك اعداد الخطة لنمو صناعى راسى بطريقة تقلل بقدر الامكان من اطراد الاعتماد على الواردات وهذا هو الاسلوب الذى اخذت به الجمهورية العربية المتحدة فاسفر عن نتائج طيبة ، اذ تناقص الاستيراد من سلع كثيرة كما اطردت الزيادة فى تصدير الكثير من السلع التى تولدت من التنمية الصناعية .

وثمة نواح يجب ان تكون موضع الاعتبار عند القائمين بتخطيط التنمية الصناعية فى البلاد الافريقية الناشئة . فيلاحظ اولا انه حينما يعتمد التصنيع بصورة اساسية على السلع الراسمالية المستوردة فانه يؤدى الى استمرار الاتساع فى الفوارق الدولية فى مستويات المعيشة . ويلاحظ كذلك على كثير من البلدان المتخلفة ان نسبة حصيلة الصادرات تصل الى حوالى ٧ — ١٢ فى المائة من المنتج

القومى الكلى ، ومعنى هذا انه فى حدود تلك النسبة يجب مواجهة جميع المطالب الجوهرية الناشئة عن الصناعات القائمة والنقص فى الغذاء ، مما يحد بشدة من اية محاولة انتقالية لزيادة الواردات من السلع الرأسمالية اللازمة للاستثمارات الجدية . واكثر من هذا ، غالبا مايظهر ان حجم السلع القابلة للتصدير يعانى من عدم مرونة العرض عنها لان الصادرات تشكل اساسا «منفذا للفائض» اكثر منه مبادلة بالواردات تقوم على اساس التكاليف المقارنة ، فانتفاء المرونة ، والافتقار الى تنوع الانتاج ، وانخفاض طاقة المنتجين العاديين الذين يعيشون عند حد الكفاف على احتمال المخاطرة — نقول ان هذه الاعتبارات جميعا وامثالها تجعل من الصعب أيضا زيادة الفائض المعد للتصدير ، او تنويعه . اضف الى هذا انه بارتفاع مستوى الدخول فى الداخل قد يميل هذا الفائض للتصدير الى الانكماش .

هذه كلها تخلق موقفا حرجا حقيقة فى مشكلة النقد الاجنبى ، والدرس الذى يمكن ان نستخلصه هو ان توزيع حصيلة الصادرات توزيعا صارما لكى تمول اساسا المعدات الراسمالية وغيرها من الحاجات الصناعية الجوهرية ، يساعد الى حد ما على تحسين الموقف . وحتى يتسنى اجراء هذا التوزيع لحصيلة النقد الاجنبى الموجودة او المتوقعة ، نجعل معيارنا لهذا الفرض تقييم المشروعات على أساس المنفعة الاجتماعية والتكلفة الاجتماعية للمشروعات ، من حيث احتياجاتها ونواتجها . فكلما ارتفعت النسبة بين منفعة المشروع وتكلفته عظمت الاولوية التى تقضى بتوفير مايحتاج اليه من النقد الاجنبى . ومن هنا يبدو ان توزيع الحصيلة من هذا النقد بين المشروعات ذات الاولوية العالية ، والتى تدخل فى نمط صناعى متكامل قد يكون فيه الحل الامثل .

واذ تسير عملية تكوين راس المال قدما فقد يحتاج البلد الآخذ فى النمو الى التوسع باستمرار فى تصدير منتجاته الصناعية ، غير ان السلع الاستهلاكية المصنوعة ، على خلاف المنتجات الزراعية وخامات الصناعة ، لايزداد الطلب عليها عادة بصورة تلقائية وانما تتطلب نفقات جوهرية حتى يتسنى بيعها ، ومن هنا فالمسئولية الاجتماعية عن احتمال تكاليف تنمية الصادرات أعلى مما تستطيع اثمان المنتجات أن تتحملها فى ضوء تقديرات اهل القطاع الخاص . هذا الانفاق الاجتماعى من اجل تنمية الصادرات يمثل الى حد ما المقابل للمكاسب الاجتماعية ، غير أن هذه المكاسب تتحول فى الغالب الى ارباح للمستوردين قد يقال أن فى الامكان فرض ضريبة على الواردات ولكن العيب فى هذا الاجراء ان عبء الضريبة ينتقل الى ثمن المنتج وبالتالى يقع على عاتق المستهلك .

ولهذا فلابد للبلاد المتخلفة ان تكون لها سيطرة كافية على التجارة الخارجية من حيث تركيبها واتجاهها ، بل قد تنشأ الضرورة الى تأميم التجارة الخارجية وبخاصة اذا كانت نسبة كبيرة من الدخل القومى على صورة عملة أجنبية . ومن هذا يتضح أن ما عمدت اليه بلاد عدة فى افريقية من فرض السيطرة الاجتماعية على التجارة الخارجية ، او تأميمها كليا او ما يقرب من هذا ، هو سياسة تقضى بها ضرورة تخطيط التنمية الاقتصادية ودفع عجلة التصنيع بالقدر الصالح من السرعة ..

فبالنسبة الى معظم البلاد المتخلفة تتطلب عملية النمو الاقتصادى السريع اجراء توزيع **للعملات الاجنبية المتوافرة وذلك لصالح** الواردات من السلع الرأسمالية اللازمة للمشروعات التى لها الاولوية من حيث أهميتها وفى الوقت نفسه قد تشعر هذه البلاد بالحاجة الى توسيع نطاق الصادرات عن طريق وسائل **تقدير الاثمان على اساس التكلفة الاجتماعية** ثم استخدام الحصيلة لتخطيط فريد من التنمية وفق خطوط لا تنطوى على زيادة مزمنة فى السلع المستوردة . غير ان امثال هذه القيود على العملات الاجنبية معناها التقليل من استيراد السلع الكمالية وربما ايضا بعض السلع الاستهلاكية العادية ، وهذا الامر الاخير ضرورى لان معنساه التضحية بالحاضر

ن أجل المستقبل ، وكلما ارتفع معدل هذا الاستعداد لدى الجماعة زادت الطاقة على تحقيق التنمية ، وهذا ما يتعين على المسئولين عن مصير العملية أن يؤكدوه في الاذهان والنفوس .

والملاحظ بوجه عام على البلدان المتخلفة ان مواردها تستخدم بصورة جزئية او على نحو لايتسم بالكفاءة ، ومن هنا تظهر انتاجيتها الكلية منخفضة . وهنا نجد أن معدلا عاليا للاستثمار عن طريق الاستخدام التكميلي للموارد غير المستغلة ، والقوة البشرية العاطلة والاستهلاك غير الانتاجي — كل هذا يحتمل أن يتطلب الاستيلاء على الموجود من الموارد القابلة للاستهلاك وتوزيعها على نحو تسوده المساواة .

وثمة طريقة اخرى قد تنطوى على نفع واتبعت الى حدما في بعض البلاد الافريقية الحديثة مثل غينيا ، وهي أن تخلق طاقة انتاجية في القطاع الذي لا تسود فيه العمليات النقدية ، ويتم هذا بالعمل الذي لا يؤدى عنه مقابل نقدى . فمن طريق الجهود التي يبذلها القرويون والفلاحون طواعية يمكن خلق الكثير من الاصول الاجتماعية ، وبهذه الوسيلة يمكن استصلاح مساحات واسعة من الارض وحفر الترع والاقنية ، واقامة القناطر والجسور ، وشق الطرق .

ان تعبئة الموارد بطريق الحوافز غير النقدية في طابعها ، هي تعبير عن قوى النمو الكامنة في الجماعة . انها تعتمد اساسا على ارادة الفرد في العمل من أجل اعتبارات غير نقدية وعلى احساسه بالسعادة المتولدة من عملية الخلق والانشاء . وفي مستطاع الانظمة الاجتماعية والسياسية ان توجه امثال هذه الحوافز الى المسالك الصحيحة ، وان تشجع الجو التعاوني ، وان تعمل على تعبئة الموارد المقنعة لتخلق الرخاء الاقتصادي .

« دكتور راشد البراوى »



افريقية بين التخلف والتنمية

بقلم جادطه

« ان التحدى الكبير الذى ينتظر الامم التى لم تستكمل نموها والذى تسببه الاكتشافات العلمية الهائلة التى تساعد على مضاعفة الفوارق بين التقدم والتخلف لن يمكن التغلب عليه الا بتعبئة جميع الطاقات المعنوية والمادية لهذه الدول ، والبعد عن الجهود الفردية العفوية ، وبتجميع المدخرات الوطنية ، ووضع تخطيط شامل لعملية الانتاج » .

جمال عبد الناصر

يمكننا أن نتصور التفاوت الاقتصادى فى عالمنا الحديث ، اذا عرفنا أن قلة من الدول المتطورة تطورا اقتصاديا هائلا ارتفع فيها متوسط دخل الفرد ارتفاعا كبيرا ، فى حين نجد غالبية من البلاد المتخلفة يهبط فيها متوسط دخل الفرد الى درجة خطيرة ... وتضم هذه المجموعة أكثر من ثلثى سكان العالم ، وينتمى الى هذه الطبقة غالبية شعوب القارة الافريقية .

الاستعمار والتخلف

تسعى الدول الاستعمارية دائما الى تحويل المستعمرات الى سوق لمنتجاتها ، وتتخذ فى سبيل ذلك بعض الاجراءات التى تعوق تطور الصناعة المحلية ، كما تسعى أيضا الى الحصول على السلع الاولية من المستعمرة واستثمار بعض الاموال لتوسيع انتاجها .. انها تحاول باختصار احتكار سوق المستعمرة لصادراتها ووارداتها . أما رأس المال والمشروعات والعمل الذى تبعث به الدولة الاستعمارية الى المستعمرات فيتحول الى مراكز مغلقة معزولة عن بقية المستعمرة ومرتبطة اقتصاديا بالدولة صاحبة السلطان

وفى عصرنا .. عصر اليقظة الوطنية العظيمة ، قارب النظام الاستعمارى على نهايته ، واذا كان القرن التاسع عشر هو عصر تقسيم واستعمار أفريقية ، فان السنوات الاولى من منتصف القرن العشرين شهدت تصفية هذا الاستعمار .

الا أن استقلال أى دولة لا يعنى وضعها آليا على طريق التطور الاقتصادى ، بل انها ستظل لفترة من الزمن فريسة لقوى السوق التى تعمل دائما على ايجاد التفاوت المحلى والعالمى . والواقع أن العهد الاستعمارى قد خلف وراءه طابعه على الاقتصاد الافريقى فى أكثر من ناحية ، وأول ما يلفت النظر ارتباط بعض الدول المستقلة حديثا باقتصاديات الدول الاستعمارية السابقة ، فالجمهوريات الافريقية التى تحررت من قبضة الاستعمار الفرنسى لا زالت تعيش فى دائرة الفرنك ، فنقدها اذن مرتبط بالسياسة النقدية الفرنسية ، ويخضع لتطوراتها وأهدافها .

هذا بالاضافة الى أن الارقام والبيانات الخاصة بالتجارة الخارجية تشير الى أن الغالبية الساحقة من الصادرات الافريقية تتمثل فى منتجات الزراعة والغابات والمناجم ، ففى غانة يمثل الكاكاو أكثر من نصف القيمة العامة للصادرات ، كما أن أهم صادرات الكونغو هى النحاس والكوبالت والماس واليورانيوم ، وكذلك القطن والبن والسيسال بالنسبة لتنجانيقا ، أما واردات معظم البلاد الافريقية فعبارة عن الالات والسلع الاستهلاكية وبعض مواد البناء والوقود .

موارد الثروة والتنمية

من المعلوم أن امكانية الحصول على

موارد الثروة تؤثر تأثيرا كبيرا على الحالة الاقتصادية فى كثير من الدول ، وان التغيرات التى تطرأ على امكانية الحصول على هذه الموارد تسفر عن نتائج بعيدة المدى فى خلال فترة قصيرة من الزمن ، ويمكننا أن نذكر امثلة عديدة على نمو الانتاج السريع نتيجة لظهور بعض وسائل المواصلات ، ومن الامثلة على ذلك انتاج الكاكاو فى ساحل الذهب الذى نشط كثيرا بعد اقامة الخط الحديدى من أكرا الى كماسى ، وقد ازداد كثيرا انتاج الكولا للاغراض الاستهلاكية فى شمال نيجيريا وكذلك لتصديره الى الخارج بعد مدالخطوط الحديدية فى نيجيريا مباشرة ، كما أمكن زراعة القطن على نطاق واسع عقب مد الخط الحديدى بين كينيا وأوغنده .

ومن ناحية أخرى ، هناك أمثلة على وجود مصادر معروفة للثروة الطبيعية فى مختلف أنحاء القارة الافريقية تعتمد على تحسين طرق الحصول عليها اقتصاديا قبل الاستفادة من استغلالها ، فالمعروف مثلا أن هناك ثروة هائلة من الحديد الخام بالقرب من لوكوجا عند ملتقى نهرى النيجر وبنوى فى نيجيريا ، وهى تبعد حوالى ٢٣٠ ميلا من البحر وعلى مقربة من النهرين ، غير أن موقع هذه الثروة وما يترتب عليه من تكاليف النقل يجعل استغلالها غير اقتصادى ، كما يوجد فى غانه وفى أجزاء أخرى من المناطق المدارية فى القارة عدد كبير من الاشجار الممتازة ، غير أن نقلها الى الاسواق يتكلف مبالغ طائلة ، الا أنه يمكن القول بأن الدول الافريقية اذا عمدت الى توطين الصناعات بالقرب من موارد الثروة الطبيعية ونقلها وهى مواد مصنوعة أو نصف مصنوعة بدلا من نقلها وهى مواد خام ، فان ذلك بلا ريب سيعود بفوائد اقتصادية كبيرة على هذه الدول .

وتقف أحيانا التنظيمات الادارية حائلا بين موارد الثروة وتطويرها واستغلالها على أكمل وجه ، ففى شرق أفريقية تفرض بعض القيود على اقامة الافريقيين وتنقلاتهم فى بعض المراكز التجارية ، هذا بالاضافة الى تقييد تحويل ملكية الارض — ولا سيما فى كينيا — الى أعضاء بعض الجماعات الوطنية ، مما يسفر عنه آثار فى غاية الخطورة ... فان هذه القيود تحول دون تجميع رأس المال والمهارات الفنية والعمل الوافر رغم أهميتها جميعا فى سبيل توسيع نطاق الاقتصاد والفرص التى تتاح لجميع السكان ورفع مستوى المعيشة بصفة عامة .

رأس المال والتنمية

هناك اعتقاد بأن توافر رأس المال هو مفتاح مشكلة التنمية فى اقتصاديات الدول الافريقية ، الا أن الاحداث والتطورات القريبة فى القارة أوضحت أن توفير رأس المال وحده لا يحل مشكلة التنمية ، فمع اعترافنا بأن ازدياد رأس المال من الضروريات التى تصحب النمو الاقتصادى ، هناك تغيرات اقتصادية واجتماعية تصحب التنمية الاقتصادية مثل تحضر الشعب وتمدينه وزيادة نسبة الاشخاص المدربين والمهرة ... واذا قلنا أن رأس المال يتكون فى عملية التنمية فاننا بذلك نكون اقرب الى الحقيقة مما لو قلنا أن التنمية أحد عوامل تجميع رأس المال .

خطة التنمية الاقتصادية

من أهم التغيرات التى دخلت على سياسة الدولة فى معظم الدول الافريقية هى الاقتناع التام بضرورة وضع خطة قومية للتنمية الاقتصادية ، والخطة هى برنامج يحدد استراتيجية الحكومة الوطنية فى التدخلات التى تمارسها الدولة لتوجيه قوى السوق بطريقة تضمن مصلحتها .

ونتيجة لأوجه النقص المختلفة التى تعانى منها الدول الافريقية المستقلة حديثا أصبح من المسلم به قيام الحكومات بعدة وظائف كانت من شأن القطاع الخاص وأيا كان الخلاف حول تحديد الخط الفاصل بين مسئوليات القطاع العام ومسئوليات القطاع الخاص ضمن المسلم به وجوب تحمل الحكومة مسئولية توجيه التطور الاقتصادى كله عن طريق وضع الخطط والتدخل .

وتتطلب خطة التنمية بصفة عامةمشتريات ضخمة من المعدات الرأسمالية من الخارج ، واذا لم تحصل الدول النامية على القروض والمنح الكافية لتغطية أثمان هذه المشتريات وجب عليها زيادة صادراتها ، كما أن هذه الزيادة فى الواردات من السلع الرأسمالية ستزيد الضغط على موارد العملة ، ولهذا فان الدول الافريقية غالبا ما تضطر فىسبيل التطور الاقتصادى الى وضع القيود على الاستيراد لتحمى ميزانها التجارى .

وفرض القيود على الاستيراد فى الخطة الوطنية يفترض أن عددا من الاستثمارات لا يستطيع الصمود فى المنافسة ... ومن ثم تحتاج الى الحماية ، وعند ما تنضج البدايات الانتاجية وتصبح قادرة على تقديم المزيد من السلع الى السوق يخف بالتدريج أثر ضغط التضخم ومشكلات النقد ، هذا بالاضافة الى انه اذا تركت السوق حرة فان الواردات الاجنبية فى أغلب الاحوال تغرق هذه السوق، ولهذا يصبح من الضرورى حماية الصناعات المحلية من المنافسة الاجنبية وهذا هو السبيل الوحيد لاتاحة الفرصة امامها ..كما أن الحماية ضرورية لهذه الصناعات لانها تولد فوائد اقتصادية عامة لاتدخل ضمن الارباح بل تأخذ شكل الوفر الخارجى وزيادةالعمال المدربين ، وهذه فوائد لها أهميتها الكاملة بالنسبة للدول الافريقية كلها .

السوق الافريقية المشتركة والتنمية

لا ريب أن تدعيم عمليات التعاون والتضامن بين الدول الافريقية المستقلة سوف يمكنها من مواجهة التكتلات الاقتصادية العالمية ، وبالفعل تكونت السوق الافريقية المشتركة من الدول الموقعة على ميثاق الدار البيضاء وهى الجمهورية العربية المتحدة والمغرب وغانا وغينيا ومالى والجزائر وذلك لكى تستطيع هذه الدول المستقلة توجيه خططها السياسية والاقتصادية والاجتماعية نحو استغلال ثروتها القومية لمصلحة شعوبها وضمان توزيع هذه الثروة توزيعا عادلا على جميعمواطنيها. وفى ٢ من ابريل عام١٩٦٢ تم توقيع سبع اتفاقيات اقتصادية هامة ، وقد نصت الاتفاقية الثانية منها على انشاء بنك التنمية الافريقى ، وحدد رأسماله بمبلغ ٣٠ مليونا من الدولارات توزع بالتساوى بين الدول الاعضاء ، كما تنص الاتفاقية علىنظام للتصويت المتساوى بما يضمن ديموقراطية رأس المال ، وتكون لكل دولة متعاقدة الحق فى أن تحصل على ما تحتاج اليه من قروض من هذا البنك بالشروط الملائمة .

مشكلة التنمية والحل الاشتراكى

من الملاحظ أن الدول الافريقية فى نضالها من أجل النمو الاقتصادى تتعرض لصعوبات أكثر مما تعرضت لها الدول المتطورة حاليا ، فهى لا تحظ كما كان الحال مع الدولالمتطورة بسوق عالمية لرأس المال ، ولم يعد فى مقدورها انشاء جزر صناعية فى عالم متخلف تستغله كمورد للمواد الخام وكسوق لمنتجاتها .. فكيف يمكن للدول الافريقية أن تزيد الانتاج ؟ وفى الوقت نفسه تزيد الاستهلاك من السلع والخدمات ؟ هذا مع استمرار التزايد فى المدخرات من أجل الاستثمارات الجديدة ؟

يجيب الباب السادس من الميثاق على هذه الاسئلة جميعا فيقول .. ان هذه المعادلة الصعبة ذات الشعب الثلاثة الحيوية تتطلب ايجاد تنظيم ذى كفاية عالية وقدرة تستطيع تعبئة القوى المنتجة ورفع كفايتها ماديا وفكريا وربطها بعملية الانتاج . ان هذا التنظيم مطالب بأن يدرك أن غاية الانتاج هى توسيع نطاق الخدمات وأن الخدمات بدورها قوة دافعة لعجلات الانتاج » . ويضيف الميثاق .. « ان الجزء الاكبر من الخطة نتيجة لذلك كله يجب أن يقع على القطاع العام الذى يملكه الشعب بمجموعه ... »

وهذا الحل الاشتراكى لمشكلة التنمية هو الطريق الوحيد الذى يمكن أن تتلاقى عليه جميع العناصر فى عملية الانتاج على قواعد علمية وانسانية تقدر على مد المجتمع بجميع الطاقات التى تمكنه من أن يصنع حياته من جديد وفق خطة مرسومة مدروسة وشاملة .

((جاد طه))

مشكلات أمام الاقتصاد الافريقي

بقلم : محمد خزبك

الأرض :

هى أهم مشكلات الاقتصادالقومى الافريقى الذى لا يزال يعتمد — حتى اليوم — على الزراعة والرعى والصيد .

وتقدم جنوب افريقيا اوضح صورة لمشكلة الارض . وان عدد البيض فيها لايزيد على ٢ر٥ مليون نسمة ومع هذا يملكون ٨٩ ٪ من مساحة الارض بينما يملك ٩ ملايين افريقى ومليون اخر من الملونين ١١ ٪ من المساحة فقط . وقد اختار الرجل الابيض — بطبيعة الحال — أجود الاراضى واقربها الى الموانى وطرق المواصلات .

وتقدم كينيا صورة المشكلة فى تدرجها . فى سنة ١٩٠١ استوطن كينيا ثلاثة عشر من الاوروبيين ، وبعد عام واحد كانوا يملكون ٢٢٠ ألف فدان . وفى سنة ١٩١٤ ازداد عدد البيض واصبحوا يمتلكون ٤ر٥ مليون فدان وفى سنة ١٩٣٩ سلمت بقية الاراضى الزراعية الخصبة ومساحتها ١٦٧٠٠ ميل مربع الى البيض .

ولقد كانت عمليات الاستيلاء على الارض هذه سهلة ميسرة الى حد كبير . ان تملك الارض لم يكن معروفا بين القبائل الافريقية فقد كانت الملكية السائدة هى ملكية المشاع مع الاعتراف للزعماء بحق تقسيم الارض وتوزيعها بين القبائل والاسر لتزرع فيها وترعى الماشية .

وكانت القبائل تنتقل من مكان لاخرطبقا لنظام الزراعة الذى عرفته من قديم ، وهو زراعة قطعة الارض ثم تركها الى اخرى حتى تعود للاولى خصوبتها .

كانت الفكرة السائدة هى ان الارض ملك للجميع ينتفعون بها طبقا لحاجاتهم ، كالشمس والهواء كما يقول ت.ر. باتن فى كتابه « مشاكل التنمية فى افريقيا » .

اما الرجل الابيض فقد حضر باطماعه وبأفكاره المتطورة عن ملكية الارض والتصرف فيها واستغلالها .

ومن اجل هذا ثارت الخلافات بين الاوروبيين والافريقيين فى البداية فقد كان الاخيرون يعتقدون أن الامتيازات التى أعطوها للاولين انما هى امتيازات مؤقتة وليست حقوق ملكية ابدية .

وهكذا نصل الى الموقف اليوم : اقلية ضئيلة جدا من البيض تملك معظم الارض الزراعية الافريقية ثم تستخدم ابناء افريقيا للعمل فيها باجر زهيد ولانتاج ما يتخم الرجل الابيض من خيراتها .

ولا جدال فى ان اى دولة افريقية لن يمكنها النهوض باقتصاديات بلادها او برفع مستوى حياة ابنائها فى ظل تملك البيض لمعظم الاراضى الزراعية فيها . لقد انتهى الاستعمار السياسى لكن مخالبه بقيت تنشب اطرافها الحادة فى المقومات الاقتصادية للدول الافريقية .

الصناعة :

بعد حوالى ثلاثة ارباع القرن من الاستعمار الاوروبى لافريقيا لازالت الغابات والاحراش والحيوانات تملأ جنبات القارة . أما الثورة الصناعية التى تفجرت طاقاتها فى أوروبا فقد ضن الرجل الابيض بحمل شىء منها الى القارة .

وانصرفت طاقات المستعمرين الى استنزاف موارد الثروة الطبيعية فى البلاد وشحنها الى اوروبا حيث الصناعة الثقيلة والخفيفة .

وهكذا ظلت افريقيا سوقا واسعا لتصدير المواد الخام ولاستيراد السلع المصنوعة .

وهكذا أيضا كان المستعمرون يحصـلون على الفوائد من جميع النواحى : يشترون المواد الخام بثمن بخس وبكميات وفيرة ، ويتوسعون فى تصنيع بلادهم ثم يجـدون سوقا تلتهم مصنوعاتهم وسلعهم من ملح الطعام الى انواع الوسكى الرديئة .

وهكذا تدفقت رءوس الاموال الاستعمارية على افريقيا لا للنهوض بها او للقيام بمشروعات صناعية فيها قريبا من موارد الثروة الطبيعية وانما بهدف استنفاد كل ما فى باطن الارض من معادن وثروات . وهـكذا نمى حجم الصناعات الاستخراجية الى حد كبير حتى اصبحت القارة كالمنجم الكبير يعمل به ملايين العمال السود تحت ادارة الرجل الابيض .

ويقول جيمس كاميرون ـ فى كتابه السابق ـ ان نصف رءوس الاموال التى دخلت افريقيا منذ نهاية الحرب الثانية استخدمت لانتاج الذهب واليورانيوم فى الترنسفال ومقاطعـة الاورانج من روديسيا ، ولانتاج النحاس من أراضى الكونغو ، وللقيام ببعض الصـناعات الثانوية فى اتحاد جنوب افريقيا .

وتوضح احصائيات هيئة الامم المتحـدة أن افريقيا تملك ٩٩ر٩ من المـاس الصناعى فى العالم كما تملك ٧٨ر٨ ٪ من ماس الزينة وتحتوى أرض افريقيا على ٣٤ ٪ من فوسفات العالم وعلى ٤٧ر٨ ٪ من البـلاتين . وتملك الجزائر وحدها ألف مليون برميل من احتياطى البترول ، كما تملك روديسـيا ونياسالاند وحدهما ٤٧٢٠ مليون طن من الفحم ينتج منه ٣٨٥٣ الف طن سنويا .

وتملك القارة كميات كبيرة من المعـادن الاساسية ذات الاهمية الاستراتيجية منهـا ١٠ ملايين طن من الـكوبالت أى ٦٧ ٪ مما يوجد منـه فى العـالم ، ٥١٤ الف طن من الكروميت أى ٣٥ ٪ ، ١٥ مليون طن من الانمد أى ما يعادل ٣٠ر٨ ٪ مما يملكه العالم

اما النحاس فتملك افريقيا منه ٢٣ر٥ ٪ كما تملك ٦٢ر٧ ٪ من ذهب العالم اى ٥٤٧ الف طن ، ١١ر٥ ٪ من الرصاص الخام ، ٢١ ٪ من المنجنيز .

ان افريقيا تملك من موارد الثروة الطبيعية اكثر من اى قارة اخرى . ورغم هذا ، ورغم دعاوى الاستعمار الابيض لازالت القارة تعتمد على ما تستورده من الخـارج من سلع . ويمكن القول باطمئنان ان هذه النتيجة هى احد اهداف السياسة الاستعمارية التى تريد لهذه القارة ان تبقى دون صناعة او اقتصاد نام لتظل فى حاجة الى مصانع ورءوس اموال وخبرة الرجل الابيض .

ومع توافر الخامات الاساسية تتـوافر فى أفريقيا مصادر الطاقة بشكل لا يتوافر لغيرها من القارات . ان شلالات المياه الشـديدة الانحدار تملأ جنبات القارة ويمكن استخدامها لانتاج طـاقة كهربائيـة ضخمة تكفى لتصبح القارة من اكثر المجتمعات الصناعية تقدما . لكن مصادر الطاقـة هذه لم تستغل الا فى النادر القليل . وحتى هذا القليـل لم تقم عليه صناعة ذات شأن .

ولو ان الرجل الابيض كان صادقا فى دعواه بأنه يعمل لترقية القارة لـكان قد استثمر امواله فى مصادر الطاقة هذه لانشاء صناعات ضخمة تقوم على المعادن الموجودة بوفرة . لكن هذه مشروعات لا يمكن ان يقدم عليهـا الرجل الابيض لانها مشروعات تنافس صناعات اوروبا وتضر بعمالها .

وهكذا اصبحنا اليوم ـ وبعد الاستقلال ـ أمام اقتصاد زراعى مهمل ومصادر للطاقة غير مستغلة وصناعة بدائية فى ظل مسـتوى اقتصادى منخفض . كل هذا مع ملكية الرجل الابيض للمناجم ولمصادر الثروة الطبيعيـة يستغلها كيفما شاء مع دفع اتاوات للحكومات المحلية .

وهكذا نجد الموقف نفسـه العجيب مرة اخرى فى مصادر الثروة ومقومات الصناعة كما وجدناه فى الزراعة . الرجل الابيض يملك معظم الثروة ورءوس الاموال فى ظل حكومـة سوداء حديثة الاستقلال .

مشكلة اخرى ضخمة تتطلب الحل السريع ان أريد لاقتصاديات هـذه الدول الحديثة الاستقلال ان تنمو وان تتكامل وإن تحقق ارتفاعا فى مستوى حياة ابناء افريقيا . بل هى مشكلة يجب ان تجد الحل السريع ان اريد لاستقلال هذه الدول ان يكون استقلالا حقيقيا لا مجرد صورة ومظهر فقط تتحكم فيه رءوس اموال البيض والمصالح الاقتصادية الخاصة بهم .

رءوس الأموال :

ويتبين من حديثنا المتقدم عن الارض والصناعة ان جميع رءوس الاموال المستغلة فى افريقيا هى رءوس اموال بيضاء . لقدكانت افريقيا قبل استعمارها قبائل تعيش على الفطرة ، رأس مالها الماشية وطعامها ثمار الغابات وبعض المزروعات الطفيفة . أما الرجل الابيض فقد وضع يده فور حضوره على ثروة القارة كلها الأرض والمعادن فقد كانت مشاعا للجميع . واصبح — من ثم — مالكا لاسهم المناجم ولوسائل استخراج الثروة من باطن الارض وللارض الزراعية ولوسائل المواصلات ولانواع الالات المختلفة .

وتوضح احصائيات الامم المتحدة ان ٨٩٪ من رءوس الاموال المستخدمة فى اتحاد جنوب افريقيا اوروبية . وتبلغ هذه النسبة ٤٩ ٪ فى روديسيا الجنوبية ، ٩٠٪ فى شمال افريقيا وافريقيا المدارية كلها .

وقد قدمت الحكومة الفرنسية وحدها ٤٣٪ من هـذه الاموال . بينما بلغت جملة الاستثمارات الامريكية حتى سنة ١٩٥٧ ١٢٠٠ مليون دولار . هذا بالاضافة الى بقية رءوس الاموال الاوروبية الاخرى وتلك التى دخلت القارة فى السنوات الأخيرة .

وصاحب رأس المال هو الذى يملك اصدار القرارات الخاصة برأسماله بطبيعة الحال . هو الذى يقرر استخدامه فى الصناعات الاستخراجية وفى الزراعة فقط دون اعتبار لمقتضيات تطوير الاقتصاد الوطنى الافريقى . ان العلاقة علاقة فائدة واستغلال فقط .

الخبراء الفنيون

ورابع مشكلات الاقتصاد الافريقى هى نقص عدد الفنيين والخبراء . وان تسيير دفة الحكومة — فقط — يحتاج الى عدد كبير من المتعلمين والاداريين والفنيين ، وهو ماينقص معظم بلاد القارة .

وتحتاج مشروعات التنمية الاقتصاديةالتى يجب ان تفكر فيها دول افريقيا المستقلة بالضرورة الى مستويات اعلى من الخبرة . ولا تملك تلك الدول الافريقية بكل اسف الاعداد الكافية من هؤلاء او اولئك .

لقد عمل الرجل الابيض دائما على ان تبقى مهارة العامل الافريقى منخفضة حتى يقبل القيام بالاعمال اليدوية وحتى يبقى اجره منخفضا . وقد كانت نسبة الدخل بين البيض والسود ٦٩ : ١ فى الكونغو قبل استقلالها ، ٤٣ : ١ فى إتحاد روديسيا ونياسالاند ، ٣٢ : ١ فى كينيا .

أما فى اتحاد جنوب افريقيا فان اجور السود تنخفض عن اجور البيض بحوالى ١٠ ملايين من الجنيهات فى الصناعات التحويلية فقط رغم ان عدد العمال الافريقيين يبلغ اربعة أضعاف عدد البيض .

لكن هذا احد نتائج المشكلة الحقيقية . ان المشكلة هى ان جميع دول افريقيا — وبلا استثناء — فى حاجة الى الفنيين والخبراء لادارة شئون البلاد وتطوير اقتصادياتها واستغلال ثروتها الطبيعية وموارد الطاقة فيها وانشاء صناعات ، وعلى الجملة لبناء اقتصاد وطنى متكامل يرفع من مستوى حياة الافراد ويعمل على نشر الحضارة والمدنية بين ربوع القارة التى طال اهمالها .

هذه بايجاز أهم المشكلات التى تعترض الاقتصاد الافريقى. ان الرجل الابيض — رغم رحيله سياسيا — الا أن شبحه لازال جاثما على القارة . انه يملك فى يديه مقدرات افريقيا كلها .

وهكذا تقف شعوب افريقيا اليوم امام المشكلة الاقتصادية وأمام التحدى الراسمالى العالمى وجها لوجه .

((محمد خزبك))

السياسة التعليمية للاستعمار في افريقية

للدكتور على ابراهيم عبده

فى الخمسين سنة ما بين ١٨٣٠ ، ١٨٨٠ كان أهم ما سيطر عليه الاوربيون فى افريقية هو الجزائر واحتلال البريطانيين لمائة وثلاثين الف ميل مربع فى جنوب افريقية . وفى خلال العشرين سنة التى تلت احتلال بلجيكا الكونغو واحتلت انجلترا مصر فى سنة ١٨٨٢ ، واعلنت حمايتها على الصومال فى سنة ١٨٨٤ ، وضمت بتشوانالاند فى جنوب افريقية ، ونيجيريا ، وافريقية الشرقية البريطانية ، وتوسعت فى سيراليون وساحل الذهب ، وأعلنت حمايتها على أوغندة فى ١٨٩٤ ، واستمرت السودان باسم مصر بعد ذلك بسنوات قلائل . اما فرنسا فقد احتلت تونس فى سنة ١٨٨١ . وتوسعت فى السنغال ، واحتلت منطقة الكونغو الفرنسية والصومال الفرنسى وساحل العاج ومدغشقر فى هذه الاونة ايضا . وبالنسبة لالمانيا فانها أسهمت فى التوسع الاوربى فى افريقية باستيلائها على جنوب غرب افريقية والكاميرون وتوجولاند وافريقية الشرقية الالمانية . وتوسعت البرتغال فى غانا البرتغالية وفى انجولا وافريقية الشرقية البرتغالية . واحتلت ايطاليا الصومال الايطالى واريتريا .

وفى أوائل القرن العشرين احتلت ايطاليا فى سنة ١٩١٢ ليبيا . كما ان بلاد المغرب سقطت فريسة للاستعمار فى نفس السنة ، فاحتل الاسبان جزءا من شمالها ، واستولى الفرنسيون على منطقة مراكش ، وخضعت طنجة لنظام دولى .

وبعد الحرب العالمية الاولى وانهزام الالمان اقتسمت الدول الاوربية مستعمراتهم فى افريقية فحصلت بريطانيا على مستعمرة افريقية الشرقية الالمانية وهى تنجانيقا وعلى جزء من مستعمرة توجولاند أضيف الى مستعمرة ساحل الذهب ، وعلى جزء من مستعمرة الكاميرون ضم الى نيجيريا . أما فرنسا فاستولت على الجزء الباقى من توجولاند وضمته الى داهومى ، وعلى الجزء الاكبر من الكاميرون وضمته الى افريقية الاستوائية الفرنسية . كما ان بلجيكا والبرتغال حصلت كل منهما على جزء من مستعمرة افريقية الشرقية الالمانية . كذلك فاز اتحاد جنوب افريقية بمستعمرة جنوب غرب افريقية الالمانية .

استعمر الاوروبيون البلاد الافريقية وكانت اغراضهم الحصول على خيرات المستعمرات والاستحواذ على اسواقها ليبيعوا فيها كل ما تنتجه بلادهم من مصنوعات واتخاذها ميادين تستثمر فيها رءوس اموالهم الفائضة . ولتحقيق ذلك بذل الاوربيون كل الجهود واستخدموا كل الوسائل لتدمير معنويات الشعوب الافريقية ، وتجريدها من شخصيتها وكان اول ما استخدموا من الوسائل لبلوغ هذه الغاية تزييف معارف هذه الشعوب ، وتشويه تاريخها ، وتحقير مقدساتها ومثلها ، ومحاربة تعلمها ، وذلك لانهم يعلمون علم اليقين ان التعليم هو السبيل الاول لاعداد كل شعب لبناء مستقبله ، لان كل بناء يحتاج الى تخطيط ، وكل تخطيط لا بد أن يقوم على معرفة ، وكل معرفة لابد ان تقوم على اساس الادراك الكامل لواقع الشعب ، ولحاجات اليوم والغد . وفيما يلى سأبين باختصار كيف قاوم الاوربيون التعليم فى افريقية حتى يطيلوا مدة بقائهم فيها .

كان اهمال التعليم من اظهر وجود حكم الانجليز فى مصر ومن خصائص ادارتهم لها ،

ففي الخمس والعشرين سنة الاولى من سنى الاحتلال البريطانى لمصر بلغ مجموع الايرادات التى حصلتها الحكومة المصرية ٣٥٨ مليون جنيه ، أنفق منها على التعليم ٢٨٠٠٠ر٢ جنيه فقط ، اى نحو ١ ٪ وفى سنة ١٩١٠ بلغ عدد تلاميذ المدارس الابتدائيــــة ٧٩٤١ تلميذا ، أى بنسبة ١٦ فى الالف من مجموع سكان مصر فى ذلك الوقت البالغ عددهم نحو ١١ مليون نسمة . ولم يكن التعليم الابتدائى اجباريا ولا مجانيا ولا زائدا زيادة كبيرة على القراءة والكتابة والحساب ، ومعظم المدرسين فى المدارس الابتدائية كانوا من الشبان القليلى الكفاية العلمية . اما عدد تلاميذ المدارس الثانوية فكان اقــل من ذلك بكثير بطبيعة الحـــال . ولم يكن تاريخ المصريين والعرب ضمن برنامج المدارس الثانوية بحجة انه غير ضرورى لامتحان ما يسمى الشــهادة الثانوية ، وهى الشهادة الوحيدة التى تفتح لحاملها باب الحياة الحكوميـــة فى الوظائف والتدريس .

على أن تقهقــر التعليم فى مصر لم يكن مقصورا على عدد التلاميذ والمدارس فحسب بل تحولت المدارس الى محض معــامل تخرج موظفين للحكومة . ولم يكن فى البلاد باسرها غير ست مدارس عالية اشهر مايدرس فيها علم الحقوق والهندسة ، ومع ذلك فبرنامجها فى الحقيقة برنامج المدارس الثانوية ، أى فيه الكفاية لمجرد اخراج من يشغلون الوظائف الصغيرة . والسبب فى ذلك ان المرتبــات الضئيلة التى يتقاضاها اهـــل الوظائف الصغرى تحول دون استخدام الاوربيين فى هذه الوظائف . ولذلك اصبح من الضرورى بقاء هذه المدارس المالية حتى يؤخذ العدد المطلوب للوظائف المذكورة من ابناء البلاد .

وكان من أكبر آفات التعليم فى مصر ايام الاحتــلال البريطانى أن لغة التعليم المقررة كانت الانجليزية ، كما أن وظائف التدريس كانت مســندة الى الانجليز دون المصريين ، وذلك لنشر اللغـــة الانجليزية . وأول من شرع فى هذه السياسة هو المستر دنلوب الذى كان مفتشا فى المدارس ثم مستشارا لنظارة المعارف .

ولقد ظلت فكرة انشاء جامعة مصرية زمنا طويلا وهى موضع السخرية والاستخفاف من الانجليز ، فلما روج الوطنيون الفكرة وشرعوا يجمعون المال لانشاء جامعة على حسابهم . صرح اللورد كرومر مع اظهار شىء من العطف التافه على المشروع بانه ((لابد من الانتظار قليلا حتى يتحقق المشروع)) وكانت نصيحته انه يحسن باصحاب الحركة ان يبدأوا بدراسة تاريخ الجامعات فى الاقطار الاخرى . على ان الحركة كانت أقوى حتى من اللورد كرومر وما هو الا عام حتى وافق خلفه على منح المال الضرورى للمشروع ، وافتتحت الجامعة من غير عناء كبير فى أواخر سنة ١٩٠٨ .

وفى ليبيــــــا اغلق الايطاليون ابواب المدارس القليلة التى كانت فى زمن الدولة العثمانية ، وانشأوا مدارس ايطالية بلغتها ومناهجها ، ولم يقبلوا فيها الا قلة من العرب حتى انه فى سنة ١٩٣٩ مثلا لم يكن فى المدارس الثانوية سوى ١٣٤ عربيا من مجموع ١٦١٧ تلميذا . وكانت الحكومة الايطالية قد كلفت فى بادىء الامر المستشرق كارلو نلينو أن يضع منهاجا للتعليم فى ليبيا ، فلما اتم وضــعه رفضته الحكومة ، بحجة ان هذا المنهاج لم تراع فيه النــاحية الاستعمارية ، ووضعت الحكومة منهاجا اخر أساسه أن يحرم العرب من التعــليم ، وقد اقتصر التعــليم فى ليبيا فى عهد الايطاليين على التعليم الاولى وكانت مدته خمس ســنوات ، يتعلم فيهما الطفــل العربى اللغــة العربيــة فى السنوات الثلاث الاولى الى جانب اللغة الايطالية ؛ اما فى السنتين الاخيرتين فكانت الايطاليـــة هى اللغة الاولى ، وكانت العربيـــة هى اللغة الثانية . حقا افتتحت فى بنغازى مدرسة لاعـــداد المعلمين . وكان فى طرابلس بعض المدارس لاعداد المعلمين ولتعليم الصناعات ولكنها كلها كانت محدودة مقيدة . ومن ثم فلم يكن مجال التعليم أمام العرب واسعا ، بينما اتيحت للايطاليين فى ليبيا جميع الفرص اللازمة لتعليمهم .

واتبع الايطاليون الاسلوب نفسه فى أريتريا ايام احتلالهم لها ، فاهتموا بتعليم ابنـــاء الايطاليين هناك ، بينما اهملوا تعليم ابنــاء

الوطنيين . وحسبنا ان نعرف انه فى عام ١٩٣٨/١٩٣٩ بلغ عدد المدارس الاولية الخاصة بالايطاليين عشرين مدرســـة مجموع تلاميذها ٢٥٥٤ تلميذا ، بينما عدد المدارس الاولية الخاصة بالوطنيين — رغم كثرة عددهم — فى السنة نفسها عشرين مدرســـة أيضا مجموع تلاميذها ٤١٧ تلميذا . هـــذا الى جانب الاهتمام بالتدريس فى مـــدارس الايطاليين واهماله فى مدارس الوطنيين ، حتى ان أربعة أخماس التلاميـــذ الاريتريين لا يستمرون فى الدراسة طوال العام .

وكلنا نعرف سياسة فرنسا التعليمية فى الجـزائر ، وتتلخص فى « فرنسة الجزائريين» وابعادهم عن الثقافة العربية وعن مناهل العلم الحديثة حتى يظلوا اميين مستعبدين . وقد وضعت فرنسا التدابير والتنظيمات الكثيرة المتنوعة لتعرقل التحاق ابناء الجزائريين بالمدارس والمعاهد ، فمثلا شروط القبـــول المقررة كانت مجحفة بالنسبة لهم . كما ان معظم المدارس انشئت فى المراكز والاماكن التى يقطن فيها جمـــاعات كبيرة من الفرنسيين والاوربيين . هذا الى جانب ان المـــدارس لاتقبل أحدا من الجزائريين الا بعد قبول جميع من يراجعها من الفرنسيين والاوربيين . وعلى ذلك كان عدد التلاميذ الجزائريين فى المدارس الابتدائية الفرنسية فى عام ١٩٥٤ لايتجـاوز ٢٩٢ الفا اى ما يعادل ١٤ ٪ من مجمـــوع الصبيان الذين هم فى سن الدراسة ، بينما كان عدد التلاميذ الاوروبيين بتلك المدارس فى السنة نفسها ١٦٣ الفا أى ١٠٠ ٪ وكذلك فى التعليم الثانوى كانت نسبة الجزائريين ضئيلة جدا ، ففى سنة ١٩٥٤ كانت بالجزائر ٤٩ مدرسة ثانوية فرنسية ، ومدرسة للتعليم الفنى الزراعى ، وبعض مـــدارس للتعليم التجارى . وبلغ عدد الطلبة الجزائريين فى هذه المدارس الثانوية كلها ٦٦٥٦ طالبا ، بينما بلغ عدد الطلبة الاوروبيين فيهـــا ٢٣٠٧٤ طالبا . والوضع نفسه بالنسبة للتعليم العالى ، فقد بلغ عدد الطلبة الجزائريين فى عام ١٩٥٥ فى جامعة الجـزائر ٦١٨ طالبا ، بينما بلغ عدد الطلبة الاوروبيين فيها ٥٧٣٢ طالبا ، أى أن نسبة الجزائريين كانت اقل من ١٠ ٪ .

ومن الامور التى تمسكت بها فرنسا أشـــد التمسك فى سياستها التعليمية فى الجزائر هو اهمال اللغة العربية اهمالا تاما ، ثم مكافحتها مكافحة فعالة ، وتركيز الجهود حـــول نشر اللغة الفرنسية وجعلها لغـــة التعليم لجميع مواد الدراسة ، فى مختلف مراحل التعليم . هذا وكان فى الجزائر عدد كبير من المدارس الدينية التقليـــدية ، الكبيرة والصـــغيرة ، فعملت فرنسا على تقويض دعائمها واضعافها شيئا فشيئا . وذلك بالاستيلاء على ما أوقف عليها من عقارات وبسن القوانين الزاجرة التى تجعل التعليم العربى الحر جريمة يعاقب عليها القانون .

وسار الفرنســـيون فى تونس على خطتهم الاستعمارية ، فمنعوا مال الحكومة والبلديات عن المدارس العربية واضطروها الى العيش بدخل الاوقاف واجور التدريس . ووضعوا العراقيل العديدة فى وجه هذه المدارس ومنها المدرسة الخلدونية والمدرسة الصادقيـــة ، والمدارس الحكومية التى انشأوها بامـــوال التونسيين كلها مدارس فرنسية بحتة بلغتها ومناهجها وروحها ومعظم معلميها وتلاميذها ولم يسمحوا بالالتحاق بها الا لعدد قليل من التـــونسيين ، بينما ســـهلوا دخولهـــا على الفرنسيين والايطاليين واليهـــود . وكانت النتيجة بعد مرور سبعين سنة على احتلالهم لتونس انه فى سنة ١٩٤٩/١٩٥٠ كانت نسبة التلاميذ التونسيين الى مجموع الفرنسيين الى مجموع الاهالى التونسيين ٤ر٤ ٪ بينما كانت نسبة التلاميـــذ الفرنسيين الى مجموع الفرنسيين المقيمين فى تونس فى العام نفسه ٤ر٢٤ ٪ ، وهذا يعنى ان عدد مقاعـــد الفرنسيين فى المدارس — بالنســـبة الى تعدادهم العام يقرب من ستة امثال مقاعد اهل البلاد .

ولم تنجح فرنسا فى مكافحة اللغة العربية ومحاربتها فى تونس بقـــدر ما نجحت فى الجزائر ، وان كانت قد بذلت جهودا كبيرة فى هذا السبيل ، واضطرت الى جعل اللغة

العربية لغة رسمية بجانب اللغة الفرنسية ، كما اضطرت الى افساح المجال الى تعليمها فى المدارس العربية الرسمية ولو بصفة لغة اضافية ، وذلك يرجع الى أن فرنسا وجدت نفسها فى تونس أمام مدرسة تقليدية قوية الجذور وهى جامع الزيتونة المشهور فى بلاد المغرب شهرة الجامع الازهر فى الشرق العربى وأمام مدرسة عصرية حديثة التكوين وهى المدرسة الصادقية . كما أن حركات النهوض والاصلاح فى سائر انحاء العالم العربى والاسلامى كانت قد قطعت شوطا كبيرا قبل تاريخ فرض حماية فرنسا على تونس ، فما كان فى استطاعتها أن تبقى التونسيين مدة طويلة فى معزل عن تلك الحركات

وفى **المغرب** اهتمت فرنسا بتعليم الاوروبيين واهملت تعليم أبناء البلاد الاصليين ، كما انها جعلت اللغة الفرنسية لغة التعليم فى جميع المدارس ، وقسمت فرنسا المدارس الرسمية التى تنفق عليها الدولة الى ثلاثة انواع :

أ ـ مدارس اوربية ، وهى نسخة طبق الاصل من مدارس فرنسا نفسها ، ولاتختلف عنها من ناحية المناهج أو أى شىء . وابوابها لاتفتح للمغاربة المسلمين الا بالقدر الضئيل وتحت قيود ثقيلة . ويتبين من الاحصائيات ان عدد التلاميذ المسلمين فى هذه المدارس الاوربية يقل عن ٤٪ فى المدارس الابتدائية وعن ٦٪ فى المدارس الثانوية العامة ، وعن ٣٪ فى المدارس الثانوية الفنية .

ب ـ مدارس فرنسية اسرائيلية ، تسير على مناهج المدارس فى الحكومة الفرنسية ، وتدرس جميع العلوم باللغة الفرنسية ،وكانت تستوعب معظم ابناء اليهود الذين هم فى سن التعليم .

ج ـ مدارس فرنسية اسلامية ، وقد قسمت فرنسا المدارس الابتدائية من هذا النوع الى عدة أنواع : مدارس أبناء الاعيان ـ المدارس الحضرية ـ المدارس البدوية ـ المدارس الصناعية ـ المدارس الزراعية ـ المدارس البربرية . وعملت على تقوية هذا النوع الاخير من المدارس ، بغية التفريق بين العرب والبربر ، وابعاد اطفال البربر عن اللغة العربية وعن تعاليم الاسلام ، وتلقينهم مبادىء اللغة الفرنسية حتى تحل لديهم محل اللغة العربية ، وعلى كل لم يحصل معظم تلاميذ المدارس الفرنسية الاسلامية الابتدائية على الشهادة الابتدائية ، حتى ان جميع من حصلوا على تلك الشهادة من المغاربة المسلمين فى سنة ١٩٤٩ لم يزيدوا على ٨٨٧ تلميذا ، فى قطر كان سكانه يزيدون على ثمانية ملايين نسمة .

واما المدارس الثانوية الاسلامية ، فهى أيضا كانت تسير وفقا للمناهج المقررة للمدارس الفرنسية مع تعديل بسيط ينحصر فى تخصيص بعض الاوقات لتعليم اللغة العربية ، وكان عددها ثمانى مدارس فقط ، كانت كلها ناقصة الفصول ، الا مدرسة واحدة كانت تعد تلاميذها القلائل لامتحان البكالوريا الفرنسية ، فى حين كان عدد المدارس الثانوية الاوروبية ١٥ مدرسة ، كانت كلها كاملة الفصول .

ولم يعف الفرنسيون حتى عن المدارس القرانية المسماة عندنا باسم « الكتاتيب » وفى المغرب باسم « المسايد » (مفردها مسيد وهى محرفة من كلمة مسجد) ، فحالوا دون اصلاحها بمرسوم صدر فى ١١ ديسمبر ١٩١٧ ، وقضى بان لا يعلم فيها غير القرآنية ومبادىء القراءة والكتابة .

ومن الطبيعى ان تؤدى هذه السياسة التى سار عليها الفرنسيون فى المغرب الى تفوق الفرنسيين واليهود فى العلم ، فيكون منهم معظم حاملى البكالوريا وشهادات الجامعات الفرنسية ، ويكون منهم معظم اصحاب المهن الحرة كالاطباء والصيادلة والمحامين والمهندسين وغيرهم ، حتى انه فى عام ١٩٤٤ اى بعد مرور ٣٣ سنة على الحماية ـ لم يتخرج من جامعات فرنسا من المغاربة المسلمين ، الذين درسوا فى مدارس المغرب الحكومية ، الاثلاثة اطباء وستة محامين وستة مهندسين زراعيين وفى الصومال الذى كان تابعا لايطاليا حارب الايطاليون التعليم ، ولم يسمحوا الا بانشاء بعض المدارس التبشيرية التابعة للكنيسة الكاثوليكية فى ايطاليا ، بغرض ايجاد طبقة

من صغار الموظفين . وفى الصومال الفرنسى لم تكن هناك أية مدارس الا مدارس الارساليات ولم يسمح الفرنسيون للاهالى بانشاء مدارس الأخيرا . وفى الصومال الذى كان تحت الادارة البريطانية أنشأ فيه الانجليز أول مدرسة ابتدائية حكومية عام ١٩٣٧ ، كما أنشأوا اول مدرســة ثانوية عام ١٩٤٤ ، وانشأوا المدرسة الثانوية الثانية والاخيرة فى ١٩٥٠ . وكانت سياسة الانجليز تهدف الى صبغ مناهج التعليم بهذه المدارس بالصبغة الانجليزية ، فحرمت تدريس اللغة العربية فيها .

وفى **أوغنده** اضطلعت الارساليات فى بادىء الامر بمهمة التعليم دون أى اشراف اومعونة من قبل الحكومة . ثم انشأت حكومة المحمية فى عام ١٩٢٤ ادارة خاصة بالتعليم ، وفى سنة ١٩٢٥ انشىء مجلس استشارى للتعليم الوطنى يضم ممثلين عن الارساليات المسيحية واعضاء اوروبيين واوغنديين ، وفى سنة ١٩٣٧ افتتحت كلية ماكريرى . ولكن السلطات البريطانية الحاكمة فى أوغندة اهتمت لدرجة كبيرة بتعليم ابناء الاوروبيين هناك ، وانفقت فى ســبيل ذلك الاموال الطائلة ، بينما كانت عنايتهــا بتعليم الاهالى الوطنيين محدودة جدا ، ولمجرد توفير عــدد من الموظفين اللازمين للاعمــال الكتابية فى ادارات الحكومة .

وفى **كينيا** حرص البريطانيون على محاربة التعليم ، فانشأوا فقط عددا قليلا من المدارس الابتدائية ، ولم يهتموا فى وقت من الاوقات بانشاء مدارس ثانوية أو فنية ، وعنــدما أسست كلية المعلمين الافريقية نتيجة لمجهودات الافريقيين انفسهم بغرض تخريج المدرسـين اللازمين حاربتها حكومة المستعمرة ولم تقدم لها أية معــونة . والى جانب ذلك ابدى البريطانيون استياءهم من المنح الدراسـية التى كانت الهند تمنحها للطلبة الافريقيين ومن تخصيص راديو دلهى اذاعة باللغة السواحلية واصـبح كل ما يتصل بين الهنـد والقومية الافريقية يسبب الارتياع للبريطانيين . وكثيرا ما يشعر الافريقيون المتعلمون فى كينيا بالمرارة لهذه السياسة ، وقال أحدهم « كلما ازددنا تأخرا ، كان ذلك مدعاة لسرور المستوطنين . والبريطانيون مضطرون لمقاومة التعليم ، لان تعليمنا معناه خروجهم من ديارنا ، فبقاء البيض يتوقف على الاحتفاظ لنا بجهالتنا » .

وقد ظل الانجليز فى زنجبار ستة وعشرين عاما قبل أن يفتحوا مدرسة واحدة . وكانت حكومة تنجانيقا تقدم كل عام تقريرا عن حالة البلاد الى مجلس الوصـــاية التابع للامم المتحدة . وقد وجه كريشنا منون ، مندوب الهند ، فى مارس ١٩٥٤ نقدا صريحا تعليقا على أحد هذه التقارير فقال « اننا نميل كثيرا الى النظر الى هذه الاقاليم على أنها مناطق متخلفة نزودها بالمدنية ، مع أن هذا الاقليم يرجع تاريخه الى نحو ثلاثة الاف سنة .. وفى ميــدان التعليم ، يكلف الطفل الأوروبى الحــكومة سنويا مبلغ ٢٢٣ جنيها استرلينيا ، بينمــا يكلف الطفل الافريقى ثمانية جنيهات وخمسة شلنات سنويا ، والطفل الاسيوى ٣١ جنيها سنويا ، وانى على ثقة من أنه لا يمكن الزعم بأن الطفل الاوروبى يستعصى تعليمه الى حد أنه يكلف ثلاثين ضعفا من الجهد الذى يحتاجه الافريقى لتعليمه .

ولم يكن التعليم فى نظر السلطات البلجيكية فى الكونغو الا وسيلة لتخريج عدد من الافراد يعاونون الادارة فى الاستغلال الاقتصادى . وعلى هذا فلم تكن هناك الا نسبة ضئيلة من أطفال الكونغو يتلقون التعليم الابتدائى . وقد سمح بعد ذلك لعدد محدود منهم باكمــال التعليم الثانوى . ثم انشئت جامعة كاثوليكية (لوفانيوم) فى ليوبولدفيل ١٩٥٤ ، ولكن طلبتها لم يزيدوا على ثلاثين طالبا ، وكانوا أقل عددا من الاساتذة . وكان التعــليم فى المدارس الابتدائية باللغات المحلية ، ما عدا بعض المدارس الابتدائية التى تعد للتعــليم الثانوى فكان التعليم فيها باللغة الفرنسية . اما عن التعليم فى المدارس الثانوية فكان بطبيعة الحال باللغة الفرنسية . وكانت اللغــات الفلمنكية والانجليزية تدرس لمن يعدون للعمل فى الادارة والشركات . ويلاحظ أن ابنــاء الاوروبيين فى الكونغو كانت لهم مدارسهم الخاصة ، التى لا يشاركهم فيها الافريقيون وتضن السلطات البرتغالية هناك عــلى

التعليم بالمال والمعلمين والابنية .

والدراسة فى هذه المدارس تسير وفق المناهج الدراسية فى بلجيكا تماما .

وتأتى المستعمرات البرتغالية فى عدد قليل من المدارس أقامته الارساليات مؤخرة الشعوب الافريقية من الوجهة التعليمية ، فان نسبة الامية فى أنجولا وموزمبيق أعلى نسبة فى افريقية ومن الصعوبة أن يجد الافريقى هناك السبيل مفتوحا الى التعليم الثانوى . ، حتى انه فى عام ١٩٥٥ لم يكن فى أنجولا غير ٦٨ طالبا فى مستوى التعليم الثانوى . وقد قال موظف كبير بالمعارف البرتغالية للصحفى الامريكى جون جنتر عام ١٩٥٥ : « ان التعليم الابتدائى اجبارى أينما وجدت المدرسة الابتدائية . ولكن نحن بصراحة لا نريد أن يكثر المتعلمون بين الافريقيين قبل أن يتهيئوا من الوجهة الاجتماعية لذلك ، وذلك حتى لانخلق مشكلة التعطل والسخط . ان ما نريده هنا هو مجتمع مستقر ، وادارة مستقلة . ومن هنا ترانا نتحرك ببطء شديد » .

ومعظم المدارس فى اتحاد وسط افريقية الفيدرالى ، الذى يضم روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند ، تديرها الارساليات لحساب الحكومة . وقد بلغ مجموع ما صرفته الحكومة الفيدرالية فى عام ١٩٥٦ فى الاقاليم الثلاثة مبلغ ٨٫٥٩٢٫٤٣٢ جنيها لتعليم ٣٢٧ ألف أوربى فيكون نصيب الفرد ٢٦٫٥ جنيها ، ومبلغ ٦٫٥٥٦٫١١٣ جنيها لتعليم نحو سبعة ملايين ونصف مليون من الافريقيين فيكون نصيب الفرد نحو ١٧ شلنا . ورغم هذه الفروق الضخمة ، فقد ثار الاوروبيون عندما رصدت الحكومة مبلغ اثنى عشر مليونا — ومعهم صحيفة روديسيا هيرالد — بأن أى مكسب للافريقيين يكون خسارة للاوروبيين .

وفى اتحاد جنوب افريقية لم يجد الافريقيون بابا سوى الارساليات لتلقى شيئا من التعليم ، وذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر . ثم أنشأت الحكومة عددا من المدارس الابتدائية . ويتضح من الاحصائيات الرسمية أن ٢٠ ٪ من الاطفال السود فقط هم الذين يتعلمون فى هذه المدارس مبادىء القراءة والكتابة . ومن بعد التعليم الابتدائى ، يحرم هؤلاء الاطفال من مواصلة تعليمهم الثانوى ، حتى أن واحدا من كل ألف هو الذى أتيح له فرصة التعليم الثانوى أو الفنى حتى لا ينضب معين الاجراء الذين يقنعون بالقليل فى سبيل العيش ولو فى جحيم المناجم ، وحتى اذا تقدم العامل الزنجى الى المنجم أو المصنع ، ظل طول حياته يزاول الاعمال الدنيا ، لقلة ثقافته وضعفه الفنى . ولقد أخذت بعض المجالس البلدية فى الاتحاد تنزع من غلوائها أخيرا ، فألحقت بلدية جوهانسبرج عدة مئات من السود السعداء الحظ بالمدارس الفنية ، وبعد تخرجهم دبرت لهم أعمالا فى المصانع والمناجم تتفق مع مؤهلاتهم ، ولكن بقى الى جانب هؤلاء المحظوظين القلائل ، مئات الالوف من بنى جلدتهم يعانون شظف العيش ، ويقفون على أبواب المدارس فتوصد فى وجوههم بسبب القوانين الوضعية الجائرة .

اما باسوتولاند وسوازيلاند وبتشوانالاند ، وهى جميعا محميات بريطانية فى جنوب افريقية ، فان الانجليز يطبقون فيها التفرقة العنصرية فيما يتعلق بالتعليم ، فيضعون برنامجا خاصا للمدارس الافريقية ، وبرنامجا آخر للمدارس الاوروبية . ويجعلون التعليم بالنسبة للاوروبيين مجانا واجباريا ، وبالنسبة للافريقيين بمصروفات وغير اجبارى . وليس هناك تعليم فنى على الاطلاق للافريقيين . وتبلغ المنحة السنوية فى سوازيلاند ٧٥ جنيها للطفل الاوربى و ٢٨ جنيها للطفل الملون ، وخمسة جنيهات للطفل الافريقى .

دكتور
على ابراهيم عبده

أفريقية والرجل الأبيض

للدكتور محمد المعتصم سيد

ما هو مستقبل القارة الافريقية فى مطلع القرن القادم ؟ ! وما هو الدور الذى ستقوم به فى بناء صرح العالم الجديد ؟ !

وما هو مصير هذه الدول بعد أن استقلت معظم دولها عن الاستعمار ؟ ! وما هى الاخطار التى تهددها من الاستعمار مرة أخرى ؟ !

وهل سيعتبر النصف الثانى من القرن العشرين عصر استقلال افريقيا .. وتكون هذه السنوات التى يعيشها فيصلا بين عهود التحكم والسيطرة وبين عهد الاستقلال والحرية .

هـــذه الاسئلة تدور فى مخيـــلات رجال السياسة والمؤرخين الذين يتنبئون أو يكتبون مستقبل هذه القارة التى أراد الاستعمار لها أن تعيش ســـوداء مظلمة قرونا عديدة ، وقد خرجوا لنـــا بنظريات فى الايام الاخيرة حول هذا الموضوع الخطير الذى يهم قارتنا .. كان هناك رأى للعالم سيلفيل « هيرسكوفيتس » أستاذ الشئون الافريقية فى جامعة نورتوستون والدكتور جورج كيمبل العـــالم المعـــروف والمتخصص فى الشـــئون الافريقية ثم المؤرخ توينبى .

والمؤرخ العالمى المعروف « آرنولد توينبى ، صـــاحب نظـــريات فى السياســـــــة والحكم لها وزنها واعتبارها فى مجال السياسة العالمية ومستقبل الشعوب . ويبنى توينبى أحكامه هذه على ضوء قراءاته الواسعة وتحليلاته العميقة التى تستند الى عديد من الشواهد الثابتة ونبؤاته عن المستقبل . وقد خرج لنا المؤرخ الكبير بنبوءة سياسية على مستوى كبير من الاهمية بالنسبة لمصير القارة الافريقية بعد حركات التحرر التى اجتاحتها فى السنوات العشر الاخيرة .. وانتصار العناصر الوطنية فى معارك الاستقلال ضد قوى الاستعمار التى تحكمت فيهم لفترات تتراوح من نصف قرن الى أكثر من ثلاثة قرون . قال توينبى أنه لن يكون هناك رجل أبيض فى افريقيا جنوب الصحراء بعد عام ٢٠٠٠ ميلادية ، ففى هذا التـــاريخ ستتم أيلولة القارة الافريقية الى أبنائها شأنها فى ذلك شأن أى مكان فى العالم يتمتع أصحابه الحقيقيـــون بأرضـــه وسمائه وينعمون بخيراته وثرواته . أما عن منطقة جنوب افريقيا فقد خرجت عن هذه النبؤة التى اقتصرت فقط على المنطقة الواقعة بين مدارى السرطان والجدى .

وافريقية جنوب الصحراء التى ينصب عليها نبوءة توينبى هى افريقيـــــا الاستوائية أو افريقيا المستعمرة القديمة والتى لا وجود لها الآن والتى يبلغ مساحتها أكثر من ٨ ملايين ميل مربع يعيش فيها حوالى ١٨٠ مليون نسمة ــ أى ثلثا ســـكان القارة تقريبا ــ ، ويصل عدد شعوبها الى أكثر من ستمائة شعب ، لكل منها تقاليده الخاصة وحياته الاجتماعية التى تميزه عن غيره . ورغم الابحاث العـــديدة والرحلات الكشفية الكثيرة والمحـــاولات التى

بذلت للتعريف بهذه المناطق تعريفا شاملا ·· الا أن اتساعها الكبير حال دون أن يتم ذلك ، فلا زالت هناك أراضى واسعة غير معروفة ، لم يكشف البحث عن معادنها وثرواتها ، وحيوانها ونباتها ، وكل ما عرف عنها هو معالمها الواضحة كالانهار والجبال ·

وقد بذل الاستعمار كل طاقاته لاستغلال الطاقات الهائلة الكامنة فى افريقيا جنوب الصحراء أو افريقيا الاستوائية واستنزاف مواردها لخدمة أغراضه ، فسخر ثروتها البشرية لاستخراج ثروتها المعدنية ·· واستولى على كافة خيراتها ليصدرها الى بلاده وليكون له الغنم كله ·· وأهمل الاستعمار كل ما من شأنه رفع الافريقى الى مستوى البشر ·· ففى الوقت الذى أجهد فيه نفسه لاعداد البيانات والخرائط التى تبين تربة هذه الاقاليم وصخورها ، ومناخها ونباتها ·· أهمل دراسة أحوال شعوبها ، كيف يعيشون ؟ ، وماذا يفعلون من أجل المعيشة ؟ وحالتهم الصحية ومستواهم الثقافى ووضعهم الاقتصادى الى غير ذلك من المقومات التى تحفظ للشعوب آدميتها وكيانها ·

هذا الاهمال وهذا الاستغلال فى أبشع صوره أثار الرجل الافريقى الذى وجد نفسه وقد أحاطت به عوامل الافناء··ورأى أن يفعل لنفسه شيئا ينقذه من مصيره المحتوم ·· ومن افريقيا شمال الصحراء انطلقت انتفاضة التحرر تحمل رسالة الخلاص بعد أن حطمت أسطورة الرجل الابيض وسيادة الاستعمار ·· ورأى الافريقى جيوش الاستعمار تخرج من السودان وتبحر من موانى السويس وبور سعيد الى غير رجعة ·· لم يصدق هذا الذى سمع به ورآه ·· وحينما تحقق من هذا الامر ، قرر أن يفعل هو الآخر شيئا ·

وفى العشر سنوات الاخيرة ، شهدت افريقيا جنوب الصحراء صحوة اليقظة والحرية التى خرجت من القاهرة بعد ثورة ٢٣ يوليو ·· والتى استجابت لها العناصر الوطنية المكافحة· فكانت هذه الانتصارات الضخمة لحركات التحرر والاستقلال فى غانا وغينيا والنيجر وداهومى وفولتا العليا وجابون ومالى والكونغو ونيجيريا وتنجانيقا والصومال وغيرها من الدول الافريقية التى حصلت على استقلالها وانضمت أعضاء فى هيئة الامم المتحدة ، ثم حركات الكفاح التى لا زالت تلعب دورها فى روديسيا الشمالية ونياسالاند وروديسيا الجنوبية وكينيا وانجولا وموزمبيق وغيرها من الاماكن التى لا يزال الاستعمار يسيطر عليها والتى سيخرج منها لا محالة أمام وطأة الاصرار على تخليص هذه البلاد من سطوته ·· وقد توقع المراقبون السياسيون فى الامم المتحدة أن يرتفع رصيد الدول الافريقية التى استقلت منذ عام ١٩٥٧ والتى انضمت الى عضوية المنظمة الدولية الى خمسة وثلاثين دولة فى نهاية العام القادم ·

ولا يكفى فى نظر توينبى أن تكون هذه الدول مستقلة عن الفرنسيين والبلجيكيين والبريطانيين وغيرهم ·· فهناك مقدمات أخرى للاستقلال يجب أن تكتمل حلقاتها حتى تتضح معالم الاستقلال الحقيقى ·· فهناك مسألة الامكانيات التى تمتلكها الدول للمحافظة على الاستقلال والتى تعادل فى أهميتها مسألة الاستقلال من الدول المستعمرة ·· كل هذه الامكانيات تلاعب الاستعمار فى توجيهها حتى تصبح قاصرة عاجزة ·· رأينا أسلوبه فى رسم مستقبل هذه الدول الافريقية فى نواحى التعليم والثقافة والزراعة والتجارة وادارة دفة الحكم وغيرها ·· وكيف جعلها كلها أجهزة تدين له بالخضوع التام · وأهم ظاهرة فى هذا الشأن المشكلات الاقتصادية التى تعيشها الشعوب والدول الافريقية التى استقلت حديثا والتى لولا وجودها لاختصرت المدة التى حددها المؤرخ توينبى لخروج الرجل الابيض نهائيا من افريقيا ·

فمن بين الدول الافريقية السبع والعشرين التى انضمت الى الامم المتحدة من أوائل عام ١٩٥٧ وحتى الآن ، نجد أكثر من عشرين دولة منها تواجه مشكلات اقتصادية عويصة · وقد رجح الخبراء ارتفاع هذا الرقم بعد خمس سنوات ليصبح ثلاثين دولة من الخمسةوالثلاثين

التى سيتم انضمامها للامم المتحـــدة ، فعلاج هذه الازمات المستعصية يحتاج الى جرأة والى خبرة والى تضحية .

وقدجربت الجمهورية العربية المتحدة هذا اللون من الازمات ، وذلك بعـد أن قامت ثـورة ٢٣ يوليو منذ عشر سـنوات تقريبا ونجحت فى طرد الاستعمار نهائيا من البلاد وجلاء جيوشه عنها . لم يكن خروج هذه الجيوش هو الاستقلال الذى ننتظره .. فقد كانت عوامل عديدة تؤثر فى شكل الاستقلال وجوهره .. كان هناك راس المال المتحكم ، والشركات الاحتكارية ، والبنوك التى تهرب أرصدتنا من العملة الاجنبيـة ، والمؤسسات التى تدار من عواصم الدول الاستعمارية .. اجتمعت هذه العوامل كلها لتهدد اقتصادنا ولتجعله فى أيدى قلة غير أمينة أو حريصة على مستقبل البلاد لانها فى حقيقتها ضـالعة مـع الاستعمار التى أوجدها . ورأت ثورة مصر أن تحسم هذا الاشكال الخطير لتسـتكمل مقـومات استقلالنا .. فكانت تلك الخطوات الخالدة التى اتبعتها والتى بدأت بتأميم قنـاة السـويس فى عام ١٩٥٦ وما تلى ذلك من تـاميم للبنـوك ورقـابة على الشركات والمؤسسات .. وكل ما من شأنه تأمين اقتصادنا من التـلاعب أو سيطرة العناصر غير الوطنيـة عليـه ، الامـر الذى يؤثر على استقلال بلادنا .

والذى حدث فى مصر بعـد جلاء جيـوش الاستعمار عنها ، يحدث مثيله الآن فى الدول الافريقية التى استقلت حديثا .. الذى لولا حدوثه لاختصرت المدة التى حددها المؤرخ توينبى لخروج الرجـل الابيض من افريقيـا بصوره الاستعمارية المتعددة .. وخلاص هذه القارة لاهلها . فلا زالت شركات الاحتكار وركائز الاستعمار التى تتمثل فى المستوطنين البيض هى التى تسيطر على الاقتصـاد فى الكونغو واتحاد وسط افريقيـا ودول غرب افريقيا وشرقها .. وفى السـنوات الاخيرة دخلت اسرائيل عنصرا مسـاعدا للاستعمار الحقيقى لتساعده على سلب امكانيات هـذه الدول ، ورأينا اسرائيل تحتكر الصادرات والواردات وتقيم المصانع وتدير الموانى والمطارات فى عديد من الدول الافريقية .. وأصبح وجودها هى الاخرى يشكل خطرا استعماريا هائلا يهـدد مصالح هذه الدول ومستقبلها .

وقد راعى توينبى فى تقديره هذه الامور التى تكتنف الدول الافريقية والعوامل السياسية والاقتصادية التى تحيط بها .. ومن هنا كان حكمه على خروج المستعمر من افريقيا نهائيا بعام ٢٠٠٠ ميلادية ، أى بعد أقل من نصف قرن . وعندى أن الشعوب الافريقية المتحررة التى استطاعت بفضل كفاحها وايمانها بحق بلادها أن تطرد الاستعمار الحقيقى من أرضها.. لاشك قادرة على اكمال مهمتها فى ازالة ظله أيضا . . هـذا الظل المتمثل فى سيطرة اقتصادية واضحة المعـالم ، ونواحى أخرى تختلف من دولة الى أخرى . ولهـا فى هذا السبيل درسـا فى الدور الذى قـامت به الجمهورية العربية المتحدة حينما أمنت اقتصادها وأبعدت عنه كل أثر من آثار النفوذ والسيطرة وحينما يتم لها هذا الامر ستحقق نبؤة توينبى التى أعلنها والتى تكون خلاصـة رأيه فى موضوع التحرر الافريقى وعلى ضوء الاحداث التى سادت قارة افريقيا فى النصف الثانى من القرن العشرين والتى يؤكد فيهـا وقوع هذا الحدث الهام بعد سنوات قليلة فى حكم الزمن . ولم ينس توينبى أن يذكـر أنه لو أعلن هذه النبؤة منذ عشر سنوات خلت لاتهم بالجنون ولتزعزع مركزه العلمى فى النفوس فقد كانت افريقيا آنذاك بعيدة عن مجالات التفكير فى التحرر الشامل الذى سـاد عددا كبيرا من دولها فى مدى قصير .. أما اليوم فان الاحداث تؤيد نبـوءته والانطلاقات التى تسود هـذه القارة تعزز رأيه وتؤكد احتمال حدوثه .

مؤامرة بريطانية فى السودان

للاستاذ احمد صوار

مضى أكثر من عام ، وصحف السودان وكذا وكالات الانباء تشير الى رياح فتنة قوية تهب على جنوب السودان ، توشك أن تقتلعه من الوطن ، لتقذف به فى أحضان الاستعمار البريطانى ، الذى انحسر عن البلاد منذ اتفاقية فبراير سنة ١٩٥٣ ، التى أتاحت لشعب السودان الشقيق فرصة الحكم الذاتى ، وفتحت أمامه باب الحرية على مصراعيه ، وأخذت بيده نحو الاستقلال .

وقبل أن نزيح الستار عن أخطر مؤامرة تدبرها بريطانيا عن طريق عملائها فى جنوب السودان ، ونكشف القناع عن وجهها ، الذى عاد مرة أخرى يطل على الجنوب ، يثير القلاقل والمتاعب هناك ، يجدر بنا أولا أن نزن جنوب السودان بميزان اقتصادى حتى يلمس قارؤنا العربى والافريقى كيف أن الثراء هو طابع هذا الاقليم الذى أطلق عليه **((كنز السودان))** .

يضم جنوب السودان ثلاث مديريات هى : بحر الغزال ، الاستوائية ، أعالى النيل ، وتبلغ مساحة المديريات الثلاث حوالى ٢٤٨ر٣٠٥ ميلا مربعا من مجموع المساحة الكلية للبلاد وهى حوالى ٥٠٠ر٩٧٦ ميل مربع ، وتضم هذه المديريات أكثر من مليونى نسمة من جملة السكان البالغ عددهم أكثر من عشرة ملايين نسمة . وأهم قبائل الجنوب الدنكا والشلك والزاندى والنوير والانواك والبارى واللاتوكا ، وتعتبر الدنكا أكبر هذه المجموعات القبلية فهى تنتشر فى منطقتين : النيل الابيض وبحر الغزال وفروعه ، والزاندى أكثر هذه القبائل تقدما . ونظرا لموقع الجنوب القريب من خط الاستواء ، فان المديريات الثلاث هى أكثر مديريات السودان تمتعا بهطول الأمطار الغزيرة ، وفى معظم شهور



السنة ، بعكس باقى أجزاء السودان الوسطى والشمالية التى يقل فيها المطر بدرجة ملحوظة حتى أنه يكاد ينعدم مثلا فى المديرية الشمالية . وقد انعكس ذلك على الحياة النباتية فأصبحت الخضرة الدائمة من علامات الجنوب طوال السنة ، كما غطت الغابات الاستوائية ذات الفائدة الاقتصادية معظم أراضى المديريات الثلاث . وقد ساعدت وفرة المياه وجودة التربة على زراعة غلات المنطقة الحارة بنجاح عظيم مثل الطباق والقطن وقصب السكر والبن . أما عن الثروة المعدنية فبالرغم من أنها ما زالت سرا مجهولا ، الا أن الابحاث الاولية التى قامت بها وزارة الثروة المعدنية أثبتت وجود خام الحديد واليورانيوم والذهب ،

بوفرة . لذلك كله أصبح الجنوب غنيا بنباته وحيواناته وأخشابه ومعادنه ، واستحق بحق لقب « كنز السودان » .

وقد اعتبرت الادارة البريطانية كل المنطقة التى تقع الى جنوب خط عرض ١٢° شمالا ، والذى يمر جنوبا بمدينة الرنك على النيل الابيض داخلة فى نطاق هذا الكنز . واذا اعتبرنا الشمال امتدادا لافريقيا الصحراوية أمكننا اعتبار الجنوب أيضا قطعة من قلب افريقيا الاستوائى . وعلى هذا الاساس يمكن استخلاص الحقيقة التالية ، وهى .. ان جنوب السودان بمثابة القلب النابض للسودان وهو بذلك يشبه اقليم يوجندا الفنى بالنسبة لاوغندة واقليم كاتانجا بالنسبة للكونغو . واذا كانت بريطانيا قد تآمرت من أجل فصل يوجندا عن الوطن الام أوغندة ، وتآمرت من أجل فصل كاتانجا عن الوطن الام الكونغو ، فانها ما زالت تتآمر لفصل جنوب السودان عن الوطن الأم السودان ، وكما انتهت مؤامراتها فى كل من أوغندة وكاتانجا بالفشل ، فان مؤامراتها ضد الجنوب سيلقى المصير نفسه الذى واجهته فى أوغندة والكونغو .

ان قصة الجنوب من المشكلات المزمنة التى خلقها الاستعمار البريطانى فى السودان منذ سيطرت بريطانيا على تلك البلاد ، فالمعروف أن احتلال بريطانيا لمصر كان فى عام ١٨٨٢ ، ومنذ ذلك التاريخ بدأ التدخل البريطانى فى السودان تبعا لاحتلال مصر ، وجرت أحداث كانت فى طليعتها ثورة المهدى . واذا كانت ثورة محمد احمد الذى عرف بالمهدى انبثقت من قلب جزيرة آبا على النيل الابيض فى اليوم الثانى عشر من شهر أغسطس عام ١٨٨١ ضد ظلم الاتراك وطريقة حكمهم للسودان ، فان ثورة الضابط المصرى أحمد عرابى قامت فى القاهرة فى اليوم التاسع من شهر سبتمبر عام ١٨٨١ ضد الخديوى التركى توفيق لترفع عن الشعب المصرى ظلم أتراك استنبول واستبدادهم

وفى الفترة القصيرة التى انحبس فيها صوت الخديوى وأصبحت السلطة فى أيدى العرابيين رفض احمد عرابى أن يرسل قوات مصرية لتحارب ضد المهدية رغم الحاح حكمدار الخرطوم التركى محمد رءوف .

ولقد غضب المهدى غضبا شديدا عند ما علم بمقتل الضابط البريطانى غوردون فى ٢٦ من يناير عام ١٨٨٥ ، والذى كان يعمل فى خدمة الخديوى التركى ، ويقود المعارك ضد المهدية ، لان المهدى كان يريد أن يحتفظ بغوردون حيا ليفدى به أحمد عرابى الذى وقع أسيرا فى ايدى القوات البريطانية بعد معركة التل الكبير نتيجة لخيانة مدبرة . واحتلت بريطانيا مصر بالاتفاق مع الخديوى ، ومن خلال سيادتها على مصر احتفظت الحكومة البريطانية لنفسها منذ اتفاقية عام ١٨٩٩ بجميع مزايا السيادة الفعلية على السودان وأبقت لمصر منها الاسم فقط .

ومنذ اليوم الاول الذى وضعت فيه بريطانيا أقدامها فى السودان وسيطرت على مقاليد الحكم بذرت بذور التفرقة بين السودانيين فى الشمال واخوانهم فى الجنوب ، ورسمت وزارة المستعمرات البريطانية سياستها على أساس التفرقة بين الجنوب والشمال ، وعزل كل منهما عن الآخر ، وبث روح الكراهية فى نفوس الجنوبيين .

وقد تمادت الادارة البريطانية فى سلوكها الى أبعد الحدود ، فأحكمت حصارها حول الجنوب الذى اعتبرته منطقة مغلقة أو مقفلة نظرا لحرمان الشماليين من الذهاب اليه الا بتصريح خاص من السلطات البريطانية فى الخرطوم ، وحتى هذه التصاريح لم تكن تعطى الا للسودانيين الموالين للحكم البريطانى . وتمشيا مع هذه السياسة لم تسمح بريطانيا بأية مشروعات استثمارية لثروات الجنوب ، فرفضت مشروعا لاقامة مصنع للخشب وعيدان الثقاب ، وأهملت ربط الجنوب والشمال بأية خطوط حديدية ، واكتفت بالرحلة الاسبوعية التى تقوم بها الباخرة النيلية من مدينة كوستى حتى جوبا ، وحتى هذه الرحلة كانت تستغرق أكثر من أسبوعين . وحتى المشروعات التى سمحت به لم تتعد مصنعين للسكر والنسيج فى منطقة الزاندى لاستهلاك قبائل الزاندى فقط ، ولم تسمح بريطانيا بانتاج أى فائض حتى للمناطق المجاورة فى الجنوب . ولكى تحقق بريطانيا سياسة الفصل والعزل قامت بسلسلة من الاجراءات كان من أهمها :

- نقل جميع الموظفين الشماليين الذين كانوا يعملون بالجنوب من اداريين وفنيين وكتبة الى الشمال .

- لم يعط للتجار الشماليين الذين كانوا بالجنوب رخصا لمزاولة تجارتهم .

- اجلاء المسلمين الشماليين عن مواطنهم وترحيلهم الى الشمال .

- حرمان المسلمين الجنوبيين من ممارسة شعائرهم الدينية ومنع التبشير بالديانة الاسلامية .

- الغاء تدريس اللغة العربية كمادة فى المدارس .

وقد جاء فى تقرير لجنة التحقيق فى الاضطرابات التى حدثت فى عام ١٩٥٥ :

« .. ان المدى الذى اتبع فى تطبيق هذه السياسة بلغ حدا صبيانيا .. فحتى المسلمون من الزنوج من الاقطار الاخرى من افريقيا مثل الفلاتا والهوسا قد اجلوا ، ومنع الجنوبيون المسلمون من مباشرة شعائر دينهم وصار استعمال لغة التخاطب (نوع ركيك من اللغة العربية) بين القبائل المختلفة جريمة يعاقب من يتكلمها فى المدرسة . وحرم على التجار بيع (الجلاليب) ومن يخالف ذلك منهم يعرض نفسه للغرامة أو عدم تجديد رخصته .

اما فيما يختص بزعماء القبائل الذين تعودوا لبس الزى العربى (أغلبية الاهالى فى الجنوب عراة) فلقد أعطت الحكومة المركزية لمفتشى المراكز البريطانيين أوامر مشددة باقناع الزعماء القبليين بتغيير زيهم العربى والتمسك بالعادات القبلية فيما يختص بالزى وغيره من الامور المشابهة ، وأرغم من كانوا يسمون بأسماء عربية لمدة أجيال على تغييرها .. »

والحقيقة أن مفتشى المراكز من البريطانيين لم يكونوا وحدهم الفرقة المجندة لتنفيذ هذه السياسة ، بل كان هناك أيضا رجال الارساليات التبشيرية والقساوسة الاوروبيون الذين استجلبتهم بريطانيا وساعدت على انتشارهم لا فى مدن الجنوب بل فى داخل الغابة . وهيأت الادارة البريطانية لرجال الارساليات كل وسائل الامن والراحة . وأصبح المنهج الاساسى لهذه الارساليات سياسيا أكثر منه دينيا . وقد لعبت هذه الارساليات دون شك دورا خطيرا فى تدعيم السياسة البريطانية التى كان قوامها خلق حاجز لغوى ودينى وعنصرى بين الشمال والجنوب . وهكذا ظل الجنوب وكأنه جزء منفصل عن السودان طوال حكم بريطانيا حتى انفجرت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، التى كان من أولى أهدافها تحرير الوطن السودانى من كل سيطرة بريطانية . وبدأت المفاوضات بين الجانب المصرى والجانب البريطانى حول مسألة السودان ، تمسك فيها الجانب المصرى بضرورة حق تقرير المصير للسودانيين ، ومنحهم الحكم الذاتى تمهيدا للاستقلال ، واضطرت بريطانيا أمام اتفاق جميع الاحزاب السودانية واصرار رجال الثورة الى توقيع اتفاق ١٢ فبراير عام ١٩٥٣ وليس من شك فى أن هذا الاتفاق قد أفسد كل مخططات بريطانيا فى السودان وخاصة فيما يتعلق بمسألة الجنوب ، وبالتالى أرسل مجلس قيادة الثورة أحد أعضائه وهو المرحوم صلاح سالم على رأس بعثة عقب توقيع الاتفاق الى شعب السودان الشقيق لتحذيره من مناورات بريطانيا ودسائسها ، ولتؤكد له رغبة رجال الثورة فى حرية السودان واستقلاله . وذهبت البعثة الى الجنوب للقضاء على كل أطماع بريطانيا ، وتذويب الفوارق والخلافات التى خلقتها بريطانيا بينه وبين الشمال . ولقد استقبلت قبائل الجنوب البعثة المصرية بكل ترحيب ، وكان من الطبيعى أن يحيى المرحوم صلاح سالم هذه القبائل ويشاركها أفراحها فرقص معهم رقصة الحرب والحرية . وبدأت بريطانيا تحس بهزيمتها فى السودان الذى بدأ فى سودنة الوظائف البريطانية طبقا لاتفاقية شهر فبراير عام ١٩٥٣ ، ورأت بريطانيا أن استقلال السودان معناه ضياع نفوذها ومصالحها فى المستعمرات المجاورة فى أعالى النيل وخاصة فى أوغندة وكينيا ، فأوعزت الى رجال الارساليات الذين كانت لهم السيطرة الفعلية على الجنوب بتدبير حوادث شهر اغسطس عام ١٩٥٥ ، التى بدأت ببرقية كاذبة ومزورة زعم أنها قد كتبت بواسطة رئيس الوزراء السابق (اسماعيل الازهرى) فأمر رجال الادارة

الشماليين الذين حلوا محل البريطانيين طبقا للاتفاقية باضطهاد الجنوبيين . ولقد ثبت من التحقيق بعد ذلك الذى أجرته لجنة التحقيق فى حوادث الجنوب أن البرقية كان مصدرها أحد الكتبة الجنوبيين فى جوبا الذى ما زال اسمه مجهولا حتى اليوم . وكان على رجال الارساليات نقل خبر البرقية المزورة الى قبائل الجنوب المختلفة التى أعلنت على الفور غضبها وثورتها ، وبدأ الهجوم الوحشى موجها الى أرواح وممتلكات الشماليين دون سواهم ، وارتكبت جرائم القتل ، وحرقت منازل الشماليين ، ونهبت ممتلكاتهم ، واغتصبت زوجاتهم . وقد اشترك فى ارتكاب هذه الجرائم الى جانب الاهالى الجنود ورجال البوليس والسجانة وارتفع عدد القتلى من الشماليين الى أكثر من ثلثمائة شخص . وهكذا نجحت بريطانيا قبيل الاستقلال فى اذكاء نار الفتنة التى استمرت خمسة عشر يوما أخمدت بعدها نتيجة فطنة الشماليين وحكمتهم .

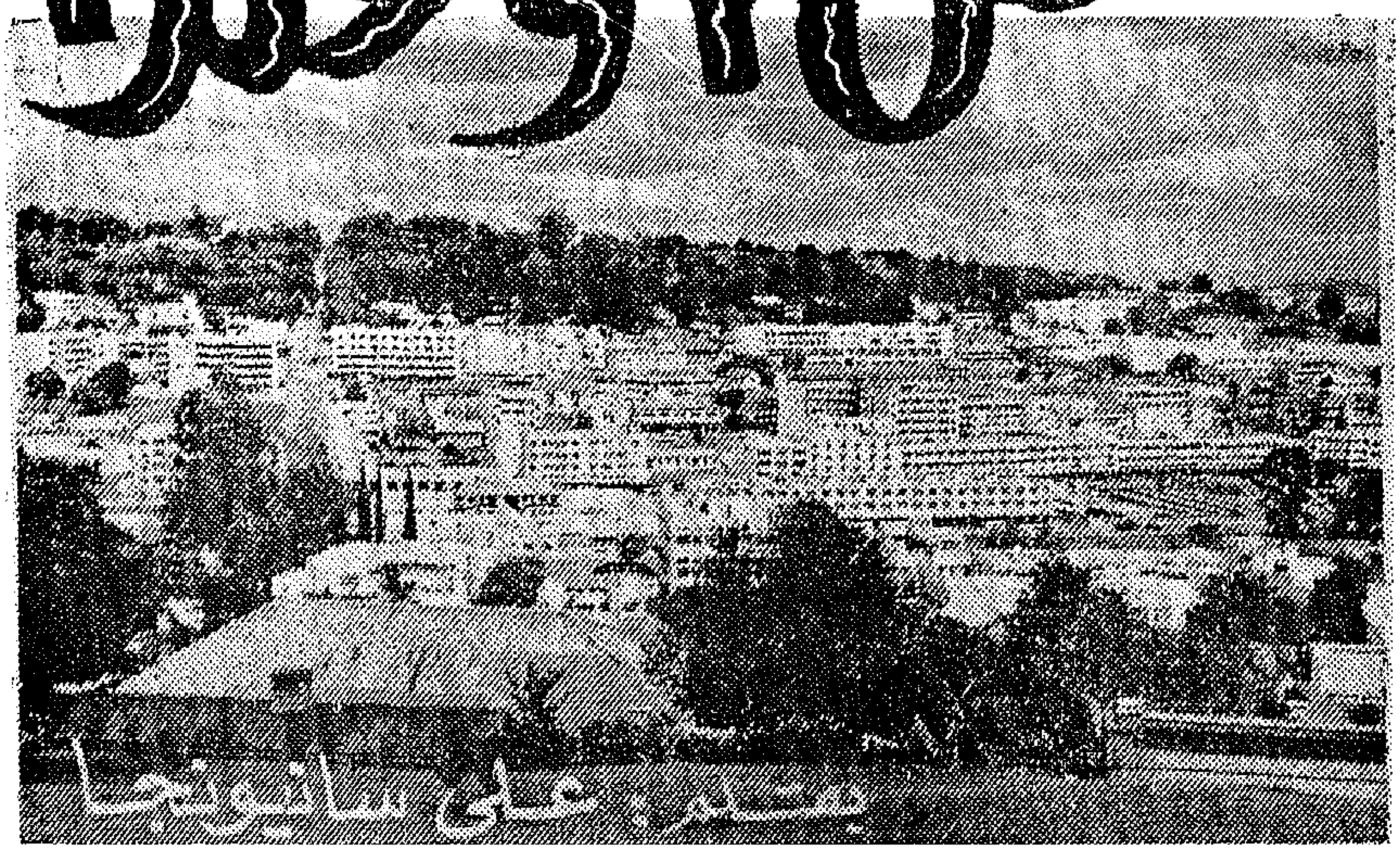
وفى اليوم الاول من شهر يناير عام ١٩٥٦ حصل السودان على استقلاله ، ورحل البريطانيون فى الشمال والجنوب ، ولكن مراكز الخطر وقلاع التبشير الاجنبية قد ظلت كما هى تمارس نشاطها المألوف ، وخيم على هذه المراكز الهدوء والسكينة على غير مألوفها ، كما لو كانت تستعد لمعركة جديدة . وكان نشاط الارساليات يكاد يكون محصورا فى استمرار تنفيذ السياسة البريطانية القديمة . وقد ظهر أثر هذا فى العامين الماضيين حين أضرب طلاب المدارس فى الجنوب احتجاجا على ادخال اللغة العربية فى المدارس ، وبدأت المنشورات المعادية لشعب وحكومة السودان تغرق مناطق الجنوب ، وتلبدت سماء الجنوب مرة أخرى بالغيوم تنذر بالشرور واشعال فتنة جديدة . وفى شهر نوفمبر الماضى حدثت عدة اشتباكات مسلحة بين القوات السودانية والعناصر العميلة من الجنوبيين التى اضطرت للهرب داخل حدود أوغندة والكونغو حيث آوتهم مراكز التبشير هناك ، التى ثبت أنها تتعاون فى الوقت نفسه مع مراكز التبشير فى الجنوب . ولم يقتصر الامر عند هذا الحد بل ان أحد الجنوبيين الهاربين ارسل رسالة الى يوثانت يطالبه فيها بتدخل الامم المتحدة واعطاء حق تقرير المصير للجنوبيين وفصلهم عن بقية السودان فى دولة مستقلة . ومن الغريب أن بريطانيا قد كشفت عن نفسها فى هذه المؤامرة حين تصدت الصحف البريطانية وكذلك اذاعة لندن للدفاع عن رجال الارساليات واتهام حكومة السودان بالعنصرية والطائفية مما دفع السفارة السودانية فى لندن الى تكذيب هذه الدعايات ، وأن الجنوب قطعة من السودان الكبير ، واذا كانت حكومة السودان تعمل على نشر اللغة العربية واحداث تطوير فى الجنوب الذى ظل متخلفا عن الشمال نتيجة حكم بريطانيا ، فانما تقوم بتصحيح الاوضاع .

ان بريطانيا ما زالت تستخدم الجنوب للضغط على السودانيين لاعادة السودان الى حظيرتها ليبقى بعيدا عن الميدان الافريقى والعربى ، ولكن مؤامرات لندن انكشفت فى كل مكان . ففى جمهورية الصومال ألغت حكومة مقديشيو كل نشاط للارساليات وطردت جميع القساوسة الاجانب وحرمت التبشير بغير الاسلام طبقا لقرار الجمعية الوطنية الصومالية بتاريخ ١٢ يناير الماضى الذى وافقت فيه على مشروع تعديل المادة ٢٩ من الدستور الصومالى بمنع بث أية دعاية تبشيرية لدين غير الدين الاسلامى وذلك بسبب القلاقل التى أثارها المبشرون الاجانب فى الاقليم الجنوبى ، وفى غينيا أفرقت الحكومة جميع طوائف التبشير التى كان يشغلها أجانب بسبب الفتنة التى أثاروها منذ عامين بين طلبة المدارس .

وفى السودان أبعدت الحكومة أكثر من مائة أجنبى لقيامهم بنشاط معاد للوطن السودانى ، وسودنت معظم مدارس الارساليات ولم يعد أمام بريطانيا الا أن تسلم للامر الواقع ، وأن تعيد علاقتها مع الدول على أساس الصداقة وتبادل المصالح المشتركة فقد ولى الزمن الذى كانت الشمس لا تغيب فيه عن « ممتلكاتها » ..

« أحمد صوار »

أنا عائد من أوغندا



قد مضى على زمن طويل وأنا بعيـــد عن وطني « اوغندا » ، ولم أعد اليها الا بعـد حصولها على استقلالها فى ٩ من اكتوبر سنة ١٩٦٢ بعد احتلال محزن دام ما يزيد عن ٦٠ عاما من مستعمر مستبد فرض سلطانه وجبروته على الشـعب ، وطارد الوطنيين والعاملين على استرداد اوغندا وهذا هو سر غيـابى عن وطنى الحبيب هـذه المدة كلها ولم يكن غيابى بمحض ارادتى وانما للاسباب التى ذكرتها . وكنت واثقا تمام الثقة ابان وجودى خارج بلادى من انه سيأتى اليـوم الذى أعود فيه الى الوطن ، الذى كنت أحن اليه كل وقت ، ولقد اخترت القـاهرة القلعة المنيعة لكل منـاضل ومكافح من أجل بلاده ، لتكون وطنى الثانى ..

يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٦٢

غادرت القاهرة يوم ٢٥ نوفمبر سنة١٩٦٢ متجها الى اوغندا عن طريق السودان وكم كنت سعيدا لانى ساقابل أهلى واصدقائى وزملائى فى الدراسة منذ الصغر . لا شك أن نفسى كانت تتصور أشـياء كثيرة مفرحة أمامى وكأننى ذاهب لمقابلة العـالم كله فى وطنى . وكنت اتصور ايام الاستعمار الذى ولى دون رجعة .. كل هذه الاشياء كانت تدور فى مخيلتى وكنت أعلم أنى سأجد فى المطار شبانا افريقيين أوغنديين لعلهم سمعوا الكثير عنى وعن زميلى الراجل المناضل «جون كلى» فى الكفاح .. كل هذا كان فى خاطرى والطائرة محلقة بى فى السماء .. وعندما شاهدت تلك المناظر الخلابة عند اقتراب الطائرة من مطار عنتيبى ورأيت البحيرات عند الغروب ، وكأنها لوحة فنية مرسومة خصيصا لجندى كان فى المعركة ظن الجميع فقدانه ويئســوا من عودته ثم عاد وهو منتصر ، كنت اعتقد أن

هؤلاء الشبان سوف يعانقونني وسيتسابقون الى مزاحمين انفسهم حولي اعجاباً منهم لبطل عاد من المعركة ، وكانت اعتقاداتي هذه كلها مبنية على انه لم يعد هناك ما يخشونه لان الذي كان يخيفهم قد ذهب ادراج الرياح .

اللقاء الاول

ولم يكن في خاطري ابدا عكس ما تصورته وفي المطار الذي يقع على ضفاف بحيرة فيكتوريا أو « نلوبال » كما نسميها في لغة قومنا ، استقبلتني فتاة أوغندية بابتسامة عريضة فظننت في باديء الامر أن الامور تسير حسب نظام مرسوم وانها اول المستقبلين . ولكنها لم تكن كذلك وانما كانت مضيفة تابعة لشركة الطيران .

لقد خاطبتني باللغة الانجليزية مستفهمة عن وجهتي .. أذاهب الى بلاد أخرى أم قادم الى أوغندا ، وكم من الايام سأقضيها في أوغندا ؟ .. فتعجبت وظننت أنني قد تغيرت وتغير لوني عما كنت ولكن ادركت انها على حق فليس من الضروري أن يكون كل أسمر من البلد . فقررت أن أعمل أي شيء لاثبت لها انى من أهل أوغندا لانه كان على الطائرة نفسها بعض الركاب أتوا من ليبيريا لكمبالا عاصمة أوغندا لعقد مؤتمر مذيعي الاذاعات الافريقية كما علمته من بعضهم . وهذا الشيء الذي فعلته هو مواجهتها بالتحدث معها بلغتنا القومية اوغندا . . . ولكنها لم تبادلني وأصرت بالتحدث الى بالانجليزية . ومن هنا بدأت أحس بشيء ما ، قادتني هذه الفتاة حتى وصلت الى رجل أبيض طويل القامة وهو الذي ختم جواز سفري بخاتم الجوازات من غير أن يقول لي شيئا وكلما التفت يمينا أو شمالا أجد أما أوربيا او اسيويا ، هذان الجنسان يكادان أن يكونا مسيطرين على كل ركن من أركان المطار في الجمرك أو في الجوازات ، اما الافريقيون اصحاب الارض فعليهم حمل أمتعة المسافرين . وبينما كنت متحيرا من ذلك اذا بشاب أسمر ملء الجسم ويبدو على وجهه الشدة ناداني باسمي المعروف ستيبونفا ... فأجبته بكلمة نعم العادية فقال لي بالحرف الواحد : «اتبعني »

فظننت انه احد المعجبين الذين كنت احلم بهم وكم كانت دهشتي عندما وجه الى بعض الاسئلة فعرفت توا ما يقصده وما يرمي اليه وقبل ان اسأله عن شخصيته بادر هو بتقديم نفسه الى وقال انه من مكتب المخابرات ووجه الى كثيرا من الاسئلة ودامت هذه المناقشات ثلاث ساعات متتالية الى ان جائت الفرجة من الله فانتهى التحقيق وبدأت آمالي وأحلامي السابقة تتبدد ولم يبق الا حلم أهلي فقط .

كمبالا العاصمة

تركت مطار عنتيبي وتوجهت الى كمبالا العاصمة وفي الطريق المؤدي الى كمبالا ذهلنا جدا لاني لم أر تغييرا ولا تقدما قد طرأ في البلاد بعد هذه المدة الطويلة . حتى الشعب الاوغندي لم يكن فيه تغيير أو تقدم أيضا ، وهو رمز الوطن ، وانما التقدم والازدهار للاسيويين والاوربيين ، ان لهم الجنة في أوغندا تجري من تحتها الانهار واصحاب البلاد الافريقيون محرومون من هذه الخيرات التي يتمتع بها غير الافريقيين . وعند دخول مدينة كمبالا وكان الوقت قد مال الى الغروب لم ار افريقيا واحدا في قلب المدينة وهذه عادة جرت من زمن فالافريقيون لا تجدونهم بعد الخامسة مساء اللهم الا اذا كان خادما أو جنديا وهذه الصورة تتكرر يوميا ودائما ابدا ولا ادري الى متى ستظل هذه الصورة قائمة حتى بعد الاستقلال ؟ !!

الاستقلال والعلم

حقيقة ان شعب اوغندا بدأ يحس ويشعر بالمسئولية الملقاة على عاتقه كما بدأ يتحرى الحقائق وما تكاد تلتقي بأحد من الاهالي وتسأله عن رأيه وما مدى الاثار التي أحدثها الاستقلال الا ويرد عليك بأنه لم ير شيئا بعد الاستقلال لان الاوضاع ظلت كما هي الانجليز ما زالوا هم الاشخاص المسيطرون على كل الوظائف الهامة والمناصب العالية وكل ما تغير هو العلم البريطاني .. استبدلناه بالعلم الاوغندي . ولكن يبدو ان كل شيء سيسوى عما قريب لانني لاحظت اهتمام الحكومة بحل مشكلات الناس التي تهمهم جميعا . وكما ان المواطن الاوغندي يتكلم

بحرية وينتقد الحكومة على اخطائها ، وعلى الرغم من هذا فان الامور تجرى بطيئة .

انني اتكلم هنا كأى وطنى شارك فى الكفاح من أجل الحرية ، أقول أنه لكى نحل الامور المعقدة يجب سرعة البت فيما يهم شعب اوغندا من جانب الحكومة ، لاعتقادى ان نضالنا من أجل البناء اصعب بكثير من نضالنا لنيل الاستقلال لاننا كنا من قبل نحارب استعمارا معروفا هو الاستعمار البريطانى فقط وقد كان بارز الرأس ظاهرا فكنا نجد تأييدا منقطع النظير من أناس كانوا مثلنا فى الكفاح وكانت قضايانا عادلة اما اليوم فنواجه أشكالا والوانا من الاستعمار ... استعمارا استغلاليا واقتصاديا وسياسيا .

وقد كثر هذه الايام قدوم الاجانب الذين يفدون من أشتات البلاد طلبا للراحة حيث أن أوغندا معروفة بجوها الجميل ومناظرها الطبيعية . تجذب عيون ناظريها وهى بلد غنى اغنى بلاد شرق افريقيا قاطبة كل هذا يجعل الطامعين يتسابقون لاخذ مافيه النصيب لانها اصبحت مسألة حياة أو موت وكان الانجليزى ابان سيطرته وحكمه لايعطى الفرصة لخلفائه للتغلغل فى اوغندا اطلاقا حتى بضائعهم كانت قلة فى البلاد ، أما اليوم فكل من هب ودب سواء اكان امريكيا أو المانيا أو يهوديا يمكنه التجوال والتغلغل فى البلاد وان الباب مفتوح على مصراعيه .

اما الكلام عن الاقتصاد فالمعيشة شاقة للغاية فى الوقت الراهن وليست سهلة كما كنت اتصور وان الدخل الفردى شبه معدوم وبسؤالى عن سبب ذلك اخبرت بأنه عندما فرض الوطنيون الحصار على بضائع الاجانب المستغلين وقاطعوها وخاصة الهنود وهو الجزء الاكبر الذى يستنزف خيرات البلاد وهم الغالبية الذين يسيطرون على اقتصاديات البلاد فلما رأوا هذا الخطر الفادح لجأوا الى تهريب اموالهم الى الخارج مما ادى الى اصابة اقتصاد البلاد ووصل الى حد الركود والتدهور . وقد حضرت بعض المؤتمرات الوطنية للتجار الافريقيين أثناء وجودى بأوغندا فى المكان المسمى (بشجرة الحرية) واستمعت الى كثير من الخطب الحماسية وكلها تطالب الحكومتين المركزية وحكومة بوغندا الاسراع باعلان استيلاء الحكومة على مدينة كمبالا وبعضهم يطالبون باعطاء الهنود جوازات السفر ليغادروا البلاد الى (بومبيه بالهند)

كل ذلك ان دل على شىء فانما يدل على نفاذ صبر الشعب الاوغندى الأبى وان كان ذلك مازال فى دور الملمات الحماسية والخطب الرنانة .

الحالة السياسية

ان الجو السياسى هادىء فى اوغندا وكل شىء يسير كالعادة الا ان الذى يحير الناس جميعا هو **ان الاستعمار المستبد ما زال** قائما بدليل ان المختص بالشئون الخارجية انجليزى وبالشئون الداخلية هندى . ومن **العجيب ان يكون أول رئيس لبرلمان أوغندا** انجليزيا وعندما استقال من منصبه وعاد الى بلاده حل محله هندى وغير ذلك من هذا القبيل **الذى تشمئز منه النفوس .**

وعندما اقول هذا الكلام لا اكون كمن يهاجم الحكومة الا اننى اتساءل هل ليس فى اوغندا كلها من يستطيع القيام بهذه المهام ! ولذلك فحتى الان لم تتضح سياسة الحكومة الاوغندية على حقيقتها وعلى أى اتجاه تسير سواء كانت هذه السياسة خارجية أم داخلية ،

فبدلا من استخدام هؤلاء الانجليز الذين أتوا بوساطة وزارة المستعمرات كحكام فى بلادنا قبل الاستقلال . كان ينبغى ان نستغنى عنهم بعد الاستقلال ونستبدلهم باخرين من بلاد صديقة نختارها بأنفسنا . فتوجد بلاد افريقية نالت استقلالها قبلنا من زمن ليس بالقصير ويمكنها مدنا بالمساعدات التى نحتاجها كالخبراء فى جميع الميادين وفى الوقت نفسه نعمل جاهدين فى تهيئة الفرصة لشبابنا المثقف لكى يحلوا محل هؤلاء الخبراء وليست هذه بدعة وانما كثير من الدول المتخلفة نهجت هذه الطريقة وسلكتها الى ان تقدمت وازدهرت وانى على ثقة أصيلة ان حكومتنا التى مازالت فى مهدها ستسارع بكل قواها الى معالجة هذه الاخطاء الظاهرة قبل فوات الاوان . وان الايام القادمة ستظهر الحقائق التى كانت خافية على الجميع وان غدا لناظره قريب

((على سانيبونجا))

ما الطريق الى تحرير الصحافة الافريقية

بقلم ج. ب. روز - ترجمة عبد الله حسين

ان هناك تناقضا كبيرا على مسرح الصحافة فى القارة الافريقية . ففى افريقيا الناطقة بالفرنسية لا توجد فى الواقع صحيفة وطنية واحدة ، بل ليس ذلك محتملا فى المستقبل القريب . والدولتان الوحيدتان فى غرب افريقية اللتان توجد بها صحافة افريقية أصيلة ويستثمر فيها الافريقيون أموالهم فى المشروعات الصحفية هما غانا ونيجيريا . ولكن الصحف الاجنبية كانت منذ الحرب وحتى وقت قريب تسيطر على مسرح الصحافة فى تلك البلاد . ولقد لجأت غانا اخيرا الى قانون تنظيم الصحافة .

وفى لاجوس صحافة تجارية قوية ومتنافسة اما فى باقى نيجيريا فالصحافة اما ملك للاحزاب السياسية ، واما تعتمد على تأييد تلك الاحزاب

ولقد اصدرت الحكومة الفيدرالية صحيفتها الناطقة باسمها منذ عام واحد .

ولا توجد فى جنوب أفريقيا أو اتحاد أفريقيا الوسطى صحف يملكها افريقيون ، هذا اذا استثنينا نشرة حزبية يصدرها أحد الاحزاب فى نياسالاند . وفى شرق افريقيا تمول أغلب الصحف برءوس أموال أجنبية . وفى منطقة غرب افريقية باكملها لاتوجد على الاطلاق صحيفة واحدة مستقلة تنشر باحدى اللغات المحلية ، أما فى شرق افريقيا فان أوسع الصحف انتشارا تصدر باللغة السواحيلية .

وهناك أيضا صحف باللوجاندية فى أوغندا اما المجتمع الهندى فيقرأ صحيفة بالجوجيراتية

ماهو اذن موقف الصحفيين الافريقيين ؟ وما هى الامال التى يخبئها الغد من أجل توسيع مجال الصحافة الافريقية بنوع خاص ؟

ان صاحب العمل الوحيد فى المناطق التى كانت خاضعة لفرنسا هو الحكومة . وكذلك الحال فى مجموعة حكومات برازافيل التى يتراوح عدد سكان كل منهما مابين اربعمائة الف وثلاثة ملايين نسمة . وفى هذه البلاد كلها لاتوجد صحيفة وطنية واحدة أو صحيفة تعبر عن رأى السكان الاصليين . وكل العمل الصحفى فى تلك المنطقة الواسعة تملكه شركة فرنسية لا تستخدم سوى قلة من الصحفيين الافريقيين وفى مراكز متواضعة . وهناك صحيفة « افريقيا الجديدة » التى تنفق عليها الكنيسة الكاثوليكية وتوزعها البعثات التبشيرية على نطاق واسع . وهذه الصحيفة يرأسها صحفى فرنسى ايضا . وفى توجو صحيفتان وطنيتان محدودتا التوزيع اضطر رئيس تحرير احداهما الى الهرب من البلاد . أما داهومى والنيجر فقد أغلقت الصحف الوطنية فيهما وارسل زعماء المعارضة الذين كانوا يشرفون عليهما الى المنفى خارج الوطن .

ولكن الامر ليس وقفا على الاضطهاد المباشر ، والمصادرة والتشريد .

ولقد منعت امتيازات رخص النقل الجوى عن الصحف المحلية ، كما ان الضرائب الباهظة تكتم أنفاسها وتصيبها بالشلل التام بينما الصحف الفرنسية تفتح لها الابواب على مصراعيها قادمة من باريس فى نفس اليوم الذى تصدر فيه . وفى مقدور اى انسان ان يقرأ « ليموند » او « الفيجارو » بأثمان زهيدة فى نفس الوقت الذى يقراهما فيه الباريسى . وما من شك فى أن مثل هذه المنافسة القوية لايمكن ان تقف فى وجهها اية صحيفة افريقية يومية جادة ، اذا كانت الحكومة تسمح بأن ترى مثل هذه الصحف النور . ومن أجل ذلك فان اية محاولة من قبل الناشر الافريقى لاصدار صحيفة تعتبر مغامرة لاتحمد مغبتها . ولقد علق احد

الافريقيين على هذا الوضع فى مرارة تعبر عنها هذه الكلمات .

« كيف يمكننـــا أن نخلق صحفا بدون صحفيين وكيف نوجـــد الصحفيين بدون صحف ؟ ! »

ان كل حكومة لديها رقابة ليس لها مهمة الا شطب كل ما هو جاد ومناهض لسياستها الجائرة . أما حزب الحكومة فيصدر صحيفة - ونسميها هكذا تجاوزا - لانها لا تتعدى أن تكون نشرة دعائية تسبح بحمد الحكومة . وللحكومة وكالة انباء خاصة توزع انبـــاء « مصنوعة » ومنمقة على صحفها واذاعاتها ، وهذان بطبيعة الحال لا يخرجان عن سيطرتها التامة ، وكذلك التليفزيون الذى دخل هذا العام أول دولتين تنطقان الفرنسـية همـــا السينجال وساحل العاج .

وهكذا فان فرص نمو الصحافة الوطنية واهية الى حد كبير ، وربما لن تعرف هـذه المنطقة باكملها فى وقت وقريب الفن الصحفى الحقيقى . وقد يحرم السكان الاصليون من اية وسيلة اخبارية سوى الراديو والتليفزيون الخاضعين للرقابة الحكومية القاسية .

اما فى البـــلاد الناطقـة بالانجليزية فان مستقبل الصحافة الافريقية يوحى بقبس من الامل . ولعل اقرب الثمار فى هذا الميدان نجدها فى نيجيريا وغانا .

فجميع المحررين فى صحف غانا ونيجيريا ، وأغلب رؤســاء التحـرير من الافريقيـين . والمقارنة بين هـذا الوضـع وبين مثيـله فى أفريقيا الناطقة بالفرنسية مذهلة للغاية . فصحف غانا جميعها ليس بها سوى صحفى انجليزى واحد . والتوزيع بالنسبة لعـدد السـكان يكاد يقترب من ارقام التوزيع فى آسـيا مثلا . فالصحف اليومية الاربع التى تصدر فى غانا ذات الخمسة ملايين ونصف المليون نسمة توزع ١٥٠ نسخة يوميا . قارن هذا بباكستان مثلا حيث يصل التوزيع اليومى لصحفها الى ٣٠٠ الف نسخة يوميا بين سكان يزيدون عن سكان غانا بعشرين ضعفا تقريبا .

أما فى نيجيريا فان جمهور القراء فى الاقليمين الشرقى والغربى يزداد لدرجة كبيرة لسرعة انتشار التعليم ، اذ يبلغ مجموع التلاميذ فى نيجيريا اكثر من ثلاثة ملايين تلميذ . وفى لاجوس توزع أوسع صحفها انتشارا ١٠٠ ألف نسخة تليها صحيفة اخرى يبلغ توزيعها ٦٠ الف نسخة يوميا .

وفى كل من غانا ونيجـيريا يزداد طلب الصحفيين الاكفاء يوما بعد يوم ، فعنـــدما اصدرت الحكومة الاتحـــادية صحيفتها فى الخريف الماضى اخذت تجذب الصحفيين بأجور مغرية ، ولقد قال لى احـــــد الصحفيين الافريقيين على ذلك : « ان محصولنا نحن الصحفيين مزدهر جدا هذا العام » . على أن الصحافة فى نيجيريا لن تسير بهذا المعدل من الازدهار الذى نعيش فيه الان ، فما زالت الحكومة تمول صحيفتها بصورة لا تستطيعها اى دار نشر حرة . كما ان هـــذا التوزيع الهـــائل ، والمنافسـة الطيبة فى الصحافة النيجيرية غير قائمين الا فى لاجوس فقط . هذا فضلا عن ان الصحف التى تصدر فى العاصمة الاتحادية لا تبعد فى توزيعها الا بقدر ما تتيحه المواصـلات الفقيرة التى تربط بين المناطق النائية وخاصة فى الشـــمال الذى يحظى بأقل نسبة من التوزيع . وأخيرا فان الحزبية فى الواقع تحتكر الصحافة وتسيطر عليها .

اما الروديستان وشرق افريقية فلا تنعم بهذا الجو الاصيل من الصحافة الافريقية الذى نراه فى الساحل الغربى : ففى الروديستين تسيطر الصحافة البيضاء على السوق بينما لا يعمل بها سوى قلة من الصحفيين الافريقيين وتحظى سالزبورى بنصيب الاسد فى الميدان الصحفى فيها صحيفة يوميـــة وسلسلة من الاسبوعيات ومجلة شهرية .

ولقد اشترى هذه المجموعة اخيرا « روى تومسون » . وفى لوساكا صحيفة اسبوعية ذائعة عمرها عامان وتستخدم بعض الصحفيين الافريقيين .

ولقد تغير المشهد فى شرق افريقية تغيرا كاملا بعد ان دخل اغاخان الميدان فى عام ١٩٥٩ وحتى ذلك الوقت كان الاوربيون يسيطرون على مجموعة الصحف فى كينيا واوغنـــدا وتنجانيقا . وكانت الصحافة الافريقية فى

كينيا قد تعرضت لعدة اضطرابات منـــذ انفجار الماو ماو ، ولا يبقى منها الان سوى بعض المطبوعات الحزبية . ولقد انشأت جماعة اغا خان مؤسسة صحف شرقي افريقيا وهي اكبر مؤسسة تعمل على تشغيل الصحفيين الافريقيين وعمال الطباعة الافريقيين حتى الان . ولقد ادت هذه المؤسسة رسالة هامة منذ انشائها . فهي تنشر صحفا يوميـــة واسبوعية باللغة السواحيليـــة في كل من نيروبي ودار السلام ، وصحيفة اسبوعيـــة باللغة الانجليزية في نيروبي . وصحيفة يومية باللغة الاوجندية في كامبالا . ويعمل في هذه الصحف السبع ٣٠ صحفيا افريقيا ، ١٠٩ طباعين من الافريقيين ، وهيئة انتاج . كما انهم قاموا بتدريب ٧٠ في المائة من الصحفيين ، وجميع العاملين في هيئة الانتاج . وأدخلوا أحدث الات الانتاج في مناطقهم النامية . وهم في هذا المجال يسيرون في مقدمة اي جماعـــة صحفية في افريقيا ، بل يمكن القـــول بان مؤسستهم لا تقـــل عن أية دار صحفية في بريطانيا أو امريكا . فلديهم احدث الات الطباعـــة بالاوفست والروتوغرافور ، ولهم خبرة بآخر الوســـائل الاعلانية . وهذا يدل على ضخامة الاموال التى بذلت في هـــذه العملية ، ولكن اهم مافي الموضوع حقا هـــو المهارة التى ابداها العمال الافريقيون في العمل على الالات الحديثة ، والسهولة التي يمارسون بها ذلك العمل .

ومن المشكلات التى تواجه اية منظمة ترغب في بذل المعونة الفنية للصحافة الافريقيـــة هو ان هذه الصحافة قد لا تقدر على استيعاب كل الفنيين المؤهلين بعـــد خمس او عشر سنوات مثلا .

وثمة مشكلة مماثلة تواجه كل صـــحيفة تستخدم الصحفيين الافريقيين . فما زالت كفاءة الافريقيين تكاد تكون محصورة في دائرة المحررين ، وكثير منهم يثبت في هذا المجال كفاءة وجدارة كاملتين . وباستثناءات قليلة نجد ان الهوة واسعة بين المحررين وهيئـــة الادارة ، واغلب هـــؤلاء من الاوربيين . فمؤسسة « الديلى ميرور » التى تملك أولى صحف غانا ونيجيريا وســـيراليون شـــغلت المناصب القيادية في تلك الصحف بصحفيين انجليز لعدم وجود كفاءات افريقية . وذلك مافعله ايضا « روى تومسون » حينما دخل كشريك في « مؤسسة الصحافة المتحـــدة بنيجيريا » .

ويعود هذا اولا واخيرا الى حاجة الافريقيين الى التعليم . فاننا لانجد سوى عدد قليل من رجال الصحافة الافريقيين اتيحت له فرصـــة التعلم او المعرفة العامة التى تؤهله الى تولى المناصب القيادية بصحيفته .

ان البرنامج الامثل في رايى للنهـــوض بالصحافة الافريقية هـــــو ان نحصر كل الصحفيين الذين تولوا العمل في هذه المهنة منذ سنتين او ثلاث ثم نضع لهم خطة تجمع بين التـــدريب العملى والدراســـة العلميـــة لاحدث الوسائل الصحفية .

ولكن هذا ليس كل شيء بالنسبة للصحفى الناجح . فلا بد ان يكون الصحفى عليما بالاحداث الجارية ، والماضـــية ، لابد ان يدرس الجغرافيا والتاريخ ، وان تكون لديه فكرة عن القوى الاقتصادية التى تؤثر في بلده بل في القارة باكملها . ومن ثم فينبغى ان تقترن خطة التدريب الصحفى بخطة اخرى للتعليم العـــام واللغات ، وان تثار فيهم كل الحوافز التى تساعدهم على القراءة والبحث

هذا في رأيى من الضروريات الجـــذرية لتقوية الصحافة الافريقية ، ولعل الخطتين المقترحتين تكون اكثر جدوى اذا طبقناهما على الصحفيين الذين يعملون فعـــلا في دور صحفية منذ سنتين على الاقل ، وليس على اناس جدد . وانني افضل هذا لسببين :
اولهما ان الذين يعملون فعلا — منذ عامين او ثلاثة — لديهم فكرة ولو سريعة اوسطحية عن الف باء الصحافة ، وهم بهذا يوفرون جهدا ووقتا كبيرين ويبدون استعدادا اكثر من غيرهم بل وتعطشا الى مزيد من المعرفة

والسبب الثانى هو انه سيكون لدينا دائما « احتياطى » من هؤلاء الذين يعملون منذ عامين او ثلاثة . فاذا كان مستقبل الصحافة يبدى قوة استيعابية تستطيع امتصاص هذا الاحتياطى فبهما ونعمت ، اما ومثل هـــذا الامر لا يمكن التكهن به الان فليس من الخير

ان نخاطر بادخال عاملين جدد فى الميدان .

وثمة أمر آخر ارجو ان يكون موضع اعتبار كل المهتمين بأمر الصحافة الافريقية ، وهو ضرورة تدريب الافريقيين على الصحافة فى قلب افريقيا نفسها . انه لمضيعة لكل شيء أن نذهب بالصحفيين الافريقيين الى الخارج الا اذا كانوا من المحنكين الذين لايبهرهم بريق الغرب ويأخذ بابصارهم دون تبصر او روية ان هؤلاء المحنكين فقط هم الذين يعرفون ماذا يأخذون من البلاد التى يزورونها وماذا يدعون ، وما يلائم شعوبهم وما لا يتفق مع مصالح تلك الشعوب .

ان التنافس بين الدول الغربية على جذب الافريقيين ما زال على اشده . ولست اضمن حين نبعث بشباب لم تكتمل مداركه بعد الى تلك الدول ألا تهتـــز قيمهم تحت المؤثرات المختلفة الموجودة بها : وبذلك تضـــيع كل الجهود التى بذلناها من اجلهم .

ولعله من الافضل ان يقام فى اقرب فرصة مركزان اقليميان للتدريب ، واحد غـــرب افريقية لتزويد صحافة نيجيريا وغانا وليبيريا وسيراليون . والثانى فى شرق افريقيــــة لتدريب الصحفيين من شرق ووسط وجنوب افريقيا .

وينبغى ان يجد المراسلون الاذاعيون مكانا لهم فى هذه الدراسات المقترحة . لان الاذاعة من اهم وسائل الاتصال فى افريقيا الان . كما يجب ان يفسح المجال فى هذه الدراسات لعدد من الصحفيين الذين يعملون فى مـــــكاتب الاستعلامات الحكومية . فان مما يهم الصحافة ان تكون علاقاتها مبنية على الفهم المتبـادل بينها وبين الحكومات ، وان يكون لدى تلك الحكومات رجال يدركون حرفة الصحافـة ، ويقدرون المشاكل الفنية التى تواجه العاملين فيها .

والى جانب تدريب الصحفيين هناك حاجة ماسة الى انشاء مدارس للطباعة فى مراكز التدريبات الصحفية التى اقترحناها انفا على ان يعهد بها الى فنيين متخصصين حتى يستطيعوا امداد تلك المدارس بكل ما هـو جديد فى فنون الطباعة فى اوروبا وامريكا واليابان .

ونأمل فى السنوات القليلة المقبلة ان يغامر رأس المال الافريقى بالدخول فى المشروعات الصحفية . والواقع ان المخاطر التى تهدد رأس المال المستثمر فى الصحافة ليست وقفا على ضربات السوق المألوفة ، بل أن الخطر يكمن فى الاضطرابات السياسية فى افريقيا فحرية الصحافة فى افريقيا الناطقة بالفرنسية محدودة كما اسلفنا ومستقبلها فى غانا يكتنفه الغموض . اما نيجيريا فبها صحافة حـــرة وحريتها باقية .

وموقف الزعماء الافريقيين فى شرق ووسط افريقيـــا يتسم بالحساسية المفـرطة تجاه الصحافة . فهم يضيقون بها اذا ما سجلت بدقة الصراعات القائمة داخل البـــلاد ، بل يتهمونها أحيـــانا بأنها سبب ما يحدث من فتن . وكلما كانت التحقيقات الصحفية دقيقة وحية تمثل لاولئك الزعمـاء خطر الصحافة على مصالحهم .

وهذه الظاهرة ليست وقفا على افريقيا بطبيعة الحال . فهى موجودة فى جميع الدول الحديثة سواء فى افريقيا او اسيا . وهذا يرجـــع الى ان الدور الحقيقى لمســـئولية الصحافة تجاه المجتمع لم يدرك بعد .

ان مزيدا من الصبر ، ومزيدا من التعلم ضروريان اذا كان للصحافة — التى اعتبرت فى الماضى وسيلة من وسائل الحكومــــــة الاستعمارية — ان تنمو وتصمد بعـــــد الاستقلال .

وستشهد الاعوام المقبلة الحاجة المتزايدة الى أن يملا الصحفيون الافريقيون المراكز القيادية فى الصحافة الافريقيـــة وكذلك فى الاذاعة وفى مكاتب الاستعلامات . والمهم هو ان يبلغ هؤلاء الصـــــحفيون من المهارات ما يؤهلهم لتولى تلك المناصب .

((عبد الله حسين))

الرّد على العنصريّين

بقلم جون هاتسن • ترجمة سمير عطا

قد يتســـاءل كثير من (البيض) وهم يفكرون في (الجنس الاسود) : هل هؤلاء الناس مثلنا ؟ وتقود الرجل العادى بعض تأثيرات معينة الى جواب مشوش مختلط .

كانت أول صلة لنا بالرجل (الاسود) ونحن تلاميذ صغار حينما كنا نســـمع عن صناديق المعونة التى تخصصها بعثات التبشير لخير « أولئك الفنية الصغار الســـود فى افريقيا » .. كنا نتلقى دروسنا على أيدى مدرسين ذوى نية طيبة وجهل كبير . كنـا نعرف منهم الكثير عن هذه القبائل «البربرية» « المتوحشة » التى استكشفها الرحالة أبان اسفارهم . وتعلمنا الكثير عن شجاعة كتشنر وغوردون وما شابههما من جنرلات طالمـــا ناضلوا هذه الوحشية البدائية الملونة دفاعا عن الملكة والعلم وامبراطورية الرجل الابيض .. وقد يكون هذا التعليم ما زال الى يومنا هذا يسير على نفس الوتيرة التى تلقيناه بها رغم ما طرأ على معلوماتنا من معرفة كبيرة باتصالنا المتزايد بالشعوب الملونة .

الا أن الرعاة والمدرسين والاباء الـذين حصلوا على هذه المعرفة لم يشاركوا بنتائجها الا بما يحقق جهلهم . وتناقى الاجيـــال الفتية هذا التأثير الاول عن أولئك الملونين الســود .. أنهم شعوب بدائية جاهلة قذرة متوحشة . ويشب كثير منا على ذلك منذ طفولته وهو يحس بالفوارق الكبيرة بينه وبين هذه الشعوب .

وخلال الثلاثين عاما المنصرمة ، استعرت حرب فكرية فى هذا الصدد قادها العنصريون من النازيين فى ألمانيا والفاشستيين فى ايطاليا وأشياعهم فى امريكا وجنوب افريقيا ، وكانوا يشيرون الى أن الاختلاف بين الشعوب البيضاء والشعوب الملونة ليس اختلافا وراثيا فحسب وانما هو اختلاف عقلى وجسمانى ونفسانى وروحى .. مما يضع البيض فى مرتبة اسمى .

والى جانب ذلك فان عـــددا كبيرا من الشعوب الملونة تعيش فى فقـــر وجهل ، وذلك ناشيء بطبيعة الامر من ان دولهم لم يتح لها ما أتيح للدول الاوربية من أساليب واسباب الحضارة . ومثل هذه العوامل تقف الى جانب ما يثيره دعاة العنصرية من جدال . وفى مثل هذا الجدل ، كما فى غيره من مواد الدعاية المغرية بعض لمسات من الحقيقة تتشـــكل وتتغير باستمرار .. وفى الحـــق فان معظم الشعوب البيضاء تمتاز عن الشعوب الملونة فى المهارات والنواحى الفنية المختلفة والسيطرة على قوى الطبيعة والتعليم والصحة والتنظيم العام للمجتمع .. ولكن الحق كذلك ان هذه المهارات لم تكن يوما عن طريق وراثى للشعوب البيضاء أو ان الرجل الابيض ينفرد بها دون الملون اذا ما اتيحت للاثنين فرصـة متساوية لاداء أى منها . وبالاختصـــــار فان الامـــم والجماعات المختلفة قد وصلت كل منها الى مرحلة معينة من مراحل الحضارة فى فترات مختلفة من فترات التاريخ . وكل انســـان بشرى ــ على مدى العصور ــ هو وحدة متكاملة لايمكن الحكم عليها باللون أو الجنس وانمـا بالنوع الشخصى .

ولحسن الحظ فان مجهودات طيبة واكثر تنظيما قد بذلت فى الاعوام الاخيرة لدراســة أسس الاختلافات الجنسية واللونية دراســة علمية ولوضع تفسير علمى لها . وان اضخم مجهود بذل فى هذا السبيل هو ما قامت به احدى اللجان العلمية التابعة للامم المتحدة من دراسات علمية انتهت الى هذه النتائج . وهى لجنة :

١ ــ اتفق جميع العلماء على ان جميـــع

البشر الذين يحيون اليوم هم من نواع واحد وينحدرون من اصل مشترك بغض النظر عن متى وكيف انحدرت الجماعات المختلفة من هذا الاصل المشترك .

٢ ـ الاختلافات الطبيعية بين الجماعات البشرية يعود بعضها الى اختلافات فى التكوين الوراثى وبعضها الى اختلافات فى البيئات التى نشأت بها ، وفى معظم الحالات فان كلا العاملين له أثره فى هذه الجماعات .. وعلم الوراثة يرى ان الاختلافات الوراثية بين سكان من نوع واحد هى نتيجة تفاعل عمليتين . فمن ناحية نجد ان التكوين الجنينى لسكان معينين يظل مستمرا بوتيرة واحدة ثم ـ تدريجيا ـ يتغير بطريق الانتخاب الطبيعى وبطريق التغيرات الجنينية فى داخل الاجنة والتى تتحكم فى الوراثة ، وبتأثير السكان كذلك بطريق التغييرات العرضية الناتجة عن تعدد الاجنة او عادات الزواج . ومن ناحية أخرى فان التهجين يكسر دائما حدة التخليق أو التمايز الموجود أصلا . وما يكاد الخليط الجديد من السكان يبتعد بنفسه فى عزلة منفردة حتى يتعرض لهاتين العمليتين مما يؤدى الى تغييرات اكثر . والسلالات الموجودة ما هى الا مجرد نتيجة التأثرات الكاية ـ فى لحظة معينة من زمن معين ـ لمثل هذه العمليات على النوع البشرى .

٣ ـ أن الجماعات القومية والدينية والجغرافية واللغوية والثقافية ليس من الضرورى ان تتطابق مع الجماعات الجنسية . وان السمات الحضارية لهذه الجماعات ليس لها علاقة اكيدة بالسمات الجنسية . فالامريكيون ليسوا سلالة معينة وكذلك الفرنسيون والالمان ، وكذلك أى جماعة قومية أخرى فى الواقع والمسلمون واليهود ، لاينتمون الى سلالات معينة اكثر مما ينتمى الكاثوليك والبروتستانت وكذلك الشعوب التى تعيش فى آيسلندا وبريطانيا والهند او من يتكلمون الانجليزية أو أى لغة أخرى او من ينتمون فى حضارتهم الى تركيا والصين . وان استعمال كلمة « سلالة » فى الحديث عن مثل هذه الجماعات قد تكون خطأ جسيما وان كانت ترتكب بمحض العادة .

٤ ـ السلالات البشرية يمكن ـ وقد أمكن ـ ان تصنف بطرق مختلفة على يد علماء بشريين مختلفين . ومعظمهم يتفقون على تصنيف الجزء الاكبر من الجنس البشرى الحاضر الى ثلاث وحدات كبيرة على الاقل والتى يمكن ان نطلق عليها الجماعات الكبرى .

مثل هذا التصنيف لا يعتمد على أى صفة جسمانية اذ أن لون البشرة ـ مثلا ـ ليس بالضرورة فى حد ذاته مميزا لجماعة كبرى عن غيرها . وعلاوة على ذلك ما دام من المستحيل ان نحلل هذه الجماعات فان الاختلافات فى البناء الجسمانى والتى تميز احدى الجماعات الكبرى عن غيرها لا تعطى أى أمة نوعا من الحق فى « السمو » أو فى « الانحطاط » الامر الذى تتضمنه دائما الاشارة الى هذه الجماعات .

واذا تكلمنا على نطاق أوسع فان الافراد الذين ينتمون الى جماعات بشرية كبرى مختلفة يتميزون عن بعضهم بتأثير صفاتهم الجسمانية بيد أن الجماعات الصغيرة التى تنتمى الى سلالات مختلفة داخل مجموعة بشرية كبرى واحدة ليسوا مميزين عادة الى مثل هذا الحد . حتى الجماعات الكبرى نفسها ـ والسلالات الداخلة فى نطاقها ـ تتدرج الى بعضها البعض ، والسمات الطبيعية التى تتميز بها سرعان ما تتداخل بشكل كبير ، وبالنظر الى معظم ، ان لم يكن كل ، الصفات المميزة بين الافراد الذين ينتمون الى سلالة واحدة فان الاختلاف فى هذه الصفات يكون أكثر بكثير عنها بين متوسط سلالتين أو أكثر داخل نطاق مجموعة بشرية كبرى .

٥ ـ معظم العلماء البشريين لا يضمنون المميزات العقلية فى تصنيفاتهم للسلالات البشرية . وقد دلت الدراسة التى أجريت على مجموعة بشرية كبرى واحدة ان المقدرة الفطرية والفرصة التى تتيحها ظروف البيئة تحدد التجارب الذهنية والنزعات الميولية داخل هذه المجموعة . واذا أجريت التجارب الذهنية على مجموعة من السكان فى شعب أمى فان نجاحهم عادة يكون أقل من مثيله فى جماعة من السكان فى شعب متحضر . ومن المعروف

أن الجماعات المختلفة داخل نطاق سلالة واحدة ويشغلون مستوى عاليا ومتشابها من الحضارة يمكن أن توجد بينهم اختلافات معينة حين اجراء التجارب الذهنية عليهم . وحينما تنشأ الجماعتان منذ الطفولة فى بيئتين متشابهتين فان الاختلافات بينهما تكون طفيفة عادة . علاوة على ذلك فهناك دليل طيب على أنه اذا منحت فرص متشابهة فان متوسط اداء الفرد وتنوع هذا الاداء لا يختلف – الى حد ما – من سلالة لأخرى.

حتى علماء النفس الذين أظهروا أكثر الاختلافات وضوحا فى النشاط العقلى بين الجماعات التى تنتمى الى أصل جنسى مختلف اى الى سلالات مختلفة ، والذين ابرزوا هذه الاختلافات على انها وراثية فى المقام الاول .. حتى هؤلاء يقررون دائما أن بعض أعضاء الجماعة ذات الاداء البسيط لا يتفوقون على أحط الاعضاء فى الجماعة المتسامية بل على متوسط أداء الجماعة كلها . وعلى أى حال لم يكن ممكنا أبدا التفريق بين اعضاء جماعة على أسس المقدرات العقلية بالرغم من أنه يمكن ذلك عن طريق الأسس الدينية ولون البشرة وهيئة الشعر أو اللغة . ومن الممكن ولو أنه ليس لدينا ما نبرهن به على ذلك بعد ، أن تكون بعض أنواع المقدرة الفطرية للاستجابات الفكرية والشعورية أكثر شيوعا فى مجموعة بشرية واحدة عنها فى مجموعة أخرى ، ولكن من المؤكد انه داخل نطاق جماعة واحدة تتباين المقدرات الفطرية مثل تباينها أن لم يكن أكثر ، داخل جماعات متعددة .

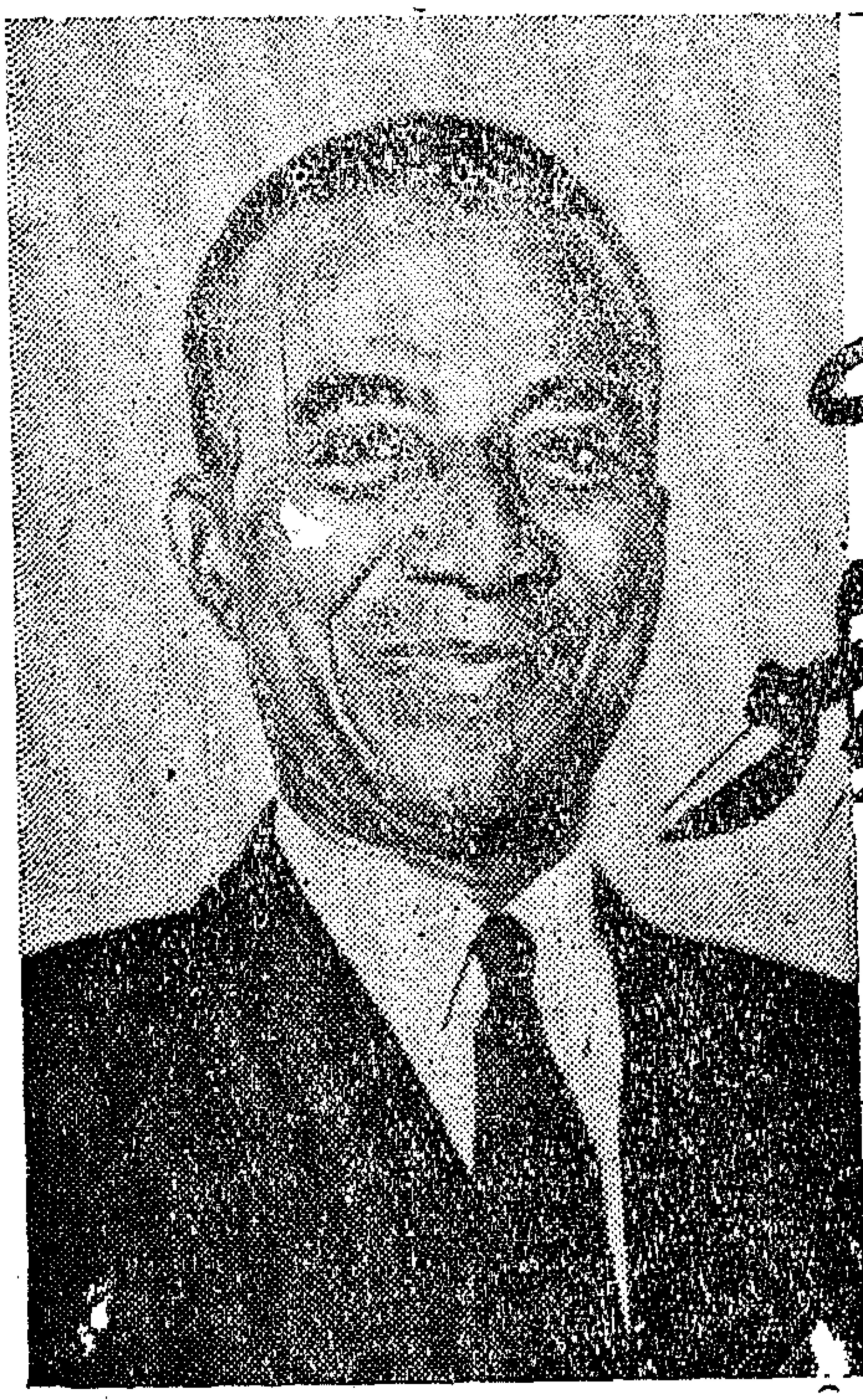
ان دراسة الوراثة فى المميزات النفسية تحوطها المصاعب . نحن نعرف ان أمراضا وعيوبا عقلية معينة تنتقل من جيل الى جيل ولكننا أقل تآلفا مع فكرة الدور الذى تلعبه الوراثة فى الحياة العقلية للافراد العاديين . ان الفرد العادى ، بغض النظر عن سلالته ، لابد وان يكون متعلما ويتبع ذلك ان تكون حياته الفكرية والروحية أكثر تكيفا بما تلقاه من تدريب وبما نشأ فيه من بيئة اجتماعية وطبيعية . كثيرا ما يحدث ان جماعة قومية يمكن أن تبدو متميزة ببعض صفات نفسية هامة .. والنظرة السطحية لذلك سوف ترجعه الى ناحية جنسية . ونحن نعرف علميا على أية حال أن أى صفة نفسية مشتركة من المحتمل جدا ان تكون بسبب ماض تاريخى واجتماعى مشترك وان مثل هذه الصفات ربما تخفى حقيقة نعرفها جميعا وهى ان الانسان سوف يجد داخل السكان المختلفين الذين يتكونون من نماذج بشرية عدة نفس النزعات المزاجية والميول العقلية تقريبا .

٦ – ان المادة العلمية التى فى أيدينا فى الوقت الحاضر لا تبرر النتيجة من ان الاختلافات الجنينية الوراثية هى عامل كبير فى توليد الاختلافات بين الثقافات والتطورات الثقافية للشعوب أو الجماعات المختلفة . انها – على النقيض – تدل على ان العامل الكبير فى تفسير مثل هذه الاختلافات هو التجربة الثقافية التى مارستها كل جماعة .

٧ – ليس هناك دليل على وجود مايسمى بالسلالة « النقية » .. ان البقايا الهيكلية تزودنا بأسس معرفتنا المحدودة بالسلالات الاولى.. وبالنظر الى الاختلاط الجنسى يشير الدليل الى أن التهجين البشرى أعنى اختلاط الاجناس كان يزاول فى زمن غير محدد وانما اعتبارى حقيقة ان احدى عمليات التكوين الجنسى كان عن طريق التهجين البشرى بين السلالات ، ولما كان ليس هناك دليل يعتمد عليه من أن آثارا خطرة قد نتجت عن ذلك ، فليس يوجد تبرير حيوى لمنع التزاوج المتداخل بين الاشخاص من السلالات المختلفة .

٨ – علينا اخيرا أن ننظر فيما تحمل هذه العبارات من معنى بشأن مشكلة المساواة بين البشر . ونحن نود أن نؤكد ان المساواة فى الفرص والمساواة فى القانون يعتمد بلا شك كأى مبدأ اخلاقى عام ، على التحقق من ان المخلوقات البشرية هى فى الحقيقة متساوية فى الاخذ والعطاء .

وبعد .. فقد تكون الشعوب الملونة فقيرة حقا تصيبها الكثير من الآفات على مدى العصور وتعيش فى عزلة عن اسباب التقدم . ولكن الثابت ان كل فرد منها يخضع لنفس الاحاسيس التى يخضع لها الرجل الابيض.. قادر على أن يتطور كما يتطور اذ تنظمهما معا صفات بشرية واحدة .



أضواء على جمهورية توجو

بقلم
عبد العظيم ملوك

تحتل جمهورية توجو مركزا هاما فى غرب أفريقية ، وهى شريط من الارض ، تقع بين غانا وجمهورية داهومى ، وتمتد أراضى توجو من ساحل المحيط الاطلنطى جنوبا الى مسافة ثلثمائة واربعين ميلا الى الشمال ، ويصل أضيق عرض لها عند الساحل اذ يصل الى مسافة اثنين وثلاثين ميلا . ويبلغ أقصى عرض لها من الشرق الى الغرب نحو مائة وأربعين ميلا .

وتبلغ مساحتها ٥٥ر٠٠٠ كيلو متر . وكلمة توجو تعنى « وراء البحر » وعاصمتها لومى وتعد ميناء ممتازا . ويبلغ عدد السكان مليونا ونصف مليون منهم مائتا ألف مسيحى وخمسة وثلاثون ألفا من المسلمين والباقى من الوثنيين أو عبدة الطبيعة . وأهم القبائل قبيلة « ايفى » تعيش فى المنطقة الساحلية على امتداد الحدود الحالية بين توجو وغانه.

وقد انتشر الاسلام بين الشماليين على يد التجار المسلمين من الهوسه واليوربا ممن وفدوا الى مناطق الشمال واستقروا بها ، كما تغلغل الاسلام الى حد ما بين الجنوبيين ويوجد للمسلمين مسجد فى لومى ، كما توجد مساجد أخرى للمسلمين فى الشمال .

وقد عمل المستعمر على حرمان المسلمين من الثقافة كسائر اخوانهم فى المستعمرات الاخرى كما عمل على حرمانهم من فرص التعليم ، وقد جرت فرنسا على أن تراقب معاهد التعليم الحرة مراقبة شديدة وخاصة مكاتب حفظ القرآن الكريم والمدارس التى تعلم اللغة العربية .

وقد نهج الفرنسيون على محاربة تعليم اللغة الوطنية وفرض اللغة الفرنسية كما أهملوا انشاء المدارس الا أن الشعب التوجوى قد اصاب ثلاثة أنواع من الثقافات هى الالمانية والانجليزية والفرنسية .

الحالة الاقتصادية :

تعتبر جمهورية توجو أفقر دول افريقية ، ويعتمد اقتصادها فى أساسه على الزراعة

وهناك نحو من تسعين فى المائة يعملون مزارعين صغارا والمحصولات الرئيسية هى المواد الغذائية والبطاطس والفلفل الاخضر والفول والبن والكاكاو ، وتستورد المنسوجات القطنية والدراجات والساعات والسكر وذلك من غانا كما تصدر اليها المواد الغذائية والفول الجاف « الناشف » والخضروات .

ويوجد مصنع للفوسفات تتمتع بامتيازه « شركة توجو لمناجم بنين » وتمتلك خمسة وتسعين فى المائة من أموالها اتحاد الشركات الفرنسية اما الخمسة فى المائة الباقية فتمتلكها حكومة توجو وتقدر الاموال المستثمرة بنحو تسعة ملايين من الجنيهات .

قصة الاستعمار لتوجولاند والظروف السياسية الراهنة :

قصة الاستعمار لتوجولاند كقصة الاستعمار الافريقية فلقد تنكر فى ثوب التجار والمبشرين وفى عام ١٨٨٤ جاء اليها المستكشف الالمانى الطبيب « جوستاف ناختيجال الذى ارسلت حكومته الالمانية بدعوى دراسة المصالح الالمانية فى هذه البلاد ، فقرر بعض الافريقيين ووقعوا على معاهدات صداقة نظير أشياء تافهة وبذلك تم للالمان اقامة مستعمرة المانيه فى توجو أقرتها الدول الاوربية فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ وحددت حدودها مع مستعمرة داهومى الفرنسية فى عام ١٨٨٥ بمعاهدة عقدها الطرفان الالمانى والفرنسى كما حددت الفواصل بين توجولاند ومستعمرة ساحل الذهب البريطانية بمعاهدة عقدها الطرف الالمانى والانجليزى عام ١٨٨٦ .

وهكذا تم الاستيلاء على توجولاند واصطنع المستعمرون حدودا لها بالاتفاق مع زملائهم المستعمرين ، واختاروا مدينة لومى عاصمة لها وانشأوا السكك الحديدية لتسهيل الخطف والنهب ، واعتنوا بالمواد الزراعية الا انهم لم يهتموا بالثروات المدنية فأقاموا مزارع كثيرة وكانوا يعاملون الوطنيين بقسوة بالغة وكانت تتبع معهم نظام السخرة .

ولما نشبت الحرب العالمية الاولى استسلمت الحامية الالمانية عام ١٩١٤ للبريطانيين والفرنسيين فاقتسموها بينهم فاستولت بريطانيا على القسم الغربى من توجولاند بما فيها العاصمة لومى وأما فرنسا فاستولت على القسم الشرقى .

وفى عام ١٩١٩ أعيد تقسيمها فاتفقت كل من بريطانيا وفرنسا على أن تأخذ فرنسا ثلثى المستعمرة بما فيها الساحل كله والعاصمة ، وتأخذ بريطانيا الثلث الباقى الملاصق لمستعمرتها ساحل الذهب (غانا) .

وبعد أن تنازلت المانيا عن سيادتها على مستعمراتها ، اخترع نظام الانتداب بدعوى الاخذ بيد الشعوب المتخلفة فى مضمار الرقى، ووكلت عصبة الامم الدول التى كسبت الحرب للقيام بهذه المهمة ، وصدر القرار بانتداب فرنسا وبريطانيا لحكم البلاد التى اتفقتا على اقتسامها وذلك فى عام ١٩٢٢ .

ولما انشئت هيئة الامم المتحدة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية تولت الاشراف على البلاد الواقعة تحت الانتداب، الذى تغير الى الوصاية ، وبذلك أصبحت توجولاند تحت وصاية الامم المتحدة ، وأبرمت اتفاقيتان بين مجلس الوصاية وكل من بريطانيا وفرنسا نظمت ادارة اقليمى توجولاند طبقا لقواعد الوصاية الدولية فى عام ١٩٤٦ . وحدد مجلس الوصاية تاريخا لاستقلال البلاد فى فترة لا تتجاوز عام ١٩٦٠ مع اجراء استفتاء فى الاقليمين للاختيار بين الاستقلال وبين الانضمام الى أحد الاقاليم المجاورة وهى داهومى وغانا .

وقد اختار شعب اقليم التوجو البريطانى الانضمام الى غانا وصارا دولة واحدة هى دولة غانه المستقلة .

اما فرنسا فقد حاولت بشتى الطرق على أن ترغم اقليم توجو الخاضع لادارتها أن ينضم الى اقليم داهومى التابع للمجموعة الفرنسية ولكن الشعب أصر على رفض مثل ذلك الاتحاد وفضل أن يستقل بنفسه وأجرى استفتاء عام ١٩٥٨ رفض فيه الشعب قبول الانضمام وأعلنت جمهورية توجو استقلالها فى ٢٧ ابريل ١٩٦٠ .

أضواء على الهجرات الافريقية

بقلم محمد بهى الدين سالم

من زمن والقارة الافريقية محط اطماع المستعمر ، كما أسهمت فى تهجير موجات بشرية الى ما يسمى بالعالم الجديد ، وسنعرض هنا الوانا من الهجرات التى كان لها تأثير فى افريقية .

١ – الهجرات العامة :

هناك هجرات كبيرة تتمثل فى الانتقال من من القارة الى ما يسمى بالعالم الجديد وقد تكونت شركات لهذا الغرض ، وكانت اول شحنة هاجرت من افريقية عام « ١٦٩٥ » ، ثم بلغت هذه الهجرات قمتها فى القرن الثامن عشر ، وازدادت حدتها فى اخر هذا القرن ، وقد قدر عدد الذين هاجروا بحوالى عشرين مليونا تركوا أفريقية الى أمريكا ، ولكن هذا العدد لم يصل كله سالما ، لان كثيرين منهم ماتو فى الطريق .

على ان الولايات المتحدة لم تكن هى السوق الرئيسية بل كانت امريكا اللاتينية ، فى مقدمة الدول التى امتلات بهؤلاء الافريقيين

وفيما يلى بعض الاحصائيات عن نسبة الافريقيين الذين هاجروا بالنسبة لعدد السكان الاصليين :

البلدان	نسبة الافريقيين بالنسبة لعدد السكان
الولايات المتحدة	٩ر٧ ٪
كندا	٢ر ٪
نيجارجوى	٧ر ٪
هندوراس	٢ر ٪
جواتيمالا	٥ر ٪
بنما	٩ر١٤ ٪
كوبا	٢٨ ٪
البرازيل	١٥ ٪
كولومبيا	١٦ ٪
اكوادور	٥ ٪
بيرو	٢ ٪



فيرفورد

وباستعراض هذه الارقام نجد أن النسبة ضئيلة فى كندا فى حين انها ترتفع فى دول امريكا الجنوبية ، ذلك لان الافريقى يستطيع سكنى الاماكن التى تشبه بيئته الاصيلة

وتعتبر مشكلة التهجير . هذه أحد الاسباب الجوهرية التى ادت الى الحرب فسكان الشمال يطالبون بالغاء حقوق الافريقيين ، بينما سكان الجنوب يعارضون بشدة لان اعمالهم قائمة على أساس هؤلاء الافريقيين ، كما أنهم تزوجوا من الهنديات الحمر ، وتكون منهم خليط تركز فى امريكا اللاتينية ، وبخاصة فى الامزون الادنى وساحل كولومبيا والبرازيل وسواحل امريكا الوسطى

وجزر البحر الكاريبى ..ففى البرازيل مثلا هاجرت أعداد كبيرة عام ١٨٢٦ ، يقدر عددها بحوالى (٢ مليون) نسمة .. وكان عددالسكان فى البرازيل فى ذلك الوقت محدودا للغاية ، كما وجدت أعداد وفيرة منهم فى المستعمرات الفرنسية والاسبانية والبريطانية فى العالم الجديد ، ويقدر هؤلاء بحوالى ثلاثة ملايين نسمة فى الفترة بين عامى ١٦٦٦ ، ١٧٦٦ أى بمعدل ٧٠ ألفا فى العام .

٢ – الهجرة الثانوية :

١ – هناك هجرة كثيرين من الشمال الافريقى وبخاصة هجرة كثيرين من تونس والجزائر والمغرب ، ويقدر عدد الذين هاجروا الى فرنسا ومعظمهم من الجزائريين بنحو ١٨٣٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٤٩ ، ١٩٠٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٠ ، ١٤٣٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٥١ ، ١٤٩٫٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٢ .

٢ – هجرة اليهود من شمال غرب افريقيا وقد كان معظمهم من فلسطين ، وشمال افريقيا

٣ – ثم هناك هجرة الكثيرين من الفرنسيين الذين كانوا قد استوطنوا شمال افريقية . بعد ان نالت هذه البلاد استقلالها .

.. تلك هى الهجرات الكبيرة الخارجية ، ولكن هناك هجرات داخلية .. فافريقية قارة يتحرك فيها السكان من وحدة سياسية الى اخرى ، ويكاد لايحس المهاجر بهذه الحدود الجغرافية فالتخطيط السياسى للقارة هو تخطيط من صنع الاوروبيين الى حد بعيد ، فافريقية تشهد حركات واضحة لانتقال السكان فى مناطق اجتذاب واضحة تمتد بهم من مسافات بعيدة ، جريا وراء الرزق .

فمثلا يهاجر عدد كبير من السكان الى جنوب افريقية فى مناطق المناجم ، ثم يهاجر عدد يقدر بحوالى خمسة ملايين من منطقة ((**رواندا اورندى**)) و ((**موزمبيق**)) و ((**انجولا**)) ، و ((**غرب افريقيا**)) وذلك الى منطقة كاتنجا وهى من أهم الاماكن الافريقية التى تشتهر بالتعدين . وبخاصة القصدير ، وخامات الرصاص ، والاورانيوم ، وغيرها من المعادن الهامة فى الصناعة . كما يهاجر عدد كبير من الدول المجاورة الى غانا حيث مزارعها الغنية بالكاكاو والمطاط .

وهناك هجرة ((الفلاتة)) ومصدرهم الاصلى غرب افريقية. والكثير من الفلاتة يخرج بقصد الحج ، ولكنه ما يلبث أن يستقر لفترة طويلة فى السودان ، ويفضلون الحياة فيه . كما نجد أن هذه القبائل تتركز فى أرض الجزيرة ، وفى سنار ، وما يليهما جنوبا .. وهى تلك المناطق الخصبة حيث المساحات الزراعية الواسعة .

تلك هى الموجات التى خرجت من افريقيا الى الخارج ، والتى اجتازت الحدود المرسومةوهى فى مجموعها تعطى صورة واضحة عن الصورة القديمة لافريقية ، وتعطى المستقبل الجديد لها حين نرى ارتباط الناس بواقعهم وبقارتهم .

التراث الثقافى الإفريقى
فى نصف الكرة الغربى

بقلم جيمس بورتر • ترجمة نجلاء حامد

فى السنوات الاخيرة أصبح فى متناول أيدينا كثير من المعلومات التى تلقى الضوء على الدور الذى يقوم به الزنوج فى العالم الجديد .

والحق ان الفضل فى ذلك يرجع لعلماء الانتروبولوجيا ومؤرخى الثقافة والكثير من العلماء الاخرين فى امريكا الشمالية والجنوبية . فلقد كشف هؤلاء وهؤلاء عن الصفات الطبيعية المميزة التى استحدثها الزنوج فى كافة مستويات التطور الانسانى والاجتماعى .

وفى كوبا وهايتى وفنزويلا والبرازيل نلمح بزوغ فجر نهضة حقيقية فى مجال الاهتمام بكل ما هو ذو طابع افريقى فى الثقافة الامريكية . فى ماضى الزنوج وحاضرهم ..

ولقد درست آثار الزنوج الثقافية فى هذه الاقطار كما هو الحال فى الولايات المتحدة على ضوء علاقاتها بالجوانب الثقافية الاسبانية والبرتغالية والفرنسية فى هذه المجتمعات ، فبالاضافة الى مساهمة المسئولين فى أمريكا اللاتينية ، أنكب العديد من العلماء الامريكيين على هذه الدراسة وعملت كتابات بيرسون وكان ، وهيرسكوفتش ، وليبران ، وكورلاندر بدون شك على اثارة الحماس العلمى لدى الكثير من العلماء فى امريكا اللاتينية للاتجاه نحو هذه المادة .. وينبغى أن نلحظ بصفة خاصة أن الباعث على الدراسة الموضوعية هو الرغبة فى تعميق الثقافة الافريقية فى عالم الحضارة المعقدة الواسع فى نصف الكرة الغربى .

ولربما يكون الكثير قد قيل عن مقومات الثقافة الزنجية التى أثرت بالضرورة على أمزجة الزنوج المتقلبة .. هذه الامزجة التى تؤثر فى قدرتهم على التكيف مع ظروف العمل ، والمنافسة الاقتصادية .

ولكن القليل فقط هو الذى قيل عن المساهمة الفعالة الملحوظة التى أسداها الزنوج للحياة الامريكية والتى تأثرت بالطبع بعامل الوراثة الافريقية .

ولقد كان الاهتمام الذى أثير حديثا بهذا التراث هو الحافز لكثير من الرسامين والنحاتين والكتاب فى أمريكا اللاتينية .. فاجتاحتهم نوبة من الحماس للاعتراف من المادة الاخيرة الموجودة فى حياة الزنوج لما فيها من جدة وابتكار .

وهذا التأثير يظهر شيئا هاما ألا وهو تسامح الزنوج كقوة خلاقة فعالة فى المجتمع .. وهو يتضمن ايضا تقبلا واعيا للبيئة الخلقية الافريقية كقاعدة ثابتة لسمات الحياة الامريكية ..

وفى أمريكا اللاتينية حيث يتركز الزنوج تركيزا سكانيا تظهر آثار الثقافة الافريقية الرائعة التى تتمثل فى ممارسة الشعائر الدينية وفى الفن . ولقد كانت المقومات الافريقية للحياة الزنجية من الايجابية والقوة حتى انه قد نشأت افكار ثقافية فى المجتمعات ذات السكان المختلطة الاجناس ربما اعتبرناها من وجهة نظرنا انحرافا عنصريا .. ففى مدينة ((باهيا)) بالبرازيل مثلا يتفاخر السكان بان الغلبة فى مدينتهم للعنصر الزنجى الذى يسود كافة الاجناس هناك .

وعلى الرغم من ضياع الكثير لما اكتسبه الزنوج عن افريقيا بسبب عملية نقل الحضارة التى عانى منها الامريكان الزنوج .. الا أن السمات الاخرى المشتقة من الافريقية مازالت تحيا حتى الان حتى بعد عملية «التحضير» !! الثقافية التى بدأت فى ذات الوقت الذى رست فيه أول شحنة من العبيد على شواطىء هذه البلاد ..

ولقد أصبح واضحا بعد ذلك وبمرور الوقت أن التراث الافريقى قد دخلت عليه الكثير من التعديلات .. الا ان المميزات ذات الخاصية الافريقية ظلت محتفظة بطابعها .

أما بالنسبة للشعائر الدينية فلم يكن الغرض من عملية « التحضير » هو تعديل تقاليد العبيد فقط .. ولكن ان يكتشف أحفاد العبيد أيضا أن هناك قوانين تهدف الى أن تعمل الكثير من اجل تنظيم القواعد الاخلاقية للناس المساكين فى كثير من بلدان أمريكا الشمالية ..

ولهذا السبب ارتدت نسبة عجيبة من الناس عن المسيحية الى الوثنية أى من الكاثوليكية الى الافريقية فى كل المجتمعات الريفية والمدنية بالبرازيل وهايتى وكوبا .. ويفسر هذا التحول بأن انصهار الافريقية مع المسيحية فى المجتمعات شبه الوثنية ذات العقائد الدينية الافريقية الامريكية يعد أحد الدلائل الكبيرة على تأصل جذور الثقافة الافريقية فى حياة هؤلاء الذين انحدروا من أصل افريقى . واكثر من ذلك ، فهو دليل لا شك فيه على أن الخيال الافريقى الخصب لم يقض عليه عبء العبودية الثقيل تماما ..

ولقد تغيرت الالهة الافريقية فى هذه الارض الجديدة لانها عانت أيضا من التأثيرات الجديدة . ولكنها ما زالت عقيدة الجماهير حتى الان فى البرازيل وهايتى وكوبا وفى مناطق اخرى .. ونستطيع ان نلاحظ استمرارها حتى الان من خلال استخدام الصور هناك وتجسيم الافكار كالروح والاله تجسيما فنيا عن طريق العقائد المحلية فى الاقاليم . ولهذه العقائد الدينية جوانب دنيوية أيضا تظهر فى آلاف الصور والتماثيل والتذكارات ذات الطابع الشعبى التى تباع فى شوارع « باهيا » وفى أماكن أخرى من البرازيل وهايتى . وفى جيانا الهولندية فهى أكثر الاساليب الفنية التى انتقلت من أفريقيا الى الغرب تأثيرا .. فهناك تعيش جماعات من الزنوج الفلاحين فر اجدادهم هربا من وحشية المستوطنين الهولنديين الى الغابات واستطاعوا أن يتخلصوا من العبودية التى حاول الهولنديون جاهدين ان يعيدوهم اليها .. وما زال هؤلاء الاحفاد يمارسون نفس الاساليب الفنية .. وفى هذه الغابات لا زالت الالهة الافريقية تحتفظ بنفس الطابع الذى يسود فى القرية الزنجية .. ولا زالت مقام هذه الطقوس التى تحتفل يوميا بانتصار الوثنية على الالوهية .. وهنا لا يوجد مجال للشك فى ان التقاليد الافريقية تحتفظ بقوة غير عادية ..

ومن الواضح أن الشعب الاسود فى سورينام القديمة « جيان الهولندية » يرجع اليه الفضل فى منح نصف الكرة الغربى مهارة يدوية فنية افريقية تأثرت الى حد بعيد بالانطباعات الاوربية . والنماذج المصغرة لهذه الاعمال الفنية اليدوية رائعة ومشرقة وتوضح مدى ما يتمتع به الرسم الافريقى من جاذبية ما زالت قائمة فى الحياة الجديدة تماما فى الغابات الامريكية .

ولكن بينما يعكس السود فى جيانا الهولندية الى حد ما انعزالا ثقافيا ، فاننا نرى فى كوبا والبرازيل وهايتى مزيدا من التنوع فى المزج بين ثقافة القدماء وفنون غرب افريقيا .. ومزيدا من الوضوح فى العلاقات المفتوحة بين الفنون الشعبية وبين الحياة اليومية للشعب .. كذلك تستخدم الاصطلاحات الافريقية اغانى الشعب وأشعاره وأمثال الفلاحين والطبقة العاملة من الزنوج فى هذه الاجزاء .

وقد صنف الخبراء العقائد الدينية التى تسود هذه المنطقة فقالوا انها تنتمى الى اليوربا وداهومى وفى بعض المناطق الى

الكونجو وانجولا .. ومهما كاس أساس هذا التصنيف من الصحة الا أن ما يبدو من تقديس الجماعات الزنجية لعقائد اجدادهم الدينية هو الذى يضفى على الشخصية الافريقية النابتة فى التربة الامريكية هذه الصلابة والنقاء والقوة ..

وجدير بنا ان نذكر هنا ان فى البرازيل عددا من الفنانين والكتاب الموهوبين مثل الرسامين بورتينارى ، لازار سيجال .. والنحات ماريا مارتنيز ، والمؤلف هيتور فيلا لوبوس ، جونسالفى كريسبون ، وهؤلاء الفنانون والكتاب قد استخدموا الموضوعات الزنجية باستمرار ولقد استفاد هؤلاء الفنانون من الاساطير الشعبية بنفس القدر من استفادتهم من كافة مظاهر الحياة اليومية للزنوج وأضفت عليها مواهبهم الفنية الصادقة الخلاقة روعة فائقة وخصوبة .

والحق أن كثيرا من الكتاب الذين ساهموا فى نهضة الادب فى أمريكا اللاتينية قد استخدموا مظاهر الحياة الزنجية البسيطة استخداما بعيدا عن الواقعية المريضة أو المجافية للمواطف والاحاسيس كالتى نلاحظها عند بعض الكتاب الاجتماعيين فى الولايات المتحدة ..

ويهمنا أن نسجل أن التقاليد الحية والانماط الثقافية الافريقية فى البرازيل قد منحت الفن والشعر شخصية واضحة محددة .. وهذا التأثير لم يتم عن طريق انتقال صناعى للتقاليد الافريقية أو الانماط الثقافية وانما حدث بصورة طبيعية من خلال التبادل الثقافى للحضارات المختلفة ..

ولسنا مبالغين اذا قلنا أن الحزن هو أحد المميزات البارزة فى الشعر البرازيلى وطابعا للشعر الشعبى أيضا .. وقد وصف روجر باستير احد نقاد الادب الشعبى البرازيلى وصف هذا الحزن بأنه ((شجن)) او تشاؤم خافت للروح ..

ومع أن عددا من العوامل غيرت من هذه الروح الحزينة بفعل الظروف المحيطة والتجارب الاجتماعية .. الا ان الشجن يعد مظهرا هاما من مظاهر التراث الزنجى فى البرازيل ..

ونلحظ دقة العقائد الدينية فى البرازيل الفائقة فى تحديد أسماء الارواح المعبودة وهم ينادونها هناك باسماء افريقية . . ومثال ذلك الادريشا « رئيس الاله » وهناك أيضا تماثيل « تشانجو » و « وأوشوس » ويمانا ولجبا ، واشوا ، وهذه الاسماء قريبة الشبه بصورة تدعو للعجب من أسماء آلهة كثيرة أفريقية .

ويرجع الفضل فى دراسة هذه العقائد الدينية فى البرازيل الى بينادو ريجوز وتلميذه آرثر راموس .

ولقد أصبح واضحا بما يوفر علينا مشقة التكرار أن أسس الثقافة الافريقية فى هذه البلاد صورة طبق الاصل من مثيلاتها فى افريقيا نفسها ..

وفى هايتى قامت نهضة فى مجال الرسم البدائى أثرت على الفن الشعبى الهايتى والاساليب الفنية فى الرسم والنحت .. والحق أن التعبيرية التقليدية الهايتية سواء فى الرقص أو الموسيقى أو الفن بمثابة فرع من شجرة قوية جزعها هو التقاليد الثقافية الافريقية التى ازدهرت فى مدى ثلاثة قرون فى هذه الجزيرة الصغيرة ..

وكما يوجد فى كوبا فنانون أسبانيون تماما يوجد أيضا فنانون زنوج تماما .. ولقد اقامت هذه السلالة بناء متميزا اقيم على موضوعات شعبية زنجية .. ولكن انتاجهم يعد كوبيا أكثر منه اتجاها نحو البدائية .. ولقد اهتمت المؤسسة الاسبانية الكوبية الثقافية وعلى رأسها فرناندو أورتز العظيم بعمق ، بالابحاث التى كشفت عن الرغبة فى تجديد الدور الذى يقوم به الزنوج فى مجال التطور الثقافى فى كوبا .. وألفت كتب وأبحاث علمية بناءة فى هذا المجال .. وتعد كتابات أورتز وليديا كابريريا عالمة الانتروبولوجيا الخيط المتين الذى نسج منه هذا العمل . وبهذا أصبح من السهل علينا أن نفهم الرسوم

الغربيـــة الرائعة لوفر يدولام الفنـــــان الكوبى العظيم الذى اســـتطاع أكثر من أى شخص آخر أن يرتاد عالم الالوان ويتغلغل من خلالها حتى خيال الشعب الحى .. وأن يبرز الاخيلة الدينية بحيث يجعلنا نلاحظ أنها مطابقة تماما للعقائد الدينية فى الكونجو واللاكامى ..

وقد كشف ماريو كارينى وهو من أكثـر الرسامين الكوبيين تطويرا لانه فى الواقـــع أكثرهم انتاجا .. كشف هذا الرسام مـن خلال رسومه عن وعيه بالجمـــال الافريقى الموجود فى الشعب الكوبى .. وفى التقـاليد الشعبية .. وعن طريق التجريد البسـيط يستطيع الفنان الكوبى الافريقى أن يعبـــر عن آماله وآلامه وأفراحه وأحزانه بصراحة .. أو أن يوحى بها ..

ولكن كوبا لا تملك للاسف ، من الاعمال اليدوية الفنية الشعبية ، القدر الكافى الذى يكشف عن استمرار التقاليد الافريقية .

وتعكس النماذج القليلة الموجـــودة فى المتحف الوطنى فى هافانا تنويعا غير منظم ولكنه رائع فى تمييزه للمهمات والملابس التى كان يستخدمها زعيم المذهب الدينى الكوبى الافريقى فى الاحتفالات الخاصة والعامة حتى حزب الاستقلال . وبالمقارنة يبدو أن الاشكال الفنية الافريقية المصورة أو المصـــنوعة من البلاستيك لم تترك تأثيرا مباشرا على الفنون الشعبية للزنوج فى الولايات المتحدة .. وفى مدن مختلفة من أقصى الجنوب توجد نماذج فردية لاعمال العبيد اليدوية الفنية .. ولهم طابع خاص فى البناء المعمارى يشبه الزخرفة وفى الشرفات ذات الحديد المشغول فى الحى القديم فى نيو أورليانز وبعض منازل موبايل وآلاباما وحتى فى شارلســـــتون بكارولينا الجنوبية نجد الدليل على استمرار المهارة اليدوية فى صناعة الخشب والمعادن .. تلك المهارة التى جلبها الافريقى من الارض التى ولد فيها الى الارض الجديدة ..

وهناك أعمال من الفخار من انتاج العبيد وتحمل العلامات التى تميزهم والتى يتضح فيها التأثير الافريقى من الرسوم الغربية على السطح .

وقد سجل كثير من المراقبين أن أحفـــاد العبيد الذين هربوا من العبودية واستطاعوا أن ينقذوا بعض الاشكال القديمة الزخرفية المشتقة من النماذج الافريقيـــــــة . وهم يستخدمونها الان فى تزيين السلال وفى سائر الانتاج اليدوى الاخر . وهؤلاء الاحفـــاد لا زالوا يعيشون حتى اليوم فى جزيرة سانت هيلانة .. ويهمنا أيضا أن نسجل أن كلام شعب الجللا مملوء بكلمات مشابهة لكثير من اللغات الافريقية ..

وفى حالات قليلة عملت ذاكرة بعض الزنوج المحافظة على استمرار الشـكل الزخـــرفى الافريقى ..

ولقد تأثرت حفنة من أغزر كتاب الولايات المتحدة انتاجا بعمق بالصور المأخوذة عـن الفن الزنجى الافريقى أكثر من تأثرها بانتاج الفنانين الزنوج أنفسهم ..

وقد يبدو لنا أن المبادىء البروتستانتية عاقت ممارسة العقائد الافريقيـــــة وتأثيرها الثقافى على الفن أو على الاشغال اليـــدوية على الاقل .. الا أن العكس هو الصحيح ، فقد كانت البروتستانتية عاملا هاما فى ظهور الاغانى الدينية وأغانى العمل وهما مزاجان فى التعبير عن الاصل الجنسى وهما ما أسهم به الزنوج فى الفن فى أمريكا الشمالية ..

ان الصوت الانسانى الحزين الذى يشيع فى موسيقى عصر اليزابث والفرســان قدم لهذا النوع من الغناء .

ولقد وقفت كل من الكاثوليكية والبروتستانتية من الاتجاهات الثقافية الافريقية فى القارتين موقفا متباينا ، فبينما كان يبدو أن السياسة الكاثوليكية تتعمد تشجيع الانحراف الافريقى عن الاشكال المسيحية التقليدية مما جعـل الاعماق الافريقية تطفو على السطح ، نرى أن الجمود البروتستانتى والقيـود الثقافيـــة المفروضة فى الشمال قد أفســـدا قوة تأثير التقاليد الدينية الافريقية ومـــع ذلك فان التيار المتدفق الذى يجعل الروح الافريقية تسرى فى الحياة الزنجية يظهر بصفة خاصة

عند زنوج أمريكا الشمالية في المناطق الشعبية بصفة خاصة .

ولقد أدركت الغالبية البيضاء اليوم أن الزنجي المعاصر ليس هو الزنجي الذي خلق المعتقدات الدينية الافريقية .. ولهذا عرفوا أن الاستقلال الثقافي للزنوج لا يجب أن يقام على ضوء ما للزنجي من موهبة وطنية ولكن بما لجنسه من تراث وثقافة ..

يضاف الى ذلك الاهتمام المفاجيء من جانب الاساتذة الامريكانيين المعاصرين ومديري المتاحف ومنظمي المعارض ومفسري الفن الافريقي ..

ويتبلور هذا الاهتمام في صورة الاعتراف باسهام الزنوج في الثقافة العالمية .. وهذا الاعتراف مرتبط بالوعي العام بأن مصير الزنوج وخاصة زنوج افريقيا مرتبط بالاندفاع نحو السلام والحرية والديمقراطية الصحيحة في عالم مكشوف تماما للعدوان المسلح .

ان الفن الزنجي يقدر الان لما يحتويه من قيم حضارية وهذا معناه أنه لم يعد ينظر اليه على أنه شيء فج وبربري وبدائي ..والبصمات التي تركها على الفن والجمال الغربي تكشف مدى امكانياته . وهذا يعود الى أن الاشكال الفنية الافريقية قريبة الشبه من التكعيبية وخاصة في تلك الفترة التي تبناها فيها براك وبيكاسو . ومن المحقق أنه في مجال الفن التكعيبي وفي عديد من الاساليب الفنية الاخرى اقتحم الفن الافريقي باب التقاليد الفنية للرسم والنحت في الغرب مباشرة أكثر مما فعلت الثقافات الاخرى البسيطة ..

واكثر من ذلك نجد أن اصالة النحت الافريقي وقوته وروحه العالية قد أثرت تأثيرا عميقا على كثير من نقاد الفن الحديث من بينهم روجر فراي ، وبول غاليوم ، والانثروبولوجي هيربرت ريد ، وكريستيان زيرفو .. وكان من بين الكتاب العالميين الذين كانوا اول من أعلن فضائل هذا الفن عالم الانثروبولوجيا وليام شيبرد الذي ذهب في لقبه الى افريقيا ، والناقد الفني الزنجي اللامع آلن لو روى لوك . ان الحساسية التي تسود العالم اليوم تجاه الفن الزنجي ونماذجه ترجع لاحتوائه على ايقاع شكلي في تنويع لا مثيل له يرتبط بقوة المرونة والتجاوب النفسي الذي لا يمكن انكاره .. وتحتوي كل أعمال الفنانين الكلاسيكيين الافريقيين تقريبا على تكامل شكلي في النحت من النوع الذي تتميز به الاعمال العظيمة .. حتى ولو انتزعت من مستقرها الاصلي في المعابد والمنازل .. اذ يبدو ان لها تأثيرا خاصا بحيث تصلح كفن يعرض في المتاحف .. وان مابه من قيم فنية راقية تجعل من الامكان مقارنته بالاساليب الفنية التاريخية المعروفة في العالم .. ولقد أصبح هذا التقييم الجديد للفن الافريقي لما فيه من قيم سامية وصادقة مرغوبا فيه الان بصفة خاصة فقد بدأ العالم ينظر لافريقيا كعلامة على الجدة الثقافية ، ولم تعد أفريقيا هي القارة المظلمة وأصبح ينتظر منها الكثير من الاشياء الجيدة .

ولكننا للاسف لم نكن نعلم أن القوى التي تؤثر في التغيير الثقافي هي ايضا نفس القوى التي تقوض عملية التجانس الطبيعي والوحدة الثقافية بين المجتمعات القبلية .. ان المؤسسات القديمة والمتشابهة التي عملت على بقاء الاشكال القديمة للحضارة الافريقية قد انهارت أو اوشكت على الانهيار .. ونحن نعرف ان التقاليد القديمة حينما تختفي تسحب وراءها الاشكال المؤثرة التي كانت تعبر بها عن الشعب . ولكننا نعترض مع ذلك قيام مؤسسات أخرى تملأ الفراغ الذي خلفته المؤسسات القديمة التي انتهت وبهذا تحافظ على التقاليد وتتحكم في عملية الحركة التي ستبقى في الظاهر العامل الذي يساعد في نقل الثقافة .

رحلة طويلة

قصة : مولود فرعون

ترجمة : محمد البخاري

كانت قريتنا ما تزال نائمة ، ونحن نمضى فى غبشة الفجر . نحث الخطى الى القرية المجاورة لندرك مكانا فى العربة المسافرة .

وكان قلبى محــــزونا وفمى لزجا ويدى تتحسس وجنتى التى بللتها أمى بدمعاتها . وجفت الدمعات وخلفت مكانها رطبا كانها لم تجف .

وتحدث الى سعيد حين خلفنا وراءنا بيوت القرية وهو يدفع بحقيبته بين ســـاقى متسائلا :

— ماذا ترى فى وداع زوجتى لى دون ان تقبلنى وانزواءها فى غرفتها دون ان تخلط دمعاتها بنحيب أمى واختى وهى تعلم اننى سأمرح فى فرنسا على هواى بينما ستبقى هنا فى ظل حراسة قوية .

واجبته :

— فكر فى أمك أيها الاحمق . أو لم يعد يشغل قلبك غير هذه الانثى التى لايكبرعقلها عقل العنزة .

— ابك انت على أمك الكهلة ، ولا تتحدث عن عقل زوجتى . لقد دست فى جيبى الفى فرنك أخذتها من أمها فلم تحتفظ بهـــا ودفعتنى الى قبولها بتصميمها ، ولم تدع هواجسها تفسد سعادة ليلتنا الاخيرة .

— خفف عنك يا صديقى المسكين ، واسرع فالناس يتدافعون نحو العربة ولسنا وحدنا المسافرين .

كنا خمسة من اهـــل « اغيل نيزمان » نضرب فى الظلمة الباقية من ليل ذاهب لم يخطر فى سمائه القمر .

أسير أنا وسعيد فى المقدمة . وخلفنا الشيخ دهمان المكتنز يجر حفيده الاصـــغر وهو ينتحب ، ثم العم محمد تلتمع عيناه الضيقتان المستديرتان كعينى الكبش المسالم كانمـــا ترفضان الرحيل وتودان العودة الى الدار الى جانب الزوجة ووحيدهما الصغير .

كانت العربة خالية . ولكنا كنا نعلم أنها ستمتلىء بآخرين من أهل القرى المختلفة من هؤلاء المهاجرين ذوى الاشـــباح الســـوداء الغامضة والوجوه المستطيلة والشفاه المتدلية الزائغة يحملون الحقائب التى سودها الدخان واكياس الحشيات المعقودة على بعض الاشياء واختلطت فى العربة انفاسنا واحلامنا وصمتنا واخذ الركب المحزون يهبط من قمم الهضاب الى انبساطة السهول وكانما عهد الى العربة أن تهبط وتدوى وتلقى باحلامنا المجنونة الى قاع هوة سحيقة .

وتوقفت العربة على ابواب قرية وسط حشد من حقائب ضخمة ونسوة باكيات لم تتحرك احـــداهن حتى تقدمت عجوز حادة القسمات كأنما قـــــد وجهها من رخام ، وامسكت بكتفى صبى ودفعت به نحو باب العربة وهى تسدد الينا نظرة تقطر حقـــدا

وصاحت فى وجهه :

ــ اصعد فالعربة مزدحمة .

ثم اشارت بيدها فاندفع الاخرون وامتلات العربة ، وبقى النساء والاطفال والشيوخ ينظرونا ونحن نتحرك من جديد ، كان مشهدهم حزينا حقا . ثياب كالحة توحى بالشيخوخة والبؤس واليأس ، وعيون خامدة أو دامعة ونظرات مشتعلة بالامل او بالغضب ثم هذه العجوز البغيضة التى جاءت كما تجىء « القنبرة » المشئومة تنفث فينا لعنتها المشئومة .

وقال سعيد :

ــ أرأيت ؟ لقد أصابتنا بعينها فلن نصل سالمين .

ــ تذكرت ان ابنها جالسا بيننا .

لا ادرى لماذا يسارع الى عينى هذا المشهد فى كل مرة اشفقت فيها على أهلى الذين يعيشون على هضبة «الجور جورة» الفسيحة الصلبة العالية التى تختلط بالضباب قممها المغطاة بالثلوج ، كأنها سياج من رصاص يعزلنا عن العالم بتلالها الزرقاء وباشجار اللادن المعتمة والتى تنمو على ارضها الشاحبة أناس نحيلون وطيور وشياه هزيلة والتى يخرج الى الطريق نساؤها واطفالها وشيوخها يودعونك ويقولون لك :

« نعلم رغم غبائنا انك راحل عن بلاد الجوع الى جنة الارض ، غير ان الغربة ستقسو عليك حتى تعود الى جحيمك هنا ، نعلم انك ستفكر فينا كثيرا فى بداية الامر ستكدح وتتألم غير أنك ستنسانا ان صادفتك السعادة ، حينئذ ننبذك ونحتقرك .

اما هذه العجوز فقد صاحت فى وجه ابنها بفم ملتو :

« اصعد وخذ مكانا . اننى ابعث بحقدى الى السعداء الذين سيستقبلونك كما لو كنت كلبا ، ولسوف يتحول حقدى كله اليك انت يوم تهجرلى وتتخيل نفسك سعيدا بينما لا توجد السعادة الا هنا فى كوخك وبجانبه امك التى لا تحب احدا ولا تخشى احدا ، اذهب واذهبوا يا جيل الجبناء ، تصحبكم لعنتى » .

لم نعد نرى الجزائر فقد اخفاها عن باخرتنا الضباب ، واكتسى البحر بزرقة داكنة ، امتد فوقنا شريط أخضر ثم انسابت سحابة وردية اختلطت بزرقة السماء الشاحبة . وبينما اشرق امتداد البحر واعتمت السواحل الجزائرية ، وتموج الماء الاسود هادئا فكأنا فوق بساط مخملى تهزه فى تخاذل يد خفية ، وراح السفين يرسم خطا فضيا عريضا يظهر وينمحى دون انقطاع كالحلم الشارد . ونحن متلاصقون فى السفين ينظر بعضنا بعضا دون ان نتبادل الحديث تطل على وجوه المسافرين الصرامة والخجل ويسيطر علينا احساس بانا مقبلون على رحلة لن تخلو من مفاجات .

تمددنا على مقاعد الاسترخاء ثم تحدثنا وصمتنا واعدنا الحديث ، او تذكر فيما تحدثنا يا سعيد ؟ انا لا اذكر شيئا ، غير هوة سوداء فى سرداب ممتد فى ظلمة الليل لا يختنق فيه المرء لان النسيم يخطر فى حناياه لم أكن احس غير هدهدة الموج الدءوبة المتواكبة مع هدير الالات ، وغير شكاة الامواج التى تموج ثم تولد ثانية اقوى مما كانت من قبل وغير وخزات قلوبنا لهذا التقلب الغريب على طبيعتنا .

وفى اليوم التالى اثار اعجابنا البحر تحتضنه شمس الظهيرة وزرقة السماء وحراب الامواج اللامعة تبرق وتخمد كأضواء مدينة بعيدة ويخيل للمرء انه يلمح وسط الظلال البعيدة شفق بلاد « القبائل » الرمادى تغمره قطرات من ضوء فنارات عديدة واخيرا جئنا ارض الاحلام الغريبة بعد أن عبرنا اليها منطقة مليئة بالضباب والرؤى والخيالات والمياه السوداء لقد كانت حقا رحلة رائعة

أصيب سعيد بالتهاب فى الزائدة الدودية فى اليوم الثانى لنا بباريس وحملته عربة الى مستشفى بروسيه حيث اجريت له عملية جراحية اسلم فى أثرها الروح . واجتمع النازحون من قريته « اغيل نيزمان » واسهموا فى نفقات دفنه بمقبرة « بوبينى »

لقد شرحت لممثلى القبائل العديدين المجتمعين بمقهى « الكسكسى » الجديد رأيى

فى الا يبعثوا بالجثة رفقا بامه التى لن تحتمل الصدمة ، والابقاء على نبأ وفاته سرا كلما تاخرت معرفتها له كلما كان ذلك خيرا لها ، فقد توهمت انها ستغضب لصمته وتظل تغضب حتى يضعف احساسها به .

وقالت لى أمى عند عودتى :

ــ تسلمت برقيتك ليلة العيد الصغير ، وبت فى فزع ، واغلقت على نفسى البيت وبقيت كالبهيمة السجينة فى قفص ، واوشكت ان أجن فقد تخيلتك انت الميت لا سعيد ، كان ذلك هاجسا غريبا لا اقوى على رده .

لقد اردته « سرا مطلقا » وكان سرك هذا يقتلنى حتى أصبح الصباح فاذا بعشر رسائل تحمل كلها هذا النبأ فهدأت نفسى وذهبت كما اوصيتنى الى كل بيت انصح أهله بالصمت .

ــ واطاع الناس . ان ذلك لطيف من جانبهم .

ــ ان الناس يطيعون عادة فى مثل هذه الحالات ، ثم انه لم يطلب اليهم غير الصمت مدة اسبوع واحد حتى مضى العيد فسقطت أم سعيد مريضة واصبحت جديرة بالشفقة

تحدث الناس فى الدور والطرق وعند النافورات ، وذهل الشباب امام ظلم الموت الصارخ وجراةالقدر الغريبة وهو يضرب أجمل شباب القرية واجدرهم بالتقدير بدلا من أن يريح القرية من هذا الكهل او ذاك ، بل منهم جميعا .

وانتشرت فكرة ابقاء ام سعيد بمعزل عن وفاةابنها .أما ابنتاها فقد كانتا قويتين تحتملان الصدمة فاخبرتا بالنبأ وكانتا حكيمتين فتصرفتا كما كان ينبغى ، واخذتا ترجوان الاخرين ان يترفقوا بأمهم حتى لا تنتحر أو تجن

ثم عمدت الفتاتان الى تهديد من يحاول ابلاغ امهما بالنبأ ، وكانتا لا تتركانها وحدها فى الدار فالناس يشردون كثيرا عندما يتحدثون وهم كذلك اشرار فى بعض الاحايين . اما زوجة سعيد فقد ذهبت لقضاء العيد مع اسرتها لكنها لم تعد وغلفتها عزلة كئيبة انها امرأة انتهت ولم يعد لها ان تأمل شيئا سيحول الرجال انظارهم عنها الى الابد وسيقولون دائما انها امراة اكلت زوجها .

وقطع هذا الحادث ما بين الاسرتين من صلات قديمة وقام العداء بينهما مكان الود السابق ونشب بين أختى سعيد وامرأته السابقة عراك بقيت مرارته .

ثم أخذ بعض الناس يظهرون تذمرا قائلين : « لماذا ننقذ ام سعيد من مأساتها بينما يتجرع غيرها الاحزان ولا يشفق عليهن الجيران » وذهب الصباغ فى أمسية امتلات فيها الدور وخلت الطرقات فصرخ بالنبأ على باب أم سعيد التى اطلقت زئيرا حادا تنهدت له الجارات مرتاحات وأسرعن الى بابها لمشاركتها نواحها .

خرجت الفتاة الكبرى مسرعة وانشبت اظافرها فى عنق الصباغ ولم تتركه الا لاهثا ينتفض . حتى التقطته بعدها احدى المحسنات فخففت عنه بوعاء من « الكسكسى » الساخن ، بما أنها كانت هى التى عهدت اليه بمهمة ابلاغ الام نبأ وفاة ابنها ، ولكن الاختين نجحتا فى اقناع الام بكذب هذا النبأ وسريا عنها ثم فكرتا بعد ذلك فى أن تشوها اخاهما فى عين امهما لانه نسيهن بهذه الجفوة الوحشية ، وقد ظنتا انه قد يكون فى ذلك ما يخفف عن امهما وقالتا :

ــ ان سعيد يا أم لا يساوى اكثر من الاموات ففيم ينفعنا ؟ لقد ربيناه ، ودللناه كما يدلل العصفور الصغير حتى اذا كبر طار واختفى .

وتجيب امهما :

ـ انني افضل موتكما انتما معا . او تجهلان مكانه في قلبي ؟

ـ ونحن يا اماه او ليس لنا بجانبـــه مكان ؟

ـ أبدا يا ابنتي . لقد احتل سعيد منذ بعيد كل قلبي وسيبقى كذلك مهما فعل .

واكملت امي القصة بنفس النغمة الرتيبة التي يقص بها القصص على الاطفال لجلب النعاس الى عيونهم .

ـ واخذت ام سعيد تنطفىء شيئا فشيئا وان بقيت قدرتها على الحديث بعـــد ان اصبحت نحيلة عجفاء شفافة .

انها لم تبرأ من المرض الذى اتفق ان اصيبت به يوم وفاة ولدها ، أليس ذلك المرض الذى دهمها بعد أسبوع من رحيلكما الى فرنسا هو الحزن ؟الرحيل والشائعات والنسيان . النسيان الكامل المفزع بالنسـبة لام كان قلبها لا يخفق الا لابنها ؛ عام عامان ثلاثة ولا شيء غـــير الهواجس ، والهواجس يا ولدى تقرض مثل المرض الذى لا شفـاء منه . ثم ان الامل كذلك يهدم الانسان لانه لكي يتجدد يمتص قوتك انت . كان عليهـا ان تكتشف كل يوم اسبابا للامل وان تجـد تفسيرات طيبة لاحلامها السيئة ولكمـــات العرافين الغامضة ولاشارات الفأل وهي وأن لم تكن تتحدث طيلة الوقت عن سعيد فقد كان يشغل فكرها دائما .

وحين ذهبت لاراها آخر مرة لم تحدثني الا عن سعيد قائلة :

ـ كان عليـــه أن يأتي هو بدلك ، انني سعيدة برؤيتك فلا تغادريني واقتربي مني ، اما هو فانني واثقة من مجيئه و انه رآني في حالتي هذه ، قد تظنين انني اخرف ، انني اعلم ان ابنك يكتب لك ويرسل لك النقود ، اما سعيد فجاحد ، لقد ضل ولم يهـــده أحد . غـــير بلاده ومع هذا فهل يمكن ان ينساني أو ان يتوقف عن حبي لاتشـــوها اخاكما يا ابنتي فانني انتظره وستريان .

ثم طلبت ان ترفع قليلا . يالها من هيكل بائس متداع .

رفعناها ووضعنا لها وسادة فادارت على على الحاضرين نظرة غريبة نافذة كما لوكانت قادمة من بعيد ثم عائدة الى بعيد ايضا . الى أبعد من افكارنا الخبيثة واضافت :

ـ آه يا بنتي ان سعيد لن يأتي . وقد ضقت انا بانتظاره سأذهب اذن لابحث عنـه فلاقم ولاخرج فقد ضقت ضقت .

واسرعت ابنتاها لتضعاها على الوسادة التي انزلقت عنها راسها لكنها كانت قـــد غابت عن وعيها واسلمت الروح .

من الشعر الافريقي

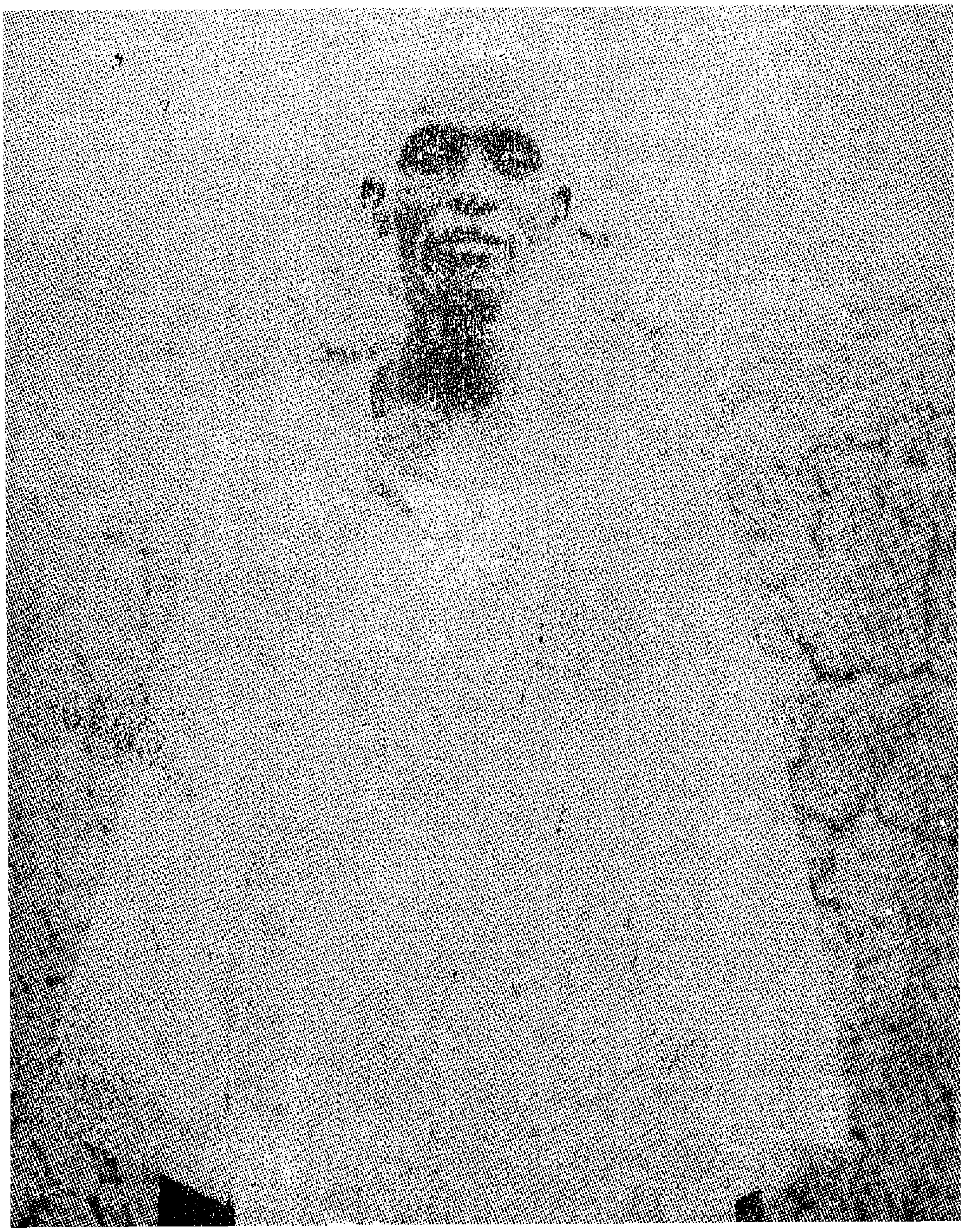
على شاطئ افريقي

هنا اقف
على حافة العالم الموشاة بالبياض
ان تخومها عقلى
دعى أشعة شمسك البيضاء
تغمر جسدى الاسمر القوى
فأنا أشعر بانثناء رمالك الذهبية
تحت اخمص قدمى الصفراء
ولو افقد ما بقبضتى
ولو يجرفك هذا البحر الازرق بعيدا
فانى سأثكلك
عندما يأتى المد مع القمر
لقد أخذتك الى كل الظروف والاحوال
حتى بين الخير والشر
فأنا لا أستطيع صياغة المد والجزر فى
قالب واحد
ولكن بالحب مرة أخرى
ادير وجهى ناحيتك
يا أفريقيا
معرضا عن الافق الخائن
فان جبالك الخضراء ستمنحنى
كل ما أشتهى

عن الانجليزية : ترجمة عبدالسميع حسن

الصحراء الكبرى

THE AFRICAN DESERT



وجه شيخ افريقى
AN AFRICAN OLD MAN.



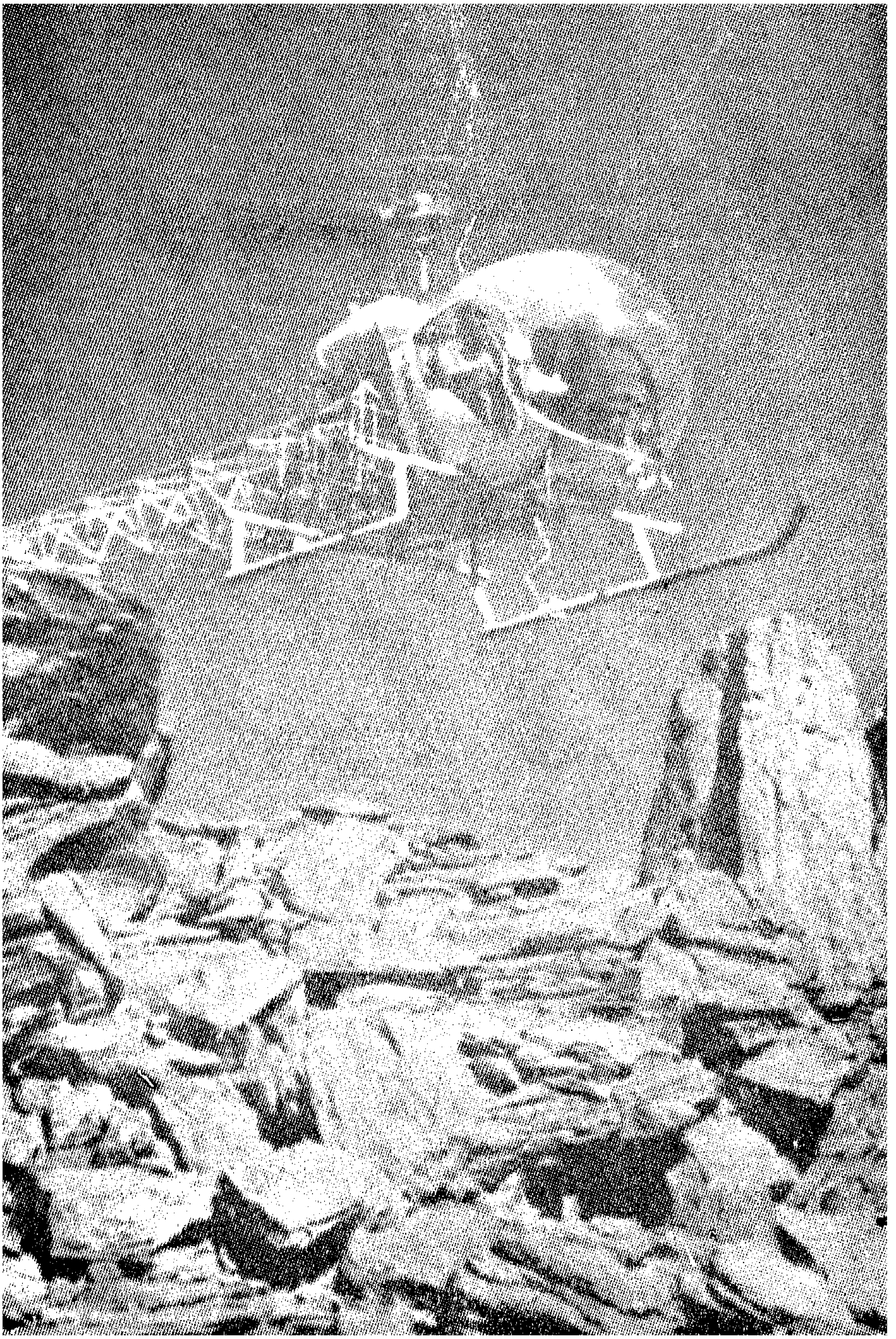
بعض أفراد القبائل التى تعيش فى الصحراء

DESERT TRIBESMEN



طفلتان من السكان

TWO LOCAL YOUNG GIRLS



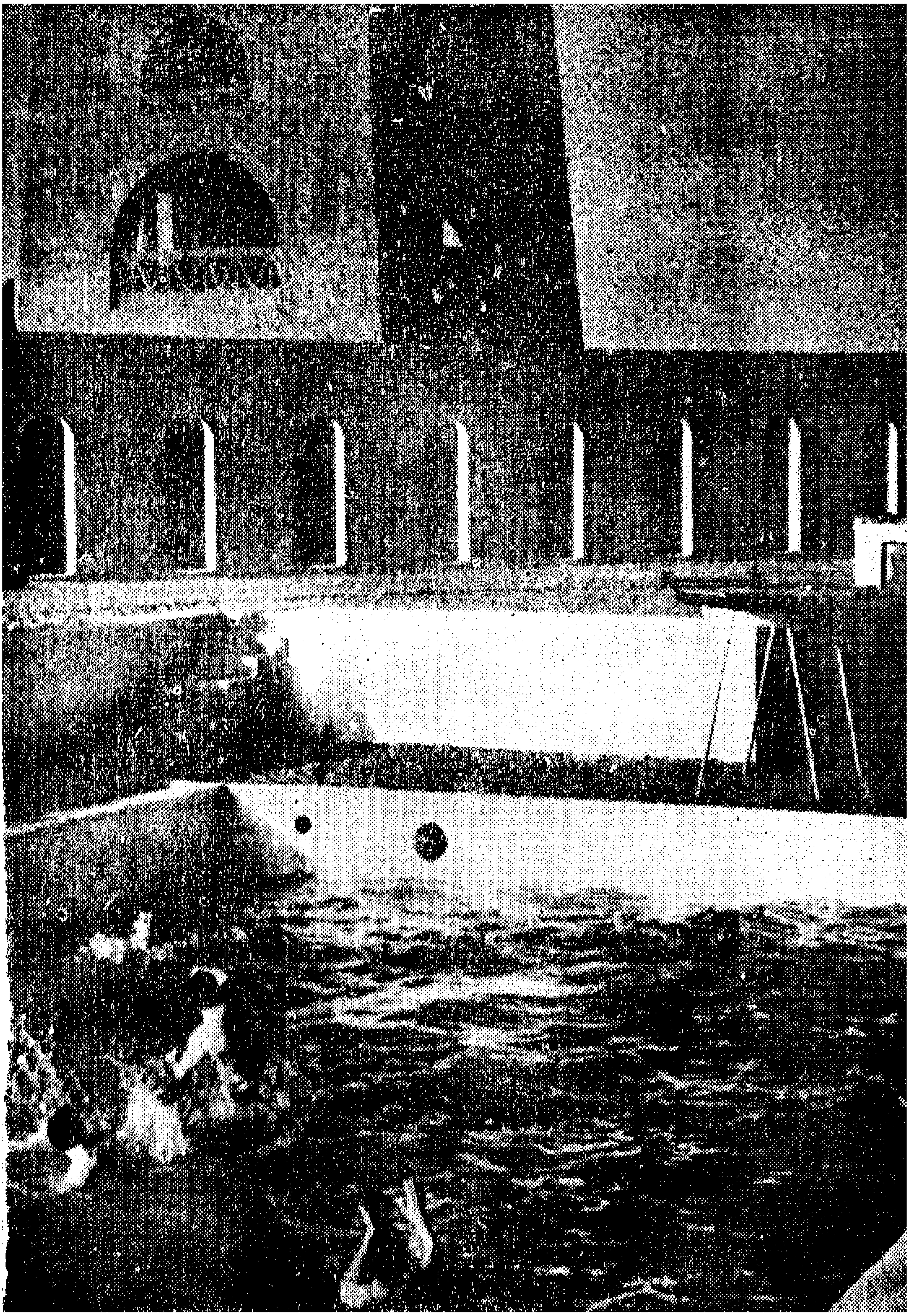
طائرة تكتشف بعض مناطق الصحراء

AIR RECONNAISSANCE OF DESERT REGIONS



الجمل من وسائل المواصلات في الصحراء

THE CAMEL, A MEANS OF TRANSPORT ACROSS THE DESERT



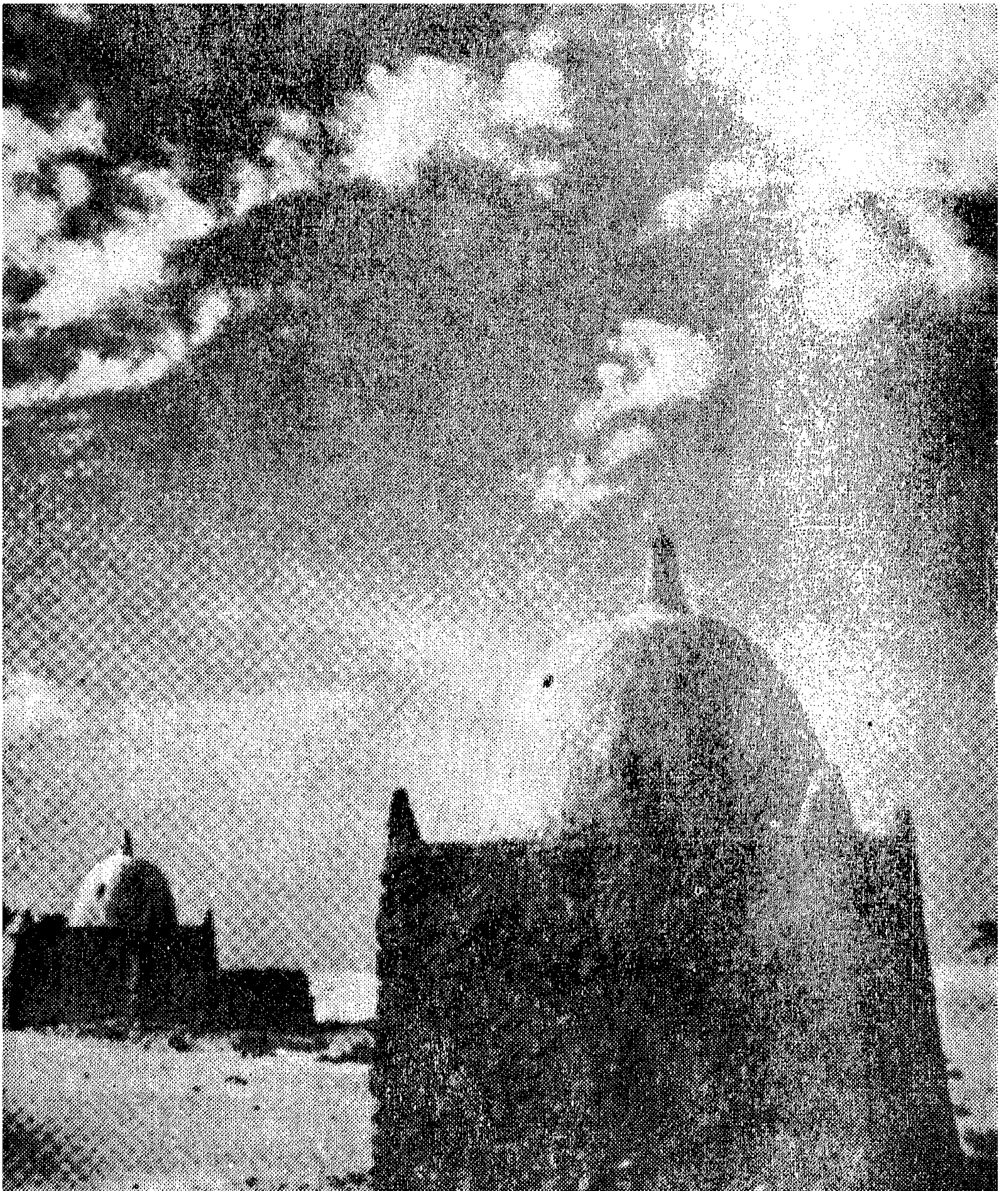
حمام للسباحة فى بعض المناطق

BATHING POOL IN THE DESERT



عيون المياه

FOUNTAINHEADS



ضريح لأحد الأولياء

A LOCAL SAINT'S MAUSOLEUM

نقد الكتب

بقلم عبده بدوى

● أبك يابلدى الحبيب

يعتبر هذا الكتاب من الاعمال الروائيـة الممتازة فى العالم لكاتب افريقى بدأ يشـق بقلمه طريقه الى عالمية الأدب ، ومع انه يكتب عن موضوع محلى يدور حول التفرقة العنصرية فى جنوب افريقية ، الا انه يخاطب بما يكتب ضمير الانسان فى كل مكان من العالم ، فهو لم يلجـأ الى الخطابة ، ولم يقطع الخيط النفسى فى كافة أجزاء الحدث ليتعمد الكسب السريع للقضية الانسانية التى يتعرض لها ، أو ليعطى غير ما يحتمه التنـاغم الفنى فى عملية البناء .

ويكفى للتدليل على أهمية هذا العمـل أنه ترجم الى ثلاث وعشرين لغة من لغات العالم ، ثم تأتى بعد ذلك ترجمتان بالعربية للعمل نفسـه صدرا عن « بيروت » أهمهما تلك الترجمة التى صدرت عن «دار الاداب» لخليل الخورى ، وقد شهد لهذا العمل اكثر من كاتب يعتـد برأيه ، فالكاتب جابرييل مارسيل يقول عن عمل الكاتب الافريقى «ألان بيتون» ان طابع السمو فى قصة ابك يابلدى الحبيب يرجع الى نقاوتها ، والى بسـاطة الحوار وعمقـه ، والكاتب الفرنسى اندريه سيجفريد يقول : « ان افريقية الجنوبيـة تشهد مشكلة عنصرية عنيفة لا نعرف عنهـا الا القليل ، وان هذه الرواية تحمل لنا عن هذه المشكلة شهادة مثيرة » .

والرواية فى مجموعهـا تتعرض للتوتر الذى ينشأ بين حضارتين ، ولعلاقات الناس الذين ينتقلون من التقاليد القبلية الساذجة الى تلك التقاليد التى تفرضها « الصناعة » عليهـم ، والى تلك الخصائص الحيـوية للسود والتى تجمع خيوطها بذكاء لتكون عاملا قويا لهدمهم ، بدلا من أن تكون عاملالحيويتهم

والمؤلف يهىء الارض التى سيدور عليهـا الصراع فيقدم رمزين عميقين أولهما هو هذه المروج الثرية التى يخفى العشب تربتها ، والتى تتوشح دائما بالضباب والمطر ، ولن تمتد اليها يد الانسان بالحرائق « .. اخلع حذاءك اذا رأيت أن تجوس خلالها ، فهذه الارض مقدسة بكر كما خلقها الخالق . ذد عنها ، صنها ، أغذها ، لانها تذود عن الرجال وتصونهم وتغذوهم . ان فى خرابها خـراب الانسان ! »

انها الرمز الثانى فنراه فى تلك المنطقـة التى يقطع فيها الخصب ، وتتعرى الهضاب ، وتموت الجداول ، وتنتشر الحرائق بيـد الانسان « .. **انتعل حذاءك جيدا لتمشى فى هذه الارض لانها وعرة قاسية ، مسـنونة الحجارة ، انها ليست بكرا ولا مصونة ولا يغذوها شىء ، لانها لم تعد تذود عن الرجال، ولم تعد تصونهم ، ومن زمن بعيد لم يعـد الانسـان يسمع بها صوت الطيور المـائية المسماة التيتيهويا** » .

فليست هذه الارض الاخيرة سوى أرض السود المنبوذين ، وهى فى الوقت نفسـه ليست أرض جميع السود ، لان الرجـال الأشداء يتركونها من أجل الارض الاخـرى التى لا يملكون فيها شيئا ، والتى يستطيعون بعرقهم وكدحهم المتواصل أن يبعثوا بقليل مما يمسك حياة العجائز والاطفال فى هـذه الارض الحزينة .

والقصة تبدأ برسالة تصل الى رجل الدين الاسود « ستيفن كومالو » ، وتتحدث

عن مرض اخته « جرترود » التى ذهبت مع ابنها لتبحث عن زوجها الذى ذهب للعمل فى المناجم ولكنه لم يعد ، على أن الرسالة لا تحمل اليه رائحة اخته فقط وانما رائحة اخاه ، وابنه الذين ذهبوا جميعا الى مدينة « جوهانسبرج » ، فكل الدروب تفضى الى « جوهانسبرج » ، وكل الذين يذهبون اليها لا يعودون .

ومن هنا نراه يتهيأ لركوب القطار ، وبينما هو يفكر فيما ستكون عليه مدينة « جوهانسبرج » ، يسمع الرجل الذى كان يحمل متاعه يسر اليه بأن ابنة «سبيكو ..» ذهبت الى جوهانسبرج من عام ولم يتلق منها رسالة وأن عليه أن يسأل عنها هناك ، وحين يقول له « ولماذا لم يحدثنى فى هذا سبيكو « يرد عليه » بأنه خائف لانه ليس من أتباع كنيستنا » فيقول له « أليس من أبناء شعبنا؟ أفلا يستطيع رجل تعترضه المصائب أن يلجأ الا الى كنيسته ؟ »

وما يكاد يستقر فى العربة المخصصة للسود حتى يشعر بالخوف .. الخوف من المجهول .. من المدينة الكبيرة التى يقتل فيها الاطفال وهم يجتازون الشوارع .. الخوف من مرض أخته ومن ضياع ولده .. ثم أخيرا خوفه لاستبداله العالم الذى يعرفه فى قريته بعالم آخر لم يخلق له ، وحين يستبد به الخوف يسارع فيخرج الكتاب المقدس ليفتش فيه عن عالمه الوحيد الذى يجد فيه الطمأنينة !

وفى القطار يحس انحسار لغة الزولو كلما تقدم الى المدينة ، ويسأل عن أشياء كثيرة يضحك لها الناس ، وبينما هو فى حيرة يسمع **« انها جوهانسبرج أيها المحترم »** ونزل فى حيرة من أمر المدينة الجديدة الصاخبة ، وحاول أن يعبر الطريق فكادت تدهمه السيارات ، وتعرض له شاب فمر به ، وطلب منه نقودا ليحضر له تذكرة للاتوبيس ، وحين غاب الشاب ، سأل عنه رجلا فذكر أنه سرقه وأن التذكرة تشترى من « الاتوبيس » نفسه، ويقوده الى رجل الدين الذى بعث اليه بالرسالة التى أتت به ، وحين ينفرد به يسأل عن أخته وهل وجدت زوجها ، فيقول له : انها تقطن فى أكثر الاحياء سوءا ، وأن لها أزواجا عديدين ، وأن الخوف على ابنها هو الذى حمله على الكتابة له ، ويسمع « كومالو » هذا بحزن ، ثم يذكر أن ابنه قد حضر ليبحث عنها ، وأن أخاه النجار « جون » قد حضر ليعمل نجارا ، فاذا برجل الدين يقول له انه اشتغل هنا بالسياسة ، وانه خارج على الكنيسة ، وانه يرفع شعار « ان على الانسان أن يفعل لافريقية الجنوبية كل ما لم يفعله الله لها ! » ، ثم يقول : ان المأساة ليست فى أن الاشياء تتكسر ، ولكن المأساة فى أنها لا يمكن جبرها أبدا ، فالرجل الابيض قد شتت القبيلة ، ولم يفعل ما يعوض عملية التشتيت هذه ، ولعل هذا هو السر فى الخوف الذى يسيطر على البيض والسود معا !

وبعد هذا قابل أخته بقلق وقابلته بفزع « انتهيا على انه لا نجاة لها ولطفلهـا الا بالعودة ، وسر كومالو .

« .. يوم واحد فى جوهانسبرج ، وهاهى القبيلة قد بدأت تتجمع ، والبيت يبنى ، والروح تقوى ! »

ثم يتمكن من مقابلة اخيه ، واذا به يرى فيه شيئا جديدا اكتسبه من المدينة ، شيئا لمسه فى السخرية من الكنيسة ومن القبيلة شيئازلزله وهو يسمع منه « ان أشياءجديدة تنمو هنا شىء اكبر من رئيس القبيلة ومن الكنيسة ، وحين يسأله عن ابنه يذكر له انه اصطحب ابنه وانه لايعرف عنهما الكثير .

ويهتدى « كومالو » اخيرا الى المكان الذى يقيم فيه ولده بعد ان ندرك انه طرد من احد المنازل لانه كان سىء السيرة ، وحين يهم بركوب عربة توصله مع صديقه مسيمغى يتعرض له بعض السود ويذكرون لهما ان الاضراب مقرر عن ركوب السيارات حتى تضطر الى تخفيض « التعريفة »

وينتقلان من بلد الى بلد حتى يعرفان انه دخل « الاصلاحية » لسوء سلوكه ، وان فتاة حملت منه ، وانهم حين رأوا تودده الى الفتاة سمحوا له بمغادرة الاصلاحية ، وحين يهتديان الى الفتاة السوداء يجدان انه قد فارقها ، وانها تتحدث عنه بلا دفء ولاحب ،

ولا احساس بانه عائد اليها ، أو انها حزينة لفراقه .

ويعود مع صديقه « مسيمفى » الى الارسالية ، وبينما يأخذان مع غيرهما فى الاحاديث تصل اليهما انباء مقتل احدالاثرياء بيد أحد الوطنيين ، فيحزن الرجل ويخيل اليه أن ابنه الضال مسئول عن هذا ، واذابه يبكى أشياء كثيرة فى نفسه .. يبكى القبيلة المشتتة ، والقانون والعرفالمنسيين ، والرجل الذى قتل ، وأخته وابنه ، والبلد الحبيب وحينما يقول له « مسيمفى » تعال نصل ، يقول له :

» لم تعد فى أعماقى صلاة ، ان أعماقى خرساء ، لم تعد لدى كلمات أقولها ! »

* * *

ومع أنه ترك صديقه الا أنه عاد اليه مسرعا ذلك لانه قد اخبر ان البوليس يبحث عن ولده ، ومن هنا اضطر ثانية الى الذهاب الى كافة الضواحى والاماكن التى ترددعليها من قبل بحثا عن « الولد الغائب » ، وكان الجميع يذكر أن البوليس قد حضر للسؤال عنه ، ثم أخبر ان ابنه وابن أخيه قداشتركا فى قتل رجل أبيض ، فذهب الى أخيه وسارا معا الى السجن ، وما كاد يرى « كومالو » ابنه حتى جذب يديه وتساقط دمعه حارا عليهما ، وأحسا أن بينهما جدارا .. شىء مايفرق بينهما ، ثم وجد أخاه يبتعد عنهوهو مستريح لان ابنه لم يضرب ، فالقاتل كان ابنه هو وقد اعترف، وتزايد الضياع فى نفسه .

* * *

وفى القسم الثانى من هذه الرواية نرى رجل البوليس يتلطف فى ابلاغ والد القتيل نبأ مقتل ابنه ، ونراه وزوجته يسافران الى جوهانسبرج ، وهناك يقابلان زوجتهوأولاده، وحياتهالتى مازالت باقية فى لوحة «فىصورة» فى مقال يستنكر فيه الضغط على الرجل الاسود .. فى بقعة كبيرة من الدم .

ثم يحضران الجناز والمحاكمة ويراهما رجل الدين ويعرف ان والد القتيل يمتلك مزرعة مشرفه على قريته ، وانه كان يراه ويرى ابنه القتيل يمتطيان جوادين ، وما يكاد يصل الى هذا حتى يطرق .. يطرق كل شىء فيه !

ويتذكر رجل الدين ابنة سيبيكو الخادمة فيذهب للسؤال عنها ، فاذا به يقابل هناك والد المقتول ، ويعرفه بنفسه بين العذاب الذى يشب فى قلبه ، ويسأل عن الخادمة ، فيقال انها « انحرفت » ثم طردت من البيت ، فيتضاعف العذاب فى قلبه .

وأخيرا تنتهى المحاكمة باعدام الابن ، فيسارع رجل الدين الى زواجه بالفتاة التى تحمل منه ، ويستعد معها ومع اخته وابنه للعودة الى القرية ، وفىالصباح يذهبليوقظهم فيجدهم جميعا الا اخته .

ويعود بهم الى قرية فاذا بالناس فرحون بعودته ، واذا به يخبر زوجته بما حدث لولدهما ، واذا بالحزن يتكاثف من جديد ، لن يخفف منها الا تلك الاصوات التى يتخاطب بها الناس عبر الليل ، والتى يقول عنها البيض انها « عمليات سحر » ولكنها فىحقيقة الامر أصوات افريقية متفق عليها ، وهى فى هذه الليلة بالذات تتجاوب لتعلن عودة رجل الدين العائد ، ولكن رجل الدين يحدثنفسه « **أستطيع ان اعيش هنا ، ولى اخت هجرت ابنها وولد قتل رجلا ! »** ولكنه يحسبعواطف الناس من حوله ، ورغم هذا فالحزن يعشش فى نفسه ، وفى صوته الذى يتحدث به لامرأته

ـ هل أطفأت القنديل

ـ سأطفئه

ـ دعه يشتعل بعض الوقت

ـ فلندعه مشتعلا لما حدث هنا ، ولنطفئه فيما بعد لما حدث هناك !

* * *

ولكن الاشياء بدأت تتغير فى المنطقة فابن القتيل كان يحضر ليتعلم لغة « الزولو » من رجل الدين ، ورجل الدين واجه شيخالقبيلة ـ بعد رحلته الى المدينة ـ باشياء جديدة تهم حياة الناس فى القبيلة ، وتحمل فى الوقت نفسهعلى التفكير فى أن يظلوا مرتبطين بالارض، ولكن كيف يرتبطون ؟

ويحل هذه الحيرة والد القتيل بأن أرسل الى الناس كميات من اللبن ، وأرسل اليهم مهندسا ليعلمهم الزراعة ويربطهم بالارض .

ولكن الحزن أدق ابواب النفوس منجديد حين تموت ام القتيل ، وحين يحضر الاسقف

ثم يطلب من الكاهن ان يترك البلد يقول له : انى سأموت ان تركت هذا المكان . فأنا لن أستطيع ان ابدأ حياة جديدة ، انى عجوز هش ، والناس هنا يحبوننى ، أأذهب من هنا حين تيسر الحليب للاطفال ، ووصل الينا مهندس ، واعدت العدة لاقامة سد ، ولكن الاسقف لايرحم انينه الا حين تصل رسالة رحيمة من والد القتيل اليه ، وكلها تدورحول الرحمة بهذا الكاهن الحزين .

وتزدهر الحياة من جديد ، ولكن الكاهن يروع حين يعرف ان المهندس الاسود غيرراض عن البيض ، وحين يذكره بالرجل الذىاعطى الاطفالالحليب ، واقام السد ، واصلحالارض ويعطيه هو مرتبه ، يقول له بان الوادى كله لو اصلح لما اعاد القبيلة المشتتة ، وانه حين عمل لم يعمل لابيض ولا لاسود ، ولكن لافريقية وحين يقول له :

ــ لم لا تقول لافريقية الجنوبية

ــ لو كان ذلك فى وسعنا لقلناه، فنحن نتكلم كما ننشد ، ونحن حين ننشد نقول : ليحم اللهافريقية ، دون ان نفرق بين جنوب أو شمال .

ويسمع الرجل هذا فى دهشة ، لانه كان عجوزابالنسبة لهذه الافكار الثوريةالجديدة، ولانه كان لا ينتمى الى جيل جديد ولد فى افريقية ، ولكنه بعد أن يسمع هذا يحس بالقلق والتوتر فيذهب الى « الجبل » الذى كان يلجأ اليه فى محنه السابقة ، وهناك يتذكر كلمامر به وبخاصة ابنه الذى سينفذ فيه متى تشرق الشمس حكم الاعدام ، وما يزال فىصلاته .حتى تشرقالشمسكما أشرقت منذ الازل . .

« .. اما متى ينبثق فجر تحررنا .. ذلك الذى سيخلصنا من عبودية الخوف . فهذا سر ! »

* * *

وبهذا ينتهى هذا البناء الروائىالمتماسك، فرغم انه يعالج قضية عذاب الانسانالاسود، وخوف الانسان الابيض فى جنوب افريقية الا انه لم ينحرف مرة واحدة عن الخط الدرامى المتوتر الذى يلف كل جزئية من جزئياتالعمل الفنى .

فالبطل فى رواية المؤلف هو « الخوف والحزن » دائما الخوف والحزن ذلك لانه لا امل فى التقاء البيض والسود ، وحتى حين يراوده هذا الخاطر يقول :

« انمايشفق منه قلبىكثيرا هو انيكتشف الناس يوم يقررون ان يحب بعضهم بعضا ان ليس فى قلوبهم سوى الحقد !» ذلك لان عملية التقارب التىقام بها الرجلالابيضلاتعطى الا حلولا جزئية للمشكلة الكبيرة ، التى تتمثل فى ضياع القبيلة بدون معادل لهذا الضياع ، وانه لا امل فى عودة القبيلة ، ومن ثم لنيكون هناك الا الخوف والحزن .

ثم أن المؤلف يومىء الينا « من خلال حديث المهندس » ان حل هذه القضية لن يكون على أيدى الرجال الذين طاطئو برؤوسهم كثيرا ، وانه لن يكونكذلك اذا ماعولجالموضوع على أنه قضية وطن ، بعيدا عن أن يكون قضية قارة باكملها ، ثم هو اخيرا رغم ان الشمس تشرق ــ ولعله يقصد الحرية التى غمرت القارة ــ ورغم أن ابنه سيعدم فى لحظةالشروق ولعله يرمز بهذا الى الشهداء الذين اجبرتهم ظروفهم وعلاقاتهم بالبيض على القتل الا أن استقلال البلاد سيظل سرا لايمكن ان نراه فى اللحظة الحاضرة .

((عبد بدوى))



الفن الافريقى و التكعيبية



بقلم عبد الكريم الحفنى

... لأننى عنـــدما أقول جمـــال الشـــكل .. أعنى الخط المســتقيم والدائرة اللتين تقسم بهما الاجسام . واننى لأؤكد ان جمال هذه الأجسام فى خطوطها المستقيمة ودوائرها هو جمال ليس بالجمـــال النسبى كغيره من أنواع الجمال الأخرى وانها لكثير حقا .. ..

سقراط فى كتاب فيليبوس لأفلاطون

... ان المصور ليصور تفاحة أو وجها وليس من دافع له الا مجموعة الخطوط والألوان التى سيحدد بها التفاحة أوالوجه . وهدفه هو اخراج الخطوط والـــدوائر والزوايا وليس هدفه تقليد الطبيعة ..

المصور سيزان

اننى لا أهدف من بحثى فى هذا المقـــال التحدث عن الفن التكعيبى او المثـــالين التكعيبين ، ولكننى ارمى الى عقد مقارنة بين النحت الافريقى سواء على الخشب أوالحجر وبين المدرسة التكعيبية المعاصرة فى النحت ، وايجاد اوجه الشبه الكثيرة بين الاثنين ، ثم بيان الاثر الذى خلفه النحت الافريقى على المثالين والمصورين التكعيبيين .

وليس بمستغرب أن تكون افريقياوفنهاوأدبها وموسيقاها ذات أثر بعيد على كثير من الادباء والفنانين الكبار فى امريكا واوروبا ، فلقد كانت « **الثقافة الافريقية** » دائما دافعا الى ظهور مدارس فنية وادبية فى القارتين اخذت سماتها واصولها من الادب والفن الافريقى .

وسأحاول فى مقالاتى المستقبلة جلاء هذه

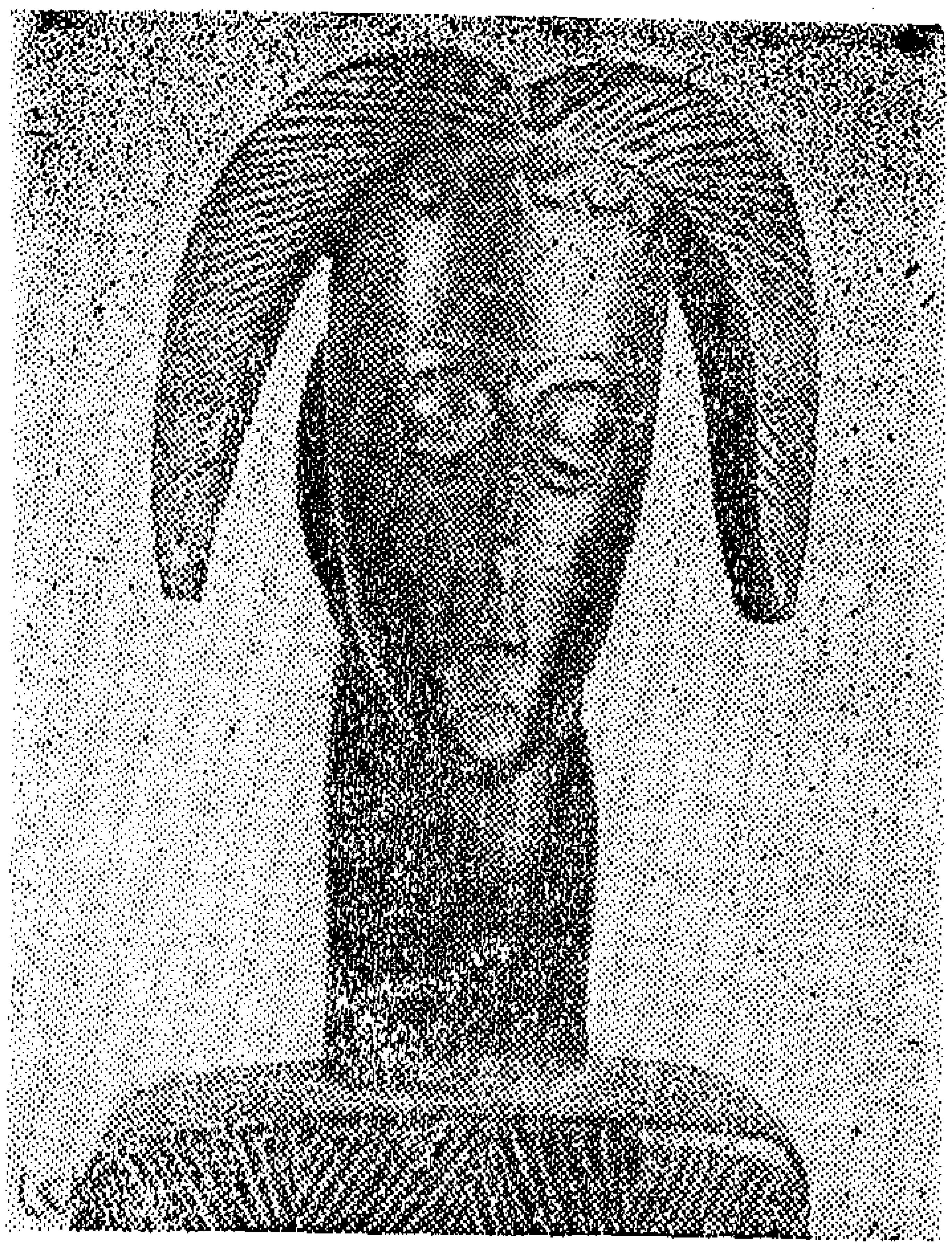
الحقيقة فى ميادين الموسيقى والشعر على الخصوص .

وفى هذا البحث الذى أقدمه هنا لن اتحدث أيضا عن الفنانين الذين نهلوا مباشرة من الفن الافريقى بحيث جاء فنهم صورة طبق الاصل من الفن الافريقى ، وكان اساتذة فنهم الفنانون الشعبيون الافريقيون الذين يرتادون الغابة ويسيرون حفـــاة عراة ، لم يدخلوا مدرسة ولا حضروا جامعة .

ومن أمثال هؤلاء الفنانين الذين نهلوا وتأثروا مباشرة بالفن الافريقى .. المصور انسور Unsar الذى استخدم الاقنعـــه الكنغولية وعـــرف سر تشكيلها ورسمها ، وصممها كما تعلمها ، وذاع صيته وعلا نجمه تبعا لذلك . ومن امثـــالهم ايضا شتين Pachatein ، وبرلاخ Barlach وكرشنر Kirchner ، وكلى Klee

ولقد تعلم هؤلاء الفن الافريقى وصوروه كما تعلموه فلم يضيفوا اليه شيئا . وليس يعنينى ان اتحدث عن هؤلاء رغم شـــهرتهم الذائعة وصيتهم المرموق ، لان الحديث عن هؤلاء هو حديث عن الفن الافريقى مباشرة وليس عن فنهم هم انفسهم . ولـــكننى سأتحدث هنا عن تأثير الفن الافريقى فى غيرهم من كبار الخالقين المبدعين الذين جرى على يدهم الفن متأثرا بما رأوه ودرسوه عن الفن الافريقى وفن النحت بصفة خاصة .

والواقع اننى عندما اقـــول تأثير الفن الافريقى فى هؤلاء الفنانين أقصد معنى معينا دون غيره من المعانى . فالتأثير هو أن يتشبع الفنان برأى معين بحيث يصبح من تلاميذ أو حواريى من تشبع وتأثر بفنهم . وحينما اقول ان هذا الفنان قد استلهم او استرشـد برأى أو فن معينين ، فانما اعنى ان هـــذا الفنان قد قرأ كثيرا وشاهد كثيرا خلال تطوافه، بمتاحف ومعارض العالم ، ثم اختارلنفسهاسلوبا معينا من بين هذه الاساليب الكثيرة التى رآها وشاهدها ، وبنى عليه من غير ان يفقده ذلك اصالته الفنية واستقلاله الذهنى . ولاضرب لذلك مثلا من الادب — الكاتبالامريكى المسرحى تنيسى وليـــامز قرأ روايات اديب



بريطانيا الكبير د . هـ لورنس ، وانفعـــل باحداثها وموضوعها الرئيسى وهو الجنس ، فلما بدأ يكتب استلهم الموضوع الذى انفعل به وبنى عليه وقدم لنا مجموعة مسرحياته التى تدور حول نفس النواة التى دار عليها د . هـ لورنس مع الفارق الكبير بين الاثنين فى التناول الفنى والادبى .

اما التأثير فهو صادرة حادة من الانتقال الفنى تجرد الفنان المتأثر من اصالته القوية وترسله يضرب فى نفس الدروب التى تسـير عليها المدرسة التى يتبعها او الفنان الذى يترسم خطاه .

واذن فهناك فارق بين « استعارة » اسلوب فنان او أديب وهو ما اسميه بالتأثير ، وبين انفعال الفنان او الاديب ببعض الاتجاهات أو المفاهيم التى تتشابه به مع اتجاهاتهومفاهيمه والتى يتشبع بها ويسقطها فى رؤياه للواقع الفنى أو الادبى .

ولو حاولنا قيـــاس درجة التأثر التى يحققها فنان من فنان آخر ، فاننا سنجد الامر عسيرا غاية العسر ، وتتوقف هذه الدرجة على شخصية الفنان المؤثر والفنان المتأثر . مثلا لو حاولنا قياس ذلك فى شخص الفنـــان

موديلياني الذى اقتبس اقتباسا علنيا سافرا ومباشرا من الحفر الافريقى ، لذهلنا حقيقة ، ومع ذلك نسلم بوجود الذوق الشخصى لدى موديلياني *.

ومن الغريب أن يكون الفن الافريقى على درجة من الاتساع والتفتح بحيث يؤثر تأثيرا كبيرا فى الفن الاوروبى ، ولكى نسهل ونقرب صورة الفن الافريقى فى هذا المجال أشبهه بالفنان سيزان ، فسزان كما يقول الناقد ليجيه فى مجلة Les Arts (باريس) فنان يولد فيه فنانون ، ولكن واحدا مثل رينوار Renoir فنان لا يولد منه الا مقتبسون ومقلدون ، والفن الافريقى هنا مثل سيزان بلد فنانين ومدارس فنية ، ولقد كان سيزان دائما مليئا خصبا يوحى ويشير ويعلم . أما رينوار فكان متكاملا مكتفيا بذاته ومنطويا على فنه لا يقبل التأثر ولا التأثير – بالاختصار كان متعلقا على نفســـه . والفن الافريقى هو سيزان تماما – خلق اتجاها جديدا فى الانشاء مفسحا المجال لمزيد من التطور الجمــالى والتكوينى .

ويكفى لكى نذلل على تفتح الفن الافريقى ومقدار ما به من طاقة ايحائية كامنة أن نشير الى بابلو بيكاسو ونقول ان فن بيكاســو التــكعيبى هو فن أفريقى ولد على أرض أفريقيا ونمى خلال عشرات السنين وتسلمه بيكاسو والتكعيبيون ليفرحوا به وليؤمنـوا بما فيه ثم يعلنوه للدنيا كلها ميلاد فن جديد .

ولقد اكتشف بيكاسو والتكعيبيون الفن الافريقى فى وقت كانت فيه أوروبا فى قمـة الثورة على النظم الاجتماعية والســياسية السائدة نتيجة للمظالم الاجتماعية الكثيرة وما جره الاستعمار والتنافس على الاسواق من حرب عالمية أولى استمرت أربع سنوات ونصف طوالا وأطاحت فيها بالملايين من الشباب ودمرت المدن والحرث والنسل وأعقبتها أزمة عارمة ظلت تخيم على العالم حتى سنة ١٩٢٢ .

وكان لا بد للفرد الاوروبى وسط هــذه الانواء أن يترجم عن الازمة الجـديدة التى تهصره بين مخالبها وأنيابها هصرا ، ولم يكن من الممكن أن يستمر تعبيره عن الازمة الجديدة فى الاشكال التعبيرية التقليدية القديمة ، ومن ثم كانت ثورته على الشكل بعد أن ثار على المضمون . واندفعت جموع المثقفين من مفكرين وفنانين يبشرون بالمفاهيم الجديدة سواء فى المسرح أو الســـينما أو الادب أو الرسم أو الموسيقى . فكانت مدارس الفن الحديث من وحشية وتكعيبية ورمزية وتجريدية وسريالية . واتخذ المفكرون والفنانون الجدد لغة الحلم والعقل الباطن وسيلة لهم يبدعون من خلالها ســـواء بالحركة أم بالقـــلم أم بالفرشاة والازميل . وظهر يونسكو وبيكيت وأداموف فى المسرح ، وبيكاسو فى التصوير ، وسارتر فى الفلسفة ، وكافكا فى الرواية ، وجان لوى بارو فى المسرح .

واذا كان الفن الحـــديث يتوسل الى وجدان القارىء أو المتفرج بلغة الاحلام والعقل الباطن ، فهذه هى لغة الرمز ، وهى لغـــة الشعوب الاولى فى قلب القارة الافريقية ، فالكلمة تغنى عن جمل كاملة ، والحرف يغنى عن الكلمة ، والصورة الصغيرة قد تعنى شيئا مختلفا تماما عما تبدو عليه .

ومضمون هذه اللغة هو الخوف ، والدافع اليهـــا هو الفزع . ومن يخاف أو يفزع لا يمكن أن يسهب ويطيل ، ولـــكنه يقتصر بالرمز عن البلاغة ، ورمزه لذلك من أساليب البلاغة ، وهو يعلو على كل أســـلوب لانه يتسم بالعالمية .

والواقــع ان بيكاســو لينكر تأثره بالفن الافريقى فقد جلس اليــه لادسلاس سيجى مدير متحف الفن الافريقى فى نيـــويورك ، وسأله عن حقيقة هذا التأثر ، وأنكره بيكاسو بشدة ، وفى سنة ١٩٥٧ أعاد جورج ميشيل سؤاله فرد بيكاسو بالنفى القاطع « أبدا . مطلقا » ثم قال : « ولكن اكتشاف النحت والحفر الافريقيين جاءا فى وقت كنا نحن نقوم فيه بدراساتنا على التكعيبية » .

ولقد كان لانكا بيكاسو هذا أثره فى توجيه بعض النقاد وجهة خاطئة فى بحوثهم عن أثر الفن الافريقى فى الفن الحديث ، وحسبوا أن بيكاسو قد تأثر بالفن البدائى لشـــبه جزيرة ايبريا ، حتى ارجع الناقد جى هاباسك لوحته « آنســـات افينيون » الى الرسوم الايبرية القديمة .

ومع ذلك فقد كان اجماع النقاد على توغل أثر الفن الافريقى فى فن بيكاسو والتكعيبيين الاخرين . وترجع معرفة بيكاسو للفن الافريقى الى سنة ١٩٠٦ عندما تعرف الفنان ديران على هذا الفن عن طريق المصور فلامنيك . وأخذ ديران التماثيل الافريقية التى أعطاها له فلامنيك واطلع بيكاسو عليها . ثم تأكدت معرفة بيكاسو لفلسفةهذا الفن عند ما اشترى ماتيس Matisse بعض التماثيل الافريقية من تاجر عاديات بشارع دى رين ، وأخذها الى بيكاسو فى منزل جرترود شتاين ، وكان ذلك عقب عودة بيكاسو من جوسول . وذهل بيكاسو عند ما رآها ، ويعلق لادسلاس سيجى على انكار بيكاسو هذا فيقول : « اننا قد قرأنا كثيرا فى كتب تاريخ الفن عن اصرار بعض الفنانين على انكار تأثرهم بآخرين حتى لا يحرموا اعتبار أنفسهم من الرواد — ناهيك عن أن يكون الفن المتأثر به هو الفن الافريقى بالذات ! ! وبيكاسو أحد هؤلاء لانه رائد من الرواد الكبار فى تاريخ الفن الحديث وهو لا يحب أن يقلل أحد من شأنه ، او يهبط فى نظر معاصريه عن قيمته التى يطلبها ويسعى اليها كرائد من رواد الفن الحديث . ولقد اعترف بيكاسو ضمنا لسابارات فقال : « انالنحت الافريقى لا يجارى أبدا فهو يعلو على كل نحت حديث » . فبيكاسو كواحد من التكعيبيين كان يجد فى الفن الافريقى مصدرا من مصادر الثقافة الفنية الرفيعة . ومن قبله فعل ذلك فلامنيك ، فمنذ سنة ١٩٠٤ وهو يجمع التماثيل والرسوم الافريقية . وكان فلامنيك بذلك أول باريسى يعنى بهذا الفن حتى لقد قال : « ان الحفر الافريقى ومحاولات رسم الضوء بالمكشط هو ما نراه بوضوح فى لوحات سيزان الاخيرة ، وهو ما نرجوه كشكل فنى جديد » . وأكد ليبشتز ضرورة قراءة الحفر الافريقى لانه اللغة الجديدة والقيمة الجديدة فى الفن التى لا تعتمد على الطبيعة ، وهذا مايمكن ان نراه فى تماثيله ذات الابعاد الثلاثة.

ويذكر اندريه سالمون فى مجلة Artvivaut الباريسية أن فلامنيك وهنرى ماتيس اشتريا تماثيلهما الافريقية ، وأطلعا عليها بيكاسو ، وأخذ بيكاسو يقارنها بالنحت المصرى والنحت الافريقى ، وكانت هذه التماثيل مثار جدل عنيف فى المدارس الفنية الفرنسية وبدأت مراسم مونمارتر العتيقة تدرسها بتمعن ، وكانت مثار عجب واعجاب منهم جميعا لما تتسم به من أبعاد ثلاثية قارنوها بالمكعب وأطلقوا عليها اسم التكعيبية رغم كراهية موريس راينال للاسم .

ويكتب سالمون فى مجلة بارلنجتون (لندن) عن « القلق الذى استحث الفنانين المحدثين على التثقف واستنباط القيم من حفارى التماثيل الحجرية والخشبية الافريقيين » ، ويضيف قائلا : « لقد كان بيكاسو يجمع الاقنعة الافريقية البدائية وعلى أبواب اكتشاف التكعيبية » .

ويحدد سالمون القانون الاكبر الذى يحكم جماليات هذا الفن الوليد فيقول : « انه الصورة المطلقة بعكس الرؤية المحددة » .

وتعترف جرترود شتاين فى كتابها عن بيكاسو أن بيكاسو « قد تأثر حقيقة بالفن الافريقى » .

ويقول ليونس روزنبرج — وهو صديق آخر من أصدقاء بيكاسو — فى كتابه عن التكعيبية : « ان التعبير بالتكعيب الذى ظهر فى رسوم جورج براك وسيزان وبابلو بيكاسو ليعود الى تأثرهم بالفن الزنجى الافريقى » .

وهكذا نرى أن كل المراجع الاجنبية تؤكد هذه الصلة بين التكعيبية أشهر المذاهب الفنية الاوروبية وبين الفن الافريقى ، وتؤكد كذلك تأثر بيكاسو أشهر الرسامين الاوروبيين بالفن الزنجى الافريقى بالرغم من انكار بيكاسو نفسه لهذه الحقيقة التاريخية والسيكولوجية والفنية فى أعماله التكعيبية كلها . ولو كان بيكاسو لم يتعرف على الفن الافريقى مباشرة ولكن عن طريق لوحات سيزان فالقضية تبقى كما هى ولا تنفى تأثره بهذا الفن .

ولقد ظلت تماثيل ورسوم الفن الافريقى مدفونة فى المتاحف يشيرون اليها كنتاج فكرى متخلف لمجتمع متخلف بدائى ، وبقيت كذلك لاكثر من مائتى سنة ، وما كان أحد يعتبرها

من الفن ، واذا تخدثوا عنها حاكوها برسوم الاطفال ، حتى رآها الفنانون التكعيبيون ووجدوا فى أشكالها مجالات جديدة غنية فى التعبير فخرج من نفس هذه الرسوم والتماثيل البدائية مذهب الوحشية Fauviom

فى الفن ، وبدأ الباريسيون المترددون على مراسم الفنانين الوحشيين يتذوقون الفن الافريقى ويقتنونه ويطلبونه لذاته . فكأن الفن الافريقى لم يخلق المدرسة الفنية الجديدة ، ولكن ارادة التعبير الجديدة عن الواقع الجديد هى التى وجدت فى الفن الافريقى وسيلة من أعظم الوسائل للتعبير عن نفسها . وكان أعظم ما أسداه الفن الافريقى فى هذا المجال هو أنه أمدهم كما يقول كاهنويللر بعناصره التشكيلية التى أكدت ثقة الفنان التكعيبى فى نفسه ، وشجعته على اعلان مكونات ذاته من داخل اطارها .

وتتميز التماثيل الافريقية بالثورة فى خطوطها ودوائرها . ولعل هذه الثورة هى التى تجاوب معها الفنان التكعيبى ، فالتكعيبية تمر فى مرحلتين : الاولى الثورة كبداية . والثانية ارادة تحقيق الثورة فى تكوين ثورى بالتبعية .

والثورة تعنى تحطيم أشكال الفن السائدة (أو الاسلوب السائد) وهو مالا بد لنا من تحليله اذا كان علينا أن نحدد دور الفن الافريقى فى ابراز المدرسة التكعيبية .

والثورة فى الفن — أى ثورة — قوامها تأكيد بالذات . والدافع السيكولوجى لها هو التعويض عن عدم الاستقرار الداخلى . ويأخذ الفن الجديد صورة حادة عند ما يجد مقاومة ، وعندئذ يفرض نفسه بالغلو فى ممارسة نفسه .

ولقد كان التكعيبيون فى هذه الايام الاولى من اكتشافهم للفن الافريقى يحسون بأنهم وحدهم وأنهم معزولون عن غيرهم ، ولذلك اتجهت رسومهم وجهتين : الوجهة الاولى أن يبرهنوا لانفسهم أنهم على حق فى محاولتهم الفنية . والوجهة الثانية أن يبرهنوا للناس على صواب نظرتهم وحدسهم . على أن هذه الوجهة الثانية ما كانت بالدرجة التى كان بها احساسهم بالوجهة الاولى ، ففى هذه المرحلة كان حماسهم لاكتشافهم الجديد يغنيهم عن الاحساس بالناس وبحوصلهم داخل أنفسهم يبحثون فيها ويجترونها ويعاودون اقناعها . وفى هذا الاحساس تكمن ايجابية التكعيبية والفن الافريقى ، فهما يعطيان الفنان قدرة على استحداث احساس يستطيع به فرض ارادته على الطبيعة ، وهو ما يشبه تماما ارادة الشكل التى لدى الاطفال والاميين من البالغين التى تحاول دائما التعبير عن مكونات نفس صاحبها بشكل ما أيا كان قيمته .

وحرر هذا الجانب الايجابى الخلاق فى الفن الافريقى الفنانين التكعيبيين من أى تقليد ، وأطلق قدراتهم الابداعية من اسارها . وكما يقول ابولينار : « فان الفنانين اعتمدوا كلية على طاقاتهم الابداعية وحدها دون معاونة من الطبيعة . والخطوة الثانية وهى لا تقل عن الخطوة السابقة أهمية ، هى أن الفنان التكعيبى كان عليه أن يخلق لغة جديدة يشكل بها احساسه — لغة لم يألفها أحد من قبل ، توازن بين أجزاء المنظور وبين قيمه المرئية . وهذه هى نفس تعاليم مدرسة الجشتالت الالمانية فى علم النفس التى تربط بين عناصر التشكيل فى كل موحد متصل . وأعرب جوان جريس عن ذلك بقوله : أتمنى أن أواصل الرسم بوسائل تشكيلية أضيف اليها عناصر جمالية جديدة أساسها العقل — وهو ما نجده فى الفن والفنان الافريقى » . وبهذا يضيف جريس عنصرا جديدا الى الموقف التكعيبى هو « الخلق الذهنى » . والفن الافريقى عند ما يؤثر على هؤلاء الفنانين انما يخلق جشتالت تشكيلى وفنا لذاته منفصلا عن الحياة ، وبيكاسو يصف هذا الفن فيقول : « عند ما يتخلق الشكل فانه يعيش حياته الخاصة .. » ونفس الشىء يعبر عنه هنرى ماتيس : ان الصورة لا تصبح ذات صلة بما حولها الا صلتها هى بنفسها » . وهذا المبدأ مبدأ جديد كل الجدة فى الخلق الفنى لم يحدث أن وجد شبيه له فى الدوائر الفنية من قبل . ولذلك كان فنانوه فى حاجة الى تأكيد وثقة جديدين فى هذه الحقيقة التى عثروا عليها . والفضل فى ذلك يرجع للفن الافريقى .

ويعبر هنرى ماتيس تعبيرا رائعا عن أثر الفن الافريقى فى مجموعة الفنانين المنتمين اليه فيقول : ان ثورتنا كانت ضد المبادىء الفنية المستقرة وضد السلطة Authority والثورة ضد السلطة فى أى من مستوياتها تنبع أساسا من عدم الاحساس بالامن والاستقرار ، وهى تخلق فى ثورتها احساسا بالذنب ، وتبدأ الدائرة السيكولوجية التراجية لهذه الفترة البطولية بثورة على القلق ، تخلق بدورها احساسا بالذنب يفجر ارادة تعويضية تغالى فى تأكيد الفنان لنفسه ، وتهدف الى التغلب على عدم الاستقرار والقلق ورفض الموقف الجديد من العالم الخارجى أو السلطة الموجهة اليها الثورة .

ولقد كان اكتشاف النحت الافريقى تجربة غنية للفنانين التكعيبيين والوحشيين ، وهم كفنانين لم يحسوا فقط احساسا عاطفيا تجاه هذه التماثيل ولكنهم التهموها التهاما ذهنيا . كيف استطاع المثال الافريقى ان يحرز كل هذا الاثر الذى تعكسه تماثيله ؟ لقد كان هذا مثار عجبهم . انهم لم يتوصلوا الى ما توصلوا اليه الا بعد حضارة استنفدت ملايين السنين فكيف استطاع البدائيون فى أفريقيا ان يصلوا الى نفس النتيجة من اول الامر ورغم بدائية حضارتهم ؟

ان التكعيبية لا تنقل الطبيعة فالصورة فيها ليست صورة مرئية . انها صورة ذهنية صورة ترسم المفهوم الذهنى للطبيعة ، فهى صورة عقلية تعكس الصورة المرئية ، لذلك فهى تعتمد على الخطوط المستقيمة والدوائر الهندسية والانتظام الهارمونى بين كل هذا والالوان . فكيف استطاع الفن الافريقى ان يتوصل الى هذا كله ؟ !!

هنا تثار مسألة جوهرية حادة تفسر لنا سر استطاعة الافريقيين التوصل الى هذا الفن الرائع من الفنون التشكيلية الكبرى . فالأساس للحضارة الافريقية أو الثقافة الافريقية ان جاز لنا ان نستعمل التعبير هو الوجدان بعكس « المنطقة » ، والقلب بعكس العقل . والافريقى حاد الحدس يفكر به ويعيش عليه ، ووسيلته فى الاتصال بالاخرين ليس التراسل الذهنى ولكنها المراسلة الوجدانية Telepathy من اجل ذلك كان السحر بدلا من الطب فى علاج الامراض عندهم ، وكانت الاكواخ المخروطية المستديرة فى هندسة العمارة ، تلك التى تشير الى السماء وترتفع فى شبق الى الحياة الاخرى ومن أجل ذلك كان استخدام الموسيقى الرتيبة ذات الايقاع البسيط المتكرر السريع الذى يلهب الحس ويرسل القلب فى قفزات وصولية ونشوة صوفية ، بدلا من الموسيقى الهارمونية ذات التركيب المعقد التى تحتاج لكل الملكات الذهنية لتحليلها وفهمها . فالافريقى اذن توصل للحقيقة بوجدانه وحدسه ولذلك وصل بسرعة لان الوجدان أسلوب لا يحتاج لتربية تركيبية تحتاج الى مدرسة وعلم وبحث وميكروسكوب . ان الفن الافريقى لا ينبع من الفكر ولذلك اخطأ الغربيون عندما أسموه فى أول عهدهم به فنا وحشيا Savage . والفنان الافريقى لايتبع عقله فعلا فى التصوير والصقال والنحت ولكن يتبع شعورا غريزيا تلقائيا . ويرتبط الفنان الافريقى بالتقاليد الفنية الموروثة ، وهو يتتلمذ على أساتذة الفن من المسنين وهو ما يزال فى الثامنة من عمر ، وهو مع ارتباطه بالتقاليد وحيويتها عنده من الناحية العقائدية الا انه فى كل تمثال له يقدم عملا مستقلا تماما بحيث يجىء كل عمل متفردا بخصائص جزئية تباعد بينه وبين بقية الاعمال الاخرى وهو اذ يختار هذا الاسلوب المتفرد الذى يصور فيه جانبا واحدا من جوانب المنظور ويهمل فيه بقية الجوانب انما يخضع لاحساس عاطفى جياش يصرفه فى عمله الفنى ويعبر فيه عن روح الحضارة الافريقية ذات الجوهر الدينى الغيبى . والفارق اذن بين التكعيبية الافريقية والتكعيبية الاوروبية ان التكعيبية الافريقية ذات اساس حضارى دينى وفنانها فنان منتم يخضع لثقافة وقيم حضارته ، أما التكعيبية الاوروبية فهى تكعيبية لا اساس لها من الدين وفنانها فنان لامنتمى ثائر على ثقافة وقيم حضارته . وفى رأيى أن التكعيبية الافريقية لذلك أكثر اصالة وعمقا واستقرارا

((عبد المنعم الحفنى))

إلى أين أنتم ذاهبون

للشاعرة الافريقية آلدا اسانتو

.. وعلى الأرض تسيل الدماء
ويتساقط الرجال فى الاحراش
والدم يسيل .. ويسيل
ويخلد ذكرى فرنانديس فى التاريخ
تاريخ الجزيرة الخضراء
التى احمر أديمها من الدم
ومازال الرجال يسقطون فوق الرمال
مقيدين بالسلاسل، معذبين بالسياط
تختلط صرخاتهم ، بصلصلة القيود
ومن ورائهم ، زبانية الاستعمار
كأنهم ليسوا من بنى البشر
وعلى رأسهم دى مولاتو ..
جلاد الحرية ..
ويسقط الشهداء وهم يهتفون
باللعنة لدى مولاتو ..
وتصرخ الضحايا بالانتقام
والجر فى فرنانديس
يبتلع المزيد من الرجال
تحمر مياهه من نزف الدماء
ونحن وقوف
وعيوننا تتجه نحوك
وحيواتنا المستعبدة
فى معسكرات الموت
ورجال خمسة فبراير
الذين سقطوا شهداء
وملأ صياحهم الآفاق
انهم كانوا يريدون الحياة
وماتوا بلا ماء . بلا هواء

انهم جميعا يناشدونك القصاص
جميعا يصرخون. الانتقام ! الانتقام
والأجسام التى تهادت فى الاحراش
والمنازل التى دمرت
والحريق ..
والحياة الذاوية
تقف كلها كالسد ، فى المحكمة
وأنتم أيها الجلادون
أنتم المتهمون ..
ماذا فعلتم بأهلى
أين أهلى .. ! ؟
أننى أسمع خلال السكون
أصواتهم تنادى بالقصاص ..
وجميعهم متراخين فى الصفوف
يلاحقونكم أيها الجلادون
حتى محكمة الحق ..
لتلقوا الجزاء ..
أما الدماء التى سالت
دماء رجالنا فى الاحراش
التى غطت الأرض والوهاد
وحولت كل شبر منها
الى صراخ بالانتقام . الانتقام
انها شعلة الحرية
تطلب وتريد
عالما بدون جلادين
عالما دون قيود ..
عالم فيه الحرية
يتمتع بها .. كل انسان !

أفريقيا في شهر

المغرب

● طالبت نقابة الصحف القومية الحكومة بوقف صدور الصحف الاجنبية وتجميد ثروتها .

● تبودلت الرسائل بين الملك الحسن والرئيس بورقيبة بخصوص الخلاف بين تونس والجزائر ، واجتمع وزراءخارجية .. المغرب وتونس والجزائر وتم اتفاقهم على الا تتدخل دولة فى شئون الاخرى.

الجزائر

● هدد الرئيس بن بيللا بقطع العلاقات مع فرنسا اذا عادت لاجراء تجاربها الذرية فى صحراء الجزائر مما اضطر فرنسا الى وقف الاستعدادات التى كانت تتخذها لاجراء تفجير نووى .

تونس

● أعلن : ان الاتفاق قدتم بين تونس وفرنسا لتسوية مشكلة بنزرت نهائيا ، وان العلاقات بين البلدين تندرج نحو التعاون الكامل .

ليبيا

● حدث زلزال عنيف فى برقة حول مدينة المرج الى أطلال واصاب الاروح بخسائر فادحة وقد ابرق الرئيس جمال عبد الناصر الى ملك ليبيا واضعا امكانيات الجمهورية العربية المتحدة فى كل مجال لمواجهة آثار الكارثة .

روديسيا الجنوبية

● عادت السلطات واعتقلت الزعيم «جوشيانكومو» زعيم حزب زمبابوى المنحل وثلاثة من أعضاء الحزب السابقين ، وأعلنت انها ستقدمهم الى المحاكمة ، وكان الزعيم الافريقى قد أدلى بحديث صحفى قبل اعتقاله قال فيه : انه لجنون مطبق ان يقترح البعض ان ننشىء حزبا سياسيا آخر ليحل محل حزب زمبابوى .

السنغال

● أعلنت حكومتا السنغال ومالى ، رفع قيود السفر بين الدولتين وأصبح لمواطنى احدى الدولتين الدخول الى الاخرى بدون الحصول على تأشيرة دخول .

الكونغو

● وجهت دعوة الى سيريل ادولا رئيس الحكومة من حكومة بروكسل لزيارتها ، وقد قبل الدعوة .

● فى الوقت الذى انتهى فيه انفصال كاتنجا بدت بوادر انفصال خطير فى اقليم كاساى .

● وصل أدولا الى اليزابيث فيل لاول مرة منذ انفصال كاتنجا وقد استقبل بالحفاوة من الجماهير .

ليبيريا

● اعتقلت السلطات قائد الحرس الوطنى وخمسة من المدنيين بتهمة تدبير مؤامرة تهدف الى اغتيال الرئيس توبمان ، وقد صرح القائد ان فى استطاعة الحرس الوطنى قلب نظام الحكم فى ليبيريا أسوة بتوجو .

غانا

● أعلن نكروما انه توصل مع نيكولاس جرونتزكى رئيس توجو الى اتفاق أساسى للتعاون بين البلدين يتضمن ثلاثة مبادىء هى : الا تدخل احدى الدولتين فى شئون الاخرى ، واحترام كل منهما لسلامة الثانية ، واحترام الوضع الدولى لكل منهما .

● اجتمع ممثلو خمسة أحزاب افريقية فى كل من جنوب افريقيا وبتشوانالاند وباسوتولاند وزنجبار وروديسيا الشمالية

وابرقوا الى بتلر الوزير البريطاني لشئون وسط افريقيا والى قادةروديسيا الجنوبية مطالبين بالافراج عن الزعيم جوشيانكومو .

● وصل القاهرة «كوجووشيومبعوث الرئيس نكروما يحمل رسالة الى السيد الرئيس جمال عبد الناصر من الرئيس نكروما تدور حول مسألة الوحدة الافريقية ،

بورندى

● وصلت القاهرة . . كانيونجا سيريس ملكة بورندى ، وكان فى استقبالها بالمطار مندوبا عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر . السيد ابراهيم رشيد . وقد اكدت عقب وصولها بان السيد الرئيس جمال عبد الناصر يتمتع بزعامة شعبية لا مثيل لها فى افريقيا .

زنجبار

● وصل زنجبار ، دنكان ساندبز وزير شئون الكومنولث والمستعمرات قادما من كينيا لاجراء مباحثات بشأن المستقبل السياسى للشريط الساحلى الذى تملكه زنجبار ، وقد قوبل بمظاهرة صاخبة اشترك فيها العرب والامريكيون مطالبين بجلاء القوات البريطانية .

انجولا

● علقت الصحيفة السوفيتية «سوفيتسكا يارشا » على سياسة البرتغال تجاه انجولا : ان البرتغال مازالت تعيش بعقلية العصور الوسطى وانها ترزح تحت كثير من المتناقضات السياسية والاقتصادية.

● هاجمت البرتغال الجزائر لمساعدتها انجولا فقامت ثورة فى انحاء الجزائر تنادى باستقلال انجولا وسقوط سالازار .

جنوب افريقيا

● أعلن رئيس الجمعية العامة للامم المتحدة تشكيل لجنة من ١١ دولة لمراقبة سياسة التفرقة العنصرية التى تتبعها حكومة جنوب افريقيا ، وتضم هذه اللجنة بين أعضائها الجزائر والصومال ونيجيريا وغانا وغينيا وستقوم اللجنة بتقديم تقرير دورى عن ملاحظاتها للجمعية العامة أو مجلس الامن .

الصومال

● وقعت اشتباكات مسلحة بين البريطانيين والصوماليين فى احدى المناطق المتنازع عليها على حدود كينيا ، وقد قامت مظاهرة فى مقديشيو عقب ذلك ضد السفارتين .. الامريكية والاثيوبية ، متهمة امريكا بتزويد اثيوبيا بالسلاح .

اريتريا

● وقعت معركة عنيفة بين قوات جيش جبهة التحرير الاريترية وقوات الاحتلال الاثيوبية ، وقد حققت قوات جيش جبهة التحرير انتصارا حاسما ولقنت القوات الاثيوبية درسا قاسيا .

● رد ثوار اريتريا على رسالة للامبراطور برسالة جاء فيها : « لن نعفو منكم مادمتم تسعون لمحو الكيان الاريترى وطمس معالم الامة الاريترية المجيدة » .

● تفيد الانباء ، ان المناضل الكبير محمد عمر القاضى ، الذى حكمت عليه السلطات الاستعمارية بالسجن لمدة عشر سنوات لا لشىء الا مناداته بتحرير بلاده من الاستعباد ، يعيش فى سلسلة من التعذيب وان صحته فى حالة خطيرة .

الفلسفة الافريقية

ظلت الفلسفة الافريقية حتى أوائل العقد الخامس من هذا القرن احدى المجالات التى لم يطرقها الباحثون الذين توفروا على دراسة كل مايتصل بافريقيا .. ولم تكد الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها حتى حظيت المكتبة العالمية بخمسة مؤلفات عالجت كل منها قضية من القضايا التى ترتبط بالتفكير الفلسفى وتاريخه لدى الشعوب الافريقية ، أول هذه المؤلفات وأكثرها شيوعا هو ذلك الكتاب الذى نشره الاب بلاسيد تمبيلز تحت عنوان « فلسفة البانتو » عام ١٩٤٥ ، والذى صدرت ترجمته الفرنسية بعد ذلك بعام ، كما ظهرت ترجمته الالمانية عام ١٩٥٦ ، وترجع صلة الأب تمبيلز بدراسة الفلسفة الافريقية الى عام ١٩٣٣ وهو العام الذى بدأ فيه مهمته فى الكونغو كرجل من رجال الارساليات التبشيرية وأخذ يبدى اهتماما ملحوظا بمعرفة ديانات قبائل البانتو ، وحين علق الاستاذ جان هينز صاحب كتاب « الثقافة الافريقية الحديثة » عن دراسة تمبيلز قال عنها أنها بحق فيما يتصل بموضوعها تعتبر كلا متكاملا .

اما الكتاب الثانى الذى وضعه عالم الاجناس الفرنسى « مارسيل جريول » فقد جاء نتيجة مصادفة سعيدة غير عادية على حد تعبيره هو نفسه ، فقد عاش هذا العالم الفرنسى عدة سنوات فى أفريقيا ظل يدرس خلالها بعض العناصر الجنسية لشعب الدوجون Dogon الذى يسكن المنحنى الكبير لنهر النيجر الى أن التقى فجأة فى شهر اكتوبر من عام ١٩٤٦ بحكيم من حكماء أفريقيا شاء له حظه العاثر أن يصاب بالعمى على أثر حادثة من حوادث الصيد التى وقعت له فى شبابه ، يقول مارسيل « قضيت فى صحبة هذا الحكيم المكفوف ثلاثة وثلاثين يوما كاملة لم أهمل منها دقيقة واحدة ، كان يتحدث الى وكنت استمع اليه فى صمت وشغف .. لقد فتح أمامى « أوجوتومالى » وهذا هو اسمه ، كنزا من المعرفة وأزاح النقاب عن كثير من الحقائق الفلسفية المطمورة التى كان العالم كله يجهلها . لقد شرح لى هذا الرجل « نظام العالم » و « علم ما وراء الطبيعة » وأسرار ديانات شعب البالوبا ، كانت المعلومات التى حصلت عليها من هذا الرجل بمثابة المعول الذى حطم كل الافكار التى كوناها لأنفسنا من قبل عن عقلية الشعوب السوداء . لقد روى لى « أوجو تومالى » أفكاره بطريقة علمية منظمة وبلغة شاعرية تزينها كثير من الصور الخيالية الرفيعة ، وكنت أسجل كل مايقول دون أن أهمل حرفا تنبس به شفتاه .

ثم اغرى هذا النجاح العلمى الذى أحرزه مارسيل الكاتبة الالمانية « ديتيرلن » فقامت هى الاخرى بدراسة ديانات قبائل البمبارا ، وتمكنت فى النهاية من تقديم كتاب تحت عنوان « دراسات عن ديانات البمبارا » تضمن فى مجموعه نفس الافكار التى وصل اليها مارسيل حين دراساته لشعب الدوجون .

وفى عام ١٩٤٩ سافرت الممثلة الافريقية الاصل الامريكية الجنسية « مايا درين » Maya Deren لاعداد بعض الافلام عن طقوس ديانات شعب الفردو Voodo Cult

وسرعان ما أحست بسحر هـذه الطقوس وما تنطوى عليه بعض مظاهرها من جلال وعمق فأوقفت أعمالهـا الفنية وبدأت تكرس كل جهودها وأوقاتها لدراسة هذا الدين وشعائره وما يتصل به من أفكار وفلسفات ثم خرجت على العالم عام ١٩٥٣ بكتابها القيم « الآلهة الاحياء فى هايتى » .

ثم يأتى بعد ذلك الكتاب الخامس والاخير فى هذه المجموعة وهو من غير شك أهمها جميعا وأكثرها شمولا ودقة لموضوعه ، فصـاحبه « اليكس كاجامى » عالم أفريقى متخصص وواحد من أبرز أبناء قبيلة البانتو المثقفين دفعته دراسته للفلسفة الغربية الى أن يقوم بدراسة وتحليل نظام التفكير عند الافريقيين، واعتمد فى منهجه على طريقة الاسلوب المقارن، فكان يتناول قضايا الفلسفة الافريقية ويعالجها فى ضوء المقارنة بقضايا الفلسفة الغربية .

ولا شـك فى أن هؤلاء الرواد الخمسة : الراهب البلجيكى ، وعالم الاجناس الفرنسى والمثلة الافروأمريكية والحـكيم الافريقى المكفوف الذى لا يعرف القراءة ولا الكتـابة والاستاذ الافريقى البحاثة الذى يجيد عدة لغـات ، لا شك فى أن هؤلاء جميعـا قد قدموا لنا ولاول مرة فى تاريخ الفكر العالمى دراسة عميقة شاملة لمعظم النظم والاساليب الفلسفية التى تسود خمس ديانات مختلفة ، وقد تختلف هذه الفلسفات جميعها بعضها عن البعض الاخر فى كثير من التفاصيل ولكنها تتفق كلها فى الاسس الرئيسية .

وليس من هدفنا فى هذا المجال أن نضـع أمام القارىء كل أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه النظم الفلسفية كلها ، ولكننا سنحاول أن نزوده فقط ببعض المفاهيم الاساسية التى لا يمكن الاستغناء عنها لكل من يريد أن يقف على تاريخ الثقافة الافريقية .

الطبقات أو الفصائل الاربع

يبدأ كاجامى دراسته لموضوعه فى كتـابه « فلسفة البانتوفى رواندا » بالاستعانة بلغته كينيا رواندى Kinyaruanda، فهذه اللغة ككل لغات البانتو تقوم اساسا على التبويب والتصنيف أى أن الاسماء Substantives فيها لا تنقسم على النحو الذى تنقسم اليه فى قواعد الاجناس Genders فى اللغة الالمـانية مثلا ، بل هى تتجمع فى أنواع ، فهناك طبقات للجنس البشرى وأخرى للاشياء التى يبعث فيها السحر الحياة والحركة ويدخل فى ذلك الشجر وثالثـة للالات والحيوانات والزمان والمكان الخ .. فمن الممكن أن نتعـرف على أنواع الكلمة Classes و طبقتها Category بوساطة الصوت أو مجموعة الاصـوات التى تسبق أصل الكلمة Stem ويسـميها النحاة الاوربيون مقدمة الكلمة Prefin أى الجـزء الذى يضاف مع الكلمة فى أولها ليعطينا معنى جديدا ، بينما يطلق عليه كاجامى وهو فى ذلك يعتمد على سبب معقول « والجزء الحتمى المحدد ، فمن المعروف مثلا فى اللغة الانجليزية اننا نستطيع أن نحذف الـ Prefin (un) من الكلمة Unpleasant ومع ذلك فان المعنى سيبقى مفهوما وان كان هذا المعنى سيختلف عن المعنى الاول ولكننا لا نستطيع أن نفعـل ذلك مطلقا فى أية لغة من لغات البانتو ، فلو جردنا أصل الكلمة من جزئها الحتمى وهو ما يقابل فى اللغة الانجليزية الـ لما بقى للكلمة معنى ، ولن يحدث أن تكلم أحد من شعوب البانتو بكلماتهم مجردة من هذا الجزء .

على أن علاقة هذه المناقشة اللغوية بموضوع الفلسفة الافريقية تقتضيها طبيعة هذا البحث لان المصطلحات الفلسفية تتوقف الى حد كبير على فهمنا لتركيب الكلمة كما سترى ..

وسنضطر الى استعارة أربع مفاهيم لغوية من لهجة كاجامى وهى ما عرفناها باسم لغة كينيا رواندا حتى نستطيع أن نحصـل على اربع صور أساسية يمكن شرحها فى أبسـط أشكالها هذه المفاهيم هى :

١ ـ Muntu معنـاها الجنس البشرى وجمعها Bintu

٢ ـ Kintu معناها شىء وجمعها Bantu

٣ ـ Huntu معناها مكان وزمان

٤ ـ Kuntu معناها التشكيل أى عمل الشكل

هذه المفاهيم الاربعة

Kuntu ، Hantu ، Kintu ، Muntu تمثـــل الطبقـــات الاربع فى الفلســـفة الافريقيـــة فـكل كائن وكل عنصر فى الوجود لا بد وأن يندرج تحت واحد من هذه المفاهيم ، ولا يمكن أن يوجد شيء خارج عنها مهما كان شكله ومهما كان جوهره، ولـما كانت لغة كاجامى تحتوى على عشرة انواع Ten Classes فان الاجزاء الحتمية للكلمات لا تتفق بالضرورة مع الاجزاء الحتمية لهذه الطبقات الاربع . وعلى هذا يمكن أن نقول ان Muhanga ومعناها « الباحث » وهى من النـوع الاول تتـدرج تحت طبقة الـ Muntu « الجنس البشرى » كما أن الـ Ruhanga ومعناها « الجبهة » وهى من النوع الثـالث تندرج تحت طبقة الـKintu « شيء » ،Mohanga ومعنـاها « الاراضى الاجنبية وهى من النوع الخامس تندرج تحت طبقة الـHantu « مكان » والـBuhanga « المتخصص فى العلم » وهى من النوع الثامن تندرج تحت طبقة الـKuntu « التشكيل » وكل شيء كائنا ماكان لا بد وأن يندرج بالضرورة تحت واحدة من هذه الطبقات ، ولا يمكن أن نتصوره جوهرا أو مادة ، بل لا بد أن نتصوره قوة Force، فالانسـان قوة ، وكل الاشياء قوى Forces والمكان والزمان قوى ،فالرجل والمرأة « طبقة المـانتو » والكلب والحجر « طبقة الكينتـــو Kintu » وشرق وأمس « طبقة الهانتو Hantu » والجمال والضحك « طبقة الكونتو Kuntu » كلها قوى ، وكل منها مرتبط بالاخر ، ويمكن التعبير عن علاقة هذه القوى وارتباطها بوســاطة أسمائها ، لاننا اذا حذفنا جزءها الحتمى فان الاصـل الباقى هو Ntu سيكون واحدا بالنســبة لجميع هذه الطبقات ، فان Ntu معنى القوة العامة التى لا يمكن أن توجد منفصلة عن أشكالها التى تظهر فيها وهى

Hantu ، Kintu ، Muntu
Kuntu ، فال Ntu

كائن بنفسه وهى القوة العامة التى يستطيع الفكر المنطقى الحديث أن ياخذ منها الاشكال المختلفة أو بعبـــارة أوضح هى القوة التى يمتزج فيها الكائن او الكائنات . الـ Ntu هى الشيء الذى ربما كان فى ذهن بريتون حين كتب يقول « كل شيء يقودنا الى الاعتقاد بأن هناك نقطة مركزية للفكر لا يمكن أن يكون من باب التناقض أن يوجد عندها فى وقت واحد كل من الحى والميت ، الحقيقة والخيال ، المـاضى والمستقبل ، الارتفاع والانخفاض ، بل ربمـا كانت هى النقطـــة التى يتـــدفق منها الخلق Oreation والتى كان يبحث عنها كلى Klee عندما قال « اننى ابحث بعيدا عن النقطة التى يتدفق منهـــا الخلق » غير أن متناقضات بريتون لا توجد مطلقا فى الـ Ntu ذلك لاننا اذا قلنا ان الـ Ntu هى قوة تظهر نفسها فى الانسان والحيوان والشيء والمكان والزمان والجمال والقبح والضحك والدموع الخ .. لكان هذا القول خاطئا دون شك . لان هذا سيعين أن الـ Ntu شيء ما مستقل عن كل هذه الاشياء ، بينما حقيقته Ntu فى واقع الامر هى الـ Kuntu ، Hantu ، Kintu Muntu متسـاويين جميعـا . ومن هنا يبدو أن القوة والمـادة لا يمكن أن يكونا متحدين فى هذا المفهوم ، كما أن الـ Ntu لا تعبر عن تأثير هذه القوى ولكنها تعبر عن وجودها وكينونتها ، الا أن هذه القوى كلها تعمل بصفة مستمرة وهى دائما ذات تأثير وفاعلية ، ولا يمكن أن تظهر الـ Ntu الا اذا استطاع انسان ان يوقف العالم كله أى اذا حدث وأن الحياة قد سكتت فجأة . على أن من الضرورى هنا أن نعرف أن هـذه القوة الدافعة التى تهب الحيـاة والفاعلية لكل الاشياء هى ما يسمى بلغة البانتو النومو Nommo وهى الكلمة التى يمكن أن نقول عنها انها كلمة وماء وبذرة ودم فى شيء واحد . وهكذا يجب أولا أن نفرق فى وضـــوح بين الطبقات الاربع التى تحدثنا عنها آنفا ، لان مفهوم المانتو Muntu والجنس البشرى Human Being ليسـا متحدين ، فالمـانتو تشمل الحى والميت أى أن المـانتو هى قوة موهوبة بالذكاء أو هى بعبارة اخرى الكيـان الذى تسيطر قوته على النومو Nommo

وتشمل القوة الثانية أى الكنتو Kintu هذه القوى التى تعمل لنفسها For Themselves

والتى لا يمكن أن تصبح قوة نشطة الا بأمر يصدر اليها من المونتو Muntu .

ويندرج كل من النبات والحيوان والمعادن والآلات والاشياء التى تستعمل استعمالا عاديا تحت طبقة الكينتو Kintu وتسمى كلهـا باعتبارها جمعا Bintu، وليس لكل هـذه البنتو Bintu أية ارادة ذاتيـة ، فهى مثل الحيوانات لا تستطيع أن تقوم بأية فاعليـة دون أن تحركها أوامر الدون ديو Bon Dieu فالبنتو Bintu ليست سوى قوى مجمـدة تنتظر أمر المونتو Muntu تقف رهن اشارتها، وليس هناك خروج على هذا النظـام سوى بالنسبة للشجر التى تعتبر مثل الحيوانات فهى طريق الاجداد Street of laas الطريق الذى يسير عليه الميت والاجداد الى الانسان الحى ، والاشجار فى كثير من لغـات البانتو تندرج تحت طبقة المونتو Muntu وعندما تتم عملية التضحية بالنسبة للشجرة فانها ليست تضحية للبنات بل هى تضحية للاجداد ، والخشـب لجزء من الاشجار وهو الخشب الذى تشكل منه التماثيل له أيضا صفة خاصة فنومو Nomm الاجداد هو الـذى أعطى للاخشـاب تقديسا خاصا .

أما الزمان والمكان فهمـا يندرجان سويا تحت طبقة الهانتو Hantu فالهانتو هى القوة التى تخلق المكان لكل حدث ولكل حركة ، ومادامت كل الكائنات قوى فان كل شىء فى الوجود يكون دائما فى حركة ، واذاما تساءلنا أين رأيتها ؟ Where did you su it ? كانت الاجابة وأين رأيتها ؟

Where did I su it ?

أى أن سـؤال المـكان يمكن أن يجـاب عنـه باصطلاح الزمان . واذا ما تساءلنـا متى رايته ؟ When did su it فان الاجابة ربما تكن « رايته فى المركب » وهنـا تكون الاجابة عن سؤال الزمان تحـديد المكان . وهذا شىء عادى وطبيعى ، لان كل شخص ينظر الى الساعة يقرأ الوقت بوساطة وضع عقارب الساعة أى اتجاه المكان . وأستاذ الرياضيات عندما يريد أن يمثل الحركة يشير الى المسافة على احدى محور ابعاده التى أحدثهما ، بينما يشير الى الزمان على المحور الاخر . أما كيف تتصور وحدة الزمان والمكان فى التفكير الافريقى التقليدى دون مثال الساعة ودليل عالم الرياضيات فهو ليس امرا ذابال فى بحثنا الذين نحن بصـدده الان ، ولن نستطيع هنا أن نعرض كل ما قاله الفيلسوف الافريقى الاستاذ كاجامى عندما تناول هـذه المشكلة المعقدة وأخذ يشرحها فيما لا يقل عن احدى وثلاثين صفحة من كتابه .

ان المونتو Muntu والكينتو Kintu والهانتو Hantu لها قوى يمكن الى حد ما أن تكون من الامور الواضحة التى يفهمها المثقف الغربى، ولكن من الصعب عليه أن يتقبل فكرة قوة التشكيل Kuntu فليس من السـهل أن يتصور الانسان قوة التشكيل « الجمال مثلا أو الضحك » على أنها قوة عاملة مستقلة ، فالضحك كما تعرفه حدث يأتيه شخص ما ، ولكن كيف يمكن أن نتصور الضحك على انه قوة مستقلة دون أن يكون هناك شخص ما يأتى هذا الضحك ؟.

ولكى نوضح معنى الكونتو على هذا النحو يحسـن بنا ان نقتبس بعض العبـارات من الـكاتب الافريقى المعـروف آموس تيـوتولا Amos Tutuola وكنا نسـتطيع ان نقتبس كذلك بعض أبيات من الشعر الافريقى وأيضا بعض الحكم والامثـال القديمة حتى تصور المعنى بطريقة أكثر تقبلا الى فهمنا ، ولكننا آثرنا أن نعتمد على كاتب افريقى معاصر يتمتع بمـكانة ممتازة بين قراء الانجليزية فى كل مكان حتى نؤكد أن الفلسفة الافريقية قد ظلت قائمة مستقلة تتمتع بكل خصائصـها على الرغم من اتصالها واحتكاكها بالثقافة الاوربية وقد انبعثت وظهرت مرة ثانية البانتو ، ولكنه واحد من أبناء قبائل اليوربا الذين يعيشون فى نيجيريا والذين يبرهنون فى قصة « سكير نبيذ النخيل » لتيوتولا فقرة تصور لنا كيف يمكن أن يكون الضحك قوة تشكيلية ، فهو يقول « لقد عرفنا الضحك شخصيا فى تلك الليلة لانه عندما توقف كل واحد منهم عن السخرية بنا والضحك منا لم يتوقف الضحك لمدة ساعتين . وحين استمرت عملية الضحك منا فى تلك الليلة نسيت أنا وزوجتى آلامنا

وضحكنا معه لانه كان يضحك بصوت غريب لم نسمعه قط فى حياتنا من قبل ، لم نعرف الوقت الذى استغرقناه فى الضحك ولكننا عندما كنا نضحك فقط من ضحك الضحك ولم يكن يوجد شخص استمع اليه ولما يضحك هو الاخر ولذلك فلو استمر شخص ما يضحك مع الضحك نفسه فانه أو أنها سيموت أو يغمى عليه فجأة من طول الضحك لان الضحك كان حرفته وكأنه يتغذى منه ويعيش عليه ، وعندئذ بدءوا يتوسلون الى الضحك أن يتوقف ولكنه لم يستطع »

الاله

الآله — كما يقول تمبيلز — هو المانتو العظيم Great Muntu والشخص العظيم والقوة العظيمة وقوة الحياة وهو كذلك كما يصفه فى موقف آخر الانسان العاقل الحكيم الاعلا الذى يعرف كل الاشياء والذى خلق نوع قوى هذه الاشياء وطبيعتها على أعمق مستوى . بل هو القوة نفسها ذات قوة داخل نفسها . هو الذى خلق كل الاشياء الاخرى ويعرف كل القوى ، والاجداد الاوائل القدامى منحدرون منه ، أى انهم جاءوا من سلالته ولم يخلقهم . على أن علاقة الخالق بمخلوقه فى نفس الوقت ليست علاقة من النوع الجسدى أو الشهوانى « اننا مصابيح من الطين وتماثيل صغيرة صنعتنا أيدى المثال الكبير الذى هو الاله ، وينظر الشعراء السود الى عملية الخالق على انها مجرد عملية حصر فالعالم ليس الا انسانا وابنا لهذا الانسان ، ويعثر الرجل الاسود على ملاسة الجلد الانسانى مرة أخرى فى البحر وفى السماء وفى الصخور وفى الرياح .. انه المدلل فى باطن الرمال وفى أجواز الفضاء .. انه أنثى الطبيعة وذكرها . وعندما يحب الرجل امرأة من بنى جنسه أى يحب الانسان انسانة فان الممارسة الجنسية تبدو بالنسبة له كأنها احتفال بالسر الغامض عند الكائن المخلوق ، لان الدين الذى يدخله العنصر الشهوانى يشبه روحا متوترة تتأرجح بين اتجاهين كاملين .

وتنظر قبائل البالوبا الى الاله على انه الخالق الروحى لا على انه كائن بلد ... يقول كاجامى « ان الله يخلق الاطفال والانسان هو الذى يربيها » والخالق الاعظم عند قبائل رواندا هو Mya Murunga أى « الحق » ويقول أوجوتومبلى الفيلسوف الافريقى الأمى « ان الاله هو العنصر الروحى والمادي الذى يدخل كل شىء » وال Amma عند الدوجون هو الاله الوحيد الذى خلق الارض وجعلها امرأة ثم تزوجها . والماء والنار والدم هى النومو وهى بذرته ونتاجه . والنومو Nommo هى قوة للحياة الروحية والمادية التى تضعف كل القوى النائمة Sleeping Forces ثم تأتى بعد ذلك بالحياة الروحية والمادية.

الحياة والموت

يفرق البانتو بين مايستطيع الانسان ان يراه بأعضائه الحسية فى الكائن المنظور وبين الشىء نفسه . وهذا الشىء عندهم هو النوع الداخلى الغريب أى القوة أو طبيعة الكائن الاساسى ، ويعبرون فى لغتهم التصويرية عن هذا بقولهم « فى كل كائن أساسى يوجد كائن أساسى آخر ، ففى داخل كل انسان يجلس انسان صغير آخر ولا يمكن رؤية الاثنين معا .

ويرى تمبيلز ان هذه المعادلة تساوى مفهوم الروح فهو يقول « كنت أسمع الشيوخ دائما يقولون ان الانسان نفسه مستمر فى الوجود ، فهو نفسه الانسان الصغير الذى يجلس فى مخبئه خلف الشكل المنظور أمامنا » ويقول تمبيلز « ومن هنا لايمكن ان تترجم كلمة Muntu بكلمة انسان Man أو جنس بشرى Human Being ،

وبالرغم من انه يوجد فى المانتو جسد منظور الا انه ليس المانتو نفسه ، ولقد قال لى أحد الافريقيين المثقفين يوما « اننا نعنى بالمانتو شيئا أكثر مما تسمونه أنتم بالفرنسية شخص أو انسان » .

وعندما يتحدث الفيلسوف الافريقى الاستاذ كاجامى عن موضوع الحياة والموت يقول « توجد مخالفة الكينيا رواندا ثلاث كلمات تعنى الحياة هى : بوجينجو Bugingo وبوذيما Buzima وماجارا Magara

فكلمة بوجينجو معناها استمرار الحياة ، وكلمة بوزيما معناها اتحاد الظل مع الجسد ،

وهـذه الكلمة تنـدرج تحت طبقـة الكونتو Kuntu أ طبقـة السلوك . وهـذا هو الاساس الذى يحدد كيف تبدأ الحياة وكيف تعمل ، فحين يتحد الظل مع الجسد تبـدأ الحياة وتظل قائمة الى ان ينفصلا فيحـدث الموت . وعندما يولد الحيوان مثلا يتحـد جسده مع ظل حيوان فتكون النتيجة وجود حيوان حى وهى مايسمى بالكيزيما Kizima التى تتـدرج تحت طبقـة الكنتـو Kintu ، واذا ما حـدث أن حيـاة هذا الحيوان قد أخـذت دورها ثم جاءهـا المـوت فان عمليـة البوزيما Buzima أى اتحاد الجسد مع الظل تتوقف ويختفى الكيزيمـا Kizima أى الحيـوان الحى فيفنى جسده ويختفى ظله أى لايوجد شىء من الحيوان بعد موته .

ويمثل أصل الكائن البشرى عملية مزدوجة. فطبقـا لمبـدأ البـوزيما Buzima يوجد اتحاد بيولوجى خالص للظل مع الجسد، ويتحد فى الوقت نفسه شىء ما روحى هو قوى النومو Nommo مع هـذا الجسـد لان انتـاج كائن بشرى هى عمليـة ظهور جسد وروح ، والمبدأ الذى ينظم اتحاد قوى النومو مع الجسد تسمى الماجارا Magara والحياة أو المجارا هى قوى الـكونتو Kuntu Forces وهى التى تقوم بدورها فى كل بداية من بدايات الخلق البشرى ومن هنـا يبـدو ان الحيـاة البيولوجيـة (Buzima) والحيـاة الروحيـة (Magara) تلتقيـان فى الـكائن البشرى . وليست الحيـاة البيولوجيـة الخالصة هى التى توجد داخل الانسـان وحدها دون الظل ، وعمليـة الالتقـاء بين Buzima والـ Magara عنـد الكائن البشرى هى التى تميزه فى الواقع عن الحيوان . وعندما يموت الانسان تنتهى حياته البيولوجية كما تتوقف حياته الروحية كذلك ، الا ان شيئا ما أعنى قـوة الحيـاة (Nommo) هى التى تبـقى وهى مايسميها تمبيلز المونتو الاصلى وهى التى تشكل شخصيـة الكائن البشرى أى ان الكائن البشرى الحى Muzima يصـبح كائنـا بشريا مجـردا من الحيـاة Muzimu فالموزيمو Muzimu هـو الشـخص الذى مات . واظننـا الآن قـد أوضـحنا أن الموزيمـا Muzima أى الـكائن البشرى الحى ليس هو الانسـان Muntu وان الميت ليس حيـا ولكنه موجود . وهـذا الوجود المستمر للميت قد عبر عنه الشـاعر الافـريقى بيراجـو ديوب Birago Diop فى قصيدته التى كتبها بالفرنسـية والتى يقول فيها :

استمع الى الاشياء أكثر من الكائنات
صوت النار وهو صـامت
استمع الى صـوت الميـاه
واسـمع فى الرياح
نشـيج النابات
انها تأوهات الذين سلفوا منا
هؤلاء الذين ماتوا لم يذهبوا
انهم هناك فى الظل الكثيف
الاموات ليسوا تحت الارض
انهم فى الشجرة ذات الحفيف
وفى النابات التى تزمجر
وفى الميـاه التى تجرى
وفى المياه الراكدة النائمة
انهم فى الكوخ وفى وسط الزحام
ان الأموات ليسوا أمواتا

*** * ***

هؤلاء الذين ماتوا لم يذهبوا
انهم فى صـدر المرأة
وفى الطفل الذى يبكى ويولول
وفى جذوة النار التى تلتهب .
الأموات ليسوا تحت الارض
انهم فى النار التى تذوب
وفى الحشائش التى تصرخ
وفى الصخور التى تنشـج
انهم فى الغابة : انهم فى المنزل
ان الأموات ليسوا أمواتا ..

عن كتاب مونتولجان هينز

فهرس مجلة نهضة افريقية

للمقالات والكتاب

Again since the ZNP/ZPPP Alliance always has the interests of Zanzibar at heart it ultimately agreed to the holding of a third election on condition that the British Government fixes the date of Independence of Zanzibar, and in this interim period of preparations the present Responsible Government be granted Internal Self-Government. When the ZNP/ZPPP Alliance put this legitimate demand to the British Government it was Othman Shariff, Leader of A.S.P., who strongly opposed the granting of self-government, followed by independence to the peaple of Zanzibar. He even threatened that if Zanzibar is granted Internal Self-Government now A.S.P. would not be responsible for any repercussions. These actions are clearly those of a paid stooge, and Othman Shariff is Zanzibar's Stooge No. 1. How can any patriot hinder the constitutional progress of his country ? But if the Leader of Afro-Shirazi Party thinks that our patience and restraint are signs of weakness, he is terribly mistaken.

When the Delimitation Commissioner came to Zanzibar to conduct his investigations the A.S.P. leadership hailed it as a great success in their policy. The Commissioner has now issued his Delimitation Report in which he proposed 31 electoral constituencies, instead of the present 23 constituencies. Now that the Report is out the A.S.P. leadership is opposing elections, internal self-government, and independence. The present status quo suits the A.S.P. leadership very well, because they fully exploit to enhance themelves oconomically by deceiving the people. The United Nations Committee of 17 has long ago passed a resolution demanding from the British Government to grant Zanzibar her independence immediately and to make preparations for the holding of new elections on universal adult suffrage. Now of course, the British Government isn't pleased with this resolution, because it is not an imperialist policy to give freedom to subjugated peoples. The recent activities of Afro-Shirazi Party leadership amply show that the A.S.P. is acting according to the innermost desires of the British Government : that is, to delay Independence indefinitely. But whatever the plots now being hatched by the British Government and their despicable stooges, the people of Zanzibar, under the militant leadership of ZNP, ZPPP, FPTU and YOU, shall take their independence by any means, and in the struggle for one's freedom all ways and means are fair. The ZNP, ZPPP, FPTU, and YOU would like the British Government to implement the U.N. Resolution without any further delay. Freedom is our birthright.

SPOTLIGHT on Zanzibar

By A. MAHFOUZ

The Zanzibar Constitutional Conference which took place in London in March-April this year was tragically deadlocked by the foolish insistence of the reactionary pro-imperialist Afro-Shirazi Party on holding a third election before independence, despite the fact that we had two elections only last year, the second of which was marred by massacres and looting perpetrated by the Afro-Shirazi Party (A.S.P.) in collusion with the British colonial administration in Zanzibar. Although all the 68 people who were murdered, the 300 wounded, and the 6,000 refugees, were all members and supporters of the ZNP/ZPPP Alliance, yet this alliance was not deterred or discouraged in its struggle against imperialism. We did not retaliate because that would mean a serious civil war on the islands which would not benefit anyone but the imperialists. Our main objection to holding a third clection was its security implication and we were convinced that the A.S.P. wanted to adopt delaying tactics in our demand for immediate independence.

The ZNP/ZPPP Alliance placing the interests of the country first, proposed to resolve the constitutional deadlock by suggesting to form a Coalition Government with A.S.P. Besides other constitutional advantages, we offered the A.S.P. 3 portofolios out of 8, with the power of veto in the Council of Ministers. The A.S.P. admitted that our proposals were well-balanced, but they just simply "didn't want to be with us in a coalition government". With the British Government's determination to keep us in perpetual bondage, we considered that the only short-cut to independence was a coalition government which would be a nucleus to the overall national unity. But the A.S.P. were adamantly opposed to all this unity and freedom. Their only demand was election, it wasn't even self-government or independence. They went all the way to London to demand yet another election. Isn't it a shame ? The result of all this obstinacy of a spoilt child was that the Zanzibar Constitutional Conference failed to achieve any substantial results. The British Government, however, conceded to A.S.P.'s demand of having a delimitation Commissioner brought to Zanzibar to make new constituency boundaries in preparation for the third election.

ting restrictions, the most vicious of which is the pass system, which sends hundreds of thousands of the sons & daughters of our beloved country to jail every year.

All doors for peaceful co-operation between black and white have been slammed by a fascist regime which not only denies basic human rights to the African people, but makes the most savage attacks on their political organisations and every peaceful struggle for political power by Africans.

Lastly, the struggle of the African people for national emancipation takes place against the background of a rising volume of world criticism and condemnation and of the hostility of an African Continent sweeping rapidly to independence. But we face a strong and powerful enemy, consisting of a substantial and permanently settled white population with a flourishing industry and commerce. Its privileged position and interests are protected by a colour-indoctrinated and well-equipped army and police force whose hands are dripping with the blood of innocent Africans killed in the course of legitimate and peaceful political struggles.

These are the basic features of our situation. These are the conditions under which we wage battle and seek to win our objective of lasting peace and happiness for our people.

These conditions determine our policies and programme of action, our slogans, our strategy and tactics. Success in our struggles will be attained only if we correctly analyse our own situation and work out appropriate slogans and forms of action. Our slogans must be determined not by our desires and emotions only, but also by the strength and capacity of our own forces.

The fact that our slogans and programmes of action express the demands and aspirations of the overwhelming majority of the country's citizens means that we have a vast potential which, if properly organised, aroused and drawn into the scope of our operations, could grow and develop into a mighty political force capable ot halting and subduing the reactionary forces of the Government. It means that in spite of the present strength of the country's army and the frantic efforts made by the Verwoerd regime to increase its numerical strength and to improve its equipment and training, the popular forces will certainly defeat the racial policies of the Government and gain political power.

But the great size of the White population in South Africa, the privileged position it has enjoyed for three centuries, and the growing strength of the White Nationalist Party as shown by its victories in recent Parliamentary elections-all this means that the struggle ahead may be long, hard and bitter.

The struggles of the A.N.C., past and present, as well as its demands and slogans, must be seen in the light of these important factors.

and parry the onslaughts of the enemy.

1. Our Struggle is Determined by Local Conditions

It is impossible to appreciate correctly the policy of a political organisation and its programme of action, its slogans and perspectives, and the means it adopts to achieve its objects without fully grasping the circumstances under which that orgnisation wages its political battles. One must be thoroughly familiar with the essential factors that influence the political, economic and social life of the country in which the organisation operates, the attitude of its people and the actions of the ruling power, as well as the strength of the forces of reaction as compared with that of the popular forces.

Programmes of action, resolutions and slogans, however, revolutionary they may sound, will remain meaningless if they do not accurately reflect our own specific situation, and if they are not inmplemented in practice. Moreover, whilst it is profitable for us to study closely the experiences of countries that have successfully fought for and gained their independence, or that are on the verge of doing so, it is extremely fatal for us to apply these lessons blindly without weighing them carefully against our own peculiar conditions.

2. The Situation in Our Country

South Africa has a total population of 16.000.000 made up as follows: 11.000.000 Africans, 3.000.000 Whites,1.500.000 Coloureds and 500.000 Indians.

State power is monopolised by whites. No African may be a member of Parliament, the Provincial or Municipal Councils. None may become judges, magistrates or prosecutors. Africans are not allowed to become members of the armed forces nor may they carry firearms.

Eighty-seven per cent of the land is owned by Whites and the Africans are crowded into the remaining thirteen per cent.

Two-thirds of the African population lives in wretched poverty and misery on White farms and in congested reserves, oppressed by heavy taxation, ravaged by malnutrition and disease, and suffering the evils of land hunger. The remaining one-third forms part of the country's urban population but is equally poverty-stricken, and is subject to various forms of persecution and repression. Among many disabilities suffered by Africans is the prohibition, imposed by law, against their owning immovable property or having business premises in the towns.

It is also by operation of the laws of the country that Africans are held as a reservoir of cheap labour and the backbone of the country's agriculture, commerce and industry. The gold mines, for example, which are owned exclusively by white interests and which employ about 400.000 Africans at disgracefully low wages, are the life-blood of the country's commerce and industry and exercise a tremendous influence on state policy.

Africans are subjected to numerous crippling and humilia-

concept of oneness among the people. In later years it mounted powerful mass campaigns which shook the country from top to bottom, caused panic in government circles and resulted in a wave of acts of persecution and repression that culminated in its being declared an unlawful organisation in April, 1960.

At the time of its proscription, the A.N.C. had been tempered in the course of struggle and was as hard as steel. It had become the corner-stone of the national liberation struggle in South Africa, completely dedicated to the task of winning the freedom of the African people, and ready and willing to fight to the bitter end however difficult the conditions might be, and however high the price. Instead of dissolving, it went underground.

A political party is invincible if it is able to preserve its organisation in the face of the most savage attacks by the government of the day; if its branches and members are capable of functioning even when the organisation operates illegally and from underground; if its policy and programme of action remain ever dynamic and popular with the masses of the people; if it is defiant to authority and consistently wages vigorous mass struggles, undeterred by threats of criminal prosecution and heavy sentences of imprisonment, deportations and other forms of political persecution. Such is the A.N.C.

The freedom flames it kindled during the past 48 years still burn most fiercely in the hearts of hundreds of thousands of African homes and families throughout the country. Today the A.N.C. is recognised and accepted as the country's most powerful African political organisation and the most decisive factor in South Africa's political situation.

Barely six months after the A.N.C. was banned. its leading members, acting jointly with members of other African organisations, took the initiative in mobilising massive opposition to the tyrannical policies of Verwoerd Government, and in developing a series of actions, culminating in the general strike on 29-31 May, 1961, which, because of the unprecedented scale on which it had been organised and the tremendous support it drew from the masses of the people, completely overshadowed the Government's planned Republican celebrations and seriously disrupted the country's commerce and industry.

Above all, the A.N.C. is the only national mass organisation in the country that has survived its ban and that is rapidly mastering the art and skill of operating underground. It continues to lead and guide the African masses in their heroic struggles against racial discrimination and economic exploitation. It has never ceased for one single moment to keep the flag of freedom flying and to inspire the African people with complete confidence in the final triumph of their cause. The A.N.C. is, indeed, the sword and shield with which the Africans strike mighty freedom blows

The Sword and Shield of the African People

The African Natioual Congress, the sword and shield of the African people in South Africa, was declared illegal in April 1960. It had then a registered membership of 120.000 with 120 branshes throughout the country. This number excludes many thousands whose membership lapsed automatically when the government banned the organisation in 1957 as a result of the mass unrest and disturbances in Zeerust, Sekhukhuniland, Rustenburg and other rural areas.

For forty-eight years the A.N.C. has stood out as the country's most powerful and fearless exponent of the political ambitions and aspirations of the African people. It fought consistently for national emancipation and stoutly resisted every encroachment on the rights of the African people.

Its formation on January 8, 1921, marked the birth of a nation whose foundations were laid in a stirring call by Dr. P. Ka I. Seme, later to become its Treasurer-General, when in an article written in 1911, he declared :

"The demon of racialism, the aberrations of Xhosa—Fingo feuds, the animosity that exists between Zulus and the Tongas, between the Basuto and every other Native, must be burried and forgotten... . We are one people. These divisions, these jealousies, are the cause of all our woes and of all our backwardness and ignorance today."

The inaugural conference was attended by leading chiefs from the Union and the Protectorates, by tribesmen unschooled, unsung and unknown to one another, by intellectuals and churchmen such as Sol. T. Plaatjie, Rev. Ngcayiya, Dr. D. L. Dube, S. M. Makgatho, Dr. W. B. Rubusana, C. Mabaso, D. S. Letanka, Dr. P. ka I. Seme and T. M. Mapikela-to mention only a few, and by representatives of wide variety of local organisations.

They all assembled in Bloemfontein to declare for the unity of the African people, and to plan strategy for the fight for national liberation. The African National Congress was to be the expression of African nationhood, the symbol of African unity, the mouthpiece of the oppressed people and the instrument for their national emancipation.

Throughout the 48 years which preceded its ban by Dr. Verwoerd's government, the A. N.C. endeavoured, with varying success, to fulfil its historic mission as conceived by its founders. In the early days of its history it engaged the forces of reaction in spirited, if spasmodic, skirmishes and worked ceaselesslly to consolidate the

line of the first Prime Minister of the Congo, Patrice Lumumba, who proclaimed the programme of building up the Congolese cooperative agriculture and national industry. In it the U.S. leaders saw the "infiltration of communism". This led to the arrest of Lumumba in January 1961 by Tshombe's men, with open connivance on the part of certain people from the Central government.

Since that time the sine qua non of solving the Congolese problem put forward by the U.S. is eradication of Lumumbism in the Congo. The Americans support only those Congolese leaders who fully agree to these conditions. The antinational mania of the United States has long since stopped being a secret. It is this mania which, probably, is the chief reason why already over two years conditions for the country's development have not been normalized in the Congo.

The efforts of the Americans did not lead to the eradication of Lumubism. It is at their insistence that for almost a year Lumumba's successor Antoine Gizenga has been languishing in prison while all nationalistic organizations are being persecuted. Since the Summer of the current year, the Congolese nationalistic organizations have been showing a tendency towards unification. This tendency is viewed by the U.S. State Department as a threat to the realization of the U Thant plan along the lines determined during its elaboration.

Apparently, one of the recommendations given by George McGhee is an old thesis on the necessity of eradicating Lumumbism. At any rate, a new campaign has been started in the Congo of late aimed at persecuting the members of the nationalistic parties largest political party, the National Congolese Movement (MNC) founded by Lumumba had been arrested. Also under arrest are several ministers, deputies and senators of the Congolese Parliament who had criticized the U Thant plan.

On October 10, at Ngili airport was arrested Chairman of the MNC Cristoph Gbene, former deputy Prime Minister and Minister of Internal Affairs in the Adoula cabinet, on his return to Leopoldville after a month's tour of the United States. In violation of basic laws Gbene was sent to prison with no charges presented to him whatsoever. Since he is a member of Parliament, Gbene enjoys parlimentary immunity. In protest of this illegal arrest Gbene went on hungerstrike.

The drawn-out crisis in the solution of the Congolese problem unveiled many of its genuine causes. The newly independent African states are openly against the obstinate policy pursued by the U.S. in the Congo, a policy which is being prompted by their selfish interests for the sake of which they use the UN administration and troops there. There is a growing impression that the creation of a viable Congo would have been completed long ago with the assistance of the friendly African states, without the interference on the part of colonial powers and their allies.

THE CONGO
WHEN WILL THE CRISIS BE SOLVED ?

Over two months have elapsed after the much publicized U Thant plan for the Congo had been made public and advertised as a panacea for solution of the Congolese prodlem. The plan, however, did not justify the hopes pinned on it : the internal political crisis in the Congo deepens still further.

The failure of U Thant plan, whose real author is the U.S. the failure of the American policy in the Congo seriously compromises the United States in the eyes of the Africans. In view of the Congressional elections in November, the Kennedy government takes energetic measures so as to find a way out of the difficult situation which obtains in the Congo today. It was in pursuance of this particular aim that on Kennedy's personal orders, the Deputy Secretary of State for Political Affairs George McGhee visited Leopoldville where he met with the Congolese leaders, the head of UN administration in that country and conferred for several days in Elizabethville with secessionist Tshombe. McGhee is expected to submit a report on his trip to the President with proposals on the further political course to be followed by the Uuited States in the Congo.

It is clear already now, however, that McGhee's safari did little to change the U.S. political line in the Congo. In point of fact, the Belgian and British companies there engaged in the extraction and processing of copper in the mineral-rich Katanga province and which, incidentally, pratically own the latter, came to the conclusion, a few weeks following the declaration of the Congolese independence, that under the centralized government, their interests may be strongly infringed upon.

Therefore, the Belgians and especially the British organized the secession of Katanga with "their man" Tshombe as its ruler. Since that time Tshombe has become invulnerable to the UN troops or the central government army, Further more, the entire UN operation in the Congo, as well the steps taken by Adoula's government face complete failure, while the Katanga province is flourishing and its army steadily increases under the command of white mercenaries.

In the period preceding the appearance of the U Thant plan, U.S. diplomatic circles thoroughly prepared the public opinion in London, Brussels and Paris. The British and Belgian governments guaranteed their support to the U Thant plan. The Union Miniere du Haut Katanga, however, stood its ground and Tshombe is still adamant in his actions.

There is another techy facet to the Congolese problem. Both in the central government and in the Parliament as well as in the state organs of the majority of provinces great weight is carried by nationalists who are inclined to pursue the political

ZAPU
MUST CONTINUE TO EXIST!

Joshua Nkomo (Exerpts from his speeches & statements)

"If the people of Algeria went through all the annihilation and torture at the hands or the French and succeeded, we shall also go through it unless we are made of different material".

"Banned or not banned, the Zimbabwe African Peoples' Union must continue to exist in any form determined by us to be desirable. Brethen ! You must be prepared to defend your birth right to rule yourselves even if it means arrest, imprisonment or massacre".

"I make it clear to Britain and the settler element in Southern Rhodesia that our objective is immediate emergence of Southern Rhodesia into a free and independent African State where all men shall be equal; and whose government shall be based on the principle of One-Man One-Vote. There are three ways by which this can be achieved: (a) by negotiation, (b) by bringing about a complete economic breakdown or (c) by bloody revolution. Which ever of these ways shall be used for the realization of the people's objectives shall depend on one country and one country alone — Britain. We have done everything in our power to negotiate in London and Salisbury. Having failed there, we have evoked the good offices of the renowned World Organisation, the United Nations. It is now left to Britain, and Britain alone, as to whether she shall use this opportunity given to her by the United Nations through our efforts which are prompted by the spirits of good-will and co-operation. If Britain fails to heed the advise of an organisation of which she is a founder member, then Britain must take the full responsibility if events should lead to frustration that may plunge the people in desperation to use the last two methods mentioned above".

FOR IMMIGRANTS

Crown land is land which is lying fallow and is advertised overseas (to attract immigrants) as land that is unoccupied because there is too much land in Southern Rhodesia, and yet Africans are land-hungry.

Many Africans live on European farms. These "squatters" have to work for a number of days in the month to pay for their stay on the farmer's land — just like in the feudal days of Europe.

EXHORBITANT RATES

In Urban Areas Africans cannot own land. All Africans have to lease living quarters at unbelievably exhorbitant rates — from £ 1 to 36 per month — considering that the average earnings of an urban African are about £ 6 per month, while the average earnings of an urban European are £ 90 per month.

FORCED TAXATION

Taxation of Africans by the all-white Government is resented, and of late the army has had to be used to collect these taxes — and there are many of them : Head tax, bicycle tax, dog tax, Council tax, cattle tax and a host of others.

WELLING UP

When to all the foregoing is added the fact that there is much land that is lying fallow, having been purchased from the Government by speculators in Britain, it will be clearly seen how the white man has introduced thorns into Southern Rhodesia; how the African is gradually being forced into a cul-de-sac; & how inevitably bitterness is welling up in his breast.

through the regular injections they receive from the government Veterinary Department against the will of the owners Africans are forced to sell their stock to white farmers to avoid "overcrowding"; cattle die through regular dipping enforced in accordance with Government decree against the will of the people; the local Native Commissioner and Land Development Officer lay down innumerable rules and regulations to harrass the people as required by the Govenment.

CAN BE MOVED

If the Africans happen to be on well-drained land that is good enough to become Europeanowned, they are moved at random to poorer land; if there is any mineral found in an Africon area, they are moved unceremoniously (mostly at the point of a gun); Africans are not allowed to grow good money-earning crops like Turkish tobacco.

PURCHASE AREAS

A few Africans who have undergone a special training and happen to have the money may lease land of up to 200 acres, no more, for a specified probationary period, after which they may or may not be allawed to buy the land. Needless to say that these areas are poorly drained and sandy or unhealthy. All the other rules and regulations imposed upon the Africans on Reserve land still apply.

EUROPEAN AREAS

Although the European settlers constitute less than one-twelfth of the total population of Southern Rhodesia they own 75 per cent of the land — the richest, best-drained and healthiest. The settler land owners hold up to 6,000 acres each ; they rear as many cattle as they wish; they can indulge in mixed farming, which Africans are forbidden to undertake; they draw assistance from the Government in the form of longterm loans; they may impound any stray cattle from the African area and either charge a fee (usually £ 5 per head) for their recovery, or add them to their own stock; they may fence the rivers and force the neighbouring Africans to pay for watering their cattle, although legally — in theory — all river water is public property (the Africans are usually required to work for a specified number of days on the white man's land every month as payment in kind).

COOPERATIVES

The Europeans do not have to be trained before they can run farms. All rural whites are free to join any party, while rural Africans may only join European-led parties or else have nothing entirely to do with politics. Settler farmers market own co-operative societies and association, while Africans can only market their grain through the Grain Marketing Board, which fixes the prices (all the cash from African marketing is handled by Government-sponsored co-operatives, and consequently large sums of money wind up in Government coffers).

Land Monopoly in S. Rhodesia 75 per cent owned by settlers

by Jaramogi Mutakose

"We create our own troubles" — Godfrey Huggins... How "many true a word in that little jest" !

Indeed the white man has created his own troubles in Central Africa.

BEGGARDOM

When the white man came to Southern Rhodesia, the black man's wealth was vested in his cattle and land. The black man had neither the wish not the need to work for anybody. This made the settlers decide to create conditions under which the African would need to sell his labour — hence the enactment of the Land Apportionment Act and the complementary Land Husbandry Act, which have gradually but very consistently forced the African from his independence, self-sufficing position towards beggardom.

Under the foregoing legislation, land distribution in Southern Rhodesia is as follows :

RESERVE LAND

The majority of rural Africans live in "Reserves" in tribal communities. Each family is issued with 6 acres of land by the settler government. These 6 acres are held at the government's pleasure and are never increased with the growth of the family (this is intended to force the youth into tthe towns to glut the labour market).

TSETSE INFESTED AREAS

The Reserves are all the most unproductive and unhealthy parts of the country — mealies can grow up to above ten feet in European areas, while in Seke Reserve the best crop is about two feet; Wankie Reserve is tsetse-infested. The number of cattle an African in the reserve can own is strictly according to the whims of the local government official — the Native Commissioner — who is, incidentally, the people's worst antagonist. Some people own 4 cattle, others 2, the majority none. Africans are not allowed to rear sheep, goats, donkeys — in fact most of the farm animals.

AVOIDING "OVERCROWDING" ?

These same Africans used to own herds of hundreds to thousands of cattle before the advent of the settler; they used to till the best land at will. But now some herds were simply seized by European farmers ; the newcomers; cattle are still being killed out by lack of pasture and water; cattle die

CHAPITRE PREMIER.

QUALITE DU MEMBRE DE L'UNION SOCIALISTE ARABE

Article 1. — La candidature à l'Union Socialiste Arabe est ouverte à tout citoyen des forces populaires actives aux conditions suivantes :

A) Qu'il soit ressortissant de la RAU.

B) Qu'il soit âgé au moins de 18 ans et qu'il ait droit de vote.

C) Qu'il soit un citoyen intègre, non exploiteur et qu'il n'ait fait l'objet d'aucun jugement entâchant son honorabilité.

D) Qu'il ait foi dans la Charte et qu'il s'engage à travailler au sein des organisations de l'Union Socialiste Arabe dans le dessein de réaliser ses obectifs.

E) Qu'il présente une demande écrite pour faire partie de l'Union Socialiste Arabe.

Article 2. — pour être membre de l'Union Socialiste Arabe, il est tenu de remplir les conditions méntionnées dans l'Article précédent, conditions qui se détaillent comme suit :

A) Etre membre actif, c'est à dire jouissant du droit d'éligibilité au sein de l'Union Socialiste Arabe et le droit d'élire les membres de ses formations, qu'il s'acquitte des droits de cotisations fixés par la commission exécutive supérieure.

B) Etre membre adhérent c'est à dire, qui a le droit d'élire les membres des formations de l'Union Socialiste Arabe, sans jouir du droit d'éligibilité.

Les membres actifs sont choisis parmi les membres adhérents suivant les décisions statutaires prises par la commission exécutive supérieure de l'Union Socialiste Arabe. Cette même commission fixe également les statuts des membres adhérents.

Article 3. — La demande d'adhésion à l'Union Socialiste Arabe doit être présentée à l'organisme populaire dans lequel le candidat travaille ou bien dont il relève ou bien dans l'unité de base dans la circonscription de laquelle se trouve sa résidence ordinaire.

— S'employer à instituer des relations saines entre les organisations de l'Union et le peuple travailleur.

— S'employer à trouver des solutions aux problèmes des masses.

— Maintenir l'élan révolutionnaire auprès des masses.

— Tenir les masses de la réalité des choses.

— Ne pas imposer son autorité ou se targuer de supériorité auprès des masses du peuple travailleur.

— Reconnaître les erreurs et s'employer à les redresser.

* * *

SES OBLIGATIONS

— Constituer une force positive chargée de donner une impulsion à lœuvre révolutionnaire.

— Assurer la protection des principes et des objectifs de la Révolution.

— Elimination des séquelles du régime des capitalistes et des féodaux.

— La lutte contre l'infiltration de l'influence étrangère.

— La lutte contre l'infiltration de la réaction, qui a été déjà détrônée.

— La lutte contre l'infiltration de l'opportunisme.

— La lutte contre le négativisme et le déviationnisme.

— Prescrire l'improvisation dans le travail national.

— L'Union Socialiste Arabe qui représente l'autorité du peuple sera responsable de la direction, de l'orientation et de la supervision au nom du peuple, alors qu aux conseils syndicaux et populaires est dévolue la tâche d appliquer la politique tracée par l'Union Socialiste Arabe.

— L'Union Socialiste Arabe n'est pas appelée à se substituer aux syndicats, aux coopératives et aux formations de jeunesses, mais elle utilisera ses organismes de la façon prescrite par la Charte nationale pour la poursuite de sa mission et la réalisation de ses objectifs.

— A travers ses organisations de l'Union Socialiste Arabe, à tous les échelons, la Charte Nationale, qui est la doctrine politique de notre révolution et le principe révolutionnaire de notre socialisme, trouvera sa voie pour son application pratique.

* * *

— L'Union Socialiste Arabe, en assumant son rôle de direction et ses responsabilités d'avant-garde, la tâche de sauvegarde des garanties octroyées par la Charte, en exerçant ses fonctions conformément aux normes démocratiques et en tant qu'émanation du peuple représentant ses aspirations et exprimant sa volonte, le principe de la suprêmatie de la volonté du peuple se trouve être ainsi réalisé en même temps que sera consolidée la base essentielle des principes démocratiques et politiques, qui prescrit que la démccratie, dans l'acceptation socialiste, doit être un instrument et un but pour la lutte nationale.

peuple, pour que la Révolution procède par le peuple quant à ces méthodes, et pour le peuple quant à ses objectifs et à ses buts.

— Réaliser une révolution sociale qui est la révolution du peuple actif.

— Promouvoir les possibilités du développement révolutionnaire au profit du peuple.

— Protéger les garanties, décidées par la Charte, qui sont :

— Garantir le minimum de représentation pour les ouvriers et les cultivateurs dans toutes les formations populaires et politiques à tous les échelons, de telle sorte qu'il a été tenu compte dans l'organisation de l'Union Socialiste Arabe elle-même, que la proportion des travailleurs et cultivateurs soit au moins de 50 pour cent, eu égard au fait qu'ils représentent la majorité du peuple, qui a été privée pendant longtemps de ses droits fondamentaux.

— Le principe du commandement collectif.

— Le renforcement des organisations coopératives et syndicales.

— Affirmation du droit de critique et d'autocritique.

— Transfert des pouvoirs de l'Etat progressivement aux Conseils élus.

* * *

LES PRINCIPES DU TRAVAIL

L'Union Socialiste Arabe constitue le cadre politique général de l'oeuvre nationale. Son organisation s'étend à toutes les forces populaires qu'ils soient des paysans des travailleurs, des soldats, des intellectuels ou le capitalisme national, sur la base d'un engagement au travail dans une coopération étroite aux différents échelons depuis la base de l'organisation, Jusqu'au commandement collectif.

Afin de permettre à cette organisation populaire de réaliser ses objectifs, les relations entre les membres, ou bien avec les organisations desquelles ils dépendent, réclament une série de principes et d'idéaux afin que l'Union Socialiste Arabe aille positivement de l'avant vers ses objectifs révolutionnaires.

Les principes fondamentaux sont les suivants :

— Le respect par la minorité de la volonté de la majorité afin d'éliminer toutes possibilités de dictature dans les formations de l'Union.

— Gagner la confiance du peuple par la persuasion. Cette confiance est la voie qui amènera les masses à se soumettre aux décisions de leur commandement, obéissance qui n'est pas engendrée par la peur, mais qui est le fruit de la persuasion. Elle n'accorde pas au commandement, à quelque échelon qu'il appartienne, des droits acquis qui ouvrent la voie à des dictatures au sein de la formation de l'Union.

— La discipline et l'obéissance dans les relations entre le commandement et l'avant-garde socialiste. Avoir des dispositions au sacrifice et à l'abnégation, et persuasion des masses.

LA LOI STATUAIRE

DE L'UNION SOCIALISTE ARABE

L'Union est l'avant-garde socialiste, qui dirige le peuple, exprime ses volontés, oriente l'action nationale et effectue le contrôle de sa marche, selon les principes de la Charte. ... ...

Ses buts sont de réaliser une démocratie saine, une révolution socialiste et de protéger les garanties décidées par la Charte

L'Union est le cadre politique, qui comprend l'ensemble de l'oeuvre nationale pour toutes les forces populaires, des paysans. des ouvriers, des soldats, des intellectuels et du capital national.

La qualite de Membre de l'union. L'organisation Générale, détaillée A L'Echelle Nationale.

La loi statutaire de l'Union Socialiste Arabe a été promulguée. Cette loi comprend neuf chapitres, outre l'avantpropos et les objectifs.

Le premier chapitre porte sur la qualité de membre de l'Union; le second, sur l'organisation générale de cette Union; le troisième, sur les organisations de l'Union des unités principales; le quatrième, sur les organisations des villes. des kisms, ou des organismes populaires dont chacune comprend plus d'une unité principale; le cinquième sur les organisations des markaz; le sixième, sur les organisations des gouvernorats; le septième, sur les organisations populaires; le huitième, sur les formalités organisatrices; et enfin le neuvième, sur les dispositions générales.

Depuis la Révolution du 23 juillet 1952 et son attachement à ses six principes et l'évolution de la lutte du peuple en un système socialiste d'après la promulgation des décrets de juillet 1961, les divers étapes de cette lutte ont rendu nécessaire la formation d'une organisation populaire, qui est l'Union Socialste Arabe afin qu'elle puisse sauvegarder les six principes de la Révolution et s'élancer vers de plus grands objectifs qui ont été établis par la Charte.

— L'Union Socialiste Arabe est l'avant-garde socialiste qui dirige le peuple, exprime ses volontés et oriente l'oeuvre nationale et exerce un contrôle effectif sur sa marche, selon une ligne saine sous l'égide des principes de la Charte.

— C'est le centre ou viennent converger les revendications du peuple et ses besoins.

— L'Union Socialiste Arabe en tant qu'organisation populaire politique groupe les forces populaires actives. et représente la coalition de ces forces au sein de l'Union Nationale.

* * *

ses buts

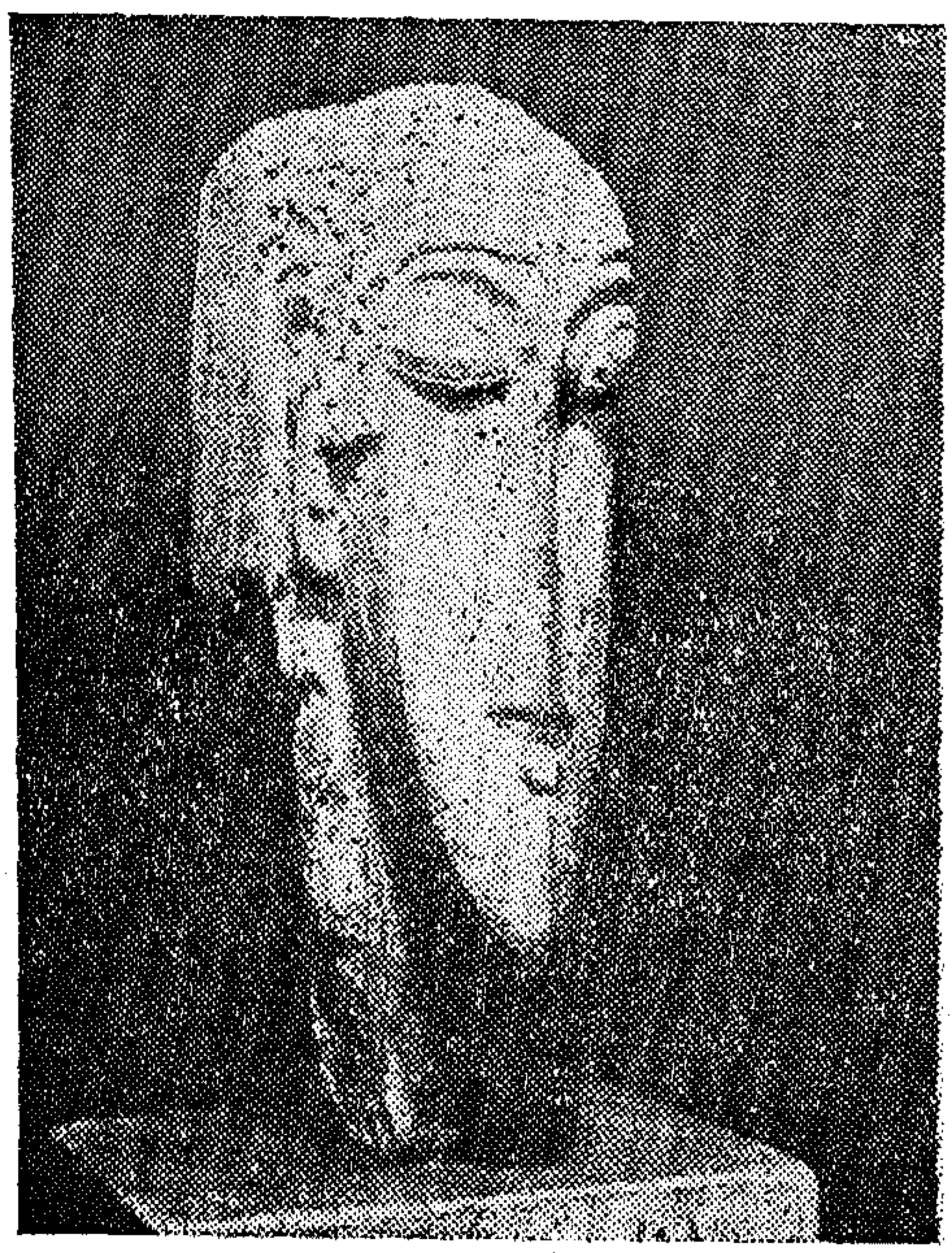
— Réaliser une démocratie saine par le peuple et pour le

Yet it would appear that very few African Trades Union leaders are broad-minded enough to appreciate such a revolutionary ideal. And this is precisely why the T.U.C. in Southern Rhodesia is painfully split up into two ideological groupings : The majority, led by Thomas Mswaka and Josias Maluleka strongly favour affiliation with ZAPU and the All African Trades Union Federation. This is the wing that called for last month's strikes.

CLINGING TO FOREIGN DOCTRINE

On the other hand a disappointingly confused syndicate, led by worn-out trade Unionist Reuben Jamela still cling to the doctrine of International Confederation of Free Trades Unions that, for obvious reasons, oppose political affiliation. It is therefore not strange that the ICFTU never uttered a single word of protest when workers were massacred in Southern Rhodesia, not even crocodile tears were shed to express "solidarity with our brothers in Southern Rhodesia".

This cannot go on. It cannot be tolerated if the wellbeing of the African worker has to be brought about. It is obvious that people like Jamela are self-seeking fellow travellers. They never were working in the interests of the people. Kicking them out immediately is the only answer.



oneself as a "Vagrant". Under the Vagrants Act (1960) the settler Government can arrest any African for being unemployed. Thousands of African youths that get dismissed from employment for nothing else but their political convictions end up in the forced labour Concentration Camps. They are said to be "undergoing some special training as decent citizens" !

Industrially, Africans are at the mercy of the ruthlessly anti-African white employers. They can be summarily dismissed from their jobs at the master's will. In any case this does not alter anything so far as the capitalist is concerned. All he needs is to drive to a Labour Exchange Bureau to bring truckloads full of hungry Africans, desperately prepared to enter employment of any nature even if it means only getting food as an alternative form of remuneration. This misfortune plays directly into the hands of the white capitalist who uses this advantage to dismiss any African worker that strikes for better wages.

BRUTAL FORCE

It might be asked whether African workers in Southern Rhodesia are well organised into Trade Unions. Of course they are. But the question is : Can the African Trade Unions successfully bring about any far reaching drastic changes to improve the well being of the African worker under the apparently ruthless and suppressive measures to which the settler minority regime resorts to silence wage demands by Africans ?

The practice is to use brutal force as the alternative argument against increases in African wage; and one of these days the gallows will be the last argument. For the kind of regime you have in Southern Rhodesia is a Government of the Settlers by the Capitalists for the Settlers. These believe that force — and brutal force — will help bring about a truce between the capitalists and their African employees. But in 1962 this belief sounds like nothing more or less than a reactionary utopia.

These are only a despairing handful of the mountain of facts as they are. But the African worker cannot continue to live with merciless exploitation in the country of his own birth. If these conditions continue to prevail, it is also true that blood will continue to be shed until the battle is completely won. Then can the exploiters learn that theirs has been a discredited fight from the very start.

VITAL

There is one way out of the mess : African Trade Unions must necessarily become part and parcel of the liberation movement. The basic aim must be the immediate achievement of political emancipation, economic problems will automatically be solved by the peoples own government and not by a fear-ridden settler minority whose salvation depends on limiting African wages so they do not acquire the vote.

even if made of sticks, mud and grass, but they are not allowed to do so because the Municipalities want them to reside in specially designed slums and therefore be compelled to pay rents. There is no African who can stay indefinitely in the houses owned by the Government Municipalities which rent them to the capitalist employers. The employers avail them to their African employees on condition that they vacate them upon leaving employment. So the African is virtually a vagabond whose time is mostly spent on thinking of what might happen to him the next day.

"UNDESIRABLE" CONTACT

African residential areas are deliberately situated miles and miles away to avoid "undesirable" contact between the "less civilized black savage" and the white setttler who claims to have inherited thousands of years of Western Civilization. Daily transport to work leaves the African worker with 35 per cent less of his monthly income — the miserable £ 7.

Few Africans can afford bicycles, let alone other quicker means of travelling, because they are too expensive for one whose existence is solely dependent on the meagre £ 7.

Can these people leave the towns and do something worthwhile in the remote rural areas? This is practically impossible. The rural areas are even more overcrowded because three million Africans are deliberately concentrated on 25 per cent of the Colony's land — mostly sandy, rocky and therefore unproductive — while the remaining 75 o/o of the Colony's richest land is either monopolised by tummy-protruding multi-millionaires living in faraway Britain. Lords Home and Salisbury, share between them, not less than a third of the Colony's total land area. But, part of the land is left uncultivated for sale to European Farmers from the Apartheid Republic of South Africa and settler refugees running away from an Independence fever in Kenya and comfort-seeking refugees from West Germany.

Plenty of other land lies in abeyance for other capitalist usage like wild game reserving and settler holiday resorts while Africans loiter the streets and the countryside in a state of imposed beggardom.

This state of affairs has only helped increase crimes among the African youth. They cannot be blamed if they went out looting and housebreaking because circumstances force them to do so in order that they might earn a living.

"SPECIAL TRAINING" ?

... Africans residing in urban areas do not, by law, have access to land ownership, in fact there is no African who owns land. And, immediately Africans leave the rural areas to look out for jobs in towns they forfeit their rights of residence in the rural areas and vice versa.

All this brings about a deplorable situation where hunger drives these Africans to sign labour contracts with the European farmers and miners. This is done to avoid identifying

WHY AFRICAN WORKERS ??? IN SOUTHERN RHODESIA REVOLTED?

The 7,000 African workers or Southern Rhodesia : All they want are decent lives and better houses for themselves and their children. This is what they labour for under unbelievably humiliating conditions. Yet for registering their complaints against below-the-bread line wages they earn and appalling working conditions, these people — thousands and thousands of them — had to be tear-gased, machinegunned and murdered in broad-daylight by the Southern Rhodesia Settlers' regime last month.

All that these people want is to have a chance to live a normal happy life & create a prospective future for their children. Yet asking for this means getting thrown out of the little-paying jobs, getting shoved into prisons even getting massacred. And all this is done in the name of Democracy !

LEADERS IMPRISONED

...This is the grim picture of the situation in Southern Rhodesia which focuses into stark reality after examining the facts that led to last month's brutal shootings of innocent men and women, the unceremonious dismissal of many from their jobs and the arrest of tens of thousands that were claimed to have organised the strikes. These include Trades Union Congress President, Thomas Mswaka, Secretary General, Josias Maluleka and several other Executive members.

The settler Government of Southern Rhodesia has done all it could to hide these hard facts. But the world deserves to know them.

This month Zimbabwe news puts before the world the facts about the sorry situation with which our African workers are put up.

The average African wages are a miserable £ 7 per month. From this amount he has got to pay £ 2 rent for a single room in which he and his wife and children must together reside. The children must go to school if a bright future is to be prepared for them at all, under these difficult circumstances. Food is too expensive, but the £ 7 is expected to cater for all these essential needs. There is also the problem of clothing.

GROUPED IN SLUMS

Africans are grouped like animals — five or eight of them, married or single — in a single room with their wives and children.

African "houses", rightly bungalows have no bathing facilities, no toilets, nor electricity, because, it is said, these are too expensive for the Government. These unhealthy overcrowded African Slums have no beds, and as a matter of course Africans have to put up on a hard dusty brickfloor.

Africans naturally would prefer to build their own houses

The Origin of DEATH

The Moon, it is said once sent an insect to men, saying, "Go to men and tell them, 'As I die, and dying live; so you shall also die, and dying live".

The insect started with the message, but, while on his way, was overtaken by the hare, who asked, "On what errand are you bound ?"

The insect answered, "I am sent by the moon to men, to tell them that as she dies and dying lives, so shall they also die and dying live".

The hare said, "As you an awkward runner, let me go."

With these words he ran off, and when he reached men, he said, "I am sent by the moon to tell you, 'As I die and dying perish, in the same manner you also shall die and come wholly to an end'."

The hare then returned to the Moon and told her what he had said to men. The Moon reproached him angrily, saying, "Do you dare tell the people a thing which I have not said ?"

With these words the Moon took up a piece of wood and struck the hare on the nose. Since that day the hare's nose has been slit, but men believe what hare had told them.

Return

by
ABIOSEH NICOL
Sierra Leone

UP-COUNTRY

Then I came back
Sailing down the Guinea coast,
Loving the sophistication
Of your brave new cities:
Dakar, Accra, Cotonou,
Lagos, Bathhurst, and Bissau,
Freetown, Libreville Freedom is
Go up-country, they said,
To see the real Africa.
For whomsoever you may be,
That is where you come from.
Go for bush-inside the bush
You will find your hidden heart,
Your mute ancestral spirit.
And so I went,
Dancing on my way.

dustrial enterprises is a far more important factor for consideration than the construction statistics.

But yet another aspect is partly responsible for the worldwide interest the High Dam has aroused. And that is, what it represents in intangible terms, for it is an undeniable fact that it has become, not only for the U.A.R. but for every developing country, the symbol of successful struggle against overwhelming odds a memorial to determination to triumph. President Gamal Abdul Nasser, in one of his speeches, said: "Monuments are built by nations to commemorate their great victories. We consider the High Dam the monument commemorating the Arab battle... It is a living symbol not a mere structure of stones around which bouquets are laid on certain occasions. It represents a new life and a driving force towards our evolution... It serves as an everlasting reminder to us that with strong will and inflexible determination, anything, no matter what, can be achieved."

No one who has followed the development of this project can deny the fact that it has become a symbol of the nation's will and resolution. Six years ago it was given little chance of materialising. Loans promised by the United States and Britain were, on account of political considerations, abruptly withdrawn, and in the wake of this the World Bank declared itself unable to help with the financing. In dark days the project did, indeed, seem doomed. But the big powers, who hoped by their action to keep Egypt in a state of servility, reckoned without the tenacity of its leaders. How Egypt turned to the Soviet Union for aid and financing is now a matter of history, just as is this country's inflexible will to determine its own future and overcome all obstacles.

Since that time, since the failure to deflect Egypt from its purpose of strengthening its economy and making possible the country's emergence from an agricultural state to an industrial power, those who withdrew their support have not ceased to insinuate that the work on the High Dam is meeting with increasing difficulties. But this can be dismissed as wishful thinking rather than actual fact. This much can be seen from the observations of the foreign press representatives who have been invited to make an on-the-spot study of the progress of work on the occasion of the fourth anniversary. Without exception, they have been impressed by the progress and they found little doubt in the minds of anyone connected with the undertaking that the dam will be completed on schedule.

The truth is, there is nothing whatsoever to justify the suggestions of certain sections of overseas opinion that the work is encountering handicaps, and for critics to cling to the delusion that somehow or other expectations will not be fulfilled is to deny the determination and resourcefulness of a nation that has already proved itself well endowed with these attributes.

HIGH DAM

The High Dam, where work this week enters its fourth year with due celebration, has been subject of comment comparable in volume to the waters it will harness. It is no exaggeration to say that no undertaking of its kind has aroused wider interest, has been more profusely discussed or watched by so many hopeful and speculative eyes. The reasons for this are not hard to pinpoint. Dimensionally and logistically speaking it is a tremendous undertaking : a 3,600-metre long wall with a base thickness of 980 metres constructed of 42.7 million tons of materials to form a lake containing 157,000,000,000 cubic metres of water : removal of close to nine million tons of earth and rock for the diversion canal; a labour force of close to twenty thousand, to be increased to twenty-three thousand this year; installation of twelve of the world's most powerful generators capable of producing one thousand million kilowatt/hours of electricity, and the erection of a massive network of power lines, all at a cost of L.E. 213 million.

Fascinating as the figures are, however, there are other, more compelling reasons for the popular interest the project has evoked. Those who know the Nile, its benign and malignant moods and the country's great dependence upon it, are less intrigued by the formidable statistics than they are by the effect the completed project will have on the U.A.R.'s economy and future prosperity. And rightly so, for the idea of this vast wall arising across the broad reach of the river, retaining more water than ever before in Egypt's long history, storing the surging spate alike with the slow trickle, providing a barrier not only against the Nile but against the misery and hunger and inundations resulting from its indiscriminate moods which can bring drought or deluge, must stir the most infertile imagination. The harnessing of the Nile to bring perennial irrigation instead of basin irrigation to 700,000 feddans of land, to enable reclamation and irrigation of an additional million feddans and provide plentiful power for the country's rapidly expanding in-

where he made straight for the only library in the town once owned by a missionary organization. He was astonished to find only pencils, ink-pots, writing pads and pieces of translation into the languages of the tribes from the Holy Book, out of all " means of knowledge".

The missionaries who sowed the word Modokoro to create chasm between north and south had remained for 60 years scattering seeds of hatred in the parts of the one land. They even - under the British control- riceived subsidies got from the northern tax-payer to carry out sabotage.

With the advent of the July 23 revolution in Egypt, and when the revolutionists held out a helping hand to their fellow-brothers in the south, the missionaries forgot all differences between them to stand in one line against unity & liberation movement. They also drove the "primary" school graduates to form parties & bodies for fighting against unity, backing the colonists and for urging the primitive tribes onto deeds of murder, plunder and sabotage. These measures reached their climax in the incitement to " race annihilation " and " high treason".

Despite the shameful record of the missionary organizations, governmnt acted tolerantly and discreetly after independence. It also attempeted to calssify the religious and educatinal activity carried ont by these missions in the government general framework. That meant the subjection of this activity to the national guidance & supervision.

It also made for the stopping of the secret efforts against the free north, which worked for the possession of the south. Yet, the missionaries revolted against the new northern regulations, but the Sudanese government applied its laws and exercised its "right of soverignty" over its lands and banished every out-law missionary.

The wronged-missionaries' cries, as well as those of the lured from among the people of the south; who carried arms against the government and made for the Congo and Uganda; could be heard out of the Sudan. These shouts rose in an organised propaganda against the government charging it with " religious fanaticism and "violation of liberties in the south"...

We - as Africans - cannot "account for the situation" in which a missionary from Boston, London, or from Amesterdam, speaks for some Sudanese people. And since when, the governments to which they belonged - namely, governments of the U.S.A., England and Holland - could be regarded as models worthy to be followed for "racial understanding" and " religious tolerance ".

Kamel Abdel Meguid

Khartoum, Sawaken, Juba and Torit fortifications to dominate thesources of the Nile valley.

It was not until after a few years had passed following the " British existence " in the Sudan, that the revolution broke out and the forces of Mohammed Ahmed "El Mahdy' beheaded Gordon in Khartoum.

After a lapse of a few years, Britain made use of the " Khe dive of Egypt" as a "cat's paw" to return to the Sudan whereby Kitchner mercilessly revenged on the Sudanese patriots and laid down - the basis for a policy to cut the Sudan off from Egypt. That policy culminated in the conspiracy of the Sir Lee Stack murder in 1924. The murder had been used as a justification to stop the brotherly relations between the Egyptians and the Nile valley people.

The British rulers had realized - through experience - that the people of the north Sudan having enough caution, fervour and religion to kindle in them the flame of revolution - would not stand still any longer in face of the British occupation, hence the British policy planned to divide the Sudan itself into north and south.

The south was in their viewpoint, an easy victim, for its plain people - who had been isolated by certain circumstances, for centuries from the sources of civilization - live in rich spacious lands extending from "Elgabalain", near Kosty, to "Mongala", which over looks Uganda; a distance of about 100 Kilometers all along the Nile course.

Barriers were set up on the "Hegra" highway, then on transport roads used by the inhabitants of the north in their moves southward, to carry out this policy. Government communications means were limited to methods dealing with out-of-way slow steamers, starting fortnightly from Kosty and covering the distance to Juba in fifteen days.

" Legal barriers " were also founded between north and south. The British administration passed a law termed " The closed district ord", which-practically - made of the south a "foreign country" requiring the Sudanese coming from the north to hold a visa to pass through.

Meanwhile, the gates of the south were widely opened up before the foreign missionaries who flocked from Europe and America for the " conversion " of the southern heathens. Thus, they exploited their missiom to turn astray the thoughts of people far from " liberty, wealth, civilization and human relations".

The writer of this word has been to Juba ten days - before the independence of the Sudan..

into one "basket" instead of picking it in bundles-met with U. Thant's sincere plan to unify the Congo.

U. Thant, being a liberal Asiatic, intended to unify the Congo - even by force - in fulfilment of the U.N. and the Security Council's resolutions, in an attempt to satisfy the world conscience.

The U.S.A. meant to swallow the whole congo — as quickly as possible — for it is the heart of the African Continent. Moreover, it can be used as a spread centre, in the form of a fan embracing the four corners.

It was not before long that America laid down all the huge transport possibilities — added to the latest weapons and ammunition — in the service of U. Thant.

The felonies of "Tshombe's gendarmes", in Elizabethville, contributed towards the kindling of the first sparkle, the flame of which has stretched to the south and to the east, making Tshombe flee and get back again repeatedly, till the "small partners" made sure of America's determination on the unity of the Congo. Thus, they gave in and advised thier "agent" to "swim in the current, at least so as not to be drowned".

The central government sent her officers and officials to Katanga — together with a permament minister in Elisabethville — to realise the Congo unity in the general world mould, in a form the lines of which are similar to those aimed at by Lumumba, yet thoroughly different in spirit. By Tshombe's defeat, the power of "Old imperialism" has been dispersed, but yet, Lumumba's disciples still envisage a prolonged conflict against "Neo colonialism".

THE MONDOKORO QUESTION

The Mondokoro question started by a word... a word made prevalent by the British administrators and missionaries in the southern Sudan to effect rifts between north and south.

The word "mondokoro" means "slave-kidnapper" in the Denka tongue. The British colonist administrative & religious bodies concentrated their efforts on the making of this word - among the Sudanese southern tribes - a significant mark of every northern citizen. That was part of the general comprehensive war; planned by the prophets of British imperialism — to sever the upper part of the nile valley from the liberated Arab influences, with the aim of annexing it to the 'once' British possessions in Kenya, & Uganda.

By the end of the last century, the British went to the Sudan - as administrators - putting on fezes, under the pretence of serving the Nile valley people in power at Cairo.

When the English occupied " Egypt " they infiltrated into the leading positions in the army. The same thing happened in the joint Sudani Egyptian army, and the British made of

system, broadcasting station, air fleet and "allies" from among the big powers and the neighbouring colonies.

The worst part in it was that the U.N. played the spectator after it had "nailed tha first peg" into the body of the Congo through the agreement made by Hammerskjold — Tshombe, which spurred Lumumba to cry out "We and Africa had been betrayed by Hammerskjold".

It is funny to know that the U. N. forces, which the Security Council had decided to send to the Congo "to Maintain the independence of the Congo and the unity of its lands" "respected" the independence of Katanga. However, their headquarters dispersed their forces in the Congo prairies to protect the foreign feudalists and strenghen their dominance over the Congolese labourers and farmers.

At the time when the liberated African countries had lost hope of persuading the U. N. to use its forces for the execution of the Security Council resolutions, they started to withdraw their forces out of the Congo. The separatist current was growing more strongly owing to its concord with the aims of the greatest colonialist countries.

The separation of Katanga served the Belgians, as it was easier for them to dominate a limited area - comprising the whole land - than try to rule over the United Congo which is 77 times as big as Belgium itself.

The separation of Katanga - under the rule of a tool - was also on behalf of Britain to make a barrier of it between the African liberation currents - coming from the north - and the "great" remaining rest of the British colonies extending from the Rhodesias to Basutoland, the farthermost south.

Britain, too, had borne in mind, the safeguarding of the interests cherished by the English shareholders, in the companies of the "Union of High Katanga", against the national winds blowing in the direction of "AFRICANIZATION" & Nationalization.

As regards the policy of the greatest partners in "the western alliance"; i.e. the U.S.A it backed the separation of Katanga to facilitate the swallowing of the big Congo "in successive turns". The U.S.A. was the state that had been & still holds the reins of the U.N. movements in the Congo. Its government has contributed to convey the international forces it had been decided to send to the Congo from their lands. It monopolized - afterwards - the transport of these forces into the Congo lands, and had complete control over the U.N. "operations" in the country and shackled the movements of the forces within the frame of the American policy.

About a year ago, it happened that the "greatest partner" has changed its Congolese tactics, paving the way - as it seems - for the general American strategy in Africa that aimed at "inheriting" the old shattered empires.

This change of policy - that aimed at gathering the Congo

Talk

OF THE

MONTH

The run of events in the Congo, during the last two months, took a course contrary to that of the last two years. The Separatist bent had dominated since the adversary powers could depose then annihilate Patrice Lumumba, the Prime Minister of the Congo & smash down his followers & upholders.

In 1960, at the time of Lumumba's deposition & the siege of his house, the Congo unity question faced unrestrained storms. Yet Lumumba's firm faith inspired hope in the hearts of the national Congolese and Africans. It also kindled their imagination to fancy a "decisive round" out of which the Congo people may emerge triumphant by unity, following the first run starting in January 1959 and ending by snatching away independence.

This imaginative visualisation was justifiable in that "Magic Power", through which Lumumba had swept away his Belgian antagonists and their train, both at the negotiations table in Bruxelles (Autumn 1959) and in the general parliamentary elections (Spring 1960).

However, the assasination of the "Magic Man" by the separatists of Katanga baffled the hope in unity in a way as to smash it down, were it not for the "Salomo" cries in Stanleyville and Guizenga's domination over the "Eastern Region".

Through the dark waves that prevailed in the Congo after Lumumba's murder and the fomation of Guizenga's government, the lights of hope in unity were diminishing incessantly.

The "Central Government" ruled over the Region of Leopolaville and parts of Kassai and the tropical region.

Kalongi declared the establishment of the "Metal Country" south to Kassai, wore a "lion's mane" and appointed a "page" to "salute" people for him.

The whole eastern part, and parts of the "tropical region" were in the hands of Guizenga's government.

Although Tshombe could never - at any time - hold sway over the whole of Katanga, yet, he was able to set up a "Country-frame" in the southern part, exploited by the 'Mining Union' with an army of its own, money

NAHDATU IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness

2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.

3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits.

The subscribers have the right:

1 To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.

2. To make use of the services rendered by the magazine Executive Committee, as far as possible.

---

* Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.

* It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

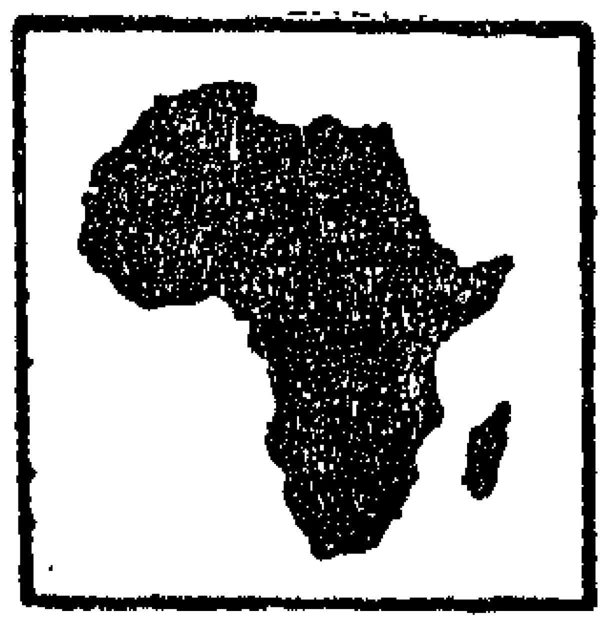
Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah Magazine.

27, 'Abdel Khaliq Sarwat St., Cairo
United Arab Republic.
Phone : 46273

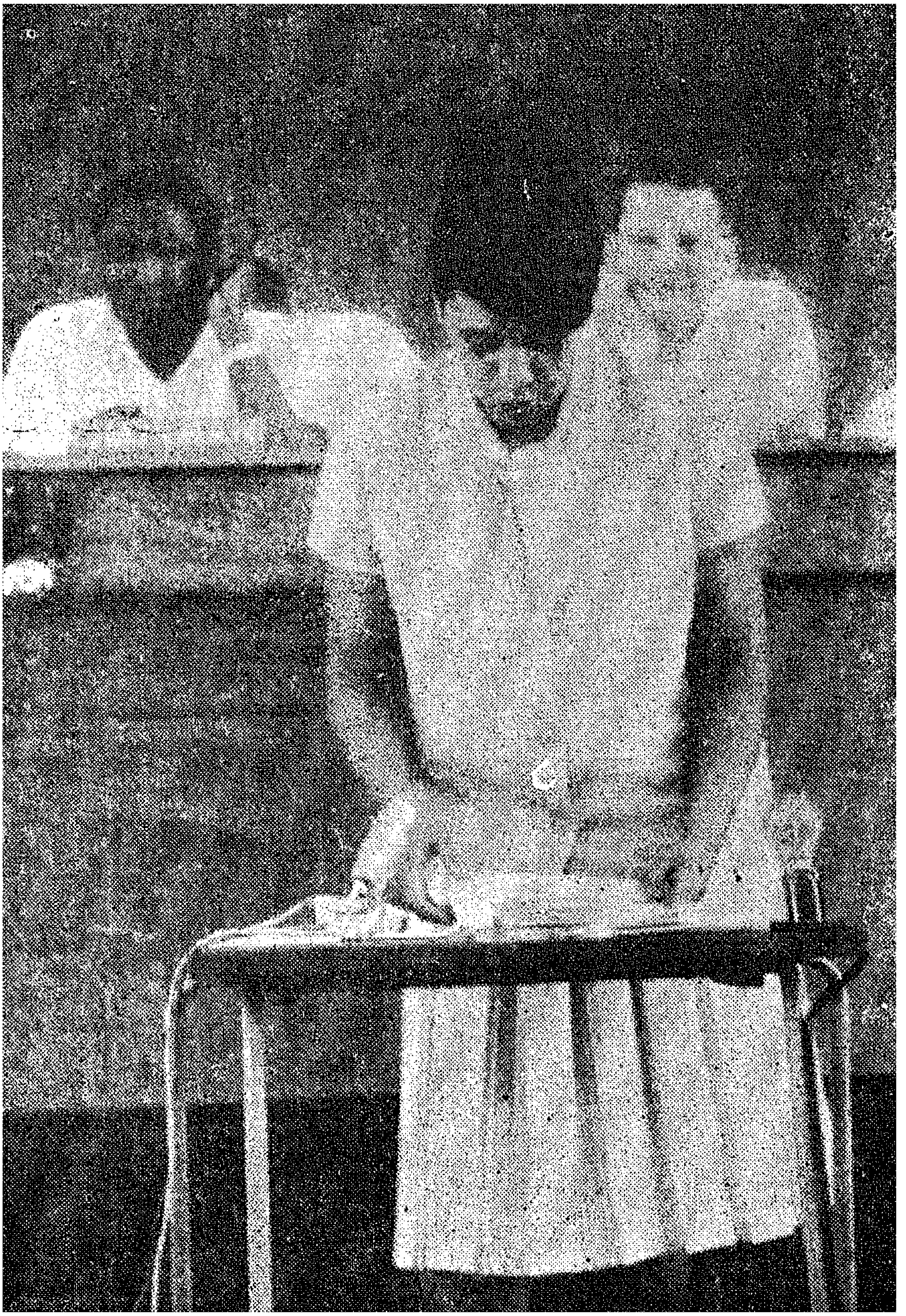
Subscriptions should be sent to:

Dar Akhbar El Yom for distribution
7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.



Nahdatu Ifriquiah
A monthly Magazine
for
African Culture

Editor in Chief
M. ABD EL AZIZ ISHAK

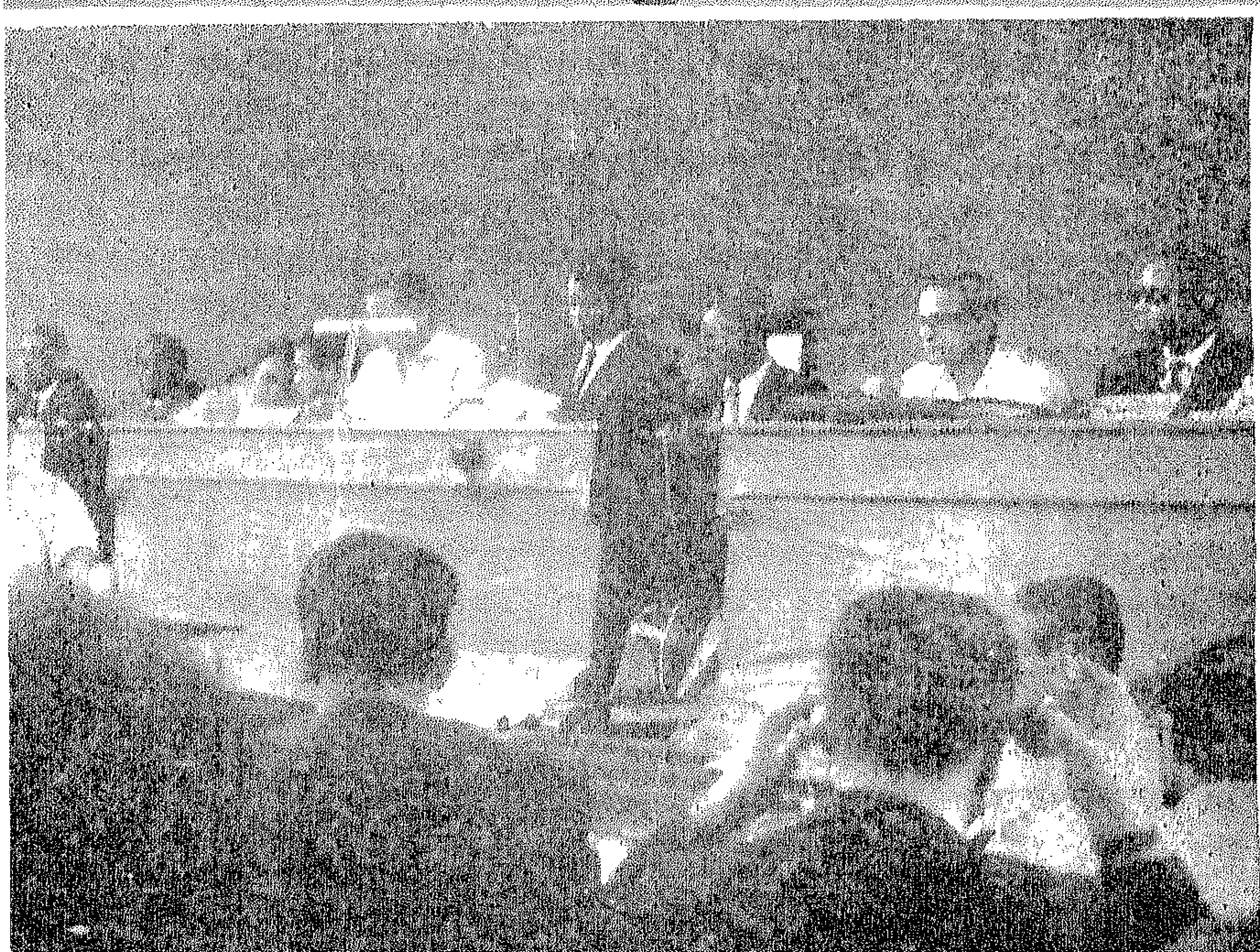


مواطنة من غينيا البرتغالية تخطب فى مؤتمر ((موشى))

A LADY FROM PORTGUESE GUINEA ADDRESSES

ISSUE No. 61 - SIXTH YEAR - MARCH 1962 - PRICE 3 P.T

RENAISSANCE OF Africa



TSHOMBE UNDERGOING OPHTHALMIC TREATMENT

العدد ٦٥ السنة السادسة - ابريل ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

نهضة افريقية



سوق الثقافة الافريقية



« الرئيس جمال عبد الناصر يصافح السيد رشيد كواوا
نائب رئيس جمهورية تنجانيقا »

نهضـــــة افريقيـة

تهدف هذه المجلة الى :

١ - تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٢٧ شـارع عبـد الخالق ثروت
تليـفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربيـة المتحـدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبـار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى ان تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ..

شاهدت القاهرة عدة أفلام عن افريقية ، منها أخيرا فيلما ((هاتارى)) و ((الاسد)) .. وافريقية فى هذه الافلام الامريكية ليست سوى ((خلفية)) تمثل الصحراء الشاسعة، والغابات العجيبة ، والقبائل ذات التقاليد المتخلفة .

والفيلم الأخير مع أنه يعرض حوارا ذكيا فى بعض المواقف الا أن هناك بعض جمل مسمومة كقول أحد البيض ((انها افريقيتى .. أنا لا أرضى عنها بديلا)) !!

ومع أن افريقية لا تأخذ موقفا حادا من الرجل الأبيض الا اذا كان خطرا عليها ، الا أن ورود مثل هذه العبارات على لسان مستوطن أبيض فى مستعمرة قد يسىء الى القارة !! كما أن تركيب قصة استعراضية لا تنبع من واقع البلاد وظروفها يشبه ((زهرة الداليا)) وسط غابة يحكمها التوتر والخوف والحركة كما يحكمها الصمت فى بعض الأوقات .. ثم ان افريقية لم تعد صحراء وغابات ، وقبائل كل ما يصدر عنها غريب ، ذلك لأنها تسير الآن فى طريق ((علمانى)) .. انها كنياتاوسيكوتورى ونكروما ونيريرى .. انها البعث الذى يشد قامة الانسان المعاصر .. انها طريقة جديدة فى التفكير والمحافظة على السلام .

ولعل هذا دليل آخر على أن افريقية يجب أن تكتشف من جديد بوساطة أبنائها لا بالمادة العلمية فقط ولكن بالقصيدة والقصة والمسرحية والفيلم ، وأعتقد أن جزءا من هذا العبء يقع على عاتق الجمهورية العربية المتحدة ، وبخاصة وزارة الثقافة والارشاد القومى .

عبده بدوى

فهرس العدد (٦٥)

صفحة

سوق الثقافة الافريقية

بقلم محمد عبد العزيز اسحق

فى الوقت الذى تتركز فيه الاضواء على السوق الاوربية المشتركة التى تحاول أن تحتفظ بالجانب الاكبر من القارة الافريقية فى دائرة نفوذهـا وتستمر فى اتخاذ هذه القارة ، حتى بعد استقلال أكثر أقطارها ، مصدرا للمواد الخام ومجالا لتصريف المنتجات الصناعية الاوربية ، وتضمن للمستثمر الاوربى الحديث نفس ثمرات الاحتكار والاستغلال الاستعمارى القديم ، نود أن نلقى ضوءا على سوق أخرى كانت عقول السكان فى هذه القارة مجالها ، وأعنى بها سوق الثقافة والتعليم .

ولم يكن من المصـادفة أن يزرع المستعمرون الاوائل فى التربة الافريقية بذرة الثقافة الاوربية اللاهوتية الى جانب بذرة التجارة الاحتكارية ، فقد كان احتكار الثقافة ، واحتكار التجارة هما الدعامتان اللتان استند عليهمـا الاسـتثمار الاوربى ونما وترعـرع وانشب بهما جذوره فى عقول الافريقيين وانظمتهم ومجتمعـاتهم بحيث أصبح من العسير منافستها أو اقتلاعها

ولا نود الآن أن نعود الى الجذور الثقافية اللاهوتيـة الاولى التى جاءت الى السواحل الافريقية منذ القرن الخامس عشر ولكننا نود أن نلقى عليها نظرة شاملة منـذ أن استتب الامر للدول الاستعمارية الكبرى فى افريقيا وحلت محل أسماء الدول الافريقيـة القديمة العريقة أسماء أخرى مهينة : افريقيا الفرنسية، وافريقيا البريطانية ، وافريقيا الالمـانية ، وافريقيـا الايطالية ، وافريقيـا الاسبانية ، وافريقيا البرتغالية .

فى هذه الفترة ، التى تبـدأ ، على وجه التقريب ، من أوائل هـذا القرن ، أخذت جمعيات التبشير الأوربية فى انجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا والنمسا تبعث بالرهبـان والراهبات والقسس المتطوعين « لهـداية » الافريقيين « المتأخرين » الضالين .. !

وقد كان المبشر من هؤلاء ، يحمل الكتاب المقدس بيده ويسير فى الادغال ، ومن ورائه شبح الحاكم الاوربى الرهيب الذى ينذر بالقتل والحـرق لكل من يعترض جهـود « مبعوث السماء » وكان « مبعـوث السماء » ، يقيم « مدارس الغابة » ويحشد فيها الاطفال العراة ويضع لهم البرنامج الذى يقضى بتعليمهم القراءة والكتابة والصلاة ، بعض الوقت ، ويدربهم على تمهيـد الأرض فى اقطاعية الارسالية ، وزراعتهـا ذرة وشوفانا وفاكهـة ، وعلى الصناعات اليـدوية من نجارة وحدادة وغزل وحياكة .

وكان دعاة هذه الثقافة اللاهوتية الطارئة على افريقيـا يرمون من وراء جهـودهم الى أهداف منها :

أولها : هداية ((الكفرة)) السود الى الصراط المستقيم والى ميراث ((ملكوت السماء)) . ويترتب على ذلك أن يعتنق الافريقى دين مستعبديه.

فلا يشعر ازاءهم بالكراهية ولاينهض للثورة والانتقاض .

ثانيها : امداد السلطات الاستعمارية بالموظفين المحليين من أنصاف أوأرباع المتعلمين ، الذين ينهضون بالاعمال الروتينية أو الفنية البسيطة بأرخص الاجور .

ثالثها : طبع نفوس الافريقيين بطابع القناعة والزهد في هذا العالم ((المادى)) والتطلع الى ((العالم الاخر)) ، وبهذا يبعد عن ذهنه التفكير ((الاشتراكي)) ويترك المجال لأصحاب الاحتكار والاقطاع .

ولقد كانت أعباء المبشرين الأوائل ثقيلة من الناحية المعنوية ومن الناحية المادية على السواء .

فمن الناحية الاولى كان الافريقيون يتمسكون ويتشبثون بتقاليدهم الاجتماعية وعلى الأخص في شئون الزواج والميراث ، وقد قاوموا المبادىء الجديدة الطارئة مقاومة لم تعبأ أحيانا بالحديد والنار ، وهناك أمثلة كثيرة من المقاومة التى دفعت المبشرين أنفسهم الى التظاهر باعتناق « الأديان الوثنية » التى تعتنقها بعض القبائل والسير فى الطريق « الوثنى » الى أن يمكن التأثير على « الزعماء » وجذبهم ومن ورائهم قبائلهم الى « طريق الايمان » ...

ومن أمثلة ذلك ما فعله أحد الرهبان من ارسالية « أبناء فيرونا » فى منطقة أعالى النيل حينما نظم قصيدة فى مدح « اله الشلك » لكى يستميل الملك ، أو « الرث » ، وأمكن بعد ذلك جذب الملك وأبنائه الى عقيدة الكاثوليك .

وفى بحر الغزال أغضى بعض المبشرين عن عادة « تعدد الزوجات » لاستمالة بعض الزعماء الذين كانوا ينظرون الى المسألة نظرة اقتصادية تتعلق بالخدمة وكمية الانتاج ..

ومن الناحية الثانية ، أى المادية ، لم تكن موارد الجمعيات التبشيرية تسمح بالتوسع فى نشاطها الافريقى ، وفى الانفاق على المدارس وما يحتاجه الطلاب من طعام وشراب .

وقد أمكن تجاوز هذه العقبة بنجاح ،وأمكن أكثر من ذلك جعل المدارس التبشيرية مصدر ربح وايراد ...

فقد كانت البرامج تقضى - كما قدمنا - أن يتعلم التلاميذ القراءة والصلاة ، بعض الوقت ، وأن يشتغلوا بالزراعة والصناعة اليدوية ما تبقى من النهار ...

وكانت النتيجة أن حققت المدارس مرحلة « الاكتفاء الذاتى » فى الغذاء والكساء .

وعلى مر الزمن زاد الانتاج من الحبوب وأشغال الابرة فأصبح يباع لحساب «الارسالية» وأخذت التماثيل وأدوات الزينة من الخشب والعاج تجد طريقها الى المعارض الاوربية ، وفى باريس ، وغيرها من العواصم الاوربية ، يبيع « الآباء » من الجمعيات التبشيرية نتاج عمل « الطالب » الافريقى الذى يعيش فى الغابة على لقيمات من دقيق الذرة ويغطى جزءا من بدنه بشريحة من القماش .

وعندما توطدت دعائم الحكم الاستعمارى ، واستطاعت الادارة الاستعمارية أن تنظم عملية جباية الضرائب على الاراضى وعلى الماشية وعلى « الرءوس » وأصبح لكل مستعمر «ميزانية» يغترف منها الحكام والموظفون الاوربيون ، تطلع « الآباء » الى هذا المورد العذب ، وأخذوا يتقدمون ، كل سنة ، الى حكومات المستعمرات ، بطلبات العون المادى ، وأخذ الحكام يحررون ، مع كل سنة مالية ، شيكات العملة المستنزفة من الدم الافريقى ، على مصارف لندن وروما وباريس ...

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فان «الارسالية» التى فتحت مدرسة ، قد زودتها ، طبعا ، بمعبد للصلاة ، وفى يوم الاحد ، لم يكن الطلاب وحدهم هم الذين يتجهون الى المحراب ، وانما هناك الآباء والامهات الذين أوحى اليهم أن يستجلبوا معهم ما استطاعوا من الهدايا « العينية » .

وهكذا تتم الصلاة ، بعد أن تنتج رزقا موفورا من الدجاج والخراف والفاكهة والنبيذ المعتق المستحلب من أفانين الثمار ولب الاشجار .

وعلى هذا النحو اتسع نطاق الثقافة اللاهوتية التبشيرية حتى غطى أراضى المستعمرات ، وقد بلغ الاتقان فى « توزيع الادوار » بين أجهزة الاستعمار ، أن أكثر حكام المستعمرات ، تركوا ما يسمى بالتعليم الابتدائى كله وأكثر مدارس التعليم الاوسط والتعليم الثانوى ، فيما بعد فى أيدى الجمعيات التبشيرية .

بل ان فى الكثير من الاقطار الافريقية « جامعات » تتبع الارساليات ومنها « جامعة لوفانيوم » فى ليوبولدفيل والكلية الجامعية فى اليزابيث فيل ، والجامعة الكاثوليكية المخصصة للسود والملونين فى «باسوتولاند» .

لقد بسط المبشرون نفوذهم على « سوق الثقافة الافريقية منذ أكثر من خمسين عاما واحتكروه واستغلوه ، معنويا وماديا ، وهناك عند القمة ، اى فى مجال التعليم الجامعى كان الاحتكار فى أيدى ثلاث جامعات وهيئات أوربية هى :

جامعة لندن وجامعة السوربون وجامعة لشبونة وكلية اللاهوت التابعة لوزارة « نشر الايمان » فى دولة الفاتيكان ...

لقد كانت الخطة المرسومة «تبقير» الافريقيين (أى جعلهم كالابقار على حد التعبير الفرنسى) تقضى بالتوسع ، ما أمكن ، فى التعليم الاولى (اللاهوتى) ثم التضييق بشكل حاد ، على التعليم الاوسط ، ثم زيادة الضيق ، بشكل أكثر حدة ، على التعليم الثانوى .

أما التعليم الجامعى فقد كان يخضع « للغربلة والتقطير » بحيث لايتخرج من أى مستعمرة الا عدد تقرره الادارة الحاكمةمقدما، وهو ما تعتبره كافيا لشغل وظائف الكتبة ، ومن يسمونهم « مساعدى أطباء » .

ولكى تتمكن « الادارة » من الحصول على الافراد المطلوبين لخدمتها كانت تطلب الى الجامعة ، فى لندن أو باريس ، على وجه الخصوص لكى تنشىء « مدرسة عليا » قد تتطور تطورا بطيئا الى « معهد جامعى » ثم الى « كلية جامعية » ولم يحدث قط أن تطورت « كلية جامعية » فى بلد افريقى الى « جامعة » كاملة قبل ان يستقل ذلك البلد ويفرض ارادته على مصيره الثقافى بنفسه .

ولقد شهدنا نموذجا لتنفيذ هذه الخطة فى السودان ..

فقد أنشأت الادارة البريطانية فى الخرطوم ((كلية غردون)) على هيئة مدرسة ابتدائيةفى أوائل هذا القرن، ثم طورتها الى مدرسة وسطى ثم الى مدرسة ثانوية ، ثم الى ((كلية وسطى)) ثم الى ((مدرسة عليا)) ثم الى ((كلية جامعية)) ولم تتحول هذه الكلية الى ((جامعة)) تمنح شهادات جامعية الا بعدأن لاح الاستقلال فى الافق

وقد ظلت ((الكلية)) منذ انشائها ((مشدودة)) الى لندن ، وكانت فى جميع مراحل حياتها ، قبل الاستقلال لاتقبل من السودانيين الا من تحتاج اليهم ((الادارة)) البريطانية .

وهكذا كان الأمر فى كلية((اشيموتا)) فى غانا ، وفى كلية ((ايبادان)) فى نيجيريا ، وفى كلية((ماكريرى))فى أوغندا

ولكى نتبين مدى « التضييق » الذى لجأت اليه الادارة الاستعمارية نذكر ان كلية«غردون» التى كان بها عام ١٩٥٠ — فروع للاداب والعلوم والطب البيطرى والطب البشرى والزراعة والهندسة ، كانت تخرج من جميع هذه الفروع أقل من ٥٠ خريجا فى السنة .

وكان تعداد السودان يزيد على عشرة ملايين .

وحتى العام الماضى لم يكن فى وسط وشرق افريقيا « كلية جامعية » (تؤهل للحصول على شهادات جامعة لندن ، الا كلية «ماكريرى» فى أوغندا .

وكانت هذه الكلية ، وما تزال ، هى المنفذ الوحيد لخريجى المدارس الثانوية فى أوغندا وكينيا وتنجانيقا والروديسيتين ونياسا .

وهى تسير على نفس سياسة «التضييق» الخانق الذى سارت عليه من قبل « كلية غردون » والذى تسير عليه «كليةباسوتولاند» والذى تتوخاه ، وضربت فيه الرقم القياسى « جامعة لوفانيوم » فى ليوبولدفيل التى خرجت فى جميع فروعها ثلاثة عشر كونغوليا فى عام ١٩٦١ .

هذه لمحات موجزة عن الجانب التعليمي من « سوق الثقافة الافريقية » الذى احتكره المبشرون وحماتهم ممن اغتصبوا حرية الانسان فى افريقيا ، وهناك الجوانب الثقافية الأخرى التى كانت أيضا محل احتكار واغتصاب .

فقد كانت الصحافة كلهـا تتحدث بلغة الغـاصب والمحتكر ، جميـع الصحف فى المستعمرات البريطانية تصدر باللغة الانجليزية وتملكهـا شركات بريطانيـة ، جميع الكتب المعروضـة فى المكتبات ، اما مطبوعة فى بريطانيا أو تصـدر عن مؤسسات يملكها المستوطنون الاجانب فى «افريقيا البريطانية» .

جميع محطات الاذاعـة فى المستعمرات و « المحميات » البريطانية تملكها وتوجهها الادارة الاجنبية الحـاكمة .... وفى ليبيريا رأينا منذ أعوام محطة الاذاعة ، تملكها وتديرها جمعية دينية تبشيرية .

وهكذا كان الحال فى مستعمرات فرنسا والبرتغال وايطاليا وأسبانيا .

وعندما استطاعت أكثر الشعوب الافريقية أن تحطم قيودها السياسية شعرت أن أمامها مهمة لا تقل خطورة وهى تحطيم قيود الاقتصاد وقيود الثقافة .

وما تزال قيود الثقافة محكمة الحلقات حول التفكير والشعور الافريقى .

لقد صممت أكثر الدول التى حصلت على استقلالهـا على أنه تمسك بزمام التعليم فى بلادها ، ولكن « لغة التعليم » قد ظلت على حالها القديم ، والكتب الدراسية ، ما يزال أكثرها ، وخاصة فى المراحل الاولى على نفس النهج الاستعمارى اللاهوتى العتيق .

ولقد انطلقت بعض الدول الافريقية فى طريق التعليم الجامعى وتوسعت فيـه الى الحد الذى أصبح لنيجيريا مثلا ثلاث جامعات فى مقـابل واحدة قبل الاستقلال ، ولكن جميع الجامعـات الحديثة (فى الاقاليم التى كانت مستعمرات بريطانيـة) ما تزال مربوطة فى منـاهجها وأسلوب التدريس فيها وطرائق امتحاناتها بجامعة لندن وما يزال أكثر أساتذتها الاصليين والزائرين من البريطانيين .

وهكذا القول فى باقى الدول التى كانت أقاليم تابعة فيما مضى لفرنسا والبرتغـال وبلجيكا .

ولئن استـطاعت معظم الدول الافريقيـة المستقلة أن تسيطر على الاذاعات التى كانت بها وتوجهها وجهة قومية ، وتدخل فى برامجها اللغات واللهجات الافريقيـة الوطنية ، الا أن حال الصحافة ما يزال الى حد بعيد على الوضع الذى كان أيام الاستعمار ، وما تزال شركات النشر الاستعمارية القديمة تصـدر الصحف الكبرى والمجلات المصورة فى أنحاء افريقيا ، ومن تلك المؤسسات العتيـدة ، مؤسسة « أرجوس » التى تصـدر عنها أهم صحف ومجلات افريقيا الشرقية والوسطى والجنوبية ، وهى شركة مساهمة يملك الجانب الاكبر من أسهمها صديق قديم وحليف مخلص لبريطانيا هو الزعيم الروحى الباكستانى « أغا خان » .

من ذلك نرى وعورة الطريق الذى يتحتم على الزعمـاء الافريقيين أن يسلكوه ليستخلصوا حقل الثقافة فى بلادهم من النباتات الطفيلية الكثيفة التى تغطيه وتضرب بجذورها فى تربته

ولعل المشروعات الثقافية المتنوعة الشاملة التى أعدتها مجموعة ((دول الدار البيضاء)) التى ترمى الى بحث الحضارة الافريقية واعادة كتـابة التاريخ الافريقى ووضع أسس التعاون التعليمى والفنى بين الدول الافريقية المتحررة ، وتعاون الاذاعات على بث الوعى القومى واحياء الآداب الشعبية ، وانشاء دائرة معارف افريقية ... لعل فى كل هذا ما يمهد السـبيل لتخليص ((سوق الثقافة الافريقية)) من المتـاجرين بعقول الافريقيين ، والمتلاعبين بمشـاعرهم ، والموجهين لطاقاتهم الذهنية الى اهداف انصرافية لاهوتية .

((محمد عبد العزيز أسحق))

الإمكانيات الواسعة في اقتصاد نيجيريا



للدكتور راشد البراوى

فى أول أكتوبر من عام ١٩٦٠ دخل اتحاد نيجيريا فى عداد الدول الافريقية المستقلة ، مع بقائه عضوا فى الكومنولث (البريطانى) ، وهو يطل على خليج غينيا ، أما من ناحية البر فانه يتاخم الجمهوريات الاعضاء فى المجموعة الفرنسية ، وهى داهومى والنيجر وتشاد والكاميرون . ومن الناحية المناخية تنقسم نيجيريا الى منطقتين أساسيتين أولاهما مناطق المستنقعات الرطيبة والغابات الكثيفة فى الجنوب ، والجو هنا يتصف بالحرارة الشديدة ، أما المنطقة الاخرى فعبارة عن سهول الشمال الجافة والحارة أيضا . وترتفع هضبة جوس ، الغنية بالقصدير بنحو ٥٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهى ألطف أجزاء البلاد مناخا . ويشغل نهر النيجر باتصاله مع نهر بنيو المركز الثالث بين الانهار الافريقية ، ولعب دورا هاما فى تاريخ البلاد واقتصادها .

وتعد نيجيريا من أكثر بلاد القارة ازدحاما بالسكان اذ يقرب عددهم من ٣٥ مليون نسمة . غير أن توزيع السكان يتفاوت بشكل واضح بين المناطق المختلفة ، وهذه ظاهرة زاد من حدتها أن التقدم الاقتصادي كان كبيرا بالمناطق الشديدة الازدحام . ففى الشمال مثلا يتركز السكان فى كانو وكاتسينا نتيجة الاهتمام بزراعة الفول السودانى ، وتصل الكثافة السكانية فى بعض الجهات الى ١٠٠٠ نسمة للميل المربع . واجتذب استغلال القصدير الناس الى هضبة جوس وكانت من قبل منطقة من العسير النفاذ اليها . وفى الاقليم الغربى من الاتحاد يشتد الازدحام فى مديرية ايبادان ، وكذلك فى مديريتى أويو وأوندو بسبب زراعة الكاكاو . وتمثل المناطق القليلة السكان أكثر من نصف مساحة البلاد ، وأكبرها « الحزام الاوسط » الذى يمتد الى الشمال والجنوب من نهرى النيجر وبنيو . وترجع قلة السكان الى اعتبارات تاريخية منها الحروب القبلية وتجارة الرقيق ، وانتشار حشرة تسى تسى ، وتمتد المناطق القليلة السكان فى اتجاه الشمال الشرقى الى بورنو نظرا لعدم توافر المياه لاغراض الزراعة ، فى فصل الجفاف . وكثرة المستنقعات فى دلتا نهر النيجر من العقبات الكبرى فى وجه الاقامة والاستيطان .

ومن الظاهرات التى تزداد وضوحا اطراد الهجرة الي المدن ، ومن هذه الناحية يشغل

الاقليم الغربى المركز الاول حيث نسبة أهل المدن على اختلاف أحجامها تعادل أكثر من ٤٨ فى المائة من السكان ، بل فيه ست مدن يربو عدد سكان الواحدة منها على ١٠٠٫٠٠٠ نسمة ، ومدينة ايبادان وحدها تضم أكثر من نصف مليون نسمة .

ومن الزراعة والحيوان يستمد الناس غذاءهم ، وحوالي ٨٠ ٪ من السكان يعيشون على فلاحة الارض والرعى ومنتجات الغابات وصيد الاسماك . وتتركز مناطق الانتاج الرئيسية فى الجنوب والشمال اللذين يفصل بينهما « الحزام الاوسط » الذى يزرع فيه بعض الغذاء الفائض عن حاجة أهله . وأهم المحاصيل الغذائية الجذور والدرنات التى تنمو بالجنوب ، والحبوب فى اقليم السافانا السودانية بالشمال . وتنمو فى الجنوب أيضا أنواع من الاليام والكاسافا ، بينما يزرع الدخن وشعير غينيا بالشمال ، **الا أن الملاحظ أن البلاد تعانى من النقص فى الغذاء وبخاصة فى الجنوب ولهذا تستورد مقادير كبيرة من الخارج وبخاصة من البلاد المجاورة ، كما يجرى تشجيع صيد الاسماك . ونظرا لعدم كفاية الارض فى المناطق الشديدة الازدحام يعانى الاهالى من انخفاض مستوى المعيشة ، كما أن عدم توافر الماء فى جهات عدة عقبة كبرى فى سبيل التنمية الزراعية .** وتربى الماشية فى اقليم السافانا السودانية ، ولكن هناك مناطق أخرى تملك امكانيات وافرة فى هذه الناحية ولكنها لا تستغل فى الوقت الحاضر بسبب انتشار ذبابة تسى تسى التى تفتك بالماشية .

وفضلا عن هذا ففى الجنوب محصولان أساسيان وهما النخيل الذى يستخرج منه ومن حباته الزيت للاستهلاك المحلى والتصدير ، ومركزه الرئيسى الاقليم الشرقى ، بينما يتركز الكاكاو بالاقليم الغربى ويخصص للتصدير . وثمة محصولان نقديان آخران ينموان فى الشمال وهما الفول السودانى والقطن ، وتبذل الان جهود واسعة من أجل التوسع فى زراعة القطن لسد حاجة صناعة الغزل والنسج الاخذة فى النمو . وهناك محاصيل أخرى لها قيمتها فى اقتصاد المناطق التى تنتجها ، ومن ذلك الذرة والارز وقصب السكر والطباق والمطاط والموز والفواكه . وفى الوقت الذى تعتمد فيه بلاد عدة فى القارة الافريقية على محصول رئيسى واحد للحصول على العملات الاجنبية والسلع والخدمات اللازمة من الخارج ، كما هو الحال فى غانة مثلا ، فان صادرات نيجيريا من الغلات الزراعية ومنتجات الرعى تتميز بالتنوع ، كما يتضح من الارقام التالية . ومع هذا فان نيجيريا تشترك مع غيرها من البلاد الافريقية الاخرى من حيث الاعتماد على تصدير المنتجات الاولية التى تخضع لتقلبات الاسواق العالمية التى تتحكم فيها أساسا الدول الصناعية الكبرى .

المحاصيل	**مقدار الصادرات بالالف طن (عام ١٩٥٨)**
الكاكاو	٨٨
حبات النخيل	٤٤١
زيت النخيل	١٧١
الفول السودانى	٥١٣
القطن	٣٤
المطاط	٤٢
الموز	٨٦
الجلود	٧٤

وتسير نيجيريا على سياسة حكيمة بالنسبة الى المنتجات الزراعية الرئيسية حيث تقوم هيئات حكومية بتحديد الاثمان مقدما لكل موسم ، بقصد تثبيت دخول المنتجين ، وحمايتهم من استغلال التجار والوسطاء ، وتكوين رصيد لتعويضهم فى أوقات الازمات أو هبوط الاسعار العالمية .

وتمثل منتجات النخيل والكاكاو والفول السودانى فى حوالى ٢/٣ الصادرات . ونصيب نيجيريا من الصادرات الافريقية حوالى ٥٠ ٪ من حب النخيل ، ٣٠ ٪ من الفول السودانى ، ١٣ ٪ من الكاكاو . غير أن المحافظة على مستوى الانتاج من المحاصيل النقدية والسير به قدما يتطلب اتخاذ اجراءات عدة وبدأت الحكومة فعلا فى تنفيذها ، ومن بينها :

(أولا) زراعة اشجار جديدة من الكاكاو

اذ المعروف أن نضج شجرة الكاكاو يستغرق بين ٥ ، ٦ سنوات ، وعمرها حوالى ٢٠عاما ، ولكن هذا يقتضى الاخذ بنظام المزارع الحديثة الكبيرة أو تطبيق نظام التعاون بين صغار المنتجين وهم الاغلبية الساحقة ، كما لا بد من بذل الجهود للقضاء على المرض الذى يصيب هذا النبات ، وهو المشكلة التى تواجه غانة أيضا .

(**ثانيا**) الملاحظ حتى الان أن معظم أشجار نخيل الزيت تنمو بريا ، ولهذا يجب وضع سياسة جديدة لزراعتها فى مزارع كبيرة وحديثة . ولا بد كذلك من رفع كفاءة الاساليب المستخدمة فى استخراج الزيت ، لان معظم الاساليب الحالية بدائية وهذا يؤدى الى فقد جزء طيب من المحصول ، كما أن الزيت يفتقر الى النقاوة . ولا شك أن الاهتمام بهذه الناحية يؤدى الى نشاط هذه الصناعة فى البلاد ويؤدى كذلك الى قيام صناعات أخرى ترتبط بهذا المحصول .

ولما كانت البلاد تعانى من النقص فى الغذاء لهذا يتعين الاسراع بتنفيذ مشروعات الرى فى المناطق المعرضة للجفاف وبهذا يتسنى استغلالها فى انتاج المحاصيل الغذائية حتى تنعم البلاد بالاكتفاء الذاتى . وهذه السياسة لا تتعارض اطلاقا مع سياسة تشجيع المحاصيل النقدية لان المناطق التى تعانى من الجفاف فى بعض أوقات السنة لا تستغل بالدرجة الكافية الان بالرغم من خصوبة التربة . وفضلا عن هذا يتعين اتخاذ التدابير العملية السريعة لتطهير البلاد من حشرة تسى تسى حتى يزيد الانتاج من الماشية . ويعترض البعض على هذا بأنه يتكلف نفقات طائلة لا تبرره ، ولكن هذا الانفاق سوف يعود على البلاد ومعيشة أهلها بعائدات أعظم بكثير من التكاليف .

وتغطى الغابات ثلث المساحة الكلية تقريبا ، غير أن ٧/٨ مساحة الغابات عبارة عن أجمات السافانا التى تنحصر أهميتها الاقتصادية فى كون أخشابها مواد للوقود وعمل الفحم النباتى ولاغراض البناء . وتتعرض مناطق الغابات للتناقص بسبب قطعها لاستخدامها فى الوقود وهذا ما يجب الحيلولة دون الاستمرار فيه ، مع اتباع أساليب ومعدات حديثة فى قطع الاخشاب ونشرها وتهيئتها للاسواق سواء لاغراض الاستهلاك المحلى أو التصدير . ولا بد أيضا من وضع سياسة لغرس الاشجار ذات الاهمية الاقتصادية بالنسبة الى الاسواق العالمية . ويلاحظ أن الاقليم الشرقى غنى بالغابات ولكن حال دون الاستفادة منه عجز وسائل النقل ، ومن هنا تبدو أهمية قطاع النقل بالنسبة الى التنمية الزراعية فى نيجيريا .

ولا زالت حقيقة الثروة المعدنية وامكانياتها فى حاجة الى المزيد من أعمال البحث والتنقيب . وتحتكر نيجيريا معدن الكولومبيت ، حيث تنتج ما يقرب من أربعة أخماس الانتاج العالمى ، كما أنها تشغل المركز السادس من بين الدول المنتجة للقصدير فى العالم . ويوجد هذان المعدنان مرتبطين كل منهما بالاخر فى هضبة جوس ، الا أن القصدير يصدر على هيئة خام وبخاصة الى انجلترا ، ومن هنا نرى لزاما على البلاد أن تقيم صناعة محلية لصهر هذا المعدن . وتعتبر نيجيريا البلد الوحيد فى غرب افريقية من ناحية انتاج الفحم الذى تقدر المدخرات منه بحوالى ١٤١ مليون طن . وتوجد أربعة مناجم على مقربة من أنيجو ، بالاقليم الشرقى وتتولى تعدينه « شركة فحم نيجيريا » المؤسسة فى عام ١٩٥٠ ، وأعلى رقم وصل اليه الانتاج كان مليون طن تقريبا فى السنة ، الا أنه لا ينتظر التوسع فى استخراج الفحم نظرا للزيادة المطردة الان فى انتاج البترول .

وأصبحت نيجيريا الان رابع بلد أفريقى ينتج البترول . وبدأ البحث منذ أكثر من ربع قرن على يد شركة شل / النفط البريطانية التى تملكها مناصفة شركتا رويال دتش شل والنفط البريطانية . وللشركة الان خمسة حقول تنتج الخام بكميات تجارية ، وهى أولو بيرى ، ايبوبو ، ايمو ، أفام ، وبومو ، والاخير اعظم حقل فى البلاد حيث يغل فى اليوم الواحد نحوا من ٥٠٫٠٠٠ برميل . وقد بلغ الانتاج النيجيرى فى عام

١٩٦٢ الى حوالى ٣٫٥ مليون طن . ومنحت امتيازات فى مناطق عدة الى شركات جديدة ، كما بدأ التقليب فى الاماكن المغمورة .

ولنيجيريا ميزتان على جانب كبير من الاهمية بالنسبة الى الطلب الخارجي على انتاجها ، احداهما القرب من أوربا ، والثانية ضآلة نسبة ما يحتوى عليه الخام من الكبريت ، وسوف يتضاعف انتاج نيجيريا كثيرا خلال السنوات القلائل الاخيرة وخاصة بعد أن يتم انشاء المرافق اللازمة للنقل والتخزين .

وسوف تبدأ نيجيريا الانتفاع بمواردها من الغاز الطبيعى ، وانشئت خطوط لنقله للاغراض الصناعية . وتقرر انشاء معمل لتكرير البترول طاقته ٣٢٫٠٠٠ برميل فى اليوم : عند أليسا ايليم القريبة من بورت هاركورت، على أن يبدأ تشغيله فى عام ١٩٦٤، وتقدر التكاليف المبدئية بنحو ٢٢٫٤ مليون دولار أمريكى ، مع المرافق اللازمة . وللحكومة الاتحادية وحكومات الاقاليم حصة فى رأس المال قدرها النصف، ويقسم الباقى مناصفة بين شركتى شل والنفط البريطانية . وعندما يتم الانتاج التجارى يعرض ٢٠ ٪ من رأس المال على الجمهور فى نيجيريا ، ويصبح التوزيع كالاتى :

الحكومات الاتحادية والاقليمية	٤٠ ٪
الجمهور	٢٠ ٪
شل والنفط البريطانية	٤٠ ٪

غير أن الامل الحقيقى فى رفع مستوى الشعب النيجيرى يتوقف على استغلال الجهود والموارد من أجل التصنيع . والظروف كلها مواتية :

١ ــ تنوع الغلات الزراعية (القطن ، الحبوب الزيتية ، المطاط ، الجلود) والمعدنية وسوف تكشف الابحاث عن موارد جديدة من الثروة المعدنية .

٢ ــ وجود القوة المحركة (الفحم ، البترول)

٣ ــ اتساع السوق الداخلية بسبب عظم عدد السكان .

وتضم البلاد الان طائفة من الصناعات الخفيفة مثل استخراج الزيت من الفول السودانى وثمار النخيل وبذرة القطن ، وعمل المنسوجات وقد أقيم مصنع حديث لغزل ونسج القطن كجزء من خطة مرسومة للتوسع فى هذه الصناعة . ولقيت صناعة الاسمنت اهتماما كبيرا لمواجهة حركة البناء والانشاء . ومن الصناعات التى نشأت فى السنوات الحديثة عمل السجاير (وبخاصة من الانواع الشعبية الرخيصة) والصابون والزبد الصناعى والبيرة والمشروبات الروحية الخفيفة والاغذية المحفوظة والبلاستيك ، وتجميع الدراجات وهى أداة انتقال تزداد انتشارا فى البلاد بشكل واضح .

الا أن تحقيق التصنيع السريع يقتضى توفير عناصر أساسية منها انشاء شبكة واسعة من مرافق النقل ، حيث طول الخطوط الحديدية ١٧٨٠ ميلا فقط ، والطرق البرية المغطاة بالقار لا يتجاوز طولها ٢٥٫٠٠٠ ميل ، وهذا بلد مساحته ٣٣٨٫١٧٠ ميلا مربعا ، والامر الثانى هو توفير الخبرة الفنية ، وهذه الناحية موضع الاهتمام الكبير فى المعاهد المحلية ، كما أن هناك نحو ٥٠٠٠ شاب نيجيرى يدرسون حاليا فى البلاد الاجنبية . أما المشكلة الثالثة فهى تدبير رأس المال اللازم لعملية التنمية الصناعية . ولهذا الغرض اتخذت طائفة من التدابير المشجعة مثل انشاء هيئة الاقراض ، واقامة المناطق الصناعية estates واعطاء الارض لاقامة المصانع عليها بايجار منخفض ، وانشاء المعهد الاتحادى للابحاث الصناعية ، وتكوين مجالس التنمية الاقليمية ، وتشجيع رأس المال الاجنبى ، ومنح الاعفاءات الضرائبية المشروعات الصناعية فى حالة الانشاء . ومن أهم الاتجاهات الحديثة ما عمدت اليه الدولة من المساهمة المباشرة فى عدد من المشروعات الصناعية ، عن طريق الاموال العامة ، وذلك لتعوض النقص الواضح فى التكوين الرأسمالى الناشيء عن ضعف المدخرات المحلية .

ويلاحظ على تجارة نيجيريا اطراد الزيادة فيها خلال السنوات الاخيرة ، وان كانت الزيادة فى الواردات أكبر منها فى الصادرات ، وهذا راجع الى سياسة الانشاء والتنمية من جهة ، والى التوسع فى استيراد الكثير من

السلع الاستهلاكية وبخاصة بعد الاستقلال من أمثال الدراجات وأجهزة الراديو وتكييف الهواء .

وتتكون الصادرات من الخامات الزراعية والمعدنية ، وتمثل منتجات النخيل والكاكاو والفول السوداني حوالى ثلثى القيمة الكلية للصادرات . وهناك زيادة مطردة فى استيراد الاسمنت والمشتقات البترولية ، ولكن الاستيراد سوف يقل تدريجيا بسبب التوسع فى صناعة الاسمنت المحلية ، كما ان معمل التكرير سوف يسد حاجة البلاد من المشتقات البترولية الرئيسية بعد اتمامه فى عام ١٩٦٤ . ومن الظاهرات التى تبشر بالخير الزيادة المطردة بعد الاستقلال بصفة خاصة فى استيراد المعدات الرأسمالية والمواد اللازمة لتنفيذ السياسة الصناعية .

وأهم عملاء نيجيريا هى انجلترا (وتشغل المركز الاول) والولايات المتحدة الامريكية وألمانيا الغربية وايطاليا . وتستورد انجلترا معظم الفول السودانى ومنتجات زيت النخيل والمطاط والخشب والقطن والقصدير والموز وأكثر من ثلث الكاكاو .

وفى عام ١٩٥٥ بدأ مشروع جديد للتنمية وأقيم المجلس الاقتصادى القومى لتنسيق عمليات التنمية فى جميع أنحاء البلاد ، ثم الحقت به فى أوائل عام ١٩٥٩ لجنة التخطيط المشتركة . وخلال الفترة الممتدة من ١٩٥٥ حتى نهاية مارس ١٩٦٠ كان الانفاق الرأسمالى من جانب الحكومة الاتحادية والحكومات الاقليمية كالاتى (بملايين الجنيهات) :

حكومة الاتحاد	٨٩
« الاقليم الشمالى	٣٠ر٢٥
« « الغربى	٣٦ر٢٥
« « الشرقى	١٢
« الكاميرون الجنوبى	٢ر٢٥

ويرتبط جنيه نيجيريا بالجنيه الاسترلينى ، وفى عام ١٩٥٩ صدر قانون خاص بانشاء بنك مركزى تملكه الحكومة الاتحادية .

بيان صحفى

للسيد/هنتجيفى فبى سكرتير الدعاية للاتحاد القومى لجنوب غرب افريقيا

ان رفض الحكومة التصريح للاتحاد القومى لجنوب غرب أفريقيا بعقد اجتماع عام فى مدينة ويندهوك يوم الاحد ٢ ديسمبر لاكبر دليل على الرعب الذى تشعر به الحكومة منه .
فحكومة جنوب افريقيا تخشى ان تغلق الاتحاد علنا ولذلك فهى تعمد الى تعطيل اجتماعه متخذة أساليب النازية العتيقة وخاصة ادعاءها بأن هذه الاجتماعات ستنقلب الى استغزازات .

والواقع ان هذا الاتحاد قد قام لصالح الشعوب التى يمثلها وهى بذلك تحاول تحطيم الصلات المباشرة التى تربطه بها .

واننا نعلن اننا سنستمر فى كفاحنا من أجل الحصول على حقوقنا وحريتنا ولن يلقى فيرفورد واذنابه سوى الهزيمة المنكرة .

التفاهم بين الصحفيين
الافريقيين والآسيويين
بقلم حسين فهمى

من أهم المشكلات التى تواجه الشعوب حديثة الاستقلال فى آسيا وأفريقيا مشكلة انشاء صحافة وطنية عصرية .. فلقد حرص الاستعمار طوال وجوده فى القارتين على محاربة الصحافة الوطنية بكافة الطرق ، فمنع اصدار الصحف الوطنية وأغلقها ، واضطهد الصحفيين وحال دون اعداد الصحفيين المدربين ، وتزويد الصحف بالالات الحديثة للحيلولة دون تطورها .. كما أصدر الصحف لحسابه ، ونشر الرشوة والفساد فى الصحافة .. وكان من نتائج ذلك أن واجهت أغلب شعوب القارتين عهد الاستقلال بصحافة ضعيفة « عاجزة » ، أو صحافة مرتشية عميلة .

والصحافة فى العصر الذى نعيش فيه أصبحت صناعة ضخمة بكل معنى الكلمة فهى تحتاج الى أموال سائلة كبيرة ، والى آلات حديثة ، وجيش من الصحفيين والعمال والكتاب والفنانين والاداريين ، وتستخدم آخر منجزات العلم لنقل الانباء والصور ، وأحدث وسائل المواصلات لنقل الكلمة المطبوعة الى المدن والقرى .

نعم ... لم تعد الصحافة مطبعة يد وبضعة أشخاص ، ولذلك فان انشاء صحافه وطنية افريقية قوية ينطوى على كل مشكلات التصنيع الحديث بالاضافة الى مشكلات انشاء اداة قادرة على خوض غمار ثورة سياسية واجتماعية وثقافية وفكرية كاملة .

ويضاعف من أهمية هذه المشكلة وخطرها أن الفوز بالاستقلال السياسى ليس الا بداية طريق طويل شاق من أجل تحرر وطنى صحيح، ومن أجل ازالة وصمة التخلف ، ومن أجل تحقيق التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى .. ان على الشعوب الافريقية والاسيوية أن تخوض المعارك المتوالية للوصول الى حياة أفضل ، وهو أمر لا يمكن أن يتحقق بلا صحافة وطنية قوية .. ان هذه الصحافة سلاح من أمضى أسلحة النضال فى سبيل هذه الاهداف .. تنشر الوعى والثقافة ، وتكشف الحقائق ، وتنقل الانباء وتفضح أساليب الاستعمار ومؤامراته ، وتكتل القوى الوطنية، وتربط شعوب آسيا وأفريقيا بالعصر الذى تعيش فيه ، وتعبر عن أمانى الشعب ، وتكشف أعداءه فى الداخل والخارج .

وعندما عقد أول مؤتمر للصحفيين الافريقيين فى « باماكو » عام ١٩٦١ . وضح تماما أن الصحفيين فى افريقيا يعون المشكلة ، ويدركون جوانبها المختلفة ، ويزدادون كل يوم ايمانا بضرورة تكتيل الجهود لمواجهتها .. ان الاستعمار ترك أغلب بلاد افريقيا بلا صحافة على الاطلاق ، وفى بعض البلاد ترك صحفا بدائية أشبه بالنشرات لا وزن لها ولا قيمة وفى بعض البلاد الاخرى صحفا انجليزية أو فرنسية تصدر عن دور الصحف الاستعمارية الاحتكارية فى لندن وباريس وغيرها من عواصم الاستعمار .. وفى أغلب دول آسيا لا يختلف الامر كثيرا عن هذا المستوى حتى لا يمكن القول بوجود صحافة آسيوية وافريقية على مستوى العصر ، وعلى مستوى المهام المطلوبة منها ، الا فى دول أربع هى اليابان والصين والجمهورية العربية المتحدة والهند .

ولذلك لم يكن مستغربا أن يقرر مؤتمر الصحفيين الافريقيين فى باماكو ضرورة العمل على عقد مؤتمر آسيوى افريقى للصحفيين

بهدف انشاء منظمة افريقية آسيوية دائمة للصحفيين لدعم التضامن بين الصحفيين فى جميع المجالات السياسية والمهنية ، ولتبادل الخبرات وتوثيق الصلات ، ايمانا منهم بأن تضـــامن الصحفيين فى القارتين يعـد أمرا أساسيا لمواجهة هـــذه المشكلة المتشابكة ، ولبناء هذه الصـــناعة الضخمة ، وتزويدها بالاموال والالات والصحفيين والفنيين اللازمين

والحق أن فكرة انشاء منظمة للتضـــامن الاسيوى الافريقى بين الصحفيين ليست جديدة فقد ولدت خلال مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ عندما اجتمع عدد كبير من الصحفيين الافريقيين والاسيويين وقرروا أن تضـــامن الصحفيين الاسيويين والافريقيين أمر ضرورى لدعم مبادىء باندونج .. وواضح ان الجانب السياسى هو الذى كان يسيطر على أذهان المجتمعين وهو أمر طبيعى فان الجوانب الصناعية والفنية والمهنية لمشكلة الصحافة فى القارتين لم تكن قد برزت بوضوح بعد .. نتيجة لخضوع أغلب البلاد الافريقية للاستعمار المبـــاشر وأغلب البلاد الاسيوية للسيطرة الاجنبيـة وفى عام ١٩٥٩ ، الذى يعد بحق عام الثورة الافريقية ، نال عدد كبير من دول افريقيا الاستقلال ، كذلك شعوب آسيا كانت تخوض المعارك المتوالية ضد الاحلاف الاجنبية والقواعد العسـكرية ومن أجل التطور الاجتماعى والاقتصادى ، كما أخذت تواجه مشـــكلات التخلف مما دفع بالمشكلة الى الصف الاول ، وابرز المهام الهائلة التى تنتظر الصحافة الافريقية والاسيوية .. ولذلك .. أخـــذ الصحفيـــون الاسيويون والافريقيون ينتهزون فرصـــة التقـائهم فى المؤتمرات الدولية كالاجتماع العـــالمى الاول والثانى للصحفيين وغيرهما للتحدث فى هذه المشـكلة ، مجمعين على ضرورة التضـــامن لمواجهتها ، وعلى أن الحاجة ماسة الى تزويد الصحافة الاســيوية والافريقيـة بالصحفيين المدربين ، ذلك ان عددا كبيرا من البـــلاد تستطيع الحصول على المطابع والورق ووسائل النقل والمواصلات ولكنها تفتقر الى الصحفيين الاكفاء والفنيين المدربين .

وفى اجتماع المنظمة الدولية للصحفيين فى بودابست فى الصيف الماضى ، انتهز الصحفيون الافريقيون والاسيويون فرصـــة التقـائهم واصدروا بيانا مشتركا قرروا فيه أن الاوان قد آن لانشـــاء منظمة دائمة للتضامن بين الصحفيين فى آسيا وافريقيا ، وان باندونج هى أنسب مكان لعقد مؤتمر آسيوى افريقى للصحفيين . وكتبوا بذلك لرئيس الجمهورية الاندونيسية .

ولقد كان رد الفعل فى أندونيسيا سريعا ، فقد وجه اتحاد الصحفيين الاندونيسيـــين الدعوة الى جميـع الصحفيين الذين وقعوا البيـان المشـترك ، وبعثوا للرئيس سوكارنو برأيهم . لحضور الاجتماع التحضيرى لاول مؤتمر آسيوى افريقى للصحفيين .. والجدير بالذكر ان نفقات هذا الاجتماع قـد غطيت بالتبرع الشعبى ، وان الشعب الاندونيسى المناضل ، اهتم غاية الاهتمام بالمؤتمر وعبرت منظمات الفلاحين والعمال والشباب والنساء فى اندونيسيا عن اهتمامها بالمؤتمر وترحيبها بأعضائه وادراكها لاهمية اعماله .

ولقد قرر المؤتمر التحضيرى الذى عقد فى المدة من ١٠ — ١٧ فبراير المـاضى توجيـه الدعوة الى المنظمات الصحفية فى ٥٦ دولة افريقيـة وآسـيوية بالاضـــافة الى بعض الصحفيين المناضلين فى عشر دول خاضعة لنير الاستعمار لحضور مؤتمر يعقد فى المدة من ٢٤ الى ٣٠ ابريـــل لانشـــاء « مؤسسة الصحفيين الاسيويين والافـــريقيين » على أن يكون مقرها الدائم فى جاكرتا ، ولوضع ميثاق للصحفيين الاسيويين والافريقيـين للعمـــل السياسى والمهنى ، ولوضع اسس التضـــامن والتعاون بينهم .

وكما أبان مؤتمر « باماكو » للصحفيين الافريقيين أهمية تحرير الصحافة الافريقيـة من سيطرة الوكالات الاستعمارية على الانباء ، كذلك قرر مؤتمر جاكرتا فى ابريل الماضى انه لا يمكن انشاء صحافة وطنية حقيقية مادامت اغلب الصحف فى آسـيا وافريقيـا مســتمد انباءها من الوكالات الاستعمارية .. ولذلك قرر المؤتمر ان انشاء وكالات أنباء افريقيـة وآسيوية أمر لابد منه لانشاء صحافة وطنية حقيقية .

ولا يمكن أن نعرض للتضامن بين الصحفيين

الافريقيين والاسيويين دون أن نشير الى دور الجمهورية العربية المتحدة .. فلقد قامت بدور قيادي في انشاء « اتحاد جميع الصحفيين الافريقيين » ومقره « باماكو » كما لعبت دورا طليعيا في الدعوة لفكرة المؤتمر الاسيوى الافريقي ، واتخاذ قرار بتأييدها في مؤتمر باماكو ثم في تحويل هذه الفكرة الى حقيقة واقعة ، والامل كبير في أن تتمكن الصحافة في الجمهورية العربية المتحدة من القيام بدور هام في اعداد الصحفيين الافريقيين الاسيويين ، ولقد فطن الصحفيون عند اجتماعهم الاول في « باماكو » لدور صحافتنا في هذا المجال .. كما أشار « سادجيكوف » رئيس تحرير جريدة « برافدا » السوفيتية الى هذا الدور عندما صرح في اجتماع مجلس رئاسة المنظمة الدولية للصحفيين الى أن الجمهورية العربية المتحدة تستطيع أن تؤدي دورا هاما في مواجهة أضخم مشكلات الصحافة في اسيا وافريقيا ، وهي تزويدها بالصحفيين الاكفاء المدربين . والحق أن مثل هذا العمل فضلا عن كونه « واجبا محتما » لا يمكن التخلي عنه ، يعد مشاركة بناءة في مواجهة مشكلة الصحافة الافريقية .. ذلك أن جمهوريتنا تصدر صحفا باللغات العربية والانجليزية والفرنسية وهي اللغات الرسمية الثلاث لافريقيا ، وهو أمر تنفرد به جمهوريتنا ، كما أنه يزيل عقبة اللغة التي يواجهها الصحفيون الافريقيون عند تدريبهم في أغلب البلاد الاوربية والبلاد المتطورة في آسيا .. وليس هذا فحسب .. فقد كان من قرارات مؤتمر « باماكو » تفضيل الدول الافريقية التي تتهيأ فيها الاسباب لتدريب الصحفيين واعداد الفنيين على غيرها من دول العالم .

وبهذه المناسبة نذكر ان كثيرا من الدول والمنظمات الدولية الصحفية كالمنظمة الدولية للصحفيين ، ولجنة تضامن الصحفيين ، واليونسكو ، وغيرها قد أبدت في السنوات الاخيرة اهتماما كبيرا بتدريب الصحفيين الاسيويين والافريقيين ، وخصص لذلك الاعتمادات والبعثات ، كذلك قررت المنظمة الدولية للصحفيين في مؤتمرها الاخير انشاء معهد للصحافة ، وتيسير قبول الصحفيين من افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية للدراسة والتدريب فيه ، كما قررت هيئة «اليونسكو» تنظيم عدد من الاجتماعات والمناقشات بحضور الهيئات الدولية الافريقية لدراسة مشكلات الصحافة في أفريقيا ، وبحث وسائل مساعدتها على التطور .

ولقد قرر الصحفيون الافريقيون والاسيويون في اجتماعهم « بجاكرتا » ، التعاون مع كافة المنظمات الدولية في تدريب الصحفيين ، كما قرروا التضامن مع المنظمات الدولية والمحلية في مختلف بلاد العالم في الدفاع عن السلام والتعايش السلمي ووقف التجارب الذرية وتحطيم الاسلحة النووية ونزع السلاح وتصفية الاستعمار وغيرها من مبادىء « باندونج » الخالدة .

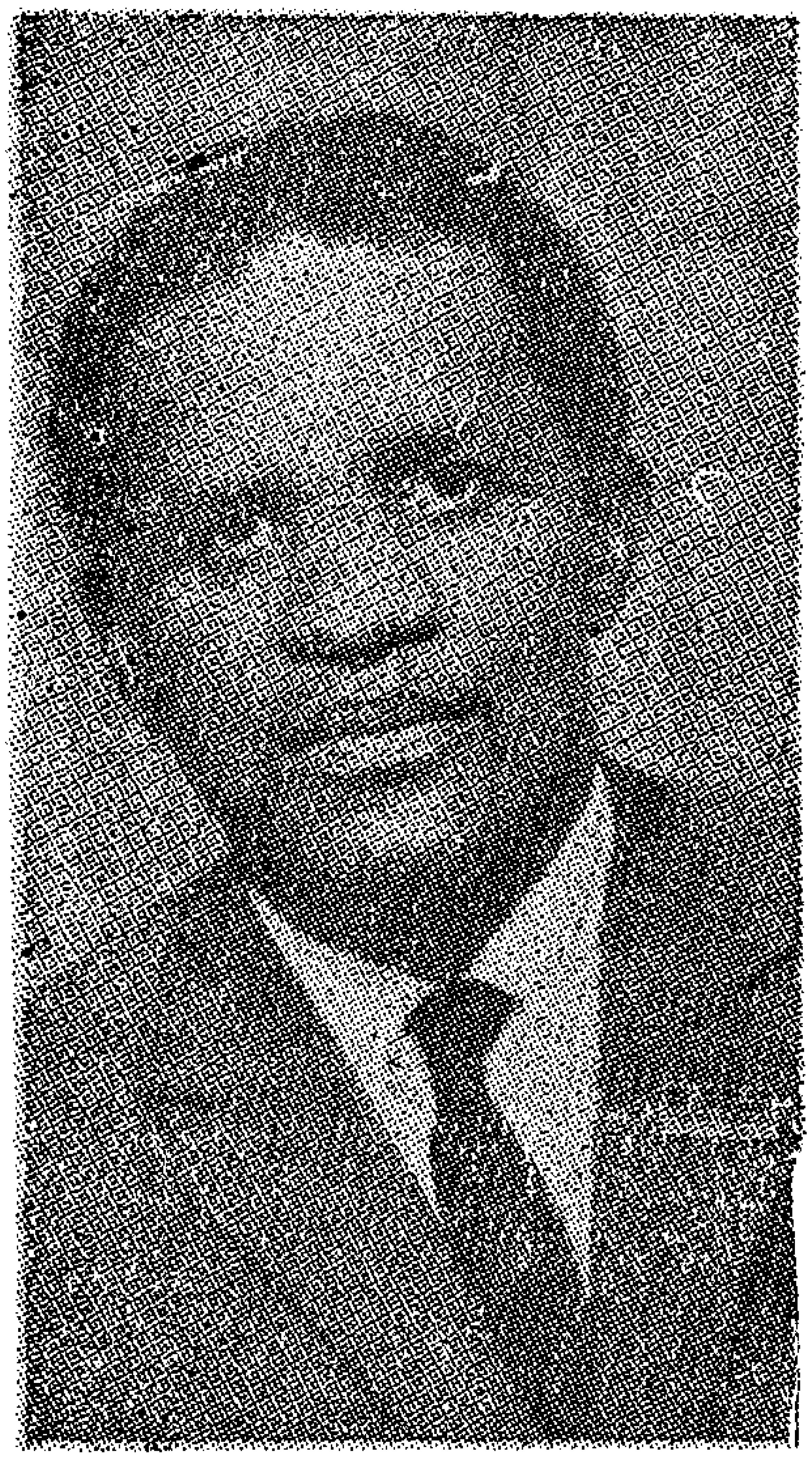
وبناء على اقتراح الجمهورية العربية المتحدة قرر المؤتمر تأييد جميع قرارات مؤتمر الشعوب الاسيوية والافريقية في تنجانيقا ، ذلك المؤتمر الذى اختتم جلساته قبل يومين من انتهاء مؤتمر « جاكرتا » . وبناء على اقتراح الجمهورية العربية المتحدة أيضا ، أدان الصحفيون الافريقيون والاسيويون في مؤتمر جاكرتا .. اسرائيل .. ووصفوها بانها صنيعة الاستعمار وأداته في الشرق الاوسط وآسيا وافريقيا ، كما أيدوا حق شعب فلسطين في العودة الى بلاده ، واسترداد ممتلكاته ، وانشاء دولة حرة على اراضيه .

هذه بعض الخواطر عن مؤتمر جاكرتا التحضيرى للصحفيين الاسيويين والافريقيين والمهم ، في نظرنا ، أن هذا المؤتمر كمؤتمر باماكو ، يدل على وعى الصحفيين في آسيا وافريقيا بضرورة تضامنهم ، ويكشف عن ادراكهم لجوانب مشكلة الصحافة في بلادهم ، ويعبر عن ارادتهم في انشاء صحافة وطنية قوية ، وفي التضامن مع جميع الصحفيين الاحرار في العالم كله من أجل السلام والحرية والتقدم .

ولنا عودة الى هذا الموضوع لنلقى المزيد من الاضواء على جوانبه المختلفة ، وعلى الطريق الطويل .. طريقنا نحن الصحفيين في آسيا وافريقيا الى تضامن فعال ، ودائم ، وديناميكى لمواجهة المسئوليات الضخمة التى تنتظرنا للقيام بواجبنا في أخطر مرحلة من المراحل التى تمر بها الثورة الافريقية والاسيوية .

« حسين فهمى »

خدعة اللجنة الدستورية فى الباسوتولاند



« ترجمة صلاح الشعراوى »

لاتعتبر الباسوتولاند من الناحية الجغرافية جيبا واقعا فى وسط أراضى جمهورية جنوب أفريقيا فحسب ، بل هى جيب ساسى فى هذه الامبراطورية البريطانية العجوز والتى تنهار يوما بعد يوم أمام اشتداد عزيمة أبناء الاقاليم التى استعمرتها قرونا طويلة . وفى مجالنا هذا ، فانها لحفظ ماء وجهها وأمام عزيمة شعب الباسوتولاند فى سبيل الحصول على سيادته سنة ١٩٦٠ منحته حق اقامة حكومة تمثلهم .

وقد أثبتت الايام والتجارب أن هذه الحكومة ، لم تحقق بتكوينها وسلطاتها الممنوحة لها الفرص الذى كان يصبو اليه شعب الباسوتولاند من اعتبارها ممثلة لمرحلة من مراحل الكفاح الوطنى . كما صاحب تكوين هذه الحكومة ، اجراء انتخابات فى يناير عام ١٩٦٠ للمجلس التشريعى ، كان من جراء التلاعب فى مقدراته ، ان اضطر حزب الكونجرس الباسوتو ان يقف فى صفوف المعارضة رغم حصوله على نجاح ساحق فى هذه الانتخابات ، كأقلية ، اذ وجد نفسه محاطا بمجموعة من الزعماء العملاء والمعينين وموظفى الحكومة . وحقيقة الامر أن هذا المجلس هو عبارة عن صورة أخرى للاستعمار الجديد ، أو صورة أخرى مشابهة لوزارة المستعمرات بلندن رغم ما يحتج به من أن أعضاءه من ممثلى الشعب الباسوتو . وبناء على هذا الواقع ، لم يجد هذا الشعب بدا من مواصلة الكفاح من أجل تحقيق استقلالهم .

وللتحقق من هذه المطالب ومداها ، كونت السلطات الاستعمارية البريطانية أخيرا لجنة أطلقت عليها « اللجنة الدستورية » للبحث والاتصال بالجماهير ، حتى تتمشى توصياتها مع هذه الآمال والمطالب ، فأصبحت هذه اللجنة هى المحور الذى يدور عليه النشاط السياسى .

ولكن اذا نظرنا الى الوراء للتحقق من الظروف التى أحاطت بتشكيلها ، لعرفنا مدى

ما وصلت اليه الامبراطورية البريطانيـة من وسائل الغش والخداع لهذا الشعب وللرأى العام العالمى .

فقد كان من المعروف ان حزب «الكونجرس الباسوتى » وهو الحـزب الحقيقى الممثل للامانى الوطنية والمعبر عنها قد يتقدم باقتراح الى المجلس التشريعى عند انعقاده فى دورته الثانية فى مارس سنة ١٩٦٢ بانشاء حكومة وطنية . وشعرت السلطات الاستعمارية ، ان هذا المجلس بأعضائه المعينين والمخادعين لن يستطيعوا رفض مثل هذا الطلب دون زيادة روح الكراهية ضدهم ، فقررت بالتعاون مع هؤلاء ان يقابلوا مشروع حزب الكونجرس الباسوتى بمشروع اخر يقضى بانشاء حكومة مسئولة . وبهذا استطاعت هـذه العصبة اسقاط مشروع حزب الكونجرس ، ووافقت على مشروع الحكومة المسئولة ، مع تخويل رئيس المجلس حق تكوين لجنة دستورية مع الاذن من المندوب السامى البريطـانى فى بريتوريا ، لتعديل الدستور القائم المهلهل ، وتقديم أية توصيات لتحقيق تكوين هـذه الحكومة المسئولة .

واللجنة الدستورية والاستعمار الجـديد صنوان ، فالاسـتعمار الجديد يبـدأ فى تملك الدولة حتى من قبـل حصولهـا على استقلالها ، واللجنة الدستورية هى صورة لما تدعيه السياسة الاستعمارية من حق الوصاية الدستورية . فتكوين هذه اللجنة حول جهود وأفكار الشعب عن طريقه المرسوم الى التفكير فى لجان كونها الاستعمار نفسه ، دون التلفت بيقظة الى أفاعى الاستعمار الجديد وهى تتسلل الى صفوفه . وانخدع الشعب فى المظاهر التى أحاطت اللجنة الدسـتورية ، بينما هم فى الحقيقة مسلبون من كل ما هو مفروض أن تكون عليه مثل هـذه اللجان . اذ يطلب من أفراد الشعب أن يتقدموا بوجهات نظرهم كتابة أو شفاهة فى هذه الحكومة المقترحة ، دون أن تنظر فى أى طلب يتعلق بالاسـتقلال أو قطع هذه الصلات القائمة مع الحكومة البريطانية .

وتكوين هذه اللجنة غير ديموقراطى ولا تمثل شعب الباسوتولاند الافريقى . فهو صـورة مطابقة ومعادة لشكل التمثيل المزيف والموجود فى المجلس التشريعى .

يستخدمه البريطانيون مخـالفين أعضـاءها والبالغ عددهم ١٢ عضوا . وتحدد ما يخص حزب الكونجرس الباسوتى بمقعـدين فقط يمثلان ٧٥ ٪ من مجموع السكان . وهـذا ما لا يقبله منطق أو عقل ، اذ ان هذا الحزب الذى تحصل على ٣٢ مقعدا من ٤٠ خـلال انتخابات عام ١٩٦٠ لم يعد ممثلا بالنسبة الصحيحة فى هذه اللجنة وبالتالى لم يعـد شعب الباسوتو ممثلا تمثيلا صحيحا فى هذه اللجنة . وتكوين هذه اللجنة على النمط التالى :

رئيس وخبير دستورى ، وممثلان لـكل من الهيئات والاحزاب التالية :

حكومة المستعمرات — مجموع الرؤساء — حزب الكونجرس الباسوتى — حزب الماريماتلو — حزب الحرية الباسوتى — حزب الباسوتى الوطنى .

وهذه الاحزاب الثلاث الاخيرة ، الماريماتلو والحرية والوطنى ، قد نالت نسبة من المقاعد اكبر مما يستحقونه ولما يتمتعون به من تأييد شعبى . فلهم ٦ مقاعد مقابل مقعدين لحزب الكونجرس الممثل الحقيقى للشـعب . ومن المتوقع ، طبعا ، أن تتألف هذه الاحزاب ، التى لا عمل لها الا الرقص على نغمات الاستعمار فى جبهة واحدة مواجهة حزب الكونجرس ، هذا اذا اعتبرنا حياد رئيس اللجنة وخبيرها وهما موظفان فى الحكومة الاستعمارية . واذا كان الوضع هكذا فانها تخيلات لمن يعتقد ان دستورا ديموقراطيا سيخرج من مثل هـذه اللجنة .

وأمعنت هـذه اللجنة فى ضلالها خـلال اتصالها بالشعب الباسوتى . فقد صدمت أولا بآلاف الوثائق التى قدمها هذا الشعب مطالبة بالاستقلال ودلت على وعيه السياسى وعلى تعلقه بحزب الكونجرس الباسوتى . ثم صدموا مرة أخرى عندما شاهدوا خلال جولتهم بالبلاد تملك ممثلى هذا الحزب لافئدة الجماهير وتبنيهم لمطالبهم المشروعة بالاسـتقلال . بل راعهم أن ممثلى الاحـزاب الاخرين لم يكن ليجرؤوا على الوقوف على منبر الخطـابة

لمواجهتهم . وقرب نهاية جولة هذه اللجنة ، شعرت السلطات الاستعمارية البريطانية ان ما تبين لهذه اللجنة من شعور لا يتمشى مع الغرض الذى كونت من أجله ، فأقدمت على تغيير المنهج التى تسير عليه ، وقصرت شكل اتصالها بالجماهيرعلى العرائض المكتوبة،وبذلك تيسر لها مجال التلاعب فى هذه العرائض. فبدلا من ان تستمع علانية لمطالب الشعب، تقدم لها بعض الرؤساء القبليين والمجموعات السياسية المعارضة لحزب الكونجرس بمطالبهم ، وبقوائم وهمية تحتوى أسماء من يؤيدونهم . وكانت اعداد المقيدين على هذه القوائم مبالغا فيها لحد أن أصبح الموضوع هزلا ومبعثا للسخرية. كما كانت غالبية الاسماء لاطفال فى المدارس لايدرون ماذا يجرى من حولهم،وأسماء راهبات وقسس فى الاديرة ، وموظفين فى الحكومة الاستعمارية ، وعملاء هذه الحكومة . بل بلغت المهزلة فى بعض المناطق أن تقدم حزب الباسوتو الوطنى بقائمة تحتوى على أسماء بها ألف مؤيد بينما لا يقطنها أكثر من ١٠ الاف ،بينما كان حزب الكونجرس يقدم قوائم صحيحة تحوى أسماء أشخاص حضروا بأنفسهم هذه الاجتماعات .

لقد انتهت اللجنة الدستورية من جولتها ، وألقت مراسيها الان للنظر فى هذه الالاف من العرائض التى قدمها الشعب الباسوتى .هذه العرائض التى أبرزت وعيه السياسى ورغبته فى استقلاله رغم مشاوراتها السلطات الاستعمارية .

اننا من الآن نتوقع ماذا ستقدمه اللجنة الدستورية رغم هذه الحقائق الدامغة الواضحة فى تقريرها الذى سترفعه للمجلس التشريعى، انها بتكوينها غير الديموقراطى ستتقدم بتوصيات غير ديموقراطية تعلن فيه تحديها للشعور الوطنى فبعد أن سمعت صيحة الاستقلال على كل لسان سوف تقرر اللجنة ان الشعب لايرغب فى الاستقلال ، بل حكومة مسئولة فقط بالشكل التى يراه الاستعمار . وسوف يتوجه وفد غير ديمقراطى مثله مثل المجلس التشريعى واللجنة الدستورية الى لندن للقيام بمحادثات مع حكومة صاحبة الجلالة الملكة ، ثم يصدرون

.. ان حزب الكونجرس الباسوتى سوف يتوجه الى البلاد ليجمع الشعب حوله لمعارضة هذا الدستور غير الديموقراطى . انه سوف يدخل هذه الانتخابات على أساس ان هذا الدستور غير مقبول وان يقدم الشعب صوته له ، حتى يكون له حق التفويض بالتكلم باسمه ورفض هذا الدستور والمطالبة ببديل له يعمل على تحقيق استقلال البلاد . ان النضال فى سبيل التحرر القومى لن ... بل سيمضى قدما فى طريق الامانى القومية .

والآن يسعى البريطانيون بالتعاون مع بعض زعماء القبائل ، على اثارة نزاع دموى . بينما يعمل الشعب على تجنب ذلك . ولا يعلم أحد ماذا تكون عليه النتيجة . اننا نعلنها صراحة أن :

الحكم بوساطة القوة لن يعيش دقيقة واحدة فى الباسوتولاند ، ولكن الحكم بادارة الشعب هو الذى له الدوام .

ليراتو ماسوابى
عضو بحزب الكونجرس

التطور الأنثروبولوجي والاجتماعي في إفريقية

عصر الصيد

بقلم دونالد اوليفر وجون فيج تلخيص عبد الواحد الامبابي

المرحلة الاولى ـ عصر الصيد

الفكرة الاولى التى شاعت عن افريقيا هى فى الوقت نفسه أول مفهوم خاطىء عنها ، فليس من شك فى ان التعبير عن أفريقيا بأنها «القارة السوداء» نتاج فكرة أوربية ضيقة وجدت لنفسها ـ مع الاسف ـ رواجا واسع النطاق، ذلك لان هذه القارة كانت ـ فى الواقع ـ اخر قارة انفتحت أبوابها امام أعين العالم الخارجى، ولانها كذلك كانت اخر قارة تتعرض لتأثير كامل من جانب الشعوب والافكار والتكتيكات الاوربية التى ظلت احدى القسمات الواضحة فى تاريخ العالم ابتداء من القرن السادس عشر حتى أوائل القرن العشرين ، ومع هذا فان افريقيا فى بداية هذه المرحلة الحديثة من التاريخ لم تكن بالقارة المتخلفة تماما ، ولم تكن على المستوى الذى كانت عليه بعض القارات الاخرى من حيث درجة التخلف الحضارى ، فقد كان الاستراليون ـ مثلا ـ حين اكتشفهم الاوربيون لا يزالون يعيشون فى مرحلة عصر الصيد وجمع الاعشاب ، وكانوا كذلك لايزالون يستعملون الالات الحجرية التى يمكن مقارنتها بالات ومستوى حضارة العصر الحجرى الوسيط الذى كانت معظم شعوب أوربا وافريقيا قد تجاوزته يومذاك بثلاثة الاف الى ستة الاف عام مضت ، والهنود الامريكيون فى القرن السادس عشر ـ وقد كانوا أكثر تقدما ـ كانوا قوما مزارعين ينتمون الى العصر الحجرى الحديث ويستعملون الالات الحجرية المصقولة ، واذا كان عدد قليل منهم قد بدأ يستخدم المعادن فان كثيرا منهم كانوا لايزالون يحيون حياة الصيد وجمع الاعشاب ، أى كانوا يعيشون فى العصر الحجرى الوسيط بينما كان الافريقيون فى نفس هذه الفترة ـ مع بعض استثناءات قليلة ـ يشتغلون بالزراعة ويستخدمون الالات المصنوعة من الحديد .

ومعروف ان معظم الافريقيين الذين يعيشون فى الثلث الشمالى من القارة ينتمون الى حضارة الاسلام ، وهى حضارة مدن . وحتى فى المنطقة التى تشكل ثلثى القارة الجنوبى نرى ان معظم الشعوب الافريقية كانت تتمتع بتنظيم سياسى أخذ شكل الدول والجماعات وجعلها قادرة على أن تقف لتصد هجمات المغيرين عليها والمهاجرين اليها من أعالى البحار حتى أوائل القرن التاسع عشر ، واذا كان من الامور المسلم بها أن فى افريقيا جزءا كبيرا يتميز بأنه من المناطق غير الصحية وليس من الممكن الاقتراب منه فان هذا الجزء لم يكن أكثر فى هذا الصدد من مناطق بنما أو تيرو .

ونستطيع أن نقول ان السبب الحقيقى الذى يكمن وراء عجز الاوربيين عن الوصول الى داخل البلاد والاستيلاء على مناجم الذهب فى غرب افريقيا أو روديسيا الجنوبية فى أول الامر ـ مثلا ـ هو ان الافريقيين فى هذه المناطق كانوا يعيشون فى ظل نظام محكم دقيق مكنهم من استغلال هذه المصادر بأنفسهم وجعلهم قادرين على الاحتفاظ بالتجارة البرية فى ايديهم . وليس من شك فى أن درجة التقدم التى كان الافريقيون قد حققوها خلال القرون الاولى كانت عظيمة الى الحد الذى خلقت منهم

عنصرا استطاع أن يقاوم اتجــاهات العصر الحديث الجديدة فترة طويلة من الزمن .

وهكذا كان تخلف افريقيــا دائما فى كل العصور التاريخية تخلفا نسبيا فقط بالنسبة الى المجرى الرئيسى للتطور البشرى العــام فى أكثر أجزاء أوربا واسيا تقدما . كذلك لم تكن افريقيا فى عصور ما قبل التاريخ ــ على الاقل أثناء كل العصر الحجرى القديم ــ بالقارة المتخلفة ، فقد أصبح علماء الاثار اليوم على ثقة تامة من أن جد الانسان فى افريقيا كان أفضل من الحيوانات العليا وكان يختلف عنها أيضــا اختلافا متميزا ، وقد عثر الدكتــور لويس ليكى ، فى جــزيرة روزينجا عنــد الركن الشمالى الى الشرقى لبحيرة فكتوريا على بقــايا متحجرة للبروكونســول ، وهو المخلوق المنتصب القامة الــذى كان يعيش فوق الارض فى طبقة جيولوجية ترجع الى خمسة وعشرين مليون عام مضت ، والفرق المتفق عليه ــ بصفة عامة ــ بين الانسان وبين غيره من الحيوانات العليا هو أن الانسان يمثل الكائن الذى يصنع الالات ويســتخدمها فى تحقيق أغراض له ، وبذلك نستطيع فى ضوء هــذه المعلومة أن نحكم على البروكونسول بأنه ليس انسانا وان كان من ناحية الاسس الجسمانية جدا للانسان . ويعتبر المخلوق الذى يسمى زينجانثروبوس ، أقدم من صــنع الالات ، وقد اكتشف الدكتــور ليكى أيضا هــذا المخلوق عند أحد الســدود النهــرية فى المنطقــة الشــمالية من نيجيريا ، وقــد أصبح معروفا اليوم ان هذا الزينجانثروبوس انما كان يعيش فى زمن يرجع تاريخه الى حوالى مليونى عام مضت ، وكان هــذا المخلوق من الناحية البدنية صغير الحجم ، أكثر مايكون شبيها بالقرود ، فعلى طول قمة جبهته يوجد عرف عظمى كثيف كان وجوده ضروريا لتقوية عروق فكه الثقيل الكبير ، وواضح ان هــذا الزينجانثروبوس كان متعودا على استخدام أسنانه أكثر من أصابعه ، ومع هذا كان ينتقى بعض أنواع من الحجارة الصغيرة والحصى ، ويشقها بطريقة فجــة ليشكل منهــا الات يستخدمها فى تحقيق ما يحتاج اليه من أغراض ومن ثم يمكننا القول بأن هذا المخلوق ــ طبقا للتعريف المتفق عليه ــ كان انسانا .

وكيفما كان الامر فقد كانت هناك حاجة لمرور الاف الاجيــال من التطــور الانتخــابى Selective evolution قبــل أن يســتطيع هــذا المخــلوق ــ الذى يعتبر أقدم من صنع الالات ــ ان يصل الى المرحلة التى يكون فيها شبيها بالانسان الحديث الذى يعرفه العــلم باسم Homo Sapien والذى يعتبر عقله اكثر أهمية من قوته البدنية والذى تعمل يداه أكثر مما يعمل فكاه .

ويمكن ان نقول فى قليل جداً من الشك ان افريقيا قد ظلت خلال كل هذه الفترة الطويلة من تطور الشكل البشرى ــ فيما عدا الجزء الصغير الاخير منها ــ تعيش فى مركز العــالم المســكون ، وعلى الرغــم من أن بعض أنواع الجنس البشرى القديم ــ كما هو معروف ــ كان يعيش هائما على وجهه فى اندونيســـيا والصين فان كل الالات الحقيقية المصنوعة من الحصى والزلط والتى عثر عليها حتى الان قد اكتشفت جميعها فى افريقيا أو فى مناطق قريبة جدا منها ويبدو أن منطقة السافانا الغابية فى افريقيا المدارية كانت مركز التوزيع لكل المواقع التى تمتد من نهر الفال ، فى الجنوب حتى مراكش وفلسطين الجنوبية فى الشمال .

ومنذ حوالى ثلاثمائة ألف عام تقريبا بدأت هذه الالات التى تعد أقدم ما صنع الانسان تختفى تدريجيا لتحل محلهــا الات حجرية أخرى ، كانت تصنع على شكل الــكمثرى ، وأطلق عليها ــ خطأ ــ اسم « بلطة اليد » وليس هناك أحد يعرف على وجه الدقة واليقين فى أى غرض من الاغراض كانت تستعمل هذه الالة الجديدة ، ولــكن هنــاك من الشواهد ما يجعلنا نجزم بأن هذه الالة لم تكن بلطة ، فقــد وصفها الاســتاذ ديزموند كلارك ، بعد أن قام بعدة تجارب عملية كثيرة عليهــا بأنها آلة جلدية أو آلة مغطاة بالجلد كانت تستعمل فى كل الاغــراض ، وهى فى الوقت نفســه أشبه بســاطور اللحم ، ومهمــا يكن من شىء فان هــذه الالة كانت أكثر ما يميز فنون انسان ما قبل التاريخ منذ حوالى ربع مليون سنة . وقد عثر على اثار لهذه الالة فى افريقيا وحدها ، وتعتبر منطقــة

أولوجيسيبلي على بعد أربعين ميلاً جنوب نيوروبي وكذلك منطقة أولدوفاى التىتخترق حدود تنجانيقا من أولورجيسيلى، تعتبر هاتان المنطقتان من أكثر مناطق العالم وفرة بوجود هذه الالة فيها ، ومن الممكن ان نلحظ نوعا من التطور أدخلهسكان منطقة شرقافريقيا وايضا

سكان أحد المناطق فى مراكش على هذه الالة وغيرها من الآلات المصنوعة من الحصى . ولم يعثر الباحثون خلال كل الفترة التى تقع بين عصر صناعة الالات الحصوية حتى عصرصناعة البلطة اليدوية - وهى فترة تقدر بحوالى

مليونى عام - على أى اثر لاستعمال النار ، فقد واجه الانسان اثناء كل هذه العصور الطويلة ، كما واجهت الوحوش التى كان يصطادها انسان هذه الفتر ايضا البرد والعواصف دون أن تكون لديه الوسائل التى يستطيع بها تدفئة نفسه أو تجفيفحاجياته،

وكان يأكل طعامه نيئا ، كما تفعل الوحوش ، غير انه قد حدث منذ حوالى مائتى ألف سنة مضت ان تعلم الانسان الذى كان يقطن أقصى أطراف اسيا كيف يستعمل النار بغرض

التدفئة وان كان من الواضح انه لم يستعملها من أجل انضاج طعامه . وفى افريقيا حدث الشيء نفسه ، ولكن ذلك كان فى نهاية مرحلة العصر الباليوليتى ، أى منذ خمسين ألفعام مضت .

وحين اكتشف الانسان كيف يستعمل النار حدث تطور اقتصادى واجتماعى ، ربما كان أعمق تطور مر به تاريخ الجنس البشرى، فسرعان ما هجر الانسان خيامه التى كان يقيمها فىالخلاء ليستبدلها بالكهوف والصخور المعلقة وكان تغييره لاسلوب مسكنه رمزا لدرجة جديدة من تكيفه مع البيئة الطبيعية الخاصة .

ومرت المرحلة الحاسمة من التطور البشرى فى تاريخ افريقيا حين بدأت مرحلة الجفاف الشديد بها وهى المرحلة التى تتفق زمنا مع مرحلة ازدهار العصر الجليدى فى الشمال ، ففى هذه المرحلة الجافة حدث أن تسلل الانسان - لاول مرة - الى داخل المناطق

الغابية الكثيفة فى الكونغو وعلى سواحل غينيا حيث استطاع أن يصنع آلات خاصة أطلق عليها اسم سان جوان وضعها فى تصميم معين يجعلها صالحة للاستعمال فى عمليات الحفر ونبش التربة الارضية ، بينما ظل الانسان الذى كان يقطن الاجزاء الخالية من الغابات يعمل على أن يخلق لنفسه مواطن استقرار ثابتة فى الجهات المجاورة للانهار .

ثم كان اختفاء البلطة اليدوية الثقيلة واستبدالها بنماذج أخرى متنوعة من الآلات الاصغر منها حجما مثل السكين ورءوس السهام والازميل انما يمثل أبرز الملامح الاساسية لكل حضارات العصر الباليوليتى الاعلى (٥٠ ألف عام مضت) . وتدل الاجزاء الحجرية الباقية من هذه الآلات الجديدة على

ان كثيرا منها كانت له أيد ومقابض منالخشب، وكان يصاحب هذا التطور المتزايد فى صناعة هذه الآلات انهيار فى تكنيك الشكل الحجرى ، الى ان أدخل اختراع جديد أضاف الى أجزاء الآلة مادة الجلد والأوتار والعظام والقرون ، وليس من شك أيضا فى أن كثيرا من الانتاج الزراعى مثل الصمغ والالياف قد أضيف الى قائمة المواد الخام التى كان يستعملها الرجل الافريقى فى صناعة آلاته .

ثم بدأ فن الحياكة حين بدأ يستعمل الابرة المصنوعة من العظم ، ومع وجود الخيوط ظهرت امكانية صناعة الاقواس ، ومن المحتمل ان رءوس السهام التى صنعها الافريقى كانت أول ما صنع الانسان من أشياء فى أى مكان من العالم .

ولعل من الممكن ان نقول هنا ان الشكل الانسانى السائد فى افريقيا أثناء المرحلة الباليولينية هو الشكل الذى كان عليه أجداد البوشمان المعاصرين ، وكانت هذه الاصلاب البوشمانية تحتل معظم المناطق الجافة من افريقيا من الصحراء الكبرى عبر أثيوبيا ونجود شرق افريقيا حتى المناطق الجنوبية من القارة ، أما فى المنطقة التى تشمل الجهات الغابية فى غرب ووسط افريقيا فقد كان يسكنها أساسا جنس متميز من أشباه الزنوج

ولا زال من الامور التى لم يتوصل أحد من العلماء الى القول الفصل فيها حتى الآن هو ما اذا كان الاقـــزام المعـــاصرون قـــد انحدروا من أصـــل بوشـــمانى أم من أصـــل نيجـــرويدى نطبقـــا لاحـــدث الادلة والبراهين يبدو أن هـؤلاء الاقزام المعاصرين قد جاءوا نتيجة تغيير حدث خـلال السنوات العشر آلاف الاخيرة ، ومن ثم فهم جنس ثالث فى افريقيا .

ومنذ حوالى عشرة آلاف عام مضت ظهـر جنس رابع فى افريقيا ، وعلى وجه التحديد فى شمال وشرق القـارة وهذا الجنس قريب الشبه الى الجنس القـــوقازى ، وقد أطلق عليه ليكى اسم « الحاميون الأوائل » ، ومن المؤكد ان هـــذا الجنس قـــد وجـــد أساسا بمميزاته الخاصة فى جنوب غرب آسيا ، ثم رحل بعض أفراده الى افريقيا . وكان هؤلاء الحاميون الاوائل من القوقازيين الذين كانوا يعرفون على الاقـــل طقوس دفن الموتى ، ومن ثم تركوا لنـــا أثرا أمكن أن يعطينـــا صـــورة حقيقية لملامحهم الجسدية ، هؤلاء الحاميون حضارة مادية هامة أطلق عليها اسم الحضارة الكابسية Caprian نسبة الى جافسا Gafsa اسم مكان فى تونس ، ويرجع تاريخ هذه الحضارة الكابسية التونسية الى العصر الألفى السادس أو السابع قبل الميلاد ، ومن المحتمل ان تكون الحضـــارة الكابســـية التى قامت فى شرق افريقيا اقدم عهدا من مثيلتها فى شمال افريقيا وان كانت كلتا الحضارتين تنحدران أصلا من الحضارة الناتوفية ، التى ازدهرت فى فلسطين منذ حوالى أحد عشر ألف عام مضت .

وكان من أبرز معـــالم كل من الحضــــارتين ـ اذا صح هذا التعبير ـ الناتوفية والكابسية فى ميدان فنون صناعة الاحجار واختراع النصال الرفيعـــة الطويلة المتوازية الجـــوانب وكانت تصنع من الحجـــر الصـــلب خاصـــة الحجـــر الزجاجى الاســـود ، ومن هنا نرى أن وجود النصال الكابسية انما تمثل خطوة تقـــدمية هامة فى مجال فاعلية الازميل والمثقاب وغيرها من آلات الحفر الاخرى على العمل فى مجـــال الاخشاب والعظام .

ثم كان ظهـــور « الشرشرة » وهى الآلـــة الصغيرة التى تشبه القمر عند ما يكون هلالا مظهرا مميزا آخر للحضارة الكابسية وكانوا يستعملونها فى صناعة رءوس الحراب والسهام وسرعان ما انتقلت فكرة عمل أسنان للآلات من العظـــام ، فصنع الكابسيون منها حرابا كبيرة لصيد الحيتان وهو السلاح الذى ساعد جيل الكابسيين الاخير الذى كان يعيش فى كينيا على الاستقرار بجانب بحيرات وادى الاخدود ، وهذا الجيل من الكابسيين هو الذى توصل ـ ربما اقدم من أى جنس بشرى آخر ـ لاول مرة الى صناعة الفخـــار واستخدامه فى عمل المخازن وطهو الطعام ، وعلى الرغم من ان الكابسيين الكينيين كانوا محصورين داخل نطاق منطقتهم الجغـــرافية الصغيرة فان تأثيرهم غير المباشر على بقية افريقيا كان تأثيرا عظيما ، فالنصال التى اخترعوها لم تظهر فى أى مكان آخر فيما عدا المنطقة التى ازدهرت فيها الحضـــــارة الكابسية فى شـــمال افريقيـــا ، ولكن آلات تشبه النصال الكابسية وان كانت أصغر منها حجما قد ظهرت بين الشعوب ذات الحضارة التى كانت تســـمى بالحضـــــارة الماجوشـــية وهى الحضـــــارة التى ســـيطرت عـــلى المنطقة الممتدة من أوغنـــدا الشـــمالية حتى الرأس ، وكانت هذه الحضـــارة الماجوشـــية نتيجة لفترة طقس جاف وقعت منذ أحد عشر ألف عام مضت تقريبا ، وقد عثر المنقبون على آثار باقية لهذه الحضـــارة فى دول مكشوفة وليس فى كهوف أو مغارات صخـــرية كما هو الحال فى الحضارات التى سبقتها أو جاءت فى أعقابها ، وهذا يشـــير الى أن الماجوشيين قـــد تعلموا استخدام الاقواس والســـهام فى تاريخ أقدم كثيرا من تاريخ أى شعب آخر . وليس من شك فى أن القوس كان أول نوع من الســـــلاح الذى ميز حضـــــارات ولتون وهى الحضـــــارات التى جاءت بعـــد ذلك والتى بقيت دون أن يطـــرأ عليهـــا أى تغيير

اساسى حتى ظهور العصر الحديدى ، ولهذا كان من الطبيعى ـ كما يقول الاستاذ كلارك ـ ان يكون ارتباط الحضارة الماجوشية بالحضارة الكابسية الكينية هو العامل الذى جعل حضارات العصر الحجرى الوسيط تنتقل فى سرعة الى المرحلة الاخيرة من مراحل العصر الحجرى فى شرق ووسط وجنوب افريقيا .

ولعل أكثر القضايا دهشة ـ وذلك نظرا لارتباطها بظهور الزنوج الحقيقيين ـ هو العلاقة بين الحضارة الكابسية الكينية وحضارة الخرطوم فى مصرها الحجرى الوسيط ، وهو ما كشفت لنا عنه أخيرا حفريات الدكتور ا . ج . أركل ، فان أهالى الخرطوم القدامى ـ وهم فى ذلك أشبه بالكابسيين فى كينيا ـ كانوا يشتغلون بالصيد فى البر وفى البحر وكانوا يستخدمون السهام المشرشرة والحراب العظمية الثقيلة لصيد الحيتان ، وكانوا مثلهم أيضا استطاعوا أن يصنعوا فى نفس الفترة التى صنع فيها الكابسيون أوان كثيرة ذات فتحة ، كانوا يزينونها برسوم للسلاسل الفقرية لسمك البياض ، وبذلك أصبح لهم نموذج متميز يعرف باسم **((الخط المتموج))** ازدهر فى المنطقة الشرقية فى كسلا ، على الحدود المشتركة بين اثيوبيا والسودان ، وكذلك فى الجهة الغربية عند جبال التيبيستى ، وكان أهالى الخرطوم يدفنون موتاهم بشىء من العناية كما كان يفعل الكابسيون فى كينيا ، وهو طقس لم يكن ليشاركهم فيه كثير من معاصريهم فى افريقيا يومذاك ، وكانوا كذلك يقتلعون الثنيتين أو المقطعين الرئيسيين من فكهم العلوى كما كانت تفعل معظم الشعوب النيلية الحديثة وشعوب الحضارة الناتوفية فى فلسطين . ولكن الشىء الذى كانت تختلف فيه شعوب الخرطوم القديمة عن شعوب الكابسيين فى كينيا هو انهم كانوا ـ بلا شك من الزنوج ـ أما الزنوج الاخرون الذين كانوا يعاصرون زنوج الخرطوم فى ذلك الوقت فهم هؤلاء الذين كانوا يعيشون عند اسيلار على خط العرض الذى تقع عليه الخرطوم وان كانت اسيلار بعيدة عن الخرطوم الى الغرب فى الصحراء الواقعة شمال منحنى النيجر ، وكان زنوج اسيلار ـ مثل زنوج الخرطوم ـ يقتلعون ثنياتهم العليا من أسنانهم ، وكانوا مثلهم أيضا صيادى سمك يستعملون نفس السنارة العظيمة التى كان يستعملها زنوج الخرطوم فى صيد الحيتان .

وعلى هذا نستطيع أن نقول ان افريقيا كان يسكنها منذ ست آلاف أو سبع آلاف سنة مضت اجداد الاجناس الاربعة الرئيسية ، واعنى بها : البوشمان والاقزام والحاميين القوقازيين والزنوج ، وليس هناك جنس من هذه الاجناس الاربعة ـ طبقا لمعلوماتنا الحديثة ـ اتخذ لنفسه مميزاته الحديثة التى نعرفها عنه اليوم منذ وقت طويل مضى ، فمن المؤكد ان الحاميين قد دخلوا افريقيا فى العصور الباليولينية العليا ، أما الأجناس الثلاثة الاخرى فقد كانت نتاجا لأصول افريقية أقدم زمنا ، وهى تمثل فى الوقت نفسه تكيف الشكل الاساسى للانسان العاقل مع البيئة الطبيعية .

لقد تطورت الأرومة البوشمانية ونمت فى مناطق مكشوفة فى الشرق وفى الجنوب ، وربما حدث ذلك أيضا بالنسبة للاقزام فى مناطق غابية أكثر رطوبة فى حوض الكونغو وفى غينيا .

أما سلالة هذين الجنسين ـ البوشمان والاقزام المحدثين ـ الذين لا يزالون يعيشون على الصيد وجمع الاعشاب فهم قصار القامة ضعاف البنية ، وقد أصبح معروفا اليوم ان اسلافهم كانوا أكبر حجما وأكثر ضخامة فى هيكلهم العظمى .

ولعل الموضوع الذى يتبادر الى الذهن وهو : لماذا تعرض هذان الجنسان للتغير القومى فى مرحلة أخيرة من مراحل التاريخ هو واحد من اكثر المشكلات تعقيدا فى ميدان الانثروبولوجية الجسمية ، ونفس هذا الغموض أيضا يحيط بأصل الزنوج الحقيقيين ، لان هذا الجنس قد ظهر على مسرح الوجود فى فترة أحدث زمنا من الفترة التى ظهرت فيها الاجناس الثلاثة الاخرى .

((عبد الواحد الامبابى))

فجر النهضة التعليمية في افريقية

للدكتور علي ابراهيم عبده



عرفنا فى مقال سابق كيف أن الدول الاستعمارية الاوروبية كانت تحارب التعليم فى افريقية وتعمل على عدم نشره بكافة الوسائل ، وذلك بغرض ابقاء الشعوب الافريقية فى ظلام الجهل ، فيخلو الجو للمستعمرين لاستعباد هذه الشعوب واستنزاف خيرات بلادها ، ولكن بالرغم من كل ذلك ، فقد قامت فى افريقية نهضة تعليمية بزغ فجرها فى الدول الافريقية التى حصلت على استقلالها ، فكما نعرف كانت ليبيا ــ قبل عهد الاستقلال ــ محرومة الى حد كبير من فرص التعليم ، ولكنها حرصت منذ أن تحقق استقلالها فى أواخر عام ١٩٥١ ، على تعويض ما فاتها فى السنوات الكثيرة ، التى تعطل فيها تعليم أبنائها تعليما راقيا مناسبا لاهدافها فى حياة كريمة • وقد كان التعليم من أهم المبادىء التى تعرض لها قادة ليبيا أثناء وضعهم الدستور ، فنصت المواد ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ من الدستور على ضرورة نشر التعليم وتيسيره لجميع الليبيين ، وعلى أن التعليم الأولى الزامى ومجانى للبنين والبنات • وكان قانون التعليم رقم ٥ لسنة ١٩٥٢ فى طليعة القوانين التي صدرت بعد استقلال ليبيا •

ومن أهم ما جاء فيه أن تنشىء كل ولاية من ولايات ليبيا الثلاث ، خلال فترة معقولة من الزمن ، ما يكفى من المدارس والمعاهد فى المراحل التعليمية المختلفة لسد حاجة الليبيين الى التعليم ، وأن تنفق عليه الى المرحلة الجامعية •

وقد استطاعت ليبيا خلال فترة قصيرة من حياة استقلالها أن تنشىء عددا كبيرا من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والفنية ودور المعلمين • وأرسلت سلطات التعليم الليبية عددا كبيرا من البعثات الدراسية الجامعية والتخصصية الى البلاد المختلفة • كما أنه تم افتتاح أول جامعة علمية فى تاريخ الامة الليبية فى شهر يناير ١٩٥٦ •

وتعيد سلطات التعليم فى ليبيا ــ من حين الى آخر ــ النظر فى سياسة التعليم العامة ، بما يكفل تدعيم نظام التعليم وازدهاره • وقد تم فعلا تعديل خطط الدراسة والمناهج والكتب المدرسية لمختلف مراحل التعليم على أحدث النظم التربوية ، مستفيدة فى ذلك من تجارب وخبرات الأمم والشعوب الأخرى • وشمل هذا التعديل بصفة خاصة مناهج وكتب ومواد التربية الوطنية والتاريخ والجغرافيا • ويمكن

القول بأن ليبيا استطاعت ــ فى هذه الفترة القصيرة ــ ايجاد سياسة تعليمية وطنية ، تستمد أصولها ومبادئها من واقع البيئة الليبية ، ومن القدر المشترك بين الدول العربية ، دون اهمال للاهداف والمبادىء الانسانية بصفة عامة .

ونظام التعليم الذى كان سائدا فى تونس أيام الاحتلال الفرنسى لها كان مرتبكا لدرجة كبيرة ، فقد كان التعليم مشتتا الى أنواع وأشكال مختلفة ، ففى التعليم الثانوى مثلا كانت توجد مدارس زيتونية تقليدية ، ومدارس فرنسية بحتة ، وأخرى عربية فرنسية ، وكانت نظم التعليم ومناهجه الدراسية مأخوذة بحذافيرها من النظام الفرنسى ، ولا يملك التعليم التونسى من التونسية الا الاسم ، وأصبح عبارة عن خليط لا يتلاءم من قريب ولا بعيد مع الواقع التونسى ، ولا يتماشى مع مقتضيات تطور الشعب التونسى . وما أن استقلت تونس فى عام ١٩٥٦ حتى احتلت مشكلات التعليم المكانة الاولى فى نفوس المسئولين ، ووضعت المبادىء العامة التى ينبغى أن يسير عليها اصلاح التعليم ، وروعى فيها أن تكون ملائمة للواقع التونسى ، ولما تحتاجه البلاد من مختلف أصناف الكفاءات ، وللمواهب الشخصية ، ولرقى العلم ومقتضيات العصر . وأدى هذا الى ما يأتى :

أولا ــ ارتفاع متواصل فى عدد المدارس الابتدائية ، وفى عدد الاطفال المسجلين بها بالنسبة للذين هم فى سن الدراسة . وقد كان عدد هذه المدارس فى سنة ١٩٥٥/١٩٥٦ يبلغ ٧٢٩ مدرسة يؤمها ٢١١ر٧٠٠ تلميذ ، فأصبح فى عام ١٩٦١/١٩٦٢ يبلغ ١٣٦٦ مدرسة يؤمها ٤٨١ر٤٨٣ تلميذا .

ثانيا ــ انخفض عدد المدارس الابتدائية الاجنبية وعدد التلاميذ الذين يؤمونها ، وكان عدد هؤلاء التلاميذ فى عام ١٩٥٥/١٩٥٦ يبلغ ٢٩ر٧٣٦ تلميذا ، فأصبح ١٨ر٢٦٠ تلميذا فى عام ١٩٦١/١٩٦٢ . وذلك لانه بعد الاستقلال غادر تونس عدد كبير من الموظفين الفرنسيين الذين كانوا يحكمونها تحت ستار الحماية ، كما أن عددا غير قليل من رجال الأعمال الذين كانوا يتمتعون بامتيازات خاصة خلال الحكم الفرنسى ، قد فضلوا العودة الى بلادهم على العمل فى تونس من غير « حماية وامتياز » وطبيعى أن جميع هؤلاء اصطحبوا معهم أطفالهم ، ولذلك قل عدد التلاميذ الفرنسيين بسرعة كبيرة وبنسبة غريبة .

ثالثا ــ زاد عدد تلاميذ الاعدادى والصناعى زيادة كبيرة ، فأصبح ١٤ر٠٥٥ تلميذا فى عام ١٩٦١/١٩٦٢ بينما كان فى عام ١٩٥٨/١٩٥٩ ٧٨٣٤ تلميذا .

رابعا ــ زيادة عدد تلاميذ التعليم الثانوى فبلغ ٢٨ر٩٦٦ تلميذا فى عام ١٩٦١/١٩٦٢ بينما كان ١٧ر٣٦٠ تلميذا فى عام ١٩٥٨/١٩٥٩

خامسا ــ كذلك زاد عدد طلبة التعليم العالى زيادة كبيرة ، فأصبح ٢٧٠٠ طالب فى عام ١٩٦٢

وهكذا نجد أن تونس سارت خطوات واسعة فى سبيل نشر التعليم فى عهد الاستقلال حتى أننا اذا قارنا ما تم فى ست سنوات بعد الاستقلال « من سنة ١٩٥٥/٥٦ ــ ٦١/٦٢ » الى ما تم فى ست سنوات قبل الاستقلال من « ٤٩/٥٠ ــ ٥٥/٥٦ » نجد أنه يبلغ ثلاثة أضعاف . كما أن لغة التعليم تحولت من الفرنسية الى العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية ، ووسعت مناهج تدريس التاريخ توسيعا كبيرا ، وخصصت ساعات أسبوعية عديدة لدراسة تاريخ العرب والاسلام . هذا بالاضافة الى التغيير الهام فى النسبة المئوية بين عدد الطلاب الفرنسيين وعدد الطلاب التونسيين فى المدارس .

وفى الجزائر قاوم الشعب بكل الوسائل ــ طيلة قرن وربع قرن برامج الاستعمار التى حاولت القضاء نهائيا على كل ما هو عربى وما هو اسلامى فى أرض الجزائر . فكانت الكتاتيب السرية وكانت الدروس الخاصة ، وكان الاغتراب من أجل العلم والدين .

وجاءت سنة ١٩٢٠ بنهضة فردية تحدى رجالها القانون ، وأسسوا بعض مدارس خاصة فى العاصمة وبعض مدن البلاد . فاقبل الشعب عليها رغم ضعفها اقبالا عظيما .

ثم كانت النهضة التعليمية الحديثة سنة ١٩٣٠ ، فأصبحت الجهود جماعية بفضل

زمرة من علماء الجزائر ، رجعوا الى الوطن بعد اغتراب طويل فى سبيل العلم بالمشرق العربى وبتونس ، وتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وباشرت عملية تنظيم وتنسيق التعليم الاسلامى العربى ونشر المدارس فى كل الجهات . فمنذ سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٥٤ تأسست فى البلاد ما يزيد على ١٧٠ مدرسة ابتدائية ، يتراوح عدد فصول كل منها بين ٥ و ٧ ، وتسير كلها حسب منهاج تعليمى واحد وتخضع لرقابة فعلية . ويلتحق بهذه المدارس ٥٠ ألفا من البنين والبنات ، ويقوم بأعمال التدريس فيها ٧٠٠ معلم ، يحملون شهادة التحصيل التونسية ، وهى معادلة لشهادة التوجيهية المصرية .

وكان الاضطهاد الحكومى يتتبع هذه المدارس وشيوخها ، ويفرض عليهم العقوبات الصارمة بالسجن والتغريم . لكن الحركة سارت مؤيدة من الشعب تأييدا مطلقا . وقد تبارت المدن الجزائرية فى بناء هذه المدارس والمساجد والنوادى بوساطة اكتتابات عامة سخية ، تتبرع فيها المرأة بحليها ويتبرع فيها الرجل بقوت يومه ، ومنها ما بلغت تكاليف بنائه وتأثيثه مقدارا يتراوح بين ١٥ و ٢٥ ألف جنيه .

وكان المتخرجون من هذه المدارس وهى كثيرة يرسلون الى المعهد الزيتونى بتونس (١٤٠٠ طالب جزائرى بتونس سنة ١٩٥٤) أى العشر من مجموع طلاب الزيتونة . والبعض منهم أرسل لمعاهد القاهرة ودمشق وبغداد .

وعندما تكاثر عدد المتخرجين من هذه المدارس ، ونظرا للمشقة التى يلقاها أولياء الطلبة فى ارسالهم الى الخارج ، أسست جمعية العلماء المسلمين « معهد عبد الحميد ابن باديس » وأسست الى جانبه « دار الطالب الجزائرى » التى يجد فيها ألف من الطلبة الثانويين كل ما يلزمهم من حيث المسكن والمطعم وقاعات المطالعة . وقد بذل الشعب كله بسخاء نفقات بناء وتأثيث هذه الدار ، وناهز ذلك مقدار خمسين ألف جنيه .

وقد اعترفت جامعة القاهرة بشهادة معهد عبد الحميد بن باديس معادلة لشهادة التحصيل بتونس والتوجيهية بمصر .

وقد اغلقت الحكومة الفرنسية أثناء ثورة الجزائر الاخيرة معهد ابن باديس ودار الطالب التى جعلتها ثكنة لجيش الاحتلال ، كما عطلت المدارس العربية الاخرى .

أما الطلبة الذين تخرجوا منها ومن الزيتونة ، فقد أرسلت بهم القيادة الوطنية الثورية الى معاهد الشرق العربى وخاصة الجمهورية العربية المتحدة .

والان وبعد استقلال الجزائر تقوم نهضة تعليمية هناك ، ترمى الى تعريب التعليم ونشره بكافة الوسائل .

وفى المملكة المغربية انجزت وزارة التربية الوطنية — بعد الاستقلال — مشروعا اصلاحيا يقضى بمراجعة جميع المناهج الدراسية التى كانت تختلف بعضها عن بعض ، وبتوحيد التعليم وتعريبه ، مع رفع مستواه وجعله مسايرا لروح العصر . ففى التعليم الابتدائى عملت الحكومة المغربية على تحقيق اربعة أهداف أساسية هى :

١ — زيادة عدد التلاميذ المقبولين فى المدارس الابتدائية فى المدن والبوادى . وقد كان عددهم فى اكتوبر عام ١٩٥٦ يبلغ ٢١٠٠٠٠ طفل ، اى نحو ١٧ ٪ ممن هم فى سن الدراسة ، فبلغ ٩٢٠٠٠٠ طفل فى عام ١٩٦٠ ، اى نحو ٤٦ ٪ ممن هم فى سن الدراسة . وقد بذلت وزارة التربية الوطنية جهدا عظيما لتدبير المبانى والمعلمين لهذا العدد الكبير من التلاميذ .

٢ — تعريب التعليم تدريجيا ، وقد تقرر فى سنة ١٩٥٨ تعليم دروس السنة الاولى باللغة العربية . وتقرر فى اكتوبر ١٩٦٠ تعليم دروس السنة الثانية بهذه اللغة ، وأصبحت نسبة الحصص المخصصة لدراسة العربية فى عام ١٩٦٠ تعادل ٧٠ ٪ من مجموع حصص التعليم الابتدائى ، وكانت هذه النسبة لا تتعدى ٣٣ ٪ فى عام ١٩٥٦ .

٣ — تأميم المدارس غير الرسمية تدريجيا . وقد ضمت وزارة التربية الوطنية اليها فى اكتوبر عام ١٩٦٠ عددا كبيرا من مدارس الجمعية الاسرائيلية العالية ، وجعلت المنهج

الدراسى فى هذه المدارس يتفق والمنهج المتبع فى المدارس الرسمية .

٤ ـ اعـداد المعلمـين اللازمين لهـذا النوع من التعليم ، وقد تخرج فى عام ١٩٥٩ من معاهد المعلمين ٤٥٠ معلما وفى عام ١٩٦٠ نحو الف معلم . وتنشىء وزارة التربية الوطنية كل عام عددا من مدارس المعلمين فى الاقاليم ، حتى بلغ عددها ١٦ مدرسة فى اكتوبر ١٩٦٠

وفى عام ١٩٥٥ كان عـدد معـاهد التعليم الثانوى فى مراكش سبعة فقط ، ولكن ، منذ بدء الاستقلال ، زاد هذا العدد حتى بلغ ١٢ فى عام ١٩٥٦ ، وصار ٢٥ فى عام ١٩٥٧ . وأما عدد طلاب هذه المعاهد ، فقد كان ٦١٥٩ فى عام ١٩٥٦ وتضاعف خلال سنة واحـدة وأصبح ١١٣٫٣٧٤ فى عام ١٩٥٧ . وقد بذلت حكومة المغرب جهدا عظيما لاعـداد الامكنة اللازمة لهذا العدد المتزايد من الطلاب .

كما أن التعليم المهنى والفنى فى المملكة المغربية يسير بخطى سريعة نحو التقدم والازدهار . وفى عام ١٩٥٧ أسست بالرباط جامعة مغربية محضة ، مستقلة عن الجامعات الفرنسـية ، وتضم كليات العلوم والحقـوق والاداب . وافتتحت فى اوائل عام ١٩٦٠ كليـة للطب والصيدلة .

وأما مصر ، فقد مر تطور التعليم فيها ، بعد الحرب العالمية الاولى ، فى ثلاث مراحل :

(أ) المرحلة الاولى : منذ انتهاء الحرب حتى عام ١٩٢٥ . وهى امتداد لمرحلة الاحتلال البريطانى . الا أن بعض العـوامل الدوليـة والقومية أثرت على مجرى التعليم فى مصر فى هذه الفترة ، ولذلك كان هناك نشـاط كبير مفاجىء من جـانب السلطات المشرفة عـلى التعليم آنذاك ، تلبية لرغبة الاهالى الملحة فى نوع أرقى من التعليم ، فبذلت محاولات لتعميم التعليم الالزامى والاولى ، ووضعت مشاريع لاعداد المعلمين ، وضمت الجامعة الاهلية الى الحكومة فى عام ١٩٢٥ ، وبضمها أصبح للبلاد سلما تعليميا على نحو من الانحاء ، الا أن كل مرحلة من مراحله كانت بحاجـة ماسة الى الاصلاح . ففى بداية السلم التعليمى حيث التعليم الذى التزمت الدولة بأن تقدمه الى مختلف طبقات الشعب كان هناك خمسـة أنواع من المدارس : الكتاتيب والمدارس الاولية والمدارس الابتدائية الاميرية والحرة والمدارس الالزامية والمدارس الاجنبية وغير الدينية . وكانت هنـاك مدارس بمصروفات وأخـرى بمصروفات مخففة وثالثة مجانية . وفضلا عن ذلك لم يكن هناك هدف واضح ترمى اليه هذه المدارس التى قسمت أبناء الامة الى طبقات غير متجانسة فى الثقافة . وكان عدد المدارس الثانوية قليلا ومصروفاتها كبيرة ومسـتواها ضعيفا . هذا بالاضافة الى مشكلات المناهج وهيئات التدريس .

(ب) المرحلة الثانية : وهى من ١٩٢٥ ـ ١٩٥٢ . وهذه المرحـلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة صراع التيارات والقيم بشأن اصلاح التعليم فى مصر ، فقد تنازع عملية الاصـلاح اتجاهان . اتجاه كان يرى ضرورة قصر التعليم على الصفوة بغية اعداد القادة ، واتجاه اخر كان يرى أن التعليم حق من حقـوق الشعب على الدولة أن تيسره للناس جميعـا ، أما تحسينه والرقى به فسيأتى حتما مع الزمن . وقد ظل هذا الاتجـاه الثانى ماثلا فى أذهان المؤمنين به حتى قدر له أن يصبح أسـاسا للسياسة التربوية فى فترة متأخرة نسبيا . اما الاتجاه الاول الرامى الى اعداد القادة ، فقد كان من نتائجه أن انصب الاهتمام على التعليم الجامعى والثانوى والتوسع فيهمـا والعناية بمشكلاتهما . وبالرغم من الجهود التى بذلت لاصلاح التعليم فى مصر فى هـذه الفترة ، لم يكن أحد فى سنة ١٩٥٢ راضيا عن حاله ، وكانت الشكوى منـه عامة فى جميع مراحله . وليس خافيا أن كل اصلاح لم يجد بالقدر المطلوب ، لانه لم يتناول الاهداف التى يجب أن يحققها التعليم ومناهجه ومستوياته ومدى جدية اضطلاع الدولة بمسئوليتها نحوه وابعادها له عن التيارات الحزبية والسياسية .

(جـ) المرحلة الثالثة : وتبدأ منذ قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ حتى الان . وفى هـذه المرحلة بلغت النهضة التعليمية فى مصر ضحاها ، اذ عملت السياسة التعليمية فى عهد الثورة على التحرر من رواسب الاستعمار والتخلص

من القيم المصطنعة ، وعلى تلقين أبناء الامة القيم الاصلية النابعة من تقاليد البلاد وتراثها الاجتماعي والفكرى . كما يسرت الثورة التعليم لجميع أبنا الامة بجعله مجانيا في جميع مراحله ، وعملت على مواجهة الزيادة المستمرة في عدد التلاميذ . وصححت ميزان التعليم ، بحيث ترجح كفة التعليم في المرحلة الاولى على كفة التعليم الثانوى والعالي ، بل وحدت هذه المرحلة ، وبذلك زالت الهوة المفتعلة بين التعليم الاولى والابتدائي . ونظم التعليم الثانوى على هذا الاساس ، فأصبح على مرحلتين : المرحلة الاعدادية ومدة الدراسة بها أربع سنوات ثم أصبحت ثلاث سنوات في عام ١٩٥٧ . والمرحلة الثانوية ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات . واعادت حكومة الثورة النظر في التعليم الفني والمهني ، مستلهمة من النهضة الشاملة التي انتظمت مرافق البلاد سياسة جديدة تقوم على أساس توجيه هذا النوع من التعليم ، بحيث يسد احتياجات البلاد ، ويعمل على غرس احترام العمل اليدوى في نفوس الشعب . كما عملت على اعداد المعلمين اللازمين لمواجهة التوسع في التعليم في جميع مراحله ومستوياته . وتوسعت في التعليم العالي لدرجة كبيرة ، فأنشأت جامعة رابعة في أسيوط وهي بصدد انشاء جامعتين جديدتين في طنطا والمنصورة .

ولكى ندرك نمو التعليم في مصر بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ يكفي أن نعلم ان عدد تلاميذ المرحلة الاولى كان ١ر٣٩٥ر٧٢٩ في العام الدراسي ١٩٥٤/٥٣ فأصبح ٢ر٧٥٤ر٥٦٦ في عام ١٩٦٢/٦١ ، وأن عدد الطلاب في التعليم الثانوى ومعاهد المعلمين والمعلمات كان ١٣٤ر٨٠٨ في العام الدراسي ١٩٥٤/٥٣ فأصبح ٢٢٧ر٨٢١ في عام ١٩٦٢/٦١ ، وأن عدد الطلبة في الكليات المختلفة بالجامعات كان ٣٨ر١٩٤ في العام الدراسي ١٩٥٢/٥١ فأصبح ٩٨ر٣٥٣ في عام ١٩٦٢/٦١ .

وكانت جمهورية السودان تعتبر من البلدان المتخلفة في ميدان نشر التعليم وتعميمه ، فلم يكن بها قبل عهد الاستقلال الا نحو ألف مدرسة أولية ، فقفز هذا العدد في غضون سنة واحدة بعد الاستقلال الى أزيد من ألف وسبعمائة مدرسة يؤمها ١٩٣ر٦٥١ تلميذا ، ويقوم بتعليمهم ٥٥٤٦ معلما .

وفي التعليم الاوسط « التكميلي » كان عدد المدارس الحكومية قبل الاستقلال ثلاثة وعشرين مدرسة فقط ، بينما كانت المدارس الاهلية في المستوى نفسه تبلغ ثلاثة وثلاثين مما يدل على مقدار ادراك الاهالي لضرورة هذا النوع من التعليم . وفي ظرف خمس سنوات بعد الاستقلال تضاعف هذا النوع من التعليم بالنسبة للذكور بسرعة مدهشة بحيث أصبح يبلغ أربعة أضعاف ما كان عليه من قبل ، فقد كان عدد التلاميذ لا يكاد يتعدى خمسة آلاف تلميذ حتى أصبح في سنة ١٩٦٠ يبلغ ١٩ر٠٨٠ تلميذا . أما الفتيات فقد كان التعليم الاوسط بالنسبة اليهن ضعيفا جدا ، فارتفع عددهن في المدارس الوسطى من ألف طالبة الى أكثر من ثلاثة آلاف .

ولم يكن بالسودان حتى غداة الاستقلال الا ثمانية مدارس حكومية ثانوية تستوعب ٣٢٢٠ طالبا ، وفي سنة ١٩٦٠ ارتفع عدد المدارس الثانوية الى ثلاث عشرة مدرسة يؤمها ٥١١٠ من الطلبة ، بالاضافة الى مدرستين ثانويتين للبنات تضمان ٤٨٣ طالبة . هذا الى جانب الاهتمام بتجديد المناهج والبرامج واحداث الشعب المختلفة في مراحل الدراسة الثانوية.

واهتمت حكومة الثورة في السودان بالتعليم المهني كما وكيفا ، وبتنويعه في مختلف مستوياته ، كما شجعت الاهالي على انشاء المدارس الاهلية الخاصة ، حرصا منها على ايجاد الاماكن لجميع الراغبين في التعليم . وضمت وزارة التربية والتعليم في السودان اليها جميع مدارس الارساليات في جنوب السودان ، ويبلغ عددها ٣٩٥ مدرسة ، يؤمها نحو ٤٤ ألف تلميذ .

ومنذ أن نال السودان استقلاله ، لقى تعليم الكبار عناية خاصة في المجتمعات الريفية وفي المدن . كما بذلت الجهود الجبارة في مجال محو الامية حتى بلغ مجموع المنتسبين في فصول محو الامية في سنة ١٩٥٦/٥٥ سبعة آلاف ، وفي سنة ١٩٥٩/٥٨ ثلاثين ألفا ، وفي عام ١٩٦٠/٥٩ ستة وثلاثين ألفا .

وتوثيقا للعلاقات الثقافية بين مصر والسودان ، افتتح فرع لجامعة القاهرة فى الخرطوم . ويتكون هذا الفرع من كليات الآداب والحقوق والتجارة . وبدأ العمل به فى أكتوبر ١٩٥٥ ، وأصبح يضم فى كلياته عددا من الطلبة لا يزال يتزايد الى الآن . وتخرج أول فوج من طلاب فرع جامعة القاهرة فى الخرطوم فى مارس ١٩٥٩ .

وتوسعت غانا فى التعليم بعد استقلالها لدرجة كبيرة ، فأنشأت ما يزيد على ثلاثة الاف مدرسة ابتدائية ، ونحو أربعمائة مدرسة اعدادية ، وارتفع عدد المدارس الثانوية فيها الى ٦٨ مدرسة . كما أولت غانا عناية كبيرة للتعليم المهنى والفنى ، فأنشأت بعض المدارس لهذا النوع من التعليم ، وقدمت الحكومة وعدد من المؤسسات التجارية الكثير من المنح للطلبة الذين يتابعون دراستهم فى المواد العلمية والفنية . وفى مجال اعداد المعلمين افتتحت غانا فى العام الدراسى الحالى عشرة معاهد جديدة ، وتوسعت جامعتها وأصبحت تحتوى الآن على كلية للعلوم .

وفى نيجيريا زاد عدد طلاب ومدارس جميع مراحل التعليم ، كما ابتدىء فى انشاء جامعة أحمد بللو فى نيجيريا الشمالية ، وسوف تكون فى هذه الجامعة أقسام لدراسة الآداب والعلوم والهندسة والزراعة والطب البيطرى والقانون والادارة العامة .

وفى غينيا قامت أيضا نهضة تعليمية واضحة ، وزاد عدد المدارس زيادة ملموسة ، واشتد الاقبال عليها . فكان فى غينيا فى سبتمبر ١٩٥٨ وهو شهر الاستقلال ، نحو ٥٢ ألف طفل فقط ، يتعلمون فى المدارس الابتدائية والثانوية والفنية ، فأصبح فى عام ١٩٦١ ، أى بعد نحو ثلاث سنوات من الاستقلال يزيد عدد التلاميذ على ١٠٥ آلاف فى هذه المراحل الثلاث ، أى بزيادة ٥٣ ألفا ، أى أنه زاد فى هذه السنوات الثلاث ما كان يمكن أن يزيده فى ستين عاما تحت حكم الاستعمار . كما أن عدد المدرسين تضاعف . وهذا التقدم هو نتيجة لزيادة ميزانية التعليم ، فقد زادت هذه الميزانية بنسبة ٤٦ر٤ ٪ فى عام ١٩٦٠ ، وكذلك نتيجة ما يبذله الاهالى القادرون على انشاء مئات الفصول .

ولكى تستفيد غينيا من الحضارة العالمية وتشارك فيها ، قررت تدريس اللغة الانجليزية فى آخر المرحلة الابتدائية ، حتى يتمكن التلاميذ من متابعة الثقافة بهذه اللغة . كما أنشأت كلية عالية للهندسة تتسع لنحو ألف وخمسمائة طالب ، واستعانت بروسيا على انشاء هذه الكلية ، كما استعانت بالمانيا على انشاء مطبعة كبيرة حديثة فى كوناكرى عملت على حل أزمة الكتاب المدرسى .

وفى الصومال ، بالرغم من محاربة الايطاليين والانجليز لنشر التعليم هناك قبل الاستقلال ، تمكن الشعب من انشاء بعض المدارس بماله الخاص . كما استطاع أن يرسل أبناءه فى بعثات دراسية الى الدول العربية والصديقة ، وخاصة الجمهورية العربية المتحدة . وبعد الاستقلال قامت فى الصومال نهضة تعليمية كبيرة ، تشد الجمهورية العربية المتحدة أزرها بكافة الوسائل . وكذلك فى بقية البلاد الافريقية الاخرى ، التى حصلت على استقلالها ، بزغ فجر النهضة التعليمية ، ونأمل ان تبلغ هذه النهضة ضحاها قريبا ان شاء الله .

دكتور

« على أبراهيم عبده »



تعتبر افريقيــة فى مقدمة القارات التى تحتاج الى مؤتمرات مستمرة ، وحاجتها هذه نابعة من ظروفها ، وجزء من رغبتها فى التحرر وفى خلق مايسمى « بالكيان الافريقى الموحد » فافريقيــة تبحث عن نفسها فى كل مؤتمر من هذه المؤتمرات وتحاول دائما الوصــول الى التكامل الاجتمـــاعى والاقتصــــادى وترميم ما أحدثه بها الاستعمار من تخريب .

ولعل مما يبرز الحاجة الى هذه المؤتمرات ان حدود القارة الافريقيــة فى العصر الحاضر ـ وهى جميعهـــا مفروضــة عليها ـ لا تتفق وطبيعــة توزيع السكان أو الاستقرار القبلى أو التجانس بين الجماعات أومراعاة للأحوال الجغرافية السائدة .. فى كثير من الأحيان .

وقد حدث هذا حين اتفقت الدول الاوروبية فى مـؤتمر برلين فى عام ١٨٨٥ على عملية تقسيم القارة والتهامها ، فنحن لا نراهم يراعون فى عملية التقسيم هذه ـ الا ارضاء بعضهم بعضا ذلك لانهم نشروا أمامهم خريطة كبيرة لافريقية ثم سارع كل المؤتمرين بوضع أيديهم على المنطقة التى يريدون وضع نفوذهم عليها ، وهكذا مد كل واحد اصبعه ومرره على القطـــاع الكبير الذى يريد الاستيلاء عليه ، فاذا عارض واحد اسرع الجميع الى مراضاته ، وأخذوا اصبعه وجعلوا يمررونها على ما يشاء من خطوط الطول والعرض واذا بالابتسامة تعود الى فم الجميع ،

وقد ترتب على هذا ان انقسمت القبيلة الواحدة الى عدة مناطق للنفوذ فكان الجد ـ فى ضوء تقسيم مؤتمر برلين ـ يخضــع لنفوذ انجلترا والابن يطالب بالطاعة لفرنسا والحفيد يجرى فى مرحه ـ فاذا بهذا المرح فى منطقة نفوذ برتغالية أو بلجيكية .

وقد ساعد على عملية التنفيذ هذه ان الافــريقى فــرض عليه كذلك الولاء للغـــة اوربيةجديدة ، او لدينوافد .. مما انقسم معه ولاء الافريقى الى عدة جهات .

وازاء هــذا بدأ الاهتمــــام بالمؤتمرات الافريقية لتأكيد حق الافريقيين وللتقريب بين بعضهم بعضا ـ وكان أن تم عقد أربعة مؤتمرات فى الفترة بين عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٧ وكان الداعى الى هذا الدكتـــور الزنجى

الامريكى « دى بوا » ثم عقد المؤتمر الخامس فى لندن عام ١٩٤٥ واختير « نكروما » سكرتيرا مساعدا لهذا المؤتمر ... وكان القصد من هذه المؤتمرات تركيز شعلة من النور على قلب الظلام المخيم فى القارة ..

ثم خطت القارة خطوة اخرى بعقد مؤتمرات للدول الافريقية المستقلة وكان اولها بدعوة من « الدكتور » كوامى نكروما « فى غانا وكان هذا فى ابريل عام ١٩٥٨ وقد حضرته وفود من الجمهورية العربية المتحدة وأثيوبيا وغانة وليبيريا والمغرب وتونس والسودان .

وفى عام ١٩٥٩ حضر وزراء خارجية هذه الدول ووزير خارجية غينيا والجزائر . مؤتمرا آخر فى « مونروفيا » .

ثم كان ثالث هذه المؤتمرات للدول الافريقية المستقلة .. ذلك الاجتماع الذى عقد فى ثيوبيا فى عام ١٩٦٠ وقد حضره مندوبون عن الدول التى اوشكت ان تستقل ومراقبون من الدول التى ما زالت ترسف تحت نير الاستعمار ،وكان هذا مكسبا لا شك فيه للخط التحررى فى القارة ، ولتوجيه ضربات جماعية الى الاستعمار بكافة اشكاله ..

وقد فكرت الدول الافريقية ان يكون اجتماعها الرابع اجتماعا يحضره رؤساء هذه الدول المستقلة .

وحدد له اغسطس عام ١٩٦٠ بليوبولدفيل ولكن الاحداث سارت فى الكونغو على غير ما تحب القارة ــ فتم انعقاد المؤتمر على مستوى الوزراء ــ وكان منصبا على موقف الكونغو المعقد والدور الذى يمكن أن تقفه منه هذه الدول بالاضافة الى دور الامم المتحدة ..

ثم توجت هذه المؤتمرات المستمرة بمؤتمر الدار البيضاء الذى انعقد فى عام ١٩٦١ والذى حدد فيه المؤتمرون بايجابية موقفهم من قضايا الكونغو والجزائر والتسلل الاسرائيلى ، والكيان الفلسطينى وقد حدد هذا الرئيس جمال عبد الناصر بقوله :

ان مجرد انعقاد المؤتمر يحمل فى طياته معان تاريخية بعيدة الاثر عميقة التأثير ، فأولا : كان هذا ارادة افريقية مستقلة ، وينبع من هذا على الفور ان المؤتمر كان يمثل . ثانيا ايمان شعوب القارة بوحدة الكفاح ، وبالتالى بوحدة المصير . وثالثا : فان المؤتمر يمثل وحدة القارة ذاتها مع وحدة الكفاح فيها ووحدة المصير .

فلقد تلاشت الخطوط الوهمية التى حاول الاستعمار وضعها لتفرقة القارة وتقسيمها ولم تعد هناك افريقية عربية وافريقية سوداء ، ولم تعد هناك الصحراء الكبرى التى اعتبرها الاستعمار خطا فاصلا بين اقسام القارة كما تصورها ، بل كما ارادها عمدا وبسوء قصد ..

من هذا نرى ان القارة الافريقية كانت فى حاجة الى عقد هذه المؤتمرات لتحطيم الحدود المصطنعة سياسيا ، ولتسير فى خط واحد وهدف واحد ينتهى دائما بان افريقية للافريقيين ، وانه لا يمكن رسم القارة من خلال الذين خربوها ، وانما بهذا الاخلاص الذى يظهر واضحا فى الزعماء الافريقيين الذين يحيطون القارة بأيجابية ، وينفون منها الظلام ، ويقربون بين اجزائها المتفككة وبين مشاعر اهلها واحاسيسهم .. حتى يمكن خلق الكيان الافريقى الموحد ..

هذا هو دور الدول الافريقية المتحررة فى عقد المؤتمرات التى سارت بالقارة فى الطريق الصحيح وجنبتها الكثير من الاخطاء والى جانب هذا يوجد الالتقاء « الافرسيوى » الذى ولد فى احضان باندونج فى عام ١٩٥٧ ثم فى القاهرة فى نهاية عام ١٩٥٧ فاذا اضفنا الى هذا مؤتمر الادباء الذى عقد فى طشقند عام ١٩٥٨ وفى القاهرة عام ١٩٦٢ .. اذا اضفنا ذلك عرفنا الدور الكبير الذى لعبته هذه المؤتمرات فى تقدم القارة ..

وعلى ان هناك مؤتمرات مستمرة بين العمال . واتحادات الشباب والطلبة وجمعيات المراة ... وكلها تزيد من وحدة افريقية ومن تماسكها أمام أعدائها ورسمها سياسة لنفسها تتفق وطبيعتها الثورية الجديدة ..

واذا كنا فى هذه الايام نعيش فى دور القضايا التى اثيرت فى (موشى) بتنجانيقا فانا الآن فى الاستعدادات المستمرة لمؤتمر القمة القادم ...

ففى منتصف شهر مايو القادم .. تشهد الدول الافريقية لقاءا جديدا بين اقطابها.. فى سلسلة هذه اللقاءات التى اخذت مكانها بين هذه الدول منذ ان حصلت على استقلالها وانطلقت من قيود الاستعمار لتبنى نفسها من جديد على اساس المصلحة المتبادلة والمنفعة المشتركة .. وقد ردت ثلاثون دولة بقبول الدعوة التى وجهتها أثيوبيا لحضور مؤتمر القمة الافريقى المزمع عقده فى اديس ابابا .. وقد تم التمهيد لهذا المؤتمر بعدد من الزيارات قام بها وزير الخارجية الاثيوبية لبلدان افريقيا داعيا اقطابها .. بعد ان قبلت من حيث المبدأ ..

والدوائر المهتمة بالمشكلات الافريقية تنظر الى انعقادهذا المؤتمر بعين الأمل فهى ترى فيه فرصة مواتيه لتصفية الخلافات والمسائل المعلقة بين الدول الافريقية الممثلة فيه باقطابها كتلك التى توجد بين مجموعة الدول التى اشتركت فى ميثاق الدار البيضاء .. وتلك التى اشتركت فى مشروع ميثاق مونروفيا .. وهى فى الحقيقة ترجع الى اختلاف مراكز ومواقف هذه الدول فى القضايا الوطنية والعلاقات الخارجية التى تربطها بالدول الاجنبية .. وخاصة تلك التى كانت تسيطر عليها فى يوم من الايام .. هذا الخلاف ممكن حسمه بسياسة موحدة هادفة ترمى الى تخليص افريقيا من كل اثر اوتبعية للاستعمار ..

ان السياسة التى تتبعها دول مجموعة ميثاق الدار البيضاء فى هذا السبيل هى سياسة الاستقلال الكامل عن الدول التى استعمرتها وعدم الارتباط بأى من مشاريعها سواء فى السياسة اوالاقتصاد او غير ذلك .. بينما لا تزال مجموعة دول مونروفيا تعيش فى نطاق علاقات وطيدة مع الدول التى كانت تسيطر عليها .. ومن ثم لا تشعر بحلاوة الاستقلال الكامل والتحرر المطلق لانها تجد عقبات فى سبيل تحقيق السياسة التى تتبعها دول ميثاق الدار البيضاء ..
وفى الوقت نفسه تسعى العناصر الوطنية فيها الى التحرر الكامل من قيود الارتباطات القديمة والتى تمت فى عهد الاستقلال والانطلاق فى ركب الدول الافريقية الحرة وقد جمعها بهم أواصر قوية من التضامن والوحدة ..

وهناك ملاحظة استرعت الانتباه وتدل بوضوح على مدى تأثير العوامل الخارجية على سياسة دول مونروفيا .. وذلكحينما ثار خلاف بين المجموعتين فى يوم ما حول موضوع اشتراك الجزائر .. وكان ذلك قبل استقلالها .. فى المؤتمرات التى تعقدها الدول الافريقية .. فبينما رحبت دولالدار البيضاء بهذا الامر ودعتها للاشتراكرسميا لمؤتمراتها .. وجدت الدول الافريقيةالمشتركة فى الاتحاد الفرنسى حرجا فى هذا الامر .. نتيجة ارتباطها بفرنسا .. وموقفها معروف من قضية استقلال الجزائر ..

ان هذه اللقاءات التى تتم على مستوى الاقطاب أو الشعوب والتى تهدف الى تحقيق المستقبل المرموق لابناء القارة الافريقية هى الدفعة الثورية والانطلاقةنحو غد مشرق .. حرمتمنه افريقيا طوالالقرن الماضى حين اغتالتها يد المستعمر وأعملت فيها السلب والنهبوالاستغلال وبطشتبشعوبها فجعلت منهم ثروة بشرية يتمتعون بخيرها على حد سواء مع ثروتها المعدنية والنباتية وامكانياتها الاقتصادية ومواقعها الاستراتيجية

ولما آن لهذه الدول والشعوب أن تتحرر وتسير فى ركب الحضارة رأت أن تنظم خطواتها وتوحد جهودها وامكانياتها حتى لا تتعثر فى سيرها على طريق المستقبل

((دكتور محمد المعتصم سيد))

فزان

بقلم
عبدالسلام شحاته



«فزان واحة واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب» .

من المناطق الهامة فى أفريقيا العربيــة اقليم فزان . وهو احدى الولايات الثلاث التى تتكون منها المملكة الليبية المتحـدة . وقد أثار اهتمامى بها أنى عثرت على كتيب صغير يتضمن محاضرة بعنوان « فزان بين أيدى الاتراك والطليان والفرنسيين » كان قد القاها الاستـاذ أحمد رمزى فى أوائل عام ١٩٤٩ .

وفى الفترة التى ألقيت فيها المحاضرة كان الفرنسيون يسيطرون على هـذه المنطقـة العربية ويعارضون ضمها الى بقيـة أجزاء الوطن الليبى العربى ومنعـوا دخول ممثلى الشعب الليبى ورجال الصحافة العربية .

وتبين الرسالة الحقائق التاريخية التى تؤكد أن فزان أرض عربية ارتبطت بتاريخ طرابلس وبرقة كما ارتبطت بثقافتها وظل هـذا الوضع قائما فى العهـد العثمانى وكذلك فى أيام الحكم الايطالى حتى دخلتها فرنسا فى أوائل عام ١٩٤٣ خلال الحرب العالمية الثانية .

وفزان تقع جنوب غربى طرابلس ومساحتها حوالى ٥٥١ ألف كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها حوالى ستين ألف نسمة ، والجزء الشمالى منها تتخلله تلال وجبال بينما جنوبها صحراوى تتخلله الوديان ، والمناخ منتظم وجفاف الهواء فى الصيف يمكن السكان من تحمل درجة الحرارة . والمطر نادر ولون

الصحراء نجده ضاربا الى الزرقة لقلة الرطوبة ، والماء موجود متوافر على عمق قليل.

والثروة الرئيسية هناك هى التمر ويوجد كذلك التين والزيتون وأشجار اللوز والحبوب كالقمح والشعير وهى محاصيل شتوية ويزرع القطن وتستمر الشجرة بين ست وسبع سنوات وتنتج « لوزة » كبيرة ونوعا من القطن المتوسط التيلة . والحيوان المعروف هناك هو الجمل الذى يوجد منه نوعان السودانى والعربى ويختلفان فى قوة الاحتمال وتنتج فزان السلع القطنية والتيل الخشن وتعرف بها صياغة الذهب للزينة المحلية والفضة للتجارة المحدودة الضيقة .

عاصمتها الحالية « سبها » كما ينص القانون الاساسى لولاية فزان الصادر عام ١٩٥٢ . والعاصمة السابقة مدينة « مرزق » التى تقع فى الركن الغربى لمنطقة الحفرة ويزيد عدد سكانها عن ثلاثة آلاف نسمة وقد ذكرت دائرة المعارف البريطانية انها أنشئت عام ١٣١٠ . وبيوتها وقلعتها مقامه من اللبن . ومن مدنها الهامة أيضا « جرما » فى الجنوب الغربى من « سبها » وهى مقابلة « لجرما » القديمة التى كانت عاصمة لفزان فى عهد الرومان ولا تزال أطلالها قائمة وهى المدينة التى فتحها عقبة بن نافع عام ٤٩ هـ ومن مدنها كذلك القطرون نسبة الى المادة التى تستخرج من الوادى المعروف بوادى القطرون ومن المدن الهامة كذلك مدينة زويلة ويقال ان بعض جنود الفاطميين فى مصر كانوا من هذه المدينة فسمى باسمهم باب زويلة بالقاهرة . وتسمى «زويلة بنى خطاب » نسبة الى ملوك المنطقة من القرن الرابع الى السادس الهجرى (راجع **تاريخ الفتح العربى فى ليبيا — تأليف طاهر الزاوى — دار المعارف القاهرة) وقد عرفت فزان الرومان قبيل الميلاد بقليل وعرفت العرب فى القرن السابع الميلادى ثم خضعت للعثمانيين عام ١٨٤٠ ثم استعمرتها ايطاليا فى مارس ١٩١٤ وخرجت منها فى ديسمبر من نفس العام واستردها الاتراك عام ١٩١٧** وتركوها لأهلها عام ١٩١٨ حتى استعادها الطليان عام ١٩٢٩ ، ثم دخلتها القوات الفرنسية فى يناير ١٩٤٣ لتخرج منها بعد ذلك لتصير فزان جزءا من الوطن الليبى العربى وذلك بانضمام الولايات الثلاث . . طرابلس وبرقة وفزان لتكوين المملكة الليبية عام ١٩٥٢ .

وقد أشار التاريخ الى الروابط القوية التى تربط هذه المنطقة بالتاريخ العربى وأهميتها فى المواصلات البرية وطرق القوافل الى السودان الشرقى والغربى ووادى النيل وقد جاء فى معجم ياقوت الحموى فى تعريفها « وهى واحة واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب تقع فى الاقليم الاول . . بها نخل كثير ومدينتها زويلة السودان والغالب على ألوان أهلها السواد » وقد ذكرها جرير فى شعره فقال :

قفر تشابه آجال النعام به
غيدا تلاقت به فزان والنوب

ويفسر صاحب تاريخ الفتح العربى فى ليبيا لفظ آجال فيقول انه جمع أجل وهو بقر الوحش . كما يذكر أن سكانها لم يعودوا سود البشرة كلهم كما ذكر ياقوت وانما فيهم الكثيرون من ذوى البشرة البيضاء بعد ان تقوت الروابط بين الافريقيين والعرب . وبعض سكان الاقليم من الطوارق وهم الملثمون ولهم تقاليد تنم عن روح الفروسية العربية ولهم عادات طريفة ، ويوجد فى متحف مدينة طرابلس ما يعطى فكرة عن هذه العادات .

واشتهر أبناء فزان منذ القدم بالشجاعة والذكاء وجاء فى كتاب الصحراء الكبرى تأليف جورج غيرستر ترجمة خيرى حماد ان هيرودوت وصف صحراء ليبيا التى تمتد من طيبة الى أعمدة هرقل وتوجد بها مساحات واسعة من الرمال والارض الصحراوية المغطاة بالملح ووسط الملح ينفجر ينبوع من المياه الحارة وآخر من المياه الباردة . وكان باقليم فزان شعب يسمى القرامنت وكان يغطى الارض بالملح ثم يزرع القمح وعمل ابناء القرامنت فى جيش هانيبال وزحفوا معه الى أبواب روما ، وحاربوا الرومان حين استقروا بأفريقية وحاول الرومان مطاردتهم فكانت خطة القرامنت تقوم على تدمير الابار أثناء الانسحاب ، وكانت

فزان هى مقر القرامنت وعاصمتهم هى جرما التى لاتزال اطلالها موجودة كما سبقت الاشارة

ومما يذكر عن روح الكفاح فى أبناء الاقليم تلك السلسلة الطويلة من مقاومة الاستعمار الايطالى الحديث وقد مر بنا كيف أن الايطاليين احتلوا موزق التى كانت عاصمة فى العهد العثمانى وذلك فى مارس ١٩١٤ وخرجوا منها فى ديسمبر من العام نفسه ولم يستطيعوا استعادتها الا عام ١٢٩٩ .

وقد أبلى أبناء ليبيا جميعا أحسن البلاء فى مقاومة ذلك الاستعمار الايطالى البغيض ولم يفت فى عضدهم مالاقوه من نفى وتشريد وقتل وصل الى حد الابادة الجماعية .

ويحدثنا الاستاذ أحمد رمزى عن هذا كله فى محاضرته التى ألقاها عام ١٩٤٩ مندداً فيها بالاعمال الاستعمارية الغاشمة التى تحاول فصل فزان عن الوطن العربى .

ونفيد من هذا التاريخ الحديث دروسا يجب ألا تنسى فقد استخدم المستعمر بعض أبناء المستعمرات الافريقية ضمن جيوشه ودربهم على الطاعة العمياء وعلى حرب الصحراء . ويذكرنا التاريخ بأسماء بعض الضباط والجنود الابطال من أبناء ليبيا وفزان ممن أوتوا قوة خارقة فى استخدام الظروف لتحقيق أهدافهم العسكرية وهؤلاء يكونون قوة لا يمكن الاستهانة بها .

ويذكر عن فزان أهميتها الجغرافية « لان الذى يسيطر عليها فى وسعه أن يملأ السودان والصحراء بالدعوة والدعاية التى يريدها فيهز الاستعمار الاوربى » .

ويلاحظ ذلك الكبرياء الايطالى الذى لا حد له والذى يجدد ويحيى صلف روما وقياصرتها أولئك الذين اعتبروا الاجناس الاخرى شعوبا همجية كتب عليها ان تكون فى خدمة روما وأبنائها ، فالحكم الايطالى يفرض التسليم بلا قيد ولا شرط ويرى أن الاهالى لايقنعهم شيء سوى استعمال القوة التى تصحبها العدالة .

وكانت فرنسا تسخر من اعتزاز الايطاليين بأنفسهم وغرورهم البالغ وهذا واضح من كلمات جرازيانى حين استولت ايطاليا على فزان والكفرة . ونشر الفرنسيون حين استولوا على فزان عام ١٩٤٣ أشعارا تنم عن سخريتهم من الايطاليين الذين ولوا الادبار يومذاك .

ويكتفى أن اقتبس عن المحاضرة سالفة الذكر ترجمة لبعض كلمات فولبى أحد القواد الايطاليين فى حملات فزان اذ قال « أن حق ايطاليا من الناحية الدولية فى امتلاك المستعمرة حق ثابت لا نزاع فيه وان عناد الاهالى ماهو الا ثورة يحركها بعض الرجال المتعطشين الى السلطة تقودهم أطماعهم الذاتية فليس هناك روح قومية أو حركة وطنية تحركها عواطف عالية أو روح جماعية وانما هناك أطماع وأغراض وأهواء فلنضرب ضربا قاسيا » .

وعمل جرازيانى على أن ينفذ خطته لاحتلال فزان فأعد قوات صغيرة متفرقة مستقلة وان كانت مجموعات القوات فى النهاية تهدف لتحقيق غاية واحدة ، ويوصى بعدم السماح للعرب بالانسحاب أو الراحة . ويسخر من عزيمة العرب التى تبدو قوية فى أول الامر ثم تضعف وتهبط فى النهاية ويرى أن العربى مقاتل بطبعه يعتمد على التضليل لتفريق قوة العدد كما تساعده الطبيعة الافريقية التى تسبب الاعياء للجيوش الاوربية .. وينقص هؤلاء العرب فى رأى القائد الايطالى المغرور الالمام بالوسائل الفنية الحديثة التى كانت تستخدم فى الحرب الحديثة فى ذلك الحين .

وعندما دعى جرازيانى لتولى الأعمال الحربية ترنم بمقطوعة من شعر « فيرجيل » معناها أن الشعب الرومانى يجب أن يذكر أنه سوف يدعى لحكم الشعوب فليعف عمن يدين له وليخضع القوى لسلطانه .. وهذا ترديد لحق روما الالهى فى حكم الشعوب ! !

وقبل أن نترك هذه الكلمات التى صارت أثرا بعد عين والتى تدعو للسخرية ولا تتفق مع أبسط الحقوق يجب أن نلاحظ ان هؤلاء المجانين بالعظمة أو هؤلاء المصابين « بالميجالومانيا » لم يكونوا شخصيات مسرحية تمثل جنون العظمة أو تمثل مأساة من مآسى أحد قياصرة الرومان ، وانما هى

شخصيات كان لها واقع وكانت تقود جيوشا وتبيد السكان العرب في العقد الثاني والثالث والرابع من هذا القرن .

وكان في امكان هؤلاء القواد الالمام بشيء من التاريخ ليعرفوا أن هذا الشعب العربي عرف الحضارة وكان له صوت مسموع في التاريخ وانه ليس مجموعة من القبائل البدائية الهمجية التي تدرس كنماذج للمجتمع البدائي .. ولو أن هؤلاء القواد كانوا قد نالوا نصيبا من الثقافة المتحررة لعرفوا أن للانسان حقوقا .. ان الغريب حقا في أمر هؤلاء وأمثالهم أنهم عاشوا في العقد الثالث والرابع من هذا القرن ... ولم يكن عليهم أن ينتظروا أكثر من سنوات قليلة ليعلموا أن هناك حقوقا ما للانسان ، وان الدول المغلوبة على أمرها انما هي في وضع مؤقت وان ادارة شئونها يعتبر مسئولية دولية بحيث ترعى رفاهية هؤلاء السكان لمنحهم الحكم الذاتي أولا ... أقول لم يكن بينهم وبين الفترة التي أعلنت فيها هذه المبادىء أكثر من سنوات قليلة ليدركوا ما جاء بميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ . وان أقسى أنواع الاستعمار الحديث لم تصرح على الأقل بمثل هذه الأحاديث البشعة في حد ذاتها . وكان الاضطهاد العنصري يعمل عمله في نفوس هؤلاء الذين وضعوا أنفسهم في مكانة عالية ووضعوا العرب في أحط مكان في اطار النظام الاجتماعي .. ولم يكن هذا الاضطهاد ناجما عن اللون ، وانما عن جنون العظمة الروماني الذي سرعان ما انهار .

ويشير مؤلف الكتيب القيم عن فزان ، كيف ان واحدا من القادة الفرنسيين كان ببيروت عام ١٩٤٠ أي قبيل عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا ، ثم دعي ليتولى منصبا هاما للدفاع عن فرنسا يوم كان راديو برلين يردد قوله « لو بعث نابليون من قبره ، لما كان في وسعه أن يغير القدر المحتوم » .

وكان على هذا القائد الفرنسي أن يمضي من بيروت الى القاهرة فالخرطوم الى وادای الى بحيرة تشاد ثم تمبوكتو ومنهما الى وسط الصحراء ثم الى الدار البيضاء ليصل في أربعة أيام الى فرنسا بينما هو في الأوقات العادية يستطيع الوصول من بيروت الى فرنسا خلال ساعات معدودات .. وهذا التغيير نتج عن العداء بين فرنسا وايطاليا يومذاك ، وهذه الأخيرة جعلت من سيطرتها على جزء من صميم القارة الافريقية خطرا يهدد مصالح الحلفاء ويشل حركتهم .. ومن هنا أدركت فرنسا أول دافع يدفعها للتمسك باقليم فزان فهو الطريق الجوي بين مدغشقر وفرنسا ..

وعملت فرنسا على أن تجمع صفوفها للقتال حتى يمكن أن يكون لها مقعد على مائدة الصلح، بعد أن صارت غير جديرة بمثل هذا المقعد لاستسلامها ، في أوائل الحرب ، فغير ديجول اسم حكومة فرنسا التي كان يمثلها عبر البحار من فرنسا الحرة الى فرنسا المحاربة وعمل على جمع جيوش المستعمرات في افريقيا وآسيا ليسهم في الحرب مع الحلفاء ويجلس على مائدة الصلح ..

وكان العمل المنفصل الوحيد الذي قامت به فرنسا خلال الحرب هو زحف القوات الموالية لها من بحيرة تشاد عبر الصحراء الكبرى الى فزان واعتبرت فرنسا هذه العملية من أعظم عمليات حرب الصحراء وارتبطت هذه الحركة بحركة الحلفاء في الشمال لدفع جيوش المحور الى الحدود التونسية وبذلك تمكن الحلفاء بعد الاستيلاء على فزان من دخول طرابلس .

ومرة أخرى وجد الدليل على أهمية فزان في المواصلات .

« وقد ذكر الفرنسيون انهم وجدوا في مطار الكفرة البريد السري الذي كان يرسله حاكم جيبوتي التابع لحكومة فيشي مما يدل على أن مطارات الصحراء كانت تسمح باتصال الايطاليين في اثيوبيا مع دولتي المحور في أوربا »

ويدعو مؤلف الرسالة الى تعلم حرب الصحراء وتحدث عما لهذه الحرب من خصائص وما تغرسه من شجاعة وصبر .. وقد برهن

العرب فى الجزائر فيما بعد أى ـ بعد أن ألف المؤلف بحثـــه ـ على قدرتهم الخارقة والمامهم بفنون القتال فى الصحراء وفى غيرها • وقد جاءت هذه الحقائق تلقائية غنية عن أى تعليق •

هذه دعوة للدفاع عن جانب من قضـــية الوحدة الليبية والدفاع عن استقلالها وعروبتها كتبت منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما •• وقد تطورت الأوضاع وقيض الله لذلك الاقليم فى ظل الوحدة الليبية ••

ويذكر المؤلف فى دفاعه على الدوام ان فزان عربى وان من حقنا أن ندافع عن حريته وحرية ليبيا ،وحدتها وان هذا واجب تقضيه العروبة والأخوة العربية والتـــاريخ المشترك ووحدة الآمال •• وهذا كله تعبير عن حقائق ظهرت فلسفتها الواضحة بعد ذلك •

وقد أخذت الدول الافريقيـــة المتحررة تتكتل فى المجال الاقتصادى والثقافى والمواصلات وغيرها وسوف تشمل مجالات التعاون الثقافى الاهتمام بالقارة ودراستها وكذلك الاهتمام بالصحراء ، كما ان يقظة القارة عملت على تحرير كثير من شعوبها والتضييق من نفوذ المستعمر الذى أخذ ظله البغيض ينقشع عن القارة رويدا رويدا •

هذا وقـــد بدىء الاهتمام بتنمية اقليم فزان ضمن خطة التنمية الليبية وذلك كما جاء التقرير الذى وضعه خبراء بعثة البنك الدولى للانشـــاء والتعمير عن تنميـــة ليبيا الاقتصادية •

ولوحظ اكتشاف البترول فى ليبيا واكتشاف بعض آباره فى اقليم فزان بالذات وان كانت بعض هذه الآبار لم تستغل نظرا لبعدها عن الساحل وكثرة نفقات النقل •• وقد لوحظ كذلك أن أبناء الاقليم يمتازون بمهارات فائقة وقدرة على التكيف بالحياة وان الكثيرين منهم يهـــاجرون الى اقليم طرابلس الاكثر عمرانا ويقبلون على التعلم بسرعة فائقة •

واذا كان مســـتقبل البترول وتأثيره الاقتصادى ما زال غير محدد المعالم ، فالملاحظ أن فزان تعتبر من المنـــاطق الخفيفة السكان كما انهـــا بعيـــدة نسبيا عن طرابلس ،

والتنمية فى مثل هـــذه الأحوال تعتمد على العنـــاية بالزراعة أولا مع توفير الامكانيات لتعتمد معظم اقتصـــادياتها على ثرواتها وتوفير فرص اقتصادية أفضل بالنسبة لأولئك الذين يبقون فيها ولا يغادرونها الى المناطق الساحلية ونظرا لبعد المسافات فان البعثة اقترحت مد خطوط منتظمة من الطائرات دون انشاء طرق برية للتكاليف الباهظة التى تتكلفها •

ولاحظت اللجنـــة كذلك ملاحظة جـديرة بالاعتبار ، وهى أن اقتصاديات فزان تطورت فى العصور الحديثة لمواجهة احتياجات القوات المحتلة مبتدئة بالاتراك ثم الايطاليين فالفرنسيين ومع اختفاء هذه القوات باتت غير مستقرة فى اقتصادياتها ، وهذه سمة البلاد المحتلة التى تتكيف اقتصادياتها تبعا للقوى الاجنبية المسيطرة ومن ثم تعمد هذه القوى الى تقوية مظاهر التبعيـــة حتى اذا انسحبت انهـــارت الحياة الاقتصادية فى المناطق التابعة • وقد حاولت اللجنة علاج هذا الخطر •

ومما يعوق الزراعة تحكم عدد من الملاك فى الآبار التى تروى الأراضى مما يحـــدد مساحة الأرض المنزرعة وان كان قد لوحظ انه قد تم حفر حوالى خمسين بئرا فى وادى الشاطىء خلال السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية •

ويذكر التقرير أن قلة الأيدى العاملة من أكبر عوائق التنميـــة الى حد أنه حدث ان محصول القطن لم يجن فى بعض الســـنوات لقلة هذه الأيدى •

وقد ظهر من عوائق النمو الاقتصـــادى تكاليف نقل السلع ممـــا يجعلهـــا تباع فى الأسواق بثمن أكثر ارتفاعا من مثيلاتها فى البلاد الاخرى •

وأوصت البعثـــة بانشاء محطة تجارب للبحوث الزراعية لتحسين طرق الزراعة ••

ويبدو أن التقرير بوجه عام يعالج فزان كمنطقة منعزلة لا ترتبط بمصـــالح أخرى ومنافع متبادلة مع ســـائر المناطق الأخرى المجاورة ••• ولا شك أن التعاون الشامل قد يفيد فى التغلب على كثير من العقبات •

سر الأسلحة البريطانية في جنوب افريقية

بقلم احمد صوار

فى هـذه الفترة التاريخيـة التى تمهـد لمستقبل يبشر بتأمين حرية الملايين وسعادتها فى وطننا العربى ، تدور على أرضنا الافريقية وبالتحديد فوق منطقة اتحاد جنوب افريقية استعدادات واستحكامات من جانب بريطانيا الغرض منها ان تكون فى خدمة الاستراتيجية البريطانية ، وان تقوم بنفس العمليات التى تؤديها قواعدها فى الأردن وعـدن وجنـوب الجزيرة العربيـة ومنطقة الخليج العـربى ، بعد أن بات ينتظر هذه القـواعد نفس المصير الذى آلت اليه قواعدها السابقة فى منطقـة السويس والحبانية .

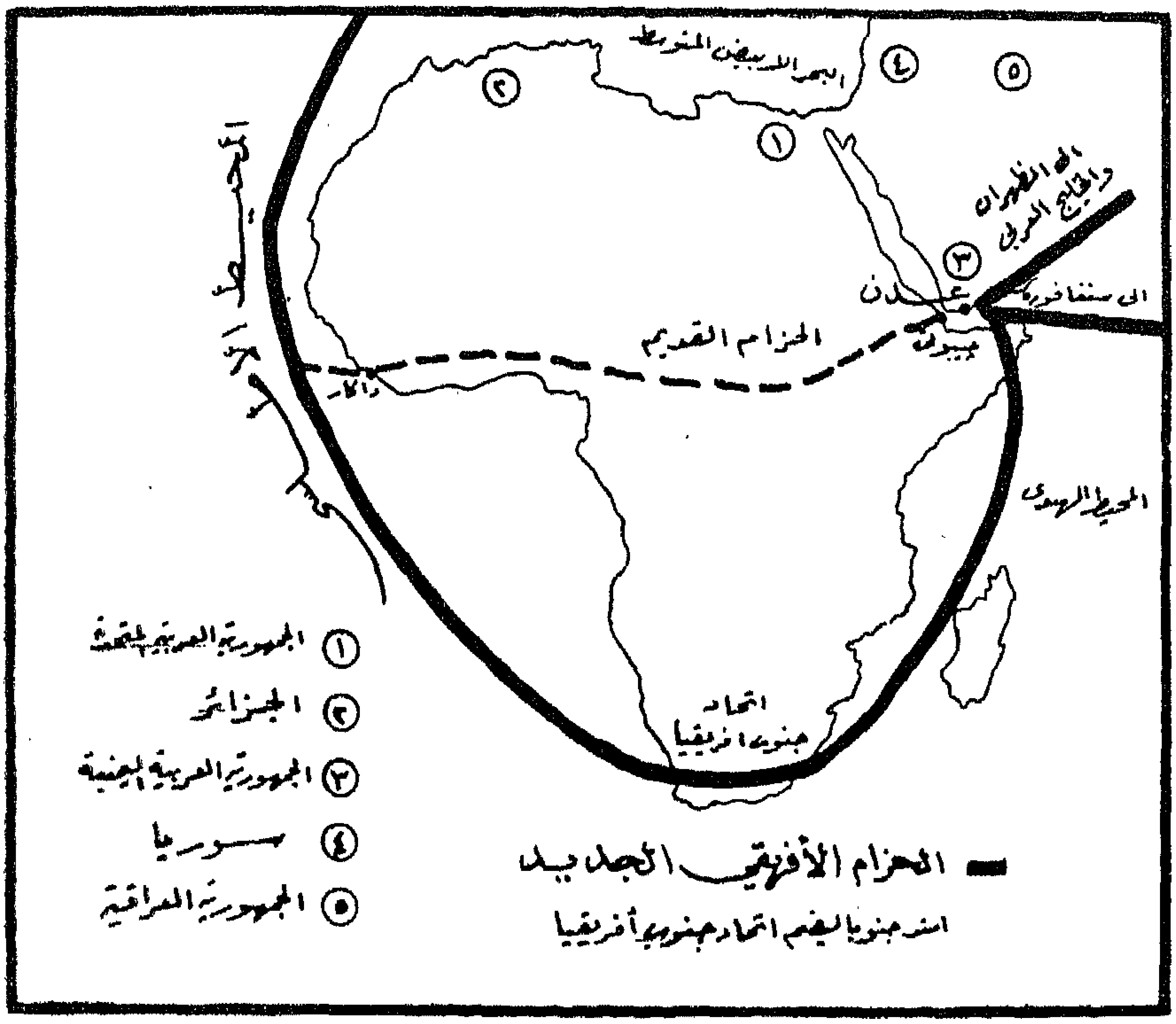
ففى منتصف شهر مارس المـاضى ، أعلنت وزارة الدفاع البريطانية ان المفاوضـات تدور فى الوقت الحاضر كى يجعل من جنوب افريقية منطقـة عبور للقوات والاسلحة البريطانية فى حالة وقـوع اضطرابات فى الشرق الاقصى . وتكشف وكالات الانبـاء عن طبيعـة هـذه المفاوضـات فتقول أن طريق الامـدادات بين بريطانيا والشرق الاقصى يسير فى شكل قوس فـوق المحيط الاطلنطى حول طرف افريقيـا الغربى ، كما يسير جنوبا نحو جمهورية جنوب افريقية .

وتضيف وكالات الانبـاء القول بأن الطرق الجـوية والبحـرية البريطانية القائمة التى تؤدى الى مناطق النفـوذ البريطانية فى عدن وسنغافورة تسير فى مناطق يزداد وقوعها تحت نفـوذ الرئيس جمـال عبد الناصر ، وتخشى لندن ان تغلق الدول العربية والاسلامية هذه الطرق فى وجه بريطانيا ، اذا ما ووجهت بأزمة فى الخليج الفارسى او فى جنوب شرقى آسيا .

وليس من قبيل المصـادفة ان تجـرى المفاوضـات بين بريطانيـا وحكومة البيض فى اتحاد جنوب افريقية ، فى الوقت الذى تنعقد فيه الاجتماعات بين جمـال عبد الناصر وبين الأحـرار ، اذا علمنـا ان الدافع الحقيقى للمفاوضـات بين لنـدن وبريتوريا هو فشل الرجعيـة فى شـد الأمة العـربية الى حظيرة الاستعمار لتكون ضمن مناطق نفـوذه ، وما أعقب ذلك من تدهـور فى خطوط دفـاعه العسـكرية ، فبعد أن كان الاسـتعمار يطوق أعناقنا بحلقاته العسكرية ، حدث العكس ، وأصبحت قلاعنا هى مصدر القلق . وأصدق مثال على ذلك سـقوط أسرة حميـد الدين فى صنعاء وزوال الرجعية المعتقة من اليمن التى أصبحت اليوم بعد ثورتها تشكل خطرا كبيرا على القـواعد البريطانية فى عـدن وجنوب الجزيرة ومنطقة الخليج .

لـذلك كله أدخلت مخططـات الدفـاع البريطانية فى حسبانها حكومةجنوب افريقية، وهى حكومة من البيض لفظتها جميـع الدول الافريقيـة ، كمـا أدانتها جميع الشـعوب ، وكذلك الامم المتحدة بسبب سياستها العنصرية البربرية القائمة على افناء أكثر من ثلاثة عشر مليونا من الافريقيين أصحاب البلاد الشرعيين، وحمـاية ما يقـرب من مليونين من البيض الدخلاء الذين لفظتهم أوروبا فى يوم ما .

وكان من الطبيعى أن تعـدل الاستراتيجية البريطانية من مشروع الحزام الافريقى القديم الذى انتهى بالفشل نتيجة لحركة المد الثورية التى اجتاحت القارة فى السـنوات الاخيرة ، وأن تقيم حزاما آخر يبدأ من قواعد الدمار



فى أوروبا الغربية ليضم اتحاد جنوب افريقيا بعد أن يتبع الساحل الغربى لافريقيا ، ثم يتجه الحزام من جنوب افريقيا شمالا حيث عقدة التجمع العسكرى فى عدن لينطلق شرقا الى جنوب شرقى آسيا أو شمالا بغرب الى القواعد فى الظهران ومنطقة الخليج ، وحقيقة الامر أن هذا التطور العسكرى فى خطط الدفاع البريطانية ليس وليد اليوم ، بل يرجع الى عام ١٩٥٦ وبالتحديد بعد هزيمة بريطانيا فى العدوان الثلاثى على السويس ، ودخول قواعدها العسكرية فى المنطقة فى مرحلة التصفية النهائية نتيجة لفشل الثالوث الاستعمارى فى عدوانه • فمنذ ذلك التاريخ وحكومة بريطانيا تعمل على احالة جنوب افريقيا الى ترسانة مسلحة تخدم عملياتها الحربية فى المستقبل • وفى العدد الصادر بتاريخ يوم ١٥ من مارس عام ١٩٦٣ من صحيفة تربيون البريطانية الاسبوعية وهى صحيفة تتصف بطابع الاعتدال الى حد ما ، ذكرت الجريدة المذكورة أن سيلا من الاسلحة البريطانية يتدفق على جنوب افريقيا ، كما كشفت الصحيفة النقاب عن دور الحكومة البريطانية باعتبارها مسئولة عن حمى التسليح الذى تجتاح حكومة البيض فى جنوب افريقيا •

ونحب هنا أن نلخص بعض ما نشرته تربيون حتى يكون اتهامنا لبريطانيا قائما على أساس منطقى سليم •

• **قدمت بريطانيا لجنوب افريقيا ٨٠ عربة مصفحة من طراز (ساراكان) ، كما تقوم بامدادها بالقاتلات النفاثة •**

• **افتتحت حكومة الاتحاد بمساعدة بريطانيا ثلاثة مصانع ضخمة لانتاج الاسلحة والذخيرة بلغت تكاليفها المبدئية أكثر من عشرة ملايين جنيه استرلينى ، كما يجرى بناء مصنع آخر لانتاج القذائف الصاروخية •**

• **فى العام الماضى زادت حكومة جنوب افريقية ميزانيتها الدفاعية بنسبة ٦٧ ٪ ، كما**

تنوى حكومة الاتحاد انشاء جيش قوامه ٦٠٫٠٠٠ جندى (كله من البيض طبعاً) .

● أعلنت حكومة الاتحاد أن لديها مشروعات أخرى تهدف الى انتاج القنبلة الذرية أو الهيدروجينية .

● بدأت نوادى التدريب على استعمال الاسلحة وتم استيراد ما يقرب من ٩٠٫٠٠٠ قطعة من الاسلحة النارية خلال ١٨ شهرا .

● أبريطانيا على صلة وثيقة بكل ما يجرى من تسلح فى جنوب افريقية فالشركات البريطانية التى حصلت على تصريح من الحكومة تتولى اقامة مصانع الاسلحة والذخيرة وامدادها بالمقاتلات النفاثة والدبابات ؟

والغريب فعلا ان صحيفة تربيون أدعت ان هدف هذا التسليح هو الخوف من هجوم داخلى يشنه الافريقيون على البيض ، أو من غزو خارجى تقوم به احدى الدول الافريقية المجاورة أو كلها مجتمعة ضد حكومة البيض فى اتحاد جنوب افريقية .

وليس من شك فى أن التبرير الذى قدمته الصحيفة لا يستحق الرد ، ذلك ان الافريقيين فى الاتحاد لا يملكون أى سلاح ، والقانون يحرم ذلك ، وأبعد من ذلك أن دخول الافريقيين المدن يحتم عليهم حسب أوامر حكومة الاتحاد أن يحملوا تصاريح خاصة والعكس طبعا بالنسبة للبيض الذين لهم الحق فى حمل السلاح وحرية الانتقال فى كل مكان . ولقد رأينا أن الحجارة وفروع الاشجار كانت الاسلحة التى استخدمتها الجموع الافريقية الغاضبة احتجاجا على السياسة العنصرية فى مذبحة شاربفيل فى شهر مارس من عام ١٩٦٠ ولقد سقط فى هذه المعركة أكثر من تسعين افريقيا ، بينما لم يقتل رجل من البيض الذين كانوا يحملون الاسلحة النارية ويحتمون داخل السيارات المصفحة .

أما حكاية الغزو الخارجى فهى خرافة ذلك أن الدول الافريقية المجاورة لجنوب افريقية مازالت تخضع للاستعمار البرتغالى أو البريطانى فموزمبيق وأنجولا مستعمرتان برتغاليتان تصارعان من أجل حريتهما واستقلالهما من بطش سالازار . أما تيشوانالاند وباسوتولاند وسوازيلاند فجميعها محميات بريطانية ، وحتى المستعمرتان الاخيرتان تقعان داخل جمهورية جنوب افريقية حتى أن بعض الجغرافيين يشبهانهما ، نتيجة لموقفهما ، بجزيرتين داخل الاتحاد . وحتى افريقيا الجنوبية الغربية فما زالت تحت وصاية حكومة الاتحاد رغم اعلان الامم المتحدة بانهاء هذه الوصاية واصرار شعبها على الانفصال والاستقلال عن حكومة البيض فى بريتوريا .

يمكننا اذن أن نستخلص الحقيقة التالية وهى أن هذا التسلح يتفق مع طبيعة المفاوضات التى أعلنت عنها وزارة الدفاع البريطانية فى منتصف شهر مارس وكشفت عن خفاياها وكالات الانباء ، وهى أن تصبح جنوب افريقيا همزة وصل للحزام الافريقى الجديد الذى يعتبر المحيط الاطلسى طرفا له ، والمحيط الهندى طرفا ثانيا ضمانا لنجاح استراتيجيتها وتأمينا لها .

((أحمد صوار))

وجه الاستعمار الجديد

بقلم عبد الرحمن صالح

الخطر الابيض قادم من أوربا الغربية.. من تلك الدول التى كان اتصالها بقارتنا السمراء منذ أكثر من أربعة قرون .. بداية النكبات علينا ..بداية الاسترقاق لأبنائنا.. والاستنذاف لخيراتنا .. ثم احتلال أرضنا تلك القرون طويلة .

ولئن كان عدد كبير من الشعوب الافريقية قد استطاع أن يحصل على حريته أخيرا وبعد جهاد طويل حتى بلغ عدد الدول الافريقية المستقلة ثلاثا وثلاثين دولة يصل مجموع سكانها الى حوالى ٢١٨ مليونا من بين مجموع سكان القارة الذين يقدرون بـ ٢٦٥ مليونا.. لئن كانت هذه الدول قد حصلت على استقلالها وأصبحت لها أعلامها وسيادتها وكيانها الدولى فان هناك خطرين جسيمين يهددان هذا الاستقلال وهذه السيادة أشد التهديد .

هذان الخطران هما :

١ ـ الاستعمار الاقتصادى الجماعى الجديد الذى تشنه أوربا على أفريقيا ليحل محل الاستعمار السياسى القديم الذى كان فرديا بحيث تختص كل دولة منها باستعمار أرض معينة ومناطق محددة وتتنازع مع زملائها الدول الأخرى فى سبيل الاحتفاظ بما لديها وانتهاب أراض جديدة . ويتمثل هذا الخطر فى السوق الأوربية المشتركة التى استطاعت أن تضم الى نطاق نفوذها ثمانى عشرة دولة أفريقية .

٢ ـ القواعد العسكرية الكثيرة التى تنتشر فى أرض القارة والتى تخدم أغراض الاستعمار خدمة مزدوجة فهى تمثل استمرارا لسيطرته على أرض القارة ومنطلقا لقواته لكبت الحركات التحررية بها . كما ان هذه القواعد تحكم حلقة الحصار الغربى حول الكتلة الشرقية وتزج القارة بهذا فى اتون حرب باردة قد تصبح فى أية لحظة حربا عالمية متأججة الأوار فتصيب القارة بالتدمير وأبناءها بالفناء .

ونحن فى مقالنا هذا سنتناول الخطر الأول أى الاستعمار الاقتصادى الجماعى الغربى الذى يمثله السوق الأوربية المشتركة .. ذلك ان أوربا لاتبغى من افريقيا الا أن تكون موردا للمواد الخام الرخيصة وسوقا لتصريف منتجاتها الصناعية المرتفعة الثمن .. وفى سبيل ذلك كان الاستعمار السياسى القديم .. وكان أيضا الاستعمار الاقتصادى الحديث .

والسوق الاوربية المشتركة هى تكتل اقتصادى كونته ست دول أوربية فى مارس سنة ١٩٥٧ هى .. فرنسا والمانيا وايطاليا وهولندا وبلجيكا ولوكسمبرج وقعت فيما بينها معاهدة طويلة تتكون من مائتين واربع وثمانين مادة وعدد من الملاحق .

وهذه المعاهدة لا تقضى فقط بالالغاء التدريجى للعوائق الجمركية بين الدول الاعضاء واقامة نظام جمركى موحد بين دول المجموعة من جهة وبين بقية أجزاء العالم من جهة أخرى .. ولكنها تنص أيضا على انشاء مؤسسات عضوية هى :

١ ـ جمعية تتكون من ١٤٢ عضوا يختارون من برلمانات الدول الست ، ووظيفتها هى الاشراف العام على المجموعة عن طريق فحص التقرير السنوى الذى ترفعه اليها لجنة السوق ولهذه الجمعية سلطة واسعة فى حالة خرق قواعد المجموعة . ويظل أعضاؤها فى مناصبهم مدة أربع سنوات .

٢ ـ مجلس وزراء يتكون من عضو واحد عن كل دولة وتتم رياسته بالتبادل ويصبح

أن يدعى للاجتماع بواسطة رئيسه بنـــاء على رغبته الخاصة أو بناء على طلب أحد الاعضاء •

ومهمة المجلس ـ كما نصت عليها المادة ١٤٥ من المعاهدة ـ هى تأكيد التناسق بين السياسات الاقتصادية العامة للدول الاعضـــاء واتخاذ القرارات النهائية بصدد السياسة الاقتصادية داخل المجموعة الاقتصادية الاوربية •

ورغم ان لكل دولة عضوا واحدا فى مجلس الوزراء هذا الا أن أصوات الاعضاء تختلف من حيث قيمتها العددية فلكل من بلجيكا وهولاندا صوتان ، ولكل من ألمانيا الغربية وفرنسا وايطاليا أربعة أصوات ولوكسمبرج لها صوت واحد فقط •

٣ ـ لجنة تنفيذية مكونة من تسعة أعضـاء روعى فى اختيارهم كفاءتهم الفنية الكبيرة ، ولها سلطة واسعة فهى تصـــدر القرارات والتنظيمات وصـــياغة التوصيات أو الآراء فى الامور التى تعتبر موضوع معاهدة السوق كما تقوم بتنفيذ المهام التى يعهـــد اليها بها من المجلس •

٤ ـ محكمة مكونة من سبعة قضاة للنظر فى أى اجراء من شأنه خرق المعاهدة أو الاخلال بأحكامها •• أو اذا أساءت احدى المؤسسات العضوية الاخرى استخدام سلطاتها •

٥ ـ لجنة اقتصادية واجتماعية تتكون من ممثلين لكل الاقسام الاقتصـادية والاجتماعية داخل المجموعة وكذلك للنقـــابات المهنية ، واختصاص هذه اللجنة استشارى محض •

٦ ـ بنك أوربى للاستثمار يقـوم بمهمة تحويل المشاريع التى توضع لمساعدة المناطق الناميـــة داخل المجموعة • كما أنه يختص بتطوير وتأميم المشـــاريع التى لا تستطيع الجهود الفردية الاضطلاع بها •

٧ ـ صندوق تنمية للمناطق الموجودة فيما وراء البحار مهمته تحويل المشاريع الخاصـــة بتحسين وترقية التعليم والصحة العامة والنقل والتقدم الصناعى فى الاراضى الواقعـــة وراء البحار التابعة لدول السوق • وأهم المساهمين فى هذا الصندوق •• فرنسا وجمهورية ألمانيا الاتحادية • وهذا الصندوق ينصب عمله بالذات على افريقيا •

٨ ـ صندوق أوربى للنواحى الاجتماعية يقوم بتمويل وتسهيل عمليات تشغيل العمال ، كما يقوم بتذليل كافة الصعاب التى تعترض طريق العمال وأصحاب العمل وذلك عن طريق اعادة تنظيم الصناعات طبقا للخطة الشاملة المستهدفة رفع الكفاءة والمقدرة الاقتصـــادية لمجموعة السوق •

ولعل السوق الاوربية المشتركة هى خطوة أولى نحو الاتحاد السياسى الكامل لاوربا الغربية ذلك أن أحلام الوحدة التى تراود الاوربيين من قديم لا يمكن تحقيقها الا اذا سبقها تقريب فى المناهج الاقتصادية وتعـــاون كامل بين رؤوس الاموال والمؤسسات الاقتصادية الكبرى فيها • ولذلك فان الدول الست قد اتفقت على :

١ ـ الغـــاء العقبات التى تعترض حرية انتقال الاشخاص والخدمات ورأس المال •

٢ ـ ازالة القيود على الصـــادر والوارد بينهـــا •

٣ ـ اقامة تعريفة جمركية مخفضة بقدر الامكان •

٤ ـ تنسيق السياسة العـــامة المشتركة فيها فيما يتعلق بالنقل وتشـــغيل الأيدى العاملة وغيرها من فروع الاقتصاد المختلفة

٥ ـ أن تصبح دولة السوق كتلة واحدة فى مواجهة كل التحديات السياسية والاقتصادية التى تأتيها من أى مكان •

٦ ـ أن تعمل على ربط الدول غير الاوربية والتى لها علاقة وثيقة خاصة بكل من بلجيكا وفرنسا وايطاليـا وهولاندا •• ربطها بعجلة السوق والسيطرة عليها •

والنقطة الأخيرة هى التى يتضح فيهـــا الخطر الداهم المحدق بأفريقيا •• ذلك ان السوق الأوربية المشـــتركة التى ليست فى حقيقتها الا اتحـــادا بجمع كبار الرأسماليين وأصحاب المصانع والاحتكارات بأوربا والذين يسيطرون بحكم نفوذهم الاقتصادى القوى على الحكومات والسياسات •• نقول أن السوق

ترى فى المناطق النامية والمتخلفة بأفريقيا سواء منها تلك التى مازالت تعانى من الاحتلال الغربى أو تلك التى تخلصت منه تخلصا يختلف فى درجته وحقيقته .. يرى فيهما مناطق هامة للاستغلال الاقتصادى وأسواقا واسعة لبضائع دولة المصنعة ..

ولذلك فان هذه الدول الست التى تكون السوق قد رصدت فى صندوق التنمية للمناطق الواقعة فيما وراء البحار مبلغا كبيرا يبلغ حوالى ٥٨١٫٢٥٠٫٠٠٠ دولار فى سبيل السيطرة على الدول الافريقية المنتسبة للسوق تحت اسم تقديم المساعدات الفنية والاقتصادية .

ومن هذا المبلغ ساهمت كل من ألمانيا الغربية وفرنسا بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار وكل من بلجيكا وهولاندا بمبلغ سبعين مليونا وايطاليا بمبلغ أربعين مليونا ولوكسمبرج بمبلغ مليون وربع مليون دولار .

وبالرغم من أن دول السوق قد رصدت هذا المبلغ سنة ١٩٥٨ ، فان مندوبى ست عشرة دولة افريقية لم يجتمعوا الا فى وضع القواعد التى يجب ان تحكم علاقاتهم بدول السوق .. وكانت هذه القواعد هى :

١ — يجب أن ترتبط هذه المعونات الفنية أو الاقتصادية بأية قيود سياسية .

٢ — يجب انشاء هيئة برلمانية أفريقية أوربية مشتركة .

٣ — يجب أن تمثل الدول الاوربية مباشرة فى هيئات السوق ومؤسساته .

٤ — يجب أن تضمن هذه الدول لبضائعها أسعارا وأسواقا مضمونة .

٥ — يجب أن تهدف المساعدة الفنية فى المرتبة الأولى الى تدريب الافريقيين وتكوين طبقة من الخبراء بين صفوفهم .

٦ — المساعدات المالية يجب أن تقدم لا فى شكل هبات فقط وانما فى شكل قروض طويلة الأجل أيضا .

٧ — الارصدة المخصصة لتثبيت الاسعار واستقرارها يجب أن تضمن أسعارا مجزية لمواد خام معينة تقوم أفريقيا بتصديرها لأوربا مثل الموز والكاكاو والبن والقطن المحلوج والزيوت النباتية والسيسال والفوسفات والنحاس والمنجنيز والكروم . ولكن الطلب شىء والواقع شىء آخر .. فلو نظرنا مثلا الى المبلغ الذى تم انفاقه خلال سنة ١٩٦١ على المساعدات الفنية والاقتصادية للدول الافريقية المنتسبة للسوق (وعددها الآن ١٨ دولة) لوجدنا أنها بلغت ١٢٫٩٠٠٫٦٠٠ دولار . فاذا قسمنا هذا المبلغ على الدول الست عشرة التى كانت حينئذ منتسبة للسوق لوجدنا أن نصيب كل منها يبلغ ثمانية ملايين دولار فقط . ومن المبلغ الاجمالى الذى أنفق على هذه الدول جميعا (أى الـ ١٢٩ مليونا) بلغت المبالغ التى أنفقت على المساعدات الفنية لتدعيم خبرة الافريقيين فى ميدانى الصناعة والزراعة .. بلغت ٤٠٥ آلاف دولار فقط . وهو مايدل بجلاء على أن الغرض من هذه المعونات ليس رفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى والفنى لهذه الدول وانما تحقيق الأهداف الأصيلة للدول الاستعمارية من ابقاء سيطرتها على افريقيا عن طريق المحافظة على استمرار الجهل والفقر والمرض بين ربوعها .

وقد وزعت هذه المساعدات لا طبقا لاحتياجات كل دولة ولا طبقا لعدد سكانها وانما طبقا لمدى استجابتها وخضوع حكوماتها لرغبات دول السوق .

وعندما أرادت هذه الدول أن تمثل بطريق مباشر فى لجان السوق .. رفضت الدول الاوربية ذلك وطلبت منها صراحة أن تقوم هى بتكوين سوق افريقية ان استطاعت أو تكوين ما يدعى « باتحاد ملاجاش الافريقى » بل لم يسمح لها بمناقشة المسائل المتعلقة ببيع البضائع وتسويقها فى أسواق الدول الاوربية . بل ان الاحتكارات الاوربية منحت مزايا وأفضلية فيما يتعلق ببيع بضائعها المصنوعة وشراء المواد الخام واستغلال رؤوس الاموال فى افريقيا .

وبينما الدول الأوربية الست تماطل وتسوف فى ضمان أسعار معينة ثابتة للمنتجات الافريقية .. فانها تضغط على الدول الافريقية المنتسبة للسوق لتحملها على ضمان وحماية الاستثمارات الأوربية ضد الاخطار السياسية

المفاجئة وان تمنح الرعايا الأوربيين لدول السوق الحق فى الاستيطان والتجارة والعمل بحرية كاملة فى أية دولة أفريقية من الدول المنتسبة للسوق دون أن يكون لرعايا هذه الدول الافريقية حقوق مقابلة بدول السوق.

ان الأمر الذى لا شك فيه هو ان السوق الاوربية المشتركة تمثل خطرا داهما على افريقيا .. انها ترمى الى استبدال الاستعمار السياسى المعتمد على القوة العسكرية والضغط المباشر باستعمار اقتصادى جماعى يتحكم فى مصادر الثروة والاسواق والايدى العاملة ويضمن استمرار افريقيا موردا لا ينضب لبلايين الدولارات التى كانت وما زالت سببا فى ذلك الاستقرار والانتعاش وتلك الحضارة التى تتيه بها أوربا على العالم أجمع .

ومما يساعد أوربا على القيام بدورها الجديد دون خجل ان معظم الدول المنتسبة للسوق قد رضيت باستقلال اسمى فمازالت تبقى للمستعمرين القدامى على قواعدهم وقواتهم العسكرية وما زالت الشركات الاوربية الاحتكارية هى التى تسيطر على موارد الثروة كلها هناك وما زال الموظفون الاوربيون هم الذين يعملون فى الدوائر والوظائف .

ان الحل السليم أمام هذه الدول هو الطريق الاشتراكى الحر . الطريق الذى رسمته لها الجمهورية العربية المتحدة وغينيا وغانا والذى يتلخص فى تحرير الوطن من كل نفوذ وتبعية والاعتماد على النفس فى بناء الوطن واستغلال ثرواته بالتعاون مع الدول الافريقية المتحررة .. والدول الصديقة المجردة عن الهوى فى أى مكان من العالم .

والدول الافريقية المتحررة قد رسمت لها سياسة واضحة الاهداف ترمى الى تدعيم كيانها واستخلاص حرياتها ومقدراتها فى مؤتمر الدار البيضاء حين قررت انشاء السوق الافريقية المشتركة وبنكا للتنمية وغيرها من المسائل التى تستحق منا حديثا آخر بل أحاديث .

« عبد الرحمن صالح »

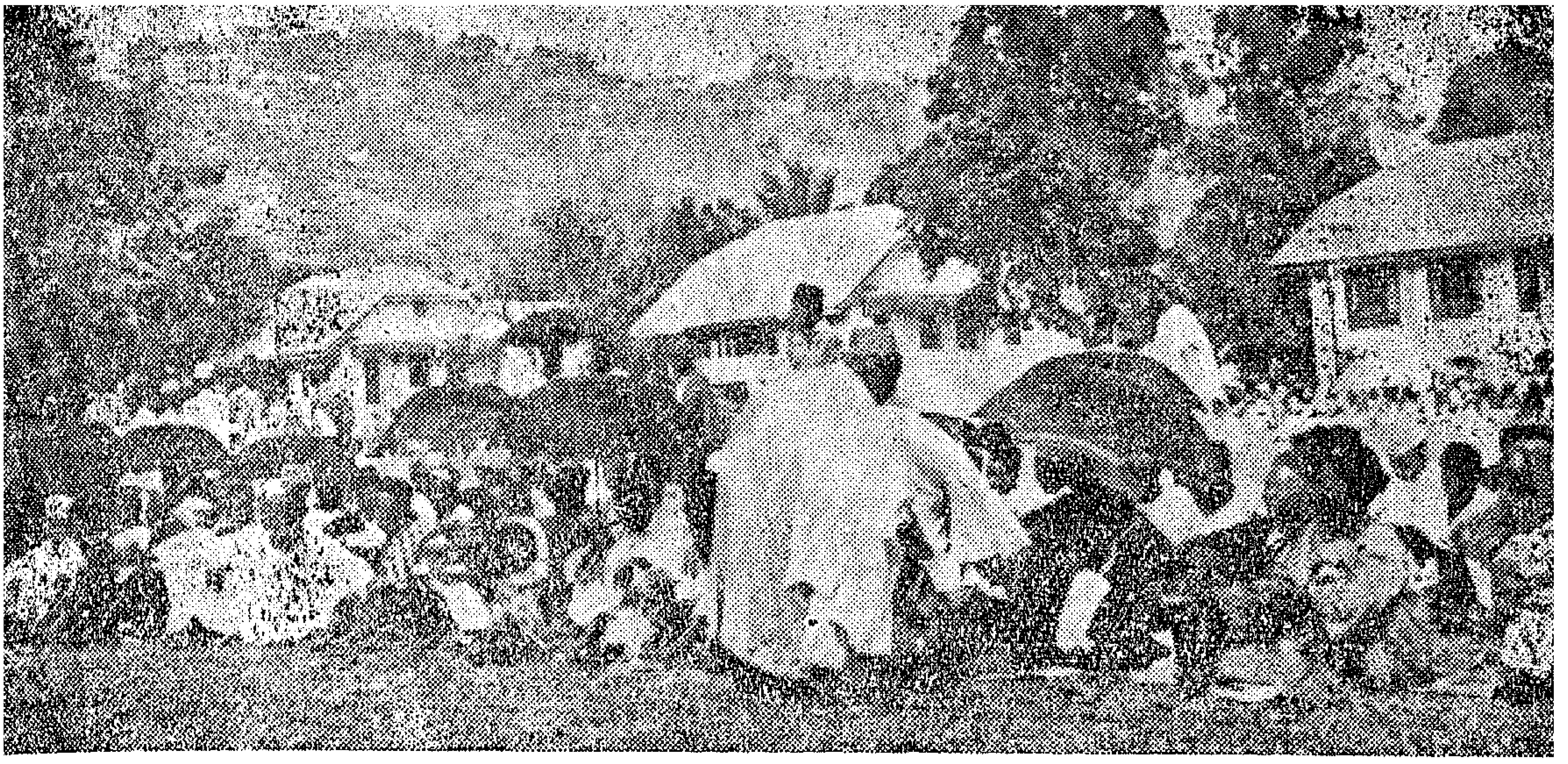
ستواصل جنوب أفريقيا نضالها

بقلم ميزوان ل بيليسو

أعلنت حكومة فيرفورد الفاشية فى ديسمبر ١٩٦٢ انها ستوقف جميع أحزاب المعارضة ابتداء من أول فبراير سنة١٩٦٣ وانها ستعاقب أى منظمة جماعية كانت أم فردية واستثنى من هذا القرار الحزب المتحد الذى يميل الى سياسة التمييز العنصرى التى تتبعها حكومة فيرفورد . والهدف من ذلك هو القضاء على أية معارضة لسياسة الحكومة . وأعلن المؤتمر الوطنى الافريقى بأنه لايعترف بقرارالحظر وانهسيلجأ للحركات السرية لقيادةالشعب نحو تحريره . ولم تدرك الحكومة فى هذا القرار ان المؤتمر الافريقى فى حركة يعتبر حقيقة واقعة وان التحالف قد بلغ حدا لايعترف معه بحاجز اللون ولم تكنالحكومة الفاشية تعرف الراحة فى وجود هذه المنظمات فأخذت تلجأ الى الحيلة بأن أعلنت :

ان الخطر الشيوعى فى حركة التحريرهو السبب نفسه الذى كان يتشدق به هتلر للقضاء على الملايين فى الحربالعالميةالاخيرة وقد حققت هذه الحملة بعض النجاحالذى لا وزن له فسارع حزب الاحرار والحزب التقدمى باعلان براءتهما من هذه التهمة.

وعندما لم تفلح هذه الحيلة عمدت الحكومة الى تحذير البيض من الخطر الذى يمثله السودعليهم وناشدت البيضلتوحيد صفوفهم سواء البريطانيين منهم أو الافريقيين .ومع ذلك فقدقام بعضالبيض وهم المنتمون الى مؤتمر الديمقراطيين فى جنوب أفريقيا بتحدى الرأى العام للبيض وتمسكوا بمبادئهم لتحرير أفريقيا .



سيراليون

بقلم : محمد عبد المنعم يونس

منذ عامين ، فى السابع والعشرين من شهر ابريل ، فى جو سياسى يغمره الهدوء ويسوده التفاهم التام ، انتقلت سيراليون من الاستعمار الى الاستقلال ... نالت حريتها بعد استعمار دام مائة وخمسة وسبعين عاما ، وتقدمت على الفور الى هيئة الامم المتحدة للانضمام اليها ، فقبلت عضوا بها فى ٢٩ ابريل ١٩٦١ وبذلك صارت العضورقم مائة فى هذه المنظمةالدولية. وكان ترتيبها بين الدول الافريقية فى هـذه الهيئة الثامنة والعشرين .

افريقية الغربية البريطانية :

سيراليون احـدى دول ثلاث حصلت على الاستقلال من المجموعة التى عرفت فيمامضى باسم « افريقية الغربية البريطانية » وكانت تضم أربع دول هى : ـ

١ ـ ساحل الذهب
٢ ـ نيجيريا
٣ ـ سيراليون
٤ ـ غمبيـا

أول مهجر للعبيد المحررين :

تعتبر سيراليون أول حقـل فى العـالم ، أجريت فيه تجربة فريدة فى نوعها ، اذانشأتها بريطانيا فى ١٧٨٧ لتكون مقرا افريقيا ، ينقل اليه العبيد الذين نالوا حريتهم بعـد قيـام حركة تحرير الرقيق والغاء العبودية فىبريطانيا بزعامة جرانفيل شارب . وقد حذت الولايات المتحـدة الامريكية حـذو بريطانيـا فى هـذا المضمار وقامت فى أعقـابها فى ١٨٢١ بانشـاء ليبيريا ، وتجاور سيراليون من الجهة الجنوبية الشرقية لتكون وطنا افريقيا لزنوج أمريـكا المحررين وذلك لحل المشـكلات التى نجمت من وجودهم بين المجتمعات الامريكية .

مقبرة الرجل الابيض :

لدى قدوم المكتشفين والمبشرين والتجار الاوروبيين الى جهات غرب افريقية ، لقى كثير منهم حتفهم ، بسبب اصابتهم بالامراض الخبيثة والحميات الفتاكة كالملاريا والحمى الصفراء والجدرى والتيفود وغيرها ، لدرجة أنه أطلق على هذه الجهات اسم « مقبرة الرجل الابيض » ولو أن فتك هذه الامراض لم يقتصر على الرجل الابيض وحده وانما تعداه الى أهالى البلاد الاصليين أيضا . لكن هذه التسمية صارت فى الوقت الحاضر من خرافات الماضى التى لم يعد لها وجود ، بفضل الابحاث التى أجراها العلماء والاطباء والتى أسفرت عن امكان التحصن ضد هذه الامراض والعلاج منها عند الاصابة بها والعمل على القضاء على مصادرها .

كشف سيراليون :

يرجع الفضل فى كتابة الوثائق الاولى عن تاريخ سيراليون الى الرحالة والمكتشفين البرتغاليين الذين جابوا تلك الجهات لاول مرة خلال القرن الخامس عشر . وقد أطلق الرحالة البرتغالى بدرو دا سنترا Pedro da Cintra فى ١٤٦٠ على هذه الجهات اسم « سيراليون » ومعناها « جبال الاسود » نسبة الى المرتفعات العالية التى ترتطم بها امواج البحر فتحدث صوتا كزئير الاسود .

سير جون هوكنز :

اجتذبت تجارة الرقيق قباطنة السفن المارة فى المحيط الاطلسى الى ساحل غرب افريقية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ويعتبر سير جون هوكنز Sir John Hawkins أول البريطانيين الذين اشتغلوا بتجارة الرقيق وامتازوا بالجرأة والجسارة وقد قدم الى هذه الجهات لاول مرة فى ١٥٦٢ على رأس حملة تمكنت من اختطاف ثلاثمائة عبد نقلتهم الى جزر الهند الغربية حيث باعتهم للاسبان . وعلى هذا فالمكان الذى بدأت فيه انجلترا مزاولة تجارة الرقيق لاول مرة كان هو المكان الذى اختارته ليكون قاعدة لمحاولة هذه التجارة الرهيبة ومقرا جديدا للعبيد المحررين .

بدء حركة تحرير الرقيق :

أحس العالم أجمع بمساوىء تجارة الرقيق التى تتنافى مع أبسط مبادىء الانسانية والشرائع السماوية وهبت فى انجلترا طائفة من المفكرين المتحمسين المشربين بروح الخير ونادوا بضرورة تحرير الرقيق وتزعموا حركة الغاء هذه التجارة التى انتشرت بين مختلف الدول وقد أسفرت جهودهم عن صدور قانون فى عام ١٧٧٢ ، أصبح بمقتضاه كل عبد حرا عندما تطأ قدماه أرض بريطانيا ولايمكن اعادته الى الرق ثانية . ترتب على هذا القانون أن تحرر حوالى (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألفا من العبيد كانوا يعيشون آنذاك فى بريطانيا ، لكن نتج عن تحريرهم قيام مشكلة بسبب فقرهم وعدم توافر مورد يقتاتون منه ، بعد ان كانوا يعيشون فى بيوت سادتهم ، غير مسئولين عن أى مطلب من مطالب الحياة من طعام أو كساء .

جمعية اغاثة السود المعوزين :

هام عدد كبير من هؤلاء الخدم المعدمين على وجوههم فى طرقات لندن ، وتضخم عددهم بانضمام الزنوج الذين كانوا يحاربون فى صف بريطانيا فى حرب الاستقلال الامريكية . ولمواجهة هذا الضرر المتزايد انشئت جمعية اغاثة السود المعوزين The Committee of Relieving the Black Poor Jonas Hanaway التى فكرت فى تهجير هؤلاء الزنوج الفقراء العاطلين الى قارة افريقية وطنهم الاول .

تقدم الدكتور هنرى سمثمان Dr. Henry Smeathman احد علماء التاريخ الطبيعى وقد سبق له ان قضى فى جزر بانانا عدة سنوات باقتراح يرمى الى الانتفاع بسيراليون فى أن تكون وطنا لهؤلاء السود المعدمين واتخاذها قاعدة فى غرب افريقية لوضع حد لتجارة الرقيق ولنشر المسيحية والثقافة الاوروبية فى هذا الجزء من القارة .

أيد جرانفيل شارب أحد قادة حركة تحرير الرقيق هذا الاقتراح وعرضه على الحكومة البريطانية التى رحبت به نظرا لانه سيخلص البلاد من هؤلاء الزنوج العاطلين ووافقت على

أن تتكفل بنفقات نقلهم الى المقر الجديد المقترح .

اقامة الوطن الجديد : فى سنة ١٧٨٧ تم شراء قطعة ارض فى شبه جزيرة سيراليون بلغت مساحتها عشرين ميلا مربعا بمبلغ ثلاثين جنيها ، كانت نواة لارض الحرية فى بلاد الرق والعبودية . وتولت ادارتها شركة سيراليون التى انشئت لمراقبة ايقاف تجارة الرقيق ولتوطين العبيد المحررين فى تلك الجهات .

وقد وفد الى هذه المستعمرة الجديدة ثلاث هجرات متعاقبة كانت نواة شعبها القادم من الخارج هى :

الهجرة الاولى : كانت تضم ٤١١ من الزنوج الذين ابحروا من ميناء بليموث بانجلترا على ظهر ثلاث سفن فى التاسع من شهر ابريل سنة ١٧٨٧ ووصلت سيراليون بعد اربعة أسابيع بعد أن فتكت الامراض بعدد كبير من افرادها .

الهجرة الثانية : وضمت العبيد المحررين الذين تجمعوا فى نوفاسكوشيا فى امريكا الشمالية ممن حاربوا فى صف بريطانيا فى حرب الاستقلال الامريكية وبلغ عددهم ١١٣١ ووصلوا سيراليون فى مارس سنة ١٧٩٢ .

الهجرة الثالثة : وتتألف من عناصر المارون التى قدمت من جزيرة جمايكا وتقدر عددهم بنحو ٥٥٠ من العبيد الذين سبق لهم أن ثاروا على حكومة الجزيرة فى سنة ١٧٩٥ ونقلوا فى السنة التالية الى نوفاسكوشيا ومنها رحلوا الى سيراليون فى اكتوبر سنة ١٨٠٠ .

وأخيرا فى أول مايو سنة ١٨٠٧ ظهرت ثمار جهود دعاة تحرير الرقيق بصدور قانون الغاء تجارة الرقيق فى بريطانيا ومستعمراتها وتحريم الاتجار بها على رعاياها . وبهذا القانون حطمت الاغلال التى طالما قيدت الحريات وأثرت فى تاريخ غرب افريقية .

وكان ينضم الى هذه الهجرات فى سيراليون افواج العبيد الذين كانت تضبطهم دوريات المراقبة على ظهور سفن تجار الرقيق المتجهة الى امريكا . وكان اول هذه الافواج شحنة من شحنات العبيد المضبوطة فى سنة ١٨٠٨ حينما تم القبض على أول سفينة محملة بالعبيد وتقديم تجار الرقيق بها للمحاكمة واطلاق سراح العبيد بها وترحيلهم الى سيراليون . ومنذ ذلك الوقت كانت تعتق كل عام رقاب مئات بل آلاف من العبيد ويرحل معظمهم الى سيراليون . وهكذا أدت حركة تحرير الرقيق الى تزويد سيراليون خلال الفترة الواقعة بين سنتى ١٨٣٠و١٨٤٠ بأعداد ضخمة من العبيد المحررين الجدد ولم يأت عام ١٨٦٠ الا وكانت تجارة الرقيق قد اضمحلت وتم القضاء عليها .

موقع سيراليون ومساحتها

تقع سيراليون على ساحل غرب افريقية بين خطى ٥٥ ٦° ، ١٠°٥ من خطوط العرض شمال خط الاستواء ، وخطى ١٦ ١٠°٥ ، ١٨ ١٣ °١٣ من خطوط الطول غرب جرينتش . ويشرف جنوبها الغربى على المحيط الاطلسى وتحدها من الشمال والشمال الشرقى جمهورية غينيا التى كانت اولى مستعمرات افريقية الغربية الفرنسية التى رفضت دستور ديجول واستقلت عن فرنسا فى اول اكتوبر سنة ١٩٥٨ ، كما تحدها جمهورية ليبريا من الجنوب الشرقى . وتبلغ مساحتها ٧٢٫٣٢٦ كيلو مترا مربعا (وتوازى ٢٧٫٩٢٥ ميلا مربعا) وهى بذلك تقرب من مساحة ايرلندا .

الاقسام الادارية :

تنقسم سيراليون الى ثلاث مديريات هى :

١ — **المديرية الشمالية :** وهى اكبر المديريات من حيث المساحة وأهم مدنها ماكينى Makeni وبها حوالى ٧٥٠٠ نسمة ، ويجرى بها نهر روكيل Rokel River اكبر انهار سيراليون . وبها أول الجهات التى استوطنها المحررون القادمون من الخارج واطلق عليها اسم « المستعمرة » وأسسوا بها العاصمة فريتاون Freetown فى سنة ١٧٩٢ وتضم ١٠٠٠٠ نسمة وتمتاز بأن لها مرفأ ممتازا ، يعتبر الاول من نوعه بين جميع مدن ساحل غرب افريقية نظرا لصلاحيته لرسو السفن ولوفرة الماء العذب به .

٢ — **المديرية الجنوبية الشرقية :** وتشرف على أجزاء من الحدود مع كل من جمهوريتى غينيا وليبريا ومركزها كينما Kenema وعدد سكانها ٤٠٠٠ نسمة .

٣ ـ **المديرية الجنوبية الغربية** : ويخصها أطول شريط ساحلي يطل على المحيط الاطلسى واهم مدنها بو Bo ويعيش بها ٢٥٠٠٠٠ نسمة وتعتبر مركزا هاما لاستخراج الماس ويقع بالقرب من هـذه المديرية جزيرة شربرو Sherbro Island التي تضم عنصرا من أهم عناصر السكان .

السكان :

يقدر عدد سكان سيراليون بحوالى ثلاثة ملايين نسمة ، لم تقم بينهم مشكلات استيطان وانما المشكلات التى ظهرت كانت بسبب الاختلاف بين الاقلية الزنجيـة القادمة من الخارج وبين المجتمع الافريقى فى الاجـزاء الداخلية التى عرفت « بالمحمية » ويطلق على نسل هؤلاء المحررين القـادمين من انجلترا وأمريكا فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التـاسع عشر اسم الكريون Creoles ويتركزون فى الجهات الساحلية التى سميت باسم « المستعمرة » ولو أن عددهم يقـدر بحوالى ثلاثين الف نفس فقط الا أن أثرهم كبير وواضح فى تطوير أحوال البلاد الاقتصادية والسياسية وقاموا بدور فعال فى تقـدمها ويكونون أقلية ارستقراطية زنجية فى هـذا المحيط الافريقى الذى يمثل العنصر الثـانى من السكان الافريقيين ويتكون من القبـائل الزنجية التى تعيش فى الاجزاء الداخليـة ، وتمتاز بأن لكل منها لغتها الخاصة بها ويبلغ عددها ثلاث عشرة قبيلة وليس هناك احصاءات دقيقة حديثة لعدد كل من هذه القبائل ، لكن يمكن القـول أن قبيلة « مندى Mende التى تتركز فى الجهات الجنوبية والشرقيـة تضم ما يزيد على ٣٠ ٪ من المجمـوع الكلى للسـكان وكان أفرادها لدى قـدومهم من الصيادين والمزارعين الذين ازالوا بعض أجزاء من الغابات لاقامـة القـرى ومزاولة الزراعة وتمتاز هـذه القبيلة بأنها على استعداد كبير للتطور ، وبلين العريكة وحسن العشرة ، لكن أفرادها محبون للحرب ويتطـورون بسرعة ملحوظة . ويلى هذه القبيلة فى العدد قبيلة « تمنى » Temne وتعتبر من الهجرات الاولى التى وصلت الى هذه البلاد وحاربت قبـائل الشربرو ، وتنتشر حاليا فى الاجزاء الشمالية وبها نسبة كبيرة من المسلمين وبها ما يقل قليلا عن ٣٠ ٪ من مجموع السكان ويمتازون بأنهم اقـوياء شـديدو المراس . ومن فـروع هذه القبيلة التى انفصلت عنها عن طريق الحروب الداخلة قبيلة لوكو Lokko وتعيش الى شمال مواطن القبيلة الام . وجدير بالذكر أن سير ملتون مارجاى رئيس الوزراء من أعضاء هذه القبيلة . وعدد أفرادها ١٥٠٠٠٠ ولا يعرف أصلها على وجه التحديد ولو أن هناك روايات ترجح قدومها عن طـريق البحر . وتعيش المجموعة الرئيسية منها فى الاجـزاء الساحلية جنوب المنطقـة التى أطلق عليهـا اسم « المستعمرة » ومن فروع هذه القبيلة أيضا الكريم Krim ولا يعرف الكثـير عن أصل القبائل الصغيرة ومنهـا قبيلة ليمبا Limba وبلغ عددها ٢٠٠٠٠٠ ويبدو أن معظم افرادها يرجعون أصلا الى قبائل كبيرة أخرى ، فقبائل الكونو وعـددها ١٠٠٠٠٠ والجالينا او الفاى وعـددها ٥٠٠٠٠ ، والكورانكو وعددها ١٠٠٠٠٠ ، والسـوسو وعددها ٦٠٠٠٠ تنتسب جميعها الى مجموعة الماندينكا الكبيرة التى قدمت أصلا من أقصى الشمال ، ومن القبائل التى تعيش فى سيراليون قبائل اليالونكا وعددها ٥٠٠٠٠ ، والـكرو وعددها ٢٢٠٠٠ ، والجولا وعددها ٢٠٠٠٠ نسمة .

أما الاجانب فيقدر عددهم بنحو أربعـة آلاف نسمة منهم ١٠٠٠ من البيض (انجليز وأمريكيين) ، ٣٠٠٠ من الاسيويين (لبنانيين وهنـود)

ينتشر الاسلام فى جميع أنحاء سيراليـون وتزداد نسبة المسلمين بصفة خاصة فى الاجزاء الشمالية والداخلية بعكس الجهات الساحلية التى تأثرت أكثر من غيرها بالارسـاليات المسيحية . وتتراوح نسبة المسلمين بين ٧٥ و ٩٠ ٪ من المجموع الكلى للسكان .

أول معهد للتعليم العالى فى غرب افريقية :

تمير سيراليون على غيرها من دول غرب افريقية بأنها ظلت فترة طويلة تزيد على قرن من الزمان الدولة الوحيدة فى تلك المنطقة التى تضم أقدم معهد للتعليم العالى وهو كلية فورا باى Fourah Bay College التى تشغل حاليا موقعا جميلا على منحدرات جبل لوريول Mount Anreol . ويناظر هذه الكلية فى دول غرب افريقية الاخرى كليـــة أشـــيموتا Achimota College التى تم تأسيسها فى غانا قرب أكرا فى ســـنة ١٩٢٩ وكليـــة ابادان Ibadan College التى أنشئت فى نيجيريا فى سنة ١٩٤٨ .

يرجع الفضل فى قيام كلية فوراباى الى جمعية الارساليات البريطانية Church Missionary Society التى أنشأتها فى سنة ١٨٢٧ اساسا لتخريج رجال الدين . لذلك بدات الدراسة فيها بعلوم الدين المسيحى والالهيات ثم اضيفت اليهــا مختلف الاداب والعلوم البحتة والدراسات الاقتصـــادية والهندسية والعـلوم التطبيقية والادارة العامة كما انشىء بها قسم لاعداد المعلمين . .

ترتبط كليـــة فوراباى بجامعـــة درهام Durham University فى انجلترا منـــذ سنة ١٧٨٦ واصبحت تطبق أنظمتها وتسير وفق برامجها وتتلقى امتحاناتها منها وقد بلغت مرتبة جعلتها تقف فى مصاف جامعات كامبردج واكسفورد فى انجلترا وجامعات ييل وهارفارد فى الولايات المتحدة الامريكية ولا غرابة فى ذلك فانها كانت المعهـد الوحيد للدراسات العليا فى المنطقة طوال قرن من الزمان .

ويشغل فى الوقت الحاضر كثير من خريجى هذه الكلية مناصب رفيعة فى كل من اتحـــاد نيجيريا وغانا وغمبيا وسيراليون . وفى شهر يناير سنة ١٩٦٠ صارت كلية فوراباى كلية سيراليون الجامعية وما زالت الكلية الوحيدة فى سيراليون للتعليم العالى .

هذا وقد بلغ عدد الطلبة بها فى العـــام الدراسى ١٩٦١/٦٠ نحو ٣٠٢ طالبا بعضهم من غانا واتحاد نيجيريا وغمبيا .

الاحزاب السياسية :

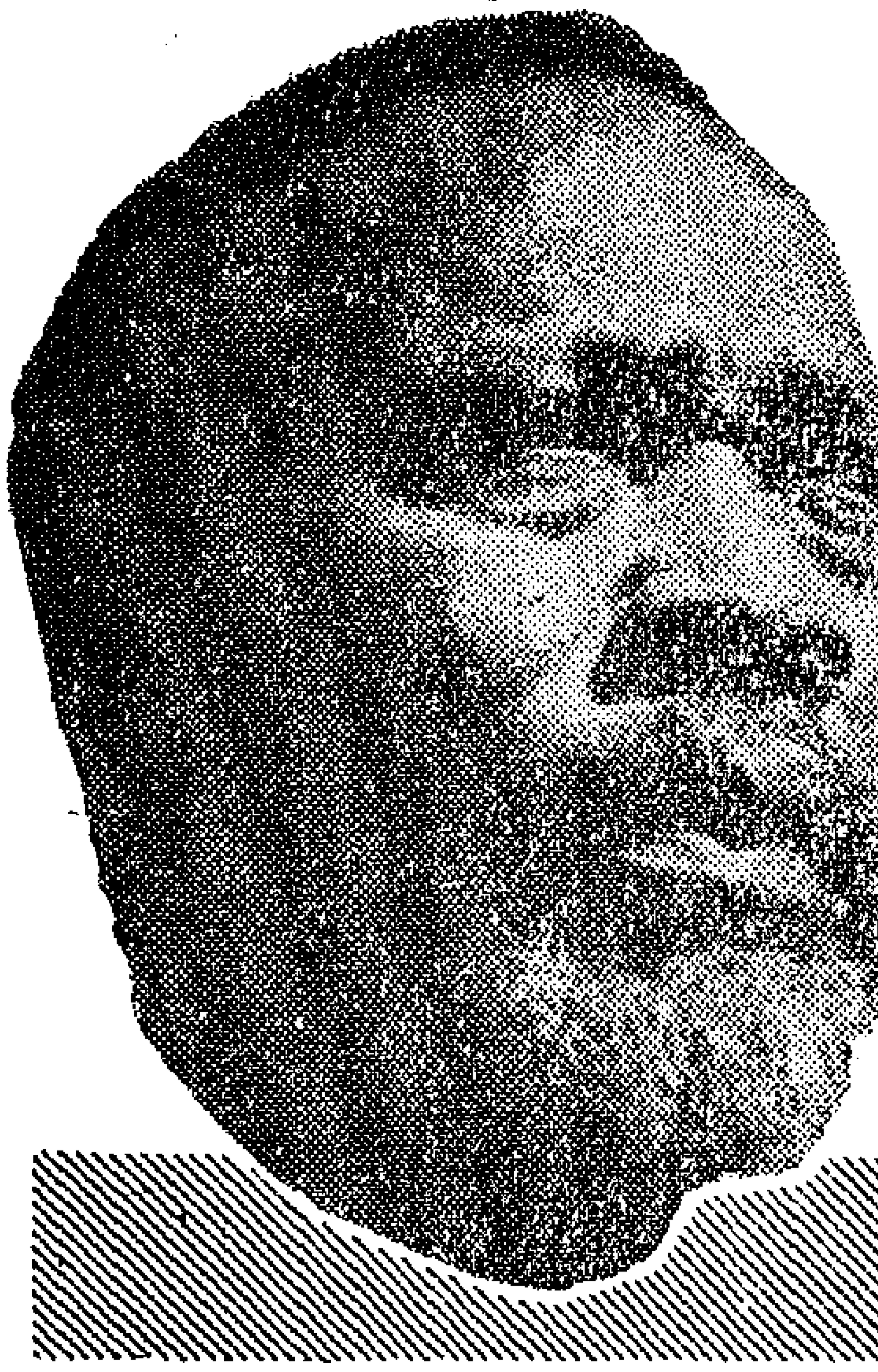
يعتبر حـــزب الشـــعب السيراليونى Sierra Leone People's Party (S.L.P.P.) الحزب السياسى الرئيسى فى البلاد وحزب الاغلبية وقد ظل ينادى بوحدة سيراليون منذ سنة ١٩٥١ ويتركز نفوذه فى الاجزاء الداخلية حيث يتجمع انصاره . ورئيس الحزب السيد ميلتون مارجاى الذى صار اول رئيس لاول مجلس للوزراء فى عام ١٩٥٨ . وبعد ذلك بعامين توجه على راس وفد الى لندن ليعلن ان سيراليون قد تأهب للاستقلال التام وان احزابها التسعة وافقت على تأليف جبهة وطنية للعمل من اجــــل الاستقلال مستخدمة الوسائل السلمية . وقد تم الاتفاق على تحديد شهر ابريل سنة ١٩٦١ كتاريخ للاستقلال على ان تحصـــل الدولة الجديدة من بريطانيا على منحة سنوية قدرها سبعة ملايين جنيه استرلينى ونصف مليون جنيه . (U.I.P.)

ومن احزاب الحكومة ايضا الحزب التقدمى المتحد United Progressive Party ورئيسه السيد روجرز رايت Rogers Wright ويمثل هـــذا الحـــزب الكريون . وفى ســـنة ١٩٥٨ انشىء حزب الشــــــعب الوطنى Peopl's National Party ورئيسه السيد البرت مرجاى شقيق رئيس مجلس الوزراء . هذا وتتركز المعارضة فى حزب المؤتمر الشعبى العام All People's Congress برئاسة السيد/سياكا ستيفنز . Mr. Siakha Stevens

« محمد عبد المنعم يونس »

لمحات عن كينيا

بقلم عبد العظيم علوان



تمتد كينيا على طول ساحل المحيط الهندى وتتوغل فى الداخل حتى تصل الى بحيرة فيكتوريا فتتاخم أوغنده والحبشة والصومال والسودان .

وقد عرفت كينيا قديما باسم « أرض الزنج » كما عرفت بمحمية افريقية الشرقية ولم تعرف باسمها الحالى الا بعد أن صارت مستعمرة بريطانية فى يوليه ١٩٢٠ .

وعاصمة كينيا « نيروبى » ويبلغ تعداد الافريقيين فى كينيا ما يزيد على ثمانية ملايين نسمة تشملهم أكثر من مائتى قبيلة أهمها الكيكويو واللووا والماساى ، ولغة كينيا العمومية هى اللغة السواحلية التى تنتشر فى شرق افريقية .

ويبلغ تعداد الاوربيين بها حوالى ٦٠ ألف نسمة .

قصة الاستعمار :

قصة الاستعمار لكينيا هى قصة الاستعمار لافريقيا فقد جاء المستعمرون الاوائل فى ثوب التجار والمبشرين وعقدوا معاهدات غير متكافئة مع زعماء القبائل بوساطة هذه المعاهدات استطاعوا أن يقيموا الشركات وبالتالى يدعون الحماية لهذه الشركات ثم استعمروا البلاد ..

ففى عام ١٨٨٤ نزل المغامر الالمانى كارل بيترس الى زنجبار ثم توغل فى الداخل وعقد سلسلة من المعاهدات والاتفاقات مع زعماء القبائل ، عاد بعدها الى ألمانيا ليؤسس الشركة الافريقية الالمانية ، ثم جاءت شركة « ونهارت التى بسطت نفوذها على منطقة « ويتو » كما قامت شركة ألمانية باحتلال منطقة لاهو شمال ممباسة .

ولقد اضطر سلطان زنجبار « برغش » الى الاعتراف بالحماية الالمانية لهاتين المنطقتين وذلك تحت تهديد الحكومة الالمانية .

ووقفت بريطانيا فى وجه التوسع الالمانى غير ان المانيا كانت لها الاسبقية فى الدخول الى المنطقة فبسطت نفوذها على عدة مناطق أهمها أوزنيار شمال زنجبار كما أنشأت محطات تجارية فى الطريق الى بحيرة تنجانيقا .

ولكن بريطانيا لم ترض بهذا التوسع خاصة وان هذه المناطق تواجه سواحل افريقية الشرقية المواجهة للهند فعملت على تأسيس شركة افريقية الشرقية البريطانية وكان البحار الانجليزى «سير هارى جونستون» قد سبق كارل الى « كلمنجارو » وعقد عدة معاهدات مع زعماء القبائل .

وبعد الصراع بين ألمانيا وبريطانيا على استعمار هذه الاراضى فى أفريقية اتفقا على

تخطيط مناطق النفوذ فى عام ١٨٨٦ وانتهى الامر الى زوال النفوذ الالمانى وسيطرةانجلترا على هذه المنطقة وذلك بعد انهزام المانيا فى الحرب العالمية الثانية .

ومنذ هذا الوقت وبريطانيا تعمل على استغلال شعب كينيا استغلالا بشعا ، وقد بدأت تستعبد الاهالى فقاطعوا الاوروبيين ، ولكن ما لبثت القوات العسكرية ان احتلت البلاد لتحصل على ما يرفضه المواطنون من تعاون بالقهر والارهاب وبدأ نظام السخرة وصدرت القوانين التى منحت ملكية الاراضى الخصبة للمستوطنين الاوروبيين .

وقد طبقت انجلترا فى كينيا نظام الحكم القبائلى ومؤداه ان تترك السلطة المحلية فى أيدى رؤساء العشائر وتشركهم فى مجالس نيابية صورية ، بينما السلطات العليا والسياسية فى أيدى الموظفين الانجليز .

وفى سنة ١٩٢٦ أصدرت انجلترا قانونا يقضى بانشاء مجلس تنفيذى وآخر تشريعى الا أن المواطنين حرموا من حق التعيين فى المجلس ولم يمثلوا فيه الا أخيرا وبنسبة ضئيلة .

ولقد أثبت الافريقيون جدارة فى هذه المجالس المحلية مما أدى بالاوروبيين الى أن يعترفوا بها .

وقد كانت مشكلة الارض فى كينيا سببا فى سخط الافريقيين وشدة كراهيتهم للاوروبيين فالمساحات الواسعة الخصبة مخصصة للاوربيين ، بينما صنوف البطالة وقلة الاراضى فى المناطق المخصصة للافريقيين ولم تكن سياسة الحكومة البريطانية فى كينيا تعمل على زيادة رقعة الارض المخصصة للافريقيين بل عملت عكس ذلك فانقصت هذه الرقعة بقوانين توحيد الارض لتنزع من الافريقيين القدر الضئيل الباقى لهم لتحويلهم من ملاك الى اجراء مستعبدين .

قصة الكفاح :

أراد المستعمر الاوربى فى كينيا أن يحيل البلد الافريقى الى مزرعة للرجل الابيض وبلغت سياسة الاستغلال الاستعمارى ذروتها عندما تقرر نقل قبائل برمتها من مواطنها الاصلية الى مواطن جديدة وذلك لمصلحة المستعمر الاوربى .

واستمرت عمليات النقل هذه الى ان كانت « قضية بات » سنة ١٩٢١ والتى صدر فيها حكم يقضى بعدم ملكية أهالى كينيا للأرض وانما عليهم أن يستأجروها من « التاج البريطانى » .

ولم يقف الافريقيون مكتوفى الايدى تجاه هذه السياسة التعسفية بل قاموا بعدة حركات تحررية ، تبلورت فى ثلاث جمعيات كبيرة انتظمت فيها جماهير الشعب الواعية من قلب القارة حتى ساحل المحيط الهندى وهذه الجمعيات هى :

١ ــ جمعية شرق افريقيا أو محمية افريقيا الشرقية الوطنية .

٢ ــ حركة الباتاكا فى أوغندة .

٣ ــ اتحاد كينيا الافريقى .

ولقد قامت جمعية افريقيا الشرقية الوطنية لحماية حقوق المواطنين ورعاية مصالحهم وكانت بزعامة « هارى ثوكر » الذى قبض عليه سنة ١٩٢٢ وزج به فى سجن « نيروبى » مما أدى الى اضراب البلاد ، والمطالبة بالافراج عنه . ولكن قوبل المضربون بالقمع والتنكيل خشية اندلاع الثورة ، وحلت الجمعية ونفى زعيمها دون محاكمة ، ولكن كل هذه الاساليب الوحشية لم تؤثر فى سائر أعضاء الجمعية ، بل لجأوا الى التنظيمات السرية وكونوا جماعة « الكيكويو المركزية » التى أنشأت لها فروعا فى كل مكان فى كينيا وتولى قيادتها الزعيم « جيمى كاربوكى » وكان سكرتيرها الزعيم « جومو كينياتا » .

ونجحت هذه الجمعية فى اثارة المشاعر وتأليب المواطنين على المستعمرين خاصة وأن الزيادة المضطردة فى أفراد قبيلة الكيكويو أدت الى المعاناة الشديدة من نقص الاراضى الزراعية وبهذا بدأت تظهر حاجتها الماسة الى الغاء نظام الاقطاعات الزراعية للاوربيين والتى تبلغ حوالى ٢٠ ٪ من الاراضى الزراعية فى أحسن المناطق خصوبة . لهذا بدأ تكتل الافريقيين على أثر ما مسهم باغتصاب أراضيهم وحرمانهم

من مواردهم الزراعية .

ولم يلبث المستعمر أن كسرت شوكته على أثر قيام الحرب العالمية واحس بخطر الانطلاقات الافريقية فأخذ يؤكد للشعب الافريقى أنه سيحقق لهم جميع مطالبهم فى الحرية والاستقلال ، ومرة أخرى يخدع الشعب الافريقى المسالم فى كينيا فبعد ما بذل فى سبيل نصرة بريطانيا وحلفائها ضد الفاشية ، أحس أن الوعود ما كانت الا تضليلا وأدى ذلك الى اعلان كينياتا الثورة ، فانتفض الشعب الكينى وواجه الحديد والنار وأصبح كينياتا علامة الرعب للمستعمر .

كما ظهرت منظمة الماو ماو التى أحالت كينيا الى قلعة من الجحيم وأشعلت الثورة ضد المستعمر الذى حاول صبغ هذه الحركة بالوحشية والهمجية ونسب اليها أعمال القتل والتخريب التى كان يقوم بها هو فى حقيقة الامر ، ووقع كينياتا فى أيديهم وقرن اسمه بمنظمة الماو ماو وبأنه المحرك الاول لها فسجنوه بعد محاكمة كاذبة ، وعلى أثر خروجه من سجنه نفى الى صحراء شمال كينياوفرض عليه أن يقضى بقية حياته فى المنفى .

ولم تكن حركة الماو ماو سوى انطلاقة شعبية عامة كرد فعلعنيف للاضطهاد الاوربى ، ونتيجة للجبهة الاوربية التى أصدرت قرارات تهدف الى كبت الحركة السياسية الافريقية ، وكما أنها اجابة عملية على تشكيل قوات البوليس الاحتياطى من بين المستوطنين الاوربيين للقيام بأعمال القتل والارهاب وحشد الجيوش ، وانكار حقوق الشعب المشروعة فى ملكية أراضيهم .

وأعقب ذلك تشكيل الاتحاد الافريقى لكينيا ليخلف جماعة الكيكويو المركزية ، وانتخب كينياتا رئيسا له .

وقد أرسل هذا الاتحاد مذكرة الى حكومة لندن يطالب فيها بأمور منها تحقيق الحكم الذاتى للافريقيين ، وتوفر عدد أكبر من المقاعد للافريقيين فى المجلس التشريعى ، وتخصيص مساحات أكثر من الاراضى للافريقيين وادخال التعليم المجانى الالزامى فى المدارس أسوة بسائر الاجناس والغاء نظام البطاقات الشخصية المفروضة على قبيلة الكيكويو والتى تتنافى مع الانسانية ، كذلك تحسين أجور الاجراء الافريقيين .

ولكن كان مصير هذه المطالب الرفض .

وفى سنة ١٩٥٧ انتقلت كينيا الى مرحلة الصراع الدستورى ، وتمسك الافريقيون بمطالبهم .

وفى مارس سنة ١٩٥٨ أتيح للافريقيين شغل أربعة عشر مقعدا للتمثيل فى الدستور الجديد المتعدد العناصر ، ولما طالب الافريقيون بزيادة عدد المقاعد لتحقيق التوازن بين ممثلى العناصر المختلفة ، عادت بريطانيا الى سياسة الارهاب والاستبداد ، وسياسة فرق تسد وكان هدفها من ذلك تحطيم المكاسب التى حققها الافريقيون ولهذا طالب الافريقيون ممثيلهم بالانسحاب من المجلس التشريعى .

وفى أواخر سنة ١٩٥٩ ظهرت تشكيلات حزبية ثلاثة جديدة . الاول منها أحزاب افريقية خالصة ولم يشكل منها الا حزب الحركة الاستقلالية لكينيا برئاسة « جومو كينياتا » وعضوية عدد من المجاهدين أمثال « توم مبويا » ، أما النوع الثانى فهو أحزاب متعددة العناصر تشكل منها « الحزب القومى الكينى » وحزب « كينيا الجديد » والنوع الثالث أحزاب متطرفة منها ما يعارض قيام أى حركة افريقية ويدعو الى العنصرية .

ولقدكانمنالمبين أنتبدأ المباحثاتالدستورية فى يناير سنة ١٩٦٠ ولكن تشبث بريطانيا بعدم السماح لجومو كينياتا أو أى افريقى اشتبه فى اتصاله بحركة الماو ماو بالاشتراك فى المباحثات ، مما أدى بالافريقيين الاحرار الى مقاطعة هذهالمباحثات الى أن رضخت بريطانيا أمام اصرار الافريقيين على موقفهم وركنت الى الاستسلام ، وبهذا بدأت هذه المباحثات فى أول فبراير سنة ١٩٦٠ وانتهت بالموافقة على قرارات كان منها ما هو فى صالح المستعمر كمساواة الاوربيين بغيرهم فى مجلس الوزراء مع الاحتفاظ بالوزارات الهامة فى يد البريطانيين ، وهذا ما رفضه الكينيون ، ونتيجة لذلك قامت حركة سياسية بقيادة الزعيم توم مبويا بالنيابة عن الزعيم المبعد كينياتا لعرقلة هذه النظم البرلمانية الزائفة

مما أثار الادارة الاستعمارية فاعتقلت مبويا وسبعة من اخوانه وزج بهم فى السجن .

وقد كبر الامل فى الاستقلال بعد خروج « كينياتا » من السجن فى ١٥ من اغسطس ١٩٦١ ، وكبر الامل كذلك فى اتفاق القوتين الرئيسيتين (الكانو والكادو) بعد أن شهدت البلاد اجماعا على زعامته الى حد أن « حزبا أبيض » بزعامة المتوطن «بلوندل» كان متحمسا الى اطلاق سراح كينياتا ،واتخاذ شعاراته .

ولكن بعد خروج كينياتا وجد هنالك تناقض بين القوى التى تتمثل فى الكانو والكادو والاوروبيين والاسيويين والصوماليين ..وكان المؤتمر الدستورى فى لندن ، وتساوى (الكانو والكادو) فى عدد مقاعد الوزارة ، ودخول كينياتا ونجالا الوزارة باعتبارهما وزيرين للدولة للشئون الدستورية ، وعلى كلهذان فالامور قد سارت بالبلاد الى الاستقلال الذى أصبحت على أبوابه .

الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تعد الزراعة مصدر الثروة الاساسى فى كينيا ، ولعل من أكثر بقاع الارض خصوبة فى العالم يقع فى المنطقة الوسطى فى كينيا ،والتى تقع على خط الاستواء مباشرة (*)

وقد احتكر المستعمرون هذه الاراضى والتى تفيض عن حاجتهم عشرات المرات بينما أصحاب الارض الحقيقيون يعانون الفقر والضيق بسبب انتزاع أراضى الكثير منهم ، فمقدار مايملكه كل أوربى يبلغ حوالى ١٣٠٠ فدان أما مايخص كل أفريقى فيبلغ ١/٨ فدان فقط .

ولقد كان الاهالى يزرعون ما يريدون ، وهدفهم انتاج محصولات يمكن مبادلتها بالسلع المستوردة ، ولكن سياسة المستعمر منعتهم هذا الحق وفرضت زراعة البن فى مناطق محدودة ، كما أرغمتهم على زراعة الحشائش للماشية .

ومما يزرع فى كينيا الحبوب والخضار والفواكه للاستهلاك المحلى ، وتصدر كينيا القهوة والشاى والجلود الخام والمدبوغة والسودا ، وتستورد الآلات والمحركات المدنية والاقمشة والمواد الكيماوية .

أما عن المعادن الموجودة فى البلاد فتشتمل على الاسمنت والسودا والملح والنحاس والذهب .

التعليم فى كينيا :

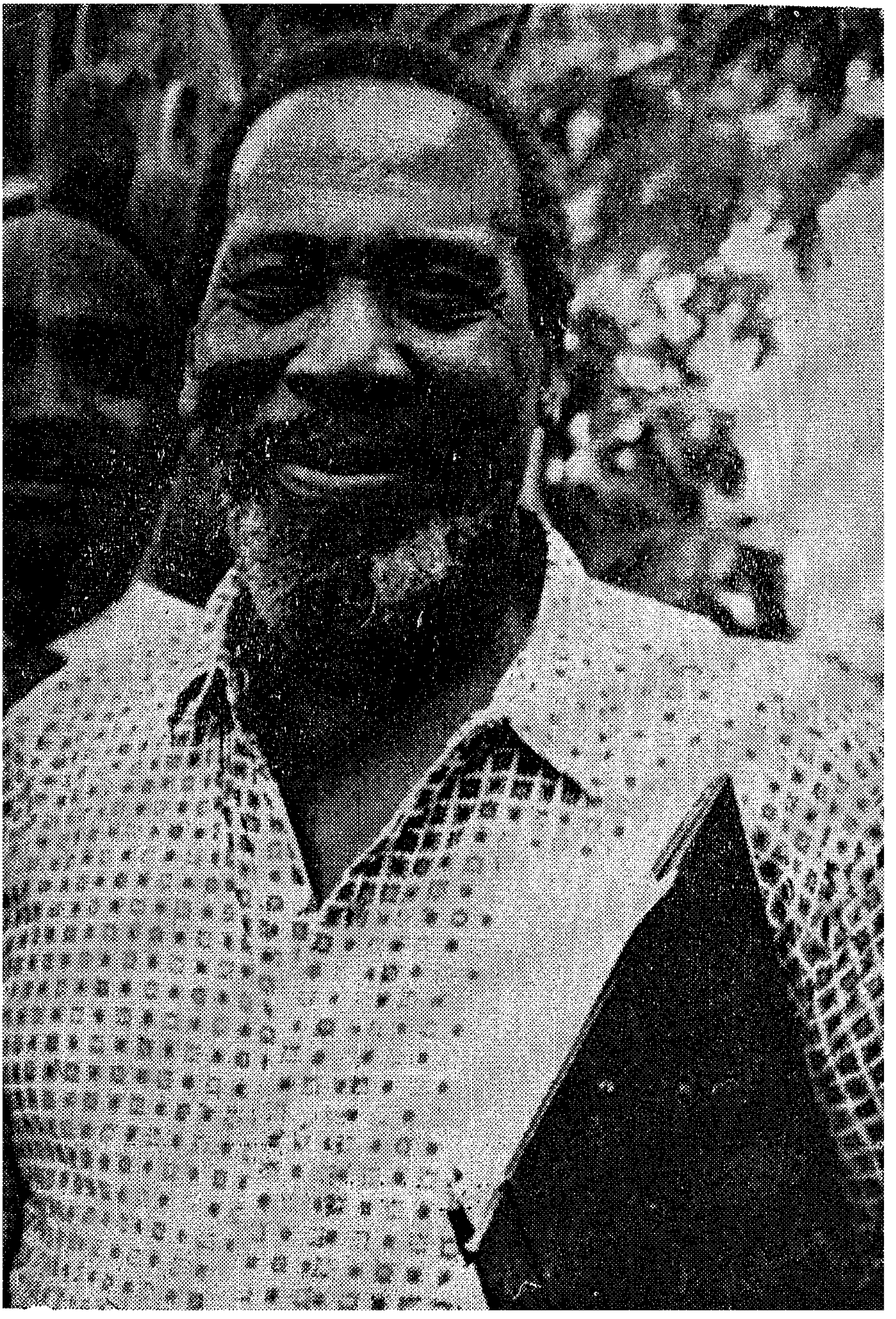
حارب المستعمر وسائل العلم والتعليم فى شرق أفريقيا وبخاصة فى كينيا فأغلق مدارس الافريقيين ومنعهم من السفر الى الخارج بقصد التعليم والتثقيف .

وتنحصر مشكلات كينيا فى مشكلات ثلاث هى الارض — التدريب على الادارة — ومشكلة التعليم .

ويلمس توم مبويا هذه المشكلة ويرى أن التعليم هو مفتاح تقدم الافريقيين ولهذا يعمل على ارسال الطلبة الكينيين للتعلم فى جامعات الولايات المتحدة ومعاهدها العليا ، ولكن المشكلة لم يتغلب عليها بعد ، والحل هو انشاء المدارس والمعاهد والجامعات فى كينيا ذاتها مما يتطلب تغييرا كبيرا فى الاوضاع الحالية ، وأغلب المدارس الحكومية لاتقبل الا الابيض فقط ويتمسك القادة الافريقيون بفتح جميع المدارس لجميع الطلبة دون استثناء .

((عبد العظيم ملوك))

كينيا في صور



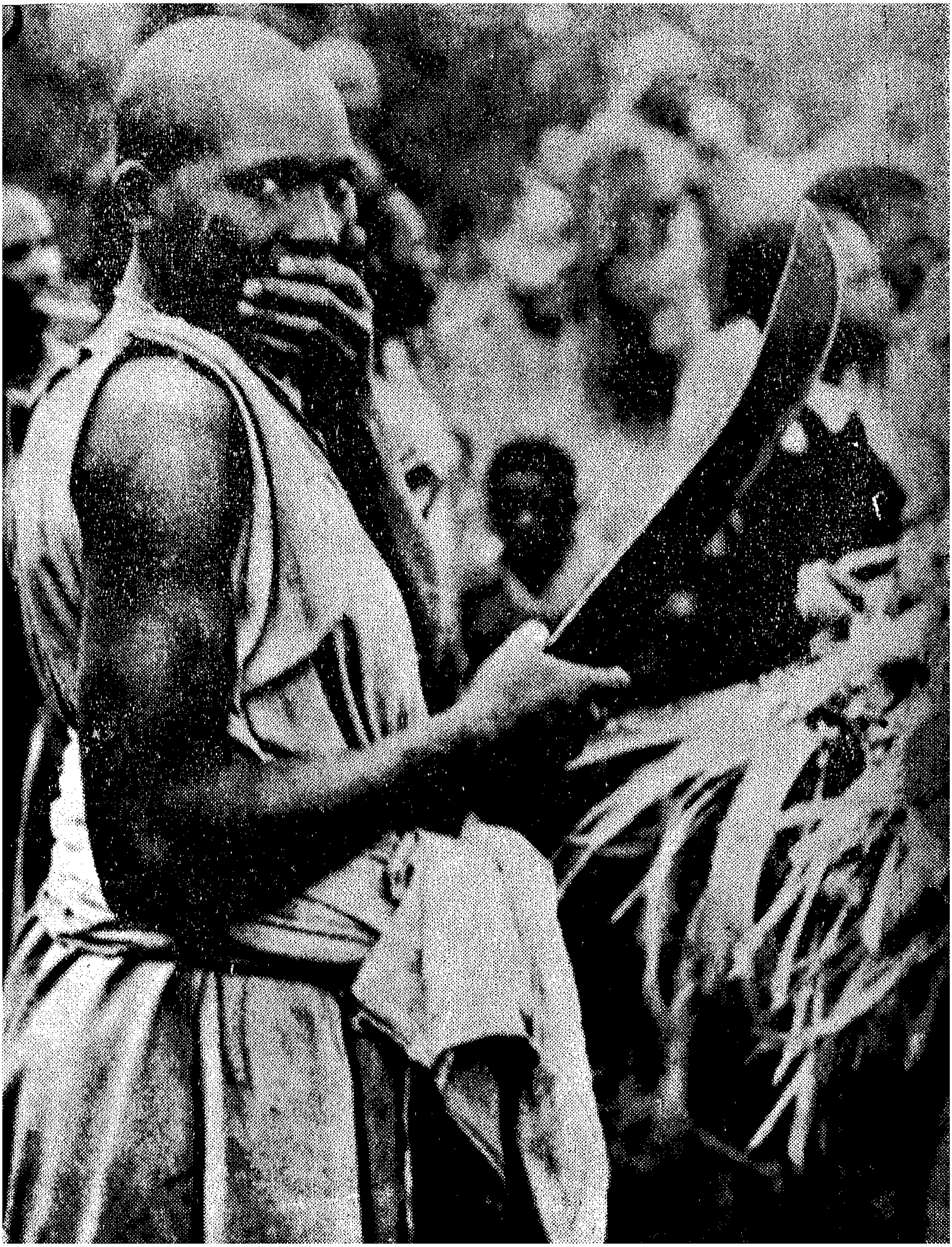
« الرمح المشتعل : جوموكينياتا »



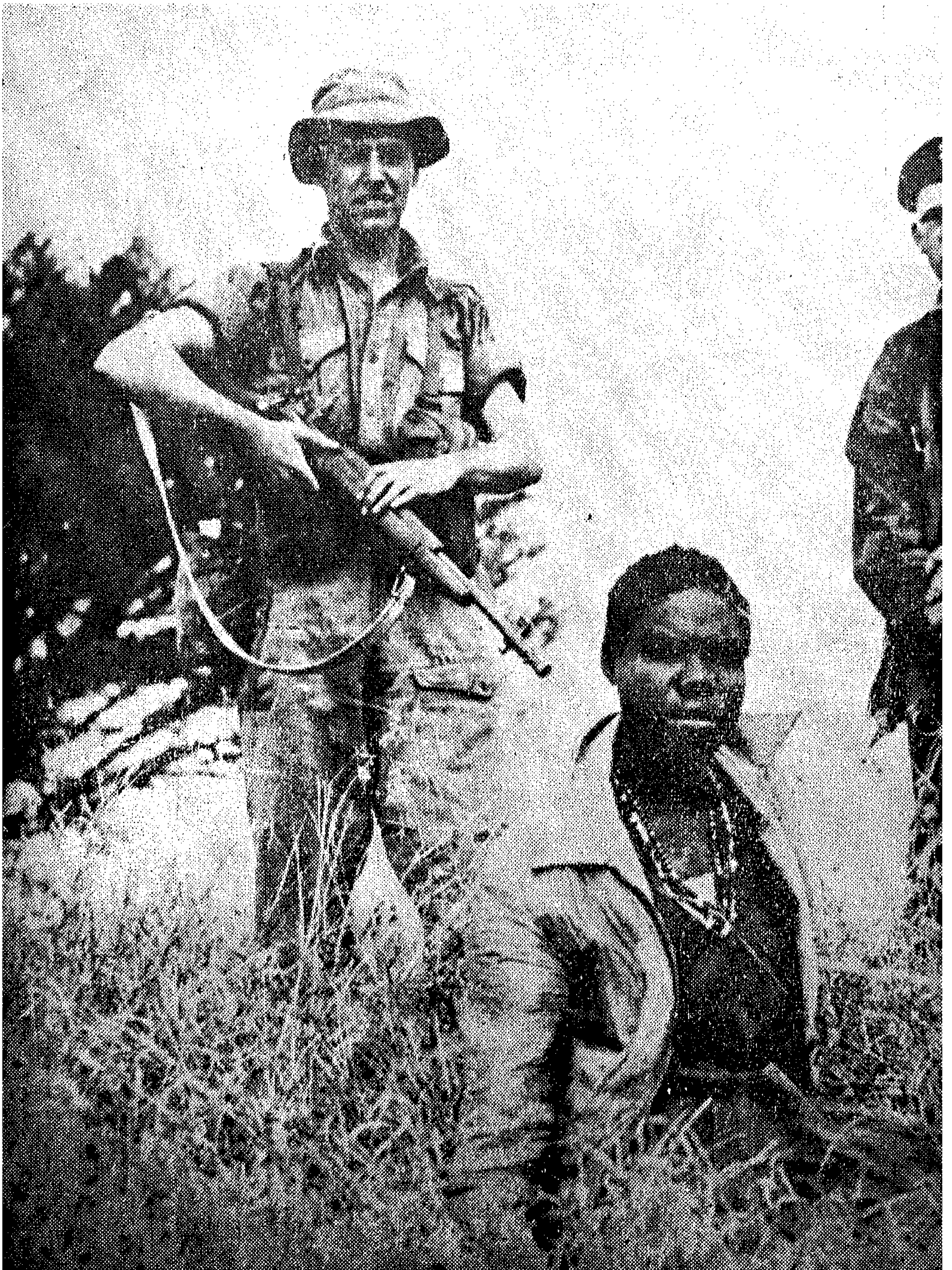
« سوق الخضر والزهور »



« شارع فى نيروبى »



« جنى الثمار »



« من مآسي الاستعمار في كينيا »



« الاحرار فى الطريق الى المعتقلات »



((الافريقيون يحتجون على الاستعمار))



((.. ثم رقص الشعب رقصة الانتصار))

نقد الكتب

بقلم عبده بدوي

● الدار الكبيرة

من الكتب التى « استعيدت » للقارىء العربى كتاب « الدار الكبيرة » للاديب الجزائرى « محمد ديب » وترجمة الدكتور « سامى الدروبى » وزير التربية والتعليم فى سوريا ، ومراجعة « عمر شيخاشيرو » .

ومع أن هذا الكتاب قد « استعار » اللسان الفرنسى ، الا أن نبض القلب ولهفة الروح ظلت دائما جزائرية ، **وبهذا يكون ردا** على هؤلاء الذين كانوا يرددون أنه أدب فرنسى، ذلك لان فيه القلب العربى ، والعقل العربى ، والنظرة الشاملة للانسان المعاصر الذى عانى الضغوط والقلق والتطلع ، ثم أخيرا هذا العذاب النفسى الذى يضطره الى تقديم نفسه ومجتمعه بلغة قد لا يستطيع أن يحملها ارتعاشة الاعماق ، وتلك الاحاسيس الصغيرة التى سمعها فى سنواته الاولى من طيبة أم ، وحنان أب ، وجو أسرى له خصائص محلية معينة .

ومهما يكن من شىء فالدار الكبيرة هى الجزء الاول من « ثلاثية » محمد ديب ، وقد كتبت قبل الثورة ، ولكنها تعتبر احتجاجا على وجود الفرنسيين فى بلاده ، ولكنه الاحتجاج الفنى الذى يجعل حتى الفرنسى يتعاطف مع احداثه وشخوصه ، فهو فى عمله شاعر يحسن الهمس ، ومصور يرسم بالفراغ وبالوحدة ، وقلب واع بمأساة الانسان ، وممتلىء بالطبيعة الى حد « التأثر العميق الاصم بتعاقب فصول الطبيعة ! » .

ولعل الناقد الفرنسى موريس نادو يقربنا منه أكثر حين يقول « ان كاتب الدار الكبيرة يهز النفس هزا قويا بإيجازه ، وبتناوله الامور تناولا مباشرا نافذا ، فهو يؤثر فى القلب بأبسط وسيلة .. حين يذكر الحقيقة عارية كل العرى ، بغير صراخ ولا دموع » .

* * *

والدار الكبيرة تقدم لنا الصبى عمر الذى ينتزع من اخوانه فى المدرسة الخبز، ويحميهم فى الوقت نفسه من كبار التلاميذ ، لانه كان فى منزلة وسط بين تلاميذ الاعدادية ، ومن يليهم من المرحلة الاخرى ، فاذا خرج من المدرسة ذهب الى « دار بيطار » حيث أمه وحيث تقدم له الارملة « يمينه » بعض بقايا طعام جزاء على خدماته التى يؤديها لها ، وفى يوم حمل هذه البقايا ، وأدار عينيه فى المدرسة ، فاذا به يرى وجها لصغير شاحب ، له عينان قاتمتان كأنهما من فحم ، واذا به يتعمد المسير بالقرب منه ، ثم يتعمد أن ينتفض مسرعا من أمامه ليسقط ما يحمله أمام الصغير الشاحب ، وحين يبتعد ، ويلتفت وراءه فيرى الطفل الشاحب فرحا بما وجد ، تهتز نفسه ويجهش بالبكاء ..

وفى المدرسة كان يتذكر أمه الفقيرة ، وصاحب الدار وزوجته وكلاهما لا يطيقان رؤية أطفال السكان ، وكان يتعجب من التفاف التلاميذ حول التلميذ الغنى « ادريس بلخوجا » الذى كان يستند الى جدار ثم يخرج الطعام ويلتهمه صنفا بعد الاخر دون أن يعطى أحدا شيئا ، وهو فى الوقت نفسه يعذبهم بذكر الاصناف المتعددة من الاطعمة التى يلتهما فى البيت .

ولم يكن يخرجه من هذا الا عملية الدخول فى الفصل ، ودخول المدرس ، والاحساس بفرح خفيف يتموج فى الفصل كأنه الضياء ،

وفى أحد الدروس سأل المدرس « من منكم يعلم معنى كلمة : الوطن » فاذا بالتلميذ ابراهيم يرفع يده ثم يقول « فرنسا هى أمنا الوطن » ، واذا بالتلاميذ يرفعون أصابعهم فيرددوا نفس الكلمة التى قالها ابراهيم ، ولكن « عمر » يدور فى نفسه سؤال وهو أن الفرنسيين وافدون على الجزائر ، وأن بين الجزائر وفرنسا بحرا ، فكيف تكون هذه البلاد أمه .. ان أمه فى البيت واسمها « عينى » ، وليس ثمة أشياء مشتركة بين أمه وفرنسا ، واذا به يكتشف أنه يتعلم الاكاذيب .

وتجيء حصة أخرى فاذا بها تدور حول أناس سعداء يجلسون أمام مدافيء ، وأن اللبلاب يتسلق الجدران ، وان « بابا نويل » يزور الاطفال ويترك لهم هدايا .

ومع أن المدرس « حسن » قد تكلم مرة بالعربية ، وذكر لهم أنه ليس صحيحا ما يقال لهم من أن فرنسا هى الوطن ، الا أنه لم يجب على أشياء كثيرة كانت قد رفعت أصابعها فى نفس عمر .

***

وكثيرا ما كان عمر يشترك فى معركة « حى الرحيبة » مع الاحياء الاخرى فى غير أوقات الدراسة ، وفى يوم العطلة كان يجلس فى الصباح مع أمه وجدته فى الحجرة الفقيرة العارية ثم يسمع أمه تنفجر وهى تشير الى « الكانون » الذى تتدفأ به « .. هذا كل ما تركه لنا أبوك ، ترك لنا البؤس ، غيب وجهه فى التراب ، لم يفكر يوما فى ادخار قرش واحد ، كان ينبغى أن أترككم فى الشارع وأن أهرب الى جبل خال مقفر ! » .

ويرى « عمر » قسوتها على جدته التى تلقيها القاء فى حجرة المطبخ ، فاذا به يصرخ ، واذا بها تطارده فيخرج هاربا ، ويرى نفسه يفكر فى موت أبيه ، وفى تحدى أمه بالعودة ، وفى أن يقتل نفسه ، ولكنه وهو يتهيأ للعودة ، سمع صوت أمه ينادى حزينا « يا عمر .. يا عمر » والناس من حولها لا يلتفتون .

***

وفى يوم من الايام استيقظ سكان « دار سبيطار » على قرع متواصل على الباب فاذا بالجميع يفيقون ، واذا بهم يفتحون الباب ليروا الشرطة ، واذا بعمر مأخوذ ، وبينما هو يهم بالصراخ سمعهم يسألون عن « حميد سراج » واذا بالجميع صامتون كأن الدار خلت من السكان ، وتنتحب واحدة من السكان فاذا بنحيبها الذى ينطوى على الكره والغضب يؤذن بالشقاء ، واذا بعمر يشهد القسوة فى التفتيش ، ويحس ان فى نفسه فراغا ، وان فوق هذا الفراغ ذكرى ما أكله بالأمس ،ويعود السكان ليستجمعوا أفكارهم حول « حميد سراج » الذى يسكن البيت مع أخته ، ولا يكف عن القراءة بعكس بقية السكان الذين لا يعرفون القراءة ، وكثيرا ما كانوا يرددون « ما فائدة القراءة » ، وتظهر « دار سبيطار » بعد ذلك ، وكأن هذا الحادث قد قرب بعضهم من بعض ، وجعلون يتحدثون عما فى نفوسهم .

وتجيء اجازة « عمر » من المدرسة فيحس احساسا جديدا بوقع الحياة فى الدار ، حين يقوم الناس مجهدين ، ويعودون مجهدين ، وحين يثرثرون عن بعض العلاقات ، وحين تحرضه « زهور » على انشاء علاقة معها ، ثم أخيرا حين يصرخ الاطفال من الجوع ، ويهرولون الى الشارع .. « **الصمت يدور ثم يدور كرحى طاحون ، البيت الضخم أخرس لا ينطق ، السكان لا يتزاحمون ، انهم جميعا يغلقون أبوابهم ، ويعتصمون فى أعماق غرفهم فى هذه الساعة من النهار ، وفى قاع هذه الغرف ، حيث يلوح ان الناس حبسوا الظلمة ليعتصموا بها ، تترجع أنفاس عدد لا يحصى من البشر** » :

وقد أحس فى يوم من الايام أن نساء الدار يدخلن مع أمه فى معركة لان ماكينة خياطتهما تظل تعمل حتى وقت متأخر من الليل ، ولانها تتعارك معه ومع أختيه بقسوة ، واذا بصاحبة الدار تخرج وتطلب منها مغادرة البيت ، ويشجعنها الساكنات ، وبينما المعركة محتدمة، تصيح زهور بأن « حميد سراج » قد اعتقل ، فاذا بالمعركة تهدأ ، واذا بالدار تنطوى على نفسها ، وتأخذ فى التأمل ، وان كان يسيطر عليها دائما الحنق والغضب والخوف ، وقد دعاه هذا الى ان يفكر فى الفقر الذى حوله ،

وبينما هو فى غمرة التفكير ساقته قدماه الى شارع « باس » فاذا به يرى « حميد سراج » يخطب فى الناس **« يقول المستوطنون ان سكان البـلاد لا يعملون الا اذا ماتوا جـوعا ، ولكن الحق أن الفلاحين انما يعملون من أجل هؤلاء المستوطنين ، ان هؤلاء المستوطنين يسرقونهم ، انهم يسرقون العمـال ، ولا يمكن أن تستمر الحياة على هذا الحال »** ويذهب عمر مشتعل القلب الى بيته فيرى الفقر، ويسمع أن أمه تنوى القيام بعملية تهريب بعض الملابس من الدائرة الجمركية لتضمن الطعام للأطفال ، وبين الفترة والفترة يشم تلك الرائحة الكريهة التى تنبعث من جروح جدته الملقـاة فى غير عناية بالمطبخ .

ولكن حال الاسرة يتحسن بعض الشىء حين أخذت أختاه تعملان فى مصنع للسجاد ، وبدلا من النوم جياعا ، وتعليلهم بماء على نار حتى يناموا ، بل لقد وصل بهم التفكير الى حد الحصول على اللحم « .. ربما استطعنا أن نشترى قليلا من اللحم من حين الى حين ، أليس كذلك يا أمى ؟ مرة فى الاسـبوع على الاقل ، ربما نستطيع أن نشترى بيضا ، انه أرخص ثمنا من اللحم ، نصنع عجة بالحمص ، والفاصوليا أرخص من البيض أيضا ، وشيئا من الرز ، ما رأيكم أنتم ؟ بهذا المال الذى معنا .. »

وما تكاد تمر أيام حتى وجدوا عندهم سلة ممـلوءة بالبطاطس والخرشـوف والطمـاطم واللحم ، واذا بها من عند أحد أقرباء الام كهدية ، واذا بهم جميعا فى نشوة غامرة ، واذا بالدار كلها تتحدث عن هذا الشىء الذى لم يحدث فى حياتهم ، ولقد ظل الكلام عن هذا الشىء الجديد فى الدار الى حد أن الام وواحدة من بنيها لم يستطيعا الكلام فى الغد ، لان صوتهما من كثرة الحديث الى الجيران كان قد بح تماما .

* * *

وتمر الايام فاذا بسكان **« دار سبيطار »** يسمعون تجارب صوت صفارة الانذار فى عدة أيام متتالية ، واذا بهم يهمسون أن الحرب ستندلع ، وأن الذى سيثير هذه الحرب رجل قوى جبار ، شـعاره ذلك الصليب المعقوف الذى يشبه العجلة ، ولقد كان مايدعوهم الى متابعة الحديث فى هذا أن هذا الصليب كان يوجد مرسوما بالقطران على كثير من الجدران ، وبجواره كلمـة « يعيش هتـلر » ، ويأخذ الحديث بعضه بعضا فيذكرون عن هتلر أنه قوة لن يستطيع أحد الوقوف أمامها ، وأنه قد عزم على الاستيلاء على العالم كله ، وأنه صديق للمسلمين ، فاذا ما وصلت خطاه الى البـلاد ، فسيدرك كافة الجـزائريين كافة ما يطالبون .

« انه سـيحرم اليهـود من أملاكهم ، فهو لا يحبهم ، ولسوف يقتلهم ، سـيكون حامى الاسلام ، وسيطرد الفرنسيين ، ثم ان الحزام الذى يشد جسده قد كتبت عليه الشـهادة : لا اله الا الله محمد رسول الله .. ان هـذا الحزام لا يتركه لا فى ليل ولا فى نهار ، وهو لذلك لا يمكن أن يغلب ! » .

وان عمر ليسمع هذا الصوت مرة وهو يمر بميدان البـلدية ، فاذا بقلبه يخفق خفقانا شديدا ، واذا به يجرى فى الشارع وقد استبد به الخوف ، وانه ليهدأ قليلا حين يرى الناس جميعا من حوله يجرون ، وما هى الا لحظـة حتى خلت الشوارع ، ويحس عمر أنه يعدو فى مدينة مقفرة ، وكأن الحياة قد غارت تماما فى تلك الحجارة التى تتكون منها مدينـة « تلمسـان » .

ويتحرك فى نفس عمر شعور بأنه لن يعـود الى **« دار سبيطار »** ، وانه مع أنه يعدو الا أنه لن يصل الى هذه الدار أبدا ، لا بد أن شيئا سيقع له قبل أن يصل الى « دار سبيطار » .. الى الدار الكبيرة ، ولكنه مع ذلك يسرع ويسرع حتى يصل الى « دار سبيطار » ، ويرى أمه ، وما يكاد يقف أمامها حتى يجهش بالبكاء ، ويرتعش جسمه ارتعاشا شـديدا ، ويحس أنه على حدود بلاد عجيبة ، وأنه لم يعد لشىء قيمة .. كأن العالم قد تمزق بزئير ذلك الوحش الذى لا وجود له ، وأنه ليصحوا

على كلمات تتلاقى وتتباعد من سكان الدار الذين تجمعوا حول أنفسهم ، وراحو يتحدثون :

ـ جاء يوم الحساب

ـ هذه علامة أن الحرب واقعة

ـ جاء يوم الحق

ـ أصبح الناس فى أيامنا هذه لا يؤمنون بالله . هذه كارثة

ـ أولياء أمورنا يعرفون ما يفعلون

ـ لا .. لا .. نحن الذين نجنى المصائب والكوارث

ـ علينا نحن ستقع المصائب والكوارث

ـ هى نهاية العالم

ـ بعد أربعين يوما

ثم استعادت « تلمسان » حياتها ، ونزل عمر نفسه لشراء قرص من الخبز ، وهناك وجد الحياة تستعيد نشاطها ، وجد الغسق المذهب الذى يحمل جوا من الجد والرصانة ووجد أن هناك احساسا يقرب بين الناس ويشد بعضهم الى بعض ، فقد كان خروج الناس الى الشارع كأنما كان على ميعاد ، وكأنهم كانوا فى انتظار أحد ليتكلم باسمهم عن هذا الذى حدث ، ولكن أحدا لا يتكلم « .. ويظل جميع هؤلاء الرجال وجميع هؤلاء النساء عراة أمام أنفسهم ، كانوا قد تركوا قلوبهم متهيأة فى راحة ، ولكن الشقاء يلمسهم الان بقبضته فيستيقظون ، ما عدا الذين كانوا يحسون عندئذ أنهم أحياء ؟ ها هم أولاء يأخذون يضحكون من هذا اللقاء ، رغم أن مرارة ما تزال فى أفواههم » وقد اكتشف عمر هذا ، وأحس أنه قد صار جزءا من هذه القوة الخرساء الكبرى التى تقف ضد دمارها ، ولكنه فى جوف الحشد البشرى سمع أن الحرب ستقوم ، وتوصله أقدامه الى الدار ، ويكتشف أنه لم يشتر قوص الخبز فتعنفه أمه :

ـ لقد قامت الحرب ياما

ـ ألآن الحرب قامت لا نأكل ؟

ويذهب ثانية ليأتى بالعيش ، ويعود وهو يحس أنه شب عن الطوق ، وحين يطرق الباب ولا تجيبه أخته فى سرعة ينهرها ، فتقول :

« أنظروا كيف يجيد اصدار الاوامر . يا له من رجل »

وحين يدخل على أمه فتنهره كالعادة يدرك الصبى ـ ربما لاول مرة ـ ما يختفى وراء هذه الشتيمة من حب وحنان ، فيبتسم ويجلس مع أخوته على المائدة ، ويأخذ فى مراقبة أمه وهى تقطع الخبز على ركبتيها !

من كل هذا نرى أن « الدار الكبيرة » ليست الا الجزائر بفقرها وحرمانها وعدم سير الحياة فيها سيرا طبيعيا لعدم وجود الرجال بها ، ذلك لان من يوجد منهم يؤخذ الى السجن لانه ينطوى على الثورة ، أما الاخرون الذين يضعون أنفسهم فى خدمة المستوطنين ، والذين رمز اليهم بالرجل الذى حضر مع رجال الشرطة الفرنسيين فمكانهم ليس فى هذه الدار .

أما العقل الجديد للجزائر فيتمثل فى « عمر » الذى احتضن عذاب كافة الموجودين فى « دار سبيطار » ، والذى كان يحتاج الى هزة ليدرك بها الاشياء من حوله ادراكا حقيقيا ، واذا بهذه الحقيقة هى فى اعلان الحرب العالمية الاولى ، فاذا عرفنا ان « الدار الكبيرة » قد نشرت عام ١٩٥٢ أدركنا أن « محمد ديب » لم يكتب فى « غيبة وطنية » وانما كان يحس واقع بلاده ، ويدرك الطريق الذى ستسير فيه .

« عبده بدوى »

من الفولكلور الافريقي

الارنب الذي يزرع النقود

ترجمة : فوزي العنتيل

عنـــدما بدأ فصل الامطار ، وأخذ الزعيم يرتب أعمال الزراعة ، دعا الحيوانات ، وسأل كل واحد منها عما يستطيع أن يبذره ، فاختار واحد الذرة الصفراء ، واختـــار آخر الذرة البيضاء ، ووعد ثالث بانبات الارز .

وأخيرا سأل الارنب « كالولو » عما ينوى بذره فأجابه قائلا : أيها الزعيم ، اذا أعطيتنى حقيبة من النقود ، فاننى ســـوف أبذرها .

فتعجب الزعيم ، وسأل : هل سمع أحد ببذر النقود ؟

فأجابه الارنب « كالولو » : اذن ، فسوف أريك كيف تفعل ذلك .

ومهما يكن من أمر ، فقد تسلم «كالولو» حقيبة النقود ، ومضى ، فأنفقها جميعا فى شراء ثيـــاب ، وسمك جاف ، وحبـات العقود ، وغير ذلك .

وفى زمن الحصاد ، بعث الزعيم الى الارنب من يقول له : ياكالولو ، أحضر النقود التى حصدتها . فأجاب كالولو بأن النقود تنمو فى بطء شديد ، وأنها الآن ما تزال نباتا .

وأنفق الارنب عاما آخر فى الكسل ، فلما أقبل وقت الحصـــاد مرة أخرى ، ارسل اليه الزعيم قائلا . ياكالولو ، هات النقود التى حصدتهـــا ، فأجاب « كالولو » : ان النقود تنمو بطيئة جدا ، انها الآن قد أزهرت فقط .

وأنفق « كالولو » عاما آخر فى البطـــالة ، وعندما حان زمن الحصاد أرسل الزعيم يقول لكالولو ، هات النقود التى حصدتها ، فأجابه الارنب بأن النقـــود تنمو ببطء شديد ، أنها الآن فى السنابل !

لقد بدأ الارنب يشعر بأنه قد صـــار فى مأزق ، ولم يدر ماذا ينبغى أن يفعل . لان المرء عندما يكذب مرة فانها تقود الى أخرى .

فى العام الرابع أصبح الزعيم متوجسا ، ومن ثم فقد ارسل الخنزير البرى ليعـــاين الغلة ، وحمله رسالة الى كالولو لكى يبعث بالنقود التى حصدها .

وعرف كالولو الآن بأن عليه أن يفعل شيئا ، غير أنه لم يكن يعرف ما هو هذا الشيء الذى ينبغى عليــــه أن يفعله ، فزعم للخنزير بأن حديقة النقود فى مكان ناء من الغابة ، لانه لا يمكن أبدا ، أن يبذر مثل هذا النوع من الغلة قريبا من القرية ، لان كل واحد يتمنى أن يسرقها .

فقـــال الخنزير : اذن فسوف أصحبك الى حديقتك ، لان الزعيم قد ارسلنى لأراها .

فوقع الارنب فى شر أعماله ، وتمنى لو أنه لم يكن شديد الحماقة الى حد أن يكذب . ثم انطلقا ، وظلا يمشيان ، ويمشيان ، حتى قال

كالولو : أيها الخنزير ، لقد نسيت وسادتى ، ويجب أن أعدو راجعا لأحضرها ، لانه سيتحتم علينا أن نقضى الليل فى الحديقة • لقد أصبحت المسافة الآن بعيـــدة جدا حتى ان يوما كاملا لايكفى للعودة • وجرى الارنب مسافة قصيرة ، ثم أخذ قصبة ، وتسلل قريبا من المكان الذى كان الخنزير يقف فيـــه منتظرا عودته • ثم نفخ نفخة البوق فى القصبة صائحا فى صوت عميق : أبى ! هنا خنزير برى ، أسرع ، ودعنا نقتله • فاعتقد الخنزير بأن الصيادين يقتفون أثره ، فجرى ناجيا بنفسه ، وعندئذ عاد كالولو مسرعا الى الزعيم ، وقال :

أيها الزعيم ، لقـــد كنت فى طريقى الى حديقة النقود ، عندما ركب الخنزير الخوف فى الغابة ، وهرب بعيـــدا • فغضب الزعيم غضبا شديدا ، وتوعد الخنزير بالعقاب ، ثم التفت الى الأسد قائلا :

أيها الأسد ، انك لا تخاف الغابة ، اذهب مع « كالولو » لعله يريك حديقة النقود • ورأى الارنب أنه قد وقع فى مأزق لم يقع فيه من قبل ، وتمنى لو لم يكن بمثل هـــذه الحماقة لكى يكذب • ثم انطلقا ، وظلا يمشيان ثم يمشيان حتى أعجله الارنب بقوله : أيها الأسد ، لقد نسيت فأسى ، ودخلت الأغصان فى عينى ، فقط انتظرنى ، حتى أعود مسرعا الى البيت لاحضر الفأس ، ثم جرى الارنب مسافة قصيرة ، وانسل قريبا من المكان الذى ينتظره فيه الأسد ، ونفخ فى القصبة نفخة البوق ، وصاح فى صوت عميق : أبى ! هنا أسد ، أحضر سهامك ودعنا نصيبه ، فخاف الأسد معتقدا بأن الصـــيادين فى أثره ، ثم جرى طلبا للنجاة ، وعندئذ أخذ « كالولو » طريقه الى الزعيم ثم قال له : لقد اصطحبت الأســـد كى يرى غلة النقود الرائعة التى زرعتهـــا من أجلك ، لكن الخوف أدركه فى الغابة ، فهرب •

فاهتاج الزعيم ، وبعـــد أن توعد الأسد بالعقـــاب ، قال : أيتها الجاموســـة ، انك لا تخشين الغابة ، اذهبى مع « كالولو » عله يريك حديقة نقوده • ووقع كالولو فى ورطة ما مثلها ورطة ، وتمنى لو أنه لم يكن شديد الحمق حتى يكذب ، ثم انطلقا ، وظلا يمشيان ، ويمشيان ، حتى فاجأها كالولو بقوله : أيتها الجاموســـة ، انتظرى حتى أعدو الى المنزل ، لأحضر سكينى لأن أشواك الغابة تعوق سيرى ثم جرى الأرنب قليلا ، فأخذ قصبة ، وانسل قريبا الى حيث كانت الجاموسة تنتظره ، ونفخ نفخة البوق العالية فى القصبة ، ثم صـــاح فى صوت عميق • أبى : هنا جاموسة ، أحضر رماحك ، ودعنا نقتلها ، فاعتقدت الجاموسة بأن الصـــيادين فى اثرها ، فجرت ناجيـــة بنفسها ، عنـــدئذ ارتد كالولو عائدا ، وقال للزعيم : لقد كنت فى طريقى لأرى حديقة النقود مع الجاموسة ، ولكن الغابة كانت كثيفة معتمة • فركبها الخوف ، فهربت •

فاهتاج الزعيم كما لم يحدث له من قبل ، وتوعد الجاموسة بالعقاب ، ثم صاح على ذكر السلحفاة قائلا : اذهب فانظر كيف تنمـــو نقودى ، واذا كان الأرنب قـــد خدعنى ، فسوف أشنقه فى أعلى نخلة فى القرية •

والآن فان كالولو قد وجد نفسه فى ورطة ما بعدها ورطة ، وتمنى لو أنه لم يكن بمثل هذه الحماقة التى دفعته الى الكذب •

***

كان ذكر السلحفاة شديد الحكمة ، وقبل أن يبدأ رحلته ، نادى زوجته لتعد له حقيبة تحتوى كل مايحتاج اليه فى الرحلة : وسادة ، فاس ، سكينة ، جعبة سهام ، وكل شىء يحتمل أن يكون ذا فائدة •

ثم انطلقا وأخذا يمشيان ، ويمشيان حتى قال كالولو للسلحفاة : دعنى أكر عائدا لأحضر وسادتى ، فقال له : لا تزعج نفسك ، انك

تستطيع أن تستخدم وسادتى • ثم مضيا فى طريقهما حتى قال كالولو : دعنى أنطلق الى بيتى لأحضر فأسى • فأجابه قائلا : لا تنزعج ، ان فأسى معى هنا ، ثم مضيا فى طريقهما ، حتى قال كالولو : ان هذه الغـــابة خطرة ، ويجب أن أعود لأحضر سهامى ، فأجابه بقوله : اطمئن ، فان السهام معى هنا ، وعندئذ احس الأرنب بأنه قـــد وقع فى ورطة لم ير لها مثيلا من قبل ، حتى انه تمنى لو أنه لم يكن بهذه الحماقة التى أدت به الى أن يكذب وفكر فى المصـــير المرعب الذى ينتظره ، انه يكاد يشـــعر بحبل المشـــنقة يلتف حول رقبته ، وتعجب فى نفسه ، ماذا يمكن ان يقول الزعيم عندما تكتشف الخديعة •

واخيرا ، وهو فى هذه الحالة من الرعب ، انطلق هاربا خلال الغابة ، وعدا نحو البيت مسرعا بقدر ما استطاعت أن تحمله قدماه ، ثم صاح فى زوجته أن تسرع قائلا : اننـــا لا نملك دقيقة كى نضيعها • تظاهرى بأننى طفلك ، انزعى جميع شعرى ، ثم ادهنينى بالطين الأحمر ، وعنـــدما يبعث الزعيم فى طلبى ، احملينى ، وقولى : لا يوجد أحد هنا سوى الطفل •

فانتزعت جميع شـــعر رأسه ، وأذنيه ، وصدره ، وظهره ، وذراعيه ، ورجليه •

ــ آه ، ما أشـــد ايلامه ، وادرك كالولو الندم ، وتمنى لو أنه لم يخدع النـــاس أو يكذب عليهم ، واخيرا جلس وقد ذهب عنه شعره ، فصار كأحد صغار الارانب ، وقامت زوجته بطلائه بالطين الأحمر •

ولم تكد تفرغ من ذلك حتى قدم جنـــود الزعيم ، وقال أحدهم : أين كالولو ؟ لقـــد جئنا لنأخذه الى المشنقة لانه خدع الزعيم ، ولأنه هرب من السلحفاة •

ــ لا توجد أرانب فى المنزل غيرى ، وغير الصغير • فقال الجنود : اذن ، فسوف نأخذ الطفل رهينة ، ثم وضعوه فى سلة ، وحملوه الى الزعيم •

فى هذه الليلة ذهبت زوجة كالولو ، الى حيث يرقد فى أقماطه فى السلة ، وهمست فى أذنه قائلة : عند ما آخذك غدا ، تظاهر بأنك ميت •

وفى صباح اليوم التالى ذهبت الى الزعيم ، وطلبت ان يأذن لها بارضاع طفلها ، فقادوها الى مكانه ، وكان كالولو ممددا كأنه ميت ، فارتدت الى الزعيم مولولة والدموع فى عينيها، وأعلنت أنه مسئول عن موت طفلها ، فانعقدت هيئة محكمة كبيرة ، واتفقت جميع الحيوانات على أن الزعيم يجب عليه أن يدفع تعويضـــا ، وعلى ذلك فقد أعطاها الزعيم أكبر حقيبة من النقود كانت فى حوزته ، وطلب اليهـــا أن تأخذ ابنها ، وتقوم بدفنه •

ولم تكد تبلغ زوجة كالولو البيت ، وتفك السلة ، حتى قفز كالولو منها ، وأخذ يئن قائلا : آه لشد ما عانيت ! •• لقـــد كان على أن أبقى بغـــير حراك رغم أوجاع أطرافى ، وكذلك لقد تقلصت أطراف أصابعى فى السلة • لقـــد آليت على نفسى ألا أخدع احـــدا ، أو أكذب مرة أخرى • وأخرجت له زوجتـــه حقيبة النقـــود ، وانتظر فى البيت حتى نما شعره ثانية ، ثم توجه حاملا الحقيبة الى زعيم القرية ، قائلا : أيها الزعيم ، لقد عدت توا من رحلتى البعيدة ، لكى أعطيك حصاد نقودك، لقد كانت خطوات السلحفـــاة بطيئة ، ولم أستطع أن أتوقف ليلحق بى •

وأخذ الزعيم النقود ، وشكر كالولو على حصاده الرائع ، وخجل أن يخبره بوفاة طفله ، أما الأرنب فقد عاد الى بيته مسرورا ، لأنه استطاع أن يخرج من هذا المأزق ، ونذر ألا يكذب مرة أخرى •

العودة :

للشاعر ابيوسة نيكل
ترجمة صفاء محجوب

ها قد عدت ثانية
مبحرا أسفل ساحل غينيا
محبا لحضارة مدنكم الشجاعة الجديدة
داكار — اكرا — كتنو
لاجوس — باثورست — بيسو
والمدينة الحرة ليوبولدفيل
يقولون : ان الحــــرية قد عمت
جميع الاقاليم
فلتر افريقيا الحقيقية
مهما تكن أنت
لتر مكانها الحقيقى فى قلب الحرية ؟
هذا هو مكانك ، الذى جئت منه
ابحث معى عن الشجيرة فى داخل
الشجرة
ســـــتجد قلبك الكامن ، وروح
أجدادك الصامتة

***

وهانا أرقص طربا فى طريقى
حيث عدت ثانية أسفل ســـاحل
غينيا



هل رأيتم الى حكمـــة الله : ان الانســـان قيمة فى تكامله ، ولكنكم عند ما تصنعون منه عبـدا تسلبونه نصف قيمته . هومر فى الأوديسة

.. حقيقة اكتشفها العلم الحديث والدراسة الجادة ، أن افريقيا لها حضارة مؤثلة ، وان هذه الحضارة لها أسسها النفسية والاجتماعية وفلسفتها فى التكوين والحياة .

.. وحقيقة أخرى تبينها العـلم فى عصرنا هـذا ، أن الفن الافريقى يعبر عن جوهر الانسان ، ويفصح عن مضمون وجوده .

.. وقد يعبر الفن الاوروبى وكذلك العـلم عن الانسان ، ولكنهما يتخذان لنفسيهما طريق العقل والذهن والعلة والنتيجة . ولكن الفن الافريقى توصل الى ما توصل اليه الانسـان عن طريق القلب والوجدان .

ولقد رأينا أن التكعيبية والوحشية مدرستان فى فنون النحت والتصوير والشعر والادب فى أوربا ، واستمدت المدرستان خطوطهما الفكرية والعقلئدية من الفن الافريقى ، فالفنان الافريقى الذى توصل الى وسـيلة تعبيره من قديم الزمان ، لم يتوصل الفنان الاوروبى الى نفس النتيجة الا بعد نحو ألفين من السنين ومن

الحضارة العقلية .

وفى سنة ١٦١٩ ميلادية رست بضع سفن هولندية على الشاطىء الامريكى لولاية فرجينيا وأنزلت بضع مئات من الافريقيين ليعملوا فى زراعة حقول القطن والطباق والحنطة فى مزارع فرجينيا الواسعة . وراجت تجارة الرقيق الافريقى حتى بلغ عدد الافريقيين الذين يعمرون ولاية الجنوب الامريكى ٧٥٠٠٠ نسمة طبقا لاحصاء ١٧١٧ . ومن الغريب أن تكون لهذه الاعداد البسيطة آثارها الخطيرة على الفنون التعبيرية للمجتمع الامريكى . ولعل اروع واخطر هذه الآثار جميعها هو هذا الاثر على الموسيقى الامريكية وتطورها . وليس الغناء والموسيقى الامريكيان سوى نتائج طبيعية للفن الافريقى الموسيقى .

ولقد لمس جيفرسون تفوق حضارة الافريقيين على حضارة البيض من الصفة العالية التى كانت للافريقيين فى الموسيقى . والمعروف أن الموسيقى هى فن الفنون . وجيفرسون يقول : ان الافريقيين موهوبون فى الموسيقى عن البيض ، ولهم آذان حساسة فى النغم والزمن الايقاعى » . ويخلص جيفرسون « ملحوظات عن فرجينيا « Notes on Virginia

الى أن : « الزنوج الافريقيين حتى فى عبوديتهم كانوا يهذبون ويتعهدون موهبتهم الموسيقية »

ولقد حملت سفن البيض الافريقيين من مواطنهم وجمعتهم على سطح المراكب فى اعداد هائلة ، ونظر الافريقيون الى البحر من ورائهم ومن أمامهم وحولهم فى كل مكان ، والسماء تغطيهم ، وقسوة البيض وسياطهم تقطع جلودهم ، وذكروا الاهل والولد ، والشمس الحارة والارض الصلبة والغابة الفسيحة وانطلاقة الحرية ، فتجمعوا فى حلقات ينشدون حزنهم ويتحسرون على ماضيهم ، ويغنون اغنية الاسى . ولكن البيض النخاسين ما كانوا يسمحون لهم بالغناء الحزين لانه يسقمهم ويمرضهم ، والبيض لا يريدون سقامى ممروضين ، فكانوا يلهبونهم بسياطهم ليغنوا أغان مفرحة ويرقصوا ، ويبقونهم فى حالة معنوية عالية بعض الشىء .

وفى سنة ١٧٠٠ نصح أحد النخاسين ويدعى توماس ستاركس قبطان السفينة « افريقية » التى كانت تنقل شحنة من الرقيق ، فقال : « ابق زنوجك فى سرور ومرح ، واجعل بعضهم يدق الطبل ويثيرهم للرقص » .

ويصف كتاب « عشرون سنة من نقل الافريقيين العبيد » هذه المرحلة فيقول : « فى خلال ما بعد الظهر وعند ما كان يصفو الجو ، كان الرجال والنساء والبنات والصبية يتجمعون على سطح المراكب وينشدون معا أغانى افريقية يوقعونها على نغمات التوم توم على الصفائح والاوعية » .

وكان الافريقى يصنع آلته الموسيقية من أى شىء يتيسر له . ويحكى جيفرسون عن آلة الافريقيين الموسيقية فيقول بأنهم كانوا يسمونها « البنجار » Banjar وهذه الالة الموسيقية هى الالة التى نقلوها معهم من افريقيا ، وهى أصل الجيتار ، وأوتارها هى نفسها الاوتار الاربعة السفلى للجيتار .

ولقد صار اسم البنجار الى اسم البانجو Banjo مع الاستعمال والتحريف .

والبنجار أو البانجو هو تحريف لاسم الالة الموسيقية الافريقية الموجودة حتى اليوم فى غرب افريقيا باسم البانيا Bania وهذه الالة نفسها عربية الاصل دخلت القارة الافريقية مع اتصال العرب بالافريقيين وتعديلهم للالات الموسيقية العربية بما يتلاءم مع حضارتهم واغانيهم ، فالبانيا لم تكن آلة عربية صرفة ، وهى ليست كذلك آلة افريقية خالصة ، ولكنها بين بين .

والافريقى يغنى معبرا عن نفسه فى كافة مجالات الحياة العاطفية ، فهو يغنى فى الفرح ويغنى فى الاسى ، ويغنى كذلك فى الاملال والعمل ولكن الافريقى فى أمريكا لم تكن له لحظات سوى لحظات العمل ، فهو ان استراح انما ليعمل ، وان شبع فانما ليعمل ما فيه الكفاية ، ولم يكن البيض يهدفون من شىء الا أن يدفعوا الافريقى للانتاج ، ويحصلوا منه على أقصى ما يمكنهم من انتاج ، وانتشرت لذلك أغانى العمل هذه ، وأدت الى ظهور ما يسمى فى الغناء والموسيقى الامريكيين الحاليين باسم Spirituals وهى المواويل الحمر أو البيض كما قد نسميها نحن أحيانا فى بلدنا مصر .

وهـــذا الموال الاحمر الافريقى لا يختلف عن موالنا الاحمر الا فى النغمة الدينية التى تسوده ومن هنا كانت تسميته تلك المشتقة من كلمة Spirit اى الروح ، وبذلك تكون ترجمة هذه الاغانى باسم « الروحانيات » .

ولماذا اتجهت الروحانيات الى الدين ؟

لقد بشرالبيض زنوجهم بالديانة المسيحية ، واعتنقالافريقيون دين مستعبديهم ، وكان هذا أمرا طبيعيا ، وقدر القس صامويل دافيز عدد المسيحيين من هؤلاء الافريقيين ســنة ١٧٥٠ بنحو ١٢٠٠٠ مسيحى . والديانة المسيحية جوهرها الصبر والتحمل والالم ، فهى ديانة المعــذبين والمضطهدين . والدين لم ينزل من السماء الا لينصف هؤلاء ويأخذ بيدهم . هذا هو جوهر كل الديانات . ولذلك وجد الزنوج فى كلمات المسيح تعبيرا عن شقائهم وأملا فى حيـــاة أخرى تعوضهم عن بؤس وحرمان واضطهاد هذه الحياة .

وكان عنــد ما يرهقهــم الابيض بمزيد من العمل ، وينهال على أجسادهم مطالبا اياهم بمزيد من السرعة والانتاج ، يزيد ايقـــاع الاغنية ، وترتفع عقيرة المغنى والكورس خلفه ، فى ايقاعات تأخذ نفس ايقاعات العمل السريع ، وتتلون بلون بهيج نوعا ما لتيسر عليهم عبء الحياة وقسوة العمل ، وتخفف من انحناءة ظهورهم .

ولم يكن الابيض يســـمح لهم باستخدام الطبول لخوفه من أن يستعملها الافريقيون فى اثارة ذكريات البطولة والحرب عنـــدهم ، فيثيروا بوساطتها الثورة ويشعلوا نيرانها بين أعدادهم الغفيرة فى المزارع . ومع ذلك تحايل الافريقيون على الامر فكانوا يخترعون طبــولا من مواد خاصـــة ، من العلب والصـــفائح والصـــناديق . واستعاضوا عن ايقـــاعها بالتصفيق الجماعى باليد .

وهذا التراث الموسيقى الغنائى الذى نقله البيض هو التراث الافريقى فى شرق افريقيا فى موزامبيق ، وفى أنجولا والكونغـــو ، ولكن معظمه من غرب افريقيـــا على امتـــداد خليج غينيا . وكان قلب الرق الافريقى فى منـــاطق نيجيريا وداهومى والكونغو الغربى وســـاحل الذهب . وأغلب هذه المناطق تسكنها حتى اليوم قبائل الاشانتى واليوروبا والبنى Bini فزنوج أمريكا اذن هم أبنـــاء عمومة هؤلاء وأحفادهم .

وتســير الموسيقى والغنـــاء الامريكى على نفس الخطوط الفكرية التى يسير عليها الغناء الافريقى ، فهذا الغناء يلتصق بشدة لعــدة عناصر هى :

١ ــ **الدين ، فهناك قوى غيبية كبرى تسيطر على العالم وتسيره .**
٢ ــ **القدر ، وهو بارادة هذه القوى الغيبية الكبرى .**
٣ ــ **السحر ، وهو الوسيلة لاسترضاء القوى الغيبية عند ما تقدر للفرد ما لا يريده .**
٤ ــ **استطلاع الغيب وهو الوســـيلة لمعرفة القدر حتى يمكن الاســـتعانة بالسحر لاسترضاء القوى الغيبية واستمالتها الى صف الانسان .**
٥ ــ **عبـــادة السلف لانهم وســـيلتهم الى استرضاء الالهة فى عالم الغيب .**
٦ ــ **عقيدة « التمائم » Fetish التى يضعها الافريقى حول رقبته كتعويذة أو رقية .**

هذه الخطوط هى نفسها الخطوط التىتحكمت فى اتجاه الامريكيين نحوالحياة والموت والحياة فيما بعد الموت ، وخلقت انماطا فنية انعكست فى الغناء والموسيقى الشعبيين .

ويتسم الغناء فى افريقيا الغربية بتبادل الاصوات المفــردة والمجاميع ويطلق على هذا التبادل اسم « النداء والاستجابة

ويعلق واترمان على ذلك بقوله : ان هذا النوع من الغناء المتبادل شـائع فى كل أنحاء العالم تقريبا ، ولكنه لا يأخذ الصفة التى له فى افريقيا وفى افريقية الغربية بالذات ، فكل غنائهم مبنى على هذه الطريقة . وصفة أخرى هامة فى غناء الافريقيين وهى انه قبل انتنتهى جمــلة المغنى الرئيسى تبدأ جمــلة المجاميع ، وكذلك يبدأ المغنى المفرد جملته مرة ثانية قبل ان تنتهى جمــلة المجاميع . وهكذا . وهذه الحرفية فى غناء الافريقيين تشكل صفة هامة ، وهى أولوية دخول المغـــنى أو المجـــاميع على التزام البوليفون أو الانتيفون .

ويسود الهارموني الأغنية الافريقية على غير الشائع المعروف من أن الافريقيين يجيدون الميلورية ولا يعرفون الهارمونية .

والمغنى الافريقى بدلا من ان ينهى جملته ثم يبدأ بنغمة جديدة كالمغنى الاوروبى ، يأذن لنفسه بأن ينزلق على أو تحت النغمة عند نهاية الجملة وبداية الاخرى الجديدة .

ومقدار هذا الانزلاق متروك له شخصيا ولتقديره . وهذه الصفة نفسها نجدها فى « الجاز » الامريكى . والسلم الافريقى سلم نغومى Diatonic يعدله استخدام غير منظم للانزلاق من نغمة لنغمة — هذا الانزلاق الذى تحدثت عنه . ويسميه مقننو الموسيقى Portamento . ويتسم هذا السلم بالتغير فى الطبقة الثالثة والسابعة منه . وكل هذا يبين بصورة عريضة فى المواويل الزرقاء (Blues) للموسيقى الفولكلورية الامريكية .

وتصور الافريقى للايقاع تصور أكثر تعقيدا من تصور الأوروبى . والأوروبى يستخدم الايقاع بالتتابع ولكنه لا يستخدم عددا من الايقاعات المختلفة فى نفس الوقت بعكس الافريقى الذى تشيع هذه الطريقة لديه ، وكل مقطوعة غنائية من أغانى غرب افريقية لها عدد من الايقاعات تسير عليه فى نفس الوقت ، وهو قد يصل أحيانا الى أربع أو خمس ايقاعات .

ومن الشائع استخدام عمودين من الطبول ، العمود الأول يمثله تصفيق الايدى والعمود الثانى هو الصوت بنمطه التفعيلى . وغير هذين العمودين هناك الطبول نفسها ، والاغنية الواحدة تستخدم عددا مختلفا من الطبول ، كل نوع له نمطه التفعيلى . ولا ينبغى ان نفهم ان هذه الطريقة تربك وتحدث اضطرابا فى الغناء ، فهناك ايقاع أساسى تجرى عليه الأغنية ويحفظها من الانحراف ويبقى عليها وحدة الفن والأداء . وأكبر الطبول هى التى تلتزم هذا الايقاع العام ، وكل الطبول الاخرى تتفرع منها ولكنها لابد أن تلتزم الايقاع الافتتاحى الأساسى .

ولقد بلغ من حد تأثير الموسيقى والغناء الافريقى فى الموسيقى والغناء الامريكى ان كانت هناك رقصات افريقية نقلت برمتها ورقصتها الارستوقراطية الامريكية . وهذا هو ما يقصه علينا صامويل موورديكاى فى كتابه عن نشأة الموسيقى الامريكية . فموورديكاى يقول : ان ارستقراطية رتشيموند كانوا يرقصون رقصة الكنغو . ونبغ فى عزفها موسيقيون افريقيون ذكر منهم سيدهم جميعا ومبدع الغناء الافريقى « سى جيليات » Sy Gilliat وتابعه « بريجز » Briggs

وانتشرت رقصة الكونغو فى « الانتيل » و « لويزيانا » و « نيوأوليانز » ، ثم انتقلت الى قاعات القصور . وكان موسيقيو هذا العصر كلهم من الزنوج . وكانت رقصات الافريقيين مصدر اطلاع وحب مشاهدة من جانب البيض ، ثم صارت فنا يحاولون تقليده وتعلمه ، وانتهت آخر الأمر الى تسميتها « بالجاز » Jazz وانواع الرقصات السريعة المحمومة التى تنتشر فى العالم اليوم تحت اسم « التشاتشاتشا » و « الروك أندرول » وهى التى تصور لنا مدى أثر افريقيا فى شباب أوروبا وأمريكا اليوم ! !

ولقد كانت أغانى الروحانيات Spirituals والمواويل الزرقاء Blues هى الفن الحقيقى الذى ارتاده الافريقيون وأذهلوا به الامريكيين البيض ، وانفردوا بأرضه . وفى أغانى الروحانيات غنى الافريقيون شقاءهم مختلطا بالصبر وتحمل الألم والأمل فى الآخرة وغيرها من المعانى التى بشرهم بها الانجيل . واستخدم الافريقيون فى هذه الاغانى قصص الانجيل ولكنهم قربوها لحياتهم بتشبيهات من البيئة الجديدة . فمثلا تحدثوا عن شقاء الروح بالقارب الذى يشق به صاحبه موجا متلاطما فى يوم عاصف ، وعن الروح الخاطئة بالغريق .

وكلما استعدنا قراءة هذه الاغنية وتعمقناها كلما عجبنا لجمالها وللصور والخيالات التى يستخدمها المؤلف فى ربط المعانى بعضها ببعض حتى ليخيل الى القارىء انها فيلم من الصور التى تأخذ بتلابيب بعضها البعض وتلطم نفس مستعيدها لطما قاسيا بما تحوى من بلاغة معجزة .

أنباء عن السينما في افريقية

بقلم : عواطف عبد الرحمن

عقد مؤتمر خبراء الاعلام فى افريقيا فى مقر اليونسكو بباريس من ٢٤ يناير الى ٦ فبراير من سنة ١٩٦٢ ، ويعد هذا المؤتمر ثالث مؤتمر اقليمى يعقـــده اليونســـكو لبحث مشكلات الاعلام فى الدول النامية وقد عقد أول مؤتمر لبحث مشكلات الاعلام فى منطقة جنوب شرق آسيا فى بانجوك فى يناير سنة ١٩٦٠ وعقد المؤتمر الثانى لبحث مشكلات الاعلام فى دول أمريكا اللاتينية فى شـــيلى فى فـــبراير سنة ١٩٦١ .

ومن المنـــاقشات التى دارت فى المؤتمر والوثائق التى عرضها مندوبو الدول الافريقية تكونت صـــورة واضحة عن الوضـــع الحالى للسينما فى افريقيا .

الوضع الحالى

١ ــ ذكر المؤتمر أن الدولة الافريقيـــة الوحيدة التى تنتج أفلاما على نطاق واسع هى ج.ع.م اذ تنتج حوالى من ٦٠ الى ٧٠ فيلما فى العام وتوزع هذه الافلام فى معظم الدول التى تتحدث العربية . وهناك أفلام قليلة تنتجها تونس وجنوب افريقيـــا ولكن انتاج الافلام الاعلامية (الاخبـــارية) أكثر انتشارا فى القارة وتقوم بانتاجها الهيئات الحكومية فى حوالى ٢٢ دولة . وما يقرب من هذا العدد من الدول تنتج أفلاما تسجيلية بانتظام .

٢ ــ لوحظ أن انتـــاج الافلام التربوية أو الثقافية يجرى بصفة متقطعة ومحدودة ويبدو أنه لم يوضع أى برنامج محلى فى هذا المجال فى أى دولة افريقية وان لم يمنع هـــذا أن بعض الدول بدأت أخيرا فى انشـــاء مراكز لانتاج الافلام الثقافية وتهتم هذه المراكز بصفة خاصة بانتاج المواد التى تستخدم فى اخراج الافلام التربوية بأسعار رخيصة مثل أفلام الميكى ماوس .

٣ ــ لذلك كان توزيع الافلام محدودا للغاية مع وجود اختـــلافات من دولة الى أخـــرى ووجود فوارق ضخمة بين المناطق العمرانية والمناطق النائية المنعزلة وقد ذكر المؤتمر أن اليونسكو قد قام بوضع حد أدنى للخدمات السينمائية فى القـــارة بمعدل مقعدى سينما لكل مائة شـــخص على أن هذه النســـبة تبلغ فى افريقيـــا حاليا نصف مقعـــد لكل مائة شخص وأكثر من خمسة وستين فى المـــائة من دور الســـينما الحـــالية الموجـــودة فى افريقيا تتركز فى ٥ دول يبلغ عدد سكانهـــا ربع سكان افريقيا على الرغم من استخدام وحدات العرض المتحركة على نطاق متزايد وهنـــاك ملايين من الافريقيين لم يروا الســـينما بعد .

٤ ــ توزيع الافلام التربوية والتسجيليـــة مازال غير ناميـــا ، وأيضا وحـــدات العرض المتحركة واســـتخدام الفـــانوس الســـحرى فى المدارس ما زال محدودا وجـــهود التوزيع أو العرض مبعثرة بين الوكالات الحكوميـــة والخاصة كما انه لا يوجد الا قليل جدا من المكتبات الخاصة بحفظ الافلام أو أرشـــيف للافلام المحلية .

٥ ــ أكد المؤتمر أن الافلام لا تحقق فقط الاهداف الوطنية فى تدعيم التطور الاجتماعى والاقتصادى فى الدول الافريقية ولكنها أيضا تبنى من خلال التنظيمات المشتركة بين الدول الافريقية احساسا جماعيا مترابطا فى القارة .

ومع وجود تطور ضـئيل فى انتـــاج الافلام فى افريقيا وفى توزيعها وفى عرضها .

أكد المؤتمر أهمية التخطيط بالنسبة لهذا النوع من النشاط لضمان الاستفادة من كافة

التسهيلات والكفاءات ولتقـــديم أقصى قدر من المساهمة فى الجهود التربوية التى تبذلها الان الحكومات الافريقية .

أكد المؤتمر أيضا أهمية الافلام الاخبارية والتربوية كجزء من الجهود التربوية التى تبذلها الحـــكومات وان كان فى ذات الوقت قد أكد أهمية الدور الذى تلعبه الافلام الاخرى فى الناحية التربوية والثقافية خاصة اذا روعى فيها مستوى معينا .

ثم استعرض المؤتمر المشكلات التى يجب حلها اذا أريد تطوير انتاج واستخدام الفيلم الافريقى فى السنوات القادمة وقـــد أجمع المؤتمر على أن العقبة الرئيسية التى تعترض السينما الافريقية هى عدم وجود تخطيـــط شامل للسينما فى معظم الدول الافريقية .

وقد تداول المؤتمر أهم المشكلات التى تعترض صناعة السينما فى افريقيا وهى : —

١ — التخطيط

٢ — الانتاج

٢ — التوزيع أو العرض

٤ — التعاون بين الدول الافريقية فى هذا المجـــال .

التخطيط :

(ا) لاشك أن كل دولة افريقية كانت ولا زالت تواجه مشكلة كيفية الاستفادة فعليا بامكانياتها الحالية فى انتاج أفلام هادفة أو كانت تخطط لوضع برنامج كامل للخدمات الفنية ، ونظرا لتزايد الاعباء التى تواجه تلك الدول فان أهداف هذه الافلام لم تكن واضحة أو محددة بعد ، كما أن اخراجها كان يغلب عليه طابع الضعف الناتج من نقص المعرفة فى هذا المجال ، كما أن استخدام الافلام فى الاغراض التربوية لم يكن موفقا بالشكل المطلوب وقد أكد المؤتمر فى هذه الناحيـــة أهمية ادماج وسائل الاعلام الاخـرى مع الفيـــلم وباقى المؤثرات الصوتية والضوئية لخدمة الاغراض التربوية .

تطورت صناعة السينما واستخدامها فى بعض الدول الافريقيـــة فى ظل نظـــام من التجربة والخطأ وقد أشار المؤتمر الى أن افريقيا لديها فرصة الاستفادة من تجـــارب هذه الدول الافريقية التى أحرزت قدرا من التطور الفنى .

وقد اقترح المؤتمر علاجا لذلك : —

(أ) الدول الافريقية التى تريد تطوير امكانياتها فى صناعة السينما يجب أن تقوم بدراسة شاملة وتضع خطة كاملة فى حدود امكانياتها الفعلية والاهداف التى تريد تحقيقها من صناعة الفيلم مع مراعاة المشكلات التعليمية التى تواجهها القارة ومراعاة تخطيط صناعة الفيلم فى ضوء امكانية مساهمته أساسا فى تطوير النواحى التعليمية . ومن الواضح أن أى خطة أو ميزانية توضع لصناعة الفيـــلم فى أفريقيا يجب ان تهدف اساسا الى تنظيم توزيعه وعرضه والاستفادة منه فى المجالين التربوى والترفيهى وهذا لا شـــك يتطلب كفاءات معينة ومالم يراعى ذلك فان أى انتاج مهما كان ضخما سوف تكون نتيجته الوحيدة الفشل وضياع الاموال والجهد .

(ب) وحتى يكون التخطيط أكثر فاعلية فان أول خطوة يجب القيام بها هى وضع قائمة بالاحتياجات المادية والتسهيلات وامكانيـــات الصوت والضوء بما فيها أشرطة الافلام وغيرها ومدى توافر كل هذا فى القارة وهذه القائمة يجب أن تتضمن الحد الادنى لاحتياجات اقامة صناعة للسينما وخدمات التوزيع والامكانيات المحلية واللغة والافلام الافريقية التى يمكن عرضها فى دول أخرى والافلام غير الافريقية التى يمكن استخدامهـــا لاشبـــاع احتياجات الافريقيين والمكتبـــات التى تحفظ الافلام .

٢ — الانتاج :

لاحظ المؤتمر أن السنوات الاخيرة سجلت احتياجا متزايدا فى افريقيـــا للافلام خاصة فى مجال الاعلام والتربية وهذا الاحتياج سوف يتضاعف فى المستقبل بانتشـــار التليفزيون وعلى أى حال فان هذه الناحية تحتاج الى بحثهـــا فى أقرب وقت وتتركز الاحتياجات الاولى فى : —

١ — تشجيع ومساندة مراكز انتاج الافلام والعمل بقدر الامكان على تشجيع الانتـــاج التعاونى للاسراع بتطوير انتاج وتوزيع الافلام التى تعكس الواقع الافريقى بصدق واصالة.

٢ ـ انشاء وحدات لعرض الصور المتحركة « الفانوس السحرى » فى المدارس ومراكز التوجيه العامة وفى المناطق التى تزداد فيها الحاجة الى هذا النوع من الخدمات وتتوافر فيها الامكانيات .

٣ ـ التعاون بين مراكز انتاج الصور المتحركة « الفانوس السحرى » والهيئات الحكومية التى تتولى انتاج الافلام على المستوى المحلى والاقليمى .

وقد اقترح المؤتمر لتحقيق ذلك :

١ ـ يجب على الحكومات الافريقية ان تساند ماديا وادبيا مراكز انتاج الافلام التى تعالج شئون التربية والاعلام والتعليم الفنى وسائر أغراض التطور الاجتماعى ويجب تخصيص ميزانية مناسبة لهذا الغرض .

٢ ـ على الحكومات الافريقية ان تقوم بتسهيل استيراد المواد والاجهزة التى يحتاجها انتاج الافلام التربوية والاعلامية واتخاذ الاجراءات اللازمة لتشجيع الانتاج التعاونى للافلام بين الدول الافريقية المختلفة واخراج صحف تهتم بصناعة السينما .

٣ ـ يجب على الحكومات أيضا ان تتخذ الاجراءات اللازمة لتشجيع الانتاج التعاونى الافلام وذلك بفرض ضريبة استيراد على الافلام الاجنبية التى توزع فى القارة والهيئات التى تقوم بتسويق هذه الافلام على أن تستثمر هذه الهيئات جزءا من أرباحها فى الارتقاء بمستوى الانتاج السينمائى فى القارة فى المجالات التربوية والثقافية والعلمية وتزويد صناعة الافلام المحلية بالمساعدات اللازمة مثل المعامل ومعدات الصوت والاستديوهات .

بالاضافة الى ذلك يجب القيام بدراسات شاملة لامكانيات صناعة السينما فى افريقيا .

والنقطة الاخيرة التى اشار اليها المؤتمر فى هذا الصدد هى مراعاة تنسيق التعاون بين الحكومات والهيئات غير الحكومية التى تقوم بانتاج الافلام التربوية وغيرها وأيضا مع الجهات الدولية مثل « الهيئة الدولية » لشئون التليفزيون والسينما .

٣ ـ التوزيع والعرض :

أ ـ أشار المؤتمر الى أن أى فيلم مهما بلغت جودة انتاجه لا يمكن أن يؤدى أهدافه ما لم يضمن له ظروف التوزيع والعرض الملائمة وأكثر من ذلك فانه الى ان تتمكن أفريقيا من زيادة انتاج الافلام التى تعكس الملامح الافريقية الكاملة من الواضح انه يجب اختيار الافلام الاجنبية التى تعرض على الافريقيين بمزيد من العناية والدقة .

ب ـ أما الوضع بالنسبة للافلام القصيرة ذات الطابع التربوى والاعلامى فهو معقد فلا شك أن اتساع القارة وتعدد دولها وتبعثر سكانها وقلة المواصلات ووجود اكثر من ٨٠٠ لغة أو لهجة يتحدث بها سكان أفريقيا .. كل هذه العوامل تشكل أكبر العقبات التى تصادف تسويق الفيلم فى افريقيا .

ومن الواضح أن نظام توزيع الافلام يجب تخطيطه مع الانتاج « الميزانية » وخاصة الافلام التربوية والاعلامية ولا شك أن عملية تسويق الفيلم وعرضه تحتاج الى مهارات معينة ومدربة لهذا الغرض .

جـ ـ اشار المؤتمر الى انه يوجد اربع طرق رئيسية لعرض الافلام :

١ ـ فى صالات مجهزة خصيصا وبشكل دائم لعرض الافلام وتقع فى المناطق المزدحمة بالسكان « مراكز تجمع السكان » .

٢ ـ فى صالات غير مخصصة لعرض الافلام

٣ ـ فى وحدات العرض المتحركة .

٤ ـ فى التليفزيون .

وقد أوصى المؤتمر بعدة توصيات لتحقيق ذلك أهمها :

١ ـ يجب على الحكومات الافريقية اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتشجيع توزيع الفيلم الافريقى وخاصة الافلام ذات الطابع التربوى والاعلامى وذلك بتهيئة ظروف العرض الملائمة لهذه الافلام عن طريق الآتى :

أ ـ زيادة وحدات العرض المتحركة لاستخدامها فى المناطق الريفية والمناطق التى لا توجد بها صالات ملائمة لعرض الافلام .

ب ـ دراسة الامكانيات المختلفة التى يمكن ان يقدمها التليفزيون لتوزيع وعرض الافلام وفى هذا الصدد يجب اتخاذ الاجراءات التى تكفل النص فى العقود الخاصة بتوزيع الافلام الافريقية أو التى تقوم بتوزيعها دول غير

افريقيـــة على أن تعرض الافلام الخاصـــة ببرامج التليفزيون فى دور السينما فى المناطق التى لم يصل اليها التليفزيون بعد .

جـ ـ انشاء مكتبات للافلام المحلية تحتوى على جميع الافلام الثقافية والتربوية والعلمية وذلك لضمان توزيعهـــا فى جميع البـــلاد الافريقية الاخرى وفى الخارج اذا أمكن .

د ـ اتخاذ الخطوات اللازمة لزيادة عدد دور السينما .

هـ ـ استثناء الافلام التربوية والثقافيـــة والعلمية من الضرائب وتشـــجيع عرضـها واستثناء المواد والاجهزة التى تحتاجها هـــذه الافلام من ضريبة الجمارك .

و ـ الانضمام الى اتفـــاقات اليونسكو بشأن استيراد المواد التى تحتاجها الافـــلام التربوية والثقافية والعلمية بالاضافة الى عقد اتفاقات مع الدول التى برزت فى هذا المجال للاستفادة بخدماتها بأقل الاسعار .

٤ ـ التعاون بين الدول الافريقية فى هذا المجال :

أ ـ أكد المؤتمر الى جانب أهمية تنسيق مجهودات الدول الافريقية فى انتـــاج وعرض الافلام أهمية الاستفادة بقـــدر الامكان من امكانيات التعاون فيما بينها وبينها وبين الدول غير الافريقية وخاصة ان معظم الدول الافريقية ذات امكانيات وخبرات محدودة فى هذا المجال ولا شك أن هذا التعاون سيتيح لها تبـــادل الافكار والخبرات فى هذا المجال مما سيسهل على الحكومات اقامة صناعة سينمائية ناجحة فى القارة .

ب ـ يجب ان نوجه عناية خاصة لبحث امكانيات هذا التعاون بين الدول الافريقية فى مؤتمر يجمع منتجى الافلام وموزعيها فى الدول الافريقية مثل المؤتمر الذى عقده اليونسكو فى صيف ١٩٦١ فى كوالا ، بحث فيـــه المشرفون على صناعة السينما فى جنوب شرق آسيا امكانيات التعاون بينهم بطريقة تفصيلية وقد أوصى المؤتمر بضرورة عقد هذا المؤتمر الذى يجب أن يضم منتجى وموزعى الافلام وكبار المسئولين فى المجالات التربوية والثقافية والاعلامية فى افريقيا وان يراعى الاحتياجات المتزايدة للتليفزيون وامكانية وضع برنامـــج للتعاون الاقليمى لسد هـــذه الاحتياجات على أن تتفق الدول الافريقية على وسيلة لتبادل المعلومات بصفة مستمرة عن نظام العمل فى مراكز انتاج الافلام وبرامجهم وكتالوجاتهـــم وتقاريرهم عن التجـــارب التى صادفوها فى انتاج الافلام فى استديوهات مشتركة ومعامل والمعدات المتوافرة عندها .

وعلى الدول الافريقية ان تبحث امكانية انتاج الافلام فى ستديوهات مشتركة ومعامل ومعدات مشتركة ولا شك أن كثيرا من الدول الافريقية ستوافق على الاشتراك فى شراء معدات الافلام خاصـــة أن ذلك سيؤدى الى خفض الاسعار بنسبة كبيرة ويجب على المؤتمر ان يبحث المسائل الاتية :

أ ـ تنظيم عملية تبادل الافلام بين الدول الافريقية .

ب ـ امكانيات بعض الدول الافريقيـــة للاشتراك فى انتاج سلسلة من الافلام على أن تقوم كل دولة بانتاج فيلم ومن ثم تصبح باقى الافلام فى متناول جميع الدول المشـــتركة سواء مجانا أو بأسعار المعمل .

جـ ـ ارساء علاقات منتظمة بين متخصصى وخبراء الافلام التربوية عن طريق المؤتمـــرات وبرامج العمل المشتركة والتعاون بين الدول الافريقية على انشاء مجلة دورية تهتم بهذه الشئون .

د ـ تنظيم مهرجانات للفيلم الافريقى فى الدول الافريقيـــة والدول الاجنبيـــة لزيادة تعريف الدول الافريقية ببعضها واعطاء العالم الخارجى فكرة سليمة واضحة عنها .

و ـ تشجيع انشاء الاتحادات السينمائية وخاصة فى المناطق التى تزداد فيها الحاجـــة اليها وتشجيع التعاون بين هـــذه الاتحادات وبينها وبين الاتحادات الدولية .

و ـ مدى الاستفادة من جميع المساعدات الفنية التى تقدمها المنظمات الدولية والاتفاقات المنفردة مع الدول التى برزت فى هـــذا الميدان .

الفن في جنوب افريقيا..
في عصر ما قبل التاريخ

الدكتور ج. ويسمون كلارك ترجمة: مسعود احمد

تظهر الصور التي تمثل قبائل البانتو في جنوب افريقيا وعلى ارجلهم واذرعهم اربطة من الحلى والزينة ويحملون الدروع والرماح وتكون الصور نفسها مطلية باللون الاسود .

ونظرا الى الحقيقة المعروفة بأن القبائل المختلفة تحمل دروعا مختلفة الشكل واللون فانه من الممكن تحديد تاريخ تقريبي للرسوم التي تظهر اشكالا مميزة .. فمثلا يظهر في شرق الدولة الحرة كثير من نماذج البانتو الذين يحملون دروعا من الممكن تمييزها ومعرفتها مثل الزولو قبل عام ١٨٢٠ ، والباسوتو والبارولونج والبتلابين .

فمثلا الرسم الشهير الذى يمثل غزو البوشمان لقطيع البانتو ، من المحتمل ان يكون قد رسم قبل عام ١٨٢٠ بوقت قليل لان محاربى البانتو المنقوشة صورهم يحملون دروعا من طراز الباسوتو فيما قبل عام١٨٢٠ والقليل جداً من هذه الاشياء المنقوشة على الرسوم الصخرية من الممكن تحديدهاومعرفتها ببعض التحديد والتأكيد ، الا انه ما زالت التحديدات الاخرى في شكل تخمينات مختلفة .

وقد بذلت المحاولات لتحديد بعض الملامح الطبيعية ومميزات الملابس ووسائل الزينة والادوات الخاصة بالشعوب التي قيل انها انتقلت الى جنوب افريقيا من حوض البحر الابيض المتوسط ومن مصر والكريت أو سومر .

وقد عثر على بعض الاثواب ذات الاهداب والكنانات المربعة مع بعض الاشكال الاخرى في داركنسبرج ، ويقال انها تظهر اثر سومر على هذه الفنون . وقد استطاع « الراهب برويل » أن ينقل بعض الرسوم التي تمثل اشكالا بشرية ، مطلية باللون الابيض احيانا ، ولها ملامح قوقازية ، وذلك من جنوب غرب افريقيا وجنوب روديسيا والترانسكى كما تعرف على الاقواس المركبة ذات الشكل المصرى المبكر وعلى « الاولوس » الاغريقى (نوع من آلات الرياح) وعلى بعض الادوات المعتقد انها واردة من الخارج والتي تقوم كدليل على ان هذه الشعوب التاريخية المبكرة قد زارت جنوب افريقيا وذهبت اليها ، لرغبتها فى العثور على العاج والذهب والاخشاب الثمينة .

ومن اشهر هذه الرسوم « الاجنبية » المزعومة ذلك الرسم الخاص ب « سيدة براندبرج البيضاء » والتي يظهر فيها الشكل المتوسط كفتاة صغيرة اغلب الظن انها من الكريت وتحمل فى احدى يديها زهرة اللوتس او كوبة ، وفى اليد الاخرى قوسا مثلثا مقوسا وبعض السهام ومدعمة بمرافقين من اجناس مختلفة يحملون اشياء رمزية اخرى .

واذا كنا استطعنا ان نعثر فى الطبقات الموجودة فى المخابيء الصخرية على اى مواد واردة من حضارة البحر الابيض المتوسط او من الشرق الادنى ، فان ذلك لا بد وأن يدعم هذه النظرية بعض الشيء ، ولكن حتى الان لم نعثر على شيء من هذا القبيل .

وهناك مدرسة فكرية تقول بوجود شواهد معقولة تظهر ان الاسلحة والادوات والملابس التى وصفت بانها واردة من الخارج ليست الا علاقات اهلية محلية . فمثلا الملابس ذات الاهداب من سومر اصبحت قطعا ذات اهداب ومزخرفة يلبسها الباسوتو وبوشمان الجبال . كما ان القوس المثلث ليس قوسا مركبا لقدماء المصريين او الاغريق ولكنه قوس بسيط مثل الموجود عند بعض الاشكال والمناظر انما يعكس مجالات البانتو الواسعة فى استعمال اللون الابيض للزخرفة فى الاحتفالات والتعليم .

وحتى نعثر على دليل يؤكد الزعم بانتقال شعوب البحر الابيض المتوسط الى داخل القارة خلال العصور المبكرة ، لابد لنا من ان ننظر للشعوب الاهلية نفسها لتفسير هذه المناظر والاشكال البشرية المرسومة . وسوف يعجبنا هذا التفسير فى كثير من الحالات .

ويبدو لنا ان الفن المبكر الذى وصل الينا ليس الا مجموعة من الخطوط المنقوشة الموجودة غالبا بحيث لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة لانها تعرضت للهواء وأصبح لونها حائلا ومماثلا للون الصخور نفسها .

وبالنسبة للرسوم فالغالب انه لا يوجد شيء من الانتاج المبكر موجود الان لان الرسوم اكثر تعرضا للتلف من النقوش ، فمثلا بعض الكهوف فى جنوب ميتابليلاند يوجد بها بقع فاتحة من الصخور ، والتى تاخذ شكل بعض الحيوانات الكبيرة ، وبالرغم من ان الاصباغ كلها قد اختفت الان ، فمن المحتمل انها كانت ملونة ، وقد عثر « ليكاى » فى فنون تنجانيقا الصخرية على « ظلال رسوم » مشابهة .

وعلى وجه العموم فاننا نستطيع تقسيم الرسوم الى عصرين رئيسيين :

١ ــ عصر مبكر يتميز بفن « سلامى » طبيعى بسيط لا يظهر فيه ادوات او شعوب حديثة معروفة .

٢ ــ عصر متاخر وهو عصر البوشمان على وجه التحديد حيث كانت الرسوم اقل حرصا او مهارة فى التنفيذ ، وتظهر عدم الاطمئنان فى طريقة تناول الرسم وكثرة المناظر المعقدة للمعارك والغارات والاحتفالات ، التى يمكن فيها التمييز بين البوشمان والبانتو والهوتنتوت .

وهذا العصر المتاخر يمكن تقسيمه الى قسمين :

(ا) نصف مبكر حيث كانت العناصر المختلفة تبدو فى سلام نسبى مع بعضها البعض .

(ب) نصف متاخر حيث بدا الصراع من اجل البقاء . وفى هذه الفترة الاخيرة محصور غالبا فى جنوب افريقيا وعلى وجه الخصوص فى المنطقة الجنوبية الشرقية .

ويعتقد البعض ان بداية الفن الحجرى فى جنوب افريقيا يرجع الى العصر الحجرى المتوسط المتاخر او الى عصر ماجوسيا اى حوالى ١٠٠٠٠ ــ ٨٠٠٠ قبل الميلاد .. وهناك أسباب لافتراض ان الرسوم وجزءا كبيرا جدا من النقوش يعود الى عصر قريب جدا ، ومن المحتمل ان معظم هذه الفنون يعود الى عصر تالى للعصر المسيحى . وقد يضعها بعض الباحثين فى عصر اكثر تاخرا ويعتقدون ان الكثير من احسن الرسوم فى المجموعة الجنوبية الشرقية ليست مبكرة عن بداية القرن الثامن عشر .

وقد وضحت حقيقتان من دراسة هذا الفن :

١ ــ الحقيقة الاولى ، وجود صفة الاستمرار تجرى خلاله ــ بالرغم من الاختلاف فى الاسلوب والحرفية ، وتمسكها معا ، ولارتباطاتها المؤكدة ، نفسها من حيث تصور المعانى الكلية فى العصر الحجرى المتاخر .

٢ ــ والحقيقة الثانية ان النماذج المبكرة التى جاءت الينا تعتبر متقدمة فى تصور المعانى وفى التنفيذ لتمثيل التعبير الاول لهذا الفن .

ومن المؤكد انه لابد وان تكون قد وجدت اساليب اكثر بدائية فى عصر مبكر ، وانهذه الرسوم قد اختفت الان ، ولذلك فمن المحتمل ان اصل هذا الفن الجدارى يعود الى بداية العصر الحجرى المتاخر الحقيقى .

طرق الرسم والنقش :

بأى ادوات كان هؤلاء الفنانون البدائيون يشكلون الصخور ؟

لقد كانت النقوش تصنع بطريقتين :

١ ـ الانتاج الاول كان يتم بعمل حز مباشر وبقطع طبقة البتن الموجودة على السطح المعرض للهواء من الصخر حتى يصل الى لون الصخر نفسه .

٢ ـ الانتاج الثانى كان يتم بالنقر أو بالتخريم .

وهذا الاخير كان يتم بوساطة مثقاب حجرى مدبب ، وتوجد عدة نماذج من هذه الادوات التى كانت تستعمل فى بدء الشق فى الحجر فى انتاجات حضارة سميثفيلد .

وبالرغم من أن هذه الادوات التى كانت تستعمل فى بدء الشق فى النقوش المبكرة لم تزل للان غير معروفة لنا .. ومن المحتمل أنها كانت فى شكل المنقاش او الازميل ، الا ان الذين اجروا تجاربهم لم يستطيعوا حتى الان عمل نقوش مماثلة بهذه الطريقة .

وقد افترض ايضا انهم قد استعملوا احجار الكوارتز او الماس ، وقد عثر على قطعة صغيرة من الكوارتز مضلعة الشكل ومدببة بالقرب من المواقع الموجودة فيها هذه النقوش .

وما زلنا حتى الان لا نعرف الاجابة الحقيقية عن السؤال عن أى الادوات كان يستعملها الفنان فى ذلك الوقت لعمل خطوط النقش على الحجر .

وقد استعملت مجموعة مختلفة من الالوان فى الرسوم وبالاخص الالوان الحمراء والبرتقالية والصفراء . اما اللونان الابيض والاسود فقد استعملا بكثرة زائدة وكذلك استعمل اللون الارجوانى ، وان كان استعماله اقل من باقى الالوان . كما توجد بعض الرسوم النادرة فى الاجزاء الجنوبية الشرقية استعمل فيها اللون الازرق الرمادى .

وكل هذه الالوان باستثناء اللون الاخير كانت كلها فى متناول يد الفنان ، ولا بد أن الانسان قد اكتشف مبكرا ان اكسيد الحديد يعطى الوانا مختلفة عندما ترتفع حرارته الى درجات مختلفة .

وتتراوح هذه الالوان من اللون الاسود خلال درجات اللون الاحمر والبنى حتى الاصفر ، حسب الوان الطيف ، وانالهيماتيت والليمونيت عند تعرضهما للهواء ، سوف نحصل على اللونين الاحمر والاصفر على التوالى .

ويبدو ان اللون الاسود قد وضع أساسا من الفحم الحجرى كما انه قد وضع ايضا من الليمونيت غير المعرض للهواء وربما من المنجنيز ايضا .

أما اللون الابيض فمن المحتمل ان الفنان قد حصل عليه منالطفل الصينى «الكولين» وان كان قد استعمل ايضا مخلفات الطيور وعصير نبات المنبجد للحصول على هذا اللون .

وتتصف معظم الالوان بالثبات ، اى ان التغير لا يصيبها على شرط أن تكون قد تم مزجها جيدا .

والمواد الملونة تطحن تماما اولا لتكون مسحوقا ، ويثبت ذلك كميات « الاكر » فى بعض الاماكن وكذلك المكتشفات الاخرى فى بعض الكهوف .

وليس من غير الطبيعى العثور على مايشبه « اقلام الرصاص » من الاصباغ التى تظهر علامات الاحتكاك على حجر السن ، ومع ذلك فليس هناك أى دليل على ان هذه « الاقلام » كانت تستعمل مباشرة للرسم على الحائط او انها كانت تكون رصيد الفنان من الالوان الخام حيث كان يأخذ منها ليعمل الطلاء فى أى وقت كما يريد وحسب مقتضيات حاجته .

وقد تضاربت الاقوال بالنسبة للوعاء الذى يستخدمه الفنان لمزج اصباغ الالوان . ويقول « كاينماير » ان بوشمان شرق الدولة الحرة تعودوا على مزج الاصباغ بالنخاع الدهنى لحيوان « العلند » ، بالاضافة الى استعمالهم دهن الحيوان بوجه عام وصمغ الاشجار والماء وبياض البيض والدم واللبن والبول فىعملية مزج الالوان .

ويؤكد وجـــــود النيترات فى بعض الرســـوم انهم كانوا يستعملون بول حيوان « الوبر » فى هذه العملية ، كما يدل ثبـات الرسوم وعدم تشققها على أن المحلول لم يكن بالتاكيد من الزيت ، بل من المحتمل انه كان مخلوطا من الملح الصخرى العادى أو اللبن ، الذى يسبب التصاق الطلاء جيدا على السطح الصخرى — ولنفس السبب فان الماء وحده لم يكن يستعمل كذلك . ويبقى لدينا بعـد ذلك الدهن الحيوانى وهو الاكثر احتمالا فى انهم كانوا يستعمنونه لمزج الالوان . ولكن فى هذه الحالة فان كان من الضرورى تسخين الطلاء قبل الاستعمال حتى يصبح ســائلا ما فيه الكفاية .

ونحن نعرف ان الطلاء كان رفيعا جـدا حتى اننا نستطيع رؤية المـكان الذى مرت فوقه .

ولاستعمال هـــذا الطلاء فان البوشمان اعتمدوا على عدة طرق . فمعظم الخطــوط رقيقة ورفيعة جدا ولابد انها تمت باستعمال فرشاة رفيعة من الشعر ، او ابرة خشبية رفيعة ، او ريشة احد الطيور . كما انهم قد استعملوا ايضا طرف الريشة نفســها وكذلك عصا صغيرة بعد كشفها وندفهـــا لتصبح فرشاة رائعة للنقش . واحيــانا يستعملون قطعة لينة من العظام التى تشبه كثيرا سكـنة النحت ، وهى منتشرة عنــد البوشمان فى جنوب شرقى افريقيا .

ومع ذلك فمن المعتقد أن الرسوم الملونة قد تم تلوينهـــا باســتعمال الفم بدلا من « الرشاشة » وذلك بأن يملا الفنان فمـــه باللون الذى يريد استعماله ويقوم برشـــه بعد ذلكعلى السطح الصخرى ، ولــكن من المحتمل ايضا امكان الحصــــول على نفس التأثير بوساطة النقش التنقيطى .

وفى النهاية طبعا يوجد الاصبع البشرى حيث كان يســتعمل بكثرة فى منطقة الفن الهندسى شمال زامبيزى . ومن المحتمل ان هذه الوسيلة كانت الشــكل المبكر لاول فرشاة للطلاء استعملها الانسان ، اذا كان هذا الفن قد نشأ اولا — كما يبدو — فى شكل تخطيط حـــول الظلال او احاطة بعض الحيوانات او الاشياء الاخرى المختلفة على التراب او الرمل الموجود فى ارض المـكان الذى يعيش عليه الانسان .

مبررات الفن

ويوجد سؤال يتردد دائما ..!! ما هى الدوافع وراء وجود هذا الفن ؟ » هل كانت كلها سحرية أم هل كانت تعبيرا فنيا حــرا خالصا ؟ او فنا من أجل الفن كما كانت ؟؟ وقد يبدو لنـا ان بعض الرسوم والنقوش وبالاخص الانتـــاج المبـــكر الطبيعى ، كانت مرتبطة بعقيدة سحرية ، وينطبق ذلك على وجه الخصـــوص على الفن الهندسى للمنطقة الشمالية حيث كان للاشـــارات والرموز بعض الدلالات الاحتفاليةأوالسحرية

ورسوم الحيوانات الضخمة التى تكون بعضـــا من الانتاج الفنى المبكر ، وكذلك النقوش الجميلة الطبيعية ، من المحتمل انها انتجت بسبب أعتقاد كثير من الشــعوب البدائية أنها برسم حيوان « العلند » مثـــلا فانها سوف تحصل على القوة التى تمكنهـا من العثور على هذا الحيوان وقتله أثنـــاء الصيد . أو أن « العلند نفسه ســـوف ينجذب ناحية الصياد حتى يتمكن من صيده

كما يوجد اعتقاد آخر انه بتصوير وحش سمين أو بارتداء جزء منه ، فان الصياد ، وربما الجماعة كلها سوف تحصل على صفة من صفات ذلك الوحش .

((مسعود أحمد))

حنين لقرية ..

للشاعر الأفريقي كالونجالو

حينما يشرق نور الفجر
فى غربتى
حينما يسطع مثل نور حزين
مثل قلب لم يحقق أمله
مثل طفل ضم لعبه
مثل بحار يعود
بعد أن طاف بحارا وبحارا

***

.. حينذاك
تغمر الذكرى فؤادى
وأرانى أتذكر
كيف كانت قريتى
من فوق نهر
كيف كانت قريتى
فى سفح تل
كيف كانت قريتى
قرب غابة
مثل عش فوق شجرة
وأنا وسط العش أغني
وأرفرف بجناحي
وأنقر فى الثمار
.. غير أنى اليوم والذكرى تعود
أراني مثل دمعه
تلمع
ثم تتأرجح
ثم تسقط
فوق ظالمة :


المرأة الافريقية
بين الأمس واليوم
بقلم: راؤول مون مارسول
ترجمة: محمد شريف

من بين ما سوف يسجله التاريخ فى صفحاته، ما للقرن العشرين من مكانة تاريخية مرموقة . ليس بسبب الاكتشافات العلمية العالمية التى تحققت فى غضونه فقط، بل بسبب تلك الاحداث البشرية التى تمت خلاله وأهمها ماوصلت اليه المراة من الاحساس بكيانها والشعور بقوة شخصيتها .

فلقد تمكنت المرأة بوجه عام فى النصف الشمالى من الكرة الارضية من التوفيق فى الحصول على حقها فى الحياة ونصيبها من المدنية . كما أصبحت تحس بالحياة وتشعر بحقها فى الوجودوتلمس ان لها كيانا وجهودا ، أصبحت تعتز بنفسها وبشخصيتها وتسير مع الرجل جنبا الى جنب علىقدم المساواة.. مزقت اغلال العبودية وقيود الاستعباد وخرجت عن عزلتها ووحدتها وأصبحت الآن لها قيمة فى الحياة .

أما المراة الافريقية منذ زمن قريب فكانت مستغلة أبشع الاستغلال ، خائفة وجلة ، تهاب أبسط الامور وتخشاها .

الا انها رويدا رويدا قد تمكنت فى البلاد المعتدلة المناخ من الوصول الى مسايرةالرجل فى ذكائه وتصرفاته وأعماله . فأصبحت تدنو منه وتقترب ، وتحاكيه بدلا من ان تؤثر فيه وتجرفه معها الى معيشة الرق والاستعباد .

ولولا ان نظرية الجنس القوى والجنس الضعيف المأخوذ بها منذ زمن بعيد قد انمحت وزالت وقضى عليها لما أصبحت المرأةصاحبة نفوذ وسيادة فى كثير من بقاع العالم ، وفى معظم اقاليم ومقاطعات نصف الكرة الارضية الجنوبى . وعلى الاخص فى افريقية .

فقد حققت المراة الافريقية اليوم تطورا ظاهرا ملموسا،وتغيرت بسرعة فائقة لايتصورها عقل انسان ، ويخيل الينا فى تطورها السريع المفاجىء انه قد لمستها يد ساحر عجيب .

من الصعب أن يعتبر الانسان شاهدا على عصره . ولو ان ذلك قد يعتبر مقبولا أحيانا اذ يمكننا عن طريق هذا ، ان نقيس مدى تطور العالم الافريقى منذ نشاته الاولى ،منذ عصر روايات الادغال حتى وقتنا هذا الذى تحققت فيه معجزة المدنية .

هل كنا نظن منذ أربعين عاما مضت انه سوف يأتى اليوم الذى نرى فيه تلك المبانى الشاهقة التى تقام الآن وتقف على قدميها ؟.

أكنا نظن ان الكهرباء والثلاجات والطائرات والهليوكبترات سوف تجعل التوازن بين ماقبل التاريخ وعالمنا الحاضر يختل اختلالا تاما كما هو الآن ؟ ...

لقد كنا فيما مضى نجوب الادغال بالمشاعل لتنير لنا الطريق كما كنا نستعمل الحراب وأدوات القنص للحصول على قوتنا . لقد كانت الغابة الفسيحة الارجاء المترامية الاطراف مأوانا ، نعيش فيها بين الاحراش فى ظلامها الحالك ونخوض طرقاتها السرية العويصة بين الاعشاب المتشابكة الرهيبة ذات الرائحة الكريهة المنبعثة من عفونة الارض وحريق الحشائش .

لم يكن مطلقا للجنس البشرى لقاء الا فى القرى حيث تسير الحياة سيرا طبيعيا دون غاية أو هدف . اللهم بعض الطباع والعادات والاعمال البدائية التى توارثها الناس عن أجدادهم وما زالوا يكررونها تلقائيا دون تفكير أو ادراك .

كان الرجل كل شىء فى الوجود يقوم بجميع الاعمال اللازمة للحياة . فهو صائد الطيور والاسماك والحيوانات والوحوش ، وفى الوقت نفسه هو حطاب الغابة يحاول بوسيلة أو بأخرى استغلالها للوصول الى بعض المزروعات التى تنفعه . بينما المرأة لم تكن سوى أم لاولادها وخادمة لزوجها فهى التى تحمل لوازم الاسرة من السوق وتقوم بأعمال المنزل وتعاون الرجل فى حرث الارض . فكانت عبارة عن كتلة بشرية صماء لاحول لها ولا قوة تباع وتشترى . يشتريها من يعرض أكثر مالا ليستغلها أسوأ استغلال .. ويعاملها أسوأ معاملة ...

ومع ذلك فقد كان لها قلب ينبض مثل جميع النساء . ولكن لم يشعر به أحد ولم يعترف بذلك أحد . لانها كانت جافية على نفسها باخفاء جمالها واهمالها لنفسها .. وكان يبدو انها كانت راضية بنصيبها ، وما كانت تنتظر فى يوم من الايام ان تنتقل من تلك الحياة الى حياة أخرى ترى فيها النور

وتلحق بركب المدنية العالمى التى ما كانت قد تعترف بوجوده .

حتى الرجل فى تلك الفترة لم يحاول مطلقا ان يفهم الحياة على حقيقتها . ولم يجرؤ فى يوم من الايام ان يغير من تقاليده وعاداته رغم ما كان يحيط به من تطور ليراه بعينى رأسه.

ولكن رويدا رويدا ابتدأت الطفولة ترى بصيصا من النور ينبعث من المشعل الذى تحمله المدارس التى أنشئت بجواره ، فحاول السير على هديه فنشأ وترعرع فى كنف هذه المدارس حتى أصبح شابا متعلما يخوض الحياة فى جراة . يدير أعماله بنفسه ، وبيده زمام الامور . وسرعان ما أصبح ينادى الى الجهاد ويرتفع صوته عاليا فى المجتمعات الى ان وصل الى مقاعد الحكم ، ليحكم شعبه وأهله ،وذويه وبلده . ويشرف دون غيره على ادارة غابته بنفسه واستثمار مابها من خيرات .

وعلى هديه سارت المرأة تتبع الاثر نفسه الذى تركه الرجل من خلفه ومشت فى نفس الطريق الذى رسمه لنفسه حتى أصبحنا نراها اليوم أنيقة فى هندامها معنية بزينتها .

تطورت المرأة الافريقية كما تطور الرجل الافريقى تماما وأصبحت تخوض مثله معارك الحياة وتحذو حذوه فى كل مجال وقطاع . أصبحنا نراها تبيع فى المحال وتقوم بأعمال السكرتيرية بهمة واتقان ، وتقوم بدور المذيع فى لباقة وطلاقة لسان وتؤدى عملها كممرضة فى رقق وحنان . أنها معلمة نفسها تحاول بدافع نفسى ان تفهم مايحيط بها وتتعلم ماتحتاج اليه وبذلك تطورت تطورا سريعا عظيما .

لم نكن فى الواقع نشك فيما مضى ان هناك طاقة جبارة مكبوتة فى المرأة ودفينة تريد الانطلاق . فانى أذكر انه فى عام ١٩٣٢ كانت هناك امرأة قوية الشخصية تحكم مقاطعة « غايون » ، وفى ٩ يونيو ١٩٣٢ على وجه التحديد نزلنا الى مدينة « مافونجو » بين مدينتى « أوموى » و«الاستورفيل » ولمسنا بأنفسنا مدى قوة شخصية هذه المرأة الحاكمة وسلطتها وتأثيرها على الرجال علاوة على جرأتها واستعدادها لخدمة الناس . انها صفات أنبأتنا بالاجيال القادمة وان رسالة المرأة سوف تتعدى تربية الاطفال وخدمة المنزل.

وفى الواقع ما ذنب المرأة فيما كانت عليه من تأخر واسترقاق ، فقد كان الافق أمامها مسدودا وحتى رفيقها فى الحياة كان عبدا ذليلا لايطيع ولا يأمر .

صحيح أنه كان يمهد الطرق ويرصفها ويشيد الكبارى ويقيم المبانى ، انما دون ابداء رأى أو فكرة . فما هو الا أداة منفذة مطيعة لصالح غيره على حساب نفسه .

لقد مضت الى غير رجعة هذه العهود البشعة المرذولة وتطورت الامور وتقدمت العصور ودارت الفلك دورتها . فبدأت القرى تهجر عزلتها وتقترب من المدن بفضل السكك الحديدية الطويلة وشبكة الطرق الواسعة .

ان نساء افريقية أصبحن الآن يركبن الطائرات مثلنا فى جراة وشجاعة ويحذين حذونا فى جميع أعمالنا .

واننا متأكدون ان كل ذلك سوف يتحقق للمرأة الافريقية بل أننا نتوقع لها أكثر من ذلك . فهى وقد تمكنت من التخلص من قيود الاغلال والعبودية سوف تتمكن أيضا من الوصول الى كل شىء فى الحياة لان غايتها المنشودة لم تكن مثل غاية الرجل مليئة بالاطماع وحب الذات الى ان يصل الى الحكم ثم ينتهى جهاده انما أطماعها هى ، فهى شاملة لاتقتصر على السياسة اذ تبغى الارتقاء بتربية أطفالها والاخذ بناحية بلدها حتى تصل بها الى القمة وما تأمله من رفعة وتقدم ورخاء منشود .

إفريقية تواجه مشكلات التطور

ترجمة محمود عبد المجيد

اذا كان من المقطوع به أن طبيعة التطور تختلف من جماعة لاخرى ومن قطر لآخر نظرا لاختلاف الظروف التاريخية والبيئية فان مشكلات التطور الافريقى مرتبطة بعضها ببعض ومتشابهة الى حد كبير فى كثير من سماتها العامة كما أن قصر المسافة الزمنية التى تحررت فيها أفريقيا جعل الدول الافريقية الناشئة تواجه ظروفا دولية متشابهة والواقع أن معظم هذه المشكلات تنشب أساسا من ان هذه الدول تعرضت للسيطرة الاستعمارية لفترة طويلة وقعت فيها تغيرات جذرية فى الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية فى أوربا وقد أسفر ذلك عن تغيير مجرى التطور فى أفريقيا مما أدى الى شعور الدول الافريقية المستقلة بالقلق السياسى والاجتماعى غداة الاستقلال ، فقد خرجت هذه الدول من طور التبعية السياسية والاقتصادية لتعالج مشكلاتها الضخمة دون أن يكون لديها الاستعداد الكافى لذلك . خرجت لتواجه عالما يمر بفترة ثورية هائلة تسيطر عليه فيها المخاوف والآمال التى خلقتها الاكتشافات العلمية المذهلة ، وتحكمه العلاقات الجديدة للعصر الذرى ، وتقرب بين أطرافه مواصلات تثفوق سرعتها كثيرا على سرعة الصوت ويمر التنظيم الصناعى فيه بانقلاب شامل له خطره على العلاقات الانسانية والدولية معا .

ولقد أدى هذا كله الى تعقيد مشكلات الدول الافريقية فى ظل سباق دولى غير متكافىء تتقدم فيه الدول الاوربية بسرعة تتناسب مع حضارتها الصناعية وتسعى فيه الدول الافريقية الناشئة الى اللحاق بها على طريق التقدم بيد أن عقبات كثيرة تعرقل سعى هذه الدول وتشدها بلا هوادة الى تخلفها القديم الذى ورثته عن التدخل الاستعمارى فى شئونها ، هذا التدخل الذى كان هو نفسه مصدرا للرفاهية الاوربية بحكم ما نهبه الاستعماريون الاوربيون من خامات ومنتجات وجهود افريقية اقاموا عليها تنظيمهم الصناعى وحضارتهم الحالية وخلفوا للشعوب الافريقية التعاسة والشقاء .

جدول المشكلات الافريقية :

يميل بعض الباحثين الاستعماريين الى تفسير تخلف الافريقيين بعوامل الجنس والبيئة والمناخ ، كما يزعمون من ناحية أخرى ان كل تقدم فى افريقيا هو نتيجة لقدوم الاوروبيين الذين نشروا الحضارة والمدنية فى المستعمرات .. ومن الواضح ان هذا التغيير يستهدف تبرير الاستعمار واخفاء الوجه الحقيقى له ، وهو استغلال المستعمرات واتخاذها أسواقا لتصريف البضائع الاوربية. على أن هذه المزاعم الاستعمارية قد عفى عليها الزمن ، ولا مندوحة الآن أمام أى باحث منصف من الاعتراف بأن المشكلات التى يعانيها الافريقيون حاليا فى ميادين التطور ذات جذور تاريخية ومرتبطة بحكم نشأتها بوجود الاستعمار فى أفريقيا واستمران مؤامرات الامبرالية الغربية على حرية الافريقيين وثرواتهم حتى بعد الاستقلال .

ان تقسيم القارة بين الدول الاستعمارية فى أواخر القرن الماضى ، والصراع الذى نشأ بين الدول الاوربية فى أعقاب مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ حول امتلاك الاراضى الجديدة فى أفريقيا أدى الى تغلغل الاستعمار فى داخل القارة ، كما أدى بالتالى الى تفتيتها الى وحدات مستعمرة لا تراعى فيها المصالح

القومية الافريقية وانما تراعى فقط مصلحة المستعمرين التى لخصها جوزيف تشمبرلين – زعيم المحافظين البريطانيين – وكانوا يسمون انفسهم فى ذلك الوقت « الحزب الثورى الرأسمالى » فى العبارة التالية :

« من واجب الدولة – المملكة المتحدة – أن تعمل على انعاش التجارة واكتساب أسواق جديدة لمنتجاتها » .

ولقد كان هذا الاتجاه الاستعمارى الجديد والتنافس الشديد بين انجلترا وفرنسا والمانيا فى ميدان التجارة هو الطامة الكبرى بالنسبة لشعوب افريقيا وآسيا ، كما يشير الى ذلك جورج بادمور فى كتابه عن الوحدة الافريقية .

وقد اثبتت التجارب التى مرت بها الشعوب الافريقية أن تنظيم التجارة فى افريقيا وفقا لمصالح المستعمرين فى مواردها وفى سير العمليات الاجتماعية فيها وحرمانها من فرص التصنيع ، ومنع التعليم عن سكانها قد عرقل تقدم القارة عن ركب الحضارة ، كما جعلها بقرة حلوبا لاوربا المرهفة .

ان الاستعماريين لم يخنقوا حرية الافريقيين أو ينهبوا خيراتهم فحسب ، بل لقد حرصوا دائما على فرض المفاهيم الغربية ونشر الفلسفة الاستعمارية فى ربوع افريقيا كما عملوا على تكوين طبقات جديدة موالية للنظم الرأسمالية ولاسلوب الحضارة الغربية لكى يضمنوا السيطرة الفكرية والمادية على جميع شئون القارة اثناء استعمارهم لها حتى اذا ما طردوا منها ظلت بذور فلسفتهم وثقافتهم وأجهزتهم والفئات الضالعة معهم تواصل عملها فى خدمتهم .

كما حرص الاستعماريون من جهة أخرى على قتل الروح العامة للرقى فى المجتمعات الافريقية وحرمان هذه الجماعات من فرص التعليم والصحة ، وفى الوقت الذى حاولوا فيه لفترات طويلة أن يطمسوا معالم الحضارة الافريقية بذلوا جهودهم بالحاح وبوسائل بشعة لصبغ الحياة الافريقية بالطابع الاجتماعى للنظام الرأسمالى الذى يقوم على الاستغلال والتقسيم الطبقى والتمييز العنصرى والربح بأية وسيلة لتحقيق المصلحة الفردية دون أى اعتبار لمصلحة الجماعة .

وحينما استقلت أفريقيا وجد الافريقيون انفسهم فى حيرة من أمرهم فلا هم بقادرين على العودة الى تقاليدهم القديمة التى لم يعد معظمها يتلاءم وطبيعة العصر فى القرن العشرين الحافل بالتطورات الثورية فى مجالات العلم والصناعة والمواصلات والافكار الجديدة ولا هم بمستطيعين أن يولوا ثقتهم للنظام الرأسمالى الاستعمارى الذى افسد حياتهم ولم يكن هناك من سبيل سوى تدعيم الاستقلال السياسى بالاستقلال الاقتصادى والفكرى وبالتخلص التام من الرواسب الاستعمارية والاستفادة من كافة التجارب الاجتماعية مع العناية بتنمية الروح القومية التى بذل الاستعمار جهده لطمسها فلم يفلح .

ولقد أدرك الافريقيون الدور الذى لعبه الاستعماريون فى تعطيل نهضة بلادهم وتجلى فى كفاحهم الطويل ضد الاستعمار الحرص على ازالة شبحه والقضاء على فلسفة الاستعماريين فى حكم افريقيا فنادوا فى المؤتمر الاول للوحدة الافريقية بباريس فى عام ١٩١٩ بأن تحكم الشعوب الافريقية طبقا للاسس التالية :

١ – أن يمتلك الشعب الافريقى الارض دون منازعة فيها .

٢ – ان يستغل رأس المال الوطنى دون اضرار برفاهية الوطن الافريقى .

٣ – أن توقف العبودية والسخرة فى العمل تماما .

٤ – ان يكون لكل طفل افريقى الحق فى أن يتعلم القراءة والكتابة بلغة بلاده .

٥ – أن يساهم الافريقيون فى حكوماتهم تمشيا مع المبدأ الديمقراطى الذى ينص على ان تكون الحكومة فى خدمة الشعب لا أن يكون الشعب فى خدمة الحكومة .

وتعتبر هذه الاسس احتجاجا صارخا من الافريقيين على الافكار والاساليب التى أدخلها الاوربيون حول ملكية الارض وعلى استنزافهم الخيرات الافريقية وحرمان الاطفال الافريقيين من التعليم واستبداد الادارة الاستعمارية

وتزييفها لمعنى الديمقراطية ، وقد بقيت آثار كل هذا ماثلة فى الحياة الافريقية حتى بعد الاستقلال ولا زالت عقبات فى سبيل التطور الافريقى .

مظاهر التخلف :

لقد كان من مصلحة الاستعمار الابقاء على النظم الادارية الفاسدة والانماط الاجتماعية المتخلفة فى المستعمرات كى يظل الاستعماريون فى مركز الصدارة من كل ناحية ويمكننا أن نوجز مظاهر التخلف فيما يلى :

١ ـ ان طبيعة الادارة التى خلفها الاستعمار فى افريقيا كانت تتميز بالقصور عن تحقيق آمال الافريقيين لانها تهتم أساسا بخدمة المصالح الاستعمارية وتنظم استغلال الثروة الافريقية وتوظف رءوس الاموال الغربية بأكبر ربح ممكن وتجمع الضرائب وتحافظ على النظام والامن الضروريين لاستمرار السيطرة الغربية .

كما أن البيروقراطية اللازمة للانظمة الاستعمارية حجبت الديمقراطية عن الجماهير الافريقية وحالت دون قيام تنظيمات شعبية او نيابية تقوم بواجبها فى العمل السياسى وقد أدى هذا بدوره الى تشويه المفاهيم السياسية وشيوع التخاذل والقدرية وعدم الثقة بالنفس والخوف من الحكومة وممثليها كما أدى الى افتقار شديد فى الامكانيات العلمية والفكرية فى المجال السياسى والى نقص خطير فى المهارات المتخصصة نظرا لان معظم الحكام والفنيين والاداريين كانوا أجانب

٢ ـ أما من الناحية الاقتصادية فقد تميز الاقتصاد الافريقى فى ظل السيطرة الاستعمارية بأنه اقتصاد غير متوازن ـ جرى تنظيمه لخدمة الاقتصاد الغربى ويعتمد غالبا على محصول واحد فى مجتمعات زراعية متأخرة يسودها ضعف تام فى مستوى المعيشة وهبوط فى درجة الرفاهية يقترب من العدم ، ففى مصر مثلا كان وجود خام الحديد فى أسوان معروفا منذ عام ١٩٠١ الا أن الاستعماريين البريطانيين عارضوا فى استخراجه أو الاستفادة من تصنيعه ليتمكنوا من بيع منتجات مصانع الحديد فى برمنجهام ..

ومثل آخر ، كانت مصر قد صدرت عام ١٨٧٠ ـ أى قبل الاحتلال البريطانى باثنى عشر عاما ـ ٣٫٢٥٠٫٠٠٠ قنطار من القطن بمبلغ ٨٫٢٥٠٫٠٠٠ جنيه .. أما فى عام ١٨٩٦ ـ بعد مضى أربعة عشر عاما على دخول القوات البريطانية فقد تضاعفت صادرات مصر من القطن ، أصبحت ٦ ملايين قنطار بينما بلغت قيمتها ٨٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه وهو ما يوازى قيمة صادرات عام ١٨٧٠ تقريبا .
ونستخلص من المثلين السابقين النتائج التالية :

ـ ان الاستعمار البريطانى حرص على عدم تصنيع مصر .

ـ ان بريطانيا قد حرصت على أن تبقى مصر دولة زراعية مع مضاعفة اعتماد اقتصادياتها على محصول زراعى واحد هو القطن .

ـ انه فى الوقت الذى تضاعفت فيه كميات الانتاج من هذا المحصول الواحد خفضت الدوائر الرأسمالية الاستعمارية أسعاره لكى تبقى على مصر فى مستوى التبعية والتخلف بينما يجنى الرأسماليون البريطانيون ثمرات كفاح الفلاح المصرى .

وبناء على فكرة الاوربيين عن الملكية الفردية نهبوا الارض الافريقية لبناء مشاريعهم الاستعمارية ودفعوا الافريقيين لزراعة المحاصيل ذات القيمة النقدية لدفع الضرائب ولشراء المصنوعات الاجنبية .

وعندما رأت الحكومة الاستعمارية ضرورة استخراج المعادن من الارض الافريقية جلبت رءوس الاموال الاجنبية بفوائد ضخمة ، كما جلبت العمال الفنيين من الخارج ولم يحقق رأس المال الاجنبى أية فائدة للافريقيين نظرا لان الرأسماليين الاجانب استولوا على القسط الاكبر من الربح ، ولان الاموال لم تستخدم الا حيث أقام الاوروبيون ، وحيث وجدت المناجم والمزارع الاوربية ، ولانه خلق كثيرا من الاحقاد الاجتماعية والمنازعات

الشديدة على ثروات البلاد الافريقية .

ولم يهيىء وجود العمال الاوربيين أية فرصة للاهالى الافريقيين ليكتسبوا مهارة أو كفاية فى العمل فقد احتفظ الاجانب بأسرارهم الفنية وترفعوا عن مخالطة الإفريقيين بعد ان تركوا لهم أحقر الاعمال كى يحصلوا من ورائها على القوت الضرورى . وهكذا لم يساعد وجود الاموال الاوربية الفنيين الاوربيين على تقدم الافريقيين ، بل كان ذلك دليلا على تخلف افريقيا فى ظل التدخل الاستعمارى .

٣ – وتبعا لهذا التخلف السياسى والاقتصادى عاشت المجتمعات الافريقية فى بؤس شديد وعانت من الامراض الاجتماعية ومن عزلة الريف عن المدن التى أنشأها الاوربيون ومن مشكلات التمييز العنصرى ، والبطالة والهجرة العمالية ، ففى غينيا وأوغندا وتنجانيقا وروديسيا حيث استخدم الافريقيون فى مزارع ومناجم الاوربيين بعد هجرتهم الى محال العمل تاركين وراءهم عائلاتهم فى القرى ، كان لذلك أسوأ الاثر على الحياة الاجتماعية الافريقية اذ انتزعت تلك الهجرة من القرى نسبة كبيرة من الرجال القادرين على الزراعة وأدى ذلك الى نقص نسبة المواليد واضطراب السلوك الجنسى للرجل والمرأة على السواء .. والى تصدع الحياة الاسرية ..

مواجهة مشكلات التقدم :

على اننا نستطيع أن نقول أن التغيير الجديد فى شخصية الدول الافريقية ، نتيجة انتزاع الاستقلال السياسى ، له أثره البالغ على طريقة مواجهة التقدم واجتياز هوة التخلف فى أسرع وقت وبأقل خسائر ..

ان هناك فروقا أساسية بين الادارات الاستعمارية وبين الحكومات الوطنية المستقلة من حيث الاهداف والوسائل ومن حيث اشخاص القائمين بالتخطيط والتنفيذ والروح العامة للعمل بمختلف ألوانه ، وها نحن نرى أن الطفرة السياسية التى طفرتها الدول الافريقية باستقلالها أخذت تتلوها طفرات مماثلة فى مجالات الاقتصاد والاجتماع والثقافة .

واذا كانت الهيئات الوطنية السياسية قد شغلت طوال العقد الماضى وما قبله بمعركة التحرر فقد أخذت هذه الهيئات تعيد بناء تنظيماتها لكى تنتصر فى معركة التقدم الاجتماعى وتضع خططها السياسية على هدى تجربتها القومية مع الافادة من التقدم العلمى والتجارب الاجتماعية الاخرى وتعمل على تطبيق الديمقراطية بمفهومها السليم الذى يرتكز على العدالة الاجتماعية والحريات العامة والمساواة ..

كما شرعت الدول الجديدة تستكمل أجهزتها الادارية وتسد الثغرات التى تسببت عن انسحاب الموظفين الاجانب فى أعقاب الاستقلال وتقضى على مظاهر البروقراطية الاستعمارية وتنمى المهارات المتخصصة فى فروع الادارة والانتاج .

أما من الناحية الاقتصادية فقد وضعت معظم هذه الدول خططا للتنمية تستهدف رفع مستوى المعيشة باعادة تنظيم الحياة الاقتصادية على أساس المصلحة الوطنية التى تتحقق باقامة اقتصاد متوازن غير تابع للاقتصاد الراسمالى وغير خاضع لاحتكار الشركات الاجنبية .

ولما كانت مشكلة اعادة تنظيم البنيان الاجتماعى كى يتمشى مع التطورات الجديدة فى افريقيا امرا لا مفر منه فان عددا من الدول الافريقية الاكثر تقدما قد أخذت بمبادىء التوجيه الاقتصادى والاجتماعى لضمان سير التطور فى الاتجاه السليم ، بل ان بعض هذه الدول قد بدأت تأخذ بالمبادىء الاشتراكية التى تلائم ظروفها ودرجة تطورها .

بيد أن رواسب النفوذ الاستعمارى الذى يتمثل فى الشركات الاحتكارية واستمرار تبعية بعض الاقطار الافريقية للسيطرة الاقتصادية الغربية على نحو ما هو قائم بين دول المجموعة الفرنسية فى افريقيا وبين منظمة السوق الاوربية المشتركة . كل هذا يشكل عقبات فى طريقة النهضة الافريقية ويؤثر على سير التطور فى أرجاء القارة كلها .

واذا وضعنا فى اعتبارنا أن ثمة مشكلات أخرى تصطدم بها الدول الناشئة مثل مشكلات الحدود والوحدات السياسية المتنافرة أو المشتتة نتيجة التقسيم الاستعمارى ومشكلات القبائل وتعدد الاجناس والتمييز العنصرى وعدم كفاية الموظفين المدربين وقلة رأس المال اللازم للتنمية والافتقار الى الخبرات الاساسية فى مجالات العمل الوطنى وضعف الخدمات الصحية والاجتماعية والتعليمية ، أدركنا طبيعة الاعباء الملقاة على عاتق الدول الافريقية الحديثة وهى أعباء ينوء بتحملها أعظم الدول تقدما وحضارة .

نظرة الى المستقبل :

ولا يعنى هذا ان أفريقيا تنظر الى مشكلاتها نظرة متشائمة رغم خطورة تلك المشكلات واتساع هوة التخلف لان الافريقيين يعتقدون أن الحرية قاعدة أساسية لكل تقدم ولان المستقبل ينطوى على كثير من الآمال ويمكننا أن نحدد الخطوط التى يجرى على أساسها حل تلك المشكلات فيما يلى :

١ ـ استمرار الضغط للتخلص النهائى من بقايا النفوذ الاستعمارى بمختلف مظاهره وللتحلل من الارتباط بالقواعد العسكرية الاجنبية والسوق الاوربية المشتركة ويتم ذلك على مستويات عليا بين الرؤساء الافريقيين فى مؤتمرات التنمية والتضامن والوحدة الافريقية .

٢ ـ تعليم الافراد الافريقيين انتاج ثروة تكفى احتياجاتهم مع استغلال الموارد الطبيعية الحالية وتنمية انتاجية الارض كما وكيفا بالمحافظة على خصوبة الارض واستخدام الاساليب الحديثة فى الزراعة وادخال محاصيل جديدة والتوسع فى استصلاح الاراضى الزراعية وتصنيع الريف والاتجاه نحو الصناعة الانتاجية والتحكم فى التجارة للصالح القومى .

٣ ـ القضاء على الانماط الاجتماعية المتخلفة ونشر الوعي القومي بين الافراد بالتعليم مع التوسع فى مشروعات محو الامية وفى ادخال التعليم العالى والفنى لاعداد جيل من الخبراء فى التخطيط والانتاج .

وتعتمد الدول الافريقية الحديثة فى مواجهتها لتلك المشكلات على الفئات المستنيرة من أبنائها وعلى العناصر القيادية المخلصة التى اثبتت جدارتها فى معركة الحرية ، كما تعتمد على الاستفادة المباشرة من أحدث ما وصل اليه التقدم العلمى ومن التجارب الاجتماعية الناجحة التى تتناسب ظروفها .

واذا كانت أوربا قد حققت تقدمها على مراحل استغرقت قرنا ونصف قرن من الزمان وهى تنتقل من عصر البخار الى عصر الكهرباء الى العصر الذرى فان أفريقيا تستطيع ان تختصر كثيرا من تلك المراحل .

ولقد أشار ميثاق العمل الوطنى فى الجمهورية العربية المتحدة الى ذلك بقوله :

« اننا لا نستطيع أن نتقاعس لحظة عن الدخول منذ الآن فى عصر الذرة ، لقد تخلفنا من قبل عن عصر البخار وعن عصر الكهرباء .. ولقد كلفنا هذا التخلف ، مع أن ظروف القهر الاستعمارى الرجعى هى التى فرضته علينا ، كثيرا وما زال يكلفنا الكثير ، لكننا مطالبون الآن وعصر الذرة يشرق فجره على الدنيا أن نبدأ الفجر مع الذين بدءوه » .

« ان الضرورة التى تدعو الى ذلك متعلقة باختصار الزمن والجهد اللذين يستلزمهما التقدم ومن المسلم به أن الطاقة الذرية فى خدمة الرخاء وقادرة على أن تصنع المعجزات فى معركة التطور الوطنى » .

وتستطيع افريقيا أن تستفيد من جهود الامم المتحدة ومساعدتها ومن خبرة الدول المتقدمة ومساعدتها غير المشروطة ومن التعاون مع الدول الافريقية الاكثر تقدما ويمكن لوسائل التثقيف والاعلام الافريقية ان تلعب دورا كبيرا فى مواجهة مشكلات التطور الافريقى عن طريق التوعية وتبادل البرامج التى تهدف الى تكوين الاتجاهات والقيم الجديدة بما يتمشى مع طبيعة المرحلة الثورية التى تعيشها القارة الناهضة .

اقتصاديات إفريقية .. الزراعة

بقلم محسن احمد اغا ..

((هذه الميزة الفريدة التى جلبت على افريقيا متاعب قرون من الاستعمار هى بعينها التى تفتح لنا الآن أملا لا حدود له فى اقتصاد افريقى عظيم ، قلنا ان الاراضى الزراعية القابلة للزراعة لا حصر لها . وان عدد السكان اقل من المطلوب فى معظم جهات القارة باستثناء وادى النيل شمال مدار السرطان ، فلو زاد السكان قليلا واستخدمت الطرق الحديثة فى الزراعة مع تخطيط قومى شامل ومنظم ، لتطور الاقتصاد الافريقى بصورة فريدة ليس لها مثيل فى اقتصاديات الدول النامية ..))

١ — افريقية منطقة زراعية كبرى ، لاشك فى هذا ، واذا لم تكن افريقيا نفسها منطقة زراعية فما تكون اذن ؟ قد يتطلب الامر جهدا كبيرا فى الدفاع عن ثروة أفريقيا الطبيعية من المواد الاولية الصناعية أو مصادر القوى المحركة ، كما قد يشق علينا البحث والتنقيب واستخراج النسب الاحصائية للانتاج الافريقى منها مقارنا بالانتاج العالمى وكيفية استغلال هذه الثروة الطبيعية بأقصى صورة لها تبعا لظروف معينة .. ولكن الا ترى أن دراستنا للزراعة تخالف تماما دراستنا لمواد الصناعة وتختلف عنها ؟ والا يكفيك أن تعلم أن امكانيات السودان الزراعية بمفردها مقدارها ١٢٠ مليونا من الافدنة الى جوار ٨٠ مليونا اخرى قابلة للزراعة بابسط عمليات ممكنة من عمليات اصلاح الاراضى ، ويزرع منها كلها ستة ملايين فدان فقط ، وأغلبها لا يستغل لاقصى حدوده الانتاجية .

٢ — ولهذا ، سوف ينصرف ذهننا فى دراسة الزراعة الافريقية الى عرض الظروف الطبيعية فى القارة — كمقدمة — ثم نوالى هذا بدراسة شاملة للجوانب التنظيمية التى تكفل استغلال الامكانيات الزراعية بأعظم فاعلية وأعلى حدود انتاجية لها ، ومن الطبيعى ونحن فى هذه الظروف أن نتخذ الجمهورية العربية المتحدة مقياسا نقارن به تقدم الدول الافريقية الأخرى — كلما دعا المجال لهذا — ليس هذا باعتبارى من مواطنى الجمهورية ولكن لان نجاحها وتقدمها

الاقتصادى فى السنوات الاخيرة يعتبر هدفا فى حد ذاته يسعى اليه أشقاؤنا فى القارة الجديدة باعتراف خبراء عالميين .

٢

١ ـ ومن الممكن أن ننظر الى الزراعة ـ كنشاط اقتصادى ـ من زاويتين أساسيتين الاولى من حيث نوع المجهود الانسانى المبذول فيها والثانية كثافة السكان بالنسبة للاراضى الزراعية .

٢ ـ فمن حيث المجهود الانسانى المبذول رئى تقسيم الزراعة الى فرعين أساسيين : الزراعة البدائية تليها الزراعة الراقية : أما أنا فارى انها يجب ان تقسم الى أربعة فروع هى على التوالى حسب تقدمها الزراعة المهاجرة ، والبدائية ، والراقية ثم تأتى الزراعة الحديثة فى النهاية مكملة لأرقى صور النشاط الزراعى النموذجى .

وتتميز بعض جهات افريقيا بالزراعة المهاجرة وهو نمط لا يوجد الآن الا فى افريقيا بمفردها وتظهر فيها باوضح صورة لهما ومعناها أن يقوم السكان بزراعة الارض زراعة متناهية فى البساطة فتنمو من تلقاء نفسها نتيجة توافر المياه وظروف الانبات الصالحة ثم لا يلبثون أن يتركوا هذا المكان فور أن تبدو بادرة من بوادر اجهاد الارض أو قلة خصوبتها وفقدانها للعناصر الغذائية اللازمة للنمو ، وهذا النوع شائع جدا فى المناطق الاستوائية ويدفع اليه قلة السكان واتساع الارض القابلة للزراعة اتساعا عظيما ولعلك تستنتج من هذا بسهولة ان المزارع بهذه الطريقة لا يقوم بتنظيم حياته كما يجب أن يكون فهو لا يبنى مكانا يسكن فيه ولا يستأنس من الحيوانات الاليفة ما يعينه على استغلال الارض أو الارتفاع بمستواه طالما كانت الارض تغل له القدر الذى يحتاج اليه من الطعام ، مهما قل هذا القدر .

اما الزراعة البدائية فهى نقطة انتقال بين الزراعة المهاجرة والزراعة الراقية وتتميز باستقرار أهلها فى مكان معين يباشرون فيه نشاطهم بصورة أكثر تنظيما وتقدما .

والزراعة الراقية تتميز بالاستقرار الواضح والالتصاق بالارض ليس هذا وحسب ، بل مع مرور الزمن تكتسب الارض قيمة اجتماعية كبرى فى نفس الفرد والجماعة وتلعب كذلك دورا واضحا فى التنظيم الاجتماعى وفى عادات الجماعة وتقاليدها وفى تقسيم العمل الاجتماعى وتنوعه وزيادة خبرة المزارع بطبيعة الارض ومحاصيلها ونظم الرى والصرف ومقاومات الآفات وغيرها من العمليات الزراعية .

٣ ـ واذا قارنت بين هذه الانواع الاربعة لامكنك أن تستنتج فورا . ان اول خطوة من خطوات النجاح الاقتصادى ان ينتقل نظام الزراعة المهاجرة الى نظام الزراعة الراقية فورا وان تنتقل الزراعة الراقية نفسها الى زراعة حديثة ، فالقارة الافريقية فى مرحلة حرجة فى تاريخها .. فعليها أن تثبت كفاءة أبنائها وجدارتهم وقدرتهم على ملء الفراغ الذى خلفه المستعمرون فى المجالات الاقتصادية .. ـ وان يحافظوا على مستوى الانتاج ـ ان لم يزيدوا عليه ـ ولما كان من أوضح خصائص الزراعة المهاجرة الاقتصار على انتاج الحبوب والمواد الغذائية الاولية، بل الاقتصار على حد ضئيل من الانتاج يكفى الزارع فقط ، فيبدو اذن مدى خطورة هذا النظام واثره على الهيكل الاقتصادى للدول النامية خصوصا الكونغو ومديريات السودان الجنوبية وأوغندا وغيرها من دول الوسط .

فمن المفهوم اذن أن انتقال الزراعة من هذه المرحلة المهاجرة عملية ذات خطورة بالغة فبدونها لن يتيسر لهذه البلاد وهى حديثة الاستقلال أن تكتمل نموها الاقتصادى فى وقت يتحتم أن تستغل امكانيات الدول النامية لاقصى صورة لها . وبالتالى أن يزيد فائض الاستهلاك فيها بحيث يمكن الاشتراك به فى التجارة الخارجية تصديرا .

٤ - اما الزاوية الثانية ، ومنها ننظر للزراعة حسب كثافة سكانها فتقسم الى زراعة كثيفة وزراعة واسعة ، ويتميز النوع الاول بكثافة سكانه زيادة ملحوظة مما يترتب عليه قلة نصيب الفرد من انتاج الارض وسوء التغذية وزيادة معدلات الوفيات وانخفاض مستوى الاعمار وانخفاض مستوى الدخل الفردي والقومي بالتالى ، ولا ننسى المجاعات التى قد تنشأ من هذا الازدحام .. وغير هذا من المشكلات التى عنت بها الحكومات الحاضرة والتى تعمل على علاجها بالمشروعات الزراعية وتنظيم الري والصرف وكلها تهدف الى زيادة الرقعة الزراعية وتحسين مستوى الانتاج .. وفى شمال وادى النيل انتبهت الجمهورية العربية المتحدة لازدحام السكان بها وزيادتهم زيادة مطردة تؤثر على الانتاج ولعلك تذكر تصريحات السيد رئيس الجمهورية فى هذا المجال .

أما النوع الثانى ، فيتميز باتساع الاراضى الزراعية وتقوم شركات كبرى بزراعتها والعمل على التسميد ومقاومة الآفات وغيرها من العمليات الزراعية الكبرى .

٥ - وباستثناء المناطق الزراعية المتخلفة تعتبر الزراعة الكثيفة النمط الغالب فى الإنتاج الزراعى الراقى وخصوصا فى شمال القارة وبعض مناطق السودان بينما يتضح النوع الثانى فى المزارع الانتاجية التى ينشئها المستعمرون وهى شائعة فى معظم أجزاء القارة خصوصا الكونغو ودول الاتحاد الفرنسى واتحاد وسط افريقيا ويستخدم فيها أحدث وسائل الانتاج الآلية ، وقد استغل المستعمرون فرصة نادرة لا توجد فى بلادهم وهى اتساع الاراضى الزراعية اتساعا دون حساب ، وجنوا من ورائها أرباحا فردية وقومية لا تقدر بثمن ، ورغم الصعوبات الطبيعية التى تقابل المستعمر الذى لم يعتد هذه الظروف أولها أمراض المناطق الحارة كالملاريا والحمى الصفراء والسوداء بالاضافة الى شدة الحرارة وغزارة الامطار وانتشار المستنقعات والغابات انتشارا خطيرا ، تلك العقبات التى كانت تكفى أحداها لتحطيم قوى المستعمر النفسية ان لم تحطم من مجهوده البدنى ، لم تستطع ان تحطم من اصراره وتمسكه فادخل الآلات الزراعية الحديثة فى كل مجال ممكن من مجالات النشاط الزراعى خصوصا حرث الارض وريها بل ان التقدم الظاهر فى طب المناطق الحارة ليرجع أصلا الى حاجة المستعمرين الى الوقاية والعلاج من أمراض شديدة القسوة لم يعهدوها فى بلادهم الاصلية ، وهذا الاصرار والحماس من أوربيين رأسماليين لا يسعون وراء الكسب الا اذا كان عظيما كفيل بان يجعلنا لا نفقد الامل فى مستقبل افريقيا العظيم .

٦ - هذه الميزة الفريدة التى جلبت على افريقيا متاعب قرون من الاستعمار هى بعينها التى تفتح لنا أملا لا حدود له فى اقتصاد افريقى عظيم ، قلنا ان الاراضى الزراعية الافريقية القابلة للزراعة لا حصر لها وان عدد السكان أقل من المطلوب فى معظم جهات القارة باستثناء وادى النيل شمال مدار السرطان ، فلو زاد السكان قليلا واستخدمت الطرق الزراعية الحديثة فى الزراعة مع تخطيط قومى شامل ومنظم لتطور الاقتصاد الافريقى بصورة فريدة لا مثيل لها فى اقتصاديات الدول النامية .

٣

١ - وباستثناء المناطق الزراعية الافريقية التى تعتمد فى ريها على الانهار - وهى قليلة بالنسبة للمساحة الكلية - توجد فى افريقيا مناطق كبرى تعتمد فى زراعتها على الامطار المباشرة ، هناك المنطقة الاستوائية حيث تنمو الغابات وتبلغ غزارة المطر وشدة الحرارة أقصاها فلا عجب أن تنمو الغابات فيها نموا عظيما فتتقارب وتتشابك أعضاؤها ويصبح التوغل فيها ضربا من ضروب المستحيل فى كثير من الاحيان ، ومع هذا تمكن المستعمرون من استغلال ما فيها من خيرات طبيعية

خصوصا تلك التى توجد فى أطراف الغابات أو المناطق الخفيفة منها ، ومع ذلك فهنـــاك عقبات أخرى قد لا تجعل استغلال هـــذه الثروة الطبيعية بصورة كاملة أمرا سهلا ولو كانت هـــذه النبـــاتات والاشـجار تخضع لنظام معين لسهل استغلالها اقتصاديا ولكن الحقيقـــة الظاهرة أن تنوع هـــذه النباتات واختلافها وتشتتها وبعد المسافات بينها يجعل أمر استغلالها والتحكم فيهـــا اقتصـــاديا مستحيلا أحيانا بل حلما من الاحلام فى أغلب الأحيان ، تصور مثلا أن مشروعا افريقيا قد انشىء لاستغلال مطاط هذه المنطقةالاستوائية .. فما على هـــذا المشروع أن يفعل ؟ ! ان عليه أن يستغل أشجارا قد تبلغ المسافة بين احداها والاخرى أكثر من ١٠٠ متر .. كما عليه أن يحمى نفسـه من حشرات المنطقـــة الاستوائية وحيواناتها المفترسة وعليه أخيرا أن يخصص لنفسه طريقا بين الاشـجار وفى المستنقعات وهذا كله مستحيل .

٢ ــ واذا بعـــدنا قليلا عن خط الاستواء بغاباته وأمطاره لا شك نجد منطقة عظيمـة تبلغ مساحتها ١/٣ مساحة القارة الكليـــة اصطلح الجغـــرافيون عـــلى تســـميتها « بالسافانا » ، والسافانا اصطلاح جغرافى يطلق على المراعى الحـــارة ويكاد يجمـــع الجغرافيون أن هذه المنطقة العظيمة شديدة القابلية لعمليات الاصـــلاح الزراعى بأبسط قدر ممكن من المجهود اذا قورن بجـــودتها وعظمة الخير المأمول منها وذلك لقلة أمطارها بالنسبة لمنطقة الغابات الاستوائية . ورأيى أن يبدأ بحرث الارض وتطهيرها من الاعشاب ثم بدراسة لطبيعة الارض ومحتـــــوياتها الكيماوية والغذائيـــة لتحديد أصلح النباتات للزراعة فيهـــا أو لمعرفـــة نوع الاســـمدة العضوية أو غير العضوية التى تحتاج اليهـــا النباتات المختلفة ، وأرجو أن يبدأ فى زراعة النباتات ذات الصفة الاقتصادية التجارية ، كما أرجو أن يجتهد فى أن تزرع هذه الاراضى المستصلحة بالنباتات التى تعتبر وقفـــا على المناطق الاستوائية لا تشاركها فيها غيرها من الدول منعا لزيادة التضـــارب والتماثل بين الدول الافريقية فلا يستحب أن يزرع القطن أو غيره من الغلات التى تزرع خارج المنطقة الاستوائية .

٤

١ ــ وكذلك يدفعنا هذا الحـــديث الى تحليل ثروة افريقيـــا الفعليـــة من الزراعة ــ لا مجرد امكانيات الزراعة فحسب ــ أنظر مثلا الى بعض الغلات التى تتميز بها المنطقة الحارة ولاحظ الاهمية البالغة التى لهـــا فى حياتنا اليومية من أمثلتها المطاط والكاكاو والموز وغيره والسكر والفول الســـودانى والزيوت النبـــاتية ذات القيمـــــــة الصناعية الكبرى ، وأرجـــوك ألا تنسى الى جوار هذه المنطقة الحـــارة ذات الغلات المشهورة المنطقة المعتدلة ومنطقة البحـــر الابيض فى أقصى الشمال ولعلك تذكر جيدا ما لها من شهرة عالمية فى انتاج الزيتـــون والبرتقال والعنب وغير هـــذا من خـــيرات لا تيسر فى كثير من دول العالم .

٢ ــ ليس هذا كل ما فى الامر بل تتميز بعض الدول الافريقية بالصدارة فى انتـــاج غلات عالمية معينة هناك غانا الاولى فى انتاج الكاكاو وداهومى وغينيا تتنازعان الصـــدارة فى الزيوت النباتية وتونس والجزائر ومراكش من أوائل الدول فى انتاج زيت الزيتـــون والكروم والبرتقال وغيرها من الغلات الكبرى .

٥

١ ــ وعلى قدر هـــذا الخير المأمول من الزراعة ، لابد من الكفاح والاقـــدام والعمل الدائب لجنى هذا الخير والحصول عليه .. فانك تقرأ الآن هذا الكلام باللغة العربية بل انت ايضا من مواطنى الجمهورية العربيـــة المتحدة ولعلك تلمس أكثر من أى انسان آخر على سطح الدنيا الجهود الكبرى التى تبذلها الدولة ليلا ونهارا لتنظيم الزراعة وتنميتها والعمل على تقدمها ، وسمعت بمشروع السد العالى والوادى الجديد ومديرية التحـــرير هذه المشروعات التى كانت ضربا من ضروب المستحيل فأصبحت حقيقة واقعة يلمســـها الجميع ..

٢ — ولا تنس أن الاصلاح القـانونى أول الحر ، بدلا من أن تتبع سياسة التخطيط »

خطوة من خطوات التنظيم الاقتصادى ، خـذ مثلا قانون الاصلاح الزراعى الذى أصـدرته الثورة فى الشهور الاولى من قيامها وشمل جميع مجالات الحيـاة الزراعية بلا استثناء فحددت الملكية الزراعية بحيث لا تزيد عن ٢٠٠ فدان (وعدلت فى يوليو ١٩٦١ الى مائة فدان) نظير تعويض للاراضى وما عليهـا من ممتلكات وتسدد فى ١٥ عاما — وعنى القانون بتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر — تلك المشكلة القديمة قدم الارض نفسها — فحددت الايجار بسبعة أمثال الضريبة — لذلك شكلت مجالس لتحـديد الحد الادنى لاجر العـامل الزراعى — وشروط توزيع الاراضى الزراعية للمنتفعين الجدد .

ولم ينس المشرع اعتبارا اقتصاديا خطيرا هو أن الانتاج الزراعى الحديث يتطلب أرضا زراعية واسعة غير مقسمة لتسهيل قيـام العمليات الزراعية الآلية على نطاق واسـع ، الامر الذى يتنافى مع تقسيم الملكية وتجزئتها لذا عمل قانون الاصلاح الزراعى على الجمع بين كلا الميزتين فحتم انشاء جمعيات تعاونية تضم المنتفعين الجدد بالارض لتنظيم العمليات الزراعية التى تتطلب جهدا جماعيا خـوفا من تدهور مستوى الانتـاج القومى بل تعمل على زيادته .

٣ — ولكن لا مفر من الاشارة الى أن هذه الصفات لا توجد فى كثير من دول افريقيـا الحديثة الاستقلال فقـد خلف المستعمرون خلافات بين القبائل المختلفة ، بصورة جعلت من العسير على بعض الدول الجديدة تنفيذ اغراضها القومية بالقوة والفاعليـة المطلوبة التى يستلزمها وضع الحكومات الجـديدة ودورها فى التخطيط القـومى ويعلق أرثر لويس على مثل هذه الاوضـاع بقوله : « اذا لم تتوافر للدولة المتخلفة حكومة قوية فمن الافضل بالنسبة لها أن تتبع نظام الاقتصـاد

٤ — ولا تنس الى جـوار هـذه النظم القانونية ذات الصبغة التوزيعية ، أن لابد من العناية بالانتاج الزراعى فى حد ذاته وهـذا يتضمن زيادة انتاجية الارض وزيادة مساحتها وتحسين العمليات الاقتصادية المكملة للانتاج الزراعى الى جوار التنظيم الادارى والاقليمى لهذا الانتاج .

٥ — ولا يغـرب عن بالنا ما للتعـاون من أهمية بالغة فى تقدم الزراعة الافريقيـة وخصوصـا الجمعيات التعاونية الزراعيـة ، والتعـاون فى افريقيـا تدفع اليه ضرورات حيوية ذات صلة خطيرة جـدا باقتصاديات الشعوب ورفاهيتها ، فقـد قلنا ان الاراضى الزراعية الافريقية رغم عظمتها تحتـاج الى جهود بشرية متواصلة على الاقل لتهيئـة الارض واعدادها للزراعة ولا يمكننا ان نتصور أن تستغل هذه الاراضى الواسعة وتستصلح بالفأس والمحراث وغيرها من الوسائل البدائية وخصوصا فى مناطق افريقيـا الاستوائية والمناطق شديدة الحرارة ، فالظروف الطبيعية هناك تحتم وجود جهود بشرية دائمة متواصلة تسهر على الزراعة وتحميها من الحشـائش الضارة التى تنمو دواما مهما بذل من جهد فى اقتلاعها ووقاية النباتات منها .

وعلى هذه الدول الجديدة أن تضع فورا بذور النظام التعاونى الزراعى ، ومهما قيل عن هذه الجمعيات التعاونية الزراعية من الوجهة النظرية فخدمتها للبنيان الاقتصادى لا تقدر بثمن وخصوصا فى الدول النامية حديثـا ، لا يمكننا أن نتصور أن يلعب التعاون دورا خطيرا فى الاقتصـاد الزراعى لدول ناميـة كالسويد والدانمرك والولايات المتحدة وغيرها من دول أوربا وامريكا ، ولا تسعى افريقيـا فورا لخلق هذا النظام .

((حسن أحمد أغا))

المقاومة السلبية فى جنوب افريقية

بقلم طلعت ابراهيم

ذهب « غاندى » الى جنوب افريقيا بوصفه محاميا ليترافع فى احدى القضايا ، وهنـــاك لاقى المعـاملة المهينـة التى يلقـاها العامل الهندى ، فأحس « غاندى » معنى الاضطهاد اللونى ، وعاهد نفسه على أن يكرس جزءا من حياته للدفاع عن الهنود فى جنوب افريقيا .

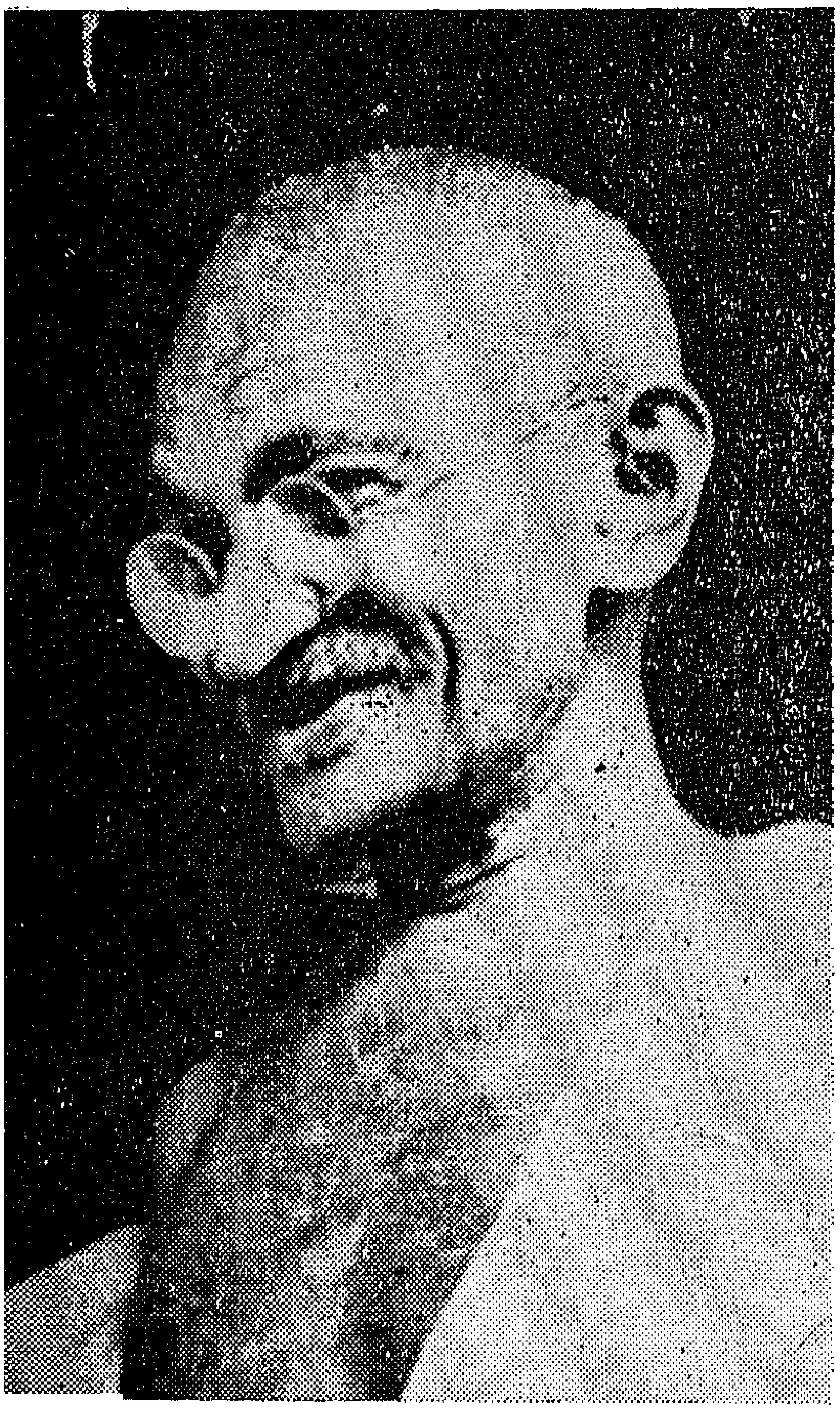
والملاحظ أن معاملة الهنود بصفة خاصـة والاسيويين بصفة عامة فى جنوب افريقيـــا أسوأ منها فى الجهات الاخرى من القـــارة ، اذ تختلف المعاملة ــ الى حد بعيد ــ تبعـا للعروض الجغرافية ، فكلما اتجهنا جنوبا فى افريقيا تكون المعاملة أشد قسوة وأكثر حدة ، بينما لا تقوم العقبـات الاقتصـــادية أمام الاسيويين فى نياسالاند ، نجد أن الهندى فى روديسيا الجنوبية لا يستطيع شراء المشروبات الروحية دون اذن خاص ، وفى دار السلام يمكن للمحامى الهندى ــ على سبيل المثـال ــ أن يمارس الرياضة مع الاوربيين دون أن يشاركهم مجالس الشراب ، أما فى جنوب افريقيا فقد استبعد الاســيويون لفترة طويلة من قوائم الانتخاب وطردوا تدريجيا من الخدمة المدنية ونبذوا كما نبذ الافريقيون وغير الاوربيين .

وازاء ذلك اتخذ « غاندى » من المقـــاومة السلبية وسيلة سلمية لا تتسم بالعنف للتعبير عن استنكار القوانين الظالمة ، ولمحاولة تغيير الاوضاع العنصرية القائمة ، وقد اتخذت هذه المقاومة السلبية مظهرين ، هما :

عدم التعاون

والعصيان المدنى

ويفضـــل بعض الهنود أن يطلقـــوا على السـياسة السلمية التى اتبعها « غاندى » اسم « ســـاتياجراها » Satyagraha ويعتقدون أن ثمة فارقا جوهريا بينها وبين المقاومة السلبية . فالمقاومة السلبية فى رأى معتنقى « الساتيا جراها » لا يوجد فيها مجال



« غاندى »

لعاطفة ، بينما لا مكان للكراهية فى « الساتيا جراها » لانها القوة الروحية النقية البسيطة وبينما يجوز استخدام الاسلحة فى المقـــاومة السلبية اذا ما سنحت الفرصـة المناسبة ، لا يصح استعمال القوة فى « الساتيا جراها » حتى ولو كانت الظروف مواتية لذلك ، وقد اعتقـد « غاندى » أن عدم استخدام العنف ــ هو فى ذاته ــ تعبير عن القوة ، وأن العنف خطيئة مهما كانت الظروف ، ولذلك اعتمدت

السأتيا جزاها على السمو الروحي ، وتفوق قوة الروح على قوة الجسد .

دور الهنود في المقاومة :

عند ما منع برلمان اتحاد جنوب افريقيــا انتقال الهنود من ولاية الى أخرى ، وحرمهم من التراخيص التجارية ، سعى « غاندى » لمباحثة « سنفسنطس » ـ زعيم الحزب المتحد الاسبق ـ في السنوات الاولى من القرن العشرين للنظر في شئون الهند ، ولما لم تثمر تلك المباحثات، ناشد « غاندى » أنصـــاره أن يمتنعوا عن تنفيذ قانون الهجرة الذى صدر فى الكيب عام ١٩٠٦ الذى يحرم على الاسيويين الذكور ممن تزيد أعمـــارهم على ســـتة عشر عاما دخول الكيب وحرم على الهنود حق الانتخاب ، فكان ذلك ايذانا ببدء العصيان المدنى .

واخذ « غاندى » يحث الهنود للتغلب على الانقسامات الطائفية والدينية ، وينصحهم بأن يكونوا أمناء فى معـــاملاتهم التجارية ، وأن يدافعوا عن حقهم بالوسائل السلمية ، وقد صادف كلام « غاندى » صدى بعيدا فى نفوس الهنود .

وعند ما صدر فى ناتال عام ١٩٠٨ التشريع الذى يحـــد من استخراج تراخيص التجارة للهنود زادت المشكلة تعقيدا ، واستمر الصراع بين « سمطس » و « غاندى » ، وصمم « سمطس » على أن يظل البـــاب مغلقا أمام هجرة الاسيويين ، بينما كان جهاد « غاندى » من أجل اباحة الدخول لهذه العناصر ومنحهم حقوقا مدنيـــة كاملة على أساس المســاواة بالاوربيين .

وفى عام ١٩١٣ عبر « غاندى » ونحو ٢٫٧٠٠ هندى حدود ولاية « ناتال » سيرا على الاقدام حتى وصلوا الى ولاية « الترانسفال » تحديا لقانون حظر الانتقال عبر الولايات ، وعندئذ ألقى القبض على « غاندى » ورفاقه وأودعوا السجون ، وعند ما غادروها عملوا مرة أخرى على تنمية روح المقاومة السلبية .

وأقام « غاندى مؤتمر ناتال الهنـــدى ، وجمعية « ناتال » الهندية لتعليم الفقراء من الهنـــود ، وطلب الى الهنـــود ازالة الاكواخ القـــذرة والسعى للظهور بمظهر لا يحط من مكانتهم حتى لا يجد الاوربيون مبررا للتمييز العنصرى .

وعند ما عاد « غاندى » الى الهند توقفت حركة المقاومة السلبية كوسيلة من وســـائل المقاومة فى جنوب افريقيا منذ بداية الحرب العالمية الاولى حتى نهاية الحرب العالميـــة الثانية ، فلم تحدث حملات للمقاومة السلبية طوال هذه الفترة ، ولم تعد المقاومة السلبية مرة ثانية الا فى عام ١٩٤٦ .

المقاومة المشتركة :

بدأ التقـــارب بين حزب المؤتمر الوطنى الافريقى وحزب المؤتمر الهنـــدى منذ عام ١٩٤٦، وفى عام ١٩٤٧ قام الافريقيون بمناهضة المقترحات التى وضعت لتحديد عدد ممثليهم فى مجلس النواب ، كما قام الهنود باحـدى حملات المقاومة السلبية احتجاجا على قانون حيازة الارض والتمثيل النيابى ، وقد اعتقلت السلطات فى هذه الفترة حوالى ٢٫٠٠٠ هندى قبل أن يصل الحزب الوطنى ـ الذى طبق سياسة العزل Apartheid ـ للحكم فى عام ١٩٤٨ .

واتفق حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى عام ١٩٤٩ على سياسة عدم التعاون مع الحكومة ومقاطعة المجالس الاستشارية وجلسات مجلس النواب ، ولاحظت حكومة الحزب الوطنى أن هناك وعيا سياسيا متطورا بين العناصر غير البيضاء ، وقد زاد فى هذا الوعى ســـياسة العزل التى برهنت على أن الرجل الابيض لن يرضى طائعا بالوقوف مع غير البيض على قدم المساواة فى مجتمع عام ، وأثبت ذلك أن الحرية لا يمكن أن تتحقق الا بالكفاح .

وفى عام ١٩٥٠ قامت ثلاث مظاهرات ضخمة كانت الاولى من أجل « حرية الخطابة » وقد نادى لهـــذه المظاهرة فى « جوهانسبرج » الوطنى الافريقى ، أما الثانية فتعرف « بيوم مايو » أو « يوم الحرية » الدكتور « جيمس موروكا » زعيم حزب المؤتمر الذى اشترك فيه الافريقيون والهنود الملونون فتعطلت الاعمـــال وأضرب تلاميذ المدارس . وفى هذا اليوم لحقت المتظاهرين خســـائر فى الارواح . وكانت المظاهرة الثالثة يوم ٢٦ يونيو ١٩٥٠ ودعا لها الدكتـــور « موروكا » والتى أطلق عليـــها « يوم الاحتجاج الوطنى » على قانون الاراضى والقانون رقم ٤٤ لعام ١٩٥٠ الخاص باخماد الحركات الشيوعية والذى استطاعت السلطات

فى جنوب افريقيـــا أن تعتقل الآلاف من المتظاهرين استنادا اليه ، وقد اعتبر هـــذا اليوم حدادا من أجل الافريقيين الذين قضوا فى سبيل الحرية .

وقد أدت حدة الصراع وعنف حكومة الاتحاد فى تطبيق سياسة العزل ، الى تشكيل جبهة متحدة غير بيضاء من الحزب الوطنى الافريقى وحزب المؤتمر الهندى وعنصر الملونين — وهو خليط من الاوربيين وعناصر افريقية — وكان ذلك فى مجلس مشترك عقد فى شهر يوليـــو عام ١٩٥١ ، وانتهى الى ايجاد نوع من التعاون والتنظيم من أجل حملة ضخمة لمعارضـــة قوانين المرور وقوانين ســـلطات البـــانتو ، والتمثيل المنفصل فى قانون الانتخاب الذى ينص على استبعاد الناخبين الملونين من قائمة الانتخابات العامة وتخصيص قائمة منفصلة لهم كما أوصى المجلس المشترك بأنه يجب أن يتخذ الصراع مظهر التحدى للقوانين الجائرة التى تتنافى مع الحقوق الطبيعية للانسان ، واقترح المجلس ثلاث مراحل للتحدى هى :

أولا — ذهاب بعض الاشخاص المختارين والمدربين على المقاومة الى المدن الكبرى مثل « جوهانســـبرج » و « مدينـــة الكيب « بلومفـــونتين » و « بورت اليزابيث » « ديربان » .

ثانيا : زيادة عدد كتائب المتطوعين ومراكز العمليات .

ثالثا : تحركات جماهيرية تشمل الريف والمدن .

ثم اتفق على اختيار يوم ٦ ابريل و٢٦ يونيو عام ١٩٥٢ لبدء الصراع فى مناطق متعـــددة من اتحاد جنوب افريقيا ، وقد اختير يوم ٦ أبريل لانه اليـــوم الذى عينه المستوطنون البيض للاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على رسو « جان ريبيك » فى الكيب — وهى ذكرى بدء الاستيطان الاستعمارى فى جنوب أفريقيا ، أما يوم ٢٦ يونيو فكان اختيـــاره احياء لذكرى « يوم الاحتجاج الوطنى » الذى اعتبره الافريقيـــون احدى الخطـــوات الرئيسية فى طريق الحرية ونقطة التحول الكبرى فى تاريخ جنوب افريقيا ، وهو اليوم الذى وصفه « موروكا » بأنه اليوم الذى شهد أضخم مظاهرة للتضامن الاخوى ووحدة الهدف بين العناصر غير الاوربية .

وعند ما حل يوم ٢٦ يونيـــو عام ١٩٥٢ نظمت جموع المقـــاومين وفقا لتخطيط حركة المقاومة وتحت اشراف قادة مدربين ، وبدأت حـــركة عصيان مدنى كبيرة اتخـــذت مظاهـــر شتى .

وفى أشهر أغسطس وسبتمبر واكتوبر من عام ١٩٥٢ بلغت المقاومة السلبية ذروتها .

مراكز المقاومة فى الولايات الاربع

نمت حركة المقـــاومة السلبية وتطـــورت أساسا فى المناطق المدنية ، وكان ذلك طبقا لما أوصى به قادة الحركة ، فكانت منطقة « وت وترزراند » و « بورت اليزابيث » البادئتين بالحملة ، ثم تبعتهما بعد ذلك مدن جنـــوب افريقيا الرئيسية . وقد لوحظ اختلاف فى المشاركة فى حملات المقاومة من اقليم الى آخر ، فقد كانت أنشط مراكز المقاومة فى ولايتى « ناتال » و « أورنج الحرة » هما مدينتا « ديربان » و « بلومفونتين » ، فقد أسهمت كل منهما بنصيب من المقـــاومة ، أما منطقة الكيب الغربيـــة فكانت أقل مناطق جنوب افريقيا تجاوبا مع حركة المقـــاومة ، وعلى النقيض من ذلك كانت منطقة الكيب الشرقى — وتضم من مدن الموانى الرئيســـية ايست لندن وبورت اليزابيث — التى عاونت معاونة أساسية ، ويتضح ذلك من الارقام الاتية التى تبين التوزيع الاقليمى للمقاومين عام ١٩٥٢ :

الكيب الشرقى	٥٫٧١٩
الكيب الغربى ، ومافكنج ، وكمبرلى	٤٢٣
الترانســـفال	١٫٩١١
ناتال	٢٤٦
الولايات الحرة	٢٥٨

ولم يعرف تماما سبب هـــذا التباين فى التجاوب مع حركة المقاومة ، فالواضح أن تجاوب « ناتال » مع حركة المقاومة منخفض للغاية اذا ما قورن بحركة المقاومة التى قام بها الهنود عام ١٩٤٦ ، وقد أرجع البعض ذلك الى القوانين التى أصدرتها حكومة الاتحاد ، والتى تجيز استرداد الحقوق التى كانت قد منحت للهنود ، والتى تحرمهم من اســـتدعاء أقاربهم من الهنـــد للاقامة معهم فى جنـــوب افريقيا .

أما الكيب الغربى فتعزى قلة نشـــاطه فى المقاومة الى حاجة الافريقيين فى هذا الاقليم الى التنظيم ، والى جمـــود الملونين الذين يتركزون فى هذه المنطقة والذين كانوا يخشون من الاتحاد مع عناصر أخرى غير بيضاء .

أما الاختلاف فى المشـــاركة والتجاوب مع حملات المقاومة السلبية فى اقليم الكيب الشرقى وهو أكثر الاقاليم ريفية فى جنوب افريقيـــا ــ وليس الترانسفال الصناعى ــ فيرجع ذلك الى الفترة الطويلة التى احتك فيها الافريقيون بالاوروبيين، ونشاط الاتحادات التجارية وردود الفعل الشـــديدة بسبب ســـياسة العزل ، وممارسة الحقوق الصغيرة فى الكيب الشرقى قلب حركة المقاومة .

صدى المقاومة عند البيض :

كانت حكومة وصحف الافريكانيين تتمسك بموقف ثابت خلال حملات المقاومة السلبية ، وعنـــد بحث مطالب حزب المؤتمر الوطنى الافريقى ، وضع الاوربى سياسة العزل نصب عينيه باعتبارها سياسة مقدسة ، وانه لا يمكن التعاون مع الافريقيين الا فى حدودها فقط ، وأن تحريض البانتو لتحدى القوانين العنصرية يعتبر هدما لمبادىء الحكومة البيضاء وقلبـــا للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحجة وجود اختلافات فى النظم الاجتماعية ، ومن هنا كان استخدام البيض لكامل قواهم وقسوتهم لقمع الاضطرابات ومعاقبة البـــادئين بالمقاومة .

من السلبية الى الايجابية :

أصبح الافريقى اليـــوم الدعامة التى يقوم عليها الاقتصاد فى جنوب افريقيا ، والحقيقة التى لا مناص للاوربى من قبولها ، هو أن الافريقى قد تيقظ ، وانه لن يتراجع عن المضى فى المطالبة بحريته ، هذا فى الوقت الذى يرى الاوربى أن الافريقى ما هو الا آلة أو أداة خلقت لخدمته ، ولذلك عمل على أن يبقى الافريقى فى مكانه والقضاء على كل ما من شـــأنه أن ينهض به ، حتى لا يخلق عنـــد الافريقى وعيا اجتماعيا يثير فى نفسه حاجات جديدة لتحقيق أهداف مادية وروحية .

واذا كانت بداية القرن العشرين قد شهدت نشأة المقاومة السلبية على يد غاندى ، فقد اتخذت هذه المقاومة مظاهر ونتائج ايجابية فى منتصف هذا القرن أو منـــد انتهاء الحرب العالمية الثانية على وجه التحديد ــ كما سبق أن قدمنا ــ فقـــد أبرزت المشكلة العنصرية فى المحيط الدولى منذ قيام هيئة الامم المتحدة وخاصة عند ما قامت أكثر حركات المقـــاومة عنفا التى تمثلت فى الثورة الافريقية الشاملة فى اتحاد جنوب افريقيا يوم ٢١ مارس عام ١٩٦٠ ضد القوانين العنصرية لا سيما قانون جوازات المرور والاجور المنخفضـــة ، وراح ضحية هذه الثورة عدد كبير من الافريقيين ، وأثيرت المسألة فى الامم المتحدة ، وصدر قرار مجلس الامن فى أول أبريل من عام ١٩٦٠ بادانة حكومة الاتحـــاد التى هددت بالانسحاب من المنظمة العالمية على اعتبار أن هذه المشكلة من المسائل الداخليـــة التى لا يجوز للامم المتحدة أن تتعرض لها ، ولكن حكومة الاتحاد أدينت على أســـاس أنها تتخذ من التفرقة العنصرية دستورا لها ، مما يناقض التزاماتها كعضو فى هيئة الامم يرتبط بالتزامات أهمها احترام الحقوق الانسانية .

ومنذ ثورة مارس ســـنة ١٩٦٠ قد بدأ « فيرفورد » ــ رئيس وزراء جنوب افريقيا ــ يعمـــل على تطبيق مشروع البانتوستان الذى يرمى الى تخصيص المناطق الفقيرة ــ التى يعزف الاوربيون عن سكناها ــ للبانتو .

وفى مارس عام ١٩٦١ أجبر « فيرفورد » على الانسحاب من الكومنولث البريطانى ، تحت ضغط أعضاء الكومنولث من الدول الافريقية والاسيوية .

ومع بداية شهر مارس من هذا العـــام ، حملت الينا وكالات الانباء خبر وقوع انفجارات عنيفة فى اكبر مصنع للديناميت فى العـــالم وكان هذا المصنع فى جنوب افريقيـــا بالقرب من جوهانسبرج ، ولم تستبعد وكالات الانباء أن يكون الحادث من فعـــل الوطنيين الذين ضاعفوا نشاطهم خلال الثمانية عشر شـــهرا الماضية ضد الحكم الارهابى للبيض ، ومن غير المستبعد كذلك أن يكون هذا الانفجار ايذانا بانفجار ثورى جديد وشيك الحدوث ، وأن ســـلاح الافريقيين قد غيره منطق الاحداث وحتمية الكفاح من السلبية الى الايجابية .

الرجل الأبيض

بقلم : چوستاف ماهودا

عرض وتلخيص العميد أ . ح .
محمد عبد الفتاح ابراهيم

صـــدر الكتاب عن ((معهـد العــلاقات بين الاجناس)) وطبعته ونشرته مطبعة جامعة اوكسفورد فى فجر سنة ١٩٦١ ، والمعهد مؤسسة غير حكومية وهيئة غير سياسية ، انشئت سنة ١٩٥٨ لتشجيع وتسهيل دراسة العلاقات بين الاجناس ، والآراء التى ترد فى البحوث والدراسات التى يصدرها المعهد لا تعبر الا عن آراء كاتبيها .

وقد أصدر المعهد قبل هذا الكتاب خمسة كتب ، منها اثنــان عن جنوب افريقية لهما أهميتهما فأحدهما عن ((وجهات نظر فى التطور الانفصالى)) وثانيهما عن : ((جنوب أفريقية والرأى العام العالمى)) ، وكتاب عن كينيا : ((عوامل التوتر للتقدم)) من قلم سوزان وود وكتاب عن المهاجرين الملونين فى بريطانيا وآخر الكتب الخمسة عن ((الانسان والجنس وداروين)) ، وتدلنــا هـــذه المجموعة من المؤلفات على اتجاهات المعهـــد واتجاهات القائمين بالامر فيه .

أما المؤلف الدكتـــور جاهودا فقــد ترك ســاحل الذهب ((غانة)) حيث كان يعمل بالتـدريس ليتولى مركـز المحـاضر الاول فى قسم السيكلوجية الاجتماعيـــة بجامعة جلاسجو .

والكتاب عبارة عن حصيلة الدراسات التى تمت فى الارض التى كانت فيما قبل ((ساحل الذهب)) طوال السنوات من ١٩٥٢ الى ١٩٥٦ ، الفترة التى كانت تتولى الامر فيها حكومة افريقية وان كانت البلاد لم تكن قد حققت استقلالها كاملا بعد .

كيف عالج الرجل موضوعه :

وقد عالج الرجل موضــوعه من الناحية الموضوعية معالجة طيبة ، فهو قد قسم بحثه التقسيم الصحيح الذى يجب أن يجرى فيه بحث مثل هذا ، بدأ بمجمل تاريخى كقاعدة للبحث ثم ناقش النقاط التى اعتبرها عمد موضوعه ناقشها من وجهـــات نظر صــغار السن فى المدارس الاولية ومادونهـــا ، وفى المدارس الثانوية ، وعاد فناقشها من وجهة نظر الكبار البالغين ، وعرض للملاحظـــات الشخصية وللاصول التـــاريخية للمؤثرات المعاصرة ، وانتهى بردود الفعل السيكلوجية

وفى ضوء هذا التخطيط الذى اجملته لك قسم الكاتب كتابه الى ثمانية اقسام :

● **الاوروبيون فى ساحل الذهب :**

المجمل التاريخى للاستعمار منذ الاتصال الاول بتجارة الرقيق طوال القرون من الخامس عشر الى الثامن عشر ، التسلل التبشيرى فى القرن التاسع عشر ، مدة الحكم المباشر فى خمس واربعين سنة بين ١٩٠١ و ١٩٤٥ ، ثم السير الى الاستقلال فى اثنتى عشرة سنة بين ١٩٤٦ و ١٩٥٧ .

● **الاوروبيون فى أعين الاطفال والمراهقين فى المدارس الاوليـة والاعدادية والثـانوية الاتصالات الشخصية بالاوروبيين وتأثير كبار السن فى توجيه تأثير هذه الاتصالات ، فيم يختلف الافريقيون والاوروبيون ، بما يفضل الافريقيون الاوروبيين وبماذا يفضل الاخيرون**

الاولين ، المقارنة بين الاوروبيين والافريقيين واتجاهاتهم بالنسبة لمسائل معينة ، كالمعرفة والذكاء والعادات والمعتقدات ، والكرم للضيافة ، والاثره أو حب النفس ، والتعاون والمواظبة والسلوك الحسن .

●● النظرة العميقة للبالغين

الاتصالات بالأوروبيين ، المنافع والمضار للاوروبيين والناجمة عنهم ، ماذا يظنون بمشاعر الاوروبيين نحوهم ، المعارضة لتقدم الافريقيين ، مشاعر التفرقة العنصرية ، عدم كفاية الاوروبيين وعدم امانتهم ، التنازع المهنى ، دور الاوروبيين ومصادر الاحتكاك والتنازع

● ملاحظات شخصية ..
التقدير والاتجاهات ، الكراهية والاعتداء .

● الاصول التاريخية والمؤثرات المعاصرة
الايديولوجيات ، الكتابات القومية ، الموقف المعاصر .

● ردود الفعل السيكلوجية ..
الطابع الاستقلالى ، مركبات النقص ، بعض طوابع رد الفعل .

ما يقول المؤلف

والواقع – كما قلت – أن الكتاب يمكن أن يكون دراسة للانثروبولوجية الاجتماعية من زاوية محددة فى قطاع من مجتمع ، ولكن لايجوز ترك هذا التعريف مبهما ، فالزاوية المحددة هى تقدير وجهة النظر فى الاوروبيين والكشف عن مشاعر جمهرة الناس فى شعب معين تجاههم ، أما القطاع فهو قطاع رأسى لا افقى ، لان المؤلف أجرى بحثه فى نطاق المتعلمين على اختلاف درجات الثقافة من المدارس الاولية الى المدارس الثانوية ثم خريج الى كبار السن ممن أكملوا هذه الدراسات أو بعضها ، فالقطاع اذن كان قطاعا رأسيا على خلاف ما جرت به العادة من اجراء مثل هذه البحوث فى قطاع أفقى كأن يشمل سكان حى أو مدينة حضرية أو منطقة ريفية ، فيجيء فى هذا القطاع الافقى متعلمون وغير متعلمين ، وعمال ورجال اعمال ، ورجال ونساء وفتيان وفتيات .

وهذه الحقائق يجب أن توضع موضع التقدير لنحكم على نتائج البحث ومدى الثقة فيما انتهى اليه المؤلف من نتائج .

بدأ الرجل بنزول البرتغاليين بأرض « ساحل الذهب » (غانة) سنة ١٤٧١ ومنذ ذلك التاريخ عرفت البلاد اتصالا مستمرا بالاوروبيين من مختلف الامم ، استهدف البرتغاليون الحصول على التبر وانشأوا القلاع ولكنهم لم يحققوا نجاحا فلم يستطيعوا احتكار التجارة وجاء الهولنديون وكل بغيتهم الرقيق ومع أنهم طردوا البرتغاليين سنة ١٦٤٢ الا أن الانجليز كانوا قد حصلوا على موضع قدم سنة ١٦٣١ ، وجاء السويديون والدانماركيون ولكن الانجليز زادوا من تثبيت اقدامهم فى نهاية القرن السابع عشر وفى منتصف القرن الثامن عشر كانوا يسيطرون على كل القلاع التى على الساحل مع قليل من السيطرة للهولنديين والدانيماركيين وكان افريقيو الساحل قد قنعوا بالوساطة بين مراكز التجارة الاوروبية وداخلية البلاد ، وحصل كثير منهم على ثروات طائلة .

وتزوج بعض الاوروبيين الذين يعيشون على الساحل بزوجات افريقيات ، وبدأ اطفال هذه الزيجات يتعلمون فى المدارس داخل المراكز التجارية ، وأرسل بعض الاوروبيين أولادهم ليتعلموا فى معاهد أوروبا وفعل بعض الافريقيين هذا ، وفى سنة ١٧٨٨ كان فى أوروبا خمسون طالبا نصف دمائهم من أفريقية .

وقامت الحروب بين الانجليز وبين الاشانطى من سنة ١٨٠٦ فتعطلت التجارة ، وفى سنة ١٨٠٨ بدأ الانجليز يعملون فى مكافحة تجارة الرقيق كما ضايقوا افريقى الساحل الذين كانوا يكسبون الكثير من هذه التجارة وبخاصة الاشانطى الذين لم يستطيعوا بيع ما فى حوزتهم من الرقيق .

على أن بريطانيا لم تلبث أن سحبت جنودها وموظفيها وتركت لشركة تجارية مسئولية حراسة القلاع والسهر على المصالح التجارية واستطاعت الشركة أن تمد نفوذها للداخل ، ومع ان لجنة برلمانية قد وافقت على كل اجراءات الشركة الا أن كل هذه التدابير من

جانب الشركة لم تكن تستند الى قانون وأوصت اللجنة بأن تعيد الحكومة جنودها الى القلاع الساحلية ، وأن تمنح الشركة معونة مالية للادارة .

وجاءت فترة بين ١٨٤٣ — ١٨٥٠ وجهت فيه كل الجهود لعقد المعاهدات مع الحكام الافريقيين مما أعطى لبريطانيا حق التدخل ، ولكنها (الحكومة البريطانية) عادت سنة ١٨٦٥ تفكر فى الانسحاب الا ان الذى حال دون هذا ، ارتباط بريطانيا ببعض الحكام الافريقيين وشعورها بمسئوليتها نحو التجار الانجليز ، ثم كانت حرب أخرى ضد الاشانطى سنة ١٨٧٣ ، ودخل البريطانيون « كوماسى » ودمروها ، وفى سنة ١٩٠١ أعلن اعتبار ساحل الذهب بما فيها أرض الاشانطى مستعمرة انجليزية ، وبدأت مرحلة الحكم غير المباشر التى استمرت لخمس وأربعين سنة حتى سنة ١٨٤٥ ، والحكم غير المباشر معناه تولى الامر بوساطة الزعماء الافريقيين مع مجلس تشريعى (١٩١٦) وسلطات دستورية (١٩٢٥) ومع مضاعفة عدد الاعضاء الافريقيين (١٩٣٩) .

وفى سنة ١٩٤٤ فى ضوء سيطرة فكرة (الافريقيون المتحضرون بحضارة غربية) بدأت دراسة منح البلاد الحكم الذاتى ، وبدأ هذا سنة ١٩٤٦ ، ثم كان انشاء حزب الشعب التعهدى سنة ١٩٤٩ برياسة الدكتور نكروما وصدر دستور جديد سنة ١٩٥١ ، وعدل سنة ١٩٥٤ وانتهت هذه الرحلة للطريق الى الاستقلال يوم ٦ مارس من سنة ١٩٥٧ باعلان استقلال « ساحل الذهب » الذى اتخذ اسم « غانة » .

* * *

وقد لا تعنينا الاجابات التى حصل عليها المؤلف للاسئلة التى وضعها أساسا لبحثه ، أو بمعنى أدق « للجانب العملى » من البحث لو جاز لنا أن نستخدم الاصطلاح المتعارف عليه فى دراسات الانثروبولوجية الاجتماعية أو حتى دراسات « المسح الاجتماعى » فعلى سبيل المثال كان ثلاثة أرباع الذين نوقشوا من الصغار قصدوا الفرق بين الاوروبيين والافريقيين على (لون البشرة) ، أو أن الاوروبيين يتكلمون « الانجليزية » والافريقيين يتكلمون لغة غير الانجليزية أو أن الاوروبيين نظيفون أو أن الافريقيين يقضون حاجتهم فى أى مكان من المدينة على حين يقضيها الاوروبيون سرا وخلسة ، لايعنينا هذا بقدر ما يعنينا مثل القول بأن الافريقى كريم مضياف وأن الاوروبى متحفظ عن الناس وان الاوروبيين كسالى يريدون أن يعمل الافريقيون بدلهم فى كل شيء ، وهنا يدور المؤلف حول أن الاوروبيين قد جاءوا الى البلاد ، بالتعليم والمدنية والتطور ، ورفع مستوى المعيشة والخدمات الصحية ووسائل النقل والمواصلات ، والتبشير للمسيحية ، وبنظام الحكومة الجيد ، ثم بمختلف البضائع المصنوعة ، وكان نصيب التعليم بين ٤٠ ٪ و ٧٠ ٪ من الاصوات وكان نصيب « الصحة » بين ٢٧ و ٣٧ ٪ من الاصوات ونال الدين ٣٨ ٪ بين أصوات الاطفال و ١٨ ٪ بين الصبيان و ٩ ٪ بين الفتيان على ما يوضح الجدول البيانى « ص ٤٩ من الكتاب » .

ولكن فى مقابل هذا جاء الاوروبيون بالبغاء والخمر والقمار والفساد وسببوا فقدان العادات والتقاليد القومية والتشرد والرشوة وانعدام الامانة والتطلع الى الملذات ، والغريب أن يقف المؤلف فى جدوله البيانى صفحة ٥١ بكل هذه الشرور بين ٠ ٪ و ٣٠ ٪ من الاصوات وكأنه يكمل جدوله البيانى السابق الذى زعم أنه حوى ٧٠ ٪ من الاصوات .

وقد كشف المؤلف عند ما انتقل الى آراء البالغين الى أن الاوروبى ينظر الى الافريقى نظرة مليئة بالتعالى فلا يعتقد أنه يساويه مكانة ولا يحترمه ، ويعامله كطفل ، ويظنونه أبلها لانه لا يسبهم ، ويظن أن الافريقى من طابع أقل وأردأ وانه لم يؤت حظا من الذكاء وانه لا يستطيع التفكير ، ويود أن يبقى الافريقى على حاله ليخدمه وانه لا يصلح الا لخدمة مصالح رأس المال الاجنبى وأن يبقى فقيرا ليظل فى حاجة الى الاوروبى .

على أن المؤلف عند ما عرض للتفرقة العنصرية عرض المناقشات التى دارت فى المجلس

التشريعى ، وكيف أن أحد أعضـــاء المجلس عند ما زار أحد المقاصف الانجليزية فى بلدة « تيما » أمر بالخروج فلا مكان فيها لافريقى ، من الضرورى القتال ضد هذه الســياسة ولايجوز أن توجد الحكومة فردوسا للانفصاليين دعاة التفرقة ولسنا على استعداد لان تكون فى هذه البلاد « جنوب افريقية أخرى » .

« واذا ما حكم على أوروبى بسجن أعد له فراش وأرسل اليــه الطعام الجيد وحتى لو طلب دجاجة جاءوه بها . »

« والشىء المحزن أن العائمة على النهر تغلق فى الثالثة مساء يوم السبت ولا يسمح بالعبور الا للاوروبيين » .

« ان الرجال الذين يتولون وزارة التعليم يضعون موضع التنفيذ اجراءات صدرت منذ عشرين أو خمس وعشرين سنة ، وقد لا يلام هؤلاء الناس لانه لم يوفر لهم الوقت لرؤية نتائج تخطيطهم ذلك لانهم يجلسون فى دورهم فى ظلال الخمائل يحتسون الخمر فى الوقت الذى يتســكع فيه أطفــالنا الافريقيون فى الطرقات » .

« ان الطلاب فى بريطانيا يشــكون لانهم صعقوا عند ما شهدوا فى حفل عام فيلما وسم بعنوان « هنا ساحل الذهب » فقد كان الفيلم يقدم صورا من أطراف البلاد لاناس عرايا ، فهل لى أن أسأل مكتب الاستعلامات البريطانى هنا كم من الافلام عرضت فى أكرا تصــور الاحياء الفقيرة فى مانشستر أو ليفربول ، انى أوجه نظر وزير الداخلية الى أن ما هو جيد للرجل الاوروبى هو جيد أيضــا للرجل الافريقى » .

وهكذا يســير الرجل فى باقى صفحات كتابه فى تقديرى لانه لم يضع نصب عينيه من البداية أن يفكر فى علاج سواء أقصد أن يقصر بحثه على دراسة الاتجاهات بالنسبة للرجل الابيض ومستقبله فى غانة أو أنه قد أراد فعلا أن يخرج من التخصيص الى التعميم ويبحث هذه الاتجاهات بالنســبة لافريقيا كلها ..

ان افريقية قد خطت ولا أقول أنها تخطو نحو السير قدما للامام ، وأهلوها على اختلاف ألوان بشراتهم وتباين سماتهم وتعدد الاصول التى جاءوا منها ويتوزعون اليها بين حاميين وساميين وزنوج وبانتو ونيلوتيين ، أو عشرات الاقسام الصغرى التى تمتزج فيها هذه الدماء بتلك ، أهلوها على تعدد هذه الاختــلافات يتطلعون اليــوم الى ما وراء الافق وانهم لواصلون الى الافق ، يهدفون الى تجاوز هذا الافق ، ولا شك أن القرن القــادم هو قرن افريقية والافريقيين ومن ثم كان من الضرورى أن يفكر الرجل فى العلاج على مثال ما تنتهى دراسات « المسح الاجتماعى » ودراســات « الانثروبولوجيا الاجتماعية » لتقديم العلاج للمشكلات ، ولكن الرجل قصر بحثه على عرض آراء ، ومهما كانت النتائج التى أجملها فى الصفحات من ١٣٧ الى ١٤٢ من كتابه ، فانها لا تدل على شىء ولا يمكن للقارىء أن يفقــد الوقت ويجهد الذهن فى التطلع الى أرقام تدل على نسبة مئوية لاجابات ، وهكذا يصــل القارىء بعد مرحلة مجهدة من المطالعة ليخرج بما بدأ به المطالعة من فكرة أن الافريقى يعرف أن الاوروبى ينظر اليه نظرة تعالى وكبرياء وأنه يظنه أقل منــه درجة ومكانا وعلما وأن الافريقى يعــرف بأن الاوروبى اذا كان قد جاءه ببعض النفــع فانه قد جاءه ببعض الضــارة وأنها حضارة أسوأ أثرا وأعمق تأثيرا لانهــا على الاقل قد حاولت وحققت صرف بعض الافريقيين عن تقاليدهم القومية القديمة وأحلت مكانها ايديولوجيات مبهمة تتبــلون بتلون المعانى للكلمات المستخدمة .

واذا كان الافريقى قد حقق نجاحا فى الكثير من ميادين العلم والمعرفة فان هذا جاء نتيجة جهده وجهاده ، وهو عالم بمواطن القــوة والضعف فيه .

ولم يكن فى حاجة لكتاب جوستاف جاهودا ليعرف هذا .

محمد عبد الفتاح ابراهيم

عميد أركان الحرب

البرتغال في إفريقية



بقلم : جيمس دفي عرض وتلخيص محمد الخولي

مؤلف هذا الكتاب هو جيمس دفي (James Duffy) أحد الكتاب القلائل المهتمين بشئون مستعمرات البرتغال في أفريقيا وهو أمريكي الجنسية تعلم في جامعة كارولينا الشمالية ثم عمل في جواتيمالا دارسا ومدرسا وقد قضى تلك الفترة من حياته يتعمق اللغتين الاسبانية والبرتغالية وآدابهما وقد أتيحت له بين سنة ١٩٥٥ — ١٩٥٦ فرصة زيارة افريقيا حيث تنقل بين المستعمرات البرتغالية في أنجولا وموزمبيق وأكمل هذه الزيارات بزيارة أخرى قام بها للبرتغال نفسها وكان من نتيجة ذلك أن تكاملت لديه الصورة التي كونها عن « **حليفة بريطانيا العتيقة** » كما يطلق على البرتغال ، تلك الشريحة التي تقبع في شبه جزيرة ايبريا وتحتمل داخلها تيارات صراع خفية غامضة ثم هي تتحكم في الوقت ذاته في مصائر ملايين من أبناء مستعمراتها الذين تسومهم كل صنوف الخسف والجور .

والكتاب محاولة توفق أحيانا وأحيانا تفشل — ولكنها محاولة جادة على أية حال — لاماطة اللثام عن غوامض السياسة البرتغالية في المستعمرات فمن المعروف أن من اركان هذه السياسة اسدال ستر الغموض والسرية على هذه البلاد بل على البرتغال نفسها . ولكن هذه السرية لم تعد في الامكان بعد أن اجتاحت القارة الافريقية في الخمسينات وما بعدها تيارات القومية والتحرر وبعد أن برزت الى الوجود الشخصية الافريقية فتبلورت في بلاد مستقلة افريقية القلب والقالب وكان من الطبيعي أن تؤثر هذه التيارات على جنوب القارة حيث يمارس أعتى نظام للتفرقة العنصرية وعلى جنوب غربها وشرقها حيث مستعمرات أنجولا وموزمبيق اللتان تحكمان من لشبونة احدى عواصم الدرجة الثانية في أوربا .

والكتاب مقسم الى ثلاثة أجزاء هي على الترتيب : الماضي ، ومرحلة الانتقال والحاضر ، في الفصل الاول يستعرض المؤلف تاريخ المستعمرات البرتغالية منذ وطئت أرضها أقدام الغزاة الاوربيين في القرن الخامس عشر ويلمح المؤلف الى أن البرتغاليين يعتقدون أن وجودهم في القارة أكثر من خمسمائة عام دليل على حسن سياستهم وقوة شكيمتهم ، بل وحب الافريقيين لهم وهم يتبجحون بعد ذلك بهذا « التراث الاستعماري العظيم » الذى

تكون لديهم طيلة خمسة قرون ويقول (دفى) Duffy فى هذا الصدد : ان بلاغة الساسة البرتغاليين فى منابر الامم المتحدة وفى أروقتها تستقى معينها — حين يكون الحديث عن سياسة الاضطهاد البرتغالية فى القارة — من قيم يدعون انها حددت معالم سياسة البرتغال فى افريقيا منذ القرن الخامس عشر الى القرن العشرين — قيم مثل التسامح العنصرى والجهاد المسيحى والتحمل الانسانى فى أرض قاصية وهم يدعون أن تلك القيم تقدم تفسيرا يجلو معالم الماضى ودرعا يحتمى به الحاضر وأملا يكمن فى طيات المستقبل » .

وفى هذا الفصل كذلك يتتبع المؤلف تاريخ البرتغال نفسها محاولا ربطه بسياستها الاستعمارية .

ويضيف ملاحظة لها قيمتها فى هذا المجال وهى أن البرتغال لم تنعم فى تاريخها بفترة حكم متحرر الا فى أوقات نادرة متباعدة وان البرتغال كانت طيلة قرون مضت عرضة للانقسامات الداخلية والاحزاب ذات النظام الفاشى والحرب الاهلية والغزو الفرنسى والحكم الملكى المطلق أوالجمهورى الديكتاتورى وانعكس أثر هذا كله على المستعمرات البرتغالية فى أفريقيا حيث مارس البرتغاليون سياسة من الاستعلاء والعنجهية والاضطهاد ضد أبناء المستعمرات .

وقد بدأت عملية أول غزو برتغالى لافريقيا فى منتصف عام سنة ١٤١٥ اذ وقفت البرتغال وقتها على حافة مستقبل غريب فى عالم الاستعمار وتجمعت ثمار ثلاثة قرون من التقدم السياسى والدينى والاقتصادى فى قرار أصدره الملك جوا الاول بغزو حصن كيوتا الواقع فى الشمال الافريقى وهنا يستشهد مؤلف كتابنا بملاحظة مؤلف آخر هو بيلى ديفى فى كتابه (مقدمة الامبراطورية) :

« يومها اتخذت البرتغال سبيلها على الدرب المؤدى الى الامبراطورية حيث لاسبيل الى الرجعة ، ولو ارادت ، وهكذا أصبح أمل فى الربح وغزو نفوس البشر وعزل مملكة قشتالة عن العالم — كلها مقرونة بالروح القومى للبرتغاليين » .

وبعد ارتياد الساحل الافريقى قاد الامير هنرى ثالث أبناء جوا اندفاعة البرتغال البحرية التى توجت فى نهاية ذلك القرن برحلة فاسكو دى جاما الاولى الى الهند — وهنرى هذا هو المعروف بالملاح ويحيطه البرتغاليون بهالات التمجيد — كما نلمح ذلك فى أقوال المؤرخ زورارا (Zurara) الذى توفر على تسجيل أعمال الامير هنرى ، وكان الامير مخلصا لعمله جادا فى طبعه صارما فى حياته ، وما زال البرتغاليون فى القرن العشرين — فى عهد سالازار يتشدقون بالدوافع التى كانت وراء رحلات هنرى الملاح — دوافع عملية دنيوية كالتجارة ودوافع مثالية كالتبشير ، وهم يحاولون فى كل هذا تبرير استعمارهم لافريقيا . وكان أن نظمت حكومة الديكتاتور سالازار فى ذروة الهجوم الدبلوماسى الذى وجه للبرتغال عام ١٩٦٠ احتفالات كبيرة فى الذكرى الخمسمائة لوفاة هنرى الملاح حيث جرى التمدح بمآثر هنرى على العلم والانسانية فى آلاف من الخطب والنشرات التى بثوها فى أفريقيا — المستعمرات طبعا — وفى البرتغال والبرازيل وكان الغرض من وراء ذلك كله استخلاص ما يمكن أن نسميه « فلسفة للسلوك » ازاء المناطق المستعمرة فيما وراء البحار من واقع حياة هنرى وأعماله ومقابلة هذه الفلسفة بالواقع حتى تواجه بها البرتغال أزمتها الراهنة ، وقد تحدث الدكتور بريرا مساعد سالازار فى الاحتفال الرسمى بافتتاح المهرجان وبدأ بهذه العبارات :

« اننا نعيش فى عصر نهضة تربطنا بالماضى كما نحاول فى الوقت نفسه أن نندفع الى المستقبل ... ان الوحدة والتضامن التى تربط بين أجزاء الامبراطورية البرتغالية ، لم تكن فى يوم من الايام اقوى ، ولم تلك المشاعر التى تربط بين شعوبنا اكثر توحدا مما هى عليه الان » (!!)

وهنا يضيف مؤلف كتابنا (جيمس دفى) ملاحظة لها أهميتها وهى أنه بعد شهور ستة

فقط من هذا الحـديث عن وحدة وتآلف شعوب « الامبراطورية البرتغاليـة » اندلع لهيب الثورة فى أنجولا !!

وقد اتسم الاستعمار البرتغالى فى أفريقيا منذ بدايته بالطابع الاقتصادى — التجارى البحت اذ يقول المؤلف أن البرتغاليين — على خلاف الاجناس الاوربية الاخرى — لم يحاولوا فرض وصايتهم الحضـارية واللونية على شعوب أفريقيا بل كان معظم همهم ينصرف الى اقامة مراكز تجارية ومحطات محصـنة على حدود البلاد المستعمرة دون محـاولة للتوغل والفتح فى الداخل الا اذا دعت التجارة لذلك وكانوا يلجئون الى عقد محالفـات سياسية وتجارية مع الامراء الافريقيين — أما عن تحويل الوطنيين الى الدين المسيحى فقد كانت جهود البرتغاليين بصددها تتناسب مع مدى قوة حصونهم ومحطاتهم التجـارية المقامة على حدود البلاد .

ولم يتورع البرتغاليون من أى نشـاط تجارى مهما كان نوعه فكان أن مارسوا تجارة الرقيق فى مراكز نفوذهم بغرب القارة فى أرجيـوم وساو جورج وساو تومى وكانت أرجيوم تصدر ألفا من العبيد أو أكثر كل عام الى البرتغال أما فى جزر فردى والسـاحل الذى يواجهها فيما بين السنغال وسيراليون فقد قام البرتغاليون بمحاولة مبكرة لتوطين الاوربيين ومعايشتهم مع الوطنيين فجاء اليها مستوطنون من البرتغال وأسبانيا وجنـوا وجلب الافريقيون ليعملوا فى المزارع من داخل القارة ، وحدث تزاوج عبر القرون بين هذه العناصر مما نتج عنه طائفـة مولدين هى الـ Mulatto وقد درج عهد سالازار على اختيـار بعض رجال السلك الادارى والدبلوماسى من « المولاتو » (أى المخلطين) ليبرهنوا أمام العالم على سياسة عدم التفرقة التى يقولون أنهم يتبعونها فى أفريقيا .

وظلت التجارة البرتغالية فى غينيا فى حالة من الازدهار والغنى لم يدانيها تجارة أوربية أخرى ويكفى أن نقول — حتى ندرك فداحة ما كانت تستنزفه البرتغال من هذه البلاد — أن الذهب الذى كان يرسـل من غينيـا البرتغالية الى لشبونه سنويا كان يقدر بما يساوى مائة ألف جنيه ، أما العبيد فقـد كان البرتغاليـون يجلبونهم بشتى الطرق اللا انسانية من أرجيوم ومن ساو تومى وبنين ويرسلون الى ساو جورج حيث يستبدلون مع المنسوجات والسلع المعدنية بالذهب ! وقد بلغ عدد العبيد الذين بعث بهم البرتغاليون الى المزارع الاسبانية وحقول السكر البرتغالية فى البرازيل عددا يتـراوح بين ٥٠٠٫٠٠٠ و ٨٠٠٫٠٠٠ مواطن افريقى وذلك فى خـلال العقود السبعة الاخيرة من القرن السادس عشر ، وظلت البرازيل تطلب عشرة آلاف من أبناء أفريقيا ليعملوا عبيدا فى مزارعها حتى أنه ما ان وافق نهاية القرن الثامن عشر حتى أضحى مواطنو غينيا من الافريقيين مستعبدين خارج وطنهم فبدأ البرتغاليون ييممون وجهم شطر أنجولا وموزمبيق .

ويتغير طابع العصر فى فترة (الماضى) التى تعرض لها مؤلف الكتاب فى أول وأكبر فصول الكتاب ، تغيرت سياسة البرتغال نحو مستعمراتها فى القـارة الافريقية ولم يعد البرتغاليون يمثلون « تجار أوربا فى أفريقيا » بل فتحوا أعينهم على ضروب المنافسة التى دخل حلبتها معهم استعماريون آخرون — فرنسيون وانجليز وهولنديون فتغيرت نظرية الغزو والفتح والارتياد والمتاجرة الى نظرية الغزو والاحتلال والاستيطان والاستقرار ، ونستطيع أن نضع أصبعنا على تاريخ هـذا الاتجاه اذا بدأنا من سبعينات القرن التاسع عشر حين كانت البرتغال تجتاز احدى أزماتها وحينئذ حدد (جوا دى اندريد كوردو) وزير البحرية والمستعمرات والذى عمل صحفيا واستاذا للتاريخ فى جامعة لشبونه — حدد معـالم السياسة الاستعمارية الجديدة التى كان على بلاده أن تنتهجها فى مواجهة التحدى الاوربى الجديد والذى تبلور فى مؤتمر برلين (١٨٨٤ — ١٨٨٥) فكتب يقول فى عام ١٨٧٥ :

« لم يعد فى وسعنا أن نعيش فى عزلة كمـا كنا فى الماضى حين كانت مستعمراتنا

الافريقية مجرد مساحات للانتـــاج وجلب العبيد — أما اليوم فنحن فى عالم العمـــل لا الكسل وان الارض يمتلكها الناس جميعا ولن يستطيع انسان أن يحجب الحضـــارة عنها » !!

ويثبت المؤلف جزءا منخطاب آخر ألقـــاه كورفو عام ١٨٧٩ وقال فيه :

« ان مصلحة بلدنا فى رأيى تستـوجب العمل بسرعة على النهوض بمستعمراتنا فانه عن طريق المستعمرات فقط تستطيع البرتغال أن تحتل المكانة اللائقة بها بين الامم » .

وطبقا لهذه السياسة كانت البرتغـــال داعية الى عقد مؤتمر برلين وهو مؤتمـــر المساومات والتسابق حول المكاسبالاستعمارية فى القارة الافريقية ، يجلس حول مائدته أناس لا يمتون بصلة الى القارةالطيبة اللهم الا صلة الاستغلال والاستعمار وكانت البرتغال ترمى من وراء الدعوة الى المؤتمـــر تأكيد سطوتها على مستعمراتها وتوطيد مركزها بين الامم المستعمرة وترسيخ سياستها الجديدة فى المستعمرات وكانت تعتمد على « حليفتها القديمة » بريطانيا ولكن سياسة الاخيرة — كما يقول (جيمس دفى) مؤلف هذا الكتاب كانت تعد مثالا « للتقى المنافق » .

وهكـذا انفض المؤتمرون فى برلين وقد فقدتالبرتغال نصف ما كانت تنشد الاحتفاظ به ، وكان من الممكن أن تفقد أكثر لولا أن لجأ ساستها فى المؤتمر الى ضرب القـــوى الاخرى فى المؤتمرات الفرنســـية والانجليزية والالمانية بعضها ببعض ، وذابت فى هـــذا المؤتمر أسطورة « الحقوق التاريخية » التى كان يتشدق بها البرتغاليون .

وما أن وافى القرن الحـــالى حتى كان على البرتغال أن تواجه أزمات طاحنة كبرى تمثل أهمها فى اقتصادها الوطنى المنهار والذى كان لزاما على الدولة الجديدة (Estado novo) ان تبذل كل جهدها فى ارساء قواعـــده وكان هناك الصراع التقليدى الموروث مع اسبانيا جارة البرتغال ثم جاءت الحرب العالميةالثانية بالذات — التى ســـــاهمت فى زعزعة الكيـــان الاقتصادى والاجتماعى — ولذلك فقد انصرف المجهود الاستعمارى البرتغالى فى هذه الفترة الى « بعث الشـــعور الامبريالى » عـــلى حد تعبير مؤلف الكتاب والى بلورة هذا الشعور وترسيخه فى نفوس المواطنين فى البرتغالوابناء المستعمرات ، ثم — وهذا هو الاهم — الىدفع المستعمرات لاداء نصيبها — المستغل طبعا — فى اعادة بناء كيان البرتغال سياسيا واجتماعيا واقتصاديا فى « ظل الدولة الجديدة » وهنا تم التركيز على أنجـــولا وموزمبيق ، وكانت حكوماتالبرتغال السابقة على تعاقبها تعدهما حملا وعبئا على الامبراطـورية البرتغاليـــة — كانت مستودعات للعبيد لا أكثر ولكن كان على البرتغال الان — خصـــوصا تحت حـــكم سالازار — ان تنـــادى بشعار جـــديد هو « الامبراطورية الثالثة » وتعنى به — كمـا تدعى — ان المستعمرات البرتغالية فى افريقيا والمتمثلة فى موزمبيق وانجـــولا هى جزء من البرتغال تسرى عليها نفس النظـم والقوانين التى تسنهاالشبونة— وكانواضعو هذهالنظرية يرنون بأعينهم الى المســـتقبل القريب الذى سيتعين على أنجـــولا وموزمبيق وغيرهما من المستعمرات الاوربية فى القارة أن تفتح آذانها لتصغى الى هدير تيارات الحرية والاستقلال الوافدة من شمال القارة تحت لواء القومية أو الشخصية الافريقيـــة . وهكذا ظلت مستعمرات البرتغال فى افريقيا ودولة البيض والافريكان فى جنوب افريقيا داخلتين فى تحالف غير مقدس ضمن اطار من المصالح والسياسة المشتركة الرامية الى استغلال مقدرات القارة وأبنائها ، وفى هذا ما يفسر مبادرة البرتغـــال الى تأييد صنوها (هنريك فيرورد) فى المحافل الدولية حين لفظته دول العالم — ان اخلاصا وان مداراة — من مجمع الامم .

وتدق طبول الحرية فى أرجاء القارة ليتجاوب صداها فى جنبات موزمبيق وأنجولا وتندلع شرارة الثورة فى أنجولا مهتدية بنموذج الحرب العربية المقدسة فى الجزائر — حيث يتدرب الان ثوار أنجولا الافريقيون على يد ضباط جيش التحرير الجزائرى ، وقد استمرت الحرب منذ عام ١٩٦١ وما زال جمارها مشتعلا ويحارب الانجوليون — باعتراف مؤلف الكتاب — فى ظروف بالغة القسوة وتحت اجراءات قمع بالغة الضراوة ، والمؤلف يقتبس فى الفصل الاخير من كتابه هذا فقرات أوردتها الصحف البرتغالية تعكس بالنزعة الوحشية اللاانسانية وتتشدق لاتمام الجيش البرتغالى الامبراطورى القضاء على عدة آلاف من « الحيوانات السوداء »

وابادة عدد منهم يتراوح بين ١٠٫٠٠٠ ، ٣٠٫٠٠٠ افريقى ويربو عدد الهاربين الى الكونغو من المستعمرات البرتغالية على ١٥٠٫٠٠٠ افريقى جاء معظمهم « مشوهى الوجوه ، محرقى الجسد ، جرحى يحكون قصصا لايكاد يصدقها العقل عن وحشية البرتغاليين »

ولم تسمح السلطات البرتغالية للجنة التحقيق الدولية التى جاءت من قبل الامم المتحدة أن تدخل مناطقها المستعمرة لاستقصاء ظروف الافريقيين ، وهنا يورد (جيمس دفى) مؤلف الكتاب آخر فقرات التقرير المكون من ١٤١ صفحة والذى وضعته اللجنة :

« إن السلطات البرتغالية تواجه عملية اختيار تاريخية بين استمرار اللجوء الى استعمال العنف بما يجلبه من نتائج محتومة ليست فى الحسبان من بؤس وخسارة اقتصادية أو أن تستجيب للرأى العام العالمى وتتخذ اجراءات من شأنها اعادة النظر فى وضع السكان وتأمين عودة اللاجئين وبناء نظام جديد للعلاقة بينها وبين شعب أنجولا »

« انها فى حاجة الى توفر الاستعداد لتفهم القوى الجديدة فى العالم والى توفر الشجاعة لقبول التغيرات والحكمة لوضع وسائل ناجعة واتباعها ، بغية الوصول الى حل سلمى دائم » .

وقد لا يعنينا كثيرا أو لا يعنى الثوار الافريقيين فى أنجولا التمسك الصارم بكلمات هذه اللجنة اذ أنه من المحتم أن يحصل ثوار الشعب الانجولى على حريتهم بالحراب والبنادق ، ولكن التقرير دفع لوحشية الاستعمار البرتغالى وشحن للرأى العام العالمى ضد هذه الوحشية .

واذا كان جيمس دفى مؤلف هذا الكتاب « البرتغال فى افريقيا »

Portugal in Africa

قد عنون هذا الفصل بعبارة « تبخر الحلم » فانه يتنبأ — عن ايمان أو تسليم — بأفول شمس الاستعمار البرتغالى — وكل استعمار عن القارة الناهضة التى بدأت تأخذ دورها فى صنع التاريخ .

« محمد الخولى »

افريقيا فى شهر

الصـــومال

- عدل الدستور الصومالى بما جعل الدين الاسلامى هو الدين الرسمى للدولة ، كما نص على ضمان حرية العقيدة لابناء الاديان الاخرى .

- أبلت الصومال جميع الدول الافريقية انها لن تشترك فى مؤتمر القمة الذى سيعقد فى أديس أبابا

- أعلنت الصومال قطع علاقتها الدبلوماسية ببريطانيا لموقف الاخيرة من المنطقة الشمالية لحدود كينيا .

كينيا

- أعلن دنكان سانديز ، وزير المستعمرات ان انتخابات الحكم الذاتى فى كينيـــا ستجرى بين ١٨ و٢٦ مايو القادم .

- قال الشيخ العامودى ، السكرتير البرلمانى، فى نيروبى بأن الولايات المتحدة على استعداد لاعطاء كينيا قرضا قدره ٤٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيه اذا وضعت كينيا برنامجا ملائما للتنمية .

غانة

- طلبت غانة عقد اجتماع لمجلس الامن لبحث التقرير الذى وضع عن اغتيال لومومبا .. وهى بذلك تعيد ماكانت قد تقدمت به فى حينه .

- قال الرئيس نكروما .. ان افريقيا الجديدة تأبى ان تخضع للاستعمار القديم والجديد وترفض أية سياسة تناهض مصالح الشعوب الافريقية .

غينيا

- استقبل الرئيس سيكوتورى مهندس الكراكة العربية « رمسيس » والقائمين عليهـا مرحبا متمنيا لهم اقامة هادئة فى وطنهم (غينيا) .

- أصـدرت الحكومة مرسوما هاما يقضى بتكليف جميع العزاب بالعودة الى الريف للمساهمة فى اعادة الحياة الاقتصادية الى حالتها الطبيعية ، كما غيرت عملتها .

الحبشة

- صرح الامبراطور هيلاسلاسى بأنه يعتقد بأن الدول الافريقية سوف تتحد لتؤلف كتلة محايدة فى ميدان الصراع الدولى .

- استقبل الرئيس جمـال عبد الناصر الأمبراطور هيلاسلاسى فى استراحة مطار القاهرة ، وهو فى طريقه الى سويسرا ، وتباحثا فى كثير من الشئون الافريقية .

انجولا

- اعترفت الحكومة البرتغالية بأن الثوار الانجوليين قاموا بهجوم عنيف على احدى المقاطعات ، وانهم كانوا يحملون مفرقعات سوفيتية وسيوفا من النوع الذى استعمل فى حرب الجزائر .

- رفض مندوب البرتغال فى الامم المتحـدة المثول أمام لجنـة تصفية الاستعمار التى تناقش قضية المستعمرات البرتغالية .

الكونغو

● عقدت اللجنة الاقتصادية الافريقيةالتابعة للامم المتحدة فى « ليوبولدفيل » وكان من أهم قراراتها – انشاء نظام للمقاصة بين البلاد الافريقية لتسهيل الدفع والتبادل التجارى بين دول القارة .

● أصيبت حكومة « أدولا » بنكسة عندما أختار مجلس النواب رؤساء المجلس من بين اعضاء الاحزاب المعارضة

جنوب أفريقيا

● قضت حكومة جنوب أفريقيا بالسجن ٦ سنوات على والتر سيسولو السكرتير العام لحزب المؤتمر الافريقى الوطنى .

● أجرى موبوتو قائد قوات الكونغوالمسلحة محادثات مع بعض ضباط قيادة قوات الامم المتحدة حول تدريب الكونغو ، واقترح ان تختص اسرائيل بتدريبجنود المظلات .

● أطلق مجهول الرصاص على المستر كوبر، القاضى فى المحكمة العليا ، وأحد كبار الجالية اليهودية .

● يعمل نيرفورد رئيس الوزراء على تعجيل صدورتشريعاتخاصة لقمع حركة «بوكو» السرية التى تعد للثورة الشاملة ضد البيض .

مالى

● وافق المؤتمر الافريقى للسكك الحديدية على اقتراح وفد جمهورية مالى الخاص بتعاون الدول الاعضاء تعاونا فعالا لتحقيق الوحدة الافريقية باعتبارها أعز أمانى شعوب القارة .

ليبيريا

● رفض الرئيس توبمان اقتراح الرئيسنكروما الخاص بانشاء برلمان لجميع الدول الافريقية وقيادة عليا موحدة لهذهالدول، وقال ان توقيت الاقتراح غير مناسب .

نيجيريا

● قالت صحيفة « بايلوت » انه سيتماعلان تحويل نيجيريا الى جمهورية فى أول اكتوبر القادم .

● طالب البرلمان خروج نيجيريا منالكومنولث وقطع العلاقة الدبلوماسية مع بريطانيا احتجاجا على تصرفاتها ازاء قضيةانطونى ابتاهورو الهارب من نيجيريا .

الشمال الافريقى

● طلب حزبالاستقلال المغربى ، وهوالحزب المعارض من أحمد بلافريج وزير الخارجية تأكيدا بأن الملك الحسن لن يسمح ببقاء القواعد الامريكية العسكرية فى المغرببعد انتهاء العام الحالى .

● قام الملك الحسنبزيارتينرسميتيناحداهما للولايات المتحدة الامريكية والثانيةللجزائر .

● أذيع بيان مغربى جزائرى مشترك بتعاون الدولتين فى الميادين الثقافية والسياسية والقضائية والادارية والفنية والاقتصادية

● قبل الملك ادريس السنوسى الدعوة التى وجهها اليه أحمد بن بيللا رئيس حكومة الجزائر لزيارة الجزائر .

فهرس مجلة نهضة افريقية
للمقالات والكتاب

رسائل القراء

وصلت للمجلة رسالة من المواطن السورى نعيم قداح جاء فيها :

((انه حضر مؤتمر كوناكرى فى نيسان عام ١٩٦٠ ، وان هذه الزيارة الى افريقية دفعته الى الاهتمام بافريقية ، والى البحث فى المتأثرات العربية الاسلامية فى نواحى الحضارة الافريقية ، وانه ألف فى ذلك كتابا أصدرته الارشاد فى سوريا ، وجاء فى خطابه ((لقد كان الانفصال المشئوم يمنعنا من الاتصال بكم ، والآن بعد أن زال ليله المظلم ، ونحن على أبواب الوحدة ، أرجو ان يكون ذلك فاتحة خير لافريقية ، عندما تقوم فى شمالها وحدة عربية فى دولة قوية)) .

وأخيرا ذكر ان عنده مقالات يرجو نشرها فى مجلة نهضة افريقية ، وانه يرغب فى الحصول على أعداد المجلة من ١ – ٥٨ .

والمجلة تشكر الاستاذ نعيم قداح ، وترحب بمقالاته ، ويمكن الحصول على الاعداد المطلوبة من ((المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى بالقاهرة)) وأخيرا تحيى فيه عروبته ، وحماسه لافريقية .

***

وتلقت المجلة رسالة من السيد عبده موسى شابرى من خشم القربة بالسودان جاء فيها انه يعجب بالمجلة ، وبالمقالات التى تنشر فيها ، وقد هزه مقالان فى العدد الأخير عن اريتريا وقضيتها ، وعن الشهيد باتريس لومومبا ، وأخيرا يسأل عن كيفية الحصول على المجلة .

والمجلة .. تشكر المواطن عبده موسى شابرى على اهتمامه بها ، وتذكر له أن الاشتراك فيها قيمته ثلاثون قرشا ترسل بحوالة مالية الى ((دار أخبار اليوم للتوزيع ٧ شارع الصحافة بالقاهرة)) خلاف مصاريف البريد .

***

ووصلت للمجلة رسالة من المواطن سمير يوسف مصطفى الفقى جاء فيها أنه يقترح ان يكون بالمجلة باب لهواة المراسلة من افريقية ، ويسره ان يكون أول من يتقدم لتنفيذ هذه الفكرة وعنوانه ((٧ ش سعد الدين عمارة امبابى الصانع بالسويس)) وهوايته جمع الطوابع والصور ، ويرغب فى مراسلة أحد المواطنين الافريقيين باللغة العربية أو الانجليزية أو الفرنسية .

والمجلة – مع تنفيذها للفكرة بالنسبة له – تعده بالتفكير فى هذا الأمر .

***

ووردت للمجلة رسالة من المواطن بهاء الدين طاهر جاء فيها :

((ان المجلة تقوم بدور كبير فى متابعة الثورات التحررية فى القارة الافريقية ، وابراز الاتجاهات السياسية والاقتصادية والأدبية فى تلك الشعوب ، وأرى انه لاكتمال الفائدة من البحوث القيمة التى تقدمها المجلة اضافة بيانات وافية ومختصرة فى نفس الوقت للتعريف بالاقطار والشعوب الافريقية)) .

والمجلة تحيى السيد بهاء الدين طاهر ، وتذكر له ان ما يطلب موجود فى المجلة على المستوى الفكرى الذى تلتزم به .

***

كما وردت رسائل أخرى من السادة حسن عبداللطيف احمد زين وحسن عاشور الزربة ، ومصطفى عثمان ، وعيسى الشوربجى ، والسيد زغلى ابراهيم وآخرين وكلها تدور حول الاهتمام بالمجلة ، وحول السؤال عن كيفية الاشتراك فيها .

والمجلة تشكر السادة القراء ، وتلفت النظر الى ان كيفية الاشتراك موضحة فى الصفحة الأولى الثابتة دائما فى كل عدد وهى ((ارسال حوالة مالية قيمتها ثلاثون قرشا الى دار أخبار اليوم للتوزيع ٧ شارع الصحافة بالقاهرة)) .



الزعيم الكينى جيمس جيشورو
أحد زوار الجمهورية العربية المتحدة

ISSUE 65 SIXTH YEAR 1963 PRICE 3 P. T.

RENAISSANCE OF Africa

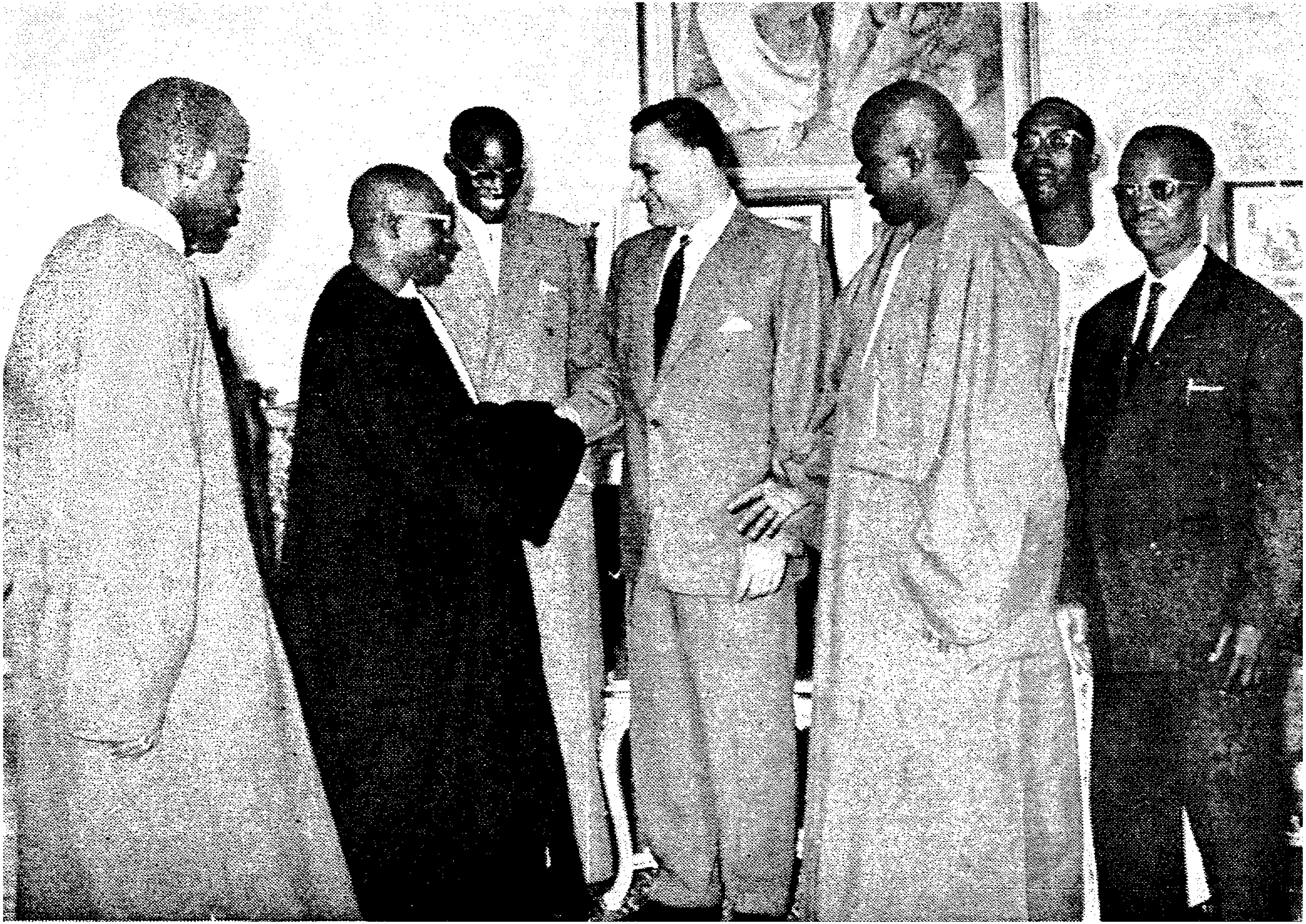


العدد ٦٦ السنة السادسة - مايو ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

نهضة افريقية



عواصف على الزمبيزى



((الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل زعماء مسلمي السنغال))

نهضـــــة افريقيـة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٢٧ شـارع عبـد الخالق ثروت
تليـفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربيـة المتحـدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبـار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا
ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رايها .

نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى..

— ١ —

ان زيارة الرئيس ((جمال عبد الناصر)) للجزائر ، لا تقف عند حد زيارة رئيس دولة لرئيس دولةأخرى، وانما تتعدى هذا الى زيارة ((وعى ثورى)) الى وعى ثورى آخر ، ومن هنا كانت عملية الفهم بين البلدين وعملية الالتقاء بين الافكار ، وفى عمليات التنفيذ ، وفى التخطيط المنظم لمستقبل زاهر يشمل تلك المنطقة الكبيرة التىتمتد علىالعالمين الاسيوى والافريقى .

والنظرة العميقة لهذه الزيارة توضح أنها أحد المكاسب الكبيرة لافريقية ، فالقارة فى حاجة ماسة الى الافكار التى تحددت فى الشمال كالمفاهيم الخاصة بالحرية والوحدة والاشتراكية ، وكطريقة الاصرارالمنظم التى يمكن الوصول بها الىالحرية .. وفى ضوء هذا يمكن القول بأن هذه الزيارة الموفقة كانت زيارة للمبادىء الثورية ، لا فى الجزائر فقط ولكن فى كافة أفريقية .

— ١ —

فى الثانى والعشرين من هذا الشهر ، ينعقد مؤتمر أقطاب الدول الافريقية فى أديس أبابا ، ومع أن هذا المؤتمر كان مقصورا على الدول المتحررة ، الا أنه سيسمح لممثلى أنجولا وموزمبيق وروديسيا وجنوب أفريقية بالاسهام فى هذا المؤتمر ، وهذا ما سيزيد من فاعلية المؤتمر ، فلا شىء يقلق المؤتمرين الا عملية ((التصفية الاخيرة للاستعمار)) ، ومن هنا تأتى أهمية هذا المؤتمر فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ أفريقية .

عبده بدوى

فهرس العدد ٦٦

عواصف على الزمبيزي

بقلم محمد عبد العزيز اسحق

نهر الزمبيزى هو رابع الانهار الافريقية الكبرى ، ولا يتقدمه ، فى القارة الفسيحة الا الثلاثة الكبار : النيل والنيجر والكونغو .

ولا يختلف الزمبيزى عن أشقائه الكبار من حيث الاهمية المادية والحضارية والسياسية ، فهو يخترق القارة ، فى جزئها الجنوبى ، من أقصى الغرب ، حيث تتلوى روافده الصغرى منحدرة من هضاب انجولا الداخلية وتلتقى بروافد أكبر منها قادمة من روديسية الشمالية ، ((والهضاب البيضاء)) فى روديسيا الشمالية ، وما يلبث النهر أن يبلغ أشده وهو يتوثب على ((شلالات فكتوريا)) ويندفع شمالا بشرق الى ان يبلغ حدود موزمبيق ثم يتجه الى الجنوب الشرقى حتى يلاقى المحيط الهندى شمال ميناء ((بيرا)) .

وقد شهد هذا النهر ما شهده رصفاؤه الكبار من مظاهر الحضارة والقوة والمجد ، وعلى ضفافه ازدهرت حضارة ((زمبابوى)) التى محا آثارها الغزاة الاوربيون ، ولم يبق من شواهدها الا نقوش فى الكهوف وعلى قمم الجبال .

وحينما أراد المستغلون من المستوطنين فى السنوات الاخيرة ان يستنبطوا الكهرباء من مياهه وأقاموا عليه سد ((كاريبا)) انتجت مساقط كاريبا من الكهرباء ما يغطى حاجة الروديسيات وفائضا عظيما ((يصدر)) الى الكونغو ويدير مصانع النحاس فى كاتانجا ولئن كانت أكثر المناطق التى يعبرها الزمبيزى لا تجعل استخدام مياهه للرى عملية ميسورة كما أن طبيعة مجراه لاتجعله ذا شأن للملاحة الا ان الزمبيزى قد استطاع ان يجتذب انتباه افريقيا والعالم فى السنوات الاخيرة ، عندما تفتق ذهن الاستراتيجية السياسية البريطانية عن مشروع ((اتحاد وسط افريقيا)) الذى جمعت بمقتضاه اقاليم الروديسيات الشاسعة ونياسالاند (وتزيد مساحتها جميعا على مساحات فرنسا وألمانيا وايطاليا وأسبانيا والبرتغال) ووضعت مقاليد ذلك الاتحاد فى أيدى حفنة من الاقطاعيين والرأسماليين الاوربيين والمساهمين فى الشركات الاحتكارية التى اتخذت مكاتب قياداتها فى لندن ونيويورك .

عندئذ تلفتت افريقيا والعالم لتسمع صيحات الاحتجاج من الوطنيين الافريقيين ولكن تلك الصيحات أمكن اخمادها وأسدل عليها ستار من الصمت كانت تجرى من ورائه كل عمليات السلب والنهب والسخرة والتفرقة العنصرية التى تمارسها الحكومة المجاورة فى ((اتحاد جنوب افريقيا)) .

وفى عام ١٩٥٨ ، وهو عام الوثبة الافريقية الكبرى تجمع زعماء الزمبيزى الوطنيون (وخاصة من انجولا والروديسيات ونياسالاند) فى أكرا ، ثم عادوا الى بلادهم وقدعاهدوا أنفسهم ورفقاء النضال ضد الاستعمار على ان يشعلوا نيران الكفاح المقدس على ضفاف الزمبيزى ، ولكن زعيم الكونغو البطل باتريس لومومبا ، كان أسبق منهم ، ووقف العالم حينئذ مشدوها وهو يرى حوض الكونغو العظيم (الذى تبلغ مساحته هو أيضا مثل مساحة

أوربا الغربية) وقد دفع به لومومبا الى عالم الحرية وأزاح بذلك الحاجز الاستعمارى الواسع الرهيب الذى كان يفصل بين الزمبيزى وبين قوى التحرر الكبرى فى غرب القارة وشمالها .

وكان أول ما فعله بطل ((الكونغو)) أن مد يده الى قادة ((الزمبيزى)) وبدأ بأبناء ينابيع الزمبيزى فى انجولا فمنحهم كل امكانياته الادبية والمادية وجعل للحركة الوطنية الانجولية ((مقر قيادة)) فى ليو بولد فيل : وخصص أكثر صفحات جريدة حزبه لاقلام الوطنيين الانجوليين ومن ذلك الحين ، حتى بعد ضياع سلطان لومومبا واستشهاده ، لم تجرؤ السلطات الحاكمة فى ليو بولد فيل على التخلى عن ثوار انجولا ، وجاءت المؤتمرات الافريقية المتوالية فعززت جهودهم ومنحتهم الحكومات الافريقية الاخرى مقار قيادة جديدة ومعونات متنوعة جعلهم يمسكون بزمام المبادرة فى حرب العصابات ومكنتهم من احراز النصر الدبلوماسى تلو النصر فى المجتمعات والهيئات الدولية .

وكان آخر موقف يعزز كفاحهم قرار الحكومة الجزائرية ان تتبنى تدريب المناضلين الانجوليين وان تمدهم بالسلاح والذخيرة والمتطوعين ..

هذا ماحدث لدى المنابع من ذلك النهر الافريقى العظيم .

أما عن « الوسط » فقد ساير زحف التحرر الافريقى على درجات متفاوتة ، وكانت روديسيا الشمالية أكثر مناطق الوسط تأثرا بـ «كارثة الكونجو » التى بدأت باعلان انفصال «كاتانجا» وجاءت فترة كانت فيها حكومة المستوطنين فى روديسيا الشمالية هى أكبر سند للسيد تشومبى ، ولكن صلابة ((كاوندا)) ورفاقه ، وأحرار ممثلى الشعب الكونغولى على الوحدة الكاملة ، ومساندة الدول الافريقية والكتلة الاسيوية الافريقية فى الامم المتحدة لقضية الوسط الافريقى أسفرت فى النهاية عن تراجع بريطانيا وتنكرها للوليد المدسوس على الزمبيزى وهو « اتحاد وسط افريقيا » وأثمر النضال الوطنى عن حكومة افريقية لها سلطة « الحكم الذاتى » الذى سيؤدى حتما الى استقلال روديسيا الشمالية وانفصالها من « الاتحاد » .

وحدث نفس « **التقدم الدستورى** » فى نياسالاند التى تتأهب الآن لطرح آخر مظاهر الاستعمار واعلان مولد الدولة ذات الاسم الافريقى التاريخى القديم ، دولة « زومبا » .

أما روديسيا الجنوبية حيث يمسك بزمام السلطة السياسية حوالى ٢٢٠ الف أوربى فى بلد يقطنه أكثر من ثلاثة ملايين وخمسمائة الف افريقى فان بريطانيا تقف موقف المتردد المشفق على مصالحه ومصالح بنى جلدته .

وفى الوقت الذى جاءت فيه الى الحكم فى روديسيا الجنوبية حكومة « بيضاء » يرأسها « ونستون فيلد » جعلت على رأس برنامجها طلب الاستقلال « بالوضع الحالى » عن بريطانيا ، وذلك تمهيدا « للانفراد » بالاغلبية الافريقية الفقيرة العزلاء من العلم ومن السلاح . فى هذا الوقت نرى « كاوندا » ورفاقه الذين تربعوا على مقاعد الحكم فى الشمال وهم « يخططون » لانقاذ شقيقتهم روديسيا الجنوبية .

وتتلخص خطة ((كاوندا)) فى العمل الهادىء الحذر للحصول على الاستقلال وانهاء ((الاتحاد)) . وبعد ان تصبح روديسيا الشمالية دولة مستقلة ذات سيادة يكون فى وسعها أن تقوم بحملة سياسية وضغط اقتصادى على الحكام البيض لروديسيا الجنوبية .

ومن صور الضغط الاقتصادى مقاطعة المنسوجات التى تنتجها مصانع روديسيا الجنوبية والتى لا تجد لها سوقا الا فى روديسيا

الشمالية وسوف يستعيض «كاوندا» عن منسوجات الرأسماليين المستوطنين بمنسوجات أرخص يستوردها من الهند « وهونج كونج »

وكل الظواهر تدل منذ الآن على ان زمام الموقف الاقتصادى سيكون فى يد الحكومة الوطنية لروديسيا الشمالية ، فان مناجم « حزام النحاس » تحتوى على ربع احتياطى العالم من هذا المعدن ، وسوف تكون روديسيا الشمالية أغنى بلد فى افريقيا بالنسبة لعدد سكانها الذين لا يتجاوزون ثلاثة ملايين .

وقد بدأت رءوس الاموال الاجنبية « الحساسة » تتجه فعلا مع **« رياح التغير »** التى تهب على وسط افريقيا ، فبعد مرور ستة أشهر فقط على قيام الحكم الافريقى فى روديسيا الشمالية أصبح اهتمام الشركات الاجنبية والمؤسسات المالية الدولية موجها الى « لوزاكا » عاصمة الشمالية بدلا من « سالسبورى » عاصمة الجنوب .

وتروى الاخبار القادمة من حوض الزمبيزى كيف أن ناطحات السحاب فى « سالسبور »قد بدأت طوابقها تخلو ، طابقا وراء طابق ، فى الوقت الذى ازدحمت فيه وارتفعت ايجارات المبانى فى « لوزاكا » ..

وقد ورد فى تلك الانباء ان مؤسستين من أكبر المؤسسات الاقتصادية الاجنبية فى افريقيا وهما « الانجلو امريكان » وال « روديسيان سلكشن ترست » قررتا تحويل مقر أعمالهما من « سالسبورى » الى « لوزاكا » .

وعندما أشار « ونستن فيلد » الى ان الخط الحديدى الذى يحمل منتجات روديسيا الشمالية من النحاس لا يستطيع ان يصل الى ميناء « بيرا » فى « موزمبيق » الا عبر روديسيا الجنوبية ، قال « كاوندا » انه فى وسعه الاستغناء نهائيا عن ذلك الخط وتصدير النحاس عن طريق الكونغو .

ومن أوجه **الحرب الاقتصادية** » المنتظرة بين الحكومة الافريقية فى روديسيا الشمالية وحكومة المستوطنين فى الجنوب مسألة الفحم الذى تستورده روديسيا الشمالية من أختها الجنوبية لتشغيل مصافى النحاس ، وقد بدأت الحكومة الوطنية دراستها لامكانيات استيراد الفحم من أماكن أخرى غير الجنوب .

وهناك مجال يتحكم فيه الشمال تماما وهو مجال المنسوجات التى تنتجها روديسيا الجنوبية وتعتمد فى تصريف ٤٠ فى المائة من الانتاج فى أسواق روديسيا الشمالية . ولاشك فى ان اغلاق تلك الاسواق فى وجه منسوجات « المستر فيلد » سوف يكون من « أوراق الضغط » الهامة فى الصراع الاقتصادى .

وهناك طرف هام فى هذا الصراع الذى تبدو بوادر أعاصيره فى الافق وهو الكومنولث البريطانى .

ان حكومة روديسيا الشمالية تهدد الآن باعلان استقلالها من الكومنولث لكى تنفرد بحكم الاغلبية الافريقية واستغلالها ، ولكن هذا التهديد لا يمكن ان يؤدى الى نتيجة تدعم المركز الاقتصادى لحكومة روديسيا الجنوبية .

ذلك ان روديسيا الجنوبية ــ وان لم تكن عضوا فى الكومنولث فى الوقت الحاضر ــ الا انها تتمتع بامتيازات جمركية فى تجارتها مع بريطانيا بصفتها « مستعمرة تتمتع بالحكم الذاتى » .. وبهذه الصفة تصدر روديسيا الجنوبية أكثر محصولها الزراعى الرئيسى ، وهو الطباق الى بريطانيا بضريبة جمركية تقل ٢٠ فى المائة عن الضريبة المفروضة على الطباق الامريكى وقد بلغت صادرات روديسيا الجنوبية من الطباق فى العام الماضى ما قيمته ٩٠ مليونا من الدولارات .

أما عن النحاس فان روديسيا الجنوبية تنال ــ فى الوقت الحاضر ــ نصيبا من عائداته بصفتها عضوا فى « الاتحاد » .

وفى حالة تفكك الاتحاد ــ كما هو المنتظر ــ فسوف تحرم روديسيا الجنوبية من ذلك النصيب وسوف تنفرد به روديسيا الشمالية (وقد حصلت منه فى العام الماضى على ماقيمته ٣١٦ مليونا من الدولارات) .

من كل ذلك نرى ان « تهـــديد » حـكومة المستر فيلد بالاستقلال سوف يعود عليهـــا بأخطار فادحـــة ، ولن يضمن لهـــا فى الوقت نفســه الانضمـــام ـ كدولة مستقلة ـ الى الكومنولث البريطـــانى . فانه ـ عند زوال الاتحاد الحالى ـ واستقلال أعضائه السابقين، سوف يتعين على كل دولة مستقلة منه أن تتقدم بطلب منفرد للانضمام الي الكومنولث .

ولن تكون هناك صعـــوبة فى قبول روديســـيا الشـــمالية ونياســـالاند بعد ان تولت الحـكم فيهما بالفعل حكومات تمثل الاهالى الافريقيين .

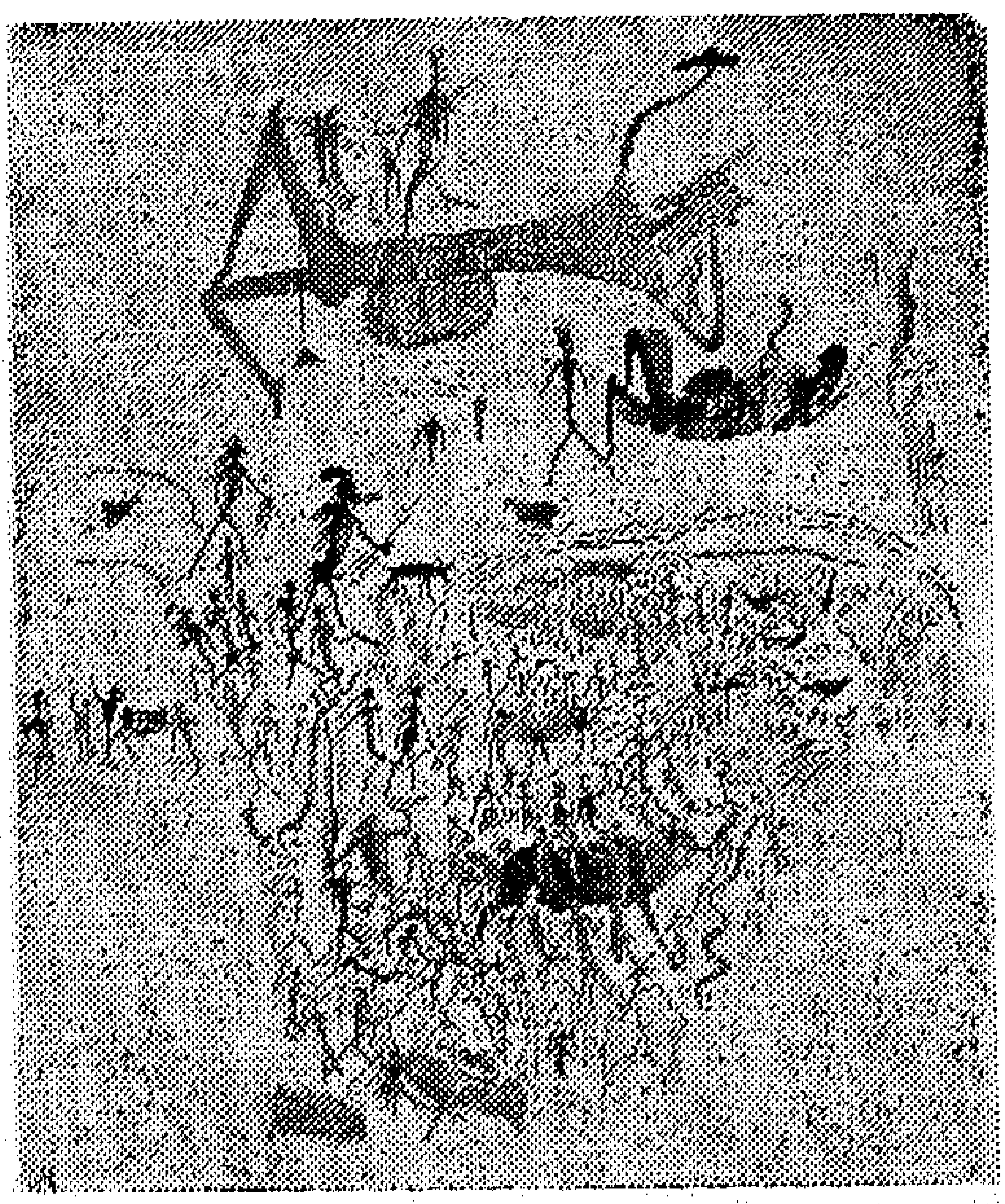
أما روديسـيا الجنوبيــة فسـوف تكون فيها حكومة أوربية ، ولن يقبلها أعضاء الكومنولث الآخـــرون ـ الذين طردوا فى العـــام المـــاضى حـــكومة جنـــوب افريقيـــا (البيضـــاء) من مجموعتهم .

واذا بقيت روديســيا الجنوبيـــة دولـــة مستقلة خارج الكومنولث ، فقدت أوتوماتيكيا امتيازاتها الجمركية .

وفى دوامة هذه الاعاصير التى لم يسبق لهامثيل على ضفاف الزمبيزى لاتبدو بارقة أمل فى انضمام روديسيا الجنوبية بحكومتهـــا الاوربية الى الكومنولث الذى يقبل الاعضاء فيه بأغلبية الاصوات .

وغير خاف أن بريطانيا ليست لها الكلمة الفاصلة فى قبول أعضاء جدد، اذ أن لها صوتا واحدا بين ١٦ صوتا أكثريتهم الساحقة من آسياوافريقيا

((محمد عبد العزيز اسحق))





عناصر الضعف في اقتصاديات جنوب افريقية

للدكتور راشد البراوى

يتكون جنوب افريقية من قسمين رئيسيين أحدهما الهضبة التى يبلغ ارتفاعها ما يقرب من ٣٨٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وانحدارها من الشرق الى الغرب ولهذا تنساب الانهار فى الاتجاه نفسه ، ويتصرف معظم الهضبة فى نهر أورنج ورافده الفال . أما القسم الاخر فعبارة عن الاراضى التى تقع بين حافة الهضبة والبحر ، وهنا نلاحظ أن الهضبة لا تهبط مباشرة نحو سهل ساحلى ولكنها تهبط بصورة متدرجة ، وغالبا مايكون السهل الساحلى ضيقا بل ينعدم أحيانا .

وللزراعة أهمية طيبة فى اقتصاد اتحاد جنوب أفريقية سواء لاغراض الاستهلاك المحلى أو للتصدير ، والغلات الرئيسية هى الحبوب الغذائية مثل القمح والذرة والسرغون (والاخيران هما غذاء الافريقيين الاساسى) ، والطباق (ويصدر منه حوالى ٣٠ ٪ من المحصول السنوى الذى يقرب من سبعين مليون رطل) وقصب السكر (وصدرت البلاد فى عام ١٩٥٧ ــ ٥٨ حوالى ٢٠٧ آلاف طن من السكر والمحصول الكلى يقرب من ٩٦٠ ألف طن ، والموالح والبطاطس والفول السودانى) . الا أن الملاحظ أن انتاج البلاد من القمح غير كاف لسد مطالب البيض بوجه خاص ولذلك تستورد مقادير كبيرة من الخارج وبخاصة من استراليا .

ولا تقل الثروة الحيوانية أهمية ، غير أن أهم عناصرها هى الاغنام التى تتركز تربيتها فى أيدى الاقلية البيضاء التى يعمل أفرادها على التوسع فى تربية الاغنام وتحسين سلالاتها وذلك بقصد الحصول على محصول طيب من الصوف . وفى عام ١٩٥٨ مثلا كان عدد رؤوس الاغنام التى تربى من أجل أصوافها ٣٣٫٥ مليون يملك الاوربيون منها ٣٠٫١ من المليون ، وبلغ محصول الصوف ١٤٣ ألف طن بزيادة حوالى ٤٠ فى المائة عماكان عليه فى عام ١٩٥٠ ، وكذلك تمثل صناعة صيد الاسماك عنصرا هاما فقد بلغت الكمية التى جرى صيدها فى عام ١٩٥٨ نحو ٧٠٠ ألف طن ، الا أن من العقبات التى تحول دون التوسع فى صيد الاسماك أن المناطق الواقعة وراء السواحل حيث تجرى العملية ، صحراوية ولا يتوافر فيها الماء العذب .

وما من شك أن التعدين من الاعمدة الرئيسية التى يقوم عليها اقتصاد الاتحاد ، فعدد الذين يشتغلون فى المناجم والمحاجر يزيد على عشر مجموع الافراد الذين يزاولون مختلف أنواع النشاط الاقتصادى بالبلاد .

وفى سنة ١٩٥٦ — ٥٧ كان الذهب وحده يمثل ٣٣ر٤ فى المائة من مجموع صادرات الاتحـاد مقابل ٢٤ر٧ فى المائة بالنسـبة الى المنتجات النباتية والحيوانية . وكان الانتاج المعـدنى فى عام ١٩٥٦ يمثل ١٣ر٤ فى المائة من القيمة الاجمالية للمنتج القومى . ومن أهم المعادن الذهب والماس والانتيمون والفاناديوم (ويتركز الانتاج الافريقى من هذا المعـدن فى الاتحاد) واليورانيوم ، وهناك أيضا الحديد ويقـدر الاحتياطى منه بحوالي ألفى مليون طن ، كما يعتبر اتحاد جنوب أفريقية أعظم منتج فى القارة للفحم ، ويقدر الاحتياطى بنحو ٧٥ بليونا من الاطنان . ويعتبر انتاج الفحم رخيصا جدا اذا قيس بالبلاد الاخرى اذ يبلغ ١٠ شلنات و ١١ بنسا للطن الواحـد مقابل ٢١ شلنا و ١٠ بنسات فى الهند مثلا .

الا أن هناك ملاحظات على هذا التوسع فى الانتاج المعدنى ، ينبغى أن تؤخذ فى الاعتبار :

١ — النقص المطرد فى أهمية الذهب فبعد أن كان يمثل ٦٩ر٧ ٪ من مجموع صادرات الاتحاد فى عام ١٩٣٦/٣٧ هبطت النسبة الى ٣٣ر٤ ٪ فى عام ١٩٥٦/٥٧ . وفضلا عن هذا يقدر الخبراء أن قيمة الاحتياطى من الذهب فى الاتحـاد (١٩٥٥) تبلغ (بالاسـعار السائدة) ٦٦٣٦ مليون جنيه ، وهـذا الاحتياطى يكفى لفترة تتراوح بين ٣٠ ، ٣٥ عاما أى أن مآله الى الزوال حـوالى عام ١٩٩٠ ، يمكن أن نزيد المدة المقدرة اذا أمكن الحفـر الى عمق يصل الى ١٣٠٠٠ قدم ولـكن فى هذه الحالة سـوف ترتفع تكاليف الاستخراج بصورة ظاهرة .

٢ — وبدأ انتـاج اليورانيوم فى أواخر عام ١٩٥٢ وزادت قيمـة الانتاج من ١٤ر٨ مليون جنيـه فى عام ١٩٥٤ الى ٥٣ر٢ مليون جنيه فى ١٩٥٨ ، ويصدر الانتاج الى الولايات المتحدة وبريطانيا ، الا أن الملاحظ الان هو اتجـاه الدول الذرية العظمى الى اكتشاف واستنباط مواد أخرى للوقود الذرى .

٣ — وبالرغم من ضـخامة الاحتياطيات من الحديد فان نسبة المعدن فى الخام ضئيلة أى أنه خام من النـوع الردىء ، ولولا انحطاط أجور العمال الافريقيين لارتفعت تكاليف التشغيل ، ولذلك لا تصدر البلاد منه مقادير تتناسب مع ضخامة الاحتياطى .

٤ — ومما يلاحظ أيضا أن صادرات الاتحاد من الفحم أخذت تهبط بشدة فى السنوات الاخيرة فبلغت ٦٤٣ ألف طن مثـلا (فى متوسط الفترة ١٩٥٥ — ٥٧) مقـابل ٢٫٩٤٦٫٠٠٠ طن (المتوسط فى الفترة ١٩٤٨ — ٥٠) . ويرجع السبب الرئيسى فى هذا الى تضاؤل أهميـة الوقود من الفحم فى العالم ، وضعف وسائل النقل فى الاتحـاد وارتفاع الاجر بين المنـاجم وموانى التصدير وهى مسـافة تبلغ حوالى ٤٠٠ ميل .

٥ — وأخيرا — وليس آخرا — فلم يكتشف البترول حتى الان فى اتحـاد جنـوب أفريقية .

ففيما بين عامى ١٩٣٦ — ٣٧ ، ١٩٥٣ — ٥٤ زاد عـدد المنشآت الصناعية من ٨٧١٣ الى ١٤٢٥٧ ، وزاد عـدد العاملين فيها من ٢٦٩ الف الى ٧٠٤ آلاف ، وارتفعت قيمة الانتاج الصافية من ٦٥ر٣ مليون جنيه الى ٤٦٨ر٨ من المليون . وبعد أن كانت الصادرات من السلع المصنوعة تمثـل ٣ر٢ فى المائة من مجمـوع صادرات البـلاد فى عام ١٩٣٦/٣٧ ارتفعت النسـبة الى ١٨ فى المائة فى عام ١٩٥٦/٥٧ ، وخرجت المنتجات الصناعية من نطاق الاستهلاك المحلى الى الاسواق الخارجية ، وفى الوقت نفسه حـدث توسـع كبير فى انتاج القـوة الكهربية فوصل الى ١٨٩٤٧ مليون كيلوات ساعة فى عام ١٩٥٧ مقابل ٩٢٥٩ فى عام ١٩٤٨ أى بزيادة قدرها ١٠٥ فى المائة .

هذا المتقدم الاقتصادى الذى يبـدو كبيرا اذا نظرنا اليه على ضوء الارقام هو فى الحقيقة عرضة للانهيار والتوقف لانه يستند الى أساس واه .

ان النمو الاقتصادى ليس مجرد عملية

ميكانيكية تقتصر على تعبئة وتحريك الموارد المادية ، ولكنه فى جوهره عملية يشترك فيها الناس والموارد ويسهمون بقيمتهم المضافة ، ولن يشترك فيها الناس بالقدر الواجب الا اذا آمنوا أن خيرها يعودعليهم . وهذا الايمان لا وجود له فى اتحاد جنوب أفريقية حيث أن أقلية لاتتجاوز خمس مجموع السكان ، وهى أقلية مستوردة ودخيلة على البلاد ، تحاول بالقهر أن تفرض سلطانها كاملا على الاغلبية وهى أهل البلاد الاصليون ، وتستغل قوة عمل الاغلبية .

ومن هنا يتضح ان التقدم الاقتصادى فى الاتحاد تقدم مفروض فاذا زال الاساس الذى يستند اليه ، وهو العمل الافريقى الرخيص ، انهار الصرح بأكمله الا اذا قضى على سياسة التفرقة العنصرية نهائيا وبكل مظاهرها السياسيةوالاقتصادية والاجتماعية.

فطبقا للارقام التى نشرها مكتب الاحصاء فى عام ١٩٥٩ كان توزيع السكان على النحو الاتى :

الاجناس	العدد	النسبةالمئوية الى المجموع الكلى
افريقيون	٠٠٠ر٧٥١ر٩	٤ر٦٦
أوربيون	٠٠٠ر٠٦٧ر٣	٨ر٢٠
ملونون	٠٠٠ر٤٠٥ر١	١٠
أسيويون	٠٠٠ر٤٥	٨ر٢

وحسب تقرير وزارة شئون الوطنيين عام ١٩٥٧ قدر عدد الافريقيين المقيمين فى المعازل القبلية بحوالى ٣ر٦٥١ر٠٠٠ ، وهذه المعازل عبارة عن المناطق المخصصة للافريقيين وحدهم ، وهى فى الاصل المناطق التى كانت تشغلها القبائل الافريقية وتناقصت مساحتها تدريجيا نتيجة عمليات الاستيلاء عليها من جانب الاوربيين . ونظرا لعجز المعازل عن استيعاب أهلها أوصت احدى اللجان فى عام ١٩٣٦ بشراء أرض بحد أقصى قدره ٧ر٢٥ مليون مورجن (المورجن ≐ ٢ر١١٦ فدان) على أن تكون بجوار المعازل القائمة ، ولكن لم يتم شراء سوى ٤ر٧٥٠ر٠٠٠ مورجن بحيث أصبحت المعازل تمثل ٩ر١٢ ٪ من مساحة الاتحاد الكلية أما الباقى ونسبته ١ر٨٧ ٪ فملك للاقلية البيضاء . وحتى لو تم شراء كل المساحة الموصى بها لما تجاوزت ملكية الافريقيين ٧ر١٣ ٪ من المساحة الكلية . وهذه المعازل كما يصفها كاتب عربى هو ليو ماركوارد فى كتاب له « مناطق ريفية منحطة أهم صادراتها قوة العمل التى تتوجه الى المناجم والمصانع والمزارع حتى يتسنى الحصول على القدر الكافى من المال الذى يمكنها من أداء الضرائب واعالة الاسرات فى المعازل » .

واذا انتقلنا الى الاوربيين أنفسهم وجدنا أنفسنا هنا أمام اقطاع بشع كما يتضح من بعض أرقام نوردها على سبيل المثال لا الحصر :

مساحة المزرعة بالمورجن	عدد المزارع
١٠٠١ — ٣٠٠٠	٤١٦ر١٦
٣٠٠١ — ٤٠٠٠	٤٢٤ر٢
٤٠٠١ — ٥٠٠٠	٤٥٩ر١
٥٠٠١ — ٧٥٠٠	٨٨٩ر١
٧٥٠١ — ٠٠٠ر١٠	٩٤٧
١٠٠٠١ — ١٥٠٠٠	٥٩٤
أكثر من — ١٥٠٠٠	٣٩٠

ولكن هناك ناحية أشد خطورة من هذا . ففى مزارع البيض يشتغل ٢ر١٢٠ر٠٠٠ من الافريقيين نصفهم تقريبا من النساء . أما المقيمون بالمناطق المدنية فعددهم ٢ر٦٢٢ر٠٠٠ أى حوالى ٢٧ ٪ من مجموع الافريقيين بالاتحاد وهم موزعون بين الحرف والاعمال المختلفة على النحو الاتى :

٤٨٥ر٠٠٠ تقريبا فى صناعة التعدين
٣٦٠ر٠٠٠ فى الصناعات التحويلية
٣٩٠ر٠٠٠ خدم
١١٠ر٠٠٠ فى النقل والمواصلات
٢٠ر٠٠٠ فى الخدمات العامة (والباقون يزاولون أعمالا أخرى متنوعة)

معنى هذا أن العنصر الاساسى فى الاقتصاد هو قوة العمل الافريقى الرخيص ، ومن غير المعقول أن يظل أبناء البلاد يستكينون لهذا الوضع الذى يتنافى مع أبسط مبادىء الانسانية ، وسوف يعملون على تغييره سواء بالوسائل السلمية أو غيرها ، ومن ذلك

الثورات والاضراب وهذه كلها أساليب بالغة الخطورة • ولقد عبر الكاتب الامريكى جون جنتر عن ذلك بقوله مثلا « ان اضرابا عاما ناجحا يمكن أن يجعل مدينة جوهانسبرج تخر على قدميها فى مدى أسبوع » فلو أن الافريقيين عمدوا الى سلاح الاضراب لمدة كافية لحطموا الاقتصاد الابيض من قواعده •

والتقدم الاقتصادى الذى تحدثنا عنه انما تم الى حد كبير بفعل تدفق رؤوس الاموال الاجنبية • غير أن حالة التوتر التى تشوب العلاقات العنصرية بين الاقلية الاوربية والاغلبية الساحقة من الافريقيين والملونين والاسيويين تجعل رأس المال الاجنبى يقف موقف الحذر الشديد ، بل أن المشروعات القائمة تتردد فى وضع البرامج الجديدة اللازمة للتوسع والانشاء وتنفيذها •

ومن الظاهرات التى تدل على مبلغ الخطر الذى يتعرض له النشاط الاقتصادى ، الهبوط الذى طرأ على أسعار الاوراق المالية مثلا بعد حوادث شاربرفيل الدامية التى وقعت فى شهر مارس من عام ١٩٦٠ ، ولقد كتبت مجلة الايكونوميست اللندنية بعد تلك الحوادث بأيام تقول تعليقا على رد الفعل الناجم عنها منذ خطاب مكميلان (الخطاب الذى تحدث فيه عن هبوب ريح التغيير على قارة افريقية) هبطت القيمة السوقية للاسهم المقيدة فى بورصة جوهانسبرج للاوراق المالية بما يقرب من ٥٠٠ مليون جنيه وفى الاسبوع الماضى (بعد الحوادث) هبطت القيمة السوقية للشركات المقيدة بالبورصة بحوالى ١٢٥ مليونا، وقد زاد هبوطها منذ ذلك الحين » •

ولا شك أن هذه ظاهرة قمينة أن تتردد ، والواقع أن الكثيرين عمدوا الى الانسحاب من أسواق بلد لا يشعرون أن المستقبل فيه يوحى بالثقة والاطمئنان •

وكان من أثر تلك الحوادث الرهيبة التى أشرنا اليها أن بادر مؤتمر الدول الافريقية المستقلة المنعقد فى أديس أبابا (يونيه ١٩٦٠) الى اتخاذ طائفة من الاجراءات الحازمة منها عدم اقامة علاقات دبلوماسية مع حكومة الاتحاد ، كما دعا جميع دول افريقية الى اغلاق جميع موانيها فى وجه السفن التى ترفع علم جنوب افريقية ومقاطعة جميع بضائع هذا البلد ، وحرمان طائراته من حقوق التحليق فوق أراضى الدول المشتركة فى المؤتمر أو الهبوط فيها ، وبالفعل قررت حكومة غانة مقاطعة بضائع الاتحاد واغلاق موانيها ومطاراتها فى وجهه اعتبارا من أول أغسطس سنة ١٩٦٠ وفعلت حكومة اتحاد الملايو الشىء ذاته •

وتتسع الدعوة فى افريقية الى مقاطعة الاتحاد اقتصاديا بل ان نيريرى رئيس تنجانيقا طالب بمنع عمال البلاد الافريقية من التوجه للعمل فى الاتحاد • ان عددا كبيرا من أبناء الاقاليم المجاورة (تنجانيقا ، نياسالاند ، باسوتولاند) يتوجهون للعمل سنويا فى الاتحاد ، ويقدر عدد الوافدين والراحلين سنويا بنحو ٢٥٠ ألفا ، بل ان فى الاتحاد حوالى ٧٦٥ ألفا من غير أهله • واليوم وقد قامت حكومات وطنية فى تنجانيقا ونياسالاند وروديسيا الشمالية وأوشك اتحاد افريقية الوسطى على الانهيار ، فمن المتوقع أن تتوقف أو تقل حركة هجرة أهلها للعمل فى الاتحاد •

وأخيرا خرج الاتحاد من الكومنولث (مارس ١٩٦١) وأصبح جمهورية مستقلة اعتبارا من ٣١ مايو ، ومعنى هذا الانسحاب حرمان الاتحاد من المعاملة التفضيلية مع هذه المجموعة الكبيرة • هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ينبغى ألا ننسى أن الانسحاب من الكومنولث أساء الى شعور أهل جنوب افريقية الذين هم من أصل انجليزى ، وهؤلاء بالرغم من كونهم أقلية يسيطرون على اقتصاديات البلاد اذ لا يعدو نصيب الافريكان عشرة فى المائة من الأموال المستثمرة فى البلاد •

هذه هى الصورة التى يبدو بها الاساس الذى يقوم عليه اتحاد جنوب أفريقية ، وهى صورة تنذر بالخطر ، والسبب الرئيسى فى هذا هو فى الحقيقة السياسة العمياء التى تنتهجها حكومة أقلية تأبى أن تعترف بحقائق العصر •

« دكتور راشد البراوى »

الانفجار السكاني



أصبحت مشكلات السكان ذات طابع عالمي ، ذلك لان التطور الحديث قضى على العزلة القديمة بين البيئات ، وان حدد في الوقت نفسه من سهولة هجرة العناصر البشرية واستيطانها في أقطار جديدة . وزادت هذه القيود شدة مع استقلال الاقطار التي كانت خاضعة للاستعمار من قبل . وكانت قبل استقلالها مجالات مفتوحة للاستغلال الاقتصادي واستيطان العناصر البيضاء خاصة وانعكس هذا على العناصر الاسيوية أيضا . وكانت لها مجالات هجرة واسعة في اسيا نفسها والى أفريقية وأجزاء من أمريكا ووصلت آثار هذا التطور الى ما بين الاقطار الافريقية بعضها وبعض . وأخذ كل قطر أفريقي يضع من القيود على الهجرة مايضمن به أولا صالح المواطنين المحليين ، وان بقيت مجالات هجرة في القارة تنظمها مصالح الاستعمار الاقتصادي من المناطق الافريقية الى مجالات التصنيع واستخراج المعادن والمزارع التي استولى عليها الاوربيون من قبل .

وعلى هذا حمل التطور السياسي والعلمي عناصر جديدة في مشكلة السكان تمثل ما قد يبدو تناقضا ، أهم معالمه : زيادة السكان وزيادة القيود المفروضة على حرية الانتقال . هذا في الوقت الذي أصبح من اليسير على الانسان أن يعرف ما يدور في بيئات العالم وأن يدرك فروق المستويات التي يعيش فيها أصحاب الدخول المرتفعة والدخول المنخفضة أو بعبارة أخرى الدول المتقدمة والدول المتخلفة . والمشكلة في الفقر ليست مجرد وجوده ولكن شدة الاحساس به والرغبة في التخلص منه .

من أجل ذلك تبدو الحاجة ماسة الى دراسة هذه المشكلة في أفريقية .. فهي مشكلة كل فرد فيها . ومن مجموع هؤلاء الافراد يتكون سكان القارة سواء أكانوا يعيشون على ضفاف الانهار أم على سفوح الجبال أم يطاردون الوحوش في الاحراش أم يتتبعون مواطن الكلأ في المراعي الجافة أم يعيشون في أعماق المناجم ..

وهي مشكلة تزداد في القارة كل يوم حدة وتعقيدا مع الزيادة المستمرة في عدد السكان . ولهذه المشكلة جوانب متعددة تحتاج الى

دراسة وتحليل ومقـــارنة لبيان ملامحها وانماطها وعناصرها والعوامل المؤثرة فيها ، ومظاهر التفاعل بين الانسان والبيئات المتنوعة فى القارة ... وما أكثر تنوع البيئات فيها !! وكذلك التفاعل بين الســـلالات البشرية المتعددة : المحلية على تعـــددها والوافدة الاوربية على اختلاف مصادرها والاسيوية فى شرق القـــارة وجنوبها ، وانعكاسات ذلك على الكيان الافريقى والروابط بين القوميات الناشئة فى القارة ، وعلى الترابط الاسيوى الافريقى : ما موقف الافريقيين من النشـــاط الاقتصادى الاسيوى ؟ ما مدى القدرة على التوفيق بين هـــذه المصالح ؟ ثم ما موقف الاوربيين بعد خروج الاستعمار ومنهم من يؤثر البقاء ؟ وما موقف قلعة الاســـتعمار الاخيرة فى أقصى جنوب القـــارة حيث يبلغ التفاعل بين عناصر السكان درجة من الشدة لا نظير لها فى أى قطر آخر من أقطار الارض ؟ ولكل هـــذا انعكاسة على المســـتوى المحلى والافريقى والعالمى ...

وأرجو — فى هذه السلسلة من الدراسات السكانية عن افريقية — ان أوفق فى القـاء بعض الاضواء على جوانب هذه المشكلة .

احصاءات وتقديرات :

الاحصاءات الدقيقة هى الاداة الاولى التى ينبغى أن تكون فى أيدينا ونحن ندخل ميدان الدراسات السكانية . ولكن هذه الاحصاءات تمثل مستوى حضاريا لم تستطع الوصول اليه الا بعض الدول . فيمكن للباحث أن يجد الاقطار الاسيوية والافريقية كالجمهورية العربية المتحدة . ولكن كثيرا من أقطار قارتنا وآسيا وأمريكا اللاتينية لا تزال تنقصها هذه الاداة الاساسية فى دراسة السكان . ولا يجد الباحث فى افريقية أمامه الا تقديرات تخضع لعوامل تؤثر فيها بالزيادة والنقص . وليس هنـــاك من سبيل الى التحقق الكامل من صحتها . وقد بدأت دول افريقية فى اجراء تعدادات يمكن أن تعطينا صورة فيها كثير من الدقة عن الوضع السكانى . واتبعت — كما فى الجمهورية — طريقة التعـــداد الشامل ، واتبعت أحيانا منهجين : التعداد الشامل وفى مناطق معينة كالمدن وطريقة العينات فى غير المدن . وهذا ما اتبعه السودان فى تعـــداده الاول ١٩٥٥ — ١٩٥٦ .

وفى بعض الاحيان — كما نجد فى جمهورية جنوب افريقية — نجد تعدادا دقيقا لتطور العناصر البيضاء بينما يكتفى بتقديرات عند دراسة الافريقيين .

لا سبيل اذن الا أن نلجأ راضين أو كارهين الى الجمع بين التعدادات الدقيقة الشاملة والجزئية والتقديرات الجزافية ، مهما كانت الدوافع التى أملت الارقام التى صدرت عنها وبخاصة فى الاقطـــار التى لاتزال خاضعة لسيطرة الاستعمار كانجولا وموزمبيق ووسط أفريقية ، وسيطرة الاســـتعمار الابيض وان حمل علم الاستقلال كجمهورية جنوب أفريقية ولكن هذا اللجوء ينبغى أن يكون لجوءا حذرا يحاول بقـــدر الامكان أن يتحسس طريقه مستعينا بالمقارنة والدراســـات الجزئية — كعينات — والدراسات الميدانية التى قام بها باحثون منصفون .

وينبغى كذلك تحليل الاحصاءات — مهما كانت درجة دقتها — فى ضـــوء الظروف الاجتماعية والاقتصـــادية والسياسية التى يحيا فيها السكان . ذلك لان « الرقم » أصبح من الممكن توجيه دلالته ليوحى بفكرة خاصة وقد يكون « الرقم » فى ذاته صحيحا ولكنه يخفى وراءه خطأ اجتماعيا كبيرا .

ولعل بعض الامثلة توضح ذلك ..

ففى جمهورية جنوب افريقية — كما تبين ذلك تقارير طبية رسمية — ترتفع معدلات الوفاة الى ٥٠٠ فى الالف فى مناطق السكنى الافريقية التى تشرف عليها الحـــكومة حول المدن . ويذكر جورج بادمور (١٩٤٩) أن هـــذه المناطق تعتبر من أسوأ ما يسكنه الانسان فى أى جزء من أجزاء العالم ويندر هنـــاك وجود أسرة لم تفقـــد أحد أفرادها بمرض السل أو ليس فيهـــا مريض بالسل ينتظر مصيره المحتوم . والخدمات الطبية قاصرة جدا . وفى المستشفى يصـــير الامر — اذا قاربت حالة السل الوفاة — باخراج المريض — فى هدوء — ليموت فى موطنه الافريقى . وهناك تنتشر العدوى قبل أن يموت ..

ولنفرض أن باحثا أراد أن يدرس حالات

الوفاة بالسل معتمدا فى هذا على سجلات المستشفى . وهى سجلات دقيقة ليس هناك أدنى شك فى صحتها .. فسيجد أمامه أن كثيرا من حالات مرض السل خرجت من المستشفى وهى حية . واذا أراد أن يتتبع هذه الحالات بعد خروجها لوجد أمامه منطقة افريقية ليس فيها الا مجرد تقديرات .. أما الاموات فلا تسجلهم الا الاحزان .. وبهذا يسقط هذا المريض من حساب المستشفى .. بل ان – عمليا – خرج من المستشفى حيا . وهو بعد هذا يسقط من حساب التعداد ، لانه ليس هناك تعداد فى مناطق الافريقيين . وعلى هذا يكون الاعتماد على سجلات المستشفى مضللا بينما الارقام فعلا صحيحة !!

مثال آخر عن معدلات الدخل القومى : فهذه المعدلات ترتفع فى جمهورية جنوب افريقية الى رقم قياسي بالنسبة الى القارة، ولكن هذا الرقم بدوره يخفى وراءه فروقا بشعة بين فقر الافريقيين وغنى المستوطنين الاوروبيين .

ولقد لاحظ ودلى ستامب « ١٩٥٩ » أنه عند اجراء التعداد الاول فى أوغندة عام ١٩٤٨ ظهر أن عدد الافريقيين أعلى مما كانت تسجله التقديرات السابقة ، وان نفس الاتجاه ظهر فى تعداد السكان الاول الذى أجرى فى كينيا فى نفس السنة . وهذه الملاحظة يمكن تعميمها على كثير من الاقطار التى أجريت فيها تعدادات شاملة أو جمعته فى تعدادها بين طريقتى التعداد الشامل والعينات .

وقد حاول بعض الكتاب وبخاصة الاوربيين تفسير هذا الخطأ « ذى الاتجاه الواحد » أعنى نقص التقديرات عن الواقع الذى بينته التعدادات . وذكروا لهذا أكثر من سبب : كرغبة الافريقى فى اخفاء بعض أولاده – وبالتالى بعض زوجاته – خوفا من الضرائب أو العمل الاجبارى . وتارة يرجعونه الى خوف الحسد أو السحر . وقد تكون رغبة الحاكم فى تقليل عنصر سكان المستعمرة والتهوين من شأنها سببا فى الميل الى الانقاص من المجموع الكلى للسكان فيها . ومهما يكن سبب هذا الخطأ الا أنه لا يغير من الحقيقة الكبيرة وهي ان افريقية بها الان من سكان أكثر مما تظهر التقديرات الرسمية .

نمو السكان :

العصر الذى نعيش فيه الان يمكن أن يوصف بانه عصر الانفجار السكانى . والجانب الاكبر من نمو سكان العالم حدث فى العصور السابقة . واذا أخذنا منتصف القرن الماضى – ١٨٥٠ – نقطة مقارنة . لرأينا أن المجموع الكلى لسكان العالم قبلها وما استطاعت الانسانية أن تصل اليه من انتشار وزيادة فى كافة عصور تطورها التى تقدر بمئات الالاف من السنين – اذا نظرنا الى هذا كله لراعنا أن نعرف ان هذا الرقم قد استطاعت الانسانية مضاعفته فى قرن واحد . فما الذى يخبئه المستقبل اذن اذا استمرت الزيادة بهذا المعدل أو زادت عنه – وهو المنتظر ؟

فى منتصف القرن الماضى كان عدد سكان العالم ١ر٢ بليون شخص (والبليون ألف مليون) وارتفع هذا الرقم حتى وصل الى نحو ٥ر٢ بليون تقريبا . ثم ارتفع حتى وصل الى نحو ٣ بلايين في عام ١٩٦٠ . ومن المنتظر حسب تقديرات هيئة الامم المتحدة أن يصل الى ٣ر٦ بليون فى نهاية هذا القرن . أى انه فى خلال الاربعين عاما المقبلة تقريبا سيستقبل العالم وافدين جددا بقدر عدد سكانه الحاليين . وبعبارة أخرى اذا كان العالم قد استطاع أن يتضاعف مرة قبل هذا وفى مدة قرن ، فانه الآن يستطيع أن يتضاعف فى مدة أربعين عاما .

وسندع هذه التقديرات – رغم قوة مصدرها – لنرجع اليها فيما بعد .. فهى تجد من ينقص منها أو من يزيد عليها .. كما تجد من ناحية أخرى من ينظر اليها نظرة ملؤها التشاؤم والخوف من المجهول . ومن يراها تحديا لابد للانسان أن يتغلب عليه ويزيد انتاجه الاقتصادى بمعدل أعلى من معدل زيادة السكان .

ولقد قدر عالم ارجنتينى انه اذا اعتبرنا عمر الانسانية سبعة آلاف سنة – وهو رقم مسرف فى التواضع اذ ان عمر الانسانية يقدر بمئات الالاف من السنين – وكان تكاثر الابوين – آدم وحواء – بمعدل مستمر قدره

١ ٪ كل سنة لامكن ان يصبح سكان العالم الآن من الكثرة بحيث لا يجدون على الارض مكانا الا لوقوفهم صفوفا متلاصقة . وعلى أساس النمو الحالى ينتظر كما يذهب الى ذلك علماء اخرون انه فى ظرف ستمائة عام لن يجد ساكن الارض مكانا الا لوقوفه .

أما عن افريقية فقد قدرت هيئة الامم المتحدة عدد سكانها فى مطلع القرن العشرين بنحو ١٢٠ مليونا زادوا الى ١٩٩ فى منتصف القرن ومن المنتظر أن يصلوا الى ٣٠٣ ملايين فى عام ١٩٧٥ بمعـــدل زيادة سنوية قدرها ٢ر٨ ٪ والى ٥١٧ مليونا فى نهـــاية القرن بمعدل زيادة ســـنوية قدرها ٢ر٨ ٪ وتزيد قليلا عن معدل الزيادة العـــالمية .

ونمو السكان ليس ظاهرة طارئة . فقـد حدثت أول ثورة سكانية عندما تعلم الانسان الزراعة وتحـــول من كائن مستهلك الى كائن منتج فى العصر الحجرى الحديث . وظـل عدد السكان يتقدم بخطى بطيئة ويتذبذب مع التطور الزراعى وامكانيـــاته والتوســــع التجارى . وقدر عدد سكان العالم فى منتصف القرن السابع عشر - ١٦٥٠ - بنحـــو ٤٧٠ مليونا . ولكن مع التطور الصناعى وفتـــح آفاق جديدة للاستيطان البشرى حـــدثت الثورة السكانية الثانية ، ثم مع التطـــور العلمى والتكنولوجى وما صاحبه - زمنيا - من تحرر كثير من الدول حـــدثت الثورة السكانية الثالثة التى تمر فيها الان .

وبينما كان عدد سكان العالم آخذ فى الزيادة منذ منتصف القرن السابع عشر ، كان عدد سكان افريقيـــة - كما تبين هـــذا تقديرات قسم السكان فى الامم المتحدة - ثابتا تقريبا و متعرضا أحيانا لنقص وزيادة طفيفتين - ومضت القرون من القرن السابع عشر الى التاسع عشر ولانجد امام افريقية فى تقديرات مجموع سكانها الا رقما واحـــدا هـــو ١٠٠ مليون أو مايقرب منه .

كانت قوة القارة وقتئذ وطاقتها الحيوية مستنزفة الى حد بعيد فى تجارة الرقيـــق التى حملت فيها السفن أبنـــاء افريقية الى مواطن جديدة من أهمها أمريكا الشماليـــة والوسطى والأجزاء الشمالية والشرقية من أمريكا الجنوبية .

وهنـــاك الآن حسب ما ذكره بويد وفان رنزبرج ١٩٦٢ نحو خمسين مليونا من اصل افريقى يعيشون خارج قارتهم . واكبر قدر من هؤلاء يعيشون كزنوج أو فيهم دماء زنجية فى العالم الجديد وبخاصة الولايات المتحدة وأمريكا الوسطى والبرازيل .

ومع انتهاء هذه التجارة بدأت افريقيـــة تحتفظ بسكانها وأصبحت هى مجالا جديدا من مجالات التوسع الاستعمارى . وبدلا من أن يلجأ الاستعمار الى تهجـــير الافـــريقيين وتسخيرهم خارج قارتهم ، دخل عليهم أرضهم واستغلهم فيها فى ظروف لا تختلف عن الرق الحقيقى الا فى الاسم .

وبدأت افريقية تستقبل وافدين جددا من المستوطنين الاوربيين سكنوا جنوب القـــارة وشرقها ووسطها واستوطنوا أجزاء محـــدودة من غربها . وأبى الافريقيون - أو عجزوا فى بعض الاحيان - عن الاستجابة السريعة لمطالب الاستعمار فى مد الخطوط الحديدية وزراعة بعض الغلات كقصب السكر أو العمل فى بعض الحرف ، فلجـــأ المستوطنون الى استيراد عناصر اسيوية من شبه القارة الهندية بخاصة . وسكن هؤلاء شرق القارة وجنوبها . وسبق هؤلاء جميعا منذ أكثر من عشرة قرون مهاجرون من العرب سكنوا الاجزاء الشرقية من القارة واستوطنوها وخالطـــوا أهلها وتشـــابكت روابطهم وانتشر عن طريقهم الاسلام وامتدت المؤثرات العربية حتى عمت شرق القـــارة ووصلت الى حوض الكونغو .

ومن تفاعل هذه العناصر ظهرت انمـــاط ومشكلات سكانية لها تأثيرها وأعماقها التاريخية وانعكاساتها على صـــياغة حاضر القـــارة ومستقبلها .

والذى يهمنا الان هو ان هذه العنـــاصر جميعا باستثناء بعض العناصر البيضاء تعتبر نفسها ابناء الارض ، يعيشون فيها ويتكاثرون ويورثونهـــا ابناءهم من بعدهم . أى انهم أصبحوا عنـــاصر سكانية مستقرة آخذة فى التكاثر وترى فى الزيادة العـــددية تأكيـــدا

اوجودهـــا وفاعليتها وحقوقهـــا السياســـية والاقتصادية ومكانتها الاجتماعية .

أنماط النمو السكانى وتطبيقها على افريقيـة

وقد درس قسم السكان بالامم المتحـدة أنماط النمو السكانى وقسمها الى خمســة هى :

١ ــ ما قبـل العصر الحـديث : ويمتاز هـذا النمط بمعدلات مواليد عالية ووفيات عالية .

٢ ــ الفتـــرة الأولى لانخفـــاض الوفيات : ويمتاز هـذا النمط بمعدلات مواليد عالية ولـكن معدلات الوفيات فيـه تبدأ فى الانخفاض .

٣ ــ النمط المتقـــدم لانخفـــاض الوفيات ويمتـــاز بمعـدلات مواليد عالية ولكن يزداد فيـه انخفاض معدلات الوفيات .

٤ ــ مرحلة الانتقال : وفيها تبـدأ معدلات المواليـد فى التناقص ويستمر تنـــاقص معدلات الوفيات .

٥ ــ النمط الحـــديث : ويمتـــاز بمعدلات مواليـد ووفيـــات منخفضة .

ويمكن أن تلاحظ أن الانماط الثلاثة الاولى يجمعها ارتفاع معدلات المواليد ويفرق بينها تناقص معدلات الوفاة . وهذا التناقص هو المؤدى الى ما أصبح يسمى بالانفجار السكانى .

وقد استطاعت افريقية المطلة على البحر المتوسط والاطراف الجنوبية من القارة فى مجتمعاتها الاوربية ان تجتـاز النمط الاول الذى يمكن ان تطلق عليه اسم نمط الذبذبات العالية ــ فيما قبل العصر الحديث .. وتحولت بعد الى النمطين الثانى والثالث . أما افريقية المدارية فلا تزال أجزاء كبيرة منها فى النمط الأول وان اخذت اقطارها المستقلة فى الانتقال السريع منه الى النمط الثانى .

وقد يكون الانتقال الى الثـانى والثالث أكثر سهولة من الانتقـــال الى الرابع وهو النمط الانتقالى . ذلك لان التحكم فى الوفيات أيسر من التحكم فى المواليد .

التحكم فى الوفيات يحتاج الى خـدمات طبية وتوسيع فى قاعدة الخدمات وتطـور عالمى فى مقاومة الاوبئة وامراض المناطق الحارة بخاصة . وهذه النواحى تساهم فيها هيئات عالمية ولها ارتباطها بالتقدم العلمى العام . اما التحكم فى المواليد فتتدخل فيه عوامل كثيرة اجتماعية ودينية وخلقيـة وسـياسية واقتصادية ، تتدخل فيه عوامل الصراع بين العناصر المختلفة ورغبة كل منهـا فى تمكين نفسها فى القارة ، تتدخل فيـه رغبة كل شعب فى ان يرى نفسه كبيرا عظيم العدد .

ثم ان لكل مجتمع عددا أنسب لسـكانه يرتبط بنوع الحرفة السائدة . فمجتمـع الصيد قليل السكان ولكن اذا تحول سكانه الى الرعى استطاعت أرضهم أن تحمل عددا اكبر منهم ، فاذا تحولوا الى الزراعـة امكن أن يزيدوا عددهم أو اضـطروا الى زيادة عددهم ، فاذا طوروا زراعتهـم اسـتطاعت أرضهم ان تحمل عددا اكبر ، فاذا تحولوا الى الصناعة زادت أمامهم فرص النمو .

وهنا نجد أنفسنا على مفرق الطرق فى التطور الافريقى .. ما وجهـة القارة فى نموها ؟ وكيف يمكن تحديد العدد الأنسب لسكانها ؟ وهل «يقبل» سكانها تقديرات الأمم المتحدة كأنها خطوط التطور أم أن الوعى الافريقى الجديد أصبحت له فلسفته السكانية التى ينادى بهـا ويعتبر انفجـاره السكانى تعبيرا صادقا عنها ؟ وهـل هذه الفلسفة تشمل القـارة كلها أم هى فلسفة اقليميـة يعبر بحق كل قطر عن نفسه ؟ وبالتالى هل هنـاك فلسفة سكانية واحـدة أو فلسفات متعددة ؟ أسئلة أرجو الاجابة عنهـا فى مقال مقبل .

« دكتور عبد العزيز كامل »

أهمية ليبيا كبلد منتج للبترول



للدكتور لنز ممثل البنك الألمانى
فى ج.ع.م والشرقين الأقصى والأدنى

ترجمة : حسين محمد البشارى

قد أعطى كاتب المقال صـــورة عامة عن الحياة الاقتصادية فى ليبيا .

لقد عاشت ليبيا خلال عام ١٩٥٩ وجزء من عام ١٩٦٠ حياة غيرمستقرة وباكتشاف البترول خلال عام ١٩٥٩ أمكن التغلب على حالة عدم الاستقرار هذه . وقد شد من أزر تقويةهذا الاستقرار تنظيمات القوانين المتعلقة بالبترول والتى الزمت الشركات المنقبة عن البترول الاعتراف بالسيادةالليبية على أراضيها وذلك بالتنازل عن ٢٥ ٪ كل ٥ أعوام من الاراضى المعطاة لها امتياز التنقيب عن البترول فيها أى انه بعد خمسة عشر عاما يتبقى للشركة فقط ربع ما أعطى لها أولا امتيازه والثلاثة أرباع الاراضى يرجع بالتالى الى الحكومة الليبية حسب القوانين وللشركة كل الحرية فى اختيار الربع الذي يمكن استغلاله استغلالا طيبا بعد ذلك .

وفى بدء عام ١٩٥٥ حصلت شركة ـ أسو ستندار ليبيا ـ على أول امتياز للتنقيب عن البترول وبعدها حصلت ثمانى عشرة شركة أجنبية على١٤ امتيازا للبحث عن البترول وفى ربيع عام ١٩٥٩ نجحت التنقيبات الاولى . فقد اكتشفت شركة اسو حيث تنقب فى « زلتن ١ ، زلتن ٢ بجوار الجهيلة على خليج سرتة وكان الانتاج اليومى ذا قدرة تسويقية تجارية .

وعلى حسب التقديرات الخاصة لهذه الشركات الامريكية قدرت كمية البترول الليبى المخزون بحوالى سبعة ونصف مليار طن من هذا البترول ، من هذه الكمية يوجد فى حقلى زلتن ١ ، ٢ واحد ونصف مليار طن .

وقد عرفنا انه خلال عام ١٩٥٥ أعطت ليبيا

امتيازات التنقيب الى بضعة شركات أجنبية ولكن لم يأت عام ١٩٦٠ حتى تنازلت هذه الشركات عن ٧٥ ٪ من امتياز أراضيها الى الحكومة الليبية حسب القانون المنظم وتبقى للشركة صاحبة الامتياز الربع الذى تراه يصلح استغلاله تجاريا .

والادوات اللازمة للتنقيب مثل الات التنقيب عن البترول والماء والاسمنت والمواد المحركة وغيرها كل هذا يجب حمله واحضاره عبر الصحراء بعربات النقل الكبيرة الى أمكنة التنقيب وبذلك يتكلف برج البئر يوميا حوالى ٦٠٠٠ دولار امريكي وقد تم شحن كل هذه الادوات عن طريق الشركات الليبية وعلى هذا كان استيراد سيارات النقل من أسباب نهضة ملحوظة .

وعن طريق هذه الشركات وفد الى البلاد الاف من الاجانب وهذا سبب ارتفاع تكاليف المعيشة وقد تضاعف ايجار المساكن الى ثلاثة أمثاله فى عام ١٩٥٥ ومنذ ١٩٥٨ تضاعف مرتين ، وقد سببت المضاربة على أراضى البناء ان تضاعفت أسعارها . وقد اتجه رأس المال الليبى القليل الى استغلال أراضى البناء والاراضى الزراعية .

وقد تضاعف الدخل القومى عدة مرات أى من ١٥ مليون جنيه ليبى فى عام ١٩٥٠ الى ٥٦ مليون جنيه ليبى عام ١٩٥٩ وكانت زيادة عام ١٩٥٩ محل اهتمام خاص . وكانت هذه الزيادة موضع مخاوف البنك الليبى حيث لم تكن بسبب ازدياد فى الانتاج القومى بل كانت نتيجة عوائد امتيازات التنقيب عن البترول وتأجير القواعد الحربية . ولكن استمر حجم الصادرات ثابتا لم يتغير الا تغيرا طفيفا بينما زاد حجم الواردات فى السنتين الاخيرتين زيادة كبيرة . وكان ٩٠ ٪ من الواردات منحصرا فى السلع الاستهلاكية واقتصر القليل الباقى على بعض السلع الانتاجية والتى تساعد على نمو الاقتصاد الليبى وقد ساعد دخل الحكومة الليبية من عوائد البترول وايجار القواعد الحربية على ازدياد حجم الميزانية الحكومية زيادة ذات قيمة . فبينما كانت مصروفات ميزانية عام ٥٨/٥٩ تبلغ ١٢ مليون جنيه ليبى فقد أعطت ميزانية ٥٩/٦٠ — ١٥ مليون جنيه ليبى أى بزيادة ٢٥ ٪ عن العام الذى قبله .

وفى صيف عام ١٩٦٠ أمكن التحدث عن تقوية الدعامات الاقتصادية الليبية وذلك لوجود البترول بكمية لابأس بها .

وزيادة على ذلك فان الطلبات الزائدة على الزيوت الخفيفة فى الاسواق العالمية جعلت الشركات التى تنقب عن البترول فى ليبيا تفكر جيدا فى مدى تسويقها لمنتجاتها فى الاسواق العالمية وما تعقده من صفقات .

وفوق ذلك فان الشركات التى تنقب فى ليبيا قد أتمت الجزء الاكبر من تنقيبها والذى يمكن استغلاله حتى انها ليست فى حاجة الى اموال أخرى لاستغلالها سوى ما تحتاجه للمواصلات الليبية وأعمال البناء .

وفوق ذلك فقد اتخذت الحكومة الليبية خطوة جريئة للتخلص من عوامل التضخم وذلك باعلان قانون الاراضى والذى يحرم تحريما باتا بيع الاراضى والمبانى الى الاجانب وهذا يعنى ان هذا القانون يطبق أيضا على الاجانب والشركات الاجنبية للبترول . وقد لوحظ فى الاوقات الاخيرة ان الاتجاه الى عملية البناء قد فاق كل حد وتنتهى ببيعها الى شركات البترول ، وبصدور قانون الاراضى عام ١٩٦٠ قلت عملية البناء بشكل ملحوظ جدا وبهذا توقفت عملية استغلال أموال الشركات فى المبانى والاراضى وبهذا أيضا توقف اندفاع رأس المال الاجنبى الى البلاد وتبعا لهذا انخفضت أثمان الاراضى الى النصف .

وبضائع الاسواق الليبية متوافرة ومتنوعة ومخازن تجار الجملة ممتلئة بالبضائع المختلفة والتى صدرت الى ليبيا خلال حالة عدم الاستقرار عام ١٩٦٠ .وتوجد فى ليبيا بضائع من كل الاقطار ولكن يغلب عليها البضائع البريطانية والايطالية .

وقد استوعبت السوق الليبية أخيرا كثيرا من الواردات الالمانية فى السنوات الاخيرة خصوصا فى وسائل النقل وقطاع الات حفر الابار . وفوق ذلك توجد فى الطريق صفقات فى الحديد والاسمنت والدقيق وغيرها من البضائع الاستهلاكية خصوصا المفرقعات التى

تستعمل فى الاغراض الجيوليجية والتى تتعلق بالتنقيب عن البترول . وهناك امكانيات كبيرة للعلاقات الاقتصادية مع ليبيا يمكن الاستفادة منها .

ومركز ليبيا من حيث العملة الصعبة حسن ومعظم حصيلة هذه العملة الصعبة ناتج عن تأجير القواعد الحربية الجوية لكل من أمريكا وانجلترا . وقدر ما وصل ليبيا من جراء هذا التأجير للقواعد منذ ١٩٥٣ حتى الان ومن المعونات الاجنبية الاخرى بحوالى ٤٠٠ الى ٥٠٠ مليون مارك ألمانى وصرف معظمه فى اعادة بناء هيكل الاقتصاد العام لتعمير البلاد .

وقد دخل خزينة الحكومة الليبية من شركات البترول حوالى ٢٠٥ ملايين دولار أمريكى من الشركات المنقبة عن البترول منها ١٠٠ مليون دولار أمريكى خلال عام ١٩٥٩ وحدها .

ومن جهة البترول يتسرب الى خزينة الحكومة الليبية نتيجة تسويق البترول المكتشف وقد قدر هذا الدخل نتيجة العوائد ورسوم استغلال الاراضى بحوالى ١٢٫٥ ٪ من ثمن البترول وبيعه تسليم الموانى الليبية والضرائب الشخصية .

وتتوقع الحكومة الليبية ان يدخل الى خزينتها من عوائد البترول وبعد ان يأتى ثمرة استغلاله ابتداء من عام ١٩٦٤/٦٣ سنويا حوالى ٣٥ مليون دولار أمريكى .

والابار التى حفرت حتى أول مايو عام ١٩٦٠ بلغت حوالى ٢٨ بئرا يمكن أن تستغل تجاريا ويقدر انتاجها اليومى بحوالى ٦٠٠٠٠ برميل يوميا وقدر هذا الانتاج من تلك الابار تقديرا خاصا من الناحية الاستغلالية بحوالى ٣٥ مليون طن سنويا مقابل هذا تنتج الكويت ٧٠ مليون طن سنويا .

ومن صادرات ليبيا الى الخارج يدخل خزينة الحكومة الليبية قدر قليل من العملة الاجنبية وهذه الصادرات القليلة تتركز فى الماشية للذبح وجلود وشعر الحيوانات والصوف والجوز والفول السودانى والبطاطس والانبذة والموالح .

وما تزال مشروعات التصنيع فى ليبيا متخلفة ولكون الاسواق الداخلية محدودة وضعف امكانيات التصدير وما تبعها من تكاليف الحياة كل هذا كان سببا فى عدم اقامة صناعة كبيرة والحقيقة الماثلة التى لا يمكن تجاهلها هى الاهتمام باحتياجات هذا القطاع ومطالبه والقيام بعمل تخطيط بعيد المدى .

ولابد للدولة أن تركز اهتمامها على الموارد الطبيعية وأول ما تفكر فيه هو فى اقامة صناعة الاسمنت وصناعة السكر ومخازن كبيرة للتبريد والعمل على توسيع مينائى طرابلس وبنغازى .

ولتركيز القطاع الزراعى على قاعدة سليمة استدعت الحكومة الليبية بعثة من البنك الدولى الى ليبيا عام ١٩٥٩ حتى تبحث حقيقة الموقف والوضع الاقتصادى للبلاد وقد نصحت هذه البعثة فى تقريرها والذى أعده نخبة من الخبراء الفنيين ان الصناعة احدى الدعامات الكبرى لبناء اقتصاد البلاد — وحتى يتسنى لهذا القطاع النجاح يجب أن يكون أساسه علاقات سياسية ثابتة وسليمة .

((ترجمة حسين محمد البشارى))

مستقبل التعاون الاقتصادى الافريقى

فى ضوء قرارات مؤتمر دول الدار البيضاء

بقلم : يحيى المصرى

باستعراض العلاقات الاقتصادية والمبادلات التجارية بين دول الدار البيضاء والدول الاجنبية يتبين بوضوح مدى التبعية الاقتصادية التى كانت تعانيها هذه الدول فى علاقاتها الاقتصادية بالخارج .

ففى غانا نجد أن محصول الكاكاو — وهو المحصول النقدى الذى تعتمد عليه الحكومة كمورد رئيسى فى تمويل الخزانة — يصدر باكمله الى اربعة دول — هى الولايات المتحدة الامريكية وانجلترا والمانيا الغربية وهولندا. كما ان منتجات غانا الاخرى من الخشب وحبوب الكولا والذهب والماس والمنجنيز والالومنيوم يصدر أغلبها ايضا الى هذه الدول الاربع . وكذلك فان واردات غانا من المنسوجات والغزل والالات والوقود والاسمنت والسكر وبعض الادوات الاخرى تشترى من هذه الدول الاربع ومن اليابان .

وفى غينيا كذلك نجد ان اغلب تجارتها الخارجية يسيطر عليها ثلاث او اربع دول هى فرنسا وهولندا والبرتغال والولايات المتحدة حيث تستورد من هذه الدول المواد الغذائية من بطاطس ومنتجات الالبان وسكر وخضروات .

اما فى مالى فان الوضع اسوأ من ذلك خطرا لارتباط مالى بمنطقة النقد الفرنسية وما يترتب على ذلك من وضع قيود على معاملات مالى التجارية مع الدول الاجنبية باستثناء فرنسا والدول المنضمة لمنطقة النقد الفرنسية ، وعلى ذلك فان تجارة مالى الخارجية تسيطر عليها فرنسا والدول التابعة لها حيث تصدر مالى لهم اغلب منتجاتها من الفول السودانى والقطن والصمغ والماشية والاغنام ، كما تستورد منهم اغلب السلع التى تحتاجها من السكر والدقيق والاسمنت والشاى والكبريت والمنسوجات القطنية .

ولقد كان هذا الوضع سائدا أيضا فى كل من المغرب والجزائر نظرا لارتباطها بمنطقة النقد الفرنسية .

وعلى ذلك فقد كانت اقتصاديات هذه الدول تابعة للدول التى استعمرتها كفرنسا وانجلترا ، وكانت التجارة الخارجية لهذه البلاد محتكرة تماما بوساطة الدول الاستعمارية حتى لقد كانت هناك دول افريقية تستورد منتجات دول افريقية شقيقة لها عن طريق انجلترا او فرنسا ، وهذا ما كان يحدث فعلا بالنسبة للكاكاو الغانى والموز الغينى .

وعندما اجتمع رؤساء دول الدار البيضاء لاول مرة فى أول يناير عام ١٩٦١ قرروا على الفور التخلص من هذه التبعية الاقتصادية واتخاذ الخطوات السريعة لتدعيم الروابط الاقتصادية والتجارية بين دولهم .

وقد تم بالفعل عقد اتفاقات ثنائية بين هذه الدول لتدعيم الروابط التجارية بينها فعقد اتفاق ثنائى بين الجمهورية العربية المتحدة ومالى فى ١٩٦١/٣/٥ ، كما عقد اتفاق ثنائى بين الجمهورية العربية المتحدة ومالى فى ١٩٦١/٥/١٦ ، وبين الجمهورية العربية المتحدة وغانا فى ١٩٦١/٥/٣١ ، كما ان الجمهورية العربية المتحدة كانت مرتبطة باتفاق ثنائى مع المغرب منذ ١٩٥٨/٧/٣١ .

ولا شك انه كان لهذه الاتفاقات اثرها الواضح فى العمل على زيادة المبادلات التجارية والمعاملات الاقتصادية بين الجمهورية العربية المتحدة وهذه البلاد . ولعل هذا الاثر ينعكس فى ارقام المبادلات التجارية الموضحة فيما يلى :

قيمة المبادلات التجارية بين الجمهورية العربية المتحدة ودول الدار البيضاء
(الارقام مبينة بالاف الجنيهات المصرية)

الدولة	الصادرات اليها				الواردات منها			
	صادرات عام ٥٩	عام ٦٠	عام ٦١	النصف الاول من عام ٦٢	عام ٥٩	عام ٦٠	عام ٦١	النصف الاول من عام ٦٢
المغرب	٧٧	١٢٦	٦٦٩	٢١٥	٢٢٠	٢٩١	٣	٤٥
غانا	٢٥	٢١	٨٨	٧٠	٥٨	٤	٩٣	٣٥
غينيا	—	٣٦٧	٣٣٧	٦٧٠	—	١١	٢	٥
مالي	—	—	٩٩٥	٦١٠	—	—	٣	١٣
المجموع	١٠٢	٥١٤	٢ر٠٨٩	١ر٥٦٥	٢٧٨	٣٠٦	١٠١	٩٨

لا توجد ارقام بالنسبة للجزائر

وتبين القائمة الاتية اهم السلع المتبادلة بين الجمهورية العربية المتحدة وهذه البلاد :

غانا :

تصدر الجمهورية العربية المتحدة اليها . . « أرز — كتب مطبوعة أو خطية — بصل — اسمنت — أقمشة قطنية » وتستورد منها كاكاو — أخشاب مستديرة .

غينيا :

تصدر الجمهورية العربية المتحدة اليها .. « أرز — كتب مطبوعة أو خطية — بصل — اقمشة قطنية جوارب قطن — ملابس — بياضات — أحذية » . وتستورد منها أجهزة العاب رياضية — طرود بريد .

مالى :

تصدر الجمهورية العربية المتحدة اليها « كتب مطبوعة أو خطية » وتستورد منها طرود بريد .

المغرب :

تصدر الجمهورية العربية المتحدة اليها « كتب مطبوعة أو خطية — منسوجات حرير صناعى اقمشة قطنية — ملابس جاهزة من قطن » . وتستورد منها زيتون — سردين محفوظ — اسماك وانشوقة محفوظة — شراب غير الفواكه — عسل صناعى — خلاصات نباتية للمشروبات المرطبة .

الاتفاقات الجماعية المعقودة بين دول الدار البيضاء

وعندما بدأت اللجنة الاقتصادية اجتماعاتها فى يوليو عام ١٩٦٢ بمدينة كوناكرى ، اتخذ التعاون الاقتصادى بين دول الدار البيضاء شكلا جماعيا حيث بدأ التفكير لاول مرة فى عقد عدد من الاتفاقيات الاقتصادية الخاصة بتنظيم التعاون الاقتصادى بين هذه الدول ولقد وافقت اللجنة حينئذ على عدة قرارات هامة هى :

١ — الغاء الحواجز الجمركية بين الدول الست الاعضاء فى الميثاق وذلك على خطوات تدريجية خلال مدة خمس سنوات .

٢ — انشاء جهاز اقتصادى دائم يسمى « مجلس الوحدة الاقتصادية الافريقية » ويختص أساسا بدراسة المشكلات المشتركة للتنمية والقيام بالدراسات الخاصة بالتوحيد الاقتصادى لافريقيا .

٣ — ابرام اتفاقية للتعاون الاقتصادى الفنى بين الدول الاعضاء فى الميثاق .

٤ — انشاء بنك افريقى للتنمية الاقتصادية

٥ — العمل على اقامة اتحاد افريقى للمدفوعات وهيئة متعددة الاطراف للمقاصة .

ولقد كانت امام هذه الدول عدة صعوبات ناتجة عن رواسب الاستعمار الذى قاست منه دول هذه المنطقة طويلا ، والذى كان يحاول توجيه اقتصاديات هذه المنطقة الى انتاج المواد الاولية اللازمة لصناعاته وكان من

الضرورى التغلب عليها لكى تتمكن من تنفيذ هذه القرارات والتوصل الى تعاون مستمر فى الميادين الاقتصادية المختلفة .

كما كانت هناك صعوبات أخرى عديدة منها ما يتعلق بالنواحى النقدية نتيجة انضمام بعض هذه الدول لمناطق نقدية اجنبية ، وهـــذه العقبة اثبتت الدراسات انه يمكن التغلب عليها عن طريق نظام للتسويات متعددة الاطراف على أساس وحدة حسابية تستخدم فى تسوية المدفوعات بين هذه البلاد .

ومنهـا ما يتعلق بالنقل سواء بالنسـبة للاشخاص او البضائع ، وهذه العقبة حاولت اللجنة التغلب عليها عن طريق تنسيق الجهود الهادفة لزيادة الرحلات بين هذه الدول ، وايضا كانت هناك عقبـــة ضرورة تخفيض الرسوم الجمركية تمهيدا لاقامة سوق افريقية مشتركة ــ وكانت الصعوبة ترجع لاعتمـاد بعض الدول فى تمويل خزانتها على الرسوم الجمركية كغينيا ومالى ولقد رات اللجنة ان هذا النقص أو الانخفاض فى الدخل لهـذه الدول سوف يعوضه زيادة حجم التبادل التجارى بين هذه الدول .

لا ، فلقد مرت سنوات الحرب العالميـة

وعلى ذلك فان اللجنة الاقتصادية لدول الدار البيضاء تمكنت ــ بعد ان تغلبت على **هذه الصعوبات ــ من توقيع سـبع اتفاقات** اقتصادية جماعية أثناء اجتماعها بالقاهرة فى ابريل الماضى ، وقد روعى ان تمهد هـــذه الاتفاقات للوحدة الاقتصادية الشـاملة بين هذه الدول فى المستقبل القريب ، وان تعمل على تدعيم التعاون فيما بينها لتحرير القارة الافريقية من الاستعمار الاقتصادى الاوروبى وقد تضمنت هذه الاتفاقات الاقتصـــادية ما يأتى :

اولا : انشاء سوق افريقية مشـــتركة : مفتوحة لجميع الدول الافريقية على اساس حرية تبادل البضائع والمنتجات الوطنيـــة وحرية الاقامة والعمل والاستخدام لممارســة النشاط التجارى وحرية النقل والترانسيت واستعمال وسائل النقل والموانى والمطارات المدنية وقد اتفق على الخطوات التنفيـــذية لانشاء هذه السوق . كما صدر قرارجمهورى بالموافقة على انشاء هذه السوق فى ابريل الماضى .

ثانيا : انشاء « اتحاد مدفوعات افريقى » لتسهيل المدفوعات وايجاد نظام للمقاصـــة متعددة الاطراف بين دول الميثاق ، وقـــد صدر قرار جمهورى بالموافقة على انشاء هذا الاتحـاد ويتخـذ حاليـا الخطوات لتنفيــذه

ثالثا : انشاء مجلس للوحـدة الاقتصادية يتولى دراســة المشكلات المشتركة الخـاصة بالتنمية وامكانيات تنسيق البرامج المختلفـة وبحث تنظيم الخطط الاكثر تمشيا مع الدول الافريقية وقد وافق السيد رئيس الجمهورية على انشاء المجلس وسيتم تعيين الاعضاءفى هذا المجلس خلال فترة قريبة .

رابعا : انشاء الاتحـــاد الافريقى لشركات النقل الجوى الدولية وذلك لتنظيم عمليات النقل الجوى .

كذلك لقد اقرت اللجنة النظم الاساسية لاتحاد البريد الافريقى واتحاد المواصـــلات السلكية واللاسلكية .

وفى اغســـطس الماضى عقدت اللجنـــة الاقتصادية لدول الدار البيضاء اجتماعا فى مدينة طنجة بالمغرب لبحث كيفية تنفيذ هذه الاتفاقات اعتبارا من أول يناير عام ١٩٦٣ ، وقد قررت اللجنة ان يوالى الخبراء والفنيون المختصون اجتماعاتهم طوال الفترة الباقيةمن عام ١٩٦٢ لتذليل أية صـعوبات أخرى قد تعرقل تنفيذ هذه الاتفاقيات .

وهكذا عندما توافرت النية لتعاون فعال بين مجموعة هـــذه الدول ، فان المشـــكلات والصعوبات لم تســـتطع ان تعرقل هـــذا التعاون .

حقيقة :

دور الجمهورية العربية المتحدة في افريقية

الدكتور محمد المعتصم سيد



لعل من المفيد الآن أن نسأل أنفسنا عن حقيقة دورنا فى أفريقيا ، وان نوضح الاسس التى يقوم عليها هذا الدور .. وأن نعطى حلولا لهذه القضية من واقع سياسة الجمهورية العربية المتحدة ، فقد أصبح من اللازم علينا الآن أن نتعرف على القارة الافريقية وأن نعمق قضاياها وأن نتتبع خطواتها على طريق الحرية فى حب ، ومساندة

فمما لا شك فيه أن الجمهورية العربية المتحدة تجد نفسها طليعة الكفاح فى أفريقيا وتجد نفسها مسئولة عن نجاح الحركات التحررية فى افريقيا وتجد نفسها تدافع عن افريقيا فى الميدان الخارجى فى الامم المتحدة والمؤتمرات .

كما تجد نفسها تدافع داخليا بالترحيب بالقادة واطلاعهم على أوجه التطور فيها . وبالترحيب كذلك بالمكافحين الذين يجعلون منها منبرا لافكارهم ، وقاعدتهم لآرائهم الثورية وبتقديم المعونات الثقافية والفنية والاقتصادية وبارسال عدد كبير من أبنائها للمعاونة فى نشر التعليم والثقافة فى أكثر من مكان .. وأخيرا بتقديم رأيها واضحا صريحا فى كافة القضايا الافريقية ..

فالجمهورية العربية المتحدة لا تساوم على حساب بلد أفريقى ، ولا تعتمد الى تقويضه من الداخل أو تظهر غير ما تبطن فى مؤتمر من المؤتمرات فموقفها دائما محدد ، وموقفها دائما لا يقبل التأويل أو المساومات ، من كل هذا نرى أن الخط الواضح لسياسة الجمهورية العربية المتحدة هو مساندة كفاح القارة والعمل على احترام الانسانية فيها ، وتغطية الفراغات الاقتصادية والتعليمية والثقافية بحسب امكانياتها ، فهى تعمل أولا وأخيرا من أجل تحرير القارة ، وتطويرها ودفعها الى مستقبل سعيد ..

غير أن هناك بعض المشككين فى هذه السياسة ويهمنا أن نتعرف هذه الآراء لنعرف تناقضها ، وحقيقة الدوافع التى تختفى وراءها ..

فالبعض يرى أن الجمهورية العربية المتحدة تعمل فى القارة داخل دائرة عربية مقفلة ويستشهد على هذا بسياسة الجمهورية العربية المتحدة ازاء الشمال الافريقى ، ومن خلال حديثه هذا يركز أشد التركيز على موقفنا من الجزائر - والاستبسال حول هذه القضية حتى تم لها أخيرا الانتصار .. وكأننا لم نقف بجوار كافة قضايا الحرية بفهم وحماس .

والبعض يذكر أن سياسة الجمهورية العربية المتحدة تتحرك داخل افريقيا فى اطار اسلامى ولا ينسون فى هذا المجال الحديث عن قضية الصومال ووحدته فى الشرق الافريقى .. وأن هذه الوحدة لن تتحقق الا على حساب كينيا واثوبيا ، وان الجمهورية العربية المتحدة لاتعطى لاثيوبيا الحب الذى تعطيه للصومال .. فان صدق هذا فكيف نفسر وقوفنا الى جانب دول مسيحية تماما ؟

ويرى البعض أن الجمهورية العربية المتحدة تعمل داخل اطار رابطة الدار البيضاء » وان سياستها تتأثر بالقرارات والتوجيهات التى تصدر عن هذه الرابطة وتناوىء الكتل الاخرى مع ان الحقيقة تؤكد اننا نعمل دائما على التقريب بين كافة التكتلات فى القارة وقد يحلو للبعض ان يذكر ان ساسة الجمهورية العربية المتحدة تسير فى مخطط ازدواجى هو السياسة « الافرو آسيوية » التى تتأثر بالتيارات السياسية التى تخط لها مجرى فى اسيا وافريقيا معا .. وهم لاينسون أن يذكروا ان لهذه السياسة من يعاديها كالدكتور كوامى نكروما الذى يعتبر فى الوقت نفسه واحدا من العمد التى تقوم عليها سياسة « الدار البيضاء » .

ويذكر آخرون ان سياسة النيل هى التى تسيطر على اتجاهات الجمهورية العربية

المتحدة ، وان هذه السياسة لاتقف عند حدود جمهورية السودان ، وانما تتعداها الى رابطة « حوض النيل » كله والتى تضم السودان ، واوغندة ، وكينيا ، وتنجانيقا ، لان الطبيعة هى التى تجمع بين كل هذه الاجزاء مجتمعة .. سواء أكان هذا الاجتماع على نحو النخلة وجذورها وفروعها كما ذكر تشرشل فى كتاب « حرب النهر » أو على حد القصبة البلعومية وما يجاورها على حد تعبير « جون جنتر » .. فى كتاب « داخل افريقيا »

واخيرا .فلاينسى البعض ان يذكر ان سياسة الجمهورية العربية المتحدة متأثرة فى خطواتها بتقدم اسرائيل فى افريقية ، وانها لاتتقدم الى مكان الا وهى متأثرة بخطوات اسرائيل فيه ــ سواء أكانت هذه الخطوات تقدما أو انحسارا .

* * *

من كل هذا نرى التخبط فى محاولة تحليل موقف الجمهورية العربية المتحدة من افريقية ، ونرى الدوافع الحقيقية للنيل من الجمهورية العربية المتحدة ، وتشويه موقفها او تخويف القارة منه أو احاطته اخيرا بنوع من الشكوك .

ونحن يهمنا أن نوضح لهؤلاء حقيقة الموقف وان نذكر لهم أن الجمهورية العربية المتحدة لاتتخذ لها أكثر من وجه فى افريقية ولاتستخدم الاقنعة وانما تضع القارة كلها على مستوى واحد من الفهم ومن المساندة وانها لاتتحيز لدولة دون أخرى .. وان هذه السياسة لاتتبدل حتى مع الدول التى تأخذ خطا مخالفا لسياستها .

ذلك لانها تؤمن ان القارة الافريقية فى فترة « ترتيب داخلى » وان ظروف كل دولة هى التى تحركها الان .. وان عملية التحويل والتغيير بها يجب الاتفرض عليها من الخارج

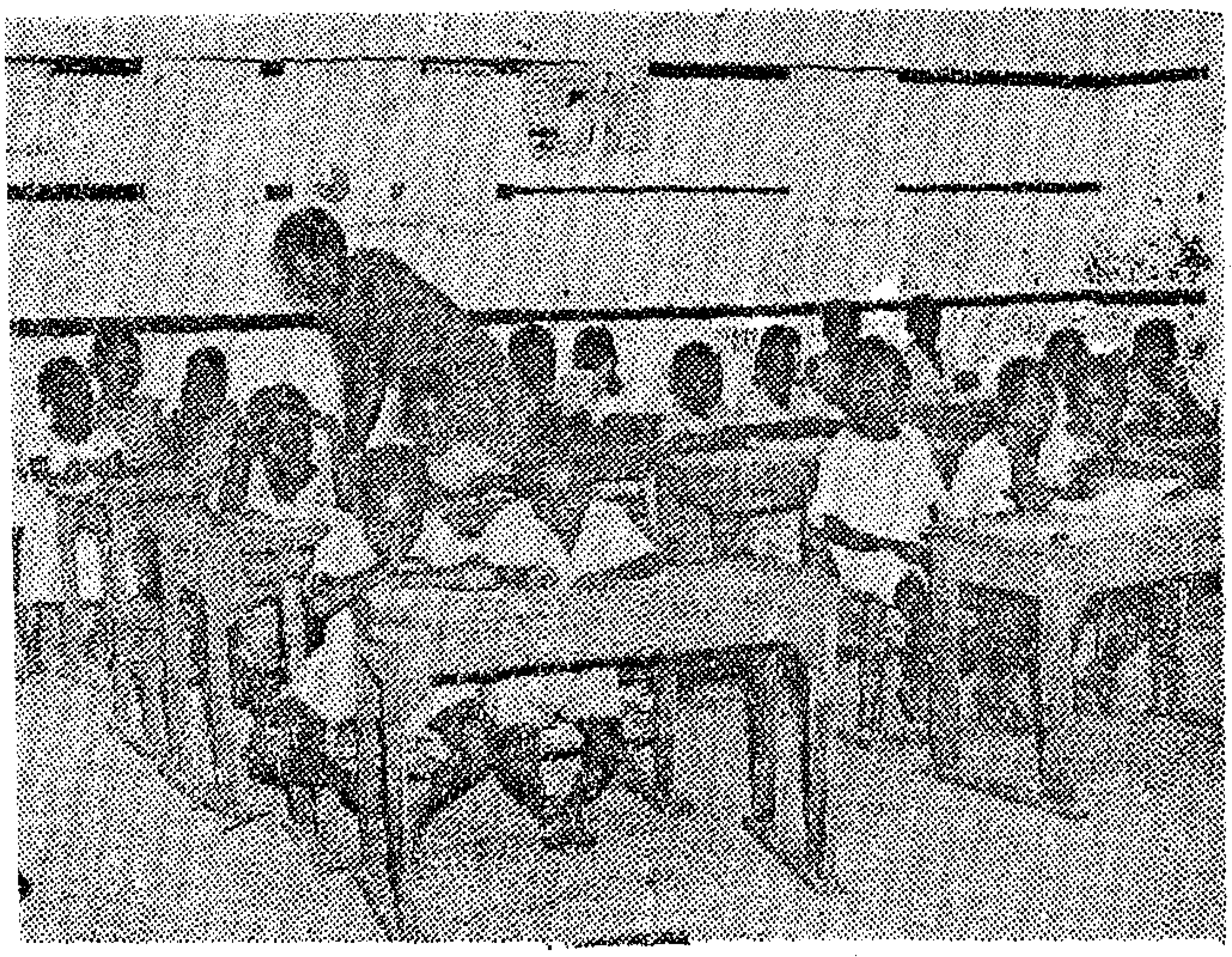
ثم انا اذا لجأنا الى تطبيق الاحداث والى موقف الجمهورية العربية المتحدة من قضايا القارة ، وجدنا أن الجمهورية العربية المتحدة لا تشكل سياستها ولا تلونها بحسب الاطارات المختلفة والاحداث المتعددة ، وان عملية التشكيل والتلوين ليست الا فى أذهان الذين يريدون التشويش ، والنيل من الجمهورية العربية المتحدة ، واظهار موقفها بالدولة التى تنتهز الاحداث لتحصل على مكاسب سريعة . والتى لا تتصرف وفق وجهة نظر شاملة محددة المعالم ، وانما وفق سياسة تتسع أحيانا ، وتضيق أحيانا أخرى تبعا للظروف وتطوراتها ..

ولهؤلاء نقول ان للجمهورية العربية المتحدة سياسة واضحة المعالم فى افريقية ، وان هذه السياسة ظهرت فى كافة المواقف العلنية التى أخذتها ازاء القضايا الافريقية ــ فهى تساند هذه القضايا جميعا ــ وتدافع عنها فى كافة المجالات وتعمل على تجميع الدول المتنافرة .. وبوحى من هذه السياسة قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع جنوب افريقية لانها تمتهن كرامة الانسان الافريقى ، وقطعت كذلك علاقاتها مع بلجيكا حين لعبت بلجيكا دورا شريرا فى الكونغو .

فاذا أخذنا هذين البلدين مثلا على هذه الساسة وجدنا أن جنوب افريقية والكونغو ، لا يدخلان فى واحد من الدوائر التى يتوهم البعض أن الجمهورية العربية المتحدة تتحرك داخلها ..

أن بلادنا لها سياسة واضحة المعالم تقوم على الحرية الشاملة وعلى الوحدة النابعة من الشعوب وعلى مساندة كافة القضايا من أجل انسان افريقية الجديد الذى يسير اليوم بثقة وفهم فى كافة مجالات الحياة .

« دكتور محمد المعتصم سيد »



حاجات افريقية في ميدان التعليم

للدكتور علي ابراهيم عبده

قد استيقظت القارة الافريقية ، وأصبحت في تطور مستمر اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، ولذلك فهي تبذل جهودا جبارة للنهوض بالتربية والتعليم ، حتى ان بعض الحكومات تنفق ما يزيد على عشرين في المائة من ميزانيتها في هذا المجال ، وبالرغم من ذلك ، ومن مضاعفة عدد التلاميذ الذين يلتحقون بالمدارس خلال العشر سنوات الماضية ، فاننا نجد أن حوالى ١٦ ٪ فقط من الاطفال ممن هم فى سن التعليم يجدون لهم أماكن فى المدارس . وتهبط هذه النسبة فى بعض الدول الى ٢ ٪ ، بينما تصل فى القليل منها الى ٦٠ ٪ . ويمكننا أن نجمل احتياجات القارة الافريقية فى ميدان التربية والتعليم فيما يأتى : الأبنية المدرسية ، والمعدات والادوات ، والكتب المدرسية ، والمعلمين ، والحاجة الى اصلاحات وأساليب جديدة فى التعليم الفنى والتعليم الريفى وتعليم البنات وتعليم الكبار ومحو الامية والتعليم العالى والحاجة الى تعديل المناهج والبرامج الدراسية .

فمن ناحية المبانى المدرسية تعانى الدول الافريقية نقصا كبيرا فيها ، وخاصة بالنسبة للمرحلة الابتدائية ، لأن بعض المبانى الموجودة حاليا غير مناسبة على الاطلاق لاغراض التعليم ، وكما قال السيد خاكتلا وزير التربية والتعليم فى باسوتولاند « كثيرا ما نجد فصول المرحلة الاولية مبنية من الطين والقش ، وخالية من الاثاث تماما » . وعلى سبيل المثال تحتاج أثيوبيا الى ٨٢ ألف فصل للمرحلة الاولى و ١٨ ألف فصل للمرحلة الثانوية ، كما أن غينيا تحتاج الى عشرين ألف فصل . ويذكر وزير التربية فى جمهورية الكاميرون فى بيان له أن عدد الفصول الصالحة فى بلده لا يتجاوز ثلث الموجود منها . وكل هذا يعطينا صورة عن ضخامة هذه المشكلة .

ويتطوع الاهالى أحيانا للقيام بتشييد بعض الفصول الجديدة أو بتوسيع الفصول الموجودة لاستيعاب العدد المتزايد من التلاميذ، ولكن هذا لا يحل المشكلة . واذا انتقلنا الى التعليم الثانوى والتعليم العالى ، نجد أن الاحتياجات لا تقتصر على بناء فصول جديدة ، بل تتضمن أيضا بناء مساكن للطلبة والمعلمين والموظفين ، وانشاء معامل وما اليها من مقتضيات التعليم . والتوسع فى التعليم الابتدائى يتطلب توسعا فى التعليم الثانوى والعالى لسد حاجة التعليم الابتدائى من المعلمين وغيرهم من ذوى الثقافة الثانوية . وكل ذلك

يتطلب — بطبيعة الحـال — البحث عن طرق سريعة واقتصـادية لتصميم واقامة مبـانى مدرسية مبسـطة تتفق ومختلف البيئـات الافريقية ، مع مراعاة الاحتيـاجات التربوية وتزويدها بالتجهيزات والادوات اللازمة ٠

أما من ناحية المعدات والادوات ، فان الدول الافريقية تشعر بالحاجة الى معـدات وأدوات فى جميع مراحل التعليم ، وخاصة ما يلزم للتعليم الفنى والمهنى والعالى من معامل وورش٠ وتشتد هذه الحاجة فى الفصـول والبرامج الجديدة ، التى يجب أن تكون مسايرة للتطور العلمى الحديث ٠ وفى أغلب الاحيان تشترى هذه الادوات من خارج القـارة الافريقية ، نظرا لطابعها العلمى المتخصص ، مما يقتضى توفير عملات أجنبية لشرائها ٠

وبخصوص الكتب المدرسية ، فان المدارس الافريقية تحتاج الى كتب لجميع مراحل التعليم٠ ويلاحظ أن معظم الـكتب التى تـدرس فى المدارس الافريقية أجنبية ، أعدت لابناء دول وبيئات أجنبية ، ولا تتمشى مع ظروف التعليم فى افريقية ٠ ولذلك لزم اعادة تأليفها بحيث تتفق مع احتياجات التعليم الافريقى ، ومع المناهج الجديدة ، وتسـاير النهضة العلمية والثقافة الحديثة ، وتزود التلميـذ الافريقى بثقافة بلاده ، وتعرفه بتاريخها وحضـارتها وجغرافيتها ٠ وكل ذلك يتطلب وقتـا ومالا وجهدا ٠ وقد بدأت بعض البلاد الافريقية — مثل غانا — فى هذا الطريق ٠

أما عن المدرسين ، فليست المشكلة مشكلة نقص شديد فى عددهم فقط ، بل هى أيضا مشكلة ضعف مستواهم ، فمعظمهم لم ينالوا الاعداد الكافى والتأهيل المهنى المطلوب ، وتقتصر مدة اعدادهم على برامج قصيرة مؤقتة لمن أتموا الدراسة الابتدائية أو الثانوية على الاكثر ٠ ولذلك ففى الوقت الذى يجب فيه توفير عدد أكبر من المعلمين ، يلزم العمل على رفع مستوى كفاية المدرسين العاملين فعلا ٠ ولا يمكن فى أغلب الاحيان اعطاء أولوية لمرحلة على مرحلة أخرى ، اذ أن التوسع فى التعليم الابتدائى يتطلب توسعا فى التعليم الثانوى لسد حاجة التعليم الابتدائى من المعلمين ، كما أن التوسع فى التعليم الثـانوى يتطلب توسعا فى التعليم الابتدائى لتزويد المدارس الثـانوية بالتلاميذ ٠ اذن يجب على الدول الافريقية أن تعمل على ايجاد توازن بين هذه المراحل ٠ كما يجب عليها أن تعالج مشكلة عدم الاقبال على مهنة التـدريس ، بسبب ضآلة المرتبات التى تعطى للمعلمين ٠

وبالنسبة للحاجة الى اصلاحات وأساليب جديدة فى بعض أنواع التعـليم ، فان هذه الحاجة تنبع من صميم الحياة الأفريقية ٠ فاننا نجد أن التعليم الفنى والمهنى يكاد يكون منعدما فى كثير من الاقطار الافريقية سواء فى المستوى المتوسط أم الثانوى أم العالى ٠ ولذلك فان الحاجة الشديدة تدعو الى ايجاد هـذا النوع من التعليم فى البلاد التى لا يوجد فيها والى التوسع فيه وتطويره فى البلاد الاخرى ، حتى يمكن توفير الكفايات اللازمة من القوى البشرية بكافة مسـتوياتها ، بحيث يتضمن التعليم الفنى برامج فى الزراعة والصـناعة والحرف المختلفة والاعمال التجارية ٠ كما أن اقتصاديات افريقية تعتمد اعتمادا كبيرا على الزراعة ، بالرغم من اتساع التصنيع فيها ، ولذلك يجب أن تكون مناهج التعليم الابتدائى والثانوى متمشية مع البيئة الريفية ، ومسايرة لاحتياجات الريف ، بقصد زيادة الانتـاج الزراعى ، وتحسين حيـاة المجتمع الريفى ، وزيادة فرص العمل فى أنحاء الريف ، ومكافحة النزوح من القرى الى المدن ٠ كما أن التخلف فى تعليم البنات واضح جدا فى الاقطار الأفريقية وتشـير الاحصائيات الى أن ثلاثين فى المائة فقط من تلاميذ المرحلة الابتدائية من البنات ، ولا تزيد نسبة البنات فى التعليم الثـانوى عن ٢٢ ٪ ٠ ولذلك فان الحاجة ماسة الى الاهتمام بتعليم البنات ، لشدة الحاجة الى جهودهن فى الاعمال التى تصـلح لها المرأة بطبيعتها كالتدريس والتمريض وتربية الاطفال وغير ذلك ٠ والامية شائعة فى افريقية لدرجة كبيرة ، حتى ان عدد الذين لايعرفون القراءة والكتابة فى افريقية يزيد على مائة مليـون نسمة ، مما يعوق تقدم هذه القـارة ٠ ولذلك يستدعى الامر بذل الجهود الجبـارة لتنفيذ برامج محو الامية بين الكبـار ، على ألا تقتصر هـذه البرامج على تعليم القراءة والكتابة والارقام فقط ، بل يجب أن تتضمن

ثقافة خاصة ، تعمل على تنمية الوعى بين الكبار ، وعلى تحسين مستوى انتاجهم ومعيشتهم . ومعظم الدول الافريقية تحس احساسا عميقا بالنقص الشديد فى التعليم العالى ، واثنان فى الالف ممن هم فى سن الدراسة الجامعية هم الذين يلتحقون فقط بالمعاهد العليا فى افريقية ، وتوفير احتياجات التعليم العالى فى الوقت الحاضر فى افريقية يتطلب جهودا كبيرة فى وضع الخطط لتشييد المعاهد العالية الجديدة وانشاء الجامعات والكليات الفنية ومعاهد البحوث والمعامل وغير ذلك .

أما عن الحاجة الى تعديل المناهج والبرامج الدراسية فى افريقية ، فان البرامج والمناهج الموجودة حاليا فى معظم أنحاء القارة دخيلة وغريبة ولا تتفق مع المجتمع الافريقى وتقاليده وحضارته ، ولذلك يجب تعديلها تعديلا جذريا ، بحيث تتمشى مع البيئة الافريقية ، وتعمل على تنشئة أبناء القارة تنشئة قومية .

هذه باختصار الاحتياجات التعليمية فى فى افريقية . وقد وجهت هيئة الامم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) اهتماما كبيرا بهذا الموضوع ، فناشد المؤتمر العام الحادى عشر لهذه الهيئة ، الذى عقد فى باريس فى أواخر عام ١٩٦٠ ، الدول الاعضاء أن تساهم فى التوسع فى التعليم فى افريقية ، وأن تكون هذه المساهمة فى ميادين مختلفة كالابنية المدرسية ، وانتاج المواد اللازمة للتعليم ، وايفاد الخبراء ، وتقديم المنح الدراسية .

ثم دعته منظمة اليونسكو واللجنة الاقتصادية الافريقية للامم المتحدة ، الى عقد مؤتمر فى اديس ابابا فى المدة من ١٥ — ٢٥ مايو سنة ١٩٦١ لدراسة تطوير التعليم فى افريقية . وكان هذا المؤتمر هاما حقا فى تاريخ اليونسكو وفى تاريخ افريقية ، فقد اشترکت فيه ٦٣ دولة منها ٣٦ دولة من افريقية . كما اشتركت فيه عشر من المنظمات الدولية المتخصصة التابعة لهيئة الامم المتحدة ، كمنظمة العمل الدولية ، ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الاغذية والزراعة . هذا بالاضافة الى اثنين وعشرين مؤسسة وجمعية دولية غير حكومية ، مثل المعهد الدولى للعلوم الادارية ، والاتحاد الدولى لحرية التعليم ، والاتحاد النسائى الدولى .

وقد بحث المؤتمر فى جلساته العامة أربعة موضوعات هى :

١ — الاحتياجات التعليمية التى يتطلبها التقدم الاقتصادى والاجتماعى .

٢ — التعليم باعتباره أحد الاسس التى تنهض عليها التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٣ — أشكال التعاون الدولى فى وضع وتنفيذ برامج التوسع التعليمى فى افريقية .

٤ — تطوير التعليم من حيث علاقته بالاطار الثقافى والاجتماعى فى افريقية .

وناقشت اللجان الفرعية المنبثقة عن المؤتمر موضوعات : تمويل التعليم ، وعملية تخطيطه ، وبرامجه ومستلزماتها ، واعداد المعلمين وتدريبهم ، والتعليم المهنى الفنى ، وتعليم الكبار .

وقد اتخذ المؤتمر قرارات هامة فى هذه الموضوعات ، أهمها أنه وافق على مشروع أطلق عليه اسم « خطة اديس ابابا » . ووقع على هذا المشروع مندوبو ٣١ دولة افريقية وانجلترا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا . ويتضمن هذا المشروع برنامجين : أولهما قصير المدى (١٩٦١ — ١٩٦٦) والاخر طويل المدى ، يمتد من ١٩٦١ — ١٩٨٠ .

ويتعلق البرنامج الاول ، بصفة خاصة ، بمسائل التعليم الابتدائى ، بحيث يزيد عدد التلاميذ من ١١ مليونا الى ١٥ مليونا فى عام ١٩٦٦ ، أى من ٤٠ ٪ الى ٥١ ٪ من مجموع الاطفال ، الذين يبلغون سن دخول المدارس ، وبحيث تزيد أيضا نسبة التلاميذ الذين ينتقلون من المرحلة الابتدائية الى المرحلة الثانوية من ٣ ٪ سنة ١٩٦١ الى ٩ ٪ سنة ١٩٦٦ .

أما برنامج العشرين سنة ، فيتضمن تعميم التعليم الابتدائى بجميع انحاء القارة الافريقية ، وزيادة نسبة التلاميذ الذين ينتقلون منه الى التعليم الثانوى الى ٣٠ ٪ ويتضمن هذا البرنامج أيضا تقدما كبيرا فى التعليم العالى ، فبمقتضاه يتاح لعشرين فى المائة من الحاصلين على شهادات نهاية التعليم الثانوى الالتحاق بالتعليم العالى .

ومعنى ذلك أن نسبة الجامعيين التى لم تتعد ٢ر٠ ٪ من مجموع طلبة التعليم الابتدائى فى سنة ١٩٦١ سوف تزيد الى ٢ ٪ أى بزيادة قدرها عشرة أمثال .

وكل من البرنامجين يتضمن تنمية واسعة فيما يتعلق بتكوين المعلمين فى جميع المستويات وكذلك التوسع فى التعليم المهنى والفنى وتعليم الفتيات ومحو الامية ، ووسائل سد النقص فى المبانى المدرسية ، وتحسين الكتب المدرسية كما وكيفا .

ويقع جزء كبير من الاعباء المالية التى يقتضيها هذان البرنامجان على عاتق الدول الأفريقية نفسها وبهذه المناسبة وافق مؤتمر اديس ابابا على توصية تقدمت بها اليونسكو مع اللجنة الاقتصادية ، تقضى بأن ترفع الدول الافريقية النسبة المخصصة للتعليم فى ميزانياتها من ٣ ٪ سنة ١٩٦١ الى ٤ ٪ خلال السنوات الخمس التالية فالى ٦ ٪ خلال سنة ١٩٨٠ . وتقدر الاحصائيات تكاليف برنامج السنوات الخمس بنحو ٤ مليارات و ١٥٠ مليون دولار ، تدفع منها الدول الافريقية ٢ مليار و٨٤٠ مليون دولار ، والمبلغ الباقى وقدره مليار و ٣١٠ ملايين دولار يسدد من معونة خارجية أهلية ودولية .

ووافق مؤتمر اديس ابابا فى جلسته الاخيرة على قرار ينص على دعوة منظمة اليونسكو الى الاتصال بجميع المنظمات الدولية والحكومات والمعاهد العامة أو الخاصة التى يمكنها أن تتقدم بمساعدة صادقة ، ومطالبتها بالمساعدة المالية فى المشروعات التى أوصى بها المؤتمر . وبصدد هذه المعونة الاجنبية بدت الحاجة ماسة الى الخبراء والفنيين من المستويات العالية ، الذين تكون مهمتهم المعاونة فى وضع الخطط وتشكيل هيئات الأشراف والتوجيه ، وروعى أثناء مناقشة نقطة المعونة الاجنبية أن تكون غير مشروطة وحرة من أى قيد ، وأن تكون موقوتة بفترة معينة ، تعمل خلالها الدولة المعانة على تطوير نظمها بحيث تستطيع تحقيق الاكتفاء الذاتى لوطنها ، وأن ترتبط المعونة بالمنظمات الدولية حتى تكون بعيدة عن أى صبغة سياسية معينة وتتفق مع السلام العالمى والتفاهم الدولى .

وفى هذا الشأن جاء فى خطاب السيد مندوب الجمهورية العربية المتحدة فى المؤتمر ما نصه :

« ان أية دولة تعتمد على المعونة الخارجية لفترة طويلة من الزمن ، انما تقوض دعائم استقلالها ، اذ من غير المعقول أن تستمر أية دولة من الدول المعينة على بذل المعونة الى أجل غير مسمى ، وأن تكون لدى الدولة المعانة الثقة التى تمكنها من الوقوف على أقدامها فوق أرض ثابتة ، والاعتماد على نفسها فى نضالها فى معركة التربية والتعليم .

من أجل ذلك ، يجب أن نضع نصب أعيننا أن أية معونة خارجية انما هى معونة موقوتة ، وعلى كل دولة معانة أن تضاعف جهودها فى سبيل استثمار مواردها الطبيعية ، وزيادة دخلها القومى ، وتنمية مواردها البشرية ، وتدريب شبابها على تحمل المسئولية الكاملة لكى يتسنى لها أن تستغنى عن المعونة الخارجية فى أقرب وقت مستطاع » .

وقد ساهمت دول كثيرة فى مشروعات التعليم فى افريقية . من هذه الدول الولايات المتحدة الامريكية ، وجمهورية المانيا الاتحادية ، والهند ، والجمهورية العربية المتحدة . وكما يقول السيد مندوب الجمهورية العربية المتحدة فى مؤتمر أديس أبابا « ان الجمهورية العربية المتحدة لتؤمن فى هذا السبيل ، ايمانا راسخا ، بضرورة التعاون المشبع بروح الاخلاص بين الدول الافريقية ، لما بين هذه الدول وبينها من روابط ثقافية وتاريخية وبشرية ، وهى تضع فى سبيل ذلك تحت تصرف شقيقاتها الافريقيات كل ما تستطيع من أجل النهوض بالتربية والتعليم ، بل اننا نضحى ببعض احتياجاتنا ، فى كثير من الاحيان ، لكى نوفر لاخواننا فى افريقية ، احتياجاتهم الضرورية » .

واعتماد خطة أديس أبابا لتطوير التعليم فى افريقية الى حد كبير على المساعدات الدولية ، يتطلب اجراءات ادارية واقتصادية عديدة فى الدول الافريقية ، ولذلك دعت هيئة اليونسكو وزراء التربية والتعليم فى جميع دول افريقية الاعضاء فى المنظمة أو المنتمية اليها الى اجتماع عقد فى باريس فى أواخر فبراير سنة ١٩٦٢ لدراسة هذه الاجراءات وتنسيقها ، ولدعم نشاط المنظمة فى ميدان التعليم فى افريقية .

ثم دعت اليونسكو الى مؤتمر عقد فى تناناريف عاصمة جمهورية مدغشقر فى المدة من ٣ ـ ١٢ سبتمبر سنة ١٩٦٢ لدراسة تنمية التعليم العالى فى افريقية . وقد وضع مؤتمر تناناريف فى اعتباره قرارات مؤتمر اديس أبابا . من ذلك مثلا ان مؤتمر أديس أبابا وضع برنامجا زمنيا لمدة عشرين سنة تنتهى عام ١٩٨٠ ، واقترح خطة لتنمية التعليم العام والفنى خلال هذه المدة ، فوجد مؤتمر تناناريف فى هذه الخطة أساسا صالحا للخطة التى اقترحها لتنمية التعليم العالى فى نفس الفترة الزمنية ، وما كان يمكن التفرقة بين الخطتين ، نظرا للارتباط القائم ، والذى لا يمكن تجاهله بين مراحل التعليم المختلفة .

وقد بحث مؤتمر تناناريف موضوعين هامين هما : هيئات التدريس فى التعليم العالى فى افريقية ، وتمويل هذا التعليم ، واتخذ عدة توصيات فى كل من الموضوعين .

ومن أهم التوصيات بشأن هيئات التدريس ضرورة العمل على أفرقتها ، بحيث يصبح كل أعضائها أو أغلبهم من الافريقيين فى عام ١٩٨٠ ، والاعتماد على الجمهورية العربية المتحدة ، كواحدة من دول افريقية ، فى المساهمة بنصيبها فى تحقيق هذه الرغبة ، وذلك بقبولها أكبر عدد من الطلبة الافريقيين ، سواء منهم المنتظمون فى مراحل التعليم العالى أو المراحل السابقة واللاحقة لها . ومنها أيضا الانتفاع من برنامج الثلاثمائة منحة ، الموضوع بمعرفة اليونسكو ، لاعداد وتدريب مدرسى الجامعات والمعاهد العالية بافريقية .

ومن أهم التوصيات ، التى اتخذها هذا المؤتمر بشأن تمويل التعليم العالى فى افريقية ، اقامة علاقات تعاونية وثيقة بين المعاهد والكليات الجامعية فى الدول الافريقية ، لضمان الاستفادة من الموارد ، الممكن الحصول عليها لغرض التعليم العالى ، افادة كاملة وبطريقة فعالة .

وهناك نقطة هامة أختم بها هذا المقال ، وهى تغلغل النشاط الاسرائيلى فى ميدان التعليم والثقافة فى افريقية . وقد وجدت اسرائيل فى العلاقات الثقافية فرصة مواتية مثمرة للدعم هذا النشاط ، فقامت بعقد المعاهدات الثقافية ، وبانشاء المكاتب والمراكز الثقافية ، وتكوين جمعيات الصداقة والجمعيات اليهودية ، وتبادل الزيارات ، والاشتراك فى المؤتمرات والمعارض ، وانشاء المدارس والمعاهد والكليات والقاء المحاضرات ، وتقديم المنح الدراسية . ومراعاة لظروف بعض البلاد الافريقية ، نظمت اسرائيل برامج علمية تؤهل الطلاب فى فترة قصيرة لتولى الاعمال الادارية والفنية التى تحتاج اليها البلاد بسرعة فى أعقاب استقلالها . وبلغ باسرائيل الامر أن تقدمت بعروض للدول الافريقية ، التى يعتنق بعض مواطنيها الدين الاسلامى ، لتعليم اللغة العربية فى تلك الدول ، وزعمت اسرائيل أن لديها خبرة فريدة ممتازة فى تعليم اللغة العربية كلغة أجنبية بالنسبة للطلاب الذين لا يعرفون هذه اللغة ، وأن لديها أحسن الكتب لتعليم هذه اللغة باللغتين الانجليزية والفرنسية .

وتعتمد اسرائيل فى تغلغلها الثقافى فى افريقية على النفوذ الاستعمارى فى القارة والعناصر الاجنبية فيها ، وعلى حاجة الدول الافريقية الى المعونة الفنية والمالية ، وعلى تقديم المنح الدراسية على نطاق واسع وبمزايا مغرية . وقد نشرت جريدة « جازيت دى لوزان » السويسرية مقالا بعنوان « مجهودات اسرائيل فى افريقية » بقلم شارل هنرى فافرود ، فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٦٢/٦/٢٥ ، جاء فيه ما نصه :

« يوجد فى افريقية الان ٩٠٠ خبير اسرائيلى ، وهناك ألف افريقى يتابعون دراستهم فى اسرائيل ، وثلاثة آلاف انتهوا منها ، اذ أن مدرسة حيفا والمعهد الافروآسيوى فى تل أبيب يقبلان كل الشبان الذين يريدون أن يدرسوا فيهما » .

وتتحمل اسرائيل فى هذا الصدد أعباء مالية ضخمة ، لا يمكن أن تتحملها ميزانيتها ، ولا بد أن هناك من الدول الاستعمارية ما يوجهها ويعاونها ماديا وأدبيا فى استغلال هذا النشاط لمصلحة الطرفين . ولذلك يجب على الدول العربية والافريقية أن تبذل أقصى ما تستطيع من الجهد لمقاومة تغلغل اسرائيل فى افريقية ، فهى رأس جسر للاستعمار فى القارة .

وثائق تاريخية عن الوحدة الافريقية

بقلم رضا خليفة

تشهد القارة الافريقية حدثا تاريخيا هذا الشهر بالتقاء رؤساء ٣٢ دولة افريقية في مدينة واحدة . في اديس ابابا عاصمة اثيوبيا .. ان وراء هذا المؤتمر سنة كاملة من الاعداد الشاق والاتصالات الدائمة الى ان تبلورت نهائيا فكرة المؤتمر . وصارت الفكرة حقيقة واقعة .

وقد استطعنا الحصول على بعض الوثائق الهامة ، وتنفرد مجلة « نهضـــة افريقيا » بنشرها لاول مرة . وهذه الوثائق هى ثمرة الجهود التى قام بها الرئيس احمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا نيابة عن مجموعة دول الدار البيضاء ، لعرض وجهة نظر هذه الدول على رؤساء دول افريقيا المستقلة ، والتعرف على وجهات نظرهم فى اجتماع القمة . وتشهد هذه الوثائق على مبادرة دول الدار البيضاء لتحقيق هذا المؤتمر الكبير .

وحتى شهر يونيو الماضى (١٩٦٢) كانت فكرة عقد مؤتمر يضم رؤساء الدول الافريقية المستقلة ، مجرد شــعار جماهيرى تردده الشعوب والرؤساء على السواء . وفى الاجتماع التاريخى الذى عقدته مجموعة دول الدار البيضاء فى القاهرة فى يونية ١٩٦٢ ، أصدر قادة الدول الست بيانا طويلا جاء فيه .. « يحبذ الرؤساء التشاور الوثيق والتعاون بين جميع الدول الافريقية المستقلة بغــــرض المحـــافظة على اســـتقلالها وزيادة تنميتهـا الاقتصادية وتطورها الاجتماعى » .

وقال البيان .. « يدعو الرؤساء الى اتحاد تضامن افريقى يضم جميع الدول الافريقية على ان تكون نواتها تجمع الدول الافريقيـــة المستقلة ، والتى يمكن بحث تكوينه فى مؤتمر يضم جميع الدول الافريقية .

سيكوتورى يجس النبض

وطار الرئيس ســــيكوتورى عقب مؤتمر القاهرة الى اديس ابابا مباشرة ، حيث اتفق مع الامبراطور هيلاسيلاسى على العمل من اجل تحقيق امل الشعوب الافريقية فى التقارب والوحدة .

واختار الرئيس سيكوتورى عددا من زملائه المخلصين وبعث بهم الى كل بقاع افريقيا . زاروا ٢١ دولة افريقية واجتمعوا برؤسائها وعاد الرجال الى كوناكرى يحملون وجهات نظر حكام هذه الدول وآراءهم .

وفيما يلى رأى الرؤساء فى المؤتمر ، ننشرها لاول مرة نظرا لاهميتها البالغة فى هذا الوقت بالذات . حيث يلتقى نفس الرجال لمناقشة الوسائل الكفيلة بتقارب الشعوب الافريقية وتعاونها من أجل مستقبل مشرق للقارة كلها وهذه الاراء تتضمنها الرسائل التى بعث بها الرؤساء الى الرئيس أحمد سيكوتورى ..

نحن ملتزمون بقضية الوحدة

ويقول السيد كواوا نائب رئيس جمهورية تنجانيقا والذى زار القاهرة اخيرا .. « نحن ملتزمون بتحقيق الوحدة الافريقية . وعلينا ان نبذل كل جهد ممكن للوصول الى هدفنا المنشود ، وهو وحدة القارة الافريقية الشاملة وان نتدرع بالصبر والايمان بهدفنا . ومن اجل ذلك ، فاننا نشعر انه فى غاية الاهمية ان نتبنى اتجاها مشتركا منذ البداية . ان علينا ان نتجنب الخلافات والاحقاد الصغيرة

فيما بيننا امابالنسبة لاخواننا الذين لايقدرون الحاجة الماسة للوحدة — كما نقدرها نحن — فان علينا ان نتذرع بالصبر . وعلينا الانتخذ موقفا يدفعهم الى معارضتنا . بل على العكس من ذلك ، ان واجبنا ان نبذل كل جهـــد لتقريبهم الينا ، ولو كلفنا ذلك التضحية من جانبنا . ونحن من جانبنا مستعدون لتقـديم تضحيات غالية من أجل وحدة هذه القارة .

وقال السيد كواوا بشأن مؤتمر القمة .. « اننا مقتنعون انه فى مثل هذا المؤتمر سنجد كثيرا من المسائل التى نستطيع الاتفاق عليها ولا يهم فى الحقيقة سواء كانت هذه المسائل كثيرة أم قليلة . فالمهم اننا نستطيع الاتفاق على شيء يكون نقطة انطلاق نحو اتفاق اشمل فى المستقبل .

نيجيريا تؤيد المؤتمر

وفى كلمات قليلة اعرب السيد ابو بكـــر تافاوا باليوا رئيس وزراء نيجيريا الاتحادية عن تأييده المطلق للمؤتمر .

وقال .. اننا متفقون تماما بشأن الوحدة والتضامن الافريقى .

وانه لفى غاية الاهمية ان يجتمع رؤســاء الدول الافريقية المستقلة ، وان يتناقشـــوا بصراحة كاخوة تحدوهم نفس الرغبة فى بحث المشكلات التى تهم كل واحد منهم . وبما أن بعض هذه المشكلات مشتركة بين الجميع ، فان ذلك يتطلب العمل المشترك للوصول الى حلول لها ، تقوم على التعاون والتفاهم المتبادل بين الجميع .

داهومى ..

وقال السيد هيوبرت ماجا رئيس جمهورية داهومى .. « انه فى رأينا أن الخطوة التى تلى مرحلة الكلام عن رغبتنا فى الوحدة ، هى البحث عن الوسائل السليمة والواقعية لتحقيق هذا الهدف والعمل على تنفيذها .

وفى رأيى ان الوسيلة المثلى لتحقيق هذا الهدف هو الاتصال الاخوى الصريح ســواء كان هذا الاتصال على المستوى الجمــــاعى او الفردى .

ادولا يؤمن بالوحدة

وقال رئيس وزراء الكونجو .. ليوبولدفيل السيد سيريل ادولا .. « ان الحكومة المركزيه لجمهورية الكونجو تعرف قيمة التضــــامن الافريقى . ذلك التضامن الذى وقف فى صفنا عدة مرات ، وســــاعدنا على المحافظة على استقلالنا . ونحن نعلم اننا نستطيع الحصول على التاييد والمســـاعدة من جانب الدول الافريقية الشقيقة فى محاولاتنا من اجل الوحدة الاقليمية لهذه الجمهورية ..

ولهذا فانه يسعدنى بشكل خاص ان اعلن هنا ان الحكومة المركزية لجمهورية الكونجو تؤيد عقد مؤتمر لرؤساء الدول الافريقية ، وذلك بدون اى شروط من جانبنا . واننى اعتقد ان الاتصالات الشخصية وحدها ستمكن حكوماتنا على تحديد سياستها المشتركة ، وعلى وضع أساس العمل من أجل الوحدة .

ساحل العاج ..

وفى رسالة السيد هوفوى — بوانييه رئيس جمهورية ساحل العاج .. جاءت عبـارات تأييد كثيرة لعقد مؤتمر القمة .

ويقول الرئيس بوانييه .. « اننا مقتنعون اقتناعا قويا ان اجتماعا كهذا (مؤتمر القمة) لايمكن الاستغناء عنه لتحقيق الوحدة الافريقية التى نتطلع اليها بشغف .

وفى رأينا انه ليس هناك صعوبة كبيرة فى عقد هذا المؤتمر ، الذى نرى دائما انه ضرورى من أجل دفع عجلة التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى لدول افريقيا .

وكان من رأى السيد بوانييه ان يجتمـــع رؤساء افريقيا اولا ، للاتفاق على الخطوط العريضة للتعاون والتقارب والوحدة الافريقية ثم يعقب هذا الاجتماع مؤتمر لوزراء الخارجية لتنفيذ مقررات الرؤساء .

من جمهورية افريقيا الوسطى

وقال الرئيس دافين داكو رئيس جمهورية افريقيا الوسطى فى رسالته للرئيس سيكوتورى « ان شعب جمهورية افريقيا الوسطى وحكومته تدفعهم الرغبة الاكيدة فى خلق التفاهم بين جميع الدول الافريقية ، ووسيلتنا فى ذلك التدعيم الدائم لروابط الاخوة بيننا ..

« واننا لنؤمن ايمانا عميقا بان الوحدة الافريقية هى الشرط الاساسى للتقدم السريع

والمتوازى للدول الإفريقية كلها . كما ان الوحدة هى وسيلتنا الاولى لحماية بلادنا ضد اولئك الذين يتربصون بنا الدوائر ، ويراقبون ابسط الخلافات السياسية بيننا لتحقيق مكاسبهم على حسابنا .

« واعتقادنا الراسخ انه من اجل تقوية التفاهم بين الشعوب ، فان الوسيلة المثلى لذلك هى الاتصالات الشخصية .

فولتا العليا تمد يد الصداقة

واعرب الرئيس موريس ياميوجو رئيس جمهورية فولتا العليا عن موقف حكومتـه وشعبه من مؤتمر القمة بقوله .. « ان شعب فولتا العليا يرى - كمبـدأ من مبـادئه الاخلاقية - أن يمد يد الصداقة والاخوة الى جميع الدول التى تسعى لتحقيق الحـرية والسـلام والتى تحترم كرامة الآخـرين وسيادتهم . ولا شك أن فولتا العليـا تعطى الاولوية فى هذا المجال للدول الشقيقة فى افريقيا .

« وقد قررت فولتا العليا الا تتـوانى عن تقديم كافة الجهود والامكانيات ، فى سـبيل هذه الاجتماعات التى تعقد من أجل زيادة الوعى لدى الرجل الافريقى ، وطالما كانت هذه الاجتماعات تهدف الى تأكيد حيويتنـا النامية وكرامتنا وشخصيتنا ..

« وأن آمالنا المنشودة سوف تتحقق عن طريق الاتصالات المستمرة - فردية وجماعية على السواء - بين رؤساء الدول الافريقية .

رئيس جابون ..

وجاء فى الرسالة التى بعث بها السـيد ليون امبا رئيس جمهورية جابون .. « ان الوحدة الافريقية هى المثل الاعلى الذى يؤمن به شعبنا . وانى أعتقد أن جهودنا يجب أن تتجه - اليوم أكثر من أى وقت مضى - نحو تحقيق هذه الوحدة . وان هذا العمل الكبير يتطلب منا كثيرا من الصبر والارادة الصادقة من جانب الدول الافريقية الشقيقة جميعا .

« وان هناك حقيقة تاريخيـة يجب أن نسترشد بها فى عملنا .. اننا نعيش فى عصر من البناءات العريضة ، وانه فقط فى حالة الارتباط الوثيق بارادة مشتركة ، تسـتطيع الدول الافريقية أن تفرض احترام مثلهـا الاعلى وتفرض سيادتها فى المحافل الدولية .

« وبما اننا قد قمنا باحياء أممنا ، فانه من واجبنا أن نقيم الوحدة الافريقية . ان هذه الوحدة هى العامل الحيوى لتحقيـق التقدم المتناسق لهذه القارة ولتحقيق سعادة شـعوبها .

الكونجو (برازافيل) .. أيضا

ومن الرئيس فولبير يولو رئيس الكونجو (برازافيل) جاءت الى الرئيس سيكوتورى رسالة طويلة ، قال فيها .. « انه من أجل اقامة مجتمع يسوده السـلام والانسجام ، أعتقد انه من الضرورى عقد مؤتمر قمة لجميع رؤساء دول افريقيا دون شرط . وأن مثـل هذا الاجتماع سيأتى بثماره اذا تم اعداده بدقة .

وقال .. « أن روابط الدم التى تربط الافريقيين جميعا يجب أن تساعدهم فى التغلب على الصعاب المؤقتة بينهم . وعلينا بقلوبنا أن نسعى مخلصين نحو كل ما يمكن أن يجمعنا معا ، وأن نلفظ جميع دوافع الفرقة . وذلك بروح من التسامح والرضا . وبدون ذلك لا يمكن اقامة بناء مستقر فوق هذه القارة .

سنجور والعوامل النفسية ..

وقال الرئيس ليوبولد سـنجور رئيس جمهورية السنغال ، بعد المقـدمة .. « ان حكومة السنغال تعتقد أنه يجب علينا الاسراع فى العمل . وان المؤتمر الكبير الذى سيجمع مجموعتى الدار البيضاء ومونروفيـا يجب أن يتم اعـداده بترتيب خاص اذا أريد له ألا يفشل ..

« والحقيقة ان مجموعة الدار البيضـاء لديها ميثاقها بالفعل ، وان تطبيقاته قد فاتت فى اجتماع القاهرة .

وقال الرئيس سنجور .. « ان عقد المؤتمر الكبير لكل الدول الافريقيـة يتطلب - من الناحية النفسية - أن يسبقه مؤتمر لمجموعة دول مونروفيا حتى يمكنها ان تتبنى ميثاقها . (وقد تم عقد اجتماع لدول مونروفيا فى أديس

أبابا فى ديسمبر الماضى حيث صدق ممثلوها على ميثاقهم)

واضافت رسالة سنجور الى سيكوتورى قوله ..

« وهكذا ، فان المواجهة الكبرى سوف تشتمل على ادماج الميثاقين فى ميثاق واحد ، يكون مقبولا ليس للمجموعتين وحدهما ، بل لجميع الدول الافريقية المستقلة .

موريتانيا ضد البلقنة ..

واشار السيد مختار ولد دادا رئيس موريتانيا فى رسالته الى مسائل عديدة .. وقال .. « اننى أرى أن الدول الافريقية بعد تحقيق استقلالها ، ومع استمرار كفاحها من أجل حرية الشعوب التى لا تزال تحت نير الاستعمار ، عليها أن تبذل كافة الجهود لترجمة مثلها الاعلى فى الوحدة الى حقيقة ملموسة .

وقال .. « ان الانعزالية والبلقنة عوامل تؤدى الى الركود والتخلف ، بينما الوحدة ستمكن افريقيا من رسم دورها الكامل فى هذا العالم . كما أن الوحدة ستدعم العمل لتحرير الشعوب الافريقية .

« ... وان المهمة الطويلة التى تنتظرنا تدعونا الى أن نرفض بشكل حاسم سياسة التكتلات العدائية . وقد كنت أفكر دائما ، وكثيرا ما أكدت أن اللقاء بين جميع الدول الافريقية دون تمييز ، يعتبر خطوة ضرورية فى الاتجاه نحو وحدة افريقية .

« واننى أرفع صوتى معلنا تصميم حكومة موريتانيا الكامل للمساهمة فى ذلك العمل المشترك الذى يحقق رغبات جميع الشعوب الافريقية .

ليبيا تؤيد التعاون

وجاء من رئيس وزراء ليبيا ، أن حكومتها تؤيد تماما عقد مؤتمر للقمة .. « يضع حدا للتكتلات المعادية فى هذه القارة . ومن جانبها فان حكومة ليبيا لم تفعل شيئا ولن تفعل شيئا ، يكون من شأنه اشاعة الفرقة بين الدول الشقيقة . وانها ستعمل دائما من أجل التعاون المخلص والمثمر بين الدول الافريقية

سيراليون واستقلال الجزائر

وقال السير ولتون مارجان رئيس وزراء سيراليون .. « اننى أؤمن بشدة أن أملنا المشترك فى وحدة افريقيا ، سوف يتحقق بسرعة أكبر اذا زادت الاتصالات فيما بيننا . وقد سبق أن أعلنت عن نيتنا فى بذل كل الجهود للقضاء على الفكرة المؤلمة بأن القارة الافريقية قد انقسمت — ولوقت طويل — الى مجموعتين متناقضتين .

« واننا فى سيراليون نتطلع باهتمام الى اجتماع رؤساء الدول والحكومات الافريقية — الذى دعينا للاشتراك فيه — دون اعتبار لارتباطنا بمجموعة أو بأخرى .

« واننى سعيد جدا ان مشكلة الجزائر قد تم تسويتها بالاستقلال والسيادة الكاملة للشعب الجزائرى ، فقد كانت هذه المشكلة احدى الاسباب التى حالت دون تمثيل جميع الدول المستقلة فى مؤتمر رؤساء الدول والحكومات فى لاجوس .

ليبريا تؤيد المبادرة ..

وفى كلمات قليلة أعرب الرئيس وليم تبمان رئيس جمهورية ليبريا انه يوافق ويؤيد المبادرة لعقد المؤتمر . وانه مستعد لحضور مؤتمر القمة ، دون نظر الى الداعين له أو مكان انعقاده أو موعده .

موقف الدار البيضاء

وقد كتب الرئيس أحمد سيكوتورى رئيس جمهورية غينيا تعليقا صغيرا على المهمة التى قام بها — نيابة عن دول الدار البيضاء — فقال .. اننا نعتقد ان مهمتنا قد انتهت .

وقال .. « اما بالنسبة لموقف رؤساء دول الدار البيضاء ، ورغبتهم فى عقد مؤتمر على مستوى القمة يضم أولئك الذين يتحملون أكبر المسئوليات فى أفريقيا ، فان الفقرات التالية توضح موقفهم تماما ..

« نحن رؤساء الدول نعلن تصميمنا على العمل على نصرة الحرية فى جميع أرجاء افريقيا وتحقيق وحدتها .

« ونؤكد عزمنا فى مضاعفة جهودنا لاقامة

تعاون دولي بين الدول الافريقية فى ميادين الاقتصاد والاجتماع والثقافة .

« واننا نناشد جميع الدول الافريقية المستقلة الى الانضمام الى عملنا المشترك فى سبيل تدعيم الحرية فى افريقيا وبناء وحدتها وأمنها .

الوحدة الافريقية ممكنة

ويتضح من الآراء الكثيرة التى أوردناها نقلا عن رسائل رؤساء الدول الافريقية ، أن العمل من أجل الوحدة الافريقية قد أصبح ممكنا ومقبولا . فقد أصبحت الظروف السياسية والنفسية أيضا مهيأة لهذا العمل .

وليس خافيا على الافريقيين فى جميع انحاء القارة الافريقية ان العمل المشروع من أجل الوحدة ، يعتبر فى المقام الاول موجها ضد الاسس التى تقوم عليها السياسة الاستعمارية فى افريقيا .كما يعرف الافريقيون الواعون الآثار السيئة التى ترتبت على تقسيم افريقيا بواسطة الاستعماريين . وأن هذا التقسيم قصد به اعاقة جهودنا لاعادة بناء بلادنا على أسس قوية وسليمة .

وطبيعى ان العمل الراهن من أجل الوحدة الافريقية لا يعنى اقامة أنظمة مطابقة للحكم فى الدول الافريقية . ولا تعنى اقامة حزب افريقى واحد او اقامة دولة افريقية كبرى . ولكنها فى الواقع تهدف الى اقامة علاقات بين الدول الافريقية ، يكون من شأنها خلق جو من السلام والثقة والتعاون الاخوى المتكافىء .

وقد كانت الفكرة الخاطئة بأن الوحدة الافريقية لا بد أن تتحقق حول دولة معينة او شخص معين ، من أكبر العقبات التى أعاقت تحقيق الوحدة . وقد أصبح واضحا اليوم أن التطور السياسى والتقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للدول الافريقية ، يتطلب وحده العمل بينها ، على أساس برنامج مشترك ، تقبله كل دولة فى حدود مصالحها ، ويكون قائما على المساواة والاخوة فى اطار من التضامن الافريقى الشامل .

((رضا خليفة))

نيجيريا تتهم اسرائيل

بقلم: احمد صوار

ان اسرائيل التى اوجدها الاستعمار ، فى وطننا العربى . فلسطين على حساب مليونين من السكان او ما يزيد ، تحولوا جميعهم الى لاجئين مشردين ، وما زال الاستعمار يمدها بالسلاح والاموال ، لتكون قاعدة ورأس حربة له ، تهدد أمننا وحريتنا ، هى نفس اسرائيل التى زرعت فضيحة الاقليم الغربى فى اتحاد نيجيريا الفدرالى ، وكشفتها الحكومة الفيدرالية فى لاجوس ، ولجنة ((كوكر)) للتحقيقات التى ازاحت الستار عن حقيقة الاطماع الاسرائيلية فى أكبر بلد فى افريقيا ، وعن الدور المخرب الذى تقوم به ضد مستقبل وحرية الشعب النيجيرى ، الذى قفز تعداده الى أكثر من خمسين مليون نسمة .

ان فضيحة اسرائيل فى الاقليم الغربى من نيجيريا ، وادانتها امام المحكمة العليا فى لاجوس ، بتدبير المؤامرات واعمال الرشوة والفساد بين الحكام والسياسيين ، هى اكبر برهان على عدوان اسرائيل واغراضها الخبيثة فى القارة الافريقية . واذا كانت جميع القرارات التى تمخضت عن مؤتمرات جميع الشعوب والحكومات الافريقية قد تضمنت اتهاما صريحا لاسرائيل ، وبالتالى تحذيرا لحكومات دول القارة من خطر الزحف الصهيونى ، فان هذا التحذير لم يكن مجرد حبر على ورق يضيع ويختفى بمجرد انفضاض هذه المؤتمرات ، بل هو بمثابة ناقوس الخطر انفتح نحن الافريقيين عيوننا جيدا على الخفايا الحقيقية للاغراض والاطماع الصهيونية التى اصبحت تشكل خطرا كبيرا على مصالح الافريقيين . وليس اتهام نقابات العمال فى كينيا وتنجانيقا ببعيد يوم طالبوا حكوماتهم بضرورة غلق الجمعيات التعاونية الاسرائيلية لحماية مصالح التجار الوطنيين والجمعيات التعاونية الافريقية . وعلى العموم فان احداث الاقليم الغربى فى نيجيريا ان دلت على شىء فانما تدل على حقيقة تسلل اسرائيل فى الدول الافريقية النامية وارتباطها بتلك الدول بالمظهر البراق الذى يخفى وراءه كل انواع الطمع والجشع .

وليس من شك فى أن عمال المقاولات فى غرب نيجيريا كانوا على حق يوم جددوا شكواهم لحل شركة ((نيجر صول)) الاسرائيلية وطردها من البلاد بسبب احتكارها لغالبية اعمال المقاولات مما يؤثر فى مصالح الوطنيين .

واذا كنا نتعرض اولا الى قصة الزحف الاسرائيلى على نيجيريا ، انما لنتخذ منه مثالا لزحفها على بقية دول القارة ، وعلى اية حال فانها تمت بالاتفاق وبمساعدة رجال الادارة البريطانية السابقين الذين كان همهم تثبيت اقدام الصهيونية فى تلك البلاد منذ احساسهم بالرحيل وترك مقاليد الامور لاصحابها النيجيريين فقبل عام ١٩٥٢ لم يكن فى نيجيريا كلها يهودى واحد ، ومنذ ذلك الوقت اتجهت انظار اسرائيل الى نيجيريا تبحث عن اسواق لها بعد ان بدأ الشك يساور اليهود فى تحقيق امالهم العريضة فى الوطن العربى بسبب الحصار العربى الذى فرضته الدول العربية على اسرائيل ، وبالتالى قفل هذه الاسواق العربية فى وجهها . والحقيقة ان نيجيريا كانت اكثر من غيرها من الدول الافريقية هدفا للاطماع الاسرائيلية لعوامل عدة اهمها انها اكبر البلدان الافريقية فتعدادها كان قد وصل يومئذ الى اكثر من أربعين مليون نسمة ، بالاضافة الى وزنها السياسى بين مجموعة دول غرب افريقيا . وقد اخذت الطلائع الاسرائيلية تندفع الى نيجيريا بشكل ملحوظ تاره فى شكل افراد

وتارة اخرى فى شكل جماعات يكونون شركات صغيرة مع المواطنين الافريقيين الذين يفتقدون المال والخبرة التجارية . وعلى هؤلاء نسجت السياسة الاسرائيلية مخططها الرهيب .

ولقد اعتمد اليهود على طريقتين الاولى بالتعاون المباشر مع الحكومة وتقديم القروض والمعونات التى جمعوها من الصدقات الامريكية والصهيونية العالمية والثانية تشكيل شركات فردية اقتصادية وزراعية يساهم فيها بالنصيب الاكبر من رأس المال واحيانا برأس المال كله ممولون اسرائيليون ثم يضمون اليهم الشخصيات السياسية ورجال الاحزاب والصحافة كأعضاء فى مجالس الادارة بمرتبات ضخمة .

وليس من شك فى ان الغرض الاول لجميع اوجه التسلل الاسرائيلى يتركز اساسا حول فكرة واحدة هى السيطرة السياسية على حكومات البلدان الافريقية واساءة العلاقة بينهم وبين الحكومات العربية .

ومما هو جدير بالذكر ان الاهداف الاسرائيلية لم تتحقق كلها فى نيجيريا .. ذلك انها اصطدمت فى الشمال بوطنى عظيم هو الحاج احمدو بلو رئيس وزراء الشمال وزعيم اكبر قوة سياسية فى نيجيريا كلها وهى حزب الشعب الشمالى الذى يستمد قوته من اكثر من ثلاثين مليونا من سكان الشمال . وقد رفض الحاج أحمدو منذ توليه رئاسة الوزارة فى ١٩٥٩ التعاون مع اسرائيل لانه ادرك قبل غيره من ساسة نيجيريا حقيقة الاطماع والاغراض الاسرائيلية الخبيثة ولذلك رفض أيضا طلب جولدا ماير وزيرة خارجية اسرائيل زيارة بلاده فى الشمال او حتى نزولها فى مطار « كانو » . لذلك لم تنجح الخطة الصهيونية فى كل نيجيريا واغلقت اسواق الشمال فى وجه اسرائيل تعبيرا عن تضامنها وتأييدها لقضية اللاجئين العرب . ومن ناحية اخرى قبلت حكومتا الاقليمين الغربى والشرقى التعاون الاسرائيلى وفتحتا لها اسواق بلادهما وكانت حكومة الاقليم الغربى اكثر تعاونا اذ كان يرأسها فى ذلك الوقت ، وهو عام ١٩٥٩ « ادولا » زعيم حزب جماعة العمل وفتحت هذه الحكومة الباب على مصراعيه للطامعين من اليهود زرافات ووحدانا

وفى عام ١٩٥٩ اسست فى نيجيريا الغربية بالاتفاق مع حكومتها شركتان اسرائيليتان الاولى هى شركة « نيجير صول » برأس مال قدره ٢٠٠,٠٠٠ جنيه والثانية شركة تنمية مصادر المياه ، برأس مال قدره ١٠٠,٠٠٠ جنيه وقد تولت شركة « سوليل بونيه » اليهودية تمويل الشركتين المذكورتين .

ولم يقتصر التوغل الاسرائيلى عند هذا الحد بل ان ثمانين عائلة يهودية هاجرت واستقرت فى منطقة ابادان عاصمة الاقليم الغربى كما جاء فى مجلة جويش اوبزرفر البريطانية فى عددها الصادر بتاريخ ١١ من شهر ديسمبر عام ١٩٦٠ . واخذت تتوافد على الاقليم نازول عصابات الهاجاناه وشترن وارجون زفى ليومى

وهى العصابات التى سبق ان اعملت القتل والتشريد فى سكان فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ وادعى رجال هذه العصابات انهم [illegible] الا لزراعة الارض واستخراج المياه الجوفية واستغلال حقول المطاط والكاكاو والثروة الغابية تماما كما فعلوا حين وفدوا فى بادىء الامر الى فلسطين مهاجرين ثم مستوطنين ثم مستعمرين .

والحقيقة ان هدف الشركتين السالفتى الذكر كان السيطرة على اقتصاديات الاقليم الغربى لذلك لم يقنعا بالمشروعات التى وكلت اليهما وبدأت الشركتان فى الاتصال بوزير التجارة والصناعة فى حكومة اكنتولا التى خلفت حكومة اولدو . وكان من نتيجة هذه الاتصالات ان اصدر وزير التجارة والصناعة خطابا يضمن فيه للشركتين ارتباطات وعقودا بمبلغ ثلاثين مليونا من الجنيهات . وهنا تنكشف حقيقة المؤامرة ففى الوقت الذى تدفع اسرائيل قرضا قيمته ثلاثة ملايين جنيه تحصل شركاتها على تعهدات بمبلغ ثلاثين مليونا دون عرض الموضوع على الهيئات البرلمانية فى الاقليم .

ولكن الصراع المعروف الذى قام بين ادولا واكنتولا نائبه فى الحزب ورئيس حكومة الغرب واتهام كل منهما للاخر بالتواطؤ مع



اتحاد نيجيريا الفيدرالى

التركتين، على حساب الحكومة الغربية ادى الى ان يلقى اكنتولا امام لجنة « كوكر » للتحقيق بالتبعة على « ادلاو » على اعتبار انه كان رئيسا لوزراء تلك الحكومة عندما تكونت شركة « نيجر صول » وشركة « تنمية مصادر المياه » وكذلك الامور تجرى فى الاقليم الغربى بتستر غريب حسب ماتشتهى اسرائيل من فساد ورشوة وسلب ونهب حتى كشفت السلطات الفيدرالية فى لاجوس المؤامرة المشهورة من جانب حزب جماعة العمل والتى كانت تهدف الى الاطاحة بحكومة « ابو بكر تافاوا باليوا » رئيس وزراء الحكومة الفيدرالية واتضح ان اسرائيل كانت شريكة فى المؤامرة يوم جاء فى تقرير المحكمة العليا فى لاجوس فى

شهر ديسمبر من عام ١٩٦٢ ان عددا كبيرا من الـ ٢٧ عضوا فى حزب جماعة العمل المتهمين بالخيانة تلقوا تدريبات عسكرية فى اسرائيل .

وامام لجنة « كوكر » للتحقيقات برزت حقائق رهيبة على لسان الشهود ورجال السياسة من حزب جماعة العمل ، وكل مانرجوه ان تكون هذه الحقائق عظة وعبرة لكل الحكومات الافريقية التى ما زالت ترتبط بتعهدات لاسرائيل . وكان من اهم الفضائح التى وردت فى المحكمة فى لاجوس على لسان بعض الشهود ما يلى :

● اعترف احد الوزراء ان عملية العقود الخاصة بالثلاثين مليونا من الجنيهات قد تمت اولا ثم لحقتها عملية القرض « ٣ ملايين

من الجنيهات » وان شركة « نيجر صول » قدمت له منزلين على سبيل الرشوة احدهما فى اكجبى والاخر فى ابادان .

● ان احد الوزراء وهو فى نفس الوقت عضو فى مجلس ادارة شركة « نيجر صول » حصل من البنك الاسرائيلى فى لندن على مبلغ ٧٩٠٠ جنيه لبناء مسكن خاص به فى ابادان كما حصل على مبلغ ٤٠٠٠ جنيه لبنـــاء مسكن اخر فى لاجوس وان هـــذا كان على سبيل الرشوة .

● ان رئيس تحرير جريدة حزب جماعة العمل تسلم من البنك الاسرائيلى فى لندن مبلغ ١٠٠٠٠ جنيه .

● ان بعض الوزراء واعضاء البرلمان فى الاقليم الغربى تسلموا مبالغ رشوة من مقر شركة « نيجر صول » الاصلى فى داخـــل اسرائيل وذلك أثناء زياراتهم لاسرائيل .

● ثبت من التحقيق مع مستشار نيجر صول ان الشركة تعاقدت على معدات والات لنيجيريا بما قيمته ثلاثة ملايين من الجنيهات ولكنها حولت الى اسرائيل ولم تدخـــل نيجيريا .

● جاء فى شهادة احد الوزراء امام المحكمة انه حضر اجتماعا لزعماء جماعة العمل فى ابادان وعلم أثناء الاجتماع ان « شركة نيجر صول » وشركة تنمية مصادر المياه تدفعان اموالا ثابتة وشهرية لاعضاء حزب جماعـــة العمل الذى كان ينوى قلب نظام الحكم فى لاجوس وقتل بعض الزعماء ، كمـــا اورد الشاهد ايضا انه كانت هناك عملية تمويل من جانب الشركتين المـــذكورتين لبعض الوزراء واعضاء المجلس التشريعى فى الولاية .

ولا شك ان جميع هذه الفضائح التى فجرتها اسرائيل فى اغنى اقاليم نيجيريا والتى ايدتها اقوال الشهود من الوزراء واعضاء المجلس التشريعى وزعماء حزب جماعة العمل اتهمت نيجيريا اسرائيل بالتآمر على سلامة البلاد وأمنها وبالتالى لم تستطع السفارة الاسرائيلية فى نيجيريا ان تنفى عن نفسها تهمة الاشتراك والتآمر مع حزب جماعة العمل سواء فيما يتعلق بالرشوة أو بمؤامرة قلب نظام الحكم او قتل الزعماء السياسيين وجاء صمتها وسكوتها تأكيدا لقرار الادانة الذى أعلنتـــه لجنة كوكر .

واذا كان ميثاق الدار البيضاء قد وصف اسرائيل بانها اداة الاستعمار الجديد وبانها جسر الاستعمار فى قارتنا افريقيا ، واذا كان مؤتمر موشى الاخير لتضامن شعوب اسيا وافريقيا طالب بمضاعفة الجهود لمحـــاربة التسرب الصهيونى الى افريقيا واسيا وحث شعوب هاتين القـــارتين والاحـــزاب الوطنية فيهما بالضغط على حكوماتها لحملها على الغاء المعاهدات الثنائية المبرمة مع اسرائيل فنحن نطالب الحـــكومات الافريقيـــة ان تتخذ من احداث الغرب فى نيجيريا درسا حتى لاتتكرر المأساة ونسمع عن أحداث تخريبية من جانب اسرائيل فى بلدان افريقية أخرى .

« احمد صوار »

مانليبرا أنبوبورتا

عاصمة ليبريا

عرض : محمد اسماعيل محمد

كانت نشأة ليبريا كنشأة سيراليون نتيجة لجهود جمعيات تحرير العبيد التى وجدت فى كل من اوربا وبريطانيا وامريكا الشمالية فى أواخر القرن الثامن عشر ومستهل القرن التاسع عشر . وقد اسهمت عدة جمعيات وهيئات مع جمعية الاستعمار الامريكية التى تألفت عام ١٨١٧ فى الولايات المتحدة الامريكية وما زالت موجودة حتى الان ، فى قيام دولة ليبيريا .

وحدث اول توطن امريكى عام ١٨٢٢ فى جزيرة بروفيدانس عند مونروفيا وتتابع وصول وفود المحررين من العبيد بعد ذلك وظلت جمعية الاستعمار الامريكية ترعى شئون الدولة الجديدة الى ان نالت استقلالها عام ١٨٤٧ .

وعلى الرغم من ان ليبريا اقدم دولة مستقلة فى غرب افريقية الا انها لم تلعب دورا قياديا فى سياسة المنطقة . وقد درج جيرانها فى الحقيقة على اعتبارها ثقلا متخلفا فى أسلوب حكمها ، وليس الفقر وحده هو السبب فى تخلفها ، فثمة بلاد فى مثل فقرها ، ولم يكن أسلوب الحكم فيهما سببا فى ذلك فليبريا اقل ديمقراطية مما تبدو عليه وهى لا تبدى كذلك حماسا تجاه سياسة الثورة نحو الوحدة الافريقية .

والواقع ان حكومات الدول الاخرى فى المنطقة كان تأليفها نتيجة حركات عنيفة قامت من أجل الاستقلال فى وجه القوى الاستعمارية اما حكومة ليبريا فقد نمت فى جماعة من الرقيق الامريكيين الذين تحرروا وبعثت بهم « جمعيات التعمير » الامريكية التى انشئت لهذا الغرض فى العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر ، لاستيطان الشاطىء واستقلال المناطق الداخلية على ساحل غرب افريقية .

ومنذ ذلك الحين برزت فى ليبريا نزعة القومية العنيفة . ولكنها كانت قومية غريبة تمارسها جماعة قليلة العدد من المستوطنين وابناء المستوطنين ، الذين كانوا يخشون قبائل المناطق الداخلية اكثر من خشيتهم من التهديدات الخارجية وهذه القومية الغريبة هى التى تقف اليوم حائلا بين ليبريا وتيارات الوحدة الافريقية المنتشرة حولها .

ولكن ثمة شواهد كثيرة موجودة حاليا تشير الى ان ليبريا لا يمكن ان تظل فى الوقت الحاضر بمعزل عن الافكار الحديثة التى بات يؤمن بها شباب افريقية .

ولا شك فى أن اجتماع مؤتمر مونروفيا الذى ضم الساسة الافريقيين فى مايو ١٩٦١ كان نقطة تحول فى سياسة ليبريا الخارجية

هذا ويزيد تعداد السكان عن المليون بكثير ويشكل المستوطنون الذين اشرنا اليهم من قبل اعنى من كانوا يسمون بالليبريين الامريكيين نسبة واحد فى المائة فقط من مجموع السكان وتنقسم القبائل فى الداخل وفقا لتشابه اللغات الى اربعة اقسام رئيسية هى : ميند ـ تان ، مائد ـ فو غرب الاطلسى ، كرو ، ويتميز عنصر الفاى من جماعة الميند ـ تان بخياله الخصب وسرعة استجابته للتعليم . ويقطن هذا العنصر المنطقة الساحلية العليا . وقد حمل عنصر الفاى لواء العمل لادماج العناصر

القبلية فى الحياة السياسية فى ليبريا وأفلح فى ذلك بعد أن فتحت المناصب الرسمية أمام أبنائه واكبر جماعة قبلية هى الكرو . وتقطن المنطقة الساحلية جنوبى مونروفيا وأهل هذه القبيلة من رواد البحار ينتشرون فى موانىء غرب افريقيا وحولها ، على طول الساحل ، وقد اثبتوا انهم اقل قبـــائل ليبريا مرونة فى الخضوع للحكومة المركزية او لقبول سلطة ادارية غير سلطتهم القبلية . والجزء الداخلى الذى تسكنه القبائل فى ليبريا ما يزال فى معظمه على حالته الاصلية لم تغيره الحيـــاة العصرية ومساحة الجـــــزء الداخلى تبلغ ٤٣٫٠٠٠ ميل مربع ليس فيها الا ٢٫٠٠٠ ميل من الطرق البدائية او أقل بالاضافة الى ان مساحات كبيرة فى البلاد ما تزال غابات غير مأهولة ، والاراضى الساحلية منـــاطق منخفضة تتخللها الخلجان والبحيرات العديدة الناجمة من المد والجزر . ووراء تلك المنطقة يوجـــد اقليم مراعى على شكل هضبة يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٫٠٠٠ قدم فى المتوسط والى الشمال ، على حدود غينيا وساحل العـــاج توجد مناطق جبلية .

ومونروفيا العاصمة يسكنها حوالى ٥٣٫٠٠٠ نسمة لها نفس طابع الاستيطان الاستعمارى الذى تتميز به مدينة فريتاون عاصمة سيراليون ذات التاريخ المشابه ففيها منازل مستقرة من طابقين على نمط مبانى المستعمرات فى امريكا الشمالية واكواخ معقوفـــة الاسقف معززة بالحديد . وظهر فيها حديثا قار متناثر من مجمعات سكنية ومبان حكومية وفندق فخم فاخر .

وتنظر ليبريا كلها الى عاصمتها مونروفيا بفخر واعتزاز ويرجع تسمية مونروفيـــا الى جودى اشمون الذى اطلق عليها هذا الاسم نسبة الى الرئيس مونرو ، رئس الجمهورية الخامس للولايات المتحدة الامريكية الذى تم فى عهده تأسيس المدينة .

وتطورت مونروفيا خلال السنوات العشرين الاخيرة من بلد صغير على شاطىء البحر الى مدينة تعتبر من أهم مدن ساحل غرب افريقية ولمونروفيا ذكريات تاريخية تتوارد أمام تمثال الزنجية قوية البنية تتشح برداء فى لونين أزرق وبنفسجى تقف من خلف مدفع تتحدى ثلاثة شياطين من الزنج أيضا على قبعاتهم زركشة ذهبية وتمسك الساحرة الســوداء بفليون . ذلك هو تمثال ماتيلدا نيوبورت التى يعتبرها سكان مونروفيـــا جان دارك ليبيريا .

وغالبا ما يختتم الرواة قصة جان دارك ليبريا بانها امسكت بفليونها واشعلت النار فى البارود وكانت طلقة المدفع عنيفة أثارت الذعر بين المتوحشين وهكذا سمح للاجداد — فى رواية سكان مونروفيـــا — أن يضعوا أقدامهم على أرض افريقية دون أن يقتلوا .

والواقع ان ماتيلدا نيوبورت لم توجد ابدا ونيوبورت هو اسم السفينة التى احضرت الاجداد الى هذه الارض ومنها انطلقت ضربة المدفع المشهورة .

تلك هى الاسطورة الساذجة التى ترددها الولايات المتحدة الامريكية ان تخـــدع بعض السذج عن الاهداف الخفية وراء قصة تحرير العبيد واعادة توطينهم فى افريقيا . لا تذكر الاســطورة ان الولايات المتحدة ادركت ان العبيد المحررين قد تزايد عددهم فى الاراضى الامريكية وباتوا يهددون بخلق مشكلة عويصة يصعب حلها على الايام .

ولا تذكر الاسطورة ما حدث فى موقعـــة فورت هيل فى اول ديسمبر عام ١٨٢٢ بين البطلة ((**ماتيلدا نيوبورت**)) بمدافعها القوية والاهلين العزل من الســلاح ، وكيف شتتتهم طلقات المدافع ودفعت بهم الى الداخـــــل وتمكن القـــادمون عليها من تثبيت أقدامهم على أرض افريقية .

هذا وتحتفل مونروفيا ببطلتها ماتيلدا فى احتفالات شعبية تقام فيها استعراضات راقصة يحضرها رئيس الجمهورية وتوزع خلالهـــا بطاقات تذكارية خاصة بهـــذه المناسبة . والواقع أن مثل هذه الاسطورة وايمان البعض بها يلقى الكثير من الضوء على منحى التفكير السائد بين طبقة معينة فى ليبريا .

مسمار جحا..

فى افريقية المستقلة

بقلم عبد الرحمن صالح

فى الايام الاخيرة كان الملك الحسن الثانى يزور الولايات المتحدة الامريكية ليبحث مسألة تصفية القواعد العسكرية الموجودة بالمغرب والتى تشوه استقلال البلاد وتتعارض مع سياستها فى عدم الانحياز .

وهذا الخبر يجرنا للحديث عن القواعد العسكرية الموجودة فى القارة كلها .. والتى ليست فى حقيقتها الا تكرارا لحكاية مسمار جحا المشهورة .

فهناك عشرات من القواعد العسكرية وآلاف من قوات الاستعمار الغربى ما زالت تنتشر فى أرض القارة .. بل أرض كثير من دولها التى استقلت والتى بلغ عددها أربعا وثلاثين دولة ستصبح خمسا وثلاثين هذا العام حين تنضم كينيا الى الركب الذى يرفع علم الحرية .

والدول الخمس والثلاثون تضم من السكان أكثر من ٢٢٥ مليون نسمة من بين سكان القارة الذين يقدرون بحوالى ٢٦٥ مليونا .

وقلة قليلة من هذه الدول قد لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة هى التى تحررت أراضيها تماما من أية قواعد أو قوات عسكرية تابعة للمستعمرين تشوه صفحة الحرية التى خطتها شعوب هذه الدول فى تاريخها .. بل تمثل فى حقيقتها استمرارا للاحتلال العسكرى الصريح القديم .

ولو نظرنا الى خريطة القارة لوجدنا أن القواعد تحيط بها من جهاتها الاربع ثم تتوغل فى أعماقها بحيث تتمركز فى أو بالقرب من :

أ ــ المناطق التى ترتبط بها المصالح الاقتصادية الكبرى للمستعمرين والتى مازال يمارس فيها استغلاله لثروات القارة مثل الكونجو وليبيريا والكاميرون وباقى الغرب الافريقى وكذلك جنوب افريقيا .

ب ــ المناطق ذات المواقع الاستراتيجية الحساسة بالنسبة للصراع العالمى القائم الآن بين الكتلة الغربية من جهة والكتلة الشرقية من جهة أخرى مثل المغرب حيث مضيق جبل طارق الذى يتحكم فى مدخل البحر المتوسط من جهة الغرب .. وكذلك باقى الشمال الافريقى فى تونس والجزائر وليبيا .. وبالقرب من القرن الافريقى فى الشرق حيث مضيق باب المندب الذى يتحكم فى مدخل البحر الاحمر من الجنوب .

جـ ــ وطبعا توجد هذه القواعد فى الاراضى التى ما زالت خاضعة للاستعمار مثل كينيا واتحاد جنوب افريقيا . ويمكن أن يعتبر أن كل المستعمرات التى ما زالت باقية فى القارة قواعد عسكرية يتخذ منها الاستعمار نقط ارتكاز . وما زال هناك أكثر من ٢٣ مليون مواطن افريقى يعانون ويلات الاستعمار فى منطقة تكاد تتصل جغرافيا اذ تمتد من جنوب القارة عبر الروديسيتين ونياسالاند حتى الشرق فى كينيا ما عدا تانجانيقا . كما انه ما زال يوجد أكثر من أحد عشر مليونا آخرين يخضعون للاستعمار البرتغالى معظمهم فى أنجولا وموزمبيق .

وقد يبدو أن القواعد العسكرية في أفريقيا - في معظمها - قواعد تابعة لدول معينة وذلك مثل القواعد الامريكية في المغرب وليبيا وأثيوبيا والقواعد الفرنسية في الجزائر وتونس ودول المجموعة الفرنسية والقواعد الانجليزية في ليبيا وشرق أفريقيا. ولكن الحقيقة هي أن كل القواعد بالقارة تابعة لحلف الاطلنطي .. ذلك لان كل الدول التي تمتلك هذه القواعد أعضاء في الحلف وتسير في سياستها الخارجية والعسكرية طبقا للسياسة التي يضعها الحلف ولذلك فليس مجانبا للصواب أن نقول ان حلف الاطلنطي هو الذي يتحكم في القارة ويسيطر عليها عن طريق القواعد العسكرية المنبثة فيها .

وهناك سبع عشرة قاعدة جوية بالقارة يملكها أعضاء الحلف منفردين ومعظمها يوجد في الشمال حيث يوجد في المغرب وحدها ست قواعد . وهناك أيضا تسع قواعد بحرية تحيط بشواطيء القارة ابتداء من بنزرت في الشمال حتى ممباسا في الشرق . وكذلك توجد ست بعثات عسكرية بريطانية وفرنسية وأمريكية في المغرب وليبريا وجنوب افريقيا وكينيا وليبيا . وبجانب ذلك توجد اثنتا عشرة قاعدة جوية وبحرية ضخمة وبعثات عسكرية كبيرة تابعة للحلف مباشرة .

والاستعماريون يملكون بالقارة ثلاث قواعد لاطلاق الصواريخ وقاعدة لاجراء التجارب الذرية هي التي توجد في صحراء الجزائر.

والآن .. ما هي الاهداف من اقامة هذه القواعد ؟

لا شك أن واحدا من هذه الاهداف هو استكمال شبكة القواعد التي تحاول أمريكا ومعها حليفاتها الغربيات احاطة الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الشرقية الاخرى بها لتدمرها في حالة نشوب حرب بين الكتلتين .

وبالرغم من التقدم العلمي الهائل الذي يتحقق كل يوم والذي جعل من هذه القواعد مراكز عديمة الجدوى نظرا لتطور الصواريخ الموجهة حتى أن الاستراتيجية العسكرية الحديثة أصبحت تعتمد على الغواصات الذرية حاملة الصواريخ كقواعد متنقلة أكثر فعالية من القواعد الثابتة لما لها من حرية الحركة وبالتالي توفر عنصر الامان .. بالرغم من ذلك فان الغرب ما زال يعتمد على هذه القواعد لتحقيق هدف آخر أكثر أهمية من الهدف السابق وهو السيطرة على القارة وحماية استغلاله لثرواتها الرخيصة .

فالدعوة التحررية في أفريقيا أرغمت الاستعمار على التراجع السياسي ومنح الاستقلال لكثير من الشعوب . ولكن ما يهم الاستعمار من هذه الشعوب ليست السيطرة السياسية . وانما الاستنزاف الاقتصادي لمواردها واستمرار وضع يده على مقدراتها ولذلك فقد رضى بمنحها واجهة سياسية مزيفة مقابل أن يضمن لنفسه المكاسب الاقتصادية .

ان القارة تمثل موردا هاما من موارد المواد الخام للصناعات الاوربية حربية ومدنية .. فهي تنتج ٢٠ ٪ من انتاج العالم من النحاس والمنجنيز ، و٢٥ ٪ من الانتيمون، و٩٤ ٪ من الكوبلتيت ، و٨٤ ٪ من الكوبلت ، ٨١ ٪ من البيريليوم ، و ٣٣ ٪ من القصدير ، ومعظم الانتاج العالمي من الذهب والماس واليورانيوم ، ٣٣ ٪ من الكاكاو ، و٧٥ ٪ من زيت النخيل وغير ذلك كثير .

كما أنها تمثل سوقا هائلا لتصريف منتجات الصناعات الاوربية بأغلى الاسعار .

ولكن نظرا لان الاستعمار لم يعد يأمن عدم قيام حركات شعبية واعية تطالب بالتحرر الحقيقي واسترداد ثروات البلاد من براثن الاستعمار .. فقد احتفظ لنفسه بهذه القواعد لتكون منطلقا تخرج منها قواته للقضاء على أية فورات شعبية تهدد نفوذه

وسلطانه واحتكاراته ومن يسيرون فى ركابه من العملاء والرجعيين .

ومما يؤيد هذا الرأى أن الاسـلحة الموجودة فى معظم القواعد ليست الا أسلحة تقليدية من دبابات وطائرات وغيرها .. أى أنها لا تتضمن أسلحة حديثة مثل الصواريخ والطائرات بعيدة المدى والقنـابل النووية (فيما عدا القواعد الثلاث التى أشرنا اليها). تلك الاسلحة التى تستطيع الوصول الى دول الكتلة الشرقية .. ويدل ذلك على أن الغرض من وجود هذه الاسلحة هو استعمالها محليا فى نطاق القارة ضد حركات التحـرر التى تهدد نفوذ الغرب واحتكاره الجماعى لثروات القارة .

والماضى الاسود لهذه القواعد يؤيد هذا الرأى .. فمنها خرجت القوات والمعدات الحربية تضرب ثورة ماو ماو فى كينيا وتبيد الافريقيين فى جنوب افريقيـا والروديستين وتثير القلاقل فى الكونجو مؤيدة تشـومبى بالسلاح والجند المأجورين .. ومن قواعد دول الحلف فى القارة والشرق الاوسط خرجت قوات العدوان الثلاثى الغادر على مصر سنة ١٩٥٦ . وطوال ثمانى سنوات كانت أسلحة الحلف المختلفة فى أيدى الفرنسيين مسلطة بكل طاقاتها ضـد الشعب الجزائرى البطل تبيد أبناءه وتقتل منهم أكثر من مليـون شهيد لا لسبب الا لانهم اختـاروا جانب الحرية . وفى أنجـولا يشن البرتغاليـون المستعمرون حربا لا هوادة فيها على الوطنيين مستخدمين أسلحة حلف الاطلنطى . وبلغت قيمة المعونات العسكرية فقط التى منحتها الولايات المتحدة لفرنسـا طوال الحرب الجزائرية ٤٢٦٢٫٥ مليونا ونصف مليون دولار وهى أكبر معونة عسكرية أمريكية منحت لأية دولة على الاطـلاق . كما اعترف الجنرال لوريس نورستاد القائد السابق لقوات حلف الاطلنطى صراحة بأن حرب الجزائر هى حرب الحلف نفسه .

ونحن فى الشمال العربى لم ننس بعد ذلك أن الاعتداء المجرم الذى قام به الفرنسيون على تونس من قاعدة بنزرت البحرية التى يحتلونها على الشاطىء التونسى .

والارتباط واضح بين الاستعمار الاقتصادى الغربى الجديد الذى أصبح يتخذ شـكلا جماعيا بدلا من استغلال كل دولة أوربيـة لمنطقة معينة مستقلة عن الدول الاخرى وبين القواعد العسكرية الموجودة بالقـارة والتى تخضع جميعا بلا استثناء لحلف الاطلنطى وبالتالى لرأس هذا الحلف وهى الولايات المتحدة الامريكية .

فاذا نظرنا الى دول السوق الاوربيـة المشتركة الست التى تقوم بعملية اسـتغلال لجزء كبير من القارة بعـد أن نجحت فى السيطرة على اثنتى عشرة دولة افريقية مستغلة نجد أنها جميعا أعضاء فى حلف الاطلنطى .. وكذلك نجد أن بريطانيا التى ترأس كتلة الكومونولث وتسيطر على جزء كبير آخر من القارة عضو أيضا فى الحلف . أما الولايات المتحدة زعيمة الحلف فهى تستثمر فى القارة مبالغ تتجاوز فى مجموعها الالف مليون من الدولارات .

ولذلك فقد قام حلف الاطلنطى منـذ عامين مضيا تقريبا بتشكيل لجنـة لشئون أفريقيا ظاهرها تنسيق سياسة الدول الغربية وباطنها العمل كهيئة تنفيذية للاستعمار الجماعى الجديد اذ لم تكن أية دولة استعمارية بقادرة وحدها على خنق حركة التحرر الوطنى الافريقى .

بل ان حلف الاطلنطى ينظر للقارة نظرة أبعد من مجرد الاستغلال الاقتصادى .. فهو يعتبرها قاعدة احتياطية للعمليات العسكرية ضد العدو اذا ما سقطت أوربا الغربيـة واستسلمت فى الحرب القـادمة وذلك كما قالت مجلة الشئون العالمية الامريكية سنة ١٩٥٨ .

والدول الافريقية التى قبلت وجود هـــذه القواعد على أرضها .. تعرض بذلك شعوبها لخطر جسيم .. فالى جانب تعريض الحركات الوطنية والتحررية بالقارة لضربات الاستعمار المتكتل وتشجيع الفئات الرجعية الخائنـة التى ترضى ببيع وطنها للدخيل .. فانهـا عرضة فى حالة تحول الحرب الباردة الناشبة الان الى حرب ساخنة للتدمير والفناء .. ذلك أن وجود هذه القواعد دليل صريح على انحيازها الى احدى الكتل الدولية مما يعطى الكتلة الاخرى المعـــادية الحق فى ابادتها وتعريضها لكل ويلات الحرب اذا قامت .

وما هو المقابل الذى تناله تلك الدول لقاء بقاء هذه القواعد فى أراضيها .. ؟ انه فتات المائدة المتخلف من الاستعمار .. فبينما بلغت قيمة المساعدات الإمريكية لدول أوربا فى بحر السبعة عشر عاما الماضية ما يقرب من ٤٥٠٠٠ مليون دولار لم يزد نصيب أفريقيا كلها فى بحر هذه المدة عن ١٧٧٦ مليون دولار أى ١/٦ نصيب فرنسا وحدها وبمعدل يبلغ نصف دولار للفرد الواحد فى العام !!

ولم تنفق هـــذه المبالغ فى المشـــاريع الانتاجيـــة أو لرفع مستوى الافريقيين .. وانمــا أنفقت أيضــا لخـــدمة أغـراض الاستعمار مثل انشاء بعض الطرق الموصلة للمناجم ومراكز الاستغلال الاقتصادى الهامة أو الطرق ذات الاهمية الاستراتيجية العسكرية وتقوية الجيوش المحلية والبـــوليس وهى أدوات القمع للحركات التحررية .

ان الحقيقة الواضحة هى أن شـــعوب القارة تعى تماما الاخطار التى تهددها بها تلك القواعد وتريد أن تتخلص منها ومن كل نفوذ استعمارى آخر .. ولكن طوائف الخونة الذين رباهم الاستعمار ليســـيروا فى ركابه والذين يمثلون طبقة الرجعية المسيطرة على الحكم هى التى تمثل أيدى الاســـتعمار فى البطش بهـــذه الشعوب مستعينة بالقوات والاسلحة المحتشدة فى هذه القواعد .

وقد أفلحت عدة دول أفريقية فى تطهير أرضها من هـــذه القواعد مثل الجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى .. كما رفضت هذه الدول أن تربطها بعجلة الاستعمار أحلاف أومواثيق مختطة لنفسها طريق الحياد الايجابى وعدم الانحياز . واليوم تعمـــل الجزائر المستقلة جاهدة للحاق بهذه الدول ومنع فرنسا من اتخاذ قواعد عدوانية ومراكز لاجراء التجارب النووية على أرضها .

وفى هذه الدول الرائدة التى يجمعهـــا ميثاق الدار البيضاء تتمثل القدوة لبـاقى الدول والشعوب بالقارة .

((عبد الرحمن صالح))

صفحات من تاريخ الاسلام فى تونس

للدكتور جمال الدين الرمادى

تقع تونس بين الجزائر من الغرب، وليبيا من الجنوب الشرقى والصحراء من الجنوب الغربى وتربطها بالجزائر سلسلة جبال الاطلسى التى تعتبر العمود الفقرى لاقطار المغرب ويبلغ عدد سكانها ٣٫٣٥٠٫٠٠٠ بينهم ٣٫٢٠٠٫٠٠٠ نسمة مسلمون ، وفيها اقلية من اليهود والايطاليين والفرنسيين .

وكان الفينقيون اول الشعوب التى استعمرت تونس من القرن التاسع قبل الميلاد ثم احتلها الرومان عدة قرون ولم تكد تسقط الدولة الرومانية حتى توالت على تونس حملات الفندال ثم بدأ الفتح العربى للمغرب ولم تلبث أن ظهرت على مسرح الحوادث أسر عربية كونت دولا معروفة فى التاريخ كدولة بنى الاغلب الذين نقلوا عاصمة ملكهم الى القيروان حتى عام ٩٠٩ م وأسرة الفاطميين الذين تولوا الحكم من بعدهم عام ٩٧٣ ، وقد اتخذوا « المهدية » عاصمة لهم ولما انتقلت عاصمة الفاطميين الى مصر وانشئت قاهرة المعز لدين الله الفاطمى أصبحت تونس تابعة للخليفة الفاطمى وشهدت فترة ازدهار وتقدم حتى منتصف القرن الحادى عشر وقد اعتلت بعد ذلك الاسرة الحفصية على الحكم فجعلت مدينة تونس العاصمة وعاد الامن والنظام الى البلاد عام ١٢٣٠ م وفى عام ١٢٧٠ م كان لويس التاسع ملك فرنسا الملقب بالقديس عائدا من حملته الصليبية على مصر وقد حدثته نفسه عند ما اقترب من سواحل تونس أن يغزو هذا القطر ولكن الموت عاجله ولم يتمكن من تحقيق هذا المطمع .

وقد حاول الاجانب طرد المسلمين من الاراضى التونسية لما كانوا عليه من قوة ومنعة وسيطرة على السفن العابرة من مضيق جبل طارق فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وفى عام ١٥٣٤ وطد الاتراك سلطانهم فى تونس وطردوا السلطان العربى فى تونس ودارت الحرب بين الطرفين وهجم الاسبان على العثمانيين غير أن النصر كان حليفا للعثمانيين فى النهاية عام ١٥٧٥ م واستمرت السيادة التركية مفروضة على تونس الى أن أعلنت فرنسا حمايتها عام ١٨٨١ ولم تعترف تركيا بالامر الواقع حتى عقدت معاهدة سيفر فى أعقاب الحرب العالمية الاولى عام ١٩٢٠ فتنازلت تركيا عن كل حق لها فى الاراضى التونسية وانتهى الامر باستقلال تونس منذ سنوات وانضمامها الى جامعة الدول العربية .

وجدير بالذكر أن التونسيين المتعلمين الذين عادوا من بعثاتهم التعليمية منذ عام ١٩٠٥ م عادوا الى بلادهم وهم يحملون أفكارا تحررية كبرى ويتطلعون الى استقلال تونس فأسسوا جريدة الحاضرة وأخذوا ينشرون فيها آراءهم الوطنية الجريئة وأفكارهم القومية المتدفقة كما كانوا متأثرين بالحركة القومية التى هبت فى مصر وكان زعيمها الوطنى مصطفى كامل وزعماؤها الفكريون جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وزار تونس الزعيم الوطنى محمد فريد والشيخ محمد عبده حيث ألهبا الشبيبة التونسية وأذكيا نيران الوطنية فى القلوب وألف أحد زعماء التونسيين ويسمى (على مباش ضبه) حزب المقاومة لمقاومة الاستعمار والوقوف فى

وجه حركة اليهود وقد سمى حزب المقاومة فيما بعد بحزب تونس الفتاة عام ١٩٠٨ م وكان يؤيد الثوار فى تونس والجزائر ويدعو الى استقلال المغرب العربى والتخلص من نير الاستبداد الفرنسى .

كما كانت الحركة الوطنيـــة فى تونس يصاحبها وعى قومى بين الطبقات العـاملة وكان أول زعيم ومنظم للعمال رجلا عصاميا يدعى محمـد على القابى وكان ينتمى الى الطبقة العاملة ثم ســافر الى أوربا حيث حصل على شهادة فى الاقتصاد السياسى من ألمانيا وعاد ليستأنف نشاطه فىخدمة القضية

الوطنية مع العمـال واندمج مع الشعب وقاسى ألوان الحرمان مثلهم وعاونهم على تأسيس نقابات لهم وابعادهم عن النقـابات الفرنسية التى كان يظفر فيها العمـــال الفرنسيون بنصيب الاسد بينمـا لا يمنح العمال التونسيون أى حقوق أو امتيازات .

وقد تتـابعت الحـركات التحـررية من جانب العمال فتأسس الاتحـاد العام من العمال التونسيين فى ينـاير سـنة ١٩٤٦ م كما تأسس اتحاد الفلاحة التونســية عام ١٩٤٩ م وكانت هناك طائفة كبيرة من العمال المسلمين فى هذا الاتحاد الذين وقفوا جنبا الى جنب مع اخوانهم المسيحيين على اعتبار أن العدو مشترك والكفاح واحد والاسـلام دين الاخوة والاستعمار أنكى أعداء الاسلام .

والشـعب التونسى يحرص على متـابعة موكب القومية العربية لولا بعض التيارات الانحرافية التى يبثها أعداء القومية العربية وأذناب الاستعمار للتفتيت من كيان وطننا العربى المجيد بيـد أن الشعب التونسى لا يزال حريصا على تلك الروابط الوثيقـة والوشائج المتينة التى تربط تونس بالوطن العربى منذ أبعد الحقب والازمان .

ويوجد فى تونس فرق صوفية متعـددة مثـل القـادرية والرحمـانية والعيسـوية السلامية والتيجانية والشـاذلية كما يوجـد عدد كبير من الزوايا لكل هذه الطرق وكتاتيب لتحفيظ القرآن .

ويسود المذهب المالكى بين التونسـيين فيما عدا الاسر التركية التى تتبـع المذهب الحنفى وقد اتجهت سياسة فرنسا فى تونس منذ فرض الحماية على التعليـم فى تونس ومحاربة اللغة العربية التى هى لغة القرآن وان كان لايزال جامع الزيتونة ، أو الجامعة الزيتونية التى يشبه نظام التعليم فيهـا الجامع الازهر ، تزاول مهمتها فى هذا الميدان كما يقوم معهد ابن خلدون بنفس المهمة .

ويوجد فى مدينة القيروان بعض المساجد القديمة ومن أشـهرها القيروان الذى بنى وهدم عدة مرات وله ثمانية أبواب أربعة منها فى الجهة الشرقية وأربعة فى الجهة الغربية وفى وسط الجامع مزولة شمسية على منصب مرتفع فاذا اقتربت ساعة الظهر للصـلاة وقف رجل بثياب بيض يرقب المزولة فاذا وصل الظل عليها الى الساعة المعينة رفع هذا الرجل يده فيراه رجل آخر واقف على المئذنة الكبرى فيرفع هذا علم أبيض وحينئذ ترتفع أصوات المؤذنين فى جميع المدينة من مئـذنة الى أخرى ويشـتمل الجـامع على مقصورة للنساء تحيط بها حواجز من الخشب المحفور حفرا جميلا لطيفا وفيهـا نوافذ من الزجاج الملون المثبت فى رخام مخرم وتقـع هـذه المقصورة على يمين المحراب وقد أمر ببنائها المعز بن باديس .

وتوجد فى القيروان كذلك زاوية سيدى صاحب التى تعرف عند عامة النـاس باسم جامع الحلاق تسمى هـذه الزاوية على اسم عبد الله البلوى أحد الصحابة الاولين الذى اشترك فى فتح أفريقيا سنة ٣٤ هـ ودفن فى القيروان ودفنت معه ثلاث شعرات قيل أن الرسول كان قد أعطاها لعبد الله ويعتبر جامع سيدى صاحب أجمل جامع فى القيروان ويتألف من مدرسة وزاوية ومشهد ويوجد كذلك جامع الزيتونة الذى بنى عام ١١٤ هـ وجامع سيدى أبو جعفر .

((دكتور جمال الدين الرمادى))

أضواء

الانتساب في السوق المشتركة

بقلم : لمعي المطيعي

في العدد رقم ٣٨ من مجلة (نهضة افريقيا) نشرت مقالا بعنوان : « مشروع أوربا افريقيا » لتنفيذ النشاطات الخلفية لما أطلق عليه وقتئذ « مشروع أورو افريقيا » .

وذلك المشروع المشار اليه جزء من اتفاقية (السوق الاوربية المشتركة) في ٢٥ مارس من عام ١٩٥٧ وكتب عنه الصحفي الفرنسي الاستعماري « هنري ديدمييه » في صحيفة (فرانس نوترميد) العدد ٣٥٧) يقول :

ان مشروع أورو افريقيا ـ مشروع يهدف الى اقامة اتحاد وثيق بين أوروبا وافريقية . . وذلك عن طريق الاستخدام المتبادل لموارد القارتين .

وتشير الانباء طوال الاشهر الاخيرة الى أن الدول الاستعمارية أخذت تدرك خطورة الازمة التي تتعرض لها كثير من البلدان الرأسمالية وبدأت ـ في سبيل الخروج من هذه الازمة ـ تنظم أسلوبا جديدا من الاستعمار الاقتصادي ، يتخذ شكلا جماعيا بدلا من الاسلوب الفردي في مواجهة حركة التحرر الاقتصادي التي تجتاح البلدان الافريقية حديثة الاستقلال .

ووكالات الانباء تردد في الفترة الأخيرة عبارة (الدول المنتسبة) .. وهي عبارة تطابق في جوهرها مشروع (اورو افريقيا) وهذه (الدول المنتسبة) جميعها من دول المجموعة الفرنسية .

وعبارة (الدول المنتسبة) ليست جديدة بالنسبة للسوق الاوربية المشتركة ، بل انها في حقيقة الامر جزء من معاهدة روما التي عقدت في مارس عام ١٩٥٧ وبالذات في (المادة ١٢١) والتي أشارت الى حق العضو المنتسب) في الانفصال عن السوق الاوربية المشتركة متى شاء ذلك .. وقد عمدت دوائر السوق الاوربية المشتركة الى عدم الاكثار من استخدام عبارة (الدول المنتسبة) وركزت على استخدام عبارة (اورو افريقيا) وأطلقت **أجهزة أعلامها الى الايحاء بأن هذا المشروع** يهدف الى التعاون المتبادل بين أوروبا وافريقيا .. الا أن هذه الخدعة لم تجز على شعوب افريقيا وشرعت أقلام وطنية كثيرة لفضح خطورة هذا الشكل من الارتباط على اقتصاديات الدول النامية والدول حديثة الاستقلال .

وبعد ذلك لجأت هذه الادوات الى الاكثار من **استخدام عبارة (الدول المنتسبة) مع الاشارة** بين حين وآخر الى حق هذه الدول في الانفصال اذا رغبت في ذلك ! !

وتزعم دوائر السوق المشتركة أن العلاقة بين السوق المشتركة والدول المنتسبة لا تتعدى علاقة التعاون .. ولكن الدراسة الفاحصة تفضح بوضوح ان هذه العلاقة لن تثمر سوى عودة النفوذ الاستعماري الى بعض بلدان افريقيا مستترا وراء النفوذ الاقتصادي الذي تمهد له المشاريع الاقتصادية التي تطرح للبحث والتي سوف نشير اليها بالتفصيل هنا .

ومن المهم أن نوضح أن معونة السوق المشتركة الى هذه الدول المنتسبة والتي تطنطن **بها أجهزة كثيرة ضئيلة جدا . اذ أنها بلغت**

عام ١٩٦٠ ـ ١٢٠ مليون دولار ٠٠ على حين أن العون العالمى بلغ فى العام ذاته ٨ مليارات دولار ٠٠ ومن هنا تبدو أهمية الدعوة القائلة بضرورة قيام الامم المتحدة بدور ايجابى فى تقديم المعونة الى الدول النامية والدول حديثة الاستقلال حتى تجنبها الوقوع فى براثن الحرب الباردة وارتمائها فى أحضـــان هذا المعسكر أو ذاك ٠

وفى (مارسيليا) نظمت غرفة التجـــارة والصناعة مؤتمرا برئاسة «هنرى يوشيريو» ٠٠ وهنرى يوشيريو هذا رئيس لجنة التنمية فيما وراء البحار للسوق الاوروبيـــة المشتركة ٠٠ وانتظم هـــذا الاجتماع (المؤتمر الافريقى ـ الملجاشى)

وكان الموضـــوع الرئيسى المطروح للبحث هو : أوجه التخطيط المختلفة للتنمية فى بلدان افريقيا ومدغشقر ٠٠ وفى المناقشة الخاصـــة بهذا الموضوع كان (النمط الغربى) هو الذى يحظى بالتركيز فى المناقشة ٠٠ وهنا وجه الخطورة ٠٠ فنحن نـــعلم أن الدول الغربية تعيش فى ظل النظام الرأسمالى ٠٠ ونعلم أيضاً أن النظام الرأسمالى الذى يقوم على الطبقية ويقوم على الاستقلال وحرية الربح لم يعد النظام الذى ينفع لدول افريقيا التى تريد اعادة بناء اقتصـــادها بشكل يخدم مجموع الشعب الذى ناضل للحصـــول على استقلاله ٠٠ ومن هنا تكون (السوق الاوربية المشتركة) تخرب عن وعى كل اتجاه يدعو للاشتراكية فى بعض بلدان افريقيا ٠

واتفق أيضا فى هذا الاجتماع على ضمان التنمية الاقتصادية بابقـــاء المؤسسة الخاصة والتنافس والربح كمحركات دافعـــة لهذه التنمية (كذا ! !) ٠٠ فلم يعد ثمة شك أن محاولات تبذل للحفاظ على شكل الاقتصاد الرأسمالى داخل افريقيا ذاتها ٠٠ وبقـــاء الاوضاع الرأسمالية من شأنه أن يخلق طبقة ترى من صالحها التعاون مع الطبقات الرأسمالية والاحتكارية فى الخارج ، وهذا يحمل فى طياته خطر اســـتعادة القوى الاجنبية لنفوذها من جديد ٠

ومضت المناقشة تقرر أن مهـــام المؤسسة الخاصة هى بصفة رئيسية تحقيق الربح فى جو من الثقة ٠٠ وأن الخطة التى تسفر عنهـــا المناقشة ستكون وثيقة تحـــدد أهداف هذه البلدان ٠

وهكذا انتقل الوضع من (التعـــاون الاقتصادى !) الى وضع الخطة والتزام هذه الدول بهذه الخطة ، وتحديد أهدافهـــا على ضوئها ٠٠ وهنا يصبح التشدق بحق هذه الدول فى الانفصال عن الســـوق المشتركة نوعا من السخرية ٠٠ اذ أن السوق المشتركة تحكم حلقاتها الاقتصادية حول هذه البلدان ، بل ان التعاون الذى يتحدثون عنه لم يحقق للافريقيين ماأشيع من مزايا ، وفشلت اجراءات الحماية الجمركية التى تسير عليهـــا السوق المشـــتركة بسبب تدهور بعض المحـــاصيل المدارية ٠٠ ومن المفروض أن تتجه الجهود الى حماية هـــذه المحاصيل ٠٠ وحماية المحاصيل المحلية ليس من شـــأن السوق المشتركة أن تحميها ، فلا فائدة تعود عليها من وراء ذلك وانما هى تهتم بالتسويق ولا شأن لها بمصالح الوطنيين ٠

ثم ننتقل الى رأى آخر لأحد الاشخاص الرئيسيين فى السوق الاوربية المشتركة وهو «جون جراى» وهو رئيس لجنة دراسة مشكلات ما وراء البحار فى السوق المشتركة ٠٠ ففى حديثه عن العمل الخاص بالتنمية قال بالحرف الواحد عن الخط الذى اتفق عليه ٠

انه الخط الأصيل للبلدان الآخـــذة فى النمو ٠٠ اذ أن الاقتصاد الحديث يجب أن يكون اقتصاد تفاهم ! (على حد تعبيره) ٠

٠٠ واقتصاد التفـاهم الذى يشـــير اليه

« راى » هو الاقتصاد الحر الذى أشار له من قبله « هنرى يوشـــيريو » .. ويمضى « راى » يقول :

ومزايا العمل الخاص ، انه يجلب رأس المال النقدى ورأس المال العلمى .

وهو يتحدث بالطبع عن مزايا العمل الخاص فى الدول المنتسبة .. ومعنى هذا أن الخطة تتجه كلها الى أمرين :

الاول ... جلب رؤوس الاموال الى الدول المنتسبة .. ومن وراء رؤوس الاموال هـــذه النفوذ الاجنبى .

الآخر .. الخبراء أو (رأس المال العلمى) ـ حسب تعبيره ـ وهؤلاء من ذوى الارتباطات بالاحتكارات الـكبرى فى بـلادهم وبالطبـع سينفذون رغبة الدوائر العليـــا فى السوق المشتركة .

ولا يخفى أن الاستعمار لم يعد ـ كما كان فى المـــاضى ـ يتخذ شكل الجيوش المحتلة والسهام المشرعة .. بل انه كالحرباء يبدل شكله حسب ما تقتضيه الضرورة .

ولعل العناصر التى تقع تحت تأثير بريق المناقشات المفتوحة فى اجتماعات الدول المنتسبة مع السوق الاوربية المشتركة ، تكون قـــد أفاقت خاصـــة بعد المؤتمر الذى عقـــد فى ٢٣ ـ ٢٤ اكتوبر من عام ١٩٦٢ بمدينـــة (بروكسل) برئاســـة (ايميليو كلامبو) الرئيس الحـالى لمجلس الرابطة الاقتصـــادية الاوربية .. وذلك عندما رأت أن الاقتراحات التى قدمها (سالر) وزير المالية والشئون الاقتصادية والتخطيط بساحل العاج ، هذه الاقتراحات وغيرهـــا التى لم تتفق كثيرا مع اقتراحات المسـئولين فى السوق الاوربيـــة المشتركة ، ذهبت أدراج الرياح ولم يكن لها تأثير يذكر .

.. وبعد هذا يأتى دور الولايات المتحدة ومصالحها الاقتصادية والاستراتيجية فى القارة معروفـــة . . حيث أطماعهـــا فى البترول واليورانيوم والمعادن الاخرى ، وحيث رؤوس أموالها التى تتداخل مع رؤوس أموال الدول الاوربية الاخرى .. ان الولايات المتحدة لم تترك محاولات الارتباط التى تباشرها السوق الاوربية المشتركة مع الدول المنتسبة تسـير بطريقة معزولة عن نفوذها ، فنجـــدها تعين مندوبا عنها كضابط اتصال بالمنظمة الافريقية المدغشقرية .. وهو « يوريا لاوب » وسيكون مقره « ياوندى » بالكاميرون ..

... وبعد ، ان الحل الوحيد أمام البلدان حديثة الاستقلال والبلدان النامية فى افريقيا ، هو عدم الدخول فى أية اشكال اقتصـــادية ترتبط ببلدان لها أطماع فى القارة .. ومن واجب دول افريقيا جميعها أن تدعم الشكل المستقل وهو (السوق الافريقية المشتركة) .

((لمعى المطيعى))

أضواء على جمهورية داهومي

عرض : عبد العظيم ملوك

تقـع داهومى على خليج « بنين » بين نيجيريا فى الشرق والتوجو وغانا فى الغرب . وهى عبارة عن شريط ضيق من الارض وتتاخم حدودها الشمالية جمهوريتى فولتا العليـا والنيجر .

ويتعاقب على داهومى موسمان مناخيان ، موسم شديد الرطوبة وموسم شديد الجفاف ويشتغل غالبيـــة السـكان بالزراعة ومن محاصيلها الزراعية زيت النخيل ولب النخيل وجوز الهند وجوز كولا والذرة والطــاطا والبن والفول السودانى .

هـــذا فى داهومى السفلى أما الرعى فينتشر فى داهومى العليــا بجانب الزراعة وتكثر الحيوانات فى هذه المنطقة من خيــل وبقر ، ويقدر الانتاج الحيـوانى فى داهومى بـ ٣٥٠٫٠٠٠ رأس ســنويا من البقــر و ٦٦٠٫٠٠٠ رأس من الاغنام . وتربى أيضا الخنازير والدواجن .

ويشتغل بالتجارة قبائل الهوسة خاصة وهى القبائل المسلمة المنتشرة فى أفريقيــة الغربيـــة وفى شـــمال نيجيرية على وجه الخصوص .

وتوجد فى داهومى ثروة معدنية كالحديد الخام فى منطقة بنجلى شمالى غرب يسارى والكروم فى اقليم تنجوتيا ، كما يوجـــد فى جنوب داهومى القصـــدير ويوجد الذهب بالقرب من نتيتو .

وعاصمة داهومى **بورتونوفو** وهى ميناء تجارى هام اذ تتصـل غربا بكوتونو وشرقا بلاجوس عاصمة نيجيريا .

ومن أشهر المدن والموانىء كوتونو فهى الميناء الرئيسى ومركز هام للسكك الحديدية وسكانها يزيدون عن ٥٧٫٠٠٠ نسمة .

قصة الاستعمار ...

كانت داهومى فى الماضى ذات عظمة ، فان التاريخ يروى عن قوة ملوكها وبطولة جنودها وفى عام ١٨١٨ اعتلى العرش الملك « جوزو » ودام حكمه حتى عام ١٨٥٨ ، وتأكدت وحـدة الاقاليم الثلاثة فى عهده « ألادا وبورتونوفو وداهومى » .

وكان قد تسلل الاستعمار الفرنسى الى داهومى على أيدى التجـــار والمبشرين واستقروا فى منطقة « ويده » وذلك فى عام ١٧١٥ .

ولكن الاستعمار المسلح بدأ فى عهـــد الامبراطور نابليون الثالث (١٨٤٨ — ١٨٧٣) فقد أرسل جيشا قوامه ثلاثة آلاف جندى الى داهومى . وأتبعه ببعثة رسمية لعقـد معاهدة حماية مع الملك « جليجلى » الـذى تولى الحكم بعد وفاة الملك جوزو من عام ١٨٥٨ — ١٨٩٨ . وتحت الضغط وافق الملك على اقامة التجار الفرنسيين فى « كوتونو » حقنا للدماء . وهذا لم يعن تنازله عن هذه المنطقة لهم ولكن الفرنسيين فسروا هـذه المعاهدة على أنها تنــازل من جانب الملك عن اقليم كوتونو وأخذوا يتسللون الى مناطق خرى مما أدى الى التشابك والصدام بين الفرنسيين والداهوميين الى أن تم للفرنسيين النـزول فى بورتونوفو عام ١٨٨٢ ، وطلبت فرنسا من الملك جليجلى التنـازل التام عن كوتونو فرفض وسحب فى الحـال اعترافه بصحة الاتفاقات التى فرضتها فرنسا على بلاده فلجأت فرنسا الى الخديعة وتظاهرت بالتفـاوض ، واجتمع الزعمـاء الداهوميون

لمفاوضتهم فباغتتهم القوات الفرنسية بالقتل وفتحت نيران مدفعياتهـــا على الامنين فى كوتونو ، فأصابتها بتدمير بالغ وسقط مئات من الابرياء .

وتولى الملك « بيهـــانزن » (١٨٤٤ — ١٩٠٦) الملك بعد أبيـــه جليجلى وقاوم الاستعمار مقاومة شديدة فجردت فرنســا حملة عسكرية بقيادة تريللون عام ١٨٩٠ مما اضطر بيهانزن الى توقيع معاهدة يقر فيها بالحماية الفرنسية على (بورتونوفو) ولكنه فى الوقت نفسه أخذ ينظم صفوفه من جديد واستمر فى مناوأة قوات العدو ، فأرسلت فرنسا الكولونيـــل (دوذو) فوصل الى كوتونو عام ١٨٩٣ وأخذ يتقدم والداهوميون مستميتون فى الدفاع ولكنه تمكن من الاستيلاء على اقليـــم « أبوميه » عام ١٨٩٣ ، وأسر بيهانزن ونفته فرنسا الى جـزيرة المارتينيك احدى جزر أرخبيـــل الانتيل الواقع بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية فى البحر الكاريبى ثم نقل الى الجزائر حيث مات سنة ١٩٠٦ . ووضعت فرنســـا يدها على داهومى . وعينت حـدود داهومى بمقتضى الاتفاق الذى عقد بين فرنسا والمانيا فى ٢٣ من يوليه ١٨٩٧ ، والاتفاق الفرنسى البريطانى المعقود فى ١٤ من يونيه ١٨٩٨ .

وبذلك أصبحت داهومى مستعمرة فرنسية وتوالت عليها الاحداث وكافحت من أجـــل الاستقلال وعاشت جميـــع التطورات التى توالت على علاقة فرنســـــا بالدول التى استعمرتها فى غرب أفريقية ودول أفريقيـــة الاستوائية فخضعت للادارة الفرنسية المباشرة وخضعت لسياسة الادماج التى مارســـتها فرنســـا مع الدول التى وقعت فى دائرة نفوذها ، وحينما صدر دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة عام ١٩٤٦ الذى أطلق على بعض المستعمرات « أراضى ما وراء البحار » ومنح هذه الاراضى حق انتخاب عدد محدود جدا من النواب والشيوخ فى البرلمان الفرنسى ... انتخب « سورو ميجان ابتى نائبا عن داهومى فى الجمعية الوطنية الفرنسية وقد الف جبهـــة من النواب الافريقيين وطالب بالاستقلال الكامل لبلاده فى اطار اتحاد حر مع فرنسا ، وساهم فى تكوين حزب التجمع الديمقراطى الافريقى . وقد تحول هـــذا الحزب فى داهومى بعد المطالبة بالاستقلال عن الاتحاد الفرنسى الى الحزب الجمهورى الداهومى وتحت الضغط والارهاب وافـــق الحزب للانضمام للرابطة الفرنســـــية فى الاستفتاء الذى أجرته فرنسا يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ ولكنه لم يثن فى المطالبة بالاســتقلال وفى ٢ ابريل ١٩٥٩ أجريت انتخـــــابات تشريعية ، ألف على أثرها « هيوبرت ماجا » زعيم حزب التجمـع الديمقراطى الداهومى حكومة جديدة برياســته ، وفى ٣٠ ديسمبر ١٩٦٠ عدل « ماجا » حكومتـــه فأصبحت تتكون من وزراء ينتمون الى حزب الوحدة الداهومى الذى تألف فى ١٣ نوفمبر ١٩٦٠ من اندماج الحزب الجمهورى وحزب التجمع الديمقراطى وأصبح هيوبرت ماجا زعيمـــا له وألف ماجا أول حكومة لجمهورية داهومى فى ٢٦ مايو ١٩٥٩ .

الحالة الاجتماعية :

من عادة الاستعمار أن يطمس حضـــارة الشعوب المستعمرة ويقطع كل صلة بماضيها ويعمل على ادماجها بالكيان الاســـتعمارى فيدرس لابناء هذه الشعوب حضاراته وتاريخه وثقافاته مما يضعف روحهم المعنوية تجـاه أوطانهم .. وهكذا باعدت فرنسا الداهوميين عن ثقـــافاتهم ولغاتهم وحضـــاراتهم ... وأستلتهم أشد الاستغلال .. أهمل التعليم الا بضع مدارس للارســـاليات الدينية من الكاثوليك والبروتستانت تدرس اللغـــــة الفرنسية للوطنيين على أنها لغة قوميـــــة وأهملت اللغة القومية اهمـــالا تاما فكان يعاقب من يتكلمها من الداهوميين .

هذا هو الحال الذى تركته فرنسا هناك الى أن حصلت داهومى على اســـــتقلالها وأخذت مصيرها بين يديها .

تحية العلم الصومالى

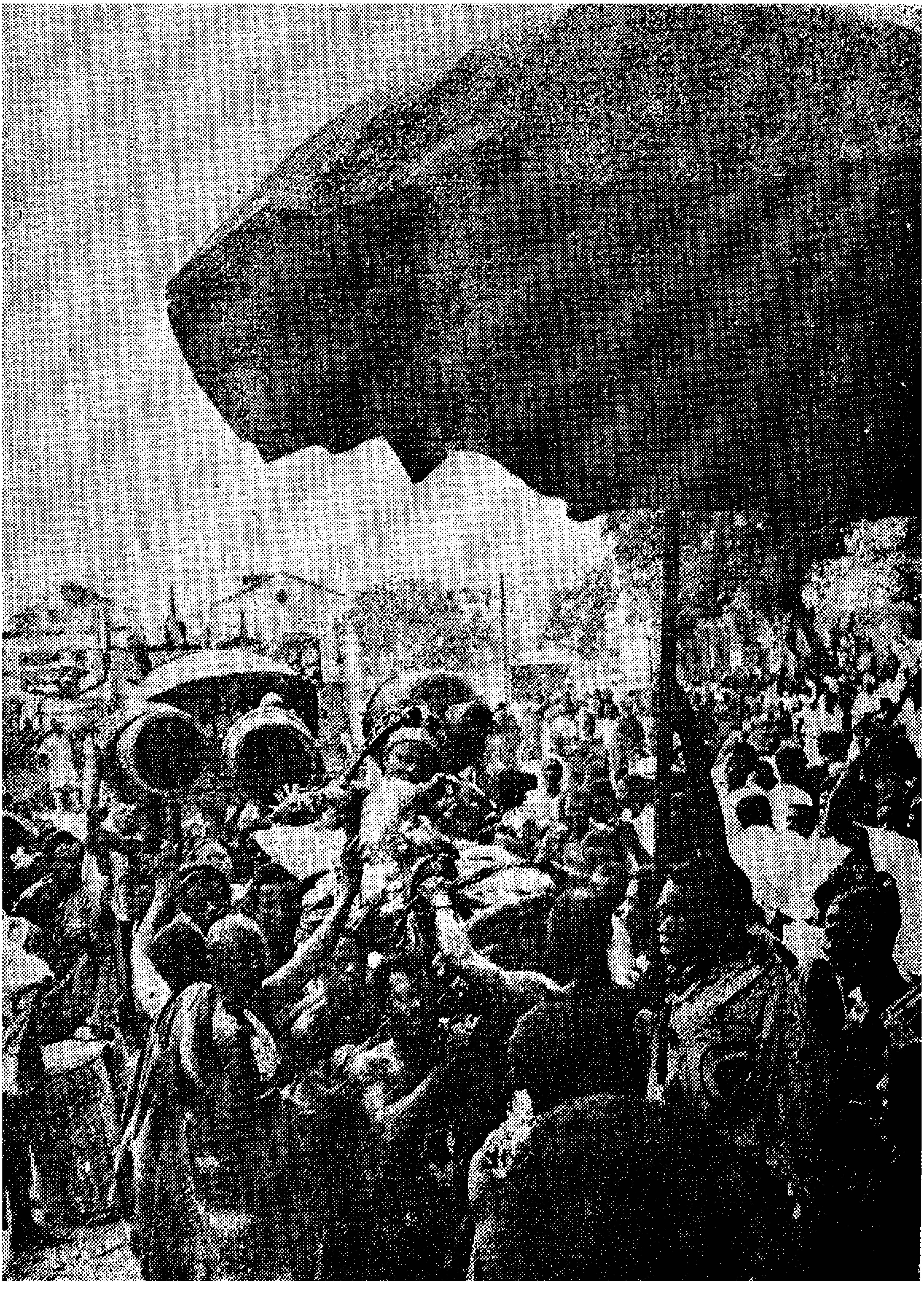
شعر م. ى. اسماعيل

لك المجـــد والسؤدد المطلق
ونجمـــك نائى المـــدى يألق
كلون الســـماء الضحوك التى
تداعبهـــا الشمس والمشرق
يرف عـلى خـــدك العبقـــرى
لترقص فيـــه الرؤى الدفق
شـــفاه تبرعم بالاغنيـــات
وشـــعب يغـــرد اذ تخفق
وتخضر تلك العيون التى
محا كحلهـــا السهر المشـــفق
وكم طـــائر من طيـــور مانى
يفيق على حرقها .... ينطق
ويشـــدو تبـــاركت حريتى
تبـــاركت يا ايهـــا البيرق
وســـارية فى شموخ الجبـــال
تدل على الشمس فـــوق القمم
وانت عليهـــا صحيفة شعب
اصر على العـــيش حـــر القـــدم
وشق لعـــايلة المســـتحيل
جيـــوبا فافلق جوف العـــدم
ينـــاضل كالموج كالعـــاصفات
ويقـــذف بالنـــار مثل الحمم
تهـــز الجـــراح التى اطبقت
عليـــه فينزف من الآلام
ولـــكنه فى صمود الجبـــال
يرقم منهـــا وثيقة ... ـ دم
ويغرس فى مقلة المســـتحيل
عمـــودا يصفق حر النغم
تبـــاركت يا حلم اجـــدادنا
رفعت لنـــا الهام بين الامم
ويالك رمز يجـــر الوجـــود
بخيط الحـــرير ولا ينفق
عـــلى زورق من بلاد النجـــوم
يرافقـــه الشفق المورق ...

تحف به الاغنيـــات العـــذاب
تهمس البتـــول التى تعشـــق
وحولك من مهرجان الضـــياء
مواكب اعراســـها تشرق
صحت من رفيقك ارواحنـــا
وقوم من راســـه المطرق
فرحنـــا نعب الضـــياء النقى
ونشـــدو لمجـــدك اذ تخفق
ولمـــا تنـــاجى رفاق الكفاح
وتذكـــر ايامك المظلمـــة
ولحنك ما زال طى الغيـــوب
ونجمك بين الـــكوى المعتمـــة
يعيث بارضك دود الشـــمال
وتعبث فيهـــا القوى المجرمة
ســـنذكر كل المـــآسى التى
وعتها ليـــالى الرؤى المؤلمة
وكيف تعـــالى هتاف الكفاح ،
عـــلى أرض قارتك المجدمـــة
وهبت ســـواعد افريقيـــا
تدك لغـــاصبها محلمـــه
فرحت تزلزل عرش الدخيـــل
وتجعـــل من عرســـه ماتمـــه
فما انت الا مكاسب شـــعب
تفجر من باسه ملحمـــه
ويـــا رب رابيـــه لم تزل
تنام على الويل والمـــذبح
انتهـــا مع الليل غبر الذئاب
فماتت ازاهرها فى الحقـــول
ولم يبق فى الروض من مفرح
سوى كل حسن كسيح الرؤى
ورســـيم له مرعب المجـــرح
وضـــاعت لانسانها المفخرات

((البقية فى ص ٦٧))

القبيلة تحتفي بزعيمها



« تحت المظلة الواقية من الشمس الحارقة »



« عرش وسيف وتاج »



((أطياف معركة على وجه القائد))



« زعيم « مبرعم » ينتظر دوره بعد سنوات طوال »

فتاة العصر في افريقية



« ابتسامة سكرتيرة »



((فتاة مجتمع))



((رائدة مجتمع))



« عذراء .. تحلم .. »

نقد الكتب

بقلم عبده بدوى

● موسيقى الجاز
● طائر الليل

(١)

من الكتب التى تعطى المعنى الحقيقى للموسيقى الافريقية كتاب « موسيقى الجاز » للانجستون هيوز ترجمة الآنسة نلى عبد النور والكتاب يعطى دراسة شائقة ومبسطة لهذا الفن من خلال المؤثرات التى قدمته فى صورته الاخيرة ، ومن خلال العازف المشهور « لويس ارمسترونج » الذى أعطى ابعادا حقيقية لهذا الفن ، والذى أصبح فى مقدمة الذين أكدوا هذا الفن فى العالم .

والتسمية التى يطلقها المؤلف على الجاز هى أنه « طريقة عزف » أكثر مما هو موسيقى مؤلفة ، وفى ضوء هذا يمكن أن تكون أية موسيقى « جازا » اذا عزفت بطريقة معينة ، ففى « نيواورليانز » كان يوجد مارش مؤخر الضغط ، وفالس .. فى قالب « الراجتايم » وقد عزف بول هويتمان نشيد أغنية هندية لرمسكى كورساكوف بطريقة الجاز .. الخ

اما المقومات الخاصة بهذا الفن فتتمثل فى المقومات العشر الآتية :

١ ــ تأخير الضغط :

وهو تأخير الضغط من الجزء الاقوى الى الجزء الضعيف من الزمن ، أو عزف ايقاع ضد الاخر ، على صورة تجعل المستمع أسير الجو يحمله على أن يهز رأسه ، أو يحرك يديه ، أو يرقص ، مع ملاحظة ان تأخير الضغط هذا أساس فى العمل ، ومستمر ، وعليه تنبنى كثير من الايقاعات المركبة .

٢ ــ الابتكار :

وهو أن يقوم العازف باضافة جمل جديدة او ادخال بعض التنويع على الالحان القديمة وكل هذا يتوقف على مهارة العازف الشخصية الذى لا يتقيد بالمدونة أمامه .

٣ ــ النقر :

الطلبة ، والبانجو ، والجيتار ، والتوبا ، والبيونا تظهر الزمن الاساسى فى الجاز ، كما ان كل واحدة على حدة ، أو كلها ، قد تكون الجزء الايقاعى من فرقة الجاز ، كما ان التآلفات قد تستعمل أيضا لاعطاء الايقاع لونا من الانسجام والتوافق .

٤ ــ الايقاع :

لا يقتصر اظهار الزمن على النقر فقط ، لانه يوجد الى جواره التنوع فى الشدة ، وتغيير درجة الصوت بطريقة تعطى حفلات الجاز مزيجا من الشعور بالنغم والايقاع معا ، وبخاصة حينما تأتى الينا من عدة أنواع من الايقاعات الصادرة من آلات النقر أثناء العزف .

٥ ــ نغمات البلو :

هى نغمات متصلة متتابعة بين النغمة الاصلية والنغمة المخفضة ، ثم متجهة نحو مسافات ما بين الكبيرة والصغيرة ، وتستحيل على الضبط .

٦ ــ اللون الصوتى :

تقلد آلات الجاز أحيانا الصوت البشرى حين يتكلم ويغنى ويضحك ويحزن ؟ ولكن بألوان صوتية مختلفة قد تعطى كل هذه الاشياء معا .

٧ ــ التوافق والانسجام :

وللوصول الى هذا تستخدم نغمات البلو ،

وسلالم البلو ، وتآلفات السابعة والتاسعة .

٨ – استراحة :

وهى لا تخرج عن وصلة صغيرة متأخرة الضغط مكونة من حقلين ، أو أربع (مازورة) وتقع عادة بين الجمل الموسيقية ، وكثيرا ما تأتى كنوع من الابتكار فى الجاز غير المكتوب وهذه (الاستراحة) هى ما اشتهر بها لويس ارمسترونج .

٩ – الرف :

هو جملة ايقاعية واحدة تتكرر على التوالى لتقودنا الى اللحن الرئيسى ، كما قد تكون هى اللحن الاساسى نفسه .

١٠ متعة العزف :

ومتعة العزف هذه هى التى تعطى الجاز حيويته ، وخفته ، وذلك المرح الذى يحمل على الحركة ، ويعطى فى الوقت نفسه أفكارا موسيقية جديدة ، لا توجد فى المدونة .

* * *

وفرقة الجاز تصل الآن الى خمسة عشر عازفا ، وهذا النوع من الفرق الكبيرة يستعمل آلات نحاسية مثل الترومبيت ، والترومبون ، والآلات المصنوعة من البوص مثل الساكسفون (للانطو والتينور) والكلارينيت ، وآلات النقر مثل البيانو والجيتار والباص ، بالاضافة الى الطبلة .

* * *

أما « لويس ارمسترونج » فقد ولد فى ٤ يوليو عام ١٩٠٠ ، وقبل أن يصل الى سن العاشرة كان يغنى فى شوارع « نيو أورليانز » مقابل بضعة سنتات ، وحين بلغ الثانية عشرة كون فرقة مع ثلاثة من زملائه ، وكان هو يغنى الجهير (الباص) وأحيانا يقلد الكلارينت بالنفخ من خلال أصابعه .

ثم فكر « لويس أرمسترونج » فى تدعيم فرقته بالجيتار ، وكان أن قام بعمل آلة من علبة سيجار فارغة ، وقطعة خشب تمثل الرقبة وتشد فوقها الاوتار ، كما أدخلوا عليها أرغنا صغيرا يستعمل بوساطة النفخ ، واستحدثوا آلة من آنية غسيل قديمة بعد أن أضافوا اليها حبلا مشدودا .

وقد استمع الناس اليهم فى آخر الامر بحب ، وأقبلت الشركات على تسجيل أغانيهم وهكذا نشأت موسيقى الجاز – بالاضافة الى مجهود بعض الفرق الاخرى – لمجرد اللعب والتسلية .

وهى فى كل هذا معتمدة على كل ما يضرب عليه أو يدق أو يلمس مجرد لمس ، باعتبار الايقاع يتساوى فى الاهمية مع اللحن ، أن لم يزد عليه ، واللاعبون فى كل هذا يستمدون على التراث البعيد للايقاع فى النفس البشرية ، وبخاصة ما كان يقوم به الافريقيون فى افريقية الغربية ، سواء أكان الايقاع فرديا ، أو مركبا من عدة ايقاعات تعطى فى مجموعها أصواتا مرحة ، ومن هنا يمكن القول « بأن الطبل الافريقى هو منشىء الجاز والطبلة هى آلة الايقاع الاساسية عند الانسان » .

* * *

على أن المنبع الحقيقى للجاز فى أمريكا ، يعتبر ذلك الميدان الفسيح المسمى بميدان الكونغو فى « نيو أورليانز » ، فقد كان العبيد الافريقيون يجتمعون فيه ليغنوا ويرقصوا ما يسمونه « البامبولا » ، وكان الناس يجتمعون لمشاهدة هؤلاء الافريقيين ، مما جعل أثره يبدو واضحا فى الفرق ، والاوركسترات، التى كانت تعزف لدفع الناس الى « الحركة » أكثر مما كانت تعزف ليستمع اليها الناس ، مما يمكن معه القول بأن موسيقى « نيو اورليانز » كانت معتمدة على الاغانى الاسبانية ، والرقصات الفرنسية القديمة ، والايقاعات الافريقية فى ميدان الكونغو ، وأن كل هذا كان يعطيها النمو والمرح ، وبهذا تكون الاغانى والالحان والايقاعات الممتدة من « نيو انجلاند » الى « نيو اورليانز » هى الاساس العاطفى للموسيقى الامريكية .

* * *

وقد ساعدت على تكوين الجاز أغانى العمل، التى يعتبر الايقاع من خصائصها ، والذى يسهل العثور عليها فى المناطق الافريقية ، وفى أغانى بحارة نهر الفولجا فى روسيا القديمة ، وفى أغاني الحصادين ، والحطابين ، والبحارة ،

والعمال .

وتعتبر أناشيد أعياد اليوبيل أحد الروافد الخصبة لهذه الموسيقى ، وقد دفعت فرقة « فسك الفنائية » هذا النوع من الموسيقى عدة دفعات موفقة ، وبخاصة حينما دخلت اليها « **روح الموسيقى المتجول** » .

ثم انتفع الجاز بالاغانى الزرق التى تعبر عن « البطالة ، والهزيمة ، والجوع ، والبعد عن الوطن أو الحسرة على قطار تريد اللحاق به عندما لا تملك ثمن التذكرة ، أو الوحدة عند فراق المحبوب .. ولكنها لا تخلو أيضا مما يثير الضحك أحيانا » .

وقد انتقلت كثير من هذه الاحاسيس الى الجاز ، كما استعار فيها الجاز نموذج الاثنى عشر مازورا ، والنغمات الاضافية التى تقع بين النغمات الاصلية ، وان كانت تنخفض عنها قليلا .

كما استفاد الجاز من موسيقى «الراجتايم» ، التى تدور حول عزف قطعة على البيانو بطريقة مرحة متأخرة الضغط ، وبعبارة أخرى « تمزيق أى لحن الى فئات ، بالاضافة الى وضع القوة مكان الضعف فى الايقاعات المتمددة » .

كما شكلت الجاز موسيقى « بوجى ووجى »، التى تعتبر أحد أنواع « راجتايم بلوز » الذى يختص بزغردة السوبرانو ، وعزف الباص بطريقة متقطعة قوية عميقة « تعزف اليد اليسرى الايقاع الثقيل هذا ، بينما تنسج اليد اليمنى ما يوحى اليها به البلوز من نغمات رقيقة مهفهفة تختلف أحيانا عن الصوت الغليظ من حيث الايقاع ، فتعطى آلة البيانو ما يشبه الطبل الناطق باليد الواحدة ، بينما الاخرى تجعل منه صوتا مغنيا » .

* * *

أما قصة « **لويس ارمسترونج** » فهى قصة الجاز الاوركسترالى فى أمريكا ، فمنذ أن كان يلهو بلعبة السيجار الموسيقية ، وهو يطور فنه حتى أصبح على قمة هذا الفن ، وقد ظهر نبوغه الكامل منذ أن دخل الاصلاحية ، وسمح له باستعمال « الترومبيت » الى حد أنه حين كان يسير مع فرقة الاصلاحية كانت الجماهير تحتشد فى الطريق لتستمع اليه وحده وهو يعزف .

ومع أنه عاد ليبيع الفحم على عربة الا أنه ظل مشدودا الى مجموعة العازفين ، الى أن تمكن من الاشتغال فى أحد المحلات بنيو أورليانز ، ثم اشتغل على باخرة ، ثم بهر الناس فى شيكاغو ، ثم وصل الى نيويورك عام ١٩٢٤ ، ومع أنه لاقى صعوبة فى أول الامر لاعتماد الفرق هناك على المدونة (النوتة) ، وللمحافظة الدقيقة على الزمن ، الا أن زوجته قد ساعدته على تفهم التوزيع المدون ، وقد تفوق فى هذا ببراعة الوان أصبحت أعماله جزءا من الجاز الامريكى الحديث ، بل جزءا من ذلك الفن المرح الذى يحمل للناس التسلية فى كافة بلاد العالم .

(٢)

اذا كانت للشعر السودانى خصائص كثيرة يتمثل بعضها فى التوتر ، والعنف ، والتعاطف الحى بكل ما يمس بساطة السودان وعذريته، والرسم بفرشاة غليظة وألوان حامية .. فان الشاعر « **حسن عباس صبحى** » فى ديوانه « **طائر الليل** » يعتبر مذاقا جديدا فى هذا الشعر ، ذلك لانه يصدر عن فلسفة عامة تلون كل شعره ، وتعطيه الرحابة الانسانية المشرقة ، ثم تلفه بعد ذلك بستارة رقيقة من الحزن ، تأتى من أغوار تجربة قاسية يحس فيها الشاعر حاجته الى مزيد من « نور العين » ليعانق الحياة بذلك المرح المقدس الذى يفتقده الشاعر ، والذى نحس لفقده بما يشبه الانين المكتوم فى كل ما يكتب .

ثم ان عند « حسن عباس صبحى » مايقوله وما يريد أن يقوله وطنه السودان ، فهو يقرب لنا قول ر.ج. كولينجوود « ان على الفنان أن يجهر بخبيئة صدره ، غير أن ما يفصح عنه لن يكون من أسراره الخاصة ، وانما من أسرار مجتمعه ، وما من مجتمع

يعرف خبايا قلبه جميعا ، ومن ثم فانه فى حاجة الى شاعر .! »

والمعتقد أن « حسن عباس صبحى » هو خير من يعطى الصورة الحقيقية الآن «للانسان المنفى » الذى يظهر بصورة واضحة فى أدب العصر ، فهو يحن الى أشياء غائمة بعيدة ، وهو خائف ، وقلق ، وهو يائس ومتمرد معا ، ولعله بطل قصيدته « الملاح والمحراب » فهو فى مقاطعها الاربعة يعطى نفسه تماما .

« .. وقلب الايام حلوها ومرها
من عمره الذى تجرع القلق
ووجهه يرنو ببسمة مخنوقة الانفاس

يجوب قلبه شواطىء الافق
لعله يرى على المنار طيف نجم
.. لكنما بدأ كؤودة حمقاء
مرقت مخالبها الى قلب الضياء
خنقت منافذه فاطفأت المنار

.. ومرت الأيام تتبع الأيام
والليل يدلهم دونما حدود
.. لاهم للملاح الا أن يسير
حتى ولو فقد الحياة مع المسير
حتى يتمم رحلة البحر الكبير

والشاعر لا يفجر الاحاسيس والذكريات ، وانما يقولها موشحة بحنين حزين ، مما يعدى معه القارىء ، وبخاصة حين يتكلم عن طير « الخداری ، والنيل ، وشندى ، والهواء » .

شندى عروس الحقل والخميل
قلوبنا مخضلة الأشواق
أرواحنا تحن للعناق

تهفو لواحة الأطيار والنخيل
وللسلام فى ظلال السيسبان

.. انا هنا نشتاق الرعاة للاغنام
لنفحة العبير والانسام

ولانطلاقة الارنب البرى والغزلان

فى ساحة «الهواد» تحرسها التلال
أحبابنا أحبابنا
أنا هنا نرنو الى الديار فى خشوع
الى اللقاء يا بلادنا
الى اللقاء يارفاقنا
الى اللقاء فى موكب الربيع
عند الربا الخضراء فى وادى الربوع

ونجد هذه الخاصية عند الشاعر حين يتكلم عن الاشياء البسيطة التى تمس حياته مسا حزينا ــ وهذه نغمة جديدة على الشعر السودانى ــ كألفة الكلب الذى لا يواصل معه الرحلة ، وانما يتمطى ويتثاءب ، ثم يولى فى هدوء ، وكالارنبة التى تتساءل عنها ابنته « عزة » بعد أن ذبحت ، وكفضبة لومومبا التى لم يصرخ فيها ، وانما ساقها بهمس من خلال « جوليانا..برعم لومومبا » التى تحلم كل مساء بعودة أبيها »

فهو فى هذه القصائد يهمس للانسان ، ويغنى الحزن ، ويفلسف الخوف ، وان كان يظل دائما نهبا لشىء يقلقه ، وان كنا نرى بعض هذا يغيب فى قصيدته النقدية « السياسيون » وحين يقف موقفا أخلاقيا من صاحبة « الشجرة المهجورة » .

والصورة عند « حسن عباس صبحى » تشبه فى كثير من الاحيان الصورة التجريدية ، فهو يصل الى جوهرها بلمسات سريعة ، ويقدمها بتركيبات جديدة غير مألوفة فهو يقول فى الشجرة المهجورة .

عجفاء
فارقها الشباب
لاشىء فيها يستطاب
لاشىء فيها غير أوكار الرخم
والسوس ينهش عودها
والعنكب المنهوك
ينسج عشه وسط الفروع
لا شىء فيها غير أوكار الرخم
والبوم يغشاها اذا جاء المساء
ونبوح فى أرجائها

فهو يقدم الصورة هنا وكأنها من نسج العناكب ، والرخم ، والسوس ، والبوم ، والدمامة ، وشيء من الضيق اليابس الحزين، وكأني بهذه الصورة تعطى ترجمة شعرية للوحة الفنان « توماس بنتون » التى سماها « خطر العنكبوت الغزال والفراشة » فعناصر الصورة فيها تبدو تماما وكأنها خيوط مغزولة من العنكبوت ، ومن الخريف المخيم ، والجاثم على « أنفاس الصورة ! » .

كما أنه يهتم بالجزئيات الصغيرة للصورة ، وينمنمها بحيث تبدو « كخلفية » لا تكمل العناصر الرئيسية الا بها ، كما أنه ليس أثيرا لالفاظ شعرية تعاوده كالرنين الرتيب ، ومن هنا ينطبق عليه القول « بأن على الشاعر أن يتناول الالفاظ ثم يهشمها ، ويقطعها ، ويذروها ، ويحركها ، ثم يخلق منها خلقا جديدا « أو بعبارة أدق يصهر العملة القديمة من أجل العملة الجديدة » .

وان كان هذا لا يمنع من القول بأن الاوزان الشعرية عند الشاعر متداخلة ، فهو كثيرا ما يخرج على الشكل القديم المهندس ، وعلى الشكل الحديث الذى يعتمد على نظام « التفعيلة » ، وقد ذكر أستاذنا الدكتور عبد الحميد يونس فى مقدمته — التى تشبه تربية رحيمة على كتف الشاعر — أن الشاعر « يتمسك بايقاع الشعور ، فهو الذى يحدد أبعاده ، وهو الذى يسرف من المماثلة أو يقتصد فيها ، وهو الذى يرتفع بالنبرة أو يخفض منها . فالرحلة على السفينة فى البحر غير الجلوس الى النيل فى الامسية الهادئة ، وهزج الشباب الباكر غير المتأمل أثقلته التجربة ، وصقلته الثقافة ، وايقاع الامل ، والايقاع على الحياة غير ايقاع الخوف من اليأس والاشفاق من المجهول » .

الا أن هذا الكلام قد يبدو غريبا حينما يتبع كل شاعر شعوره دون التقيد بالهندسة المرنة للقصيدة العربية ، والتى لا تجمدها ، ولا تجعلها كالنثر .

ومهما يكن من شيء فالشاعر لم « يتاجر » فى التجارب القاسية التى مر بها ، ولم يستغل عواطف الرحمة فى الانسان ، لان القيمة الحقيقية فى الفن ليست فى « العاطفة » ، وانما فى طريقة تنسيقها والتعبير عنها ، ومن هنا نراه دائما فى قصائده لا بعيدا عنها ، ولهذا تكتسب قصائده طابع النمو والنضارة .

ان الشاعر الذى يعانى الآن من قلة النور — رد الله عليه نور عينيه — يتعامل الآن بمهارة « بقطع النور » ، ويؤكد بديوانه قلب السودان الشاعر ، ويضيف اليه نغمة جديدة ثرية ويقف على قمة الرومانتيكية ويتخطى شعراء كثيرين ألى الطليعة الشاعرة فى السودان ..

((عبده بدوى))

السماء الافريقية



شعر : فرانسيس ارنست كوبينا باركز   ترجمة : عبد القادر حميدة

اعطنى رجالا ذوى بشرة سوداء
لابد ان يكونوا ذوى بشرة سوداء ..
او حمراء بنية بلون الشيكولاته ..
ليكونوا بلون التراب .
اكثر دكنة من الرمال
لكن .. اذا استطعت
ارجوك احتفظ لهم بسمرتهم ..
بسمرتهم .
اعطنى بعض الطبول ..
ليكونوا ثلاثة ..
او اربعة ..
وأجعلهم سودا ..
من الاخشاب .. السوداء ..
وقطعا من فراو الغنم الجافة .
ولكن .. لماذا ستجعلها طنينا ..
طنينا ..
عالية الطنين ..
مدمدمة ..
عالية ..
عالية .. جدا ..
وناعمة ..
فلتظل ناعمة ..
دع الطبول تجلجل .. تقصف كالرعد ..
دع القرعات تتشابك كالمسبحة ..
تدوى بوحشية ..
بنشاز ..
بهدوء .
بايقاع جميل .. عذب .
دع القرعات تدوى (يكون لها اصداء) .
فى نغم مع الطبول .
تختلط (تمتزج) بهذه الاصوات ..
صلصلة (رنين) الخشب فوق الصفيح
كنتن .. تكن .. كن ..
كن .. قسى .. كن .. كن ..
اعطنى اصواتها ..
مالوفة ..
اصوات اشباح .
صياح الرجال ..
وصراخ الاطفال
دع هناك رقصا ..
اكتاف السود العريضة ..
تطبع الارض بأقدام عارية ..
والنساء نصف عاريات ..
يتمايلن .. هنا وهناك .. (نشاوى راقصات)
فى ايقاع تام ..
على أنغام الشيكى .. شكى ..
و .. ال .. كن .
وأصوات الاشباح ..
تغنى ..

تغنى ..
ع الشمس ترقد فوق الاكف الخضراء .
وحول مذابح الدجاج
ومزارع البطاطا .
عزيزى اللورد ..
اذا لم يمتلىء المكان تماما ..
من فضلك ..
أدخل الجمهور .. (المتفرجين) .
ربما يكونون ..
بيضا .. أوسودا ..
أدخل الجمهور ..
حتى يروا .. (يشهدوا)
مذابح الدجاج ..
ومزارع البطاطا ..
وسعف النخيل (والاكف الخضراء) ..

ورقصات اشباح ..
أودو ما نكوما ..
أدخل الجمهور ..
حتى يسمعوا ..
أغانينا الوطنية ..
رنين الخشب فوق الصفائح ..
أنغام المسابح ..
قرقعة الطبول .. وأناشيد الطبول ..
تويرامبون .. من فضلك .. من فضلك .
أدخل ..
الجمهور .
حتى يستدفئوا ..
بشعاع الشمس العطرى .. عطرى الغروب
وقت الغروب ..
فى سماء افريقيتنا .. الحبيبة !

« بقية قصيدة العلم الصومالى »

فأصبح ظلا على أسطح
أتذكرهـا تلك أرض المنى
ومريض تاريخك المزدهـر
هنا فى ظلال السماحة شب
لشعبك يوما تليـد السمر
غدا سوف نطرد منها الذئاب
ونقذف أصنامها فى الحفـر
وينحدر الشعب عبر الجبـال
سيولا تدمدم مثل القـدر
ونبنى لمجدك أعلى القبـاب
لتخفق حـرا عظيم الخطـر
طليقا تعـانق ريح الجبـال
وتحتضن الشمس ملء الثغـر
وتسبح فى العطر حتى تهيم
بحب القرى والروابى الاخر
وحولك يشـدو الرعاة الاولى
اقاموا لحبك جسر القمـر
تطوف بكم ذكريات الزمان
الى حيث تصحو أغانى هرد

التراث الافريقي في العالم الجديد

بقلم لورنزو د. تيرنر ▦ ترجمة نجلاء حامد

ظل الكثير من الناس طيلة قرون عديدة ينظرون الى افريقيا كأرض اوجدها الله لتكون نهبا للاستغلال فى موادها الخام وفى امكانياتها البشرية ، ولم ينظروا الى أهل هذا الجزء من العالم بعين التقدير شأنهم شأن غيرهم من البشر . وكان من رأى هؤلاء الناس أن الثقافة الافريقية ، لفرط انحطاطها ، لا تقوى على معايشة الثقافة الاوربية .. ولهذا سرعان مايتخلى الافريقى عن ثقافته الوطنية بمجرد ان تطأ قدماه أرض العالم الجديد . ولكنه على الرغم من ذلك لا يستطيع أن يستوعب ثقافة الرجل الابيض لانه ليس مؤهلا لها .. ولقد تمسكوا بهذا القانون الجائر فى التفكير وعملوا على ترويج هذه الاسطورة الدنسة بقصد اضفاء نوع من الشرعية على عملية اخضاع الزنوج .. ولقد خلفت هذه الاسطورة انطباعات عميقة فى أذهان البعض ولا زالت تسود بعض الاوساط حتى اليوم الا أنها لم تستطع مع ذلك أن توقف حركة المد التحررى ..

وأتيحت الفرصة لبعض الناس للتعرف على تاريخ الثقافة الافريقية ، مما جعلهم يدركون تماما أن الكثير من العبيد الذين جلبوا الى العالم الجديد هم أناس موهوبون وعلى جانب كبير من الثقافات والذكاء .. وأن بعضهم لا يجيد لغته الوطنية فحسب بل انه يقرأ اللغة العربية ويكتبها بطلاقة .. ومنهم من ينتمى الى أرقى الطبقات فى المجتمعات الافريقية .. ومن بينهم ملوك ورؤساء قبائل وخبراء عسكريون وقساوسة وفنانون وعلماء فى التاريخ والادب الشعبى ..

فلقد كانت الحروب الداخليـة التى تنشب بين القبائل وبعضها البعض تسفر عن أسر الزعيم المهزوم واتباعه وبيعهم لتجار الرقيق البيض الذين يحملونهم بدورهم الى العالم الجديد .

واكثر من ذلك فلقد اسفرت دراسة الثقافة الوطنية فى أفريقيا الغربية — مسقط رأس الغالبية العظمى من الافريقيين الذين أتوا الى العالم الجديد — أسفرت عن اكتشاف ان الثقافة الافريقية الغربية يمكن مقارنتها بثقافة أى مجتمع غير آلى وغير متعلم آخر فى العالم وان لديهم نظاما اقتصاديا وسياسيا طيبا يتفق مع الادارة الفعالة للممالك الكبيرة الى جانب النظام الاجتماعى المعقد .. والنظام الدقيق لممارسة العقائد الدينية .. والادب الشعبى الذى يمكن مقارنته بأدب أى جماعة من الجماعات الاخرى وكذلك الموسيقى والرسم والاشكال الفنية الراقية .. أما اللغات الافريقية التى يسميها دعاة هدم الافريقية ظلما بالجدلية فانها هى الاخرى تقف على قدم المساواة مع أى لغة اخرى بصفتها الوعاء الذى يحمل التعبيرات المؤثرة والجمالية والمنطقية ..

وكلما كانت هذه اللغات مكتوبة كلما أصبح من السهل اكتشاف هذه الحقيقة .. وكان العالم الانتروبولوجى الراحل «ر.ج. آرماتو» يقول ان لدى أفريقيا الغربية نظاما سياسيا واجتماعيا محكما فى خلال العصور الوسطى أتاح لها أن تكون على وعى بوظيفة العلم أكثر من أوربا ..

ولقد تكشف لنا من خلال دراسة تأثير الثقافة الافريقية على نصف الكرة الغربى أن الرقيق لم يتخلوا عن ثقافتهم القومية تماما وانما ظلوا محتفظين بجانب عظيم منها مع دخول تغيرات خفيفة عليها بصورة تدعو

الى العجب ..

وكان من الطبيعى أن يتعرض جزء كبير من هذه الثقافة للتغيير الواسع أثناء عملية الالتقاء بينها وبين الثقافة الغربية ..

وكما هو متوقع فقد فقد الجزء الباقى منها تماما ..

أما هذا الجانب من الثقافة الافريقية الذى ظل راسخا فى العالم الجديد فيمكننا أن لحظه فى التراث اللغـوى ، والادب الشعبى والموسيقى والرقص ويمكننا ايضا ان نلاحظ وجود ملامح من التراث الاقتصادى والاجتماعى الافريقى فى العالم الجديد ..

ولقد كان لكثرة عدد الافريقيين الذين وفدوا الى بعض البلاد أثر كبير على التراث الافريقى فى هذه المناطق فقد كان عددهم يصل الى حوالى مليون .

والامريكيون الشماليون يعلمون تماما أن السود يشكلون فى كل امريكا الشمالية عنصرا هاما من العناصر السكانية وكان عددهم يفوق فى بعض مناطقامريكا اللاتينية اعداد الاجناس الاخرى باستثناء الهنود الحمر على الرغم من أنالاحصاءاتالسكانية العددية فى هذه البلاد نادرا ماتكوندقيقة.. والحقيقة المعروفة أن اختلط الاجناس بحيث اصبح من المستحيل الفصل بين الجماعات المختلفة الاجناس .. وقد كانت الابحاث التى تتعلق بالاجناس فى المكسيك وشيلى وكولومبيا لفترة طويلة وكذلك فى اجراء التعداد بحيث اصبح من المستحيل الفصل بين الجماعات المختلطة الاجناس .. وكثيرا ما يدرج الافريقيون وأطفالهم ضمن الزنوج اذا كانوا من الرقيق فى بعضالبلدان كما يدخل فى تصنيفات البيض ايضا كثير من المخلطين ..

الا ان هناك ملامح تقريبية توضح انتشار العنصر الزنجى بين سكان أمريكا اللاتينية على الرغم من هذه الظروف .

ففى سنة ١٥٥٣ وجد فى المكسيك أكثر من ٢٠٠٠٠ من الزنوج جلبوا من كوبا ومن موانى جنوب أسبانيا ومن قبل ذلك فى عام ١٥٨٥ كان العبيد يجلبون مباشرة من افريقيا .

وفى خلال الربع الاول من القرن التاسع عشر انقرض نظام الرقيق فى المكسيك ولكن بعد أن دخل الى هذه البلاد ٢٠٠,٠٠٠ منهم . وحتى اليوم نلاحظ تركيزا زنجيا فى مناطق مختلفة من المكسيك .

وفى عام ١٧٧٨ كان الزنوج يكونون ثلث سكان الارجنتين .. وقد قدر عدد السكان الزنوج فى فنزويلا عام ١٨١٠ بحوالى ٥٠٠,٠٠٠ من الاحرار والارقاء من مجموع السكان البالغ عددهم حوالى ٩٠٠,٠٠٠ نسمة وفى نهاية القرن الثامن عشر كان عدد الزنوج فى كولومبيا ٢١٠,٠٠٠ زنجى أما فى البرازيل فقد كان عدد الزنوج فى عام ١٨١٧ يماثل عدد البيض فى أكثر من ثلاث فترات زمنية .. والى سواحل بيرو واكوادور ، وشيلى جلب العدد الكبير من الزنوجوكذلك الى دول امريكا الوسطى .

غير أن سلالة الافريقيين فى كوبا قد فاق عددهم عدد البيض فى القرن التاسع عشر .. وفى هايتى وفى الهند الغربية والفرنسية والبريطانية لا تزال أغلبية السكان منسلالة الافريقيين وفيما قبل سنة ١٩٠٠ كان يحدث أن يتفوق عدد الزنوج على عدد البيض فى الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة الامريكية فى بعض الاحيان .. وفى جورجيا وفى كارولينا الجنوبية لايزال البيضيشكلون نسبة ضئيلة من مجموع السكان ..وحيثما تكون الاغلبية للزنوج من ناحية عدد السكان تكون الفرصة متاحة أمام مقومات الثقافة الافريقية للثبات حتى ولو طرأت عليها التعديلات ، بعكس الحال فى المناطق الاخرى التى لا تساعد الظروف الموجودة فيها على ذلك ..

وهناك عوامل أخرى تساعد علىالاحتفاظ بمقومات الثقافة الافريقيةتنبثق منالظروف الطبيعية لبعض المناطق كالمستنقعاتوالجبال وعادة ما تكون المناطق النائية ملجأ للرقيق الفارين .. وفى هذه المناطق يعمل الجو المناسب على الحفاظ على هذه المقومات.. ومن الامثلة البارزة على تجمعات العبيد كانت تبدو فى جمهورية باهتار فى بيرنامبوكو بالبرازيل حيث قاوم الزنوج كافة المحاولات

التى بذلت لاسترقاقهم خلال سبعة وستين عاما ..

ولقد كان عتق الرقيق فى البرازيل وفى أمريكا اللاتينية أمرا يسيرا نسبيا .. وكانت تعود اليه كامل حقوقه وامتيازاته كأى مواطن عادى على عكس ما كان عليه الحال فى أمريكا الشمالية فبينما كان الطفل الذى يولد من أم زنجية وأب أبيض يحمل لقب الام فى الولايات المتحدة نجد أن مثل هذا الطفل يحمل لقب الاب فى البرازيل ويصبح حرا .. وفى حالة انجاب الزوج من الرقيق لعشرة اطفال تعتق الاسرة كلها تلقائيا ..

وخلال المدى الطويل لعصور الرق فى البرازيل قامت هيئة رسمية تعمل على حماية الرقيق وتأمينهم ضد استبداد وقسوة مسترقيهم .. وقد نص القانون البرازيلى على بعض الامتيازات الخاصة بالرقيق اذ منحهم القانون البرازيلى ٥٨ يوما يعملون فيها لانفسهم ، وفى بعض الولايات يمنحون ١٠٤ أيام ، وفى هذه الايام كان يمكن لهم أن يجمعوا من الاموال ما يشترون به حريتهم ويتحتم على مالكيهم أن يتيحوا لهم هذه الفرصة فلا يتقاضون لقاء حريتهم أكثر من الثمن الذى اشتروهم به.

وهناك عدة شروط كان ينبغى توافرها لكى يصبح العبد حرا فى البرازيل .

وقد بلغ عدد الذين اعتقوا عدة آلاف ثم تضاعف هذا العدد اضعافا كثيرة حتى عام ١٨٨٨ حتى انتهى عصر الرق فى البرازيل البرازيل واصبحت الاغلبية الساحقة احرارا يشاركون فى مختلف أوجه النشاط فى الحياة البرازيلية ..

وقد هاجر عدد كبير من الزنوج البرازيليين الذين تحرروا قبل سنة ١٨٨٨ وعادوا الى غرب افريقيا بخبرة وصلاحية هائلة واستقروا فى عدة مناطق على طول شاطىء غرب افريقيا .. وبعد انتشار الاسماء البرازيلية فى غرب افريقيا امتدادا للفترة التى عاش فيها هؤلاء الزنوج فى البرازيل ويعيش فى لاجوس ونيجيريا أعداد كبيرة منهم ولازال عدد ضخم منهم على قيد الحياة يتكلمون اللغة البرتغالية الى جانب اللغات الاوربية .. ولقد قام هؤلاء الارقاء السابقون بيناء الكنيسة الكاثوليكية الاولى فى نيجيريا وغيرها من المدارس والبنايات الضخمة فى نيجيريا وداهومى واماكن أخرى فى افريقيا الغربية . ولا زال بعض هذه المبانى قائما حتى الآن .. وأحد هؤلاء الفنانين البارزين ماركوس كاردوس الذى يعيش أحد أبنائه فى الوقت الحاضر فى البرازيل .. ولقد قام هذا الفنان العظيم ببناء الكنائس والمدارس فى نيجيريا وداهومى ويرجع اليه الفضل فى تشييد اول سلم حلزونى فى نيجيريا ..

ولما انتهى عصر الرقيق فى البرازيل عاد اليها كثيرون من الرقيق المحررين الذين ذهبوا الى افريقيا بينما بقيت عائلاتهم فى افريقيا .. ولكن العلاقة لم تنفصم بينهم وبين ذويهم ممن عادوا الى البرازيل .

والواقع ان ارتباط زنوج البرازيل تجاريا بغرب أفريقيا ظل حتى بعد الحرب العالمية الأولى واستمر الى حوالى عام ١٩٤٢ وربما الى ما بعد ذلك . ولا زالت بعض الحاجيات المستوردة من غرب افريقيا تباع حتى الآن فى المتاجر والمحلات بأسواق باهيا فى شمال البرازيل وقد ظل هذا الاهتمام بافريقيا حيا فى البرازيل مما شجع على الاحتفاظ بمقومات الثقافة الافريقية هناك وذلل أمامها الصعوبات .. وأكثر من ذلك اذ أصبح تأثير هذه الثقافة الافريقية أبعد من حدود البرازيل واستمر بقاؤها فى امريكا الاسبانية وفى بقية أجزاء العالم الجديد بما فيه الولايات المتحدة الامريكية ذاتها .

ولقد ترتب على سياسة التفرقة العنصرية وعزلة الزنوج فى الولايات المتحدة الامريكية ان ظلت الثقافة الافريقية محتفظة بتأثيرها على الزنوج ويبدو هذا التأثير واضحا فى المراكز المتحضرة فى الشمال حيث يهاجر الزنوج من الجنوب سعيا وراء التعليم والحريات السياسية والتجارة والمزايا الاقتصادية التى لا يجدونها فى الجنوب .. ويمكن ملاحظة المؤثرات الافريقية فى نواحى متعددة فى أحياء الزنوج بهذه المدن وهناك ست مظاهر ثقافية ساعدت على بقاء الثقافة الافريقية فى العالم الجديد ، أهمها اللغة. الادب الشعبى . الدين . الفن . الرقص والموسيقى .



المواويل الافريقية

فى موسيقى أمريكا

بقلم : عبد المنعم الحفنى

ظل الفن الافريقى يتطور فوق أرض امريكا ، مستقلا بنفسه ، لا يتأثر البتة بالفن الامريكى ، ولكنه يتشكل فى اتجاهات خاصة ، تحددها المعالم المادية للبيئة ، واعتناق الافريقيين للمسيحية ، والظلم البين الذى كانوا يحيون فيه .

وظل الغناء والرقص الافريقيان يؤثران فى أذواق السادة الامريكيين ، ويطبعان الارستقراطية الامريكية ، ولكن أحدا لم يعن عناية واعية أكاديمية بالفن الافريقى الا فى أعقاب الحرب الاهلية الامريكية .

فلقد آزر الشمال الدعوة لتحرير زنوج أمريكا ، وظل الجنوب متمسكا باستعبادهم واسترقاقهم ، ولم يكن الشمال فى دعوته انسانيا ولا مثاليا ، كما يحاول بعض الكتاب تصوير دعوة الشمال ، لتحرير الافريقيين على أرض افريقيا من ربقة الاستعمار . ولكن الشمال فى دعوته تلك ، كان يصدر عن قيم اقتصادية ، فالشمال الامريكى كان قد ازدهر صناعيا ، وكثرت به المصانع وظهرت حاجته الماسة للعمال ، ومن ثم راح يدعو الى تحرير زنوج الجنوب ، كى يغريهم ، بما يدفع للعمال من مرتبات عالية ، على الهجرة الى الشمال . على أن الجنوب ما كان يمكنه أن يستغنى عن الافريقيين ، ومن ثم راح يشدد القيد عليهم ، وينفعل انفعالات عدائية ضد الشمال .

واذن فلقد صار الافريقى على أرض أمريكا مصدر صراع بين حاجات الشمال والجنوب الاقتصادية . وبدأ الناس يتنبهون لحقيقة وضع الافريقى على أرض أمريكا ، ويتكشفون أشياء رائعة فى حضارته . ومن ثم اكتشفت الاغانى « والمواويل الروحية والزرقاء » .

وكانت أول مجموعة من هذه الاغانى « والمواويل » تنشر سنة ١٨٦٧ . وسميت المجموعة « أغانى عبيد الولايات المتحدة » .

وتتسم المجموعة بأغانيها الحزينة وشبقها الممض للصعود الى السماء ، وليس غريبا أن تكون معظم الاغانى أغانى عمل ، وأن تصف عذابات هذا العمل ، والظهر المقصوم ،

والعرق السائل ، والايدى الخشنة فى مزارع القطن والارز ، وليس غريبا أن يحن الزنجى بعد ذلك للراحة ، ولا حاجة بنا الى القول بأنه لا راحة فى دنيا البيض بعيدا عن أرض افريقيا ، الا الراحة فى السماء ، أو هكذا قالت الاناجيل .

ويصف د . ه . رسل احدى هـذه الاغانى فيقول : لقد سمعت أغنيـة شبيهة بهـذه الاغنيـة فى أفريقيا ، ونحن نعبر نهر الكونغو . لقد كان أحد الزنوج ينطلق مغنيا وحده والمجموعة تردد خلفه فى قوة وعزم . وكانت الاغنية تقول :

أوه يالروحك ! أوه يالروحى ! اننى ذاهب الى المقابر .

كى أرقد هذا الجسم وأوسده التراب .

أوه يالروحى ! أوه يالروحك ! اننـا ذاهبون الى المقابر ،

كى نرقد هذا الزنجى ونوسده التراب .

وهذه المعانى التى‌ترددها أغانى‌الافريقيين على أرض أمريكا ، انما هى رجع الاغانى الام التى كان الافريقيون ينطلقون بها على أرض أفريقيا . ولذلك فنحن نجد « الروحانيات » أو ما يسـمى Spirituals أغانى بوليفونية لها نفس التعقيـدات والتنوعات الافريقية . وهى أغانى تعتمـد على قائد الفريق ومن خلفه الفريق كله أو المجموعة . وهذا النمط هو ما يطلق عليه أساتذة فن الموسيقى « **النـداء ورجعه** » ، وهو نمط يغنى فيه قائد المجموعة السطور الاولى ، ثم تتبعه المجموعة « فى اللازمة » .

وهذه‌الروحانيات هى نفسها اغانى‌العمل الافريقية ، وهى أيضا أغانى العمل فى أمريكا بين الافريقيين . وهم يغنونها هى نفسها فى اجتماعاتهم الدينية . والسبب كما علمنـا أن العمل من مشقته وغبنه يدعو الى التفكير فى الدين ، وفى الراحة فى الجنة ، وفى رحمة السماء ، ونعيمها ، وهـذه الاغانى ذات ايقاعات وتنوعات خاصة كايقاعات وتنوعات الطيور ، وهى من أجل ذلك صعبة التسجيل والرصد .

ولقد انتقلت « **الرقصة المقدسة** من الغناء الافـريقى الى الغنـاء الزنجى الامـريكى . وهذه الرقصة المقدسة أو « الصيحة » كما أسماها الاوروبيون ، هى الرقصة التى يغنى خلالهـا الافريقيـون على ايقـاع الصفقـة بالايدى على الافخاذ . وهذه الرقصة بأغانيها انتقلت كامـلة الى أمـريكا . ومن خـلالها ولروعة الحرارة وماتبثه من نشوة وانفعال ، ظلـت هى النغمة الحارة الحلوة فى الغناء الزنجى الامريكى ، ويصف راسل هذه الرقصة فيقول : من الصعب أن تظل ساكنا أثناء أداء هذه الرقصة ، فحرارتها وانفعالاتها لابد أن تعديك . **ويؤديها زنوج أمريكا فى اجتماعات كبرى يسمع صداها على بعد نصف ميل »** وهذه الرقصة نجدها فى غرب افريقيـا بالذات . وهى اصل الجاز الامريكى الحالى.

وهذه الرقصة أحبهـا الامريكيون كثيرا وأقبلوا على مشاهدتها . وكان لانفعـال الامريكيين بها ان احترفها بعض الافريقيين على ارض امريكا ، وجعلوا يقدمونها فنا افريقيا خالصا على المسارح بالاجر ،وراجت رواجا كبيرا وطبعت كثيرا من الغناءوالرقص الامريكى . وان المرء ليدهش حقـا من جراء الدراسات المغرضة التى يقوم بها علماء الغرب بقصد الحط من الثقافة الافريقية والعنصرية الافريقية ، فى الوقت الذى تقلد فيه الثقافة الغربية الثقافة الافريقيـة وتقتبس منها كلما احتكت بها ولا مستها . ولقد رأينا كيف كان النحت الافريقى هو الاصل‌والباعث‌على انشاء المدرسة التكعيبية فى الفن . وسنرى الان ان الرقصة المقدسة او الصيحة كما يسميها الغربيون هى أصل المسرح الشعبى الموسيقى فى امريكا ، واصل أغانى « الديكسى » وفن الجاز ، وفنون‌الرقص والغناء الخفيفة والحديثة . وليس هذا رأيى وحدى ولكنه رأى **جلبرت تشيز** فى‌كتابه‌الكبير عن الموسيقى الامريكية ، فلقـد أخذ الزنوج يكونون الفرق الموسيقية لتعزف الفن‌الافريقى للبيض فى أمريكا . وكانت أول فرقة ، أو لانها اول‌فرقة امكن تسجيل‌اثرها فى الفن‌الامريكى أقول كانت اول فرقة هى « **الفرقةالحبشية الغنائية (وهـكذا سموها هنـاك) . وكانت تعزف موسيقاها على الات افريقية.** هى البانجو **والعظام** (التى يعزف عليهـا الافريقيون) **والتامبورين .**

وآلة **البانجو** هى نفسها الالة المماثلة التى يؤدى بها العازفون فى افريقيا الغربية اغانيهم حتى اليوم . ولقد لاحظنا قبل ذلك ان الافريقيين لم يكن مسموحا لهم باستخدام الطبول خوف استغلالها فى اشعال الحرب كما يحدث فى افريقيا ، ولذلك تحايل الافريقيون على صنع الاتهم بانفسهم . ومن هؤلاء وجد **جويل سوبيني** واخذ سوبيني هذا صندوق جبن فارغا ووضع عليه قطعة جلد وخمسة حبال ، تماما كآلة البانجو الافريقية واستخدمها نفس استخدام الافريقيين للالة . وكانت هذه الالة الافريقية هى سبب تطوير الفن الغنائى الشعبى فى امريكا . على ان الاعجب ان هذا الفن لا يؤرخونه فى امريكا الا بتوماس رايس ويسمونه فى أمريكا **((أبو الفن الشعبى))** ويطلقون عليه **جيم كرورايس** . وكان لذيوع الفن الافريقى وانتشاره واعجاب الناس به ان استن أصحاب المسارح فى أمريكا سنة وهى تقديم الغناء الزنجى بين فصول المسرحيات مهما كانت كوميدية ام تراجيدية ولقد ابدع توماس رايس هذا شخصية الزنجى الافريقى المغلوب على أمره ، وغنى له اغنية اسماها **جيم كرو** ، واعجب الامريكيون بالاغنية حتى ذاعت وذاع اسم جيم كرو رايس معها ، وقلده البيض والسود معا .

والاغنية وتمثيل رايس كان لحال زنجى رآه رايس نفسه وهو يعمل فى أحد الاصطبلات ، ينظف الخيل ويعنى بأمرها وكان هذا الزنجى مريضا بالروماتزم ،ويعرج وساقاه متصلبتان من عند الركبتين ، وكان يغنى لنفسه ، ويرقص ، ويرد على نفسه فى الكورس . وصمم رايس على تقليده ، وأعجب الجمهور بالتقليد ، حتى نال استحسان الجميع ، وارسلت لندن تفسها فى طلبه .. وطور رايس الاغنية الافريقية على ارض امريكا ، وخلق الاوبريت . واطلق الامريكيون . على اوبرتياته اسم **((الاوبرتيات الحبشية))** . ولقد سميت بالحبشية لان الحبشة هى الدولة الافريقية التى خلدها **فيردى** فى موسيقاه فى **أوبرا عايده** . ومن ثم التصق بها المغنون الافريقيون على ارض امريكا لانهم اعتبروها اصلا لهم . ولقد امتدحوا الحبشة وتغنوا باصلهم الحبشى الذى امتدحه الشاعر **كوليريدج** ، وتفاخروا بالاهرام وابى الهول وامجاد الفراعنة فى مصر ،لانهم وجدوا انفسهم وقد تفاخر عليهم البيض ، ومن ثم لهجت السنتهم بأصولهم القديمة على ارض افريقيا .

واذا كانت الروحانيات هى ترجيع هذه الاحاسيس السابقة بشكل جماعى ، فالمواويل الزرقاء هى الترجيعات الفردية لها . ولقد قلت انها مواويل ، وهى فعلا كذلك ، لانها ليست اغانى بالمعنى المتعارف عليه فى الاغنية ، ولكنها مواويل بالمعنى العامى للفظة موال . والموال الازرق يصور المزاج الشخصى لصاحبه . والنمط الكلاسيكى للموال فى الغناء الافريقى هو النمط **ذو الثلاثة ابيات** . فى البيت الاول التقرير ، وفى البيت الثانى الترديد ، وفى البيت الثالث الاستجابة وهذا النمط هو نفسه الذى اقتبسه الموال الافريقى فى أمريكا ، ويتجلى هذا كمثال فى هذا الموال :

سأضع رأسى على خط حديدى نائى ،
وسأدع قطار الساعة الثانية والنصف يريح آلامى .

فالبيت الاول تقرير لحال المغنى ، والبيت الثانى ترديد للبيت الاول ، وفى البيت الثالث يخلص المغنى الى النتيجة ، وسميت هذه المواويل بالمواويل الزرقاء ، لانها عن حالات يحس فيها المرء انه أزرق..أى مرح وسعيد. وهذا التعبير نفسه نجده فى السودان حيث يقال أنه **أخضر** ، ونجده فى الحبشة كذلك بنفس المعنى .

ويترك المغنى بين فقرات الاغنية مسافة اما يملاها بالموسيقى او بترديد جملة « آه يا الهى » . وهذه المسافة تسمى ((**كسرة**)) ، وهى نفس الكسرة التى نجدها فى **الاغنية السودانية** . وهى فى الغناء الافريقى الأمريكى تسمى ((كسرة)) أو ((جاز)) ولم تعط هذه المسافة اسمها ذاك الا بعد أن مرت الاغنية بمرحلتها التمهيدية الاولى أو ((**المرحلة الفولكلورية**)) . وهكذا تكون

كل هذه الانواع الموجودة في الغناء الامريكي من جاز ، ومواويل زرقاء ، واغاني الديكسي وروحانيات ، ما هي الا مسميات متطورة للفن الافريقي الذي انتقل من القارة الافريقية الى القارة الامريكية .

وتستخدم المواويل الزرقاء السلم **الدياتوني** ولكنها في الدرجة الثالثة والسابعة من هذا السلم تفلطحها . وهذه الفلطحة هي ما يميز المواويل الزرقاء ، والدرجتان السابقتان تسميان في المواويل الزرقاء ((**الدرجات الزرقاء**)) . ويغني الزنجي الموال ، ثم يعود الى النغمة الثالثة من حين الى حين . وهذه العودة التي تفلطح صوت المغني ، تعطي صوته السمة الخاصة به — القلق والتردد بين الفلطحة والطبيعية . ونفس الشيء نجده في الغناء الافريقي المشابه لمنطقة غرب افريقيا . فهناك نفس الفلطحة والقلق في النغمة الثالثة . ولقد تأثرت الموسيقى الشعبية الامريكية بهذه الصفة في الغناء الافريقي حتى ان **جلبرت تشيز** يقول : ((**ان بسلم الواويل الزرقاء وبالنغمة الثالثة منه على الخصوص**)) . وكان لاعجاب الشعب **الامريكي لفن الافريقي ان تطورت المواويل** الزرقاء وبسرعة الى موسيقى الجاز التي رأينا سر نشأتها الاولى في ((**الكسرة**)) .

ويرجع العلماء الامريكيون لفظة جاز الى لغة الاشانتي في غرب افريقيا ، على انهم يختلفون حول مدلولها . ولقد نشأت اللفظة اول ما نشأت بصورة واعية ، تساءل الناس عنها ، في **مدينة ((نيو أورليانز))** بالجنوب الامريكي . على ان **الثورة التي احدثها الجاز في الموسيقى هي نقل الرقص من الالات الوترية الى الالات النحاسية ، واضافة ماسمى فيما بعد ((بالنغمة الساخنة))** ولقد ظل الرقص يؤدى على الموسيقى الوترية ولكن الافريقيين في امريكا لم تعجبهم الالات الوترية ليؤدوا عليها رقصاتهم ، واخذوا الالات النحاسية لشبهها بالاتهم الافريقية ، وامكان نقل «السخونة» من خلالها ، وأدوا عليها رقصاتهم الافريقية . **وكان ذلك بداية للثورة الحديثة في الرقص والموسيقى المعاصرين . ولو لم تكن الموسيقى الافريقية لما كان من الممكن ان ترى الحضارة الاوروبية الحديثة هذا التطور الضخم في هذين الفنين فالموسيقى الافريقية هي باعث هذا التطور** وهي اساس الحضارة الموسيقية المعاصرة ، وقد يقول قائل بان هؤلاء الافريقيين على ارض امريكا قد تعلموا الفنون الموسيقية الاوروبية ومن خلال ميراثهم الثقافي الافريقي شقوا لانفسهم خطا جديدا لاهو بالافريقي ولاهو بالاوروبي ، وهذا هو الخطأ الذي نحب ان ننبه اليه ، فهؤلاء الافريقيون لم يكونوا من المثقفين ، وكانوا أميين امية كاملة ، لايعرفون القراءة ولا الكتابة ، ولم يمارسوا العزف أو سماع الموسيقى الا موسيقاهم .

وهذه الانغام المشابهة تحاكي تماما نشأة التكعيبية من فن النحت الافريقي فالتكعيبية هي الصورة الحضارية الاوروبية لهذا الفن مثلما يكون ((الديكسي لاندجاز)) هو الصورة الحضارية للجاز الافريقي . ومثلما وقع السرياليون الاوائل على فنهم الذي يحاكي الفن الافريقي ، باسم ((دادا)) وفنهم ((بالدادية)) .

وقع اصحاب الجاز الامريكي على انغامهم الاولى المشابهة للجاز الافريقي باسم « بابا » فكان اول من اقتفى الجاز الافريقي من البيض الامريكيين هو ((**جاكلين**)) ووقع على موسيقاه واعلاناته عنها باسم ((**بابا**)) **او جاك ((بابا)) لين** . افبعد هذا يكون هناك ادنى شك في تفوق الحضارة الوجدانيه لافريقيا ؟ لقد توصل الافريقيون الى ماتوصلوا اليه بالوجدان ، وتوصل الاوروبيون الى ماتوصل اليه الافريقيون بالعقل ، ولكن الفارق ان افريقيا توصلت الى ما توصل الاثنان اليه من قديم الازمان ، اما اوروبا فلم تتوصل الى ماتوصلت اليه افريقيا الافي القرن العشرين وحده . وهذا هو الفارق بين الحضارتين ، فارق في وسيلة الوصول — افريقيا عن طريق الوجدان ، واوروبا عن طريق العقل — وفارق في الزمن ، وهذا هو الاهم ، فحضارة افريقيا اسبق بالاف السنين !!



الموسيقى الافريقية والأغنية الشعبية فى تاهيتى

عرض عبد العليم السيد منسى

يولد الافريقى وسط نغمات الموسيقى ، ويعيش معها طوال عمره ، ثم يموت على دقاتها الحزينة ، فالميلاد والموت يلازمها طقوس موسيقية وقد تكون أغنيات مرحة أو أغنيات جنائزية ، أما الحياة نفسها فيلازم كل فعل فيها نغمة موسيقية معينة تتناسب معه ، فكل فرد فى القرية أو المدينة ينغمس تلقائيا فى الانغام الموسيقية التى تنبعث حوله ، وليس هذا فحسب بل قد يضيف اليها شيئا جديدا من مشاعره واحساساته وحركاته وصوته أو قد يخترع آلة موسيقية حديثة تزيد من الدقة المرغوبة أو تساعد على اثارة المشاعر الخافية .

فبمجرد أن يتعلم الطفل السير على قدميه يعلمونه الغناء والرقص ، فيكيف نفسه مع لغة الموسيقى قبل أن يعرف كيف يعبر عن أفكاره ومشاعره بلغة الكلام . فيكون الطفل بهذا ملكة موسيقية تقوده الى اظهار مهارته اما فى الرقص أو فى دق الطبول أو الغناء . وتقوده هذه الممارسة الى الراحة الروحية والرشاقة البدنية ، وهذان يقودانه بدورهما الى نوع من التناسق والانسجام مع المجتمع الذى يعيش فيه ، لانه بالرغم من امتلاء الجسم بالعضلات الا أنه مرن الى حد كبير لدرجة أنه يتجاوب فى الحال مع أية اثارة موسيقية ويظهر هذا التجاوب فى شكل حركة حساسة منظمة ، ولقد اشتهر الافريقى بمرونته الفائقة وخصوصا مرونة ساعديه وذراعيه وكتفيه ، فهو يؤدى أعقد الحركات التى تتجاوب مع دقات الطبول بهذه الاعضاء ، وان الرشاقة التى تظهر فى حركات الجسد عند تأدية الافريقى للحركات الاكروباتية فى رقصاته لتدل على مدى الاستعداد القطرى والمكتسب فى هذه الناحية الحضارية .

والموسيقى والرقص توأمان لا ينفصلان فى جميع الحضارات العالمية . ويقول السيد كيتا فوريبا الوزير الغينى الذى كان أشهر راقص فى افريقيا « لكل من ذبذبات الصوت وحركات الجسم مقدرة متكافئة على التعبير ، فحركة بسيطة قد تثير موسيقى معينة كما أن أغنية ما قد تثير رقصة ذات شكل خاص » .

وقد نقلت جموع البشر على مر العصور هذه الثقافة الحية الى العالم الجديد . لقد أتوا بها من كل ركن تمتد اليه الموسيقى ، أتوا بها من الساحل الغربى لافريقيا ومن خليج غينيا الذى يمتد جنوبا حيث يلتقى مع أنجولا ، ومن مجاهل وسط افريقيا مخترقين تنجانيقا ومنها الى موزمبيق ثم من الاراضى الممتدة على طوال الساحل الشرقى . وكانت هذه المساحات الشاسعة مقسمة بين الفرنسيين والاسبانيين والانجليز ، وكان كل هؤلاء يعمل فى تجارة الرقيق أو فى نقل الافريقيين الى البحر الكاريبى والساحل الشرقى لامريكا الشمالية والجزر المجاورة ، أما الاراضى التى كانت تخضع للنفوذ البرتغالى والاسبانى فكان يذهب أهلها الى البرازيل وفينزويلا .

وهايتى من بين الجزر الامريكية التى انتقلت اليها الموسيقى الافريقية حيث اتخذت شكلا خاصا . فالطبول تحتل المكان الاول بين شعب هايتى الذى يتمسك بالتقاليد الافريقية المنقولة اليه . لدرجة أن حياته نفسه أصبحت تنظمها دقات الطبول التى أعطى لها أسماء وميز كلا منها بخصلة من الخصال الانسانية ، فالطبلة « ماما » تعنى طبلة ذات نغمة عميقة مؤثرة . والطبلة « الثانية » تعنى طبلة ذات نغمة متوسطة ، والطبلة « طفل » تعنى طبلة ذات نغم رفيع وقوى جدا ، وعلى هذا فالضارب على الطبلة ليس له يد فى نوع النغم المنبعث منها بل هو مجرد وسيط يساعد الطبلة على ممارسة صفة من صفاتها أو خاصية من خاصياتها بما يمليه عليها ، وتتراوح هذه الاصوات بين الصوت الهامس الرقيق والصوت المزعج المرتفع .

ودائما ما يدق قارع الطبول على طبلته بكلتا يديه ، فيضرب عليها بكل ما لديه من قوة بكفين مفتوحين بدقات سريعة جدا بدرجة لا يصدقها انسان . وقد يدق الطبلة ذات الصوت الخفيض بعصاة مفلطحة أو يحك جلدها بابهامه أو براحة يده . واذا كانت الطبلة ذات قاعدة منخفضة فيحكها بكعب قدمه . ويغير قوتها وضعفها بحركات سريعة .

وتتعقد الانغام المنبعثة بشكل عظيم بدرجة يصعب على المستمع أن يفهم التقسيم والنظام المتبع فى دقاتها . لان هذه الدقات لا تأخذ شكلا طبيعيا بل انها تقسم فى نفس الوقت الى تقسيمات فرعية ذات مدد طويلة أو قصيرة ، وتتخللها ضربات عنيفة تأتى على غير فترات منتظمة ومتقاربة ، ولهذا نجد أن التأثير العاطفى لضربات الطبلة يشعر به كل فرد يقع فى نطاق تأثيرها .

ويلازم الطبلة العظيمة مجموعة كبيرة من الآلات الموسيقية الاخرى ، اذ أن شعب هايتى يحول كل شىء يخرج صوتا الى آلة موسيقية . فالقرون الطويلة المدلاة من أشجار «البانسيانا» يأخذونها ويجففونها ويستخدمونها «شخاشيخ» بعد تلوينها بألوان مختلفة . أما القلل ذات الاحجام والاشكال المختلفة فيزينونها بالخرز ويجعلون منها آلات موسيقية ذات أسماء كثيرة مثل « الماراكاس » و « الجويرو » و « الياكاساز » ، كما أنهم يصنعون «البيانو» من خشب الكابلى ذات الأهمية العظيمة فى تخفيف حدة موسيقى الاغنيات الهايتية ، وهم يدقون علاوة على ذلك بعض قطع الحديد والصفيح والزجاج لكى تدق بقوة عظيمة فتزيد من قوة تأثير الآلات الرئيسية الاخرى .

ويعزف شعب هايتى على آلات يسمونها « فاكسين » وهى مصنوعة من الخيزران المقطع فى شكل أطوال تتراوح بين قدمين أو ثلاثة ، وينبعث من هذه الآلات عند دقها صوت فريد يشبه الصوت الذى ينبعث من قلة فخارية كبيرة عند دقها ، ويقوم عازفو الآلات الخيزرانية بدورهم بمصاحبة الآلات

الموسيقية الاخرى فيخرجون أصواتا هادئة أو ألحانا ذات ايقـــاع خاص يتبعون فيهـا نغمة موسيقية مكررة تتماشى مع الشكل الموسيقى العـــام ٠

ويقـــوم كثير من الموسيقيين بالمعب على الخيزران فى شوارع القرى وطرقاتهــا فيسر الناس كثيرا بذلك ٠ وانه لما يثير الدهشـة والعجب أن تكون السرعة والنبرات دقيقـة ومنظمة جدا ، بالرغم من أن كل فرد يؤدى دورا واحـــدا من مجموع الآلات الموسـيقية المشتركة فى المقطوعة ٠

وأهل القرية منغمسون جدا فى الموسيقى التقليدية الدينية التى ينوعونها بما لهم من خيـال رائع خصب لتتناسب مع انفعـالاتهم ومشاعرهم ، وهناك مجموعة منهم تقوم بتأليف الاغانى الرومانتيكية أو «المنولوجات»الساخرة٠

وينتشر بين سكان التـــلال عادة تقسيم أنفسهم الى مجموعات غنائية لكل منها اسمها الذى يميزها وأغنياتها ذات الطابع المعين ٠ ورقصاتها الخاصة بها ، ويشتد التنافس بين هذه المجموعات بشكل حماسى ، ويحاول كل فرد فيها أن يكون مخلصا لمجموعته ٠ لدرجة أن هذه المجموعات تتمرن أشهرا طويلة لتجيد دورها ولكى تحصل على جائزة أحسن مجموعة فى « عيد أربعاء الرماد » ٠

وتسير هذه المجموعات من أعالى التلال الى المدينة فى احتفال عظيم يسوده الهرج والمرج وعدم النظام ٠ وتنبعث الضحكات والصرخات المدوية فتختلط بصـــوت الموســـيقى الأجش والاغنيـــات الجديدة ٠ أما النســـاء فيحملن أطفالهن على كتف ويحملن الطعام والزاد على الكتف الاخرى لقضاء ليلة العيد خارج منازلهن وأما الرجال فيسـيرون وفى يدهم بطاريات وعيـــدان الاشجار المملوءة بالاوراق ، بينما يقوم بعضهم بقرع قطعتين من النحاس فى بعضهما ويقوم البعض الآخر بهز رأسه مستعملا « الشخشيخة » والطبلة ٠

وكلما اقتربت الجماعات من ميدان الاحتفال ارتفعت الاصوات وازدادت عوامل الاثارة فى أنفسهم ، ولكنهم يضطرون أخيرا للانصـات وانتظار تمثيل أدوارهم أمام « هيئة العمد » الحاكمة ، وفى هذه الاثنـاء تقوم المجموعات بتنظيم أنفسها ، ويبحث كل فرد عن المكان المخصص له طبقا لما تمليه الطقوس ليقوم بأداء رقصة لها معنى معين ٠ والعوامل الهامة التى تؤدى الى نيل شخص ما الجائزة هى حيويته ، وجمال ردائه ، ومهارة العازفين له والتنويع فى الرقصات ٠

ويشترك شعب المدينـة فى هذا الاحتفال كذلك ، فيقومون باختيار ثلاث ملكات تمثلن ثلاث طبقات مختلفة من المجتمع ، وتسير كل منهن فى احتفال خاص ، وتمر هذه الملكات أمام « هيئة العمد » لاختيار أجملهن واعطائها أعظم جائزة بعد انتهاء الاحتفال مباشرة ٠

وهناك تباين ملحوظ بين احتفالات القرية والمدينة ولكن الموسيقى هى الشىء الوحيد الذى يربطهما ، فالرقصة الشعبية فى هايتى هى خليط من موســـيقى الثقـــافتين الافريقيـــة والفرنسية ، فهى متألقة الالحـــان افريقية الطابع ، وتبتدىء دائما بألحان ذات نبرات قوية يصاحبها مجموعة من الآلات الموسيقية المختلفة ٠

وموسيقى هايتى مثل الجاز الامريكى تظهر لنا ناحية من نواحى تطور الموسيقى الافريقية فى العصر الحديث ، لان العناصر التى ذكرناها تجعلنا نخضع موسيقى هايتى لنفس الظروف التى مرت بها موسيقى الجاز ٠

من الفولكلور الإفريقي

ترجمة : محمد بهي الدين سالم

نصيب الجزار

ذات مرة كانت توجد سبع ضفادع جياع ، ذهبت تبحث عن طعام في الغـابة ، وأخيرا رأين جثة ظبي فسعدن جدا بها ، ولكن لسوء حظهن لم يكن معهن مايستطعن تقطيع صيدهن الثمين به ، ولم يمض وقت طويل حتى اقترب النمر وأكد للضفـادع انه بمخالبه الحـادة سيحل لهـن مشكلة تقطيع اللحـم ، وقطع النمر أشهى قطع اللحم وجمعها لنفسه وقال : هذا « نصيب الجزار » وبهـذا ترك العظم قسمة بين الضفادع السـبع فماذا تفعـل الضفادع الجائعة ؟ .

لقد كن تحت رحمة هذا الوحش الشره ، ولم يكن بوسع الضفادع السبع الا أن تنظر كل منهن الى الاخرى دون ان تنطق أو تفعل شيئا .

وعندما انتهى النمر من عمله ذهب ليبحث عن بعض أوراق الاشجار ليلف بها اللحم ليأخذه معه الى البيت ، وفي أثناء غيـابه تظاهرت ست ضـفادع من السبع بالموت تاركين الضفدعة السابعة في انتظار النمر لتوجهه لكي يموتا سويا .

وعنـدما وصل النمر قالت له الضفـدعة الحية : تعال الى انني في انتظارك ، وسألها النمر غاضبا : لماذا ؟ .

رددت الضفدعة : لقد مات الآخرون اثنين اثنين ولا بد أن أموت مع آخر حسب العادة . وعندما سمع النمر هذا وشاهد المنظر المخيف للأزواج الثلاثة من الضفادع الميتة والزبد يخرج من أفواهها ألقى بأوراق الشـجر ، وأسرع مبتعدا ، فأخبرت الضـفدعة رفاقها الست ان يستيقظن ونعمن جميعا « بنصيب الجزار » .

والى هذا اليوم ما زالت الضفادع تضحك على النمر .

فمن يضحك أخيرا يضحك كثيرا .

أصل الموت :

يحكى أن القمـر أرسل ذات مرة حشرة للانسان وقال لها :

« اذهبى الى بنى البشر وأخبريهم : كما أموت ، والاموات يعيشـون فهكذا ستموتون أيضا والاموات يعيشون » .

وذهبت الحشرة لتوها بالرسالة . ولكن بينما هى فى طريقها لحق بهـا أرنب برى وسألها : أين أنت ذاهبة ؟ .

أجابت الحشرة : لقـد أرسلنى القمر الى بنى البشر لأخبرهم أنه كما يموت والاموات يعيشون فانهم سيموتون أيضـا والاموات يعيشون .

قال الأرنب البرى : حيث أنك بطيئة السـير فدعينى أذهب أنا .

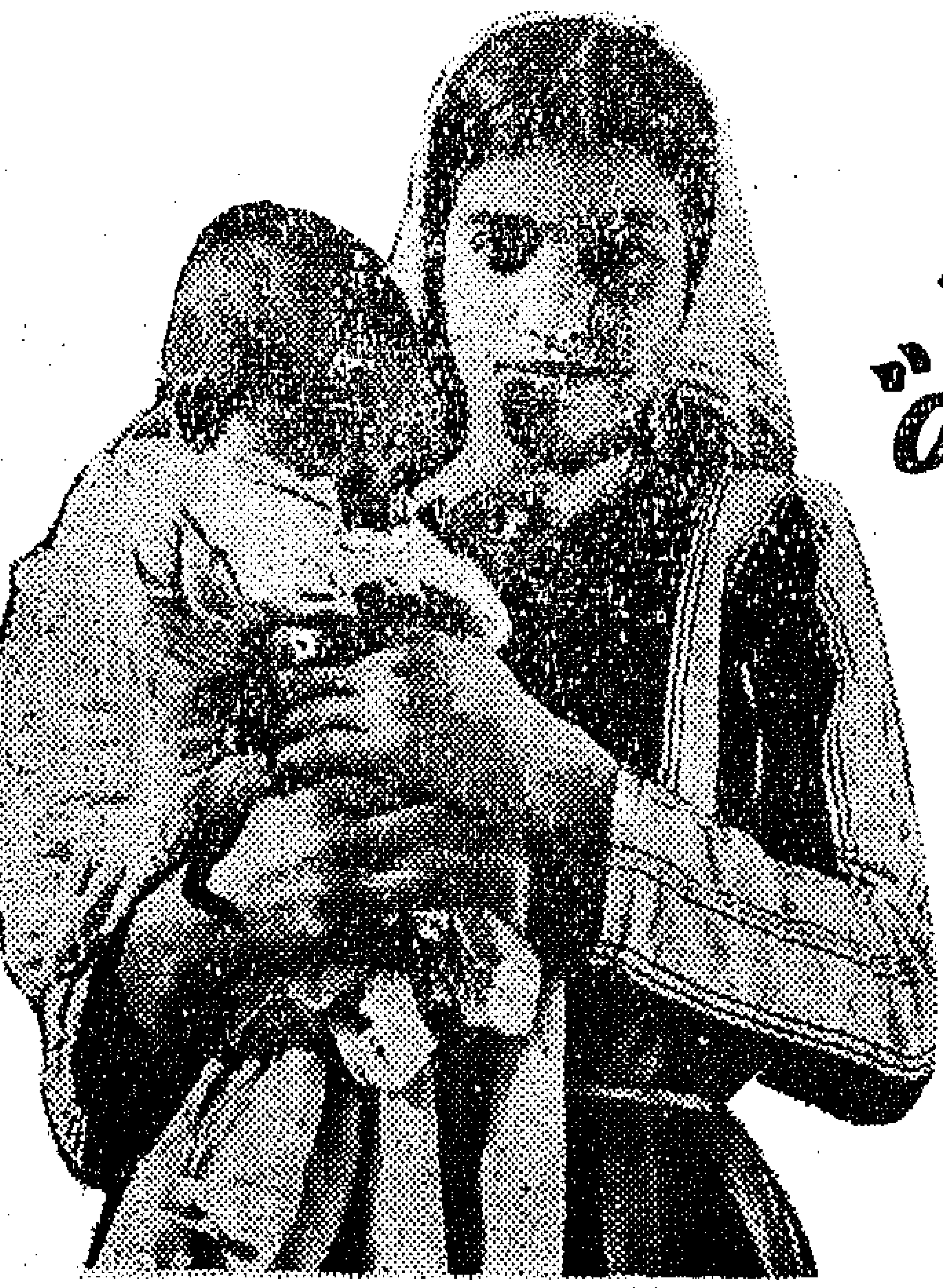
وجرى وهو يقول هذه الكلمات ، وعندما وصل الى بنى البشر قال لهم :

« لقـد أرسلنى القمر لاخبركم « انه كما أموت والأموات يهلكون فستموتون أنتم أيضا بنفس الطريقة وهكذا تكون نهايتكم » .

وعاد الأرنب البرى الى القمر وأخبره بما قاله لبنى البشر ، فأنبه القمـر فى غضب قائلا : « كيف تجرؤ على أن تخبر النـاس بشىء لم أقله » ؟

وبهذه الكلمات أمسك القمر بقطعة من الخشب وضرب الأرنب البرى على أنفه ومنذ هذا اليوم وأنف الأرنب مفلطحة .

ولكن النـاس آمنوا بما أخبرهم به الأرنب البرى .



الأمومة والطفولة في أفريقية

عرض وتلخيص : محمد الشريف

« هذا المقال للانسة الدكتورة « فالاد » الاخصائية فى المشكلات النفسية للطفولة ، تناقش فيه ما يؤثر على نفسية الطفل لامن الناحية الفطرية والغريزية فحسب ، ولكن من ناحية البيئة والمنشأ . وبصفة خاصة علاقته بامه . فقد اكتشفت انه لا يوجد رباط بين الام ووليـــدها أقوى وأمتن واوثق من الرباط الموجود حاليا فى المجموعة الافريقية »

تقول الكاتبة أن فى السنغال نوعا من العلاقة الوثيقة تربط بين الام وطفلها لا تتوافر فى أى مكان اخر فى العالم ، لان هناك عوامل طبيعية وبيئية لم يستطع الاطباء التغلب عليها رغم ما نقلوه عن الغرب من علوم وبحوث وارشادات نتيجة للرقى والتقـــــدم والبحث العلمى المتواصل .

واذا سألنا عن مدى العلاقات التقليدية بين الام ووليدها نود ان نذكر قبل كل شىء انه يجب الاخذ فى الاعتبار ان المرأة الافريقية بصفة عامة والسنغالية بصفة خاصة تشعر فى قرارة نفسها بأنها زوجة لرجل له الحق المطلق فى الزواج باكثر من امرأة . مما يؤثر فى نفسيتها ويجعلها ، حتى ولو كانت الزوجة الاولى والوحيدة لزوجها ، معقدة . لانهـــا ترتقب بين حين واخـــر شريكة لها تقاسمها حياتها وتشاركها عطف زوجها وحنانه . مما يجعلها شديدة الاهتمام بتكييف حياتهـــا المعيشية بما يتفق وما تفرضه عليها الحالة الاجتماعية بالنسبة للحياة الزوجية .

هذه الظروف التى أومأنا اليها تشغل جزءا كبيرا من تفكير المرأة السنغالية . فتنوء بها وبما يترتب عليها من مشـــكلات ومضايقات واضطرابات نفسية أثناء فترة الحمل . فضلا عن وجود فترات حرمان وانفصال بين الزوج والزوجة تفرضها العقائد والتقاليد ويتحتم فيها ابتعاد الطرفين عن بعضهما فترة معينة خشية ان يتم الحمل خلالها .

كل هذا له تأثير كبير فى تصرفات الام حيال وليدها . وهناك تقاليد كثيرة يجب مراعاتها طول فترة الحمل . فبمجرد أن تشعر المرأة بظهور أعراض الحمل تحاول ، كما هى العادة عند نساء العالم ، اخفاء هذا النبأ عن الناس ولا تظهر اعراضه . والمرأة السنغالية على الاخص تبذل قصارى جهدها لاخفاء انتفاخ بطنها عند تقدم الحمل وتجتهد فى عدم اظهاره كما تحاول عدم الظهور امام الناس وتلتزم السكون التام لفترة طويلة . حتى فى محيط العائلة لايجرؤ احد على التحدث عن هـذا الحمل .

هذه العادات والتقاليد لازالت موجودة حتى الآن عند بعض العائلات فأنباء الحمـــل لا تعلن مطلقا ، فلا يعلم بها احد ، لا سيما فى الشهور الاولى خشية بعض الاضرار التى قد تصيب الحمل نتيجة حسد الاخـــــرين ونظراتهم المؤذية .

كيف تتقبل المرأة السنغالية نبأ هـــذا الحمل ؟ وما هو شعورها عندما تتأكد منه ؟

تشعر المرأة السنغالية بالراحة التامـــة والاطمئنان الكامل عندما تحس بأعراض الحمل واحيانا يكون شعورها عكس ذلك تماما اذا كانت قد تزوجت على غير ارادتها ولا رغبة لها فى ان تنجب طفلا او لان صحتها قــــد ضعفت وانهكت قواها نتيجة لكثرة الانجاب او لان حملها جاء فى غير الفترات المقــدرة للحمل أو لانه جاء عقب اجهاض او وفاة طفل سابق .

ماذا يكون تصرف المرأة عندما تشعر بقرب فترة الامومة ؟ وكيف تعد العدة لاستقبال طفلها ؟

الجواب على هذا هو لاشىء .. لانه لن يعد شىء للطفل الى أن يأتى فى هذا العالم . لا يبالى به أحد على الاطلاق ، لان هنـــاك اعتقادا سائدا بانه اذا تمت بعض التجهيزات والاستعدادات لاستقبال المولود ، فهى تعد بمثابة امنية لعدم ميلاده على عكس المامول وهو كما يعتقدون لا يزال غيبا فى حراســـة القدر .

لقد لاحظت بنفسى مدى قلق الحـــوامل عندما أعددن مرغمـــات ـــ اللفـــافات لاستقبال اطفالهن نزولا لاوامر اولى الامر فى المراكز الطبية المشرفة على عمليات الولادة .

عندما تبدأ فترة الحمل ، يفضل النســاء البقاء بالمنزل دون مواجهة الحياة الى ان تأتى فترة الوضع فيحاولن من تلقاء انفسهن القيام ببعض التمرينات الرياضية التى تشبه الى حد كبير التمرينات التى ينصح بهـــا الوضع حتى يتم بطريقة يسيرة وطبيعية .

وأود أن أوضح ان طوال مدة الحمل وحتى فترة الولادة لها تأثير فعـــال فى العـــلاقات المقبلة بين الام وطفلها فيتوقف على ذلك اما نبذ الطفل على اساس انه شؤم وفى هذه الحالة تتخلى عنه امه وتعتنى بتربيته امرأة اخرى من النساء الموجودات بالمنزل ، او تقبل الام على طفلها تحنو عليه ، وفى هـذه الحالة يكون تصرفها حيـــال وليدها تصرفا مخالفا لتصرفها معه قبل الوضع . فهـذا المولود الذى كان مستكنا فى هدوء بين احشاء امه لايجب ان يحس بفارق كبير بعـــد ان يخرج الى الحياة حتى لا يصبح خشن الطبع نتيجة لتغير الظروف المحيطة به . لذلك سوف يحيى الطفل الافريقى فى ايام طفولته الاولى ملتصقا بجسم أمه يشعر بحـــرارة جسدها ، مشاركا حياتها ، ملازما لها دائما لا يفارقها اثناء تأدية عملها ولا فى جميـــع تصرفاتها .

تحمل الام ابنها على ظهرها بصفة مستمرة بحيث تزاول نشاطها اليومى العادى وهو معلق خلف ظهرها .. وهذا لا يعوقها من تأدية اعمالها اليومية الطبيعية المعتادة . فهى تذهب به الى السوق لتشترى حاجياتها ، ولا يفارقها عندما تتجه الى البئر لتأتى بالماء اللازم للبيت ، كما تستمر فى حمله والاحتفاظ به فوق ظهرها حتى عنــــدما تقوم بزيارة الاصدقاء والاقارب .. وقصارى القول يظل الطفل عقب مولده ملتصقا بجسم امـــه لا يفصله عنها سوى رداء يغطيه . كما نرى أن فى فترات «العصارى» عندما تجتمع العائلة بعد الظهر لتجلس فى الهواء الطلق تتلمس بعض بقايا الاشعة الشمسية ، تضع الام طفلها على ركبتيها أو تجلســه بجانبها اذا ما قويت عظامــــــه واستطاع التوازن فى جلسته .

هذه العادات والتقاليد والتصرفات اليومية تغرس فى نفس الطفل الافريقى حب الجماعة فهو على صغر سنه يصغى لاحاديث من حوله ويشارك المجموعة اللعب والضحك ، فالكل يحاول مداعبته وتسليته واللعب معه والتحدث بلسانه وحركاته . فقلما نرى الطفل الافريقى وحيدا ، فهو لا يعرف للعزلة معنى ولا للوحدة وجود .

ينام الطفل بجوار أمه منذ ان يرى نور الحياة حتى يتم فطامه ، فتعيش الام وطفلها طول فترة الطفـــولة فى رباط يفيض على الطرفين سعادة . فالام سعيدة بان اصبح هذا الوليد ، وهو جزء من جسدها وروحها يعيش بجوارها ومسئول منها . يشاركهما الحياة والمتعة ، فتمنحه عنايتها وحنانها . ان غريزتها تنمو بشكل رائع وتتكون بسرعة فائقة لكل ما يتعلق بطفلها . انها تشعر بما يحتاج اليه وتتوقع ماقد يحدث له وتتنبأ بما قد يلزمه ، فهى تستطيع دائما التمييز بدقة وسرعة فيما يبكيه وما يؤلمه ويزعجه . ولها القدرة على معرفة ما اذا كان صراخه بسبب الجوع او العطش ، وهل هو يبكى حقيقة او لمجرد استدرار عطف امه لتلعب معه وتشغل به . فان كان جائعا تشبعه .. وان كان عطشانا تروى ظمأه .. وان كان يريد اللعب تلاعبه .. واذا رأت ان الوقت غير مناسب للعب تكتفى باعطائه ثديها لترضيه وتحد من بكائه . لذا نرى الطفـــل يلعب بالثدى ويتسلى به اكثر مما يلتهم منه اللبن ولو ارتشف بعض الجرعات سرعان ما يراوده حب اللعب ثانيــة فيكف عن الرضـــاعة . واحيانا اذا كان جائعا حقا يستمر فى الرضاعة لمدة أطول ، ينام بعدها نوما عميقا ..

لا تحاول الام السنغالية مطلقا تنظيم عملية تغذية الطفل فان ملازمته لها ووجوده دائما بجوارها تغنيها عن مشكلة تنظيم وجباته ، فلا تشغل فكرها فى ذلك ، لان الطفل طالما كان دائم الالتصاق بأمه سوف تشبعه بلبنها بمجرد أن يشعر بالجوع أو العطش ، فلا داعى للتقيد بمواعيد محددة للرضاعة . ومع مرور الايام ينظم الطفل نفسه بنفسه تلقائيا ويعتاد على وقت معين يطلب فيه الغذاء كما يعتاد على كمية معينة لا يتعداها .

وعملية تنظيم الغذاء هامة جدا ومفيـــدة للغاية فى نظر كاتبة هذا المقال . ففى أوروبا يرى البعض المرونة وعدم التشديد . الا أن بعض الامهات الافريقيات اللاتى يسرن نحو الرقى والتقدم وينشدن المدنية ، يتمســـكن بعملية التنظيم الغذائى سواء من حيث مواعيد الرضاعة أو من حيث كميتها بشـــكل قاس جدا لا يقبل الرحمة ، فتضيع بذلك حاسة الام بحاجة الطفل الى الغذاء عند الاقتضاء فيتركن أطفالهن يتضورن جوعا . ويشـــتد صراخ الطفل طلبا للغذاء ولا مجيب له ، لان الطبيب قد حدد ثلاث ساعات بين كل رضعة واخرى على أن تستمر كل رضعة فيما بين عشر دقائق وخمس عشرة دقيقة .

اما فيما يتعلق بالتربية والنظافة ، فان الام لا تفرض هنا ايضا اية عناية او نظام خاص . فبما أن الطفل لا يفارقها ويكون دائم الالتصاق بها فانها تمنحه الراحة التامة والعناية الفائقة عند ما يحتاج اليهما . فلا تغير له اللفافة بانتظام . أما فى المساء فانها تضطر الى تغيير ملابسه الداخلية عدة مرات بحسبما تقتضى الحاجة ، وفى كل مرة تعطيــه ثديها ليستعيد هدوءه ويستغرق فى النوم .

وكلما ينمو الطفل يحاول ارضاء رغباته بنفسه دون توجيه أو ارشـــاد ، فجميــع التصرفات سواء الصادرة من الطفل او من الام فطرية وطبيعية .

الفطام

هذه الحياة المشتركة ، وهـــذا الرباط الطبيعى بين الام وطفلها يظل قائما حتى سن الفطام ، الذى يعتبر بمثابة بداية الانفصام الحقيقى بين الام ورضيعها . يحدد هـــذا السن فى الغالب بثمانية عشر شهرا بالنسبة الى الذكور وأربعة وعشرين شهرا بالنســبة للاناث . ويتم الفطام قبل هذا السن اذا ما حملت الام مرة اخرى اثناء الرضاعة ، فتكف عن ارضاع وليدها حين تشعر بالحمل الجديد وتبدأ فى فطام الطفل الرضيع . ولم تكن ثمة طريقة متبعــة فى هـــذا الشـــأن . فالمسألة تقديرية بحتة . اذا رؤى أن تعلق الطفل بامه قد يؤذى الثمرة الجديدة ، يتحتم فى الحال افطام الطفل وابعاده عن امه حتى لا يكون سببا فى ايذاء تكوين المولود المنتظر وقد تستمر الام فى ارضاعه حتى تتم فترة تكوين الجنين الجديد وتمر الشهور الاولى للحمل ويظهر انتفاخ البطن بوضوح . وفى هذه الحالة تستشير الام الطبيب ، فهـــو

الذى يحدد فترة انتهاء الرضاعة . وحسب رأى الكاتبة ينبغى على الاطباء فى هـــذه الحالة مراعاة التقاليد والعادات الموروثة من قبل ، ففيها مبرر كبير لصوابها . فقد لاحظ الاخصـــائيون والاجتماعيون والنفســيون أن النظريات الحديثة لعلم النفس تتفق الى حــد كبير مع ماتوارثه الافريقيون من عادات وتقاليد قديمة وهى الاسس التى يتوارثوها ويطبقونها تلقائيا دون ادراك لغايتها او ما نرمى اليها فنجد ان ما يسير عليه الحاضرون نقلا عن السابقين اسسا يمكن الارتكاز عليها . وتعتبر فى الواقع عناصر اساسية عند تبويب مراحل النمو والتطور .

من يدرى .. فان تصرف الام حيال رضيعها عندما تشعر باعراض الحمل الجديد قــد يكون لحكمة عميقة لاندركها . بينما نرى ان فى تصرفها الظاهرى واضحا أمام أعيينا ؟؟

نلاحظ انه بعد طقوس الفطام ينتاب الطفل اضطراب نفسى وبدنى . وفى كثير من الاحيان تلجأ الام الى علاج ذلك بطرق شتى من وسائل العلاج المحلية التى لاداعى للدخول فى تفاصيلها . كما يصاب الطفل ايضا بفقدان للشهية ، وهـــذه حالات فردية لا تصيب المجموع ، ومن جرائها يرفض الطفل تنـاول الطعام الذى كان يتناوله من قبل بين حين واخر ويقبل عليه بشهية عندما كان يشارك الاسرة فى اجتماعاتها وجلساتها وندواتها . ولا يفوتنا ان نشير ايضا الى التغييرات التى تطرأ على الطفل فى هذه المرحلة والتى قـد تؤثر فى طباعه . فنراه قد أصبح متذمرا دائم الشكوى غير محتمل . يغضب لاتفه الاسباب وينفجر فى البكاء ، ثم يتقلب على الارض فى حركات يعبر بها عن اصراره لاستعادة ثدى أمه . ولكن دون جدوى . لان الام تصر دائما على الا تمنح الطفل ثديها مرة اخرى .

ان التأثيرات الصحية ، كما قلنا ؛ تستمر حوالى ثمانية ايام ، الا ان التأثيرات النفسية قد تستمر من ستة شهور الى سنة تقريبا حتى يتعود الرضيع حياة الطفولة .

اما اذا استمرت حالات الاضطراب الجسدى سواء بالاسهال او بفقدان الشهية فترة طويلة ولا جدوى لوسائل العلاج المختلفة . فتتبع طريقة خاصة للتغذية معروفة لدى الامهات يلجأن اليها عند الحاجة وتسمى «كواشيوركور»

ان الاضطراب الجسدى السابق الاشارة اليه لم يكن مرجعه أى نقص فى غذاء الطفل فقد لمست ذلك بنفسى ولكن مرجع هـذه الاضطرابات هو حرمان الطفل من المودة والالتصاق بأمه ، فنلاحظ ان من بين كل سبعة او ثمانية اطفال من نفس العـائلة لا يتأثر منهم عند الفطام باضطراب فقـدان الشهية سوى طفل واحد فقط ، فقد يكون بينه وبين أمه نزاع وخلاف يرجع عهدهما غالبا الى ما قبل مولده ، ويكونا قد أثرا على الرباط بينه وبين أمه .

وتختتم الكاتبة مقالها بقولها : « انى لاانكر ما للعلم والمدنية من فضــل وتقدم الا اننى اشيد دائما بوجوب احترام التقاليــــد والعادات الموروثة لان لها تأثيرا فعالا على نفسيتنا بصفة عامة .

التطور الانثروبولجي والاجتماعي في افريقية

من أبحاث
رونالد أوليفر وجون فيج
ترجمة وتلخيص عبد الواحد الامبابي

من المعروف تاريخيا أن أجداد الانسان الحديث أو الانسان العاقل Homo Sapien هم الذين صنعوا أقدم مانعرف من الالات الباقية وذلك منذ حوالى مليونى عام مضت ، وأن معظمهم قد تعلم منذ حوالى خمسين ألف عام مضت كيف يتحكمون فى النار ويستفيدون منها . وعلى العكس لم يبدأ الانسان الحديث عملية زراعة الارض الا منذ حوالى عشرة آلاف سنة فقط ، وتعتبر هذه الخطوة الثورة العظيمة الثالثة فى التاريخ البشرى .

فان الانتاج الغذائى قد جعل من الممكن قيام حياة مستقرة للقرية فى مقابل معسكر الصيد فى الماضى ، لان هذا الانتاج الغذائى وهو عملية انتخاب حتمى فى اسلوب التطور قد استلزم زراعة النباتات الصالحة للاكل ، وتدجين وتربية حيوانات معينة كانت لاتزال حتى ذلك الوقت تعيش حياة منطلقة بدائية وجعلت كذلك من الممكن وجود وفرة وفيرة من المعدات والالات المادية التى لابد وان وجودها على هذا النحو كان امرا مربكا بالنسبة لرجل الصيد البدوى اولزميله جامع الاعشاب المتنقل ، بل فضلا عن هذا كله جاءت مرحلة الانتاج الغذائى لتجعل من الممكن — لاول مرة فى التاريخ — وجود مايعرف باسم « الكثافة السكانية » وهذا لا يعنى — بالطبع — ان ثورة الانتاج الغذائى كانت أمرا مفاجئا فى كل مكان من العالم ، وان كانت كذلك فى مصر ، وهو أمر لاجدال حوله ، فنحن نعرف الان ان هذه الثورة قد وصلت الى عهد الاسرات بعد أكثر من الف سنة من زراعة أولى محاصيل الحبوب ، وهذا راجع — بلاشك — الى الامكانيات التى لامثيل لها والتى يتمتع بها السهل الفيضى للنيل . أما فى غير مصر من المناطق الافريقية الاخرى فقد حدث فيها الانتقال الى مرحلة الانتاج الغذائى بصورة أكثر تدريجية .

ويبدو ان ثورة الانتاج الغذائى قد أثرت على افريقيا فى ثلاث مراحل رئيسية ، بدات أولاها فى الالف سنة الخامسة وتجمعت قوتها فى الالف سنة الرابعة قبل الميلاد ، والى هذه الفترة يرجع السبب فى ظهور كثافة حقيقية للسكان القوقازيين فى الجزء الادنى من وادى النيل ، اما المرحلة الثانية فقد كانت جنوب الصحراء الكبرى ، حيث بدأت فى الالف السنة الثالثة قبل الميلاد ، وجمعت قوتها الدافعة فقط خلال الالف سنة الثانية والاولى والى هذه المرحلة يرجع السبب فى وجود الزنوج على كل الطريق الذى يقع على طول حزام السافانا ، بين الصحراء والغابة الاستوائية المطيرة . اما فى المرحلة الثالثة التى يبدو أنها كانت مرتبطة بروابط اندونيسية فى أوائل العصر المسيحى فقد قام السكان المبعثرون من الزنوج فى غينيا وفى افريقيا شبه الاستوائية بتوسع عظيم ، واصبحوا يمثلون السكان الاساسيين لهذه المناطق ايضا وهنا ينبغى ان ننظر الى هذه المراحل الثلاثة نظرة دقيقة فاحصة فقد اصبح علماء الحفريات على ثقة تامة اليوم من ان كلا من زراعة الحبوب وعملية تدجين الحيوانات الاولى قد حدثتا لاول مرة فى جنوب غربى اسيا ، وعلى وجه التحديد بين أجداد هؤلاء النافوفيين الذين توجد صلة قرابة بين حضارتهم وحضارة كل

من الكابسيين في كينيا وحضارة زنوج الخرطوم، هؤلاء النافوتيون الذين كانوا يعيشون في العصر الحجرى الوسيط عند مدينة أريحا الفلسطينية بالقرب من الينبوع الدائم على أطراف وادى الاردن واستطاع شعب كان يستعمل الالات المصنوعة من العظام والحجر الصوان على النموذج النافوتى ان يقيم أول سلسلة من مراكز انتاج الغذاء فى فترة زمنية تقع خلال الالف سنة الثامنة قبل الميلاد ،

وبدأ شعب اخر كان يعيش على الشطئان الجنوبية للبحر الكاسبى شعب كان يحيا حياه الصيد البرى والبحرى ويستخدم آلات وأسلحة شبيهة بالآلات والاسلحة النافوتية لقد بدأ هذا الشعب يزرع الحبوب وينحر الماشية والماعز وكان ذلك حوالى الالف سنة السابعة والسادسة قبل الميلاد . وتدل الاثار الباقية

على ان الافريقيين الذين كانوا يشتغلون بالانتاج الغذائى كانوا يعيشون على اطراف منطقة دلتا النيل فى الالف سنة الخامسة قبل الميلاد ، وفى هذه الفترة كان المزارعون الفلسطينيون قد توصلوا فعلا الى معرفة صناعة الفخار وصقل الالات الحجرية وعمل حدود لها ، أى انهم دخلوا مرحلة العصر الحجرى الحديث .

اما اقدم الجماعات التى كانت تشتغل بالزراعة فى مصر فقد استخدمت آلات العصر الحجرى الحديث منذ البداية ، وعلى هذا فليس هناك ما يدعو الى الشك بأن الزراعة قد انتشرت من اسيا الى داخل افريقيا عبر السويس خلال أقدم فترة من فترات العصر الحجرى الحديث . ولم ينشىء أقدم جيل من المزارعين المصريين مراكز استقرار لهم عند أسفل الوادى ، لان المستنقعات والاحراش كانت تمثل فى ذلك الوقت صعوبات جمة ولكنهم أنشأوها على المدرجات العاليه التى توجد عند اطراف ما هو معروف اليوم باسم الصحراء وكانت هذه المدرجات تتمتع بجو جاف يومذاك ، خاصة فى المنطقة التى تقع الى جانب مجارى نهر الوادى الذى اصبح اليوم جافا بعد أن كانت مياهه تتدفق حينذاك فى مواسم معينة .

ومن المؤكد ان المراكز الاولى التى كانت قائمة اثناء فترة العصر الحجرى الحديث عند دير تاسا والبرارى والميريميدى والعمارى ... كانت كلها تقع على اطراف الوادى ومنطقة الدلتا لاعالى السهل الفيضى نفسه وقد تم الكشف عن بعض هذه المواقع القديمة فى شمال الفيوم .. المنخفض الطبيعى الذى كانت — تربطه — فى يوم من الايام — بوادى النيل بحيرة تدل جوانبها على وجود سلسلة من خطوط شاطئية كانت تهبط من ارتفاع يبلغ حوالى ثلاثمائة قدم اعلى من المستوى الحالى ، وكانت تقطن شطئان البحيرة الساقطة أثناء العصر الحجرى الوسيط جماعات من الصيادين الذين ظلوا يتخذون من هذه المناطق مراكز استيطان لهم حتى العصر الرومانى ، وقد بنى اهالى العصر الحجرى الوسيط مستوطناتهم الاولى بجوار البحيرة حين كان ارتفاعها حوالى ١٨٠ قدما ويرجع تاريخ وجود هؤلاء السكان فى هذه المنطقة الى النصف الثانى من الألف سنة الخامسة قبل الميلاد ، وتدل الاثار التى عثر عليها على انهم كانوا يستعملون فؤوساحجرية ومناجل من الحجر المشرشر ذات أيد خشبية ، وكانوا يقيمون مخازن لغلاتهم فى باطن ارض غائرة مبطنة بالقش المضفر حيث يخزنون فيها حبوب الشعير والقمح . وتوضح الطريقة التى بنيت بها هذه المخازن ان هذه الجماعات كانت من الجماعات المستقرة وكان شعب الفيوم اثناء فترة العصر الحجرى الوسيط يصنع الفخار غير المزخرف وينسج الكتان وكانوا كذلك يستوردون الصدف من شاطىء البحر الاحمر ويستوردون كذلك أشياء أخرى من حدود ليبيا لصنع الاقراط والجرز .

ومن الواضح — كما يبدو من كل المواقع — ان المزارعين من المصريين القدماء الذين كانوا يعيشون على اطراف الوادى سرعان ما بدءوا يقاسون الشىء الكثير من جفاف الجو المستمر خلال الفترة التى تقع بين اواخر الالف سنة الخامسة واوائل الالف سنة الرابعة قبل الميلاد ، وكان تراكم رمال الصحراء هو السبب الذى دفع التاسيين Tasims

والبراريين الذين كانوا يعيشـون فى المنطقـة الوسطى من مصر الى الهجرة الى المنـاطق الادنى ، حيث قاموا بتذليل السهل الفيضى وابتداء من هذه اللحظة فصاعدا ــ كمـا تشير آثار ما قبل عهد الاسرات ــ حدث نمو واضح فى عدد سكان هذه المناطق . وربما كان وجود عشرين الف نسمة هو تقـدير كبير بالنسبة لعدد من السـكان يشتغلون بالصـيد ، وعلى القطاع المصرى من وادى النيل تزويدهم بما يحتاجون اليه من معاش فى اواسط العصر الحجرى الوسيط . وكان سكان المملكة القديمة بعد ذلك بالغى عام قد وصلوا الى ثلاثة مـلايين الى ستة ملايين نسمة ، على خلاف فى التقدير . ولا شـك فى أن الهياكل البدنية التى عثر عليها فى مقابر عصر ما قبل عهد الاسرات تتماثل مع هياكل اوائل عصر الاسرات ، كما ان الاثار توضح فى الوقت نفسه ان المزارعين المصريين القدماء كانوا ذوى أجسام قصـيرة القـامة نحيفة التركيب ، لا يمكن تمييزها عن اجسام شعوب البجاه المعاصرين عند سفوح البحـر الاحمر او اجسام شعوب الدناقل والصوماليين عنـد القرن الافريقى . ولغتهـم ــ كما تعرف ــ تمثل فرعا من فروع الاسرة الحامية ــ السامية ولا ترتبط الا ارتباطا بعيدا بلغات البربر فى شمال غربى افريقيا من ناحيـة أو لغات أثيوبيا الكوشية القديمة من ناحيـة أخرى .

وليست بنا حاجة الان لكى نذكر هنـا احصائية لعدد الاسيويين الذين ادخلوا ثورة الانتاج الغذائى فالزيادة السكانية التى جاءت نتيجة هـذه الثورة كانت بالضرورة زيادة طبيعيـة قبل وجـود السـكان القوقازيين فى شمال وشرق افريقيا ، وهى زيادة ترجـع الى النمو الذى لا يتصور فى المواد الغذائية خاصة القمح والشعير ، وكذلك الى استمرار خصوبة التربة الارضية لسهل النيل الفيضى

ومع ظهور هذه المحاصيل الضخمة مـن القمـح والشـعير استأنس المصريون الماعز والخراف والخنازير وقطعان الماشية التى كانت موجودة فى مصر ابتداء من اقدم فترة من فترات العصر الحجرى الحديث ، كمـا زرعوا القنب وغـيره من مختلف الخضروات ونبات الكلا . ومهما يكن من امر فان القمح والشعير هما المحصولان اللذان كان لهمـا تأثير عارم على سكان افريقيا ، فقد اعتمـد انتشـار ثورة الانتاج الغذائى فى بقية انحاء العالم الافريقى على اكتشاف حبوب رأوها مناسبة لظروف الطقس المدارى .

وامتد نفوذ مصر الى الغرب والى الجنوب الغربى ، حيث واحات سيوة والخارجة والى برقة كذلك ممثلا فى الالات التى كان يستخدمها اهالى الفيوم فى أواخر العصر الحجـرى الحـديث ، وهى الالات التى جمعت بين تقاليدهم الخاصة بصناعة الاتهم الزراعيـة الحجرية المصقولة وبين فن صناعة الات الصيد التى كانت مستعملة فى العصر الحجرى الوسيط .

والى اقصى الغرب حيث الجزائر وتونس ومراكش نرى ان صناعة الات العصر الحجرى الحديث قد كانت تطورا للتقاليد المتبعة فى هذا الميدان عند الجماعات الكابسية فى شمال افريقيا . وليس من الممكن فى الوقت الحاضر ان نحدد الفترة التى اصبح فيها الشـعب القوقازى فى شمال افريقيا شعبا منتجا للمواد الغذائية ، وان كانت حرفة الصيد قد بقيت الحرفة السائدة فى اقتصادياته حتى الالف سنة الثانية قبل الميلاد .

وعندما ننتقل الى أعالى النيل فى داخـل افريقيا الزنجية فانه يبدو واضحا من الموقع الذى يعود تاريخه الى العصر الفحمى عنـد شاهيناب Shaheinab ان شـعب الخرطوم كان قد وصل الى مرحلة العصر الحجرى الحديث فى النصف الثانى من الالف السنة الرابعة قبل الميلاد . ومن المحتمل جدا ان الحضارة التى كانت موجودة فى المنطقة التى تقع عند تافريجيت Taferjit عند النيجر والتى كانت تشبه الى حد كبير حضارة الخرطوم .. من المحتمل ان تاريخها يرجع تقريبا الى نفس هـذه الفترة الزمنية

غـير انه ليس هنـاك من دليـل على أن زراعـة النباتات الغذائية كانت موجودة فى هاتين المنطقتين « شاهيناب فى الخرطـوم

وتافريجيت فى غرب افريقيا ، على الرغم من ان شعب شاهيناب ، كان يستأنس الماعز ومع هذا فان علماء الحفريات متفقون على ان الالة الحجرية المصقولة التى كانت تميز حضارة العصر الحجرى فى الخرطوم قد جاءت اليهم من المزارعين المصريين الذين كانوا يشتغلون بالانتاج الغذائى فى عصر ما قبل الاسرات .

ولقد كانت الذرة العويجة هى أقدم محاصيل الحبوب فى افريقيا شبه الصحراوية وان كان يوجد الارز ايضا فى غرب افريقيا فى الجهة الغربية من المنحنى العظيم لنهر النيجر ، وهذه المحاصيل تعتبر محاصيل محلية فى افريقيا شبه الصحراوية ، فى شريط السافانا الذى يمتد من السنغال الى النيل الاعلى ، ثم الجنوب الشرقى فى شمال اوغندا واجزاء كينيا .

ولا يزال يوجد حتى الان من لايوافق على ان الزراعة كانت اختراعا اصيلا مستقلا فى المنطقة شبه الصحراوية ، ومع ذلك فلا نزال حتى اليوم فى حاجة الى دليل اركيولوجى يؤكد لنا وجود جماعات كانت تشتغل بالزراعة — حقيقة — فى جنوب الصحراء فى فترة اقدم من نهاية الالف السنة الثانية قبل الميلاد . والحضارة الزراعية المتقدمة التى ازدهرت فى العصر الحجرى الحديث فى المنطقة السودانية هى فقط تلك الحضارة التى ترتبط بحضارة النوك nok فى نيجيريا الشمالية والتاريخ يكشف لنا عن اصالة هذه الحضارة فى فترة مبكرة من الالف السنة الاولى قبل الميلاد ثم استمرار تطورها فى بداية العصر الحديدى حتى وصلت الى هذا الجزء من افريقيا قبل بداية العصر المسيحى .

ومن المؤكد ان زنوج النوك كانوا يعيشون فى قرى ، وكانوا بالاضافة الى معرفتهم صناعة الالات الحجرية وعمل الحلى على مستوى عال يمارسون صناعة التماثيل الفخارية التى كان لها ارتباط بطقوس الاجداد .

ويبدو ان من المحتمل ان ثورة الانتاج الغذائى قد انتشرت الى شريط السافانا فى أفريقيا شبه الصحراوية خلال الالف السنة الثالثة أو الثانية قبل الميلاد نتيجة لامتزاج تكنيك العصر الحجرى الحديث بالمعلومات الخاصة بالنبات ، والتى كانت تطبق فى زراعة المحاصيل المحلية فى المنطقة والمناخ الجديدين ومع ان منطقة السافانا شبه الصحراوية تمتد من الاطلنطى فى الغرب حتى منطقة الاراضى العالية فى الحبشة فى الشرق فانها لا تزيد عن كونها شريطا ضيقا يمثل منطقة انتقال بين جدب الصحراء فى الشمال والرطوبة العالية للغابة الاستوائية المطيرة فى الجنوب وحين تحاول ان تجد حلا لمشكلات الانتاج الغذائى فى منطقة السافانا فان هذا لا يعنى انك ستجد حلا ضمنيا لمثل هذه المشكلات فى المناطق الغابية ، لان من اكثر الحقائق غرابة وشذوذا فى ميدان توزيع النبات انه لا يكاد يوجد محصول غذائى هام من المحاصيل العالمية التى تزرع فى الغابات يعتبر محصولا محليا فى افريقيا . ولذلك فانه فى مناطق الغابات الرطبة على ساحل غينيا وفى حوض الكونغو والاراضى الادنى فى افريقيا الوسطى الشرقية لم تصبح المسألة مجرد اخذ معلومات نباتية عن مزارعى السافانا لتطبيقها فى بيئة جغرافية مختلفة . بل كانت المسألة مسألة انتظار حتى تدخل الانواع المناسبة من المحاصيل من القارات الاخرى . فاهم المحاصيل التى تزرع فى هذه المناطق اليوم هى الذرة والكاسافا Casava وكلاهما قد جاء الى أفريقيا من امريكا الوسطى والجنوبية خلال القرنين السادس عشر والسابع الميلاديين وقبل وصول هذه المحاصيل الزراعية من العالم الجديد كانت المحاصيل الغذائية التى تزرع فى غابات افريقيا هى محاصيل جنوب شرقى اسيا ، واقصد بها الموز واليام Yam الاسيوية « نوع من النبات يشبه البطاطا ، والكوكويام ، وليس من المحتمل ان اى محصول من هذه المحاصيل التى جاءت الى أفريقيا من جنوب شرق اسيا قد جاءت اليها قبل العصر المسيحى او بعبارة اخرى من المحتمل انه كان هناك بين وصول ثورة الانتاج الزراعى الى السافانا شبه الصحراوية ووصولها الى مناطق الغابات جنوب هذه السافانا فترة تتردد بين ألفين وثلاثة آلاف عام .



الإذاعة والسينما فى افريقية

بقلم ايفورى روس — ترجمة عبد الله حسين

كان الطبل « الناطق » قديما هو وسيلة الاتصـــال في افريقيا .. ففى قلب الغابات الضخمة ، وفى أعالى الانهار وأسافلها ، وعبر السهول والوديان ، كان الطبل المطروق يحمل الاخبار وينقل البشـــائر .. أما الآن فثمة وسائل أخرى تحمل عبء الاتصال الاكبر بين مختلف البقاع .

فراديو ليوبولدفيل يسمع حول العالم ، وكذلك راديو برازافيل الذى يبعد عنه بميل واحد عبر بحيرة ستانلى بنهر الكونجو الأدنى .

وفى برازافيل ذاتهـــا التقى (فيلكس ايبويه) الحاكم العـــام لافريقيا الاستوائية الفرنسية منذ حوالى عشرين عاما بشارل ديجول وبعض الفرنسيين الآخرين لتعبئة القوى فى افريقيا ضد تيار النازية والفاشية الذى أخذ يكتسح افريقيـــا وأوروبا فى ذلك الوقت . وكان اتصال تلك المنطقة بالعالم عن طريق الراديو من نقط التحول فى الحرب العالمية الثانية ، وخطوة فاصلة فى طريق الحكم الذاتى فى افريقيا .

وحينما انتهت الحرب العـــالمية الاولى عام ١٩١٨ مرت ستة أسابيع قبل أن تصل الانباء على ضفاف نهر (موبويو) فى الكونغو . واليوم تصل الانباء من أى مكان فى العالم الى كل مكان فى افريقيا تقريبا فى ظرف دقائق أو على الاكثر فى ساعات قليلة .

ولقد التقى الافريقيون بالاذاعة فى طريق سعيهم الى التقدم وعرفوا كيف يستفيدون من هذا الاختراع فى اختصار ذلك الطريق . وفى هذا يقول أحد المعلقين الانجليز فى

هيئة الاذاعة فى روديسيا : « ان الافريقيين يقومون بالعمل كله . وأصـــواتهم تملأ هواء القارة . وهم الذين يقومون باعداد برامجهم الوطنية جميعها ومن كافة ماتتطلبه من تأليف واخراج وما الى ذلك . وما نحن الا مشرفون وموجهون » وحينما زرنا ستوديوهات الهيئة فى (لوساكا) عرفنا أن ثمة ما يقرب من نصف مليون جهاز راديو تستقبل البرامج المختلفة التى تقوم بتقديمها هذه الهيئة وحـدها . وهى تقدم كل أسبوع اثنين وســتين نشرة أخبارية بتسع لغات . وفى مساء كل يوم تذاع الموسيقى والابتهالات الدينية بتسع لغات أيضا . هذا بالاضـافة الى البرامج الاخرى مثل الندوات والتمثيليات والبرامج الموسيقية والترفيهية والتوجيهية والتسجيلية .

ولقد التقيت بأليك نخاتا وهو من الافريقيين المتخصصين فى التأليف الموسيقى ، و (سيلفستر ماسيا) الذى يقــوم بكتابة التمثيليـات واخراجها . قال أليك نخاتا :

« لقد جرف تيــار المدنيـة موسيقانا الافريقية التقليدية . فقـــد جلبت الاذاعة موسيقى رعاة البقر وجذبت اليها الشباب الذين بدأوا فى الحصول على آلات (الجيتار) ليعزفوا عليها وهم يغنون أغانى الرعاة بدلا من أغانينا الافريقية التقليدية . ثم اخترعوا رقصة ســموها « جيمى روجرز » وأصبح الافريقيون الذين يطوفون القرى الآن يسمى كل منهم (جيمى روجرز) . ولكنهم الآن يتجهون الى موسيقانا الافريقيـــة التقليـدية مستعملين (البـــانجو) و (الكاريمبـــا) والطبول .

واشترك فى الحديث مستر ماسيا ليقول :

« لقد كانت البعثات التبشيرية تعارض فى اقامة الرقصات والموسيقى التقليدية ، وأدخلت الكورس والجمـــاعات التى تغنى بطريقـــة (صول ــ فا) . ولم تعد هذه الطرق محببة الى الجماهير كما كانت قبل ذلك ، على أن الموسيقى الدينية التى جلبـــوها معهم هى الأكثر استمالة للقلوب .

« لقد كان الطبل والدخان هما وسيلتا حمل الرسائل فى الايام الاولى .. أما الآن فصوت الراديو يصل الى الآلاف من الأسر.. حتى الناس فى أقاصى القرى يفهمون الآن ماهو التمييز العنصرى ، ويعرفون (ليتل روك) والولايات المتحدة .

منذ ثلاث سنوات كانت المستشفيات هنا غير مرغوب فيها ، بعد أن رأى الناس أكثر من جثة تخرج منها . ولذلك فقد قمنا باذاعة عدة برامج تبصر الناس بالفوائد التى يمكن أن تعود عليهم من المستشفيات .

ولقد أفاد الراديو الزراعة أيضا . فنحن لدينا برامج زراعية ترصد فيها الجوائز لكل من يثبت حسن انتـــاجه أو حسن رعايتـه لماشيته .

كما أن مبالغ ضخمة تنفق فى اصـــلاح المناطق الريفية على أمل أن ينجذب اليها الرجال الافريقيون الذين هربوا الى المدن . وهـــذه الاصلاحات تذاع على الناس عن طريق الوسائل الاعلانية ومنها الراديو ، واستطرد مستر ماسيا قائلا :

اننا نخرج بالميكروفون الى القرى لنسجل الخطوات التى تسير فيهـا البرامج الاصلاحية المختلفة . ولقد أقمت بنفسى شهرا كاملا فى احدى القرى وكان من أثر جهودنا أن بنينا مسقاة لترتوى منها الماشـية ، ومغسلا مزودا بالمياه وعددا من دورات المياه وبعض الاشياء الاخرى البسيطة . وقد انضم الى البعثـــة الاذاعية فى تلك المرة مندوبون عن وزارة الصـــحة كان لهم أكبر العون فى نجـــاح مهمتنا .

ومع أن تأثير هذه البرامج لا يمكن حصره أو تقديره الا أنه ثبت بما لا يدع مجـــالا للشك أن الجماهير تنصت فى شغف واهتمام الى أى برنامج يهتم بمشكلاتهم » .

ولعـل أهم المشـــكلات التى لمسناها فى كل مكان ذهبنا أليه فى القارة هى المشـــقة التى يحصل بها الناس على المـاء . فلقد رأينـــا الرجال والنساء والاطفال وهم يحملون المـاء لمســـافات بعيدة على رءوسهم أو على عربات

تجرها الثيران او على الدراجات • وفى احدى المدن قالت لى احدى السيدات المثقفات وهى لا تستطيع اخفاء مرارتها : « حينما يفتتح قسم أوربى جديد فى المدينة سرعان ما توصل المياه النقية الى منازله • أما نحن فلا بد لنا من أن نحمل كل قطرة من الماء نحتاج اليها الا ما نستطيع التقاطه من الامطار• »

ويمكن أن تعتبر هيئة الاذاعة فى روديسيا نموذجا طيبا للاذاعة الافريقية • ففى هـــذه الهيئة تجد الرجال والنســـاء ، الافريقيين والاوروبيين والآســـيويين ، البروتستانت والكاثوليك والمسلمين ـ ترى هؤلاء جميعـــا يعملون جنبا الى جنب فى اعـــداد البرامج والقيام بكافة العمليات الفنية والادارية •

والاذاعة تعمل على محاربة الجهل والخرافات، والتغلب على العزلة والسلبية ، كما أنهـــا تجلب الافكار الجديدة والاهتمامات الجديدة ، والآمال الجديدة فى تحقيق جيـــاة لا تعرف الجوع أو المرض • وهى تعمل على حفز الهمم وتندد بالتواكل والكسل وتعلم الناس كيف يحب بعضهم بعضـــا ، ويرعى بعضهم حقوق بعض •

اما البرامج الدينية فان الهيئات الدينية تبعث بموظفين من لدنها للاشراف عليها وبذل المشورة فى تنفيذها • وليس هناك معارضة تذكر فى اذاعـــة البرامج الدينية بل انها توضع فى الصدارة فى الواقع فى عدد كبير من المحطات الاذاعية • وهكذا فان تعاليم المسيح ومحمد وأصحاب الديانات الاخرى تجد أسهل السبل لتدخل كل بيت فى افريقيا عن طريق اذاعاتها •

المرأة والاذاعة :

وتقوم المرأة بدور فعال فى الراديو الافريقى•
ولقد أدهشنا أن نجد عددا كبيرا منهن أمام الميكروفون • وهكذا فان المرأة الافريقية تركت مكانها التقليدى فى البيت أو فى الســـوق لتحتل أماكن قيادية فى اذاعات روديسيا وكينيا وأوغنـــدا ونيجيريا وغانا وليبيريا وسيراليون وغيرها • ويعمل بعضهن كل الوقت ، والبعض الآخر زوجات يقمن بتقـــديم برامج أسبوعية منتظمة يعلمن فيهـــا المرأة الافريقية الطهى والحياكة والتسويق والعناية بالاطفال والنظافة والاسعافات البسيطة العاجلة •

كما رأينا فتيات افريقيات يقمن بالغناء أو يقرأن الاقاصيص الشعبية من كل البلدان أو يمثلن أو يشرفن على برامج الاطفـــال أو يذعن نشرات الاخبار وان كان هذا يترك للرجال فى غالب الامر •

وقد استمعنا الى الراديو فى عدد كبير من المنازل بعضها افريقى والآخر أوروبى ، كما شاهدنا الناس محتشدين حول أجهزة الراديو فى الاسواق أو فى الميادين الكبيرة فى المدن يرقصون على نغمات الموسيقى أو يستمعون الى الاخبار ـ الاخبار الداخلية الخاصة بماشيتهم ومزارعهم ، أو الخارجية الآتية من بعيـــد ، من القاهرة وواشنطون وموسكو وبيكين •

ويروون فى نياســـالاند نادرة طريفة تقول ان أحد الاوربيين العاملين بالزراعة سمع أن عجوزا افريقيا ينشر أنباء بان الامطار سوف لا تسقط فى وقت قريب • فأخذ الاوربى يسال عن هذا المتنبى الافريقى من مكان الى مكان حتى اهتدى اليه بعد لأى وساله كيف علمت أن الامطار سوف تتأخر ؟ » وكم كانت خيبة الاوربى وذهوله حينما سمع المتنبى يقول: « لقد سمعت ذلك فى المذياع • »

***

على انه ما زال هناك نقص كبير فى المران على التكنيك الاذاعى فى افريقيـــا • ولذلك فان عددا كبيرا من الرجال والنساء الافريقيين يسعون الى استكمال هذا النقص بالسفر الى الخـــارج فى بعثات ومنح دراســـية • وتتجه الجامعات الافريقية الحديثة الى انشاء اقسام للدراسات الاذاعية بها للسير فى ركب هذا الفن الكبير الذى أصبحت له أهمية جوهرية وخطيرة فى كل مجال من مجالات الحياة •

السينما :

دخلت السينما الى القارة الافريقية من باب

الافلام التعليمية التى أخــذت فى الازدياد بصورة ملحوظة فى الاعـوام الاخيرة بسبب تعطش الافريقيين الى المعرفة وتتبع ما يجرى حولهم فى العالم من أحداث علمية واجتماعية . ولكن ما زالت هنــاك حاجــة الى الاموال والاشخاص الافريقيين المدربين لادخال التليفيزيون التعليمى فى افريقيا .

أما الافلام الترفيهية التى تأتى من الغرب فانها تقابل بحذر شديد فى الاوساط الافريقية المحافظة . فالكثيرون يتهمون هذه الافلام بأنها من أهم العوامل الى ستؤدى بالشباب الافريقى الى الانهيار .

ولقد قال لنا أحد الاســاتذة الافريقيين المرموقين معلقا على هذه المشكلة :

« لقد فقدت افريقيا صفاءها وعذريتها بعد أن غزتها النوادى الليلية والسينما . »

ولا أظن غربيا واحدا يحمــل بين جنبيه ضميرا حيا سيشعر بالفخر اذا ما رأى أى مستوى من الفسق يمارسه بعض المراهقين فى المدن الافريقية حول كثير من دور السينما التى لا تعرض سوى الافلام الغربية .

.. وانى لأرجو باسم الانسانية أن يتخير الغرب بكل دقة الافلام التى يصــدرها الى الخارج . ولقد لمسنا بأنفسنا فى عدد من البلاد الافريقية كثيرا من الآباء يفرضون حصــارا على أبنائهم من بعــد غروب الشمس حتى لا يتسللون الى دور السينما لمشاهدة الافــلام الغربية .

وليس هنــاك من يشك فى قوة السينما كوسيلة من وسائل الاتصال من والى القارة الافريقية . والسـؤال هو عن الطريقة التى سوف يستغل بهـا الغرب هذه القوة بكونه المنتج الاول للافلام السينمائيــة . فما زال الغرب على موقفه من جمع المــال عن طريقة اثارة الغرائز ، وهى الوسيلة المضمونة — فى نظره — فى كل مكان فى العالم .

ولكن هذه الوسيلة فى منتهى الخطورة على العائلات الافريقية ، وبخاصة فى المدن ، حيث الحياة العائلية فى مفترق الطرق . فهــذه الافلام العاطفية هى بمثابة المخدر لأناس يكدون بحثا عن أقرب الطرق الى الاسـتقرار النفسى والتقدم الاجتماعى ، ولعمرى ان الطريق الذى يبحثون عنه لابد وأن تهتز وتختلط معالمه أمام أعينهم بعــد الخروج من مشاهدة هذه الافلام .

ولقــد قال لى أحد الافريقيين فى أسى : « ان الحب يعرض بصورة وهاجة ملتهبة على الشاشة . وان الرجال والنساء الذين بعدوا عن أوطانهم وعاشوا فى المدينة الكبيرة غير مرتبطين بعد ، ليفقدوا — رغما عن نداءات ضمائرهم — الوشائج القليلة التى تربط بينهم وبين الحياة المثالية التى عرفوها يوما ما » .

وقال آخر بنفس المرارة : « ان الاستعمال السهل للسلاح فى الافلام الغربية له أكبر الاثر فى ازدياد حوادث سرقة المنازل وكثرة قطاع الطرق وشيوع الفوضى فى عــدد من المدن الافريقية . »

لابد أن ينسى المــوزعون الســينمائيون شهوتهم الى المال ، ويدركوا أولا وقبل كل شئ أنهم مواطنون عالميون ، وأنهم مسئولون أيضا . انهم يشتركون فى المسئولية عن نوع العالم الذى نريد أن نخلقه لنا ولاولادنا . ويستطيعون أن يأخذوا بيد افريقيا فى بحثها عن طريق الاستقرار والتقدم . ان هذه فرصة لا تتكرر ليسهموا فى هذا الميدان الانسانى الكبير . فالافلام السينمائية يمكن أن تساعد افريقيــا على فهم أفضل ما يقــدم الغرب المشرق . واذا أتيح للجماهير الافريقية أن يفهموا أفضل ما لدى الغرب فسيكون ذلك من أفضل الوسائل لاختصار الطريق أمام افريقيــا .

ان المذياع والفيلم هما أقدر الوســائل الحديثة على خلق رابطة قوية بين شعوب القارة الشاسعة ، وبين القارة كوحدة والعالم أجمع بكافة مذاهبه وايديولوجياته .

المذياع والفيلم هما خير ما ينقل الافكار — الافكار البنــاءة .. وغير البنــاءة ، ولسوف تنصت افريقيا وتشاهد .. ومما تراه افريقيا ، ومما تسمعه ، ومما تمارسه فى حياتها اليومية ، سوف تختار الطريق الذى يلائم .. ولم تكن افريقيا أقدر على اختيار طريقها بقدر ما هى عليه اليوم •••

((عبد الله حسين))

الفن الأفريقي ودظيفته الدينية



بقلم : السي ليوزبينجر

ترجمة : عبد السميع حسن ابو شعيشع

ان للفن مكانة كبرى عنـــد الشعوب الافريقية فهو الوسيلة الوحيدة المعبرة عما يختلج فى صدور الاقوام الـذين لا يعرفون القراءة والكتابة ، ويبـدو ذلك واضحا فى مختلف النقوش الموجودة فى افريقيا ، وقد اختلط الفن بالدين فى أفريقيا منذ البداية لما له من مكانة سامية فى نفوسـهم وأصبح الدين هو المصدر الاكبر للفن يؤثر فيه ويتأثر به ، فــلا عجب اذ أعتبر الدين هو الام الحقيقيـة للفن الزنجى وأصبح الفن الذى هو عند الزنجى تعبير منظبـور عن السامى وغير المتطور يلعب دوره فى مختلف الطقوس الدينية .

ان أهم الاعمال فى فن النحت قد شكلتها يد الساحر والحداد والفنان المستقل الذى استوحى عماله من وظيفته الدينية المجيـدة وقام بمهمته بكل اخلاص وتركيز لانه كان يعلم بأنه يصنع مقرا مؤقتا للروح التى هى فيض من الله .. وقد استوحى الفنـان من الخيـال وأنبثق من الافكار التى ادخرها المجتمع وتناولتها الاجيال عبر الاجيال وكان

عليه أن يلاحظ كثيرا من القواعد لكى يعطى لعمله تأثيره المناسب .

ان الزنجي لم يصنع صور الاله البرية العظيم ولكن لابناء الاله وخصوصا أسلاف القبيلة الذين منحوا مكانة ممتازة فى فن النحت . ولقد تصور الزنوج أول من مات منهم فى حالة سكون مهيب وأذرعهم ملقاة على أبدانهم والركب والصدور — سواء أكان الجسم ممددا أو مقرفصا — فى وضع كما لو كان الميت مدفونا . ولكنهم عادة ما يعطون أشكال كائنات غير حقيقية فالراس وهى مقر القوى الفكرية قد فخمت وحتى السرة وهى مركز الحياة وحلقة الاتصال بين الام والطفل. ولقد زخرفت الصورة بوساطة شعارات وعلامات وشم وعدة طرق لتصفيف الشعر مما يساعد السلف على التعرف على صورته والاستقرار فى مقره هناك مسرورا . ولقد تركت شقوق ضيقة للعيون طالما كان يعتقد بأن السلف فى امكانه أن يرى وأن يعمل . ومن النادر أن تكون صور مثل هذه قد شكلت بطريقة تثير الرعب لان السلف كان صديقا طيبا يمنح الحيساة والبركة ، وهى ليست مسخوطة بل رمز وصورة ومقر لقوى خارقة . وبالرغم من موته فان السلف كان يضع قوته تحت تصرف الحى .

والكاهن يعرف ما هى المقاييس التى تلزمه لكى يستحضر الروح فبالاجراس والصلصلة والترانيم يدعوها لكى تشغل مقرها فى صورتها واذا أعجب الشكل فى حضوره فانها ترسخ فيه عن طريق قوته التى تنتقل تلقائيا الى أولئك الحاضرين فى الحفلة . ويقول الزنجى أن النحت لكى يستطيع تتبع الروح وهى تستقر فى الداخل لانه يكون جميلا بقدر المستطاع أو طيبا لان الجمال والطيبة بالنسبة اليه مترادفان . وفى الاحتفالات يزين الشكل بمسبحة وينثر عليها جوز هند ممضوغ ويسعى فى الترحيب بها بكل معانى الرقص وتزيد الضحايا المتنوعة من حيويتها وتحتسى روح الموتى دم الضحايا الذى يصب على الصورة وبهذا توطد نفسها بالداخل . وكان يقدم الى صورة السلف أولى ثمار المحصول ونصيب مما يقتضونه وكمية من البيرة الطازجة .

ان الصورة هى الوساطة التى يتحادث الزنجى عن طريقها مع أرواح السلف فيتوسل اليها بطلبات كثيرة مختلفة وللاجابة عن هذه الطلبات تنحنى صورة الجودو وترتعش صورة الايجو وتهتز صورة باكوندو فى حالة اليمين الكاذب .

وتقدم الى صورة السلف وهى مقر أسلاف العشيرة توسلات من أجل الخصب وتصبح أم كل الاشياء رمزا للسعادة الزوجية ثم رمزا للاثمار عموما لان الحقول الفنية المنتجة كانت مطلب الشعوب الزراعية فمعونتها لا بد منها فى كل مراحل الدورة الزراعية . والنسوة اللائى يرغبن فى الانجاب يشبتن هذه الصور فوق ظهورهن والبنات الصغيرات يمنحن احداها لكى يتأكدن من القدرة على الانجاب وتحصل النسوة التى ليس لديهن ذرية على احداها لكى يمنحن الفرصة على العيش على ما بداخلها ، والتماثيل الكبيرة ملك عام للقرية ويتعهدها الكاهن وتحفظ فى حرم لا تخرج منه الا عند الحاجة اليها فى الاحتفالات وغالبا ما توضع فوق القبور حيث يذهب الناس للتشاور معها . أما التماثيل الصغيرة فتحتل مكانة فخرية فى البيوت ، باعتبارها أشكالا شخصية واقية وينظر اليها على أنها ملك خاص وغالبا ما تدفن مع أصحابها وتؤخذ من البيوت فى الاحتفالات لكى تشحن ثانية بقوة الحياة .

ولقد عبد الى جانب أسلاف القبيلة صور عظيمة أخرى من الماضى مثل الابطال الاسطوريين ومنشىء الدول والاسرات الملكية التى أؤتمنت على صحة طال مداها لمصلحة القبيلة وأنعم عليها بصفات خاصة (وعلى سبيل المثال الادودوا والشانجوا وملوك باكوبا الاسطوريين)

انه لا يمكننا أن نوجد تقسيما واضحا بين ما قدس باستمرار — وهو الصورة الشخصية للسلف — وبين التميمة ، فالتميمة مادة منحت قوة سحرية لاغراض خاصة معينة ذوات قدرة دفاعية أو هجومية ، فهو يقى شر الامراض ويمنح الحماية أثناء الرحلات

وعند المخاض وفى الحروب وحملات القنص . ويأتى المسخوط ليؤدى دوره حيثما وجد الخطر وحيث يقمن السحرة الاشرار الذين لا يمكن التعامل معهم بأساليب مادية .

ولا يوجد من بين ملايين التمائم الغربية التى توجد فى أفريقيا سوى قليل منهـــا يستطيع أن يدعى بأن له قيمة فنيـــة اذ ليست لها وظيفة دينية مجيـــدة يقوم بها وغالبا ما يصنعها الدجالون لان الفنان من النادر أن يضيع وقته فى مثل هذه الامور ، وعند ما تبرهن التميمة على أنه لم تعد لها حول ولا قوة فانه يعاقب بتحطيمها وتكسيرها الى قطع صغيرة أو تعطى للاطفال يلهون بها أما اذا بيعت لاجنبى فانه يفقد قوتها قبل كل شىء .

ولنأخذ فى اعتبارنا أن الزنجى كان ينظر الى الحيوانات على أنهـــا من طبقة أقل بكثير من الانسان فى ترتيب القوى على الرغم من انها مخلوقات منحت قوة حيوية وعلى هذا فليس بعجيب أن صور الحيوانات أقل عمومية من صور الكائنات البشرية . والحيوانات لها وجود فى الفن الافريقى ولكنها تؤدى وظائف ثانوية كأرواح واقية وحارسة أو كتشخيص أو رموز لقوى معينة (ومثال ذلك الخروف الذى يمثل اله السماء وكذلك الالهة والابطال ذوات رؤوس الحيوانات فى ساحل العـاج وداهومى) وتظهر الحيوانات أيضـــا فى حلل تنكرية وتعمل وتتحـدث وتستحضر الارواح وتلقى الرعب فى قلب الناظر وعادة ما تصور صفات خاصة لحيوان نظرا لارتباطها بأفكار مجردة معينة وعلى هذا فالجاموس والتماسيح والفيلة وأفراس البحـــر والاسود والنمور والخنازير كلها ترمز للقوة ، والثعـــابين والسحالى الى خفة الحركة بينما السلحفاة الى طول العمر . وفى أفريقيا أيضا يغـذى الاعتقاد فى المسوخ حيوان ذلك الرأى القائل بأن السحرة الاشرار ينقلبون فى الليل الى وحوش ضارية . أما القرد فغالبا ما يمثل الشخص الميت ، والطيـــور كمخلوقات من السماء ينظر اليها على أنها وسيطة بين هذا العالم والعالم الاخر ..

وكثير من الحيوانات ترتبط بأساطير معينة مثل العنكبوت والحرباء . فالمظهر الخارجى لاى حيوان يمد الانسان ببعض المســاعدة والحماية فى كثير من الاحيان يرجع بأصوله الى أسطورة قديمة مؤداها أن الحيوانات قد أنقذت مؤسس القبيلة أو أتت بأعمال هامة ذات قيمة ثقافية . وانه لاحتمال أكبر فى أن تصوير الحيوانات فى افريقيا قد نشـأ من الحاجة الى قوة وحماية أكثر من الحاجة الى طوطمية محضة ولهـذا فمن الممكن أن نتذكر حملات القنص فى هذا الصدد .

ولقد بذلت مجهودات كبيرة لتصـــوير الحيوان كذلك . وقد يكون هذا موضوعا تافها وبدلا من ذلك يحاول الزنجى استحضار قوة الجنس النقى وذلك بأن يحفر الى مظاهرها الخاصة . وللحصول على فاعلية أكثر غالبا ما تدمج رموز حيوانات عديدة بعضها ببعض أو بصفات بشرية وقياسا على ذلك فان قناع باندا هو اندماج بين كائن بشرى وتمســاح وغزالة « والانوك » وهو أصلا طائر قد أعطى فجأة أسنانا فى منسره ليصبح تمساحا بالرغم من أن له وجه انسان . ولقد أضاف البمبارا الى غزلانهم أشكالا من حيوانات متعددة مثل ذيل الحرباء .

ان عددا من المرايا والاظافر المسخوطة عند الباكونجو وأدوات الكهانة عند الباكوبا قد صورت على هيئة حيوانات فتظهر اشكال الحيوانات على السطوح والصور التى على الحوائط وابواب المنازل وعلى الاعناق وبكر الانوال وقدور الضحايا والطبول والانابيب واغطية الاوعية وفى حالة المـــرض يستبدل الباهوانا بابه المجـــدول عادة بباب خشبى يحمل رمز الحياة وهو السحلية .

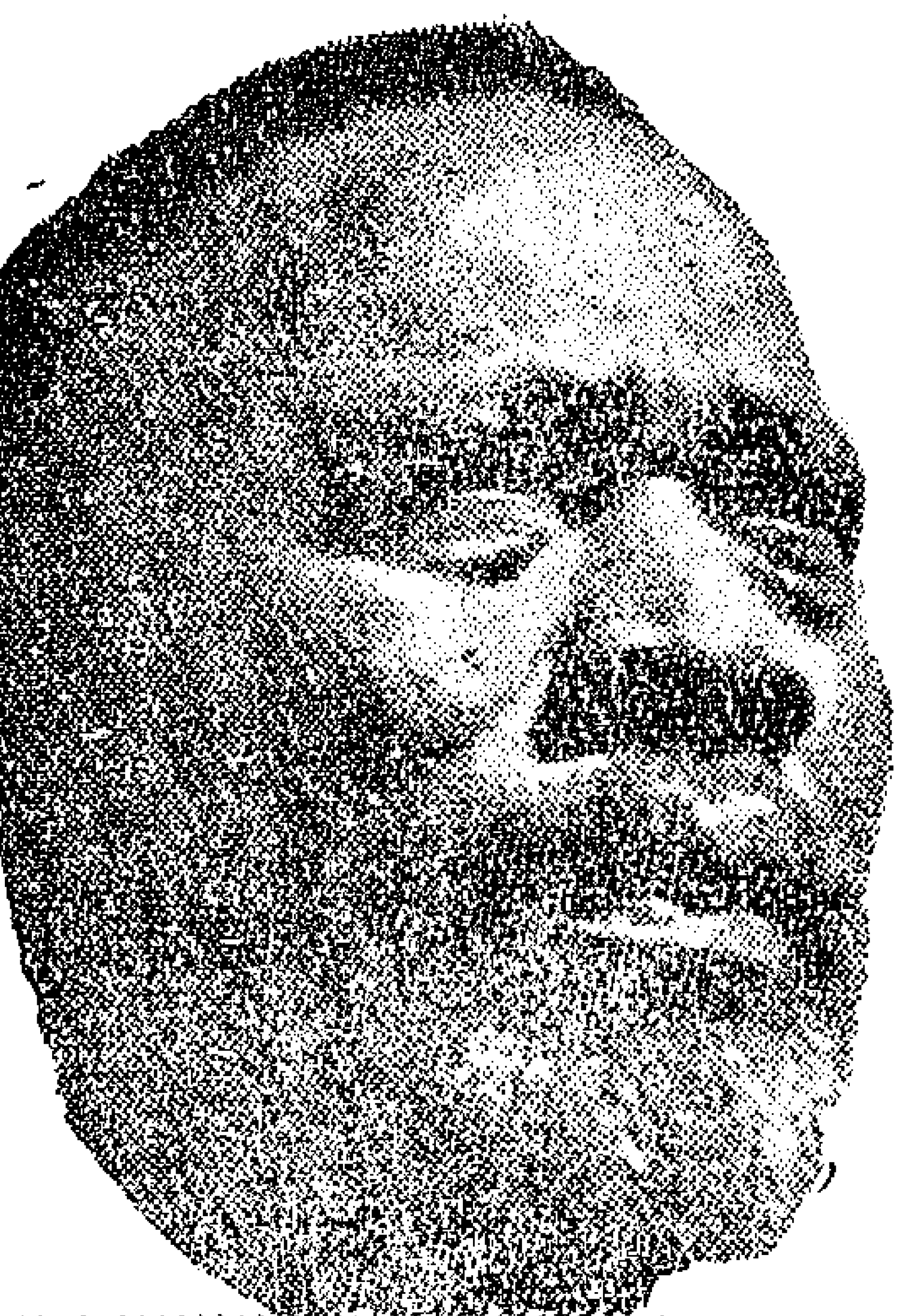
واذا كان الجمود من صفات صورة السلف فان القناع يمثل النشاط والحركة وعندما يشعر الانسان بتهديد من الجن لا يستطيع ان يفعل شيئا ازاءه بقواه الطبيعية فانه يتوسل الى الارواح الطيبـــة بالتفرع من التضحية بأن تتدخل مغلبـــا ولكى يجعـــل الروح تظهر نفسها من خلال القناع فعلى الراقص الذى يرتديه ان يبذل جهدا كبيرا

ويكون متنبها في وساطته وتتم هذه الطقوس ليلا ويتشح الراقص برداء غريب وترتفع حدة الجو باستعمال دم الضحايا والضربات الايقاعية للطبول ويسحر حامل القناع — عن طريق ايمانه العميق ، ويشعر بأن تأثيره قد نفد اليه وغير منه وبعد وقت يصبح في حالة من النشوة ويبدأ في تأدية الدور الذي استحضرت الروح من اجله فيتكلم بصوت غريب ويعلن في لهجة غريبة الرسالة التي تلقاها في غيبوبته ويؤدي بخطوات غريبة الحركات التي تطرد الجن وفي هذه الاثناء يكون هو السيد فلا يوقفه طلب وهذا هو القانون الصحيح الذي تتطلبه الاقنعة .

وفي الماضي كان الباسونجي يعتقدون بانه من الضروري التضحية بانسان لاستحضار روح مقدسة وفي شمال شرق ليبريا تقضي الطقوس بأن يضحى بانسان من اجل اعطاء قوة جديدة للقناع الذي يثبت فشله في معركة وعلى كل فقد استبدلت هذه الوسيلة أخيرا ببقرة ملطخة ببعض قطرات دم من جبهة انسان . وفي نيجيريا يقوم الراقصون بتطهير ابدانهم بالماء وتقديم الضحايا قبل ارتداء الاقنعة وهم يؤمنون بان الموت يأتيهم وشيكا اذا اساءوا التصرف اثناء ارتدائهم حللهم المقنعة وتغطي المرأة التي تمثل شيطان البودندو عند المندى جسمها وايديها واقدامها بعناية لكي لا تتصل اطلاقا بالروح والتي تتخيلها على انها قوة مخيفة تفني الجميع .

وتستخدم هذه الاقنعة الفعالة في الطقوس المهمة خصوصا طقوس الموتى لكي تطرد النياما وهي قوة الانتقام التي احيانا ما تدل على التهديد وتصور على انها جزء من الروح ذات نصف مادي ونصف روحي . وتلعب هذه الاقنعة دورا أكثر هدوءا مع الموتى الذين تبدلت اشكالهم ويرغبون في التحدث مرة اخرى مع الاحياء ولكونهم يتحدثون من العالم الاخر فان لحديثهم وقعا وتأثيرا . وتستحضر الارواح في أوقات الحصاد لتقديم واجبات الشكر لها اذ تلتمس المساعدة منها قبل بذر الحبوب ولجلب الخصب ولارسال المطر في أوقات التحاريق او لتنفيذ حكم مقدس أثناء جلسة قضائية . ولذا فالاقنعة ذوات الصدور التي رسمت على الحياة والخدمة تدل على الخصب . وفي جنوب نيجيريا يؤدي أعضاء الجمعيات السرية التمثيلية حيث يلعب الراقصون ادوار الارواح القادمة من مملكة الموتى ويمثل « القره قوز » الراقص عند البانجوى دور الروح المنتقلة الى عالم الموتى وقد اصبحت هذه الطقوس تثير الضحك في اماكن كثيرة حيث تكون هذه الطقوس المقدسة محدودة فتستعمل هذه الاقنعة في التمثيليات المضحكة او تستخدم كغول يخيف الاطفال بينما يستخدم الايبو والابليبليبو والبمبارا التماثيل الصغيرة في الروايات المضحكة . ولا زالت هناك بقية من القوة الشيطانية التي نسبت قبلا للاقنعة بالرغم من أن في استطاعة أي فرد أن يحرز شخصية الرجل المقنع وبالرغم من السماح للنسوة بالنظر من مأوى مكنون والرجال المقنعون مسرورون بما حولهم يقفزون لتسلية النظارة .

وهذا التصوير المجازى ينطبق على الادوات التي يستعملها الدجالون ولابسوا الاقنعة وأعضاء الجمعيات السرية ، وبصرف النظر عن حجمها فانه كان ينظر اليها من الناحية العامة على انها رموز للحيوية تعطى الادوات العديدة اهمية ضرورية لها لكي تقوم بوظيفتها الملائمة ونقسم هذه الادوات الى مجموعات منها ما يستخدم في استحضار الالهة « شانجو » وهي الطبول والاجراس لجذب انتباههم والراوح لوصف الدائرة السحرية والاقداح والاواني للقرابين المضحى بها وقرابين الخمر وأدوات الكهانة والقرون وبلط القرابين والسكاكين الطقوسية والمغارف وعصى السحرة وفي بعض الاحيان يركب راقص اليمبارا عصا خشبية تأخذ شكل طائرة ، كل هذه الادوات تزخرف بدقة برموز القوة طالما أنها تؤدي دورا في الاحتفال .



الأساس الاقتصادى لسيطرة البيض فى كينيا

بقلم : محبات امام الشرابى

نشاهد الآن فى كينيا صراعا عنيفا يهدد بالانفجار ، جوهره تشبث المستوطنين البيض بالسيطرة على موارد الدولة واراضيها .

والعرض التالى لموارد الثروة الاقتصادية يكفى لالقاء ضوء على القيمة الاقتصادية لكينيا والحوافز التى تشجيع البيض على الاستيطان بها .

الارض والسكان :

تبلغ المساحة الكلية لكينيا ٢٢٥٫٠٠٠ ميل مربع وتشغل الصحراوات وشبه الصحراء ٦٠ ٪ من مساحتها .

وتنقسم تضاريسيا الى :

١ ــ السهل الساحلى وهو على ارتفاع اقل من ٦٠٠ قدم . وهنا تتمثل الظروف الاستوائية بأوضح مظاهرها . لذا فهى منطقة ذات تنوع كبير فى انتاج المحاصيل الزراعية .

٢ ــ هضبة nueka ويتراوح ارتفاعها بين ٦٠٠ و ٣٠٠٠ قدم . وهى هضبة غير منتجة ، وعماد اقتصادها تربية الماشية .

٣ ــ الهضبة الاكثر ارتفاعا : وهى تنقسم بدورها الى :

أ ــ المرتفعات الشرقية .

ب ــ نطاق الاخدود .

جـ ــ مرتفعات غرب الاخدود .

وهذه الهضبة اهم مناطق الانتاج بالمستعمرة اذ ينتج هنا أغلب المحاصيل التى يعتمد عليها اقتصاد كينيا ، رغم ان هذا النطاق يشغل فقط خمس مساحة الاقليم .

٤ ــ هضبة البحيرات : ويتراوح ارتفاعها بين ٣٫٠٠٠ و ١٠٫٠٠٠ قدم ، وهى منطقة استيطان البيض ويعتمد اقتصاد هذه المنطقة على الزراعة .

وأهم القمم الجبلية بكينيا جبل الجن ، وترتفع قمته لاكثر من ١٤٫٠٠٠ قدم ، وجبل كينيا ، ترتفع قمته لاكثر من ١٧٫٠٠٠ قدم وسلسلة ابردان .

وبالاضافة الى افتقار كينيا الى الانهار فانها تفتقر أيضا الى المطر ، فرغم وجود موسمين له ، الا أن حوالى ثلاثة ارباعها غير صالح للزراعة بسبب عدم كفاية المطر ، ومعظم الربع الباقى ــ وهو الجزء المنتج ــ يقع فى المنطقة المرتفعة التى يتوافر بها الماء فكينيا ليس فيها من الصفات الاستوائية سوى موقعها .

وبالنسبة للسكان بكينيا : بلغ اخر تعداد للسكان (عام ١٩٥٨) كما يلى :

٦٬٠٨٠٬٠٠٠ وطنيون
١٦٥٬٠٠٠ اسيويون
٦٤٬٧٠٠ أوربيون
٣٥٬٥٠٠ عرب
٥٬٧٠٠ آخرون
٦٬٣٥٠٬٩٠٠ نسمة المجموع

ولقد زاد سكان كينيا فى فترة ١٠ سنوات من سنة ١٩٤٨ الى سنة ١٩٥٨ حوالى مليون نسمة ، كما يتضح من الاحصاء السابق انهم يتكونون من اجناس وقبائل عديدة . ونجد أن توزيعهم وكثافتهم يختلفان من اقليم لآخر ، وان هذا التوزيع يعتمد على عوامل عديدة مثل السطح والمناخ والتربة .

١ ـ الزراعة : يعتمد اقتصاد كينيا أساسا على الزراعة ، فحيث تتمثل الظروف الاستوائية فى النطاق الساحلى تزرع الذرة الرفيعة وجوز الهند والقطن واللوز الهندى وقصب السكر والقنب الهندى والسمسم كما تتمثل أهم مناطق الانتاج فى المرتفعات بالمديرية الوسطى ومديرية نيانزا ، حيث يزرع البن والذرة الشامية والقمح والشاى والطباق والموز . ونجد أن الزراعة فى الاراضى التى تفلحها القبائل قائمة على انتاج مايكفى الوطنيين من الغذاء ، ونجد أن الاساليب المتبعة ، بدائية للغاية ، ويحتكر البيض زراعة الشاى والبن . والطباق والقنب الهندى والقمح والذرة الشامية والشعير والشوفان ، ولقد تأثر الانتاج بمزارع الاوربيين تأثرا شديدا بعد سنة ١٩٥٢ بثورة « الماو ماو » لانشغال الاوربيين فى النضال ضد الوطنيين .

ومن ناحية تقييم كينيا بالنسبة لانتاجها الزراعى ، نجد أنها تعتبر من أعظم الدول المنتجة للـ (البيريثيوم) فى العالم ، وهى مادة مطهرة ولا تزال محتفظة بأهميتها رغم انتشار الـ د . د . ت ، ولقد حاولت كينيا ان تكسب السوق من اليابان التى كانت تنتج كل حاجة العالم من هذه الغلة عن طريق جودة الصنف . كما أنها تحتل المركز الاول بين الدول الافريقية المنتجة للشاى ، وتحتل مركزا متوسطا بالنسبة لانتاج البن بين الدول الافريقية المنتجة له ، كما تزرع بها أيضا الخضر والفواكه الاستوائية .

٢ ـ الانتاج الحيوانى :

والثروة الحيوانية تتمثل فى الماشية ، وتتركز تربيتها بالمديرية الشمالية ، كما تربى الماشية باعداد قليلة فى النطاق الساحلى بالجزء الجنوبى الغربى الاكثر جفافا ، وفى المناطق الاعلى جنوب ممبسا ، كما تعتبر تربية الماشية ، عماد اقتصاد هضبة nueka فى المناطق غير الصالحة للزراعة . وفى كينيا مراع واسعة جدا ، ويوجد بها اكتفاء ذاتى فى كل المنتجات الحيوانية .

وبالنسبة لمركز الانتاج الحيوانى فى اقتصاد كينيا ، نجد أنها تعتبر مصدرا للحوم والالبان ومستخرجاتها وللصوف ، وتدخل الجلود الخام . كجزء فى تجارة الصادر . وبالنسبة لمستقبل الانتاج الحيوانى ، نجد ان مجالات التقدم واسعة اذا مانجحت الجهود الحكومية فى القضاء على ذبابة « تسى تسى » وتوليد أنواع جديدة من المبيدات الحشرية لمقاومتها .

٣ ـ الموارد المعدنية :

المعدن الرئيسى بكينيا هو الاسمنت المشتق من الحجر الجيرى المحلى . ويعتبر الذهب من المعادن الهامة بالدولة ، ولقد عثر عليه عام ١٨٩٢ فى مناجم اولجورن قرب حدود تنجانيقا . واغلق جانب كبير من مناجمه أثناء الحرب العالمية الثانية ، واستمر تدهور انتاج الذهب متأثرا فى ذلك بالظروف العالمية بينما اخذ انتاج بعض المعادن الاخرى فى الزيادة وأهم مناجمه الان منجم Macahdonuanra

وفى السنوات الاخيرة تفوق الملح والصوديوم على الذهب ، وتقوم باستخراج الملح شركة مجادى للصودا ، ولها مصنع قرب مالندى ، كما تنتج نفس الشركة مقادير كبيرة من الصودا فى مجادى نفسها .

ويلى ذلك النحاس ، ومناجمه الرئيسية ، بمديرية جنوب نيانزا ، حيث يرسل الخام عبر البحيرة لمصانع الصهر فى ضجا باوغنده ومن المعادن الاخرى التى تنتج بكميات قليلة

وبعض العناصر المشعة النادرة مثل المونازيت والثوريوم واوكسيد النوبيم . هذا بالاضافة الى الـ Dealomer والكولومبيت ، والجرافيت والمنجنيز والفضة والاسبستوس والـ gubcy ، وعلى العموم فالمعادن لاتحتل مركزا عظيم القيمة فى اقتصاد كينيا ، اذ أنها تمثل ٥ر٥٪ فقط من قيمة الصادرات . وهذا يؤكد الاهمية الاقتصادية للزراعة هناك .

ولكن للتعدين مستقبله الزاهر بكينيا ، اذا ما أمكن التغلب على المشكلات التى تواجه انتاجه وتركت كنوز الدولة ومناجمها توجه لصالح أهلها وليس لخدمة أغراض المستعمر .

٤ — القوى المحركة :

نظرا لافتقار كينيا للفحم والبترول ، ولعدم وجود مساقط مائية لانتاج القوة الكهربية (ما عدا محطة توليد كهرباء صغيرة على نهر تانا على بعد ٤٠ ميلا من Theka فانها تعتمد على القوة الكهربية المستوردة من مساقط اوين قرب جنجا ، وذلك لاستغلالها فى الانتاج الصناعى وفى الارض المحلية .

ومن دراسة الطاقة الكهربية لاوغنده وفكرة تصديرها لغرب كينيا ، يبدو مدى حاجة كينيا الى الطاقة الكهربية ومواد الوقود ويمكن التغلب على هذه المشكلة بان توجه الجهود للتوسع فى البحث والتنقيب عن الفحم والبترول وتوليد الكهرباء ليمكن استخدامها فى ادارة المصانع الموجودة حاليا والمحتمل انشاؤها فى المستقبل .

٥ — التنمية الصناعية :

لقد بدأ التقدم الصناعى السريع بكينيا فى سنوات مابعد الحرب . وهو يقوم أساسا على الانتاج الزراعى وهو مركز فى المدن . وأهم الصناعات معالجة واعداد المحاصيل الغذائية ، ممثلة فى طحن الذرة والقمح بمطاحن نيروبى . كما تقوم صناعة حلج القطن وصناعة السكر وصناعة تعبئة الشاى .

كما توجد مصانع لاعداد البن وتجهيزه . هذا بالاضافة الى صناعة الكوبرا من جوز الهند ، وانتاج الزبد الصناعي وصناعة المشروبات الروحية والبيرة ، وصناعة الكسب والخبز والبسكويت .

وتوجد صناعات اخرى قائمة على المواد التى تزرع محليا ، أهمها الحصير والحبال والحقائب ،

ومستقبل الصناعة بكينيا ينبىء بامكانيات واسعة للتقدم لوجود المقومات الرئيسية **لدفع عجلة التصنيع . ومن اهمها :**

١ — وفرة الخامات النباتية وتنوعها والمعدنية الى حد ما فهناك القطن والطباق والزيوت النباتية والبن والشاى وغيرها . والمجال فسيح امام التوسع فى تربية الماشية الامر الذى سيؤدى الى ازدهار صناعة اللحوم والجلود .

٢ — وفرة الايدى العاملة الافريقية

٣ — الاتصال بالعالم الخارجى وامكان التصدير الى الخارج .

من كل هذا ، من المستفيد من هذه الموارد والكنوز ؟

فالغلات النقدية أساسا مثل الشاى والطباق والبن وقصب السكر التى تحتاج الى فن ومهارة ورؤوس اموال كافية تحتكرها أقلية البيض فى اقطاعياتها . كما أن معظم الثروة الحيوانية فى أيدى البيض لانهم يربونها فى مخصصاتهم الخالية من الذبابة . كما استأثر البيض بالاراضى المرتفعة العظيمة الخصوبة المعتدلة المناخ . وسمح للوطنيين بالحياة فى مناطق قليلة الخصوبة شديدة الجفاف ، وحرمت القبائل جميعها من استغلال خيرات اخصب اراضيها ، سواء اكانوا زراعا أم رعاة .

ومنحت الامتيازات الخاصة باستغلال المعادن كلها الى الشركات والمؤسسات المحلية والخارجية والموجهة لصالح البيض . اما الافريقيون فهم أجراء وعبيد لاسيادهم البيض ومسخرون لخدمتهم دون تردد ؛

فكل هذا الاحتكار الشامل لكنوز كينيا ومواردها هو سر تشبث البيض بالسيطرة على الدولة والإستماتة فى الاحتفاظ بها ومقاومة الوطنيين بكل مالديهم من جهد ومال وعتاد كما أنه القوة الدافعة للوطنيين على المطالبة بالإستقلال ؛



اقتصاديات تنجانيقا .. وعلاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة

بقلم محمود متولى

مقدمة :

كانت تنجانيقا تتبع ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وبعد هزيمة ألمانيا فى هذه الحرب استولت بريطانيا وبلجيكا عليها وأصبحت تنجانيقا تحت حكم بريطانيا وأخذت بلجيكا اقليم رواندا أورندى أما منطقة « كيونجا » فكانت من نصيب البرتغال التى ضمتها الى موزمبيق .

وظلت تنجانيقا تحت الحكم البريطانى تديرها بريطانيا نيابة عن عصبة الامم ثم هيئة الامم المتحدة وقد أعلنت تنجانيقا دولة مستقلة . يوم ٩ ديسمبر سنة ١٩٦١ واتفق على أن تضم للكومنولث البريطانى وتوصى بريطانيا لها بالدخول فى هيئة الامم المتحدة .

الموقع : تقع تنجانيقا على الساحل الشرقى لافريقيا وتمتد من نهر يومبا فى الشمال الى نهر روفيوما فى الجنوب ويبلغ طول ساحلها ٤٥٠ ميلا وتنجانيقا محصورة بين خطى عرض ١ ، ١٢ ْ جنوب خط الاستواء ، خطى طول ٣٠ ، ٤٠ ْ شرق خط جرينتش ويحدها شمالا كينيا وأوغندا وجنوبا روديسيا وموزمبيق ومن الغرب يحدها رواندا أورندي وشرقا المحيط الهندى .

المساحة : تبلغ مساحة تنجانيقا الكلية ٣٦١٫٨٠٠ ميل مربع منها ٢٠٫٦٥٠ ميلا مربعا مسطح الماء (تكون أجزاء من بحيرة فكتوريا ، تنجانيقا ، ثم نياسا) وهذه المساحة تساوى مساحة فرنسا والمانيا الغربية معا أو مساحة باكستان بشطريها وتنقسم تنجانيقا الى ٩ مديريات .

العاصمة : دار السلام وهي الميناء الرئيسي وتقع على المحيط ويبلغ تعداد السكان فيها حوالي ١٢٨٫٧٣٢ نسمة منهم حوالي ٤٫٤٧٨ أوربيا ، ٩٣٫٣٦٣ أفريقيا (طبقا لاحصائية ١٩٥٧) .

والميناء الثاني الرئيسي لتنجانيقا كيوجونا على بحيرة تنجانيقا .

السكان : تبلغ كثافة السكان ٢٦ نسمة للميل المربع وقد تصل هذه النسبة الى ٣٢ نسمة في سنة ١٩٧٠ أي أنه ليس هناك ضغط في السكان . وقد قدر عدد سكان تنجانيقا في ٣٠ يونيو سنة ١٩٦٠ بحوالي ٩٫٢٣٧٫٦٠٠ نسمة وطبقا لتقديرات احصائيات الامم المتحدة عن النصف الاول من عام ١٩٦١ يصل تعداد السكان ٩٫٤٠٤٫٠٠٠ والسكان منهم أقلية أوربية بجانب عدد من الهنود والباكستانيين يصل ٩٫٤٠٤٫٠٠٠ ، والسكان منهم أقلية أوربية خليط من العرب والافريقيين .

العادات والتقاليد الاجتماعية ودرجة التقدم الحضاري :

تنجانيقا أكثر بلاد شرق أفريقيا فقرا وتأخرا وأشدها حاجة الى التطور . والشعب هناك ينقسم الى فلاحين يعيشون

على الطرق البدائية . ورعاة وتجار ، وشعب تنجانيقا يتكون من حوالي مائة قبيلة ، ويضم هذا الشعب بجانب العنصر الافريقي عناصر عربية وجالية من الهنود والباكستانيين وأهل جوا ويبلغ تعداد الاوربيين ٢٠٫٥٩٨ نسمة أما اللغة المستعملة فهي اللغة السواحلية (وهي لغة شرق أفريقيا كلها) وقد دخلت اللغة الانجليزية مع الانتداب البريطاني وأصبحت لغة المعاملات الرسمية ، وهناك ثلاثة أنواع من التعليم . تعليم وطني — تعليم أوربي — مدارس خاصة بالهنود .

وهناك قبائل لا زالت تعيش على الفطرة وتستعمل الملابس القطنية الخفيفة وتقوم بالصيد أو الرعي أو الزراعة البدائية وأهم هذه القبائل قبيلة الماساي وهي تكاد تعيش على اللبن فقط وهم يحتفظون بماشيتهم حية ولا يأكلون لحومها .

ويلاحظ أن القبائل لا زالت تعيش في أكواخ وبالنسبة للجو الحار فانهم يرتدون ملابس لا تخفي سوى عوراتهم . وتنجانيقا تحتاج في تطورها الى عدد كبير من المدارس والخدمات العامة ، ولعل الشيء الذي يخفف من هذه المتاعب الاقتصادية هو أن تنجانيقا لا تعتمد ككثير من الدول — التي كانت مستعمرة سابقا — على محصول واحد فالمحصول الاول لديها وهو نبات القنب الهندي لا يجني لها أكثر من ٢٧ ٪ من دخلها ويأتي باقي الدخل من القطن — البن — الماس ، وفي هذا التنوع نفسه لون من ألوان الضمان والتأمين ضد الازمات الاقتصادية .

الحالة المالية :

أهم بنود الايراد هي الجمارك والضرائب أما عن مكونات الدخل الاهلي فهي من الزراعة والغابات وصيد السمك ثم التعدين ثم الصناعة .

وفي سنة ١٩٦١ قدر الدخل الاهلي بحوالي ١٧٧ مليون جنيه ومن الملاحظ أنه في ارتفاع مستمر الا أن دخل الفرد في تنجانيقا مازال صغيرا جدا فهو لا يزيد على عشرين جنيها سنويا .

ثانيا — العملة :

وحدة التعامل النقدي في تنجانيقا هي شلن شرق أفريقيا وهي العملة السائدة في افريقية الشرقية .

ثالثا — البنوك :

لا يوجد بنك مركزي في تنجانيقا الا أن بنك شرق أفريقيا التابع لبريطانيا له حق اصدار النقود . كما توجد فروع لعدة بنوك أجنبية في مختلف أنحاء البلاد وتقوم باستغلال اقتصاديات تنجانيقا ومن هذه البنوك :

بنك الهند — البنك العثماني — بنك باركليز ، كما أنشيء بنك الاراضي بهدف العناية بالقطاع الزراعي .

رابعا — الرقابة على النقد :

تنجانيقا كسائر بلاد العالم تتبع نظام الرقابة على النقد فالتعامل بالذهب والنقد الاجنبي قاصر على الحكومة وغير مصرح للافراد أو الشركات أو الهيئات الخاصة بالتعامل

فيها . وللبنوك التجارية وحدها حق التعامل عي وفروعها المعتمـــدة وذلك تحت رقابة الحكومة .

النشاط الاقتصادى :

أولا — القطاع الزراعى :

الزراعة هى أهم القطاعات الاقتصادية فى تنجانيقا ولا توجد الا صـــناعات بسيطة ناشئة . ويشتغل بالزراعة حوالى ٤٣٠ ألف عامل وهم يكونون ٤٩٫١ ٪ من جملة الايدى العاملة الا أن الزراعة فى تنجانيقا ما زالت تسير على الطرق البدائية وهناك أســـباب دعت الى قلة غلة الفدان ، منها .. استعمال الآلات البدائية .

وتنقسم تنجانيقا الى ثلاثة أقاليم طبيعية هى السهل الساحلى — الهضبة المرتفعة — الجبال المتدرجة حول كلمنجارو . ويلاحظ سقوط الامطار فترة طويلة من العام فى هذه المناطق الثلاث .

الثروة الخشبية .

تبلغ مساحة الغابات فى تنجانيقا حوالى ١٣٥ ألف ميل ، وأنواع الاخشاب المنتجة فى تنجانيقا أهمها خشب الكافور والماهوجنى . وقد بلغ الانتاج سنة ١٩٥٩ حوالى ٥٠ ألف طن مكعب صدر منها حوالى ١٩ ألف طن مكعب ، أما الانتاج فى سنة ١٩٦٠ فقـــد وصل الى حوالى ٧٠ ألف طن مكعب وقد صدر منه ما يقرب من ٤٠ ألف طن .

الثروة المعدنيـــة :

تساهم الثروة المعدنية بحوالى ١٣٪ من جملة الصادرات اذ تبلغ قيمة الانتاج المعدنى حوالى ٦٫٧ مليون جنيه ومع أن تنجانيقا غنية بمعادنها الا انها حتى الان لم تستغل هذه المعادن استغلالا اقتصاديا . والماس هو أهم معادن تنجانيقا وقد زاد الانتاج من الماس من ١٧١ ألف قيراط سنة ١٩٥٣ الى ٥٢١ ألف قيراط سنة ١٩٥٨ وتبلغ قيمة ما تصدره من الماس بحوالى ٤٫١٥٠٫٠٠٠ جنيه

وتوجـــد فى تنجانيقا كمية عظيمـــة من الفوسفات خاصـــــة فى المديرية الشمالية اكتشفت منذ سنة ١٩٥٦ وتوجد حقول ضخمة من الفحم حول بحيرة نياسا كذلك توجد مناجم ضخمة من الحديد فى الجنوب الغربى لتنجانيقا الا أن هذه المعادن الثلاثة لم يبدأ بعـــد فى استغلالها والاستفادة منها ولعل ذلك يتيح الامل لتنجانيقا فى مستقبل صناعى باهر .

ثانيا — القطاع الصناعى :

ازداد نمو الصناعة فى الخمس ســنوات الاخيرة وقد بلغت قيمة الانتاج الصناعى فى سنة ١٩٤٨ حوالى ٣٫٨ مليون جنيه وارتفعت هذه القيمة الى ٦٫٨ مليون جنيه كما بلغ عدد المشتغلين بالصناعة حوالى ١٩٫٧٠١ عاملا وفنيا ومنظما .

الا أن تنجانيقا بدأت بعد الاستقلال تخطو خطوات جبارة نحو اقرار خطـــة للتنميـــة والاهتمام بالصناعة خاصة الصناعات المعدنية واستغلال ثروات المناجم الموجودة بها عـلى وجه أكمل وقد بدأت الاستثمارات الاجنبيـــة تغزو السوق التنجانيقى بانشاء صـــناعات جـديدة بهـا من ذلك .. أن شركة ميشـــلان البريطانية ستقيم لها مصنعا ضخما لانتـــاج الاطارات فى الاقليم الشمالى منها تبلغ تكاليفه ٣ ملايين جنيه استرلينى وينتج المصنع أصنافا متنوعة من الاطارات وتتم داخله جميع العمليات المتصلة بالصناعة .

كما أن تنجانيقا تهتم بصناعة حفظ اللحوم ومركزها دار السلام وأروشـــا وكانت طاقة هذين المصنعين ٨٠٫٠٠٠ رأس من الماشية فى السنة . وفى سنة ١٩٥٩ بلغ الصـــادر من الجلود حوالى ١٫٨٦٤ ألف جنيه ارتفع سنة ١٩٦٠ الى ١٫٩١٩ ألف جنيه . كما أن هناك مشروعا لاقامـــة مصنع لتعبئة الفـــواكه وأهم هذه المصانع مصنع تعبئة المانجو والى جانب ذلك بدأ الاهتمام ببعض الصناعات التى كانت تعتمد على العمـل اليدوى وبدىء فى ادخال الآلية على هذه الصناعات وأهم هذه الصناعات هى :

صناعة الطباق — صناعة الاثاث والنجارة صناعة المشروبات — صناعة الاحذية — صناعة الطوب . كما أن تنجانيقا تزيد الاهتمـــــام بتصنيع قطنها ولذا بدأت بصورة جـــدية التعاقد مع المـانيا الغربية فى سبيل انشـــاء ٣ مصانع للمنسوجات القطنية والتوسيع فى

صناعة حلج القطن وغزله ونسجه وصناعة الزيوت المترتبة على البذرة . كما تقوم أيضا صناعة الصابون .

وتنجانيقا فى حقيقة الامر تجد صعوبة الى حد ما فى تنفيذ مشروعاتها الصناعية بسبب صعوبة المواصلات مما جعل استغلال ثروتها يتأخر قليلا ولكن بدأ فى التغلب على هذه العقبة بعد الاهتمام بالطرق البرية والحديدية واستغلال البحيرات .

ثالثا ـ التجارة الخارجية :

أولا ـ نظام الاستيراد والتصدير :

هناك تعريفة جمركية موحدة بالنسبة لتنجانيقا وكينيا وأوغندا منذ سنة ١٩٢٧ وتنجانيقا تخضع فيها النظم النقدية للرقابة ولا تسمح الحكومة الا لشركات معينةبالتصدير والاستيراد تحت رقابتها ونظام التصدير والاستيراد يخضع لنظام التراخيص .

أ ـ الصادرات الحوانية :

وتشمل الجلود الخام وقد بلغ قيمة ما صدر منه سنة ١٩٥٨ ، ٢٠٠ر١ ألف جنيه وفى سنة ١٩٥٩ وصل قيمة ما صدر منه بحوالى ٨٦٤ر١ ألف جنيه ارتفع سنة ١٩٦٠ الى ٩١٩ر١ ألف جنيه .

ب ـ الصادرات المعدنية :

الماس بالذات وقد بلغ قيمة ما صدر منه سنة ١٩٥٨ ـ ٣٩١ر٤ مليون جنيه وفى سنة ١٩٥٩ ـ ٥٤٧ر٤ ألف جنيه أما فى سنة ١٩٦٠ فقد بلغ قيمة ما صدر بحوالى ٣٢٥ر٧

جـ ـ أهم البلاد التى تتعامل معها تنجانيقا :

بين أوغندة وكينيا وتنجانيقا علاقات اقتصادية خاصة ومعظم ما تحتاجه تنجانيقا تستورده من كينيا وأوغنده . أما عن أهم البلاد التى تتعامل معها فهى فى الصادرات :

المملكة المتحدة ـ الهند ـ هونج كونج ـ هولندا ـ المانيا الغربية ـ اليابان ـ كندا ـ الولايات المتحدة ـ الكونغو ـ رواندى أورندى .

والمملكة المتحدة تستحوذ على ما يقرب من ٣٥ ٪ من صادرات تنجانيقا .

د ـ الواردات :

من البديهى أن واردات تنجانيقا تنحصر فى السلع الصناعية مثلها كالبلاد الزراعية تماما وهناك بعض السلع الغذائية التى تنتجها تنجانيقا ولكنها لا تكفيها ولذا تستورد ما يسد بقية حاجاتها ويمكن تقسيم أهم هذه الواردات الى : ـ

واردات زراعية :

ا ـ مواد غذائية تشمل ا ـ سكر خام ـ سكر مكرر وقد بلغ قيمة ما استوردته عام ١٩٥٨ حوالى ٤٨٧ ألف جنيه استرلينى ارتفع الى ٨٤٤ ألف جنيه سنة ١٩٥٩ ، ثم وصل سنة ١٩٦٠ الى ٨٣٥ الف جنيه ٢ ـ دقيق القمح ٣ ـ زبدة ٤ ـ شاى ٥ ـ زيوت نباتية وحيوانية .

واردات صناعية :

تنجانيقا فى حاجة الى كثير من السلع المصنوعة ، فهى تستورد الآلات ـ منتجات البترول ـ حديد وصلب ـ وسائل النقل ـ أكياس جوت ـ ملابس جاهزة ـ أسمنت ـ منسوجات قطنية .

أما عن أهم البلاد التى تستورد منها تنجانيقا فهى : المملكة المتحدة ـ الهند ـ اتحاد جنوب افريقيا ـ هولندا ـ فرنسا ـ ألمانيا الغربية ـ اليابان وتستورد تنجانيقا من المملكة المتحدة وحدها حوالى ٣٨ ٪ من جملة وارداتها .

نشاط اسرائيل فى تنجانيقا :

أخذت اسرائيل تتسلل الى دول افريقيا المستقلة حديثا خاصة من الناحية الاقتصادية وقد ساعدتها فىذلك الدول الاستعمارية .وقد نجحت اسرائيل فى تصريف كثير من منتجاتها خاصة من الاسمنت والآلات وكذلك الاطارات والمنسوجات بأنواعها .

وبجانب هذا تتدخل اسرائيل بحجة انها دولة صغيرة لاتبغى من وراء قروضها أية أهداف أو انها تريد استعمارا فهى تقدممنحا دراسية وتحاول عن طريق منظمة العمال الاسرائيلية أن تسيطر على التنظيم العمالى فى تنجانيقا .

مشكلات تنجانيقا فى التطور الاقتصادى :

مشكلة تنجانيقا تنحصر فى أن المساعدات التى تحتاج اليها مساعدات ضخمة تتفق والمشروعات الضخمة التى يمكن بها .. وبها وحدها أن تقفز من حالة الركود واليأس الى

درجة من التقدم والرخاء ومن أهم هذه المشروعات مشروع سد روفيجى الذى يصفونه بأنه مماثل لسد الكاريبا على نهر الزمبيزى فى روديسيا الجنوبية .

أما عن المشكلة الثانية التى تعوق النشاط الاقتصادى فهى مشكلة تسرب رءوس الاموال الى الخارج وهى ليست مشكلة تنجانيقافقط. ولكنها مشكلة شرق افريقيا كله وقد أفلحت تنجانيقا الى حد ما فى وقف هذا التسرب مما يبشر بامكانها المضى فى خطة السنوات الثلاث للتنمية فى الزراعة والمواصلات والتعليم العام والفنى . ومن أهم نواحى هذه الخطة العناية بالخطوط الحديدية لتوصيل منطقة الصناعة فى الشمال بأسواق تعتمد الان على نيروبى فى كينيا) وتحتاج خطة التنمية فى تنجانيقا الى ٢٥ مليونا من الجنيهات وقد عرضت بريطانيا أن تقرضها اثنى عشر مليونا كما أن حكومة ألمانيا الغربية أبدت استعدادها لتقدم أربعة ملايين أخرى .

وينتظر لتنجانيقا مستقبل اقتصادى ضخم لو حاولت :

١ ــ القضاء على التبعية للمصالح الاجنبية وعلى الاخص التغلغل الاسرائيلى الذى يخفى وراءه المصالح الاستعمارية .
٢ ــ تحقيق التوازن بين القطاعات الاقتصادية القومية وفى مقدمة ذلك الاهتمام بالتصنيع فى حدود الامكانيات المتوافرة .
٣ ــ رفع المستوى الانتاجى وبخاصة من ناحية الزراعة ومنتجات الغابات .
٤ ــ الاهتمام بادخال الالية على نظم الزراعة واستعمال الاسمدة لزيادة غلة الفدان .
٥ ــ استغلال الطاقة الكهربية والاهتمام بالصناعات الاستخراجية .

بهذا تستطيع تنجانيقا أن تحقق مستوى معيشة افضل لسكانها وتتحرر من التغلغل الاقتصادى الاجنبى وتدعم استقلالها السياسى الذى لن يدعم الا بالاستقلال الاقتصادى .

العلاقات الاقتصادية

بين تنجانيقا والجمهورية العربية

ا ــ التبادل التجارى :

لم تدرج تنجانيقا فى كشف خاص بها لانها مندمجة فى منطقة شرق افريقيا التى تشمل تنجانيقا وأوغندا وكينيا ولو نظرنا الى الميزان التجارى بين الجمهورية العربية ومنطقة شرق افريقيا لوجدنا أنه قد حقق عجزا طوال السنوات الماضية الا فى سنة ١٩٥٩ حيث حقق فائضا لصالح الجمهورية المتحدة قدر بحوالى ٤٨ الف جنيه .

وفى سنة ١٩٦١ بدأنا نرى تنجانيقا يظهر لها دور ثانوى فى التجارة الخارجية وقد بلغ مقدار ماصدر اليها حتى نهاية هذا العام « ١٫٣١٣٫٩٣٢ كيلو » وقيمة ما صدر هو ٣٠٫٣٥٩ جنيها اما ما استوردناه فهو يقدر كمية بحوالى « ٢٤٫٧٦٩ كيلو » وقيمتها حوالى ٧٥٥ جنيها اى ان لنا فائضا كبيرا فى الميزان يبلغ ١٩٫٦٠٤ جنيهات .

ورغم هذا الفائض الكبير الا اننا نملك المجال الواسع لفتح سوق تجارية هائلة امام منتجاتنا والقضاء على منافسة اسرائيل خاصة لو علمنا أن هناك جالية عربية كبيرة ترحب بكل نشاط عربى وتتركز هذه الجالية فى دار السلام وقد أبدت احتجاجها على التدخل الاسرائيلى وهو فى فتح اسواق تنجانيقا للبضائع والصادرات العربية ليس معناه الا فتح أسواق شرق أفريقيا كلها بالمنطقة كما سبق أن قلنا منطقة مترابطة وأهم ماتحتاج اليه تنجانيقا وموجود لدى الجمهورية العربية المتحدة هو السلع الاتية :

١ ــ **الاسمنت** والجمهورية العربية تصدر كميات ضخمة منه الى الخارج والاسمنت المصرى يتمتع بسمعة طيبة فى الاسواق الخارجية كذلك نلاحظ أن أسمنت اسرائيل يتكلف كثيرا حتى يصل الى تنجانيقا اما المسافة بيننا فانها تجعل التكاليف أقل وهذا ليس فقط بالنسبة

للاسمنت بل لمعظم السلع الاخرى .

٢ ـ **المنسوجات القطنية والحرير** ويمكن أن تغزو منسوجاتنا أسواق شرق افريقيا وعلى الاخص الشعبية منهـا وما يتلاءم مع الأذواق هناك وخاصة الزاهية اللون والمخططة .

٣ ـ الملابس الجاهزة وهذه لها مجال واسع فى تنجانيقا بل وفى أسواق شرق افريقيا كلها مع مراعاة الازياء السائدة هنـاك وهى تتمثل كما سبق أن ذكرنا فى الجلباب والزى الافرنجى العادى المكون من البنطلون والقميص على ان تكون بأسعار رخيصة تستطيع المنافسة وتتفق مـع مستوى المعيشة هناك .

٤ ـ الاحذية .

٥ ـ المنتجات البترولية .

٦ ـ السكر .

٧ ـ الارز .

٨ ـ اطارات السيارات وقد بدأت مصانعنا فى انتاج اطارات أصبحت جودتها لهـا قيمة كبرى .

أما عن السلع التى يمكن للجمهورية العربية استيرادها من تنجانيقا هى : ـ

١ ـ القنب الهندى .

٢ ـ الاخشاب .

٣ ـ الجلود الخام .

٤ ـ المعادن وخاصة القصدير .

٥ ـ الحبوب الزيتية

توصيات من أجل تدعيم العلاقة بيننا وبين تنجانيقا .

١ ـ لاتوجد اتفاقية تجارة ودفع بين تنجانيقا وبيننا ومن ثم يجب عقد اتفاقية تجارة ودفع .

٢ ـ نقترح ارسال بعثة عربية تجارية لدراسة حالة السـوق فى تنجانيقا وتوضيح مدى التقدم الذى أحرزته الجمهورية العربية ودعوة بعثة مماثلة لزيارة الجمهورية .

٣ ـ تنجانيقا تحتاج الى كثير من المشروعات الانتاجية والمقاولات وانشاء بعض السدود واصلاح كثير من الطـــرق ومن ثم نرى ضرورة الاهتمام بالمقـــاولات وحـــركة الانشاءات هناك ومـــدها بالمساعدات والخبرة .

٤ ـ تعزيز خطوط المواصلات البحرية والجوية بيننا وبين موانىء شرق افريقيا .

٥ ـ تقديم المنح الدراسية لابناء تنجانيقـا للدراسة فى مدارسنا وتقـديم المعونات الفنية .

محمود متولى



لمحات من تاريخ

جنوب غرب افريقية الحقيقى

بقلم سام نتوجوما — ترجمة ابراهيم عبد الرحيم باشا

هذا حـــديث عن اقليم ما يزال يرزح فى قيود الاستعمار ، وهو اقليم جنـــوب غرب افريقيا . وقد كان سكانه الافريقيون قبل أن يغزوه المستعمرون الالمان فى عام ١٨٨٤ يحكمون أنفسهم بأنفسهم ، ويعيشون حياة سعيدة تماما كغيرهم من الشعوب الحرة الاخرى فى سائر مناطق العالم . ولقد حارب الشــعب الافريقى فى جنوب غرب افريقيا المستعمرين الالمان بشجاعة فائقة مستخدما فى ذلك ما يقع تحت يديه من حراب وسهام ورماح . ولكن الغزاة الالمان المجهزين بالاسلحة الحديثـــة الفتـــاكة أعملوا القتل والتنكيل دون رحمة بالشعب الافريقى حتى تمت لهم هزيمته .

ووقف الملك « ماندوم » يحارب المستعمرين من البرتغـــاليين الذين حاولوا التسلل الى جنوب غرب أفريقيا قادمين من أنجـــولا . واستطاع « ماندوم » أن يلحق بهم الهزيمة النكراء وأن يطـــاردهم الى ما وراء نهـــر « كيونينى » الذى كان الحـــدود الاصلية الفاصلة بين أنجولا و « جنوب غرب افريقيـــا الالمانية » .

وفى أثناء عامى ١٩١٤ و ١٩١٧ شنت قوات البوير والقوات البريطانية هجوما غادرا على الملك « ماندوم » ومحاربيه البواسل أثنـــاء انشغالهم بصد هجوم البرتغاليين فى شـــمال البلاد . وصمد الملك « ماندوم » أمام قوات المستعمر المسلحة تسليحا قويا حتى نفدت الذخيرة واضطر للاستسلام للرجل الابيض . وكان الملك « ماندوم » بطلا فى استسلامه ، حتى أنه أطلق الرصاص على قواده الاربعة ثم استدار فأطلق النار على نفسه ، ومات وهو يزدد قوله « من الافضل أن يموت المرء على أن يحيا فى ظل ربقة حكم أجنبى » .

وصاية عصبة الامم

وبانتهـــاء الحرب العـــالمية الاولى انتزع الحلفاء المنتصرون اقليم جنوب غرب افريقيا من المانيا وفرضت عليه وصاية عصبة الامم التى عهـــدت الى اتحاد جنوب افريقيا بمهمة القيـــام بادارة الاقليم « باعتبار أن رفاهية وتقدم شـــعبه هما أمانة مقدســـة فى عنق الحضارة » كما جاء فى ميثاق عصبة الامم .

ولقد وافق اتحاد جنوب افريقيا حسب شروط الوصاية الفعليـــة التى فصلت فى مجموعة بنود معينة على أن يرفع من مستوى رفاهية السكان المادية والمعنوية وان يعمـــل على النهوض بالحالة الاجتماعية . ووافـــق نظام الحكم الفاشستى فى جنوب افريقيـــا كذلك على عدم السماح بأشغال السخرة ، واستثنى من ذلك ما تتطلبــــه المشروعات والخدمات العامة الضرورية ، عـــلى أن يتم تغيير العمال فى فترات معقولة .

وتنص بعض شروط الوصاية الاخرى على عدم اقامة أى قواعد عسكرية أو بحرية وعلى أن يكفل اتحاد جنوب افريقيا للاقليم حرية العقيدة وحرية ممارسة جميع أنواع العبادات وبدلا من ذلك قامت حـــكومة المستوطنين فى

اتحاد جنوب افريقيا بتطبيق واستخدام أساليبها فى التفرقة العنصرية فى اقليم جنوب غرب افريقيا الموضوع تحت الوصاية الدولية. ولم تكتف حكومة جنوب افريقيا بعدم تنفيذ الالتزامات التى أوكلتها اليها عصبة الامم ، بل قامت كذلك بانشاء قواعد عسكرية فى جنوب غرب أفريقيا . ويتم تقوية وتعزيز هذه القواعد العسكرية يوما بعد يوم بغرض قمع الافريقيين واضطهادهم .

كما تآمرت حكومة المستوطنين متعاونة مع البعثات التبشيرية على ابقاء الشعب الافريقى فى جنوب غرب افريقيا متخلفا فى مجال التعليم . وان نظام « تعليم البانتو » الذى يفرضونه الآن على الافريقيين فى جنوب غرب افريقيا لدليل واضح على نية حكومة المستوطنين فى اقامة نظام تعليم منحط يشبه ما يسمى « غسيل مخ » بقصد ابقاء الافريقيين يعمهون فى ظلام الجهل حتى لا يتمكنون من المطالبة بالحرية والاستقلال فى بلدهم . وهذا ما وصفه بايجاز الدكتور فيدر — وهو مبشر فاشيستى فى«أوكهاندجا» — قائلا « ان تعليم الافريقى ما هو الا كاصدار الامر الى الرجل الابيض فى جنوب غرب افريقيا بأن يفصل رقبته بنفسه وبسلاحه » ، وأضاف يقول ان فى بقاء جهل الافريقى ضمانا لاستمرار سيطرة الرجل الابيض .

نوايا الدكتور فير فورد فى اقامة سوق للعبيد

ان الغرض الذى يهدف اليه نظام حكم فيرفورد من فرض نظام « تعليم البانتو » فى جنوب غرب أفريقيا ضد رغبات الاغلبية الافريقية هو تكوين احتياطى ضخم من القوى العاملة يستغل فى امدادالمناجم والمزارع وغيرها من المشروعات الاوروبية بالعمل الرخيص سواء كانوا رجالا أم نساء أم أطفالا . ولا يتمتع العمال الافريقيون فى جنوب غرب افريقيا الآن بحماية القانون كما هو الحال فى مختلف مناطق العالم المتحضرة . وقد حدث مؤخرا أن أصدر قاضى « والفس باى » حكما بتغريم بعض العمال الافريقيين ٦٠ روبية لقيامهم بالاضراب عن العمل . وقد أضرب هؤلاء العمال احتجاجا على أجورهم المنخفضة . وهم يلقون معاملة أسوأ من معاملة الحيوانات .

هذه جميعها دلائل على أن حكومة اتحاد جنوب افريقيا تنكر على الافريقيين التمتع بحقوق الانسان الاساسية وأنها ما تزال تمارس أبشع ألوان استغلال الانسان لاخيه الانسان .

ومنظمة شعوب جنوب غرب افريقيا Swapo تعارض بشدة فكرة تقسيم البلاد وتنادى بتصفية ادارة جنوب افريقيا للاقليم فورا وضرورة حصول جنوب غرب افريقيا — ككل — على الاستقلال الكامل . واذا ما فرضت حكومة اتحاد جنوب افريقيا نظام « تعليم البانتو » على البلاد فستواجه المصاعب . وستعد سلطات جنوب افريقيا مسئولة عما سينجم من عواقب خطيرة .

((ترجمة ابراهيم عبد الرحيم باشا))

شعبي المنتصر

شعر بقلم

باتريس لومومبا

ترجمة على شلش



كثيرون ممن تتبعوا كفاح شهيد الكونغو العظيم (١٩٢٥ – ١٩٦٠) خفي عليهم أنه كان شاعرا رقيق الحس والوجدان ، يؤمن بالقلم ايمانه بالقـوة كوسيلتين متلازمتين للنضال وتحقيق الامانى الوطنية .

وقد شغل لومومبا المناضل عن التركيز على الجانب الوجدانى فى شخصيته ، أو الاهتمام به اهتمامه بالقضية الوطنية .

وقد كان لومومبا ينشر أشعاره فى صباه فى صحيفة الاستقلال ، ثم فى صحيفة « أوهورو » التى أسسها عند ما انتقل الى مدينة استانلى فيل ، ومن هذه القصائد قصيدته التى نقدمها الان .

والحق أن هذه القصيدة – التى نشرت بالانجليزية ضمن كتاب عن حياته وكفاحه فى موسكو عام ١٩٦١ – تتسم بالطابع الذى اتسم به فكره وآراؤه .. طابع الوضوح والبساطة . كما تظهر بجلاء مفهوم الانسان الافريقى لديه الذى يمتد من القاهرة الى مدينة الكاب طولا ، ومن جيبوتى الى داكار عرضا . أما موهبته كشاعر فانها تلتقى فى هذه القصيدة بتقدم فكره السياسى وعمق فهمه لقضايا القارة . وهو يستعير صوره وتشبيهاته من البيئة ، وتلك فى الواقع خاصية بارزة فى شعره ، فهو يستخدم ألفاظا بسيطة من الواقع لكنها مشبعة تحمل دفء التربة التى أنبتتها ، حتى استعاراته تستجيب بدورها لنداء الارض الافريقية بما فيها وما عليها ..

ذلك هو لومومبا شاعر الكونغو وبطل كفاحها الشهيد ، تربطنا ذكراه دائما بذكرى صوته الشاعرى النفاذ ، الذى يصدر عنه متوجها فى تواضع وثقة الى كل أبناء القارة المستعبدين ، فى الادغال ، والمدن والصحارى .

ابك ، أى أخى الاسود الحبيب ،
المدفون فى أعماق ليل بهيم أبدى
أنت ، يا من غمرتك رياح السموم
والاعاصير المثقلة بالغبار ،
أنت ، يا من شبت على يديك الاهرامات
تذكارا للملوك الطغاة

أنت ، يامن طوقك الغزاة ليبيعوك في الاسواق
أنت يامن عانيت مرارة الهزيمة دهورا طويلة
في كل المعارك التي أشعلتها القوى الوحشية
أنت ، يامن كنت لا تتلقى الا درسا متصلا
لا ينقطع ، تعيه وتتعلمه ،
كان شعارا واحدا — اما الرق واما الموت .
أنت ، يا من ترقد مخبوءا في أدغال لا يمكن النفاذ اليها .
وتتوقع صامتا صنوفا من الموت
لا عد لها ولا حصر
تواجه الموت صريعا بالحمى في جوف الدغل
أو تتمزق بين فكي النمر المشئومين المهلكين
أو في مستنقع كريه
يضيق الخناق شيئا فشيئا ويعتصرك ، كالافعى ...
ثم أهل يوم جاء معه بالرجل الابيض
اكثر خبثا ، وتشبعا بالضغن من أي صنف من صنوف الموت .
قايض ذهبك بخرزاته التي لا تساوي شيئا ،
واستباح حرمات أخواتك وزوجاتك واعتدى عليهن ،
وسمم بشرابه أبناءك واخوتك ،
وساق أطفالك الى ظهور السفن .
وعند ذاك دوت الطبول من قرية الى قرية
وأعلنت الى الناس أن سفينة أجنبية أخرى تحمل الرقيق على ظهرها ،
قد أبحرت في طريقها الى شطئان بعيده ، بعيدة .
حيث الاله هو القطن ،
وحيث الدولار متربع على دست الملك .
وهناك ، يحكم عليهم بالشغل الميت الذي لا ينتهي
ويشقون من الفجر الى الغســـق تحت الشمس التي لا ترحم
علموك أن تمجد في مزاميرك الههم ،
بينما انت نفسك كنت مصلوبا ،
الى تسابيح تعد بالسعادة في العالم الاخر ،
بينما أنت تستجدي منهم معروفا واحدا :

أن يدعوك تحيا — تحيا ، نعم — تحيـا ببساطة .
وبالقرب من النيران كانت أحلامك الوهمية المعتمة ،
تتدافع وتضج بصوت مسموع في اجهـاد سوداوي حزين ،
أولية بكماء كضميتك وشدتك .
وكان لك أن تلهو ، أن تمرح ، أن ترقص ، بفيض روحي بهيج :
عند ذاك يضج كل سنا رجولتك وجلالها ، ورغبات الشباب الحلوة ،
كل ذلك يضج بوحشية وقوة على أوتار من النحاس الاحمر ،
في دفوف ملتهبة .
ومن تلك الموسيقى العظيمة نشأت بداية الجاز ،
صاخبة ، مهتاجة ،
معلنة المبيض بنبرات مسموعة
ان الارض لم تكن بأسرها وقفا عليهم .
أيتها الموسيقى العظيمة ، أنت التي أذنت لنا
أن نرفع وجهنا ، وأن نحملق في عيــون الحرية المستقبلة
التي ستكون يوما ملكا لنا .
وعند ذاك ، فلتكن شطئان الانهار العظيمة المتجهة بأمواجها الحية
الى المستقبل المشع ،
أي أخي ، فلتكن لك ، ولتكن سيدها !
فلتلهب حزنك الحرارة القـاتلة لشمس الظهيرة التي لا ترحم !
فلتتبخر كل حرارة الشمس الابدية
تلك الدموع التي ذرفها أبوك وجدك
اللذان عذبا حتى الموت فوق هذه الاراضي المبكية
عسى أن يعيش شعبنا ، حرا ، ومبتهجا الى الابد ،
عسى أن ينتصر ، أن يفلح في سلام ، في وطننا هذا ، الكونغو ،
هنا ، في قلب قارتنا العظيمة أفريقيا !

أفريقيا في شهر

اريتري :

● وجهت جبهة التحرير الاريترية نداء باسم الشعب جاء فيه .. ان سياسة حكومة أثيوبيا تجاه الشعب الاريتري تتعارض بصورة جذرية مع مفهوم الوحدة الافريقية .. ان الشعب الاريتري دفع ، بقرار الامم المتحدة ، الى مصير مظلم يرمى الى اتحاد مصطنع لا يقوم على دعائم شعبية ولا بد من فشل هذا الاتحاد المزعوم كما فشل الاتحاد الذي فرضه الاستعمار على شعوب الروديسيتين ونياسالاند ... ولن يكون هناك سلام في هذه المنطقة من أفريقيا الا اذا تحققت الاوضاع التي تتفق مع الكفاية والعدل ، ومارس كل شعب ارادته الحقيقية .

● اشتبك الثوار الاريتريون في جبال « البيا » بالقرب من هيكوتة مع فرقة من الجيش الاثيوبي .

الصومال :

● صرح سفير الصومال في القاهرة بأن جمهورية الصومال ترفض حضور مؤتمر القمة الا اذا وعدت أثيوبيا بمناقشة مشكلة الحدود في المؤتمر .

كينيا :

● تسلم السيد الرئيس جمال عبد الناصر رسالة خاصة من الزعيم جومو كينياتا ، حملها اليه جوزيف مورومبي أحد أعضاء حزب « كانو » .

تنجانيقا :

● وصل القاهرة السيد رشيدي كواوا نائب رئيس الجمهورية ، وقد اجتمع به السيد الرئيس جمال عبد الناصر وأجرى معه مباحثات ودية .

روديسيا الجنوبية :

● وافقت بريطانيا على اجراء مباحثات مع بعثة من الامم المتحدة بخصوص الموقف في روديسيا بعد أن طلبت الحكومة التي تمثل الاقلية من البيض الاستقلال .

● حكم على الزعيم جوشوانكومو بالسجن مع الشغل لمدة ستة أشهر بتهمة الاشتراك في الاعتداء على أحد الجنود أثناء تزعمه لظاهرة قامت في « روساب » في فبراير الماضي .

● استقبل الرئيس جمال عبد الناصر ، جوشوانكومو زعيم الافريقيين في روديسيا الجنوبية الذي صرح بأنه قد عرض على الرئيس ناصر ، الموقف المتفجر في بلاده .

● في الوقت الذي رفض فيه رئيس حكومة الاقلية البيضاء أي شرط للاستقلال ، أعلن بتلر وزير شئون وسط أفريقيا أنه لا يمكن منح روديسيا الجنوبية الاستقلال الا بعد تصفية اتحاد وسط أفريقيا .

جنوب أفريقيا :

● اختطفت السلطات نائب رئيس حزب المؤتمر الافريقي .. بولاكو ليبالو ، وقد طلبت لجنة مكافحة التفرقة العنصرية التابعة للامم المتحدة التحقيق في ذلك .

● استقبلت دوائر المعارضة القانون الجديد بالنقد العنيف ، وقد صرح الدكتور ستيتلير زعيم الحزب التقدمي المناهض للتمييز العنصري بأن القانون الجديد اكثر قسوة من أي قانون صدر في جنوب أفريقيا حتى في زمن الحرب .

الكونغو :

● اعترضت الجمهورية العربية المتحدة على مشروع التدريب العسكرى لقوات الكونغو الذى اقترح أن تشترك فيه خمس من دول حلف الاطلنطى واسرائيل .

● أجرى التعديل الثالث فى وزارة أدولا نظرا للمعارضة المتزايدة التى تواجهه فى البرلمان .

● استردت الحكومة جزءا من الاموال المفقودة من بنك كاتنجا ، ودلت التحريات على أن جزءا آخر موجود فى انجولا باسم تشومبى .

أوغندا :

● وصل القاهرة وفد اقتصادى أوغندى برئاسة السيد نوكاتجى وزير الدولة للشئون الاقتصادية ، وقد صرح بأن الهدف من الزيارة هو اقامة علاقات الود والصداقة بين البلدين .

غينيا :

● استقبل الدكتور حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى بـ ج.ع.م ، السيد دياللو الفا نائب وزير الاعلام الغينى وتم بينهما بحث أسس التعاون الاعلامى والسياحى مع غينيا .

غانا :

● أصدرت محكمة خاصة حكما بالاعدام شنقا على خمسة اشخاص أدينوا بتهمة الخيانة والتآمر على حياة الرئيس نكروما ومحاولة قلب نظام الحكم .

السنغال :

● أعلن الرئيس ليوبولد سنجور أن الطائرات البرتغالية ضربت قرية (بوماك) بالقنابل .

● وصل القاهرة وفد اسلامى برئاسة الشيخ محمد مصطفى مكى .

● حوكم السيد محمد ضيا رئيس الوزراء السابق وحكم عليه بالاعتقال مدى الحياة .

توجو :

● طلبت الحكومة من الجمهورية العربية المتحدة عقد اتفاقية للمعونة الفنية ، وأن يزورها وفد زراعى مصرى لدراسة مشكلاتها الزراعية .

الجزائر :

● صرح وزير الزراعة بأن الحكومة نزعت ملكية ما يقرب من أربعة ملايين فدان وصادرت نيفا وعشرين محلا تجاريا كان يملكها الفرنسيون .

● تم توقيع اتفاقيات .. التبادل التجارى وتسوية المدفوعات ، وتنظيمات القرض الذى منحته الجمهورية العربية المتحدة اخيرا للجزائر ، والمعونة الفنية والاقتصادية بين ج.ع.م. والجزائر .

المغرب :

● فصلت شركة زيليجا ١٣٠٠ عامل رغما من تحقيقها لارباح قدرها ١٥ مليار فرنك ، وقد احتج اتحاد العمال على ذلك وطالب الحكومة بتأميم الشركة .

تونس :

● وافق ممثلو ٣٠ دولة افريقية على مبدأ انشاء اتحاد لوكالات الانباء الافريقية ، يجمع المعلومات ويوزعها لكى تستخدمها الصحف والاذاعات اللاسلكية ووسائل الاعلام العامة .

ليبيا :

● وافق مجلس النواب على مشروع قانون بتوحيد ليبيا وانهاء النظام الفيدرالى كما نص المشروع على أن ليبيا قسم من القارة الافريقية ، وأعلنت أن يوم ٢٧ ابريل أصبح عيدا رسميا .

رسائل القراء

فى بدء هذه الكلمة يسعد المجلة أن تتلقى رسائل السادة القراء ، وأن تتعرف على رغباتهم ، وأن تقف على وجهة نظرهم فيما يتصل بالاحداث الافريقية ، والقضايا التى تشغل الناس فى هذه القارة .

* * *

وقد تلقيت الرسالة الاتية من السيد / حافظ عطوة رمضان :

« السيد الاستاذ رئيس التحرير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يشرفنى أن أكتب الى سيادتكم من زنجبار شرق أفريقية ، راجيا أن تتقبلوا تحيات السيد على محسن وزير المعارف والشئون الاجتماعية ، وجميع موظفى الجزيرة ..

وبى رغبة فى الاشتراك فى المجلة الغراء « نهضة افريقية .. فأرجو من سيادتكم موافاتنا بها ابتداء من العدد القادم ، كما أرجو افادتى عن قيمة الاشتراك وكيفيته .. »

والمجلة تشكر السيد/حافظ عطوة رمضان وتبادله التحية ، وتوجه على صفحات هذه المجلة أعمق آيات المحبة والاعجاب بالوجه الثورى المشرف لافريقية السيد/ على محسن وزير المعارف والشئون الاجتماعية ، وهى تذكر له نضاله ، ومواقفه من أجل الحرية ، فى كل مكان تصدى فيه لقضية الوطن الافريقى

وفى الوقت نفسه يسعد المجلة أن تخبركم أن قيمة الاشتراك ترسل الى « ٧ شارع الصحافة بالقاهرة ــ دار أخبار اليوم للتوزيع » ، وقيمة هذا الاشتراك خمسون قرشا بما فيها قيمة البريد .

* * *

تلقت المجلة رسالة من السيد كمال حمدى جاء فيها أنه شاب يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاما ، وأنه يرغب فى الهجرة الى احدى البلاد الافريقية المستقلة ، ويسأل :

هل مسموح بالسفر ؟

ما هى الشروط الواجب توافرها ؟

ما هى الاجراءات المتبعة لذلك ؟

والمجلة ترى أن يتصل سيادته بادارة الجوازات بالمجمع ، ففيها كافة الشروط الخاصة بالسفر الى الخارج ، كما يمكن منها معرفة الظروف التى تحول دون هذا النوع من السفر .

* * *

ووصلت رسالة من السيد مختار عبدالحميد يقول فيها « أعلنت هيئة التنمية الدولية عن مسابقة لكتاب آسيا وأفريقية للتأليف فى التخطيط الاقتصادى ، وتنمية المجتمعات ، ووسائل الانتاج ، وهو يرجو نشر تفاصيل دقيقة عن هذه المسابقة ..

والمجلة ستعمل من جانبها على الحصول على شروط هذه المسابقة ونشرها للاستفادة منها .

* * *

وفى ختام البريد .. نذكر للذين يسألون عن الاشتراك فى المجلة أن هذه الشروط تنشر دوريا فى الصفحة الاولى من المجلة .

فهرس مجلة نهضة افريقية للمقالات والكتاب



« السيد الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الزعيم جوشيا نكومو »

ISSUE 66 SIXTH YEAR MAY 1963 PRICE 3 P.T.

RENAISSANCE OF Africa

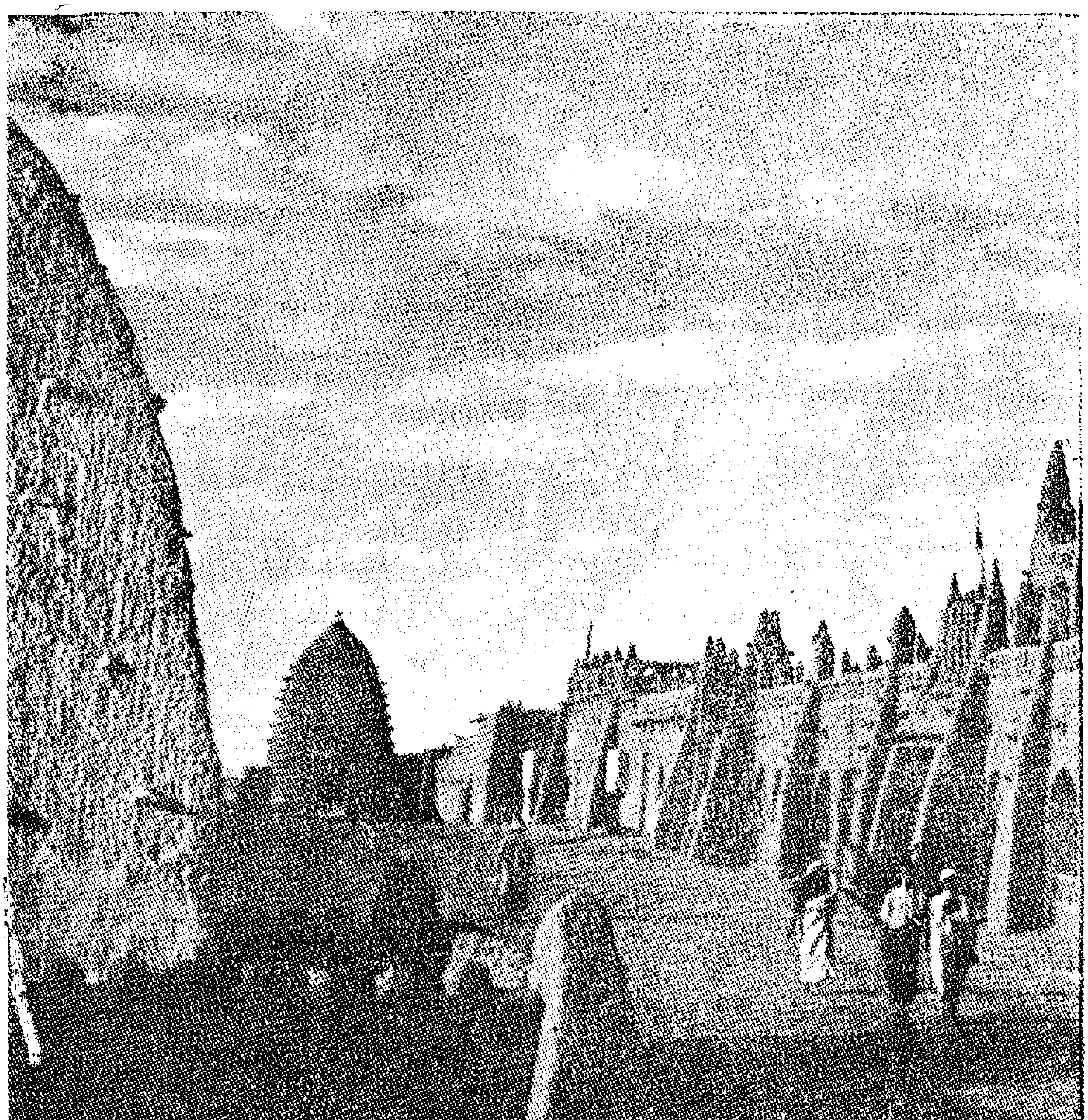


العدد ٦٧ السنة السادسة - يونيو ١٩٦٣ - الثمن ٣ قروش

نهضة افريقية



اوديـنجا يتحدث عن الصامتين



« شارع فى تمبوكتو »

نهضـــة افريقيـة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
تليفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى ان تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رايها .

نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ..

اذا كان مؤتمر برلين الذى عقد عام ١٨٨٥ قد وضع الاغلال فى أيدى ورقاب شعوب القارة الافريقية واغتصبها من أيدى أهلها ، ثم سلمها الى أيدى الاجانب وجشعهم ، فان ((مؤتمر القمة)) الذى عقد أخيرا فى اديس أبابا ، قد أعاد الأمل لما بقى من القارة فى أيدى المستعمرين ، بحيث أصبح ماثلا فى الأفق رسم خريطة سياسة جديدة لافريقية ، خالية تماما من البقع الاستعمارية الفاقعة التى تغطى الآن أكثر من مكان فيها ، وكذلك من تلك ((البقع الباهتة)) التى تمثل لونا جديدا من الاستعمار قد اصطلح على تسميته ((الاستعمار الجديد)) .

فقد ظهر واضحا ان افريقية بعد المؤتمر مخالفة تماما لافريقية قبل المؤتمر ، ذلك لأن عملية الاحتشاد النفسى قبل المؤتمر ، ومقابلة الزعماء وجها لوجه ، والخروج من هذه المقابلة بميثاق محدد الاغراض والأهداف .. قد ألقى على القارة أكثر من ضوء ، وزود الجماهير بطاقات لن يستطيع أحد الانحراف عنها ، كما أعطى الزعماء مساندة حقيقية ، وبخاصة هؤلاء الزعماء الذين لم تستقل بلادهم بعد .

وفى ضوء هذا يمكن القول بأن فجرا ثابت الضوء قد أطل على افريقية ، وأن نوعا من ((وضوح الرؤية)) قد أصبح الآن لدى الجماهير الافريقية فأدركت طريق التحرر وأخذت تتحرك نحو السلام والرخاء والرفاهية ..

عبده بدوى

فهرس العدد ٩٦

صفحة

أودينجا يتحدث عن الصامتين

بقلم : محمد عبد العزيز الحوج

أيها الرفاق فى الكفاح من أجل الحرية .. يارؤساء دول أفريقيا المستقلة .. انني أتحدث اليكم باسم شعوب ((أنجولا وموزامبيق وغينيا البرتغالية وجزائر الرأس الاخضر وساو تومى وبرنسيبى وروديسيا الجنوبية وجنوب أفريقيا وجنوب غرب أفريقيا والصومال الفرنسى وجزائر كومورو وباسوتولاند وبتشوانالاند وسوازيلاند)) . . . أتحدث اليكم بلسان الملايين المعذبة التى يكتم الاستعمار أنفاسها والتى تتطلع اليكم طالبة شيئا أكثر من النوايا الطيبة والقرارات البليغة الرنانة ..

انني أطالب الى مؤتمر القمة هذا أن يوجه انذارا نهائيا الى الدول الاستعمارية والحكومات الفاشستية العنصرية ان تبدأ فورا فى نقل السلطة الى ممثلى الشعوب فى الاقاليم المحتلة والا تدخلت الدول الافريقية ووضعت كل ثقلها فى كفة الشعوب فورا ..

بهذه العبارات المشحونة بالشعور والامل استهل ((**أوجنجا أودينجا**)) خطابه فى ((**قاعة أفريقيا**)) فى أديس أبابا ، على مسامع رؤساء الدول الافريقية المستقلة الذين التقوا ، ووضعوا على رأس جدول أعمالهم «استئصال الاستعمار من أفريقيا » .

ولقد سبق خطاب ((**أودينجا**)) تأملات اجرائية عن العلاقة الشكلية بين ممثلى الشعوب الافريقية المكافحة وبين المؤتمر .

هل يدعى زعماء الاقاليم « غير المستقلة » للجلوس جنبا الى جنب مع رؤساء الدول المستقلة ويعتبرون - تبعا لذلك - أعضاء أصليين ، على اعتبار أنهم قادة شعوب - بالفعل - وأنه لا فرق بين قائد وصل الى النصر ووضعت فى يديه مقاليد الحكم ، وبين قائد ما يزال مناضلا فى ميدان الحرية ، جاعلا شعاره : النصر أو الموت ..

أم هل يحضر هؤلاء الزعماء المؤتمر « كأعضاء منتسبين » يحضرون الجلسات ويساهمون فى المناقشات ولا يشتركون فى اتخاذ القرارات ..

واستقر الرأى أخيرا على أن « الوضع الدولى » للمؤتمر يتطلب أن يكون أعضاؤه من رؤساء الحكومات القائمة بالفعل والمعترف بها على الصعيد الدولى حتى يكون لقراراته « المؤهلات الشكلية » التى تمنحها الوزن المطلوب لدى الامم المتحدة ووكالاتها ولدى المنظمات والتجمعات الدولية الاخرى ، وحتى يتوافر لقراراتها ((**ركن الالزام**)) بشوبه القانونى .

ومهما يكن من شىء فقد تدفقت على أديس أبابا وفود الاقاليم الافريقية « غير المستقلة » وبعد أن اقتنعوا بصواب قصر العضوية على رؤساء الدول والحكومات

المستقلة – رأوا – كحل وسط ، أن ينيبوا أحدهم ليتحدث فى جلسة علنية بما يجول فى خواطرهم من مقترحات عملية للتعجيل باستئصال الاستعمار والانظمة الشريرة العنصرية من أرض القارة الافريقية ..

ولم يطل بهم التردد ليختاروا « **أوجنجا أودينجا** » نائب « **جومو كينياتا** » وساعده الايمن ، ليلقى بالنيابة عنهم ما استقرت عليه آراؤهم من خطط ومقترحات .

ولم يطل حديث « أودينجا » عن الالام التى تعانيها الشعوب الافريقية المضطهدة ، بل انه لم يشر الى ملايين الرجال والنساء والاطفال الافريقيين الذين تحيط بهم الاسلاك الشائكة فى « **مناطق العزل** » فى جنوب أفريقيا ، ولا الى أعمال السخرة القاتلة فى مناجم أنجولا ومزارع البرتغاليين فى موزمبيق ولا الى القادة الافريقيين المثقفين المكدسين فى سجون جزيرة « فرناندو بو » المسماة « جزيرة العذاب » .. فلم يكن الوقت ، فى أديس أبابا ، وقت الشكوى ، ولكنه كان وقت العمل الايجابى لتخليص هؤلاء جميعا من أصل البلاء ، وهو الاستعمار .

وقد قفز «أودينجا» قفزا على جسر التحية التقليدية ليتقدم الى المؤتمر بمقترحات كانت هى الاساس الذى صيغ عليه قرار انشاء لجنة أفريقية مستديمة مهمتها مساعدة المناضلين الافريقيين فى سبيل الحرية تلك اللجنة التى تضم ممثلى تسع من الدول الافريقية المستقلة هى : الجزائر والسنغال وغينيا وغانا ونيجيريا واثيوبيا والكونغو وتنجانيقا والجمهورية العربية المتحدة .

وقد جاء اقتراح هذه اللجنة ومهامها ، فى خطاب « أودينجا » على النحو التالى :

« نقترح انشاء هيئة تسمى « مكتب التحرير الافريقى » يتخذ مقره فى عاصمة دولة أفريقية مستقلة ويكلف بالمهام الاتية :

أ – أن ينسق عمليات التحرير فى الاقطار المحتلة المختلفة .

ب – أن يتسلم ويوزع وينقل أنواع المعونات المتنوعة بما فى ذلك المعدات العسكرية والمتطوعين بالنيابة عن حركات التحرير الوطنية .

جـ – أن يشرف على برنامج اعانة اللاجئين من الرجال والنساء والأطفال الذين شردوا بسبب الكفاح من أجل التحرير

د – ان يقدم العون والحماية للقادة الافريقيين وأعوانهم الذين اضطرتهم الظروف للهجرة من بلادهم والكفاح من خارجها .

هـ – أن ينظم عمليات التدريب والتأهيل لشباب الاقاليم المناضلة فى المجال الادارى والعسكرى والدبلوماسى

ز – ان ينسق مصادر الاعلام والدعاية لحركات التحرير . وفيما يتصل بمقر المكتب ، نص الاقتراح على ضرورة وجوده فى دولة أفريقية مستقلة تكون متاخمة للاقاليم غير المستقلة حتى يستطيع أن يسهل تحريك المعدات والرجال الى مسرح العمليات .

وانتقل الحديث الى نوع المعونات المطلوبة ، فطلب أودينجا أن تحدد كل دولة أفريقية مستقلة مبلغا معينا من المال أو المعدات – بما فى ذلك المعدات العسكرية – لتقديمها فى مواعيد محددة ، بوساطة مكتب التحرير الافريقى ، الى ممثلى الحركات الوطنية ، وان تتعهد الدول الافريقية المستقلة بسماحها بمرور المعونات والمتطوعين فى أراضيها وتخزين المعدات المطلوبة لحركات التحرير الى أن يأتى أوان استخدامها .

وقد لمس الخطـــاب مشكلة حساسة جوهرية فى مجال النضال المقبل حينما اقترح تكوين لجنة من بين الدول الافريقية المستقلة للعمل على تقريب وجهات النظر ، وتأليف جبهات وطنية فى الاقاليم التى تتعدد فيها ، وتختلف ، الاحزاب السياسية ، حتى تجتمع الصفوف بعد أن توحدت الاهداف .

ثم انتقل الحديث الى دائرة أوسع ، ترمى الى تدعيم الحركات التحررية وصيانة مكاسبها ، وذلك باقتراح انشاء معاهد خاصة لتدريب وتخـريج أفواج من رجال الادارة والعسكريين والدبلوماسيين القـادرين على ادارة دفة الحكم فى بلادهم بعد الاستقلال ، وقد ناشد أودينجا ، جامعات أفريقيا أن تخصص كل منها ، مائة مكان على الاقل ، كل سنة ، لابناء الشعوب غير المستقلة .

وبعد ذلك انعطف الحديث الى أجهـزة الاعلام فأبرز قوة الصحافة والاذاعة على وجه الخصوص ، ودعا الى انشاء جريدة وطنيـة واحـدة — على الاقل — فى كل اقليم غير مستقل ، وأن تقدم الدول الافريقية المستقلة عددا من المطابع توضع تحت تصرف الهيئات الموجهة لحركات التحرير ، وأن تعمل هـذه الدول على انشاء « وكالة أنبـاء تحرير افريقيا » ، والا تسمح بنشر واذاعة الاخبار المغرضة والمشوهة ، التى تذيعهـا وكالات الانباء الاستعمارية عن حركات التحرير .

ولكى تقطع أفريقيـا الطريق على قوى « الاستعمار الجديد » دعا « أودينجا » الى اختيار مشروع مناسب ، من بين المشروعات الكثيرة ، « للسوق الافريقية المشتركة » ، والى انشاء « اتحاد للمدفوعات » والى عقد اتفاقيات عسكرية دفاعية والى وضع نظـام للتنسيق بين مناطق العملة المختلفة ، والى الاسراع بانشـاء « بنك التنمية الافريقى » والى تأسيس بنـك جديد باسم « بنك الاحتياط المركزى الافريقى » ، وتكون مهمته سد النقص فى ميزانيات الحكومات الضعيفة الموارد التى قد تتعرض لنكسات اقتصادية من حين لاخر .

وانعطف الحديث بعـد ذلك الى تذكير رؤساء الدول بما سبق أن اتخذ من قرارات فى المؤتمرات الافريقية السابقة لتنفيـذ المقاطعة الاقتصادية والدبلوماسية لحكومة جنوب أفريقيـا وحرمانها من حق هبوط طائراتها ووقوف أو تموين سفنها فى الموانىء الافريقية ، وان تطبق هذه القرارات نفسها على حـكومة البرتغال ، وعلى حـكومة المستوطنين الاوربيين فى روديسيا الجنوبية . وعلى الحكومة الاستعمارية التى تسـاندها وهى الحكومة البريطانية .

وقد ناشد « أودينجا » دول أفريقيـا التى هى عضو فى الكومنولث البريطانى أن تنسحب من تلك المنظمة اذا مضت بريطانيا فى قمع الحركات التحررية الافريقيـة كما ناشد الدول الافريقية ذات العلاقات المشتركة مع فرنسا أن تقاطع فرنسا اذا لم تنسحب من المناطق التى لا تزال تحتلها فى أفريقيا .

وقد كان لخطاب « أودينجا » أثر السحر فى نفوس الرؤساء المجتمعين فى أديس أبابا ، ويتبـدى ذلك فى القرارات التى اتخذوها بعد القـاء هـذا الخطاب بيوم واحـد ، وهى القرارات التى تبلورت فيها (الخواطر) التى عبر عنها الزعيم الكينى بالنيابة عن التعساء الافريقيين المحتجزين وراء الاسلاك الشائكة والمسخرين فى أعماق المناجم الخانقة المظلمة والمـكبلين بالسلاسل فى « جزيرة العذاب » .

« محمد عبد العزيز اسحاق »

ماذا حدث فى أديس أبابا

بقلم : مندوب خاص

فوجئت بزميلى يدخل فى مكتبى ، وينبؤنى بأنه قد وقع الاختيار على لانوب عن مجلتنا للتوجه الى أديس أبابا « زهرة الجبل » ، لحضور أكبر مؤتمر أفريقى كبير مستوى يمكن لدولها أن تمثل فيه لاجل تحقيق رفاهية أبنائها وتحريرها من آثار ما عانته من السنين الماضية من اضطهاد وظلم .

حقا كانت مفاجأة لى ، مما دعانى لان أترك القلم وأطلب من زميلى أن يتركنى لحظة لافكر فيما عساى أن أقوم به ، لعل فكرى يسعفنى فى أن أحدد عملى فى تتبع أنباء هذا المؤتمر وتقديم صورة حقيقية عنه . وانطلق خيالى فاذا به يذكر على خريطتين أمامى على الحائط خاصة بقارتنا العزيزة ، الاولى لهذه القارة سنة ١٩٤٥ غداة الحرب العالمية الثانية ولم يكن عليها سوى أربع دول بيضاء تعبر عن كونها دولا مستقلة ، مصر أثيوبيا ، ليبريا ، وجنوب افريقيا . وباقى القارة عليها ظلال حمراء ، أو خضراء أو صفراء ، أو زرقاء .. يدل كل لون منها على تبعية قطعة من أرض القارة لدول أخرى أجنبية عنها .

وينتقل بصرى على الخريطة الاخرى لافريقيا فى عام ١٩٦٣ ، واذا بنضال القارة وعزيمة أبنائها ، تحصر هذه الالوان فى مناطق محدودة ، وتبرز القارة على الخريطة بيضاء فى غالبيتها تعلن عن استقلال اثنين وثلاثين دولة ، لها كيانها ومقوماتها ومركزها بين باقى دول العالم .

واخذت أعد نفسى اعدادا للرحلة ، وأنا مشتاق لارى ما سيكون عليه الحال فى أديس أبابا عندما تجتمع هذه الدول ، لم يمنعنى خيالى واعتزازى بحضور هذا المؤتمر من تقدير الصعوبات التى ستقابله وتعمل على عدم انجاحه .

ستكون هناك مناورات ومؤامرات واشاعات تبعث الفرقة بين الدول حتى من قبل اجتماعها . بل أن هناك من القواعد التى أرستها كتب الاستعمار ومفكريه ما جعلت الحقيقة المزيفة شبه حقيقة . فهل سيجتمع القادم من الشمال مع القادم من الجنوب وهل اللون الابيض يستطيع أن يختلط باللون الاسود وهل يمكن صهر الجنس الحامى والسامى والزنجى فى بوتقة واحدة . وكيف ستكون عليه مقابلة المسلم الافريقى والمسيحى الافريقى ؟.

كما أن غالبية الدول الافريقية وهى حديثة الاستقلال ، فخورة به ، هل من السهل عليها التنازل عن جزء من هذه السيادة أو عنها جميعها فى سبيل تحقيق وحدة قارية ؟

ان هناك دولا مرتبطة بفرنسا وأخرى ببريطانيا ، وثالثة تميل للولايات المتحدة وأخرى ترى سلامتها فى عدم انحيازها لاى كتلة أو أية دولة . فمن سيتغلب رأيه على الآخر ؟

وهل يمكن اغفال دور الاقتصاد فى سياسة الدول . هذا الاقتصاد الافريقى الناشىء والذى يعانى من كونه فى أيد أجنبية تتمادى فى استغلاله ، وكأن آخرتها غدا ، وتنتهز فرصة افتقار القارة للفنيين ورؤوس الاموال الوطنية والتشريعات التى تحد من هذا النهب . وهل يمكن أن ننسى أن الحاجة ، وعدم التكافؤ بين بعض الدول الافريقية والدولة التي كانت تستعمرها ، أدت الى

ارتباط اقتصادى يبقى الدولة الافريقية على فقرها ويزيد الاوروبية من غناها .

هكذا كانت هناك عوامل تنازع نفسى ، عوامل تشير بأن المؤتمر سوف ينجح واخرى متشائمة تجعل النفس تتقهقر الى مدارك الفشل .

وهكذا وصلت الى أديس أبابا ، وفى نفسى رجفة ، ومن شعورى لهفة لارى ماذا سيصير عليه الحال .

كانت أديس أبابا كمدينة بابل ، اجتمعت فيها وفود الدول من واحد وثلاثين دولة ، وصحفيون أربو على الاربعمائة من مختلف أنحاء العالم . بل أن كثيرا من السفارات الاجنبية أوفدت بعضا من موظفيها كمراسلين للصحف حتى يستطيعوا ان يمدوها بما سيحدث . والحق يقال أن الحكومة الاثيوبية جندت كل قواها لأعطاء هذا العدد الوفير من الوافدين كل راحة وتسهيلات . فخصصت فنادق المدينة وعرباتها ووسائل الاتصال السلكى واللاسلكى لخدمتهم .

وبدا لى منذ يوم وصولى ، صدق حسى فى كثرة الاشاعات وخطورتها . لقد ظهرت اشاعة ان موضوع التوجو سيسبب فشل المؤتمر وسيقسم المشتركين فيه الى كتلتين احداهما بزعامة غانا التى ترى ضرورة دعوتها ، والاخرى بزعامة نيجيريا وغينيا ، اللتين تريان أن دعوة التوجو هى تأييد لمبدأ خطير هو الجلوس على مائدة واحدة مع من استخدموا الاغتيال السياسى وسيلة للوصول الى كراسى الحكم .

وسرى خبر آخر وهو أن المغرب لن تحضر المؤتمر ، ما دامت موريتانيا جالسة معها على نفس المائدة .

ويهمس بك هامس ، قائلا ان دول برازافيل ستدخل المؤتمر متضامنة لكى تحول دون وصوله الى تكوين لتنظيم سياسى بسيط على تنظيمهم وتجمعهم وبسبب ذوبانهم فى القارة .

وآخر يقول وهو يتلفت خلفه ان الولايات المتحدة هى التى وراء عقد هذا المؤتمر وأنها دفعت ملايين الدولارات لامبراطور أثيوبيا حتى يستطيع تكوين منظمة تجب كل تنظيم اقليمى بالقارة حتى تكون هى المحرك لها وبذلك تقضى على أى عائق يقف أمام تغلغلها فى القارة .

وانعقد مؤتمر وزراء الخارجية التمهيدى ، واحضر حفل الافتتاح ، وانقل البصر فى وجوه الحاضرين ، محاولا العثور على سماتهم بصورة ما سمعته فى خارج القاعة . ولكنى أسمع وأرى صورة أخرى . صورة توضح بأنهم شركاء فى الكفاح ضد الماضى وآلام الحاضر ، صورة تبشر بأن هناك شيئا حقيقيا سيخرج من هذا المؤتمر التمهيدى .

لم نكن نستطيع بناء على قرار المؤتمر ، دخول قاعته أو حضور لجانه ولكن كانت هناك بعض الانباء تتوارد علينا من مصادر مختلفة .

كان هناك نضال حقيقى بين غانا ونيجيريا بخصوص دعوة التوجو . وتذكر غانا أن الدعوة وجهت للتوجو كدولة أفريقية مستقلة ، حقيقة أنها كانت موجهة باسم الرئيس أوليمبو الراحل ولكن وفاته لا تنفى صفة الاستقلال عنها . ويؤيد غانا السنغال وداهومى والكاميرون ، وتقوم غينيا بدحض وجهة نظرهم ، ثم تنبرى نيجيريا ممثلة بوزير خارجيتها المستر واتشكو يهاجم الاغتيال السياسى والدول التى تقف خلفه ، ثم يتساءل كم دولة من الدول التى حضرت هذا المؤتمر بل من الدول التى تدافع عن حضور التوجو ممثلة فى رئيس دولتها جرونتسكى أو وزير خارجيتها اعترفت بهذا النظام وتبادلت معه التمثيل السياسى . وكان سؤالا محرجا ، وان حاولت بعض الدول كالسنغال وسيراليون دحضه الا أن المؤتمر أجل النظر فى قبول دعوة التوجو الى مؤتمر الرؤساء ، والذى بدوره لم يبد رأيها . وكان الشعور بضرورة انجاح المؤتمر وانجاز ما هو أهم ، هو الدافع الاساسى لعدم اعطاء هذا الموضوع فرصة تمزيق صف المؤتمر ووحدته .

ويتقدم وزير خارجية ج ع م ، داعيا المؤتمر الى استخدام اللغات الافريقية كلغة رسمية للمؤتمرات الافريقية تنفيذا لقرارات مؤتمر اكرا سنة ١٩٥٨ ما دامت ستتوافر لها وسائل الترجمة . لان التعبير السليم عن أفريقية القارة هو التداول بلغاتها . ورغم

وجاهة هذا الاقتراح ، ومنطقه الطيب فى عدم جعل اللغتين الانجليزية والفرنسية همـــا اللغتان الرسميتان للمؤتمرات الافريقية ، وهما لغتا أكبر مستعمرين للقارة ، الا أنه لم يقابل بالتأييد . ولكن اصرار ج.ع.م. وتأييـــد بعض الدول وبالذات غينيا وضح فى اقرارها بل ســـدور ميثاق الوحـــدة الافريقيـــة باللغتين العربية والامهرية بجانب الانجليزية والفرنسية هو نجـــاح كبير وتقـــرير عملى لمبدأ ستعمل به القارة فى مؤتمراتها القادمة واتخاذ هذه اللغات الافريقية كلغة عمل .

وتواردت الانباء عن شكل التوحيد السياسى للقارة . فكانت هناك أخبار عن جهود وفد غانا فى تحقيق الوحدة السياسية كما يراها نكروما والتى ترمى الى انشـاء برلمـان ذى مجلسين وحكومة مركزية واحدة ونقد واحد وتمثيل خارجى موحد والأخبار أخرى تشير الى عدم ترحيب غالبية الدول بهذه القفزة السريعة التى يبتغيها نكروما مؤثرة أن تتدرج الوحدة السياسيـــة فى خطوات مدروســـة مرسومة وأن يعمل التاريخ وحتميته عـلى تحقيقها .. وازاء كثرة المناقشات فى شكل الوحدة وتنظيمها وأجهزتها ، اتفق الوزراء على اصدار بيان بانشاء منظمة لها أهـداف ومبادىء على أن يقرر شكلها النهائى فى مؤتمر آخر . ولكن الرؤســـاء فى مؤتمرهم كانوا أكثـــر فعالية ، فصمموا ونجحوا فى تكوين المنظمة واعلان ميثاقها والتوقيع عليه .

وكان اسم المنظمة مثار جـدل طـريف فى المؤتمر ، اذ كان وزير خارجية ملجاش يصمم فى كل مناسبة أن يذكر اسم « الدول الافريقية وملجاش » . وجاهدت بعض الوفـــود فى استرضائه وأن يوافق على جعلهـــا الدول الافريقيـــة المستقلة فقط باعتبـــار ملجاش احدى دول القارة . ولكنه كان يعيد الـكرة مرة أخـــرى ليذكر المؤتمر باسم ملجاش . ويقوم وزير خارجية غينيا ويرجـوه بالحاح أن هذا التصميم سيسبب متاعب كثيرة لأى مؤتمر افريقى ، لأن وضـــع اسم ملجاش يستدعى وضع اسم جزيرة زنزبار وما يقرب من اثنين وخمسين جزيرة أخرى تقع حـول القارة عندما تحصل كل منها على الاستقلال وتنضم الى المنظمة .

ولعل الشعور بالكفاح لتحرير أبناء القارة من السيطرة الاستعمارية والسيطرة العنصرية هو ما جعل المؤتمر يصل الى القرارات الخاصة بانهاء الاستعمار والقضـــاء على التفرقة العنصرية بشـــكل شـــبه اجماعى فى زمن قصير . وكان الشىء الذى استرعى الانظار هو تقريرهم لتنفيذ اجراءات عمليـــة من مساهمة مادية وبشرية فى سبيل تحقيق هذين الهـدفين .

ويبدأ مؤتمر وزراء الخارجية فى انهـــاء أعماله تمهيدا لعرض ما وصل اليه عـــلى الرؤساء . ويعطى لنفسه راحة نصف يوم تمهيدا لحفل افتتاح مؤتمر القمة فى الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاربعـاء ٢٢ مايو سنة ١٩٦٣ .

وكان حفل الافتتاح رائعا . انى أرى أمامى زعماء هـــذه القارة جميعـــا ... بن بيللا بجوار رئيس جمهورية الفولتا بجوار الرئيس جمال عبد الناصر . ونكروما يجلس بجـوار سيكوتورى بجـــوار هوفيه بوانييه . فما أجملها صورة للقارة ممثلة على هذه المائدة . لم يكن هناك سوى مقعـــدين خاليين ممن يشغلهما . التوجو والتى لم تحضر كليـــة والمغرب التى لم يحضر ملكها او من ينوب عنه احتجاجا على وجود موريتانيا .

وتواردت خطب الرؤساء مفتتحة بالرئيس تابمان ، الذى عبر عن الوحـــدة الافريقيـــة وقيمتها فى دفع القارة الافريقية للامام بقصة طريفة ووقف مع أحد رؤساء قبائل بلاده ، عندما طلب منه العمل على توحيد قبـــائل ليبريا . فذكر أن الزعيم سأله لو كان فى هذه الحجرة عشر أفراد ودخل ثعبان عليهم فماذا كانوا يفعلون فرد عليه « لقام العشرة الافراد ، وانهالوا عليه ضربا حتى أماتوه » ، فرد زعيم القبيلة قائلا : **« واذا دخل بدل الثعبان عشرة ثعـابين فى وقت واحد فأجاب تابمان لهربوا جميعا أمام هذه القوة »** .

وافتتح سيكوتورى خطب اليـــوم التالى بعرض قوي تتمثل فيه حرارة الشباب عن

مشكلات القارة وضرورة حلها . ويأتى الرئيس جمال عبد الناصر بخطاب أحسن ما وصف به أنه مثال للـ States mans ship بل اعتبر الجميع حتى المعارضين له أن فقرته الخاصة باسرائيل هى من خير ما قاله للمؤتمر . وأن استطاع أن يحمل الدول الافريقية مسئولية اكتشاف حقيقة اسرائيل وزيفها . واثقا من ان عملها المبنى عن الحرية هو الوسيلة لذلك . وكان من أطرف الخطباء رئيس جمهورية ملجاش الذى كثيرا ما كان يترك خطابه المكتوب ويخاطب الحاضرين قائلا « بين قوسين » لكى يعطى أمثلة لما تعانيه القارة من مشكلات خاصة فى المواصلات . ذكر أنه اتصل من أوغنده بدار السلام تليفونيا عن طريق لندن . واضطر للسفر مرة من نيجيريا الى غينيا عن طريق باريس .

ويقوم أوبوتى ويعطى انذارا خطيرا ، انه على الدول الافريقية قطع علاقاتها مع بريطانيا اذا سلمت روديسيا الجنوبية للمستوطنين البيض .

ولم ينس المؤتمر سلامة القارة وأمنها ، فحارب التجارب الذرية مؤكدا تحييد القارة من أية تجارب تقام على أراضيها ، بل نادى بالتمسك بسياسة عدم الانحياز كوسيلة لتقارب الكتلتين الكبيرتين لما فى ذلك من خير للبشرية والسلام . وهنا يبرز سؤال ، وما وضع القواعد العسكرية فى القارة والتى أقيمت بناء على معاهدات سابقة ؟ . لقد أظهر المؤتمر روحا عدائية ضدها ويصيح مندوب فولتا العليا مؤكدا ضرورة زوالها ، ومن وسط القارة أى من افريقيا الوسطى يخرج صوت آخر يؤكد هذه الصيحة . ولكن تراجع البعض أمام هذا التيار الجارف ، مبينا انه من المستحسن جلاء هذه القواعد بالطرق السلمية ، وان هذا هو ماستسعى اليه الدول المرتبطة بمثل هذه المعاهدات .

ويأتى دور الاقتصاد فى تحقيق رفاهية الفرد الافريقى ، ويجمع الكل على ضرورة تكتل القارة لحماية منتجاتها وخيراتها ، والوقوف أمام أطماع الدول الكبرى فى غبط حق الدول الافريقية فى أسعار محاصيلها .

وكان التصميم جارفا بضرورة تحسين شروط التجارة الدولية حتى تستطيع الدول أن تحصل على عملة أجنبية تساعدها على اقامة مشاريع التنمية . ويثور جدل طريف بين بعض الدول على رأسها ملجاش والسنغال تعطى الاولوية للمساعدات الاجنبية كأداة لتمويل مشروعات التنمية وبعض الدول الاخرى وعلى رأسها ج ع م وغانا وغينيا تصمم على أن تكون الاولوية لحصيلة صادرات القارة الافريقية ، وبذلك تتحرر القارة من قيود الشروط والارتباطات والاعباء التى تترتب على هذه المساعدات . وينتصر الرأى الاخير ، بل ويندفع وزير خارجية الكونغو ويسأل المؤتمر كيف يتكلم عن تنسيق السياسات الاقتصادية بين الدول الافريقية ، والاقتصاد الوطنى فى أيدى أجانب عن القارة وأنه من المنطق تحرير الاقتصاد الوطنى قبل أية خطوة تجريها الدول .

وذا كان المؤتمر قد عقد على مستوى الدول الافريقية المستقلة ، فانه لم ينس الشعوب المكافحة للتحرر .

هكذا كانت الروح فى أديس أبابا . خرج الجميع متكاتفين واضعين مصلحة القارة فوق أى مصلحة فردية . وانبثق ميثاق أديس أبابا منسقا لمنظمة الوحدة الافريقية موقعا عليه ثلاثون رئيس دولة .. حاملا أمل القارة فى الوصول الى ما تصبو اليه . وعاد الجميع الى بلادهم ، وكلهم عزم على تحقيق بنود الميثاق وقرارات المؤتمر . وعدت أيضا الى مكتبى وأنا أتذكر كلمة الرئيس نيريرى أن هذا الميثاق هو لبنة أولى فى بناء القارة وأتذكر كلمة الرئيس جمال عبد الناصر عن الميثاق « فليكن أى شىء » ، ولكن شيئا حقيقيا وراءه عقل منظم حساس للارادة الافريقية الحرة الواحدة عقل يملك الحكمة والشجاعة معا .. يقاتل كبناء ، ويبنى كمقاتل ، يقاتل بمقدرة البناء وصبره ، ويبنى بحماس المقاتل واندفاعه . وأعصاب تملك الجرأة والخيال ، تواجه المخاطر وتملك الارتفاع برؤياها لترى الآفاق الواسعة والجديدة لامكانيات التطور الخلاق » .

التغيير الحقيقي الذي طرأ على أفريقية

بعد مؤتمر القمة في أديس أبابا

كل من يعرف مدينة اديس ابابا ، عاصمة اثيوبيا ، كان يستطيع أن يدرك أن تغييرا هاما وقع فى حياتها ، مطارها تغير ، وشوارعها لم تعد هى هى ، وملامحها دخلت عليها عناصر جديدة .

هذا التغيير نفسه حدث أيضا فى افريقيا ، فى الواحد والثلاثين دولة التى حضرت الى مؤتمر القمة التاريخى ، فالذين يعرفون أفريقيا ونسيج الحياة السياسية فيها أمكنهم ان يدركوا ان تغييرا هاما وقع فى حياتها ، ولقد اجمع اكثر من عشر رؤساء فى خطبهم التى ألقوها فى أديس ابابا ان هذه « مرحلة تاريخية » فقد تغيرت كثير من ملامح القارة ودخلت عليها عناصر جديدة .

ابرز صفات المؤتمر :

ولعل أول هذه التغييرات ، أن المؤتمر نجح فى تصفية كثير من الخلافات القديمة وتذويب الانقسامات التى كانت رغم حداثة عهدها بالقارة — تحفر لنفسها خنادق فاصلة تزداد عمقا يوما بعد يوم . فقد انتهى فى هذا المؤتمر نهائيا استخدام كلمة كتلة مونروفيا وكتلة الدار البيضاء ، ومجموعة برازافيل — وحلت محلها منظمة أفريقية واحدة . وبدأت الدول الافريقية طريقا جديدا من التعاون الخلاق بينها على مستوى القارة .

بل اكثر من هذا — ذابت جميع الخلافات الشخصية ، أو الثنائية بين بعض القادة والدول .

فقد حدث أثناء المؤتمر ، بعد ان انهى موديبوكيتا رئيس جمهورية مالى خطابه فى الجلسة الخامسة لاجتماع الاقطاب ، ان ترك ليوبولد سنجور رئيس السنجال ورئيس هذه الجلسة بالذات ، كرسى الرئاسة وتوجه الى منصة الخطابة وعانق موديبوكيتا ، ثم تصافح الاثنان وسط عاصفة شديدة من التصفيق .

وكان مشهدا مثيرا ، فقد كانت هذه هى أول مرة يتصافح فيها الرئيسان منذ ٣ سنوات عندما انفصلت السنجال عن اتحاد مالى الذى كان يتألف من السنجال ومالى (السودان الفرنسى سابقا) .

كذلك فقد لاحظ المراقبون ان المؤتمر اتاح الفرصة لعودة العلاقات بين تونس والجزائر الى مجراها الطبيعى . فقد اتيحت الفرصة للرئيس الجزائرى احمد بن بيلا لكى يجتمع بالرئيس التونسى الحبيب بورقيبة ، واجراء مباحثات معه بشأن العلاقات التى كانت قد توترت وتعرضت لازمة فى أول هذا العام ، واتفق فى اثناء انعقاد المؤتمر على ان تعين الجزائر السيد على الاخضرى سفيرا لها فى تونس وان يعود السيد احمد المستيرى سفير تونس الى الجزائر .

خطوة مذهلة :

وقد كانت هذه الخطوة فى حد ذاتها مذهلة عبرت عنها الصحف الفرنسية بقولها :

« لقد قفزت افريقيا فى يوم واحد الى مصاف الدول التى تقف ندا لاعظم التكتلات الاقتصادية والسياسية فى العالم . وسوف يكون لها دورها الحاسم ، وأثرها البعيد المدى على تطور الاحداث الدولية .

وقالت مجلة « نيوزويك » الامريكية ، التى عرفت طوال تاريخها باستعلائها على افريقيا والافريقيين ، حتى منعت اكثر من مرة من دخول اكثر من بلد : « انه من المذهل ان تحاول ٣٠ دولة مختلفة فى تاريخها ولغتها ودينها وتنظيمها وتقاليدها الاستعمارية الوصول الى نتيجة على نطاق كبير مثل مؤتمر اديس ابابا ، وان تتوحد هذه القارة التى تضم نحو ٢٥٠ مليون نسمة ، فى مساحة تبلغ ٤ اضعاف الولايات المتحدة والتى لم تحصل دولها على استقلالها باستثناء عدد قليل منها ـ الا منذ أقل من خمس سنوات »

ولكن المؤتمر مضى فى مناقشاته ، حتى اختتمها ـ على حد تعبير السفير ديالوتيللى (غينيا) الذى رأس لجنة تصفية الاستعمار ونزع السلاح ـ فى جو من الحماس والاجماع بلغ حدا يفوق ما كان يأمله اكثر المتفائلين .

جهود الامبراطور :

ولا شك ان فضلا كبيرا فى نجاح المؤتمر يعود الى الامبراطور هيلا سلاسى امبراطور الحبشة شخصيا ، والى جهوده التى لم تكل لحظة فى سبيل توفير كل اسباب النجاح للمؤتمر ولراحة الرؤساء والاعضاء والصحفيين .

فقد بذل الامبراطور جهدا خلاقا لكى يمضى العمل طوال اجتماع الاقطاب مثل الساعة الكرونومتر ، فقد درست كل التفاصيل بعناية بالغة ، وأمضى الامبراطور ثلاثة ايام كاملة فى المطار يومين لاستقبال الرؤساء ويوما لتوديعهم . مارا بمراسيم التكريم والوداع اللازمة تحت لفحة الشمس وحرارتها .

وقد اثنى جميع الرؤساء على مجهودات الامبراطور الشخصية ، وعلى سهره على راحتهم وحرصه على تكليل اعمالهم بالنجاح .

وقال الرئيس جمال عبد الناصر :

« اذا كان بينكم ـ ايها الاصدقاء ـ من ابدى اعجابه فى هذه القاعة بكرم هذا الشعب الاثيوبى المجيد ، الذى استضاف هذا المؤتمر فى بيته ، وبدقة التنظيم التى بذلت كل جهدها ليتمكن المؤتمر من انجاز مهمته فى سهولة ويسر ـ فلقد سبق لنا منذ سنين بعيدة قديمة قدم التاريخ الانسانى ان عرفنا كرم هذا البلد ودقة نظامه ، يجيىء الينا فيضانا فى كل عام مع مجرى النيل الخلاق . ويجيىء الينا فى موعده دائما ، لا يتخلف عنه ولايتأخر هكذا اثيوبيا . ارضها وشعبها وامبراطورها الذى اعطى لهذا المؤتمر من رعايته وجهده ما نراه جميعا ونقدره ونقابله بالشكر والعرفان العميق » .

السيمفونية الرائعة :

والواقع ان كلمة الامبراطور كانت بمثابة اللحن الاول فى سيمفونية رائعة فهى التى رسمت الطريق وحددت نغمة المؤتمر كله . « والتمبو » الذى سار عليه فقد قال الامبراطور ان هذا المؤتمر لايمكن ان ينهى اعماله دون ان نتفق على ميثاق افريقى واحد ولا يمكن ان نغادر هذه القاعة قبل ان نكون قد اقمنا منظمة افريقية واحدة . فاذا نحن فشلنا فى ذلك نكون قد خنا الامانة التىحملتنا اياها الشعوب التى نتشرف بقيادتها . واذا نجحنا فعندئذ وعندئذ فقط ، نكون قد اعطينا لوجودنا هنا حقا ومعنى .

نسمة الحرية :

وقد اتفق المراقبون الدبلوماسيون على ان خطاب الامبراطور كان أبلغ خطاب القاه منذ أن وقف امام عصبة الامم منذ ٢٨ عاما يناشدها مساعدته على استرداد اثيوبيا من الغزاة الايطاليين .

وقد أخذ الكثير من الرؤساء احدى النقاط التى اثارها الامبراطور فى خطابه واضافوا اليها تحليلاتهم وتجاربهم . فقد قال الامبراطور : انه مالم تتدعم الحرية

السياسية التى طال نضال الافريقيين من اجلها بالتطور الاقتصادى والاجتماعى فقد تتبدد نسمة الحرية » .

الصراحة المطلقة :

ومضت مناقشات المؤتمر بعد ذلك ، وخطب الرؤساء فى جو تسوده الصراحة المطلقة بقدر ما يحكمه المنطق العملى . فقد قال الرئيس فيليبير تسيرانانا رئيس جمهورية ملجاش (مدغشقر) : « لاخير فى ان نجيىء الى هنا ولا نقول الكلام الذى نقوله فيما بيننا فى حجراتنا المغلقة . اننا لن نصل الى نتيجة الا اذا فاتحنا كل منا الاخر ، وصارحنا بعضنا البعض ، بكل ما يدور فى اذهاننا » .

وقد جاءت المبادىء السبعة الاساسية التى أقرها واكدها ميثاق اديس ابابا مصداقا لهذه الصراحة والروح العملية ، فقد تضمن احترام سيادة كافة الدول وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، واستهجان محاولات القتل ، والاغتيالات السياسية وكذا جميع الاعمال الهدامة التى تقترف فى حق أى بلد مجاور كما حوى التسوية السلمية التى تستبعد التدخل العسكرى بكافة صوره لجميع المنازعات او الخلافات .

طريق الشوك :

والامر الذى أذهل المراقبين الغربيين بصفة خاصة ، هو ذلك الاجماع الغريب الذى تمت به قرارات المؤتمر . فقد ظل كافة المعلقين السياسيين يكررون قبل وأثناء المؤتمر ان الوحدة الافريقية — اقتصادية كانت ام سياسية — تعد « ضربا من الخيال لايمكن » تحقيقه وقال معظمهم ان فى ربوع القارة توجد عوامل من شأنها ان تفرق بين صفوف شعبها .

ولكن شيئا واحدا جمع هؤلاء الرؤساء . عبر عنه الرئيس عبد الناصر بقوله « ان مجرد انعقاد هذا المؤتمر دليل على وجود ارادة افريقية حرة وواحدة ، فنحن لم نصل الى هنا صدفة ولا وصلنا بسرعة وانما جئنا من طرق عدة ، واستغرق مجيئنا محاولات تمكنت اخيرا من تحقيق نفسها لانها تصدر عن نداء بالوحدة غلاب ، لانستطيع مقاومته ، ولااستطاع غيرنا ان يصدنا عنه .

فلا شك ان نداء الوحدة هذا هو الذى حدد اتجاه المؤتمر كله ولا شك ايضا ان الطريق الى المؤتمر لم يكن سهلا ولا ممهدا بل عبر الرؤساء على الخنادق المحفورة ، وساروا على الشوك وضربوا بصنوف الضغط الخارجى عرض الحائط . واستجابوا لارادة شعوبهم .

خطوات الى الامام :

ولقد خطت عدة دول عرفت بانها «محافظة» و « معتدلة » خطوات واسعة الى الامام مثال ذلك نيجيريا .

ان نيجيريا دولة من دول الكمنولث ولها التزامات تجاهه ، وتنظر اليها الدوائر المحافظة فى بريطانيا على انها « عاملة الاستقرار فى افريقيا » او بمعنى ادق تنظر اليها الدوائر المحافظة فى بريطانيا على انها تفضل طريق الاعتدال والتطور ، ولا تفكر فى طريق الثورة وهو الطريق الذى — لو اتبعته — لهز مصالح بريطانيا مباشرة .

اما غانا فتنظر اليها نفس هذه الدوائر المحافظة على انها دولة « بلشفية » فاذا بنيجيريا هى التى تنضم الى لجنة الدول التسع لتصفية الاستعمار وتحرير القارة ، وهى اللجنة التى ستشرف على الصندوق الخاص بالتحرير (وتتكون من اثيوبيا والجزائر والجمهورية العربية المتحدة واوغندا وتنجانيقا والكونجو والسنجال ونيجيريا) .

اى ان التى سوف تشرف على هذا الصندوق — كما يقول كولين اليجوم خبير الشئون الافريقية بصحيفة الاوبزرفر — ثلاث دول اعضاء فى الكمنولث ، وسوف يكون مقره فى احدى عواصم دول الكمنولث وهى دار السلام .

والمعروف ان الصندوق سوف يستخدم فى أهداف معادية لمصالح بريطانيا تماما ، ولمعاونة

القوى الوطنية فى المناطق التى لبريطانيا فيها نفوذ ، مثل روديسيا الجنوبية ، وفى مناطق اخرى تربطها ببريطانيا روابط تاريخية قوية مثل جنوب افريقيا ومستعمرات البرتغال .

وقد حدد تفاوا باليوا رئيس وزراء اتحاد نيجيريا الفيدرالى ، موقف نيجيريا من عدة قضايا حية فى افريقيا ، فقد اعلن باليوا انه فيما يختص بالاستعمار والتفرقة العنصرية فان نيجيريا لايمكن ان تقدم اية تنازلات وانها مستعدة للمضى الى اخر مدى فى محاربتهما.

كذلك فقد اعلن رأيه فى المساعدات الخارجية ، وانه ما من معونة اجنبية الا وتصاحبها شروط . وانه ينبغى الا تكرر الدول الافريقية الخطأ نفسه الذى ترتكبه الدول الاستعمارية ، وذلك بان تملى شروطها على الحركات الوطنية التى تتلقى المساعدات أى انه نادى بمنح الحركات الوطنية المساعدات بلا اية شروط او لون من الوان الضغط .

اقوى من الدين :

كذلك فقد عدلت كثير من الدول « الفرانكوفون » أو التى تتكلم الفرنسية عن موقفها بدافع نداء الوحدة الغلاب وبتأثير واضح من ضغط الاتجاهات الشعبية الجارفة

فقد دأبت الصحف الباريسية تقول انعدد الدول التى تتخذ موقفا موحدا عند اى عملية فيها اخذ للاصوات هو ١٣ دولة من ٢٩ حاضرين . وظلت تصفها ــ وكأنها توحى اليها ــ بانها كتلة متماسكة وانه لا معنى لان تتنازل عن تعاونها فى سبيل الاندماج فى المجموعة الكبرى وراحت تحذرها من الانفصال عن السوق الاوروبية حتى لا تخسر افضلياتها التجارية على أوروبا ومكانها الخاص مع فرنسا .

وقد كان لاكثر من دولة فى المجموعة الفرنسية مواقف ثورية جريئة .

ليوبولد سنجور رئيس جمهورية السنجال وقف لينادى باندماج المجموعات الافريقيةكلها فى مجموعة واحدة ، قراراتها ملزمة للدول الاعضاء ، كما طالب بفرض حصار اقتصادى منظم على جنوب افريقيا . ولم ينادى « بالتدريج » او « المعالجة العملية للامور » او الحذر الشديد والمضى خطوة خطوة فقد قال ان الذى يربط افريقيا شىء اكثر من الجغرافيا واقوى من الدين او اللغة . ان الذى يربط افريقيا هو « الروح الافريقية »

.. الرئيس فيليبير تسيرانانا رئيس جمهورية ملجاش ، قال : ان شعب الملجاش تربطه هذه الرغبة الدافقة فى الوحدة مع افريقيا برغم انفصال مدغشقر الجسدى عن القارة الافريقية .

.. موريس ماميوجو ، رئيس جمهورية فولتا العليا ، قال : انه ينبغى تحقيق الوحدة فورا دون انتظار ، واستحوذ على اعجاب الكثيرين لموقفه الجرىء .

.. **ليون مبا ، رئيس جمهورية جابون ، أغنى** المناطق الفرنسية الاستوائية الاربع«الكونجو برازافيل ــ وتشاد وجمهورية افريقيا الوسطى » التى دأب الكتاب على اتهامها بانها لا تريد الوحدة لانها غنية ولا تبغى ان تتقاسم غناها مع الاقاليم الاقل حظا ، قال : انه لابد ان نتخذ موقفا ثوريا من قضية تحرير الافريقيين الذين لا يزالون غير احرار ، وموقفا تطوريا من قضية انشاء الاجهزة التى سترتبط بين بلاد القارة .

وقد جاءت هذه الدول الفرنسية كلها ــ على حد تعبير محمد فايق مدير الشئون الافريقية بالرياسة وذهنها مفتوح لاى اقتراح ومستعدة لان تبذل الكثير فى سبيل تحقيق الوحدة الشاملة .

الثورة الافقية والرأسية :

كذلك فان تذويب الفوارق بين الكتل السياسية ، وسد الخنادق ، خلق تقاربا واعاد العلاقات الودية التقليدية بين غينيا ومالى وبين هذه المجموعة الفرنسية الملجاشية .

وهذا يحقق نظرية سيكوتورى فى هذه المرحلة التاريخية من افريقيا فهو يؤمن بان الدول التقدمية الايطالية لا يمكنها أن تمضى فى الثورة وحدها ، ولا يمكن ان تمضى فى

خطوط عمودية راسية الى أعلى والا لكان معنى ذلك ان تسبق بعض الدول الاخرى التى طابعها الاعتدال والتطور .

وهذا فى رأى سيكوتورى - **معناه ان** تصبح بعض الدول المعزولة عن البعض الاخر وهو يرى أن الثورة فى افريقيا وصلت - طبقا لنظرية المد والجزر - الى قمة المد فى سنة ١٩٦٠ ، ثم اصابها بعض الجزر خلال السنتين الماضيتين . وهذا هو السبب الحقيقى فى انه وجدنا فى افريقيا « كتلا » منفصلة ، لا لشيء الا لاختلاف سرعة الثورة فيها .

ويرى سيكوتورى انه لابد للثورة ان يتسع نطاقها على مستوى افقى ثم تمضى فى عملية « المد » فى خطوط افقية متساوية الى الامام سويا وفى وقت واحد .

وهذا ما حققه مبدئيا مؤتمر القمة فى اديس ابابا ، فقد توحدت فيه كلمة افريقيا حتى تمضى فى عملية المد الى الامام باندفاع كامل ، فى خطوط افقية متساوية الى الامام .

ظهور شرق القارة :

ولعل من نتائج المؤتمر الهامة ، ظهور قوى جديدة سيحسب لها حساب فى أى تقدير او تقويم جديد لافريقيا مثل ظهور شرق القارة على مسرح الاحداث ولعبها دورا ايجابيا مؤثرا فى المؤتمر .

فقد برزت تنجانيقا ، واوغندا ، واثيوبيا والسودان بادوار ايجابية .

قال يوليوس نيريرى رئيس تنجانيقا : « قد يقول البعض أن ميثاقنا ليس ثوريا بما فيه الكفاية ولكنه « الطوبة » الاولى فى البناء « والطوبة » الاولى لها مدى معين ولكنها ستتبعها خطوات اخرى حتى يكتمل البناء »

وقال ميلتون اوبوتى رئيس اوغندا : « اننا لم نجيء الى هنا لنتفق على ان نجتمع مرة اخرى فقط . ان هذا سيخيب امل شعوبنا فينا » وحبذ اوبوتى تشكيل « سلطة» مركزية قوية واصدار قرارات جريئة ، وعرض ارض بلاده لتكون قاعدة لتدريب الثوار على تحرير بقية المناطق فى افريقيا ، ومقاطعة بريطانيا « واذنابها » اذا ما سمحت لروديسيا الجنوبية بالاستقلال .

واقترح الرئيس عبود ، بنكا افريقيا مشتركا وصندوقا خاصا لتحرير افريقيا ومقاطعة جنوب افريقيا مقاطعة تامة سياسية وتجارية واقتصادية .

وكان التزام السودان بسياسة افريقيا مبعثا لسعادة الكثيرين . الذين كانوا ينتظرون دائما من السودان الذى ظل بعيدا عن الكتل القديمة كلها ان يجد فى المنظمة الجديدة حافزا له على انتهاج سياسة افريقية ثورية ايجابية وتقدمية .

تنفيذ القرارات :

وبعد :

فلقد اجمع المراقبون الحاضرون جميعا على نجاح المؤتمر نجاحا لم يتوقعه اكثر الحالمين تفاؤلا ، ليس فى اجتماع الاقطاب جميعا فى اديس ابابا وحسب ، وانما فى اتفاقهم على كل هذه القرارات الحاسمة وخروجهم بها فى صوت اجماعى واحد . وقد بديء بالفعل فى تنفيذ هذه القرارات .

وفى خلال هذا الشهر وحده تجتمع فى دار السلام لجنة تصفية الاستعمار وصندوق تحرير المناطق التى لم تتحرر بعد لبدء العمل .

فيجتمع فى الخرطوم وزراء المالية لانشاء بنك افريقى للتنمية .

ويجتمع فى داكار وزراء الخارجية لاختيار **مقر المنظمة وسكرتيرها العام وجهازها الادارى.**

وفى كل عاصمة افريقية صرح الرؤساء **بأنهم سينفذون قرارات المؤتمر العملية والرائعة .**

وقد كان الغرب يشكك فى امكان تحقيق ذلك فى الماضى بل ظل يشكك فيه أثناء انعقاد المؤتمر ، قائلا ان قراراته تحتاج الى سنوات لتحقيقها . ومرة اخرى سيخيب ظنه وستنتصر على حد تعبير الرئيس نيريرى - صلوات ابناء افريقيا لنجاح قارتهم على صلوات اعدائها لفشلها .

م . ح .



الجمهورية العربية المتحدة وتنمية الاقتصاد الافريقى

للدكتور راشد البراوى

اذا كانت ١٩٦٠ سنة حاسـمة فى تاريخ النضال القـومى الافريقى حيث انتزعت مجموعة كبيرة من دول القـارة الاعتراف باستقلالها وراحت تنهض بمسئولياتها فى داخل الامم المتحدة وخارجها وترسم الخطط الكفيلة بنموها الاقتصادى والاجتمـاعى ، فان عام ١٩٦٣ سيدخل فى كتاب التاريخ بوصفه مرحلة حاسمة فى السعى الافريقى نحو الوحـدة القادرة على دفع عجلة التقدم فى القارة وعلى أن تجعل منها قوة لها وزنها فى المصير الافريقى والمجال الدولى . ففى الثلث الاخير من مايو اجتمع مؤتمر الذروة فى أديس أبابا حيث وقع الرؤساء الميثـاق الذى يرسى الاسس التى سوف يقوم عليها صرح الوحدة فى المستقبل .

ولابد أن يسترعى النظر والاهتمام ما اشتمل عليه الميثاق من النصوص المتعلقة بالتعاون فى الميدان الاقتصادى ، وما من شك أن النجاح فى هذه الناحية سوف يضع أمام الشعوب الافريقية دليلا ماديا ملموسا عن الخير الذى يتحقق اذا ما تدعم هذا التعاون واتسـع نطاقه . وهذا التعاون عملية ديناميكية تسهم فيها كل دولة بقدر معلوم ، ومن مجموع هذه المساهمات الفردية فى ظاهرها يتكون رصـيد ضخم من مقومات التقدم وعناصره ؛ وهنـا نعتقد أن أمام الجمهورية العربية المتحـدة دورا له أهميته وأنها بالفعـل قادرة على النهوض به وفى أكثـر من ناحيـة مادية وتكنولوجية .

لقد فرض الاستعمار على القارة ضربين من الاستغلال الزراعى ، أحدهما ما يعرف باسم الزراعة الاوربية فى المناطق التى يملكها أو يتولى استغلالها الاوروبيون ، وهنـا وحيث تستخدم الاساليب الحديثة يوجـه الاهتمام الى انتاج غلات معينة بهدف التصدير حيث الطلب عليها فى البلاد الصناعية . أما الضرب الآخر فهو الزراعة التى يمارسها الوطنيـون

والغاية منها انتاج المواد الغذائيــة اللازمة لمعاشهم ، ولكن انتاجية الارض ضئيلة بسبب تأخر الاساليب والمعدات . وثمة بلاد عدة في القارة تفتقر فيها الزراعة الى الوســـائل الكفيلة بضبط الموارد المائية والسيطرة عليها واستغلالها ، عن طــريق اقامة الســدود والخزانات وشق الترع والقنوات والمسيلات المائية . والظاهرة التى تلفت النظر حقيقــة وتبعث على الاسف بالفعل ما اتسم به العهد الاستعمارى من اغفال متعمد لتربية الكادرات الفنية اللازمة ، ولهذا فان أشد ما تحتـــاج اليه البلاد الافريقية هو الخبرة الفنية . وفى هذا المجال يتضح الدور الذى تســـتطيع الجمهورية العربية المتحدة القيام به . فهذا البلد ذو خبرة طويلة وواسعة فى شئون الرى والزراعة ، ففيه أقيم عدد كبير من منشــئات الرى الكبرى بل ان خبراءها ليقــومون الآن بتنفيذ أضخم مشروع فى القـــارة ، ذلك هو السد العالى . هنا تستطيع هذه الجمهورية أن تضع خبرتها تحت تصرف شــقيقاتها فى القارة ، فتبعث بالعدد الكافى من مهندسى الرى والمتخصصين فى الشــئون الزراعيــة والبيطرية . ان لدينا عـــددا ضخما من المدرسين الذين يسهمون مساهمة فعــالة فى دعم النهضة التعليمية فى أكثر من بلد عربى ، وفى وسعنا أن نزود الشقيقات الافريقيـــات بعدد ضخم من المتخصصين فى النواحى المؤدية الى تحقيق التنمية الزراعية .

وما يصدق على الزراعة ينطبق على غيرها كالمواصلات والانشاءات والصـــناعة وادارة المشروعات المختلفة ، ولقد قدمت الجمهورية العربية المتحدة بالفعل خبرتها فى هذه النواحى الى عدد من البلاد الافريقيـــة مثـــل مالى والصومال بمقتضى اتفاقيات عقدت مع هـــذه البلاد ، ويجرى تنفيذها الان بدقة واخلاص وحماس .

ولا يقف الامر عند هذا الحد ، بل المعروف أن أبواب معاهدنا على اختـــلاف أنواعها ومراتبها مفتوحة أمام الابناء الافريقيين ، وقد منحنا المنح الدراسية لحـــوالى ثلاثة آلاف منهم . وهذا الباب يجب أن يزداد اتســـاعا فتقوم مكاتبنا الثقافية فى البلاد الافريقيـــة (ونطالب بالتوسع فيها ودعمها) بأن تضــع صورة واضحة لامكانياتنا الثقافية وأن تعقد الاتفاقات بشأن الاكثار من المبعوثين الافريقيين الى معاهدنا ، على أن تدرس أولا وقبل كل شيء النواحى التى تزيد فيها حاجة كل بلد أفريقى طبقا لظروف وحسب الخطط التى يعدها لتحقيق التنمية الاقتصادية . واذا قيل أن لغة التدريس فى معاهدنا وهى العربية قد تشكل عقبة بالنسبة الى أبناء البلاد الافريقية التى تسودها اللغة الانجليزية أو الفرنسية ، فان هذه عقبة يمكن التغلب عليهـا بوسائل عدة نشير الى بعضها :

(أولا) أن نخصص — اذا أمــكن ذلك — شعبا معينة فى بعض كلياتنا ومعاهدنا العالية ليكون التدريس فيها ، على الاقل خلال العام الاول أو العــامين الاولين ، بالانجليزية أو الفرنسـية اذا توافر عــدد كاف من الطلاب ، وفى الوقت نفسه يوجه الاهتمـــام خلال الفترة الى تعليمهم اللغـــة العربية .

(ثانيا) أن نفتح فى مختلف البلاد الافريقية فصولا ولو مسائية وتزود بالاكفــاء من المدرسين ، لتعليم اللغة العربية ، ويلتحق بهذه الفصول الطلاب الذين يتم الاتفـــاق عــلى تلقيهم العلم بالجمهورية العربية المتحدة ، واذا وفدوا الى ديارنا أعددنا لهم دراسات كثيفة فى اللغة العربية لفترة معينة وأن نهيىء لهم البيئة المعاشية التى تمكنهم من تعلم هذه اللغة بسرعة .

ان اللغة لا يمكن أن تكون مشكلة خطيرة ، وهذه حقيقة يثبتها هذا العدد الكبير من أبناء أفريقية فى معاهدنا ، كما يثبتها أيضـا نجاح أبنائنا الذين نبعث بهم الى ألمـانيا أو الاتحاد السوفييتى ، فلا ينقضى عليهم وقت محــدود حتى يصبحوا قادرين على مجاراة زملائهم من الالمان أو الروس فى الدراسة .

وأكثر من هذا فهناك جامعات ومعاهد عالية فى بلاد أفريقية عدة ، ويقوم بالتدريس فيها

أساتذة من الخارج . فاذا كان أساتذتنا يقومون بالتدريس فى جامعات ومعاهد ليبيا والجزائر والمغرب مثلا ففى وسعنا أن نطبق المبدأ ذاته بالنسبة الى بلاد مثل غانة ونيجيريا وغيرهما . بل نستطيع أن نسهم أو نتعاون مع بلاد عدة فى القارة على انشاء كليات ومعاهد لتدريس النواحى التى تحتاج اليها هذه البلدان ، ولنا خبرة فى هذا الميدان فى السودان الشقيق مثلا . وبهذه الوسائل التى أجملنا الاشارة اليها على سبيل المثال لا الحصر تلعب الجمهورية العربية المتحدة دورا بارزا وضروريا فى توفير الخبرة الفنية التى لا بد منها لكى يتحقق النمو الاقتصادى الافريقى .

ويعتبر التصنيع من الاسس الرئيسية فى خطط التنمية التى تعدها البلاد الافريقية فى الوقت الحاضر ، وهذا ميدان رحيب تستطيع الجمهورية العربية المتحدة أن تقدم فيه مساعدة لها قيمتها بسبب أسبقيتها فى الاخذ بأسباب الثورة الصناعية والنجاح الكبير الذى حققته هذه الثورة وبخاصة فى السنوات العشر الاخيرة مما كان موضع الاشادة من جانب الوفود الرسمية التى جاءت من مختلف البلاد الافريقية الينا . وفى مقدمة الصناعات التى تشغل فيها الجمهورية مكانا مرموقا غزل ونسج القطن والزيوت والصابون وعمل الاسمدة والاسمنت ، وهذه جميعا من الصناعات التى تتضمنها برامج التنمية فى البلاد الافريقية . ويمكن أن تتمثل المساعدة العربية فى الجوانب الآتية :

(أولا) توفير الخبرة الفنية لاقامة الصناعات التى يقع عليها الاختيار ، كما يحدث مع الصومال والجزائر .

(ثانيا) تقديم المواد الخام اللازمة لبعض الصناعات الضرورية كالقطن الخام مثلا .

(ثالثا) تقديم المعدات والآلات التى ننتجها أو التى نستطيع الحصول عليها من الخارج بشروط أفضل .

(رابعا) تقديم القروض للمساهمة فى تنفيذ بعض المشروعات الانتاجية ؛ وهذه سياسة طبقناها بالفعل .

وثمة ناحية يمكن أن تسفر عن نفع كبير ، ونقصد بها انشاء المشروعات الصناعية برأس مال مشترك . فلنفرض مثلا أن بلدا افريقيا يريد انشاء مصنع للغزل والنسج ولكن تنقصه الموارد المالية بسبب تعدد نواحي نشاطه ، ففى هذه الحالة يمكن أن تؤسس الشركة التى تضطلع بالتنفيذ برأس مال مشترك ، ويمكن أن يتخذ النصيب العربى من رأس المال صورة مواد خام أو آلات أو مبالغ نقدية يحتاج اليها المشروع . وليس معنى هذا ان يظل راس المال العربى حبيسا وانما يسترد على فترة من سنوات معينة ، ويمكن أن يعاد استثمار أرباح المشروع فضلا عما يسترد من رأس المال فى انشاء مشروعات صناعية أخرى وهكذا ، وما من شك أن هذه الوسيلة مظهر ملموس واضح من مظاهر التعاون الافريقى . ورأس المال العربى الذى سوف يضطلع بهذا الدور يختلف اختلافا جذريا عن رأس المال الاجنبى لانه خال تماما من النزعات الاستغلالية وانما هو يؤدى وظيفة للصالح الافريقى المشترك .

أضف الى هذا أن الكثير من البلاد الآن فى مختلف أرجاء العالم تنشىء المؤسسات الائتمانية ذات الطابع التخصص ، وعلى رأسها هيئات تمويل عمليات التصنيع . وفى معظم هذه الحالة اما أن يكون رأسمال المؤسسة التى من هذا القبيل عاما بصورة كلية واما أن يمثل رأس المال العام النسبة الغالبة ، وفى الحالة الاخيرة تستطيع الجمهورية العربية المتحدة أن تسهم بنصيب من رأس المال اللازم لمثل هذه المؤسسة ، فضلا عن خبرتها فى ادارة أمثال هذه المصارف أو الهيئات . ان اشتراك رأس المال الاجنبى فى بنك من هذا القبيل قد يخشى منه أن ينحرف بعملية التصنيع أو أن يقتصر على مجرد الاقراض ، وهذا ما لا يمكن أن يحدث فى حالة ما اذا كان الشريك هو رأس مال مصدره بلد أفريقى ، وليس هذا الاقتراح بالجديد أو البدعة فلنا سابقة طيبة ، اذ فى عام ١٩٥٦ وافقت الحكومة المصرية على المساهمة بنسبة معينة من رأس مال المصرف الصناعى الذى أريد انشاؤه فى سورية ، وهو

المشروع الذى نفذ بعد وحدة البلدين فى عام ١٩٥٨ وقام بعد انشائه بعمليات واسعة النطاق فى دعم الصناعات السورية وانشائها وبخاصة خلال الفترة ١٩٥٨ — ١٩٦١ .

ولم يعد خافيا أن التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تترك للارتجال وانما ينبغى أن تتم وفق مخططات مدروسة ، وهذا ما نلفاه واضحا فى الكثير من بلاد القارة . وهنا فانها تجد فى الجمهورية العربية المتحدة الحقل الذى جرت فيه تجارب من التخطيط منذ عام ١٩٥٣ ، وهى تجارب حققت نجاحا ظاهرا . وأهم من هذا أن هذه التجارب طبقت فى فلسفة تمتزج بين القطاعين العام والخاص مع رقابة الشعب على القطاعين معا . بل ان هذه التجارب طبقت حتى قبل اعلان القوانين الصادرة فى يوليه من عام ١٩٦١ ، ومعنى هذا أن تجاربنا فى التخطيط تمتاز بالمرونة التى تجعلها قابلة للتطبيق فى نظام تريد الدولة أن تقوم بدور ايجابى فعال ، بصورة كلية أو جزئية ، فى عملية التنمية الاقتصادية .

وثمة مسائل فى كثير من البلاد الافريقية تستوقف النظر :

١ — ففى بعضها أراض شاسعة مملوكة للاجانب من عهد الاستعمار أو لعناصر اقطاعية كبيرة ، وأنا لنسمع من المناطق التى يوجد فيها هذا الضرب من الملكية أصواتا تدعو الى ضرورة القيام باصلاح زراعى يستهدف العدالة فى التوزيع والكفاية فى الانتاج .

٢ — وهناك بلاد أفريقية قررت الاخذ بالفلسفة الاشتراكية مثل الجزائر أو قررت أن تطبقها كما صرح بذلك بالنسبة الى كينيا الزعيم جومو كنياتا أثر فوز حزبه فى الانتخابات النيابية التى أجريت فى أواخر مايو من العام الحالى .

٣ — ويتردد الحديث فى بلاد افريقية اخرى عن الدور الذى ينبغى أن تنهض به الدولة بالنسبة الى مختلف قطاعات الاقتصاد القومى ، وتتردد الاسئلة عن القطاعات التى تتولاها الدولة بصورة كلية والقطاعات التى تشترك فيها مع رأس المال الخاص ، والقطاعات التى يرى وجوب تركها للقطاع الخاص . وهذه أسئلة لها أهميتها حتى ولو لم يسر المجتمع وفق الفلسفة الاشتراكية تماما ، ونلقى اجابات عنها فى بلد او آخر .

فما الذى تستطيع الجمهورية العربية المتحدة أن تسهم به فى هذا كله ؟ الواقع أن لديها الكثير الذى تسهم به ونقصد به تجاربها الماضية وتجربتها الحالية القائمة على أساس الفلسفة الاشتراكية . فالميثاق الوطنى الذى قدمه الرئيس جمال عبدالناصر وأقره بالاجماع مؤتمر القوىالشعبية يتضمن الاجاباتالوافية والحلول الواقعية لامثال هذه الاسئلة وما فى حكمها . انه يتناول مشكلة الارض من ناحية العدالة والكفاية ويتحدث عن التعاون وأثره فى الانتاج . وهو يبين المرافق والصناعات التى يجب أن تدخل فى نطاق القطاع العام ، كليا أو جزئيا ، لانها القاعدة التحتية التى يبنى فوقها صرح التنمية ، والمرافقوالصناعات التى يمكن للقطاع الخاص أن يتولاها ، وهو يبين لنا كيف تستخدم أجهزة الائتمان ، والتجارة الخارجية فى تمويل عملية التنمية وتسخيرها لخدمة الاهداف القومية ، هذا قليل من كثير نورده على سبيل التمثيل بالامكانيات ويعرف الكل أن الجمهورية العربية المتحدة كانت أول بلد فى القارة أخذ بسياسة الاصلاح الزراعى ونفذها فى هدوء وانتظام تجنبا للتعثر الذى قد يلازم العجلة ، فأصبح ما عملته نموذجا يحتذى فى غيرها .

ان الجمهورية العربية المتحدة أسهمت بكل امكانياتها فى حركات التحرير الوطنى فى قارة افريقية . وقد وقعت ميثاق أديس أبابا وكان لرئيسها دور بالغ الاهمية فى المؤتمر الذى أسفر عن تلك الوثيقة التاريخية التى يعتبر التعاون الاقتصادى من أركانها الرئيسية . لهذا لا يساورنا شك فى أنها سوف تقدمماتملك من امكانيات مادية ، ومالية ، وبشرية ، وفنية ، وعقائدية فى دعم النمو الاقتصادى حتى يسير فى الطريق الذى رسمه الميثاق الافريقى ، ذلك أنها تملك الارادة والقدرة على هذا الاسهام .

فلسفات سكانية في أفريقية

للدكتور عبد العزيز كامل

أود أن أقف قليلا عند عنوان المقال ولماذا أختيرت كلمة « فلسفات » ، دون «سياسات» أو « خطط » ؟ ولماذا كانت « فلسفات » وليست « فلسفة واحدة » » ؟

وأبادر فأقول ان وضع كلمة «فلسفات» فى عنوان المقال لا ينفى وجود سياسات أو تخطيط سكانى فى بعض أقطار القارة . وأن التباين فى المستوى الحضارى فى القارة وفى التطور السياسى وتفاعل هذا كله مع الاحداث العالمية جعل كثيرا من أقطار القارة تستعيد حريتها السياسية فى السنوات الاخيرة وتتحمل أمانة الحكم ، ولم تتحول فيها الفلسفات حتى الان الى سياسات وخطط واضحة محددة .

فى كثير من هذه الاقطار لا زالت مشكلة السكان تقابل باتجاهات عقلية معينة دون أن تتبلور هذه الاتجاهات فى سياسة وتخطيط . ويستطيع قادة هذه الاقطار وعلماؤها أن يقدموا البراهين العقلية على فلسفتهم مستندين فى هذا الى الواقع ، وان كانت هذه الفلسفات تتصادم — عقليا — مع فلسفات سكانية أخرى من خارج القارة لها دعاتها والمبشرون بها .

ولا أود أن أخصص هذا المقال لعرض مفصل للاتجاهين العالميين الكبيرين فى الانفجار السكانى — وأرجو أن أعود الى هذا فى مقال مقبل — وانما أود أن أقدم صورة حية لاهم الفلسفات الافريقية فى مشكلة السكان كما تجلت فى مؤتمر عالمى ضم هذه الدول جميعا .

كان هذا فى « مؤتمر تطبيق العلوم والتكنولوجيا لصالح المناطق النامية » الذى عقدته هيئة الامم المتحدة فى جنيف فيما بين اليومين الرابع ، والعشرين من فبراير ١٩٦٣ . ودعيت الى الاشتراك فيه جميع الدول الاعضاء فى هيئة الامم المتحدة وهيئاتها المختصة وبعض الشخصيات ذات المنزلة العالمية العالمية ، ومثل الجمهورية العربية المتحدة فيه وفد مكون من خمسة وثلاثين عضوا يمثلون التخصصات العلمية الاساسية فى المؤتمر . ومن بين الموضوعات الرئيسية الاثنتى عشرة التى عالجها المؤتمر ، عنى الموضوع الثانى بالموارد البشرية وخصص « اجتماعا خاصا » لاتجاهات النمو السكانى .

كانت الجلسة برئاسة ك.ت.دى جرافت — جونسون . وهو افريقى من غانة مختص فى الاحصاء وكان مقررها برازيليا .

ومع أن الجلسات الخاصة لا يقبل عليها عادة فى المؤتمرات الا المختصون بينما يشتد الاقبال على الجلسات العامة ، الا أن هذه الجلسة المتعلقة بالسكان كان واضحا — من أول الامر — انها ستكون جلسة نابضة بالحياة .

فالافريقيون — وبخاصة رؤساء الوفود والمختصون فى مشكلات السكان — بكروا بالحضور . واسترعى الانتباه أن رئيسى

الوفدين الامريكى والسوفيتى حرصا على حضور هذه الجلسة . وحضرها مندوبون من كثير من الدول الكبرى والدول الكثيرة العدد .. كان كل منهم يحمل مشكلة أو فلسفة أو مذهبا .

وافتتح الرئيس الجلسة وعرض السكرتير تقريره . ولم يخرج - فى اطاره العام - عن عرض اتجاه هيئة الامم المتحدة فى الانفجار السكانى باعتباره المشكلة الكبرى التى تتحدى مصير الانسان فى هذا الكوكب . واستعرض النقاط الرئيسية فى الابحاث المقدمة فى مشكلة السكان وتبعه خمسة من قادة المناقشة لالقاء أضواء على النواحى التى يمكن أن تتجه اليها الدراسة والنقاش .

الى هنا وسير الاجتماع كان طبيعيا .. قصة معادة عن الانفجار السكانى .. المجموع الكلى لسكان العالم الذى سيتضاعف فى ظرف أربعين عاما .. الستة بلايين ساكن على سطح الارض فى نهاية هذا القرن .. كيف يعيشون وماذا يأكلون ؟ ما علاقة ذلك بالتنمية الاقتصادية ؟ الدعوة الى ضبط النسل حتى لا تكون معدلات نمو السكان أعلى من معدلات التنمية الاقتصادية والا ازداد الفقراء فقرا .. وصف الزيادة الطبيعية المرتفعة فى الدول المتخلفة بأنها أبرز ملامح التخلف ، وأن الآباء ينبغى أن يكونوا أكثر تقديرا لمسئوليتهم نحو ابنائهم فلا يدفعون بهم الى عالم لا يستطيع أن يمدهم بالغذاء والكساء ..

هذا الحديث يمكن أن يقرأه الانسان فى أى كتاب من كتب مشكلة السكان ومن أجله تعقد مؤتمرات عالمية واقليمية ومحلية . وقد سبقت الاشارة فى مقال العدد السابق الى أن التحكم فى الوفيات أيسر من التحكم فى المواليد ، ذلك لان التحكم فى الوفيات يرتبط بالتطور الصحى العالمى والقدرة على مقاومة الامراض الوبائية والمتوطنة بصفة خاصة .

واقرب مثال لذلك ما حدث فى سيلان من مقاومة الملاريا وامكان القضاء عليها فى أقل من خمس سنوات بينما استغرق القضاء عليها فى انجلترا نحو ثلاثة قرون . وأمكن باستخدام مادة الـ د.د.ت والخدمات الصحية تخفيض معدلات الوفاة فى سيلان فى ظرف سبع سنوات من ٢٢ الى ١٢ فى الالف وهو تخفيض استغرق عشرة أضعاف هذا الوقت تماما فى انجلترا .

ومن الممكن متابعة نماذج الانفجار السكانى فى الهند بخاصة ، وكيف أدت حملات مقاومة الاوبئة الى تخفيض معدلات الوفاة بينما ظلت معدلات المواليد على ارتفاعها القديم أصبح هذا الفيض من السكان أكبر عقبة فى طريق مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الهند .

وعبر مندوب الهند فى الاجتماع عن هذا الاتجاه وكيف أن مشكلة السباق بين التنمية الاقتصادية والسكان تشكل الخطر الكبير على التطور لا فى الهند وحدها وانما فى كثير من أقطار العالم وبخاصة الاقطار النامية .

وكان واضحا أنه ليس هناك خلاف عميق بين وجهات النظر التى عبر عنها علماء السكان فى الامم المتحدة والدول الغربية وبعض الدول المزدحمة السكان فى آسيا الموسمية .. بل يمكن القول بوجود توافق فى وجهات النظر مع اختلافات تقتضيها الفروق الاقليمية .

ولكن عند ما تحدث ممثلو الدول الافريقية بدا واضحا أنهم يعبرون عن فلسفة خاصة بهم ، أعماقها التاريخية وروابطها المكانية ونظرتها الى القارة من حيث القوة العددية والاقتصادية .

بدا واضحا أن هناك « فلسفة افريقية » خاصة فى مشكلة السكان .. فيها من الاستعمار مرارة ، وفى التقديرات العالمية شك ، والى الدول العالمية نظرة نقد لا تحاول أن تخفى قوتها وحدتها بابتسامة أو تلطف !! .

تحدث مندوبون من وسط افريقية وشرقها وغربها وشمالها .. من افريقية جنوب الصحراء ومن شمال الصحراء .. من القاهرة وكمبالا وبرازافيل وأكرا ولاجوس .. تحدث مندوبون مختصون فى شئون السكان

ومنـدوبون ذكروا من أول الامر أنهم غير مختصين وانما يشغلون مناصب توجيهية فى سياسة أقطارهم أو تطورها الاقتصادى أو العلمى ، وتباينت بعض التفاصيل التى ذكروها والتقت آراؤهم على خطوط رئيسية يمكن أن نلخصها فيما يلى :

معدلات المواليد المرتفعة :

وهذا الارتفاع من أهم ما يوجه من نقد الى الشعوب المتخلفة أو النامية كما يطلق عليها الاوربيون .. ويعتبرون هذا الارتفاع من سمات التخلف ، لانه يدل ــ أول ما يدل ــ على عدم تقـدير مسئولية الاب أو الام نحـو الابناء ولا يكاد يخلو كتاب أوربى من هذا النقد . والى هذا النقد اتجهت حملة الافريقيين .

تحدث مندوب افريقى فذكر أن هذا النقد يحمل فى طياته اتهاما انسانيا أخلاقيا قبـل أن يحمل اتهاما سياسيا أو اقتصاديا . انه طعنة فى انسانية الافريقى ورمى له بالهمجية والتأخر وعدم تقدير المسئولية ، وبأنه انسان لا هم له الا ملذاته دون أن يكترث بصحة زوجته أو مستقبل أولاده .. ولكن الامر غير ذلك . ان الافريقى ــ فى معظم جهات القارة ــ يعيش فى ظروف بدائية .. بين وحوش الغابة والهوب .. تهدده الامراض والاوبئة والمجاعات ودورات الجفاف وفيضان الانهار .. انه يحيا فى كفاح دائم مع قوى لم يستطع السيطرة عليها الا قليلا .. كثير من أبنائه مصيرهم الموت .. فماذا يفعل لحفظ النوع ؟ ليس له ولا أمامه الا أن ينجب أولادا يعلم أن الموت ينتظر معظمهم .. وأنه سيشيعهم بدمعه الى مثواهم الاخير .. انه فى حرب مع الطبيعـة والامراض والوحوش ، ولكل حرب شهداؤها وفى كل أسرة افريقية شهداء .. شهداء الجوع والمرض من الاطفـال الصـغار .. وشهداء الوحوش من شباب القبيلة المدافع عنها .

واذا كنا لا نصف أمة متقدمة بالتفريط فى أبنائها اذا دخلت حربا مدافعة عن كيانها ، فكيف نصف أمة افريقية بالتخلف وهى تقدم بعض نفسها للموت حفظا لبعضها الاخر .. ان الوحوش تعرف الابوة والامومة فكيف نصف الافريقى بأنه لا يحفظ حق الابوة والامومة ؟

ان الفكر الاوربى ينبـ... يفهم افريقيـة على حقيقتها لا من خـلال ما كتب الرحالة الاوربيـون عنهـا .. ينبغى أن يفهمها فى انسانيتها وأفراحها وأحزانها ، وان يتعمق النفس الافريقية ليرى فيها الجذوة الخيرة بعيدا عن ضجيج الدعايات المغرضة وألوان أفلام المغامرات ..

لقـد آن الاوان لان ينظر الاوربى الى الافريقى كانسان يعرف على الاقل ــ واجبه نحو زوجته وأولاده .

وتابع الفكر الافريقى دفاعه عن نفسه :

ان أوربا عندما تقدمت فيها وسـائل الوقاية الصحية ومقاومة الامراض وقل فيها الاعتماد على الجهـد البشرى ، اطمأن فيها الاب على أبنائه واكتفى بالقليل منهم .. وبهذا كان انخفاض عدد أفراد الاسرة راجعـا الى الاطمئنـان النفسى من ناحيتين : امكانيـات الحيـاة وحسن استخدام الجهد البشرى . ولا شك فى أن أفريقية لو توافر لهـا هذان العاملان لسارت فى نفس السبيل التى سارت فيها أوروبا ومناطق الحضارة الاوربية عامة . فليس من الانصاف ولا من الحق اذن ، أن يتهم الافريقى بقلة الاحساس بالمسئولية نحو أبنائه الا اذا جاز لنا أن نتهم دولة أوربيـة بهـذه التهمة اذا ضحت ببعض أبنائها فى حرب . وهذا القياس مع الفارق الكبير لان هذه الحرب مفروضة على الافريقى مع الاوبئة والوحوش وبدوات الطبيعة بينما هى فى كثير من الاحيان « حرب ارادية » فى أوربا تدخلها الدولة بمحض ارادتهـا ان لم تكن بمحض أطماعها .

كثافة السكان :

وهاجم الافريقيون نقطة ثانيـة هى كثافة السكان العالية فى بعض جهات افريقية . وأن الواجب من وجهة النظر الاوربية أن تنخفض معدلات النمو حتى لا ترتفع هذه الكثافة بينما خصوبة التربة آخذة فى الانخفاض . والامثلة على ذلك واضحة فى كثـير من أجزاء شرق ووسط وجنوب افريقية .

فهذه الكثافة مفتعلة . والارض كانت ملك الافريقيين حتى جاء الأوربيون فانتزعوها منهم

وحشروهم فى معـــازل ضيقة وحدث بذلك تناقض : أرض خصبة يمرح فيها الاوربيون بكثافة منخفضة ، وأرض « كانت » خصـبة ازدحم فيها الافريقيون فدمروا تربتها وليس امامهم الا الموت أو الهجـرة منها مرة أخرى تحت ضغط الجوع والضرائب الى منـاطق العمل والمدن التى يسيطر عليها الاوربيون .

فتوزيع السكان اذن وكثافتهم لا يخضعان لجاذبية الارض وقدرتها على اعاشة السكان ، وانما يرجع الى مطامع الاستعمار وسيطرة البيض على أجود أرض القارة . ومن الخطأ أن نربط بين قلة السكان أو انقاص عددهم وبين تقـدمهم الاقتصادى وهذا الربط كان مجال صراع بين المعسكرين الشرقى والغربى فى الاجتماع ولم تخل دراسته « العلمية » من « غمز » سياسى يصل أحيانا الى درجة الاحراج ..

فخبراء المعسكر الغربى ربطوا بين خفض عدد السـكان ورفع مستواهم الاقتصـادى وتابعهم فى هذا مندوبو بعض الدول الكثيفة السكان .. وهنا طلب رئيس الوفد السوفيتى الكلمة وقال ان هـذا الربط فى غير محله . فقد يكون زيادة عدد السكان مدعاة الى النمو الاقتصادى وضرب لذلك أمثـلة من وسط آسيا ومشروعات السوفيت فيها . وقد ينقص عدد السكان ومع هذا يتدهورون اقتصاديا .. ففى أمريكا نقص عدد الهنود الحمر بعـد دخول الاوربيين ونقص عدد الاستـراليين الاصليين فى أستراليا بعـد دخول الاوربيين ونقص عدد الافريقيين فى المناطق التى استولى عليها الاوربيون فى افريقية . ولا يمكن القـول بأن نقص السكان الاصليين فى البـلاد التى سيطر عليها الاستعمار الغربى كان مدعاة الى رفع مستواهم أو على الاقل المحافظة على مقوماتهم الحضارية ! !

وكان واضحا أن الرد السياسى سيؤدى ـ بقصد ـ الى اثارة الافريقيين بخاصة ضد المعسكر الغربى وكشف الاساليب الاستعمارية المتبعة هناك ..

ولم يحاول مندوبو أمريكا رد هذا الهجوم المباشر بذكر ما فعله السوفيت مثلا فى القرم وعمليات نقل السكان الواسعة التى تمت فيه حتى بعد الحرب العالمية الثانية ، وانما ذكروا أنهم يتحدثون عن نقطة معينـة هى مقـابلة الانفجار السكانى وعلاقته العـامة بمشروعات التنمية الاقتصادية .

عدد سكان القارة :

واتجه الهجوم الافريقى أيضا الى المجموع الكلى لسكان القارة وكيف أنه الان نحو ٢٢٦ مليونا . وأن هناك أقطارا ضخمة كالكونغـو لا يحيا فيها أكثر من ١٤ مليونا بينما تستطيع أن تتحمل أضعاف ذلك . ونفس الوضع يمكن تطبيقه على كثير من أقطار القارة .. واتجه مندوب افريقى مباشرة الى الموضوع متسائلا فى وضـوح : لماذا تريدون أيها الاوربيون أن نبقى قلة فى قارتنا ؟ لماذا لا تريدون أن ننمو وأن يكثر عددنا كما كثر عددكم ؟ لماذا تنادون بالحد من السكان بعـد أن تضخم عددكم ؟ أتريدون أن تحتفظوا بسيادة عددية يساندها التقدم العلمى ونبقى قلة يعوقها التخلف ؟ ان افريقية ينبغى أن تخطط لنفسها سياستها على أساس من فلسفتها السكانية الخاصـة ولا ينبغى أن يطبق علينا ما يحدث فى الهند أو سيلان أو الهند الصينية أو أوربا .. لا بد أن تنمو القارة الى القدر الذى تستطيع أن تستوعبه ولا بد أن تعينها الدول المتقدمة على هذا . وفى هذا تعبير عملى عن الرغبة الصادقة فى التعاون العالمى . دعوا أفريقية تأخذ مكانها الطبيعى من حيث القوة العـددية والنمو الاقتصادى على أساس من امكانياتها الحقيقية دون أن يخشى العالم منها خطرا أسود أو من آسيا خطرا أصفر .. وانما الخطر هو هذا الفارق الضخم بين مستويات المعيشة فى هذا العالم الذى يتحرك بسرعتين : عالية فى الدول المتقدمة ومنخفضة مهتزة فى الدول النامية .

وبعد : فهذه جوانب من صورة أرجو أن تكون واضحة المعالم لاجتماع شهدته فى هذا المؤتمر عبرت فيه الفلسفة الافريقية عن نفسها ويبقى بعد هـذا أن نذكر انطباعات الدول المتقدمة عن هذه الفلسفة كما ظهرت فى أقوال مندوبيها .. والى اللقاء فى مقال مقبل .

« دكتور عبد العزيز كامل »

التضامن الطبقي في الثورة الافريقية

بقلم : حسين فهمي

منذ عام ١٩٥٩ . الذى يعده البعض عام « الثورة الافريقية » وحركة التحرر الوطنى الافريقى ماضية فى طريقها .. وبالرغم من المؤامرات الاستعمارية ، ومن السيطرة الاقتصادية والسياسية والثقافية التىمازال يتمتع بها الاستعمار فى أغلب أرجاء أفريقيا ، الا أن هذه الحركة تسجل كل يوم انتصارا جديدا ، ويشهد العالم أعلاما جديدة ترتفع فى سماء المجتمع الدولى .. بينما قلوب مائتى مليون افريقى ينشدون الحرية والاستقلال والكرامة الآدمية تضطرم احتداما بالرغبة فى الثورة على أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية فاسدة طال عليها العهد ، وآن الأوان لاقتلاعها من جذورها .

وبالرغم من هذه الحقائق فان هناك من لايزال يؤمن بان الشعوب الافريقية لايمكنان تقدر على مواجهة مسئوليات الاستقلال، وبان اتصال هذه الشعوب « البدائية » بالحضارة الاوروبية والذى لم يمض عليه اكثر من مائة عام لم يكن كافيا لاشاعة الوعى، وتهيئة الظروف اللازمة لقيام حركات قومية حقيقية ، ولتولى مسئوليات اقامة حكم وطنى حديث بمعنى الكلمة .

على ان هذه النظرة تفتقر فى ــ نظرنا ــ الى الدراسة العميقة ذلك لان الاستعمار، على غير مايتصوره الكثيرون ، نتيجة للدعاية الاستعمارية التى استمرت قرابة قرن من الزمان ، لم يجد شعوبا بدائية عندما أخذ يتسلل الى افريقيا . وانما وجد ، فى أغلب البلاد التى اختلس ثرواتها وحرياتها ، وجد شعوبا لها حضارتها ، وتاريخها ،وثقافتها ، وتجاربها وتجارتها وزراعتها .

صحيح ان المجتمعات الافريقية ، نتيجة لظروف تاريخية كثيرة ــ كانت قد دخلت عهودا من الظلام والتخلف .. ولكن دعوى « التمدين » التى استند اليها الاستعمار فى اقتحام القارة الافريقية بدلا من ان يساعد هذه الشعوب على تطوير حياتها ،استخدمت بطريقة وحشية ، للقضاء على كل مقومات الشخصية الافريقية ، واغتصاب الثروات الافريقية ، وتأبيد عهود الظلام والتخلف ! !

لقد حال الاستعمار ،بل عوق تطور افريقيا الاقتصادى والسياسى والثقافى ، فقد حال دون تصنيعها بالرغم من ثرواتها الضخمة ، وخرب زراعتها واختلس لنفسه أراضيها ، فحطم الاقتصاد الافريقى ونشر الخراب والجهل والامراض على أوسع نطاق ، يهدف خنق الحركات القومية ، وتحويل القارة كلها الى مصدر هائل للمواد الاولية ، وسوقا لتصريف المنتجات الاوروبية ــ ومعينا لاينضب للايدى العاملة الرخيصة غاية الرخص لخدمة الاحتكارات الرأسمالية .. هذه حقيقة .

والحقيقة الثانية ان الوجود الاستعمارى بالرغم من قصر المدة التى قضاها فى افريقيا وبالرغم من الخطط الجهنمية التى اتبعها ، للقضاء على أى احتمال لثورة وطنية أو اقتصادية أو اجتماعية فى القارة ، فان كل هذا الوجود ، بما اقترن به من استعباد واستغلال ، كان سببا فى تغييرات حاسمة فى المجتمع الافريقى كان لها الفضل الاول فى دفع حركة التحرر الوطنى الافريقية ، والتعجيل بالثورة الافريقية الشاملة .

وكما انبعثت الاشتراكية عن تحول الانتاج والعمل الى المرحلة الاجتماعية ، ونتيجة لنمو

الرأسمالية ذاتها ، كذلك حركة التحرر الوطنى الافريقى .. انبعثت هى الاخرى من الظروف التى أوجدها الاستعمار بهدف التمكين للسيطرة الاستعمارية والرأسمالية على القارة .

فمنذ نهاية الحرب العالمية الاخيرة على وجه خاص زادت سرعة هذه الزراعة التقليدية الافريقية ، كما زادت سرعة اجتذاب الملايين من الافريقيين الى نطاق الطبقة العاملة عن طريق تحويل أكبر عدد ممكن من الافريقيين الى فئات العمال المهاجرين من مكان الى اخر . كذلك ساعدت هذه الظروف على تكوين طبقة مثقفة من الافريقيين وعلى خلق طبقة من الرأسماليين الافريقيين .. وبذلك انهارت أشكال المجتمع الافريقى القديم ، واندفعت الى الامام بقوة وعنف طبقات وقوى جديدة .

لقد كان من نتائج استعمار افريقيا ، واستقلالها ، واضطهاد أهلها ان أدرك الافريقيون بسرعة أكبر ان التحرر الوطنى شرط أساسى للتقدم الطبقى ، بالاضافة الى كونه الطريق الصحيح للحفاظ على المصالح الوطنية الافريقية، كما ان اضطهاد الافريقيين بغض النظر عن أوضاعهم الاقتصادية والطبقية الى تهيئة الظروف المناسبة لتوثيق عرى التضامن بين كافة الطبقات الافريقية ضد الاستعمار الابيض .

ولقد كان لهذه الحقيقة أخطر الآثار على الثورة الافريقية وان أى تحليل علمى لمراكز القوى داخل هذه الثورة ليكشف عن درجة عالية من درجات التضامن الطبقى .. ذلك التضامن الذى يعد فى نظرنا من أخطر العوامل التى مدت الثورة الافريقية بكل هذه القوة وبكل هذه الايجابية .

ولكى تتضح هذه الحقيقة ينبغى أن نعرض للوضع الطبقى فى المجتمعات الافريقية بشىء من التفصيل .. حتى نكشف عن ذلك المعين الذى لاينضب للثورة الافريقية ، ولنمو الحركات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ذات الاصالة والعمق والروح الانسانية ، وطريقنا الى ذلك هو دراسة موقف الطبقات الافريقية المختلفة من الثورة الافريقية .

العمال : بالرغم من ان عددهم لايتجاوز من ٦ الى ٨ فى المائة من السكان ، فان قوة هذه الطبقة آخذة فى النمو بشكل سريع ضخم كما ان دورها فى حركة التحرر يزداد على مر الايام أهمية وخطرا .. انه دور أكبر كثيرا من عدد هذه الطبقة وامكانياتها ..

وأغلب العمال الافريقيين من العمال المهاجرين .. وهو الامر الذى يجعل الطبقة العاملة الافريقية تتسم بوضع خاص .. واذا كانت هجرة العمال الافريقيين المستعرة قد عوقت وأجلت تجميع طبقة البروليتاريا فى مكان واحد أو أمكنة واحدة ، وهو أمر ليس فى صالح الحركة الثورية العمالية ، الا ان هذا الاثر للهجرة الجماعية العمالية ، يقابله أثر آخر كان من نتائجه الهاب وعى الطبقة العاملة الافريقية ودفعه بسرعة أكبر الى الامام .

ففى أعمال المناجم والمصانع والمستعمرات الزراعية والطرق والسكة الحديد والبناء . الخ كان الملايين من العمال القادمين من مختلف البقاع والمستعمرات الافريقية يتقابلون ويتبادلون الخبرات والمعلومات ويعقدون المقارنات ، ويكشفون كل يوم أكثر فأكثر مدى الارتباط الوثيق بين السيطرة الاجنبية وجحيم الاستغلال الوحشى والاضطهاد العنصرى ، والتأخر ، والفقر والجهل والمرض .

لقد أدت الهجرة الى نمو الوعى سريعا ، والى التعجيل بسرعة ظهور التضامن الافريقى الجماعى .. ذلك التضامن الذى يعد أمضى سلاح يشهره الافريقيون ويرغمون به الاستعمار على الرحيل من المستعمرات الافريقية .

وكان من نتائج هذا الوعى والتضامن الطبقى ان مارس العمال الاضرابات ، وأسسوا النقابات ، وانضموا الى الاحزاب الوطنية ، وخرجوا فى مظاهرات شعبية ، وخاضوا ميادين العمل السياسى المختلفة .. وهكذا تحولت الطبقة العاملة الافريقية الى قوة حقيقية واشتد وعيها بالمصالح الوطنية والطبقية .. واستطاع العمال الافريقيون ان يلعبوا أدوارا بالغة الاهمية والخطر **داخل**

الحركات الوطنية الافريقيـة ، وفى أرغـام الاستعمار على ان يحمل عصـاه على كاهله ويرحل .

الفلاحون : ان غالبية الشعوب الافريقية من الفلاحين .. ونحو هذه الطبقة اتجهت ضربات المستعمرين من أول يوم وطئت فيـه أقدام اللصوص أرض افريقيا .. طردوهم من أراضيهم الى أراض أخـرى ضـعيفة ، او لايتـوافر لها الرى ، او الى منـاطق المستنقعات .. وهكذا اضطر الفلاحون الى الهجرة بالملايين وراء لقمة العيش ..واستطاع الاستعمار ان يحصل على مخزن هائل للقوى العاملة والايدى العاملة الرخيصة الى حد يفوق الخيال !! .

وهكذا خلت القرى من الشباب ولم يبق فيها الا الاطفال والنساء والشيوخ .. وعم الخراب انحاء الريف الذى طرد اليه الافريقيون الامر الذى وان كان قد أخر قيـام ثورات الفلاحين الا أنه من ناحية أخرى ألهب وعيهم ، ودفعهم الى مزيد من التضامن الطبقى .

فمع العمال وهم يعـودون الى قراهم فى أوقات البطالة ...

ومع العمال والفلاحين وهم يجتازون الحدود ويتجمعون فى مراكز الهجرة .

ومع العمال والفلاحين وهم يقطعون المسافات الشاسعة مهاجرين الى مراكـز العمـل .

معهم وهم يتناولون أقل القليل من الاجور بعد أعمال مضنية قاتلة ..

مع هؤلاء جميعـا ... كانت تأتى أفـكار قراهم بالقليل الذى كسبوه ...

مع هؤلاء جميعا ... كانت تأتى أفكار جديدة ... وخبرات جـديدة ... وآراء جديدة ، ومزيد من الوعى ..

ان نظام الهجرة غير المواتى لقيام الثورة العمالية ، وثورة الفلاحين على السواء قـد استمد من أسباب الضعف قوة ... فالعامل المهاجر هو بنفسه الفلاح المهاجر .. وهكذا اندمجت الطبقتان وتحولت جماهير العمـال والفلاحين الافريقيين الى قوة حقيقيـة .. انصهرت فى بوتقة العذاب والاستغلال والجوع والمرض .. كما اشتد الوعى بالمصالح الوطنية والطبقية ، وتأكد التضامن الطبقى وقطـع أشواطا أطول فى أوقات أقصر .

ان نظام الهجرة ، عدو ثورة الطبقة العاملة كلها تحول هو نفسه الى أسـاس متـين للتحالف بين العمال والفلاحين من ناحية ، والى دعامة غاية فى القوة لحركة تحـررية وقومية سريعة الانتشـار والانتصـار من ناحية أخرى .

ولقد فشل الاستعمار فى الوقوف فى وجه هذه الحركة بالرغم من الحـكم المطلـق ، والتشريعات البربرية ، والاضطهاد العنصرى، والفقر ، وبالرغم من القيود الـكثيرة التى وضعها للقضاء على أى تضـامن حقيقى بين طبقات المجتمع الافريقى ... بل لقد ساعد ذلك كله على ان يدرك الافريقيون أكثر فأكثر حقيقة الصلات بين الاسـتعمار والاستغلال والاضطهاد والجوع .. كما ساعد على وضوح الصورة عدم وجود رأسمالية افريقية تذكر مما أدى الى تركيز اهتمام وكراهية الطبقة العاملة الافريقية فى الرأسمالية الاجنبية ، والاقطاع الاجنبى ، والنظـام السـياسى والاقتصادى والاجتماعى الابيض .

الرأسمالية : وبالرغم من ذلك فانه لايمكن الزعم بعدم وجود طبقة رأسمالية افريقيـة فالحقيقة ان هناك رأسمالية افريقية نامية ، وان كان عمرها لايتجاوز خمسة عشر عاما .

ولقد أدركت هذه الرأسمالية الوليدة حقيقة التناقض بين مصالحها ومصالح الرأسمالية الاجنبية وأخذت تحلم بتوسـيع السـوق الداخلى والتجارة الخارجية وبناء صـناعة وطنية استهلاكية .. كمـا انها ادركت ـ من ناحية أخرى ـ ان الاستعمار يقبض بيـد حديدية على الاسواق العالمية والمحليـة ويشترى المواد الخام بأبخس الاسعار بينما يبيع منتجاته ـ للرأسمـاليين الافريـقيين انفسهم ـ بأعلى الاسعار .

كل هذه الاسباب دفعت بالرأسـمالية الافريقية الناشئة الى جانب حركة التحرر القومى ، وأصبحت ـ هى الاخرى ـ تلعب دورا أكبر من عددها وثروتها داخل هـذه الحركة .. وتتضامن مع العمـال والفلاحين

والمثقفين الافريقيين ضد العدو المشترك .. وتحتل أغلب المراكز القيادية وتتمتع بنفوذ سياسى كبير داخل الجبهة الوطنية .

ولقد بذل الاستعمار ، فى كافة المستعمرات الافريقية جهودا كبيرة لاستمالة هذه الطبقة وسلخها عن الجبهة الوطنية الافريقية ، ولكن هذه الجهود باءت بالفشل نتيجة للتناقضات التى أشرنا اليها .

والشيء نفسه يمكن أن يقال عن طبقة المثقفين فى افريقيا .. فكما حاول الاستعمار ان يغرى الرأسمالية الافريقية على الالتقاء معه فى منتصف الطريق ، كذلك حاول الاستعمار ان يغرى المثقفين .. بل ذهبت أوهام بعض الاستعماريين الى حد محاولة التحالف مع المثقفين .. مستندين فى ذلك الى الثقافة الاوروبية المشتركة فى الجامعات أو على أيدى مدرسين أو مبشرين من البيض!!

والحقيقة ان طبقة المثقفين فى افريقيا تقوم بدور هام على مسرح الحياة السياسية منذ فجر حركة التحرر الوطنى وفى داخل حركة النضال الوطنى .. دور أكبر من عددها وقوتها الاقتصادية .. فلقد تمرست هذه الطبقة على العمل السياسى فى ظل أحزاب أوروبية أو افريقية ، مما أكسبها خبرات ومميزات كبيرة ، استخدمتها فى التضامن مع الفلاحين والعمال والرأسماليين الافريقيين ، فى ثورة تحررية حقيقية ، واحتلت مراكز قيادية داخل الجبهة الوطنية وفى الاحزاب والوظائف ، وانبعثت منها الزعامات وعبرت بصدق ونزاهة وروعة عن الجحيم الذى يعيش فيه الافريقيون ، وعن الآمال والاحلام الافريقية ، والارادة الافريقية الحقيقية .

وهناك طبقة أخرى هى طبقة زعماء القبائل ورؤسائها ، وبالرغم من كل ما يتسم به النظام القبلى من رجعية ، وبالرغم من ان الاستعمار قد استخدم هذا النظام الى أقصى حد فى تثبيت نفوذه ، واشاعة الحزازات والانقسامات فى صفوف الافريقيين ، بالرغم من ذلك فان هذه الطبقة قد انضمت هى الاخرى الى جانب الثورة الافريقية من أجل الاستقلال . واذا كان الاستعمار قد استطاع أن يشترى بعض الزعامات القبلية وان يستخدمها فعلا ضد حركة التحرر الا ان الحقيقة ان أغلب هؤلاء الزعماء قد انضموا الى اخوانهم ، ولعبوا — دورا هاما داخل الحركة الوطنية الافريقية على الرغم من ان النفى والسجن والاضطهاد وسحب الامتيازات واضطهاد القبيلة كان مصير كل زعيم منضوى تحت علم الثورة ، وبالرغم من أن الامتيازات الضخمة والاموال والنفوذ والسلطان والسلطات المطلقة كانت دائما نصيب كل من يسير فى ركب الاستعمار .

ولكن هذه الاساليب كلها لم تفلح .. ولم تستطع ان تعزل هذه الطبقة عن تيار الثورة .. ولا شك ان جحيم السيطرة والتحكم والاستغلال والاضطهاد العنصرى الشائن كان يدفع جميع الافريقيين ، على اختلاف طبقاتهم وأوضاعهم الى الثورة ضد الاستعمار .. فلقد كان الافريقى أيا كان وضعه يشعر بالمهانة والذلة ، ويتطلع الى اليوم الذى يضطر فيه الرجل الابيض الى الاعتراف بالشخصية الافريقية ، واحترام الآدمية الافريقية ... لا فرق فى ذلك بين عامل أو فلاح أو مثقف او رأسمالى أو من زعماء القبائل كان الكل فى الذل والمهانة سواء .

وهكذا تغيرت الصورة الافريقية تماما فى مائة عام ، وتوافرت للثورة الافريقية كل أسباب النمو والقوة ، حتى لقد حظت باهتمام كل المفكرين الاحرار وباحترام العالم واعجاب الشعوب .

ان التكتل والتضامن الطبقى — فى هذه المرحلة من مراحل الثورة الافريقية — هو سر انتصاراتها .. ان العمال والفلاحين والمثقفين والبرجوازيين الوطنيين وزعماء القبائل يشكلون الجبهة الوطنية الافريقية الحقيقية ... انهم ينابيع القوة التى لا تنضب فى الثورة الافريقية ... ان هذه الجماهير الواسعة ، المعذبة ، المحرومة ، الثائرة ، الواعية ، لديها كل الاسباب التى تحملها على الاستمرار فى الثورة اذا لم يجل المستعمرون ، واذا لم تتم الثورة الافريقية بأوسع معانيها ومفاهيمها واهدافها السياسية والاجتماعية والانسانية — اذا لم تتم هذه الثورة فصولا ...

((حسين فهمى))

إسرائيل والاقتصاد الافريقي

للدكتور محمد عبد المنعم سيد

لعل أهم مظهر « للاستعمار الجديد » هو اطلاق يدي اسرائيل في أفريقيا ، وتشجيع تغلغلها الاقتصادي بين دولها التي استقلت حديثا ، أو التي على وشك التحرر والاستقلال — واسرائيل في هذا تمثل رأس الرمح للدول الاستعمارية التي تريد الابقاء على نفوذها في هذه الدول ، ومداومة سيطرتها عليها في ناحية لا تقل أهمية عن الناحية السياسية .. لقد اضطرت هذه الدول الاستعمارية للخروج من عدة دول افريقية تحت وطأة حركات الكفاح والثورات التي اجتاحتها ، ورأت على الفور أن تواصل سيطرتها على الناحية الاقتصادية فيها لتعوض الخسارة السياسية التي منيت بها .

وكانت اسرائيل هي مخلب القط في هذه العملية الاستعمارية الجديدة .. وقد قامت بواجبها ودورها الذي رسم لها بمهارة وبمنتهى الأمانة والدقة .. وارتفعت أصوات الاحرار تحذر من هذا الاستعمار الجديد الذي تؤازره الدول الاستعمارية بكل قوتها وامكانياتها .. وتوضح خطره على الكيان الافريقي لانه يهدد ناحية من أهم نواحي الحياة فيه ، وأعني الناحية الاقتصادية . معتمدا في ذلك على أسلحة فاسدة قوامها الرشوة وشراء الذمم والاغراء — وكل ما من شأنه أن يسيل لعاب الدول الحديثة الاستقلال ...

وكما رأى الاستعمار أن يهز كيان الوطن العربي حين مكن لاسرائيل من قلبه — واهداه فلسطين في عام ١٩٤٨ لتكون نقطة الوثوب للاطماع الاستعمارية على دول العالم العربي — فانه في هذا التاريخ بالذات بدأ يمهد لاسرائيل في افريقيا حتى تحتل مكانه اذا ما اضطرته الظروف للخروج من هذه القارة .. ولتكن اسرائيل هي اداته الجديدة في استعمار افريقيا ..

وكانت فرنسا هي الوصية على اسرائيل في افريقيا كما كانت بريطانيا هي الوصية على تدعيم نفوذها في فلسطين .. وتمثل هذا الامر في أوضح صورة في عام ١٩٥٦ .. ففي هذه السنة عقدت فرنسا مع اسرائيل اتفاقا يقضي بمنح الأخيرة عدة امتيازات في ميناء جيبوتي في ساحل افريقيا الشرقي — كان أهمها السماح لاسرائيل بانشاء مجموعة مصانع وادارة الميناء ادارة تامة وهكذا مكنت فرنسا لاسرائيل في منطقة هامة تعد من أحسن الموانى الافريقية على الساحل الشرقي واكثرها انتعاشا ...

وقد شرح نائب اسرائيل الدور الذي لعبته فرنسا لمساندة اسرائيل في افريقيا وأسبابه فقال مائير فلمر : (ان مهمة اسرائيل هي القيام بعمل الاستعمار الفرنسي من وجهة سياسية واقتصادية وعسكرية دون أن تظهر فرنسا كدولة استعمارية على المسرح .. وان فرنسا تقدم لحكومة اسرائيل الوسائل والتسهيلات .. وتقوم هذه الحكومة بدورها بتمويلها باسم اسرائيل الى الحكومات الموالية للغرب في افريقيا — والحكومات المترددة التي لا تستطيع ولا تريد الارتباط بشكل ظاهر مع فرنسا بعلاقات قوية ..

وسادت اسرائيل بفضل دفع الدول الاستعمارية لها .. ومساعدتها اياها بشتى الأساليب والوسائل لمد مناطق نفوذها على السوق الافريقية .. ولولا هذه المساعدات لما استطاعت أن تكسب شبرا واحدا من النفوذ الاقتصادي — فمن المعروف أن اسرائيل ذاتها تعيش في خطر من الناحية الاقتصادية لانها لا تستطيع أن تتقدم وترتفع بقوتها الذاتية .. ولولا المعونات الخارجية لما تمكنت اسرائيل من الحياة وقد حدث في بعض

السنوات ان كانت هذه المساعدات تزيد على الميزانية نفسها .. وانهالت مساعدات فرنسا وانجلترا وأمريكا لتشجيع اسرائيل على التوغل فى افريقيا ـ لتقوم بدور هذه الدول فيها ـ وما دام الاستعمار قد بدأ برحل عن القارة .. فليكن له ظل فيها ..

وقد صادفت هذه الدعوة من الدول الاستعمارية لاسرائيل لكسب مركز لها فى دول القارة الافريقية وتشجيعها على المضى فى هذا المضمار ـ قبولا فى الدوائر الاسرائيلية المسئولة والشعبية على السواء فقد وجدت فى هذا العمل متنفسا لما تعانيه اسرائيل من ضائقة اقتصادية فرضتها عليها الدول العربية المحيطة بها باحكام بالغ بفضل يقظة وطنية العناصر الوطنية الحرة فى بعض هذه الدول وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة .. فقفلت عليها بابا كانت تستطيع أن تجعل منه الاداة التى تنعش اقتصادياتها وتحيى كيانها ونشط مكتب مقاطعة اسرائيل يؤدى رسالته فى اغلاق المنافذ .. فى وجه الاقتصاد الاسرائيلى الذى كان يطمع فى أسواق المنطقة وما دامت اسرائيل على هذه الصورة قد فقدت الميدان العربى ـ فليكن لها فى الميدان الافريقى مجال للحركة والانتعاش ..

وبفضل الخطط والمساعدات التى وضعها الاستعمار تحت تصرفها .. انطلقت اسرائيل فى هذا الميدان البكر .. وهى لا تنقصها الخبرة والتجربة .. يساندها رأس المال الاستعمارى والنفوذ الأوربى فى بعض البلدان الافريقية ومما ساعدها على هذا التوغل الظروف الخاصة التى تحكم الدول الافريقية التى استقلت حديثا .. فقد خرجت من ربقة الاستعمار وهى فى حالة من البؤس والشقاء لا مثيل لها .. فالفقر والجهل والمرض وسوء التغذية والمشكلات الاقتصادية كلها أمور تريد هذه الدول أن تتحرر منها بالعون المادى من اى جهة جاء منها هذا العون .. ووجدت هذه الدول العروض السخية البراقة ظاهريا تقدمها لها الحكومة الاسرائيلية والشركات الاحتكارية التى ترعاها .. فأقبلت على التعامل معها وهى لا تدرك فى أول الأمر مغبة هذا التعامل ـ وما يخفى وراءه من أغراض ونوايا سيئة لاحتكار الأسواق الافريقية ـ واستعمار هذه القارة اقتصاديا ـ ولم تكن بالطبع اسرائيل وحدها فى هذا المجال .. بل وراءها الدول الاستعمارية التى اتخذت منها ذريعة للتغلغل الى افريقيا مرة أخرى بعد أن انقشع نفوذها السياسى عنها وكأن الاستعمار قد خرج من الباب ليدخل من النافذة .

والدور السياسى الذى لعبته اسرائيل لمساندة توغلها الاقتصادى كان يتلخص فى تمكين نفوذها فى الدول الافريقية التى على وشك الاستقلال ـ والمسارعة فى الاعتراف.. بالدول التى استقلت وتبادل السفارات معها وتنصيب اليهود الذين هم من أصل أفريقى فى المراكز الهامة فى هذه السفارات ـ وتوجيه الدعوة لكبار الشخصيات الافريقية التى ينتظر أن تتولى الحكم بعد الاستقلال لزيارة اسرائيل وتوثيق الصلات بين النقابات فى هذه الدول .. والنقابات المماثلة لها فى اسرائيل وايفاد الخبراء الاسرائيليين لدراسة الامكانيات على الواقع .. وعقد الاتفاقات السرية مع الدول الاستعمارية لتمكين نفوذها ـ ومن هذه الاتفاقات ما حدث بين بن غوريون وديجول رئيس جمهورية فرنسا وبمقتضاه تعهد ديجول بأن تخلف اسرائيل فرنسا فى البلاد التى خرجت منها.. وقد نجح هذا الدور السياسى الى أبعد الحدود فى كسب أرض وتمكين نفوذ ولم يبق لاسرائيل الا أن تنطلق بنواياها سافرة لا يهمها اعتراض أو مقاومة بعد أن امسكت بالزمام وهيأت نفسها « لعملية الغزو » ..

وسرعان ما رأينا الشركات والرأسمال الصهيونى الاستعمارى المشترك ينفذ الى مالى وغانا وغينيا والكونغو وليبيريا والصومال وشرق افريقا وتنجانقيا ونيجيريا وروديسيا الشمالية والجنوبية وجنوب افريقيا وجابون والنيجر وداهومى وفولتا العليا وغيرها من البلدان الافريقية المستقلة أو التى ستحصل على استقلالها ونشطت المؤسسات الاسرائيلية تعوض ما فاتها فى الميدان العربى من انتعاش .. وما أصابها فيه من ضمور .. ولتجد

فى السوق الافريقية العوض والربح الجزيل.

وفى ايجاز — نشرح الدور الاستعمارى الاقتصادى الذى لعبته اسرائيل منذ عام ١٩٥٧ فى الاقتصاد الافريقى — متخذين من بعض ما قامت به فى بعض هذه الدول من مشاريع دليلا على نواياها للاستعمار والاحتكار وليس مجرد الكسب وتبادل المنفعة ..

ففى غانا مثلا ، توالت مشروعات اسرائيل فى شتى القطاعات سواء الزراعة أو الصناعة او المقاولا العامة وغير ذلك .. وذلك بعد رحلة قام بها وزير تجارة اسرائيل الى غانا ايام أن كانت تحتفل بعيد الاستقلال وقد انتهز فرصة وجوده ليعقد مع الحكومة اتفاقية استغلالية سماها باتفاق التعاون بين البلدين — وكانت هذه الاتفاقية ايذانا ببدء عهد جديد للنشاط الاسرائيلى فى غانا شمل كل المرافق — فقد تأسست شركة للانشاء والتعمير برأسمال اسرائيلى تحت « اسم » شركة غانا للانشاءات والتعمير « عهد اليها بعمليات التعمير الخاصة بالحكومة كانشاء المؤسسات واقامة المدارس . والمستشفيات وبناء الدور الحكومية وكل ما تحتاجه الحكومة من مبان ومنشئات وقد قدرت تكاليف هذه العملية بأكثر من ٤٠٠ مليون جنيه .. وقد جرت هذه العملية — عملية أخرى هى اقامة الفنادق للحكومة والشركات والأهالى .. واحتكار هذا الميدان حتى أصبح قاصرا على الشركة الاسرائيلية ..

وفى ميدان التجارة والصناعة والزراعة — تم انشاء فرع الشركة ديز نحوف الاسرائيلية لتتولى عملية تسويق جميع المنتجات الزراعية والصناعية — فى أسواق غانا .. وتعتبر هذه الشركة من أقوى الشركات الاحتكارية ولم ينج من شباكها أحد ممن تعاملت معه — وسبيلها الى ذلك اغراء التجار بالتعامل مع منتجات اسرائيل حتى تضمن ارتباطهم بها وذلك عن طريق تخفيض الاسعار بشكل لا يقاوم ثم تسهيل عملية الدفع وتقسيطها على آجال بعيدة .. ولهذا الاسلوب ضمنت الشركة احتكارها لعملية التسويق — والتصاق التجار المحليين بها وخاصة اذا وقعوا فى هوة الاستدانة ..

وبعد أن ضمنت الشركات الاسرائيلية احتكار عملية التسويق وربط أجزاء البلاد فى خطوط منتظمة بدأت تصدر منتجاتها من الاسمنت والمنسوجات والادوية والادوات الكهربية والمعدات الهندسية والفواكه المحفوظة والملابس الجاهزة والافلام وغير ذلك، وتحتكر محصولات غانا الرئيسية كالكاكاو واللحوم والفحم والماس والخشب والقطن وغيرها من الخامات اللازمة للصناعة فى اسرائيل .

وفى غينيا أخذ النشاط الاسرائيلى طريقه اليها ليتحكم فى أسواقها بعد فترة قصيرة من الزمن ولتكون له بعد ذلك كلمة نافذة وقد بدأت هذه الصلات فور استقلال غينيا حينما دعت نقابات العمال فى اسرائيل وفدا من عمال غينيا لزيارة تل أبيب — واستغل الصهيونيون هذه الزيارة ليجعلوا منها موضوعا للصداقة بين اسرائيل وغينيا ..

وأسرعت دعايتهم تصرح بقوة الصلات بين البلدين وضرورة زيادة التعاون الاقتصادى بينهما .. ونجحت هذه الدعاية فى أن تجعل من أسواق غينيا متنفسا للاقتصاد الاسرائيلى.

وارتبطت ليبيريا مع اسرائيل بعلاقات تجارية فضلا عن تبادل التمثيل السياسى بدرجة سفارة وبمقتضى هذا الارتباط حصلت اسرائيل على كميات كبيرة من الحديد الخام والمطاط الذى تشتهر به هذه البلاد — كما فتحت الاسواق فى ليبيريا للمصنوعات الاسرائيلية والرأسمال الصهيونى ..

وفى منطقة وسط أفريقيا كان متوقعا أن يمكن الاستعمار البريطانى الذى كان يسيطر على نياسالاند وروديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية للنفوذ الاسرائيلى فى هذه الدول .. وبالفعل استطاعت اسرائيل بفضل الانجليز من تثبيت أقدامها فى هذه المنطقة ، وعقد مندوبوها المؤتمرات لتقوية العلاقة بين شعوب وسط افريقيا واسرائيل .. وتهيئة الاذهان لتقبل الغزو الاقتصادى المنتظر .. كذلك وجدت اسرائيل فى هذه المنطقة مركزا مناسبا

لربط شرقي افريقيا بغربها لتسهيل عملية تبادل السلع ونقل البضائع ...

اما عن اسرائيل ونيجيريا - فقد وجدت فيها مرتعا خصبا لمنتجاتها الرخيصة التى تحتاج اليها فى الحياة اليومية - وتمكن عملاء اسرائيل بعد دراسة واستطلاع من تصريف منتجاتهم فى السوق النيجيرية ..

وكان أول ما فعلته اسرائيل تقوية صلاتها بالمنظمات النقابية العمالية .. فى نيجيريا عن طريق الاتصال المباشر بها ودعوة هذه النقابات لزيارتها ورد الزيارات لها - وقد دعا اتحاد نقابات اسرائيل زعماء النقابات العمالية فى نيجيريا لزيارة اسرائيل - وقد تمت خلال هذه الزيارات صفقات من الرشوة وشراء الذمم بالمغريات التى لا تقاوم بسهولة وذلك لضمان مساندة عمال نيجيريا للاقتصاد الصهيونى - وتلت هذه العملية زحف رأس المال الاسرائيلى الى هذه البلاد بتشجيع من حكومة اسرائيل ومساندة فعالة من الرأسمال الامريكى الذى قدم قروضا مغرية للشركات الاسرائيلية - وبرزت فى الصورة شركة « نيجر سول كونستر كشن كمبانى » وشركة « سوليل يونيو » وشركة « هازار » - وتعد الاولتان من أشهر الشركات الاحتكارية اليهودية ذات الرأسمال الضخم وقد تولت الشركة الاولى تنفيذ عمليات المقاولات ، والثانية والثالثة عمليات استغلال ثروة نيجيريا واستثمار مواردها الهامة لصالح الصناعة الاسرائيلية ..

ورأى الاستعمار الاقتصادى الاسرائيلى ان يفتح لنفسه افاقا جديدة وذلك عن طريق المشروعات الزراعية - وتمكن بفضل مساندة الاستعمار الانجليزى من السيطرة على كثير من أخصب الاراضى الزراعية ليجعل منهما اقطاعات تتبع اسرائيل رأسا .. وقد وصل رأس المال المستغل فى الزراعة حوالى أربعة ملايين من الجنيهات .. تنفق فى استغلال المطاط والكاكاو والاخشاب ..

وقد احست العناصر الوطنية بخطورة الرحف الصهيونى على ميدان الاقتصاد - فبدأت تقاوم هذا الاستعمار الجديد .. وبرز هذا الاتجاه فى الاقليم الشمالى حيث تزعم أحمدو بللو عملية محاربة الاحتكارات الاسرائيلية التى تهدد استقلال نيجيريا وتقضى على اقتصادها القومى وتتحكم فى دخل البلاد ومواردها - واتبع فى هذا الصدد خطوة ايجابية باغلاقه الاسواق الشمالية فى وجه البضائع الاسرائيلية - ومراقبة رأس المال الصهيونى بحذر بالغ . . وأحست اسرائيل بخطورة هذا الاتجاه الوطنى بشتى الوسائل غير ان هذه المحاولات لم تسفر عن شىء لصالح اسرائيل التى رأت ان تقصر جهودها مؤقتا على الاقاليم الغربية فى نيجيريا ..

وبالنسبة لاقاليم شرق افريقيا - اتخذ الاستعمار الاسرائيلى من مدنها الساحلية معاقل لنشاطهم التجارى وقد بدأ هذا الاتجاه منذ منحت فرنسا لاسرائيل ميناء جيبوتى لتديره بمعرفتها ومن جيبوتى امتد النشاط الصهيونى الى ميناء بربرة ثم مقديشيو بمساندة الاستعمار البريطانى - وقد نشط الرأسمال الاسرائيلى فى السيطرة على اقتصاديات هذه المنطقة خاصة الثروة الحيوانية - ومنها خرجت اللحوم المحفوظة والطازجة الى اسرائيل والبلاد التى تتعامل معها - كما أصبحت هذه الاقاليم سوقا هاما لاستهلاك المنتجات الاسرائيلية خاصة الاسمنت وقامت المؤسسات الصهيونية وعلى رأسها شركة « راسكو » تفتح فروعا لها فى المدن الهامة .. لتوسيع العلاقات التجارية مع افريقيا الشرقية ...

ولما كانت جنوب افريقيا امتدادا للمجال الاستعمارى الاوربى فان اسرائيل لم تجد صعوبة فى غزو اسواقها التى اعتبرتها مجالا طبيعيا لمنتجاتها .. واذا كان الاستعمار قد كان سندا لاسرائيل فى الدول الافريقية التى كان يسيطر عليها فمن باب اولى ان يخلق لها مركزا مرموقا فى المناطق التى لا زالت تستظل بظله .

وفى افريقيا ثلاث شركات اسرائيلية كبرى توافرت على سلب الامكانيات الاقتصادية الافريقية الاولى شركة « اخوان يلغرز » والثانية « شركة المقاولات والانشاءات » والثالثة « شركة المشتريات » - وتقوم الشركة وهى عالمية لها فروع فى الكويت والعراق

والبحرين وتطلق على نفسها مسميات مناسبة فى كل مكان « كشركة نفط الكويت » وشركة « نفط البحرين » وشركة « يونايتد امريكان » فى نيجيريا وشركة « كومبانى فرانسيزدى لاكوت ديفوار » فى ساحل العاج وشركة «نيجر كومبانى» فى مالى وشركة « نيجر افريكان » فى السنغال — وذلك لتيسير عملية الاستغلال. وتقوم فروع هذه الشركة الموحدة الادارة المختلفة الاسماء بعمليات السيطرة التجارية على أسواق افريقيا لصالح اسرائيل ...

والشركة الثانية وهى شركة N.C.C. الانشائية التى تتعهد عمليات الانشاء فى هذه الجهات تحت اسماء مناسبة أيضا .. فهى تتسمى غالبا باسم البلد الذى تعمل فيه .. والشركة الثالثة تقوم بدورها الذى يكمل دور الشركتين الاخريتين فى السيطرة على السوق الافريقية ...

وقد بلغ من طغيان النفوذ الاسرائيلى فى افريقيا عن طريق المؤسسات والشركات ان بدات هذه الاوكار تتدخل فى الشئون الداخلية للدول الافريقية التى تعمل فيها — وتحاول توجيه سياسة هذه البلاد لصالحها .. كما انها تدفع الأموال الضخمة للقضاء على العناصر المنافسة أو الحركات الوطنية التى فطنت الى دور هذه الشركات الاستغلالية.. ويقينها من أنها جاءت لتحل محل الاستعمار الاوربى .. وهكذا خرجت هذه المؤسسات عن رسالتها فى استعمار افريقيا اقتصاديا لتحاول تمكين نفوذها واستعمارها سياسيا ..

غير أن هذه المحاولات لم تنطل على العناصر الوطنية الواعية — فبدأت تحارب هذا الاتجاه الاستعمارى المتنكر .. وظهرت هذه الحرب سافرة فى المؤتمرات الرسمية والشعبية التى عقدها ابناء افريقيا والتى كان فيها موضوع التغلغل الاسرائيلى على رأس الموضوعات التى تم بحثها — ومن ذلك مؤتمرات تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية الثلاث التى عقدت فى كوناكرى والقاهرة وموشى والمؤتمرات الرسمية التى عقدت فى اكرا والقاهرة .. ومؤتمر الاقطاب الذى عقد فى مدينة الدار البيضاء فى يناير عام ١٩٦١ .

وقد توصل مؤتمر الدار البيضاء الذى شهده رؤساء المغرب والجمهورية العربية المتحدة وغانا وغينيا ومالى والجزائر الى قرار حاسم بالنسبة لاسرائيل وتوغلها فى افريقيا فى شتى المجالات وخاصة الناحية الاقتصادية .. فلقد دمغها مؤتمر الدار البيضاء بانها اداة فى خدمة الاستعمار . ورسول يحمل رسالته بعد ان تقلص ظله فى اجزاء من افريقيا — وقد جاء فى نص القرار الرسمى :

يلاحظ المؤتمر باستنكار أن اسرائيل دأبت دائما على مناصرة الاستعمار كلما جرى بحث للمسائل الهامة المتعلقة بافريقية ، لذلك يندد المؤتمر باسرائيل بوصفها أداة فى خدمة الاستعمار بنوعيه .. القديم والجديد ليس فقط فى الشرق الاوسط بل فى أفريقية وآسيا ويدعو المؤتمر كافة دول آسيا وأفريقية الى الوقوف فى وجه هذه السياسة الجديدة التى يستخدمها الاستعمار لخلق قواعد له .

وهذه القواعد الذى أشار اليها هذا القرار تتضمن التحكم الاسرائيلى الذى اخذ سبيله الى ميادين الاقتصاد الافريقى من تصدير واستيراد .. واستئثار بالخامات فى الموارد ... وهكذا ... كان رد فعل هذا القرار . كانت التأكيدات التى صدرت من أقطاب هذه الدول التى شهدت مؤتمر الدار البيضاء شديدة الوقع فى اسرائيل — فأصابها الغيظ القاتل ومن هنا كانت محاولاتها المستميتة بعد ذلك لابطال مفعوله بمناورات ودسائس باءت بالفشل .. وتجلى هذا الامر واضحا فى غانا حيث حاولت اسرائيل ان تشكك فى مدى تمسك غانا بقرارات الدار البيضاء .. وحسم الدكتور نكروما الامر حينما أصدر بيانا وجه فيه الضربة القوية الى هذه المناورات الاسرائيلية بان أعلن فى صراحة تامة ان القرار الذى اتخذ فيما يتعلق باسرائيل يمثل خطا أساسيا فى سياسة غانا .. وكان صدى هذا الغيظ المرير سيكون

مستقبلا هو الحصاد الوحيد لكل ما حاولت اسرائيل ان تزرعه فى قارتنا الافريقية المتيقظة بعد ان أصابها اليأس فى اسيا .. وفشلت سياستها لابتلاعها اقتصاديا ..

وقد اجمعت صحافة العالم على انموافقة كل من غانا وغينيا ومالى على قرارات مؤتمر الدار البيضاء يعتبر انتصارا للرئيس جمال عبد الناصر ويبرهن بصدق على قوة اقناعه ونجاح سياسته فقد كانت تربط اسرائيل بهده الدول اقوى العلالق وأمتن الروابط.. واستطاع الرئيس عبد الناصر بحجته السديدة ان يقنع الافريقيين بمدى خطورة التسلل الاسرائيلى .. وقد قالت جريدة الكفاح اللبنانية انه ليس من السهل ان يعلن الرئيس نكروما فى تعهد تاريخى وأمام سمع العالم وبصره ان اسرائيل فى نظره قاعدة للعدوان واداة فى يد الاستعمار ووسيلة للتغلغل الاستعمارى فى اقتصاديات أفريقيا .

وكان لقرار مؤتمر الدار البيضاء الخاص بدمغ اسرائيل بانها اداة فى يد الاستعمار . وتعقيب رؤساء الدول على هذا القرار والذى يحمل معانى التأييد والمساندة لهذا القرار أثر مدو فى الدوائر الاسرائيلية واسرعت وزارة خارجية اسرائيل تصدر تعليماتها الى ممثليها فى غانا وغينيا ومالى بأن يطلبوا من حكومات الدول الثلاث تفسيرا رسميا لقرار مؤتمر الدار البيضاء الذى كشف اسرائيل ودمغها بانها اداة للسيطرة والاستعمار الجديد .. وكان الرد بالايجاب مما سبب انزعاجا بالغا شديدا فى اسرائيل كما أصاب فى الصميم جميع المؤسسات الصهيونية فى هذه الدول . وأصبح كل هذا نذيرا بتدهور اقتصاديات اسرائيل فى افريقيا ...

ورأت اسرائيل ان تقوم بعملية جديدة لاستعادة مركزها .. فقررت الحكومة ايفاد وزرائها فى زيارات خاصة الى بعض الدول الافريقية لمحاولة تدعيم صلاتها ، واستئناف اقوى الصلات معها .. فكانت تلك الزيارات التى قام بها فى العامين الماضيين وزراء التجارة والصناعة والخارجية والمالية لعديد من البلدان الافريقية والادلاء بالتصريحات التى قصد من ورائها افهام الرأى العام الافريقى والعالمى بأن صلات اسرائيل بالعالم الافريقى مازالت فى عنفوانها ...

واستمرت اسرائيل منذ ذلك التاريخ فى محاولات مستميتة لتثبيت وضعها غير الشرعى الذى خلقه لها الاستعمار .. وكانت تكتل جهدها وخاصة فى الاوقات التى تسبق عقد مؤتمرات افريقية الشعبية منها والرسمية ومن ذلك زيارة جولدا ماير لتنجانيقا فى الايام السابقة لعقد مؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية الافريقية على أرضها فى فبراير من هذا العام .. وتصريحاتها المضللة عن علاقات اسرائيل بافريقيا — والجهود التي بذلتها لكسب موقف يدعم مكانتها .. ثم تلك الحملات المضللة من الاكاذيب التى بثتها قبل انعقاد مؤتمر أديس أبابا لكى تقلل من أهميته ... وجاء رد الرئيس جمال عبد الناصر فى الخطاب الرسمى الذى القاه فى هذا المؤتمر الكبير ليفضح حقيقة اسرائيل حين قال :

لقد جئنا الى هنا بغير أنانية حتى المشكلة التى نعتبرها من أهم مشاكلنا وهى مشكلة اسرائيل التى رأت معنا دول مجموعة الدار البيضاء بحق — انها أداة من أدوات التسلل الاستعمارى فى القارة وقاعدة من قواعده العدوانية — لم نطرحها للمناقشة فى هذا الاجتماع مؤمنين بأن تقدم العمل الافريقى الحر سوف يكشف الحقيقة يوما بعد يوم بالتجربة ويعريها من كل زيف أمام الضمير الافريقى .

حقا . ان الوعى الافريقى المتحرر .. لا بد أن يدرك سريعا كيف اغتصبت اسرائيل اقتصادياته — وهيمنت على أسواقه — لتشجيع الاستعمار الراحل — ومساندته بنفوذه وسطوته .. لقد استطاعت الدول المتحررة ان تجبر الاستعمار ..وهو الاصل — على الخروج منها .. ولا ريب فى انها تستطيع الاطاحة بظله وسوف تظهر الايام القادمة هذه الحقيقة التى لا نشك فى حدوثها ...

((دكتور محمد المعتصم سيد))

هذا ما أتمنى تحقيقه

محمد خميستي .. يفيض ببعض أسراره

دعى المسيو سيمون لى ، المراسل الخاص لمجلة « لاجين أفريك » بالجزائر ، لتناول العشاء بمنزل المرحوم محمد خميستي وزير خارجية حكومة الجزائر ، وكان المسيوسيمون هو آخر صحفي يلتقى بالوزير الشاب قبيل الاعتداء عليه عند خروجه من الجمعية التأسيسية ، وقبل موعد مجيئه الى القاهرة بيومين .

وفيما يلى خلاصة ماكتبه الصحفى عن هذا اللقاء :

يعيش السيد/محمد خميستي مع زوجته السيدة/فاطمة مشيش خميستي وطفلها فى شقة كائنة بشارع بن ديدوش (ميشليه سابقا) .

وبينما كنت جالسا مع الزوجة فى انتظار تشريف الزوج من عمله ، أرادت سيدة الدار ان تعلل أسباب تأخير عودة زوجها فرجحت ذلك الى ظروف طارئة عاجلة مفاجئة .

فقالت : « ان زوجى محمد يعمل حوالى ثمانى عشرة ساعة يوميا ، وكما ترى ، فقد أوشكت الساعة على العاشرة مساء وهو لا يزال مجتمعا مع « دحال » الذى جاء من باريس بعد أن بحث اعادة النظر فى اتفاقيات « افيان » .

ثم استرسلت فى حديثها وأخذت تحكى قصة حبها العذرى الساذج الذى نشأ فى نيويورك فى شهر اكتوبر الماضى عندما قام الرئيس بن بيللا بزيارته لمجلس الامن .

عرفت من حديث السيدة انها كانت أرملة ، أرملة حرب ، فقد تزوجت للمرة الاولى من حاكم الولاية الخامسة وقتل هذا الزوج فى حرب الجزائر الاخيرة .

وانه لجدير بالذكر ان السيدة فاطمة مشيش مجاهدة جزائرية ، فى ريعان وعنفوان شبابها ، تتمتع بقسط وافر من الجمال المرموق .

لقد انتخبت هذه السيدة عضوا فى الجمعية التأسيسية وهى فى السادسة والعشرين من عمرها ، وطلب منها الزعيم أحمد بن بيللا الاشتراك فى البعثة التى كان يرأسها عند سفره لحضور جلسات انضمام الجزائر الى هيئة الامم .

وفى نيويورك ، وفى فندق « باركلى » قابل السيد/محمد خميستي للمرة الاولى السيدة التى أراد لها القدر أن تصبح فى أقل من ثلاثة شهور زوجة له .

قالت لى مدام خميستي وهى تستطرد حديثها :

« دعانى محمد ونحن فى نيويورك لتناول العشاء مع بعض الاصدقاء مرة واحدة أو مرتين على ما اذكر . ولم يكن يجول بخاطرى وقتذاك أى تفكير عن زواجنا ، الا انه كان ظريفا معى فى جميع تصرفاته مثله كمثل سائر الاخوة الزملاء أعضاء البعثة . وعند عودتى الى الجزائر ، كثيرا ما كنت استدعى فى وزارة الخارجية للاشتراك فى مناقشة بعض المسائل الهامة باعتبارى عضوا فى لجنة الشئون الخارجية التابعة للجمعية التأسيسية وكنت التقى دائما ـ بطبيعة الحال ـ بمحمد. وفى ذات يوم فاجأنا الرئيس بن بيللا بقوله ، والابتسامة العريضة تعلو شفتيه : « ماذا تنتظران اذن لتتزوجا » .

لقد استطاع بن بيللا أن يعبر بهذه الكلمات الرقيقة ، المقتضبة اللطيفة ، عما كان يشعر به كلانا فى قرارة نفسه ويحس به فعلا ويود فى الوقت نفسه ترجمته الى الواقع والتعبير عنه بوضوح وعلانية .

وهكذا تزوجنا ...

محمد كثير السفر حقا ورغم ذلك فاننا

سعداء فى حياتنا الزوجية . اننى دائمةالعمل والانشغال مثـله تماما . اننى أعمل فى الجمعية التأسيسية بهمة وجد ونشاط وأود الوصول عما قريب الى استصدار تشريع خاص يحول دون تعدد الزوجات .

وبعد العاشرة بقليل ، وصل السيد/محمد خميستى .

كان شاحب اللون يبدو عليه الاجهاد والتعب . لانه عندما عاد من رحلته فى البلاد العربية مع بعثة الكولونيل « بومدين » ، وجد فى انتظاره كلمة من الرئيس بن بيللا يطلب منه ان يعجل باللحاق به فى مدينة « قسطنطينة » . وبعد أن ظل هناك أربعة وعشرين ساعة عاد توا الى الجزائر على متن طائرة « هيليكوبتر » ليشترك فى اجتماع لجنة مناقشة الميزانية .

« اننى مجهد ... »

هذا ما قاله محمد خميستى .

ورغم هذا الاجهاد فلا زلت مقبلا على عملى .. ويدفعنى الى ذلك تلك الثقة الغالية التى أشعر بها وأحسها كلما أرى هذه الالاف المؤلفة من اخواننا الجزائريين الامجاد الابرار ، يظهرون مشاعرهم الفياضة المليئة بالحب والثقة والايمان لحكومتنا الرشيدة المباركة. ان فى هذا الشعور الفياض لدليلا قاطعا على أن شعبنا الوفى الابى كان ولا يزال يجاهد ببسالة وشجاعة وحب واقدام . وأن مارأيناه ولمسناه بأنفسنا فى مدينة « قسطنطينة » لغنى عن التعريف .

اننى أرى من الواجب علينا ان نبذل قصارى جهدنا لتحقيق الامال العظيمة لشعبنا الكريم رغم الصعاب التى تعترضنا والمشكلات التى نواجهها والاخطاء التى تتبين لنا وتقف حائلا أمامنا .. ومن ذا الذى لا تواجهه مشكلات وأخطاء وصعاب ؟ .. محال هذا .. أن المهم فى الامر هو الوصول بشتى الوسائل التى تحقق أهدافنا السامية وبلوغ غايتنا المنشودة مهما كلفنا الامر .

... بالرغم من اننا فى طور التكوين ، فقد حققنا الشيء الكثير وقطعنا شوطا ليس بالقصير . وبعد رحلتنا المقبلة الى القاهرة والانتفاع بثمرتها الفكرية والقومية التى تهدف الى الوحدة القوية بين الشعوب العربية على أسس سليمة وفية ، سوف نتشرف باستقبال السيد/الرئيس « جمال عبد الناصر » ثم اصطحب بعد ذلك الرئيس بن بيللا الى مراكش لحضور مؤتمر الدار البيضاء . وفى يوم ٢٢ مايو يجب ان أسافر الى أديس أبابا . وهناك فكرة أخرى للسفر مع بن بيللا فى رحلة الى يوغوسلافيا فان لهذه الرحلة أهمية عظمى .

أما بالنسبة لمؤتمر وزراء خارجية دول شمال افريقيا فلا أظن أنه سوف يعقد فى التاريخ المحدد له لان « الرباط » تطلب تأجيل انعقاد هذا المؤتمر من جهة ومن جهة أخرى فانه يجب الاعداد لهذه المؤتمرات بكل دقة لما تتطلبه المواضيع التى سوف يتضمنها جدول الاعمال من دراسة وافية وبحث كاف.

قال الصحفى ..

يقال أن حكومة تونس تنتظر تحديد اسم السفير الجزائرى .

فأجابه الوزير الشاب :

نعم .. نعم نعم أعلم ذلك .. ولكن لايمكن تنفيذ هذه الرغبة حاليا مادمنا لم نحدد بعد اسم سفيرنا فى القاهرة . واذا ما تعين « ابراهيمى » فسوف نفحص اسماء المرشحين وربما نرسل « بن سالم » .

وقال الصحفى سيمون :

هناك شعور فى تونس بأن الزعماء الجزائريين يبحثون بعض المواقف الداخلية فى تونس .

فرد خميستى قائلا :

ان كان هذا الشعور موجودا حقا فهو قائم على غير أساس والمهم عندنا ان تقوم العلاقات بين تونس والجزائر على الأسس متينة وروابط قوية من المحبة والصداقة .

واننى لا أرى ضرورة ولا سببا للتدخل فى الشئون الداخلية لتونس واعتقد ان تصرفات الرجال حيال شعوبهم مرتبطة دائما بشخصياتهم .

وسأله الصحفي عن جولته المنتظرة في الشرق الاوسط :

وقال خميستي .. اننا لن ننحرف قط على طريقنا .. بل سوف نسير فيه بخطى قوية وثابتة .

اننا نبذل قصارى جهدنا لتحقيق الوحدة العربية ونعتبر أنه يجب ، لتكون الوحدة قوية شاملة دائمة ، أن يكون قوامها الحركات الثورية حقا . وقد صرحنا مرارا بان الوحدة العربية قوة خارقة غير عادية يجب أن تنمى تدريجيا حتى لا تتعثر مستقبلا .

قال المسيو مالي :

وما قولكم في اتفاقيات ((ايفيان)) سيما وقد كنتم مع السفير ((رحال)) ؟

فأجاب الوزير محمد : لا اظن اننا نسير في طريق سوف يؤدى بنا الى أزمة مع فرنسا لان اخر الانباء الواردة من هناك تترك لنا مطلق الحرية لمواجهة جميع الاحتمالات . ويجب علينا - كما قال لى بن بيللا - أن نراعى روح الاتفاقيات لا حرفيتها . واننى على يقين أن الجنرال ((ديجول)) يعرف تماما مدى الضرورة التى ألجأتنا الى اتخاذ بعض القرارات الاشتراكية الاخيرة .

وماذا تتوقعون هنا بشأن المؤتمرات المقبلة التى سوف تنعقد في مراكش وأديس أبابا ؟

أن الصعاب التى تنتظر الساسة عند اللقاء في مراكش كثيرة جدا لان هناك تقديرات أو مفاهيم ضرورية قد تؤدى الى عقبات الا أن هناك روابط عديدة تربطنا بمجموعة دول الدار البيضاء . ومن المؤلم أن نترك هذه الدول ولا نتعاون معها سيما وأننا لا نعرف حتى الآن موقف الذين سيجتمعون بعد أسبوعين في أديس أبابا وعلى كل فان هذا الاجتماع سوف يعتبر اجتماعا تاريخيا ويجب أن نبذل الجهد للوصول فيه الى قرارات حازمة في مسألة جوهرية هامة الا وهى مقاومة الاستعمار في البلاد الافريقية والقضاء عليه بصفة نهائية مبرمة . .

لقد أصبحت العبارة الطنانة والكلمات البراقة الرنانة غير ذى موضوع وغير كافية ويجب أن تدخل في مرحلة العمل . هذا هو الهدف الاساسى الذى نبغيه ونحاول الوصول اليه في اجتماعات أديس أبابا .

استمر حديثنا الى ساعة متأخرة من الليل ولم يقاطعه سوى بعض الكلمات التليفونية العاجلة ، الى أن بلغت الساعة الثانية صباحا

فقال لى الوزير خميستي :

يجب أن أستيقظ في السادسة صباحا لاعد بنفسي ملفي الخاص وأوراق محادثتى مع السفير الفرنسي ((غورس)) .

كان ذلك في مساء يوم الثلاثاء وفي يوم الخميس التالى اعتدى مجرم شرير في تمام الساعة الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة على أصغر وزير للخارجية في العالم ، باطلاق رصاصات مسدسه عليه والتى أصابت قلب القتيل وفي الوقت نفسه أصابت الدولة التى وثبت وثبتها الثورية العظمى وهى دولة الجزائر المجاهدة .

عن الفرنسية : ترجمة محمد شريف

الروابط الجغرافية والتاريخية
بين النيجر والجمهورية العربية المتحدة

بقلم : أحمد صوار

فى هذه الايام يزور الجمهورية العربية المتحدة السيد/هامانى ديورى رئيس جمهورية النيجر وأحد الرؤساء الافريقيين الذين وقعوا ميثاق منظمة الوحدة الافريقية فى الخامس والعشرين من شهر مايو الماضى . والجمهورية العربية المتحدة تحتفى بمقدم رئيس جمهورية النيجر ، التى تجمع بينهما روابط التاريخ القديم وهى روابط قوية تستند على أسس جغرافية وتاريخية ودينية وثقافية .

ان التباعد الذى فرض على دول القارة طوال تاريخ الاستعمار فيها وسياسة العزل وتعميق المسافات بين أقاليمها هو الذى حرم الشعوب الافريقية فرصة التلاقى والتعاون فى ميادين العمل المختلفة وبعث العلاقات الانسانية العريقة .

لهذا يحق لنا القول بأن لقاء الزعيمين عبد الناصر وديورى هو تفجير للجمود الذى وضعته القوى الاستعمارية طوال احتلالها للقارة فى طريق العلاقات بين « القاهرة ونيامى » . ولقد ساعد على ذلك أيضا الروابط المتعددة التى تجمع بينهما سواء من الناحية الدينية أو الجنسية أو الثقافية أو التاريخية .

فالجمهورية العربية المتحدة والنيجريقعان فى قارة واحدة وهى افريقيا ويتميزان بموقع استراتيجى بحكم موقعهما الجغرافى .. تحرس « الباب الشمالى » للقارة الافريقية وتتحكم جمهوريتنا فى عدة طرق تؤدى كلها الى القارة فهى تقع على الطريق الموازى لساحل البحر الابيض المتوسط والمؤدى الى افريقيا الشمالية الغربية ، كما تقع عند مشارف الطرق المتجهة الى الجنوب حيث وسط القارة وشرقها وذلك عن طريق نهر النيل ودرب الاربعين والطريق الموازى لساحل البحر الاحمر ، لهذا كانت مصر دائما محط أنظار الغرب الذى كان ينظر اليها دائما بعين الطمع فهى مفتاح الشمال والبوابة الطبيعية الى طول القارة وعرضها .

اما النيجر أو « أصبع الصحراء » فقد كانت دائما فى نظر فرنسا ذات أهمية عسكرية أكثر منها اقتصادية .. وما زالت « منطقة النيجر العسكرية » مكتوبة فى المكان الذى تشغله جمهورية النيجر فى الخرائط الجغرافية القديمة .

ونظرة الى خريطة النيجر نجدها تحتل موقعا وسطانى قلب الصحراء الكبرى تستطيع منه أن تتحكم فى الاقاليم المجاورة . لهذا حرصت فرنسا بعد أن ثبتت أقدامها عند نهر السنغال فى عام ١٨٥٤ ان تستولى على بلاد النيجر وتضمها الى ممتلكاتها لتؤمن امبراطوريتها فى افريقيا الغربية من جانبها الشرقى . وتاريخ احتلال فرنسا لبلاد النيجر خير شاهد على ذلك فان الفرق العسكرية الفرنسية التى خرجت لاحتلال النيجر وصلت اليها من الشمال عن طريق ليبيا والجزائر ومن الجنوب عن طريق حوض نهر النيجر ومن الغرب عن طريق السودان الفرنسى التى أصبحت فيما بعد جمهورية مالى تخليدا لذكرى امبراطورية مالى القديمة التى كانت تمتد فى افريقية الغربية .

فكما تقع الجمهورية العربية المتحدة من البوابة الشمالية الشرقية للقارة فالنيجر تحتل موقعا استراتيجيا بالنسبة لمنطقة غربى افريقيا ففى الشمال تحدها ليبيا

والجزائر وفى الشرق تحدها تشاد والسودان وفى الغرب مالى والسنغال . هذا بالاضافة الى انها تقع على طريق القوافل القديمة الذى استخدمته الهجرات البشرية منذ آلاف السنين وهو الطريق الذى يبدأ من مدينة الجزائر شمالا ويتجه جنوبا ليمر بعين صالح ثم يدخل النيجر ليمر بمدينتى أجاديس وزندر ثم الى منطقة الغابات الكثيفة التى تقع خلف حزام السفانا فى الشمال .

وهناك حقيقة هامة يجدر بنا ان نذكرها وهى ان الصحراء الكبرى تمتد داخل اراضى الجمهورية العربية المتحدة من ناحية الغرب حتى حوض نهر النيل فالصحراء الافريقية تشغل من مساحة جمهوريتنا ما يقرب من ثلاثة ارباع المساحة الكلية اذ يصل نصيبنا من الصحراء الافريقية نحو ٧١٠٫٠٠٠ كيلو متر مربع .

ومن ناحية اخرى فان جمهورية النيجر تقع كلها داخل الصحراء الافريقية اذ تحتل منها حوالى ١٫٢٧٩٫٠٠٠ كيلو متر مربع .

وليس تشابه الموقع هو كل ما يربط بين الجمهورية العربية المتحدة والنيجر بل هناك ايضا وحدة الدين والجنس فقبائل الطوارق وغيرها من القبائل التى تنحدر من اصل عربى عمرت بلاد النيجر وخاصة فى الاجزاء الشمالية منها ولقد انحدرت هذه القبائل عن طريق مصر . ولقد ذكر هذه الحقيقة الكاتب الانجليزى « هاريسون تشرش » فى كتاب « وست افريكا » فى الصفحة ٢٦٣ . ولقد عاش الكاتب المذكور فى منطقة افريقيا الغربية اكثر من عشرين عاما وهو يقول فى كتابه :

« ان قبائل الطوارق انحدرت من مصر عن طريق « فزان » فى ليبيا ومنها الى غرب افريقيا والنيجر » .

والطوارق هم عصب الشعب النيجرى وهم غالبية سكانها بل ان تاريخهم معروف فى نضالهم ضد القوات الفرنسية . لقد تكبدت فرنسا خسائر كبيرة نتيجة للحملات التى شنها الطوارق على الحاميات الفرنسية فى اعوام ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٦ ، ١٩١٤ وكان أشدها ثورة سلطان زندر عام ١٩٠٦ ضد السلطات الفرنسية ومنذ ذلك الحين ولم تعين فرنسا خلفا لها الا فى عام ١٩٢٣ .

ولقد ترتب على هجرة هذه القبائل ان نقلت معها ديانتها ولغتها فأصبح الدين الاسلامى هو دين الغالبية العظمى من سكان النيجر وبالتالى احتفظ سكان النيجر باللغة العربية لانها لغة دينهم وقرآنهم . ومن هنا جاء التلاقى بين الشعبين فى الدين واللغة . ولقد تأثرت القبائل الاخرى المجاورة فى بلاد النيجر بالثقافة العربية والدين الاسلامى فاسلمت غالبية قبائل المنطقة وتعلمت اللغة العربية وبهذا اصبح الاسلام دين غالبية سكان النيجر اذ تصل نسبته الى أكثر من ٩٩ ٪ .

والواقع ان التاريخ حافل بالادلة التى لا تنتهى عن العلاقات القديمة بين شعب مصر وشعب النيجر ومن ابرز هذه العلاقات ان شعب النيجر وزعماءه اتخذوا منذ معرفتهم بالاسلام مصر طريقا الى الاراضى المقدسة لتأدية فريضة الحج وبطبيعة الحال كان النيجريون يختلطون بالمصريين أثناء مرورهم

لهذا فان زيارة ديورى للقاهرة ليست غريبة فلقد عرف اجداده مصر والمصريين منذ قديم الزمان وأصبح « حاجز الصحراء » الذى ابتكرته الدول الاستعمارية حديث خرافة وفى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى مؤتمر القمة الافريقى فى اديس أبابا نرى هذه العبارة :

« ان جميع التقسيمات التى حاول الاستعمار فرضها على القارة وتمزيقها الى شمال الصحراء وجنوب الصحراء ، الى افريقيا بيضاء وسوداء وسمراء الى شرق وغرب الى افريقيا ناطقة بالفرنسية واخرى ناطقة بالانجليزية قد انهارت جميعا وجرفتها الحقيقة الافريقية الاصيلة ولم يبق على أرض افريقيا غير لغة واحدة ، هى لغة المصير المشترك مهما اختلفت اساليب التعبير »

الحكومات الافريقية ترفع شعار التنمية والتخطيط

بقلم : رضا خليفة

ماذا ستكون عليه الاوضاع فى افريقيا بعد خمس سنوات ! ! يمكننا أن نتصور ذلك اذا تصورنا التطورات الهائلة التى حدثت فى السنوات الخمس الماضية . ويقودنا هذا التصور الى حقيقة هامة هى ضرورة العمل من أجل الاستقلال الاقتصادى .

ومع بداية العام الماضى شرعت اللجنة الاقتصادية لافريقيا ، التابعة للامم المتحدة ، فى دراسة هذه المشكلة . ورأت اللجنة أن الحل الجذرى للمشكلة هو أن يتولى الافريقيونأنفسهم مسئولية البناء الاقتصادى بدلا من الاعتماد على الغربيين ، ذلك اذا أردنا تغيير الاوضاع الموروثة عن الاحتلال ، وان تسرع الدول الافريقية حديثة الاستقلال بتدعيم هذا الاستقلال باقامة بناء اقتصادى سليم .

معهد افريقى للتنمية والتخطيط

وهكذا نشأت فكرة اقامة معهد افريقى للتنمية الاقتصادية والتخطيط .. **التنمية** لاستغلال الموارد الهائلة ورفع مستوى الشعوب الافريقية التى عانت صنوف الاستبداد والاستعباد .. **والتخطيط** للاسراع فى الانتاج وذلك باعداد خطة قومية شاملة والعمل على تطبيقها فى الدول الافريقية ، لكى تعوض ما فاتها من التقدم والخبرة .

وفى الاسبوع الاول من هذا الشهر التقى ممثلو سبع دول افريقية من شرق القارة وغربها وشمالها ، لبحث مشروع المعهد . واشترك مع الدول الافريقية سكرتيرية اللجنة الاقتصادية لافريقيا ومراقبون عن الوكالات المتخصصة للامم المتحدة ، وهى مكتب العمل الدولى وهيئة التغذية والزراعة وهيئة الصحة العالمية واليونسكو والصندوق الخاص .. وقد وعدت هذه الهيئات بتقديم المعونات المالية والمساعدات الفنية للمعهد .

برامج تدريبية فى داكار والقاهرة وتونس

واستغرقت اجتماعات اللجنة فى القاهرة خمسة أيام . وفى ٧ يونية أعلنت اللجنة قراراتها باقامة المعهد فى داكار - عاصمة السنغال - ويتبعه فروع فى المناطق المختلفة من القارة . وستكون أولى هذه الفروع فى القاهرة وتونس .

ويبدأ البرنامج الاول فى داكار فى نوفمبر القادم لمدة تسعة أشهر . ويقتصر القبول فيه على الموظفين الذين ترشحهم حكوماتهم . وهناك يتولى الخبراء الافريقيون والاجانب اعداد « الطلبة » وتدريبهم على الادارة ، وفهم ماهية التنمية الاقتصادية فى افريقيا .

والبرنامج الثانى يبدأ فى القاهرة فى مارس القادم لمدة عشرة أسابيع ، وهنا سيكون البرنامج التدريبى أكثر تخصصا . وتتركز الدراسات على عملية التخطيط والتربية .

والبرنامج الثالث فى تونس . ويبدأ من مارس القادم لمدة ١٢ اسبوعا . ويلتحق بهذا البرنامج أبناء منطقة شمال أفرقيا للتدريب الاولى على الادارة .

طلبات من ١٤ دولة

وقد سارعت ١٤ دولة افريقية بارسال طلبات التحاق لموظفيها للتدريب فى البرامج

المختلفة . وستتولى اللجنة الاقتصادية لافريقيا عرض هذه الطلبات على ادارة المعهد فور تشكيل الهيئة التى ستتولى عملية فرز الطلبات ووضع شروط القبول .

الترتيبات النهائية

وبمجرد انتهاء أعمال اللجنة فى القاهرة ، طار السكرتير العام للجنة الاقتصادية لافريقيا السيد روبرت جاردنر الى تونس لبحث تفاصيل البرنامج مع المسئولين هناك. وبعدها يطير الى داكار للاتفاق على اقامة المعهدوبحث التسهيلات التى ستقدمها حكومة السنغال . ثم يزور بعض الدول الافريقية ، ومنها الى بولندا وموسكو حيث يشرح فكرة المعهد ويدعو له . كما تخلف فى القاهرة مساعد جاردنر ، السيد روايه ، للاتفاق علىتفاصيل البرامج التدريبية المتخصصة مع المسئولين فى معهد التخطيط القومى .

خمسة ملايين دولار

كما بحثت اللجنة فى القاهرة مشكلة تمويل المعهد . ورأت اللجنة أن تكاليف ادارته ستصل الىخمسة ملايين دولار خلالالسنوات الخمس الاولى .. وطلبت اللجنة ان يدفع الصندوق الخاص للامم المتحدة ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار وان تساهم الدول الافريقية المستقلة بمليون ونصف مليون دولار ..

المعهد ليس جامعة

وقد دارت مناقشات ممتعة وعميقة بين وفود الدول الاعضاء . واتضح من هذه المناقشات أن وظيفة الادارة فى الدول النامية كالدول الافريقية ، أصعب بكثير من الادارة فى الدول المتقدمة . فالادارة فى الدول النامية مطلوب منها مهارات متعددة وخبرات مختلفة لتعويض النقص فى الخبراء . ومطلوب منها أيضا العمل على تنمية وظائف ادارية جديدة

واتفق ممثلو الدول الافريقية على أن نجاح المعهد يتوقف على ايمان الافريقيين واصرارهم على الاستفادة منه فالمعهد ليس جامعة أو مدرسة عليا . لان وظيفته هى خلق مفهوم جديد للتنمية الافريقية . وتنسيق التعاون والعمل بين الدول الافريقية واعداد البحوث العملية وتقديم الاستشارات للحكومات الافريقية .

مواصفات مدير المعهد

وتضمن التقرير الذى أعدته اللجنة تشكيل لجنة فرعية صغيرة من الخبراء الافريقيين ، للاتصال بالجامعات والمعاهد الافريقية ، لتحديد اشكال التعاون الذى يمكن أن تقدمه هذه الجامعات للمعهد . والاتصال بمعاهد التنمية والهيئات الاخرى للحصول على أقصى ما يمكن من مساعدات فنية وغيرها .

وفى الوقت نفسه عهدت اللجنة للسيد جاردنر ترشيح مدير عام لمعهد التنمية الافريقى . وكانت الشروط التى وضعتها اللجنة أن يكون المدير مقبولا لدى الدول الافريقية والعالم أجمع ، ومقبولا لدىالدوائر العلمية فى افريقيا وخارجها ، شخصية ديناميكية لانه سيلعب دورا أساسيا فى نجاح المعهد واكتساب تقدير الدول الافريقية واحترام العالم كله .

مسئولية الحكومات الافريقية

ان الشعوب الافريقية اليوم تطالب حكوماتها بانجاز ما يمكن أن يتم فى ٣٠ سنة فى عشر سنوات فقط . فمنذ عام ١٩٤٥ استقلت اكثر من خمسين دولة فى العالم . وقد أعلنت حكومات هذه الدول مسئوليتها عن التنمية السريعة للبلاد .

واتضح من خبرة هذه الدول أن التنفيذ الناجح هو المسئول عن سرعة التنمية . وأن الاستثمارات مهما كانت ، لا فائدة منها بدون القدرة على تنظيم المشروعات وتنفيذها السليم لتحقيق نتائج التنمية المطلوبة . لدرجة ان بعض خبراء التخطيط يقولون ان عملية التنمية هى تدريب انواع جديدة من القدرات والمهارات .

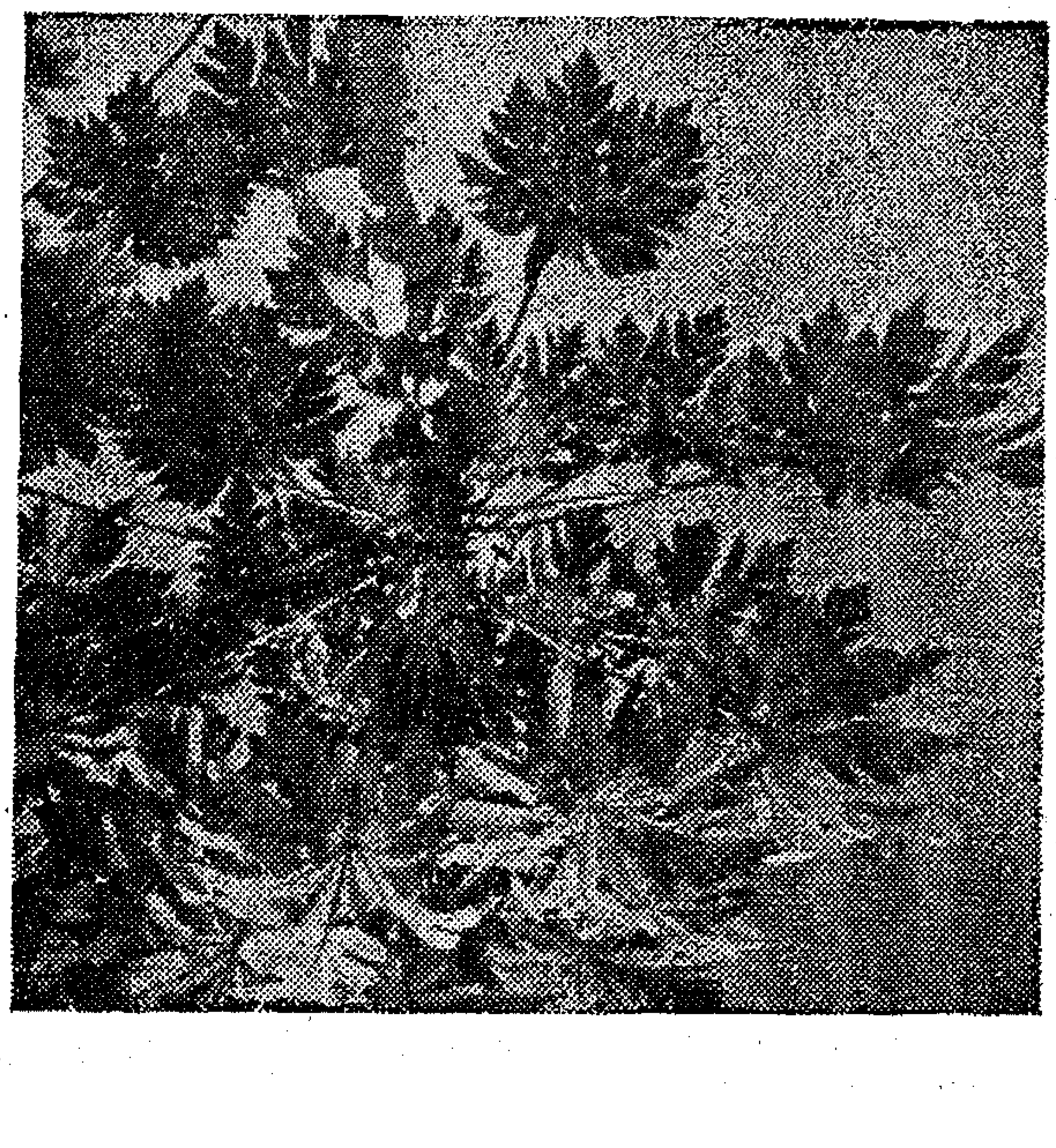
تجربة القاهرة

وكانت الجمهورية العربية المتحدة أولى الدول الافريقية فى ميدان التخطيط القومى. فقد صدر قرار جمهورى فى يونية ١٩٦٠ بانشاء معهد التخطيط القومى . ثم صدر قرار فى ١٩٦١ بانشاء المعهد القومى للادارة العليا .

ويقول الدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن مدير معهد التخطيط القومى ، أن عماية تنظيم الاداة الحكومية ليست مجرد اصدار القرارات واللوائح ، ولكنها فى المرتبة مسألة ملاءمة الجهاز الادارى للتغييرات السياسية فى البلاد . وهى أيضا مسألة علاقات بشرية وتنظيمات ادارية وفنية .

وقال الدكتور احمد فؤاد شريف رئيس المعهد القومى للادارة العليا ان التنمية الاقتصادية ليست مجرد عملية اضافة طاقات انتاجية ، بل هى أيضا عملية تنظيم وادارة للمشروعات الانتاجية بما يكفل التشغيل الاقتصادى السليم . ويقوم المعهد عندنا بمهمة توفير خدمات التدريب والبحوث والاستشارات فى ميادين ادارة الاعمال . كما أصبح تصميم برامج المعهد ينبع أساسا من البيئة المحلية ويعكس مشكلاتها .

وفى كلمات قليلة فان التنظيم الادارى للدولة لا بد ان يمنح الامل لكل موظف وكل عامل . بأن يعطيه عملا هاما يقوم به ، وان يرشده ويدربه على أدائه . وفوق كل شىء أن يشعره بالتقدير ويمنحه القرصة لتحقيق طموحه وتقدم الصفوف .





صفحات من تاريخ نيجيريا

بقلم : عبد الرحمن صالح

لم يبدأ الاستعمار البريطانى لنيجيريا رسميا الا منذ سنة ١٨٦١ .. تلك السنة التى اصبحت فيها لاجوس تابعة فعلا للتاج البريطانى . وقبل ذلك تعرض الشمال النيجيرى طوال قرون عديدة لتأثيرات كثيرة أتته من الممالك الكبيرة التى قامت فى العصور الوسطى بالسودان الغربى مثل ممالك غانا ومالى وسونغاى . كما تعرض الشمال أيضا لتأثيرات عميقة هبت عليه من الشمال الافريقى وخاصة من المغرب وليبيا ومصر عن طريق بحيرة تشاد ومعبر نهرى النيل والنيجر .

وكان نزوح الجماعات النيجيرية الكبيرة الموجودة حاليا بالشمال وهجرتها الى الاقليم مرتبطة بانتشار الدين الاسلامى الحنيف فى مصر والشمال الافريقى خلال القرن السابع الميلادى وبعده . ولقد كانت امبراطوريات « مالى وصونغاى » امبراطوريات اسلامية اعتنق منشئوها الاسلام فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى . وفى سنة ١٤٩٣ تولى عرش صونغاى الامير محمد أسكيا .. وخلال القرنين التاليين تمكن هو وخلفاؤه من ضم معظم امارات الهوسا الى الامبراطورية الاسلامية العظيمة التى ضمت أراضى شاسعة ومدنا رائعة كانت مراكز مزدهرة للثقافة الاسلامية والعربية مثل كاستينا وكانو ... بل كانت الاخيرة ايضا من أشهر المدن التجارية فى الغرب الافريقى . ومن الناحية التاريخية والثقافية ينتمى الشمال النيجيرى المسلم الى السودان الغربى .

وحتى وصول البريطانيين الى نيجيريا كان الشمال النيجيرى مرتبطا اقتصاديا بمصر وليبيا . وكانت مدينة كانو قد ذاعت شهرتها فى جميع أنحاء غرب افريقيا بل وخارج القارة بأنها من أهم مراكز غزل الاقمشة ونسجها وتطريزها بالمعادن النفيسة وكذلك بدبغ الجلود وصناعة البضائع الجلدية الجميلة التى كانت تعرف باسم « الجلود المراكشية » وتحملها القوافل عبر الصحراء الى موانىء الشمال الافريقى حيث تباع .. ثم تعود القوافل حاملة البضائع المختلفة مثل الاقمشة والادوات المنزلية والزجاج . ولكن منذ بدأ الاحتلال البريطانى لنيجيريا فى القرن الماضى تحول طريق التجارة عن طريق الصحراء الى الجنوب حيث الساحل وذلك نتيجة لوضع الحدود السياسية التى أصبحت تعوق مرور القوافل وكذلك نظرا لاهتمام المستعمرين بتحسين وسائل الاتصال بين الشمال والساحل الجنوبى المطل على الاطلنطى حتى تنفصم العلاقات بين مسلمى الغرب الافريقى واخوانهم مسلمى الشمال وحتى تتركز التجارة فى أيدى الشركات الاستعمارية وتعود عليها وحدها بالغلات والارباح .

ولقد تغلغلت جذور العقيدة الاسلامية تماما فى شمال نيجيريا منذ نهاية القرن الخامس عشر الميلادى .. وكانت نتائج ذلك عميقة وقوية .. فقد نتج عن ذلك أن قامت حكومات

قوية مستقرة تفرض النظام والعدالة . كما انتشرت الثقافة والتعليم وأصبحت اللغة العربية هى لغة الثقافة والعلم ودخل لغة الهوسا مئات من الكلمات العربية كما كتبت أيضا هذه اللغة بحروف عربية .

كما أن الاسلام كان رابطة قوية ضمت بين حناياها سكان الشمال جميعا . فلم تسبح بينهم تلك الفروق العرقية والفكرية العميقة التى توجد بين سكان الجنوب ، فضلا عن أنه كان صلة استمرت على هديه - بالرغم من المستعمرين - العلاقات بين العرب الافريقى وبين الدول العربية بالشرق الاوسط نتيجة لرحيل آلاف وآلاف من مسلمى تلك المناطق عبر المسافات الشاسعة الى بيت الله الحرام بمكة لاداء فريضة الحج كل عام .. بل ان عددا كبيرا من مسلمى نيجيريا وغيرها من بلاد السودان الغربى يستقرون سنوات وسنوات فى جمهورية السودان وأريتريا ومصر وغيرها وهم فى طريقهم لاداء الفريضة يعملون فى مختلف المهن ليحصلوا على نفقات الرحلة ويكتسبوا بذلك معرفة بلغة القرآن وتوثيقا لعلاقات بلادهم وأهلهم بهذه الاقطار الاسلامية .

والحق أن تأثيرات الاسلام والعروبة لم تقتصر على الشمال النيجيرى .. بل لقد تسربت الى الجنوب واعتنق الكثير من أهل الجنوب الشريعة السمحة لانهم وجدوا فيها دين الفطرة السهل الذى لا يحتوى على تعقيدات تعاليم المبشرين الاوربيين ولا خرافات العقائد الوثنية .. ويكاد يزيد عدد اليوروبا المسلمين اليوم فى الغرب الافريقى على عدد المسيحيين منهم بالرغم من جهود المبشرين التى يؤازرها ذهب المستعمر وسيفه . وعلى كل فان أثر المستعمر وجهوده فى محاربة الاسلام يتجلى فيما شاب عقائده هناك من جهل وأباطيل واختلاط تعاليمه ببعض العادات الوثنية .. ولكن الامر كذلك ايضا بالنسبة للمسيحية حتى أصبح معروفا ان تعاليم كلتا الديانتين السماويتين قد « تأفرقت » كما يقولون . ولكن الجهود التى يبذلها الازهر وغيره من الهيئات الاسلامية الكبيرة فضلا عن أن تقلص ظل الاستعمار هناك سيؤدى الى تخليص تعاليم الاسلام من هذه الشوائب الدخيلة .

وخلال القرن الخامس عشربدأ البرتغاليون اتصالهم بالغرب الافريقى وبدأ بالتالى على يديهم عهد من أحلك العهود فى تاريخ البشرية جمعاء .. وهو عهد الرق . كانوا يفدون بسفنهم ويبعثون بالحملات الى الداخل حيث الاهالى الامنيين الوادعين فى قراهم وسط الاحراش والغابات فيمسك بهم الموردون والوسطاء ويعودون بهم الى الشاطىء مكبلين بالاصفاد ليسلموهم الى البرتغاليين مقابل دريهمات معدودات أو بضائع تافهة من أسلحة وعقود ومشروبات روحية وغيرها .. ويقوم البرتغاليون بدورهم بنقل بضاعتهم الى بلادهم ثم الى العالم الجديد بعد اكتشافه لتسخيرهم فى مزارع الاسبانيين وغيرهم ممن استعمروا أمريكا . ولقد قدر عدد الافريقيين المستعبدين الذين كانوا ينقلون الى البرتغال سنويا منذ سنة ١٤٥٥ بحوالى ٧٠٠ شخص سنويا . وبتشجيع من هنرى الملاح ملك البرتغال أصبح كل الساحل الغربى لافريقيا معروفا تماما للاوروبيين منذ سنة ١٥٠٠ . ولقد قام التجار والمبشرونالبرتغاليون بزيارة قصيرة لمملكة بنين Benin فى سنة ١٤٨٠ ، ومنذ نهاية القرن الخامس عشر حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر كان لهم نفوذ قوى فى مملكة ايتيسيكيرى بمنطقة وارى .

وخلال القرون الثلاثة التى أعقبت سنة ١٥٠٠ اشتركت معظم الدول الاوربية صغيرها وكبيرها فى تجارة العبيد التى ازدهرت ازدهارا كبيرا عقب اكتشافأمريكا وانشاء المستعمرات الاسبانية فى جزر الهند الغربية التى تطلبت آلافا من الايدى العاملة الرخيصة . وفى سنة ١٧١٢ فرض البريطانيون احتكارا كاد أن يكون تاما على تجارة الرقيق فى ساحل افريقيا الغربى . وبعد قرن من ذلك التاريخ أى فى سنة ١٨٠٧ أعلنت بريطانيا اعتبارها عدم مشروعية هذه التجارة وتحريمها اياها . ولكن هذه الخطوة لم تؤثر تأثيرا كبيرا فى التخفيف من عذاب ملايين البؤساء من زنوج

القارة المستعبدين لانه سرعان ما هرع تجار آخرون من أجناس أوربية متباينة وخاصة من البرتغال لملء الفراغ الذى تركه البريطانيون. بل ان هذه التجارة بلغت أقصى نشاط لها فى هذه الفترة . ولكن فى منتصف عام ١٨٤٠ انتهت نهائيا .

ولم يكن تجار الرق الاوربيون يحبون التوغل داخل أراضى نيجيريا بعيدا عن الساحل واكتشاف ما وراء الشاطىء المليء بالغابات والمستنقعات .. وقليل منهم .. بل قليل جدا هم الذين تركوا سفنهم ورحلوا قليلا نحو الداخل . وكان اقتناص الافريقيين مهمة يقوم بها بعض الافريقيين بتحريض من التجار الاوربيين . وكان زعماء القبائل وتجار الرقيق الافريقيون يقومون بدور الوسطاء بين القناصة والاوربيين ويحضرون العبيد البؤساء الى الشاطىء حيث يتم تبادلهم مقابل البضائع الاوربية وخاصة الخمور والعقود من الخرز والاسلحة والاقمشة الزاهية الالوان . ولذلك فان هؤلاء الوسطاء كانوا يشعرون بالاسف أيضا حين حرمت هذه التجارة .

ولقد كان الساحل النيجيرى معروفا حتى منتصف القرن التاسع عشر باسم « شاطىء العبيد » . ولقد عانى أهله العذاب والعنت طوال قرون أربعة من جراء هذه التجارة المشينة البشعة التى أهدرت انسانيتهم وشردت عائلاتهم وكادت أن تقضى على نظمهم وروابطهم الاجتماعية . ولقد حمل العبيد معهم الى مواطنهم الجديدة عاداتهم وتقاليدهم والكثير من عباداتهم وطقوسهم .. واحتفظوا بالكثير من هذه العادات والتقاليد بالرغم من القوانين الجائرة التى كان يصدرها ملاكهم البيض لخطرها و « تمدينهم » و نشر الحضارة » بينهم كما كانوا يقولون . وان المرء ليجد حتى الان الكثير من ثقافة اليوربا ومعتقداتهم بين الجماعات الزنجية فى البرازيل وجزر الهند الغربية وغير ذلك من أنحاء الدنيا الجديدة . وكثير من طبقة « الكريول » فى سيراليون وهى الطبقة الحاكمة التى نقلها البريطانيون الى هناك عقب تكوين المستعمرة هم حفدة أرقاء قدماء من اليوربا تحرروا فى القرن الماضى .

وبالرغم من أن الاثر الاجمالى الشامل لتجارة الرقيق على المجتمع النيجيرى لم يمكن معرفته فى الوقت الحاضر فانه ما زالت توجد آثار معينة واضحة جلية للعيان .. فقد كانت هذه التجارة من الاسباب الرئيسية للدمار الشامل الماحق الذى سيطر على جنوب نيجيريا خلال القرون الطويلة التى استمرت فيها هذه التجارة قبل التحريم . ولم تضطرب النظم الاجتماعية والروابط القبلية والعائلية من جراء ذلك اضطرابا جد خطير يصل الى درجة الانهيار فقط .. بل أيضا استنفذت طاقات السكان ومواهبهم فى هذه التجارة سواء كقناصين للرقيق أو كبؤساء مطاردين هائمين على وجوههم خوفا من الوقوع فى أيدى القناصين . وذلك فضلا عن أن ملايين وملايين من أبناء المجتمع النيجيرى الذين يمتلئون بالنشاط والقوة والحيوية قد أخذوا بعيدا عن المجتمع الافريقى طوال أربعمائة من الاعوام .. وكانوا كفيلين لو ظلوا به أن يرتفعوا بمستواه وينشروا فيه الرخاء والازدهار بدلا من الخراب الذى حلق فوقه نتيجة لجشع الاوربيين . ونفس الفترة شهدت ازدهار أوربا وأمريكا وخروجها من ظلمات العصور الوسطى وتقدمها الرائع فى كل مجال وغناها الفاحش . ولقد قام كل ذلك على أكتاف وبسواعد الافريقيين ومن الثروات الطائلة التى جناها الاوربيون من مستعمراتهم وتجارتهم فى أفريقيا وآسيا . ويقول الشاعر ليوبولد سيدار سنغور رئيس جمهورية السنغال الحالى « ان النهضة الاوربية قد بنيت على أنقاض الحضارة الزنجية .. ولقد تضخمت قوة أمريكا بعد امتصاصها لعرق الزنوج ودمائهم » . ويقول الشاعر الزنجى العظيم سيزار من زنوج البحر الكاريبى « أن لندن وباريس ونيويورك وأمستردام وغيرها من المدن .. تحيط بنا كالنجوم الزاهرة .. ولكن لك أن تقدر كم استلزم تشييد رخائها وكبريائها وحركتها من تحطيم لاعصابى ، ومن خفوق القاتل ، وصرخات شقائى الابدى ، وحبات العرق تنزف من وجهى .. لتصبح هكذا .. كما هى الآن !!!

وتجارة الرقيق لم تترك أثرها فى تفسخ المجتمعات الافريقية فقط .. بل انها تركت آثارا نفسية عميقة تبدو فى الشك والريبة والحذر بل والعداء الذى يكنه الافريقى الزنجى للاوربى والذى يطبع علاقاته بكل أبيض يقابله . وكثير من الافريقيين المتعلمين يعتقدون أن هذه التجارة هى السبب فى هذا التأخر الشديد الذى انحدر اليه قومهم بعد ان كانت لهم ممالك مزدهرة ذات حضارة متقدمة مثل ممالك اليوربا وبنين فى القرون الحادى والثانى والثالث عشر الميلادية .

ولكن الملاحظة الجديرة بالتسجيل أيضا أن الاقليم الشمالى فى نيجيريا وكذلك مناطق السودان الغربى المسلمة فى غرب افريقيا قد حمتها عقيدتها المسلمة السمحة من ويلات هذا الاسترقاق والفوضى .. فبينما كان الساحل يتعرض أهله لشرور الاختطاف وانكار الآدمية واهدارها .. كان الداخل المسلم فى ظل شريعته الغراء التى تكفل المساواة بين البشر وتحرم استعباد الانسان لاخيه الانسان يتمتع أهله بالعدالة والرقى والازدهار وتقوم به ممالك قوية رائعة مثل ممالك سونغاى ومللى وتصبح كثير من مدنه كعبة للعلوم والحضارة مثل تمبوكتو وكانو كما سبق أن تحدثنا .

التدخل البريطانى فى نيجيريا :

أعلنت بريطانيا تحريم تجارة الرقيق سنة ١٨٠٧ .. والفكرة التى يروج لها الاستعمار الغربى عامة هى أن سبب هذا القرار هو النزعة الانسانية وحب الخير واتباع تعاليم السيد المسيح عليه السلام .. ولكن الحقيقة هى أن بريطانيا لم تتخذ هذا القرار الا بعد أن هزمت فى حرب الاستقلال بالولايات المتحدة ونجحت هذه فى طرد المستعمرين البريطانيين والحصول على حريتها .. ولذلك فقد رأت بريطانيا الحقود المغيظة أن توجه ضربة قاضية للاقتصاد الامريكى الناشىء حينئذ والذى كان يعتمد على المزارع الواسعة يعمل فيها ملايين الارقاء الافريقيين لحساب سادتهم البيض .. فتمنع تصدير الايدى العاملة الرخيصة لهذه المزارع مما قد يؤدى الى بوارها وتوقفها .. والا فأين كانت النزعة الانسانية وحب الخير وتعاليم السيد المسيح عليه السلام طوال قرون اربعة طويلة ؟

وعلى كل حال فقد أعقب ذلك أن أخذ التجار البريطانيون تجار الرقيق السابقون يتحولون الى انواع اخرى من التجارة مثل تجارة العاج وزيت النخيل .. ودفعتهم هذه الانواع الجديدة الى التوغل داخل البلاد وارسال البعثات الاستكشافية .. وخلال السبعين سنة التالية لتحريم تجارة الرقيق نمت التجارة فى منتجات نيجيريا نموا متزايدا .. وكانت تعتمد أول الامر على نشاط التجار الافراد والمنشئات الاهلية .. ولكن منذ سنة ١٨٨٦ (وحتى سنة ١٩٠٠) تركزت هذه التجارة فى أيدى شركة النيجر الملكية البريطانية التىأسسها السير جورج جولدى نتيجة لادماجه معظم الشركات المنافسة . وفى سنة ١٨٨٥ عقد مؤتمر برلين الشهير الذى تقاسمت فيه دول أوربا القارة الافريقية كأنها سلعةرخيصة لا أهللها ولا صاحب،واستجاب المؤتمر لمطالب بريطانيا فى حوض النيجر .. وبالتالى قامت الحكومة البريطانية بمنح شركة النيجر الملكية سلطة ادارة الاراضى الواقعة فى حوض النيجر وملحقاته أى منطقة شمال نيجيريا كلها .. وكذلك سلطة عقد المعاهدات وفرض الضرائب وتحصيلها والاتجار فى محاصيلها . وعقب ذلك وخلال الخمسة عشر عاما التالية فرضت الشركة احتكارا تاسيا على كل تجارة حوض النيجر . وفى سنة ١٩٠٠ الغت الحكومة البريطانية الامتياز الذى كانت قد منحته للشركة وتولت هى الاشراف المباشر على المنطقة بأكملها وعين السير فريدريك لوجارد مندوبا ساميا هناك حيث قام باعلان محمية شمال نيجيريا بعد معركة حامية مع جيوش السلطان « أتاهيرو » سلطان سوكوتو

أما فى جنوب نيجيريا فقد كانت بريطانيا قد عينت قنصلا عاما لها سنة ١٨٤٩ بناء على طلب التجارالبريطانيين .. واتخذالقنصل مقرا له جزيرة فناندبو التابعة لاسبانيا وعهد اليه بالاشراف على النشاط التجارى

فى مضايق بنين وبيافرا . وفى سنة ١٧٨٢ أضيفت اليه بعض الاختصاصات القضائية والادارية بما فيها توقيع الغرامات والعقوبات ضد الافريقيين الـذين يقاومون التجارة « السلمية !! » وعقب مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ أعلنت بريطانيا رسميا وضع يدها على منطقة دلتا النيجر ، وتكوين « محمية أنهار الزيت Oil Rivers Protectorate وفى السبع سنوات التالية أوفدت بريطانيا قوات عسكرية وفرضت سلطتها بقوة السلاح كما عينت كثيرا من القناصل ونوابهم فى المناطق المختلفة يخضعون لاشراف المندوب السامي والقنصل العام المقيمين فى كالابار القديمة .

وقبل ذلك بأكثر من ثلاثين عاما أى فى سنة ١٨٦١ كانت بريطانيا قد استولت على لاجوس وأعلنتها مستعمرة تابعة لها زاعمة أن الغرض هو استخدامها قاعدة للقضاء نهائيا على تجارة الرقيق . وقد وضعت لاجوس لمدة عشرين عاما بعد ذلك تحت اشراف المقيم البريطانى لغرب أفريقيا الذى كان مقره فى سيراليون ثم حاكم مستعمرة ساحل الذهب ثم أضيفت الى أراضى شركة النيجر الملكية سنة ١٨٨٦ حين انشاء محمية أنهار الزيت. وفى سنة ١٩٠٠ تحولت محمية ساحل النيجر الى محمية جنوب نيجيريا وبعد سنوات ست أضيفت لاجوس الى محمية جنوب نيجيريا .

وهناك ملاحظة أخيرة وهى أن اسم « نيجيريا » لم يعرف الا ابتداء من عام ١٨٩٩ حين استعمل فى مجلس العموم البريطانى أثناء مناقشة قانون شركة النيجر الملكية .. أما قبل ذلك فقد كانت هذه المنطقة من غرب أفريقيا يطلق عليها مسميات مختلفة أشرنا الى بعضها فيما سبق . ويقال ان أول من اخترع هذه التسمية هى جريدة التيمس البريطانية فى عددها الصادر بتاريخ ٨ يناير سنة ١٨٩٧ حين أخذت فى مقال بها تناقش المسميات المختلفة وتوصلت أخيرا الى « ابتكار » هذا الاسم تمييزا للمنطقة عن غيرها من الاماكن وهو ما يفسر رغبة نيجيريا الحالية فى تغيير اسمها الى دولة «صونغاى» تخلصا من أثر من آثار الاستعمار وأملا فى استعادة غابر مجدها الذى كان يرفرف عليها أيام « صونغاى » المسلمة المجيدة منذ قرنين ونصف قرن من الزمان .

عبد الرحمن صالح

مشكلات التنمية في نيجيريا



بقلم : جاد طه

بدأت جميع الدول المتطورة متخلفة على أساس المعايير الحديثة التى نستخدمها الآن ، وظلت على هذه الحال الى وقت قريب لم تتطور موارد الثروة التى تنطوى عليها أراضيها الا فى خلال فترة قصيرة من التاريخ ، وهكذا انتقلت الزعامة الصناعية عبر عصور التاريخ من دولة الى دولة على الرغم من أن موارد الثروة الطبيعية لم تتغيركثيرا فى هذه الدول .

ونيجيريا ـ التى نحن بصدد دراسة مشكلات تنميتها ـ تقع فى الجانب الشرقى من افريقية الغربية ، ويحدها من الجنوب المحيط الاطلسى ومن الغرب داهومى ومن الشمال النيجر ومن الشمال الشرقى تشاد ومن الشرق الكاميرون ، وكلها دول افريقية حصلت على استقلالها فى عام ١٩٦٠ .

ويعتبر شعب نيجيريا من أكبر الشعوب الافريقية عددا اذ يصل عدده الى أكثر من ٣٥ مليونا ، كما أن مساحة نيجيريا هى ٨٧٧ر٣٦٠ كيلو مترا مربعا ، وهى بذلك تعادل أربعة أضعاف مساحة الجزر البريطانية . كما أن لهذا الشعب النيجيرى من الثروات الطبيعية والاقتصاد المتين ما يكفل له الانطلاق فى ركب التحرر الافريقى وقلب ميزان القوى فى افريقية بحيث ترجح كفة شعوبها على كفة النفوذ الاستعمارى المتهاوى فى القارة المناضلة .

والزراعة هى عماد اقتصاديات نيجيريا ، فنجد أن أهم الصادرات هى الكاكاو والفول السودانى والمطاط ونوى النخيل ، كما أن هناك صادرات أخرى لبعض المعادن كالقصدير والفحم ، الا أن المعادن لا تساهم بنسبة كبيرة فى القيمة العامة للصادرات .

وتستورد نيجيريا المنسوجات القطنية والاسماك والملح والسيارات والآلات والدراجات والبترول وبصفة عامة نجد أن الآلات الميكانيكية تسهم بأكثر من نصف القيمة العامة للواردات ، ففى عام ١٩٥٩ كانت قيمة الواردات من الآلات هى ٠٠٠ر٤٨٤ر٤٣ من الجنيهات ، ثم ارتفع هذا الرقم الى ٠٠٠ر٦٤٠ر٥٣ جنيه فى عام ١٩٦٠ وهى تزيد قليلا على نصف القيمة العامة للواردات بالنسبة لهذين العامين .

كما أن أهم ما يلفت النظر فى تجارة نيجيريا الخارجية أن معظمها يتجه الى بلاد غير افريقية ، ويرجع ذلك الى أن معظم انتاج وصادرات نيجيريا من الغلات الزراعية يتركز الطلب عليها فى البلاد المتقدمة صناعيا . ففى عام ١٩٦٠ مثلا استحوذت على تجارة نيجيريا الخارجية من حيث الصادرات والواردات كل من انجلترا والهند وباكستان وهونج كونج ودول الكومنولث الاخرى والولايات المتحدة

واليابان وهولندا وألمانيا الغربية وايطاليا والنرويج .

ويرى بعض رجال الاقتصاد بأن عدم توافر رأس المال اللازم لعملية التنمية فى نيجيريا من أهم مشكلات التنمية هناك .. الا أن الاحداث والتطورات القريبة أوضحت أن توافر رأس المال لا يحل مشكلة التنمية ، فمع اعترافنا بأن ازدياد رأس المال من الضروريات التى تصحب النمو الاقتصادى ، فهناك تغيرات اقتصادية واجتماعية تصحب التنمية الاقتصادية مثل تحضر الشعب وزيادة نسبة الاشخاص المدربين والمهرة وزيادة أطنان السلع التى تنقل بطرق المواصلات المختلفة .. واذا قلنا أن رأس المال يتكون فى عملية التنمية فاننا بذلك نكون أقرب الى الحقيقة مما لو قلنا أن التنمية أحد عوامل تجميع رأس المال، كما تعتبر التنمية الاقتصادية نتيجة لمزيج من التغيرات الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية التى تتسبب بدورها فى حدوث تغيرات أخرى ، ويمكن القول أن التنمية تصحبها بين الاشياء الاخرى روح عالية نحو المشروعات الاقتصادية والكفاية الانتاجية عند العمال ، ولكن يبدو أنه من المستحيل أن نفصل أحد هذه الاشياء ونعتبره المحرك الاول فى عملية التنمية الاقتصادية ، ونستخلص مما سبق أن عدم توافر رأس المال لا يعوق عملية التنمية ، بل ان رأس المال هذا يتكون فى هذه العملية ، وتعتبر مشكلة المواصلات من أهم المشكلات التى تعوق عملية التنمية فى نيجيريا ، وترجع هذه المشكلة الى عدة عوامل ، فهناك مثلا العوامل الطبيعية كقصر السواحل بالنسبة الى مساحة نيجيريا الكبيرة ، هذا بجانب تأثير الجو الشديد الحرارة والمناطق الغزيرة المطر والتى يجب اجتيازها . كما يمكن أن ترجع مشكلة المواصلات فى نيجيريا الى اعتبارات سياسية .. فالسياسة الاستعمارية كانت تهدف قبل الاستقلال الى خلق وحدات صغيرة منفصلة عن بعضها البعض حتى لا ينتشر الوعى نتيجة لنمو العلاقات بين أجزاء البلد الواحد ، وما يستتبع ذلك من قيام الثورات والحركات الوطنية . ومن المعلوم أن المواصلات هى بمثابة الشرايين فى الجسم ، وأنها اذا كانت على درجة عالية من الكفاءة فانها سوف تؤدى حتما الى حالة من الانتعاش لان امكانية الحصول على موارد الثروة تؤثر كثيرا على الحالة الاقتصادية ، كما أن التغيرات التى تطرأ على امكانية الحصول على هذه الموارد تسفر عن نتائج بعيدة المدى فى خلال فترة قصيرة من الزمن .. فمثلا نجد أن انتاج نبات الكوك للاغراض الاستهلاكية ولتصديره الى الخارج فى شمال نيجيريا قد ازداد كثيرا بعد مد الخطوط الحديدية فى نيجيريا مباشرة . هذا بالاضافة الى أن هناك أمثلة على وجود مصادر معروفة للثروة الطبيعية فى نيجيريا والتى تعتمد على تحسين طرق الحصول عليها اقتصاديا قبل الاستفادة من استغلالها ، والى حين حدوث ذلك تظل موارد الثروة هذه غير مستغلة ، فالمعروف مثلا أن هناك ثروة هائلة من الحديد الخام بالقرب من لوكوجا عند ملتقى نهرى النيجر وبنوى فى نيجيريا ، وهى تبعد حوالى ٢٣٠ ميلا من البحر ، وعلى مقربة من النهرين ، غير أن موقع هذه الثروة وما يترتب عليه من تكاليف النقل يجعلان استغلالها غير اقتصادى ، ولعل اختلاف توزيع موارد الثروة الانتاجية فى المناطق المختلفة فى نيجيريا يدفع الى اتخاذ اجراء عام لازالة المراقيل التى تعوق انتقال موارد الثروة بين أنحاء الدولة ، ولا شك أن ازدياد طرق المواصلات المختلفة سوف يؤدى الى نتائج حاسمة فى هذا المضمار .

وانتشار البطالة أو البطالة الجزئية بين العمال غير المهرة من الصفات الهامة التى تميز اقتصاديات نيجيريا ، وعند بحث وسائل العلاج أو تخفيف حدة البطالة ، فيجب أولا أن نميز بين أنواع البطالة ، لان نقص فرص التوظف لا يرجع فى كل الاحوال الى عدم توافر نوع واحد من موارد الثروة أو عدم كفايته ، فشرق نيجيريا مثلا يعانى من قلة رأس المال والمهارات الفنية ، ولا يقتصر الفرق على عدم المساواة فى توزيع الثروة فحسب ، بل تختلف أيضا كفاءة قطاعات السكان المختلفة ، وهكذا يتميز سكان جنوب نيجيريا بارتفاع نسبة من

يجيدون القراءة ومن يتمتعون بالغنى وروح المغامرة والقــدرة على الاستفادة من الفرص الاقتصادية ، بينما يتميز الشماليون بالنظام وحب الجلد .. وهنا يبرز أثر حل مشكلة المواصلات كاجراء عام من أجل تخفيف البطالة فى كل مكان .

هذا بالاضافة الى أنه لرفع مستوى المعيشة والقضاء على التخلف الاقتصادى وخلق اقتصاد متوازن ، فان هذا يقتضى بذل الجهود من أجل استغلال الموارد الطبيعية وزيادة الانتاج لدرجة كبيرة ، وهذه العمليــة تنطوى على الاخذ بأسباب التصنيع الى أقصى الحدود.. ولما كانت العمليــة ضخمة ، كما أن التطور المطلوب يشتمل على نواحى التعليم والصحة العامة والمواصلات والخدمات الاخرى ، ولما كانت الموارد من المال والخبرة الفنية لازالت محدودة ، فلا بد من الاخذ بنظام التخطيط الشامل الذى يحدد الاهداف ويرسم وسائل التنفيذ ويقدر التكاليف المطلوبة .

وزعماء نيجيريا وساستها متيقظون الى أنه يجب أن تلقى مسئولية التوسع السريع فى الانتاج والصناعة والتجارة على كاهل القطاع الخاص فى الاقتصـــاد ، كمـــا لا يعارضون الاستثمارات الاجنبية غير المشروطة ، وقـد صرح وزير مالية نيجيريا أخيرا .. « **انـنـا نقبل غالبا أن يكون العبء الاكبر فى التعبئـة الاقتصادية ملقى على كواهلنا انفسنا .. وآمل أن نرى قريبـــا البرهان على صحة الحكمة القائلة ان الله فى عون العبد ما دام العبـد فى عون أخيه » . ثم أضاف قائلا « يجب على نيجيريا أن تتبع سياسة مالية معقولة وتخلق جوا ملائما لجميع أنواع الاستثمارات » (١)**

هذا وقد نوقشت مشكلات الدول النـامية فى لقاءات دول المجموعة الاسيوية الافريقية ، وتم بحثها بصورة دقيقة على الصعيد الافريقى فى مؤتمر الدار البيضـــاء ، ومن ثم ولدت السوق الافريقية المشتركة مبدئيا من الدول الست .. أعضاء مؤتمر الدار البيضاء . وقد

بدأت نيجيريا فى التعـــاون الصادق مع بقية الدول الافريقية المستقلة حديثا وذلك من أجل الفـــائدة الاقتصادية التى ستعود على هذه الدول من جراء هذا التعاون ، وكذلك للحد من القوة المتزايدة للدول المتقدمة ان لم تتغلب عليها .

((جاد طه))

---

(١) التنمية الافريقيـــة اختبار للتعـاون الدولى ـ جى بنفيزت ، وليم موران ص ٥١.

الأدب الافريقي المكتوب بالانجليزية

بقلم عبد السلام شحاتة

صدر في الكاميرون العدد الاول من مجلة (آبيا) التي تعنى بشئون الثقافة والادب وتطبع في ياوندى طبعا فاخرا ، ورئيس تحرير هذه المجلة هو برنارد فولون أحد أعلام المثقفين في الكاميرون ، نال تعليمه الابتدائي والثانوى في بلاده وواصل دراسته في اينوبنجريا ، ثم انتقل الى أوربا حيث درس في جامعات ايرلندا وفرنسا وبريطانيا .

وقد اشترك فولون في عدة مؤتمرات منها مؤتمر الكتاب والفنانين الملونين الذى عقد بروما عام ١٩٥٩ ومؤتمر الدراسات الافريقية الذى عقد بأكرا عاصمة غانا في ديسمبر ١٩٦٢ ومؤتمر كتاب الشعوب الافريقية التى تتحدث باللغة الانجليزية الذى عقد بجامعة ماكريرى بمدينة كامبالا باوغنده في صيف عام ١٩٦٢ .

ومن الواضح ان النشاط الذى تبذله الدول الافريقية الناهضة في مجال الادب والفن انما تهدف به الى اظهار ما للافريقيين من ثقافة وفنون والعمل على اخصاب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية عن طريق الاحياء والتجديد في الثقافة ، ومهما تكن الحياة في طورها الحديث قائمة على الناحية المادية ، فالامر الذى لا شك فيه ان النشاط الثقافى والفنى يجب أن يساير الاثار المادية للتحضر والتخطيط الاقتصادى والاجتماعى فالتنمية الاقتصادية مثلا تتاثر الى حد بعيد بالقيم والمعتقدات . ودرجة الثقافة والقيمة الاجتماعية للعمل ، كما ان افريقيا تحتاج من ناحية أخرى الى بث الثقة في نفوس ابنائها كما ان الثقافة العالمية الحديثة تتجه في نزعتها التحررية الى اسهام الثقافة الافريقية فيها . وبالاضافة الى هذا كله فان أفريقيا تعمل للتخلص من الاستعمار الثقافى كما تخلصت من الاستعمار السياسى تلك هى الغايات العديدة التى تحدو بالافريقيين للعناية باعمالهم الادبية والفنية

وقد عقد رئيس تحرير مجلة ابيا فصلا عن مؤتمر الكتاب الافريقيين الذين يكتبون باللغة الانجليزية وقد شهد المؤتمر كتاب من شرق وغرب القارة وبعض الكتاب الذين اضطروا تحت تأثير الاضطهاد الى هجرة جنوب افريقيا فكان هناك الكاتب والشاعر والروائى والكاتب المسرحى كما وفد الى المؤتمر بعض الكتاب الافريقيين الذين يمثلون الثقافة الافريقية الفرنسية ، هذا بالاضافة الى بعض ممثلى دور النشر والمجلات العلمية المهتمة بالشئون الافريقية ومنها مكتب الدراسات الادبية في شرق افريقية بنيروبى ، وممثلين عن دور نشرها ينمان ولونجمان وجامعتى كمبردج واكسفورد وممثل قسم النشر بجامعة نورث وست بمدينة شيكاجو بالولايات المتحدة .

وانقسم المؤتمر الى عدة شعب لدراسة الادب الافريقى وادب جزر الهند الغربية وادب الملونين الامريكيين ودراسة الادب الافريقى المتأثر بالثقافة الفرنسية .

وتناول البحث أصلح أدوات التعبير اللغوى

عن الادب الافريقي وكيف يمكنه ان يعبر عن انفعالات النفس الافريقية بلغة غير افريقية ؟ وهل تصلح هذه اللغات الافريقية اداة للتعبير وما هي الصعوبات التي تعانيها وكيف يمكن التغلب عليها ؟

وتناول البحث الملامح العامة للادب الافريقي اذا كان يكتب بلغة غير افريقية ؟

وبالنسبة للسؤال الاخير رأى البعض :

ان الادب الافريقي هو ادب احتجاج يعبر عن الصراع القائم في نفس الافريقي بين الحياة الحديثة والحياة التقليدية ومن هذه المشكلة تنشأ مشكلة أخرى غاية في الاهمية وهي هل شغل الكاتب الافريقي بهذا الصراع الذي يرجع الى شعور ملح بالتفرقة العنصرية بحيث جعل الاديب الافـــريقي لا يهتم الا بالتعبير عن الاحتجاج ؟

ومن هنا نتبين ان أهم ما عنى به المؤتمر هو لغة التعبير وخصـــــائص الادب الافريقي ما يدور حول هذين الموضوعين . ومنذ بدأت المناقشة حمل الاعضاء على بعض الاوربيين الذين ادعوا المعـرفة بالادب الافريقي ومن ثم عملوا على رسم مقاييس معينة له وذلك لان الاديب يجب أن يكون حرا .

ثم تساءل الحاضرون عمـا يجعل الادب افريقيا .. أهو الموضوع أو جنسية الكاتب وذلك اذا صح انه من الممكن التعبير عن نفس الاديب الافريقي بلغة غير افريقية .

ورأى أوكيجو أديب نيجيريا ان العمـــل الادبي الافريقي لابد ان يعتمد على جـذور عميقة في الارض الافريقيـــة وان يتولد عن تجربة افريقية وينبض بالمشاعر الافريقية ، فليست الجنسية ولا الموضوع هو الذي يضفي على العمل الادبي صفة الافريقية ، فالرجل الابيض قد يمكنه تناول مادة أفريقية بيد أن الكاتب الافريقي هو وحده الذي يستطيع ان ينفعل بها انفعالا صادقا . واضيف الى هذا كله ان الكاتب هو الذي يســـتطيع ان يعبر عن وجهة النظر الافريقية ..

وذكر **فولون** ان التجربة الافريقية وما تتضمنه من انفعالات ومشاعر انمـا هي تجـــربة انسانية عامة لا تميز الأفريقيين عن غـيرهم فالشعور في ظل الاستعمار بالمهـــانة والاسى والمرارة والبغض والثورة انما هو شـعور انساني عام ، وانما يميز الافريقي عن غيره هو التعبير الصادق عما يجيش بنفسه هو ، وهذا واضح في شعر رابير فلو شاعر ملجاش فالعارف بجغرافية مدغشقر وتاريخها وعاداتها واسلوب تفكيرها ومزاجها يرى ان شعر ذلك الشاعر لايمكن ان يبدعه غير واحـــــد من أبنائها .

وهنا ثارت مشكلة الاقليمية المحددة ، لانه اذا صح ذلك لكنا امام أدب نيجيري وادب غاني الخ . وبذلك لانجد أدبا عاما يحمل صفة الافريقية بمعناها الواسع . فاذا ما أردنا ان نعرف الادب الافريقي عامة فعلينا ان نعرف الخصائص المشتركة التي تشترك فيها آداب الدول الافريقية المختلفة .. فما هي هـذه الخصائص العامة للادب الافريقي ؟

واشار بعض المتحدثين الى انه اذا كان الادب الافريقي عاما في تعبيره بمعنى انه لايعبر عن خصائص محددة ومواقف معينة فليس معنى ذلك أن هذا الادب غير موجود وانما معنـاه انه رفض ان يتخذ موقفا معينا .

فالادب الافريقي الفرنسي مثلا يشـترك في صفات عامة ، فهو رومانتيكي النزعة ،ويتخذ لهجة خطابية ولا يعبر عن مواقف فردية في لحظات معينة ، فهذا الادب لايعبر في غضبه عن موقف معين كما هو الحال في شــــعر داماس ودافيد ديوب ، كما أنه حين يجسم الاحلام يتجه اتجاها عاما غير محدد كما هو الحال في شعر بيراجو ديوب . وكثيرا ما يعبر الادب الافريقي عن الالم والغضب اللذين تنفعل بهما مشاعر الاديب حين يواجه موقفا عاما مثل أحداث اضطهاد الملونين في جـــنـوب افريقيا

وتجدر الاشارة الى ان الرجل الابيض غريب عن مثل هذه التجارب التي يبلوها الكاتب الافريقي ، ومن ثم فهو عاجز عن اصـــدار أحكام صحيحة عن هذا الادب . وهنـا بادر مندوبو دور النشر الاوربية بالقول بان اعمال

الملونين ومؤلفاتهم تعرض على ناقدين من بنى جلدتهم لبيان مدى صلاحيتها للنشر .

وتبين ان اختلاف نظم الاستعمار الفرنسى والانجليزى قد ادت بدورها الى اختلاف التعبير الادبى ، فالحكم الفرنسى عمل على قطع جذور الثقافة الافريقية ليصوغها فى قالب فرنسى بينما ترك الاستعمار الانجليزى الافريقى فى تقاليده ، وعمد الى نشر ثقافته وادبه ، ومن هذا نتبين ان تعبير الاديب الذى يكتب بالفرنسية عن الحياة الافريقية اكثر صعوبة من زميله الذى يكتب بالانجليزية ، لان الاول يحتاج الى وقت وجهد لاسترداد شخصيته الاصيلة التى حاولت الثقافة الفرنسية القضاء عليها .

ونوقش موضوع الادب فى جنوب افريقية وراى البعض **ان هذا الادب لا يعبر عن روح افريقية اصيلة غير ان بعض الادباء المهاجرين من ذلك البلد ذكروا ان ادب الملونين هناك هو تعبير صحيح عن جنوب افريقية وعن التفرقة العنصرية البغيضة واكدوا ان الادباء نالوا تعليمهم فى داخل ذلك البلد ولم يتأثروا بالثقافات الاجنبية ، وعبروا عن بيئتهم التى تصرخ بالظلم**

والقول بان ثمة نزعة عامة لادب الملونين لم نجد لها صدى كبيرا لان الملون لن يعبر نفس التعبير الذى يعبر عنه ملون اخر . وعلى هذا الاساس لا يمكن القول بأن هناك نزعة عامة لادب الملونين ، تجعل الادب الافريقى يشترك مع اداب الشعوب الملونة الاخرى فى خصائص معينة .

ولكن لانجستون هوجز يرى ان ثمة نزعات مشتركة اشتراكا واضحا ، فالشاعران سنجور وسيزار عبرا تماما عن نفس المشاعر التى عبر عنها أعلام النهضة الادبية للملونين فى حركتهم المعروفة باسم نهضة هارلم (نسبة الى حى هارلم الذى يقطنه الملونون فى مدينة نيويورك) وذلك فى القرن الماضى وان لم يطلقوا على حركتهم اسما معينا .

فمنذ قرون مضت قاسى الملونون هناك ألوانا من الاضطهاد والمهانة ومن ثم عمد ادباء هارلم الى بث الثقة فى نفس الانسان الملون ليحيوا فيه الثقة والعزة . وهكذا تغنوا بالام الملونين وبافريقيا وبجمال الكائنات السوداء . وكانت هذه حركة تقتضيها طبيعة الاشياء ولازالت هذه الحركة قائمة الى يومنا هذا فالشاعر الامريكى الملون لازال يتغنى بهذا كله كما يبدو ذلك فى شعر صامويل ألن المعروف باسم بول فيسى .

وهذه النزعة .. نزعة الاحتجاج عن الاوضاع الاجتماعية موجودة فى أدب الملونين فى أمريكا كما هى ملموسة لدى الكتاب الافريقيين ... والاحتجاج هو أقوى مظهر فى سمات أدب الملونين وكتب الدكتور فرانتز فانون أحد أبناء جزر الهند الغربية الذى انقلب مدافعا عن حرية الجزائر قائلا :

ان الحرية القومية هى اسمى غاية للثقافة وجميع الثقافات الملونة تتجه هذا الاتجاه . ثم تناول الحديث الصعوبات التى يلقاها المؤلف الافريقى من حيث اللغة التى يكتب بها فاللغة الافريقية المحلية قليلة الانتشار نظرا لتفشى الامية ولضيق الرقعة الجغرافية التى تنتشر فيها ومعنى ذلك ان الاديب الافريقى يضيع صوته ادراج الرياح اذا هو اتخذ اللغة المحلية اداة للتعبير

كما انه اذا كتب بالانجليزية وأنه يعانى من ازدراء القارىء الابيض الذى اعتاد ان يرى الملون فى الرواية المنشورة او على خشبة المسرح فى دور المحقر المهان ، فيظن ان الاديب الملون لن يعطيه غير الغث الذى لانفع فيه ، كما ان اعتماد الكاتب الملون على القارىء الابيض يجعله متملقا لذوقه فيصور لقرائه البيض افريقيا فى صورة زائفة

وقيل ان بول لورانس دوبار وهو شاعر عبقرى ملون قد عمد الى التخلص من الحياة فى ريعان الشباب لشعوره بالندم لسلوكه هذا المسلك الزائف .

كما أن القارىء الابيض يرى — وفقا للافكار الاستعمارية — ان الكاتب الافريقى طفل يجب ارشاده حتى يبلغ مرحلة النضج . ومثل هذه النزعة خطرة ايما خطورة على الادب الافريقى

او يجب ان ينظر الى كل عمل على اســاس خصائصه ومميزاته .

ورأى المؤتمر ضرورة اشاعة الذوق الادبى بين الافريقيين ولكن يجب الا يعمد الشعراء الشبان الى الاغراب والغموض لان الادب لكى يشيع يجب أن يكون مفهوما .

كما نقض البعض اتجاهات الادب الافريقى لتصويره الجنس بصورة عنيفة ، ورأى البعض ان الادباء الشبان فى القارة ياخذون بما هو الجنس لا ينكر أحد انها مشكلات تعبر عن شائع عند بعض كتاب الغرب ، ومشــكلات الحياة الا انها يجب ان تعالج فى صور غير منحـــرفة

ومع أن النهضة الادبية فى شرق افريقيــة لازالت فى اطوارها الاولى الا ان المراة الافريقية قد اسهمت فيها على نحو ظاهر ملموس . وقد اذيعت خلال انعقاد المؤتمر تمثيلية من تأليف ريبكانجاو التى كانت قد نالت جائزة من قبل .

واخذ المؤتمر يستعرض النشاط الادبى فى بعض دول القارة .. ففى جنوب أفريقيـة وجدت القصـــة القصيرة وبدأت نهضـــــة التأليف الروائى أما الشعر فهو ضعيف ، كما لوحظ أن معظم كتاب جنوب افريقيا هم من المهاجرين الذين فروا بعـد ماعانوه من قسوة التفرقة العنصرية .

ولكن الشعر قد ازدهر فى غانة فى فترة مبكرة جعلتها سباقة فى هذا الميدان ، وفيها عدد كبير من الشعراء كما يوجد كتاب للقصة القصيرة واخذت المسرحية فى الظهور وان لم تظهر بعد الرواية الطويلة .

وتقوم نيجيريا بدور الرائد فى مجالات الادب فى نواحيها المتعددة وانتجت أعمالا ادبية ذات مستوى رفيع . ولوحظ ان عددا كبيرا من وفد نيجيريا فى مؤتمر الادباء تخرجوا فى جامعة ابادان ومارسوا الكتابة قبل ان يســافروا الى اوربا والولايات المتحدة لاتمام دراستهم وقل القول نفسه على وفود شرق أفريقية الذين مارسوا الكتابة أثناء دراســـتهم فى جامعة ماكريرى . ويلاحظ فانون ملاحظة سبقت الاشارة اليها وهى ان كتاب المناطق التى تشيع فيها اللغة الانجليزية قد تخرجوا فى جامعات افريقية فى حين ان الادب الافريقى المكتوب بالفرنسية نشأ فى السوربون بباريس

ويشير الكاتب الى نهضة الكتابة للاذاعة والتليفزيون فى نيجيريا والى الاصالة التى تبدو واضحة فى اعمال كثيرين من شــــعراء نيجيريا وكتابها ويرى ان هؤلاء تطوروا الى مرحلة اخرى تلى مرحلة الاحتجاج عن الالم الناجم عن التفرقة العنصرية والصراع بين الثقافة المحلية والثقافة الاستعمارية .

ويعود الكاتب ليؤكد أهمية التحرر الثقافى وضرورته فى ظل الاستقلال السياسى بعد أن عانى الافريقى وعاش سلبيا فى ظل الاستعمار وقد انكر البيض على رينيه ماران ، وهو أديب من غينيا نال جائزة الجونكور الفرنسية عام ١٩٢١ ، عبقريته الفذة ، لانهم اعتــادوا ان يروا الافريقى تابعا لا ســـيدا وسلبيا لا مبدعا .

واليوم وقد زالت السيطرة السياســـية ونالت افريقيا استقلالها فيجب ان يلعب الادب دوره لتأكيد هذا الاستقبال وتدعيمه .

وكم كنا نود أن يتسع نطاق هذا المؤتمر ليشمل تأثير الثقافات الافريقية الاصــــيلة لا الثقافة الانجليزية وحدها .. كنا نود ان يشمل البحث اللغات التى أثرت فى افريقيا وعاشت فيها وخاصة اذا كانت لغة عاليــة كاللغة العربية .. ولكن لاشك ان مثل هذه المؤتمرات سوف تعقد لتبين ان مثل هــــذه اللغة قادرة على التعبير بالاضافة الى كونها لغة عريقة فى القارة الافريقية أثرت فيها اعمق التأثير .

((عبد السلام شحاتة))

مؤتمر القمة في صور



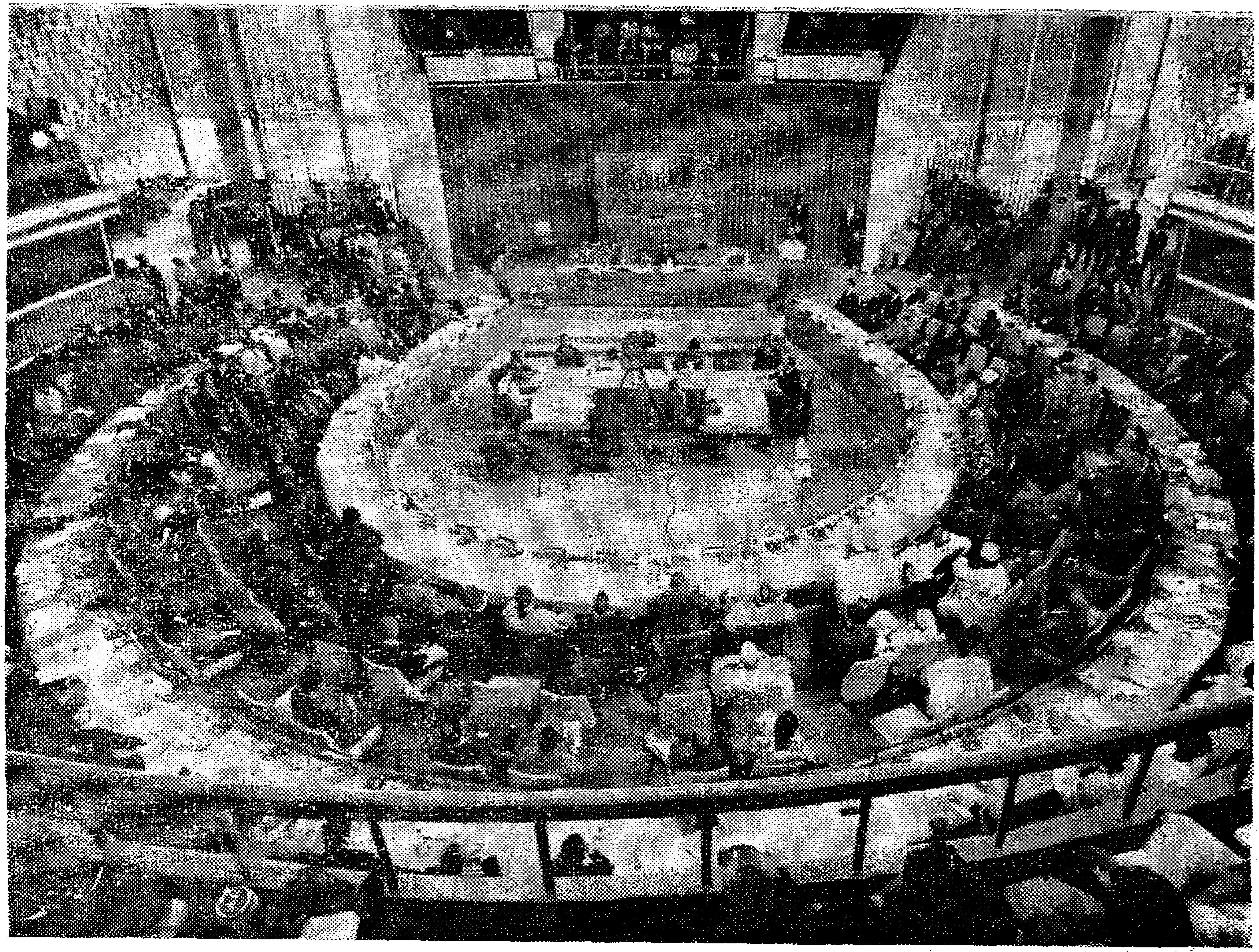
((المضيف وحراس القارة من الشمال))



((نكروما : نريد الوحدة فورا .. !))

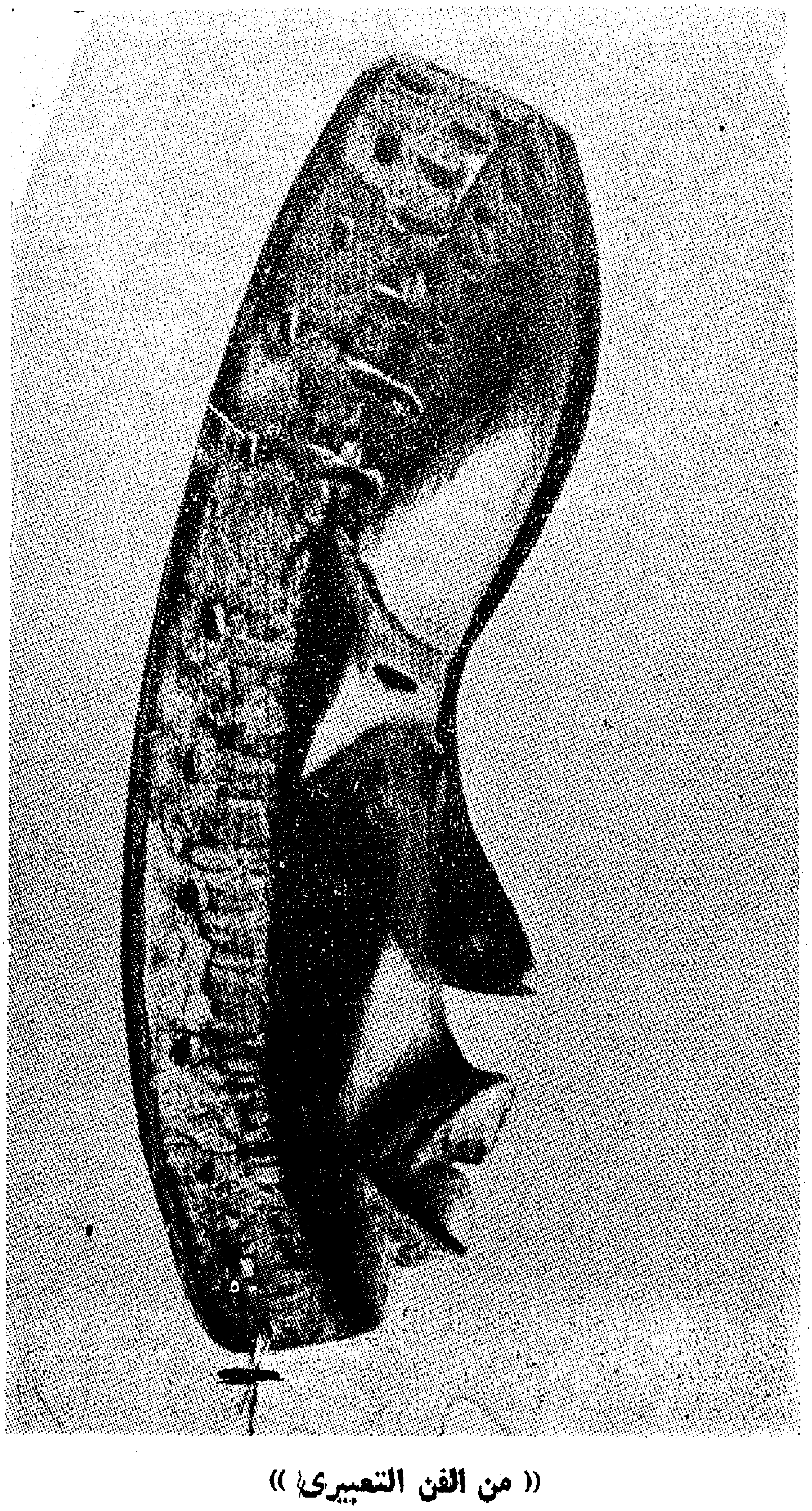


« تفكير عميق فى الخطط العملية لبناء الوحدة الافريقية »

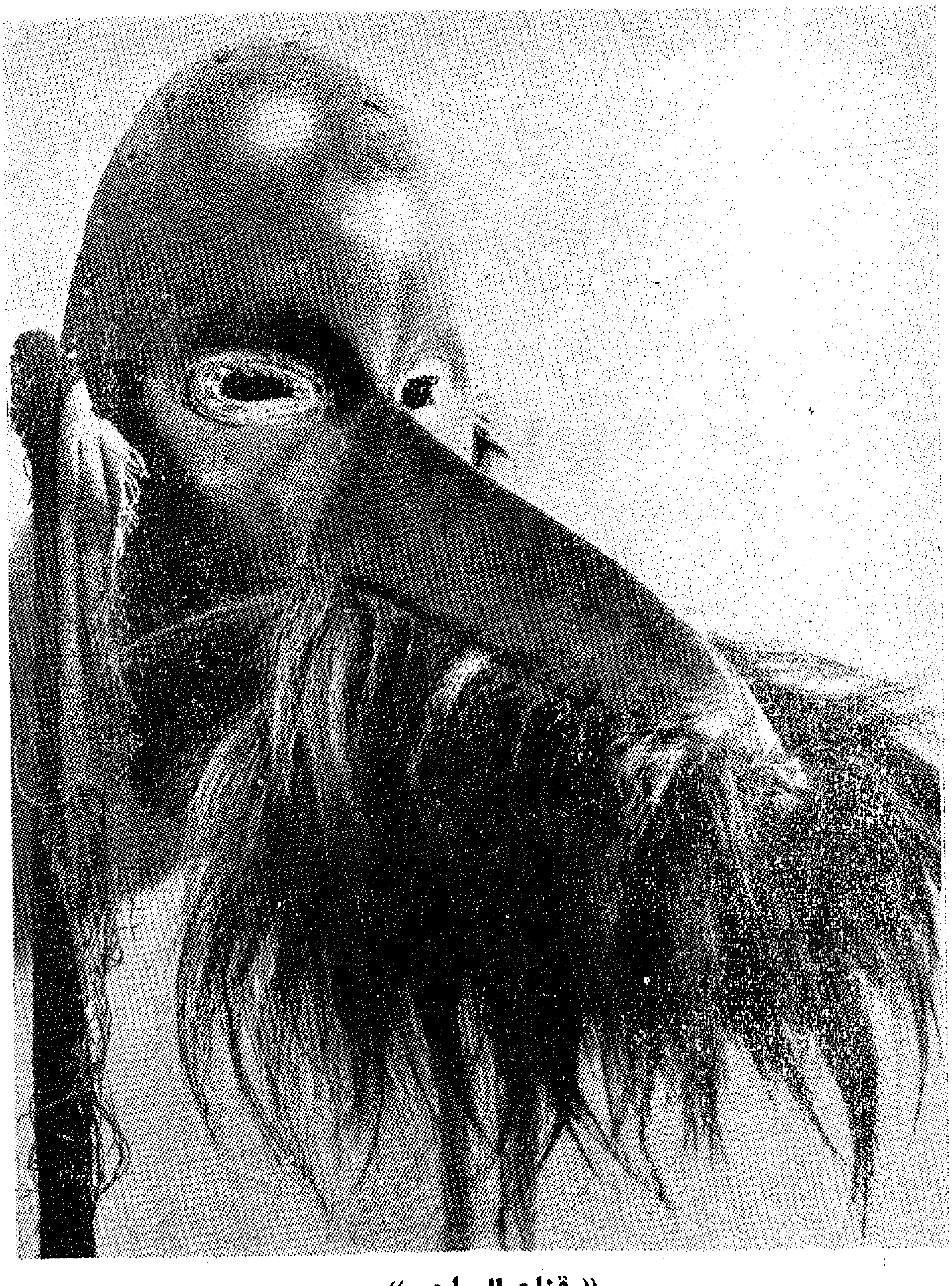


« حول مائدة واحدة لأول مرة فى التاريخ »

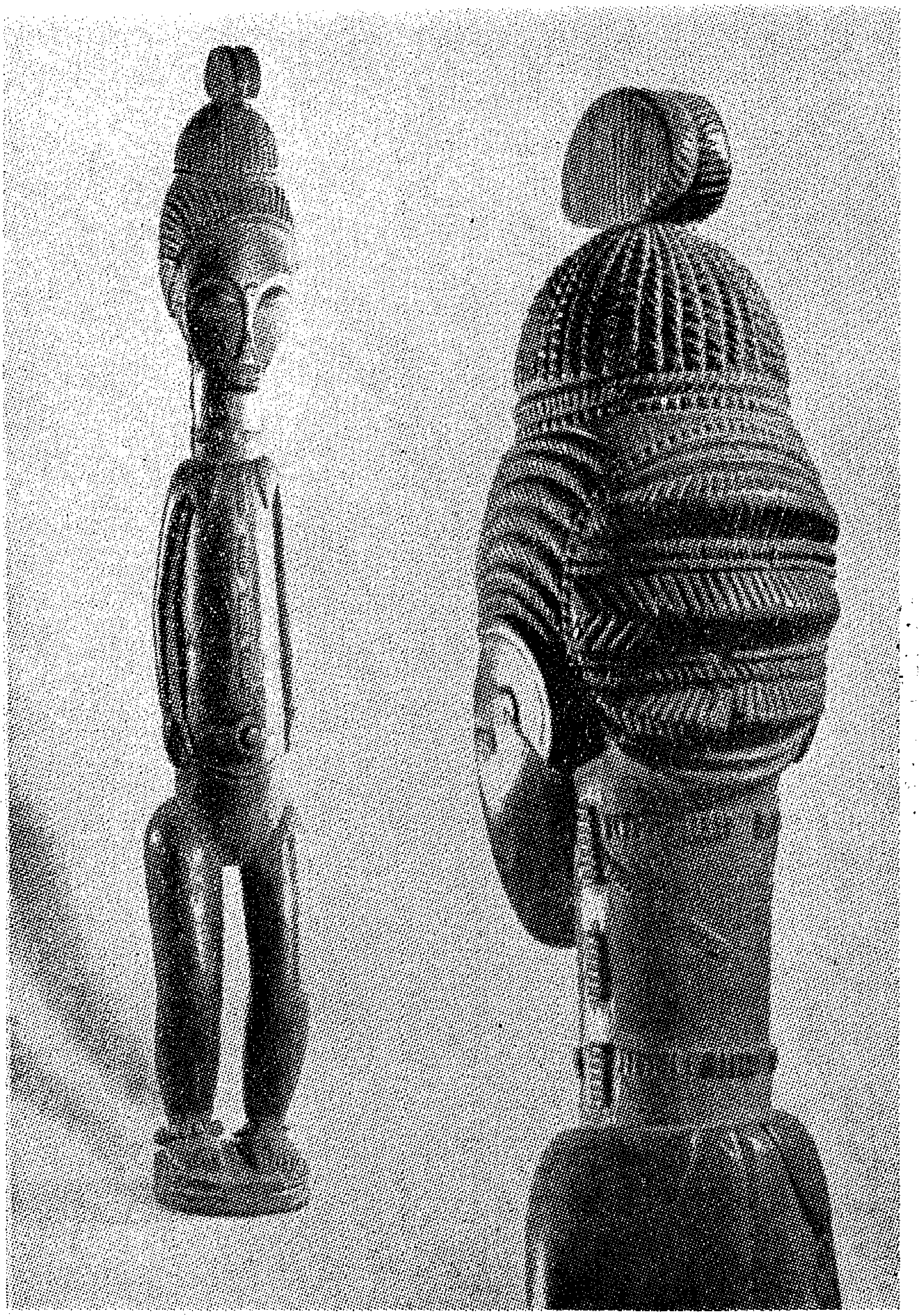
من فن النيـــجر



((من الفن التعبيرى))



« قناع الساحر »



((أناقة الشباب))



« صانعة التحف »

نقد الكتب

بقلم

عبده بدوي

● بين الحبشة والعرب

من الكتب التى لايزال يلمع بين دفتيها الجهد ، والاصالة ، والعمق – وكأنها أشرطة متتابعة من الماس – كتاب « بين الحبشة والعرب » للدكتور عبد المجيد عابدين ،الذى أثرى هذه الجوانب من الدراسات القديمة، وقدمها – فى أكثر من كتاب – الى القارىء العربى ، وهى محتفظة بنفس النبض الذى يمكنه أن يوجد فى أى موضوع معاصر ، يقبل عليه أبناء الجيل بلهفة وبحب .

والباب الاول من هذا الكتاب يقدم «علاقة الحبشة ببلاد العرب حتى نهاية القرن الرابع الميلادى » ، وفيه نرى أن أقدم وثيقة تثبت لنا النشاط السياسى والحربى للاحباش القدماء (الاكسوميين) فى بلاد العرب ، يرجع الى القرن الاول قبل الميلاد ، فقد جاء فى هذا النص « .. ملكو دعمت مشرقه .. وذ تبعدن وأبـ » ، وكلمة « دعمت مشرق » هذه تدل على مكان فى اليمن .

أما عملية الاتصال الثانية فيدل عليها الصراع الذى قام بين الهمدانيين ، وبين ملوك سبأ وحلفائهم من بنى حمير ، وكيف أن الهمدانيين لجأوا الى الاحباش ، وتحالفوا مع ملكهم « جدرت » ، وبوساطة هذا الحلف تمكن ملكان همدانيان من الاحتفاظ بلقب « ملكى سبأ وذى ريدان » فترة كبيرة من الزمن ، وقد ترتب على هذا أن اتخذ الاحباش من مدينة « سحرت » باليمن قاعدة لهم .

وكان ان ترتب على هذه الحملة تحول « سبأ » الى مملكة « سبأ ريدان » ، وانتقال السلطة السياسية الى العاصمة الجديدة « ريدان » ، كما ترتب عليها ان هجرات القبائل قد أخذت خطا صاعدا الى الشمال ، وان الاحباش قد أخذوا يتوافدون بفزارة الى اليمن ، وان «سحرت» أصبحت قاعدة للاحباش فى اليمن .

ويتحدث نقش بعد ذلك – أرجح الاقوال بالنسبة له – ان الملك افيلاس ادخل الى البلاد نوعا من العملة متأثرا بالعملة اليمنية، وانه قام بغزوة الى اليمن ، وظل يتجه الى الشمال حتى وصل الى مدينة « الحوراء »، وان هذا كان فى النصف الثانى من القرن الثالث .

ثم ان الاكسوميين تدخلوا مرة أخرى فى شئون بلاد العرب ، وظلوا سادة على بلاد اليمن منذ نهاية القرن الثالث الميلادى حتى القرن الرابع الميلادى ، ولكن العرب تمكنوا بعد ذلك من اضعافهم على يد ملك عربى اسمه « امرؤ القيس » بحيث انحسر النفوذ الحبشى هناك .

والمؤلف يذكر ان المسيحية دخلت البلاد بعد ذلك ، وانها دخلت على يد أحد رجال الدين الاسكندريين ، ويدعى فرومنتيوس ، وان « فرومنتيوس » هذا لم يصادف نجاحا كبيرا فى البلاط الاكسومى ، وان المسيحية لم تتأكد الا بعد قدوم تسعة رهبان من الربان يقولون بمذهب الطبيعة الواحدة .

وملاحظتى هنا ان دخول المسيحية يؤرخ فى الحبشة بدخول حبشى يهودى للمسيحية فى عام ٧٠ ميلادية ، وانه كان من الحجاج الى القدس ، وعند عودته التقى فى غزة بالقديس « فيلبس الانجيلى » فهداه الى الايمان العميق ، وانه كان أول من بشر بالمسيحية

فى بلاده ، وأن أثره يقـــارب من آثار « فرومنتيوس » ، كما ان « فرومنتيوس » هذا لم يكن « اسكندرانيا » ، وانما كان ابن فيلســلوف من « صـور » يسـمى « ميروبيوس » ، وان الاحباش قد استولوا على السفينة التى كانت تحمله مع أبيـه وأخيه « اديسيوس » ، وان «فرومنتيوس» هذا قد سافر بعد ذلك الى القسطنطينية، ورأى من تشجيع القديسة « هيلانة »ماجعله يسافر الى الاسكندرية ، ثم يقابل البطريرك « اثناسيوس » ، الذى ينصبه أسقفا على أكسوم ، ومن ثم يسافر الى هناك .

* * *

ولما كانت المسيحية ترتبط بالدولة الرومانية ارتباطا قويا ، وبعبارة أخرى كان الدخول فى المسيحية سبيلا الى بسطالنفوذ الرومانى ، وان الحبشة قد استجابت الى المسيحية .. ظهر انه فى مقابل هـذا ان الفرس يمكنون لليهود فى بلاد اليمن ، ومن هنا كان الاحتكاك الذى كان من أثره ان أمر ملك حمير بقتل قافلة أو اكثر من قوافـل التجار الرومان الذين كانوا يجتازون مملكته الى بلاد الحبشة ، وكان رد ملك الحبشـة على هـذا بتيسير حملة انتهت بانتصـار الاحباش والرومان ، الى حد تولية أمير نصرانى على حمير .

ولكن اليهود تمكنوا من اسقاطه ، وولوا « ذاوس » ملكا على حمـير ، وكان أن قام بمذبحة للمسيحيين ، انتقم لهـا الاحبـاش بعد ذلك بمعاونة أسطول بحرى رومانى ، وقد أدى هذا الى بسط النفوذ الرومانى فى بلاد العرب ، مما اضطر الفرس الى ان يعملوا جاهدين على بث روح الحرية ، وتنميتها فى نفوس المواطنين ، وتجميع موجات السـخط وتحويلها الى الاحباش ، وقد سـاعد على هذا وقوع خلاف بين أحباش اليمن ،وأحباش أفريقية ، ممـا دفع الامراء الوطنيـين الى التكتل ، وانتزاع السلطة من أيدىالاحباش، ولكن الاحباش تمكنوا من قمع الثورةوهزيمة الزعيم الوطنى « السميفع أشوع » ، وازداد النفوذ الى حد محاولة ارغام العـرب الى التحول عن « الكعبة » الى « القليس » ، والى محاولة غزو مكة .

وقد دفع هذا «سيف، بن ذى يزن» الىأن يستنجد بملك الروم لاخراج الاحبـاش من وطنه، ولكنه وجده غير راغبفى هذا لموافقتهم اياه على الدين ، وكانقد لجأ الى كسرى الفرس ، فأنجـده بقوة من الجيش ركب البحر فى ثمانى سفائن بقيادة « وهرز » ، واستطاعالفرس تمكينالنفوذ العربى فىالبلاد.

* * *

وهجرة المسلمين الى الحبشـة لم تجىء الا بعد تفكير طويل ، ووفق سياسة محكمة ، ذلك لان الحبشـة كانت متجرا لقريش ، وكانوا على علم بمسالكها ، وكان فى ذهن العرب ان الاحباش حموا المسيحية فىاليمن من عدوان اليهود ، وانهم كانوا ضـد وثنية الحجاز ، لهذا كان من الممكن ان يفكروا فى حمايتهم من عبدة الاوثان ومن اليهود معا .

ومن هنا كانت « البعثة الاسلامية» الاولى الى البلاد للتمهيد للمسـلمين فى البـلاط الاكسومى ، ومن ثم كان تدفق المسلمين بعـد ذلك الى الحبشة على دفعات .

وقد ازعج هذا مشركي مكة ، فبعثوا الى النجاشى وبطارقته بالهدايا ، ثم بعثوا عمرو بن العاص على عبد الله بن أبى ربيعـة (وقيل عمارة الوليد) ، للانتقام من هؤلاء المهاجرين ، ولكن « جعفر بن طالب » ــ الذى كان لسان المسلمين ــ استطاع الدفاع عن المهاجرين ، وان يكسب قلب النجاشى الى قضيتهم ، ثم كان كتاب النبى الى النجاشى فى السنة السادسة للهجرة من أجل دخول الاسلام ، ثم كان خطاب النبى للنجاشى من أجل ان يخطب له السيدة أم حبيبة بعـد ان تنصر زوجها فى الحبشة ومات ، ثمكانت رسالة النبى من أجل رد المسلمين فى السنة السابعة للهجرة .

* * *

ثم مضت فترة لم نسمع فيها عن الاتصال بين المسلمين والحبشة ، ماعدا نبأ حملة صغيرة كان قد أرسلها « عمر بن الخطاب » ٢٠ هـ ٦٤١ م ــ الى الساحل الحبشى ، ولم تكلل بالنجاح ، واستمر هذا الصمت حتى كان (المقريزى ٨٤٥) فكان أول مؤرخ ذكر أخبارا صحيحة عن ولايات الحبشـة وتاريخها فى مصر » .

وقد نوه القرآن الكريم بالصلة الطيبة بين المسلمين ونصارى الحبشة ، كما أثنى النبى عليه السلام على الحبش ، وكان أول من رفع صوتا فى وجه « التفرقة العنصرية »، وأول من وضع أساس « التقوى » للمفاضلة بين الناس ، بعد ان كان العرب يقيسون الانسانية بميزانين هما « اللون والنسب »

* * *

وقد كان من كل هذا بناء عدة كنائس فى بلاد اليمن ، والتعرف على المسيحية ، وتأثر البلاد بالخرافة والسحر ، والزار ، ودخول كلمات كثيرة فى اللغة العربية من الحبشية تدل على الاغراض الدينية ، والابنية ، والملابس والزينة والتوقيت والاوانى واسماء الحيوان ، وتأسيس الطرق مثل مصحف ، وبرهان، ومنبر ، ومحراب، والسكة،والمشكاة والصرح ، والجلباب ، والدملج ، والساعة ، والزمن ، والشواهين ، والصواع ، والزرافة والبغل .

وقد ذكر أن معظم المشهورين فى المجتمع العربى بالغناء كانوا عبيدا ، وان جميع العبيد قبل الدعوة المحمدية كانوا ، أجمالا ، من الحبش والزنوج ، كما أن للأحباش هناك ولعا بالرقص واللعب بالحراب .

ومن التأثير الواضح للادب الحبشى فى الادب العربى التذييل بالشعر فى الخطابة ويسمونه « سلام » ، وقد رأينا طرفا من هذا فى خطبة قس بن ساعدة الايادى ، كما أن هناك تأثرات حبشية فى شعر الاعشى ، وامرىء القيس ، وامية بن الصلت ، بالاضافة الى هؤلاء الذين كانوا ينحدرون من سلالة حبشية مثل عنتر ابن شداد ، وخفاف بن ندبه ، وسليك بن السلكة ، وسحيم عبد بنى الحسحاس ، حتى لقد كان يقال للثلاثة الاولين « أغربة العرب » .

ثم ان الاحباش قد ادخلوا ضروبا من الرقص والغناء فى الحجاز ، وان الصلة وثيقة بين الشعر والرقص والغناء ، ولا يبعد ان يكون الشعر قد افاد من توقيمات الرقص والغناء، كما أفاد الاذان من صوت بلال وطريقته فى الغناء ، كما أفاد الشعر نوعا من الواقعية المتوترة فى الغزل نراها أوضح ما تكون فى شعر سحيم عبد بنى الحسحاس ، الذى يذكرنا بشعره هذا النوع المعروف من الاناشيد الريفية فى الحبشة ، والذى يصفه القديس أو الشهيد فى كل جزء من جسمه وصفا مباشرا تقريريا .

كما ان لهم شعرا راسخا فى الحرب وفى « الصعلكة » وقد كانوا مستضعفين فى أول الامر ، ولكن حين جاء الاسلام ، وخلق « مثلا أعلى جديدا » فى الحياة الاسلامية ، نراهم ينتفضون من هوانهم ، ويدافعون عن أنفسهم فى أول الامر ، ثم يهاجمون العرب بعد ذلك ، ويفخرون ببلادهم وبتاريخهم على العرب وعلى بلادهم ثم دخلت البلاد فى فترة من النسيان التاريخى فيما بين القرنين السابع والثالث عشر الميلاديين ، وان كان قد لوحظ خلالها ازدياد النشاط اليهودى ، ثم تبدأ فترة وضوح الحبشة فى التاريخ بتولى (يكونوا ملاك ١٢٧٠ م) العرش ، الذى نقل العاصمة من اكسوم الى مرعدى ، وأكد اللغة الامحرية بدلا من الجعز .

وفى الوقت نفسه كانت الهجرات العربية مستمرة على ساحل الصومال ، وساحل اريتريا ، مما ترتب عليها مايعرف فى التاريخ باسم « دول مدن » وما يعرف باقاليم الطراز الاسلامى ، وقد كانت هناك سبع امارات عربية ظلت دائما هدفا لملوك الحبشة ، وقد كان فى مقدمة الذين حاربو « اقليم الطراز » يكونوا ملاك ، الذى كان قد تودد الى الظاهر بيبرس ليرسل له « مطرانا » من مصر،وحين اشتدت وطأة ملوك الحبشة على مسلمى الطراز ، فزع مسلمو الطراز الى مصر ، وقد مثلهم الفقيه « عبد الله الزيلعى » الذى طلب ان يستكتب البطريق رسالة الى ملك الحبشة ليخفف وطأته على المسلمين هناك ، ثم استمرت العلاقات تتوتر الى حد أن السلطان فى مصر يأمر بسجن بطريق الاسكندرية ، فيأمر ملك الحبشة بالقبض على التجار المصريين ، ثم يبعث ملك الحبشة بجيش الى اسوان فيتوسط البطريق المصرى فى انهاء الازمة ، مما جعل سلاطين مصر يغيرون سلوكهم فى معاملة ملوك الاحباش ، وان كان لم يتغير بعد ذلك فى المعاملة وبخاصة حينما ادرك سلاطين مصر ان اساءة

معاملة المسلمين هناك ، كانت أثرا من آثار الرسائل التى كان يبعث بها القبط المصريون الى الحبشة .

وقد وصل الحال الى حد ان « يسحاق » ملك الحبشة فكر فى القيام بحرب صليبية على دولة المماليك ، وكان ان كتب الى ملوك الافرنج عام ١٤٢٨ يحثهم على ملاقاته لازالة دولة الاسلام ، وواعدهم على ذلك ، وأخذ فى تمهيد مابينه وبين البلاد الاسلامية واستجاب العربان اليه ، وقد لبى هذه الدعوة الصليبية ملوك ارغونة والبرتغال وفرنسا ، ولكن المشروع انتهى بوفاة « يسحاق » عام ١٤٢٩ .

***

وقد ترتب على هذه الاحتكاكات سواء كانت سلمية أو حربية تغلغل الاسلام الى الحبشة ، فقد رأينا أن « يكونواملاك » فى رسالته الى الظاهر بيبرس يقول أن فى عسكره مائة ألف فارس مسلم ، وانه كان هناك بعض الدعاة الذين كانوا يشقون طريقهم الى قلب الحبشة للدعوة الى الاسلام ، ولكن العلاقة قد وصلت الى مدى لا يمكن التراجع منه ، حين قام الملك « لبنا دنجل » بغزو مملكة عدن المسلمة ، وبتخريبها الى حد حصر المسلمين فى مكان ضيق وقتل ١٢٫٠٠٠ منهم وتشتيت الباقين ، وحين قدم البرتغاليون لمناصرة الاحباش وقاموا بحرق « زيلع » فى الوقت نفسه الذى هزم فيه « قنصوه الغورى » — آخر سلاطين المماليك فى مصر — امام جيش السلطان التركى سليم الاول .

ثم كان وقوف الاتراك وراء العرب ، ووقوف البرتغال وراء الاحباش ، ومع ان العرب قد استطاعوا لفترة ان يصبحوا سادة الحبشة كلها بزعامة « احمد جرانى » الا ان الاحباش بمعاونة البرتغاليين تمكنوا من النصر ، واستطاعوا الوقوف فى وجه الاتراك الذين كانوا قد تقدموا الى الامارات العربية البحرية ، بل استطاعوا التغلب على مملكة سنار الاسلامية .

ولكن هذا لم يمنع التغلغل السلمى للاسلام بوساطة الدعاة والتجار ، الى حد أن الملك « فاسيلداس » قد أرسل الى امام اليمن ليرسل اليه من يرشده ويفقهه فى الاسلام ، والى حد أن ملوك أمحرة حين تنبهوا الى خطورة انتشار الاسلام عقدوا مجمعا وقرروا فيه منع المسلمين من ان يمشوا الى جانب المسيحيين ، وعزلهم تماما فى أماكن نائية بعيدة عن المسيحيين ، وقد كان مما دعا الى التشديد فى أمر المسلمين تلك الحرب التى قامت بين الحبشة ومصر فيما بين عامى ١٨٧٥ ، ١٨٨٢ ، وقد كان هذا مما دعا الملك « يوحنس » الى ان يصدر مرسوما يقضى فيه بأن على المسلمين التخلى عن مناصبهم ما لم يقبلوا «التعميد» فى ثلاثة أشهر ، كما انه ارغم فى عام ١٨٨٠ مايقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد ، وقد ترتب على هذا هجرة الكثيرين الى السودان ، والخروج من الكنيسة الى المسجد وهكذا ، والاحتكاك بعد ذلك بقوى المهدية بعد السودان .

على أن المسألة كانت تتخللها بعض الفترات لمهادنة المسلمين ، ومن هذه الفترات ان الملك (ليج أياسو ١٩١٣ — ١٩١٦) أنكر الدين المسيحى ، وانه من سلالة سليمان وملكة سبأ وأعلن انه من سلالة النبى محمد ، وتزوج مسلمات ، وتعبد فى مساجد هرر ، وانتزع من المسيحيين منازلهم ، وأعطاها للمسلمين ، وارتدى الزى العربى ، وكتب على العلم بالحروف الحبشية « لا اله الا الله محمد رسول الله » ، بل فكر فى القيام بحرب اسلامية للقضاء على المسيحية ، ولكن الدول الاوروبية تدخلت فى الامر ، واضطرته الى النزول عن العرش للأميرة زو ديتو » .

« فلعلك تدرك من ذلك كيف أحاطت القبائل الاسلامية بقلب بلاد الحبشة من كل جانب ، وكان طبيعيا ان يتسرب الى داخل الحبشة من طريق اتصال هذه القبائل بمن يليهم من أهالى المنطقة الداخلية ، ثم من طريق الدعاة والتجار وغزوات المسلمين » .

ثم تعرض المؤلف للحبشة والثقافة العربية بفهم واستقصاء ، ولا أدرى لماذا أصر على تسمية الحسن بن أحمد بالخيمى ، فى كل الكتاب واسمه الحيمى بالحاء .

على أن القارىء لا ينتهى من هذا الكتاب الا وهو يشعر بأنه وضع يده على تلك الصلات العميقة بين الحبشة والعرب ، وأنه أمام كتاب تعتز به المكتبة العربية .

« عبده بدوى »

الصحافة والحياة الثقافية في أوغندا



عن الألمانية ترجمة: حسين محمد البشاري

لقد كان انتشار الصحافة فى اقليم أوغندا مثار الاعجاب . فان بها الآن على الأقل احدى عشرة صحيفة محلية وبها مجلات تصدربصفة دورية يداوم على قرائتهـا حوالى مليونين من القراء الاوغنديين ومن الممكن بل فى متناول اليد أن يحصل الانسان فى العاصمة ـ كمبالا ـ على جرائد ومجلات تصدر فى ـ كينيا ـ وغانا ـ وجنوب افريقيا ـ وانجلترا ـ والولايات المتحدة الامريكية .

وتظهر صحف أوغندا اما باللغة الانجليزية التى هى لغة البـلاد الرسمية أو بلغـة ـ لوجاندا Luganda اى لغـة مملـكة يوجاندا ومن كل هذا العدد من الصحف يوجد أربع صحف تصدر يومية منها واحدة باللغة الانجليزية والثلاث الاخريات بلغة لوجاندا .

ومن أهم صحف البلاد « أوغندا أرجوس= Uganda Argus» وهى صحيفة محافظة باللغة الانكليزية وتوزع يوميا ١٢٠٠٠ نسخة وتتركز موضوعاتها على الاخبـار الاجنبيـة والتقارير والبحوث العالمية وفى الواقع ينقص هذه الصحيفة ادارة تحرير قوية وعلى مايلوح سوف يبزها فى المجـال الصحافى الصحيفة الانجليزية اليوميـة Uganda Nation التى ستظهر قريبا جدا فى مستوى يسمح لها أن تصبح منافسا قويا للصحيفة الاولى ، غير هذا توجد مجموعات من الصحف الوطنيـة ذات الميول المختلفة ويملكها « انما خان » أو مؤسسة صحف تومسون

Thom psonnewspo perkoncern

والصحيفة الوحيدة التى تصـدر بلغـة لوجاندا Luganda هى صحيفة وطنية وتسمى Talfa Empya وهى تطبع ١٣٠٠٠ نسخة يوميا وتدار شئونها على أحدث النظم فى الطباعة والتحرير وهناك صحيفتان أخريتان يوميتان باللغـة الوطنيـة Luganda وهما Uganda Eyogera نسخة ٩٠٠٠ munno (٧٠٠٠ نسخة) وصحيفة munno تصدرها الكنيسة الكاثوليكية وتتحدث باسمها وهذه الصحيفة تتبع سياسة محافظة ويقبل على قراءتها فى الغالب أتباع الكنيسة الرومانيـة الكاثوليكيـة وهى تعبر عن آراء الحـزب الديمقراطى (حزب الاقلية) .

وهناك صحيفة نصف شهرية تصدر باللغة الانجليزية تسمى Newday وتعتبر معارضة لصحيفة Mumno وتعبر عن آراء أتباع الكنيسة البروتستانتية وأكثر ما تهتم به الموضوعات والمسائل الدينية والسياسيـة

وتنتشر هـــذه الصحيفة بين أفراد الشعب حيث يزداد الشعور بالاشتراكية الافريقيــة

ويوجد باللغة الوطنيـــة كذلك صحيفــة musizi وهى مجــلة شهرية وهى تخــدم مصالح الكاثوليك ونادرا ما تخرج عن هـــذا النطاق وصحيفة أخرى شهرية تسمى Dabuzi ونظرتها وهى لا تهتم الا بأخبار اقليم بوجندا.

وتوجد صحف أخرى تصدرها هيئـــات شعبية أهمها : Youth-in-uganda

والاخيرة منها صحيفة شهرية وتهتم بنشاط منظمات الشباب ويصدر هـــذه الصحيفة مجلس يوجنـــدا للشـــباب وتتجـــه شـيئا فشيئا نحـو الاهتمـام بالسـياسة أما صحيفة The Uakererean فهى نصف شهرية وتخص اتحاد الطلاب فى «كلية ماكريرى» makurere-College وقد قام بتأسيسهـــا جماعة من المدرســين الامريكان الذين كانوا قبل ذلك يتولون مناصب فى الجامعة وهذه الصحيفة ليست واسعة الانتشار وليس لها تأثير يذكر على الشباب المثقف .

أما صحيفة Roho فهى صحيفة فنية وهى تصدر سنويا من جماعة صغيرة تميـــل لحب الشهرة ويتولى اصدارها بعض طلبـــة مدرسة الفنون غير المتمرنين وليســـوا من أصحاب التجارب وكذلك مدرسيها من هذا الطراز وهى تتبع طلبة Makerere College وعلى العموم تعتبر هـــذه الصحيفة تجربة رديئــة لا معنى لهـــا اذا ما كانت هيئـــة التحرير القوامة على ادارة هذه المجلة غير جديرة بقيادة الاغراض والاهداف والخطوات الشعبية الى الامام .

وهناك مجلة شهرية تعتبر فى الواقع نقطة تحول وهى تصدر شهرية تهتم بشئون الفن وأيضا شئون الثقافة وكذلك تختص بالمجتمع وهى الصحيفة الوحيـــدة فى يوجنـــــدا التى تنتشر فى كافة أنحاء شرق افريقيـــا وتسمى Tranaition ورسالة هـــذه المجلة فريدة فى نوع تجربتها وعلى المستوى المثالى وهى خلق ارتبـــاط ووعى بين السياســـة والاقتصـــاد والاداب والحركات الاشــتراكية الاجتماعية وبذلك تصبح فى نطاق المعرفـــة العامة الشاملة رغم أن هدفها الأول هو خدمة مصالح جماهير شعوب شرق افريقيا ولكنهـــا تضع فى حسابها جزءا كبيرا من اهتمامهـــا ومجهوداتها للحوادث العالمية وتطور وتنمية الدول الافريقية بأجمعها .

وهذه الصحيفة Ttansition وكما قال صحفى أمريكى . فى الوقت نفسه هى منبع الآراء والازمات فى شرق افريقيا وهى تصدر فى كل مرة ٥٠٠٠ نســخة توزع على اثنتى عشرة دولة ، ومن الممكن أن يكون لهـــذه الصحيفة من الاهمية والانتشار مستقبل بين جماهير شعب أوجندا — كل هذا مستطاع اذ أمكن التوسع فى الخدمات والدفع الى الامام .

الحياة الثقافية فى أوغندا تعيش على مركزين للثقل الاول فى جامعة ماكريرى والثانى المسرح القومى ويوجد الاثنان فى العاصـــمة كمبالا وفى الواقـــع نجـــــد أن المسرح القـــومى تتركز مهمته وأهدافه كمركز للثقافة أكثر منه مسرحا عاديا يقدم مجرد مسرحيـــات وتمثيليات وقليلا ما يقدم الحفلات الموسيقية أو حفلات تمثيل ولكنه فى معظم الاحيان يقدم بعض روائع المسرح مثل ما كبث أو حفلات موسيقى الصالونات Tammetnwsi ونادرا ما تقدم برامج افريقية بحتة وهــذه العروض الفنية المختلفة تتوقف على اقبـــال الجماهير .

ويســـتعمل المسرح لالقــــاء المحاضرات ومعارض الفن والتصوير الفوتوغرافى وكذلك الاجتماعات العامة والخاصة ، وكذلك لعرض الافلام ، وكذلك يستعمل كقاعدة لعمليـــات ونشـــاط المجلس البريطانى والذى يشرف وينظم أكثر من نصف الاجتماعات العامة .

ولا بد أن ننوه عن متحف Uganda الذى اقيم مبناه على أحدث النظم ويخدم فى المركز الاول علوم الحضارة وعلم وصف الانســـان والتاريخ الطبيعى والاجناس البشرية .

. بالاضافة الى سلسلة من المعارض الفنيــة والموسيقى والحفلات الراقصة وأخيرا أقيـم

بافليون الشئون الاقتصادية والصناعية هذا غير المعارض العلمية التى تقام تحت سقفه .

ومن المتوقع أن تقيم ادارة الاعلام الافريقية Usls لاوجندا والتى ابتدأت نشاطها فى البلاد منذ عام ١٩٥٧ بافليون جديد وهو أهم أهدافها وعلى حساب هذه الادارة الافريقية يقام عدد كبير من المعارض المحلية وتقام عروض للسينما وبرامج للاذاعة واستعراضات ثقافية ، وموظفو هذه الادارة فى ازدياد مستمر وقد قاموا بمختلف التحضيرات لتأسيس نادى محلى للصحافة وصالات للندوات الادبية .

وتقوم ادارة الاعلام البريطانية بذات العمل ولكن ليس بالمهارة التى تقوم بها الادارة الافريقية ، وتهتم الادارة البريطانية فى المقدمة بالنشاط الاذاعى واستعراضات الافلام وكلاهما يقدم استعراضات كثيرة للافلام خلال العام .

وبجانب كل هذا يوجد فى أوجندا عدد من الجماعات الصغيرة ذات أغراض خاصة Sonderinkeresse وهناك كثير من المؤسسات لهواة التمثيل فى بعض الاماكن فمثلا يوجد Chor فى كامبالا وكذلك توجد مؤسستان للموسيقى وناد للفوتوغرافيا وجماعات من الطلبة للتمرين على التحدث باللغات الاجنبية وهكذا .

وفى جميع الجهات من أوجندا يوجد كثير من المراكز التى فى نمو مستمر .

وأيضا فى بعض الجهات والاقاليم النائية مثل Fort Portal فى غرب أوجندا حيث أقيم فى كل هذا عدد صغير من المراكز الثقافية مزودة بالمكتبات العامة وحالاتعرض الافلام وفضلا عن ذلك صالات للقراءة واقامة الندوات .

وتلعب المدارس والكنائس فى أوجندا دورا هاما فى الحياة الثقافية لدى الشعب ، فالمدرسة الثانوية العليا والكنائس الكبيرة تستغل فى بعض الاوقات كميادين لاقامة الحفلات الخاصة بالقبائل ، والمدرسون ورجال الكنيسة يعملون جهدهم فى حدود اختصاص مناطقهم على تسهيل اقامة الحفلات الموسيقية والتمثيلية أى ليس نشاطهم قاصرا على تعليم التلاميذ بل يتعداه الى ما ذكر آنفا .

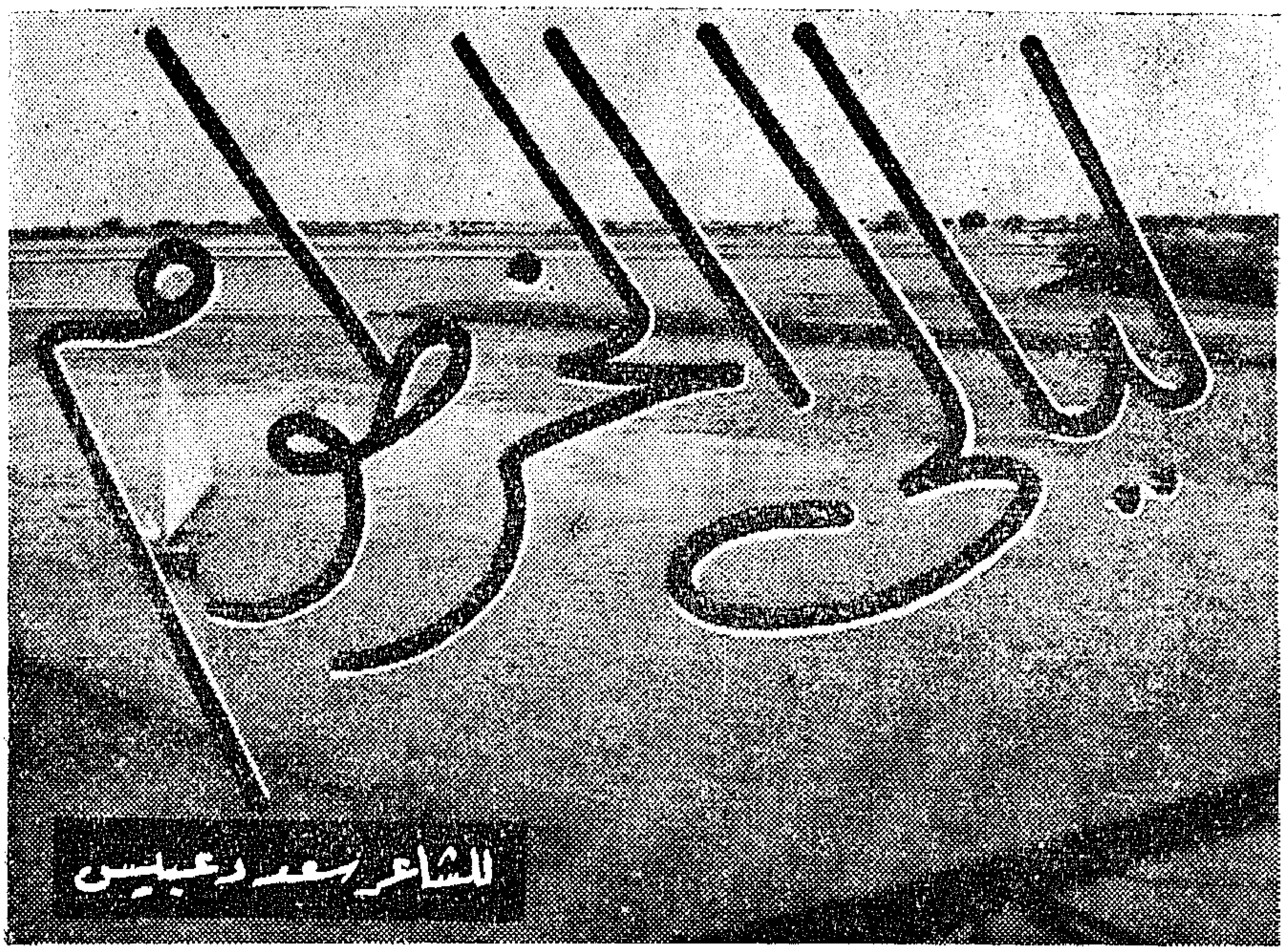
ونلاحظ كثرة الناشرين مثل ناشرى الكتب المدرسية والادبية والمهنية وهذه الكتب مؤلفة بعدة لغات .

وكما هو فى العالم أجمع نجد أيضا فى أوجندا تأثيرا كبيرا للفيلم ــ لذلك توجد كثير من دور السينما فى أوجندا ــ أربع منها فى كامبالا واثنان فى jinja mbale وواحدة فى Entebbe ولكن مع بالغ الاسف لا يوجد فى أوجندا ستوديو لتصوير الفيلم ، وكذلك لا توجد مسارح كبيرة كالمتعارف عليها لعرض التمثيليات أو الافلام ذات الامكانيات الكبيرة الضخمة .

وعلى العموم شدة الاحتياج لهذا العمل الفنى العظيم سوف تدفعهم يوما ما الى اقامة مثل هذا المشروع وتحقيق مراميه الثقافية والفنية فى كامبالا .

والوسيلة الهامة للاتصالات الجماهيرية لاهالى أوجندا هى الاذاعة وتملك الحكومة هناك محطة اذاعة (قوية) تذيع يوميا ثمان ساعات باللغات ــ الانجليزية ــ لوجاندا ــ وبأربع لهجات أخرى محلية ، وتذاع بجانب نشرة الاخبار أيضا الموسيقى وبعض التمثيليات وبعض القصص الدرامى يكتبها الكتاب الوطنيون وكذلك بعض المواد التربويه وتسمى هذه المحطة Radio Uganda ويبلغ عدد المستمعين للاذاعة بحوالى ٣٠٠٫٠٠٠ مستمع . والتليفزيون فى كينيا فى سبيل الانتهاء من اعداده ، أما فى أوجندا ففى مدى سنتين سيكون لها محطة تليفزيون أيضا وتعمل حكومة أوجندا ما فى طاقتها تجاه نشر الوعى التربوى والثقافى بكل الوسائل الممكنة وترسم الخطط اللازمة لهذه الاغراض لمصلحة الشعب .

نشر عن Newes Afrika



الليـل يضـج بأعمـاقى والنـار تثـور بأشواقى

والريح تعربد فى الغـاب تفضـح ما نام بأعمـاقى

ما عدت أرى الا السـاقى والنيـل وكأسى ورفاقى

وعيـونا ظامئـة جوعى تهفـو لعنـاق وتلاقى

والكأس تحن الى الساقى

* * *

يا ليـل آيا كأس ضيـاع يشـعل فى عينى اعصارى

الريح بغـابك تطوينى تنزع من غابى أشـجارى

تطـوى أوراقى ، تجعلنى أكشف للعـالم أسـتارى

تعصف بالصمت ، تعرينى فأرى ما تحت التيـار

وأعانق فى صمت عارى

* * *

يا قلبى .. يا غابة حزن ما عانقهـا لحن ضـياء

كم مدت أعشـابك ليـلا وحشـيا يغتـال سمائى

أيـام .. أيـام راحت نهشتها أظفـار شـقائى

ما عدت أراها من عمـرى ما عدت أرى غير صـفائى

ينسـاب بأرضى وسمائى

* * *

يا ليـــل الخرطوم تمهــل لا تطـلع أحزان صــــباحى
فالناس بقلبـــــك أفراح تسرى ، وتعـــانق أفراحى
الناس هنــا نغم ، رقص وكئـــوس تهفــو للراح
ظمـأ ينســـــاب الى ظمـأ ورياح تعصـف بريـاح
ولهيب يصرخ فى الراح

* * *

يا نيـل كئوسـك اعصـــار يغـتال قيــودى وعذابى
ما أحلى أن تنـــزع صمتى أن تلقى يأسى وترابى
أن تغرس يا نيـــل بقلبى افراح رفاقى وصــحابى
فيعنى موجك مشـــتعلا من نار كئوس وشـــباب
ويحن الليـــل لاكوابى

* * *

هى ذى أمواجــك تدعونى أن أقتــل يأسى وســكونى
أن أشــعل فى الموج عذابى أن أشـــعل شـكى ويقينى
أن أمسى موجة اعصــــار قلق مشـــتعل مجنـــون
لا يدرى الا أن يمضى أغنيـــة من حب وحنـين
فى كل شراع وســـفين

* * *

انا غرباء أيا نيـــــل غرقى فى بحـر الاقـــدار
فكلانا اصـــرار قـــلق مطوى فى ألف ســـتار
نصرخ أمواجــا ونـدوى فى قلق مشـــتعل بالنـــار
لـكن الشط يحطمنـــا يطوينا خلف الاســـوار
ويعيد لنا ألف ســـتار

* * *

يا ليـــل الخرطوم تمهـــل لا تسرع نحـــو الآفـاق
فالريح على بابك نشـــوى والنيـل بحانتك الســاقى
ونداء الرغبـــة أعصـار يسرى مجنـــون الاشـــواق
والانجم آهات حنــــين وقلوب تهفــو لعنـــاق
والكأس تحن الى الساقى

((سعيد دعبس))

الاصول الجغرافية والدينية للفن الافريقى

بقلم : عبد المنعم الحفنى

يستهوينا الفن الافريقى بما فيه من طاقة عاطفية واتضاح شكلى . ولقد صار الفن الافريقى أحد المنصرفات الفنية فى العالم ، وعلى مستوى واحد مع الفن الاوروبى أو فن الشرق الاقصى .

وليس ما يستهوينا فيه هو غرابته أو الجديد فى شكله ، ولكن للفن الافريقى محتوى عاطفيا يثير فى الوجدان الفنى استجابات جمالية عالية واهتزازات عقلية موحية .

ولكى نفهم الفن الافريقى الفهم الصحيح وجب أن نقربه بوعى وحذر ، ولو ظل الفهم الافريقى حبيس المتاحف لظل فهمه قاصرا على علماء الاثنولوجيا « الاجيال » . ولقد كان فضل اكتشاف الفن الافريقى لعدد من الفنانين عاشوا فى بداية هذا القرن . وحتى هؤلاء ماكانوا سيفهمون الفن الافريقى لولا محاولاتهم خلق أشكال جديدة من الفن الحديث سميت بالتكعيبية والتعبيرية وغيرها . ومن يومها فقط فهم الفنان الحديث أن الفنان الافريقى قبله بزمن طويل استحثته دوافع مختلفة فوجد الاشكال الملهمة التى تستطيع أن تنقل رؤياه الروحية .

ويصدر الفنان الافريقى رؤياه فى شكل تجريدى قانعا بمجرد الجوهريات خالقا أعمالا فنية جديدة تماما تبدو كما لو كانت غير واقعية . وقد تبدو بعض الاشكال غير ذات معنى للرجل العادى ، ولكن بالنسبة للافريقى هى تجسيد لعالم الروح أو للعالم الذى يتوسط له لدى « القوى الكونية الحيوية » . والفنان الافريقى يوليها عنايته لانه يسقط عليها رؤياه الطبيعية ، أما غير الضرورى فهو يحذفه منها بحيث تتأتى هذه الاشكال أخيرا متكاملة مكتفية بنفسها ومركزة لدرجة التشكيل المطلق .

وعندما اكتشف الفن الافريقى ثارت ضجة حوله ، واهتم الفنانون به اهتماما ضخما ملأهم حماسا له بحيث لم يفرقوا بين العمل الجيد والعمل غير الجيد . ولكن بمرورالوقت بدأ الفن الحديث يولى هذه الاعمال الافريقية عنايته ويتذوقها على مهل ويقدر الثمين ويعليه على الغث . ونحن اليوم نقدر الفن الافريقى قدره الصحيح ولا نرفضه بالضيق الفكرى القديم على أنه مجرد عبث بربرى .

ولو أننا دققنا النظر فى افريقيا وشاهدناها ككل لخرجنا بصورة بسيطة عنها ، فبعد أن نترك البحر الابيض المتوسط تقابلنا الصحراء الكبرى بواحاتها ، والى يمينها سلسلة جبال أطلس ، والى يسارها وادى النيل ، هذا الشريط الضحل من الارض الخضراء . وينبع النيل الازرق من جبال أثيوبيا ، أما النيل الابيض فيستمد ماءه من مستنقعات بحر الغزال فى جنوب شرقى السودان . وتمتد الاعشاب والاحراش جنوبى خط العرض ٢٠° وتنقلنا من مناخ الصحراء الى مناخ الساحل، ثم تتدرج الارض فى الخضرة حتى تصل الى المنطقة الاستوائية . ويقع الهبوط الكبير الذى حدث فى العصر الجليدى شرقى السودان، ويمتد من البحر الاحمر الى الزمبيزى . ولقد أحدث هذا الهبوط تشققا فى سطح التربة نتجت عنه البحيرات الحالية وشلالات المياه وقمم الجبال المغطاة بالثلوج والتى ترتفع الى ٢٠٫٠٠٠ قدم . وترتفع شرقى هذا الشق الى الجنوب جبال الحبشة .

وتلتقى بنفس النباتات من خط الاستواء حتى « رأس الرجاء الصالح » . وتتلاشى ادغال جنوب الكونغو لتحل محلها السافانا من « انجولا » حتى المحيط الهندى ، ثم تبدوا أراضى « الاستب » القاحلة حتى « رأس الرجاء الصالح » . وأخيرا نجد صحراء كالاهارى فى وسط وغرب جنوب افريقيا ، وهى أراضى ستب واسعة ومملحة .

وتهيىء الانهار الكبرى « النيل والنيجر والزمبيزى والكونغو » وروافدها أسباب الحياة للسكان ، كما تقوى الروابط الثقافية بينهم . وعن طريقها قامت هجرات كبرى متتابعة من الشمال الى الجنوب .

ويحدد المناخ وخطوط العرض شكل الحياة فى افريقيا . وليست الحرارة الا عاملا من العوامل ولكنها ليست كل شيء . هناك مثلا درجة الرطوبة وهى التى تجعل السكنى ميسرة محتملة فى بعض المناطق عنها فى مناطق أخرى . وتلعب الحرارة دورا كبيرا فى تحديد كمية الامطار ، كما تعتمد الرياح على تخلخل الضغط . ويقوم الارتفاع بدور كبير كذلك فى السكنى ، فكلما ارتفعت الارض كلما كانت أصلح للسكنى .

وتسود الثقافة « الحامية » مناطق شمال افريقيا والصحراء الكبرى ومصر وشرق افريقيا والحبشة . وتتمثل هذه الثقافة فى الجنس الاثيوبى ولو أنها تختلط بأجناس البحر الابيض المتوسط والجنس الزنجى . ولذلك فاننا نجد اختلافات واسعة بين سكان هذه المناطق لهذا السبب . مثلا فى الافرع الشمالية ، وهى « بربر » شمال افريقيا « والفولانى » و « التواريج » ، وفى قبائل « البجا » و « البشارية » و « الجالا » و « الصومال » و « الماساى » و « الباهيما » و « الباتوشى » . ومع ان هؤلاء سود البشرة الا أنهم ليسوا زنوجا . وهم طوال القامة نحافها دقاق الملامح ، أنوفهم مستقيمة ضيقة المنخارين . وهم رعاة أذكياء يحبون التنقل خلال الاستب القاحل . وفى المناطق الزراعية يسكنون مع الزنوج ، ويؤدى الاخيرون لهم كل أعمالهم اليدوية تقريبا .

وعلى مر التاريخ ارتحلت كثير من القبائل الحامية جنوبا وغربا ، واندمجوا فى الزنوج ، وصاروا أصحاب الاراضى والحكام . مثلا .. قبائل الفولانى فرع من القبائل الحامية فى غرب السودان . وهم يتنقلون بأبقارهم من « فوتاجالون » بغينيا حتى الكاميرون .

ويسكن الزنوج مناطق السفانا والغابات . وكانوا فى الماضى صيادين ولكنهم استقروا فى الاراضى وفلحوها وانقسموا خمسة أقسام .

(أ) الزنوج الذين يسكنون غابات شمال الكونغو وأفريقيا الاستوائية وساحل غينيا . وهم يعيشون جماعات مع أقزام أعماق الغابات . وهؤلاء الاقزام الاخيرون بدائيون خلص وصيادون رحل . وقد يؤدون بعض الخدمات للزنوج ولكنهم يحافظون دائما وأبدا على حرياتهم .

(ب) الزنوج السودانيون الذين يسكنون شمال السافانا .

(جـ) زنوج الباتتو القصار الذين يسكنون شرقى وجنوبى السافانا .

(د) النيليون الذين يسكنون شرقى ووسط السودان ، وهم طوال القامة نحاف طوال الساقين . ويربون المواشى ويشتغلون بالزراعة .

(هـ) البوشمان وكانوا صيادين طافوا بافريقيا وملأوا صخورها رسوما مضمونها السحر يمارسونه ليجلب لهم الصيد . وما تزال منهم بقايا فى مناطق صحراء كالاهارى .

هذه هى الاجناس الكبرى فى افريقيا ، ولكننا حاليا لا نستطيع وضع حدود فاصلة بينها ، للتزاوج الذى تم بين أفرادها على مر العصور ، وخاصة فى مناطق البحر الابيض المتوسط ، فلقد كثرت الغزوات بهذه المناطق ، ووفدت عليها أجناس كثيرة وهضمت حضارات كبرى بحيث صارت شيئا مختلفا جد الاختلاف عن الاصول الاولى التى يحسب أنها كانت بتلك المناطق .

ما قبل التاريخ

ويرجع تاريخ الانسان الافريقى الى عصور ما قبل التاريخ . وفى افريقيا اكتشف العلماء

جماجم وهياكل عظمية وفؤوسا يدوية من العصر الحجرى ، كما عثروا على بقايا انسان الفطحل « انسان جاوة » وبقايا الانسان النياندرى ، وارجعوا الاصول الاولى للأثيوبيين والزنوج الى العصر الحجرى المتأخر . وعثروا على أصول أثيوبية فى أخدود أولدافيا وبالقرب من بحيرة اليمنتيا فى شرق افريقيا ، وأصول زنجية فى أسيلار شمال شرقى تمبوكتو بنحو ٢٥٠ ميلا .

واكتشف العلماء فؤوسا حجرية وأدوات كلها مصنوعة باليد فى كل أنحاء افريقيا . وقالوا بأن العصر الحديدى بدأ فى افريقيا نحو عام ٤٠٠ قبل الميلاد . ولم يكن هناك عصر برونزى ما بين العصرين الحجرى والحديدى . ولم تكن الصحراء عنصرا معوقا للاتصال بين أعماق افريقيا وبلدان الشواطىء والتجارة مع الفينيقيين والاغريق والرومان والبيزنطيين والبربر . بذرت هذه الاتصالات بذورا ثقافية جديدة فى الارض الافريقية . وتأسست ملكيات اقطاعية كبرى كانت أولاها اثنتين هما ملكية البربر وملكية الغولانى فى غرب السودان . وفتح النيل طريقا معبدا أمام حضارة الشرق الاوسط والهند وايران . وكان هناك طريق هام آخر يمر بوسط السودان الى اقليم تشاد ومن تشاد الى النيجر والكونغو .

وتدل الآثار التى اكتشفت على ان افريقيا فى الثلاثة آلاف سنة الاخيرة على الاقل لم تكن قارة تغط فى سباتها كما يتخيلها بعض الناس ، ولكنها كانت تصخب بالحروب الداخلية بين الممالك والقبائل المختلفة ، وكان ملوكها ورؤساؤها يشجعون أصحاب الحرف على الترقى بحرفهم وخاصة ما كان منها متصلا بفنون الحرب ، فالسلام لم يكون الا فترة اعداد لحرب . والمثل العظيم الذى يصور الوجدان الافريقى أنما هو « عش فى خطر » . وعيشهم الخطر كان لذلكذا وجهين، وجه مع الطبيعة نفسها ، والآخر معالانسان. وحرفية الافريقى انعكاس حقيقى لتقاليده ومعتقداته القبلية . والقبيلة عندما تصادم قبيلة أخرى أكثر حضارة منها تأخذ عنها الى حد ما ، ولكنها تتعصب لفنها الاصيل .

والفنان الافريقى شديد التعصب حتى انه مع الحضارات الكبرى كالحضارة الاسلامية والمسيحية بعد ذلك كان كثيرا ما يناوئها وينافح آثارها عليه .

والمسافر خلال افريقيا يجد الفرص مواتية بكثرة أمامه ليشترى ما يشاء من تحف الفن الافريقى . وليست هذه بتحف حقيقية ، فهى مجرد تجارة للسائحين ازدهرت وصارت لها رءوس أموالها ومموليها ، ولكن الفن الافريقى الحقيقى يكمن فى أعماق القرى والغابات ، ويظهر فى أكواخ الافريقيين وفى مزهرياتهم . وليست كل القبائل الافريقية على قدم المساواة فى ذلك ، فهناك من يشتهر بالحفر على الخشب وعمل الاقنعة ، ومن يعرف بتشكيل الحلى النحاسية ، وآخرون بتزويق الاكواخ . على أن أرقى الفنون جميعها هو فن القبائل التى تسودها سيطرة الأمهات مثل قبائل البانتو .

والملاحظ فى الفن الافريقى أنه تعبير عن الاعماق النفسية للفرد والقبيلة ، ولو أن الفردية الافريقية تندمج فى الارادة القبلية وتذوب فيها . ولذلك فالفن عند الافريقيين تعبير جماعى . وهو أقوى تعبيرا عن القوى الغيبية ويلعب دورا حيويا فى الطقوس الدينية . ولذلك نجد أن أهم أعمال النحت يصوغها « الطبيب » الافريقى ، وهو لا ينحت تماثيل للاله ولكن لأبناء الاله ، وهؤلاء هم سلف القبيلة الذين كانوا شيوخها ثم ماتوا اعتقادا منهم أن هؤلاء هم سدنة القبيلة فى العالم الآخر . وهو يركز على الرأس حيث تكمن القوى الفكرية ، أو على السرة مركز الحياة والرابطة بين الأم والطفل . ثم هو يزين الرأس بتسريحات الشعر المبتكرة والايقونات . وهويفعل كل ذلك حتىيستجلب روح السلف ويدعوه الى الحلول فى التمثال الذى قده ، فالدين اذن هو الأم الحقيقية للفن الافريقى . وبالاضافة الى الدين هناك الحياة اليومية وعادات القبائل ، وهذه كلها تلهم الفنان الافريقى وتوجه الفن الافريقى .

والفن هو أسلم الوسائل التعبيرية لشعب لم يتعلم بعد كيف يكتب . وهو يرسم وينحت بدلا من أن يكتب ، فالنحت والرسم هما لغة الحياة التى يفهمها الجميع .

الأدب الشعبي الافريقي في الأمريكتين

بقلم : لورنزو . د . تيرنر
ترجمة : نجلاء حامد

لا يزال الادب الشعبى الافريقى يعيش حتى الآن فى البرازيل .. والقصص الشعبية والامثال والالغاز والاشكال الاخرى للأدب الشعبى لا تروى فقط باللغة البرتغالية وانما باللغات الافريقية أيضا ..

وتدور الموضوعات التى تتناولها الروايات الشعبية عن الحيوانات ومآثر الآلهة الافريقيين وقوتهم الخارقة للطبيعة ، والمظاهر المختلفة للحياة البيئية فى افريقيا ، والحروب القبلية والاعمال البطولية للشجعان الافريقيين ، والتعليل لوجود الاشياء والكون .. وهذه القصص أيضا تتحدث عن القوانين التى تفسر نظام الكون والقوانين المسيطرة عليه ..

وعلى الرغم من ان هذه القصص لا تقوم بذات الوظيفة الخطيرة التى تقوم بها فى افريقيا الا أنها لا زالت تلعب دورا هاما الى حد ما فى حياة الاغلبية الساحقة من الزنوج البرازيليين ..

وللكثير من هذه القصص دلالة اجتماعية فهى تزخر بالدفاع عن حقوق الفقراء ضد ظلم الاغنياء والطبقة الحاكمة وربما يبدو فى البعض الآخر الولاء للطبقات الحاكمة والكثير منها ينفث فيك الشعور بمقت العبودية . . أما قصص الاطفال فهى توضح الشرور التى تترتب على عصيان الأوامر ، والكسل والافراط فى الأكل .

وتبدو بعض القصص مخالفة للآداب المرعية ، الا أن الكثير من القصص يسرد فى قالب بدائى بقصد التسلية كما هو الحال فى افريقيا وهى مشحونة بأعمال السحر فتشيع بوجه عام جوا خياليا .. وهى ساخرة سخرية رقيقة ملفوفة فى ثنايا الاحداث ، وقد بنيت فنيا بمهارة ..

وفى الولايات المتحدة الامريكية يبدو تأثير الادب الشعبى القادم من افريقيا الغربية واضحا كما هو الحال أيضا فى البحر الكاريبى وامريكا الاسبانية وخاصة الروايات الشعبية والامثال والالغاز .. وقد نشرت عدة مجموعات من الادب الشعبى الزنجى الامريكى ولكنها حفلت بالتشويه والتحريف .. من بينها مجموعة جيل شاندلر هاريس ، وامبروز جوزويلز ، وس.ج ستونى ، وج.م شيلبى ، وايروين راسل ، وتشارلز س.جونز .. وآخرون .. الا أن أجود نماذج الادب الشعبى الافريقى يمكن استفاؤها من الجنوب وخاصة من منطقة الجلا فى كارولينا الجنوبية وفى جورجيا من الزنوج أنفسهم مباشرة ..

ولقد قام نفر من الناس بمحاكاة أدب الجلا بأنفسهم وتسجيل هذه المحاكاة تسجيلا صوتيا وسموها « قصص الجلا(١) » ولكن

---

(١) نشرت مكتبة الكونجرس روايات طويلة من محاكاة الجلا تحت اسم « جولة الحيوانات فى قصص الجلا » بقلم البرت هـ.ستودوارد .. من سافانا بجورجيا وراجعها دانكا آمريث .

هذه المحاكاة جاءت فقيرة بلا شك .. وان المرء ليعجب ، ما الذى يجعل هؤلاء الناس يرضون عن نشر هذه القصص المقلدة للجللا التى فشلت فى تقليد الجللا ، فى ذات الوقت الذى يسهل فيه على العامل فى الحقل الحصول على قصص الجللا الاصلية من الجللا أنفسهم ؟..

ان الكثير من قصص الجللا تحتوى على كلمات وجمل أفريقية بل عبارات أفريقية كاملة وهذه الاجزاء الافريقية تصاحبها شروح باللغة الانجليزية .. أما البناء الفنى للقصة ورسم الشخصيات فقد بقيت فى جوهرها تتبع البناء الفنى للروايات الشعبية الافريقية باستثناء بعض أنواع الحيوانات التى ربما استعيض بها عما يشابهها من حيوانات افريقيا ، فالارنب استعيض به عن الارنب البرى ، والنمر عن النمر الافريقى الارقط .. الا أن ظهور الارنب أكثر شيوعا فى قصص الجللا عن الارنب البرى الذى يظهر فى القصص الافريقية .. أما السلحفاة البرية والسحلية فهما أقل شيوعا ..

وقد نقدت القصص الشعبية الافريقية بعض وظائفها بين الزنوج الامريكان .. فلقد كان تعلم الاطفال مظاهر معينة فى لغتهم وثقافتهم الوطنية هى احدى وظائف هذه القصص .. فربما يحدد النغم ومقام الصوت معنى الكلمات .. ولهذا لم يكن من الضرورى الابقاء على هذه الوظيفة التعليمية فى العالم الجديد ..

كذلك كان الافريقيون يستخدمون هذه القصص فى نقد المجتمع القائم بأن يرمزوا الى الحكام الظلمة ببعض الحيوانات المعينة ، والى ضحايا هؤلاء الحكام بحيوانات أخرى أضعف من الاولى .. ويبدو أن هذه الوظيفة يضا لم يعد لها وجود بين الجللا ..

أما ماعدا ذلك من وظائف كتلقين المبادىء الاخلاقية وجلب التسريه على النفس والمرح فلا زال قصص الجللا يقوم بها .



من الشعر الافريقي

أنا أعرف

للشاعر الافريقي : كالونجالو

ما أجمل ان أقضي يوما
في كوخ
قرب الغابة

* * *

حيث الاشجار الملتفة مثل الاسوار
.. لايدري الطائر ماذا قد قدر له
لاتدري الاوراق متى يأتي وقت الامطار
لاتدري الحيوانات مواعيد الاكل
لايدري الضبع متى ينصرف الاسد
لايدري الذئب متى ينصرف الضبع
لاتدري الحيوانات الصغيرة متى ينصرف الذئب
... عن جسم غزال مطروح أرضا
منهوش من كل جوانبه

* * *

لكني وحدي أدري
أتحكم في كل الازمان
أعرف ماذا أقصد
اعرف ماذا يرمى الاخرون
ولكن .. معرفتي
لا تحملني في يوم من الايام
الى كوخ قرب الغابة

* * *

فأنا من خلف القضبان
أعيش هنا في قلب المدينة
بل في أنياب المدينة
فمدينتنا لا تعرف ما معنى القلب
ما معنى أن أقضي يوما في كوخ
... قرب الغابة

الدين فى غانا والمجتمع



بقلم : كوفى انتوبمان
ترجمة : كامل عبد المجيد

تواجه المواطن الغانى فى الوقت الحاضر حضارة يعتنقها كثير من الناس وهى القيم التى تستند الى المعتقدات الاتية :

« فكرة وجود اله واحد عظيم كعضو متفاعل مع المجتمع ، وهى تتباين تماما عن فكرة الاله عند المسيحيين ... وهذا الاله يعيش فى مجتمع الارواح الطيبة فى السماء وهو ينظر من عليائه الى الارواح الشريرة فى الجحيم ، ولكنه بالاضافة الى ذلك يحكم خليطا من الخاطئين والفضلاء على الارض » .

فالمواطن يرى الاعتقاد فى الحياة بعد الموت ويرى الاعتقاد فى حياة دائمة الوجود بما تحتمه دورة الذرية والحياة والموت .

والفترة التى تلى الموت والتى قد تكون حالة من حالات تقمص الارواح التى بها يصبح من الممكن تغيير مصير الانسان اما الى افضل واما الى أسوأ .

« والاعتقاد بتقديس الرجل وتفضيله على المرأة فى المجتمع »

« والاعتقاد فى أن الانسان ولد متحررا من الخطيئة ، وانه يظل هكذا حتى تحيط به ظروف الحياة وذلك على عكس الفكرة اليهودية والمسيحية التى تقول ان الانسان ولد ومعه الخطيئة التى يقال أنه ورثها عن آدم وحواء » .

« ويرون انه لابد من جمال الفكر والحديث والحركة وضرورة المظهر الحسن كأساس وصلاحية تؤهل للتعيين فى وظائف الدولة العليا » .

« والمقدرة على انجاب الاطفال كعامل هام فى استمرار الزواج » .

« وأهمية الزواج كقاعدة ثابتة لبناء المجتمع » .

« والاستجابة الى دعوة الجار الى تقديم الطعام وعدم الاعتذار عنه » .

« وفكرة أن اليد اليسرى تستعمل فى الاغراض الوضيعة ويرمز لها عادة بالانثى ، أما اليد اليمنى فيرمز لها بالمذكر وتستعمل فى الاغراض التى يقرها المجتمع » .

« مبدأ العمر كأساس للحكمة » .

« نسبة الصفات المادية وارجاع الوجود الى المرأة ، أما الناحية الروحية فتنسب الى الرجل » .

« أساس الجمال والفضيلة فى الفن ، أى أن يكون ذا دلالة ومعنى وهذا عكس المذهب الذى ينادى بالفن للفن » .

« نظام تسمية الطفل باستعمال الاسم الاول من اسم أبيه الروحى والاسم الثانى من اسم رجل فاضل يختاره أبوه والاسم الثالث يؤخذ من كلمة تصلح وصفا لاحسن فضيلة يتحلى بها الرجل الفاضل الذى فيضاف الى الاسماء الثلاثة اذا اصبح سمى الاسم الثانى عليه . أما الاسم الرابع الشخص زعيما ، وفى هذه الحالة يؤخذ الاسم الثانى لزعيم سابق جلب حكمه الرخاء والسلام للمجتمع » .

« المقدرة على التعبير عن النفس دون التأثر بأى مؤثر خارجى وهذا ما تفتقر اليه

الدبلوماسية الغربية الحديثة » .

« عدد أيام الاسبوع سبعة أيام ، أما الشهر فأربعون يوما » .

.. هذه هي الاشياء التي تميز الشخصية الغانية والتي تصور قيمها الافريقية الخالصة. ننتقل بعد ذلك الى قيم أخرى تتصل بالدين والمجتمع في غانا فنجد ما يلي :

يرجع السبب في أن غانا المعاصرة تدعو الى تراث ديني خاص بها .. الى مجموعة المعتقدات الدينية الاساسية التي تعود في قدمها الى قدم شعب غانا نفسه . وهذه المعتقدات والطقوس تشترك في أصولها كل عناصر الامة . وقد أضيف الكثير الى هذه المعتقدات والطقوس بدخول الاسلام والمسيحية الى غانا ، ولكن بالرغم من ذلك ، فقد كانت هذه المعتقدات القديمة تتسم بالتسامح قبل اتصالها بالمسيحية أو بالاسلام . ووصلت هذه المعتقدات أيضا الى درجة كبيرة من العمق والفلسفة فيما يختص بالاعتقاد الراسخ في وجود اله قدير واحد . وهذه المعتقدات الدينية تختلف من قبيلة الى أخرى ، وهذا أمر طبيعي ، فالمعتقدات هي نشاط انساني وبالتالي هي ظواهر طبيعية ، وككل الظواهر الطبيعية فانه حتى حبات المانجو التي تنمو على شجرة واحدة لاتحمل عادة ذات الشكل واللون ، وبالمثل لا تحمل كل فروع الشجرة الواحدة ثمارا من الحجم نفسه في الوقت نفسه .

واذا نظرنا الى هذه المعتقدات ورتبناها ترتيبا تنازليا لوجدناها هكذا : الاله الواحد أرواح الاموات ، تقديس الجنس ، وتأثير القوة الروحية على الحياة الانسانية ، وهناك أيضا معتقدات قوية في غانا تقول بأن الانسان له صفة من صفات الله وأن للاب تأثير روحي على أفراد عائلته ، وتقاليد الفرد في غانا لا تجعله يؤمن بأن أصل الخطيئة ولد مع الانسان . فالانسان مقدس ونقي عند ميلاده . وهو يؤمن أيضا بفكرة تقمص الارواح وبفكرة وجود حياة قبل الميلاد وفكرة وجود القديسين وضرورة تعرف الانسان على الكائنات الروحية واتصاله بها من خلال الصلاة .

فيما يختص بفكرة وجود اله واحد عظيم فان الغاني يقول : « الله هو الجد العظيم والجدة العظيمة » وهو يعتبره في حالات معينة « الحاكم المطلق في المجتمع على وجه العموم ، ولا ينبغي الوصول اليه مباشرة انما عن طريق شخص ما » . وممثلو الاله في كل ولاية هم الملوك والزعماء . وهذا هو السبب في أن الاله لايرمز له بالاب مباشرة . فجماعة (الابوى) تسمية « توجبى ماو » أى الجد ... وتسمية جماعة (الجاس) « انانا نيونمو » أى الاله الجد والجدة .. ومعظم الجماعات السكانية في شمال غانا تسمية الحاكم المطلق . وتلاحظ في كل اللغات المستعملة في غانا أن الله يكون دائما في صيغة المفرد وليس الجمع .

ويمارس الغانيون عباداتهم لهذا الاله العظيم من خلال وسطاء .

وهذا يدل على أن نظام القديسين موجود عندهم . وكل انسان يكون طيبا وخيرا في حياته يصلح لان يكون وسيطا بين الانسان وربه بعد مماته .

وكذلك تعتبر أرواح أبطالهم وبطلاتهم وسيطة . وهذه الارواح الوسيطة يمكن أن أن تحل بأجسام كثيرة في الطبيعة مثل الاشجار والصخور والادوات التي يستعملها الانسان، ولذلك فهم يستعملون هذه الاشياء بكثير من الاحترام خشية أن تكون بعض الارواح ساكنة بها .

والانسان بالنسبة للغاني يولد مقدسا وخاليا من الخطيئة . ويظل هكذا حتى يصل ببعض عناصر الشر التي تفرضها عليه الظروف السيئة لحياته . وهو لذلك لا يعتقد فيما يقوله المسيحيون من وجود الخطيئة منذ البداية . أما فكرة وجود الجنة منفصلة عن الجحيم في حياة ما بعد الموت فهي أيضا فكرة غريبة على الغاني . فروح الانسان تظل مختفية بعد الموت — في حياتنا هذه — لمدة أربعين يوما ، ثم تظهر بعد ذلك في مكان يسمونه (أساماندى) وهو المكان

الذى تذهب فيه الارواح بعد حسابها . وتظل الروح هناك حتى تكتسب شكلا ومادة لكى تستعد للتقمص ... وعلى هذا الاساس فالحياة تصبح بالنسبة للغانى « دورة متجددة » ميلاد ثم وجود ونمو ثم موت ثم انتظار فى الاساماندى (عالم الروح) ثم بعد ذلك تعود مع الحمل والميلاد من جديد .

ولعله من الممتع حقا أن نلاحظ أن الله فى فترة الانتظار فى العالم الروحى يسمح للروح أن تختار شكلها وتجدد جنسها وظروف وجودها .. فاذا كان رجل أو امرأة يقاسى فى وجوده الاول من العقم فانه يستطيع ان شاء — أن يكون قادرا على الانجاب فى وجوده الثانى . وكذلك اذا ضاق أفريقى أسود من شرق أو جنوب أفريقيا بحياته الاولى بما فيها من ظلم واضطهاد فانه يستطيع أن يختار اما أن يعود (أفرو أوربيا) كسادته ليحكم قومه السود أو يعود (أفريقيا أسود) فخورا بلونه وجنسه ، يسير رافع الرأس عاليا فى دولة أفريقية مستقلة كدولة غانا .

ويعتقد الغانيون أن كل الاشياء المادية والدنيوية تلتصق بالانثى ، أما المعانى الروحية فتلتصق بالرجل . فكل الخصائص المادية التى يحتاجها الانسان توفرها له الام ، أما المعانى الروحية السامية فيستمدها من الاب . ولذلك فالاب هو مصدر هام من مصادر الوجود فى كل خلية من خلايا المجتمع الغانى .

والى جانب اعتقاد الغانيين فى الاله الواحد العظيم ، فانهم يعتقدون أيضا فى سبعة آلهة آخرين تلعب دورا هاما فى حياة الطفل ، وهذه الالهة السبعة :

(آس ، آدوو ، أبينا ، آكو ، آوو ، آفى ، آمن) .

ويقال ان هذه الالهة تعمل فى حاشية الله الواحد العظيم ، وهذه الالهة السبعة تتناوب أعمالها على أيام الاسبوع السبعة .

« كامل عبد المجيد »



مشكلة المستعمرات البرتغالية

بقلم : عبد الواحد الامبابى

دعا المجلس الهندى للشئون الافريقية Indian Council for Africa الى عقد مؤتمر أسيوى أفريقى فى مدينة دلهى الجديدة وبمباى لدراسة مشكلات المستعمرات البرتغالية فى كل من أفريقيا واسيا ، وقد استمر انعقاد هذا المؤتمر ثلاثة أيام كاملة منذ عدة شهور ، وكان له أثر طيب بعد انعقاده فقد وجهت الدعوة الى كل زعماء الاحـزاب السياسية وقادة الحركات التحررية فى كل المستعمرات البرتغالية فى أنجولا وموزمبيق وغينيا البرتغالية وجوا وبعض الجيوب الاخرى ، وافتتح شرى نهرو هذا المؤتمر بكلمة قال فيها : « ان كفاح المستعمرات الافريقية من أجل حريتها يمثل حركة تاريخية ، بل أنه يعتبر أعظم حـدث يمر به عصرنا فى الوقت الحاضر ، واذا كان عهد الاستعمار قد ولى زمنه الا أنه لا يزال موجودا ولهذا يجب القضاء عليه ، لان وجوده يخلق حالة من التوتر العالمى ، ويدفع الى نشوب الحروب التى نعمـل جميعا على ايقافها ، ولا شك فى ان مساعدة الشعوب الافريقيـة على التخلص من الاستعمار والفوز بحريتها واجب حتمى تفرضه ظروف العالم اليوم على جميع الدول ، واننا لنلمح مع الاسف تعاطفا وثيقا بين البرتغاليين فى انجولا وبين المسئولين فى جنوب أفريقيا وروديسيا الشمالية .

وحين تحدث كنيث كواندا زعيم حـزب الاستقلال الوطنى المتحد فى روديسيا الشمالية طالب الدول غير المنحازة بأن تؤيد ابنـاء انجولا وقال : « ان على الهند ان تخطـو الخطوة الاولى فى مساعدة الوطنيين للعمل على تنسيق جهودهم ضد البرتغال » وقال جوشيا انكومو أن الراى العام منعدم فى البرتغال ، فاذا ما ذهب أحد من زعماء المستعمرات الوطنيين الى هناك لاثارة الـرأى العام فانه سرعان ما يختفى ولا يعلم عنه أحد شيئا بعد ذلك .

كذلك جاء فى الرسالة التى بعثه بها دكتور كوامى نكروما الى المؤتمر قوله : « ان البرتغال ترفض بعناد تكييف نفسها لموجة الوطنيـة الافريقية الجديدة الحية وتواجه الافريقيين الفقراء العزل الذين يجرأون على المطالبـة بالحرية والمساواة بأقسى معاملة وحشـية بربرية ، ولذلك فان من واجب الشـعوب والدول المتحضرة أن تعمل على تغيير مجـرى الاحداث ، وعلى التفاعل مع القضايا الافريقية »

وليس غريبا أن يجتمع فى اسيا ، بل فى الهند بالذات مؤتمر يدرس مشكلات الاستعمار فى أفريقيا . فالدول الاوربية وعلى رأسـها البرتغال لم تفكر فى احتلال المناطق الافريقية المختلفة الا لكى تتخذ منها معبرا تصل عن طريقه الى أسيا لاحتكار أسواقها ثم فرض سيطرتها على شعوبها فيما بعد ، كذلك فان استقلال الهند عام ١٩٤٧ ثم حصول معظم الدول الاسيوية الاخرى على استقلالها بعـد ذلك كان من أهم العوامل التى بعثت روح المطالبة بالاستقلال والثورة بين الافريقيين ضد الاستعمار ، فالماضى المشترك والموقع الجغرافى والظروف التاريخية والثقافية وامتزاج شعوب القارتين عن طـريق الهجـرات والترابط الاجتماعى ، كل هذه العوامـل جعلت من الضرورى ظهور وحدة كفاحية بين اسـيا وافريقيا .

والبرتغال التى لا تزال تحلم بامبراطوريتها الممسوخة التى قامت على تجارة الرقيق وأعمال القرصنة ليست اليوم سوى بلد صغير يقف فى مؤخرة صفوف العائلة الدولية المتحضرة ثقافة وعلما وقوة وتنظيما وتصنيعا ، ومع هذا تصر على أن يكون لها مستعمرات وممتلكات فيما وراء البحار ، ومن عجب ان هذه الدولة التى تدعى أنها رائدة البحار وسيدة المحيطات لم تستطع أن تسترد سفينة واحـــدة هى السفينة « سانتاماريا » من أيدى الكابتن جلفا والذى إستولى عليها هو وحفنة مـن رجاله فى عرض المحيط وتحدى كل سـلطات الحكومة البرتغالية بل أعجب من هذا وهو أمر يدعو الى السخرية فى الوقت نفسه أن البرتغال التى تضم اليوم الى ممتلكاتهـــا فيماوراء البحار مستعمرات: جوا على الساحل الغربى للهند وغينيا البرتغالية وجزائر الرأس الاخضر وساوتولى وبرنسيب وانجولا وموزمبيق فى افريقيا وتيمور ومكاو فى المحيط الباسفيكى، هذه الدولة لا تتجاوز مساحتها ١/١٤ من مساحة انجولا وحدها ومع هذا تصر على أن تفرض سيطرتها ونفوذها على هذه المناطـــق الشاسعة فى أفريقيا وفى اسيا والسبب فى ذلك واضح جدا وهو أن الدول الاستعمارية ذات المصالح الاقتصادية والاستراتيجية هى التى تعمل على أن تثبت اقدام البرتغال فى هذه المناطق الحيوية . وكلها مناطق تتمتع بمنافذ هامة على شرايين المواصلات البحرية حتى تضمن لمصالحها حماية دولة صـديقة لا يمكن ان تقف أمامها فى يوم من الايام ، فاهمية مستعمرة برتغالية كانجولا مثلا بالنسبة للدول منتجة القنابل الذرية هى أنها طريق مواصلات يمكن لشحنت اليورانيوم التى تأتى من كاتنجا أن تنفذ من خلاله بسـهولة الى موانىء المحيط الاطلسى ، ومن أجل هذا أمد حلف الاطلنطى حكومة البرتغال بكل ماتحتاج اليه من أسلحة ثقيلة وحديثة لقمع كل الحركات التحررية التى يقوم بها أبناء المستعمرات .

ولم يحدث أن اعترضت أية دولة من دول الاستعمار على سياسة البرتغال فى موزمبيق حيث تركت الامية متفشية على نحو لا مثيل له فى أى مكان آخر من العالم وتركت المساحات الشاسعة من الاراضى الزراعية بورا لا تمتد اليها يد باصـــلاح أو تعمير وحين عارضت هيئة الامم المتحدة فى قبـول طلب البرتغال الانضمام اليها لان سياستها التعســفية فى مستعمراتها تتنافى مع ميثاق المنظمة الدولية، حين عارضت هيئة الامم فى ذلك لجأت دول الاستعمار الى حيلة تفتقت عنها أذهان رجالها فأشارت على البرتغال بأن تستبدل بكلمــة « مستعمرة » كلمة « مقاطعة » وبذلك يمكن الدفاع عن موقف البرتغال أمام الهيئة ، وفعلا ساومت البرتغال وأعلنت انها لم تعد تدير مستعمرات بعيدة عن حدودها وانمـــا تملك مقاطعات تكون فى مجموعها ممتلكاتها فيمـا وراء البحار . وبهذه الحيلة الساذجة أمكن للبرتغال أن تنضم الى عضوية هيئة الامم عام ١٩٥٥ فقط .

ولقد انفردت البرتغال فى مســـتعمراتها بتطبيق نظام اجتماعى شاذ لم يعـــرف له التاريخ مثيلا منذ أن رأى الانســـان الاول الحياة على وجه هذه الارض .

وكانت تهدف من وراء هـــذا النظام الى محو الشخصية القوميـــة وخلق ما يسمى بالمجتمع البرتغالى وهو نظام قد يبدو قريب الشبه بنظام الذوبان الاجتماعى الذى حاولت فرنسا تطبيقه فى بعض مستعمراتها ففشلت . فان انسانا عاقلا لا يمكن أن يتصور أن الرجل الاسود يمكن أن يصبح رجلا أبيض بمجرد أن يعلن أمام رئيس المحكمة البرتغالى أنه كاثوليكى المذهب ويستطيع أن يتحدث اللغة البرتغالية وعلى جانب لا بأس به من الثراء وقد حدث أن كل الذين خدعتهم هـــذه الاكذوبة قـد أحسوا بعد قليل باللاشيئية الفارغة فى المجتمع البرتغالى فعادوا يلتمسون مكانهم الحقيقى بين اخوانهم السود وانفردت البرتغال كذلك بأنها الدولة الوحيدة التى لا تزال تطبق فى القرن العشرين نظام السخرة البشرية الذى يتعارض تماما مع حقوق الانسان المشروعة .

الرمح الملتهب وكينيا الجديدة



بقلم : لمعى المطيعى

لاول مرة منذ اكثر من سبعين عاما ، يعود الاله « موجاى » ليستقر فى جبـل الاسرار المقدس « كيريناجا » بعد ان أزعجه البيض باحتلالهم كينيا . ففى اول يونيو شـكل الرمح الملتهب « جوموكنياتا » اول حكومة افريقية وطنية فى كينيا .. ولاشك ان مؤتمر القمة الافريقى قد أعطى الحركة الوطنية فى كينيا سحرا ثوريا ففاز حزب الوحدة الوطنية الافريقية «كانو» بالاغلبية فى الانتخابات التى جرت بعد قرارات المؤتمر الثورية .

وصرح «كنياتا » بعد ان تاكد من فوز حزبه بأنه سيعمل على اقامة مجتمع اشتراكى تتكافأ فيه الفرص أمام جميع المواطنين . واذا كانت الاشتراكية تمثل الحل الحتمى لمشكلات كينيا فانها فى حقيقة الامر ليست غريبة على هـذه المنطقة التى عرفت تاريخيا اراضى عامة للرعى لا يملكها احد بل يملكها الجميع وكانت التقاليد الافريقية ترعى هذا الحق للجميع .. وحيث اراضى عامة للاجتماعات ، ليست من حق واحد بذاته بقدر ماهى حق للجميع .. وحيث اماكن عامة للرقص لايحتكرها احد بل يباشر فيها الشعب أفراحه ومباهجه .. وحيث مناطق الغابات من حق الجميع .. وقد أفسـد البيض هذه التقاليد الاشتراكية البسيطة ففرضت قوانين تقسيم الاراضى ليعطوا أثمنها للرجل الابيض ويقسمون غثها بين السـود فتزداد فرقتهم .

ثم ان أمام كينيا الجديدة ضرورة تعديل القوانين وخاصة قانون لجنـة (كارتر) عام ١٩٣٤ الذى يقضى بان من حق الاوروبيين وحدهم دون الافريقيين والهنود الاحتفاظ بملكية منطقـة المرتفعات .. وامامها قوانين الضرائب التى كانت تفرض على الوطنيين كضريبة الكوخ وضريبة الرءوس وامامها مشكلات التعليـم التى حرمت أجيالا كثيرة من التعليم العالى وامامها التفرقة البشعة التى وضـعها الاستعمار بين العناصر الرئيسية الثـلاث التى تشكل شعب كينيا بشكل خلق انفصالا مريرا بين هذه العناصر .. وكذلك مشـكلة الحدود التى غزاها الاستعمار قبيل انهـاء نفوذه .. ولعل أخطر هـذه المشـكلات هى مشكلة الجوع التى هددت كينيا بمختلف عناصرها .. ولعل أخطر المشكلات التى قد يضعها الاستعمار فى طريق كينيا الجديدة هى محاولة انقسام الحركة الوطنية والشعبية

واذا كان « كنياتا » قد اختـار طريق الاشتراكية ــ وهو طريق ليس غريبا على تقاليد المنطقة ــ حلا للمشكلات الاقتصادية .. فان

السلاح الوحيد للحفاظ على الوحدة الوطنية والشعبية هو الديموقراطية .. وهو أيضا طريق عميق الجذور فى تقاليد الجيكويو أيضا.

ومن تقاليد الجيكويو ان يجتمع الشعب فى حفلات واسعة ليضع دستوره بنفسه وكان من اركان الدستور الاساسية ما يلى :

١ ـ حرية الشعب فى زراعة الارض .

٢ ـ العضوية القبلية تتوقف على الوعى لا على الملكية .

٣ ـ المساواة بين النساء والرجال المختونين فى عضوية القبيلة .

٤ ـ اتخاذ الاحتياطات حتى لا تسيطر حكومة استبدادية على الشعب .

٥ ـ الشباب مابين الثامنة عشر والاربعين يستعدون للدفاع عن البلاد .

ولعل الصفات التى رسخت فى نفسية « جوموكنياتا » وشكلت شخصيته ، تكون بمثابة الرصيد الذى يدعم الطريق الجديد لكينيا .

فان « كاماو بن نجيتجى » ـ وهكذا كان اسم كنياتا بعد مولده ـ قد انحدر من سلالة الجيكويو التى عرفت التقاليد الاشتراكية والديموقراطية فى أشكالها البسيطة ، وارتبط أعمق الارتباط بشعبه وتقاليده ، وأدرك بوعى مشكلة الارض وخطورتها بالنسبة لشعبه ، وعاش فى كنف الشعب البسيط بتقاليده وأفكاره حتى انه ليسجل فى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) أنه تلقى السحر وعرفه ومارسه من عشيرته .

وان « جونستون كاماو » ـ وهكذا كان اسم كنياتا فى صباه ـ قد عاش عن كثب حياة الفئات الكادحة ، فقد عمل مساعد طباخ فى صباه وكان يقدم أفخر الاطعمة ولا يذوقها ثم تعلم النجارة واشتغل بها لفترة .

وان « جومو كنياتا » ، وهذا هو اسمه فى رجولته ونضاله عاش طوال حياته ثوريا يتحدث باسم شعبه ، ففى عام ١٩٢٢ انضم الى رابطة شباب الجيكويو وفى عام ١٩٢٩ وصل الى لندن ليعرض مشكلات بلاده بعد أن كان المتحدث الرسمى لشعب الجيكويو فى عام ١٩٢٨ أمام لجنة هلتون .. وقد اضطر المسئولون البريطانيون عام ١٩٤٩ للأجتماع به متحدثا رسميا عن مشكلات كينيا بأسرها. وفى عام ١٩٥٢ اندلعت « ثورة الماو ماو » ضد الاستعمار البريطانى فاعتقل « جومو كنياتا » وقضى فى السجن والمعتقل حتى ٢١ أغسطس من عام ١٩٦١ .

و « كنياتا » الذى عرفته جماهير الافريقيين مكافحا مناضلا قد عرفته أيضا كاتبا يسجل آلام شعبه وتقاليده وتراثه .. والذى يطالع كتابه (كينيا أرض الصراع) يقف على جزء كبير من النضال الوطنى ، وعلى أساليب الاستعمار فى الدس والتفرقة وبذر بذور الخلاف والشقاق بين صفوف الشعب الواحد .. وفى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) صورة أصيلة عن حياة الجيكويو وتقاليدهم وأساطيرهم وأسلوب حياتهم فى الطفولة والصبا والشباب والزواج ، وأسلوب المعيشة والاعمال التى يقومون بها . ونقف أيضا على تقاليد دينية تنزع فى باكورتها وبساطتها الى الوحدانية والتضحية والفداء ..

وفى خطاب كنياتا الذى القاه عشية تأديته اليمين القانونية ، أعلن الحرب ضد الفقر والجهل والمرض ، ودعا جموع الشعب ومختلف قواه الوطنية لتوحيد قواها ضد هذا العدو المشترك ، مما يوحى بأن الوضع الاجتماعى سوف يلقى اهتماما كبيرا من الوضع الوطنى الجديد .

وتمثل قرارات مؤتمر القمة الافريقى سياجا واقيا لاستقلال كينيا ، كما أن دعوة المؤتمر لاستقلال اقتصادى افريقى تعود بالنفع الكبير على كينيا ولا سيما أنها ترتبط تقليديا بالسوق البريطانية .. وكان من جراء ذلك أن بلغت صادرات كينيا ٢٩٫٣ مليون جنيه تقابلها واردات بمبلغ ٧٧ مليون جنيه .

ولابد من اقامة موازنة جديدة بين الصادرات والواردات ودراسة موضوعية لامكانياتها الاقتصادية . وعمل سياسة اقتصادية جديدة تضطلع فيها الدول الافريقية المستقلة بدور أخوى فى مساندة اقتصاد كينيا .

((لمعى المطيعى))



وليم تبمان

رئيس جمهورية ليبيريا

بقلم : محمد اسماعيل محمد

الرئيس الثانى عشر لليبريا . ولد فى سنة ١٨٩٥ بمدينة هاربر ، اقليم ماريلاند ، وهو ابن الكسندر تبمان ، رئيس مجلس ليبريا النيابى ، تعلم فى حلقة الدراسات المنهجية فى رأس بالماس . وقرأ القانون قراءة خاصة ، وامتهن المحاماة عام ١٩١٧ ، وانتخب لعضوية مجلس الشيوخ عام ١٩٢٨ ، وعين قاضيا مساعدا فى المحكمة العليا عام ١٩٣٧ .

انتخب لرئاسة الجمهورية لاول مر عام ١٩٤٣ لمدة ثمانية أعوام وأعيد انتخابه عام ١٩٥١ لمدة أربع سنوات وأعيد انتخابه لمدة أربع سنوات أيضا عام ١٩٥٥ ثم عام ١٩٦٠ . وهو رجل على جانب كبير من الثراء . اذ يمتلك العمارات والعقارات وله مزارع كبيرة تنتج الكاكاو والمطاط . وقد أصبح له مركز لا ينازع خاصة بعد أن صدر قرار اجماعى من مجلسى الشيوخ والنواب « يرجوانه » فيه أن يظل فى مركزه . وقد « خضع » لهذا القرار عن طيب خاطر بعد تعديل أجرى على الدستور وحدث عليه استفتاء شعبى كانت نتيجته مدهشة للغاية ، اذ حصل الرئيس على موافقة ١٥٥٧٩٢ من عدد الناخبين وهم ١٥٥٧٩٢ !! (وهذا الرقم أقل من امكانيات الرئيس الليبيرى بكثير ففى حياة ليبريا أرقام أكثر اثارة للدهشة) ، اذ حصل أن سجل احد الرؤساء السابقين انتصارا لا مثيل له حين حاز ٢٣٤٠٠٠ صوت من مجموع الاصوات البالغ ١٥٠٠٠ صوت فقط !!!

والرئيس تبمان أحد أفراد سلالة عائلة كانت تقيم فى جورجيا بالولايات المتحدة الامريكية ، أما هو فقد ولد (كما سبقت الاشارة) فى هاربر باقليم ماريلاند بليبريا ١٨٩٥ ويبلغ الان اذن ٦٧ عاما — وأبوه الكسندر تبمان كان عضوا بمجلس النواب ثم الشيوخ وأمه اليزابيث ربيكا احدى المهاجرات من اتلانتا فى جورجيا سنة ١٨٧٢ .

ولقد تخرج تبمان سنة ١٩١٣ من احدى المدارس التبشيرية ثم استمر فى دراسته العالية فى حين كان يعمل مدرسا فى المدارس الاولية المحلية حتى حصل على اجازة فى القانون سنة ١٩١٧ .

وبعد أن عمل فى سلك القضاء انخرط فى سلك الجندية حتى وصل الى رتبة كلونيل .

ثم بدأت اهتماماته بعضوية مختلف الجمعيات التى تكونت فى ليبيريا لتوثيق الصداقة الليبيرية ــ الامريكية وغيرها من الجمعيات التبشيرية حتى تم انتخابه رئيسا للجمهورية سنة ١٩٤٣ وبدأت تنهال عليه ألقاب الدكتوراه الفخرية .

والرئيس تبمان متزوج من احدى بنات الرئيس السابق ارثر باركلاى وهو أب لخمسة أطفال ؛ وابنه الاكبر احد خريجى كلية هارفارد فى أمريكا .

وتولى حرم رئيس الجمهورية الليبيرية الحركة النسائية بعض عنايتها على عادة الطبقات الارستقراطية .

ويحصل الرئيس تبمان على مرتب قدره ١٢٫٥٠٠ جنيه « قابلة للزيادة وقت الاقتضاء » فى حين أن متوسط أجر العامل فى ليبريا ثلاثة شلنات فى اليوم وقد بنى الرئيس تبمان أخيرا مقرا رسميا لاقامته تكلف مليون جنيه وانفق ٣٥٠٫٠٠٠ جنيه فى الحفل الذى اقيم بمناسبة مبايعته للرئاسة فى المرة الاخيرة عام ١٩٦٠ .

ولوليم تبمان رغم كل ذلك حسنة فى اتجاه سياسته الداخلية من حقه أن نشير اليها ، اعنى عمله الجاد على توحيد مختلف عناصر السكان فى ليبريا وخاصة التوفيق بين عنصر الوافدين سكان المنطقة الساحلية والاهلين سكان المنطقة الداخلية . وعلى الرغم من أن وليم تبمان نفسه من الامريكيين الليبيريين الا ان سياسته فى هذا الشأن هى القضاء على تحكم ١ ٪ من السكان الوافدين فى الاغلبية الساحقة من السكان الاصليين . وهذا الاتجاه ، اعنى العمل على الاحتفاظ بتوازن القوى بين العناصر القبلية فى الداخل وأقلية من المستوطنين حول العاصمة يتفق تمام الاتفاق مع سياسة حزب الشعب السيراليونى الذى يرأسه سير ملتون مارجاى رئيس الوزراء لسيراليون .

وفى ليبيريا كما هو الحال فى سيراليون فرق واضح بين الافريقيين الوافدين والافريقيين القدامى ناشىء من اختلال الوضع الثقافى بين المحررين الذين عادوا الى القارة والافريقيين الاصليين الذين لم يبرحوها ، فالوافدين رأوا أنفسهم جزءا من عالم تركوه وراءهم بحثا عن الحرية ، فلما جاءوا الى أرض الاجداد ... الوطن الاول الذى سيعيشون عليه ليربطوا بين حاضرهم ومستقبلهم ، لم يستطيعوا أن يربطوا بين الحاضر والماضى ووقفوا فى أول الامر موقفا انعزاليا عن قومهم .

وكان الاستعمار فى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين يحاول باستمرار تأكيد هذه الفروق لصالحه ولمصلحة احتكاراته واستغلاله .

ولكن النصف الثانى من القرن العشرين شاهد تطورا جديدا فى الرأى العام العالمى عامة وفى الوعى الافريقى على وجه الخصوص . فقد ظهرت على المسرح الدولى قومية افريقية جديدة لها وعيها الجديد واتجاهها الى السلام العالمى والحياد الايجابى والايمان بسياسة عدم الانحياز .

وهذه التطورات الكبيرة فى افريقية أثرت تأثيرا عميقا على تطور الاحداث فى دولها وعلى النظرة الى مشكلاتها . وهكذا بدأت هذه المشكلات تجد طريقها الى الحل ، منهارة أمام الوعى الافريقى الجديد .

وقد أصبحت مسألة المستوطنين والقبليين فى ليبيريا بالفعل ، كما حدث فى سيراليون مسألة قديمة . وتركز الصراع الحيوى فى الوقت الحاضر بين فئة الشباب الذين تعلموا فى الخارج خاصة من جانب وأنظمة الحكم والادارة القائمة من جانب اخر .

((محمد اسماعيل محمد))



لأبوسة نيكل
ترجمة صفاء محجوب

هنا أقف على حافة اليابسة
بين رغوة الأمواج
وعلى حدودها يقف عقلى
دع شمسك البيضاء أيها الشاطىء
تغسل جسمى القوى الداكن

* * *

انني أشعر بتعاريج رمالك الذهبية
تحت بطن أقدامى الأصفر
واذا فقدت تماسكى
واذا جرفكم جميعا هذا البحر الأزرق
فسأصبح وحيدا!
عندما يعلو المدمع صعود القمر

* * *

واذا يممت وجهى
شطرك بالحب يا أفريقية
موليا ظهرى لافق الخيانة
فستحقق لي روابيك الخضر
كل آمالى .

* * *

كل آمالى التى لم تتحقق
كل آمالى التى لم أعش فى اخضرارها
فأنت الوحيدة التى ستملأين قلبى
بالدفء يا افريقية
أنت الوحيدة !



أثيوبيا في سطور

بقلم : عبد العظيم ملوك

تركزت انظار العالم في هذه الايام على أثيوبيا ، بعد انعقاد مؤتمر القمة ، ويهمنا هنا أن نلقى عليها بعض الاضواء :

● فهي تقع في مكان هام في شرق افريقية وتحدها شرقا جمهورية الصومال وغربا جمهورية السودان ، وجنوبا كينيا واوغنده وشمالا البحر الاحمر ، وهي تتكون من هضبتين كبيرتين تبلغ اولاهما حوالى الف متر ، وتبلغ الثانية نحو ألف وخمسمائة متر وتتوسطها بحيرة « تانا » .

● في هذه المنطقة الفسيحة توجد خمسة اقاليم رئيسية هي :

١ — الهضبة الشمالية ، وتقع فيها ارض تيجرى ، وامهر ، وجوجام وشاو .

٢ — وادي الشق الشرقى الذى يجرى من منخفض الدناقل .

٣ — منخفض الدناقل ، الذى يحد من الشمال والشرق بالسلسلة الجبليــة التى تلاصق الساحل حتى خليج تاجورة ، وتحد من الجنوب بجبال هرر ، ومن الغرب بحافة الهضبة الحبشية .

٤ — الكتلة الوسطى بين منخفضى الوادي الشرقى وهضبة الجالا — صومالى .

٥ — هضبة (الجالا — صومالي) وتنقسم الى ثلاثة اقاليم منفصلة هى الهضبة الداخلية والهضبة الوسطى ، والاقليم الساحلى .

● يبلغ عدد سكان أثيوبيا واحدا وعشرين مليون نسمة ، وهي ترتبط بالعالم العربى منذ القدم ، فقد وفدت اليها عدة قبائل مثل « الحبشات » التى أخذت اسمها القديم منها ، وقبيلة « الاجاعر » التى لا تزال لغتها هى اللغة الدينية في الكنائس ، وحين ظهر الاسلام استقبلت تلك الهجرة التى تمت في عهد الرسول ، وقد ثبت عن ذلك هجرات ترتب عنها تكوين سبع أمارات عربية ، تعرف تاريخيا باسم « اقليم الطراز الاسلامى » .

● في عام ١٨٩٦ اعتدى الايطاليون على أثيوبيا (الحبشة) ، ولكن الشعب قاوم بجدارة ، ولكن البلاد سقطت ، حين دخلت قوات الفاشية « اديس أبابا » في الخامس من مايو عام ١٩٣٦ .

● ولقد قاوم الايطاليون الشعور الوطنى واوقعوا بين المسلمين والمسيحيين ، واكدوا التفرقة العنصرية ، وعملوا على القضاء على العناصر الوطنية أو تشتيتها ، وجعلوا من البلاد « مهجرا » للمواطنين الايطاليين ، وفي عام ١٩٣٧ اصدرت قانونا يمنع اختــلاط الايطاليين بالمواطنين وعدم التزاوج بينهم .

● ظلت أثيوبيا تحت نير الاستعمار حتى

عام ١٩٤١ ، اذ تخلصت البلاد من الاستعمار وعاد اليها الحكم الوطنى ممثلا فى « الامبراطور هيلا سلاسى » ، وفى عام ١٩٦١ حدث انقلاب عسكرى اثناء غياب الامبراطور ، ولكنه لم يدم الا أياما ، عاد بعدها الامبراطور الى بلاده

● اهم المدن هناك « **اديس ابابا** » وهى العاصمة ، ومعناها « الزهرة الجديدة » ، وقد بناها الامبراطور « منليك الثانى » عام ١٨٨٣ ، وهى تقع على ارتفاع ٢٧٫٠٠٠ متر وتحيط بها عدة جبال تعطيها رونقا وبهاء .

« اكسوم » وشيدها الامبراطور « فيسلاديسى » عام ١٦٦٥ .

« **اسمرة** » عاصمة اريتريا وتقع على البحر الاحمر «

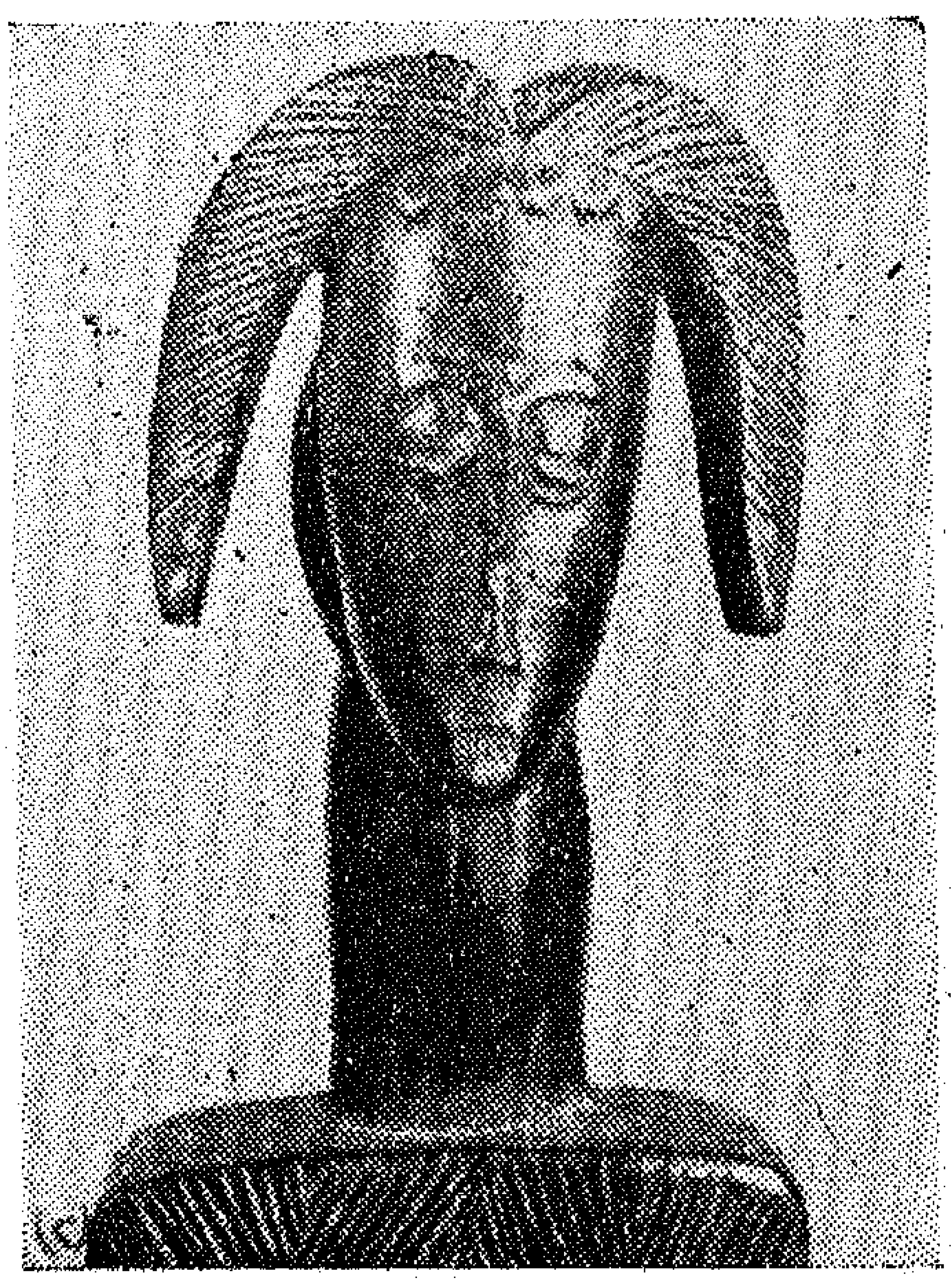
« **هرر** » تقع فى سهل خصب ، وقد كان اخر حكامها من المصريين « على رضا باشا »

« **جوندار** » كانت عاصمة لاثيوبيا منذ قرنين ، وتقع شمال بحيرة تانا .

● نظام الحكم فى أثيوبيا ملكى وراثى والدين الرسمى للبلاد هو الدين المسيحى ، هذه هى أثيوبيا التى تربطنا بهـا أواصر العـلاقات القديمة ، والتى كانت مقـرا « المؤتمر القمة » الذى عقد فى أديس ابابا ، وحضره رؤساء ثلاثة وثلاثين دولة ، والتى تعقد افريقية كلها الامال على نتائج هـذا المؤتمر .

لقد كانت فى الماضى شبه منعزلة ولكنها تشغل الان بقضايا الحرية فى القارة الافريقية ، وتنضم الى كافة القوى الايجابية التى تعمل الان باخلاص لتخليص القارة من كافة القوى المعطلة ، ولدفعها بفهم الى عالم جديد ، يمارس فيه الانسان حرياته ، ويسهم فى اثراء الحياة ، ويعطى لكل ما يلمسه معنى جديدا ، وعمقا جديدا .

« عبد العظيم ماوك »



اقتصاديات أوغندا وعلاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة

بقلم : محمود متولى

فى يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٦٢ لحقت بقطار الحرية دولة جديدة فى افريقيا هى أوغندا ومع بداية الاستقلال تواجه أوغندا مشكلة البناء . البناء الجديد لاقتصادها ولرخائها والعمل من اجل التقدم الاجتماعى . لقد كانت هى الدولة الثالثة والثلاثون فى ركب الحرية فى قارة المستقبل .

عرض تاريخى :

اسم اوغندا اسم حديث اخترعه البريطانيون عندما فرضوا الحماية على هذا الجزء من افريقيا فى ١٨ يونية سنة ١٨٩٤ ، فهى مكونة من عدد من الممالك كانت كل منها مستقلة عن الاخرى تمام الاستقلال وكثيرا ما قام بينها التنافس الذى ادى الى الحرب وكان اهم هذه الممالك مملكة بوجندا التى تتاخم بحيرة فكتوريا من الشمال ثم « بونيورو » وهى الى الشمال من بوجندا ثم انكولاوتورو الى الغرب منهما ثم آشولى فى الشمال من هذه الممالك الاربع ويفصلها عنها نيل فكتوريا . وأوغندا منذ القدم لم تشتهر منها سوى مملكة بوجندا فقد كانت هذه المملكة من ارقى الممالك واكثرها تقدما وكان لها زعيم بمثابة حاكم منتخب يطلق عليه اسم الكاباكا يعاونه مجلس مكون من رؤساء القبائل والعشائر يسمى «بالليكوكو» ولم يكن الكاباكا يبرم أمرا مالم يعرضه على « الليكوكو » ويحصل على موافقته .

وقد أثبتت كثير من الحفريات والآثار وجود اتصالات ما بين تاريخ أوغندا القديم وتاريخ الفراعنة ويفسر ذلك ان موجه من الهجرات خرجت من مصر الفرعونية نحو الجنوب ، هذا الى جانب أن كشف هذه الحفريات والآثار أظهر بوضوح أن هناك تقاربا من ناحية اللون والعادات ونظم الحكم .

ويعتبر القرن ١٩ نقطة تحول خطير فى تاريخ أوغندا فقد شاهدت فى مستهله استقرار الحضارة العربية فى عدة مراكز بين أرجائها وكان استقرارها عاملا على رفع مستوى السكان اجتماعيا وثقافيا . وقد عرف العرب أوغندا سنة ١٨٤٤ حينما وفدوا اليها من اليمن كتجار حيث ان اوغندا اشتهرت بمركزها الهام فى تجارة العاج وريش النعام وقد ساعد وجود سواحلها قرب اليمن على وجود صلات تجارية منذ القدم بينهم وبين العرب .

والاصل فى وقوع اوغندا تحت السيطرة البريطانية هو وقوعها تحت سيطرة ونفوذ شركة افريقيا الامبراطورية التى ظلت تستغلها حتى استولت الحكومة على الشركة واصبحت اوغندا بذلك محميه حكومية بريطانية .

ولقد ساد أوغندا فترة سلام طويلة بلغت اكثر من نصف قرن حتى سميت «بالمستعمرة المثالية» وفى عام ١٩٥٤ رفض الكاباكا فوستالى الثانى ، قبول المشروع البريطانى بوحدة شرق افريقيا خوفا من فتح باب اوغندا للمستوطنين البيض مما يسبب لاوغندا مشكلات لا حصر لها فى المستقبل ، ومن هذا التاريخ بدأت الحركة الوطنية تتخذ صورا ثلاث . المقاومة الحزبية عن طريق الاحزاب التى بدأت تنشط وتدعو فى المجال الدولى من اجل استقلال اوغندا ثم المقاومة السلبية وهى مقاومة الشعب بالطريقة السلبية وعدم التعاون مع المستعمر فى أى شىء . ثم بدأت فكرة المقاومة العسكرية وظلت الحركة الوطنية تنشط فعليا ابتداء

من سنة ١٩٥٩ حتى نجحت اخيرا فى أن تجبر بريطانيا على الموافقة على الاستقلال .

وهكذا أعلن استقلال أوغندا فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٦٢ بعد استعمار دام أكثر من سبعين عاما وقد انضمت اوغندا بعد استقلالها الى رابطة الكومنولث البريطانية كما أنها أصبحت عضوا فى الامم المتحدة .

الموقع الجغرافى :

تقع أوغندا فى هضبة البحيرات فى الجزء الذى يطلق عليه فيها أحيانا اسم سقف افريقيا على جانبى خط الاستواء وان كان امتدادها شمالا أكثر . وأوغندا لا تملك سواحل بحرية ، وحتى سنة ١٩١٤ لم تكن أوغندا قد اخذت وضعها الجغرافى الحالي لان انجلترا كانت على خلاف مع المانيا حول الحدود بينها وبين تنجانيقا .

وتحيط باوغندا بحيرات فكتوريا وكيفو وادوارد وألبرت ورودولف وتنجانيقا ، وفى الشمال منها تحدها جمهورية السودان ومن الجنوب تنجانيقا ومنطقة رواندا أورندى ومن الشرق مستعمرة كينيا البريطانية ومن الغرب جمهورية الكونغو . وتنقسم اوغندا الى مديريات أربع هى بوجندا ــ المديرية الشرقية ــ المديرية الغربية ــ المديرية الشمالية ، وبعد تطبيق نظام الحكم غير المباشر حدثت عدة تعديلات بالنسبة للحدود الداخلية فظهرت أربع ممالك بدلا من المديريات كل مملكة تنم عن قبائل معينة وهذه الممالك هى :

« بوجندا » ــ « بونيورو » ــ « تورو » ــ « انكول » .

ولعل هذا يوحى الينا بمدى تعقد الوضع الادارى وعليه يترتب الوضع الاجتماعى والاقتصادى فى الدولة .

المساحة :

تبلغ مساحة أوغندا حوالى ٩٣٫٩٨١ ميلا مربعا تضم منها حوالى ١٣٫٦٨٠ ميلا مربعا مياه ومستنقعات ، وهذه المستنقعات تعتبر مركزا لتجمع ذباب تسى تسى ولو أنه بدىء فعلا هذه السنوات الاخيرة العمل لاستغلال هذه المستنقعات بعد ردمها .

السكان :

الاصل السكانى يرجع الى الجنس الحامى وهذا الجنس امتاز عن بقية أفراد شعب اوغندا باحتفاظه بقطعان هائلة من الماشية حيث كان يطلق عليهم مجتمع الرعاة نظرا لاهتمامهم الشديد بالرعى .

وقد قدر تعداد السكان (طبقا لاحصائية ١٩٥٨) بحوالى : ٥٫٦٧٨٫٩٠٠ نسمة منها ٩ الاف أوربى ، ٥٦٫٦ ألف هندى ، ٢ ألف عربى وقد بلغ السكان فى سنة ١٩٥٩ حوالى ٦٫٥١٧٫٠٠٠ نسمة وتصل الكثافة للسكان حوالى ٦٩ نسمة للميل المربع والزيادة السنوية تصل الى ٢٫٥٪ بالنسبة للسكان الوطنيين .

ويقدر تعداد السكان (حتى اخر ابريل ١٩٦٣) بحوالى ٧٫٩٠٠٫٠٠٠ نسمة . ولعل ذلك يوضح لنا ايضا ان اوغندا لا تعانى نقصا فى السكان كما انها لاتعانى ازدحاما شديدا فيه .

المواصلات :

لا زالت المواصلات فى حاجة الى الاهتمام والعناية وقد اقام المستعمر شبكة من الخطوط الحديدية لخدمة اغراضه فقط ولكن هذه الشبكة لاتغطى الا المناطق ذات الاهمية له . وتوجد طرق برية تستعمل فيها السيارات هذا الى جانب استغلال شواطىء البحيرات كوسيلة لربط البلاد داخليا والسكك الحديدية هناك تديرها سكك حديد شرق افريقيا .

والطيران له دور كبير فى أوغندا ويوجد بأوغندا حوالى ٤ مطارات نذكر أهمها ، مطار « كمبالا » الضخم المزود بكل الطاقات اللازمة ومثله فى « عنتبه » ، ومن المنتظر بعد حصول اوغندا على الاستقلال الاهتمام الجدى بالمواصلات لتقارب بين الشعب ولتسهل تنفيذ المشروعات الاقتصادية .

المدن الهامة :

لاوغندا عاصمتان احداهما للشئون الادارية والثانية للشئون التجارية .

.. عنتبه وهى العاصمة الادارية وتقع على بحيرة فكتوريا وتعتبر ميناء داخليا هاما .. كمبالا وهى العاصمة التجارية .. منجو — ماساكا — مبال — تسو — كاراماجو ميوبند — آشولى — لانجو ، وهذه المدن مازالت فى حاجة الى تنسيق وتخطيط .

العادات والتقاليد الاجتماعية :

شعب أوغندا كشعوب افريقيا عموما يحب الارض حبا شديدا . فالارض عندهم لم تكن مجرد مكان يعيش عليه بعض افراد المجتمع بل ان معنى الارض عند الافريقى لا يعدو الفهم الجمعى الذى يعطى بمقتضى التقاليد الافريقية للفرد واسرته حق حيازتها ما دام يستغلها .

وقد كان لشعب اوغندا — رغم الحروب التى كثيرا ما اشتعلت بين ممالكه — حضارة عريقة وحكومة منظمة مستقرة باكبر تلك الممالك ومن ثم كان للفنون مجال كبير ، وبدخول الاسلام بدأ دور الحضارة العربية يظهر واضحا فى اوغندا ويبلغ تعداد المسلمين فى أوغندا حوالى ٢٥٠ الف نسمة وهم منتشرون فى المراكز التجارية ولكن مركز تجمعهم الاساسى فى منجو — عنتبه ، وقد عتنق أفراد كثيرون الديانة المسيحية نتيجة لنشاط البعثات التبشيرية فقد وصل تعداد الكاثوليك فى أوغندا ١٫٤٥٠٫٠٠٠ نسمة ، البروتستنت ٧٥٠٫٠٠٠ نسمة .

وبجانب هؤلاء نجد نسبة من السكان مازالت باقية على الوثنية حيث يبلغ تعدادهم اكثر من ٣ ملايين . ولقد كان انتشار ذباب تسى تسى هو العامل الاكبر الذى حال دون هجرة جالية اوروبية كبيرة الى اوغنده مما كان من شأنه تعقد الوضع هناك كما حدث فى كينيا ، الا أن أوغندا تواجه تعقيدات أخرى ناشئة عن الاوضاع الداخلية حيث توجد الطائفة القبلية والامتيازات المتوارثة عنها نزعات ذات صبغة انفصالية تشكل خطرا على وحدة أوغندا الوطنية . ولم تحاول بريطانيا نشر التعليم فاقتصر الامر على عدد ضئيل من مدارس المرحلة الاولى التابعة للبعثات التبشيرية ثم اضطرت بريطانيا تحت ضغط الاهالى الى انشاء المدارس والاهتمام بالتعليم فانشئت كلية « ما كريرى » فى كمبالا سنة ١٩٢٢ وتضم طلابا من جميع شرق افريقيا وقد جاءت البعثات المسيحية التى يسرت لها امكانياتها المادية ان تحول أعدادا كبيرة من الشعب الى المسيحية .

والحياة فى أوغندا قبلية رعوية والسكان يرتدون ملابس بيضاء وملونة ولكنهم يميلون الى الالوان الصافية الهادئة ويستعملون القبعات بصفة خاصة لتحميهم من حرارة الشمس الشديدة كما انهم يستعملون الاسلحة لصيد الحيوانات من الغابات والمناطق الحارة فى اوغندا قد لايرتدى سكانها الا مايستر اجزاء معينة من جسمهم هذا الى جانب أن الرجال بدأوا يستعملون القمصان بعد أن كانوا لا يرتدونها .

الهيكل الاقتصادى :

منحت الطبيعة اوغندا مركزا ممتازا فى ثروتها الاقتصادية فاوغندا تعتبر فى مقدمة دول الكومنولث انتاجا للقطن والبن .

وكعادة الاستعمار الانجليزى حرم على أوغندا أى مجال أو فكرة للتصنيع وركز اهتمامه على أن تكون مزرعة للقطن تمد مصانعه بما تحتاج اليه .

وقد أصدرت الادارة البريطانية فى اوغندا قرارا بانه على كل افريقى ان يزرع ربع فدان قطنا على الاقل . وقد ترتب على اعتماد اوغندا على محصول واحد أن أصيب اقتصادها بانهيار نتيجة للخفض الفجائى لاسعار القطن وارتفاع اسعار المواد الغذائية وهذا يفسر لنا السبب فى الدعوة للاهتمام بزراعة محاصيل أخرى مثل البن والسكر .

ومن ثم نستطيع تلخيص الهيكل الاقتصادى قبل عرضه تفصيليا انه اقتصاد زراعى يعتمد على محصول واحد ونتيجة لذلك كانت اهم المشكلات التى تواجه أوغندا بعد الاستقلال هى مشكلة التنمية الاقتصادية والخروج من دائرة التخلف وبداية الاهتمام بالاقتصاد

الصناعى والعمل على انتاج أكثر من محصول واحد والاهتمام بايجاد طبقة من الخبراء والفنيين لاستغلال موارد اوغندا الاقتصادية استغلالا امثل يعود على الشعب بالرخاء والرفاهية .

الحالة المالية

١ ـ الدخل القومى :

اوغندا بصفتها بلد غير صناعى ويسيطر على اقتصادها الانتاج الزراعى وانتاج المواد الاولية لذلك كان لابد ان يكون الدخل القومى ضعيفا . وقد ارتفعت تكاليف المعيشة بنسبة ١٤٤٪ سنة ١٩٥٨ « سنة الاساس ديسمبر ١٩٥١ = ١٠٠ »

وقد بلغ الدخل القومى فى اوغندا (بملايين الجنيهات الافريقية كالاتى) :

السنة	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧
الدخل القومى	١٢٠	١٢٩	١٤٠	١٤٢	١٤٧
السنة	١٩٥٨	١٩٥٩	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢
الدخل القومى	١٤٧	١٥٠	١٥٥	١٥٢	١٥٨ر٥

ويبلغ دخل الفرد على هذا الاساس حوالى ٢٤ جنيها فى السنة

٢ ـ الميزانية العامة :

كانت الميزانية العامة كالآتى (بالالف جنيه استرلينى)

السنة	١٩٥٤/٥٣	١٩٥٥/٥٤	١٩٥٦/٥٥	١٩٥٧/٥٦	١٩٥٨/٥٧
الدخل	١٧ر٧٣٥	١٨ر٥٣٤	١٨ر٩٢٧	١٩ر٠٤٧	١٨ر٧٨٨
الانفاق العام	١٧ر٤٣١	١٨ر٧٢٤	١٧ر٤٦٠	١٨ر٢٦١	١٩ر٢٢٧
السنة	١٩٥٩/٥٨	١٩٦٠/٥٩	١٩٦١/٦٠	١٩٦٢/٦١	١٩٦٣/٦٢
الدخل	١٩ر٨٧٢	٢٠ر٨٣٧	١٩ر٤٩٦	٢٠ر٥٣١	٢١ر٥٧١
الانفاق العام	٢٠ر٣٨٣	٢٢ر٥٠٣	٢١ر٣١١	٢١ر٢١٢	٢٣ر٠٤٠

الدين العام :

بلغت جملة الدين العام حتى اخر يونيو ١٩٥٩ حوالى ١٣ر٩٣٣ر٠٠٠ جنيه افريقى ومن المنتظر أن ينخفض ذلك الرقم ابتداء من سنة ١٩٦٣ ، وذلك لاهتمام حكومة الاستقلال الجديدة فى أوغندا بسداد هذا الدين بعد زيادة دخلها نتيجة للخطوات الاقتصادية الجبارة التى تتخذها صيانة للمستقبل .

مصادر دخل الحكومة الاوغندية :

تبلغ حصيلة الضرائب المباشرة التى تتمثل فى ضريبة الدخل العام وضريبة العقارات والمبانى وضريبة الاراضى الزراعية ، هذا الى جانب ضريبة الارباح التجارية والصناعية.. تبلغ حصيلة هذه الضريبة المباشرة حوالى ٣ر٤ مليون جنيه فى السنة . وفيما يلى الضرائب الجمركية على الصادرات والواردات بملايين الجنيهات الاسترلينية .

السنة	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥
الضرائب على الواردات	٣ر٩	٣ر٤	٤ر٢	٥ر٦
الضرائب على الصادرات	٨ر٣	٤	٣ر٤	٦ر٤
النسبة المئوية	٤٨ ٪	٢٣ ٪	٣٣ ٪	٣٣ ٪
السنة	١٩٥٧	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٢
الضرائب على الواردات	٦ر٤	٦ر٠	٧	٧ر٤
الضرائب على الصادرات	٧ر١	٧ر٢	٧ر٥	٧ر٥
النسبة المئوية للدخل	٢٨ ٪	٣٠ ٪	٣٢ ٪	٣٥ ٪

٥ ـ العملة والبنوك :

العملة السائدة فى أوغنده هى « شلن شرق أفريقيا » وقيمة هذا الشلن = ٢٠ سنتا كما أن جنيه شرق أفريقيا = ٢٠ شلنا وقد بدىء فى استعمال هذا الشلن ابتداء من سنة ١٩٢٢ ، ولا يوجد بنك وطنى بأوغندا ولكنها تعتمد فى اصدار عملتها على بنك انجلترا (فهى تتبع النظام المتبع فى افريقيا الشرقية البريطانية) وبأوغندا عدة بنوك من أهمها البنك الوطنى الهندى وله ٩ فروع فى أنحاء أوغندا ، بنك ستاندرد لجنوب افريقيا وله ٧ فروع ، بنك باركليز وله ١٩ فرعا .

قطاعات الانتاج الاقتصادية

أولا ـ القطاع الزراعى :

أوغندا منطقة بكر ذات امكانيات ضخمة ومتوافر لها المياه لزراعة ما تشاء من أراض زراعية وقد كان نتيجة لذلك أن نجحت أوغندا فى زراعة عدة محاصيل تناسب تربتها ومناخها :

القطن : تقوم الايدى العاملة الافريقية كلها بزراعة القطن وقد بلغ محصول ٥٩/١٩٦٠ حوالى ٢٠٠ر٥٢٠ بالة (البالة زنة ٤٠٠ رطل) وفى سنة ١٩٦٣/٦٢ بلغ المحصول حوالى ١٢٠ر٧٣٣ بالة ، ولعل التحسن الذى يتراءى لنا يعود الى اهتمام بريطانيا بالقطن الاوغندى ليعوضها عن القطن المصرى هذا الى جانب الخبرة الطويلة التى اكتسبها الفلاح الاوغندى واهتمام كل فلاح بزراعة محصول القطن لانه محصول نقد هام يدر عليه ربحا وفيرا . وقد تبع التوسع فى زراعة محصول القطن أن اهتم بانشاء الخطوط الحديدية وتكوين شبكة مواصلات نهرية لتسهيل نقله من مناطق زراعته الى مناطق حلجه ثم الى أماكن تصديره فى انجلترا .

وقد كان نتيجة لقيام الحرب العالمية الثانية وامتناع ورود المحاصيل الغذائية لاوغندا نتيجة لظروف الحرب أن أهملت زراعة القطن فترة الحرب وبدأ الاهتمام بزراعة المحاصيل الغذائية وذلك لمواجهة احتياجات أوغندا ولعل ذلك لم يكن لاجل أوغندا وحدها بل كان طبقا لآراء « ديلامير » الخبير الانجليزى الذى هدف الى تنويع الانتاج الزراعى فى أوغنده لخدمة أغراض المستعمر نفسه .

وقد بلغ محصول القطن عام ١٩٦٢/٦١ أقل من محصول السنة الماضية حيث أعطى ١٨٠ر٩٠٩ بالات فقط (ولعل ذلك يعود الى تنوع الانتاج الزراعى مما خصص له أراضى زراعية من التى كانت تزرع قطنا من قبل .

البن : تزرع أوغندا نوعين من البن أحدهما هو بن *Rubesta* ومع أنه نوع ردىء الا ان زراعته تمثل جزءا كبيرا من أوغندا ، أما النوع الثانى فهو البن العربى ويزرع فى مساحة قليلة الا أنه ذو شهرة فى جودة صنفه . والبن هو المحصول الثانى الذى تهتم به أوغندا بعد القطن وتقوم على زراعته الايدى الافريقية فقط . وقد وصل محصول البن ١٩٥٨/٥٧ الى حوالى ٧٧ الف طن . وفى سنة ١٩٦٣/٦١ وصل الانتاج الى حوالى ٩٠ الف طن ولم يزد عن هذا كثير فى انتاج ١٩٦٣/٦٢ (حتى مايو) .

الشاى : له وضع هام فى اقتصاديات أوغندا وقد بلغ الانتاج من يناير حتى مايو سنة ١٩٦٢ حوالى ١ر٣٦٦ر٥٣٨ رطلا مقابل ٩٥٧ر٠٣٦ رطلا فى الفترة المماثلة من عام ١٩٦١ ، أما الانتاج فى الفترة من مايو ١٩٦٢ حتى مايو سنة ١٩٦٣ فقد وصل الى ١١٠ر١٣ر٦٣٠ أرطال وكان فى نفس الفترة من مايو ١٩٦١ حتى مايو ١٩٦٢ يصل الى ١٣٥ر٩ر٩٧٠ رطلا .

السكر : محصول يزرع خصيصا للاستهلاك المحلى ولا يصدر للخارج الا نادرا والمنطقة التى تصدر لها أوغندا هى منطقة شرق افريقيا (كينيا وتنجانيقا) ويقدر الاستهلاك المحلى حتى يوليو سنة ١٩٦٢ بحوالى ٤ر٧٤٥ طنا علما بأن الاستهلاك المحلى لنفس الفترة سنة ١٩٦١ كان حوالى ٥ر٥٣٥ طنا وقد باعت أوغنده لكينيا حتى يوليو سنة ١٩٦٢ ما يقدر بـ ٤ر٧٥٠ طنا مقارنا فى نفس

الفترة من سنة ١٩٦١ بما يقدر بـ ٣٠٠٠ر٣ طن .

والى جانب المحاصيل السابقة توجد عدة محاصيل تعتمد الى حد كبير على الاستهلاك المحلى ولكن بدأ الاهتمام بها أخيرا .. نذكر من هذه المحاصيل الدخان . الطباق . الذرة . الفول السودانى . بذور الخروع . القنب الهندى (السيزال) وحبوب الزيت والجلود والمطاط والموز والدخن ..

الثروة الخشبية :

أخشاب أوغندا مثل المنطقة الاستوائية عموما تمتاز بأنها أخشاب صلبة ولينة ويزداد الاستهلاك المحلى - نتيجة للتقدم الحضارى والاجتماعى والاقتصادى - من هذه الاخشاب وقد بلغ الانتاج عام ١٩٥٨ حوالى ٣٣ ألف طن خشب مشقوقة وفى سنة ١٩٦١ بلغ الانتاج حوالى ٥٥ ألف طن أخشاب صلبة ومن المنتظر أن يسد الانتاج كافة الاسواق المحلية واذا بقى فائض فسوف يصدر للخارج .

الثروة الحيوانية :

تعتبر الثروة الحيوانية ذات مصدر هام من مصادر الدخل القومى ويهتم فى أوغندا اهتماما كبيرا برعيها وذلك لاعتماد كثير من قبائل أوغندا على ألبانها وجلودها ولحومها. الا أنه نتيجة لوجود ذباب تسى تسى كان من الصعب على الثروة الحيوانية أن تنمو نموها الطبيعى .

الثروة السمكية :

الثروة السمكية مهمة جدا فى أوغندا لو أخذت العناية الكافية وذلك بسبب كثرة المياه التى تحيطها والبحيرات الضخمة التى أهمها بحيرة فكتوريا وقد بلغ انتاج الاسماك سنة ١٩٥٨ - ٥٤ ألف طن بلغت قيمتها ٢ر٢ مليون جنيه وقد استهلك حوالى ٩٠٪ من هذه الكمية محليا والباقى صدر للكونغو البلجيكى وبعض أقاليم شرق افريقيا وما لبث الانتاج أن طفر سنة ١٩٦١ حتى وصل الى ٧٠ ألف طن ويمارس أهالى أوغندا الصيد فى أربع بحيرات هى : فكتوريا ، ادوارد ، جورج ، ألبرت .

ولا تقوم هناك صناعة منظمة للسمك الا أن بعض الهنود يقومون بتجفيفه وتمليحه ليحفظوه فترة طويلة ثم يبيعوه بعد ذلك .

ثانيا - القطاع الصناعى :

أوغندا كأى مستعمرة لم تعرف الصناعة بالمعنى الواضح نتيجة لسياسة المستعمر التى كانت تهدف الى أن تجعل منها سوقا رائجا لبضائعها وفى الوقت نفسه مصدرا هاما من مصادر المواد الخام لها . فكانت سياسة بريطانيا طوال فترة استعمارها أن تجعل من أوغندا بلدا زراعيا فقط .

ولكن من المنتظر بعد الاستقلال أن تبدأ أوغندا فى مسح امكانياتها ومعرفة مدى ما يمكن أن تقوم الصناعة بها خاصة وأن العناصر الرئيسية لقيام الصناعة موجودة وهى المواد الخام والايدى العاملة الرخيصة وقوى الوقود ولا تحتاج أوغندا فى وقتها الحالى الا لرأس المال غير المستغل والمعونة الفنية غير المشروطة .

الثروة المعدنية :

أوغندا بلد غنى بالمعادن بصورة تبشر بمستقبل اقتصادى كبير وأهم المعادن : خام القصدير ، الرصاص ، الذهب ، وولفرام ، النحاس ، ولقد أصبح النحاس هو أهم هذه المعادن والمحصول الرئيسى خاصة بعد اكتشاف منجم فى كمبالا سنة ١٩٥٦ وفى يوليو فقط سنة ١٩٦٢ وصل الانتاج من النحاس (١٠٣ر١ طنا) بما قيمته (٣٠٤ر٤٦٤ جنيها) وفى الفترة من مايو سنة ١٩٦٢ حتى مايو سنة ١٩٣٦ وصل الانتاج الى ٢٣٩ر١٤ طنا قيمتها أكثر من ٣ ملايين جنيه ، وهكذا يتضح لنا أن الانتاج فى النحاس سجل زيادة ملحوظة وبجانب النحاس يوجد أيضا الكوبالت والتنجستن - الفوسفات .

القوى المائية :

مما لا يحتمل الشك أن التوسع الصناعى مرتبط أشد الارتباط بالاعتماد على القوى

الكهربية ، وأوغندا فى بناء صناعاتها مستقبلا ستعتمد على ما منحته الطبيعة من مساقط مائية ضخمة يمكن أن تولد منها قوى كهربية تساعدها فى بناء صناعاتها وتسهل لها كثيرا من الصناعات المرتفعة الثمن ليمكن تصنيعها بتكلفة أقل من هذه الشلالات .. شلالات أوين (ريبون) وستكون قوة الكهرباء المتولدة من مشروع أوين حوالى ١٥٠ ألف ك.وات ولن يقتصر أثر القوة المولدة من السد على خلق حركة صناعية فى أوغندا لصناعة المنسوجات والسكر وبداية تكوين صناعات ثقيلة وانتاج سلع رأسمالية فحسب وانما سيكون هناك فائض فى القوة الكهربية يمكن تصديره الى الاقطار المجاورة مثل السودان وكينيا والكونغو وبذلك يصبح هذا الاقليم الاستوائى الصغير من أكبر مراكز تصدير القوى الكهربية فى العالم .

أهم صناعات أوغندا :

هذه الصناعات لا زالت فى التطور البدائى ولم تدخل الآلية فى معظمها ومع ذلك لا يمكن أن ننكر أثرها فى الاقتصاد المحلى ومن ثم وجب ذكرها .

صناعة السكر : صناعة متقدمة لا بأس بها وهناك مصنعان بالعاصمة يداران بأيدى أوربية .

جمع الشاى وتعبئته : الشاى له أهمية كبرى وتقوم صناعة تعبئته فى مناطق زراعته بأوغندة .

صناعة الاخشاب : وتوجد عدة مصانع للأخشاب وتقوم الايد الفنية الاوربية بادارة المصانع .

صناعة الزيت : يصنع الزيت فى أوغندا من بذور القطن وجوز النخيل .

صناعة حلج القطن : يقوم بها الهنود الى جانب بعض الافريقيين ولكن للهنود دور كبير فيها حيث كانوا يملكون جميع المحالج الموجودة فى أوغندا ولكن بدأ الاوغندى يفهم أسرار الصناعة ودرب الانجليز بعضها ومن ثم تملك بعض الاوغنديين حاليا بعض المحالج .

صناعة الجلود : صناعة لها أسواق رائجة خاصة فى المناطق المحيطة بأوغندا مما يجعل هناك اهتماما خاصا بها .

صناعة تجفيف الفاكهة : اعتنى بها الاوربيون وهى تصدر الى بعض دول أوربا والى جانب تلك الصناعات توجد : صناعة السلال ، الطباق ، منتجات الالبان .

ثالثا ــ التجارة الخارجية :

كانت تجارة أوغندا مرتبطة مع منطقة شرق افريقيا حيث عرفت كل المنطقة اسم أفريقيا الشرقية البريطانية ، وهذه المنطقة كانت تعتبر منطقة حظوة لبريطانيا وحدها دون سائر الدول ولم تكن أى دولة تستطيع أن تقر أمرا بدون موافقة بريطانيا ومن ثم خضعت تجارة أوغندا الخارجية لوصاية بريطانيا ، وقد بدأت أوغندا فى التحرر الاقتصادى نتيجة لظروف الحرب التى أتاحت لها الفرصة للمعاملة مع بعض الدول الاخرى غير الدول التقليدية التى تتعامل معها .

القيود التى تتحكم فى التجارة :

كان من أثر الاستعمار ان عاشت النظم التجارية فى أوغندا تتحكم فيها أهواء المستعمر وفى سنة ١٩٢٧ تمت وحدة جمركية بين أقاليم شرق أفريقيا الثلاثة وهى تنجانيقا وكينيا وأوغندا ومن ثم أصبح سوق التعامل الرئيسى لاوغندا هو اقليم شرق أفريقيا فأوغندا تصدر كثيرا من منتجاتها الى دول شرق افريقيا وتستورد منها ، كما أنها تتعامل مع بريطانيا كالدولة الاكثر رعاية بالنسبة لصادراتها أو وارداتها .

الواردات :

أهم واردات أوغندا .. المنسوجات القطنية ــ الآلات والقاطرات والماكينات ــ المنتجات البترولية ــ الاسمدة والمنتجات الكيماوية ــ السيارات البطاريات ــ الزجاج ومصنوعاته ــ الاحذية ــ البصل والثوم ــ الاثاثات المعدنية ــ الفواكه المحفوظة .

الصادرات :

تصدر أوغندا المواد الاولية والمحصولات

الزراعية وأهم هذه المواد هى : النحـــاس والذهب والكوبالت والقصدير ـ القطن ـ البن ـ السكر ـ الشاى ـ المطاط .

التبادل التجارى بين أوغنــدا والجمهـورية العربية المتحدة :

العلاقة بين الجمهورية العربية المتحـــدة وأوغنداعلاقة قديمة حيث أنالحفريات الحديثة كشفت وجودتشابه بين كثير من الاثار المصرية وهذه الحفريات كما وجدت بعض معبودات المصريين ضمن هذه الحفريات وبدلنا التاريخ على أن هجرات قد خرجتمن مصر على فترات متعددة أقربها حينما طلب أبيتسا ملك أوغندا من مصر أن تعاونه بارسال بعض العلمـــاء لتعليم السكان قواعد الدين الاسلامى فخرجت معهؤلاءالعلماء جموعشعبية اختلطتبالاهالى.

وابتداء من سنة ١٨٤٤ دخلت أوغندا تحت الحكم المصرى باسم مديرية خط الاســتواء وظل الحكم المصرى حتى نجحت بريطانيا فى زحزحته وتغلغلت فى البلاد فى الفترة من١٨٨٩ حتى سنة ١٨٩٤ حيث فرضت حمايتها علـى أوغندة .

وطوال الفترة من ١٨٩٤ الى سنة ١٩٦٠ لم تظهرأوغندا فى احصائيات التجارةالخارجية للجمهورية لعربية المتحدة بمفردها بل كانت تدخلضمن منطقة شرق افريقياالبريطانى .أما ابتداء من ١٩٦١ فقــد بدأت أوغندا تظهـر بمفردها وفيما يلى الميزان التجـارى بيننــا وبينشرق أفريقيا حتىسنة ١٩٦٠ بالجنيهات المصرية .

السنة	صادرات	اعادة تصدير	واردات	الميزان
١٩٥٥	٥٣ر٠٣٢	١١ر٥٤٩	٧١٢ر٩٠١	— ٦٤٨ر٣٢٠
١٩٥٦	٧٢ر٤٩٨	٣ر٥٣٠	١ر١٤٦ر٨٨٩	— ١ر٠٧٠ر٨٦١
١٩٥٧	٢٠ر٥٤٢	—	٣٧٦ر٦٤٥	— ٣٥٦ر١٠٣
١٩٥٨	٤٣ر٤٧٦	٨٠٥	٣٧٦ر٩٢٥	— ٣٣٢ر٦٢٤
١٩٥٩	٧٠ر٦١٨	٢٠٠	٣٢ر١٠٠	+ ٣٠ر٨١٨
١٩٦٠	٧٦ر١٩٢	١٠٠	٥٠٢ر٨٣٥	— ٤٢٦ر٥٤٣

أما ابتداء من عام ١٩٦١ فتظهر أوغندا فى كشف منفصل بعيدا عنشرق أفريقيا ، وهو بالجنيه المصرى :

السنة	**الواردات**	**الصادرات**	**الميزان**
١٩٦١	٧٢ر٠٤٨	١ر٣٣٠	— ٧٠ر٧١٨
اكتوبر ١٩٦٢	٨١	٩٥	+ ٦

وان كانت هذه الفترة المنفصلة قصيرة الا اننا يمكننا أن نلاحظ :

(أ) أن حجم التجارة بين البلدين ضعيف جدا لا يزيد عن ٧٣ألف جنيه تقريبا.

(ب) وجود عجز فى الميزان فى سنة ١٩٦١ .

(جـ) أن الصادرات والواردات ضعيفة جدا حتى اكتوبر سنة ١٩٦٢ وان حقــق الميزان فائضا لايذكر .

الا أنه مما يتيحالاملفىازدياد العلاقات التجارية فى المستقبل أن بريطانيا كانت هى التى تسيطر على اقتصاديات أوغندا أما وقــد استقلت أوغندا الآن وأصــبح لها طـريق ترسمه لنفسها فلا شك اننــا نتوق بازدياد العلاقات التجارية ونمو التعــاون الاقتصادى بين البلدين .

((محمود متولى))

كتاب الشهر

الإدراك العملى لافريقية

بقلم : انتونى سمسون

عرض وتقديم العميد (ا ٠ ح)

محمد عبد الفتاح ابراهيم

١ ـ الكتاب والكاتب :

كتاب من سلسلة من الدراسات تحمل عنوانا واحدا استهدفت شركة فيكتور جولانكر التى تصدرها أن تغطى بها رقعة العالم الذى تعيش فيه ، صدر منها حتى نهاية سنة ١٩٦٠ المجلدات الخمسة الاولى تتحدث عن الهند والصين والروسيا والعالم العربى وأفريقية ، وبين المؤلفين الخمسة شرقى واحد هو السردار كيفالم بايكار سفير الهند الاسبق فى القاهرة وسفيرها الحالى بباريس وقدم كتابا عن الهند ، وكتب الكتب الاربعة الاخرى صحفيون ممن جابوا البلاد التى تعرضوا لها بالدراسة .

وانتونى سامسون الذى كتب المجلد الخاص بافريقية ، ذهب الى جنوب القارة سنة ١٩٥١ وبقى لاربع سنوات يتولى رياسة تحرير مجلة « درم » أى الطبل ، المجلة الوحيدة للافريقيين التى تباع فى كل أفريقية لجنوب الصحراء ، ثم اتصل بشئون القارة عن قرب ، ودرس وتجول حتى توافرت له خبرة كبيرة بالشئون الافريقية ، ويعمل سامسون حاليا بين محررى مجلة الاوبزرفر البريطانية وله كتاب اخر بعنوان « الطبل وقفص الخيانة » .

على أننا يجب أن نلاحظ هنا بأن ناشرى هذه السلسلة من المؤلفات قد طلبوا من كتابها ثلاثة أشياء : أولهما ، الا يحاولوا تقديم معلومات ذات طابع فيه معنى التخصص العلمى ، وثانيها : أن تكون هذه الدراسات صالحة ليقرأها الرجال والنساء والصبيان والفتيات أى أن تكون مبسطة الى غاية ما لهذه الكلمة من معنى ، والامر الثالث ان تكون دراستهم موضوعية الى غاية ما يمكن .

والكتاب ـ الى غاية ما يجب ان تعرف ـ يعرض صورة حديثة واضحة لمشكلات افريقية لجنوب الصحراء وبخاصة فى الطابع الذى برزت فيه هذه المنطقة الفسيحة الهامة من قارتنا السوداء طوال الثلاث سنوات الاخيرة

وقد قسم المؤلف الصفحات الـ ١٧٥ التى جاءت بين دفتى غلاف كتابه الى قسمين فى ستة عشر فصلا ، فعرض فى الفصول السبعة الاولى ، أى فى القسم الاول من الكتاب ، لكل مشكلات افريقية بعامة ، تعرض لاوجه التباين والتضاد بين مختلف القطاعات ، وناقش الشخصية الافريقية وأوضح تاريخ هذه المصطلحات التى تكثر الصحف من الحديث عنها عند التعرض للقارة الافريقية وكما تبرز فى الدول الحديثة العهد بالاستقلال .

فاذا كان القسم الثانى من الكتاب غطى فى فصول تسعة المناطق الرئيسية فى القارة كل على حدة عارضا المشكلات موضحا مختلف الاتجاهات السياسية على ما بدت له ، ومع انه كان موفقا فى حديثه الا انه لم يقدم جديدا فى دراسته المختزلة الموجزة ذلك لان كلا من المناطق الافريقية بعامة واقسامها الرئيسية الهامة بخاصة قد عرض لها تفصيليا ، ولايعتبر التفصيل افضل من الاختزال فى كل حالة ، ولكن الدراسات التفصيلية فى الحديث عن الناس والبلاد لها قيمتها الكبيرة فيما تقدمه من معرفة للقراء سيما وان الغرض

الاساسى منها هو التعريف اصلا بالنـــاس والبلاد الى غاية ما يمكن تزويدهم به من معارف عامة .

٢ ماذا يقول الرجل عن علاجه لموضوعه :

على اننا قبل ان نعرض لما يقوله الرجل عن علاجه لموضوعه قد يكون من الضرورى ان نذكر بان الرجل قد عنى العناية كلها بالحديث عن « افريقية لجنوب الصحراء » وبهـــذا فكأنه قد ترك منطقتين لهما أهميتهما هما : السودان والصومال بجيرانهم فى الحبشة ، بالرغم من اعترافه بان كلا من البلدين كبيرة الاثر والتأثير فى جاراتها ، وعذره ان « افريقية العربية أكثر ارتباطا بدراسة الشرق الاوسط منها بباقى القارة » ، وهو من جهة أخرى يعرف الجهد الذى يعانيه فى عمل كهذا فهو يقول : « ان المحاولة المجهدة ، محاولة ضغط القارة الى مجرد حديث فى ٤٥ ألف كلمة لهى مشكلة ، والواقع انه لا توجد فى افريقية حكومة مركزية على مثال مافى الروسيا او الصين ، والدول الافريقية تختلف وتتباين فى اتجاهاتها اختلاف دول اوربا ، وبسبب هذا ليس من السهل ان تعطى دول انصبة متساوية فى هذه الدراسة ، فمن يكتب اليوم عن غانة يمنحها اهتماما اكثر مما يمنحـــه لنيجيريا التى يصل تعداد سكانها اليوم الى ثمانية اضعاف سكان غانة ، ولكن غانة لها أهميتها فى المحيط الدولى اليوم ، والواقع ان الدول التى تكثر مشكلاتها والتى تتعرض للاخطار بدرجة اكبر هى التى تجتذب الانتباه اليوم ، والنزاع الجنسى الشعوبى فى الشرق والجنوب يكاد يغطى التقدم الذى هـــو من نصيب غرب القارة ، على أن فى قارة افريقية عامل مشترك هو القومية الافريقية ، وهذه القومية هى الطابع الذى لا يغيب عن مكان ما من القارة ، فالقومية هى العامل الفعال اليوم فى كل قارة افريقية ، وهنا شىء هام يجب ان نعنى بذكره فان حديث السياسة يترك مكانا قليلا للحديث عن أعمال المستكشفين والمهندســين بل حتى المبشرين من رجال ونساء الارساليات الاجنبية .

وهكذا يكون المؤلف قد عنى العناية كلهـا بالميدان السريع التغير ليقدم صورة سريعة عامة للقارة فى التاريخ المعاصر دون ان يهتم كثيرا بماضيها ، وقد استهدف من هـــذا ان يقدم افريقية السوداء ، وافريقيــــة البيضاء (! !) على اساس اوضاع قائمة وعلى اساس حقوق يظن انهـــا يمكن ان تقوم ! !

ومن هذه النهاية تكون لدراسة الرجـــل الاهمية التى يجب فى ضوئها النظر الى البحث كله بحالة واحدة .

٣ تيقظ العملاق :

وككل كتاب عرض للحـــــديث عن قارتنا السوداء فى السنوات الاخيرة بدأ كتـــاب أنتونى سمسون أيضا بالحديث عن « العملاق الذى تيقظ » ويقول المؤلف انه لايشــــك انسان اليوم بان قارة افريقية قد استيقظت من سباتها الذى طال ، وأنها تتغير بسرعة ليس فى « الحوادث » ومجريات الامور العامة ، بل فى الطابع العام كله ، وفى سنة واحدة كانت كل كتب التاريخ وكأنها من تراث المـــاضى كالكتب التى قد سبقتها بنصف قرن لم تعد تصلح للدراسة الا فى نطاق محدود .

ومنذ سنة ١٩٤٥ ، عندما بدت القـــارة وكان شئونها العامة مستقرة متوازنة والتفكير فى الاستقلال لايعدو ان يكون مجرد ثورات صغيرة مبعثرة هنا وهناك ، فى هـذا الوقت واجهت كل بلاد القارة حركة قلبت الاوضاع رأسا على عقب ، والاسماء التى تعتبر اليوم مصادر الانباء ــ فى القارة لجنوب الصحراء ــ مثل مبويا ، نيكروما ، فيروود ، ولينسكى ، أحمد تورى ، سنغور ، كانت هذه الاسماء سنة ١٩٤٥ تدل على افراد غير معروفين فى نطـــاق واسع يقفون فى صــــفوف الاحزاب المعارضة .

وشهدت سنة ١٩٦٠ اكبر تطور فى القارة فقد استقلت نيجيريا ، واختفت فى ليلة واحدة نصف مستعمرات بريطانيا فى أفريقيــــة من سجل « المستعمرات » وانتهت من سجلات البلاد التى تحت الوصاية توجولاند والكاميرون

الفرنسى ، وتابعت المناطق البريطانية الثلاث فى شرق أفريقية سيرها نحو الاستقلال ، وبدأت البلاد التى كانت تحت حكم فرنسا تسلك سبيل غانا فى الخروج على مجتمع الشعوب الفرنسى (المجتمع الذى حـــول تكوينه بالاصطناع) ، وحتى الكونغو التى ظن لسنوات انها ابعد ما تكون عن الهزات المجاورة خرجت الى الوجود فى صحبة مشكلة عالمية ، وكانت أفريقية البرتغالية فى انجولا فى غربى القارة وفى موزمبيق فى شرقيها هى وحــــدها التى صمدت لهذه الهزات ولكنه صمود الى حين

وفى الايام التى استقر فيها الاستعمار كانت عواصم افريقية هى لندن وباريس وبروكسل ولشبونة ، ولم يكن فى القارة أى تمثيل دبلوماسى ، وكانت القرارات الهامة تجيىء دائما من خارج القارة ، كانت الصورة متماثلة فى كل مكان من القـــارة ، نفس المنتديات للاجانب .. نفس مجتمعات الحدائق ، ونفس حفلات «الجمبخانة» طابع استعمارى مستورد من الغرب ليلقى قماشا أبيض على الحيـاة السوداء أسفله ، ثم رفع هذا القمـــاش المضلل بعنف وبسرعة ، ومشاهدة افريقية السوداء وهى تقرر مستقبلها مشاهدة لهـا طرافتها كمشاهدة طلاب معاهد المعلم الصغار وهم يتحررون من مدارسهم عند انتهاء العام الدراسى .

لقد خرجت أفريقية من « النفق » وليس من الضرورى الخروج من النفق الى الضوء الساطع اذ يكفى أنها تخرج الى منظر آخر يختلف عن النفق المظلم القاتم ، ولم يكن النفق طويلا ولكن العالم نفسه قد تغير فى جملته ، ولم يمر الا ست وستون سـنة منذ ان أعلنت الحماية على أوغندة سنة ١٨٩٤ ولكن اوغندة سنة ١٩٦٠ تختلف تماما عن اوغنده القديمة فيما عدا شىء واحد هو بشرة الاهلين السوداء التى عرفها (لوجارد) فى الحقبة العاشرة من القرن التاسع عشر .

ولم يعن الاوروبيون بتقدير أهميـــــة أفريقية الا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، واغفال الصحف وكتب التاريخ لافريقية فى الماضى يثير الدهشة اليوم ، لقد كانت التقارير عن افريقية لاتعنى الا بحديث التنازع بين البيض وبامتداد السياسة الاوروبية لداخل افريقية .

ولكن منذ نهاية الحرب العالمية الثانيـة حدث كل ما يمكن ان يجعل من افريقية قارة هامة فان جزءا كبيرا من آسيا قد اختفى وراء الستار الحديدى ، وقد اشتعلت القوميـــة فى العالم كله ، ونمت ثروات افريقية وازدادت قيمتها فان دبلوماسية الدول الصغيرة فى الامم المتحدة وتكوين الكتلة الاسيوية ـ الافريقية للبلاد غير المنحازة للروسيا او امريكا قد اوجدتا افريقية فجأة فى دور جديد بالنسبة للغرب ، وتحولت افريقية من حديقة كبيرة للحيوانات الضارية الى معمل نشط للسياسة تجرب فيــه كل النظريات والعقـــائد والايديولوجيات المبعثرة فى العالم كله .

وفى الوقت الذى كان فيه العالم يكتشف أهمية افريقية كان الافريقيون يكتشـــفون أهميتهم ، وقد كشفوا هذا بسرعة غريبة لان كل الحركات التحررية قامت منذ نهاية الحرب الثانية ومن المدهش حقا انها لم تقم قبل هذا وكل المنظمات القومية فى غانة ونيجيريا وكينيا واوغندة وتنجانيقا ونياسالاند وروديســـيا الشمالية قد تشكلت فى السنوات التى تلت الحرب الاخيرة .

ولـكن ما هى النواقيس التى أيقظت الافريقيين .. ؟

فى الواقع انها كثيرة ومن الصعب أن توضح الاسباب تبعا لاهميتها ولـكنها فى جملتهـا كانت :

الحرب العالمية الثانية نفسها ، استقلال الهند ، تعليم جماعات كبيرة من الافريقيين فى بريطانيا وامريكا ، ازدياد طبقة العمال الافريقيين فى المدن التى بها صحف وأجهزة للراديو ودور للسينما ، ثم فقـــد الدول المستعمرة لثقتها بأنفسـها ؟ ! ، وكان للعـامل الاقتصادى دوره فى تغيير وجه القارة ، فان ثروة افريقيا تجىء عن سلسلة من الجـــزر

الاقتصادية على ما يقال لمناطق الانتاج فى القارة ، وقدر ان ٤ ٪ من مساحة افريقية الاستوائية ينتج ٨٥ ٪ من صادراتها ، فالمواصلات الحديدية فى افريقية — على ما قال لورد لوجارد — ترتبط بالتطور المادى لها ، فان الماس هو الذى جاء بالخطوط الحديدية الى كمبرلى والذهب هو الذى جاء بها الى جوهانسبرج والنحاس هو الذى جاء بها الى روديسيا الشمالية ، وكان الخط الحديدى الذى بنى بلا هدف والذى يمتد من شرق افريقية الى اوغندة هو العامل الاساسى لرخاء كينيا .

٤ — الافريقيون :

كلمة « افريقيون » نفسها كلمة مبهمة ولكنها مثل العملة الجديدة تستهوى الناس ولا يعرف الافريقيون فى شرق القارة شيئا عن اولئك الذين يعيشون فى غرب القارة ، والذين يعيشون فى جنوب القارة ينفصلون تماما عن باقى القارة للشمال ، ولكن هنا ناحية يمكن ان تجمع بين الافريقيين فان احتكاكهم بالبيض هو الذى جعلهم يبدون سواسية فى اتجاهاتهم ، ولكن منذ ان بدأت سيادة البيض تنتهى وتذوى بدأت تظهر الخلافات وصور النزاع بين الافريقيين .

على ان هذا الابهام فى كلمة « افريقيين » انما هو جزء من الغموض الذى وضح بالنسبة للقارة كلها واستمر طوال الحقبات القليلة الماضية ، وابرز نواحى هذا اللغز تبدو فى اللون ، فليس كل الافريقيين سود البشرة ، بل ان الافريقيين ينقسمون الى قسمين : الزنوج والبانتو ، والزنوج الذين يصل عددهم الى ٤٥ مليونا قد جاءوا من غرب افريقية ، وهم سود البشرة ، اما البانتو الذين هم خليط من الزنوج ومن «الحامعيين» فهم أقل سوادا ولربما يكونون قد جاءوا اصلا من بلاد العرب ، والطوابع الخالصة لهم تماثل اصول الناس الذين يعيشون حول قرن افريقية اليوم .

كلمة بانتو تعنى « لغة » أكثر مما تعنى جنسا ..

وفيما عدا هذا الاضطراب البشرى فان الافريقيين قد تطوروا تبعا لتواريخهم المختلفة وتبعا للبيئات التى تحيط بهم ، والعامل الفاصل بين افريقيى شرق القارة وافريقيى غربيها سببه عدم وجود خط حديدى مباشر ثم ان الطريق البرى عبر اراضى الكونغو لايصلح للسير غير نصف العام .

وفى أفريقية مئات القبائل يتحدث أفرادها سبعمائة لغة أولهجة ، ويوجد كذلك تباين شديد بين الناس الذين يعيشون فى المدن وبين الناس الذين يعيشون فى المناطق الريفية ، أى بين المزارعين وبين عمال المصانع ، بين الذين تخرجوا من الجامعات وبين الاميين الذين لايقرأون ولايكتبون .

وعندما يكون الموقف متماثلا تقريبا بالنسبة لكل الافريقيين سيقوم النزاع بين الافريقيين القدامى وبين الجدد ، بين طريقة الحياه القبلية الرياسية وبين الوجود الذى لايخضع للقبيلة وتنظيماتها الرياسية فى المدن والمصانع والمتاجر .

لقد عاشت افريقية الزنجية طويلا يحكمها رؤساء يتولون الامر بالوراثة ويتمتعون بسلطات طليقة لا حد لها ، ويختلف هذا بين مملكة كبيرة كأوغندة يحكمها الكاباكا وبين بعض قرى صغيرة تجتمع معا تحت حكم الاشانتى كما هى الحال فى غانا ، كانت كل الحياة فى افريقيا تدور حول زعيم القبيلة والمتطببين بالسحر ، وعبادة الاسلاف والمحرمات ، ولكن سلطات الزعيم قد تعدلت جزئيا بوساطة مجالس كبار السن وبوساطة محتشدات القبيلة ، وبوساطة أولئك الذين يستطيعون ان ينتقدوا تصرفات الزعيم فى صورة لها طابع الديمقراطية وبخاصة فى الملكية الجماعية للارض ، وكان هذا هو علة ضعف نجاح العقيدة الشيوعية فى افريقية وقد استطاع عدد كبير من الزعماء المتعلمين وبخاصة فى شرق افريقية ان يحولوا من الزعامة الاوتوقراطية الى زعامة تقدمية ديمقراطية ، ولكن نفوذ الزعماء فى جملته كان على الاقل متحفظا مثله مثل مجلس اللوردات فى انجلترا الذى يعارض انتشار الديمقراطية والانتخابات ...

لقد وجدت سلطات الاستعمار - باستخدامها هؤلاء الزعماء الذين يتولون الامر بالوراثة - وسيلة للحكم ، بل حتى أنها كانت تعمل لتقوية نفوذ هؤلاء الحكام ، وكان الحكم الذى يقال له « الحكم غير المباشر » قد نظم بحكم الحاجة بوساطة لورد لوجارد فى شمال نيجيريا بعد سنة ١٩٠٠ حيث وجد طبقة مسلمة قوية حاكمة ، مع مجموعة صغيرة جدا من الاداريين الانجليز ، ولكن الحكم بوساطة الزعماء لم يلبث ان انتشر بسرعة فى افريقية البريطانية حتى فى أرض الكوكويو حيث تطلبت الحاجة ايجاد هؤلاء الزعماء ، واوجد البلجيكيون فى الكونغو اكثر من الفى زعيم ثم استخدموهم لجمع الضرائب ولوظائف الحكومة مع منحهم مرتبات من الدولة ، وتستخدم حكومة جنوب افريقية الزعماء كعملاء مأجورين يمكن ان تطردهم من عملهم لو لم يطيعوها .

وهذا الارتباط بين الزعماء رؤساء القبائل والعشائر وبين الدول الاجنبية الاستعمارية جعلهم غير شعبيين بالنسبة للزعماء الجدد ، الزعماء السياسيين الذين نشئوا من صفوف الجماهير .

ولكن الى أى حد تستطيع هذه الصفوة من الزعماء الجدد المتعلمين ان تسيطر على مستقبل افريقية والى اى مدى يستطيع هؤلاء ان يوجهوا من هذا السبيل ؟

هذه هى المسألة التى لايمكن اعداد اجابة عاجلة لها تقوم على الدراسة ، ذلك لان الزمن وحده هو الذى سيمكن من الاجابة على التجربة مستقبلا .

٥ - القومية :

والقومية الافريقية - اكثر من غيرها - هى التى تغير وجه القارة ، ولا توجد فى خريطة افريقية منطقة لم تقم فيها للقومية قائمة وركيزة ، وقد آمنت بعض الحكومات مثل حكومة الكونغو (البلجيكى) بانها بمنجاة من مؤثرات القومية الافريقية ولكنها لم تلبث ان ادركت انها اخطأت التقدير ، وكل فرد يدرك وجودها ونموها ، ولكن هناك بعض الشك فى ادراك حقيقة كنهها على التحقيق .

يقول بعض الناس بينهم لورد لوجارد على ما جاء فى كتابه « المسح الافريقى » يقول هؤلاء بانه لا يجب ان يطلق عليها « قومية » بل ان يقال لها « الافريقية » ولكن كلمة « الافريقية » اى اتجاه المشاعر الى كل ماهو افريقى وتحويل كل شىء الى الطابع الافريقى هذه « الافرقة » على ما يطلق عليها اناس تعتبر فى الحقيقة اصطلاح مربك عندما تستخدم بدلا من كلمة « قومية » .

ولكن الذى يجعل القومية الافريقية تختلف عن غيرها انه لا توجد فى افريقية امة صحيحة التكوين فى المعنى الذى يفهمه الناس فى آسيا وأوروبا ، فغانة ونيجيريا وكينيا - على سبيل المثال لا الحصر - لم يكن لها أى وجود قبل القرن العشرين ، والحدود بين الدول - على ما يقول الافريقيون انفسهم انما هى من اصطناع الادارة البريطانية ، حدود تعبر مناطق القبائل ، وتجتاز اماكن سكنى اجناس ، كما تعبر الجبال والانهار على حد سواء .

والناس يحاولون على أساس أن الشعور القبلى لازال أقوى قوة دافعة فى أغلب بلاد أفريقية ، واذا ما انتهى زهو القومية فان بلاد أفريقية وبخاصة تلك التى فى الغرب من القارة السوداء لا تلبث أن تتفتت ثانية الى قبائل كما كانت من قبل وصول الرجل الابيض الذى أوجد هذه البلاد بصورتها الراهنة ، وقد كان هناك اقتراح يرمى الى تقسيم نيجيريا لثلاث عشرة منطقة ، وقبل أن تستقل غانا كانت هناك شكوك فيما اذا كان من الممكن أن يعيش « الاشانتى » سكان الشمال مع (الجا) و (الفانتى) الذين يقيمون فى الجنوب ، ويقول بعض الاخصائيين فى الشئون الافريقية بأن الحل الاصح للسلم فى افريقية هو السيادة الاقليمية داخل الدول على مثال طابع سويسرة ، وليس هذا بالنسبة للافريقيين وحدهم بل وبالنسبة للقبائل البيضاء أيضا (!!) .

وهناك عامل آخر فى الحديث عن القومية الافريقية هو أنه على مثال النقص فى وجود

« أمة » بالمعنى المعروف فيوجد أيضا نقص فى وجود « ماضى » موحد ، فقليل من الافريقيين هم الذين لهم ماضى يمكن أن يفخروا به ، وتزداد متاعب الزعماء القوميين تبعا لحقيقة واحدة هى انهم ليسوا بثوار ضد الدول الاستعمارية فحسب، بل هم ثوار ضد الزعماء الافريقيين على حد سواء ، والذين هم — من وجهة عامة — الجزء الاكبر من الماضى لو كان هناك أى ماض ما .

وبرغم الاستكشافات التاريخية الاخيرة فان الافريقيين لا يستطيعون أن ينظروا للخلف الى أسلافهم على مثال ما يفعل العرب أو الهنود أو الصينيون ، ولكن هذا التحول بعيدا عن التاريخ قد يسبب للافريقيين قلقا من ناحية النقص فى التقاليد المستقرة المتوازنة، الا أنه يمكن أيضا — كما هو الحال فى المانيا الحديثة أو استراليا — أن يعطى فى المستقبل حرية ومرونة تفتقر اليها الدول القديمة ، ومن ثم فقد اتجه الزعماء الافريقيون الى حديث مبهم عن مجد افريقية القديم دون ان يعوا بالتفاصيل ، وحضارة غانة التى يمكن أن تمتد الى أحد عشر قرنا تبعد فى الواقع الفى ميل عن غانة الحالية ، وفى يونيو سنة ١٩٥٣ قال الدكتور نكروما :

« فى تاريخ مغرق فى القدم قبل أن يكون لبريطانيا أى أهمية ، وقبل أن يتحد أهلوها فى دولة واحدة ، كان أسلافنا امبراطورية عظيمة استمرت فى القرن الحادى عشر الميلادى، وكانت وهى فى أوج مجدها تمتد من تمبكتو الى باماكو ، بل الى المحيط الاطلنطى ، وكان سكان غانة القديمة يرتدون الثياب من القطن والحرير و « القطيفة » ، وكانت لهم تجارة فى الذهب والنحاس والمنسوجات والحلى والاسلحة من الذهب والفضة ، ولهذا فاننا نفخر بأن نطلق على أنفسنا اسم غانة كدافع لنا للمستقبل » .

وعلى أنه كان للزنوج الافريقيين الذين يعيشون فى أمريكا دخل كبير ، ففى سنة ١٩٢٠ خرج زنجى من جمايكا اسمه مرقص أوريليوس جارفى وأوجد فى نيويورك امبراطورية زنجية ، وزعم العمل لاستعادة افريقية للسود وأوجد « الحركة العالمية الزنجية » و « عصبة الجالية الافريقية » وعين نفسه رئيسا لافريقية الزنجية ، وأوجد طبقة من النبلاء ، ووزع الالقاب « دوق النيل » و « ايرل أوف كونغو » و « فيسكونت أوف نيجر » واشترى السفن لنقل زنوج أمريكا الى افريقية ، ثم انهى مشروعه بنكبة مالية وأنهى آخر أيام حياته يخطب بعض الناس فى هايد بارك بلندن .

ولكن حركته تعمقت فى افريقية ، ويقول المؤرخ س.ل. جيمس أن ملك سوازى لاند كان يعرف فقط اسمى رجلين سود البشرة من العالم الغربى هما : جاك جونسون ومرقص جارفى .

على أن الكثير من أسلحة القومية الافريقية نشأت أصلا فى حقول الجناح اليسارى بلندن، ذلك — من ناحية — بسبب أن اللغة المضادة للاستعمار نشأت مع اللغة الماركسية ، وظن خطأ بأنها حركة شيوعية وذلك بسبب أن برنامجها لم يكن يفترق عما يقوله السوفييت، ولكن بالرغم من أن لجنة وطسون لسنة ١٩٤٨ وصفت الدكتور نكروما بأنه يعتنق العقيدة الماركسية على أساس أنه وصف نفسه بأنه اشتراكى ماركسى فانه لم يظهر منذ استقلال غانة أى اهتمام بروسيا وعقيدتها .

وكانت الحرب هى التى تحمل المسئولية الاولى فى قيام الحركات القومية الحديثة فى أفريقية ، ففى سنة ١٩٤٧ كون نكروما « حزب ساحل الذهب المتحد » وعقد « اتحاد كينيا الافريقى » أول اجتماعاته فى نيروبى ، وفى سنة ١٩٤٧ أيضا عقد الدكتور باعليوه أول اجتماع فى غرب نيجيريا ، وقبل خمس سنوات كان الدكتور ازيكوى قد كون حزب « المجلس الوطنى لنيجيريا والكاميرون » فى سنة ١٩٤٨ تكون « الحزب الافريقى لشمال روديسيا » وتولى رياسته جودوين ليوانيكا أحد أحفاد الملك ليوانيكا .

وفى الوقت نفسه قامت الكتلة الضخمة الهائلة من سود أفريقية الغربية الذين قاتلوا مع فرنسا الحرة بعد استسلام فرنسا للالمان، وقد شجعتهم الشيوعية وتقاليد المقاومة أثناء

الحرب ، وفى سنة ١٩٤٦ عقد مؤتمر افريقية السوداء فى باماكو على نهر النيجر ، وكان هو منبع كل التطورات التى لحقت بافريقية الفرنسية ، وهناك أوجد فيلكس هوبهوديه بوينى ، أوجد «الكتلة الديمقراطية الافريقية» التى كانت فى ذلك الوقت أكبر حركة جماعية فى أفريقية ، وفى ستتين جمع فيلكس ٧٠٠٠٠٠ عضو ولكن تحالفه مع الحزب الشيوعى الفرنسى عرضه للكثير من المتاعب حتى انفصل عنه سنة ١٩٥٠ .

على أنه مع تعدد جذور القومية فان المتاعب الاقتصادية هى التى عجلت من الحركات الشعبية ، فمتاعب الكاكاو فى غانة ، والقطن فى أوغندة ، والنحاس فى الكونغو قد أثارت عدم رضاء الجماهير بحالهم .

وكلما قامت حركة قومية فى أفريقية علا صوت الاوروبيين بأنها حركة شيوعية ، ولكن بالرغم من زيارة زعماء أفريقيا الحديثة لموسكو فلا يوجد أقل دليل على ارتباط بالشيوعية ، بل يرى الاخصائيون الروس أن المجتمعات الافريقية لم تصل بعد الى التنظيمات الاجتماعية التى يمكن أن توجد ثورة شيوعيه ، بل ان الافريقيين فى الواقع يثيرون ثورات برجوازية والزعماء القلائل الذين زاروا البلاد خلف الستار الحديدى قد تأثروا ببكين أكثر مما تأثروا بموسكو .

يقول السير اندو كوهين فى كتابه « السياسة البريطانية فى أفريقية المتغيرة » « ان الحركات الافريقية لا تحتاج أقل تشجيع من موسكو أو من القاهرة ، ونحن نرتكب خطأ فاحشا عند ما نخلط القومية بالشيوعية ذلك لان تعاوننا مع القومية فى أفريقية هو الدعامة التى يمكن أن يستند اليها قتالنا ضد الشيوعية هناك » .

* * *

٦ ـ البشرة السوداء :

وفى ابريل سنة ١٩٥٨ قال الدكتور نيكروما أثناء انعقاد مؤتمر اكرا « ومن الآن لا يمكن لفرد أن ينظر الى أفريقية نظرة امتهان » ، وفى نفس المؤتمر أطلق كوامى نكروما حكمته الجديدة الشهيرة التى جاءت باصطلاح (الشخصية الافريقية) : (فى القرن الماضى استكشف الاوروبيون أفريقية وفى القرن المقبل سيكتشف الافريقيون أفريقية) .

فأى مكان سيكتشفون ..؟

هنا يحاول المؤلف فى ص ٦٣ من كتابه أن يقول بأن الضغط نحو « الافريقية » منفصل السمات متباين الاتجاهات فى كل ميدان وليس فقط فى ميدان السياسة ، بل فى الرياضة واتحادات العمال والكتابة والفن وقبل كل شىء فى الدين ، وكل فكرة تجىء من الغرب يجب أن تقاسى تغيرا بحريا قبل أن تقبل أى قبل أن يتقبلها فرد ، ففى أفريقية يشعر الافريقيون فى الغالب بأن القيم الاوروبية لا تجىء الا وهى مصحوبة بشىء ومن ثم فانهم يتجهون نحو الاسلام الذى لا يعرف حاجز اللون ثم لا صلة تربطه بأوروبا ، ولم تعد العقيدة المسيحية هى المفتاح للمعرفة والتحصير فى مدارس وكليات أفريقية الحديثة المستقلة .

على أنه وراء سر وغموض « الشخصية الافريقية » يكمن كل كبرياء أفريقية ، الكبرياء نتيجة الاعتقاد بأن الافريقيين سيقودون العالم لا بالقوة العسكرية بل بقوة الاخلاق ، وأنهم سيأخذون من كل قارة أحسن وأفضل ما فيها ، ويوجدون من هذا كله حضارة جديدة أقوى من أى حضارة فى أى قارة أخرى .

ولكن شبح أو خيال أفريقية لا زال باهتا مهتزا غير مؤكد فهو يتواجد وسط تغييرات عنيفة تمنع أى شخصية اخرى من ان تبرز الى السطح ، وقد قلبت المدن الصناعية فى الجنوب الاستقرار الاجتماعى واوجدت طابعا أفريقيا جديدا ، وفى مكان الزعماء والمستشارين من كبار السن ورؤساء القبائل جاء عمال

المصانع السود ، جاء أناس من المجتمع الذى يشعر أفراده ــ وكلهم من الطبقة البرجوازية الوسطى ــ بذاتيتهم .

أغلب الافريقيين الذين يتحدثون الانجليزية لا تجتذبهم فكرة الشخصية الافريقية (! !) بقدر اهتمامهم بالحصـــول على الدرجات العلمية الغربية والوصول الى اسرار المهارة الصناعية لهم ، ويفوق اهتمامهم بهذا الاهتمامهم بسواد البشرة ، أى انهم يحاولون الفكاك من الجذور التى تربطهم بالارض .

وهم فى هذا ، يخالفون المثقفين الافريقيين الذين يرتبطون بالثقافـــة الفرنسية والذين يصرون على أن يكونوا « ســـودا » ، وكان هؤلاء هم الذين أوجدوا ابهام « الشخصية الافريقيـــــة » ، وعلى حـــين كان الافريقيون الذين عاشوا فى حكم بريطانيـــا يعنون بالاستقلال الســـياسى وحده ، كان الافريقيون الذين عاشوا فى حكم فرنســـا يعنون بالاستقلال السياسى وبالاستقلال الثقافى معا ، وفى مقابل مؤتمر أكرا لســـنة ١٩٥٨ الذى ساده الافريقيـــون الذين يتكلمون الانجليزية ، كان مؤتمر الفنانين والـــكتاب السود الذى عقد بباريس سنة ١٩٥٧ ، وأعد له الافريقيون الذين يتـكلمون الفرنسية ، وبعض زنوج أمريكا وحضره عدد قليل من الافريقيين الذين يتكلمون الانجليزية .

* * *

وكما أوجد اصطلاح « الافريقية » زنجى من المارتنيك عاش فى لندن ، فان الذى أوجد اصطلاح « السمو بالزنجيـــة » زنجى من المارتنيك عاش فى باريس اسمه ايمى سيزار ويعتبر اليوم واحدا من أعلام الشـــعراء الفرنسيين .

وكان سبب هذا أن الرجل أثناء ركوبه القطار فى سنة ١٩٣٩ أحس بصدمة لرؤيته بحارا زنجيا يعود الى بلاده ، وأحس (ايمى) بأنه قد فعل ما كان يفعله أى رجل فرنسى فى مكانه ، ومن ثم كتب قصـــيدة طويلة عن المارتنيك كانت هى «قانون السمو بالزنجية» وأدرك بعض الكتاب السود ما أدركه سيزار من أنهم يجب أن يكونوا أفريقيـــين لا ان يكونوا فرنسيين ســـود البشرة ، وانتشرت عاطفة الزنجية من جزر الهند الغربية فى كل غرب أفريقية كحقيقـــة أكثر من أن تكون عقيدة .

وكان أبرز الكتاب الافريقيـــين ليبولد سيزار سنغور والذى هو الان وهو فى الثانية والخمسين من عمره أحد السياسيين الثلاثة الذين يتزعمون غرب أفريقية (الفرنسى) كان كصديقه ايمى سيزار قد تعلم فى باريس وقضى اثنى عشر عاما فى الجمعية الوطنيـــة وعاون فى تكوين الجمهوريتـــين الرابعـــة والخامسة ، ومن ثم فانه وجه هو الاخـــر وجهه بدوره نحو أفريقية وبدأ مع أصدقائه السود يكتبون الجريدة الفتية التى تصدر ببـــاريس ، جريدة « الوجود الافريقى » التى ناقشوا فيها دون نهاية : « مكان أفريقية فى دنيا المستقبل » .

ومع ازدياد ثقة الافريقيين بأنفسهم ، ومع بناء ماضى افريقية من واقع حقيقة كيانها فان الثغرة بين أفريقية المثالية فى تصوير الشعراء وبين أفريقية الواقعية كما يراها السياسيون ، الثغرة بين الطريق الضيق المتعرج الســـير وسط الغابة المتشابكة الاشجار وبين زجاجة الكوكا كولا فى المدن الساحلية ، وهذه الثغرة تبدأ أن تضيق .

ان « الشخصية الافريقية » فى أوســـع معانيها تعبير عن روح سوداء بغير حدود ، وقد قال كوامى نكروما فى مؤتمر اكرا فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ « وأقول أنه عنـــد ما تتحرر افريقية وتستقل فاننا سنحقق روحا بشرية مزدهرة لا مثيل لها ، واعتقـــد ان بعضنا فى حاجة لان نذكره بأن أفريقية قارة لها ذاتيتها ، وأنها ليست امتدادا لاوروبا أو لاى قارة أخرى ولهذا فاننا نريد التطور من مجتمعنا ومن الشخصية الافريقية » .

٧ ــ كل أفريقية :

وأول ما ترقبه فى أفريقية برغم سعة مساحتها وانبساط كتلتها الارضية .. نها ضيقة قليلة المحتويات لا توجد أى روابط بين أركانها ، والحقيقة التى اكتشفها جون جانتر صاحب كتاب : « فى داخل افريقية » أنه لكى يتصل تليفونيا بغانة من جنوب أفريقية فان هذا الاتصال يتم عن طريق لندن .

والمقابلات بين سكان جنوب أفريقية وبين سكان غانة ، أو بين سكان غينيا وبين سكان كينيا أو روديسيا أيسر أن يتم فى لندن عن أن يتم فى افريقية .

والسفينة التى تبحر من مدينة الكاب الى تاكوردى فى غانة والتى تحمل نسخ الصحف تسير مرة كل عشرة أسابيع وتقطع المسافة فى ١٤ يوما ، ولا توجد أى خطوط حديدية ولا طرق برية بين الشرق والغرب غير الطرقات الضيقة التى تعبر أرض الكونغو .

وكان الخلاف السيكولوجى كبيرا فالغانيون يعتبرون جوهانسبرج وكأنها مدينة من مدن الاشانتى ، لا يصدقون وجود أطباء أو ممرضات من أهل افريقية ، وكان سكان جوهانسبرج يظنون الغانيين أثرياء كالامريكيين ، وانهم يعيشون فى رخاء ولا يصدقون صور الاحياء الفقيرة فى لاغوس التى تشبه الاحياء الفقيرة فى جوهانسبرج تماما .

وليس من السهل أن تعد الصحف والدوريات الافريقية المقالات والبحوث والصور التى ترضى كل فرد فى جنوب وشرق وغرب القارة ولهذا كانت الصحف تطبع عدة طبعات وتختلف بعض صفحاتها بين طبعة وأخرى لتدرس فى كل طبعة الانباء المالية الخاصة بمنطقة ما ليمكن ارضاء كل منطقة .

وكانت أهم حوادث ثلاثة وقعت بأفريقية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية هى :

*** الماو ماو ..**

*** استقلال غانة ..**

*** مؤتمر كل أفريقية فى غانة سنة ١٩٥٨**

وكان نشر صورة كوامى نكروما أو نشر كلمة « ماو ماو » على الغلاف تكفى لبيع أعداد جريدة « درم » الطبل فى جنوب وشرق وغرب القارة ، وكانت كلمة « غانة » هى صيحة حركة مقاطعة سيارات النقل فى جوهانسبرج سنة ١٩٥٧ .

* * *

وقد يكون من الضرورى أن نذكر هنا أن كلمة « الافريقية » هى الاخرى بدورها من اختراع محام زنجى من جزر الهند الغربية عاش فى لندن اسمه هنرى سيلفستر ويليامز ، وقد أوجدها عند ما قابل زعماء وسياسيو افريقية الثلاثون الملكة فيكتوريا عند زيارتهم للندن سنة ١٩٠٠ ، وقد حصلوا يوم ذاك على وعد من الملكة فيكتوريا ــ بعد الاحتجاج على اعتداء الاستعمار البريطانى ــ بألا تغفل حكومتها عن رفاهية ومصالح الشعوب الوطنية ، ولكن الحركة ماتت بعد سنوات قليلة عند ما عاد سيلفستر ويليامز الى جزر الهند الغربية .

وكان والد « الافريقية » زنجيا مثقفا ذا لحية اسمه الدكتور ويليام دوبوا ، الذى عاش حتى رأى بداية استقلال افريقية ، وكان دوبوا قد كون سنة ١٩٠٩ الجمعية الوطنية لتقدم الشعوب الملونة ، وقد عقد (دوبوا) خمسة مؤتمرات لكل افريقية من مؤتمر باريس سنة ١٩١٩ الى مؤتمر منشستر سنة ١٩٤٥ ، وكان سكرتير مؤتمر سنة ١٩٤٥ هو (جومو كنياتا) وكان السكرتيران المساعدان هما كوامى نكروما وجورج باديمور

وفى سنة ١٩٤٩ عقد بنيودلهى مؤتمر الدول الاسيوية الافريقية ، وفى العام التالى تكونت فى صورة ما الكتلة الاسيوية الافريقية داخل نطاق الامم المتحدة ، وفى سنة ١٩٥٥ عقد مؤتمر باندونج فى أندونيسيا وحضره مندوبو ٢٥ دولة أسيوية ــ افريقية ، وبدأ التفكير فى تكوين كتلة ثالثة تعمل للسلام بين الكتلتين المتضادتين .

وفى يناير سنة ١٩٥٨ عقد بالقاهرة مؤتمر التضامن الاسيوى ــ الافريقى ، وتقرر تكوين هيئة دائمة بالقاهرة بها سكرتيريون عشرة من الدول الاسيوية الافريقيـــة المستقلة ، وفى ديـــسمبر سنة ١٩٥٨ عقد مؤتمر أكرا الذى حضره ممثلو ٦٢ منظمة تمثل الحركات القومية فى كل القارة سواء أكانت فى بلاد مستقلة أو غير مستقلة .

كان هذا هو المؤتمر السادس أو السابع منذ مؤتمر كل أفريقية سنة ١٩١٩ ، ولكنه يعتبر أهم حادث فى افريقية بعد ٧٢ ســنة من مؤتمر برلين الذى اعترف فيه الاوروبيون بقانونية التنازع على افريقية .

صحيح أنه كان هنــاك خلط عجيب بين الذين يتكلمون الفرنسية والذين يتــكلمون الانجليزية ، وكانت أغلب الخطب تــكرارا لحملات قديمة على الاستعمار ، ولكن المؤتمر كان رمزا عاما للافريقيين فى كل مكان ، كان دليلا على أن الافريقيين قد التقطوا قوة ، وبدأوا يقومون بدبلوماسية وبتقرير قرارات كانت فيما سبق متروكة للاوروبيين وحدهم.

وقد انتهى المؤتمر بتوصيات مليئـــــة بالجرأة بما فيها الوعد بمقاطعة بضائع جنوب افريقية واعداد صندوق لتمويل ومساعدة الحركات القوميـــــة التحررية ، وبتكوين سكرتيرية دائمة لكل افريقية فى اكرا لتنسيق العمل فى كل البلاد الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال .

* * *

وهكذا جاء اسم « كل افريقيـــة » الى الوجود ، وسرعان ما برزت النتائج المبـــاشرة لمؤتمر أكرا ، فان الصحافة الاوروبية التى تجاهلت المؤتمر لم تلبث أن وجهت اليه كل اللوم لسلسلة من الحوادث التى تبعته فى الكونغو وكينيا ونياسالاند وروديسيا ، ولم تعــــد كلمة « أكرا » فكاهة أو « نكتة » يتبادلها البيض بل باتت « جسدا له خوار » مثل موسكو ان لم تكن جزءا من موسكو ، ولكن على حين كان الاوربيـــــون يرون يد الروسيا فى (أكرا) كان المراقب الروسى فى المؤتمر الرفيق بوتكين يرى يد امريكا الثقيلة هناك .

على أنه لا يوجد دليل يربط بين مؤتمر أكرا وبين ما حدث من اضطرابات فى الكونغو وكينيا ونياسالاند ، ولكن المؤتمر ولا شك قد زاد من سرعـــة خطى عدم الرضى بين الافريقيين ، وكان اجتماع ديسمبر هو الذى وحد من الزمن بين الحركات الافريقية ، وجمع بين الزعماء الافريقيين الذين يقفون وراء هذه الحركات .

وكان مؤتمر أكرا فى الوقت نفسه نوعا من الرياسة الافريقية ، وبالرغم من أنهـــا رياسة موقوتة الا أن المؤتمر كان صوت افريقية لتشجيع الاعتدائيين ضد المعتدلين .

* * *

وهكذا يصل أنتونى سمبسون الى ختام القسم الاول من كتابه وهو القسم الاهم فى تقديرى لانه فى القسم الثانى يعرض لبعض بلاد غرب وشرق افريقية فى حديث تفصيلى قد نعود اليه فى حديث قادم ان شاء الله .

((محمد عبد الفتاح ابراهيم))

افريقيا في شهر

● انعقد مؤتمر القمة الافريقى بـ « أديس أبابا » وقد حضره رؤساء ثلاثين دولة افريقية ووافقوا بالاجماع على ميثاق « منظمة الوحدة الافريقية » الذى تضمن أن تتكون المنظمة من مجلس رؤساء الدول والحكومات ، وأن يكون هذا المجلس هو الهيئة العليا للمنظمة ويجتمع مرة كل عام ، وأن تضم المنظمة مجلس وزراء يجتمع مرتين كل عام .. وانشاء سكرتيرية دائمة للمنظمة .. وانشاء خمس لجان هى .. التعاون الاقتصادى والاجتماعى ، التعليم والشئون الثقافية ، الصحة والتغذية ، الدفاع ، الابحاث العلمية والفنية ..

● قرر مؤتمر القمة : أن يكون يوم ٢٥ مايو من كل عام عيدا قوميا لجميع البلدان الافريقية يحتفل فيه بيوم افريقيا بمناسبة التوقيع على الميثاق الافريقى .

● اجتمع الرئيسان بن بيللا وبورقيبة بـ « أديس أبابا » وقد أذيع عقب الاجتماع أن العلاقات بين الجزائر وتونس ستعود الى حالتها الطبيعية وأن البلدين سيتبادلان المبعوثين الدبلوماسيين .

كينيا

● عقدت معاهدة دفاع بين كل من تنجانيقا وكينيا وأوغندا على اعتبار أن أى اعتداء على أحداها يعتبر اعتداء عليها جميعا .

● فاز حزب « كانو » فى الانتخابات وألف زعيمه جوموكنياتا الوزارة ، وقد صرح بأنه سيعمل على اقامة مجتمع اشتراكى فيه فرص متكافئة أمام جميع المواطنين الذين ستحترم مواهبهم وممتلكاتهم كما ستحترم حقوق الاقليات ، كما صرح بأن كينيا ستبقى — الآن — داخل نطاق الكومنولث .

● سكان كينيا سبعة ملايين من الافريقيين و ٦٠ ألفا من البيض و ٢٠ ألفا من الاسيويين .

الصومال

● قامت أحداث فى الصومال استخدمت فيها الطلقات النارية مما حدا بالمسئولين الى اعلان حالة الطوارىء فى مدينة «هرجيسا» واحتلال مطارها .

● استقبل الدكتور حاتم وزير الثقافة والارشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة السيد/على محمد هرانى ، وزير الاستعلامات الصومالى على رأس وفد صومالى وتم بينهما الاتفاق على تدعيم التعاون الاعلامى بين البلدين .

تنجانيقا

● أذيع فى دار السلام أن الحكومة البريطانية قررت منح الحكم الذاتى لحمية زنجبار ابتداء من ١٧ يونية على أن تجرى انتخابات عامة يوم ٢ يولية .

● صرح أوسكار كمبونا وزير الداخلية بأنه تقرر انشاء جامعة افريقية آسيوية فى « أروشا » عاصمة شمال تنجانيقا .

جنوب افريقيا

● أذاعت الكنيسة الهولندية تقريرا عن حالة الافريقيين قالت فيه .. ان آلاف الافريقيين يعانون من المجاعة وأن عددا كبيرا منهم لا يأكلون سوى ثلاث مرات فى الاسبوع ويعانى الكثيرون من أمراض سوء التغذية .

● وافق البرلمان ، المؤلف من البيض فقط ، على قانون يقضى بمنح الحكم الذاتى لمنطقة « ترانسكاى » مع احتفاظ الحكومة بسلطة ادارة شئون الدفاع الخارجية والامن الداخلى.. وهو اصطلاح جديد للحكم الذاتى .. من صنع فيرفورد !!

الكونغـــو

- سقطت « ديلولو » آخر معقل للمرتزقة فى كاتنجا فى أيدى قوات الامم المتحدة .
- وافق مجلس النواب على اعادة الحصانة البرلمانية الى أنطوان جيزنجا نائب رئيس الوزراء السابق المعتقل بأمر ادولا منذ أكثر من سنة ونصف سنة ويستطيع البرلمان أن يرغم أدولا ، الذى أحرج بقراره ، على أن يطلق سراح جيزنجا .

نيجـــيريا

- انتقـل الى نيجـيريا — فى حراسة البوليس — الزعيم النيجيرى انتونى ايناهورو حيث يحاكم بتهمة الخيانة نتيجة لتدبيره مؤامرة ضد حكومة نيجيريا الفيدرالية .

أنجـــولا

- صرح ماريو دى اندرادى ممثل حـركة التحرير بأنه يطلب من الدول الافريقية المستقلة قطع علاقاتها مع البرتغال .
- أعلن الرئيس بن بيللا أن هناك ١٠٫٠٠٠ من المتطوعين الجـزائريين المدربين ذوى الخبرة ينتظرون فى الجـزائر الفرصة للقتال من أجل تحرير شعب أنجولا .

روديسيا الجنوبية

- قال روى ويلنسكى : ان روديسيا الجنوبية يجب أن تحصل على استقلالها قريبا حتى ولو كان معنى ذلك انفصالها عن الكومنولث .
- صرح ميلتو أوبوتى رئيس حكومة أوغندا بأنه يتعين على بريطانيا أن ترسل قوات بطريق الجو الى روديسيا الجنوبية حتى توقف الدستور المفروض بالقوة ، وأكد عزمه على قطع العلاقات مع بريطانيا ما لم تحصل على دستور جديد لروديسيا الجنوبية .

الســنغال

- ألغيت المنح الدراسية لابناء السنغال بالمغرب مما حدا بالطلبة الى اقتحام السفارة ومحاولة حجز السفير كرهينة ، ثم قـذفوا رجال البوليس الذى ألقى عليهم القنابل المسيلة للدموع وتمكن من طردهم من دار السفارة بالرباط .

الجزائر

- قال الرئيس بن بيللا : أن حكومتى ستعمل على خلق جزائر جديدة ، اشتراكية لايخضع فرد منها لفرد آخر ، تقضى على كل ضعف ، تحارب الفقر وسوء المعيشة .. اننا ندعو الى تحرير المرأة وترك التقاليد البالية .
- استقبلت الجزائر الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة استقبالا رسميا وشعبيا رائعا حتى لقد اجمع المراقبون السياسيون على أن المستقبلين كانوا أكثر من مليون ونصف المليون من جميع الولايات الجزائرية .
- صرح وزير الدولة الفرنسى للشئون الجزائرية بأن القوات الفرنسية المرابطة فى الجزائر بدأت تعود الى فرنسا .
- قام عدد كبير من الوزراء بجـولات فى مختلف أنحاء البلاد لشرح حملة التضامن الوطنى والسياسة الاشتراكية للحكومة .
- زار الرئيس بن بيللا القاهرة وهو فى طريقه الى مؤتمر القمة وبعد عودته منه وقد استقبل وودع بحفاوة رسمية وشعبية منقطعة النظير ، وأكد الرئيسان جمال عبد الناصر وبن بيللا العـزم على مواصلة الكفاح لتحرير فلسطين ، كما تبادلا الرأى حول القضايا الافريقية الهامة معربين عن ارتياحهما الكامل للنتائج التى حققها مؤتمر القمة بأديس أبابا .



وصلت للمجلة رسائل متعددة وأغلبها يطلب الاشتراك فى المجلة ويطلب توضيح الطريقة التى يمكن بها الاشتراك فى المجلة .

والمجلة تذكر للسادة القراء ان قيمة الاشتراك فى المجلة سنويا هى ثلاثون قرشا ، ترسل بشيك الى ادارة التوزيع بأخبار اليوم .

*

وصلت رسالة من السيد ابراهيم السيد جاء فيها :

((ان مجلة نهضة افريقية ، قد سدت عجزا فى الثقافة المواطن ؟ وانها بتقبلها لكل الآراء ، واتساع صدرها الى كافة وجهات النظر بفهم وعمق ، تعتبر من أولى المجلات التى تخدم قضايا القارة الافريقية فى العالم .

*

ووصلت رسالة من جبهة التحرير الاريترية تتضمن الرسالة التى بعثت بها الى سكرتيرية مؤتمر القمة الافريقى ، وقد جاء فيها ((باسم الشعب الاريترى نبعث تحياتنا القلبية الى مؤتمركم ، وباسم السلام والوحدة الافريقية نرجوكم بحرارة أن تدرجوا القضية الاريترية فى جدول أعمالكم))

*

ووصلت رسائل تطلب القاء أكثر من ضوء على مؤتمر القمة الذى عقد باديس أبابا ، وتطلب تقديم دراسات وافية عن هذا المؤتمر ، وما دار فيه ، والنتائج التى انتهى اليها .

والمجلة يسعدها أن تذكر أنها تعمل دائما على القاء الضوء على القضايا التى تدور فى القارة ، بملاحقة واعية ذكية ، وفى هذا العدد عدة مقالات عن هذا المؤتمر فى مقدمتها مقال السيد الاستاذ رئيس التحرير ، ومقال بعنوان ((ماذا دار فى أديس أبابا)) وعدد آخر من المقالات .

*

والى السادة الذين يسألون عن وجود مجاميع من المجلة من العدد الاول الى العدد الاخير :

((يسعدنا أن نخبرهم أن المجلة قد أعدت عددا من هذه المجموعات ، وتوجد حاليا بالمكتبة القومية ٥ ميدان عرابى وانها ستعمل دائما على تزويدها بهذه المجاميع حتى تكون فى خدمة القراء .))

فهرس مجلة نهضة افريقية

للمقالات والكتاب



« حسناء من الطوارق »

ISSUE 67 SIXTH YEAR JUNE 1963 PRICE 3 P.T.

RENAISSANCE OF Africa



العدد ٦٨ من السنة السادسة ١٩٦٣ يوليو الثمن ٣ قروش

نهضة إفريقية



من هم قادة النضال المقبل ..



« الوفد الكينى فى زيارة الرئيس جمال عبد الناصر »

نهضـــة افريقيـة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٢٧ شـارع عبـد الخالق ثروت
تليـفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربيـة المتحـدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : **دار اخبـار اليوم للتوزيع**
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رايها .

نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى ..

اذا تلفتنا فى العيد الحادى عشر للثورة .. الى ماجد على افريقية بعد قيامها ، وجدنا أن هذه الثورة لم تكن ملكا لمصر فقط ، وانما كانت ملكا لكل افريقية .

ففى هذه الفترة ظهرت للعالم ((افريقية جديدة)) غير افريقية التى عرفت فترة كبيرة من الزمن كمزرعة، وكمصدر للمواد الخام ، ومهجرا تنتزع منه أبناؤه الى الضياع ، ويستقبل الغرباء بالثروة ، والاستقرار .

ولكن كل هذا قد تغير ، وظهر للعالم ((الانسان الجديد)) الذى يعيش فى مناخ الحرية،ويحل قضاياه بالعنف ، ويغير الحياة من حوله ، ويحرك كل شىء الى حد التوتر ، ليلحق بركب التقدم ، وليسهم هو الآخر فى الدفع الحضارى ، وفى تنصيب الانسان بحق على عرش الحياة .

ونظرة واحدة الى ثورة ٢٣ يوليو ترينا انها وقفت الى جانب كافة قضايا الحرية فى افريقية فى الداخل والخارج، الى حد قطع العلاقات مع الدول التى تمتهن كرامة الانسان .. كما رأيناها تحتضن الثوار ، وتعقد الاتفاقيات ، وتشارك فى المؤتمرات. بنفس الحماس الذى تعالج به قضاياها الخاصة .

من هذا نرى أن ثورة ٢٣ يوليو كانت حدودها الثورية أكثر من حدودها السياسية ، وانها أعطت القارة الكثير .

عبده بدوى

فهرس العدد ٦٨

من هم قادة النضال المقبل

بقلم : محمد عبد العزيز اسحق

تتجمع الآن في الأفق الافريقي طلائع ((الموجة الوطنية)) الجديدة التي تهدف الي تحرير أنجولا وموزمبيق وروديسيا الجنوبية ، وباسوتولاند وأخواتها .

وكانت الموجة السابقة التي أدت الى تحرير الكونغو على يدى القائد البطل باتريس لومومبا تحمل في طياتها براعم الموجة الحالية . ذلك أن لومومبا ما كاد يؤلف حكومته الوطنية ويستولي على مقاليد الحكم في ليوبولدفيل حتى توافد اليه القادة الوطنيون من انجولا وعلى رأسهم ((روبرتو هولدن)) ولم يتردد لومومبا في أن يضع بين أيديهم كل امكانياته وامكانيات ((الحركة الوطنية الكونجولية)) .

وعندما وصلنا الي ((ليوبولدفيل)) بعد اعلان استقلال الكونغو بأيام قليلة وجدنا ((هولدن)) يذيع بيانات الثورة على البرتغال من محطة اذاعة ((ليوبولدفيل)) ، ووجدناه يملأ صفحات جريدة ((التحرير)) وهي اللسان الناطق لحزب لومومبا ، بالمقالات التي تحض الانجوليين على الثورة وبأخبار المجاهدين الانجوليين .

وأزال لومومبا الحواجز بين بلاده وبين أنجولا .فأصبح للمجاهدين الانجوليين ميزة حرية الحركة ، والقدرة على المناورة والكر والفر واتخذوا من أراضى الكونغو قاعدة للتدريب والتسلح والراحة لاسترداد القدرة على معاودة النضال .

وبفضل مؤازرة ((لومومبا)) تمكن ((هولدن)) من ابعاد بعض أعوانه الى الامم المتحدة للدعاية لقضية بلادهم بين وفود المنظمة الدولية ، ومن ارسال زميله ((سافمبى)) ليمثل الحركة الوطنية الانجولية فى أوربا .. وقد عرف قراؤنا ((سافمبى)) عندما زار القاهرة فى صيف عام ١٩٦١ وكتب لهذه المجلة مقالا عنوانه ((كفاح أنجولا)) .

ولكن الريح لم تواصل دفعها لسفينة ((هولدن)) فقد تكاثر أعداء ((لومومبا)) عليه وأزاحوه من مركز القيادة ، وأسقط في يد المناضل الانجولى ، ورأى الكونغو وهو يتخبط بين يدى مغتصبيه ولكنه لم يفقد توازنه فى دوامة الاحداث ..

لقد اعتمد ((هولدن)) على صلة القرابة التى تربط قبائل الشمال والشرق فى أنجولا بأبناء عمومتهم الكونغوليين على الجانب الآخر من الحدود المصطنعة التى رسمها ذئاب أوربا فى مؤتمر برلين عام ١٨٨٥ ، ومارس الضغط الادبى على الحكام الجدد فى ليوبولدفيل لكى يبقى مقر حركته هناك ، ولكى يحصل كذلك على بعض المعونات ولكن ((قوة الدفع)) الاولى كانت قد فقدت الكثير من حرارتها وحيويتها ..

ولقد تبنت المجموعة الافريقية ، والكتلة الآفرو ــ آسيوية ، قضية انجولا فى الامم

المتحدة واستطاعت هذه القضية أن تجد منبرا تصيح منه فى آذان العالم فى كل دورة من دورات الجمعية العامة ، ولكن كفاح أنجولا كان ينتظر العون المادى الفعال الذى يحسم الامر فى ميدان القتال ..

والآن تبدو تباشير هذا العون فى الافق بعد قرارات أديس أبابا ، ويقدم « هولدن » على تأليف حكومة مؤقتة تستطيع توجيه ذلك العون الى الطريق الصحيح المؤدى الى تحرير أنجولا ...

أن ((هولدن)) ورفاقه لايحتكرون الكفاح من أجل انجولا ، فهناك هيئات وقادة وطنيون آخرون ، أبرزهم ((ماريو اندرادى)) الذى اتخذ مقر نشاطه فى ((كوناكرى))عاصمة غينيا، والذى أسهم بنصيب موفور فى ابراز قضية بلاده للعالم الخارجى ، ولكن الأضواء قد تركزت أكثر على ((هولدن)) لانه ، هو وجماعته الذين يحملون العبء الاكبر من الكفاح المسلح فى أنجولا ، وقد شهدناه لأول مرة فى مؤتمر اكرا للشعوب الافريقية فى ديسمبر من عام ١٩٥٨ ،وهو شاب فى الثلاثينيات من عمره ، نحيل ، تفصح عيناه عن ذكاء خفى ، خفيض الصوت ، يتحدث البرتغالية ويتقن التعبير بالفرنسية ، بسيط المظهر ، متواضع فى اتزان هادىء الملامح قليل الكلام ...

وفى خلال الفرص الكثيرة التى رأيناه بعدها فى تونس والقاهرة وليوبولدفيل وأديس أبابا - عند انعقاد مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الذى حضره كمراقب فى عام ١٩٦٠ - لم تتغير الصورة التى رسخت فى النفس عن « روبرتو هولدن » الوطنى الذى وهب حياته لانقاذ أنجولا . ..

والى الجنوب الشرقى من أنجولا ، عبر الكونغو .. تتجه الابصار الى روديسيا الجنوبية ..

لقد كان مصير هذا الاقليم الكبير - الذى تبلغ مساحته ثلاثة أضعاف مساحة فرنسا - مرتبطا بمصير شقيقتيه المجاورتين « روديسيا الشمالية » و « نياسالاند » .

وكانت المصالح المالية الاستعمارية قد ربطت بين هذه الاقاليم الثلاثة فى « اتحاد » سياسى اتخذ له شعارا مزيفا هو شعار « المشاركة » ..

وكان المقصود بهذا الشعار هو نفى تهمة « التفرقة » بين السود والبيض على النحو الكريه الحادث لدى جيران « الاتحاد » فى جنوب افريقية ..

ولكن الزيف لم يلبث أن انكشف عند تطبيق دستور « المشاركة » فقد تبين أنها كمشاركة الحصان والفارس أحدهما يركب الآخر ، ولم يلبث الوطنيون الافريقيون أن أدانوا ذلك « الاتحاد » المشبوه منذ ولادته ، وشهدنا نحن ، لاول مرة ، قادة شعوب الروديسيات ، فى مؤتمر اكرا الاول للشعوب الافريقية .

جاء

((كينيث كاوندا))و((جوشوانكومو))

وفضحا ، أمام أعضاء المؤتمر ، وأمام المراقبين من العالم أجمع ، أساليب المستوطنين الاوربيين فى استغلال « حزام النحاس » فى روديسيا الشمالية و « الاراضى العالية البيضاء » فى روديسيا الجنوبية وكيف يمارس الحكام من المستوطنين ، قواعد التفرقة العنصرية بالفعل ، وان لم يدرجوها فى قوانين البلاد ..

وعندما مررنا بـ « سالسبورى » عاصمة الاتحاد فى شتاء عام ١٩٦٠ ، فى طريقنا الى جنوب افريقيا تحققنا - بالمشاهدة - من مظاهر التفرقة العنصرية باجلى معانيها ..

فقد راينا التفرقة الصارمة فى الاحياء السكنية وفى وسائل المواصلات وفى المطاعم الكبرى ، وفى دور العبادة .. وكل ما فعله السادة الحكام - ذرا للرماد فى عيون الاجانب هو انهم انشأوا فى العاصمة ، فندقا واحدا ، يسمح بقبول النزلاء من السود والبيض ..

ذهبنا لزيارة « جوشو انكومو » وجدناه يسكن كوخا فى ضاحية مقصورة على سكنى السود ، تبعد عن المدينة « البيضاء » بحوالى عشرين كيلو مترا ، ويفصلها عن تلك المدينة ستار حاجز ، على هيئة « منطقة صناعية » .

ولقد كان من مواتاة الحظ ان روديسيا الجنوبية هى التى ابتليت بوباء «الاستيطان» الاوربى فقد استقر فى اراضيها الخصبة العالية المعتدلة الهواء اكثر من مائتى الف مهاجر اوربى متعصب شرس متعجرف ضيق الافق ..

اما روديسيا الشمالية فقد كان من المستطاع التقاء المصالح المالية الاجنبية مع القادة الوطنيين فى منتصف الطريق ، ولو الى حين ، وكذلك كان الامر فى نياسالاند حيث استطاع « الدكتور باندا » ان يزحزح السلطة من ايدى بضعة الاف من البيض ، اكثرهم من الموظفين ..

وهكذا تبلور الامر ، فى الوقت الحاضر على اساس استقلال وشيك لروديسيا الشمالية ونياسالاند ، وصراع مرير تبدو نذره فى الافق فى روديسيا الجنوبية ..

ولقد كتبنا فى هذا المكان من المجلة منذ شهرين مقالا عن الخطة المشتركة التى يعتزم قادة الاقاليم الثلاثة اتخاذها لزحزحة حكومة المستوطنين .. من روديسيا الجنوبية ، ونذكر اليوم لمحات عن هؤلاء القادة المناضلين ..

أولهم — من الشمال — ((كينيث كاوندا)) رجل خجول يزيد عمره ((العقلى)) عن عمره ((الزمنى)) ..

هو أقرب الى الزهد والتصوف فى سلوكه الشخصى ... حدث عندما رأيناه لأول مرة ان لاحظنا انه لا يأكل اللحم ، فسألناه هل هو نباتى ...

فقال : انه صيام مؤقت الى ان تستقل روديسيا . وعلمنا منه ان سر امتناعه عن أكل اللحوم : ان القانون فى بلاده يمنع الافريقيين من دخول دكان الجزار من الباب الأمامى ويجبرهم على شراء اللحم من ((طاقة)) خلفية فى الدكان .. وهكذا نذر ((كاوندا)) ألا يأكل اللحم حتى تعود الى مواطنيه كرامتهم المسلوبة ...

وهذا الزعيم الزاهد ، شعلة من النشاط يجيد المناورة الاحتفاظ بمواقعه وبمبادئه ، ولقد كان من أصعب ماتعرض له أخيرا من المواقف حركة ((مويس تشومبى)) فى العام الماضى للانضمام — كرئيس ((لدولة كاتانجا)) الى المنظمة الافريقية الوطنية المعروفة باسم ((بافميكا)) والتى كان رأسها ((كاوندا)) ...

ولم يرفض « كاوندا .. طلب تشومبى » رفضا صريحا ، وانما أجابه بانه لا يعارض انضمام السيد المنشق على الكونغو ، باعتباره رئيسا لقبيلة « لوندا » وممثلا لحزب الـ « كوناكات » ..

ورفض « تشومبى » وظل يتخبط الى ان لاقى مصيره المعروف ..

ولم يتمرس « كاوندا » بالسياسة الوطنية المحلية فقط ، وانما انغمس فى الميدان الافريقى الواسع وفى المجال الدولى منذ حضوره مؤتمر الشعوب الاول فكان المفاوض الحاذق فى « لندن » والداعية المؤثر فى نيويورك ، والمواطن الزميل فى العواصم الافريقية ، والقائد الحكيم فى «البافميكا» .

والى الشرق من ((روديسيا الشمالية)) ينهمك الآن الدكتور ((هيستنجز باندا)) فى تشييد صرح الدولة الجديدة التى سوف تنبثق من ((نياسالاند)) بالاسم الافريقى الصميم ((زومبا)) ...

وعندما كان ((دكتور باندا)) فى القاهرة منذ بضعة أشهر ذكر لنا انه لم يتزوج حتى الآن (وهو فى الثالثة والخمسين من عمره) ولم يؤسس أسرة ، لأنه يعتبر ((زومبا)) أسرته الكبيرة، وانه ظل فى المنفى الاختيارى، نحو ثلاثين عاما ولم يفقد الامل فى استقلال بلاده ، وانه ظل يتابع الأحداث الى أن دعاه مواطنوه ، منذ أعوام قليلة ، للعودة وقيادتهم فى كفاحهم للحصول على الحرية ...

والدكتور « باندا » انسان مهذب ناضج الفكر والشعور ، قوى العاطفة ، خطيب ملتهب العبارة ، فصيح الاشارة ، شجاع ، مقدام فى غير تهور ولا اندفاع ، يؤمن بالامر الواقع ، ويتصرف فى حدود امكانياته

وامكانيات مواطنيه .

والى الجنوب من بلاد ((باندا)) و((كاوندا)) نرى ((جوشوا نكومو)) على رأس الحركة الوطنية في روديسيا الجنوبية ...

وما زلنا نذكر أول لقاء مع ((جوشوا)) في اكرا حينما عرفنا به فقيد الوطنية الافريقية((جون كاليه))، فرأينا أمامنا شابا ممتلىء الجسم عريض الابتسامة ضاحك العينين ، خجولا ، مهذبا ، مجاملا الى أقصى الحدود ...

وعندما تحسسنا نوايا « نكومو » ازاء مغتصبي الحرية في بلاده وجدناه حينئذ يؤثر المفاهمه ، وقد ظل على اسلوبه ذاك ، الى ان بلغ أقصى الشوط حينما رفض المستوطنون في العام الماضي منح الوطنيين الافريقيين خمسة عشر مقعدا ، من خمسة وستين ، في البرلمان المقترح لروديسيا الجنوبية

ولم يكن هناك بد ـ ازاء تعنت الاقلية البيضاء ، وازاء تطورات الاحداث السريعة في « روديسيا الشمالية » و « نياسالاند » من حدوث تطور أساسي في خطة « انكومو » وحزبه فرأيناه ينذر باستخدام العنف ، ثم يرتدي ملابس المناضلين في قومه « فروة الاسد » ويتأهب للصدام العنيف والكفاح المرير ..

وفي أقصى الجنوب ، بالقرب من راس الرجاء الصالح ، تتجه الانظار الى ((**جزيرة**)) يحيط بها الاعداء من كل جانب ، تلك هي محمية « باسوتولاند »

وعلى رأس ((مؤتمر باسوتولاند الوطني)) نرى الزعيم ((انـدو موخيخلي)) الذى حصل منذ سنوات قليلة ، على شهادة الاستاذية من جامعة لندن في العلوم الطبيعية ، وعرضت عليه تلك الجامعة أن تعينه محاضرا للطبيعة فيها ...

لقد آثر ((موخيخلي)) أن يعود الى باسوتولاند ليقود شعب ((السوتو)) الجبلي الى الحرية والاستقلال ...

وقد رأينا « موخيخلي » مرارا في « أكرا » و « تونس » و « القاهرة » و « اديس ابابا » وهو يعمل دائبا كالنحلة .. يخطب ويناقش ويكتب المذكرات ، ويطبعها ، ويوزعها .. ثم اتيح لنا ان نزوره في عاصمة بلاده ، وهي بلدة صغيرة انيقة اسمها « ماسيرو » ..

وهناك رايناه في مقر قيادته المتواضع المنظم المتماسك .. كان الحزب ـ بقيادة «موخيلخي» قد حصل على أغلبية مقاعد المنتخبين في المجلس التشريعي ، وكان يصدر جريدة بغير امكانيات تقريبا ..

كان الحزب وقتها ، يملك غرفتين صغيرتين بهما مكاتب التحرير ، وفي ركن من احداهما كانت تجمع حروف الجريدة .. وبعد جمعها كانت الاسطر المجموعة تذهب الى احد مناصري الحزب في « كيب تاون » على بعد مائتي كيلومتر تقريبا لتطبع هناك ..

وقد لجأ « موخيخلي » الى هذا الحل بعد ان رفضت ارسالية الروم الكاثوليك في عاصمة بلاده ان تطبع جريدته في مطبعتها الوحيدة في الاقليم .

لقد نظم « موخيخلي » حزبه الوطني على خطوط تنظيم حزب العمال البريطاني ،وكان من أثر ذلك انه « تفرغ » لقيادة الحزب ، هو وشاغلو المناصب القيادية ، واصبحوا يتناولون مرتباتهم المتواضعة من حصيلة اشتراكات الاعضاء ، ويشعرون بالفعل انهم يعيشون للحركة الوطنية ويقيمون حياتهم على مواردها ..

وكان من اثر ذلك ايضا ان الحزب ، وهو يزحف باطراد نحو الحكم الذاتي والاستقلال قد شكل مايسمى في بريطانيا « حكومة في الظل » حتى يكون هناك مسئول يهيىء نفسه على مهل ، في كل قطاع من ميادين المسئولية الحكومية عند مولد الدولة واعلان الاستقلال

هذه لمحات سريعة عن أشهر قادة النضال الافريقي في المرحلة القريبة التالية وسوف تزيد الأيام المقبلة من الأضواء التي سوف تلقى عليهم وعلى بلادهم وسوف يجد القارىء أصداء ذلك على صفحات هذه المجلة على الدوام .

فرانكشتاين الجديد

أو بانتوستان

للدكتور راشد البراوى

لعل الكثيرين منا لا يزالون يذكرون القصة التى عرضتها دور السينما منذ سنوات ، عن ذلك العالم الذى استطاع عن طريق تجارب أجراها فى معمله ، أن يخلق ماردا على هيئة البشر ، وأراد أن يتخذ منه أداة يسيرها ويوجهها لخدمة أغراضه السوداء ، فاذا بهذا المخلوق الذى أطلق عليه اسم فرانكشتاين ، ينقلب على خالقه ويحطمه . ويبدو أن هذا القصور الخرافى سوف يتحول الى حقيقة واقعة فيخلق البيض فى اتحاد جنوب افريقية — لو واصلوا غيهم وجهالتهم — المارد الذى سوف يقضى عليهم الى الابد . هذا المارد الاسود أو فرانكشتاين الجديد ، هو ذلك المشروع الخيالى الذى تمخض عنه تفكير هنريك فيرفورت ، رئيس وزراء الاتحاد ، والمعروف باسم « بانتوستان » أو وطن البانتو ، وكلمة بانتو هى التى يطلقها البيض على الافريقيين حتى لا يشعر هؤلاء بأفريقيتهم .

الشعور بالرعب

قد يصطنع البيض فى اتحاد جنوب افريقيا الشجاعة والصلابة ، وقد يعلن قادتهم أنهم على استعداد لمواجهة جميع الاحتمالات ، من داخلية وخارجية ، ولكنهم فى الحقيقة يعيشون فى رعب قاتل لانهم كقشة يراد منها ان تصد التيار الجارف . انهم على يقين لا يرقى اليه الريب أن من المستحيل عمليا مواصلة ابقاء الافريقيين ، وهم أبناء البلاد الحقيقيون ، فى وضعهم الحالى القائم على حرمانهم من الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهم يدركون تمام الادراك أنه لن تمر فترة قد لا تتجاوز الثلاث سنوات الا وتكون القارة كلها كلها قد تطهرت نهائيا من الاستعمار ، وفى هذه الحالة يصبحون كصخرة واهنة وسط محيط سوف تغرقها أمواجه أو تزيلها من الوجود كلية . ولكنهم فى الوقت نفسه يعلمون أنهم لو طبقوا مبدأ المساواة التامة فى الحقوق بالنسبة الى جميع الاهالى بغض النظر عن أجناسهم أو ألوانهم ، فسوف تؤول السلطة حتما الى الاغلبية الافريقية ، ومعنى هذا أن يزول الاحتكار الكامل الذى تنعم به الاقلية البيضاء فى مجالات الحكم والاقتصاد . وخلاصة القول أن البيض يشعرون أنهم بين شقى الرحى ، فاما مجتمع تسوده التفرقة العنصرية وهذا مما يستحيل الابقاء عليه ، واما مجتمع ديمقراطى تندمج فيه الاجناس وتذوب الفوارق وفى هذه نهاية لسيطرتهم . هذه هى الورطة التى يقعون فيها الان .

فكرة البانتوستان

وللخروج من الورطة طلع فيرفورت بمشروعه وهو انشاء وطن خاص داخل الاتحاد للافريقيين فيقسم الاتحاد الى (٩) أجزاء منها جزء واحد للبيض ومساحته تعادل ٨٧ فى المائة من مساحة الاتحاد الكلية ، وفيه جميع مصادر الثروة من زراعة ومناجم ومصانع ومواصلات ، أما الاجزاء الثمانية الباقية والتى تقل عن ١٣ فى المائة من المساحة الكلية ، فتخصص لاقامة الافريقيين الذين يبلغ عددهم فى الوقت الحاضر نحوا من أحد عشر مليونا . وهذه المواضع ليست فى منطقة واحدة متماسكة ولكنها متفرقة وبعيدة بعضها عن بعض لانها

قائمة على أساس المعازل الحالية . وفضلا عن هذا سوف يراعى فيها أن تكون ذات طابع قبلى بمعنى أن يخصص كل منها لمجموعة أو أكثر من المجموعات الرئيسية التى ينقسم اليها الافريقيون ، مثل الزولو والباسوتو والشانجا - تونجا والاكوسا وغيرهم ، وفى هذا الاتجاه دعم للانقسام القبلى ومحاولة الحيلولة دون تجمع الافريقيين .

ويمنح سكان البانتوستانات الحكم الذاتى الذى يتسع نطاقه بالتدريج الى أن يصل الى مرحلة الاستقلال ، ولكن الى أن يحل هذا الوقت - وهو بعيد على وجه التأكيد - يتولى البيض الاشراف عليها وتوجيهها ، كما هو واضح من التنظيم الذى وضع لاول بانتوستان بدأ تنفيذه ، مما سنشير اليه فيما بعد . والهدف الذى يضعه البيض نصب أعينهم والذى يلازم تحقيق هذا المشروع هو الا يبقى فى المناطق المخصصة للبيض أى افريقى الا اذا كان العمل الذى يقوم به لازما لاقتصادهم وحياتهم ، ومعنى هذا أن حوالى خمسة ملايين أفريقى سوف يقتلعون من الاماكن التى يقيمون فيها الان وينقلون الى البانتوستانات ، وبالفعل لقد نقل أكثر من ١٠٠ر٠٠٠ قسرا من مكان الى آخر أو من المدن الى المعازل ، كما أنذر ما يقرب من نصف مليون افريقى بأن قد حل دورهم لينقلوا الى المعازل . وكذلك صدرت الاوامر بنقل ٨١ر٠٠٠ أفريقى من دربان ، كما أصدرت وزارة شئون البانتو أمرا بنقل ٢٥٠ر٠٠٠ الزولو من معازلهم التقليدية فى ناتال الى منطقة واحدة سوف يقام فيها بانتوستان للزولو .

وتدرك الحكومة البيضاء أن البانتوستانات المزمع انشاؤها لن تستطيع أن تستوعب هذا الفائض الضخم الذى سوف ينقل اليها من المناطق البيضاء ، بل أن الثابت أن جزءا كبيرا من أهل المعازل الحالية يجب أن يهجروا الارض حتى يتسنى أن تصبح الزراعة منتجة . ولهذا يرمى المشروع الى انشاء صناعات فى داخل البانتوستانات لتستوعب الايدى العاملة التى سوف تفقد موارد عيشها أو التى تضيق بها الزراعة والرعى فى المعازل الان ، على أن تكون رؤوس أموال هذه الصناعات ملكا للبيض الذين يتولون ادارتها فى الوقت نفسه فضلا عن تسويق منتجاتها . والفكرة فى هذا أنه اذا امتلك الافريقيون هذه الصناعات بأنفسهم واستفادوا من قوة العمل الرخيصة فى صفوفهم ، فسوف تكون نفقات الانتاج منخفضة بالنسبة الى مثيلتها فى الصناعات القائمة فى مناطق البيض وحدهم ، وبذلك تصبح عنصرا قويا للمنافسة ، وبالرغم من هذا فان الحكومة البيضاء لم تبذل أية جهود جدية فى سبيل اقامة هذه الصناعات ، ولا فى انشاء العدد الكافى من المساكن اللازمة لايواء أولئك الذين سوف تعمل على نقلهم الى البانتوستانات .

التجربة الاولى

وبدأت التجربة فى اقليم ترانسكاى ، الذى يعتبر أول بانتوستان فى اتحاد جنوب افريقية . وتشمل المنطقة : الترانسكاى (فينجولاند ، جكاليكالاند ، ومعزل ادينوتيا) ، وتمبولاند (بما فيها يومفانالاند) والجريكوالاند شرق وبوندولاند . وتبلغ المساحة الكلية ١٦٥٥٤ ميلا مربعا منها ١٣٩١٦ للافريقيين ، أما الجزء الباقى فعبارة عن مزارع ضخمة يملكها البيض . وهناك ١٨ر٠٠٠ أوربى معظمهم من المشتغلين بالتجارة ، أما عدد الافريقيين فحوالى ١ر٥ مليون نسمة .

والحالة الاقتصادية فى هذه المنطقة التى تعتبر أكبر البانتوستانات التى يراد انشاؤها ، على درجة عالية من التأخر . فالزراعة قاصرة بسبب صغر المساحة الصالحة لممارسة هذا النشاط ، وبفعل الاساليب البدائية التى تستخدم فى استغلال التربة ، ولهذا نجد أن انتاج الحبوب لا يكفى السكان الذين يعمدون فى أغلب السنوات الى استيراد بقية حاجتهم من الغذاء من دولة أورنج الحرة . أما الرعى فيعانى من الاسراف فيه بسبب الاحتفاظ بعدد كبير من الماشية يربو على طاقة المراعى الطبيعية وأغلبها فى أماكن كثيرا ما تتعرض للجفاف . والموارد المعدنية محدودة وان وجدت دلائل تشير الى وجود النيكل على حدود بوندولاند . ويوجد الحديد فى أماكن كثيرة

ولكن لا يزال استغلاله غير تجارى كما تقول مصادر البيض وان كان الراجح أن اهمال اكتشافه على نطاق واسع أمر متعمد حتى يظل السكان فى حالة فقر تضطر الكثيرين منهم الى الهجرة للعمل فى مناجم البيض ومزارعهم ومصانعهم . والمعروف أن النحاس موجود فى جبل آيليف فى سلسلة انسيزوا التى يعتقد أنها تضم ثروة كبيرة من معان أخرى . ومهما يكن من أمر فان حكومة البيض لم تحاول العمل على البحث عن الثروات المعدنية واستغلالها فى هذه المنازل التى سبق تخصيصها للافريقيين .

وطبقا للدستور الذى صدر بتنظيم الحياة فى البانتوستان الاول ، وهو التنظيم الذى يوضح سياسة البيض وأهدافهم ، هناك مندوب سام يجمع فى يده جميع السلطات نيابة عن حكومة الاتحاد . وتقوم الى جانبه الهيئة الاقليمية Territorial Authority وكانت تعرف حتى مايو من عام ١٩٥٧ باسم « المجلس العام لاقاليم ترانسكاى المتحدة » أو البونجا Bunga كما كان يقال له . هذه الهيئة عبارة عن السلطة التشريعية العليا ولكنها فى الحقيقة ذات اختصاص يقتصر على الشئون المحلية . ويتكون هذا البرلمان (ان صح التعبير) من ٦٤ من الزعماء الوطنيين ، ٤٥ عضوا منتخبا ، ولما كان الاولون تحت رحمة الحكومة التى تعينهم وتبقيهم فى مناصبهم وتستطيع فصلهم اذا شاءت ، لهذا فانها تسيطر عن طريقهم على الاعضاء المنتخبين .

ورئيس الوزراء الذى هو فى الواقع منفذ لسياسة فيرفورت والتى يرى فيها سبيلا لبسط سيطرته ونفوذه ، هو الزعيم ماتانزيما الذى يبلغ الخامسة والثلاثين من عمره ، وهو ممن تخرجوا فى الجامعات .

هذا هو التنظيم السياسى الذى أعده هنريك فيرفورت للبانتوستانات ، ومنه يبدو واضحا أنها لن تختلف عن الاوضاع المعروفة فى المستعمرات ، وأن الحكم الذاتى صورى ، وأن الاستقلال الموعود أمر بعيد التحقيق فى المستقبل الذى يمكن التنبؤ به .

وبالرغم مما يبديه ماتانزيما من التعاون فى تنفيذ سياسة التقسيم الى مناطق للبيض والافريقيين ، فان التجربة لا تبعث الى الرضاء بأى حال من الاحوال ، ويدل التطبيق على ما ينتظر المشروع من اخفاق مؤكد . فرئيس الوزراء هذا يعارضه منافس قوى هو الزعيم الاكبر ساباتا والندجيبو Dalindgebo الذى يرفض التعاون مع الحكومة الاتحادية ويطالب بقيام مجتمع تتساوى فيه الاجناس . وتخشى الحكومة عزل هذا الزعيم حتى لا تثور من أجله قبيلة تمبو القوية .

ولا يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان الافريقيين من أهل الترانسكاى يقاومون المشروع مقاومة عنيفة . ففى ديسمبر من عام ١٩٦٠ بدأت الحركة المعروفة باسم « حركة الجبال» أو « حركة الكونغو » ثم قام الفلاحون فى بوندولاند بثورة فى العام التالى ، ولا تزال الثورة مستمرة بزعامة بنتزوانا المعتصم بالجبال والذى أقسم الا يقع حيا فى أيدى أعداء البلاد . وفى عام ١٩٦٢ ظهرت حركة سرية أخرى تعرف باسم بوكو ، وتتبع نظام الخلايا وهى مصدر رعب لكل من يؤيد ماتانزيما وسياسته .. وحتى هذا الاخير نفسه بدأ يعمل على مضايقة الحكومة الاتحادية مستهدفا بذلك توسيع نطاق سلطته ، فطالب بأن تضم الى هذا البانتوستان جميع الاراضى الواقعة بين نهر فسن Fish وزولولاند (وتشمل كل اقليم ناتال) ، كما راح يهدد التجار البيض المقيمين بالاقليم ، بالطرد .

استحالة تنفيذ المشروع

وحتى من وجهة نظر البيض فان مشروع انشاء بانتوستانات للشعب الافريقى مشروع بعيد تماما عن الواقعية ويستحيل تنفيذه . فمن ناحية التقسيم نجد أن المساحة المخصصة لعدد يبلغ احد عشر مليونا لا تتجاوز ١٣ فى المائة من مساحة الاتحاد الكلية أى أنها لا تستطيع أن تستوعب جميع السكان الافريقيين الذين يزيد عددهم سنويا بنسبة ١ر٩ فى المائة تقريبا . فاذا ذكرنا أن هذه

المساحة تضيق بسكانها الحاليين وهم نحو ثلث الشعب الافريقى ، وأن أغلبها صحراء قاحلة أو مناطق رعى متعرضة للجفاف ، وان الزراعة على جانب كبير من التـأخر ، وان الاستغلال المعدنى والصناعى معدوم بالفعل ، نقول انه اذا ذكرنا هذا كله تبين لنا فى غير صعوبة أن من المستحيل عمليا ومن الناحية المادية أو السكانية تكديس هؤلاء الملايين فى منطقة لا تتوافر فيها مقـومات البقاء ، وان الهدف الحقيقى هو بدء عملية شاملة من ابادة الجنس عن طريق الجوع .

ويزعم فيرفورت أنه يريد أن تتاح للافريقيين فرصة التطور والنمو وفقا لتقاليدهم وعاداتهم وأساليبهم فى الحياة ، ولكن الزعماء الافريقيين يقولون ردا على هذا أنهم لا يريدون العـودة الى القبلية أو الابقاء عليها لانها نظام يتنـافى مع روح العصر ، وانما هم يريدون أن يأخذوا بأسباب الحضارة الحديثة وبأساليب العـلم الحديث والتكنولوجية الحديثة . أما سياسة البانتوستان فمعناها الابقـاء على الجمـود والتأخر . وفضلا عن هذا ، فأى استقلال هـذا الذى يوعدون به ؟ ان البانتوستانات سوف تكون صغيرة ، وعلى أساس قبـلى ، ومتباعدة بعضها عن بعض ، وتحيط بها مناطق البيض ، وبعبارة أخرى سوف تظل تحت رحمة الاخرين بصفة دائمة ، وحتى الصناعات التى يراد اقامتها سوف تكون ملكيتها وادارتهـا فى أيدى هؤلاء البيض ، أى أن مصـير هذه البانتوستانات هو تحت رحمة الرجل الابيض.

قلنا ان من أهداف المشروع فى المستقبل ألا يبقى افريقى فى المناطق البيضاء الا اذا كان العمل الذى يقوم به لازما لبقائها . ليس من بيانات دقيقة تدل على حجم هذا الفائض من الايدى العاملة وان كنا نستطيع ان نكون نكرة اذا ذكرنا أن هناك نحو نصف مليون متعطل فى صفوف الافريقيين فى المناطق المدنية التى يحكمها البيض ، ومعنى هذا أن هذا الهدف المشار اليـه سوف يؤثر فى ملايين عدة من أبناء الشعب الافريقى . فطبقا لتقدير وضع فى ٣٠ يونية من عام ١٩٥٧ (على أساس أرقام احصاء عام ١٩٤٦ ، وعام ١٩٥١) كان توزيع الافريقيين كالاتى :

المناطق المدنية	٢ر٦٢٢ر٨٧٢
مزارع البيض	٣ر٢٦١ر٢٢٧
معازل الافريقيين	٣ر٦٥١ر٨٣٠
المجموع الكلى	٩ر٥٣٥ر٩٢٩

أى أن الافريقيين خارج المعـازل حوالى ٥ر٨ مليون نسمة ، وهذا الرقم قد زاد زيادة كبيرة منذ ذلك التاريخ ، ومعنى هذا أن حوالى خمسة ملايين نسمة سوف يرغمون على الانتقال الى هذه البانتوستانات . وعملية النقـل تصطدم بأكبر الصعاب منها :

١ ـ ضيق المسـاحة المقـررة للافريقيين واستحالة تدبير أماكن الاقامة ومصادر العمل والعيش .

٢ ـ تقول مصادر حكومة الاتحاد أن متوسط أجر العـامل الافريقى فى منطقـة جوهانسبرج مثـلا حوالى ١٥ جنيها فى الشهر ، فكيف اذن يمكن لهذا الفرد أن يعيش فى المعازل حيث متوسط الدخل السنوى للفرد حوالى ٤٢ جنيها ؟ غير أننا نود أن نضيف هنا الى أن هذا الاجر الذى تتباهى به حكومة البيض لا يكاد يكفى عيش الكفاف لان متوسط تكاليف المعيشة فى الشهر فى حدود ٢٥ جنيها !

٣ ـ واذا كان سكان المعازل الحاليون لايزالون يحتفظون بتقاليدهم وعلاقاتهم القبليـة القديمة ، فان الامر جد مختلف بالنسبة الى الافريقيين الذين يعيشون فى المناطق المدنية (الصناعة ، التعدين ، الخدمة) أو يعملون فى مزارع البيض ، ذلك أنهم فقدوا منذ أمد طويل صلاتهم بالمنـاطق التى وفدوا منها من قبـل وانقطعت صلاتهم بالقبـائل التى كانوا ينتمون اليها ، ويترتب على هذه الحقيقة أنهم سوف يكونون غرباء عن أهل البانتوستانات التى يراد نقلهم اليـها قسرا . ومن هنا سوف تتعرض هذه الاخيرة للقلاقل والاضطرابات .

واذا نقـل الفائض من الايدى العـاملة فلا شك أن عددا كبيرا ، ربما لا يقـل عن المليون ، سوف يحتفظ به البيض فى منطقتهم حتى لا ينهار اقتصادهم ، وهنا سوف ينشأ موقف شاذ أو تناقض كبير . فاذا صـدقنا

ظاهر كلام البيض فان البانتوستانات سوف تتمتع بالحكم الذاتي كخطوة في سبيل الاستقلال النهائي ، ومعنى هذا اللون من الحكم أن يتمتع أبناؤها بالحقوق السياسية ومنها حق التصويت . فاذا سلم البيض بهذا فكيف يستطيعون أن ينكروا مثل هذا الحق على أولئك الافريقيين الذين سوف لا يستغنى عنهم في مناطق البيض ؟ من المؤكد أن هؤلاء لن يقبلوا وضعا يختلف عما يتمتع به مواطنوهم في البانتوستانات . فهل يمنحهم البيض حق التصويت مثلا ، وهو ما يتعارض مع سياسة التفرقة العنصرية وهي الكامنة وراء المشروع ، أم يواصلون حرمان هؤلاء الافريقيين كأنهم أجانب من بلد غريب ؟ وماذا يكون موقف هؤلاء الافريقيين ؟ اذا ثاروا أو قاموا بالاضطرابات لنيل حقوقهم ، فكأن مشرع البانتوستان لم يحقق الغرض منه ، وماذا يكون الموقف اذا رأوا أن من الخير لهم أن يتوجهوا هم أيضا الى البانتوستانات ؟ هل يسمح لهم البيض بالهجرة فيدمر اقتصادهم ، أم يحاولون الاحتفاظ بهم بقوة السلاح ؟ هذه كلها أسئلة تدور بخلد العقلاء من البيض ، ولكن فيرفورت وأمثاله من ذوى التعصب الاعمى لا يريدون أن يفكروا فيها بمنطق سليم .

غير أن ثمة احتمالا آخر وأشد خطرا . هذه البانتوستانات سوف يزداد عدد سكانها بعد وقت قليل وبالتالي تصبح ذات قوة بشرية ضخمة . وبمرور الوقت سوف تشعر بكيانها وتنهض بأمورها وترفع من مستواها ، ويتكاتف أهلها وتشتد فيهم الروح القومية ، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يصبر هؤلاء على سياسة تحرمهم من ثروة بلادهم أي الاتحاد كله . سوف يصبحون قوة لها خطرها أو بعبارة أخرى يصبحون أشبه بخناجر مصوبة الى صدور البيض وعلى استعداد للانقضاض عليهم ، وسوف تقف افريقية كلها الى جانبهم اذا تحولت المسألة الى صراع مسلح . هذا هو الخطر الذي يلمسه قادما العقلاء والاحرار انهم يقولون أن فيرفورت بمشروعه هذا القائم على خلق بانتوستانات لن يختلف عن العالم الذي خلق المارد ذا الصورة البشرية ، وبعبارة أخرى أن رئيس وزراء الاتحاد يعمل على خلق فرانكشتاين جديد سوف يقضي عليه حتما وعلى الاقلية البيضاء .

ان الحل الصحيح هو ازالة كل أثر من آثار التفرقة العنصرية ، وتقدير مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بلا استثناء ، والنزول على حكم المبادىء الديمقراطية وهي أن الحكم للاغلبية ، وعلى قواعد العدالة وهي أن أصحاب السلطة في بلدهم أصحابها . وأي حل خلاف هذا لن يسفر الا عن دمار البيض ، وهذا هو منطق التطور وحكم التاريخ .

((دكتور راشد البراوي))

نظريات السكان بين الانتاج والتصدير

للدكتور عبد العزيز كامل

مقدمة :

فى مقال العدد الماضى عن « فلسفات سكانية فى افريقية » عرضت للصراع الفكرى الذى دار فى مؤتمر تطبيق العلوم والتكنولوجيا لصالح المناطق النامية .. والذى عقدته هيئة الامم المتحدة فى فبراير ١٩٦٣ فى جنيف . وكيف تعددت الاتجاهات . عند دراسة مشكلات نمو السكان فى العالم من حيث علاقتها بتنمية الموارد الاقتصادية . وفى هذا المقال متابعة لعرض المشكلة وأسسها العلمية والسياسية والاجتماعية .

الدول النامية ليست ذات طبيعة واحدة :

حرصت الدول النامية على ابراز أن مشكلات النمو فيها ليست متشابهة تمام التشابه ، وأنه اذا كانت هناك ملامح عامة للتخلف ، فان هذه الملامح لا يمكن أن تطبقها بكل تفاصيلها على كل دولة نامية . ولنأخذ لذلك أمثلة من مشكلة السكان :

فمن المعروف أن آسيا الموسمية من أشد جهات العالم ازدحاما بالسكان ، وأن مشكلة الجوع تتمثل فيها بصورة واضحة المعالم منذرة بخطر كبير ، وأن زيادة السكان أكبر خطر يتهدد مشروعات التنمية . ومن الامثلة التى تضرب لذلك حالة اقليم البنجاب (أرض الانهار الخمسة) . فعلى نهر السند أقيمت مشروعات رى كبيرة حيث لا تكفى مياه المطر للانبات . وأمكن بهذا رى اثنى عشر مليون فدان أى ما يعادل نحو ضعف الارض الزراعية فى وادى النيل الادنى . وأصبح اقليم البنجاب مصدر خير لابنائه . وكان نصيب الاسرة من الارض الزراعية الجديدة فى البنجاب نحو خمسة وعشرين فدانا عند بدء مشروعات التنمية .

وأدى هذا الرخاء الى زيادة عدد السكان وانعكس هذا تفتيتا للملكية الزراعية وتدهورا فى حصة الفرد حتى أصبح سهل البنجاب عرضة للمجاعات كما حدث عام ١٩٥٣ . ودخل سهل البنجاب فى الدائرة الخطرة : أن يزيد الانتاج الزراعى ، فيزيد انتاج الاطفال فتشتد الحاجة الى الانتاج الزراعى حتى يعجز عن الاستجابة للافواه الجديدة ..

وتعقب الباحثة « ايرين تاوبر » فى بحث لها عن « السكان وعدم الاستقرار السياسى فى المناطق المتخلفة » على مشكلة السباق بين زيادة السكان ومشروعات التنمية الاقتصادية والسياسية فى الهند فتقول « ان الحكومة فى الهند تعرف علاقة نمو السكان بالتقدم فى مستويات المعيشة . وكذلك تعرف ان التقدم الاقتصادى والابطاء فى النمو السكانى يمكن تحقيقهما باجراءات ديموقراطية ، وبوسائل تتسق مع قيمها الثقافية . وقد جاء فى التقرير الاول لبرنامج السنوات الخمس الاول ، ان النجاح فى تنفيذ الخطة سوف يحافظ فقط على النسبة التى كانت سائدة قبل الحرب بين السكان والانتاج . وكانت التقارير المتلاحقة عن تقدم الخطة تشير كثيرا الى مشكلات السكان ، وأخطار نموهم المستمر . ولقد وجهت البحوث الهندية نحو

تطوير سياسة سكانية تؤدى الى وقف التكاثر وذلك عن طريق تنظيم النسل بمخطط واسع الانتشار . ولكن السلطات الهندية تعلم أن الوسائل والحوافز يجب أن تكون مقبولة من الناحية الاخلاقية والثقافية ، ويجب كذلك أن تؤدى الى المحافظة على استقرار المجتمع . ومن ثم فقادة الهند يعلمون أن الاستقرار السياسى يتطلب ارتفاعا فى مستويات المعيشة ، وهم يربطون التحسن فى الرفاهية مباشرة بالبحث عن حلول لمشكلات نمو السكان .

ذكرت هذا الاقتباس من باحثة أمريكية تصور المشكلة فى الهند ، ولا يختلف تصوير كتاب الهند وباحثيها لمشكلتهم عن هذا الاتجاه .. هم يبذلون الجهد فى الدعوة الى التنمية الاقتصادية ، ولكن لابد أن يكون هناك تنظيم للنسل بحيث لا يكون معدل زيادته أعلى من معدل الزيادة فى التنمية الاقتصادية . ولا بد اذن أن تكون الدعوة الى ضبط النسل ونشر وسائله جزءا أساسيا من برامج التنمية .

هذا الوضع نفسه يمكن ان نجد له نظيرا فى أندونسيا والملايو والصين واليابان من ناحية ازدحام السكان وزيادتهم .. ولكن لكل من هذه الدول أسلوبها فى مقابلة المشكلة .. وقد يكون التشابه أقوى بين الهند واندونيسيا ، ويبدو الفارق حين نقارن بينهما وبين الصين واليابان . ويرجع هذا الفارق الى سيادة نظرية سكانية أخرى فى الصين منبثقة من الايديولوجية المسيطرة عليها ، بينما استطاعت اليابان بالتطور الصناعى فى مجالات متعددة أن تصبح « المصنع الاول » فى آسيا وأصبح انتاجها الصناعى يجد طريقه الى قلب الدول المتقدمة فى العالم الغربى . وسنعود الى مشكلة الصين فيما بعد .

هذا القطاع الكبير من سكان العالم فى آسيا الموسمية لهم مشكلة كبيرة تتباين طرق مقابلتها ، والغالب على آسيا الموسمية الازدحام السكانى فى أقاليم ضخمة لا نجد لها نظيرا فى العالم كله .

فاذا انتقلنا الى أفريقية وجدنا طابعا آخر للمشكلة ، وجدنا ازدحاما فى أجزاء محدودة تذكرنا بالازدحام الذى تركناه وراءنا فى آسيا الموسمية ، ومستوى معيشيا منخفضا ومشكلة جوع . أما الطابع الغالب فهو قلة السكان عن حاجة الارض وعما نستطيع أن تحمل من سكان .

وقد سبقت الاشارة الى احساس الافريقيين بأنهم مغبونون عدديا . وأن مشكلة انخفاض مستوى المعيشة فى افريقية مشكلة مصطنعة ليست لها جذور من موارد طبيعية شحيحة ، وانما فى أوضاع سياسية لها انعكاساتها الاجتماعية والاقتصادية .

فليس من المعقول أن تظل هذه القارة الكبيرة وبها من السكان نحو مائتين وثلاثين مليونا ، وأن تظل مواردها الاقتصادية غير مستغلة أو تحت سيطرة نفر محدود من المستوطنين الاوروبيين تؤيدهم دول لها اطماعها الاقتصادية الظاهرة أو المستترة . ومع الموارد الطبيعية المتوافرة فى أفريقية المدارية وقلة سكانها نسبيا ، فان الفقر فيها لا زال متفشيا . ولا زالت أمراض سوء التغذية واسعة الانتشار تفتك بالاطفال بخاصة ولا يكاد يسلم منها الا القليل. ولا زال غذاؤهم الرئيسى من الحبوب الغذائية كالذرة والجذور النشوية .. وهو نفس الوضع الذى نراه فى آسيا الموسمية وكثير من أقطار أمريكا اللاتينية . وهذا الغذاء السىء — الذى لم يستطع نحو ثلثى العالم أن يتحرر من قيوده — يقلل من المقاومة الجسدية للامراض ويجعل منهم فرائس سهلة لطائفة من الامراض فى مقدمتها التدرن الرئوى ، ويقلل من القدرة على العمل وشق طريق فى الحياة يتوافر فيه العلم والتقدم . وهكذا يكون البؤس باعثا على البؤس .

وكما يقول تقرير لليونسكو عن هذا الوضع « هذه الحالة المفجعة التى ينوء تحت عبئها جمع غفير من بنى الانسان ويعانون من جرائها الجوع والتعاسة ليست بالقضاء المحتوم الذى لا مفر منه . بل ان لهامخرجا والواجب يقضى بايجاد هذا المخرج والا اصبح ركب التمدين مهددا بالتوقف . ومن الضرورى

ان يكون فى الامكان مع توالى الايام انقاذ العالم من هذا البؤس بحيث يستطيع كل رجل او امرأة او طفل ان يحصل على قدر كاف من الغذاء الصالح يكفل الصحة ورغد العيش . ومن الواجب ان تحل هذه المشكلة الرئيسية قبل كل شيء كي يصبح في الامكان فيما بعد الشروع برفع مستوى الحيـاة الانسانية من نواحيها الاخرى .

المشكلة الان من الناحية السكانية لهـا وجهان :

الاول : يمكن أن نسميه الوجه الاسيوى حيث تزاحم السكان وانخفاض مسـتوى المعيشة .

الثانى : الوجه الافريقى حيث تخلخل لسكان وانخفاض مستوى المعيشة .

انتاج النظريات وتصديرها .

يبدو من العرض السابق اهم جـوانب التباين والتشابه بين الاقطار النامية ـ او المتخلفة ـ من الناحية السكانية . والى هذه الجوانب اتجهت العناية فى « مؤتمر تطبيق العلوم والتكنولوجيا » وكان المؤتمر مجالا لعرض النظريتين السكانيتين الكبيرتين وهما :

١ ـ المالتوسية الجديدة .

٢ ـ النظرية الاشتراكية السائدة فى المعسكر الشرقى .

وواضح ان المالتوسية الجديدة تمثـل صورة من تطور نظرية مالتس القس الانجليزى التى نشرها مرة عام ١٨٢٤ ، ثم اعاد نشرها بعد مراجعتها فى عام ١٨٣٠ . وخلاصة نظريته ان السكان يزيدون بمتوالية هندسية وانه يتضاعف كل ربع قرن ، بينما لايمكن زيادة انتاج المواد الغذائية ـ على احسن الفروض ـ الا على شكل متوالية حسابية ، ويقتضى هذا التباين الحد من زيادة عـدد السكان عن طريق تحديد النسل وهـذا هو الطريق الافضل وليس له من بديل الاالمجاعات والحروب والامراض .

ونادى مالتس بالعفة والزواج المتأخـر . وبتطبيق هذين القيدين يمكن للافراد والامم ان تتمتع بحياة افضل .

وقد أثارت نظـرية مالتس عاصفة من الجدل . وفى البحث حقائق اساسيةواخطاء كبيرة .

ولم يكن مالتس يتوقع التطور الخطير فى وسائل الانتاج ولا الافاق الرحبة من التقدم العلمى والتكنولوجى التى استطاع الانسان ان يرتادها . وبرهنت حركات الهجـرة والتوسع فى استيطان العالم الجديد على ان ازدهار هذه الاقطار ارتبط بزيادة ضخمة فى عدد السكان . وان هـذه الزيادة كانت ضرورية للتطور الاقتصادى والاجتماعى وان هذه الايدى العاملة الاخذة فى الزيادة ، كانت عوامل ايجابية دافعة لعجلة التطور ولم تكن عائقا فى سبيله . ومن ناحية اخرى كانارتفاع مستوى المعيشة وتوافر الخدمات الطبية فى بعض الاقطار داعيا الى التوازن السكانى وانخفاض معدلات المواليد والوفيات . بينما يكون الفقر ـ فى بعض الاحيان ـ مدعاة الى قلة الاحساس بالمسئولية وبالتالى الىارتفاع معدل زيادة المواليد .

ويعتبر مالتوس فى نظر كثير من الباحثين صاحب اشد النظريات الاجتماعية رجعيـة ويعقب عليها فرانك نوتشتين بقوله « ستظل آراؤه ـ يقصد آراء مالتوس قائمة وان كانت تحت سحب كثيفة من الخطأ » .

فمشكلة السباق بين الطعام والانسـان قائمة . وحاول مالتوس مقابلتها ولكنالواقع القى اضواء جديدة على النظرية ازالتالكثير من التشاؤم الذى أحاط به مالتوس مستقبل الانسانية . وفتح مجالات وآفاقا جديدةكانت بدورها مدعاة الى تطوير نظريات السكان واتخذ هذا التطوير اتجاهين جديدين .

بين المالتوسية الجـديدة والنظـرية الاشتراكية :

فالعالم الان مقسم الى شعوب متقدمـة وشعوب متخلفة . مقسم بين قلة لا تزيد عن نحو ٥٠٠ مليون تتوافر لها طعامها الكافى وتتمتع بالوفرة والغنى بينما اكثر من ثلثى العالم ـ كما سبق القول ـ يعيشـون تحت مستوى الفقر وفى اسر الجوع ولا يجدون ما يكفيهم من الغذاء .

العالم الان كما عبر عنه عالم افريقى يشبه التوأمين السياميين يعيشان معا ولا يمكن

فصلهما . وفى فصلهما انتهاء حياة كل منهما ولكن الفرق بين العالم والتوأمين أن العالم مقسم الى قسمين احدهما متقدم والاخر متخلف ، احدهما يجد كفايته من الطعام والثانى لا يجد ما يكفيه ومع هذا يضمهما عالم واحد . لابد اذن من ان تكون تغذية التوأمين فيها شيء من التوازن والا يبقى العالم بهذا التناقض الكئيب الذى يشكو فيه معظم افراده من فقر الدم بينما نعيش القلة فى بحبوحة وغنى .

ولقد ادى التطور الحديث الى شدة الترابط بين اجزاء العالم وادى الاستقلال وبخاصة فى الاقاليم المدارية فى اسيا وافريقية الى زيادة عدد الدول التى تجمعها الامم المتحدة . ولها الحق فى ان ترفع صوتها من فوق منبرها ، واشتدت الدعوة الى حرية الانسان وتحريره .. تحريره من الفقر ومن التفرقة العنصرية ومن التخلف بكل مظاهره . وفى هذا يلتقى الرأى العام العالمى وان تعددت وسائل التنفيذ واساليب التطبيق .

العالم الغربى يضع المسألة فى اطارها الحسابى ويلقى الحمل الاكبر على ضبط النسل وان كان يؤمن الايمان الكبير بوجوب التوسع فى برامج التنمية الاقتصادية . ومن اجل هذا ظهرت برامج المساعدة الفنية على المستوى الثنائى والاقليمى وعلى مستوى الامم المتحدة وانه لايمكن ان يسود فى العالم سلام مالم تقل الفوارق بين الدول المتقدمة والمتخلفة — او النامية كما يسمونها الان — وتظهر اهمية الفوارق الدولية فى مستويات المعيشة جلية فى الحرب الباردة . ويذكر الدكتور فيليب هوسر — الحجة الامريكى فى شئون السكان :

((ومع النضال السياسى والاقتصادى الحاد بين المعسكر الشرقى والمعسكر الغربى أصبحت الاختلافات فى مستوى المعيشة موضوعا رئيسيا ، فقد بذلت الدول الشيوعية كل جهد لاستغلال الوضع فى مصلحتها وتشير الى التجربة الاستعمارية التى مازالت سائدة فى بعض أجزاء العالم ، تشير اليها كدليل على وجهة نظرها وربط الموضوعين معا ((الاستعمار وانخفاض مستوى المعيشة)) ولقد بذلت الدول الغربية جهودها تدفعها — كما يقول هوسر — النظرة المستنيرة لمصالحها والبواعث الانسانية (! !) لمساعدة الدول الأقل تقدما لتنمية اقتصادياتها يضاف الى ذلك أن الدول الغربية المتقدمة وقد اتخذت موقفا دفاعيا ضد استغلال الشيوعية للفقر الشامل فى الدول المتخلفة والذى دعم ببذل معونات من الدول الشيوعية للدول المتخلفة ، وقد اتجهت بجهودها لرفع مستويات المعيشة فى تلك البلاد ، وذلك لمنع سقوطها فى براثن الشيوعية))

الى هنا ينتهى كلام دكتور هوسر ويتبين فيه أحد الاهداف الكبرى من المعونات الاقتصادية التى تقدمها دول المعسكر الغربى ، ويطبق الوضع نفسه على دول المعسكر الشرقى .

والى هنا لا نجد فارقا واضحا .. فكل من المعسكرين يقدم المعونة الفنية بقدر أو بآخر وباسلوب او باخر ولكن الفارق الكبير يأتى من النظرة الى مشكلة السكان . ويحكى هذا واضحا فى مؤتمر جنيف .

كان واضحا أن المالتوسية الجديدة تلقى الحمل الاكبر على جهود ضبط النسل وضرورة ايجاد التوازن الدقيق بينه وبين برامج التنمية الاقتصادية . ومن هنا يأتى « امتداد »! الفكر المالتسى ويعبر دكتور هوسر عن هذا بقوله « ان من نافلة القول ان نقرر ان رفع مستوى المعيشة يتطلب زيادة الناتج الكلى بدرجة اسرع من زيادة السكان فالزيادة فى الانتاجية والناتج الكلى ينعكس على مستويات مرتفعة من المعيشة اذا فاقت الزيادة فى السكان . ونتيجة لذلك ، نجد ان الزيادة فى السكان قد تشجع التنمية الاقتصادية وتقويها فى بعض الظروف ، لكنها تميل فى الدول الاقل تقدما ذات النسبة المرتفعة من السكان بالنسبة الى الموارد ،

« البقية ص ٣٠ »



الاستقلال الاقتصادى ودور الجمهورية العربية المتحدة

للدكتور محمد المعتصم سيد

فى ميدان الاستقلال الاقتصادى فى افريقيا — لعبت الجمهورية العربية المتحدة دورا كبيرا — كان حديث العالم كله لبراعة الاستهلال الذى بدأت به هذه المعركة الكبيرة وكان ذلك يوم اعلنت عن عزمها فى بناء السد العالى لزيادة رقعة الاراضى الزراعية — ولانعاش المشروعات الصناعية فى البلاد نتيجة لوجود هذا السد العظيم — وكان طبيعيا ان يحارب الاستعمار هذا المشروع الاقتصادى واخذ يتلاعب فى اتفاقيات تمويله فى مبدأ الامر .. ثم اعلن رايه مجاهرة فى الامتناع عن تقديم اية مساعدة ظنا منه ان هذا سيحرج مصر — ويدفعها الى العدول عن التفكير فى افاق مشروعها العمرانى .

غير ان مصر اقدمت على الخطوة الثانية فى دعم كيانها الاقتصادى وكانت حديث العالم على نطاق اوسع واعم .. اعلنت الدول النامية والمتحررة ابتهاجها وتأييدها له — واعلنت الدول الاستعمارية حقدها وحربها الثائرة عليه وذلك حين أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس — اكبر شركة احتكارية فى العالم — لصالح تمويل مشروع السد العالى من ناحية — وارد اعتبار الكرامة المصرية من الناحية الاخرى .

ومنذ ذلك التاريخ .. ومصر تسير بخطوات جادة ثابتة لتثبيت الاستقلال الاقتصادى الذى يكمل الاستقلال السياسى الذى حصلت عليه — يدفعها فى ذلك عدة دوافع وطنية هى رغبتها فى ابعاد شبح المستعمر عن بلادنا ممثلا فى أية نفوذ أو فى اية صورة — وانعاش البلاد اقتصاديا عن طريق الاستفادة المباشرة من الخير الذى تحتضنه البلاد والذى سلبه المستعمر طوال سنى حكمه — والانطلاق فى الميدان الذى احتكره الاستعمار — وهو الصناعة لتصنيع البلاد وسد احتياجاتها وعمل كل ما من شأنه تطوير الاقتصاد القومى لصالح المواطنين .

وقد جابهت الجمهورية العربية المتحدة فى سبيل تحقيق هذه السياسة حربا شعواء شنها عليها الاستعمار واذنابه .. بدأت بمؤتمر لندن الذى عقد عام ١٩٥٦ عقب تأميم القناة .. وتبلور فى اقبح صورة فى الاعتداء الثلاثى الآثم على مصر فى نفس السنة من جانب انجلترا وفرنسا وتابعتها اسرائيل — لاعادة احتلال معقل الاحرار والقضاء على وثبة وطنية فى المنطقة — وقابلنا العدوان بموقف صلب وقيادة حكيمة وتأييد عالمى فانحسر عنا مهزوما مدحورا .. وانطلقنا فى الميدان من جديد لتثبيت استقلالنا السياسى بتدعيمه من الناحية الاقتصادية .

وفى هذا المجال اعدت الخطة القومية الشاملة للتنمية الاقتصادية لمضاعفة الدخل

القومى فى عشر سنوات من اجل بناء مجتمع جديد .. وكان لزاما لتنفيذها ـ حماية هذا الاقتصاد من المتلاعبين والاحتكاريين وظل الاستعمار البـاهت الذى يشـكل خطرا جسيما على هذا البناء الشامخ .. والممثل فى وجودهم فى الشركات الاحتكارية .. ورأس المال المستغل والبنوك المتحكمة .. فكان قرار الحكومة بتأميم البنوك والشركات والمؤسسات الكبرى التى كانت تدار من عواصم العـالم الاستعمارى لحماية الاقتصاد القومى والمضى فى خطة التنمية الاقتصادية ـ وقد تم تأمين الطريق من كل ما يتهدده من اخطار ..

وسرعان ما خـرجت المشروعات الى عالم النور بعد ان مهد السبيل امامها .. فبلغ عدد المشروعات الصناعية الداخلة فى الخطة الخماسـية الاولى التى بدأت عام ١٩٦٠ « ٧٣٣ مشروعا تكاليفها الكلية نحو ٩ر٩٨٥ مليون جنيه .. وذلك لتغطية احتياجات البلاد ـ وتصدير الفائض الى الخارج ـ وتوفير العمل لاكبر عدد ممكن من المواطنين بلغوا حتى سنـة ١٩٦٠ حوالى ٤٨٤ر مواطن ، وينتظر ان يرتفع هـذا الرقم الى اضعافه حينما تصل المصانع الى طاقتهـا الكاملة .

وفى سنوات قليلة ارتفعت قيمة الانتاج الصناعى الى ضعف ما كانت عليه عنـد قيام الثورة المصرية وهذا قياس اعجازى فى الميدان الاقتصادى ـ عجزت عن الوصول اليه ارقى البلاد واكثرها تحضرا وخرجت المؤسسات الاقتصادية الكبرى .. الواحدة تلو الاخرى .. لتأخذ مكانها فى النهوض باقتصـاديات البلاد .. فكانت هنا المؤسسة المصريةالعامة للتعدين لاستخراج المنجنيز والفوسـفات والالمنيت وغير ذلك والمؤسسة المصرية العامة للبترول لتعمل فى مجالات التنقيب عن البترول وتكريره والاتجار به والمؤسسة العامة لصناعة الغزل والنسج وتضم ٣٨ شركة كبرى تقوم بهذه العملية الاقتصادية الهامة ـ والمؤسسة المصرية العامة للصناعات الكمياوية كصناعة الاسمدة واللبوالورق وأوراق التعبئةومصانع المبيدات الحشرية والصناعات الكيمـاوية العضوية ومصانع الزيوت والبلاستيك والكتان والصابون والموادالغذائية وغيرها ـ والمؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية كالسـكر والتقطير والزيوت والاطعمةالمحفوظة والمنتجات الزراعية والسردين والجمبرى وغير ذلك .. والمؤسسة المصرية العامة لصناعة موادالبناء كالاسمنت والمواسـير والزجاج والصينى والفخار والطوب .. والمؤسسة المصريةالعامة للصناعاتالمعدنية كالحديد والصلب والنحاس والمناجم والمعادن والمؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية كصناعة السـيارات والمصنوعات المعدنية والادوات الصـحية والدراجات والمؤسسة المصرية العامة لصناعة التليفزيون وغيرها كثير .

وقد بدأت هذه المشروعات المتعددة فى الانتاج فى حماية رقابة دقيقة ـ وقوانين محكمـة عادلة ليتحقق الربح ولتعم الفـائدة على المواطنين فينعموا بثمار جهدهم .

هذا فى مجال الصناعة ـ اما فى مجـال الزراعة .. فقد اعدت الجمهورية العربية عدتها لاستكمال هذه الناحيـة الاقتصادية التى عشنا على انتاجها سنوات عديدة وكان من الضرورى تطوير هذا الانتاج وزيادته ليسد حاجة البلاد ـ فكانت قوانين الاصلاحالزراعى لانهاء الاقطاع المسيطر على الزراعة واستبداله باشتراكية التمليك .. والحقيقة ان هـذه القوانين كانت اللبنة الاولى فى رفاهية الفلاح المصرى الذى يمثل قطاعا هاما فى المجتمـع الجديد ـ والقضاء على الاستغلال والسيطرة وقد استفاد من هذه القوانين مليون فرد كانوا معدمين فاصبحوا ملاكا ـ كما تضمن القانون تنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر .. فاعترف بحق الاخير فى الاستقرار فى الارض التى يزرعها والاستفادة من انتاج المحصول حتى يتحفز للعمل المثمر .

والى جانب قوانين الاصلاح الزراعى . . قامت الجمهورية العربية المتحـدة بمحاولات لزيادة الرقعة المنزرعة فخـرجت مشاريع مديرية التحرير والوادى الجديد واستصلاح الاراضى البور . ومشروعات الرى والصرف وشق الترع والقنوات وحمـاية التربة مما يتهددها من آفات والنهوض بالحـاصلات الزراعية وتنشيط زراعة الفواكه والخضر .

كما اعدت خطة للتنمية الاقتصادية فى ميدان المال والتجارة .. فتم تأميم جانب كبير فى هذا القطاع لتأمين الاقتصاد القومى واعيد تنظيم هذا المرفق الحيوى بقوانين تكفل الازدهار وتحقيق العدالة الاجتماعية — ووضعت سياسة قطنية جديدة تناولت تغيير نظام تسويق القطن — واتخذت اجراءات لتوحيد اسعار الصرف الاجنبى وعقدت عدة اتفاقيات دفع على اساس العملات الحرة — وشهد النظام المصرفى تطورات بالغة الاهمية .

ونحن هنا لا نستطيع الاستفاضة فى شرح التطور الاقتصادى السريع فى الجمهورية العربية المتحدة لحماية المكاسب السياسية التى حصلنا علينا ولتدعيم استقلالنا فى الداخل والخارج — فهذا الموضوع لاتستوعبه مجلدات باكملها — ويكفى هنا هذه الاشارة لالقاء الضوء على الطفرة الهائلة التى انطلقت من هذا الميدان لتمضى فى طريقها قوية عملاقة .. ولنقضى على آمال المستعمر فى مداومة سيطرته على الاقتصاد القومى .

ولم يقتصر دور الجمهورية العربية المتحدة فى تدعيم الكيان — الاقتصادى على نفسها .. بل تعداه الى العالم العربى والافريقى ايمانا منها بضرورة ملاحقة محاولات الاستعمار للسيطرة والاستغلال والقضاء عليها — والاخذ بيد هذه الدول الصديقة ودفعها الى الامام لتشق طريقها فى عالم التقدم والازدهار وفى هذا السبيل قامت بمجهود مشكور .

فى العالم الافريقى :

يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى فلسفة الثورة :

((اننا لن نستطيع بحال من الاحوال — حتى لو أردنا أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليوم فى اعماق افريقيا بين خمسة ملايين من البيض — ومائتى مليون من الافريقيين لانستطيع لسبب هام وبديهى — هو اننا فى افريقيا — ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا — نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة والذين تعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .. ولن نستطيع بحال من الاحوال أن نتخلى عن مسئولياتنا فى المعاونة بكل مانستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء)) .

وعاد الرئيس جمال عبد الناصر فى مجال آخر يؤكد حقيقة المعركة فى افريقيا من أجل التحرر الكامل حين قال :

ان الصراع ضد الاستعمار صراع من اجل الارض الافريقية ومن اجل المناجم الافريقية فان الثورة الوطنية هى دعامة العلم الوطنى — ولا يمكن ان يكون مفهوم الاستقلال الافريقى ان نحمل العلم وان نترك الاراضى والمناجم فى يد الاستعمار)) .

وعلى ضوء هذه السياسة وهذا الرأى .. مضت الجمهورية العربية المتحدة فى الميدان الافريقى تحمل فى رأسها فكرة — وفى قلبها هدفا . تأمل فى تحقيقها لصالح أبناء القارة الذين عذبهم الاستعمار وبطش بهم وسلبهم مواردهم ورزقهم ..

فمن المتناقضات الغريبة أن تكون القارة الافريقية من أغنى قارات العالم وفى نفس الوقت أكثرها تخلفا وفقرا — لقد فرض عليها الاستعمار أن تعيش على الزراعة البدائية والرعى والتنقل حتى لا يستقر شعبها على شىء .. وحرمها التمتع من كنوزها التى تعد مصدر ثروة للعالم أجمع — ورأت الجمهورية العربية المتحدة أن تحمل لواء الدعوة لوضع سياسة افريقية موحدة لمواجهة مشكلات الحاضر والمستقبل الاقتصادية — هذه السياسة تتناسب مع عصر التكتلات الاقتصادية الذى يجب ألا تقف الدول الافريقية بمعزل عنه ..

فعليها أن تتبع أسلوبا يحميها من هذه التكتلات — وليكن هذا الاسلوب فى شكل السوق الافريقية المشتركة ..

وقد راعت الجمهورية العربية المتحدة فى سياستها الاقتصادية أن تضع تقدمها الصناعى وتطورها الاقتصادى فى خدمة البلدان الافريقية حتى تحقيق .. التطور الاجتماعى المنشود فى افريقيا ضد التأخر الاقتصادى الذى فرضه عليها الاستعمار ..

ويعيش فى افريقيا أكثر من خمسين مليون عربى - نصفهم تقريبا فى الجمهورية العربية المتحدة والباقى فى السودان والجزائر والمغرب وتونس وليبيا - أى أن أكثر نصف الامة العربية يعيش فى افريقيا فلابد من اهتمام مباشر من جانب العرب بالسياسة الافريقية لانه اهتمام بمصيرهم نفسه - وبكيانهم الخاص ..

والجمهورية العربية المتحدة تقوم فى الوقت الحاضر بدورها الكبير فى تدعيم الاقتصاد الافريقى وخاصة بالنسبة للدول الافريقية الحديثة الاستقلال لانها رات فى هذه السياسة البديل الوحيد عن مساعدات اسرائيل ومعونات الدول الاستعمارية المشروطة والتى تعتبر قيودا على هذا الاستقلال - فقدمت قروضا ومساعدات أخوية لها .. وعقدت اتفاقيات مع كل الصومال ومالى وغينيا - واذا أخذنا احدى هذه الاتفاقيات كمثل من أمثلة التعاون وتوثيق الروابط لوجدنا فيها من الرغبة الصادقة لدفع هذه الدول الى مستقبل مرموق الشىء الكثير .. فهذه الاتفاقية التى عقدت فى القاهرة بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية غينيا فى شهو مايو من عام ١٩٦١ تنص فى شقها التجارى على انها تهدف الى تدعيم العلاقات وتنظيم وتيسير اجراء المدفوعات الجارية وزيادة التبادل التجارى بين البلدين - وتضم هذه الاتفاقية ملحقين الاول عبارة عن قائمة بصادرات الجمهورية العربية - والثانى قائمة بصادرات غينيا - ويطبق كل من الطرفين شرط الدولة الاكثر رعاية على اساس المعاملة بالمثل وتسرى هذه المعاملة على جميع الشئون المتعلقة بالجمارك والاجراءات الجمركية واجراءات الدفع - كما تسرى على جميع الصادرات والواردات من السلع والبضائع وتراخيص الاستيراد والتصدير .. كذلك تسرى المعاملة بالمثل على سفن وطائرات كلا البلدين بالنسبة لرسوم الميناء والمزايا الممنوحة عند دخول الموانى او المطارات وعند مغادرتها - ويسمح كل من الطرفين بمقتضى هذا الاتفاق باقامة اسواق او معارض دائمة أو مؤقتة فى حدود القوانين المعمول بها فى هذا الشأن وأعطاء الافضلية الى الطرف الآخر بالنسبة لمؤسسات النقل فى الاسعار والشروط ..

ويسمح هذا الشرط ايضا بفتح حساب فى البنك المركزى المصرى بالجنيهات المصرية باسم بنك جمهورية غينيا لا تحسب عليه فوائد او مصاريف لضمان سهولة سير المدفوعات بين البلدين - ويمنح كل من الطرفين الطرف الآخر تسهيلات ائتمانية .. عن طريق الحساب المشار اليه فى حدود ٥٠٠ الف جنيه مصرى .

وتنص بعض مواد هذا الاتفاق على طريقة تحرير العقود والفواتير الخاصة بالتبادل التجارى بين البلدين كما تنص على التشاور بينها لحل أية صعوبة قد تنشأ اثناء تنفيذ هذا الاتفاق . .

لذلك ستتألف من الطرفين لجنة مشتركة تجتمع بناء على طلب ايهما وقد تبادل الرئيسان خطابين بالنسبة لهذه الاتفاقية يعتبران جزءا لا يتجزأ منها - احدهما خاص بزيادة حجم التبادل التجارى بين البلدين والاحتفاظ به على اعلى مستوى ممكن بما يوازى على الاقل مليونى جنيه مصرى سنويا .. والثقافى خاص بتأكيد كل من الطرفين عند اختيار وسائل نقل السلع المتبادلة بين البلدين باستبعاد وسيلة للنقل مباشرة او غير مباشرة يكون فيها مصلحة اسرائيلية ..

ولم يقتصر دور الجمهورية العربية المتحدة .. عند هذا الحد .. بل فكرت فى القيام بعدد من المشروعات الهامة تكون بديلا عن مشروعات الاستعمار الاقتصادية فى افريقيا ومن هذه المشروعات ، مشروع انشاء شركة عربية لتنمية تجارتنا مع افريقيا برأس مال عربى ضخم للقيام باعمال مصرفية فى افريقيا تقوم على تمويلها بنوك المؤسسة الاقتصادية ومؤسسة مصر - وسوف يكون للشركة الجديدة دور كبير فى تنشيط التجارة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة مع البلاد الافريقية .

وقد بدأ التفكير فى هذا المشروع بمحاولة لفتح فروع للبنوك التجارية العربية — ثم رؤى العدول عنه لانه يحتاج الى امكانيات كبيرة ورءوس أموال ضخمة تقف وراء المشروع وعلى ضوء ذلك رؤى أن تسهم البنوك مجتمعة فى هذا المشروع الوطنى الذى لن يقتصر تنفيذه على جهد واحد ..

وكان المؤتمر الاقتصادى الافريقى الذى عقد فى القاهرة فى عام ١٩٦٢ مجالا واسعا لتبادل الرأى واقتراح الحلول فيما يختص بالتكتلات الاقتصادية الاستعمارية — والادوات التى تدفع بها فى هذا الميدان من عملاء واذناب وما ينبغى اتخاذه من اجراءات موحدة لمواجهة هذه التكتلات وتجنب اضرارها واخطارها على اقتصاديات الدول الافريقية والدول النامية على وجه العموم .

فمن المعروف أن دول السوق الاوربية المشتركة قد نشطت فى فتح مجالات لها فى البلاد الافريقية واستطاعت بفضل نفوذها أن تقنع عددا من الدول الافريقية بالانضمام الى هذه السوق كأعضاء منتسبين لتظهر فى الافق خطورة هذا الوضع الذى يهدد الاقتصاد الافريقى بربطه بالاقتصاد الاستعمارى مرة أخرى .. وكان الموضوع الهام مثار المناقشة فى المؤتمر الاقتصادى الافريقى الذى أصدر بخصوصه توصيات تتلخص فى ضرورة محاربة هذا الاتجاه واقناع الدول الافريقية المنتسبة للسوق الافريقية المشتركة بخطر هذا الانضمام على الكيان الاقتصادى فى أفريقيا عامة — وفى هذه الدول خاصة وضرورة حماية الاقتصاد الافريقى من التلاعب والاهواء التى تقصد به السوء — ومن هذا المؤتمر خرجت دعوة التدعيم الكامل لفكرة السوق الافريقية المشتركة ..

وفى مؤتمر التجارة والتعريفة الجمركية الذى عقد فى جنيف فى أواخر مايو ١٩٦٣ تقدم وفد الجمهورية العربية المتحدة بعدة مقترحات للنهوض بالدول الافريقية النامية ومن أهم القرارات التى تمت الموافقة عليها ما يلى :

١ — التوقف عن فرض قيود جديدة على صادرات الدول النامية وعدم زيادتها .

٢ — الغاء التعريفات الجمركية التى تفرض على المنتجات الاستوائية عند دخولها الى الدول الصناعية الكبرى .

٣ — الغاء التعريفة الجمركية على المواد الاولية الهامة التى تنتجها الدول النامية ..

٤ — ان تقوم الدول الصناعية الكبيرة بتخفيف — ثم الغاء التعريفات الجمركية على السلع نصف المصنوعة وعلى السلع المصنوعة التى تنتجها الدول النامية .

كذلك طالب الوفد بحل مشكلة الحصيلة المحدودة للدول النامية من العملات الاجنبية واتخاذ توصية بانشاء لجنة متفرعة من المؤتمر تقوم باجراء دراسة شاملة حول هذه المشكلة — وذلك لحاجة الدول النامية وخاصة فى أفريقيا الى موارد اضافية للعملات الاجنبية لسد الفراغ بين الحصيلة المحدودة لصادرات الدول النامية واحتياجات الاستيراد بها .. وأن أغلب واردات الدول النامية تتكون من العدد والالات اللازمة لخطط التنمية الاقتصادية والتى لا يمكن تمويلها كلها على أسس الاتفاقيات التجارية ..

كما تقدمت ج.ع.م فى هذا المؤتمر بمشروع يقضى بضرورة منح الدول النامية امتيازات خاصة تطبق على منتجاتها .. واستطاعت بفضل قوة اقناعها أن تذلل الصعوبات التى اعترضت هذه المشاريع من جانب الدول الكبرى التى يهمها الا تخرج هذه المشروعات الى عالم النور ..

والحقيقة التى لا مراء فيها ان الدور الذى تلعبه الجمهورية العربية المتحدة فى النهوض الاقتصادى بالدول الافريقية وتخليصها من رواسب الاستعمار دور جدى بالغ الفعالية . واضح ، موضع ثناء وتقدير الافريقيين جميعا .. فى مختلف الاوطان وعلى شتى المستويات وقد شهد لها بذلك أقطابهم فأشار الامبراطور هيلاسلاسى بالسياسة السليمة التى ينتهجها الرئيس جمال عبد الناصر بالنسبة لافريقيا

والعالم العربى كما أشاد بالمواقف الحكيمة للرئيس ازاء القضايا الافريقية والعربية ووصفه بأنه يتسم بالاخلاص والصدق وتتوافر فيه النية الطيبة . وقال الرئيس سيكوتورى ان خطة التنمية الاقتصادية التى تتبعها الجمهورية العربية المتحدة سوف تحقق الرخاء العام وأن الاعمال العظيمة التى قامت بها ثورة مصر ليست انتصارا لنا فحسب بل هى انتصارات لافريقيا كلها ..

هذه نظرة سريعة الى دور ج.ع.م النهوض بالاقتصاد الافريقى .. وسوف نعود الى الكلام عن هذه السياسة ضمنا فى سياق الحديث عن موضوع « من الدار البيضاء الى اديس ابابا .. »

دور البلاد العربية وجالياتها :

وقد قامت فى البلاد العربية المتحررة دعوة الى مساندة الجمهورية العربية المتحدة فى سياستها الاقتصادية المتحررة بالنسبة للبلاد الافريقية .. فليس من المعقول أن تقوم وحدها بهذا العبء كله .. وعلى الدول العربية الاخرى — وخاصة البلدان ذات الثروات الطائلة — أن تسهم فى هذا الصعيد — وبدلا من أن تضع أموالها فى البنوك فانها تستطيع عن طريق تحريك رأسمالها أن تظفر برضا شعوبها — ومودة الدول الافريقية وتسهم فى المعركة المشتركة لحفظ كيان الوطن الافريقى .. فهذه الدول تحتاج الى مساعدات نزيهة تجنبها الوقوع فريسة الاستغلال والاستعمار وليس مثل الشعب العربى من يحس المأساة الاستعمارية ويشعر شعور الدول حديثة العهد بالاستقلال ..

وأن تدعيم الصلات الاقتصادية بين الدول العربية والدول الافريقية عن طريق الاستفادة من الخامات والمواد الاولية والخبرات والتقدم فى شتى الميادين فى بعض دولها — وتبادل هذه الخبرات .. والخيرات بما يحقق الرفاهية والازدهار لمجموعة الدول العربية والافريقية لمن أهم ما تهدف اليه العناصر الوطنية المتحررة ويتم هذا الأمر عن طريق دراسات مستفيضة للمواد الاولية والحاصلات الزراعية والثروة الحيوانية .. والثروة المعدنية والمنتجات الصناعية وبالاختصار التنقيب والبحث عن كافة الامكانيات الموجودة فى هذا البلد أو ذاك ومعرفة مدى فاعلية التنسيق بينها حتى تتحقق الفائدة المرجوة . ويعود النفع على كل البلاد التى تدخل فى هذه الدائرة .

وعلى الدول العربية المتحررة دور هام فى تحقيق هذه السياسة .. فلا بد لها من تقديم المساعدات التى تغنى الدول الافريقية عن مساعدات اسرائيل .. وفى امكان الدول العربية أن تسهم فى انعاش الاقتصاد الافريقى على أساس المنافع المتقابلة والمصلحة المتبادلة .. فهذه الدول تحتاج الى رءوس أموال عربية للاستثمار فى الاقتصاد الافريقى وقد قامت الجامعة العربية ووضعت أسسا لمؤسسة الانماء الاقتصادى ساهمت فيها بعض الدول العربية وفى وسع مثل هذه المؤسسة أن تعمل فى أفريقيا وتقوم بانشاء صناعات محلية كصناعة الاسمنت والاغذية المحفوظة وغيرها — كما أن هناك ثروة سمكية فى سواحل افريقيا وخاصة فى سيراليون حيث يكثر السمك وخاصة سمك التونة .. وفى الامكان تصنيع هذه الثروة السمكية كما أن الدول العربية المنتجة للنفط فى وسعها أن تقوم بتأسيس مصفاة فى غينيا مثلا أو فى ميناء افريقى وهى بذلك أولا تساعد على انماء الاقتصاد الافريقى وثانيا تستطيع تصريف حصتها العينية من النفط الخام عن هذا الطريق بدلا من أن تعيد بيعها الى الشركات النفطية المستثمرة بنفس شروط الامتياز ..

كما أن الدول العربية عليها أن تساعد جالياتها العربية ماديا وترشدها الى وجوب تنفيذ طرقها فى استثمار رءوس أموالها — فقد مضى الزمن الذى أصبح فيه التاجر المصرى قادرا على مزاولة تجارة الصادر والوارد لان الافريقيين بداوا يشعرون بأن من حقهم دخول هذا الحقل — ويرون فى منافسة هؤلاء لهم فى الرزق الحلال ما يذكرهم بالعهد

الاستعمارى البغيض ـ لذلك فان تجارة الفرد ستفرض عليها قيــود فى المستقبل القريب تحول دون هؤلاء الافراد من الجاليات العربية من مزاولة أعمالهم .. فعلى دولهم أن توجههم الى استثمار أموالهم عن طريق الصناعة وعن طـريق شركات المقاولات والبناء والاعمـــال الكبرى ..

أما الجاليات العربية فيمكن أن تقوم بدور فعال فى توثيق روابط الصلات بين الاقتصاد العربى والاقتصاد الافريقى .. وتتركز هذه الجاليات فى مناطق شرق أفريقيا وغربها .. كما تنتشر فى جميع أرجاء القـارة .. وقد حمل العرب فى يوم من الايام لواء الاقتصاد الافريقى يوم هاجروا الى هذه القارة بقصد التجارة .. ويوم أن حملوا رسالة الاسلام الى ربوع أفريقيا وأسسوا الدول الاسلامية فى هرر والصـــومال والاوجاديين ومالى ـ وكانت لهم سطوة فى غانا وغينيا وســاحل أفريقيـــا الغربى .. وقد أدخل العرب فى أفريقيا نظما اقتصـــاديا نقلوها من عالمهم المزدهـر بالمعاملات المنتظمة فى التصـــدير والاستيراد ـ والصناعات والتسويق والمقايضة وأعمال أخرى شبيهة بأعمال البنوك الان .. وكانت سمعتهم الطيبة ونظامهم الدقيق سببا هاما من أسباب رسوخ أقدامهم فى أفريقيا من الناحية الاقتصادية شهد لها الاســتعمار بالبراعة والتفوق ..

ولا زالت الجاليات العربية فى أفريقيا تقوم حتى اليوم بدورها فى الاقتصاد الافريقى رغم ما تعرضت له من صـــــنوف الحرب وتضييق الخناق والمزاحمة من جانب رأسمال الاستعمار .. وانطلق التجــار العرب بقلة امكانياتهم وضعف موقفهم .. يؤدون رسالتهم. ونشطوا ما وسعهم النشاط فى غانا وغينيا والسنغال وساحل العاج ومدن غربى افريقيا ـ كما لمعوا فى مناطق الشرق .. والوسط ـ ليس فى الميدان الاقتصـــادى فحسب بل فى الميدان السياسى حيث أســـهموا بنصيب موفور فى مساندة الحركات الوطنية التحررية فى نضالها للتخلص من الاستعمار ـ فكان هذا دليلا على مدى التجارب بين العناصر العربية والعناصر الافريقية ... هـــــذه الجاليات العربية يمكن أن تقوم فى الوقت المناسب بدورها كسفير اقتصادى لدى الدول الافريقية ـ ويستفاد من خبرتها واتصالاتها فى تنشيط الصلات الاقتصادية بين العـــالم العربى والعالم الافريقى ...

((دكتور محمد المعتصم سيد))

كيف دخل الاستعمار زنجبار

للدكتور على ابراهيم عبده

تتخذ الاجراءات فى هذه الايام لاعلان استقلال جزيرتى زنجبار وبمبا ، وفى هذا المقال احاول توضيح كيف استعمر البريطانيون هاتين الجزيرتين .

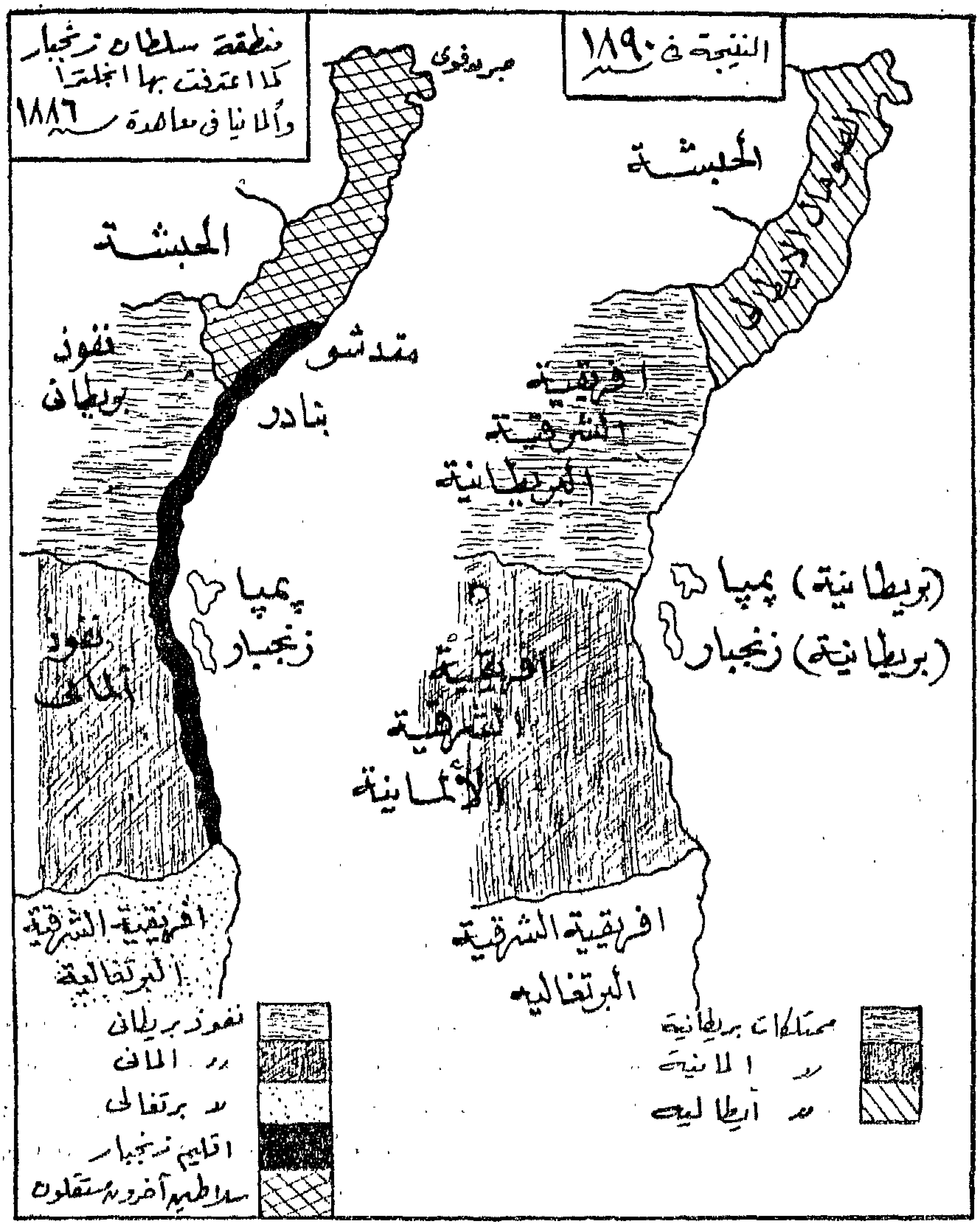
حتى أوائل عام ١٨٨٥ لم تكن اية دولة أوروبية تمتلك مترا مربعا واحدا فى ساحل زنجبار وشرق افريقية . ولكن ماجاءت سنة ١٩١٤ الا وكان شرق افريقية ، من الصومال الايطالى شمالا الى افريقية البرتغالية جنوبا تحت سيطرة الدول الاوروبية ، وقد تم القضاء على سيادة واستقلال هذا الجزء من افريقية فى اقل من عشر سنوات ، وبدأ استعماره فجأة فى عام ١٨٨٥ .

فمن منتصف القرن الثامن عشر كان معظم هذا الساحل الافريقى ملكا لامام عمان . وفى سنة ١٨٠٤ أصبح السيد سعيد اماما على عمان ، ونجح فى جعل سلطته فعالة وقوية فى زنجبار وممتلكاته على ساحل افريقية . وقرب نهاية عهده اتخذ زنجبار مقرا له ، وترك أحد أولاده حاكما على مسقط وبعد وفاته فى سنة ١٨٥٦ ، بخمس سنوات انفصلت زنجبار عن مسقط ، واصبح السيد مجيد سلطانا على زنجبار وشرق افريقية . ومن سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٨٨٨ كان السلطان على هذه الجهات هو السيد برغش وكانت العلاقة بين شرق افريقية واوروبا فى الفترة من سنة ١٨٢٠ الى بدء استعماره فى سنة ١٨٨٥ تتلخص فى ان بريطانيا كانت تحتل مكانا خاصا لدى السلطان للاسباب الاتية :

١ – أن بريطانيا كانت تسيطر على الهند وهذه السيطرة جعلتها تهتم بالخليج الفارسى وبكل من مسقط وعمان . وفى سنة ١٨٢٠ ارسلت حكومة الهند حملة الى هذه الجهات لتتعاون مع السيد سعيد فى معاقبة القرصان العرب .

٢ – ان التجارة فى زنجبار كان اغلبها فى يد الرعايا الهنود ، وكانت العلاقات بين زنجبار والهند قوية جدا .

٣ – ان بريطانيا عقدت فى سنة ١٨٧٣ معاهدة مع السلطان برغش ، حرم فيها تصدير الرقيق من ساحل افريقية ، واقفلت جميع الاسواق العامة للرقيق فى ممتلكاته ، وحصلت بريطانيا والهند من جراء هذه المعاهدة على نفوذ ومركز خاص عند السلطان . ومما زاد فى هذا النفوذ بعض العوامل الشخصية ففى سنة ١٨٧٣ أيضا عين الدكتور جون كرك ، وكان طبيبا للوكالة البريطانية فى زنجبار ، قنصلا عاما لبريطانيا ومندوبا سياسيا بها . وقد اصبح بنفوذه فى هذه الوظيفة القوة المحركة للسلطان . وقد تنحى عن الوظيفة فيما بعد ، وأصبح أحد مديرى شركة شرق افريقية البريطانية والشخصية الثانية ، التى جعلت العلاقات قوية جدا هو سير لويد ماثيوز ، الذى وصل الى شرق أفريقية كملازم طرادة بريطانية سنة ١٨٧٥ . وفى سنة ١٨٧٧ استطاع كيرك ، بنفوذه لدى برغش أن يقنعه بضرورة تأسيس قوة مكونة من خمسمائة رجل مسلحين باسلحة حديثة تحت قيادة ضابط انجليزى ، ورشح ماثيوز لهذا العمل ، واستعير من البحرية البريطانية . وفى سنة ١٨٨١ استقال من البحرية ، وعين اميرالايا لجيش زنجبار ، وظل فى هذه الوظيفة حتى توفى عام ١٩٠١ .



٤ ـ انه فى سنة ١٨٧٢ اسست شركة ملاحية بريطانية ، تربط الهند وزنجبار واوروبا ومؤسسها شخصية هامة جدا ، هو السيد وليم ماكينون ، ويخبرنا وليم ماكينون هذا ان السلطان برغش استطاع أن يقدر بذكائه ، الفوائد التى ستعود على دولته من هذه الشركة ، والتى ستعود على شعبه من توثيق الروابط بينه وبين المصالح البريطانية التجارية ، لدرجة ان السلطان فى سنة ١٨٧٧ عرض على سير وليم امتيازا لمدة سبعين سنة ، يتناول الجمارك والادارة فى جميع ممتلكات السلطان والسيادة المطلقة على جميع هذه الممتلكات بتحفظات بسيطة فيما يتعلق بجزيرتى زنجبار وبمبا . وليس بمستبعد ، انه نظرا الى صعوبات لغوية ، لم يفهم سير وليم حقيقة اغراض السلطان ونواياه . ولكن مع ذلك يمكن القول انه كان من السهولة بمكان لمدير شركة ملاحية كبيرة ان يستولى على أى جزء من ممتلكات السلطان فيما بين ١٨٧٠ و ١٨٨٠ ، لان النفوذ البريطاني كان على

نشده فى هذه الفترة .

الا أن الجو لم يصفُ لبريطانيا لابتلاع جميع هذه الممتلكات ، اذ ان دولا اوروبية أخرى تقدمت للاشتراك فى الاستعمار ، واهمها الامبراطورية الالمانية . وقد بدأت علاقات المانيا مع ساحل افريقية الشرقى بشكل تجارى ، اذ تأسست شركات المانية ، فى العقدين الرابع والخامس من القرن التاسع عشر ، للتجارة على ساحل الصومال وزنجبار وموزمبيق ومدغشقر . وكان يرافق التجارة دائما نشاط كشفى ، لان المذهب السائد فى أوروبا فى ذلك الوقت ، هو ان الدولة ، التى ينتمى اليها الكاشف تسيطر على مايتم كشفه بوساطته . وقد نجحت المانيا فى ارسال تجار وكاشفين ممتازين ، ولكن بريطانيا كانت تستطيع ان تستند الى رعاياها الهنود ، الذين كان فى يدهم معظم التجارة المحلية ، والى نفوذ كيرك وماثيور وماكينون ، بالاضافة الى الكاشفين البريطانيين ، من أمثال سبيك وبرتون . فاذا جاءت المانيا فى سنة ١٨٨٤ ، وادعت احقيتها فى حرمان سلطان زنجبار ، أو ملك اوغنده ، من ممتلكاته ، فان بريطانيا كانت اقوى فى هذا الادعاء ، او على الاقل تستطيع ان تنادى بأحقيتها فى حرمان هؤلاء السلاطين من اراض أكثر اتساعا بمقارنتها بألمانيا . وما حدث هو أنه من أول سنة ١٨٨٠ فما بعد ، بدأت الحكومات الاوروبية فى الاستيلاء على بعض المساحات من الساحل الافريقى .

وبدأ تفكير الاستعماريين الالمان فى ساحل شرق افريقية ، وفى الحقوق التى أسسها التجار فى هذه الجهات . ومن اهم الشخصيات الالمانية فى استعمار هذا الساحل الكاشف الكبير دكتور كارل بيترز ، ففى ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤ اسس بيترز وبعض الاستعماريين الالمان جمعية أطلق عليها اسم « الجمعية الالمانية للاستعمار » . وفى ١٠ نوفمبر من نفس السنة هبط بيترز ، ومعه ثلاثة افراد آخرين ، ساحل افريقية الشرقى ، واختفوا فى الداخل . ونجح بيترز فى الحصول على عدد كبير من المعاهدات ، أبرمها مع عدد من الحكام الوطنيين ، خلال الثلاثة شهور ، التى قضاها فى الداخل . وفى هذه المعاهدات قيل ان هؤلاء الحكام تنازلوا عن مساحات واسعة من الاراضى للشركة الالمانية . ثم توجه بيترز الى برلين ، ووصلها فى فبراير سنة ١٨٨٥ ، وبعد أيام من وصوله منحت الحكومة الالمانية شركة الاستعمار الافريقى مرسوما بتأسيسها . وفى ٦ مارس اخطرت الدول الموقعة على اتفاقية برلين سنة ١٨٨٤ ، ان الشركة الالمانية قد حصلت على أراض وحقوق سيادة فى بعض الممتلكات التابعة لملكة زنجبار وانها التمست من امبراطور المانيا منحها مرسوما ، والتكفل بحمايتها . والمهم فى ذلك — انه حسب اتفاقية برلين — ان اى دولة تعقد معاهدات مع حكام محليين ، وتخطر الدول الاخرى بها ، معناه الحماية على هذا الاقليم . فعملية الاخطار نفسها كان معناها اعلان الحماية الالمانية على هذه الاجزاء من افريقية .

وبطبيعة الحال ، أحدث الاخطار جزعا فى لندن ، وفى زنجبار . فسلطان زنجبار كان يعتبر نفسه صاحب السيادة على هذه الاراضى . وفى ٢٧ ابريل ارسل الى امبراطور المانيا احتجاجا على وضع جزء من أراضيه تحت الحكم والسيادة الالمانية . وذكر فى احتجاجه ان زنجبار كان لها حاميات عسكرية هناك ، وان رؤساء القبائل ، الذين وقعوا المعاهدات مع رسل الشركة ، لم تكن لهم السلطة فى توقيع هذه المعاهدات . .

وكان الرد الالمانى قصيرا وبسيطا ، فقد كلف القنصل الالمانى فى زنجبار ، بأن يخطر السلطان بأن الاحتجاج والحقوق ، التى نسبها لنفسه ، لم يكن لها أى اساس . وبعد ذلك بقليل فى ١٢ يونية كرر السلطان احتجاجه فى خطاب الى بسمارك ، وعرض عليه تأليف لجنة للتحكيم فى المسألة ، وان تتكون من فرنسا وانجلترا . وكان الرد عليه ايضا بسيطا ، اذ جاء فيه ان ما استولت عليه ألمانيا كان مستقلا عن زنجبار . واشير فى الرد الى المعاهدات المختلفة ، التى تم ابرامها مع الحكام المحليين .

اما من ناحية الالمان ، فقد كانوا يدركون ان الخطر الحقيقى ليس فى زنجبار ، بل فى لندن .

فالعملية السياسية هنا من نوع دقيق جداً من الناحية الاستعمارية . ففى ٦ مارس سنة ١٨٨٥ أخطر سفير المانيا فى لندن الحكومة البريطانية بالحماية الالمانية ، وبالامتيازات التى حصلت عليها الشركة . وكان الرد الانجليزى سريعا ، وله مغزى كبير جدا ، ففى ٢٥ مايو ارسلت الحكومة البريطانية الرد ، واشارت فيه الى احتجاج سلطان زنجبار ، وأخطرت الحكومة الالمانية بأن حكومة بريطانيا مقتنعة بأنه ليس فى نية المانيا الاعتداء على استقلال زنجبار ، على أنه يوجد بعض الغموض فيما يتعلق باتساع ممتلكات السلطان فى افريقية ، وأن الحكومة البريطانية لا تمانع فى استعمار المانيا لبعض هذه الاجزاء ، ولكن هناك مشروع ، يقوم به بعض كبار الرأسماليين البريطانيين لاستعمار الجزء الواقع بين الساحل الشرقى والبحيرات ، التى تعتبر منابع نهر النيل ، والتى ترغب بريطانيا فى ربطها بالساحل بخط حديدى . فلكى تتجنب الدولتان تضارب مصالحهما تقترح الحكومة البريطانية تعيين الحدود بينهما .

هذا الرد معناه أن انجلترا رحبت بأخذ المانيا جزءا ، وانها هى الاخرى ستأخذ جزءا آخر . ووافقت المانيا على الاقتراح الانجليزى ، كما انها ابدت استعدادها للانضمام الى اتفاقية ، كانت قد عقدت سنة ١٨٦٢ بين فرنسا وانجلترا ، لضمان استقلال زنجبار ، ووافقت على تعيين لجنة محايدة لتحديد ممتلكات السلطان ، ولتحديد الاراضى الالمانية والبريطانية فى الوقت نفسه .

من هذا نرى أن الحكومة البريطانية اتبعت الاساليب الاستعمارية ، التى كانت تعترض احيانا عليها ، اذا قامت بها دولة أخرى ، وهى ، اذ أشارت الى جماعة الرأسماليين البريطانيين فى ردها ، كانت تقصد الجمعية التى كانت قد ألفت فى لندن عقب سماع أخبار الحملة الالمانية ، وكانت تسمى « الجمعية البريطانية لشرق افريقية » ، والتى تحولت — بعد قليل من انشائها — الى شركة مساهمة تحت اسم « الشركة الامبراطورية البريطانية لشرق افريقية » . وكما أن الحكومة الالمانية أعطت شركتها هذه الاراضى الواسعة لاستغلالها فقد فعلت الحكومة البريطانية الشىء نفسه .

واستمرت الشركة الالمانية تعضدها حكومتها فى تحقيق رسالتها الاستعمارية دون اى مواربة . ولكنها فشلت ماديا ، بالرغم من دقة النظام والقسوة ، التى استعملت ، وانتهت حياتها كشركة سنة ١٨٩٠ ، اذ استولت عليها الحكومة .

اما الجانب البريطانى ، فلا نلاحظ فى أغراضه الصراحة ، التى لمسناها فى الجانب الالمانى ، فمع ان وضع الشركة يجعلها شركة تجارية ، فان الانجليز أعلنوا عن أهداف بعيدة عن معنى الاستغلال الاقتصادى . أهداف قد تنبعث من الوازع الدينى أو الانسانى ، وأبعد ما تكون عن شراء السلع ، من ارخص الاسواق لبيعها فى أغلى الاسواق ، وهى أغراض الشركات التجارية . فهؤلاء التجار ، اذا صحت التسمية ، ضموا الى بريطانيا أراضى واسعة ، من أفضل الاراضى الافريقية . ولكن النتيجة كانت خسارة مادية للشركة ، وسفك كميات كبيرة من دماء الافريقيين .

وعلى العموم كان الموقف يتلخص فى منتصف عام ١٨٨٥ فيما يأتى :

أولا : ان المانيا أعلنت حمايتها على جزء من شرق افريقية ، ومنحت مرسوما بتأسيس الشركة .

ثانيا : ان زنجبار نادت بملكيتها لهذه الارض ، واحتج سلطانها .

ثالثا : فى خلال شهر من الخطوة التى اتخذتها المانيا ، كون الرأسماليون البريطانيون جمعية ، اعترفت الحكومة البريطانية بأغراضها ، وأخطرت المانيا بوجودها ، وبأن لبريطانيا مصالح فى الجزء الواقع شمال المنطقة الالمانية .

رابعا : كانت طبيعة المصالح البريطانية غامضة . ولكن بما ان الاراضى تقع بين الساحل والبحيرات ، فكان لابد من تبعيتها الى سلطان زنجبار أيضا .

خامسا : اقترحت الحكومة البريطانية تأليف لجنة لتعيين الحدود بين الاراضى

الالمانية والبريطانية ، ومعنى هذا فى الواقع تقسيم شرق افريقية بين الدولتين .

وما حدث بعد ذلك يسير جدا ، ففى أكتوبر عينت اللجنة . وفى ٩ يونية سنة ١٨٨٦ وضعت تقريرها . وهذا التقرير سيثير الاهتمام ، اذ ورد فيه باجماع الآراء ، أن للسلطان حقوق سيادة لا تنكر على جزيرتى زنجبار وبمبا ، وكذلك على اجزاء ساحلية من افريقية ، تمتد عشرة أميال من الساحل ، فيما بين افريقية الشرقية البرتغالية من الجنوب ومقدشيو من الشمال . وتلا ذلك تبادل مذكرات بين المانيا وبريطانية ، انتهت بتوقيع معاهدة ٢٩ أكتوبر / ١ نوفمبر سنة ١٨٨٦ ، التى اتفق فيها على الاعتراف بتوصيات اللجنة ، التى أعطت السلطان حقا فى الجزيرتين والعشرة اميال . ثم قسمت الاراضى الداخلية الى منطقتى نفوذ : الشمالية بريطانية والجنوبية ألمانية . وتعهدت بريطانيا بأن تؤيد المانيا فى مفاوضتها مع السلطان ، كى يؤجر للشركة الالمانية جمارك الموانىء الهامة ، وخصوصا دار السلام ، فى نظير مبلغ سنوى يدفع له ، مع ان السلطان لم يخطر بذلك كله . فبريطانيا فى ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٦ ، أبلغت الاتفاقية للسلطان ، راجية منه أن يدرك الروح الودية ، التى ادت الى الوصول الى هذه الاتفاقية ، وان استعداده للتمسك بشروطها سيساعده على حل المشكلات ، التى قد تعرض مصالح السلطنة للخطر ، حلا مرضيا . وورد فى خطاب هولمود ، قنصل بريطانيا فى زنجبار ، المؤرخ ٣ ديسمبر سنة ١٨٨٦ ، والموجه الى السلطان يبلغه فيه الاتفاقية ما يأتى : « ان حكومة جلالة الملكة تثق فى تقدير سموكم للروح الودية ، التى أدت الى هذه الاتفاقية ، وان استعدادكم للتمسك بشروطها ، سوف يساعد على حل المشكلات ، التى قد تعرض مصالح السلطنة للخطر ، حلا مرضيا » .

ومعنى ذلك الاتفاق على تقسيم املاك السلطان بروح الصداقة ، كما طلب منه الموافقة على الاتفاقية بالتهديد . فروح المودة والتهديد أديا الى النتيجة المطلوبة ، اذ وافق السلطان ، بعد ٢٤ ساعة ، على كل ما طلب منه ، وذلك بمقتضى خطابه المؤرخ ٤ ديسمبر سنة ١٨٨٦ الى هولمود قنصل بريطانيا .

والمهم فيما سبق ان انجلترا والمانيا حصلتا على موافقة السلطان على تقسيم مملكته فى افريقية ، فيما عدا المنطقة الساحلية ، التى اعترفت لجنة الحدود بأن للسلطان سيادة عليها الى مدى عشرة اميال الى الداخل . كما أن الدولتين اخذتا ما يوازى جميع حقوق السيادة فى هذه المنطقة أيضا ، من استثمار أراض ومد طرق مواصلات وفرض ضرائب ، واستأجرتا منه الجمارك . وفى نظير كل هذه الامتيازات حصل السلطان على سهم من أسهم كل شركة تؤسس . وكان هذا السهم يخول له أخذ ١٠ ٪ من صافى أرباح الشركة بعد دفع نصيب الاسهم العادية للمساهمين بواقع ٨ ٪ . كما اتفق على اعطاء السلطان مبلغا سنويا يعادل ايراد الجمارك . هذا هو نصيبه نظير كل هذه الامتيازات . وقد اتضح أن النصيب الاول كان وهميا بحتا ، لان الشركات لم تستطع مطلقا أن تدفع ارباحا تعادل ٨ ٪ للمساهمين العاديين ، وبذلك لم يبق للسلطان اى فائض . ولم يتناول من الشركتين ، أو من الحكومتين الانجليزية والالمانية ، الا رسوم الجمارك . والخلاصة أن السلطان جرد من المنطقة الساحلية ايضا ، ولم تبق له من مملكته ــ حتى ذلك الوقت ــ سوى زنجبار وبمبا وبعض جزر صغيرة أخرى .

ثم وقعت المانيا مع بريطانيا معاهدة فى اول يولية سنة ١٨٩٠ ، حصلت بمقتضاها المانيا على جزيرة هلجولاند فى بحر الشمال ، مقابل تعهدها بأن تقصر نشاطها فى افريقية الشرقية على المنطقة المعروفة الآن باسم تنجانيقا ؛ وبأن تترك زنجبار ضمن النفوذ البريطانى . ثم دعم البريطانيون مركزهم فى زنجبار ، التى دخلت تحت الحماية البريطانية ، رغم وعود البريطانيين المتكررة لمختلف السلاطين بأن يحترموا استقلالها . وفى غضون هذا العام سوف يتم استقلال زنجبار ، وتصبح دولة ذات سيادة ، تسير فى الركب الافريقى المتحرر .

شرق افريقية يرقص على طبول زنجبار..



بقلم : لمعى المطيعى

يقــول الكاتب البريطانى « ل . و . هولينجزورث » ـ المتخصص فى شئون شرق افريقيا :

(عندما تدق الطبول فى زنجبار ، ترقص على نغماتها شعوب شرق افريقيا) .

وهذا القول اشارة بيانية الى امرين :

الاول : المركز الذى تحتله زنجبار فى منطقة شرق افريقية باسرها .

والاخر : الترابط الوثيق بين أقاليم شرق افريقيا الاربعة .

وفى مؤتمر شعوب آسيا وافريقيــا الذى انعقد فى تونس من ٢٥ ـ ٢٩ يناير من عام ١٩٦٠ أشار رئيس وفد زنجبار الى المركز الهام الذى تحتله زنجبار فى شرق افريقيا ، والتراث الحضارى العريق الذى تتمتع به البلاد .. والواقع أن حضارة زنجبار تضرب جذورها الى فترات بعيدة فى التاريخ وهناك كتابات قديمة تشير الى ذلك . وان كان كثير من الكتاب الاجانب قد أقروا باهمية زنجبار وخاصة فى ظل حكم سلاطين « آل بو سعيد » وفى عهد السلطان « ســعيد » حيث كانت مدينة (زنجبار) أكبر ميناء فى شرق افريقيا ، واكبر مستودع للتجارة الافريقية والاسيوية والمـورد الرئيسى لتزويد العالم بالقرنفــل واكبر سوق لتجارة سن الفيل .. الا اننا نجد فى كتابات « ابن بطوطة » ـ فى القرن الرابع عشر الميلادى ـ اشارات الى حضارة زنجبار التى اذهلت الرحالة العظيم .

وفى الفترة الاخيرة ـ والحركة التحررية فى زنجبار تسير بخطى ثابتة نحو الاستقلال والتخلص من نير الاستعمار البريطانى بعد احتلال دام ما يقرب من ثلاثة ارباع القرن ، تزداد اهمية زنجبار بالنسبة لمنطقة شرق افريقيا .. حيث تحدث تطورات على جانب كبير من الخطورة لا بالنسبة لشرق أفريقيا وحدها بل بالنسبة لوسط افريقيا ايضا .. اذ اننا نلحظ ما يلى :

أولا .. اقاليم شرق افريقيا الاخرى مثل كينيا وتنجانيقا وأوغندا قد سارت فى طريق الاستقلال .

ثانيا .. تتجه الحركة الوطنية فى شرق افريقيا الى تحقيق انجازات اجتماعية جذرية وقد صرح كنياتا ونيريرى باهمية الاشتراكية كطريق اجتماعى لبعد الاستقلال الوطنى .

ثالثا .. ارتفاع موجة المطالبة بوحدة شرق افريقيا ، كطريق طبيعى للتطور الافريقى .. لا على نطاق شرق افريقيا فحسب بل على نطاق القارة بأسرها ومن هنا يلحظ المراقبون

الاهتمام المتعاطف من جانب الحركات الوطنيه فى شرق افريقيا ازاء عملية الانتخابات التى جرت خلال النصف الاول من شهر يوليـو فى زنجبار .

ولهذا لم يكن من الغريب أن يلقى الاستعمار العالمى بثقله ازاء تطور الحركة الوطنيـــة التحررية فى زنجبار وذلك دفاعا عن مخلفات نفوذه فى شرق افريقيا ودفاعا عن القـواعد الصاروخية التى استطاعت أمريكا أن تقيمها .. وكان الســلاح فى هذه المعركة يســـير فى خطين :

الخط الاول : بذر بذور الخـلافات بين أقاليم شرق افريقيـــا وهى زنجبار وكينيا وأوغندا وتنجانيقا .. حتى تضع العراقيــل أمام المد الثورى الصاعد نحو وحدة شرق افريقيا ..

الخط الاخر : بذر بذور الخـلافات بين العناصر المختلفة التى تكون منها شعب زنجبار تاريخيا .

وحقيقة الامر أن شرق افريقيـــا تعرض - خلال التاريخ - لحركة اتصال فعال مع تيارات بشرية مختلفة من الاشوريين وقدماء المصريين والهنود والصينيين والفرس والعرب .. وقد تركت هذه التيارات البشرية آثارها - بدرجات متفاوتة - فى سائر المنطقة .

الا أن ما يخشاه الاستعمار ، هو أن التيار العربى كان أقوى هـذه التيارات البشرية عمقا وتأثيرا فى المنطقة - وفى زنجبار بالذات . وقد تبلور هذا الاثر العربى واخـــذ شكلا حضاريا له قيمه المادية والروحية عنـد ما تطعم بالاسلام .

ومن هنا يخشى الاستعمار الحركة الوطنية فى زنجبار لانه يدرك ارتباطها التراثى بالعرب والاســـلام .. فركز فى السنوات الاخيرة بالذات - وزنجبار على وجه الاستقلال - على اثارة النزعات القبلية والطائفية بين العناصر التى تكون منها شعب زنجبـــار تاريخيا ، وهذه العناصر هى (العرب) و (شيرازى) و (الافريقيين) و (الهنود) و (الكوموريان)

ويرجع دخول الفرس الى زنجبار الى عام ٧٤٠ م فى عهد الامير الفارسى (حسن بن على) من شيراز وهو من أم حبشية .. واما الهنود فكان اتصالهم بالمنطقة على فترات متباعدة ، وان كانوا قد وجـــدوا فرصتهم فى عهـــد (السلطان سعيد) كما شـــهد بذلك بعض الكتاب الاجانب .. وأما اتصـــال العرب بالجزيرة فيرجع الى أكثر من ثلاثة آلاف عام ، حيث ترك العرب أثرهم بعمق ..

وعلى هذا كانت الاهمية الكبرى لميثـــاق الحرية الذى اعلن فى (موانزا) فى تنجانيقا فى ١٨ سبتمبر من عام ١٩٥٨ الذى نادى بالتحرر والديموقراطية ووحدة الشــــعوب الافريقية كأهداف لشرق افريقيا بشـــكل خاص وشرق افريقيـــا ووسطها بشكل عام . وعلى ضوء هذه الاهداف بدأت طلائع الحركة الوطنية فى زنجبار تدرك أهمية شعار (قومية زنجبـــار) على أســاس أن وجود التيارات البشرية المختلفة على أرض زنجبار ، كان من اقدار التاريخ - على حد تعبير رئيس وفد زنجبار فى مؤتمر شباب اسيا وافريقيـا (٢ - ٨ فبراير ١٩٥٩) الذى انعقد بالقاهرة .. ومن ثم كانت عملية الاندماج الهائل بين هذه العناصر المختلفة .

ومن الظروف الملائمة لتطور الحركة الوطنية فى زنجبار قيام حزب زنجبار الوطنى الـذى يلعب دورا وحدويا ازاء العناصر المختلفة فى شعب زنجبار ويقوم بدور كبير لتوعية شعب زنجبار ضد الفتن الاستعمارية التى تغـذى النزعات الطائفية والقبلية مستغلة فى ذلك التناقضات الجزئية بين العناصر المختلفة ، ومستغلة العناصر ذات الوضع الطبقى الذى يدفعها الى التهاون مع الاستعمار .

وفى الســـنوات الاخيرة أظهرت الحركة الوطنية فى زنجبار تعاطفا واعيا مع قضـــايا التحرر العربى ، وعلى الاخص قضية فلسطين وتحرر الجزائر - قبل الاستقلال - ولا شك ان هذا الوعى من حركة وطنية افريقية ليعبر بعمق عن ادراك الحركة الوطنية فى زنجبـــار عن وحدة قضـــية الحرية .. وأن الحرية لا تتجزأ .

واذا كانت بعض الاحزاب فى زنجبار تستند الى تأييد قبلى طائفى الا انه مما لا شك فيه أن الحركة الشعبية العامة داخل الفئات المختلفة تعى بوضوح طبيعة المعركة الوطنية وطبيعة المشكلات الرئيسية التى تجابهها زنجبار والتى يتحتم ازاءها نوع من الوحدة الوطنية لتحقيق هذه المسائل وهى :

اولا : المشكلة الزراعية .. وهى مشكلة هامة شكلت لها لجنة عام ١٩٢٣ برئاسة « كروفتون » ، ولجنة عام١٩٣٢ عرفتبلجنة « ستركلاند » ، وفى عام ١٩٣٤ صدر قانون حيازة الاراضى الذى صاحبه قانون بعدم تصدير القرنفل الا باذن من الحكومة .

ومن المعروف أن اقتصاد زنجبار يقوم أساسا على القرنفل اذ انها تنتج ٧٥ ٪ من انتاج العالم .

ثانيا : مشكلة التمزق القبلى والطائفى التى غذاها الاستعمار الذى استطاع شراء عناصر من مختلف الاتجاهات ولا سيما بعض عناصر الطائفة الاسماعيلية التى ارتبط قادتها تاريخيا بالاستعمار البريطانى .

ثالثا : مشكلة الوحدة الوطنية والتى تعتبر دعامة رئيسية لحركة الوحدة العامة فى شرق افريقيا .

وبعد المقابلة التاريخية بين السيد الرئيس جمال عبد الناصر والشيخ « على محسن » عام ١٩٥٨ ، راحت أبواق الاستعمار تروج أن الحركة الوطنية فى زنجبار تقف القاهرة من خلفها .. ولقد ذهبت كافة محاولات الاستعمار أدراج الرياح .. والاستعمار كظاهرة فى زوال على أرض افريقيا .. والحركة الوطنية الافريقية فى تصاعد .. وقد وضعت زنجبار اقدامها على طريق الاستقلال الوطنى الذى أصبح فى العصر الحديث طريقا للتحرر الاجتماعى حيث العدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص .. وحيث كرامة الانسان الافريقى من حيث هو انسان .

لمعى المطيعى

بقية مقال نظرية السكان

نميل الى أن تعوق الجهود التى تبذل لرفع مستويات المعيشة . ولهذا فان معظم الدول المتخلفة . يجب أن تحاول زيادة الناتج بالنسبة للفرد . وذلك اما بزيادة كبيرة فى الانتاج أو بتخفيض معدلات الزيادة فى السكان او بالجمع بين الاثنين » .

وحديث هوسر هنا يعطى مجالا للاختيار وان كان الاغلب فى المالتوسية الجديدة الاحتفاظ بمستوى زيادة سكان اقل من مستوى زيادة الانتاج .

هذا هو الوضع الذى هاجمه المعسكر الشرقى ووصفوه بانه استعمار قصد به اخضاع الدول المتخلفة والسيطرة عليها .

وجوهر النظرية الاشتراكية او الشيوعية — ونقصد هنا السائد — المعسكر الشرقى — ان التنمية الاقتصادية ينبغى أن تكون فى خدمة السكان . وبعبارة اخرى ان تحديد عدد أفراد الاسرة امر من شان الاسرة — كما عبر عن هذا رئيس الوفد السوفييتى فى مؤتمر جنيف — وقال : اننا يجب ان نثق فى راى الاسرة فى تحديد عدد افرادها وفى قدرة الاب او الام على رعاية الابناء ، ان الحمل الاكبر ينبغى ان يلقى على التطور العلمى والتكنولوجى . ان هناك آفاقا واسعة لازالت امام الانسان وعليه ان يرتادها وهى كفيلة بان توفر للانسان حياة اسعد ، وبهذا يكون التأكيد فى هذه النظرية على التقدم العلمى وهذا الوضع يمكن تدعيمه عمليا فى روسيا لقلة عدد سكانها . ولكن قبل ان تستورده اية دولة او تفكر فى استيراده ينبغى ان تسأل نفسها : هل هذا الدواء مناسب لمرضى ؟

ان لكل دولة ظروفها ومن هذه الظروف ينبغى ان تنبع نظمها وان يكون لها اولا وقبل كل شىء حرية الاستفادة والقبول والرفض والتعديل .

وارجو فى مقال مقبل ان اتناول بعض هذه النظم بالعرض والتحليل والمقارنة .

((عبد العزيز كامل))



في الصفحات التالية نقدم لكم هذا الوصف لاول رحلة تم فيها كشف جبل ((كيليمنجارو)) ، الرحلة التي قام بها ((كراف وريبمان)) المبشران الالمانيان وهذا الوصف الذي ستقرءونه هو في الواقع نفس مذكرات الالمانيين المذكورين أو على الاصح أجزاء هامة منها تربط بينها فقرات صغيرة لناشر الكتاب الذي جمع مذكرات أكثر من رحالة واحد في شرق أفريقيا وضمها في كتاب واحد جعل عنوانه ((بعض الرحلات التاريخية في شرق أفريقيا)) ... وسوف ترى فقرات المذكرات الاصلية تضمها الاقواس .

((جون لودفيج)) و ((جون ريبمان)) مبشران من «جماعة التبشير الكنسية» . وقد كتب «ريبمان» في سنة ١٨٥٥ .. ((قدمنا الى أفريقيا دون أن نقصد تحقيق أية اكتشافات جغرافية ، فقد كان هدفنا الاصلي أن نوسع مملكة الرب . ومع ذلك فقد أصبحنا بالصدفة وحدها طليعة المكتشفين الذين مهدت كشوفهم الى بداية الصلة بين أوروبا وأفريقيا لان كشفنا ومذكراتنا عن الجبل ذي القمة الثلجية البيضاء ، وخرائطنا الاولية لتلك البحيرة الواسعة هي التي مهدت لمزيد من الاكتشافات الجغرافية » .

وكان كراف هو الذي وصل أولا في سنة ١٨٤٤ فقد كان يعمل من قبل مبشرا في أثيوبيا لمدة ستة أعوام . وهناك فكر في أن ينشر المسيحية بين قبائل الجالا التي تسكن في الجزء الجنوبي من اثيوبيا . وكانت خطته مبنية على أساس أن يسافر شمالا من ممباسا ناشرا المسيحية في الجهات التي يمر بها . وقبل أن يسافر الى ممباسا وصل الى زنجبار .

« ... في الثانية من ظهر السابع من يناير : ألقينا مراسينا في الميناء الهادىء لعاصمة جزيرة زنجبار حيث كان علينا أن نستريح بعض الوقت بعد رحلة طويلة وشاقة . وهناك استشرت أصدقائي في اتمام رحلتي . وقد استقبلنا الماجور هامرتون القنصل البريطاني استقبالا طيبا ونزلنا ضيوفا على المستر ووترز القنصل الامريكي حتى ندبر لنا سكنا مستقلا . وكنا نريد البقاء في زنجبار لالقاء المواعظ في أيام الاحاد للاوروبيين القلائل الذين كانوا يعيشون هناك ولنبشر بالمسيحية بين مئات من الهنود الذين كانوا قد استقروا في الجزيرة . ولننشىء المدارس لتعليم أبناء الجزيرة من العرب والسواحيليين . ولكنني لم أستطع أن أتخلى عن فكرتي الاصلية وهي التبشير وسط قبائل

الجالا . فقد كنت واثقا من أن كسبهم الى المسيحية سوف يكون له أكبر الاثر على شرق أفريقيا كلها » .

« وفى اليوم التالى لوصولى الى زنجبار قدمنى القنصل البريطانى الى السلطان سعيد بن سعيد الذى يعرفه الاوروبيون عادة بلقبه .. سلطان مسقط . ويقع قصر السلطان خارج المدينة وتذكر واجهاته الخارجية بطرز البناء الالمانى والسويسرى .

وعند ما ظهر القنصل معى فى مدخل القصر تقدم السلطان لمقابلتنا يصحبه واحد من ابنائه وعدد كبير من احفاده ثم دعانا الى الدخول الى قاعة فسيحة أرضها من الرخام صفت فيها المقاعد ذات الطراز الامريكى. وتدلت من وسط سقفها نجفة ضخمة . وأشار السلطان الينا أن نتفضل بالجلوس وبدأت أصف له باللغة العربية مغامراتى فى الحبشة وخططى نحو التبشير بين قبائل الجالا . واستمع السلطان الى بانتباه ووعدنى بكل مساعدة ممكنة كما نبهنى فى الوقت نفسه الى الخطر الذى يمكن أن أتعرض له .. وقد علمت أن السلطان سعيد بن سعيد هذا اعتلى العرش فى سنة ١٨٠٧ وعاش فى مسقط حتى سنة ١٨٤٠ حيث نقل حكومته الى جزيرة زنجبار لاهميتها التجارية » .

« وبقيت فى زنجبار حتى بداية شهر مارس سنة ١٨٤٤ أسمع وأرى وأتعلم الكثير . كنت ألقى عظاتى على الانجليز والامريكيين المقيمين هناك وكنت فى الوقت نفسه اجمع المعلومات من العرب والسواحيليين والهنود .

وفى الوقت الذى حددته قررت أن اترك زوجتى العزيزة فى زنجبار وان اتجه الى جزيرة لامو ثم آخذ طريقى بعد ذلك بين شعوب الجالا حيث اجد مكانا لتأسيس مركز تبشيرى . وأخذت معى خطاب توصية من السلطان معنونا باسم حكام المنطقة الساحلية ومكتوبا فيه : هذا خطاب من السلطان سعيد بن سعيد ، تحياتنا لكل رعايانا وأصدقائنا وحكام سلطتنا. هذا الخطاب توصية على الدكتور كراف الالمانى وهو رجل طيب يرغب فى هداية الدنيا الى الرب . عاملوه معاملة طيبة . وكونوا دائما فى خدمته » .

وقد توفيت زوجة كراف وطفلها حديث الولادة فى ممباسا .. وعمل هو وحده حتى شهر يونيو سنة ١٨٤٦ حيث لحق به ريبمان. وقد قاما برحلات عديدة بين الشعوب المجاورة لمركزهم التبشيرى الذى بنى فى رابای بالقرب من ممباسا. وقد درس كلاهما اللغات المحلية وعرفا من أحاديثهما مع الناس الكثير عن قبائل الشاجا التى تعيش كما قيل لهم على أرض جبل شامخ وقد وضح لهما من أحاديث هؤلاء الناس أن هذا الجبل مغطى عند قمته بالثلوج . وفى ابريل سنة ١٩٤٨ ، قام ريبمان برحلته الاولى لكى يعرف المزيد عن قبائل الشاجا وعن جبلهم هذا .. وهذه مقتطفات من يومياته التى دونها عن هذه الرحلة .

« **١١ مايو** : فى وسط منطقة موحشة تموج بالحيوانات المتوحشة مثل الثيران والافيال والكركدن أخلدنا الى النوم على مقربة من شجيرات من الشوك فى رعاية الرب ! ولقد استطعنا فى صباح هذا اليوم أن نميز جبال « جاجا » أكثر من أى وقت مضى . وفى حوالى الساعة العاشرة خيل الى أننى أرى قمة واحد من هذه الجبال تغطيها سحابة بيضاء تأخذ بالالباب قال لى دليلى انها مجرد « بيريدى » .. أى « برد » ! ولقد كانت واضحة جلية أمامى ولم يكن هناك شك فى انها قمة ثلجية .

« كانت الارض التى من حولى ما بين « تايتا » و « جاجا » ذات طبيعة رائعة ، فمن ناحية الغرب كان هناك جبل كليمنجارو بقمته الثلجية ناصعة البياض . ومن ناحية الجنوب الغربى كانت هناك منطقة « أوجانو » الفسيحة . ومن ناحية الشمال الغربى كانت تمتد سلسلة جبال « كيكومبوليا » . أما من ناحية الشرق فكانت هناك سلسلة جبال « تايتا » بأعلى قممها التى تدعى « فيزوجا » والتى ترتفع الى حوالى ستة آلاف قدم فوق مستوى السهل المحيط بها » .

« **١٣ مايو** : بدأنا رحلتنا فى الساعة الثامنة من هذا الصباح بعد أن استرحنا

طوال الليل على ضفه نهر « جونا » . وبعد مسيرة مرهقة طيلة عدة ساعات وسط أدغال كثيفة وصلنا الى أطراف مملكة « كيليما » الصغيرة . وما أن عبرنا حفرة واسعة فوق جسر متأرجح مصنوع من جذوع الاشجار الرفيعة . أصبحنا مرة أخرى في منطقة المراعى حيث كان بمقدورنا أن نرى مزارع كبليما وأن كنا لم نتمكن من رؤية أماكن الاقامة المختفية وسطها ، وبعد أن قابلنا بعض جنود « ماساكى » ملك « كيليما » الذين لم يكونوا يرتدون سوى قطعة من القماش حول جذوعهم . جلسنا قليلا فى ظل شجرة ضخمة حيث كان علينا أن ننتظر حوالى الساعة . وأخذت أنا أحدق فى الارض الجميلة المحيطة بى والتى كانت تبدو زاخرة بمختلف أشكال الزرع . وعلى مقربة منا كان يجرى نهر « جونا » ، وعلى ضفتيه خضرة رائعة . وعند ما رفعت بصرى قليلا أبصرت جبل كليمنجارو بقمته الثلجية ناصعة البياض وأدركت أنه لا يبعد أكثر من مسيرة يومين . وبعد قليل وضع دليلى بعض الحشائش فى يدى قبل أن أقابل الملك ما ساكى حسب عادة أهل البلاد هناك لكى أحيى بها الملك الذى كان يمسك بيده كذلك حزمة صغيرة من الحشائش وقمت بعد ذلك بمصافحة وزرائه بعد أن صافحته . »

« ٢٩ مايو : بدأت رحلة العودة فى المساء ، وكان السير فى البداية مؤلما لان جراح قدمى لم تكن قد التأمت بعد . لقد بدا عالم الخضرة موحشا وكأنما يهيىء لنا طريقا شاقا متعبا ، ولقد أتممنا رحلة العودة الى « بورا » فى ثلاثة أيام بعد مسيرة منهكة ، وفى خلال هذه الرحلة عثرنا على غزال لطيف كان قد سقط فى حفرة أعدت لاصطياد الافيال والحيوانات الاخرى . ووصلنا بعد ذلك الى « كاديارو » فى السابع من شهر يونيو . ولما كنت قد سافرت ثلاث مرات من قبل فى الطريق بين « كاديارو » و « رابای » فقد سلكت فى هذه المرة طريقى عبر شيمبا الى ممباسا . وتعتبر شيمبا الامتداد الجنوبى للجبال على الساحل الذى تسكنه قبائل الوانيكا . وهى تبعد بمقدار رحلة يوم عن « رابای » والى الغرب مباشرة رأيت منطقة بالغة الروعة تتخللها نهيرات عذبة وتحمل تربتها كل مظاهر الخصب وان كانت مهملة لا تستخدم رغم صلاحيتها لإيواء آلاف من الاسر بينما تمنح هضبة شيمبا ذاتها للمستوطن أجمل مكان للاقامة وأكثره صلاحية من الناحية الصحية وهى تطل على مشهد يمتد الى الافق للمحيط الهندى .

« فى الثانى عشر من يوليو سنة ١٨٤٨ غادرت ممباسا بعد أن اتفقت مع «باتاخيرى» دليل أخى ريبمان الى شعوب الجاجا على أن يرافقنى الى أوزمبورا مقابل خمسة عشر دولارا ، كذلك اتفقت مع سبعة من السواحيليين كحمالين مقابل خمس دولارات لكل منهم . وأخذت معى كل ما هو ضرورى للرحلة ، أقمشة من الدبلان الابيض وعقود ومدى .. الخ .. لكى أقدمها كهدايا ولكى أقايض بها على ما يلزمنى أثناء الرحلة من مؤن . ولقد غادرنا ميناء ممباسا فى الساعة التاسعة صباحا والقينا رحالنا فى قرية « امتونجوى » المسلمة وهى تقع الى الجنوب من ممباسا ثم صعدنا الى مزرعة لونجوما التى تقطنها قبيلة « لونجو » احدى بطون قبائل « واديجو » من شعوب « الوانيكا » . ولقد استقبلنا « مواجى كوكو » زعيم المزرعة بالترحاب وقدم لنا شراب جوز الهند الطازج الذى استمتعت به كثيرا . وفى اليوم التالى أهدينا الزعيم بعشرين ذراعا من الدبلان الامريكى مقابل كرم ضيافته وتابعنا سيرنا صاعدين الارض شيئا فشيئا مستمتعين غاية المتعة بالطريق الذى يشرف على الارض الواطئة وعلى ممباسا وخلجانها وعلى سلسلة جبال أرض « الوانيكا » . ووصلنا بعد مسيرة فرسخين الى دغل كثيف تقع بداخله قرية « كوالى » التى استقبلنا زعيمها «مواواهو» استقبالا حسنا . وتتكون هذه القرية من حوالى سبعين كوخا قليل منها يستخدم للسكنى حيث أن أبناء القرية غالبا مايقيمون فى أرضهم المزروعة . وفى هذه القرية ،

دهشت كثيرا عند ما رأيت الرجال والنساء ، الكبار والصغار ، يدخنون الطباق مستخدمين غلايين ليست كهـذه التي يسـتخدمها الاوروبيون . فهي مكونة من قداح مصنوعة من الطين المحروق ومثبتة الى عصى يبلغ طولها حوالى القدم الواحد . وشـعوب « الواديجو » تزرع كميات كبيرة من الطباق ، ليس هذا فحسب ، بل انها تشترى منه كميات أخرى من أوزومبورا على شكل كعكات دائرية صغيرة وجافة يبيعونها بالتالى الى قبائل «الجالا» ... »

« ١٨ يوليو : اليوم ، فقدت حمارى أثناء الاضطراب الذى حدث لدى ظهور واحد من حيـوان الكركدن .. وأمسكت ببندقيتى مستعدا للدفاع عن نفسى اذا اقترب العدو . بينما أطلق « باناخيرى » بندقيتـه كيفما اتفق : مما أفزع حمارى الذى انطلق يجرى بكل حمولته . وأسرعنا بعد ذلك نحث السير فى الدغل حتى وصلنا الى منطقة رأينا فيها كثيرا من الزراف الذى يسميه السواحيليون (تيا .. أو تيجا) . وهو يسير فى جماعات من ثمانى أو عشر زرافات لكل مجموعة .. ولقد اقتربنا منهم كثيرا ثم رأيناهم يطلقون سيقانهم للريح . ولما كنا قد سرنا طوال النهار دون توقف ، فقد أحسست بتعب شديد .. ولكن كان على أن أجرب متاعب السير على الاقدام كما جربت من قبل متاعب الرحلة وأنا على ظهر الحمار » .

« ٢٤ يوليو : مع قرية « فومونى » ، كنا قد دخلنا حدود مملكة أوزومبورا .. وبعـد أن مررنا بقرى أخرى لشـعوب « الواشيتسى » ، وصلنا الى بوابة قرية كبيرة تدعى « نوجنيرى » التى هى مقر ابنة الملك « كميرى » وهناك قادونا الى كوخ على مقربة من الكوخ الذى تعيش فيه ابنة الملك حيث قدم لنا عبيدها الماء والخشب والمؤن . وفى المساء قدمت ابنة الملك الينا هى وزوجها « بانا ايمسانجاسى » لكى ترحب بنا . ولم تكن ابنـة الملك تختلف كثيرا عن نسـاء « الواشيتسى » . فهى تعمل بيديها وتعـد الطعام بنفسها لاسرتها رغم أن لديها كثيرات من الجوارى » .

« وفى هـذه القرية قوبلت فى الواقع باحترام شديد ، كما أن أحدا من أبنائها لم يطلب منى شيئا مقابل ما قدم الى مما دلنى على مدى النظام الذى يسود هـذه المملكة بعكس ما كان يصادفنى لدى المجتمعـات الجمهورية فى شعوب الوانيكا والواكامبا »

« ٢٨ يوليو .. مساء البارحة قدم رسول من بلـدة « فوجا » مقر الملك « كميرى » ولديه أوامر بأن أتوجه اليه فى عاصمة ملكه .. ومن ثم بدأنا الرحلة لمدة فراسخ عبر سهل يمتد الى سفح جبـل « بامباير » الذى يرتفع قرابة ألفى قدم عن سـطح البحر . وانى أوصى بهذه المنطقة لتـكون مركزا لاول محطـة تبشـير فى أوشيتسى وأوزومبورا حيث انها لا تبعد عن السـاحل بأكثر من خمسين أو سبعين فرسخا »! .

« ٣٠ يوليو .. فى أرض الشمال الافريقى المرتفعة ، يتلو الجبل الاخر .. ويتبع الجدول جدولا قبله .. كما تتابع الوديان التى تستخدم فى زراعة الارز بينما تكسو التلال مزارع قصب السكر وأشجار الموز فى حين تزخر غابات المنطقة بالاخشاب .. ولكم تكون هذه الارض رائعة عنـد ما تباركها الثقافة المسيحية !! .. وما ان عبرنا نهر « امجامبو » حتى وجدنا أنفسنا فى واد عميق الاتساع حيث كان علينا ان نسلك طريقنا بعد ذلك عبر جبل « ماكوبرى » الذى يرتفع بمقدار ثلاثة آلاف قدم على الاقل . ولقد كنا نحس بمزيد من البرودة وحلاوة الجو كلما ارتفع بنا الطريق أكثر فأكثر . وكانت المياه الباردة تتسرب من خلال حجـارة الجرانيت بينما المزارع الصغيرة ترتفع على حواف الجبل زاخرة بالقمح الهندى والارز والموز والقصب .. والحق أن الشـلالات العديدة وخرير مياه نهر امجامبو مع مشاهد أجزاء الجبل على بعد .. كانت كلها ترفع من روح المسافرين فى هذه المنطقة » .

كراف يقابل حاكم أوزومبورا

« ١٠ أغسطس .. بعث الملك فى طلبى لكى يعرف منى الهدف من رحلتى ولكى

يتقبل الهدايا التى حملتها اليـــه .. كان يجلس فى قاعة عرشه فى حراسة جنده .. وعند ما قام ليقابلنى اكتفى بأن رفع جسمه قليلا عن مقعده ثم طلب منى أن أجلس فى مواجهته »» .

« وذكرت له أنه سبق لى أن كنت فى الحبشة بين شعوب الجالا أدرس لهم الكتاب الذى أحمله والذى يضم كلمات الرب .. وانني قدمت بعد ذلك الى « راباى » حيث اقمت مركزا لتعليم شعوب الوانيكا ما فى هذا الكتاب . وقلت له ان أخى « ريبمان » قدم الى شعوب الجاجا لنفس الغرض وأن الملوك هناك قد استقبلوه فى عطف وترحاب وأنهم دعوه الى البقـــاء فى بلادهم لتعليم شعوبهم . وذكرت له أننى قدمت الان الى بلاده لاسأل ملكها ما اذا كان من الممكن أن أدرس فى كتابى هنا حتى أبقى أنا فى هـذه البلادأو يحضر أحدزملائى لهذا الغرض.وأبدى الملك فى الحال رغبته فى احضار مثل هؤلاء المعلمين وأبدى ملاحظته بأنه سيتحدث الى فى هذا الشأن فيما بعد . ثم طلب منى أن أقدم اليه هداياى التى أمر بعد رؤيتهـــا بارسالها الى مخازنه . وقال لى انه كان يتمنى أن يكون لـدى مزيد من العقـــود والاقمشة وورق الكتابة لرسله حيث انـه لا يستطيع الكتابة بنفسه ولهذا فان لديه أحد السواحيليين يكتب له رسائله . كما أن له ولدين أصبحا مسلمين وهما يعرفان القراءة والكتابة » .

« وعند ما رأى أبناء « ساللا » أن الملك قد استقبلنى بحفاوة : قدموا لزيارتنا بينما لم يكن أحد يقترب منى قبل ليتحدث الى . حتى نساء الملك اللائى يقال ان الملك«كيميرى» لديه منهن كزوجات بضع مئات ، كن يقتربن من مكان اقامتنا لكى يرين الرجل الغريب . وكانت لكل واحدة منهن كوخها الخاص بها ومزرعتها الخاصة وجواريها اللائى يخدمنها. وكن يسكن فوق أحد التلال حيث لا يسمح لاحد بأن يخطو خطوة واحدة هناك . كمـا أنهن محجبات كالنساء المسلمات . وهـــذا العدد الضخم من الحريم يبتلع جانبا كبيرا من دخل الملك » .

« **١١ أغسطس ..** عند ما أبديت رغبتى فى العودة الى « راباى » على وجه السرعة ، أرسل الى الملك لكى يودعنى فأخبرته مرة ثانية بطبيعة المهمة التى جئت اليه منأجلها فسألنى عما اذا كنت أقبل هدايا من العاج والعبيد والماشية حيث أنه لا يملك أكثر من ذلك ليمنحنى اياه . واجبته بأننى ارغب فى ان يسمح لى بأن آخذ معى الى «راباى» خمسة من الصبية أستطيع تعليمهم هناك . وهنا اعترض الملك بأن الناس هناك لا يعرفون هذه الاشياء وبأن الاباء قد يظنون أن أبناءهم سوف يباعون كالعبيـد وقال لى اننى اذا عدت مرة أخرى الى بلاده فان فى مقدوره أن يعهد ببعض الصغار الى لتعليمهم ولكنه لن يسمح لى باصطحابهم خارج البلاد . كما أبدى رغبتـــه فى أن يحضر الى مملكته بعض ذوى الخبرات وخاصـة أحد الرجال الدارسين لفنون العلاج والطب . ثم كرر سؤاله لى عما اذا كنت سأعود اليه خـلال ثلاثة أشهر أو أربعة . ولكننى لم أستطع ان احدد له جوابا قاطعـــا حيث على أن استشير أخى فى « راباى » وأن أكتب الى أصدقائى فى اوروبا بالامر الذى يتطلب منى وقتا طويلا وقد أخبرنى الملك كذلك بأن على أن أقوم برحلة اليه من « البانجانى » ثم أمر أحد المسلمين بمصاحبتى فى رحلة العودة وقدم الى خمسا من الماعز لاننى لم أقبـل العاج أو العبيد »» .

ثم نشر كتاب « كراف » عن رحلاته فى سنة ١٨٦٠ قبل أن يتحقق مستكشفون آخرون من صدق اكتشافاته هو وزميله « ريبمان » .. وقد صدر كتابه بالملحوظات التالية عما رآه :

« يحمل الجبل الثانى أو القمة الثلجية مديدا من الاسماء بين مختلف القبائل .. فى جو رائق وهواء منعش دائم .. وفى العاشر من يونيو نصبت خيامى لآخر مرة فى رحـلة العودة . وفى الحادى عشر من يونيو وصلت الى مضاربنا ، فكملا فى سلامة الله ورعايتـــه تجوالا امتد ستة أسابيع .. »

وفى نوفمبر من ذات العـــام (١٨٤٨) قام ريبمان مرة ثانيـــة برحلة الى أرض المشاجا . وقد استطاع فى مشاهدة المرة أن يشاهد الجبـــل عن كثب بقمتيه « كيبو » و « ماونزى » ..

« يناير سنة ١٨٤٩ خلال رحلة العودة التى تمت فى فصل قائظ وحيث لا تكتنف السحب قمم الجبال كما هى الحـــال فى الفصل الممطر ، تمكنت لاول مرة من أن أرى القمم الشامخة لجبال « جاجا » والمعالم المحددة لاماكن اتصالها أو انفصالها . ان هناك قمتين رئيستين قائمتين على مســـاحة يبلغ طولها حوالى عشر فراسخ كما يبلـــغ عرضها مثل طولها بحيث تكون المساحة بينهما ما يشبه السرج الذى يمتد ثلاث أو أربع فراسخ من الشرق الى الغرب . والقمـــة الشرقية منخفضة ومدببة بينما القمةالغربية أكثر ارتفاعا وتشكل ما يشـــبه التاج الذى يظل مغطى دائما بالثلوج حتى فى الفصـــل الحار الذى تذوب فيه الثلوج عن القمـــة الاولى . وهذه الثلوج التي تعـــلو قمم كليمنجارو لا تمثل مصدر مياه كثير من الانهار فحسب (عشرين نهرا على الاقل) ولكنهـــا حتى فى الفصل الحار مصدر مستمر للامطار كما يشاهد هناك يوميا . ويدعو السواحيليون على ساحل جبل كليمنجارو « جبل العظمة » كما يمكن أن يسمى بجبل القوافل (كيليما وتعنى جبل ، وجارو وتعنى القوافل) حيث يمثل الجبل علامة أرضية تشاهدها القوافل من بعيد ومن كل اتجاه . ولقد أخطأ دليلى فى الرحلة الاولى عند ما قال لى إن أبنـــاء قبائل « الجاجا » ليست لديهم كلمة فى لغتهم تعنى الثلج فعند ما سألت بنفسى بعض هؤلاء قالوا لى انه عند ما يوضع الـ « كيبو » على النـــــار فانه يتحول الى ماء وان كانوا لا يعرفون طبيعته ولقد وافقونى كذلك عندما قلت لهم ان مياه النهر القريب مصدرها هذا الثلج . وشرحت لهم أن هذا الشىء الابيض فى القمة لا يمكن أن يكون فضة

رحلة « كراف » الى أوزومبورا .

فقبائل « الواكامبا » تعرفه باسـم « كيماجاكيجنيا » (أى جبل البياض) بينما تدعوه قبائل أخرى باســـم « كيريثيا » أو « اندرو كيجنيا » .. وتعرفه قبائل « واكوافى » « أورلدينيو » (الجبل الابيض) .. وما أن وصلت الى « كيتوى » فى السادس والعشرين من نوفمبر ســــنة ١٨٤٩ بصحبة الزعيم « كيفوى » ، حتى أخبرنى بأنه كان عنـــد « الجاجا » وبأنه رأى الـ « كيما جاجيو » : أى جبل البياض وهو الاسم الذى تعرف به قبائل « الواكامبا » جبل « كليمنجارو » على عكس « كيجنيا » .. كما ذكر لى أيضا أنه لا يزال هناك جبل أكبر على مسيرة رحـــلة ســـتة أيام من « كيتوى » يعرف باســـم « كيماجاكيجينا » .. وأضـــاف أننى لو صعدت التل قليلا فوق مستوى قريته فان فى مقدورى أن أرى الجبل بوضوح . ولما كان موسم الامطـــار قد بدأ فى المنطقـــة حول « كيجنيا » ، فان الجبل كان محاطابالسحاب يكتنفه من كل جانب ، وبالاضافة الى هـــذا فان « كيلمينجارو » يمكن رؤيته عادة حوالى الساعة العاشرة صباحا قبل أن تؤدى حرارة الشمس الى تكوين مزيد من السحاب الذى يخفيه بقية النهار . وقــد حدث عند ما غادرنا « كيتوى » فى الثالث من ديســـمبر سنة ١٨٤٩ ، اننى تمكنت من رؤية « كيجنيا » بوضوح أكثر وميزت قمتيه العاليتين الى الشمال الغربى من جبل « كيليمنجارو » وهما مغطاتان بمادة بيضاء .. » ..

وفى رحلتى الثانية الى « أوكامبانى » فى سنة ١٨٥١ كرر لى « كيفوى » عبارته التى يظهر فيها احترامه لجبل « كيجنيا » وكذلك لجبل الدخان والبركان الذى قال لى انه على مقربة من الجبل ذى القمة البيضاء . وفى هذه المرة لم أستطع رؤية جبل « كيجنيا » بالنسبة للسحب المتراكمة فى سماء المنطقة التى رأيت من فوقها من قبل تلك الجبال : كذلك فان أبناء قبيلة الكيكويو أشاروا الى الجبـــل قمته مغطاة بمادة تشـــبه الدقيق الأبيض » .

مترجمة عن كتاب « رحلات تاريخية فى شرق افريقيا »

الناشر : « شارلز ريتشاردز »

لقاء بين القاهرة ونيامى

بقلم : أحمد صوان

ان الخط السياسي الذي تسير عليه القاهرة تجاه القارة الافريقية منذ تفجير ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، هو أن تتلاقى مع أماني شعوب القارة ، وتتقابل مع قادتها وزعمائها من أجل مستقبل أفضل وحياة كريمة لشعوب القارة الذين حبس الاستعمار عنهم نسيم الحرية ، وأذاقهم مرارة العبودية سنين طويلة . ولقد برزت معالم خطنا السياسي في كتاب فلسفة الثورة عند قول الرئيس عبد الناصر .

.. هل يمكن ان نتجاهل ان هناك قارة افريقية شاء لنا القدر ان نكون فيها وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا او علينا سواء اردنا أم لم نرد .. » .

وكان من الطبيعي بعد ان بلورت ثورتنا دورنا تجاه افريقيا ان تفتح القاهرة ابوابها لكل المناضلين وطالبي الحرية ، وان تهيىء لهم كل فرص الدفاع من أجل بلادهم ، وحرصت القاهرة دائما ان تقدم لكل الافريقيين تجربتها في معركة الحرية ضد الاستعمار في السويس وفي سيناء ، وفي معركة الاشتراكية من أجل التطوير والبناء . وتعتبر زيارة السيد هاماني ديورى ، رئيس جمهورية النيجر احدى مظاهر هذا التعاون والتلاقي بين البلدين .. فالنيجر جمهورية وليدة نالت استقلالها في الثالث من أغسطس عام ١٩٦٠ تسعى لحماية استقلالها السياسي والاقتصادي بعيدا عن أي سيطرة أجنبية ، لذلك اتسمت زيارة رئيس جمهورية النيجر بطابع التعاون في جميع المجالات التجارية والعلمية والثقافية والزراعية والفنية . ففي ميدان التعاون العلمي والثقافي اتفق الرئيسان عبد الناصر وديورى على زيادة عدد الطلاب الذين يوفدون من النيجر الى الجمهورية العربية المتحدة للدراسة في مختلف الجامعات العلمية والنظرية والاسلامية ، وكذلك في المعاهد العليا والفنية والمتوسطة ومدارس المرحلة الثانوية ، كما ستوفد الجمهورية العربية المتحدة الاساتذة والعلماء والمدرسين وخاصة مدرسي اللغة العربية للتدريس بمعاهد ومدارس النيجر . وفي الميدان التجاري بحث الجانبان بالتفصيل الخطوات التنفيذية لوضع اتفاقية التجارة والدفع التي عقدت بين البلدين يوم ١٥ مارس سنة ١٩٦٢ موضع التنفيذ . وفي المجال الزراعي تم الاتفاق على ان تقوم الهيئات الفنية في الجمهورية العربية المتحدة ، وخاصة تلك التي تعمل في مجالات تعمير الصحاري وابحاث المياه الجوفية بعمل الدراسات وتبادل الخبرات بين المختصين في البلدين . ولقد كان من أبرز هذا التعاون والتلاقي هو تدعيم الفهم المشترك والروابط الودية بين الشعبين وتبادل الزيارات في محيط نشاط

الشباب والنشاط الرياضى ودوام الاتصال بين منظمات الشباب فى البلدين وتبـادل الزيارات بين الوفود العمالية .

تعريف جمهورية النيجر

الموقع والمساحة :

تقع فى غربى افريقيا فى قلب الصحراء الكبرى ، وتشغل مساحة تبلغ حوالى ۱٫۲۷۹٫۰۰۰ كيلو متر مربع . ورغم وقوعها بعيدا عن الساحل الافريقى المطل على المحيط الاطلسى الا انها حلقة اتصال بين مجموعة من البلدان الافريقية فى الشمال مثل ليبيا والجزائر وفى الجنوب مثل نيجيريا وفولتا العليا وداهومى وفى الغرب مثل مالى وفى الشرق مثل تشاد . وطبيعة بلاد النيجر تميل الى الانبساط .. لا تظهر فيها الا المرتفعات القليلة مثل مرتفعات « اير » وأهم أنهارها هو نهر النيجر الذى اشتقت البلاد اسمها منه ومعناه الاسود ، وهو يمر بالبلاد من الناحية الجنوبية الغربية . وعند حدود النيجر تتكسر مياه النهر على عدد من الشلالات ، ثم يتدفق فى هدوء الى العاصمة « نيامى » . ونظرا لوقوع البلاد فى منطقة الصحراء الكبرى تميز مناخها بالطابع الصحراوى الجاف الشديد الحرارة طوال السنة . والبلاد تغطى بالحشائش القصيرة التى تعرف بالسافانا الفقيرة نظرا لقلة الامطار .

السـكان :

وسكان النيجر مجموعة من القبائل العربية والافريقية التى اندمجت مع بعضها وأشهرها قبائل الطوارق والجيرما والهوسا.والطوارق أهم هذه القبائل وهم بحق أميز سكان الصحراء ، وتتردد بشرتهم بين الاسمر الداكن والابيض ، وشعورهم مستقيمة وملامحهم جذابة ، ويخفى الرجل من الطوارق وجهه وراء غلالة زرقاء طوال يومه . ويكن الطوارق احتراما بالغا لنسائهم ، حتى ان الرجل اذا رفع صوته أمام سيدة أبعد من القبيلة . وهم يدينون جميعا بالاسلام .

وبينما يشتغل الطوارق بحرفة الرعى فى الشمال فان الهوسا تفلح الارض فى الجنوب وخاصة فى المناطق الغربية من نهر النيجر . ويرى بعض علماء الاجناس ان الطوارق من أصل مصرى هاجروا الى النيجر عن طريق ليبيا وتونس وقد ذكر هاريسون تشرش فى كتابه وست افريكا هذه الحقيقة . ويبلغ سكان النيجر اكثر من ثلاثة ملايين نسمة طبقا لاحصائية عام ١٩٦١ ، ويتردد عدد الاوروبيين بين ٢٥٠٠ ، ٣٠٠٠ لان طبيعة البلاد الصحراوية لا تشجعهم على استيطان البلاد .

الاوضاع الاقتصادية :

ان أهم ما يميز النيجر من الناحية الاقتصادية هو غلاتها الزراعية التى تتمثل فى الفول السودانى ، والبطاطا ، والارز والذرة والقطن والدخان . والفول السودانى هو المحصول الرئيسى للبلاد وتتراوح الكمية المنزرعة منه تبعا لكمية الامطار وفى عام ١٩٦٠ بلغت الكمية المنزرعة منه ١٥٠٫٤٨٦ طنا . ومن أهم المشكلات التى تواجه النيجر فى الزراعة .. مشكلة نقص المياه ، لذلك تركزت الزراعة عند نهر النيجر الذى يعتبر بحق صانع المياه هناك . أما عن الثروة الحيوانية فهناك الابقار والماعز والاغنام . واشهر القبائل لديهم أبقار تشاد وهى معروفة بطول قرونها . وهناك انواع اخرى مثل الازواك واليورور وكلها تنتمى الى النوع المعروف بزابو . وتصدر معظم هذه الابقار الى أسواق نيجيريا الشمالية فى امارات كانو وسوكوتو وكاتسينا . وتقدر الانواع المصدرة الى نيجيريا من الابقار سنويا ۸۰٫۰۰۰ رأس ومن الماعز والاغنام ٦٠٠٫۰۰۰ رأس وتقدر قيمتها بما يقرب من ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات . أما عن الثروة المعدنية فلقد اكتشفت كميات معدنية ضخمة فى صحراء النيجر وهى تشمل المواد المشعة والقصدير الذى يجرى التعدين فيه ولكن على نطاق كميات صغيرة . وهناك ايضا احتياطى من الحديد على ضفاف نهر النيجر يعتقد ان

تعداده يبلغ زهاء ثمانين مليون طن . والى جانب الحديد نجد الفوسفات والمنجنيز ، والصفيح وقد بلغ انتاج النيجر من خام الصفيح عام ١٩٥٩ حوالى ٨٣ طنا مكعبا .

وفى النيجر بدأت أعمال التنقيب عن البترول منذ عام ١٩٥٥ ويرى بعض الجيولوجيين بأن بترول النيجر امتدادا لبترول الجزائر . ومما يدعو للاسى حقا خلو النيجر من اية خطوط حديدية ويرجع ذلك الى اهمال الادارة الفرنسية فى بلد تبلغ مساحته حوالى ١٫٢٧٩٫٠٠٠ كيلو متر مربع . وما زال النيجر يعتمد حتى الآن على اكثر من ٢٠٫٠٠٠ جمل فى نقل الذرة وثمار الكولا الى الواحات الشمالية مقابل البلح والملح الذى ينتجه الشمال .

الحركة الوطنية :

خضعت النيجر للتيارات السياسية التى ظهرت فى بقية المستعمرات الفرنسية السابقة ، ذلك ان طبيعة الاحداث السياسية فى افريقيا الغربية الفرنسية تكاد تكون مترابطة لانها كانت تواجه عدوا واحدا وهو فرنسا ، وخاصة اذا علمنا ان فرنسا كانت تحكم المقاطعة التابعة لها فى غربى افريقيا عن طريق حاكمها العام فى داكار الذى كان مسئولا مسئولية مباشرة امام وزير المستعمرات . وفى الحرب العالمية الثانية جندت فرنسا الآلاف من أبناء النيجر للقتال ضد قوات المحور . وعندما احتلت المانيا فرنسا التجأ الجنرال الفرنسى شارل ديجول الى بريطانيا حيث ألف حكومة فرنسا الحرة . وكان طبيعيا أن يتجه الى المستعمرات الفرنسية . وبينما اظهر الفرنسيون وحكومة فيشى الولاء للالمان اظهر الافريقيون ميولا نحو حكومة فرنسا الحرة وديجول . وبعد انتهاء الحرب أرادت حكومة ديجول ان تقابل الموقف فى مستعمراتها فى افريقيا بمكافأة شعوبها . وكان طبيعيا ان يحاول ديجول تغيير النظام الاستعمارى العتيق فدعا الى عقد مؤتمر فى شهر فبراير عام ١٩٤٤ فى مدينة برازافيل عاصمة افريقيا الاستوائية الفرنسية حينئذ كما كانت داكار عاصمة افريقيا الغربية الفرنسية . وكان من اهم المميزات التى حصل عليها الافريقيون فى مؤتمر برازافيل هى تكوين برلمانات محلية تعمل بالتعاون مع المجالس المحلية فى كل مستعمرة وكذلك تطوير نظام الادارة وزيادة استخدام الافريقيين فى وظائف الحكومة والاخذ بنظام الانتخاب المباشر . والحقيقة ان مطالب الافريقيين دائما كانت فى التمييز بين سياسة الادماج التى تتبعها فرنسا وسياسة الاتحاد التى تحفظ للاقاليم الافريقية استقلالها ولا تذيب الشخصية الافريقية . ولقد ظل الصراع بين فكرتى الاندماج والاتحاد قائما حتى دستور عام ١٩٤٦ . ولقد كان من اهم النقاط التى وردت فى دستور اكتوبر عام ١٩٤٦ الآتى :

١ — ان كلمة اتحاد حلت محل لفظ امبراطورية .

٢ — تكوين مجلس أعلى للاتحاد الفرنسى نصفه فرنسى والنصف الآخر من الافريقيين.

وكان من أهم عيوب هذا الدستور الاخذ بنظام الدوائر الثنائية فللاوروبيين والافريقيين الذين حصلوا على حظ من الثقافة واندمجوا فى البيئة الفرنسية دائرة انتخابية تعرف بالدائرة الاولى وهى منفصلة عن الدائرة الثنائية التى تضم معظم أهل البلاد . وقد صدرت فى عام ١٩٥٢ عدة قوانين فرعية كان هدفها زيادة عمومية الانتخاب بحيث تزيد الاغلبية تدريجيا للافريقيين فى المجالس التشريعية . ومهما يكن من ضآلة هذه التطورات السياسية فانها قد أتاحت لشعب النيجر وباقى الشعوب الافريقية ان يشاركوا فى الحياة السياسية . وفى يونيو عام ١٩٥٦ تقدمت حكومة جى موليه بقانون يمثل تطورا جديدا فى العلاقات الفرنسية الافريقية ويهدف الى تكوين برلمان فى النيجر على أساس مبدأ الاقتراع العام وقائمة موحدة

لجميع الإنتخابات سواء بالنسبة للمجالس البرلمانية المحلية او الجمعيات البرلمانية فى باريس . ثم جدت أحداث سياســــية هامة دفعت فرنسا للتجاوب مع شــعوب هــذه البلاد وكان من أهم هذه الأحداث هو هزيمة فرنسا فى الهند الصينية ثم هزيمتهـــا فى معركة السويس وراى ديجول اذن أن تشترك المستعمرات اشتراكا فعالا فى بنـــاء عائلة موحدة هى العائلة الفرنسية . لذلك تقدمت الجمهورية الفرنسية الخامسة بدســــتور جديد عام ١٩٥٨ . فنيدت اسم الاتحـــاد الفرنسي ، واتخذت كلمة الجماعة بحيث تكون فرنسا والإراضي الواقعة فيما وراء البحار مجتمعا واحـــدا .. وكان من أهم الشروط لقبول العضوية فى الجماعة الفرنسية الموافقة على مشروع الدستور الجــــديد . وكانت الدولة الافريقية الوحيــــدة التى رفضت دستور ديجول هى غينيا التى صوتت بكلمة « لا » . أما النيجر وبقية الأقطار الاخـــرى فقد وافقت على الدستور . وفى عام ١٩٥٩ استقر رأى الزعماء داخل رابطة الشــعوب الافريقية الفرنسية بضرورة حلهـــا وكان نجاح تجربة غينيا حافزا لهم للمطالبة بذلك . وخشيت فرنسا من فضيحة جديدة فاضطرت لان تمنح هذه البلاد استقلالها فى عام ١٩٦٠ وكان تاريخ استقلال النيجر هو ٣ من أغسطس عام ١٩٦٠ .

سياسة الحكومة الجديدة :

لقد تركت فرنسا البلاد بعجز فى ميزانيتها يقدر بحوالى ٥٠٠ مليون فرنك . لهــــذا وضعت الحكومة الجديدة برئاســـة هامانى ديورى ميزانية عام ١٩٦٠ بضغط فى المصروفات بشكل كبير سواء من ناحية الموظفين او من الناحية المادية . وهذه الميزانية تعكس رغبة الحكومة فى جعل المسئوليات العـــــامة فى مستوى موارد الدولة نفسها بقدر الامكان . ومما لا شك فيه ان الاستقلال ادى الى سيل من النفقات الجديدة للحكومة التى تتمثل فى مرتبات أعضاء البرلمان ، وتكوين الجيش الوطنى ، وارسال الدبلوماسيين الى الخارج وتفكر الحكومة فى ضغط مصروفاتها لمواجهة ذلك فبدأت تفكر فى سحب السيـــــارات الحكومية التى تحت تصرف اغلب الموظفين . وفضلا عن ذلك اتجهت النية الى تخفيض مرتبات الوزراء والنـــواب ومرتب رئيس الجمهورية ، كما اضطرت لنقص عدد الفنيين والاقتصار على الذين تحتاج اليهم البـــلاد فقط .

وبدأت الحكومة الجديدة تعنى بالتخطيط وذلك عن طريق اعداد كشوف احصائيـــة للتعرف على حقيقة موارد البلاد لتطـــوير البناء والتعليم . ولم تعد الامور تسير فى طريقها الارتجالى كما كانت أيام حكم فرنسا للبلاد فأصبحت سياسة التخطيط تدخل فى حسابها تعداد السكان الذى أجرى منـــذ وقت قريب والتى دلت نتائجه على ان عدد السكان يقدر بمليونين و ٩٠٠ ألف نسمة اى بزيادة سنوية تزيد نسبتها على اثنين فى المائة . وبدأت الحكومة ايضا فى تحســـين وسائل المواصلات والمسكن وطريق سير العمـــل فى الخدمات وتحسين شبكة الرى ومضـاعفة العناية بالثروة الحيوانية وبناء المذابح العامة وزيادة الانتاج الزراعى . وانشاء مراكـــز لصناعات الآلات الزراعية الصغيرة وغيرها . وكان هدف الحكومة من وراء ذلك كله هـــو زيادة الدخل القومى بنســــبة ٤ فى المائة سنويا طوال فترة ثلاثين عاما . هذا بالاضافة الى تطوير التعليم ورفع ميزانيته من أجـــل استيعاب ٢٥٠٠٠٠ تلميذ تتراوح أعمارهم بين السادسة والحادية عشرة اذ ما زال عــــدد التلاميذ ٢٦٫٨٣٠ فى التعليم الابتدائى .

وهكذا نرى ان الحكومة الوطنية الجديدة برئاسة هامانى ديورى تعمل على تعـــويض شعب النيجر حياة الظلام والتخلف الـذى عاشها فترة الاســـتعمار الفرنسى . وان الجمهورية العربية المتحدة ايمانا منهـــا برسالتها فى افريقيا وميثاق الدار البيضـاء ومنظمة الوحدة الافريقية فى اديس ابابا ان تتلاقى مع جمهورية النيجر فى ميادين التجارة والثقافة والزراعة .



صفحات من تاريخ نيجيريا

بقلم : عبد الرحمن صالح

هذا المقال هو استكمال للمقال الذى نشر فى العدد السابق من مجلة نهضة افريقيا تحت عنوان « صفحات من تاريخ نيجيريا »

ويدفعنى الى متابعة الكتابة فى هـذا الموضوع امر هام هو أن التقسيمات الادارية ونظم الحكم التى كانت مطبقة فى عهـد الاستعمار البريطانى السابق لنيجيريا قبل استقلالها فى اكتوبر سنة ١٩٦٠ ما زال معظمها باقيا على حاله حتى الان . وقد ادى ذلك الى حدوث خلافات عميقة بين الاقاليم الثلاثة المكونة للبـلاد وعلى الاخص بين الاقليمين الشمالى والشرقى من جانب والاقليم الغربى من جانب اخر . والى التفكير فى انشاء اقليم رابع يمتد من المرتفعات الوسـطى الوثنية بالشمال حتى شاطىء المحيط بالجنـوب مقتطعا جزءا من الاقليم الغربى .

فاذا رجعنا الى عهد الادارة البريطانيـة وجب علينا التفريق فى هذا الخصوص بين بيئة الاشراف العليا التى كانت تتكون كلها من بريطانيين وبين نظام الادارة المحلية التى كان يتولاها اهالى البلاد انفسهم . وكانت هيئة الاشراف العليا تتكون من الحاكم ونواب الحاكم والمقيمين وضباط المراكز وغيرهم من افراد البيروقراطية الاستعمارية .. وتحت هذه الهيئة العليا البريطانية التى كانت تقوم برسم كل السياسات واصدار شتى القوانين كانت توجد اكثر من ٢٠٠ وحدة منفصلة من الحكومات المحلية « وتسمى فى نيجيريا الادارة الاهلية » ذات انواع واحجام مختلفة وكانت تتكون كلها من الافريقيين .

والحق ان نيجيريا الحالية سواء فى وحدة اجزائها الثلاثة او فى كل جزء من اجزائها هى من صـنع البريطانيين فهم الذين خططوا الحدود الكلية التى تحيط بنيجيريا كلهـا تخطيطا تحكميا لايستند ــ كما هو الحال فى معظم دول افريقيـا ــ على اساس طبيعى سليم .. وهم الذين وضعوا ايضا حدود كل اقليم من الاقاليم الثلاثة . وذلك منـذ سنة ١٩٠٠ . ففى هذه السنة كانت المنطقة التى تعرف اليوم باسم نيجيريا مقسمة الى ثلاث مستعمرات منفصلة : مستعمرة لاجوس ومحميتى شمال وجنوب نيجيريا يحكم كل منها حاكم بريطانى مسـئول مباشرة امام السلطات العليا فى المملكة المتحدة . وفى سنة ١٩٠٤ ضمت مستعمرة لاجوس الى محمية جنوب نيجيريا ووضعتا تحت ادارة حاكم عام واحد هو السير والتر ايجرتون . وظلت كل من نيجيريا الشمالية ونيجيريا الجنوبية تحكم حكما منفصلا بعد ذلك حتى سنة ١٩١٤ حين ادمجت مستعمرة لاجوس ومحميتا شـمال وجنوب نيجيريا مع بعضها ووضعت كلها تحت اشراف حاكم عام بريطانى واحـد وسميت مستعمرة ومحمية نيجيريا وجعلت لاجوس عاصمة لها . وكان الرابط الوحيد فى الوحدة السياسية لهذه الدولة هو شخص الحـاكم العام الجديد السير فريدريك لوجارد . فقد ظل كل اقليم محتفظا بطابعه الادارى الخاص وظلت لاجوس وضواحيهـا تعتبر مستعمرة

بريطانية يتمتع سكانها بالرعوية البريطانية كما طبق فيها القانون الانجليزى . اما محمية الجنوب فقد انقسمت اقليمين : الاقليم الشرقى والاقليم الغربى يفصل بينهما نهر النيجر ويحكم كلا منهما نائب حاكم بريطانى يخضع مباشرة للحاكم العام ويتبعه عدد من الموظفين البريطانيين يتولون كل المناصب الكبيرة والحساسة .

وبالرغم من ان مبادىء الحكم المحلى التى كانت متبعة فى الاقليم الشمالى كانت قد اخذت تتسرب ببطء الجنوب ايضا فان السياسات والنظريات التى تشبعت بها الادارة الاستعمارية والتى طبقت خلال الاربعة عشر عاما التى ظل فيها الشمال والجنوب منفصلين .. هذه السياسات والنظريات استمرت بعد ادماجهما فى كيان سياسى موحد تسيطر على الكر والعمل الرسمى للحكام المستعمرين .

وقد ساعد على ذلك ان الادارة البريطانية فى كل من الشمال والجنوب كانت منفصلة تماما الواحدة عن الاخرى ، ولم يكن كبار الموظفين فى كل من الجهتين يجتمعون الا مرة واحدة فى العام فى الدورة السنوية للمجلس التشريعى بلاجوس . بل انه كانت هناك لغتان رسميتان مستعملتان احداهما فى الشمال وهى الهوسا والاخرى فى الجنوب وهى الانجليزية . والحقيقة ان الفروق الحادة فى الثقافة بين شعبى الشمال والجنوب توضح ان الاقليمين لم يكونا ابدا متحدين فى الماضى

ولذلك فانه عندما قامت الحرب العالمية الثانية كانت نيجيريا مقسمة صناعيا الى اربعة اقاليم ادارية هى : مستعمرة لاجوس ، والاقليم الغربى ، والاقليم الشرقى ، والاقليم الشمالى .

وخلال الحرب ادى نقص الموظفين الاداريين بالاقاليم بجانب تضخمهم فى لاجوس الى ان تقوم الحكومة مضطرة بنقل كثير من السلطات والاختصاصات من يد السلطة الاستعمارية المركزية فى لاجوس الى يد السلطات الفرعية بالاقاليم الاخرى . وما ان انتهت الحرب حتى اصبح كل من الاقاليم يتمتع بشىء من الفردية والاستقلال . وقد تدعم هذا الاستقلال بعض الشىء بصدور دستور ريتشارد سنة ١٩٥٦ الذى اعطى كل اقليم بعض السلطات الواسعة نسبيا . وجاء دستور سنة ١٩٥١ ليؤكد ذاتية كل اقليم عن الاخر وتجمعهم جميعا فى نظام شبه فيدرالى وفى نفس السنة ادمجت مستعمرة لاجوس فى الاقليم الغربى واصبحت جزءا منه . اما دستور سنة ١٩٥٤ فقد أعطى الاقاليم مزيدا من الاستقلال الذاتى داخل نطاق اتحاد نيجيريا الفيدرالى وجعل من لاجوس عاصمة رسمية للاتحاد .

والكتاب الانجليز وبعض الغربيين يقولون انه لاول مرة لا تطبق انجلترا فى نجيريا مبدأ « **فرق تسد** » الذى تطبقه فى كل مستعمراتها لتحكم قبضتها عليها . ويستندون فى ذلك الى **ان نيجيريا كلها من صنع بريطانيا** .. فهى التى خططت حدودها السياسية وهى التى رسمت أقسامها الثلاثة وألغت الخلافات القبلية والعنصرية التى كانت موجودة فيها من قبل .. وهى التى قادت البلاد فى طريق الحكم الفدرالى .. تمهيدا لاندماجها بعد ذلك فى دولة بسيطة واحدة .

ولو نظرنا بعمق الى سياسة بريطانيا هناك لوجدنا سطحية هذه الادعاءات وبعدها عن الحقيقة . فبريطانيا حين اقتسمت الاقليم الشمالى واخذت تتدخل فى شئونه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لم يكن يعانى شيئا من الخلافات القبلية بل كانت تسيطر عليه امارات قوية تطبق شريعة الاسلام السمحة العادلة وتنشر فى ربوعه الامن والاستقرار . وكانت الامارات هى الخليفة للدولة الضخمة التى أنشأها فى مطلع القرن التاسع عشر السلطان عثمان دان فوديو .

وأما بالنسبة للجنوب . فقد أشرنا فى مقال العدد الماضى الى النكبات والكوارث التى جلبها عليه البريطانيون وغيرهم من الاوربيين طوال قرون اربعة من جراء تجارة الرقيق التى أدت الى اختطاف الملايين من أبنائه وما تبع ذلك من انهيار كافة الروابط الاجتماعية به وتدمير اقتصاده .

والحق انه بعد انتهاء تجارة الرقيق ..

تحولت انجلترا الى استنزاف ثروات الاقليم الاقتصادية مثل نخيل الزيت والفول السودانى والكاكاو والمعادن وغير ذلك وتألفت لذلك كما مر بنا شركة النيجر البريطانية الملكية . . وقد أغرى اتساع الاراضى فى الاقليم الشمالى وخصوبتها وكذلك خلوه من الغابات الاستوائية الكثيفة والمستنقعات الموجودة بالاقليم الجنوبى .. ودرجة الرقى الزراعى الذى كان عليه أهله اغراهم ذلك بالتدخل فى شئونه ثم احتلاله واعلانه محمية .. ولما كانت منتجاته لا يمكن نقلها الى أوربا الا عن طريق الجنوب « وذلك بعد توقف طرق القوافل القديمة الى الشمال الافريقى » . حتى تصل الى شاطىء المحيط فقد أصبحت المنطقة تشكل فى نظر المستعمر وحدة اقتصادية يكمل بعضها بعضا ولا غنى عنها لاقتصاده واشباع أطماعه .. ومن ثم أقبل على جعلها وحدة سياسية موحدة مبقيا رغم ذلك على مبدئه التقليدى فى التفرقة والتقسيم فى صورة الاقاليم الثلاثة .

ومما يدل على ذلك أن المستعمر لم يبذل جهودا تذكر لادماج الجماعات التقليدية مثل اليوربا والتيف وغيرها فى بعضها البعض وحملها على التفاهم وتقليل الخلافات القائمة بينها .. بل بالعكس أنشأ لكل منها مجالس خاصة مثل « مؤتمر رؤساء اليوربا ، ومجلس التيف المركزى ومجلس الايدوما المركزى واتحاد الايكيتى » .

كما تجلى ذلك أيضا فى القيود الكثيرة التى فرضت على تنقلات أبناء كل اقليم من منطقة لاخرى . وخاصة من المناطق المزدحمة مثل مناطق الايبو ، الى المناطق الاقل ازدحاما مثل الاقليمين الغربى والشمالى . وكذلك فى عدم قيام البريطانيين بالغاء نظام الملكية التقليدى للارض لتسهيل اعادة توزيع السكان وكذلك فى تشجيعهم للاشكال والعادات والولاءات القديمة وابقائهم عليها .

حتى الاستثناء الوحيد الذى يمكن أن يساق كدليل على رغبة الانجليز فى توحيد البلاد وهو المجلس التشريعى النيجيرى الذى كان موجودا قبل سنة ١٩٤٥ والذى كان يضم ممثلين لمختلف أنحاء البلاد .. هذا الاستثناء يهدمه أن المجلس التشريعى المذكور كان مقصورا على الاقليمين الجنوبيين فقط فلم يكن به ممثلون للاقليم الشمالى . بل ان تمثيل الاقليم الغربى به كان تمثيلا قاصرا وليس على قدم المساواة مع الاقليم الشرقى .. كما ظلت الوظائف الكبيرة حتى سنة ١٩٤٥ وقفا على الانجليز وحدهم دون النيجيريين الذين لم يكونوا يشغلون غير وظائف الكتبة والعمال البسيطة .

وقد أدى ابقاء الانجليز على العادات والولاءات والتعصبات القديمة وتشجيعهم لها وكذلك قفل بعض الاقاليم مثل الاقليم الشمالى بالذات ضد مظاهر التقدم العلمية الحديثة كالمدارس والمستشفيات ومختلف مظاهر الثقافة أدى ذلك الى :

١ — ان استجابة الجماهير لاى عمل جماعى كان فى معظم الاحيان استجابة لعمل عشائرى أو قبلى .

٢ — اتساع الفروق بين الاقاليم وبعضها فى ميدان التقدم الثقافى والاجتماعى .. فقد اهمل الانجليز عامدين الاقليم الشمالى لما وجدوه من اهله المسلمين من صلابة ضد مبشريهم وتجارهم بينما بذلوا بعض العناية بالاقليمين الجنوبيين واصبح ذان يفوقان الاقليم الشمالى فى درجة تقدمهما وبالتالى اتسعت شقة الخلاف بين الشماليين والجنوبيين .

٣ — قيام الاحتكاكات الدائمة بين العناصر المختلفة التى تقطن نيجيريا مثل الاحتكاكات التى تقوم بين اليوربا والايبو ومثل الاعتداءات المستمرة التى يقوم بها اهل الجنوب على جاليات المسلمين الشماليين المعزولة التى تقيم بين ظهرانيهم . وكذلك الاحتكاكات المستمرة بين المسلمين سكان الاقليم الشمالى وبين اقليات الايبو واليوربا التى تقيم بينهم .

ننتقل بعد ذلك للحديث عن مظهر آخر من مظاهر التنظيم الادارى فى نيجيريا وهو تقسيم

الاقــاليم الى مــديريات او محــافظات وتقسيم هـــذه بالتالى الى مراكز • • وذلك باشراف مقيمين وضـباط مراكز مـن البريطانيين • وحدود هذه الاقسام الفرعيـة رسمت بقدر الامكان بحيث تتبع الحــدود الارضية للوحدات السياسية المحلية •• بل كثيرا ما رسمت حدود هذه الاقسام بحيث يضم الواحد منهـا كل المنتمين الى قبيلة معينة فقط مما يؤدي بالتالى الى انعـزال افراد هذا المركز عن باقى ابناء البلاد واتجاه ولائهم ناحية القسم او القبيلة وحدهمـا • وعندما احتل البريطانيون شمال نيجيريا سنة ١٩٠٠ وجد لوجارد ان النظام المطبــق فى مستعمرة لاجوس لا يصلح للتطبيق فى الشمال •• ذلك ان لاجوس اقليم صغير لا يشمل غير العاصمة وضواحيها •• اما الشمال فاقليم شديد الاتساع • ولذلك فقد وضع لوجارد هذه الحقيقة امام عينيه الى جانب حقيقـة اخرى وهى نقص الارصدة المالية والموظفين الذين فى حوزته •• وفى الوقت نفسه وجد امامه امارات قوية حسنة التنظيم هى اجزاء لامبراطورية عظيمة تكونت قبل مجيئه بقرن واحد هى امبراطورية الفولانى التى أسسها السلطان عثمان دان فوديو •• ومن ثم فانه لم يجد مانعا من الابقاء على هذه الامارات واستخدامها كأدوات للحكم الاستعمارى • وفى السنوات العشر التى تلت ذلك وضـع لوجارد نظاما للادارةالمحلية أشتهر بأنه نظام للحكم غير المباشر • وكانت الملامح الخارجية لنظام الادارة المحلية هذا •• هى المحافظـة على التنظيماتالسياسية التقليدية وتطويرها تحت اشراف الادارة البريطانية لتتلاءم مـع مطالب الوحدات الحديثة للحكومة المحلية ، وقد طبق هذا النظام بعد ذلك سنة ١٩١٤ فى الجنوب •

ولقد نجح هذا النظام نجاحا باهـرا فى الشمال لعدة اسباب : اولها هو ان البريطانيين وجدوا فيه نظاما متأصلا وعلى درجة عالية من القدرة والكفاءة له جذوره التى ترجع الى قرن مضى منذ انشاءامبراطوريةالفولانى• وقد اعتاده الناس والفوه واصبح جزءا من حياتهم • والثانى هو وجود نظام ثابت قديم لفرض الضرائب وجمعها متأصل ايضا من ايام امبراطورية الفولانى ووجــدت الحــكومة الاستعمارية انه يعنى تماما بحاجتها وليس من داع لتغييره • ولكن هذا النظام لم يلق فى الجنوب نجاحا يذكر لعدم توافر الاسباب التى ذكرناها فيما سبق • وان كان نجاحه فى الاقليم الغربى قد فاق نجاحه فى الاقليم الشرقى •

طرق المواصلات :

ويجرنا الحــديث الســابق عن الادارة الاستعمارية السابقة لنيجيريا الى الحديث عن المواصلات فى البلاد •• فقد سبق ان بينا ان الاستعمار هو الذى وضع حدود نيجيريا وهو الذى قضى على اتصالها وخاصة الاقليم الشمالى بالبلاد الاسلامية الاخرى بالسودان الغربى والشمال الغربى •

والحق ان الهدف الرئيسى للاســتعمار هو الاستغلال الاقتصادى لموارد البــلاد • ولكى يتحقق هذا الاستغلال وتنمية المصالح الاقتصادية البريطانية فى نيجــيريا كان من الضرورى ان يمســك البريطانيــون بزمام السياسة فى البلاد ثم بناء شبكة منالمواصلات بمختلف انواعها تربط المناطق المنتجة للمواد الخام والمحاصيل بالموانىء او نقط التصدير وبعد ذلك اتخاذ عملةرسمية للبلاد ثمتشجيع الافريقيين اهالى البلاد على انتاج محاصيل التصدير الاستوائية واخيرا ايجاد رغبة عامة لدى الاهالىلاستهلاك البضائع الاوربيةوخاصة الانجليزية حتى تصبح البلاد سوقا طيبة لبيع منتجات مصانع المستعمر •• وهذا بلا شك هو احد وجهى العملة بعد الوجه الآخر الذى ذكرناه عن جعلالبلاد حقلا لانتاج الموادالخام الرخيصة •• وكون البلاد سوقا لبيعمنتجات المستعمر يستتبع بالتالى عدم تشجيع اقامة اية صناعات انتاجية فى البــلاد الا بعض الصناعاتالتافهة التى لا تعوق توزيعالمنتجات الاوربية •

وحينما اصبح جوزيف تشمبرلين وزيرا للمستعمرات البريطانيــة سنة ١٨٩٠ قـام بجهود جبارة فى تنفيذ الخطوات التى سبق

وتحدثنا عنهـــا .. فتحت اشرافه نفسه البريطانيون الشطر الاول سنة ١٩٠٠ حين اكملوا احتلال البلاد. اما بالنسبة للمواصلات فقد بدا العمل على تحسينها منذ سنة ١٨٩٦ .. وقد تم مد خط السكة الحديد من لاجوس الى ابادان وطوله ١٩٠ ميلا سنة ١٩٠٠ وتم الخط من لاجوس الى كانو بالاقليم الشمالى وطوله ٧٠٤ أميال سنة ١٩١١ وخلال الخمسة عشر عاما التالية اضيف الى السكة الحديد خط جديد طوله ٦٠٠ ميل وصل مدينة كانو بميناء هاركورت بالاقليم الشرقى . وفى سنة ١٩٣٦ كان طول خطوط السكة الحديد فى نيجيريا قد بلغ ٢١٧٨ ميلا وفى الوقت نفسه كان يجرى باستمرار تحسين ميناءى لاجوس وبورت هاركورت . وقد اصبح ميناء لاجوس الآن هو المخرج الرئيسى لمنتجات الاقليمين الغربى والشمالى . وحين اكتشفت مناجم الفحم فى اودى ، سنة ١٩١٢ انشئ ميناء هاركورت لتصدير هذا الفحم وكذلك لتصدير منتجات حوض نهر بينى .

وخلال العشرين سنة الاولى من حكم الاستعمار لم تشق الا طرق قليلة جديدة . ففى سنة ١٩٠٦ لم يبلغ طول الطرق المهدة اكثر من ثلاثين ميلا . وفى سنة ١٩١٤ جاء فى تقرير رسمى عن حالة الطرق بالبلاد انه « بعيد عن خط السكة الحديد ليس هناك من وسيلة لنقل البضائع الا على رءوس الحمالين» وبعد الحرب العالمية الاولى اكتشف ان السيارة الخفيفة التى كانت تنتجها مصانع فورد يمكن ان تتحمل السير فى الطرق المشوشبة غير المهدة .. ولذلك اخذت نيجيريا تمتلىء بهذا النوع من السيارات حتى بلغ الموجود منها فى لاجوس وحدها سنة ١٩٢٣ اكثر من ٦٠٠ سيارة .. وكان استيراد السيارات هو الحافز على تمهيد الطرق .. فما وافت سنة ١٩٣٦ حتى بلغ طول الطرق أكثر من ستة آلاف ميل . وفى العشر سنوات التالية تضاعف هذا الرقم ثلاث مرات.. وفى سنة ١٩٥٠ كان الرقم قد ارتفع الى اكثر من ٢٨ الف ميل . ورغم قلة هذه المسافة تماما بالنسبة لمساحة نيجيريا الهائلة .. فاننا نلمح وراء انشائها جشع المستعمر الذى يبينه ما جاء فى تقرير رسمى يقول « أن الاهمية الحقيقية لهذه الطرق انها تعمل متفرعة من خطوط السكة الحديد وذلك لفتح مناطق جديدة أمام التجارة البريطانية .. كما أن السيارات تقوم بخدمة جليلة اذ تعمل على نشر زراعة الكاكاو بين الاهالى الذين يجدون فى السيارة وسيلة رخيصة لنقله » وهكذا يتضح المستعمر عن اغراضه من نشر المواصلات وهى جعل البلاد سوقا يوزع بها منتجاته وموردا للمحاصيل والمواد الخام التى يريدها فيحصل عليها بارخص الاسعار

وقد حقق التقدم فى وسائل المواصلات أهداف المستعمر الاقتصادية تماما فبداية تصدير الرصاص والقطن والفول السودانى لحساب الشركات الانجليزية المستغلة كانت نتيجة مباشرة لمد خطوط السكة الحديد .

وهناك ملاحظة اخيرة هامة بالنسبة للمواصلات .. هى أن جميع انواع المواصلات فى نيجيريا سواء أكانت جوية أو نهرية أو بحرية او تليفونية أو تلغرافية تتجه الى ربط نيجيريا بأوربا وليس بالدول الافريقية المجاورة حتى انك اذا أردت السفر بالطائرة مثلا الى أى بلد مجاور لنيجيريا مباشرة فلا بد من أن تسافر الى أوربا اولا ومن هناك تعود فتسافر الى البلد الافريقى الذى تقصده . وكذلك الحال بالنسبة للتليفون او التلغراف فلا بد ان تتصل بلندن أولا قبل ان تتحدث الى من تريد فى البلاد الافريقية المجاورة . والغرض من ذلك طبعا واضح وهو أن يفصم المستعمر تماما بين الافريقى والافريقى ويجعله معتمدا دائما على اوربا فى كل شىء .

ولا شك ان نيجيريا الحرة المستقلة ستعمل دائبة على تحطيم هذا الحصار الذى فرضه عليها المستعمر وستجدد صلاتها وتعمل على بدء عهد جديد من التقارب الوثيق مع كل البلاد الشقيقة فى القارة .

عبد الرحمن صالح

تنجانيقا



فى أرقـــام

بقلم : محبات امام الشرابى

أولا ــ الجغرافية الطبيعية :

١ ــ الموقع : تمتد من كينيا واوغنــــده شمالا الى روديسيا الشمالية ونياســالاند ، وبين الكونغو غربا والمحيط الهندى شرقا .

٢ ــ المساحة : تبلغ مساحتهــا ٣٦٢٫٠٠٠ ميل مربع منها حوالى ٢٠٫٠٠٠ ميــل مربع مسطحات مائية داخلية ، ومعظم الجزء الباقى أرض جرداء موبوءة بذبابة التسى تسى .

٣ ــ التضاريس : تنقسم الدولة تضاريسيا الى أربعة نطاقات .

١ ــ نطاق المنخفضات الساحلية .

٢ ــ نطاق ما بعد المنخفضات الساحليــة وهذا النطاق يمتلىء بالاشجار التى تتحمل الجفاف .

٣ ــ نطاق الهضبة الوسطى والغــربية . حاولت الحكومة البريطانية استغلال هــــذا النطاق باعداد مشروع الفول السودانى ، الا انه فشل ، مما دل على صعوبة استغلال هذه الهضــبة .

٤ ــ نطاق المرتفعات : حيث المناخ مشجع لجذب المستوطنين البيض .

ثانيا ــ الجغرافية البشرية :

بلغ عدد السكان نحو تسعة ملايين نســمة كلهم من الافريقيين فيما عدا ١٠٠٫٠٠٠ اسيوى و ٢٠٫٠٠٠ أوربى ويوجد بالدولة ما يزيد على مائة قبيلة أهمها : الماساى ، الواشــاجا ، السوكوما ، فبالنسبة لقبائل المســاى فهى تعيش فى منطقة جبل كليمنجارو وتقوم برعى الاغنام . وهم من أحسن الرعاة ، فى العالم ، وتتميز أراضى السوكوما بالحقول الواســعة وتعتمد هذه القبيلة فى اقتصادها على الزراعة وتربية الماشية . وبالنسبة للواشاجا نجــد بينهم وبين الماساى تباينا شديدا فى درجــة الحضارة ونوع الحرفة والتعليم ، وفى الوعى الســياسى .

موارد الثروة الاقتصادية :

١ ــ الزراعة : تنقسم المحاصيل الزراعية الى نوعين :

ا ــ المحاصيل الغذائية .

ب ــ الغلات النقدية .

المحاصيل الغذائية : تشمل الذرة الشامية وانواعا من الذرة الرفيعــة ، والارز والموز ، والكسافا ، والفول السودانى ، والبطاطا ، وانواعا مختلفة من النباتات الدرنية الاخرى وقد تدخل بعض الفاكهة اذا توافر فيهــا الغذاء مثل قصب السكر ، المانجو ، وجــوز الهند ، وبعض القبائل الرعوية تحيا على الدم واللبن مع قليل من الحبوب الغذائية .

فالزراعة الافريقية هنا تسير وفق النظام التقليدى القائم على مجرد اشباع المطالب المحلية ، ولكن الاقتصاد النقدى من أجل الاسواق الخارجية يلعب دورا له أهميته الآخذة فى الازدياد كما سيتضح فيما يلى :

الغلات النقدية تشمل :

١ ــ القطن : تتركز مناطق انتاجه فى مديرية البحيرة فيزرع بها ٩٠ ٪ ، هذا بالاضافة الى اجزاء صغيرة بالمديرية الشرقية والشمالية وتانجا . ولقد تزايد الانتاج منذ الحرب العالمية الثانية . واطردت الزيادة منذ سنة ١٩٥٥ حتى بلغ الانتاج ٣٤٫٠٠٠ طن مترى سنة ١٩٦٠ ، ويعد من صادرات تنجانيقا الرئيسية ، فهو يحتل المركز الثانى بالنسبة لصادراتها ويؤلف ١٦ ٪ من قيمتها ، ويرجع ذلك لزيادة المساحة المنزرعة قطنا هذا بالاضافة الى الاهتمام بالقضاء على امراض القطن . فلهذه الغلة مستقبلها الزاهر اذا ما تضاعفت الجهود فى القضاء على مشكلات الانتاج وتقدمت الصناعات المرتبطة بها .

٢ ــ القنب الهندى : من أهم الغلات النقدية بالدولة ويحتل مركزا ممتازا فى اقتصادها واهم مناطق انتاجه مديرية تانجا ، لانه نبات يمتاز بقدرته على النمو فى الاراضى الفقيرة القليلة المطر ، ويبلغ من أهميته انه اصبح يؤلف فى السنوات التالية للحرب العالمية الثانية أكثر من نصف المجموع الكلى لقيمة الصادرات فى تنجانيقا ، كما ان صناعته أكثر الصناعات استيعابا للايدى العاملة الافريقية ، ثم هى جاذب للدولار . فهذا المحصول عماد اقتصاد الدولة اذ انه يحتل المكان الاول بالنسبة لصادراتها ويؤلف حوالى ٢٨ ٪ من مجموع قيمة الصادرات ، كما انها تنتج وحدها ما يقرب من ٦٦ ٪ من الانتاج الكلى لافريقية بالاضافة الى انها اكبر منتج للقنب الهندى فى العالم فهى تنتج ما يقرب من نصف الانتاج العالمى .

٣ ــ البن : يعتبر اهم غلة زراعية فى « موشى » بل فى منطقة كيليمنجارو كما انه يزرع بمساحات متفرقة فى اقليم المرتفعات بحيث أصبح اهم محصول اقتصادى بهذه المرتفعات . وينتجه الافريقيون والاوربيون على حد سواء فى مرتفعات اوسومبورا ، كما ينتج بالدولة نوعان من البن هما الناعم والخشن : يحصل على الناعم من البن العربى والخشن من نوع الروبستا .

ولقد اهتم الانجليز من وقت سيطرتهم على تنجانيقا سنة ١٩١٦ فى التوسع فى زراعته اما قبل هذا ــ فيما بين ١٩٠٥ ــ ١٩٠٦ ، كان الصادر يتراوح بين ٢٠٠ و ٧٠٠ طن سنويا . ومنذ هذا التاريخ اخذت قيمته تزداد حتى بلغت قيمة الصادر منه سنة ١٩٥٠ ــ ٣٫٤٧ مليون جنيه . واستمرت هذه الزيادة حتى بلغت اقل قليلا من ثلث القيمة العامة لصادرات الدولة فى هذه السنة .

٤ ــ الشاى : ينتج اساسا فى مزارع المستوطنين فى منطقة تانجا وفى مراكز «فولندى وتوكديو وتجومبى » بمديرية المرتفعات الجنوبية . وفى السنوات القليلة الماضية زادت المساحة المزروعة بمعدل ١٫٢٥٠ فدانا سنويا . ولقد كانت صادراته قبل الحرب العالمية الثانية ضئيلة جدا ، الا انها زادت كثيرا سنة ١٩٤٧ ، كما بدأت الزيادة الفعلية فى الانتاج والصادر منذ سنة ١٩٥١ ، وللدولة مستقبلها العظيم فى انتاج هذه الغلة .

٥ ــ الطباق : يزرع بالدولة كميات كبيرة من هذا المحصول ، رغم انها هى واوغنده من اقل الدول المنتجة له بالمقارنة مع روديسيا الجنوبية ونياسالاند ويأتى الانتاج للطباق المعالج بالهواء من ابعاديات الاوروبيين كما ينتج ايضا بالمديرية الغربية . وبالنسبة لمستقبل هذا المحصول نجد ان هناك مجالا للتوسع فى زراعته باجزاء كثيرة بالدولة .

وبالنسبة للطباق المعالج بالنار فلقد بدأ ادخاله فى سنة ١٩٣٠ بالمديرية الجنوبية . وينتجه كذلك الافريقيون .

٦ ــ الكوبرا : تتكون من نواة جوز الهند المجففة التى يستخرج منها الزيت ، وهى تنمو على طول النطاق الساحلى فى جزيرة مافيا . ونجد ان انتاج هذه الغلة من اهم نواحى النشاط الاقتصادى القديم بالدولة . وقبل الحرب العالمية الثانية كان يصدر جزء

من الانتاج ولكن منذ سنة ١٩٣٩ يستخدم كل الانتاج فى صناعة الصابون المحلية ، ونجد ان اهم مناطق تركز الانتاج حسب الاهمية : المديرية الشرقية وتليها تانجا ثم الجنوبية .

فهذه الغلة لها قيمتها الاقتصادية الهامة بالدولة اذ انها تحتل المركز الثالث بالنسبة للدول الافريقية المنتجة لها ، كما انها تنتج حوالى ١١ ٪ من الانتاج الافريقى للكوبرا .

٧ ــ شمع النحل : لقد أصبح شمع النحل من سلع التصدير الرئيسية بالدولة واخذت كمية الصادر منه تزداد ابتداء من اوائل القرن ١٩ . ونجد ان نحو ٦٠ ٪ من الشمع يجمع من الخلايا و ٤٠ ٪ من العسل البرى ، وتعتبر تنجانيقا أولى دول العالم فى انتاج شمع النحل .

٨ ــ انبير ثيروم : وهو نبات سام يستخدم فى صناعة مادة الـ د.د.ت المبيدة الحشرات وينحصر الانتاج غالبا فى المديرية الشمالية ومديرية المرتفعات الجنوبية ويقوم بانتاجه غير الافريقيين . ولا يتوقع زيادة سريعة فى المستقبل القريب لانخفاض غلة الفدان . ومهما يكن فالسياسة الحالية هى تشجيع المنتجين على زراعة المحصول فى المناطق المناسبة لزراعته فى مراكز اروشا ــ موشا ، وبالمديرية الشماليةوبمديرية المرتفعاتالجنوبية

بالاضافة الى هذه الغلات الرئيسية توجد غلات أخرى ثانوية . وغالبا ما يصدر الجوز غير مقشر .

كما يوزع « جوز الهند » اساسا على الساحل شمال دار السلام ، ويستهلك جزء من المحصول محليا والباقى يستخدم فى انتاج الكوبرا كما سبقت الاشارة ونجد ان معدل غلة الفدان من الجوز ضئيل جدا ، ولا يتوقع زيادة كبيرة فى الانتاج ولا فى الصادر الا اذا وجهت العناية للقضاء على المشكلات التى تواجه الانتاج .

وتنتج حاليا كميات ضئيلة جدا من الكاكاو بالدولة وقد بحثت امكانيات زراعته اوضحت النتائج عن :

ملاءمة ظروف التربة والمناخ بمناطق معينة من مديرية تانجا للانتاج الاقتصادى للغلة ، بدرجة تجعل للكاكاو قيمته بالمديرية . كما أوضحت امكان زراعة انواع كاكاو الافرون الاعلى بالدولة .

مشروع الفول السودانى : كان يزرع هذا المحصول بالدولة منذ زمن بعيد الا انه كان على نطاق ضيق . فلقد قامت الحكومة البريطانية بتنفيذ مشروع الفول السودانى الذى انفقت عليه ٣٦٫٥٠٠٫٠٠٠ ج ، وذلك عندما حدث نقص عالمى فى الشحم والزيت عقب الحرب فوضع المشروع سنة ١٩٤٧ لانتاج هذه الغلة فى شرق افريقية على نطاق واسع ، وصمم المشروع على أن تكون تنجانيقا هى المركز الرئيسى لانتاج هذه الغلة ، الا ان هذا المشروع قد فشل فشلا تاما سنة ١٩٥٠ وذلك لقلة المياه فى المكان المختار ، لتنفيذه . واقتصرت زراعته على حقول التجارب فقط .

٢ ــ الثروة الحيوانية : تتمثل الثروة الحيوانية فيما يلى حسب احصاء سنة ١٩٦٠

٧٫٧٣٩٫٧٨٧ رأسا من الماشية

٤٫٢٨٦٫٨٠٠ رأس من الماعز

٢٫٨٧٠٫٧٨٩ راسا من الضأن

بالاضافة الى ١٥٫٥٩٤ خنزيرا ، ١٤٩٫٦١٢ حمارا ، ١٩٠ حصانا .

فتمثل تنجانيقا المركز الاول فى الانتاج الحيوانى بالنسبة لدول شرق افريقية وتعتبر الماشية ذات الاهمية الرئيسية وتليها الماعز ثم الاغنام الا ان هناك عقبات ومشكلات كثيرة تحول دون التوسع فى الانتاجالحيوانىبالدولة اذ أن حوالى ٦٠ ٪ من مساحتها موبوء بذبابه التسى تسى بالاضافة الى أن معظم أجزائها جاف ، الامر الذى جعل الماشية نفقد ٢٥ ٪ من وزنها فى فصل الجفاف .

وبالنسبة لمستقبل الانتاجالحيوانىبالدولة نجد أن مجالات التقدم واسعة ولكن هذا رهين بادخال طائفة من التحسينات منها القضاء على الذبابة ، وتوفير العلف والمراعى والاكثار من الخدمات البيطرية ، وادخال سلالات أجنبية ، وتحسين أساليب الذبح والسلخ ومقاومة امراض الحيوان .

٣ ــ الثروة الطبيعية وتشمل :

١ ــ الغابات .

ب ـ الحيوانات البرية .

جـ ـ الاسماك .

د ـ المعادن .

١ ـ الغابات : تغطى الغابات والاخشاب مساحة كبيرة من الدولة ، ونجد أن حوالى ١٣ ٪ من مساحتها غابات محجوزة ، وتضم المساحات الغابية كل أصناف الاخشاب . وبالدولة أساس لا بأس به من مصانع قطع الاخشاب واعدادها للتصدير .

٢ ـ الحيوانات البرية : يقطن بالدولة انواع من الحيوانات البرية مثل البيفاوات والتماسيح والفيلة والجاموس . وتتمثل أهميتها فى منتجاتها من جلود وعاج وكذلك فى جذب السياح فى رحلات الصيد للدولة مما يدر عليها عملات اجنبية .

٣ ـ مصايد الاسماك : تنقسم مصادر الاسماك الى :

ا ـ الاسماك البحرية .

ب ـ الاسماك التى تصاد من البحيرات .

جـ ـ المصايد الداخلية الاخرى .

وتستحوذ كل من بحيرتى فكتوريا وتنجانيقا على الجزء الاكبر من مجموع الصيد ، والمصايد الداخلية تنمو سريعا ، واما البحرية لا تزال تنمو بخطى بسيطة .

وتتمثل اهم مصايد الاسماك ـ بالدولة ـ فى بحيرة فكتوريا . ويمكن ان يزداد الانتاج والتغلب على المشكلات التى تواجهه بتنظيم وسائل المحافظة على السمك ومقاومة الذباب وتشييد مركز ابحاث ووحدة تجارب لوضع خطط زيادة الانتاج . وبلغ مجموع الصيد سنة ١٩٦٠ ـ ٦٠٫٠٠٠ سمكة وهى تمثل حوالى ٤٠ ٪ من مجموع الصيد بشرق افريقية .

٤ ـ الثروة المعدنية :

حتى عهد قريب كانت المعادن تلعب دورا قليل الاهمية فى اقتصاد تنجانيقا ، ولكن أخذت أهميتها تزداد حتى اصبحت ثروتها المعدنية من أهم الاسباب التى وجهت اليها الانظار فى السنوات الاخيرة ، وأصبحت تؤلف نحو ١٥ ٪ من قيمة صادرات الدولة واهمها ما يلى :

١ ـ الماس ـ أهم المعادن بالدولة ، ولقد اكتشف قبل الحرب العالميه الاولى بمديرية البحيرة . وبدأ الانتاج التجارى على نطاق محدود سنة ١٩٢٥ وكان الانتاج الفعلى سنة ١٩٤٠ عندما استطاع الدكتور وليمسون ان يكشف منجم موادوى وأخذ الانتاج يتزايد بسرعة حتى ٥٤٨ قيراطا سنة ١٩٦٠ ، ويحتل المركز الرابع فى قائمة صادرات الدولة بعد السيسال والقطن والبن ويؤلف نحو ٨٫٥ ٪ من مجموع قيمة صادراتها

٢ ـ الذهب : يحتل المركز الثانى بالنسبة للانتاج المعدنى بالدولة وتتركز مناجمه فيما يلى : ـ

ا ـ منجم جيتيا وهنا اهم مناطق الانتاج.

ب ـ منجم كياباكارى شرق بحيرة فكتوريا

جـ ـ منجم سنجيدا بالمديرية الوسطى .

د ـ منجم « لوبا » بجنوب غرب تنجانيقا وحاليا نجد ان ٨٠ ٪ من انتاج الذهب يأتى من مناجم كيا باكارى .

وتنتج تنجانيقا ٩١ ٪ من انتاج الذهب بشرق افريقية .

٣ ـ الفحم : لقد اكتشفت رواسب عظيمة من الفحم فى الجزء الجنوبى الغربى من الدولة وأهم حقوله فى حوض نهر « روهوهو » قرب بحيرة نياسا ، وهناك حقل آخر قرب الطرف الشمالى من هذه البحيرة . ونجد أن هذه المناطق بعيدة عن الخط الرئيسى للسكة الحديد الامر الذى ادى الى تأخر استغلالها.

٤ ـ الرصاص : اكتشفت رواسبه سنة ١٩٤٢ ، وتتمثل أهم مناجمه فى « مباندا » على بعد ٢٠٠ ميل جنوب غرب طابورة فى منطقة بها خامات فضة ونحاس وذهب .

٥ ـ القصدير : يوجد بمركز «كاراجوى» فى الركن الشمالى الغربى ، والمنجم الوحيد المستغل الآن هو منجم « كابوريشوكى » .

٦ ـ الحديد : وجدت رواسبه منذ عدة سنوات فى الجنوب الغربى ، والخام من

الماجنتيت المختلط مع نســـــبة عاليــة من الهيماتيت .

٧ ــ الميكا : توجد فى مناطق كثــيرة فى تنجانيقا ، ولقد عدنت على نطاق ضيق منذ عدة سنوات خاصة فى جبال « اولوجورو » بالمديرية الشرقية .

٨ ــ الملح : المصدر الرئيسى له فى ينبوع « اوفيوزا » بالمديرية الغربية ، يصدر نصف الانتاج الى جمهورية الكونغو واتحاد روديسيا ونياسالاند .

٩ ــ الجرانيت : نجد أن الانتاج التجارى للمعدن يأتى من منجم صـــغير فى المديرية الجنوبية .

١٠ ــ الفوسفات : اغلب رواسبه شرق بحيرة « مانيارا » بالمديرية الشمالية ولقـد اكتشفت بالصدفة سنة ١٩٥٦ .

من هذا العرض للثروة المعدنية تتضـــح ثروة الدولة وغناها بالانتاج المعدنى ، الذى فى حاجة الى الايدى الوطنية المخلصـــة كى تستغله وتوجه الانتاج لصالح الاقتصـــــاد الوطنى .

الانتاج الصناعى : نجد ان التقدم الصناعى ضئيل بوجه عام ، ويعتبر فى المراحل الاولى من تطوره . ويقتصر على معالجة بعض الخامات وانتاج بعض السلع الاستهلاكية على نطـاق ضيق ، كما نجد ان العوامل الســـياسية ليست بالعائق فى وجه المستثمر ، وانمـــا العائق مصدره عدم النضوج الاقتصادى الكامل للدولة وعدم كفاية المواصلات والخـــدمات بالمصانع والافتقار الى العمـــال الحاذقين

النقل والمواصلات :

تتمثل وسائل النقل بالدولة فى :

١ ــ السكك الحديدية .
٢ ــ الطرق البرية .
٣ ــ النقل المائى .
٤ ــ الطرق الجوية .

السكك الحديدية : فى سنة ١٩١١ مد خط حديدى من أوسامبارا الى موشى ، وفى سنة ١٩٢٩ امتد هذا الخط الى مدينة اروشا . ويعتبر هذا الخط العمود الفقرى لتنميـــة اقتصاد هذه الدولة بالاضـــافة الى الخط الذى يسير من دار السلام الى كيجوما .

اما الطرق البرية فهى سيئة مما يدل على ذلك نجد ان المسافر بالسيارات من موشى الى دار السلام يستغرق مدة لا تقل عن ثلاثة أيام شاقة فى حين ان المسافة لا تزيد على ٢٤٠ ميلا .

وتلعب المسطحات المائية التى تشـــغل مســـاحات واسعة من الدولة دورا هاما فى تيسير المواصلات ، فتعتبر أداة وصـــل بين أجزائها المختلفة لا سيما وان سطحها جبلى لا ييسر عمليتى مد الخطوط الحديدية وشق الطرق البرية .

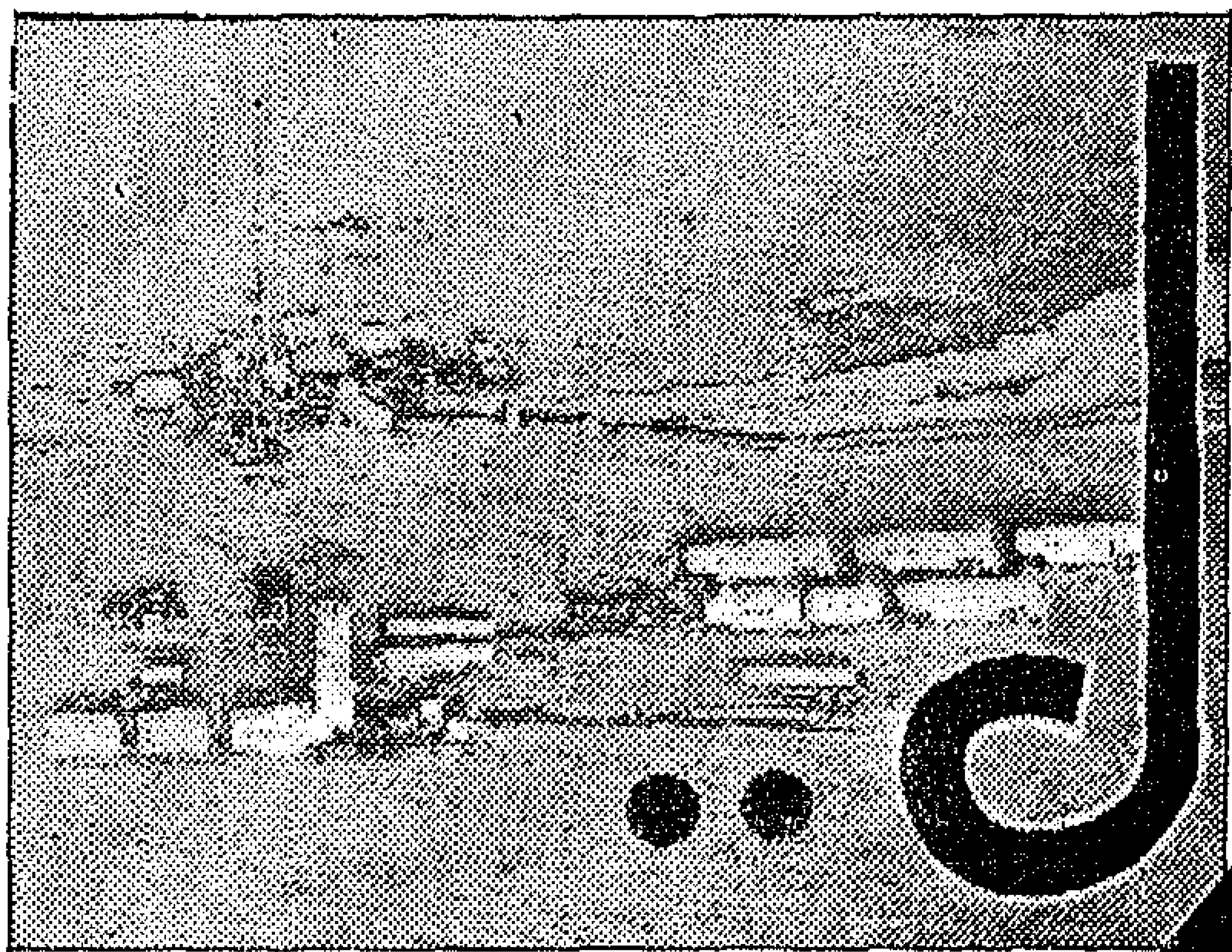
ولكن نجد ان كل وسائل النقل هذه ابعد من ان تكون شبكة تامة تساعد على كشف كل أجزاء الدولة من ناحية ، وازدياد كثـــافة السكان بها من ناحية اخرى .

بهذا نكون قد اعطينا صورة كاملة لمصادر الثروة الاقتصادية بالدولة ، فالواقع ان هذه الدولة البكر تضم كنوزا اقتصادية غير كاملة الاستغلال ، فلقد ورثها المستعمر اقتصـــادا بدائيا ، ينقصه الايدى الوطنية المخلصة التى توجه موارد ثروتها لصـــالح الدولة وليس لصالح المستعمر ، كما كان الوضع قبـــل الاستقلال .

فمن التحليل السابق نجـــد أن المساحة المزروعة لا تتجاوز ٤ ٪ فقط من مســـاحة الدولة ، لان نسبة كبيرة منها تسقط بهـا الامطار فى فترة قصيرة لذا فالتنمية الزراعية تتطلب الاهتمام باقامة السدود والخـزانات على نطاق واسع الى جانب العمـــل عـلى استغلال مصادر المياه الجوفية .

وكذلك لا بد من بذل الجهود الكبيرة لاستغلال الثروة المعدنية ، فالامكانيات واسعة لتحقيق ذلك ، ولكن الامر يتطلب وضع خطة للمواصلات ووسائل النقل . كما أن هناك مجالات واسعة لتنمية الثروة الحيوانية ، وذلك ببذل الجهود فى القضاء على المشكلات التى تواجه التوسع فى الانتاج ، وعلى رأسها مشكلة ذبابة « التسى تسى » ..

ومما لا شك فيه ان تحقيق هـذه الامور سوف يؤدى الى التكامل الاقتصادى للدولة .



البترول والأمن الافريقي

بقلم عزب احمد

لم يعد الحديث عن البترول فى علاقته بأمن دولة من دول العالم غريبا ... فمنذ صحت أوروبا فجأة على أزمة بترولية خانقة خلال عام ١٩٥٦ ، وهو العام الذى وقع فيه العدوان الثلاثى على مصر بعد اقدام حكومة الثورة فيها على تأميم الشركة العالمية لقناة السويس — منذ ذلك التاريخ بدأت تتابع التغييرات الاساسية فى سياسة الدول الغربية على وجه الخصوص فيما يتعلق باستغلال البترول وأسعاره فضلا عن التفكير فى احداث انقلاب فى خطوط ووسائل مواصلاته الحالية بمنطقة الشرق الاوسط

وليس ببعيد عن الذاكرة ذلك الامر الذى أصدره الرئيس الامريكى السابق ايزنهاور الى مجلس الامن القومى الامريكى — قبيل العدوان الثلاثى على مصر — بوضع خطة لبناء أسطول من الناقلات الضخمة التى تستطيع نقل امدادات كافية من البترول من الشرق الاوسط الى غرب أوروبا وأمريكا عبر المحيطات فى حالة تعطل الملاحة فى قناة السويس .. وليس ببعيد عن الذاكرة أيضا ظهور مشروعات لانابيب البترول عبر الاراضى الخاضعة لحلف بغداد حتى يتجنب البترول الذاهب الى الغرب مروره بالاراضى العربية المتحررة كسوريا ومصر .

ولعل ما يؤكد اقتران البترول بالامن فى أى بلد أن وزارة الداخلية فى أكبر البلاد انتاجا له واستهلاكا وهى الولايات المتحدة الامريكية تتولى شئون البترول وتعنى بالمشكلات التى تتعلق بتوفير موارده واستمرار المزيد منها لمواجهة احتياجات النشاط العمرانى فى مجالات الصناعة والزراعة وهذا الجانب بالذات أهم ما يشغل البلاد فى الحرب والسلم على حد سواء .

والواقع أن الحديث عن الامن والبترول يمكن أن يطول بنا اذا ما فصلنا ضرورته فاستعرضنا مشتقاته المختلفة وعرضنا لاستعمالاتها المتعددة وبينا الى أى حد تعتمد كثير من الصناعات الضخمة الاساسية عليه كصناعة الحديد والصلب وصناعة المبيدات الحشرية والمنظفات الصناعية والمطاط والمنسوجات وغيرها .

ولكن الذى يعنينا هنا أن نتناول الامن فى العلاقات البترولية اذا كانت دول أجنبية طرفا فيها أى اذا واجهت بلد من البلاد فى

حياتها البترولية موقفا يفرض عليها أن تنشىء علاقة تجارية أو صناعية أو سياسية مع دولة أجنبية ــ فقد تعودنا خــلال الحقبة التى تسنم فيها البترول ذروة موارد الطاقة فى العالم أن البترول يصبغ العلاقات الدوليـة بطابع سياسى صريح فنفوذ بريطانيا فى الشرق الاوسط وقوتها السياسية فى أوروبا قبل وبعد الحرب العــالمية الاولى كان البترول مصدرها ويكاد يكون المبرر الوحيـــد لها . والنفوذ الذى تتمتع به أمريكا الان فى دول حلف شمال الاطلنطى وفى الشرق الاوســط مكان النفوذ البريطانى وكان البترول مصدره

وربما يكون من الامور الضرورية انتعرف الحياة البترولية الامنة فى دولة ما بأنها الحالة التى يتوافـــر للدولة فيها موارد **كافيــة** لاستهلاكها من البترول داخل أرضهـــا الى جانب جهاز فنى مدرب يخضـــــع لتوجيه السياسة الوطنية ويعتمــــد فى الغالب على راسمال محلى .

والامن البترولى للـــدولة يكون ألزم الضرورات الاساسية عندما تميل الى انتهاج سياســـة متحررة مستقلة عن التيـــارات السياسية التى تصبغ سياستها بالانحيـاز لاحد المعسكرين العالميين المتصارعين .

وكان مما أثار مزيدا من الاهتمام حول هذا الموضوع ان مؤتمر القمة الافريقى فى أديس أبابا قد أعلن عدم انحياز القارة الافريقية .

وهذا الاتجاه فى حد ذاته جدير بتوجيه النظر الى ضرورة التفكير فى وضع سياسة بترولية مشتركة تؤمن النشـاط الانتـاجى والتطور الصناعى والزراعى من سيطرة القوى الاجنبية التى تتحين كل الفرص لفرض توصـــيات سياسية معينة قائمة على مساومات البترول

والاتجاه الحثيث نحو التنمية الصناعية فى بلاد افريقية يتضمن فى الوقت نفسه مزيدا من الاهتمام بموارد الطاقة المحركة وأهمها البترول واذا ما قدر للدول التى تتطلع الى النمو أن تعتمد فى تطوير وتنمية اقتصـادها على الطاقة التى تسيطر عليها دول أو أموال أجنبية فان ذلك مما يهدد أمن واستقلال هذه الدول فى حالة نشوء حالة دولية طارئة تهدد التعـــاون الدولى وتحل محله التطلع الى السيطرة والاستغلال .

والواقع ان الدول الافريقية النامية أحوج ما تكون الى الاعتماد على سياسة جماعية فى مجال البترول تؤمن مستلزمات التنمية ولا تعرضـــها لقيود أجنبية أو ظروف طـارئه تهددها بالتوقف ــ وكان مما ييسر على هذه الدول الحصول على موارد مستمرة وافرة وجــود البترول بكميــــات هائلة لدى دول افريقية وداخل الاراضى الافريقية ذاتها ومن هنا يصبح طريق البترول من مصدر انتاجه الى سوق اســتهلاكه طريقا افريقيا ١٠٠٪ لا ينبغى أن تعوقه حوائل مصطنعة أو ميول استعمارية مغرضة ــ هذا من جهة .. ومن جهة أخرى يتعين على الدول الافريقية أن ترقب بيقظة تامة اتجاه الاموال الاجنبيـة ممثلة فى شركات الاحتكار العالمية فى امريكا وانجلترا وفرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولنـدا الى الاستئثار بانشاء معامل التكرير وتولى شئون التوزيع فى معظم البلاد الافريقية .. واذا لم تقدم أو تحرص الدول الافريقيـة على اخضاع سياسة الانتاج أو التكرير للصالح الوطنى والاشتراك بمعظم رأس المـال كلما أمكن ذلك أو ضمان الســـــيطرة على ادارة **وتوجيه سياسة المؤسسات البتروليـة** فان الموقف البترولى من النــاحية الســياسية سيكون ولاشك فى غير صالح هذه الدول عندما تملى عليها اعتبارات وطنية معينة اتخاذ موقف حازم تجاه دولة تسيطر بأموالها أو نفوذها على موارد الطاقة البترولية .. ولقد لمست مصر هذا الموقف الاســــتعمارى المنحاز من الاحتكارات الغربية عقب الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ وحدوث اشتباكات شعبية مع قوات الاحتلال الانجليزية وتكرر نفس هذا الموقف عقب العـــدوان الثلاثى ابان تعطل أجهزة الانتاج فى سيناء .

وللدول الافريقية التى تعى اهمية خضوع سياسة البترول للاتجاهات الوطنية أن تتطلع مطمئنة الى الدول الافريقية التى وصلت بصناعة البترول الى مســـتوى فنى متطور

((البقية ص ٩٩))

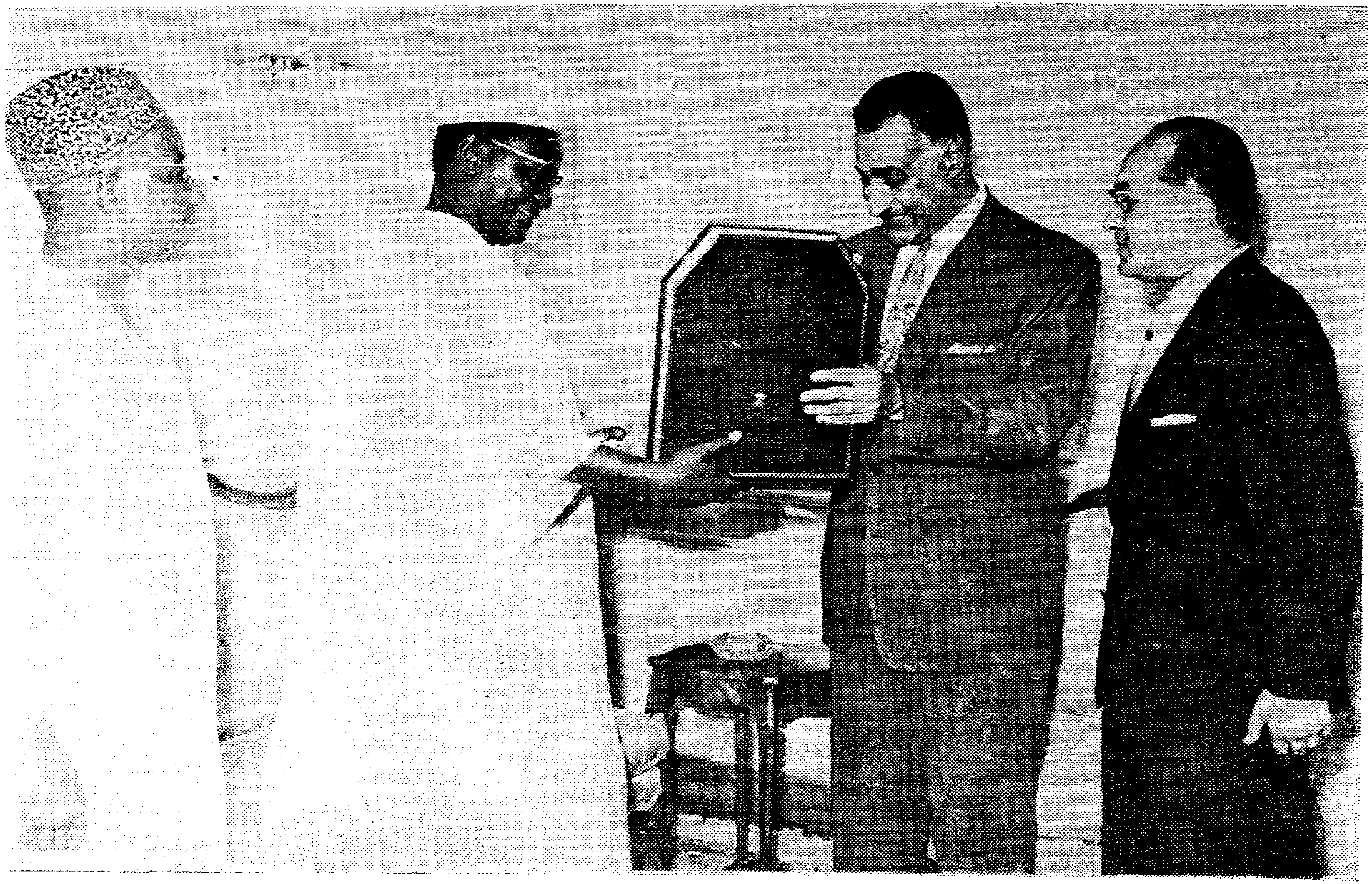
لقاء فى القاهـــرة



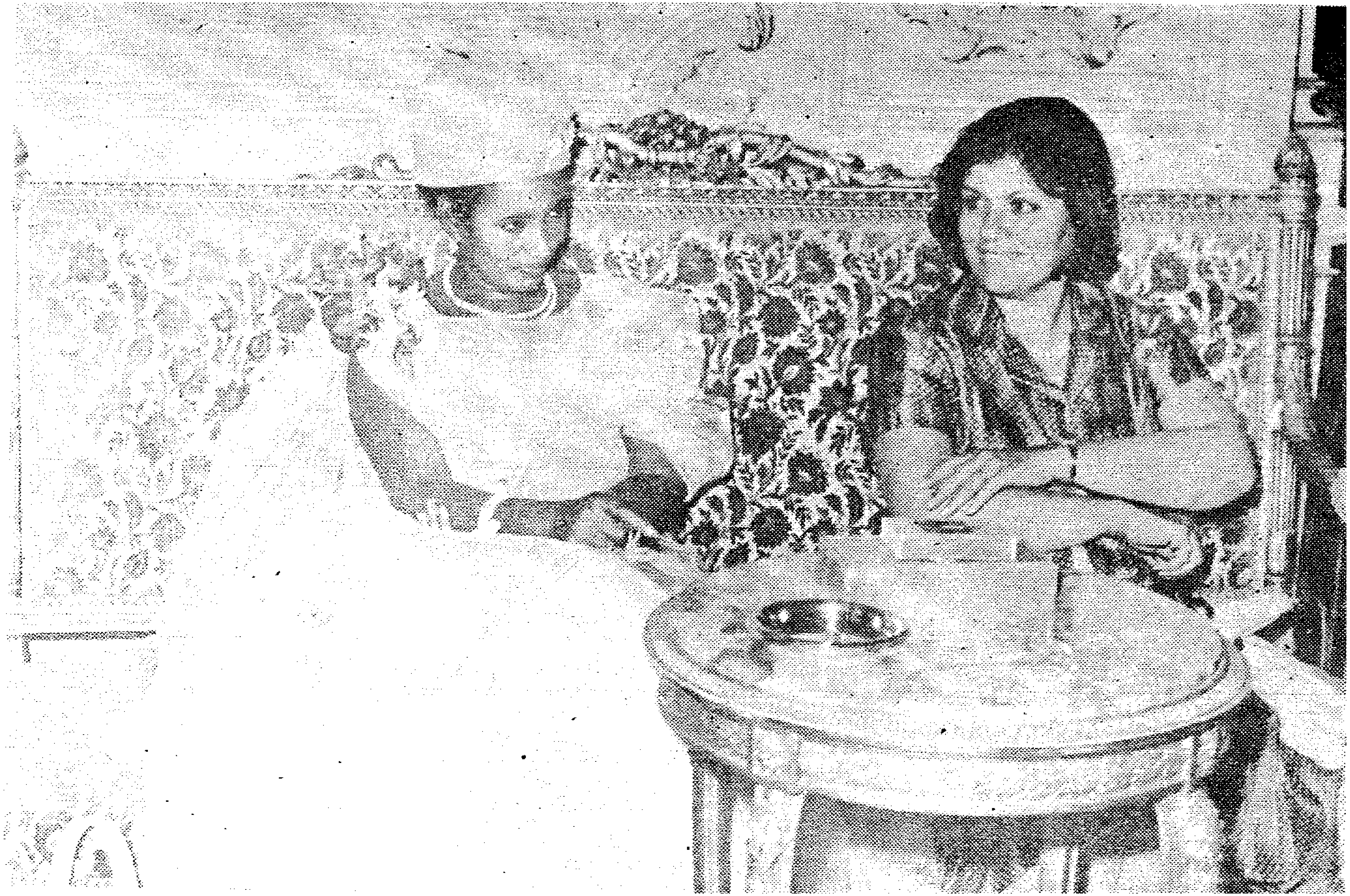
الرئيس جمال عبد الناصر ، والرئيس عبد الرحمن ديورى
فى الجامع الأزهر



« الرئيس والضيف »



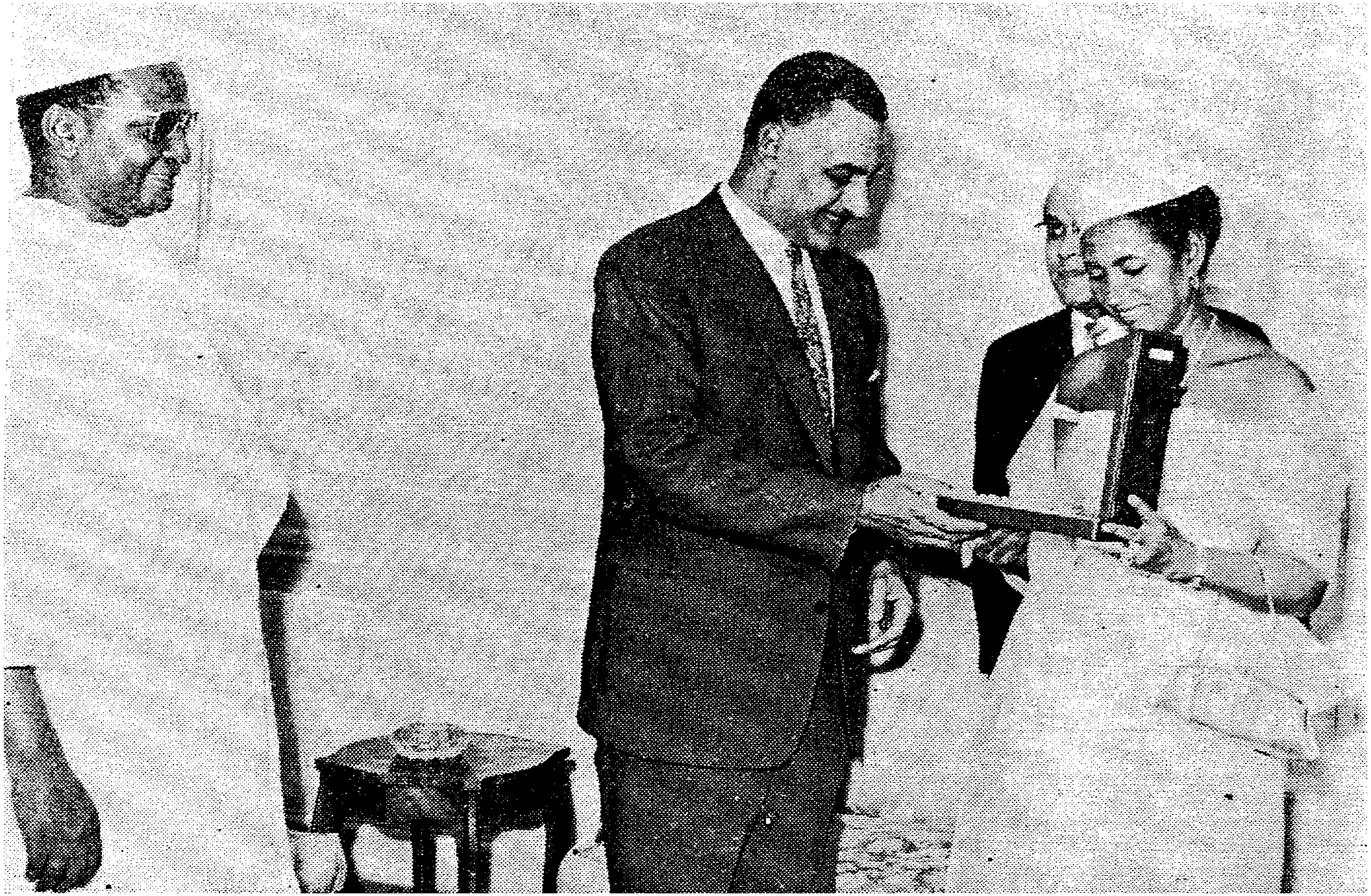
« الرئيس جمال عبد الناصر يقدم وساما للرئيس عبد الرحمن ديوري »



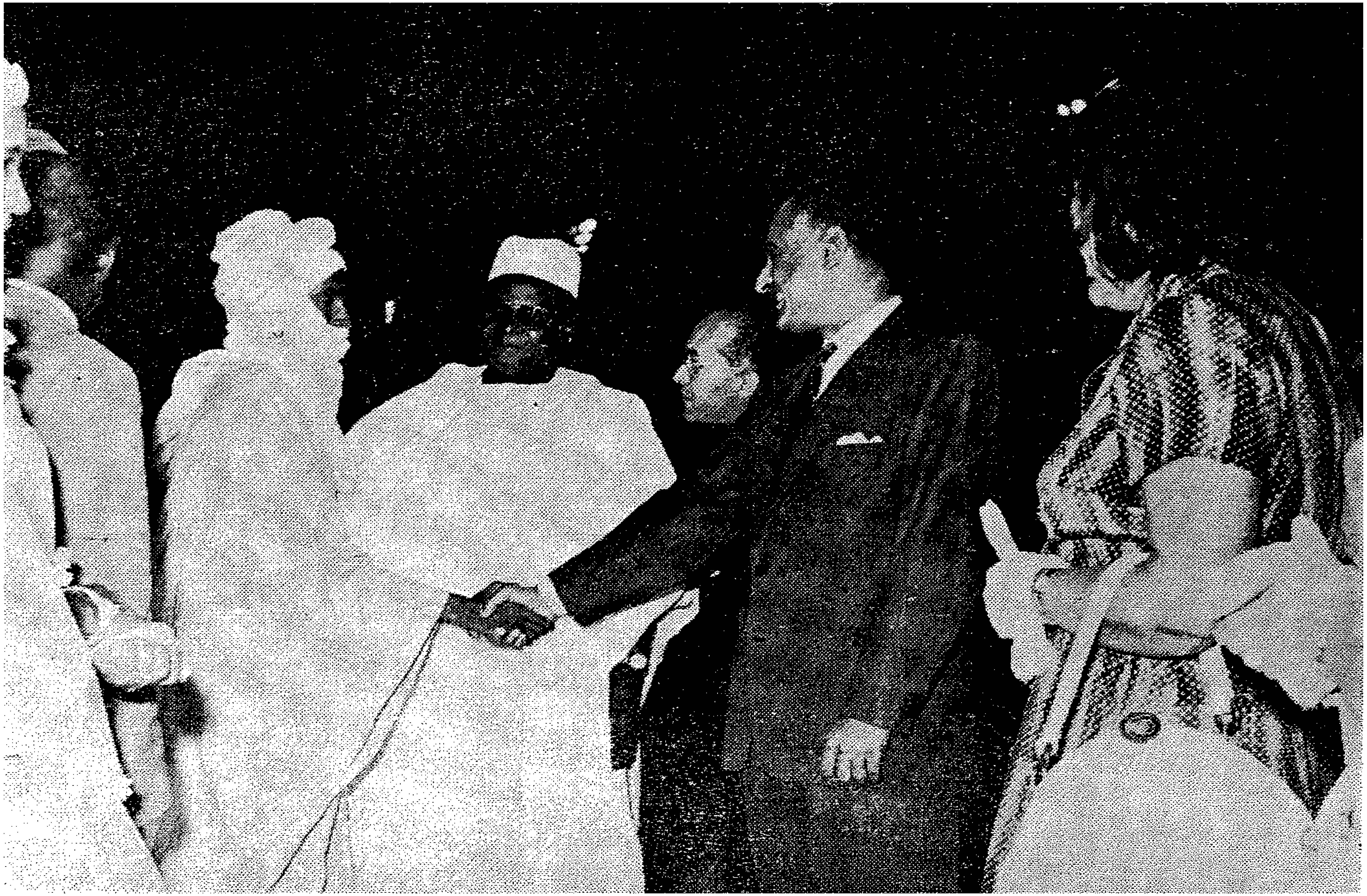
((حرم الرئيس عبد الرحمن ديوري فى منزل الرئيس جمال عبد الناصر))



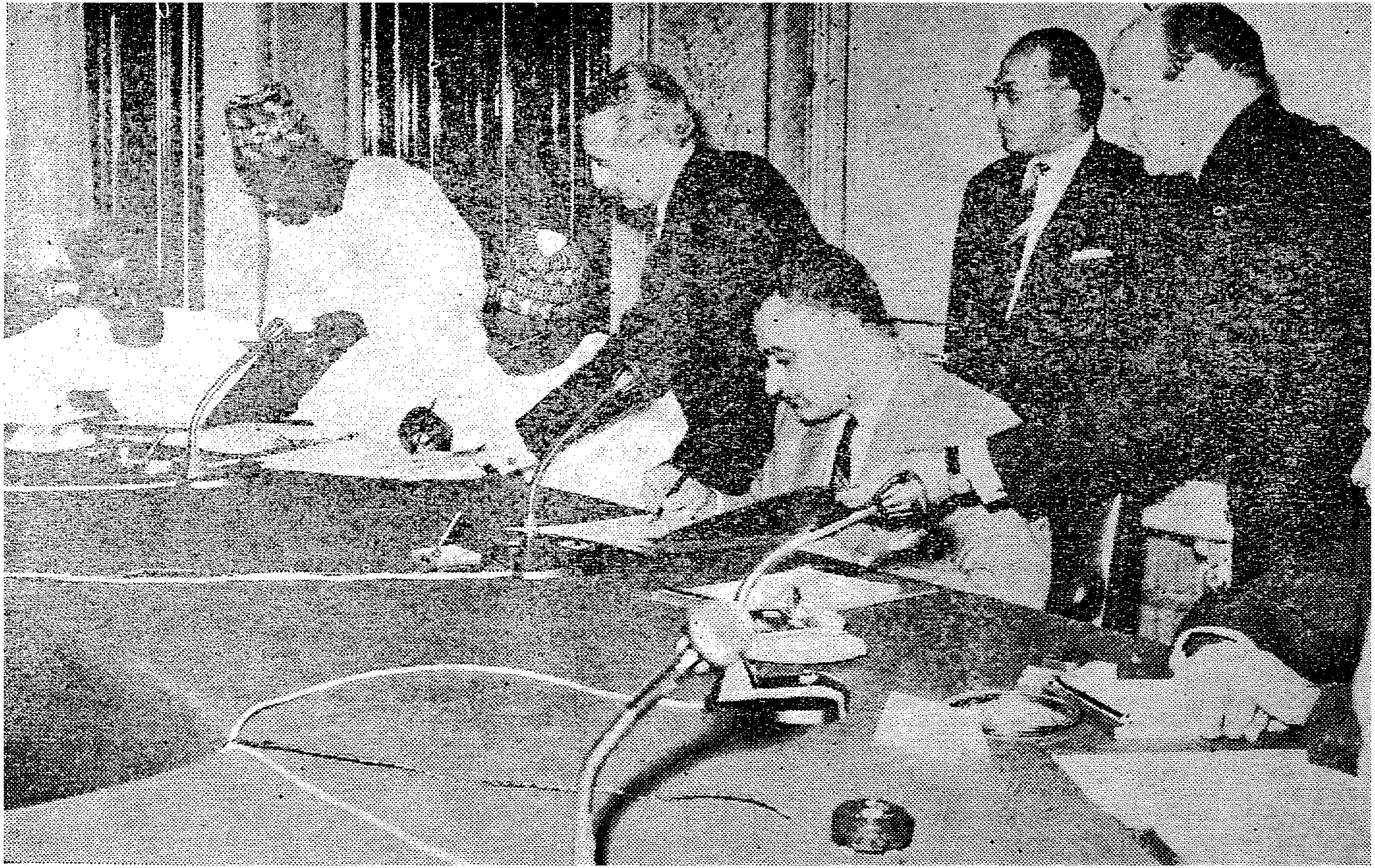
« لقاء بين الرئيس عبد الرحمن ديوري والسيد عبد اللطيف البغدادي »



((الرئيس يقدم وساما لحرم الرئيس عبد الرحمن ديورى))



((الرئيس جمال عبد الناصر يصافح أحد زعماء النيجر))



((الرئيسان يوقعان اتفاقية))

نقد الكتب

بقلم

عبده بدوي

● دراسات فى أفريقيا المعاصرة
● زهر وقفر

ــ ١ ــ

اذا حصرت الدراسات الجادة التى كتبت عن افريقية ، فان كتاب « دراسات فى افريقية المعاصرة » يأتى فى مقدمة هذه الكتب جميعا، ذلك لان الدكتور **عبد العزيز كامل** يقدم سبع دراسات فى اطار واحد هو « افريقية » ،وأن هذه الدراسات وان كان بعضها مستقل عن البعض الآخر الا أنها تتكامل جميعا بحيث تعطى القارىء أسرار القارة الجغرافيــة والسياسية ، وبخاصة اذا عرفنا ان هــذه الدراسات نابضة بالحياة ، وانها وثيقة كل الثقة بمشكلات العصر لا فى افريقية فقط ، ولكن فى العالم أجمع ، ثم ان هذه الدراسات لها مذاق خاص ربمــا يرجــع الى تحمس الدكتور عبد العزيز كامل الى الجغرافيــا ، وان كان هذا الحماس لايخرج بالـكتاب عن « الحماس العلمى » الذى يشــد القارىء ، ثم يبهره ، ثم يكاد يقول له مع كل فــكرة جديدة « هذا أثر من آثار الجغرافيا » .

والمؤلف يضعنا بذكاء فى مقدمة الـكتاب أمام عدة حقائق منها ان الجغرافيين عنــدما يدرسون تطور الحياة فى افريقيــة يوجهون عناية كبيرة الى الضوابط المناخية التىأثرت فيها ، والمراحل التى مرت بها ، ويميزون بين العصور المطيرةوفترات الجفاف، وينتهون الى ان « الجفاف » كان التحــدى الـكبير الذى واجه افريقية ، وهى تنطلق من دائرتى العصر الحجرىالقديم الأعلى والعصرالحجرى الحديث .. وفى الوقت نفسه اذا نظرنا الى افريقية الآن نراها تقابل تحديا جديدا ماديا وفكريا، مما يجعل العديد من الاسئلةيتوافد على الذهن ، فيما يتصل بمدى التعــاون الافرسيوى ، وما مدى نفوذ العنصرية ،وهل هناك « عواذل » بين افريقية ، وما مــدى الروابط القديمة ، ثم كيف تحــدد الدول الافريقية خطوات التطور الجديد .

فاذا أضفنا الى ذلك ان العـــالم يقول « كلمته » الآن فى افريقية ، الى حد القول ــ على حدتعبير المؤلف ــ ان التأليفالافريقى يمر « بعصر مطير » ،والى حد قول الكاتبــة الكينية « اليزابيث هكسلى » من أن التأليف عن افريقية صار « كمحاولة تصوير ســباق الخيل بآلة تصوير عتيقة : ان الهدف يتحرك فى سرعة ، حتى انك تصبح ســعيدا اذا استطعت التقاط صورة مهتزة » .. اذا أضفنا ذلك عرفنا ان افريقية تمر بفترةتصنع فيها تاريخها ، وهيئتها الحضارية ، وانها تصنع جغرافيتها الجديدة بمفاهيم جديدة .

* * *

وفى الفصل الاول الذى عنــوانه « من جغرافية الاستعمار الى جغرافية التحرر » ذكر المؤلف انه كانت هناك ــ منذ القرن ١٩ ــ محاولات لكشف الاجزاء الداخلية من

القارة ، بعد ان كانت المعرفة بالقارة تكاد تقتصر على الاجزاء الساحلية بالنسبة للاوربيين ، أما العرب فكانوا على صلة ببعض الاجزاء الداخلية من شرق افريقية ، ووسطها ، وغربها .

وقد ارتبط الكشف الجغرافى فى القرن التاسع عشر بالثورة الصناعية فى أوروبا ، وحاجتها الملحة الى مصادر الخامات ، والى الاسواق ، بحيث أصبح فى ذهنهم ان المستعمرات هى الميدان السريع للكسب ، بحيث ترتبت على هذا انماط الاستعمار الحديث التى تتمثل فى :

١ ـ الاستيطان

٢ ـ الاستقلال الاقتصادى .

٣ ـ الاستعمار الاستراتيجى ، مع ملاحظة ان العامل الرئيسى فى هذه الانماط الثلاثة هو التفاعل بين سكان العروض الوسطى والعروض المدارية ، وان شدة الضغط قد بلغت مداها على المداريات الافريقية ، بعد ان سحبت المداريات الاسيويةمن تحت أقدام المستعمرين ، وقد ترتب على كل هذا ان جغرافية الاستعمار تختلف عن الدراسة الاقليمية للمستعمرات فى ان « جغرافية الاستعمار » تهتم بالظاهرات الجغرافية للتفاعل بين المستعمرين والسكان الاصليين ، وانها تتجه أساسا الى الاقاليم المدارية ،كما يمكن ـ كما يقول المؤلف ـ ان تعنى بالزمن ـ البعد الرابع لاية دراسة جغرافية ـ فتدرس ظاهرات الاستعمار القديم ، وبهذا تمتد الدراسة الى مناطق لم تعد الآنمستعمرات .

وفى ضوء هذا نرى الاقتصاد الاستعمارى قد اقتضى تعديلات واسعة ، وتغييرات جذرية فى النظم التى عاشتها بعض الجماعات الافريقية ، كما رأينا التناقض الكبير بين التوزيعات القبلية والحدود السياسية ، مما ترتب عليه وجود علاقات لم تكنموجودة من قبل ، فاذا تركنا جغرافية السلالات ، والجغرافيا السياسية الى جغرافية المدن وجدنا انه كانت توجد عدد من المحاور الرئيسية لتوزيع المدن أهمها : ـ

١ ـ محور البحر المتوسط ، وان هذا المحور لم يفقدأهميته الا بعد ان ظهر الاسلام، ذلك لان الرومان كانوا يتركزون عليه ، ومن هنا شاهد صدر الاسلام « تراجعا » فى العواصم من ساحل البحر المتوسط الى الداخل ، ثم حين اشتدت قوى المسلمين « تقدمت » العواصم الى الساحل .

٢ ـ الموانى الصحراوية الشمالية ، وقد ازدهرت بعد انتشار الاسلام عبر الصحراء ، وظلت لها أهميتها فى العصور الوسطى والحديثة حتى القرن التاسع عشر ، ثم كان تقدم الاستعمار وتحويله التجارة البرية الى بحرية ، مما ترتب عليه اضمحلال الموانى الصحراوية .

٣ ـ الموانى الصحراوية الجنوبية ، وكان ازدهارها مرتبطا بالنطاق الشمالى .

٤ ـ محور النيل وتوزيع المدن عليهمرتبط بعوامل محلية وخارجية .

٥ ـ الموانى البحرية والشرقية علىالمحيط الهندى والذى كان قيامها وازدهارها مرتبطا بانتشار الاسلام .

ومن هنا نرى ان الاستعمار ـ فى عهد سيطرة السفينة ـ جذب العواصم من الداخل الى الساحل ، وانه لم يأخذ بطابع المدينة الاسلامية التى تحمل طابع الوحدة الروحية ، ذلك لانهم آثروا السكنى فى أحياء خاصة بهم ، بحيث تنفصل هذه الاحياء عن سكنى الافريقيين بنطاق أخضر ، أو بثكنات حربية او بعض المؤسسات العامة .

فاذا كانت المدينة فى ظل الاسلام ، يكون المطلوب منها ان تكون حاضرة الحكم ، ونقطة أمامية للحراسة ، ومرفأ للتجارة ، فانها فى ظل الاستعمار تحولت من قواعد تجارية وعسكرية الى عواصم سياسية ، وانالخطوط الحديدية كانت تتعامد فى اغلب الامر لتصل الى أعماق القارة ، وانها ما كانت تستهدف الا عملية الربط بين مناطق الانتاج والموانى البحرية .

والخلاصة « ان افريقية الآن تمر فى مرحلة لها ملامحها الجغرافية المتميزة ، عما كان فى عهد سيطرة الاستعمار على القارة ، وهو العهد الذى عبرت عن انماطه « جغرافية الاستعمار » وكان هذا التعبير شاملا الجوانب الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية،وان المرحلة الحالية قياسا على المرحلة السابقة ، لها أنماطها الخاصة التى يمكن ان يعبر عنها فرع جديد فى الدراسات الافريقية ، يمكن ان نطلق عليه « جغرافية التحرر الافريقى » . اما « جغرافية الاستعمار » فقد أصبح جزء كبير منها داخلا فى مجال فرع يمكن ان يطلق عليه اسم« الجغرافيا التاريخيةللاستعمار».

* * *

ثم قدم الكتاب بعض الأسس الجغرافية للتعاون الافريقى الاسيوى ، ودور المحيطات (الهندى ،الاطلسى ، الهادى ، القطبى الشمالى)ثم انتهى الى ان الحركاتالتحررية الجديدة بعد تخلصها من النفوذ السياسى الغربى ، لابد لها من موقف متزن بينالمعسكر الذى تخلصت من سيادته ، والمعسكر الذى تخشى الوقوع تحت سيادته ، وذلك على المستوى الحكومى والمستوى الشعبى ، وبخاصة بعد ان حل هناك جذب مركزى محل القوى الطاردة القديمة .

كما قدم لنا الكتاب الروابط الحضارية بين مصر الفرعونية وشرق افريقية ، وانتهى الى ان عمليات التشابه لم تكن مقتصرة على مظهر واحد من مظاهر الحضارة ، وانما شملت أكثر من جانب ، وان هذه التأثرات ظهرت فى تقاليد حرف السكان ، والحفلات ذات الطابعالدينى والسياسى وأدواتالزينة، والآلات الموسيقية ، وان هذه المظاهر ظلت باقية فى افريقية المدارية بصفة عامة ، وفى شرق افريقية على وجه الخصوص .

.. ثم حدثنا المؤلف عن « جوانب من التنمية الاقتصادية فى أوغندة » ، وانتهى منها الى ان الاقتصاد هناك قام على أسس مهتزة تبعا لتغير الحكام ، والسياسة البريطانية ، وانه تجب اعادة النظر فى مشروعات التنمية التى خلفها الاستعمار للحصول على « اقتصاد متوازن » ،ومتحرر من سيطرة غلة أو غلتين .

.. ثم قدم الكتاب « الأسس الاقتصادية والعنصرية لمشكلة الكونغو » .

وقصة « سيراليون » كاملة .

وفى الفصل الخاص بالعنصرية السوداء ذكر ان المميزات الثقافية ، والتطورات السياسية ـ لا الصفات الطبيعية ـ هى الاساس فى العنصرية السوداء ، والعنصرية السوداء تظهر واضحة فى طبقة «الكريول » الذين يبلغون ثلاثين ألفا فى سيراليون ، بينما الافريقيون الاصليون يبلغون مليونين ، ويطلق على الوطنيين الاصليين هناك اسم سكان الداخل ، وهم قد حرموا من فرص التعليم والتثقيف ، وظلوا فى وضع متخلف عنهؤلاء « الكريول » الذين عادوا الى أوطانهم بعد أن تشبعوا بالثقافة الاوروبية وهؤلاء كان يحصل عليهم « كرقيق منزلى» يقومبالخدمة، أو « يصدروا » الى بعض مواطن العمل فى الكرنغو وقرناندوبو ، أو يستغلوا عن طريقه « ضريبة المنازل » ، أو تسلب منهم الارض ، وبهذا كان يوجد «مجتمع ثنائى » فى سيراليون ، وكانت بريطانيا تشجع عليه الى ان تمت عملية الاستقلال .

وكما تظهر العنصرية السوداء فى«الكريول» بسيراليون ، فانها تظهر فى «« الليبراليين » الامريكيين بليبيريا ، والذين يبلغ عددهم خمسة عشر ألفا فى مقابل مليون ونصف من سكانالداخل ،والليبيراليونالامريكيونيتخذون مركزا وسطا بين الشركات الاحتكارية والسكان الاصليين يشبه مركز الكريول فى سيراليون ، وقد ثبت انه كانت لهم يد فى تجارة الرقيق ، وفى استهلاك «الرقالمنزلى»، ورهن الاطفال مقابل تسديد الديون .

ثم يقدم لنا الكتاب « المصالحة » التى ارتضاها « ماركوس اورليوس جارفى » الذى أحس بنقاء الدماء الافريقية فيه ، كما أحس احساسا متوترا بالمشكلات التى كانت سائدة فى عصره ، وبخاصة حركة القوميات ، ومن هنا جاءت دعوته التى تتلخص فى « النقاء »

فى كل من العنصر ، والوطن ، ومن هنا كان ينظر الى افريقية على أنها « أرض الميعاد » بالنسبة للافريقيين ، بل أنه قام بتنفيذ أفكاره حين أعلن نفسه رئيسا مؤقتا لهذه الامبراطورية الزنجية ، وحين نجحت مساعيه مع الرئيس « كنج » رئيس جمهورية ليبيريا فى تخصيص قطعة/أرض للوفود العائدة ، ولكن هذه الآمال الذهبية اصطدمت بالحقيقة القاسية هناك ، ومن هنا ظهور اتجاه معتدل نادى به الدكتور « ديبوا » ، والذى كان يهدف الى اعطاء الزنوج حقهم فى أى مكان يكونون فيه .

وقد ساق هذا المؤلف الى ان يتعرض لموقف الزنوج من الحضارة الحديثة ، وكيف ان المثقفين يتنازعهمـا « الخط اللونى » و « الخط العقلى » الى حد القول بأنهم يعيشون فى « مناق فكرية » ، وان اتجاه الزنوجة — على وزن العروبة — ظهر أول ماظهر فى قصيدة لايمى سيزار عام ١٩٣١ ،

وقد كنت أحب أن يعالج هذا الموضوع بصورة أشمل ، ومن خلال« العصب السكانى» لافريقية لامن خلال المثقفين الذين يدينون بالولاء للثقافة الاوروبية ، والذين يعتبرون من القلة بحيث لايعطون الملامح الواضحة لاعماق القارة .

* * *

وهكذا يقدم لنا الدكتور عبد العزيز كامل رحلة علمية شائقة من خلال الجغرافيا ، ويحطم لنا الصورة القديمة عن الجغرافى الذى لايتحرك الا بين خطوط الطول وخطوط العرض ، وتقلبات المناخ وطبيعة التربة ، لقد ذكر عن الجغرافى انه « فنان ومهندس فى الهيئة الحضارية » وأعتقد ان أول جغرافى ينطبق عليه هذا الوصف فى العربية هو الدكتور عبد العزيز كامل ، ثم ان وراء مايقول كل ما كتب يفهم عن الموضوع ،ولعل هذا ما أعطى الكتاب تلك النضارة التى تجعل الانسان يحس أنه امام عمليات « المتكامل الافكار » ، وأمام « النظرة الشاملة » التى يستحق صاحبها التقدير ، ويستحق أن نطالبه « بالمزيد » من هذا اللون فى الكتابة .

(٢)

من الشعراء السودانيين الذين يكملون الصورة الحقيقية عنه الشاعر « أسحق محمد الخليفة شريف » فى ديوانه « زهر وقفر » ، فهو يمثل الاسلوب التقليدى للقصيدة العربية القديمة التى تجرى على نسق واحد ، وقافية واحدة ، واذا كان الشكل التقليدى الآن يتسع للبسط القصصى، والعرض الدرامى ، ويعطى تلك الموسيقى المصاحبة ، والصورة النامية بحيث يظهر كل منهما — الموسيقى والصورة — كجزء لايتجزأ من العمل الفنى .. اذا كان الشكل التقليدى يتسع لهذا فانا أمام تجربة لاتعطينا الجوهر الشعرى بقدرما تعطينا التقاليد الصارمة للقصيدة العربية .

وأعتقد ان هذا الاتجاه الصارم يمثله خير تمثيل فى الشعر السودانى الشعراء أسحق محمد الخليفة شريف ، والعباسى ،والدكتور عبد الله الطيب المجذوب ، ولعل مايقرب لنا هذا نقد الدكتور طه حسين للدكتور عبد الله الطيب فى أحد أبياته التى يقول فيها :

فظللت أرضى النفس بعد نفارها
وأكرهها حتى استمر مريرها

فهو يقول « أى الناس يستطيع ان يفهم هذا البيت اذا لم يكن من أساتذة الادب الذين عرفوا دقائق اللغة وتعمقوا شعر القدماء من شعرائنا ،ولا سيما «حتى استمر مريرها» هذه ، وما على الشاعر لو قد آثر اليسر فقال: حتى اشتدت قوتها وعرفت كيف تحتمل الاحداث وتصبر لها » .

ويمكن القول بان ما قاله الدكتور طه حسين ينطبق تمام الانطباق على شاعر زهر وقفر ، فهو يقول مثلا فى قصيدة مهداة للدكتور عبد الله الطيب .

فـدتك عواذلى حتى تطيقـا
لهيب صبابة احيى المشوقا
ففـرد فى الجـوانح مثل شرب
لدى المشتاة قد سبئوا رحيقا
فرب خريدة خنث شـذاها
تخـذت خيالها سحرا رفيقـا
واحمل جوشنى فيهـا وحزنى

ونور الحسن والأمل الطليقا
كأن تلاعهـا فـدن منيـف
زوال الملك أسـمعه النعيفا

ومع أن هذه القضية لاتزال تشغل بعض الشعراء السودانيين ، الا أنا نرى شاعرية الشاعر العميقة حين ينسى عملية «الاستعراض اللغوى » ، وحين يترك نفسه على التجربة ، فاذا بكل شىء فى قصائده متلالىء ، وسخى ، وموحى ، ومثل هذا نراه فى قصيدة « زهر القفر » .

زهرة القفر سلاما كصباك
وادع النظرة مكنون العراك
حسنك الصادح كالصبح الجديد
فيه حل وحرام كالقصيد !

كما نراه فى قصيدة « الى ابنتى » التى يقول فيها :

أيامك البيضاء
فينانه خضراء
فقدومك السراء
والمنة الغراء
واليمن والاقبال من أسبابه
يا أعطر الانفاس
فى أعذب الأجراس
أبقاك رب الناس
للسعد والايناس
وعذوبة فى القلب بعد عذابه

من هذا نرى الشاعر « أسحق محمد الخليفة شريف » يلمس الأعماق الحقيقية للشعر حين يعبر عن الاشياء التى تحرك وجدانه ، أما الاشياء التى يعبر عنها وفى ذهنه الشريط المتزاحم للقصيدة العربية القديمة ،فانا نفتقده فيها، ولعل هذا التمكن العظيم من التراث الشعرى العربى ، ومن روحه الشفافة ، ومن انسانيته الشاملة ، تقدم لنا أشياء جديدة تبهر .. أشياء لاتحمل الانبض الشاعر الكبير « أسحق محمد الخليفة شريف » .

((عبده بدوى))

ندوة إذاعية

دور الصحافة العربية في تنمية الوعي بافريقيــة

عرض بقلم : سيد عثمان

ان الاحداث التى تشهدها القارة الافريقية خلال هذه الفترة لمن الاحداث الهامة جدا فى تاريخ القارة .. فلقد استقلت ٣٣ دولة افريقية وهذا العدد فى طريقـــه الى زيادة مستمرة ... والتعريف بدول أفريقيـــة ، أصبح من أهم واجبات الصحافة العربية .. ومن ثم كان موضوع احدى الندوات باذاعة ركن السودان من القاهرة هو « **دور الصحافة العربية فى تنمية الوعى بأفريقية وشئونها ومستقبلها ..** » .. وقد اشترك فى هـذه الندوة : الدكتور محمد المعتصم سيد ، مدير اذاعة ركن السودان ، والاستاذ حسين فهمى ، نقيب الصحفيين ونائب رئيس اتحاد الصحافة الافريقية ، والاستاذ على حمدى الجمـال مدير الاهرام ، والاستاذ عبد العزيز اسحق رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقيا .

الدكتور المعتصم :

ان اهتمام الصحافة العربيـــة بالامور والمشكلات الافريقية من الامور الجديدة على الصحافة العربية ...

لو رجعنا خطوتين الى الوراء .. نجـد أن الصحافة العربية دخلت المجال الافريقى فجأة .. كما استقلت بعض البلاد الافريقية فجأة .. وكان اهتمام مصر بشئون أفريقيـا يكاد يكون محصورا على السودان .. وعلى ليبيا .. ونحن لا ننسى ان أذهان المصريين طلابا أو كتابا .. كانت تتجه نحو أوربا .. اتباعا لسياسة الخديوى السـابق اسماعيل الذى قال العبارة المشهورة « ان بلادى .. أصبحت جزءا .. من أوربا .. » .

الاستاذ حسين فهمى :

اننى أوافق على أن اهتمـام الصحافة العربية بالشئون الافريقيـة جاء متأخرا ، ويجب أن يجد العناية التى تليق بهـذه القارة ... والقارىء لكتاب السيد الرئيس جمال عبد الناصر « فلسفة الثورة » يجـد أنه كانت من أمانى السيد الرئيس ... ان يعنى الشعب العربى بالمشكلات الافريقية .. حتى ان سيادته تمنى .. انشاء معهد أفريقى للتخصص فى دراسة أحوال القارة الافريقية .. ان ثورة ٢٣ يوليو المجيدة .. تعتبر من الاحداث الضخمة فى تاريخ القارة ... كما أن معركة ١٩٥٦ .. تعتبر بدء معركة التحرر الافريقى .

وتحتم على الجمهورية — بعـــد مؤتمر باندونج — أن تبذل أقصى غاية الجهد لتوسيع معلومات الشعب بدول أفريقيـا .. وذلك بتعميق الوعى من أجل النهوض بأفريقيا .. والواقع انها رسالة ضخمة .. وهامة .

الدكتور المعتصم :

هل قامت الصحافة العربية بدور كبير فى هذا التعميق ؟

الاستاذ حسين فهمى :

لا ! ..

الدكتور المعتصم :

ان الصحافة انتهزت فرصة مؤتمر القمة الافريقى .. وتحدثت وكتبت قبيل المؤتمر.. وبعده .. أما الان فلا تكاد ترى أى اهتمام .

الاستاذ على حمدى الجمال :

ان رسالة الصحافة .. تتناول أولا . تغطية الناحية الافريقية الاخبارية . وثانيا : تعميق الوعى الافريقى ..

ونحن نعلم أن كل اعتماد الصحف العربية .. كان على الاخبار التى ترد فى وكالات الانباء .. ولا شك أن هذه الوكالات .. كانت تنقل الاخبار بصفة مشوهة .. ومن وجهة نظرتها الاستعمارية .. وكما كانت تعتمد الصحف العربية على كتابات الكتاب الاجانب .. ولهم وجهة نظرهم الاستعمارية أيضا .

(ان الاهرام) أرسلت أحد محرريها (وهو الاستاذ محمد حقى) .. فى رحلتين لافريقيا ، درس خلالها المحرر .. كل ما يمكن دراسته .. من شئون دول أفريقيا .. وهذا المحرر ينتهز أية مناسبة أفريقية ، ليعطى القارىء العربى صورة صادقة ومعلومات صادقة .. عما شهده بنفسه .. وهو يمحص أخبار الوكالات عن دول أفريقيا .. ويحذف الكاذب من الاخبار الاستعمارية . وهذا لا شك اهتمام من الاهرام بأفريقية .

الاستاذ اسحق :

نحن لا ننكر الدور الذى قامت به الصحافة العربية فى مؤتمر أديس ابابا .. ولكن ما كاد هذا المؤتمر ينتهى . حتى كادت تختفى أخبار أفريقية من الصحف العربية فمثلا سينعقد فى العاشر من الشهر الحالى .. مؤتمر لا يقل أهمية عن مؤتمر القمة .. سينعقد مؤتمر يضم شعوب شرق ووسط أفريقيا فى « كمبالا » .. وأكثر المجتمعين من الامم التى استقلت حديثا . وهذا المؤتمر لا نجد له تمهيدا حتى الان فى الصحف العربية .. مع أن من الواجب ارسال المندوبين لمعرفة أخباره وموضوعاته وأبحاثه ونتائجه ..

والواقع أن جريدة الاهرام بذلت مجهودا كبيرا فى علاج مسألة أفريقيا ، كما قال الاستاذ الجمال .. ويا حبذا لو نشرت المعلومات عن هذه القارة ودولها وشعوبها بجوار الأخبار .. هذه المعلومات فقيرة جدا ..

الدكتور المعتصم :

ان التحقيق الصحفى .. المصور .. أى أن المقالة المصورة تجتذب أكبر عدد من غير المتخصصين .

وهذه رسالة الصحف الاسبوعية .

الاستاذ على حمدى الجمال :

ان الصحف اليومية .. ليس لديها المجال اليومى لنشر شئون أفريقيا ، فرسالة الصحف اليومية التحرك نحو الخبر ... فاذا وجدت حدثا أفريقيا أفردت له صفحاتها .. واذا وجدت حدثا أوربيا .. اتجهت اليه وذلك لان من رسالتها أن تكون قريبة من الاحداث الجارية .. فموضوعات مؤتمر اديس ابابا .. تحركت الاهرام نحوها .. وأفردت لها صفحاتها .

الدكتور المعتصم :

فعلا . . ان الاهرام نشرت عدة موضوعات بالصور عن المؤتمر وعن الحياة الاجتماعية فى اديس ابابا .. ولقد حدثنى الكثير عن اعجابهم الشديد بتلك التحقيقات .. وهكذا ترون ان المقالة المصورة اصبحت ضرورة بجانب المقال أو الخبر .

الاستاذ على الجمال :

ان الصحافة اليومية غير مقصرة بشئون افريقيا . فالاهرام ، ينشر للزميل الذى سافر لافريقيا ، ينشر اسبوعيا له عن افريقيا .

الاستاذ حسين فهمى :

من رأيى . . ان اعداد قادة للشئون الافريقية من اهم الموضوعات .. هؤلاء القادة يجب ان يلموا .. بافريقيا بجميع شئونها ومشكلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية هؤلاء القادة .. سيكون لهم الشأن الاكبر فى التوجيه .. ومما لاشك فيه ان القادة المتخصصين .. سيكون لهم الدور الكبير .. فى كل ما تتطلبه افريقيا .

الدكتور المعتصم :

علاوة على هؤلاء القادة .. ارى ان تهتم الصحف العربية بالأرشيف الذى يضم مختلف المعلومات عن افريقيا .. ان هذا الارشيف الافريقى لم يظهر كاملا حتى الان .

ـ الارشيف الموضوعى .. يجب ان يعده المحرر العربى بنفسه . أى يجب ان يسافر ويشاهد .. ثم يكتب لا ينقل عن وكالات انباء أجنبية . . ذات اغراض استعمارية ..

الاستاذ اسحق :

اقترح ان يكون للصحافة العربية مندوبون دائمون فى افريقيا ، مندوب فى الغرب ، ومندوب فى الشرق بصفة مبدئية وطبعا يكون هؤلاء على قدر الامكانيات المالية .. واذكر قيمة هذا المندوب العربى على مقربة الحوادث .. اذكر اثناء أزمة الكونغو ان المحرر العربى والمصور العربى .. كانا يستيقظان فى منتصف الليل .. ليؤديا عملهما .

الدكتور المعتصم :

ان الصحافة الاجنبية العالمية بدأت تولى اهتماما كبيرا للشئون الافريقية وبعض الدول الاستعمارية تحاول اعادة الدول الافريقية التى استقلت ، تحاول اعادتها الى نطاقها الاستعمارى .

ولقد بلغ من الاهتمام الاستعمارى الاوربى بافريقيا ان صدر من شهر مارس الى ابريل ١٩٦٣ حوالى ٣٥ كتابا جديدا عن افريقيا .. الفها صحفيون عن طريق المشاهدة !!

الاستاذ حسين فهمى :

ان الاستعمار الجديد .. يتجه الى افريقيا .. واغلب المجلات التى تنشر الموضوعات الافريقية تهدف لفكرة ربط افريقيا بالرأسمالية العالمية !

وكان الاجدر بالافريقيين الرد على الحملة الدعائية الخطيرة .. وهذا يتيسر بوجود حملة مضادة على اسس علمية .. صادرة عن قادة .

ومن ثم ارى ضرورة اعداد قادة للشئون الافريقية للنزول فى هذا المعترك الاستعمارى

ان مهمة ارسال الصحفى لافريقيا .. للدراسة أو لعمل تحقيقات ليست مهمة سهلة هينة .. انها تكلف الجريدة المال الكثير وتزيد النفقات كلما زادت أيام الاقامة .. ان أرسال المحرر لمدة ثلاثة اشهر يكلف الصحيفة .. المال الكثير .. ومن ثم يجب ان تعد هذا المندوب اعدادا دراسيا افريقيا جامعيا .. لتجىء معلوماته مفيدة ناجحة ..

وبهذه المناسبة ، لن أنسى الدور الكبير الذى تبذله مجلة نهضة افريقيا .. التى تمدنا بالكثير من المعلومات ذات الطابع العلمى عن افريقيا .

ولكن .. ما زلنا فى حاجة الى تنظيم .. وسائل الرد على الدعاية الاستعمارية . . ولن يتيسر هذا الا باعداد القادة

الدكتور المعتصم :

اعتقد ان لنقابة الصحفيين . . دورا فى هذا الموضوع .

الاستاذ على الجمال :

من رأيى ان تطلب النقابة من المتخصصين فى الشئون الافريقية القاء محاضرات يحضرها من يشاء من الصحفيين واذكر ان بعض المحررين التحقوا بمعهد الدراسات الافريقية ولكنهم لم يستمروا .

الدكتور المعتصم :

لانهم وجدوا ان الدراسة لاتوافق مايودون .. انهم يريدون دراسة المشكلات الحالية بينما الدراسة فى المعهد عن الاستعمار فى القرن السادس عشر مثلا ! .. ومن رايى ان تعد النقابة محاضرات عن شئون افريقيا .

الاستاذ اسحق :

ولحسن الحظ ، يوجد لدينا شخصيات مكافحة من افريقيا .. وهؤلاء يستطيعون التحدث .. عن بلادهم .. فالقاهرة الان .. هى قلب حركة التحرر الافريقى .. ولو اختلط الصحفيون العرب بهؤلاء المناضلين الافريقيين لاستفادوا .. ولزادت معلوماتهم عن افريقيا وشئونها .

الاستاذ حسين فهمى :

بصفتى نائب رئيس اتحاد الصحافة الافريقية ، أتحدث عن الصحافة الافريقية .. وعن مشكلاتها .. فاقول انها تواجه مشكلة خطيرة .. فلا يوجد عدد من الصحفيين المتخصصين ، كما لاتوجد معدات الصحافة الحديثة من ورق .. وعمال .. والات فنية ، ان الاستعمار ، حرص على عدم انشاء دور صحافة افريقية لانه كان يعلم مدى خطورتها عليه . ولكن بعد ان استقلت هذه الدول الافريقية ، راحت تتطلع الى انشاء الصحف ان دور الصحافة بالجمهورية العربية المتحدة

لدور كبير .. انها تصدر باللغات العربية والانجليزية والفرنسية .. ولذا يتطلع الافريقيون للصحافة عندنا .. وهذه تستطيع ان تعد طلائع من رجال افريقيا فى الاذاعة والصحافة .. تعدهم ليعودا لاوطانهم مزودين .

الدكتور المنتصم :

ان معهد التدريب الاذاعى استضاف اذاعيين من السودان والمغرب .. وعندما عاد هؤلاء لاوطانهم قاموا بدور كبير ناجح .

الاستاذ حسين فهمى :

اننى حضرت مؤتمرا كبيرا .. وقال الحاضرون ان الجمهورية العربية المتحدة تستطيع ان تخرج جيلا جديدا من رجالات الاعلام والصحافة والاذاعة لجميع الدول الافريقية .. وتستطيع الصحافة العربية ان تعمل الكثير فى النطاق الداخلى .. والنطاق الافريقى والصحافة العربية فى استطاعتها ان تدرس لهؤلاء الصحفيين الافريقيين ليعودوا ليحملوا القيادة فى صحفهم الوطنية .. ان الشعوب الحديثة الاستقلال تريد المعونة من معلمين واطباء ومهندسين من غير اوطانهم ولكن لا تريد صحفيين من غير أبناء وطنهم .. لان الصحافة من الموضوعات الحساسة .

ان الصحافة الافريقية فى حاجة الى مطابع والى بقية المعدات الصحفية .. وهى حاليا عبارة عن نشرات سياسية تعبر عن اراء الاحزاب ، والصحفيون الحاليون بأفريقيا من رجالات الاحزاب .

وعلى الصحافة العربية المتحدة ان تقوم بهذا الدور الاعلامى الكبير .

واجب الصحافة :

وخلص الاستاذ **على حمدى الجمال** من اسألة الصحافة الى ان الصحف تعطى الاخبار وتتحرك مع احداث افريقيا وترسل الصحف محرريها ليوافوها .. بالصورة الحقيقية السليمة عما يدور .

اما الاستاذ حسين فهمى فقال :

يجب ان نعد قادة للوعى .. الأفريقى ومن الخطر كل الخطر الا يكون الكاتب غير متعمق فى الشئون الافريقية .. فمعلوماته التى سيقدمها .. قد تكون مضرة .. ومن ثم ارى اعداد القادة اولا .. ليستطيعوا تادية الدور المطلوب على احسن وجه .

واختتم **الاستاذ عبد العزيز اسحق** الندوة قائلا انه ينبغى تخطيط دور الصحافة العربية فى تنمية الوعى الافريقى بحيث يجد القارىء ما يناسبه على كافة المستويات ، فيجد قارىء الصحيفة اليومية اخبارا صحيحة ومعلومات خفيفة وان يجد قارىء الصحيفة الاسبوعية ريبورتاجات طريفة وصورا جذابة وان يجد المثقف الناضج فى المجلة الشهرية ابحاثا ناضجة عميقة .

كوخ العم توم في جنوب افريقيا

بقلم : عبد السلام شحاته

يقال ان قصة كوخ العم توم التى كتبها هاربيث ستو أصبحت من روائع الادب العالمى الهادف وعالجت مشكلة العبيد من الملونين فى الولايات المتحدة ، كانت أوسع القصص الامريكية انتشارا ، وانها أدت الى التحمس لمشكلة تحرر العبيد ومع أن هذه الرواية من الناحية الفنية تلقى كثيرا من النقد فى بنائها وفى عقدتها واشخاصها الا أن هذا لم يغض من قيمتها الاجتماعية الهادفة ومن قدرتها على اثارة مشاعر الاسى فى قلوب البشر والدموع فى عيونهم .

وكتبت روايات وقصص عديدة حول هذا الموضوع بأقلام الكتاب الملونين والبيض فى الولايات المتحدة ولكنها لم تلق نجاحا يذكر اذا قورنت بالعمل العملاق الظاهر فى قصة كوخ العم توم . بل ان هاربيث ستو نفسها ارادت ابان حياتها أن تكتب قصة أخرى مثلها فلم تستطع . وكانت هاربيث ستو من بيئة دينية تنحدر عن أرومة بيضاء وهالها أن تجد فى معاملة العبيد الملونين لونا صارخا من القسوة مجافيا للانسانية فى أبسط صورها ، ومن المشاهد التى تصورها اهانة عم توم العجوز الذى يباع من سيد طيب الى سيد شرير يسومه العذاب والهوان حتى الموت ، ومن مشاهدها افتراق أفراد الاسرة الواحدة لان كلا منهم قد بيع لسيد مستقل بنفسه ، وهكذا افترق الرجل عن زوجته والام عن أولادها الخ ..

وقد اشار بعض نقادنا أخيرا الى اسم باتون وهو أشهر كاتب فى جنوب افريقيا اليوم والى مؤلفه الذى تحدث فيه عن التفرقة العنصرية بالبلد الذى يمارس هذه التفرقة فى أبشع صورها ويقف فى اصرار عنيد متحديا مبادىء المساواة وحقوق الانسان التى شاعت فى العالم كله أو قل يقف متحديا العالم بأسره حتى بات يعيش فى عزلة . وها هى القارة الافريقية بأكملها تعلن فى مؤتمر القمة الافريقى ان تحرير الملونين من التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا مطلب أساسى سيعمل المؤتمر على تحقيقه .

والقصة كما أسلفت تتحدث عن التفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا كتبها الآن باتون أحد الرجال الذين ينتمون الى الجنس الابيض والرواية عنوانها « ابك ايها البلد الحبيب » وقد نشرت لاول مرة عام ١٩٤٨ وطبعت طبعة أخرى فى الولايات المتحدة عام ١٩٥٩ فنالت نجاحا كبيرا وشقت طريقها فى اعتدال فيما يتعلق بنسبة التوزيع وان كان التوزيع مستمرا . وفى بلد المؤلف وزع منها أكثر من ثلاثين الف نسخة وهو عدد لم يبلغه أى مؤلف آخر فى جنوب افريقيا .

هذه القصة ووضعها بالنسبة لجنوب افريقيا تعيد الى الذاكرة أثر قصة هاربيت ستو « كوخ العم توم » وأثرها فى تحرير العبيد .

واذا كانت كل من القصتين تعنى بمشكلة الملونيين الا أن قصة هاربيت ستو كتبت

حين كان العبيد يباعون ويشترون .

ولكن هل هذا اعتراض صحيح ؟ وهل لا يباع الملونون ويشترون على يد الرجل الابيض فى جنوب افريقيا اليوم بطريق أو بآخر ؟

قلت ان هارييت ستو تشربت المبادىء الدينية وانحدرت عن سلالة بيضاء وكذلك الان باتون فانه انحدر عن أب اسكتلندى يدين بمذهب خاص ، نزح الى جنوب افريقيا وهو موظف حكومى وذلك قبيل حرب البوير ، وأما أمه فتنحدر عن أرومة انجليزية وأسرتها أقدم عهدا بالحياة فى جنوب افريقيا من أسرة أبيه .

وكما هو الحال بالنسبة لجميع المثقفين البيض فى جنوب افريقيا فقد نال تعليمه فى جميع المراحل بجنوب افريقيا ، لان هذا البلد هيأ جميع المدارس والمعاهد والجامعات لابناء البيض على أرض أفريقيا وتلقى باتون تعليمه الجامعى بالمدينة التى رأت فيها عيناه النور لاول مرة وهى مدينة بيتر ماريستبرج وتقع على الشاطىء الشرقى لمقاطعة ناتال وذلك عام ١٩٠٣ . وكتب الشعر فى اوقات الفراغ . ولم يغادر جنوب افريقيا الا لماما ، فيما عدا الرحلة التى كتب فيها روايته التى نحن بصددها اذ ارتحل الى انحاء مختلفة من أوربا والولايات المتحدة ، حيث دبج فصولها فى غرف الفنادق وذكر انه بدأها فى السويد لانه كان كثير الخلوه بنفسه فى حجرة لجهله باللغة السويدية ، وأخذ يكتب أول فصل فيها بعد زيارته لكنيسة شهيرة هناك .

والف باتون قصتين قبل روايته هذه لكنهما لم تريا النور بيد أنه نشر مقالات عديدة تنقد التفرقة العنصرية وتحمل عليها ، على نحو ما نجد مقالات آرثر جارفز أحد أبطال الرواية ، وجارفز هذا مصلح اجتماعى يحاول تحرير الافريقيين من الاضطهاد ويرى فى اضطهادهم مخالفة لمبادىء الدين المسيحى ولمبادىء الحياة الحديثة والاقتصاد الحديث ويرى فى اضطهادهم تهديدا للرفاهية الاجتماعية والرخاء الاقتصادى .

وكانت كتابات باتون فى المرحلة السابقة على تأليفه لروايته تسودها النزعة الاصلاحية الاجتماعية أكثر مما تسودها النزعة الادبية .

فهل صور باتون نفسه فى شخصية آرثر جارفز .. ترى أكان يقصد ذلك حقا ؟

اتدرى لماذا أتساءل هنا ؟ لان جارفز هذا تسمع عنه فى الرواية ولا تراه وتقرأ آراءه فى مذكراته دون أن تلمحه .. لانه غير موجود فقد قتلوه .. قتلوا البطل المدافع عن حقوق الملونين ..

ومن الذى قتله ؟ قتله واحد ممن يدافع عنهم .. قتله أحد الملونين .. ولماذا قتله ؟ لم يقصد الى ذلك ولكنه شاب أهوج ذهب ليسرق فرآه جارفز فأطلق الشاب الرصاص عن غير عمد .. انه خطأ .. انه اضطراب .. ومن المسئول عن تلك الظروف ؟. انها حياة المدنية التى ينزح اليها الشاب الملون باحثا عن الرزق بعد أن أجدبت الارض وجف الكلأ النضير وضنت الطبيعة بخيراتها لان البيض أخذوا الارض الطيبة وانشأوا بها وسائل الرى وهيأوا لها أسباب العناية أما الملونون فانهم يعيشون على هامش الحياة ويقتاتون على الفتات الذى يفيض عن خيرات الرجل الابيض وارضه .

لقد استغل باتون معرفته بالمناطق النائية البرية فى ولاية ناتال حيث عاش فترة طويلة وحيث مارس التدريس بها فى تلك المدارس الفخمة الرائعة التى شيدها البيض لابنائهم .. وحيث المشاهد الرائعة فى جمالها القاسية بالنسبة لظروف الانسان الملون .

واستغل فى قصته كذلك معرفته بمشكلات المنحرفين من الشباب الملون ، لانه أثناء اشتغاله بالتدريس أصيب بنوع من الحمى أتاح له فرصة للتفكير فقرر ترك مهنة التدريس وتهيأت له الظروف للالتحاق بمؤسسات اصلاح الصبية المنحرفين والمشردين وذلك فى مدينة جوهانسبرج ، اذ صادف قبيل الحرب العالمية الثانية ان استطاع رجل من ذوى النفوذ وهوجين هوفمير الذى عارض فكرة التعصب للسلالات ودعا البيض

لاحلال الثقة والمحبة والتعاون محل الشك والكراهية والصراع ، استطاع هوفمير هذا أن يلحقه مشرفا على تلك الاصلاحية فتغير مجرى حياته ورأى من الصــــور والعبر ما أفاده حقا فى كتابته ، وكان لهوفمير تأثير فى حياة باتون حتى انه أهدى اليه الطبعة الثانية من روايته حين طبعت مرة اخرى فى جنوب افريقيا .

واستطاع بهذا كله أن يصور حياة أحد رعاة الكنيسة الملونين باحدى مناطق مقاطعة ناتال النائية ما يلقاه من شظف العيش وقسوة الحياة . وأوضح ان هذا الرجل الصـابر على الحرمان والذى يشيع الايمان فمن حوله كان يدخر جنيهات قليلة ليشترى ياقة بيضاء ويشترى لزوجته موقدا ولكنه كان قد أرسل باحثا عن شخصين عزيزين عليه رحلا منـذ مدة طويلة الى مدينة جوهانسبرج طلبا للرزق بعد أن أصاب الارض العقم والجدب فقصرت عن ان تمد خيراتها للايدى الشابة التى تحلم بمستقبل أفضل .

ويأتيـــه الجواب من رجل ملون يشغل منصبا دينيا لا بأس به فى مدينة جوهانسبرج

وينفق جنيهاته القليلة فى رحلته الى المدينة التى تبدو صاخبة براقة ويخدعه فى المدينة شاب ، ويستولى على واحد من جنيهـاته القليلة . ويجد الرجل تفاوتا كبيرا بين حياة الملونين وحياة ابناء الجنس الابيض .

ومشكلة المجتمع الذى أدى بابنه وشقيقته الى الحضيض انما هى نتيجة شعور بالظلم والاضطهاد مما أدى بهما الى الانحلال ، وهذا شأن الشبان الملونين الذين يعيشون فى المدن اذ تبدو لهم بوضوح النعم والمزايا التى ينعم بها الرجل الابيض اذا قيس بفقر الملونين وبؤسهم ، ولا يقتصر سلطان الرجل الابيض عند هذا الحد وانما هناك قوانين التفرقة العنصرية التى تمكن للرجل الابيض التحكم فى أبسط حريات الرجل الملون الاســاسية بحيث لا يمكن لهذا الاخير الانتقال أو السكنى أو العمل أو الكسب الا وفقا لمشيئة الاول . وهذا كله جـــدير بأن يثير الصراع النفسى نتيجة الاوضــــاع والقوانين التى يفرضها مجتمع ظالم تخضع فيه الاغلبية من أصحاب البلاد الشرعيين الى أقلية وافدة .. أقلية استقرت واثرت وراحت تتحكم فى التاريخ وفى علم السلالات وتفرض نظريات مؤداها أن الرجل الابيض هو أقدم فى جنوب افريقيـا وان العناصر السوداء وافدة عليها .

فى المدن الكبيرة اذن يظهر هـــذا الصراع العنيف الذى يعتمل فى نفوس الملونين فيلقون من المهانة المـستمرة والاســتفزاز الدائم ما يحرضهم على الخروج على قوانين هـــذا المجتمع الظالم .. ان الشباب بتحمســه واندفاعه يريد أن يغير الاوضاع ويثور عليهـا ولكنه يجد الطريق مسدودا فينحرف ويلعب دور الخارج على القانون وقاطع الطريق أو دور اليائس الذى تحلل من روابط المجتمع القبلى الذى ابتعـــد ولا يشعر بالانتماء للمجتمع الذى ينكره وينكر ابسط حقوقه ، ويشعر هذا الشباب فى خضم الحياة ذات الاضواء والمتاهات بالمدنية انه كفقاعات طارئة لا جذور لها تربطها بالجماعة التى تعيش بين ظهرانيها .. ويفقد الوازع الاخلاقى والضمير الاجتماعى ، فيبدو الانحلال فى كثير من الصور فهو يسرق وينهب ويقتل ويمارس تعـاطى المسكرات والانكباب على الملذات .

هذا السر .. سر حياة الملونين فى المدن الافريقيــــة وانحرافهم قد وضع باتون يده عليه وشخص به الداء .. والداء مسئول عنه الرجل الابيض ، وقد اهتدى باتون الى ذلك بمعاشرته للشبان المنحرفين فى اصلاحية جوهانسبرج حيث يتدفق الذهب والفـاقة وحيث التخمة والجوع وحيث القصـــــور وناطحات الســـحاب والاكواخ المبنيــــة من الصـــفيح والقمامة وحيث يعيش الابيض والاسود !

فى المدن يكون الانحراف وتكون الجرائم ويشيع التنكر للفضائل والقيم بين الشباب والشابات من الملونين .. وتكون المدنية مركز الاشعاع ووحى الثورات والتكتلات والاراء الجديدة كذلك .

وهذا كله لا يحبه الرجل الابيض فيحكم على الملونين حكما جائرا ويراهم جنسا غير قادر على التقدم لانه جنس منحط بطبيعته ، ولم يدر الابيض انه باعماله قد دفع الملونين الى هذا اللون من الحياة الشاذة الثائرة .

هذه الحقائق يدركها القس الذى نزح من القرية النائية بمقاطعة ناتال ولكن هذا القس فى كل أحاديثه يبدو مسلما بسيادة الرجل الابيض .

ويلقى فى المدينة ثلاثة من اقاربه

أولهم شقيقه الذى غادر القرية منذ زمن بعيد وأقام بالمدينة وأصبح يملك دكانا يمارس فيه حرفة النجارة ، ولكنه صار أحد الزعماء الملونين .. فهو خطيب ثائر يلهب حماس الملونين ويبدو فى نظر شقيقه ملحدا . والمؤلف أوضح أنه من الممكن استخدام النزعات الدينية كوسيلة لاحلال الحب محل البغض فى قلوب البيض والملونين ، ويتصور أن جنوب افريقيا الجميل الذى أغدقت الطبيعة عليه جدير بأن يبكى على مأساة التفرقة العنصرية نظرا لتفرق بنيه ..

والمؤلف ينقد رأيه سالف الذكر على لسان النجار شقيق بطلنا القس ، فهو يسخر من استخدام الدين فى فرض التفرقة العنصرية ومن تسليم رجال الدين من الملونين بسيادة الرجل الابيض ويسأل شقيقه القس — وهل تتيح التعاليم المسيحية أن يتقاضى القس الابيض أضعاف ما يتقاضى من أجر ؟

أما الشخص الثانى الذى لقيه فى المدينة فهو شقيقته .. لقد وجدها تمارس مهنة تجارة الجسد .. وأنجبت طفلا .. ويحاول أن يأخذ بيدها حتى تعود معه الى القرية حتى يمكن للطفل أن ينشأ فى الهواء النقى والشمس الساطعة .. ولكنه قبل الرحيل بساعات يفاجأ بهرب أخته التى تركت طفلها .

أما أهم شخص قابله القس فهو ابنه الذى وصل به اضطراب الحياة فى المدينة الى الحضيض فهو الذى ارتكب جريمة القتل حين كان يسرق مع شابين آخرين .. هو الذى قتل آرثر جارفز المصلح الذى يدعو الى نبذ التفرقة العنصرية .. ويبدو أنه قتله غير عامد الا أنه يحكم عليه بالاعدام فى النهاية .

وهذه المفارقة بين حياة الاب الوادع المتدين الداعى الى الهداية وبين حياة الابن جديرة بالاعتبار والنظر .. ومما يستحق النظر كذلك حياة حفيد القس الذى ينتظر أن يولد عن علاقة غير شرعية بين ولده وبين احدى الفتيات الملونات فى المدينة ..

كل هذا يحز فى نفس الاب ولكنه يتذرع بالايمان وينتظر أن يجد فى رحاب الطبيعة الفسيحة بقريته السلوى والعزاء .. سوف يربى الطفل الذى ما زال فى ضمير الغيب ليشب على الخير من جديد ! !

وتصاب القرية بالجدب والجفاف فمن الذى يحسن ويعطى ؟

لقد صور المؤلف ان والد آرثر جارفز والصبى حفيده ، (أى ابن القتيل) هما اللذان يحسنان فيهبان القرية اللبن ويعتزمان بناء خزان للمياه وكنيسة جديدة .

ان المؤلف يعمد الى تصور أن الاصلاح سيكون منحة من الرجل الابيض .. ويصور أن السعادة سوف ترفرف حين يتنازل الرجل الابيض عن اصراره العنيد عن التفرقة العنصرية .

وهذا الرأى بالنسبة لحكومة جنوب افريقيا على رجعيته يعتبر رأيا ثوريا خاصة اذا صدر عن رجل أبيض يعيش فى جنوب افريقيا نفسها .

غير أن حقائق التاريخ تظهر على أن الشعوب سوف تسود ولو كره الكارهون من البيض فى جنوب إفريقيا ، وان السياسة الرجعية البغيضة لا تعيش طويلا اذا ما هبت ريح التحرر .

إن قصة ((**ابك أيها البلد الحبيب**)) تعالج مشكلة مشابهة لقصة ((كوخ العم توم)) .. لا للاسباب التى ذكرتها فحسب بل أيضا لانهما يعالجان مشكلة لم تحل بعد !!

((**عبد السلام شحاتة**))

الأصول الاجتماعية للفن الافريقى



بقلم : عبد المنعم الحفنى

تتميز الشعوب الافريقية بالحاسية الدينية القومية التى لديها . ويلهب هذا الاحساس الدينى ابداعية الفنانين الافريقيين . ولكن الدين ليس كل مصادر روح الخلق عند الفنان الافريقى . فهناك غير الدين التقاليد الاجتماعية والأخلاقيات والعرف الجماعى .

والكتابة الخطية تقل لدى غالبية الشعوب الافريقية ، لذلك فهى تعتمد على الرسوم ، فالفن الافريقى هو الممارسة الثقافية لافراد تنقصهم معرفة الخطوط والاساليب البلاغية اللغوية التى يمكنهم بها ان يعبروا عن انفعالاتهم وعواطفهم وحزنهم وافراحهم ، فالافريقى عندما ينفعل يعبر عن انفعاله من خلال اللون والفرشاة والازميل والشكل ، فالالوان والاشكال تلعب دور الحروف . ولما كانت اللغة هى وسيلة المجتمعات فى التخاطب والتعارف والتعبير ، اى انها وسيلة اجتماعية فنية وأدبية بخلاف استخداماتها فى المنافع اليومية ، فان الفن الافريقى يأخذ دور اللغة الاجتماعى من الناحية الادبية والفنية ، وكذلك من ناحية الاستخدامات النفعية اليومية . وهذا الاستخدام الاخير لا نجده لدى الفنون التشكيلية فى أرقى الحضارات الانسانية .

والحضارة الافريقية تستخدم الفن كذلك فى تسجيل احداثها التاريخية وحروبها القبلية والاحداث الجغرافية كالزلازل والبراكين وانخفاض بعض سطوح التربة وتكوين الاخاديد او فيضانات الانهار . كما تستخدم الفن كذلك فى تدوين اساطير وقصص قبائلها وامجادها .

والفن الافريقى عندما يتناول الطقوس الدينية فانه يتناولها باحترام شديد ويضفى عليها كل امكانياته فى اقناع المشاهدين وجدانيا . وابسط مثل على ذلك هو القناع الذى يرسمه الفنان الافريقى لوجه القاضى . وعندما يرتدى القاضى هذا القناع عند نظر الدعاوى

فان احساس الناس بصلة القاضى بالارض وروابطهم الاسرية به تنتهى فورا ، ولا يبقى الا شعورهم بانه ممثل القوى الالهية . انه تجسيد للقوى الالهية . وفى حضرته لا يمكن ان يجرؤ اى انسان على اصدار فرية ، او مخالفة أمره ومشيئته ، ومن ثم كانت كلمته فى انهاء الخلافات قاطعة ومرعية . ان القناع يجبر على الاحترام ، ويفرض الخضوع .وهو يلهب احساس الخوف ، هذا الاحساس الحضارى الذى هو اصل نفسى عميق لكل اشعاع حضارى . وكل تقدم فكرى أو علمى . ويستغل القضاء والشرطة هذه الخاصية فى الفن الافريقى حاليا ، وعندما يصدر القاضى الحديث حكمه يهز بيده قناعا ثم ينطق الحكم ، وكذلك يستخدم رجال الشرطة عصيا لها مقابض تمثل اشكالا دينية يحركونها فى وجه العصاة والمتمردين .

واذن فصناعة الاقنعة او التماثيل المنحوتة التى تمثل الالهيات والغيبيات لدى الافريقى صناعة تعتبر مقدسة ، ولذلك فان القائمين بها تراعى فيهم شروط معينة .

ويمارس هذه الصناعة جمعيات دينية . أعضاؤها من الرجال ، وقد تضم أحيانا بعض النساء ، ولكن القاعدة انالرجال همالقائمون على هذه الصناعة .

وهذه الجمعيات جمعيات محدودة العدد عسيرة شروط القبول ، ولا يمكن ان يقبل العضو بها مالم يجتز امتحانات صعبة ويقدم فروضا وهدايا وتضحيات جمة .

وبعض القبائل تشترط ان تتكون هذه الجمعيات من الذكور القادرين ، وتفرق بينهم بعوامل السن والكفاءة والنسب .

وسلطة هذه الجمعيات هى سلطة الارواح التى تتقمص أعضاءها وتلهبهم فنهم وابداعهم . وهذه الارواح يرأسها روح أكبر يقوم فى المناسبات الكبرى مرتديا ملابسمقنعة أو يتلبس شكلا اسطوريا . وهو يشير عليهم وينصحهم ، ويحكم على مراعاتهم للتقاليد من عدمها ، ويتأكد من استتباب النظام . هذا النظام الذىهو ضمان سعادة ونجاحالقبيلة .

وبهذه الطريقة يضمن شيوخ القبيلة سيطرتهم على الاجيال كلها ، جيلا بعد جيل وهم ينفثون سلطتهم عبر السنين من خلال تطويع الشباب لارادتهم وللتقاليد بتدشينهم وبضرب المثل الطيب امامهم ، ومن خلال المدرسة التى يديرها الكاهن الساحر ، هذه المدرسة التى تدرس القوانين والعادات والواجبات لطلابها . وستخدم فى تدريسها التماثيل المنحوتة وصور الحائط والامثال والاغانى . وفى شمال شرق ليبيريا لا يسمح بدخول المدرسة الا للطلبة الذين يواجهون محاربين يضعون الاقنعة ، ويصارعونهم ، والمنتصرون منهم هم الذين يلحقون بالمدرسة ويسمح لهم بتناول قرابين الابرار وارتداء الملابس التنكرية . وعندما ينتهون من دراستهم تقام لهم حفلة تدشين اخرى يحتفل فيها بدخولهم الجمعية واجتيازهم فترة التعليم ونجاحهم فيها . وفى هذا الحفل يؤدى كثير من أنواع الرقص والغناء حتى ليصل الامر حد الاغراق الوحشى ، لقد صار هؤلاءالشباب رجالا ، وآن لهم أن ينفصلوا عن أمهاتهم ويعيشوا حياة مستقلة بهم ، يواصلون فيها اكثار القبيلة والمحافظة على تقاليدها ، وهى مناسبة لا تتكرر ولها أهميتها ومغزاها للفرد والجماعة معا .

ولما كانت مهنة الفنان متصلة جذريا بالالهيات والارواح ، فان السرية شرطاساسى فيها ، لذلك فان تعاليم الكبار لهؤلاءالمبتدئين تبدأ بدروس السرية ، فالسرية اهم عناصر الدراسة ، ومن يفشى السر يتعرض للموت سما ، وفروض الطاعة واجبة الاداء على المبتدئين ، ويعرف الكبار كيف يقنعون الصغار بطاعتهم والمحافظة على اسرار المهنة .

وتمارس هذه الجمعيات مهمتها فى القبيلة كمؤسسة ثقافية عليا ، وكمصدر عال للسلطة والتشريع . وحتى شيخ القبيلة يخضع لها ، فسلطاته ليست من غير حدود وقيود ، وهى

لا تمتد الى الاراضي التابعة للهيئات المقدسة، وهذه تحكمها حكومات شبه كنسية، ويرأسها النبلاء وموظفو البلاط . ويتميز هؤلاء عن بقية أفراد الشعب والنبلاء بما يضعون من أقنعة .

وتصحب الاقنعة والتماثيل حياة الافريقي من الميلاد الى المراهقة فالبلوغ حتى الموت ، وتلعب خصوبة المرأة دوراً حيوياً في حياتها ولذلك فان تمثال الأم وطفلها نشاهده كثيراً في حفلات الاضاحي ، مما يزيد من اعتبار المرأة الاجتماعي ويكسبها احتراماً وقوة . وترقص غزلان « الشي وارا » زوجين مع بعضهما في الحقول . وبديهي أن من يقوم بدور الغزلان رجال ، وهذه الرقصة تمنح الرجال والزرع والحيوان نمواً وازدهاراً .

وتوجد التماثيل في كل مكان — في الغابة وفي الحرب ، وفي السلم ، وفي الكوخ ، وفي الحقل ، وفي المدرسة وفي ساحة القضاء . انها ترضي حاجة اجتماعية ، لانها تكسب الجماعة هدفا وتعطيها نظاما ، وتوثق مابين الافريقي وبين القوى الإلهية ، مخلصة اياه من أحاسيس الذنب والخوف .

وتنقسم صناعات الفنون بين الرجال والنساء ، فهناك صناعات يختص بها الرجال ، وهناك صناعات أخرى يختص بها النساء . ولا يمكن أن يؤدي الرجال مايختص به النساء ، كذلك لايمكن أن تؤدي النساء ما يختص به الرجال .

وفي بعض المناطق يختص الرجال ببناء المنازل وصناعة المعادن والنحت ، اما النساء فيشتغلن بالخزف والغزل والصباغة وخاصة في الغرب . ولكن الرجال يقومون باعمال الغزل في السودان ، بينما تقوم بها النساء في الكونغو وافريقيا الغربية . وتصنع النساء الاواني الفخارية .

ولكن احترام الفنان الافريقي يتفاوت من قبيلة الى قبيلة ، ففي القبائل الزراعية لا تعنى القبيلة بالفن كثيرا ، وممارسة الفن صبغة جانبية الى جوار الزراعة ، ولا يمارسها المزارعون الا في اوقات الجفاف حيث تتوقف الزراعة ، ويظل الاهالي في شبه عطلة يروحون بها عن أنفسهم بممارسة ابداعياتهم وهواياتهم . فاذا كان احدهم من الموهوبين فانه يتفرغ لموهبته ، يمارس الفن على نطاق واسع ويتكسب منه بصورة اكثر من تكسبه من الزراعة الموسمية وفي هذه الحالة يعفيه المجتمع من واجباته الاقتصادية حتى يمكنه ان يظل متفرغا في فصول المطر . وينقل الأب خبرته الفنية الى اولاده الذكور ويحجبها عن الغرباء ، وتتخصص بعض العائلات في فرع معين من فروع الفن .

وتتوقف شهرة الفنان على الجماعة الثقافية التي ينتسب اليها . وتقدر القبائل مهنة الحداد ، فالحداد يعمل بالنار والنار تتصل بقوى السحر ... وكثيراً مايحترف الحداد مهنة الطبيب بالاضافة الى الحدادة وفي هذه الحالة تحترف زوجته مهنة صناعة الاوعية الفخارية .

ويحترم أهالي افريقيا الغربية الحداد احتراما بالغا ، وتقدره قبائل البانتو جنوب خط الاستواء ، ولكن القبائل الحامية في شرق افريقيا لا تحبه ولا تحترمه ، ولذلك فالحدادون معزولون ولا يصاهرون الا الحدادين من أمثالهم فالناس هناك ترفض أن تزوجهم بناتهم .

اما النجار ومهنة النجارة فهذه هي مهنة النبلاء ، ويبلغ من احترام قبائل البالوبا للنجارة والنجار ، انهم يضعون على راس النجار فأساً تزينه راس ، وهو مالايرتديه الا الملك نفسه ، وتضفي قبائل البابايكا ألقاب الشرف على نجاريها .

وعند ما يظهر شاب من الشبان موهبة خاصة في الحفر على الخشب فانهم يلحقونه صبيا لاحد الفنانين . ويهيل الصبي على معلمه الهدايا . وفي هذه الفترة يقتصر عمله على التمرين وتقليد سيده ، وعند ما يستقل بنفسه بعد ذلك يلتزم باجتزاء بعض مكاسبه ليعطيها لسيده لبضع سنين . ويراعي الفنان الصغير وهو يعمل بضعة

شروط فيجب ألا يكون حفره تعبيرا عن خيالاته الشخصية بل يجب ان يتبع المبادىء التى ثبتت بالتقاليد وباصطلاح المجموع عليها ، بل المهم هو مايتخيله الفنان لنفسه ، بل المهم هو ماتتخيله الجماعة كلها وما دام الفنان يصوغ تماثيله للجماعة فهو يؤثر ان يكون فنه من وحى اللاشعور الجماعى لا اللاشعور الفردى .

وبالرغم من ذلك فان التميز الشخصى للفنان يتضح من أعماله فيما يضفيه من تفاصيل صغيرة ودقيقة على فنه ، وهذه التفاصيل الصغيرة هى ما يوليها الفنان برعايته ، فهى نفسه التى يسقطها على التمثال او القناع ، لذلك فان الفن الافريقى ليس مسألة هينة ، ليس مجرد تقليد ، ولكنه تقليد وابداع ، وهو احتراف لمهنة مقدسة تتصل بالالهيات وبمقدسات القبيلة والفرد ، ولذلك فممارسة الفن الافريقى على الفنان الافريقى عمل يتطلب التضحية ، فالفنان الذى يرتضى الفن مهنة له ، انما يهب نفسه للالهيات ، وينسحب من مباهج الحياة ، ويؤدى بعض الطقوس قبل أن يبدأ فى صياغة قطعة الخشب او الحجارة ويخشى الفنان الافريقى على نفسه من الشهرة ، ويخشى كذلك من ان ينساله الكسب الكثير الذى يبطره ويفقده احترامه المعنوى لفنه .

وهناك فنانون اشتهروا وظل الناس يرددون اسماءهم لبضع سنين . وعندما اكتشف العلماء والفنانون الاوروبيون الفن الافريقي ، وبدأت اوروبا تقلد هذا الفن فيما أسموه بالتكعيبية والوحشية ، وظهرت تماثيل افريقية كثيرة فى بيوت الفنانين والصالونات الاوربية والفنية ، وفى المتاحف الخاصة والعامة ، بدأ اكتشاف اسماء بعض الفنانين الافريقيين من هؤلاء بابمجوبوى كان فى اول الامر كاهنا ، ثم صار مدرسا للفن فى مدرسة من مدارس الفن الافريقى التى تحدثنا عنها ، وانتج كثيرا من اقنعته ولو انه عندما صار مدرسا اضاع جزءا كبيرا من وقته فى [illegible] وكان اولى به أن يضيعه فى النحت .

ولا يمكن ان نعتقد ان الفن الافريقي اقتصر علي العبادات ومتطلبات الحياة اليومية ، فالفن الافريقي كان نتاج رعاية الملوك والنبلاء فالملك يجلس وسط نبلائه فى ابهى زينة وآنق مجالسه ، ولابد لهذه المجالس من كامل الزينة ، وليس اجمل من تزينها بمختلف التماثيل الافريقية ، وهنا نجد ان الفن الافريقى فن زينة ، فهو فى العبادات فن مقدس يتناول الالهيات والغيبيات ، وهو فى المجتمع يؤدي وظيفة اجتماعية كالاستعمالات اليومية . وهو عند الملك للزينة والتزين . ويستخدمه الملك لتفخيم نفسه وشخصه فهو يأمر الفنانين بأن يبتنوا له القاعات الضخمة المنقوشة بالطبول والتيجان والفئوس وغلايين الطباق . وتعيش طبقة فنانى النبلاء من رضا النبلاء والملك عليهم ، ولذلك فأفكار هؤلاء الفنانين يجب أن تعبر عن حاجات الملك ورغائبه . ويتنافس الفنانون على رضا الطبقة الحاكمة ، ويتتجون اجمل واذق منتجاتهم ، فهذه الطبقة تعيش على الرفاهية وتحيا بالجمال وتلهبها الحسيات ، وهى طبقة قادرة على التمييز بين المنتج انتاجا جماهيريا بالجملة ، وبين المنتج انتاجا فنيا حقيقيا فيه ثروة فكرية ، ودقة وجمال ودراية وخبرة وحذق .

وهكذا نجد ان الفن الافريقى فن يعكس الطبقية والافريقية ، الطبقية الدينية تعكس الطبقية الدنيوية ، والطبقية الارستوقراطية تعكس الطبقية الشعبية .

وهو فى الدين يخدم الدين ، وعند الشعب يخدم الحاجات الاجتماعية وهو ذو منفعة اقتصادية ، وهو عند النبلاء يعكس الحاجة الى الكماليات والجماليات .

واذن فالفن الافريقى فى الحضارة الافريقية يعكس نفس الخطوط الفكرية التى يعكسها الفن عموما فى الحضارة الاوروبية أو فى غيرها من الحضارات الكبرى .

وسيلة التخاطب بين الشعوب الأفريقية

عن الألمانية ترجمة : حسين محمد البشاري

تتركز الاهمية الكبرى للغـات أفريقيـا الوطنيـة، من حيث اتساع الرقعة التى تنتشر فيهـا وعدد المتكلمين بها ، فى اللغة العربية المنتشرة فى شـمال قارة أفريقيـا وكذا فى الصحراء الكبرى وشرق السودان .

أما عن تأثير اللغة العربية جنوب الصحراء الكبرى كلغة لاهالى الساحل وتمتـد حتى بعض الاقاليم الداخلية القاحلة الجافة مثل اقليم مالى وفى القليل حتى شمال نيجيريا .

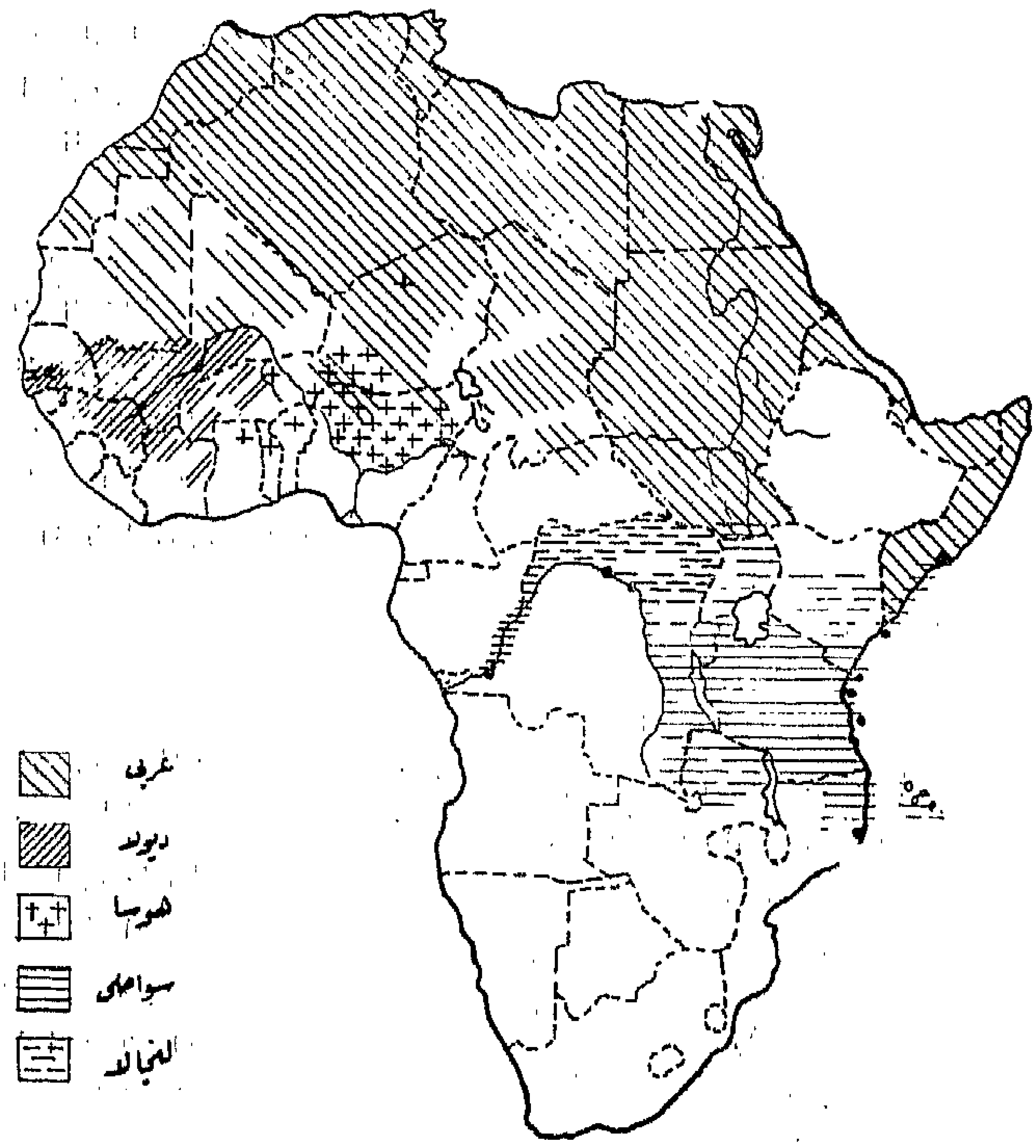
وهناك عدد كبير من القبائل ذات الاصـل العربى ويسمون عرب السودان ويعيشـون شرق « بحيرة تشـاد » فى اقليم « وداى » و« دارفور » وجيرانهم كثيرا مايفهمون العربية السودانية . وكذلك تجد اللغة العربية مجالا كبيرا فى كل الصومال والاريتريا فى بعضـ أجزائها وكذلك أقاليم الحبشة حيثما تـكثر كلما اتجهت نحو الساحل الشرقى لافريقيـا كلغة للتخاطب .

وفى بعض الاقاليم الافريقية تتأثر كثير من اللغات الاخرى التى تستعمل كلغة تخـاطب باللغة العربية الى حد كبير مثلما هو حاصل على السواحل الشرقية لافريقيـا مـع اللغـة (السواحلية) أو فى غرب أفريقيـا مع لغة شمال غرب أفريقيا وفى غرب السودان الى « الهوسا » .

ان موطن لغة « الهوسه » هو شـمال نيجيريا وجنوب اقليم النيجر ويمتد انتشار هذه اللغة من الجنوب الغربى الى داهومى وتوجو وغانا وفى الجنوب الشرقى فى الاقاليم الجبلية لـ Adamaue وفى بعض الحالات تمتد هذه اللغة الى جنوب الكاميرون حيث يمكن التفاهم بها ، وفى جنوب الصحراء وفى أعالى أقاليم النيل وحتى شواطىء البحرالاحمر تتواجد فى كل هـذه الاقاليم « جاليـات » تتحدث « الهوسة » والشىء اللفت للنظر ان انتشار وتشعب هذه اللغة بين تلك الجاليات نجده محدودا ، وأساس وجودها وتكوينها هو الحاجة الملحة لها كلغة تجارية .

وتقدير حقيقة تأثير جماعة « الهوسة » وكذا لغتها من الصعب تقديره حيث يكمن الخطر فى المبالغة فى تقديرها أو الهبوط بقيمتها لذلك لابد من التعامل فى قيمة هذه اللغة ، وكذلك قومها الاصليون .

واقليم شمال نيجيريا بأكمله يعتبر هذه اللغة ذات أهمية كبيـرة له حيث تتخذهـا الحكومة لغتها الرسمية وقبل دخول الاوروبيين الى افريقيا كانت هذه اللغة هى لغة الكتابة ويعتبر بعض الباحثين ان لغة « الهوسـة » هى أصل الكتابة العربية واللغـة الحديثة لـ « الهوسة » تكتب الان بالحروف اللاتينية والتى أكملت ببعض الحروف الخاصة . وهى تعتبر فى الواقع لغة حديثة يمكن التعبير بها عن العواطف الانسانية والتى من الممكن أن تعبر عن السرور والالام وقد طبع بهذه اللغة عدد لا يحصى من المواضيع الادبيـة . وفى الفقرة ٤ الأدبى لهذه اللغة يظهر نشاط فائق لمؤسسة Gaskuja التى مركزها فى Zaria وهذه المؤسسة الأدبيـة تملك من العـوامل والامكانيات ما تسد به الفراغ اذ أنها قامت بتحرير موسوعة Duden Redaction وأوضحت الكلمات الحقيقية وكذا المصطلحات الحديثة للغة الهوسـة . كما توصلت الى جهود كبيرة فى طريقة التعرف على الحروف



الهجائية لهذه اللغة ، وبجانب كتابة لغة الهوسة توجد كتابات أخرى تأثرت باللغات العامية المستحدثة والتى كونت على أثر هذه المؤثرات وان كانت قد اختلطت بها بعض الكلمات الانجليزية أو بعض أجزاء من الجمل الانجليزية وهى اللغة المنتشرة بين النخبة الحديثة أو اللهجة التى يتكلم بها الشباب القاطن بالمدن .

ولغة التخاطب بين أهالى غرب السودان تسمى Dyula وهى المعروفة بينهم .

وأصل لغات Dyula ينبع من قبيلة Mande واتباع هذه القبيلة تشتغل نسبة كبيرة جدا منهم بالأعمال التجارية ومجرد كلمة dyule تعطى فى غرب السودان معنى مرادفا للتاجر المتجول وتستعمل على هذا الوجه دلالة على طبقة أهالى هذه القبيلة ومدى

تمرسهم بالاعمال التجارية . وأهم لهجـات هذه اللغة : ١ ـ Malinke

٢ ـ Bambara ٣ Dyula

وتستعمل هذه اللغات للتخاطب في السودان وفى السنغال حتى اقاليم فولتا العليا ويمتد الاستعمال حتى ساحل العاج وأهم هـذه اللهجات الثلاث أو التى لها التأثير المنتشر دون الاثنتين الاخريتين هى Dyula

ولكن فى حالات نادرة تكون لغة Dyula فى حالة نقية خالصة وغير متأثرة بغيرهـا من اللغات وعلى العموم تعتبر هذه اللهجـات الثلاث وسيلة للتخاطب فى هـذه الاقاليم المذكورة . وقلما تستعمل هذه اللغات ممتزجة ببعضها حين نجد انفسنا نجتاز منطقـة الى أخرى .. وكانت لغة Bambara هى لغة غرب أفريقيا الفرنسية فى المـاضى (سابقا) .

ولغة Ful منتشرة فى جميـع انحـاء غرب وأواسط السودان من السـنغال حتى شمال الكاميرون وهى اللغة الأم الاصـلية لشعوب Hirtemvolk وهم قبـائل رحل ورعاة للمواشي على ان هذه اللغة قد استقرت فى المائة السـنة الاخيرة نتيجة للفتوحات والغزوات حيث تؤثر لغة الغالب وفى ضوء هذا انتشرت لغة Ful

وانتشار الثلاث لغات التى تعتبر أهم لغات التخاطب لاهالى قارة أفريقيا السوداء هى Haussa-Dyula فى أوسع مجالاتها ولو ان الاسلام وقف منافسا لها باللغة العربية . وكلا اللغتين

Haussa-Dyula kisuaheli.

لم يصلا فى انتشارهما وأهميتهما الى مثـل ماوصلت اليه لغة Kisutheli

ليس لهذه اللغة Kisuaheli أى تأثير فى هذه الاقاليم المذكورة بينما تنتشر اللغتـان Dyula ، Haussa بـين كثير من الاقاليم المتنافرة وتستعمل على نطاق واسع كلغة للتخاطب بينما لغـة هؤلاء القوم الاصلية لغة مغايرة لها تمام المغايرة بل تتبع مجموعة أخرى من اللغات .

(لغة Kisuaheli)

هى أهم لغات شرق أفريقيا بل تعتبر من أهم لغات العالم اذ ان أدبيات هذه اللغـة يمكن ارجاعها الى أكثر من مائة عام كأدب تقليدى قديم لابد من اعادة النظر فيه ودراسته، وقد عمل التجار العرب على نشر هذه اللغة فى تلك البقاع كما عمل التجار على توسـيع رقعتها فى المـائة عام الاخيرة . وحيث تنتشر هذه اللغة تكون وحدة كبيرة من الاقاليم التى تتكلم بها ولكن يمكن تقسيمها جغرافيـا الى منطقتين ، المنطقة الاولى هى أقاليـم السواحل والمنطقة الثانية هى الاقاليم الداخلية وفى المنطقة الاولى الساحلية تمتد هذه اللغة من الحدود الشمالية لكينيا حتى الحـدود الجنوبية لتنجانيقا حيث تعتبر اللغـة الام وحيث يتكلم بها الناس بطلاقة فى جميع هذه المناطق .

كما تنتشر من اقاليم الصومال حتى مقديشيو وأيضا من شرق افريقيا البرتغالية حتى موزمبيق حيث يتكلم بها كثير من سكان هذه الاقليم أو على الاقل يفهمونها وفى كثير من الجزائر المنتشرة على سواحل افريقيا الشرقية تنتشر هذه اللغة كلغة أصـلية ، مثـل جزائر Kamaren Sansih Lamupemba

وهـذه اللغـة تعتبر فى جزيرة زنزبار كلغة [illegible] Standard Swahili

حيث [illegible] هذه اللغة الاخيرة فى [illegible] لايهتم بالحروف الهجائية أو القواعد النغربة هذه اللغة الاخيرة ويكون طبيعيا انتشار هذه اللغة Kisuaheli ناتجا عن تأثرهما بلغات البانتو [illegible]

وهناك أقاليم لاتتأثر بهذه اللغة بل تتبـع مجموعة أخرى من اللغات مثل أقاليم شرق افريقية وقبائل اقاليم جنوب النيل فى كينيا وتنجانيقا واقليم جالا ، واقاليم الصومال .

وذات مستوى خاص . تستعمل فى المدارس للتدريس وفى ممارسة لغـة الادب وهـذه اللغة البـ واحلية Standard Kisuali تختلف فى حروفها الهجائية وفى النطق حيث تتأثر و تظهر متأثرة ببعض اللغات الاصـلية لهذه الاقاليم والملفت للنظر التغيرات العديدة فى الالفاظ العامية .

وهذه اللغة بالنسبة للسواحل والاقاليم

الاسلامية تستعمل كلمات مستعارة من اللغة العربية .

أما انتشار هذه اللغة في الاقاليم الداخلية : ففي تنجانيقا تعتبر لغة الحكومة والمدارس وكذلك في كينيا تعتبر لغة رجال الادارة بجوار لغات أخرى يستعملها المسئولون هناك . ويلاحظ أن بعض المناطق في هذه الجهات تبدى مقاومة ملحوظة لهذه اللغات وعلى الاخص بين قوم الكيكويو وبين القوم الذين لا ينتمون الى قبائل البانتو .

وفي اقليم أوغندا يفهم كثير من القوم هذه اللغة خاصة في شمال اوغندا ويستعملها هناك رجال البوليس كما تستعمل في المستشفيات كلغة للتخاطب وان كانت لاتستعمل في المدارس وهناك لغة عامية خرجت مع لغة Kingwana وتسمى Ngwana Kisuaheli وتستعمل في شرق الكونغو بين ستانلى فيل في الشمال واليزابث فيل في الجنوب كلغة للتخاطب وان كانت لاتستعمل في الادارة الحكومية واستعمال هذه اللغة العامية Ngwana في مختلف المدارس متوقف على ترحيب البعثات التبشيرية بها ، ومن الصعوبة معرفة مدى تأثير هذه اللغة في اقليم الكونغو أو تقدير هذا التأثر .

ولا بد أن نذكر لغة هامة للتخاطب منتشرة بين اقليم قبائل البانتو وتسمى هذه اللغة Lingala حيث يتكلمها السكان الذين يقطنون على شاطىء نهر الكونغو من ليوبولدفيل حتى باسوكو ، بل يمتد استعمالها حتى اقليم مدينة ستانلى فيل .

وفي شمال الكونغو يمتد استعمال هذه اللغة حتى أعالى نهر النيل كلغة للتخاطب وكذلك تستعمل في الشئون التجارية وتتداخل هذه اللغة في عدد كبير من اللغات السودانية بشكل قوى .

ولغة Lingala تعتبر في الكونغو أساس التعليم في المدارس وكذلك تعتبر اللغة الرسمية لرجال الجيش .

وكذلك تستعمل كأداة للتخاطب ، وقد اثبتت الظروف هذا الوضع وليس في الامكان حصر مدى انتشارها فمثلا تسمى في شمال الكونغو لدى الأهالى Zanda وبين أهالى Barno تسمى Kanuri وفي اقليم الفولتا العليا تسمى Mosi

وهناك اللغة الامهرية ذات الاهمية الكبرى في أقاليم الحبشة وهى لغة « الجلا » وتعتبر اللغة الرسمية لجميع الوزارات والمرافق الحكومية وقد أصبحت الان لغة هامة للتخاطب وأداة للاتصالات كحقيقة ماثلة .

وعدد المتكلمين للغة ما من الصعب تقديره ولكن يمكننا حسب طاقتنا اعتبارا من ٧ الى ١٠ ملايين نسمة يتكلمون الهوسة Haussa والمتكلمون للغة Dyula يبلغ عددهم حوالى ٥ — ٦ ملايين نسمة اما الذين يتكلمون لغة Kisuaheli فيبلغ عددهم حوالى ٢٠ — ٢٥ مليون نسمة أما الذين يتكلمون اللغة العربية فعددهم يصل الى ستين مليون نسمة في افريقيا .

أما لغات المستعمرين الاوربيين والذين قضوا في استعمارهم لافريقيا وقتا طويلا جدا فلا تعتبر في الواقع لغة التخاطب بين سكان افريقيا أو ذات أهمية تذكر ، وان كان يمكن احتسابها كلغة رسمية حكومية فقط . وأهم هذه اللغات الاوربية الدخيلة هى : الانجليزية — الفرنسية — البرتغالية والاسبانية . وفي خدمة الجيش والاعمال الخاصة لدى الاوربيين تعلم كثير من الناس في المدارس لغة أوربية بقدرات مختلفة في الاتقان حتى يتمكنوا من التفاهم بها وقضاء مصالحهم وأداء واجباتهم العسكرية أو المدنية .

وحسب التقديرات الحديثة يبلغ عدد المتكلمين للغة الانجليزية في افريقيا حوالى سبعين مليون نسمة ويتكلم اربعون مليون نسمة اللغة الفرنسية ، وعلى هذا نجد أن عدد الذين يتفاهمون باللغات الاجنبية (الانجليزية — الفرنسية) عدد لايستهان به بحيث يمكن لهاتين اللغتين أن تقفا موقف المنافس لاية لغة أخرى تستعمل كأداة للتخاطب والاتصالات باستثناء اللغة العربية وربما أيضا يمكننا أن نستثنى لغة Kisuaheli

وشمال أفريقيا يعتبر الوطن التقليدى للغة العربية وهى تستعمل في الجهات الحكومية وكلغة للتخاطب علما بأن لغة البربر لشمال

افريقياليست ذات أهمية حيث تنحصر أهميتها محليا في حدود ضيقة ، وذلك لتغلب اللغة العربية عليها وعلى غيرها وبجانب اللغة العربية توجدبعض اللغات الاوربية التى تعتبر لغة الادارات المحلية ولو أن هذه اللغات الدخيلة لم تتمكن من القضاء على أو اضعاف اللغة العربية .

والدراسات العليا في شمال افريقيا اليوم جزء منها باللغة العربية وجزء آخر بالفرنسية وربما توجد دراسات عليا جميعها بالفرنسية

مشكلة اللغة الرسمية

عندما حصلت البلاد الافريقية التى تقع جنوب الصحراء الكبرى على استقلالها وأصبحت بلادا ناشئة تبغى التطور طغى السؤال الاتى : أية لغة يمكن اتخاذها كلغة رسمية للحكومة والتعليم في المدارس ؟

وفي معظم الحالات يمكن رسم الطريق للمستقبل على الاقل وعلى هدى الموجود حاليا والامكانيات التى يمكن بذلها للوصول الى حل مناسب ويفهم من هذا أو ان كل هذا ناتج عن الاستعمار الجاثم على البلاد حيث كانت الادارة في يد المستعمرين وكانوا يوجهون الشئون التعليمية للبلاد . وكان هذا منذ القرن التاسع عشر ، وقبله أيضا حيث تركزت لغتهم في التدريس بالمدارس واتخذت نظاما سائدا ما زال له خطره حتى الآن .

ومنذ أمد طويل والتفكير يراود المهتمين بهذه النتائج لمثل هذه الامور « هل هذا النظام لابد له ان يسود ويستمر على هذه الحال ؟ أم انه لابد للبلاد الافريقية من اتخاذ لغة رسمية حكومية ؟ »

ومحاولة الوصول الى حل هذا المشكل ليست من البساطة بحيث يمكن حله بين يوم وليلة ، فليس في الامكان الوصول الى تغيير جذرى على وجه السرعة حتى لايطرأ خلل على هذا الجهاز الذى تعود على هذا الوضع منذ أمد بعيد ، أى انه توجد متاعب فنية تعوق هذا التغيير ، ولا بد ان تعيش هذه المتاعب التى تصحب التغييرات وعلى العموم ، حتى من الناحية النظرية لايمكن التغلب على مخاطر هذا الانقلاب ، ولكن للوصول الى هذا الهدف لابد من عمل تخطيط دقيق ذى أعماق وحدود مرسومة بدقة ، بحيث يحتاج هذا التخطيط الى وقت طويل حتى تتأكد من صحة وقوة هذه الثورة اللغوية .

ولا بد أن ننوه اذا ما حاولنا تحقيق هذا التغيير في اللغة فلربما يعوق هذا العمل استمرار تطور هذه البلاد المعنية نحو النمو .

وهناك مشكل آخر نلاحظه في معظم الحالات ، والتغلب عليه والوصول الى حل ملائم له ما زال في حيز التعقيد ، وهذا المشكل هو ما الحل اذا عجزت الدول عن الوصول الى التغلب على اللغات الوطنية المحلية باجراءات استثنائية واختيار احدى هذه اللغات التى تتفق وأغراض الحكومة الرسمية وقصر الاستعمال عليها فقط وتجنيب استعمال اللغات الاخرى ، فاتخاذ هذا الاجراء في كل من تنجانيقا وشمال نيجيريا ليس من السهولة بمكان حيث تطغى لغات

Haussa - Kisuaheli

بل تسيطر على الادارة والمدارس منذ أمد طويل وتستعمل أيضا كلغة أدبية .

وعلى هدى ماذكر لابد ان تضع حكومات افريقيا نصب عينيها التخلص من تفتت اللغات الافريقية وان تعمل على تفتيتها بفهم ، وقد ابتدأت بعض الحكومات هذا المجهود فلغات توجو ، غانا ، ساحل العاج ، ولغات مناطق السواحل والمناطق الداخلية تتبع مجموعات لغوية مختلفة فمثلا .. في ساحل العاج ، سيان على الساحل أو في داخله تسيطر مجموعتان الى ثلاث مجموعات لغوية ، لهذا نجد الصعوبة في اختيار احدى لغات الساحل أو المناطق الداخلية التى لابد من اختيار لغتين في مثل الحكومات المذكورة على سبيل المثال .

والتفاعل الحقيقى الذى سوف ينتج من اتخاذ لغة موحدة رسمية لمختلف أجهزة الدولة هو تجمع هذه الاجهزة في وحدة متناسقة وليست متنافرة ، فمثلا .. كان في جنوب غانا وكذا توجو امكانيات الالتحاق بالمدارس العليا أكثر منه في الجنوب لذلك كان معظم الموظفين من أهالى الجنوب ، ونجد هذا واضحا في اقليم Akana ولغته هى Twi وقد وصلت هذه اللغة الرسمية للحكومة ، وأو

كان لشمال نصيب فى الذكاء أو ميل الى الادراك والفهم لكان حظه فى اللغة كبير ، وعلى العموم يكمن الخطر فى الاقل عندما تأتى لغة اجنبية الى الشمال من الجنوب والذين لولاهم ولولا اللغة التى جلبوها معهم واصبحت لغة الدواوين لما تمكن أهل الشمال من احلال هذه اللغة . . لغة الجنوب التى هى لغة افريقية محل اللغة الاوربية الخاصة بالمستعمرين ، ولكن يمكن ان نسأل من الناحية العملية الماثلة فى الواقع أمام أعين الاهالى هل يمكن اعتبار هذه اللغة الاتية من الجنوب لغة هامة تستطيع ان تحل محل اللغة الاوربية كلغة ادارية أو لغة تخاطب وتكون وظيفتها رئيسية .

ذلك لان اختيار لغة وطينة كافة للدواوين الرسمية يعتبر فى منتهى الصعوبة اذ توجد بين مختلف القبائل منافسة عميقة الجذور تعلق بمسألة هيبة وكرامة كل منها اذا ماحلت لغة احدى القبائل أو حتى لغتها العامية عند جيرانها من القبائل الاخرى كلغة رسمية محل لغتها الاصلية ثم ان جميع القبائل المتجاورة كل منها توجس خيفة من الاخرى - أى أن سوء الظن يحكم هذه القبائل المتجاورة المختلفة وهذه الحالة توارثوها منذ أيام الاستعمار أو تعتبر من مخلفات الاستعمار التى زرعها بينهم ، وكثيرا ما فرضت بعض القبائل القوية لغتها بكامل معانيها على غيرها من القبائل الاقل قوة المجاورة .

ونظرة عامة على احلال واستبدال اللغات القديمة والتى برهنت على قيمتها الادبية ومدى ما دخل عليها من تطور ترينا انها تحققت كما فى لغة Twi فى جنوب غانة ولغة Twi فى جنوب توجو ولغة Ewe فى اوغندا ولغة Ganda فى جنوب نيجيريا ولغة Yoruba وباستعمال اللغات الافريقية كلغة الادارة الرسمية وكذلك فى المدارس للتدريس خصوصا ما يصحب أو ينجم عن بناء النظام المدرسى فى هذه الحالة تسعى وتجاهد القبائل الصغيرة لتثبت وجود لغتها ولو اقتصر استعمال هذه اللغات للقبائل الصغيرة فى أضيق الحدود كلغة عامية فى شئون الادارة الرسمية والتدريس فى المدارس وتحاول أن تحتفظ بها على هذا الشكل مثلما هو حاصل فى ألمانيا اللغة العامية بجانب اللغة الالمانية العالية .

مدى استمرار أهمية لغة المستعمرين :

ما زالت العلوم حتى الان تدرس فى المدارس العليا لجميع أقاليم افريقية بلغة المستعمر الاوروبى أى اللغة السائدة فى كل مستعمرة ويمكن للمتشكك ان يطرح هذا السؤال : هل من الممكن للغة افريقية ان تثبت وجودها أو تسد فراغ أية لغة أوربية فى تدريس علوم المعرفة الحديثة ؟

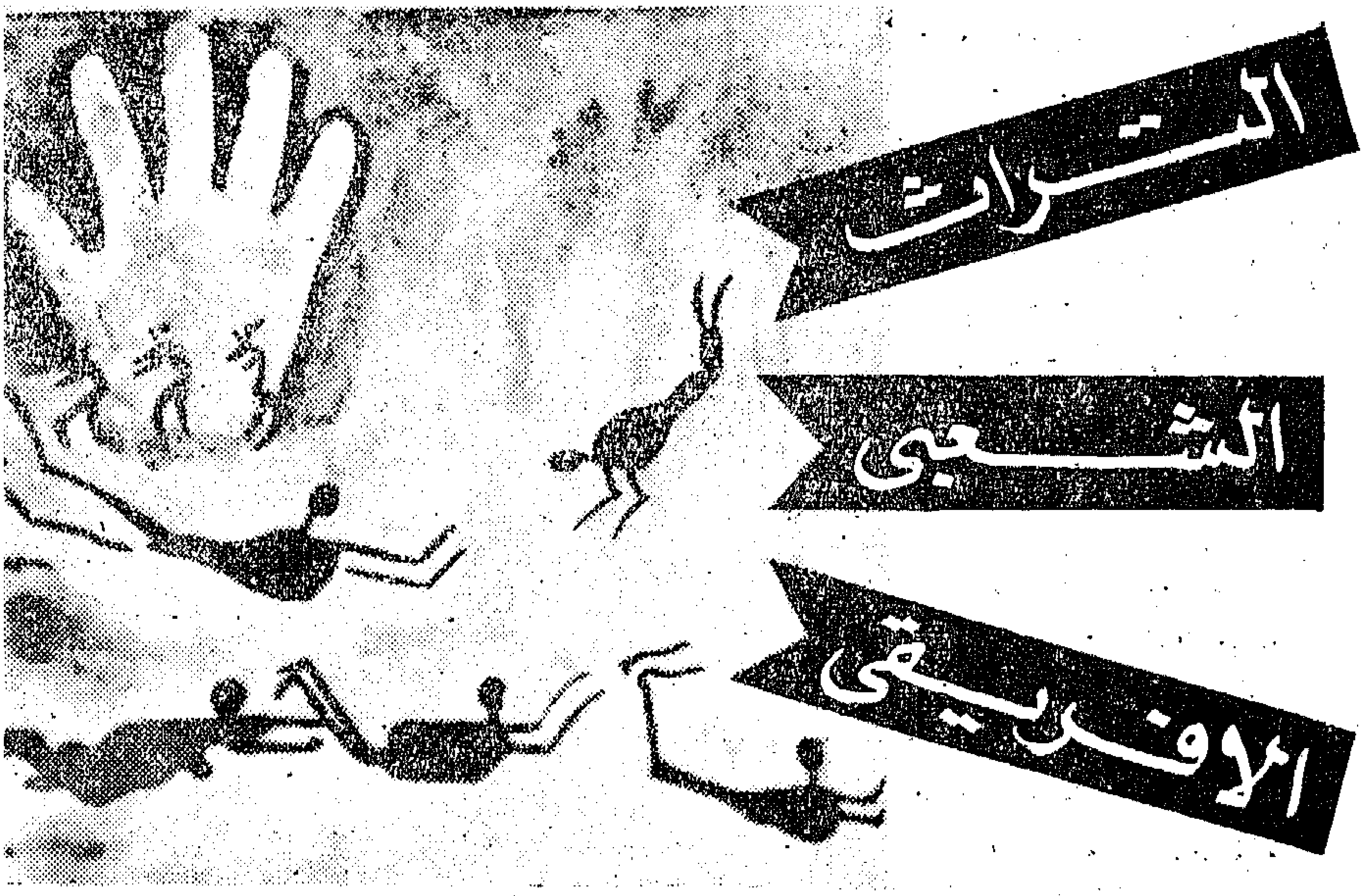
وفى غالب الامر لن تأتى أية صعوبات عن هذا الاستبدال باستعمال اللغة الافريقية المعتمدة فمنذ قرون قد ترجمت كثير من النصوص الفلسفية الى لغة Twe وكذلك دخل كثير من المصطلحات الفنية بل عدد وفير منها تسلل الى هذه اللغات الافريقية سيان على أوسع أو أضيق الحدود . بل نجد أن كثيرا من الكلمات التى فى تلك اللغات الافريقية تسربت وعلى نطاق واسع الى اللغات الاوربية السائدة فى الاقاليم الافريقية ككلمات اجنبية ، ولا بد ان نذكر ان علوم الهندسة والجبر أصبحت تدرس فى المدارس الافريقية باللغات الافريقية بنجاح تام .

وللتخلص من اللغات الاوربية كلغات للادارات الحكومية والمصلحية ولاحلال اللغات الافريقية مكانها لابد من الاعتبارات الاتية :

أولا : لابد من لغة موحدة لكل اقاليم افريقيا على الاطلاق وكما يطالب بهذا بعض الافريقيين ويلح فى طلبه ، فيجب ان يعملوا على تأكيده .

واذا ما تمكن الافريقيون من التخلص من لغات المستعمرين حتى ولو كانت تستعمل فى التدريس كلغة أجنبية بجانب اللغات الافريقية فاسوف يصطدمون بصعوبات عديدة اذا ما وضعت نفسها موضع الاختبار فى هذا الشأن ولكن يجب العمل على تذليل هذه الصعوبات .

وبلا شك أنه من الاجدى أن يكون بجانب اللغة الاوربية التقليدية وكلغة ادارية للاجهزة الحكومية لغة أفريقية أخرى يمكن الاحتفاظ بها .



التراث الشعبى الافريقى

بقلم : على شلش

((ان الاساطير والقصص الشعبية فى أفريقيا السوداء تقوم بدور التراث الكلاسيكى بالنسبة للآداب الأوربية)) .

(أفيجينيا كالبرينا)

من الثابت ان ظاهرة التراث الشعبى غير المكتوب أقدم بكثير من الادب المكتوب ذاته . ذلك لأن الانسان حاول منذ فجر الخليقة أن يعبر عما يجول فى نفسه من شئون وخواطر ، فاتخذ هذا التعبير اللغة وسيلة للايصال والنقل ، وظل على ذلك الحال طويلا الى أن اكتشف الكتابة ، فنشأت اللغات المكتوبة .. وبالتالى نشأ التراث المكتوب ، سواء تردد قبل ذلك على الشفاه ، أم سجلته الحروف والألفاظ على الحجر أو الورق ، وغيرهما من أدوات الكتابة .

ومن الطبيعى والمنطقى فى بيئة لا تعرف اللغات المكتوبة ، أن تنشأ آدابها منطوقة فقط ، لا تعرف الكتابة وسيلة للنقل ، وانما وسيلتها الشفاه .. وتلك هى حال الرقعة الافريقية الفسيحة الممتدة فى أعقاب الصحراء الكبرى حتى شواطىء المحيطين : الهندى والاطلسى ، خارج مجال اللغات الاربع المكتوبة وهى : العربية والامهرية والسواحيلية والتماشيكية البربرية .

ولقد اهتم علماء الاجناس الاوربيون بهذا التراث الشعبى الافريقى ، وسجلوا بعضه ونقلوه الى لغاتهم وحاولوا أن يستخرجوا منه دلالات ونتائج فى الدراسات البشرية . لكن بغض النظر عن قيمة هذه الدلالات وآثارها مما تختلف فيه الآراء ، يبقى لهم فضل تعريفنا بهذا التراث فى وقت مبكر ، قبل أن نعرفه عن طريق أصحابه أنفسهم .

والحق أن هذا التراث يتميز بصفتين أساسيتين ، هما : العراقة والغزارة فضلا عما تتمتعان به من بساطة . وهما صفتان نابعتان من عراقة القارة وغزارة بيئتها .

ونحن اذا لجأنا الى تصنيف أجناس هذا التراث وأشكاله ، فاننا نجد تحت أيدينا ثلاثة أشكال محددة نرتبها — حسب أهميتها وقيمتها — فيما يلى :

* الحكاية .
* المثل والكلمة المأثورة .
* الأغنية .

الحكاية مدرسة الشعب :

من العسير أن يجيب باحث فى مجال

التاريخ لأصل الحكاية الشعبية ، على سؤال مثل : من انشأها ؟ ومتى ؟ ... ذلك لأن الاجابة عنا ، ترتبط بطبيعة الحكاية ذاتها ، وهى أنها لا تنتمى لفرد معين بقدر ما تنتمى لجماعة بأسرها ، وأنها لا تملك وسيلة للذيوع، فى أصولها ، بقدر ما تملك الألسن والشفاه . فتاريخ نشأتها اذن يرجع الى فجر الانسانية، شئنا أو لم نشأ .

ولقد حاول الكثيرون من علماء الفلكلور — رغم حداثة عهدنا بهذا النوع من العلوم — الشعبية ، لكنهم لم ينتهوا الى قرار جامع شامل كما يقولون ، بل اختلفوا فيما بينهم . فمن قائل انها — أى الحكاية — نشأت على أيدى رواة متأدبين ثم تناقلها رواة الشعوب البدائية . ومن قائل انها رد الفعل الطبيعى لدى الانسان ازاء الظواهر الطبيعية ، وانها محاولة منه لتفسير هذه الظواهر . ومن قائل آخيرا — وليس آخرا — أن مصدرها الأحلام ، كما يقول اتباع مدرسة التحليل النفسى فى الادب والنقد .

وأيا كان الامر فى شأن تاريخ هذا اللون من الابداع الادبى فانه يتصف فى النهاية بخاصيتين أساسيتين هما : اللازمن والعالمية ؛ بمعنى أنه لا يعرف زمنا محددا ولا مكانا محددا لولادته ومسقط رأسه .

ولئن كان كثيرون من دارسى الاداب الشعبية يتفقون على أن آسيا هى الينبوع الذى تفجرت منه القصص الشعبية والحكايات ، وأن الهند هى الرحم الحقيقى للحكاية والقصة ، وعلى الأخص تلك المنبنية على الاسطورة أو الخرافة ، فان افريقيا ينبوع ثر للحكاية والقصة أيضا ، لا فى الكم فحسب ، وانما فى الكيف أيضا .

ولقد حاول نفر من دارسى الفولكلور أن يحصوا الحكايات الافريقية ، فقدروها بنحو ربع مليون حكاية . ومع أن هذا التقدير متواضع فى حسابه الا أنه يكشف عن حقيقة هامة فى دراستنا وتذوقنا للحكاية الشعبية الافريقية . ذلك أن الشعوب الافريقية فى مناطق الشرق والوسط والغرب والجنوب من القارة تعتمد على الحكاية كوسيلة للتثقيف والامتاع ، وكفاية للتعبير عن موقف الانسان ازاء مظاهر البيئة والمجتمع . يقول ملترن روجف فى تقديمه لمجموعة من هذه الحكايات والاقاصيص :

« ان القصص التى يحكيها رجال القبائل الافريقيون خارج القرية بعد الغروب تمثل مادة ذات قيمة بالنسبة المشتغل بعلم الانثروبولوجيا أكثر من قيمتها بالنسبة للقارىء العام ، هذا فضلا عن كونها أمرا يرجع الى التقاليد ، اذ أن هذا هو الوقت الوحيد المناسب لروايتها » .

ولعل أهم ألوان الحكاية الشعبية الافريقية هو اللون الخرافى fahle Fable أى الذى يستند الى الخرافة والاسطورة فيعكسها أو يدعو اليها . فالافريقى ، كما يقول و . ف . بيرتون ، « أمير الحكاية الخرافية بلا منازع » ولم يأت تربعه على عرش امارة كهذه اختيارا أو عفوا ، ذلك لان البيئة والطبيعة تمدانه بهالة سافرة من الغرابة والهول معا ، وتجعلانه يقف فى أحيان كثيرة موقف الخاشع الذى لا يملك سوى طلب المغفرة والعون . ومن ثم كانت الخرافة والاسطورة بالنسبة له رد الفعل الطبيعى لما يراه أو يلمسه من ألوان الغموض أو الهول أو الغرابة ، التى كثيرا ما يعجز ويحار أمام تفسيرها . وبالاضافة الى هذا اللون نجد ألوانا أخرى من الحكايات أهمها : حكايات الطير والحيوان والحكايات ذات المغزى الاخلاقى البحت .

لكن كيف ينسج الراوى الافريقى حكايته ، وكيف يصنعها ؟ .. ان الدارس لطائفة من حكايات وسط أو غرب أفريقيا لا يلبث أن يكتشف فيها عددا من السمات أو مفردات التشكيل القصصى ، بمعنى أصح .

وأولى هذه المفردات هى شخصيات الحكاية التى ترتبط — كما يرتبط اختيارها — ارتباطا وثيقا بالبيئة ؛ فتجسد الاشجار والادغال ، والاسماك والحيوانات ، والطيور ، والصحارى والجبال ، وغير ذلك من عناصر البيئة . ويستعين بها صانع الحكاية وراويها فيلبسها ما يشاء من المعانى والدلالات . لكنه لا يكتفى بذلك ، وانما يضفى عليها الخيال ، وهو عنصر بالغ الأهمية فى تشكيل الحكايات الشعبية بوجه خاص ، لكننا نراه لدى الراوى الافريقى ثريا وخصبا ، بل بدرجة غير معقولة اذا نظرنا اليها بمقاييس الادب المكتوب ، فالشجرة تتكلم ، والطريق تنفتح فجأة وتختفى فجأة ، والرجل يدخل فاها يظهر له فجأة فيعود بالخير تارة وبالشقاء

تارة ، والسمكة تنطق الحكمة كما لا ينطقها فيلسوف .

يصنع الراوى كل ذلك وغيره مستخدما مهارته وقدرته على التأثير ، فهو يتنقل من حادثة الى أخرى ، ومن مغامرة الى أخرى ، بطاقة لا يحدها سوى قدرته على الخلق والابتكار من ناحية وصبر مستمعيه واهتمامهم من ناحية أخرى . كما يلجأ الى الحيل الفنية التى تضفى على عمله المهارة والدهاء ، ومنها على سبيل المثال : التكرار ، وهى حيلة فنية بالغة الاهمية فى الاعمال المنطوقة كاستجابة طبيعية للحاجة الى التأكيد وربط المتذوق — الذى يستخدم حاسة السمع — بما يسمع ويرى من تجسيد للحكاية يتخذ — فى أحيان كثيرة — شكل التمثيل على خشبة المسرح . كما أن منها التكاثر ، أى توليد الاحداث وتوليفها وكذلك استخدام المؤثرات الصوتية وأسلوبى الاعتراض والاستدراك وغير ذلك مما يحقق عنصر الاثارة والتوتر ، الذى نراه فى القصص الحديثة المكتوبة .

وطبيعى أن كل ذلك مرده الى أن وسيلة اذاعة هذه الحكايات هى الشفاه فقط . ولذلك نرى كثيرين ممن سجلوها من الاوربيين يعترفون بعجزهم ازاء نقلها الى لغاتهم المكتوبة . ومن ذلك ما يقوله بيرتون : « والشىء الوحيد الذى أسفت له ، هو أننى لم أستطع أن أعبر — عن طريق الاسلوب الانجليزى المقتضب الجاف — عن كل ما فى هذه الحكايات من جمال كما يرويها الرجل الافريقى . وهى لا تحتفظ برونقها الا اذا قام بروايتها « البامفومى » العجوز ، وهو نصف عريان ، وسط أعمدة الدخان المتصاعدة من النيران حيث تمثل أشجار الغابة المظلمة خلفية الصورة ، وحيث صرير الحشرات ، ونقيق الضفادع فى الجداول وصرخات ابن آوى تأتى من بعيد . »

ولا شك أن هذه الحكايات الشعبية تشكل جانبا هاما من جوانب الحصيلة الفكرية للجماعات المنتجة لها ، وتتغلغل فى حياة هذه الجماعات — عن طريق مبدعيها — مؤدية الى تكثيف قيمها ومثلها ، وتقطيرهما فى مدلولات مركزة . . وهى لا تؤكد هذه القيم والمثل فحسب ، وانما تدعو الى الصالح منها أيضا . ومن هذه القيم طائفة نسوقها هنا — على سبيل المثال لا الحصر — وقد خرجنا بها من مطالعتنا لنحو مائة حكاية شعبية من وسط وغرب القارة :

الوفاء بالوعد ، تقديس العمل ، ونبذ الكسل ، احترام الغير مهما صغر شأنه وعدم التدخل فى شئونه ، احترام الابوة والامومة والاخوة وغيرها من روابط الدم ، الاعتزاز بالنفس ، تقديس الحرية والديموقراطية ، نبذ الجدل ، القناعة لا الطمع ، العدالة لا الظلم ، البساطة لا التبرج ، الحب والتعاطف والعطف لا الكراهية والحقد .

ولا يفوتنا هنا أن نشير الى ما تقوم به الحكاية من دور ازاء الظواهر الطبيعية والبشرية . ذلك لانها تلجأ الى تفسير هذه الظواهر وايجاد دلالات لها . فاحداها مثلا ، تفسر لون الحرباء ونقص أصابعها وترددها الى حادثة وقعت بين الحرباء وصديقين ، حين حاولت الحرباء أن توقع بينهما ، لكنهما ما لبثا أن اكتشفا أمرها ، واسرع أحدهما بفأسه ليقتلها ، واذا بها تلجأ الى تغيير لونها من الاحمر الى البنى الى الاخضر ، وتنجو بنفسها . لكن الصديقين قررا ان يشعلا النار فى الشجرة التى اختفت فيها الحرباء وعندئذ ظهرت لهما ، فأمسك بها أحدهما وألقى بها فى النار ، لكنها تمكنت من الفرار بعد أن أتت النار على بعض أصابعها . وهذا سر نقص أصابع يديها وقدميها ، وقدرتها على التلون .

وحكاية ثانية تلقى الضوء على الفيل وصراعه مع الانسان الى أن قررا اعلان مبدأ التعايش السلمى فى النهاية ، وظلا على تلك الحال الى الآن ، وفى حكاية ثالثة نجد أن فرس النهر وسلحفاة الماء ، كانا ملكا وملكة فى القديم ، ثم مسخا .

والحق أن رصيد قارتنا من الحكايات الشعبية هو رصيد ضخم خصب ، ويتمتع فى مجال الدراسات المقارنة بمكانة طيبة جديرة به . وفى ذلك يقول ملتون روجف :

« فى الحقيقة أن كثيرا من قصص الحيوان الافريقية عالمى ، وهذا القصص ابن عم لقصص

رواه رينارد فى أوربا ، وكويوت فى جنوب غربى امريكا . غير ان هذه الروابط العائلية قلما تؤثر فى معالم شخصيته المستقلة » .

وفوق ذلك كله فالقصص والحكايات مدرسة للشعب ، يتلقى فيها أصول الحكمة والثقافة والقدرة على التصوير .

لا شك أن المثل الشعبي والقول المأثور هو خلاصة مركزة لتجربة كبيرة فى حياة الجماعة المنتجة له . ومن ثم فهو يأتى فى كلمات قليلة ، لكنها غنية المضمون ، تحمل معنى كبيرا ، لو انفسح المجال أمام صياغته لانفردت به قصة أو حكاية بأسرها .

ولئن كانت الامثال فى آداب كثيرة ، وحتى فى شمال قارتنا ، تميل الى التجريد دون التخصيص باستعمال مفردات خاصة معينة ، الا أنها تزداد ارتباطا بالبيئة — كما هى الحال فى الحكاية كلما اتجهنا جنوبا بعد الصحراء الكبرى . ولو أننا حاولنا أن نستخرج مثل هذه الالفاظ الخاصة الدالة على البيئة فى ثلاثة أمثال لكانت على النحو التالى :

نهر ، مصب ، ديك البردى ، الشجر ، تمساح ، الرجل الابيض ، الجبال ، الارض .

ومعنى ذلك أن معظم أمثال شعوب القارة خارج نطاق الصحراء تميل الى التخصيص باستعمال مفردات لها دلالتها الخاصة المتصلة بالبيئة .

وتعتمد الحكايات الشعبية على المثل والحكمة مثلما تعتمد على عناصر البيئة . فنجدها حافلة بالتعبيرات التى تجرى مجرى الحكمة ، بل انها فى كثير من الاحوال ، لا تعدو أن تكون تفسيرا وبيانا لهذه الحكمة وذلك المثل ، وخاصة حين تلتزم الوجهة التعليمية . مثال ذلك دوران الحكاية على حكم أو أو أفكار مثل : لا تقرض ولا تقترض تعدد الزوجات معناه تعدد المشكلات ، المرء الذى لا يقدر على ضبط شئون نفسه لا يقدر على ضبط شئون الغير ، دخول المراة الغريبة البيت خطر ، الكلب كلب ولو شاء غير ذلك .

والواقع أن الامثال والحكم والاقوال المأثورة تلعب دورا رئيسيا فى حياة الجماعات والشعوب الافريقية حتى أنها لتبدو لدى بعضهم — كما يقول بيرتون — جزءا لا يتجزأ من الحديث الدارج . بل انها تكون — أحيانا — محورا تدور عليه مسابقات فى الذكاء والمعرفة . اذ يطرح المسام الشعبى أو الراوى الفقرة الاولى من المثل ثم يطلب الى أحد مستمعيه اكماله ، فتكون من ذلك مطارحات ومناظرات تحظى باهتمام جمهور المستمعين وشغفهم .

من المعروف أن الشعر قد نشأ من الاغنية لدى الجماعات القديمة كالاغريق والعرب ولما كانت الاغنية هى أساس الشعر ، فقد اقترنت منذ نشأتها بالموسيقى ، نتيجة عدم ارتباطها بالتدوين واعتمادها على الارتجال من ناحية ، ومصاحبتها لفن الرقص من ناحية أخرى .

لكن لماذا يغنى الانسان ؟

لقد اخترع الانسان الأدوات فى مرحلة مبكرة من تاريخه ، ثم اخترع الحديث ، ومن ثمة ارتبطت اليد بالعقل ، كمنظم لحركاتها ومحك لفاعليتها . وهكذا نشأ الكلام والحديث كجزء متمم لفن الانتاج داخل الجماعة البدائية . وبدأ ، فى أولى صوره ، كملازم لاستخدام الادوات ملازمة مباشرة ، ثم تطور فأصبح لغة ذات قواعد ومعجم ألفاظ .

وفى تلك المرحلة المتقدمة من تاريخ الانسان نشأت الحاجة الى الغناء ، نتيجة لعدة دوافع أهمها : حاجة الانسان الى تصريف طاقته الوجدانية ، وتأثير الايقاع والنغم والخيال عليه باحتكاكه بالطبيعة ومكوناتها ، ورغبته الملحة فى التطلع والطموح . لكن الاغنية رغم ذلك ظلت ملازمة لعملية الانتاج يقصدها الانسان لتخفف عنه جفاف الحياة من حوله أو لينشد رجاء معينا ، أو ليجعلها عونا له فى انجاز المهام والامور . وهو فى أغلب الاحوال لا يؤدى الاغنية منفردا ، وانما يؤديها بشكل جماعى . مثال ذلك ما عرفته اليونان القديمة من أغانى العمل ، وما عرفه العرب أيضا حين كانت الاغنية تستخدم كعامل مساعد فى الانتاج مثل حداء الابل ، وأراجيز السقى من الآبار . وكذلك ما عرفته شعوب افريقيا — وما تعرفه الى اليوم — من أغان جماعية تؤدى استجلابا للخير أو المطر أو رجاء دفع الكوارث .

فالأصل فى الغناء اذن أنه كان جماعيـا ، لكنه اخذ يتطور بفعل المدنية ، الى أن أصبح يؤدى فى أحيان كثيرة ، على لسان فرد واحد. وحتى هذا الفرد الواحد نجد أغانيه ــ مثلها مثل الاغانى الجماعيه ــ تدور حول ثلاثة أقطاب فى الغالب : اما لانه سعيد بأمل تحقق ، واما لانه متألم لفقد شيء ما عزيز عليه ، واما لانه يرجو تحقيق امل ما . وفى هذه الاحوال الثلاث تلعب الاغنية دورا هاما فى تشكيل حياة الانسان وعواطفه »

وفى قارتنا ينفسح المجال للاغنية ، ويعظم فيها الجانب الجمـاعى فى الاداء ، وتزداد الاغنية من ناحية الكم ازديادا كبـيرا ، حتى تكون رصيدا من الاغانى لا حصر له . ففى غانا وحدها نجد رصيدا هائلا متنوعا من هـذه الاغانى ، وأبرزها اغانى « الكلاما » التى يقدر الباحثون عددها بما يزيد على سـتين الف أغنية ، تؤدى بشكل جماعى أو فردى أثنـاء احتفالاتهم ومهرجاناتهم الدينية والاجتماعية .

كما ينتشر فى غرب القارة نوع من الغناء القريب من الملاحم ، يؤديه متخصصون من الشعراء الشعبيين ، وهو نوع شبيه بما كان يؤديه فريق التربادور ابان العصور الوسطى فى أوربا . ويطوف هؤلاء الشعراء الشعبيون بالقرى والقبائل ، يحكون قصص الكفـاح الوطنى والبطولات بمصاحبة الموسيقى .

ولا يفوتنا فى هذا المجال أن نشير الى ظاهرة السحر ، وهى ظاهرة اجتماعية تسود المجتمعات البـدائية ، وتلعب دورا هاما فى تفكيرها وفى نشأة فنونها وآدابها . ذلك لاننا نجـد لدى معظم شعوب القارة جنـوب الصـحراء ان السحر والطقوس الدينية تقليد لما ترغب فيه الجماعة . ومن ثم يكون السحر هو فن الانتاج الحقيقى فى مظهره الذاتى .

ومعنى ذلك أن الرغبات والمطامح لا تتـأتى الا عن طريق المحاكاة الخياليـة لها . وهى محاكاة وهمية فى الحقيقة لكنها تتمتع باحترام الجماعة ، ذلك لان وظيفـة السحر لدى الجماعات البدائية هى نشدان المستحيل أو غير الممكن . وكذلك الاغنية تقوم بهذا الدور فتلجأ الى أن تبث فى الجماعة الرغبة فيما يرجى تحققه وان لم يكن لم يتحقق بعد .

فبعض قبائل وسط افريقيا حين تدهمهـا كارثة مثل انقطـاع المطر أو عاصـفة تقتلع المحاصيل ، تلجأ الى الاغنيـة والرقص . فتتجمع الفتيات والفتية ، وينتظم الجميـع فى دائرة كبيرة ثم ينشدون اغنية بمصـاحبة الدفوف والطبول يقصدون بها أن يعود المطر أو أن تهدأ العاصفة . بل انهم يجسدون أثناء الغناء حركات سقوط المطر أو هدوء العاصفة قاصدين ان يستجيب لهم المطر والعاصـفة فيسقط الاول وتهدأ الثانية . وطبيعى انهم يدركون بل يؤمنون أن أغنيتهم ليست نداء فحسب وانما هى وسيلة وعامل يساعد على تحقيق الرجاء .

وهكذا الحال أيضا فى فنون الادب الشعبى الاخرى ، وعلى رأسها الحكاية . فنجد للسحر فى الحكاية الشعبية قيمة كبيرة ، اذ تلجأ اليه كوسيلة للخلاص ان خيرا او شرا .

فالبشر يتحولون بقـدرة السـحر الى حيوانات ، ان هم اخلفوا وعدا أو أتوا جرما . وكذلك تعطى لهم مفاتيح للسعادة والخير ان هم صلحوا وأثمروا . ومن ثمة فان عملية التحويل المستمرة فى الكيان او الهيئة التى تواجههـا بكثرة فى الحكايات الشعبية فى أفريقيا ــ كما فى غيرها من القارات ــ هى وسيلة للخلاص بالدرجة الاولى : الخلاص عن طريق السحر .

ان التراث الشعبى فى افريقيـا هو فى الحقيقة نتاج طويل خصب لبيئة خصـبة بكنوزها المادية والمعنوية ولا جـدال فى انه الدعامة الاساسية التى يقوم عليهـا الادب المكتوب الناشىء فى معظم الاقطار التى استقلت حديثا . وليس من الغـرابة اذن ان يؤدى بالنسبة للاداب المكتوبة ، ذات الدور الذى أداه التراث الاغريقى واللاتينى بالنسـبة للاداب الاوروبية المكتوبة التى استقلت بلغاتها منذ عصر النهضة .

ولقد فطن الكتاب الافريقيون الجـدد الى أهمية هذا التراث الشعبى ، فأكدوا فى جمع مؤتمراتهم على ضرورة جمعه وتنسـيقه ، وتصحيح ما نحله الاوربيون وزيفـوه منه . كما شرعوا ــ بالفعل ــ فى الانتفـاع به فى أعمالهم المكتوبة ، وخاصة لدى كتاب نيجيريا الجـدد .

على شلش

من الشعر الافريقى

للشاعر كالونجى

الليـــلة لم يهــدأ أبـدا قلبى
من كان يرانى كان يظن بأنى سعيد
بـأنى لم أعـرف فى يوم حـزنا
بأن الدمعـــة لم تورق فى جفنى
بأن الآهــة لم تكسو كل حياتى

❋ ❋ ❋

لـكنى اليـــوم حـــزين
رغم ملامح من صمت تكسو وجهى
فـأنا أشـــبه شىء بالغـــابة
تظهر من بعـــد خضـــراء
تظهـــر راســـخة وعنيـــدة
من خلف ســـياج متكـــبر
لـــكن المـــوت بداخلهـــا
الموت يدير المغزل من بين الأوراق
الموت يدير المغزل من تحت الأوراق

❋ ❋ ❋

الموت يدير المغزل من بين الأوراق
من يلقـــانى يلق البســـمات
يلـــقى التربيتـــة مـــن كفى
يسمع مافى الفم من الضـــحكات
لكن . . من خلف البسمة نهر الحزن
من خلف اللمســـة نظرة خوف
من خلف الضحكة همس مريض

❋ ❋ ❋

أترانى أكســـر هـــذا المغـــزل
أتـــرانى أوقـــف دورانـــه
ولأول يـــوم فى عمـــرى
أبســـم . . .
أضـــحك . . .
أمامـــك أمـــامى وبـــلادى !



جنوب الليمبوبو

بقلم : و. م. ماكميلان
ترجمة : عبد الواحد الامبابي

تظهر منطقة ((الليمبوبو)) على الخريطة أشبه ما تكون بشكل حوض يمتد من نصف الطريق تقريبا عبر القارة حتى منافذها في المحيط الهندى ، بالقرب من خليج «ديلاجوا» ويشكل فى الوقت نفسه حدا يفصل اتحاد جنوب افريقيا عن روديسيا فى الشمال الاقصى كما يفصله أيضا عن محمية « بتشوانالاند » .. التى يسيطر عليها البريطانيون فى الغرب ، ومعروف أن كل المنطقة التى تقع فى نفس هذه الابعاد فى الغرب من الليمبوبو هى منطقة قاحلة قليلة السكان ، أما حوض الليمبوبو فانه يضم أغنى أجزاء الاتحاد واكثرها ازدحاما بالسكان .

ولم يكن لهذه المنطقة الجنوبية تاريخ مسجل على الاطلاق قبل أن يكتشفها البحارة البرتغاليون فى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وحتى التاريخ الذى عرفناه عنها بعد ذلك كان قليلا ، وظل كذلك الى أن جاءت فترة ما بعد منتصف القرن السابع عشر حين استوطن عدد قليل من الاوروبيين الاوائل المنطقة المتطرفة منها ، عند الركن الجنوبى الغربى لها ، وفى ذلك الوقت لم يكن هناك شيء معروف عن الشعوب الزنجية من حيث أصولها ، وعدد أفرادها .

وقد اصطدم المستكشفون الجدد من الاوروبيين القادمين برجال القبائل الذين يتحدثون لغة البانتو لاول مرة فى حوالى عام ١٧٠٢ ، وذلك عند المنطقة الغربية من خليج الجوا (ميناء اليزابيث) ، ومن المحتمل أن الافريقيين لم يكونوا يحتلون احتلالا كاملا هذه المنطقة الجنوبية الواقعة عند هذه المنطقة ، ومن المؤكد أنهم لم يكونوا موجودين فى المناطق الواقعة فيما وراء ذلك الى الجنوب أو الغرب ، الا أنه لا يوجد ثمة سبب من الاسباب يدعو الى الشك فى أن هؤلاء الافريقيين أو أقاربهم كانوا يسكنون — ولم يكن أحد ينافسهم فى ذلك — كل المنطقة الشمالية الشرقية ، ليس فى الناتال وترانسكى فقط — حيث لا يزالون يستوطنونها على نحو كثيف الان — بل كذلك فى منطقة الليمبوبو ، التى تعتبر أكثر جفافا وبرودة .

ويدعى بعض المؤرخين من جنوب افريقيا أن جزءا من منطقة الاتحاد لم يكن مناطق افريقية على الاطلاق ، فان توزيع السكان هناك كان خاضعا لتقديرهم الدقيق للنفوذ الجغرافى ، وكان سقوط الامطار يمثل دائما عاملا حاسما ، فقد كانت تتحكم فيها الرياح السائدة ، أعنى الرياح التجارية (الشمالية الشرقية) والرياح المقابلة أو الرياح (الشمالية الغربية) ، وكانت الرياح الجنوبية الشرقية تهب مباشرة جنوبى خط الاستواء ، وعلى طول ساحل افريقية الشرقى كله ، وكانت تهب على الشاطىء وكذلك على المنحدر الجبلى بعد أن تمتص رطوبتها من هواء البحر الدافىء الذى يصطدم بها .

وعلى هذا يمكن أن نقول ان هذه المنطقة تعتبر منطقة رطبة يجود فيها الانتـــاج الى حد ما ، ومن المحتمل أنها كانت دائما المركز الرئيسى لشعوب البانتو من أبنـــاء جنوبى افريقية ، وفى أواخر عشرينات القرن التاسع عشر ، امتدت الثورة العارمة التى قامت فى بلاد الزولو من الناتال الى أبعد من موطنها الاصلى ، وحدث لاول مرة أن دخلت سجلات التاريخ قصة الحروب التى ارتبطت بأسماء زولو وتشاكا ، فقد رأى شهود - يعتبرون ثقة - هذه الحروب وكتبوا عنها ، ومن يومها لم نعد نسمع عن الزولو فقط بل نسمع أيضا - واذا كان ذلك قليلا - عن الجماعات القبلية الهامة فى المنطقة الوسطى ، أو فى منطقـــة الليمبوبو .

ويقال أن جماعة البتشوانا بصفة خاصة - وهى واحدة من هذه المجموعات هاجرت الى المنطقة المجدبة التى تعيش فيها الان ، ولقد كنت أحس دائما حين تعرفت على هذه المنطقة جيدا أن مهارة هؤلاء البتشوانا فى بناء الاكواخ تشير الى أنهم كانوا يعيشون فى يوم من الايام فى بيئات اكثر بساطة وســـهولة ، ومن هنا يذهب بعض أصحاب النظريات فى جنـــوب افريقية الى حد الافتراض بأن تاريخ البانتو كان تاريخا طويلا من الهجرات ، وأن القبـــائل التى كانت تعيش فى أقصى الجنـــوب كانت طليعة هذه الهجرات . وهكذا نرى أن تاريخ جنوب افريقية قد تحدد شكله بنـــاء على الجانب الغربى لشـــبه القارة ، فقد كانت هنـــاك ظروف مختلفة تماما ادت الى وجود شعب مختلف جدا .

على أن هناك دليلا عجيبا بعض الشىء يشير الى أن كلا من شعب البوشمان ، والهوتنتوت كان منتشرا انتشارا واسعا من قبل ، ومهما يكن من شىء فان البرتغاليين فى عام ١٥١٠ زاروا خليج « التيبل » ، ولكن حدث فى عام ١٦٥٢ أن قررت شركة الهند الشرقية الهولندية ضرورة ايجاد ميناء لسفنها ، فكان خليـــج « التيبل » هو ذلك المكان المختار ، وكانت المنطقة الجنوبية الغربية كما سبق أن ذكرت منطقة جدباء بصفة عامة ، الا انه كان هناك استثناء هام ، فان الساحل القريب من مدينة الرأس كان يسمح له موقعه بأن تهب عليـــه من البحر مباشرة الرياح الشمالية الغربية ، وبذلك كان هذا الركن الصغير يتميز بوجود امطار شتوية منتظمة ، جعلته يتمتع فى الواقع بمناخ البحر الابيض المتوسط .

وكانت اقامة مستعمرة فى هذه المنطقة فى أول الامر آخر شىء تفـــكر فيـــه الشركة الهولندية ، فهى لم تكن تريد شيئا أكثر من تزويد بحارة سفنها باللحـــوم والخضروات الطازجة .

غير أن «الهتنتوت» لم يكن لديهم استعداد لتقديم هذه المطالب التى تريدها الشركة ، ومن ثم جاء المســـتوطنون للقيـــام بزراعة الخضرات وتربية الماشية .

ثم حـــدث فى عام ١٦٨٨ أن جاءت قوة جديدة أخرى قوامهـــا مائتـــا لاجىء من « الهيجونوت » الفرنسيين المزودين بأسلحة أحسن وأقوى ، وحين رفض « الهوتنتوت » العمل مع البيض الوافدين ، بدأ هؤلاء البيض يجلبون الرقيق من الافريقيين الذين يوجدون فى المناطق الشمالية ، وكذلك من الملايويين الذين يحتمل أنهم كانوا من بين المحكوم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة .

وحين نمت هذه المستعمرة فى جنـــوب افريقية - على الرغم من معارضـــة الشركة الهولندية - أصـــبح مصير « الهوتنتوت » غريبا ، فلم تكن هناك حروب قومية عادية بينهم ، ويذكرنا اسم الجبال التى تقع خلف مدينة الرأس بأن المنطقة المجاورة كانت تعرف فى أول الامر باسم « هولندا الهوتنتوت » .. ولكن هذا الشعب لم يكن يتمتـــع بحقوقه القانونية ، او وضعه الشرعى ، وقد ادت هذه الاوضاع الجديدة الى وجود مرض الجدرى ، وغيره من الامراض المعدية الجديدة الاخرى التى لم يكن لهذا الشعب جله - قبل العام الطبقى - القدرة على مقاومتها او تحملها ، ومن هنا مات الكثيرون منهم .

غير انه حدثت فى الفترة الاولى عمليات تزاوج ومصاهرة فى حدود ضيقة ثم اتسعت حتى ظهر شعب مختلط ، وبقى عدد قليل من هـذا الشعب المختلط يحتفظ بماشيته وقطعانه .

وكان الضغط المتزايد الذى يفرض على « الهوتنتوت » أن يقوموا بالعمل من ناحية ، وأن تحفظ لهم الحماية الشرعية من ناحية أخرى .

والواقع أن الملايويين الذين كانوا يشكلون أكثر رجال التجارة مهارة ونجاحا هناك ، هم الذين استطاعوا أن يحافظوا على بعض مميزاتهم الذاتية ، فمساجدهم والطرابيش الحمراء التى كانوا يرتدونها ، وكذلك السارى الذى كانت ترتديه النساء .. كانت كلها تشكل المعالم الخاصة لمدينة الرأس ، الى حد أن اقتبس أفراد الشعب الافريكانى من الملايويين بعض اغانيهم ورقصاتهم ، وكلمات كثيرة من لغتهم ، كما تعلموا منهم أيضا طريقة صنع أطباقهم الشرقية الهنية .

ويعتبر الهوتنتوب الاصليون الذين اختلطت دماؤهم بدماء الاووبيين والملايويين هم « الاصل » الذى يرجع اليه أصل هذا الشعب الذى يتكلم اللغة الافريكانية .

ويقول بعض المؤرخين أن الكفاح الذى قام به هذا الشعب للحصول على حريته ، هو الكفاح الرئيسى فى تاريخ جنوب افريقية الاوسع نطاقا ، ونظرا لان الشركة الهولندية لم تكن شديدة الرغبة فى أن تمتلك هذه المستعمرة الجديدة فانها فرضت قوانين صارمة حالت بين المستوطنين فى أول الامر ، وبين تغلغلهم فى الداخل .

الا أن سقوط الامطار قد تحكم الى حد كبير فى مجريات الامور التى حدثت فيما بعد ، لان الطريق الشمالى ، كان طريقا مستحيل الارتياد ، فالارض التى يمكن رؤيتها من فوق جبل « التيبل » — ان لم يكن من مدينة الراس نفسها — كانت تغطيها أمطار تصل فى كثافتها الى عشر بوصات أو أقل .

وكان الطريق الوحيد الى الامام هو طريق الشرق الذى يقع على الحزام الساحلى ، كذلك كانت الرحلة بطيئة لان سقوط المطر هناك كان غير محدد حتى وصل البوير الاوائل الى منطقة الامطار الصيفية فى الجنوب الشرقى .

وكانت القبائل الافريقية موجودة فيها قبل وصولهم اليها ، وفى هذا الوقت اصطدمت العناصر مع بعضها فى أول الامر حوالى عام ١٧٧٠ .

واصبح البوير يشكلون شعبا متميزا إلى حد كبير ، الا أن هذا الشعب قد ظل يعيش لسوء الحظ فى عزلة تامة ، فلم يكونوا يعرفون شيئا بالمرة عن نهضة القرن الثامن عشر ، أو ما حدث بعده أيضا ، ولم يتأثروا بنفوذ مبادىء حرية الرأى التى سادت اوروبا خلال القرن التاسع عشر .

والواقع أن « البوشمان » هم الذين علموا البوير كيف ينظمون خطوط دفاعهم ، لحين قامت الحروب بين الفريقين ، تركت الشركة للبوير الحق فى أن يختاروا الطريقة التى يريدونها لحماية أنفسهم ومصالحهم ، وكان وجود نظام التطوع فى التجنيد بين البوير هو الوسيلة التى مكنتهم من أن يسيطروا على أراضى الافريقيين بعد أن دافع هؤلاء الافريقيون فى بسالة وشجاعة عن موطنهم .

ويعتبر عام ١٧٧٨ هو أول عام تظهر فيه عملية التفرقة العنصرية بشكلها العملى فى هذه المنطقة من افريقية ، فان «نهر الاسماك» كان يفصل بين كلا الفريقين ، ولكنه كان حدا غامضا غير واضح الملامح ، فلم تتوقف سلسلة الحروب التى كان يشنها الافريقيون بين الحين والاخر .

وعلى هذا النهر قامت مستعمرة «البوير» وظلت قائمة حتى عام ١٩٤٨ ، وأخذ المسرح يشهد بعد ذلك دراما طويلة جدا ظلت فصولها تتوالى تباعا ، بعد ان اتسع نطاق حدود هذه المستعمرة الاولى جهة الشمال والشرق .



الكاكاو في افريقية

بقلم : محمد الحريري

تتصدر أفريقيا قارات العالم المنتجة والمصدرة للكاكاو حيث ينتج اقليمها الغربى وحده نحو ثلثى انتاج العالم ، ويساهم فى تجارته الدولية بنفس النسبة تقريبا .

وموطن شجرة الكاكاو الاصلى هو المناطق المدارية المطيرة من أمريكا اللاتينية . وقد نقلت كما نقل غيرها من نباتات العالم الجديد الى العالم القديم . وكان البرتغاليون أول من نقلها الى أفريقيا حيث زرعوها فى جزيرة ساوتومى ، سنة ١٨٢٢ لصلاحية بيئتها لنمو الشجرة . وقد كانت جزر خليج غانة هى أولى المناطق التى زرعت بها الشجرة من أفريقيا وذلك لخضوعها ومناطق الشجرة الاصلية فى أمريكا لكل من أسبانيا والبرتغال . وعن طريق هذه الجزر نقلت زراعة الكاكاو الى مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية فى غرب أفريقيا ابان القرن التاسع عشر ، فوصلت نيجيريا سنة ١٨٧٤ ، ووصلت ساحل الذهب (غانة حاليا) سنة ١٨٧٩ عن طريق العمال الوطنيين العائدين من فرناندوبو .

ويمتد نطاق زراعة شجرة الكاكاو فى المنطقة الاستوائية الرطبة الممتدة حول خليج غانة فى غرب القارة فيما بين سيراليون فى الغرب ومصب نهر الكونغو . ولا ينتج هذا النطاق الكاكاو فقط بل ينتج غيرها من الغلات الزراعية مثل نخيل الزيت والمطاط وهى تتقاسم هذا النطاق فيما بينها تبعا للظروف المحلية لاجزائه الخاصة بالتربة والافات والتوجيه الاقتصادى لاجزائه .

وينتج الكاكاو أساسا للتصدير ولا يستهلك من المحصول الا كميات بسيطة . فهو محصول نقدى مهم يساهم فى دفع ثمن واردات الاجزاء التى تزرعه وتصدره . فالكاكاو يكون ثلثى قيمة صادرات غانة وكل من جزر ساوتومى وبرنسيب وفرناندوبو ، وخمس صادرات ساحل العاج وتوجولاند ، وحوالى ربع صادرات نيجيريا . هذه الوحدات السياسية سالفة الذكر هى المراكز الرئيسية المنتجة للكاكاو فى أفريقيا .

ويمكننا أن نستخلص الحقائق الاتية عن الكاكاو فى أفريقية :

١ — تحتكر القارة انتاج الكاكاو فى العالم حيث تمونه بنحو ٢/٣ حاجته منها .

٢ — منذ سنة ١٩٢٨ تمون غانة ونيجيريا العالم بما يزيد عن ٥٠ ٪ من احتياجاته من الكاكاو ، فهما بذلك أهم مناطق العالم انتاجا

للكاكاو تبعا لقلة كميات الكاكاو المستهلك بكل منهما .

٣ ــ كان انتاج أمريكا اللاتينية فيأواخر القرن التاسع عشر يزيد عن ستة أضعاف انتاج أفريقيا ، وفى سنة ١٩٥٧ زاد انتاج غانة وحدها عن انتاج مناطق أمريكا اللاتينية كلها مجتمعة .

٤ ــ حتى بداية العشرينات من القرن العشرين كان انتاج جزر خليج غانة من الكاكاو يزيد على ضعف انتاج المناطق الاخرى من القارة . وفى سنة ١٩١٨ أنتجت المناطق البريطانية والفرنسية من غرب أفريقيا حوالى أربعة أضعاف انتاج هذه الجزر ، وزاد انتاجها باطراد حتى وصل سنة ١٩٥٧ الى ما يزيد عن ١٤ ضعفا لانتاج جزر خليج غانة .

٥ ــ تضاعف انتاج الكاكاو فى القارة عدة مرات ابان القرن العشرين . وهذا يتضح من أرقام صادراتها ، فبعد أن كانت سنة ١٨١٨ ١١٫٢٧٩ طنا وصلت بعد عشرين سنة الى ١٠٥٫٠٣٤ طنا ، وفى سنة ١٩٣٨ زادت صادراتها على أربعة أضعاف صادراتها سنة ١٩١٨ ، وقد صدرت سنة ١٩٥٧ ، ٥٦٩٫٩٠٠ طن أى ما يزيد عن خمسة أضعاف صادراتها سنة ١٩١٨ .

٦ ــ يلاحظ أن كاكاو أفريقيا قد احتل الوضع الاحتكارى الذى كانت تحتله أمريكا اللاتينية فى تجارة الكاكاو الدولية . وقد وصلت الى هذا المركز فى الثلاثينات من القرن الحالى . ويتضح هذا اذا ما علمنا أن أمريكا اللاتينية بعد ما كانت تصدر ٨٣٫٢ ٪ سنة ١٨٩٨ صدرت سنة ١٩٥٧ ، ٢٥٫٩ ٪ فقط ، من صادرات العالم من الكاكاو ، وقد زادت نسبة صادرات أفريقيا من الكاكاو فى نفس الفترة السابقة من ١٣ ٪ الى ٧٢٫٩ ٪ . وهذا لا يعنى انخفاض الكميات المصدرة من أمريكا اللاتينية بل الواقع أن صادراتها قد زادت كمياتها ولكن زيادة كميات الكاكاو المصدرة من أفريقيا كانت أكبر .

ويعزى السبب فى زيادة انتاج الكاكاو والتوسع فى زراعته بالقارة الى عدد من العوامل تلخص على النحو التالى :

١ ــ توافر الظروف الطبيعية الملائمة لنمو شجرة الكاكاو .

٢ ــ قيام البرتغاليين والاسبان بنقل النبات الى القارة وتشجيع كل من بريطانيا وفرنسا على زراعته بمناطق نفوذهما الاستوائية فى غرب أفريقيا .

٣ ــ ازدياد الطلب العالمى على هذه الفاة اللذيذة التى يزيد استهلاك منتجاتها من الشيكولاتة ومسحوق الكاكاو والحلوى ومستحضرات التجميل فى المناطق الغنية المتقدمة من العالم فيأوربا وأمريكا .

وفيما يلى سأتناول بالدراسة انتاج الكاكاو فى أهم دولتين تنتجانه فى أفريقيا وهما غانة ونيجيريا .

أولا : انتاج دولة غانة من الكاكاو :

غانة أول الدول المنتجة والمصدرة للكاكاو فى العالم . وقد نقلت زراعة نبات الكاكاو اليها سنة ١٨٧٩ عند ما جلب أحد عمالها الوطنيين العائدين من جزيرة فرناندوبو ويدعى تيتى كواش Tettie Kulshi بعضا من بذوره وزرعها فى مزرعته الخاصة فى مامبونج membong فى غابة أكوابيم Akuebim . ومنذ ذلك الحين انتشرت زراعته بها متوغلة فى داخلية البلاد ووصلت الى أشانتى سنة ١٨٩٨ . واليوم يمتد نطاق الكاكاو لمسافة ١٥ ميلا من الساحل وذلك فى المناطق التى تسمح ظروفها الطبيعية من مناخ وتربة بالنمو . ويلاحظ أن نطاق الكاكاو فى القسم الغربى من جنوب الدولة أكثر امتدادا منه فى قسمها الشرقى . ويعزى السبب فى ذلك الى قضاء خطر Suollep Shoot على أشجار هذا القسم منها .

ويزرع الكاكاو فى نحو خمسة ملايين فدان ويزيد عدد المشتغلين بزراعته عن ٣٠٠٫٠٠٠ مزارع . ولا تزرع الاشجار فى مزارع علمية حديثة ، كما قد يتبادر الى الذهن بل يقوم الغانيون بزراعتها فى حيازات بسيطة لا تتعدى مساحة كل منها بضعة أفدنة . ويقتصر نصيب الاوربى فى عمليات الانتاج على النواحى الفنية والتالية للحصاد .

وهى تنتج الكاكاو أساسا للتصدير

وبذلك فان أرقام الصادرات تعطى صورة سليمة تقريبا من الكميات المنتجة تبعا لانه لا يستهلك محليا من المحصول الاجانب بسيط .

وقد صدرت أول انتاج لها سنة ١٨٩١ وكان زنته ثمانين رطلا زادت الى ٥٠٠ طن سنة ١٩٠٠ . وقد ساهمت بنحو ٣٧ ٪ من تجارة الكاكاو الدولية سنة ١٩٢٧ بكمية وزنها ٢٦٠٫٠٠٠ طن ، وقد صدرت سنة ١٩٥٧ ، ٢٦٤٫٦٠٠ طن ، تمثل ٣٣٫٨ ٪ من تجارته الدولية . ويعزى السبب فى انخفاض نسبة نصيبها فى تجارة الكاكاو الدولية الى زيادة صادرات الكاكاو من المناطق الاخرى من أفريقيا والعالم تبعا لزيادة انتاج نيجيريا وساحل العاج وفرناندوبو والكاميرون . وعموما نجد دولة غانة تنتج ما يزيد عن ثلث انتاج العالم ، وأقل قليلا من نصف انتاج أفريقيا .

ويقوم مكتب تسويق الكاكاو Cocoe merketirg boord بشراء انتاج المزارعين بثمن ثابت مهما انخفض السعر العالمى للكاكاو حتى يضمن كل مزارع الحصول على مقابل دائم عن عمله فى مختلف السنوات يضمن له حياة مستقرة . ويعبأ المحصول فى أجولة زنة ٦٠ رطلا وتحمل الى أقرب مركز تجميع لاختبار البذور وتقييم درجة جودتها . وتقوم اتحادات أوربية وأمريكية وجمعيات تعاونية بشراء البذور وتخزينها فى مراكز الكاكاو الكبرى التى تنقل منها بالسيارات والسكك الحديدية الى تاكورادى أو أكرا لتشحن بها السفن المسافرة الى أوربا أو أمريكا . ونجد ان اكثر فصول التصدير ازدحاما هو نوفمبر وابريل ، وفيه يشحن نحو الف طن يوميا .

ويعتبر ميناء تاكورادى ، ميناء الكاكاو بحق فالى جانب أنه يصدر عن طريقه جانب ضخم من انتاج غانة نجده يدين بوجوده الى انتاجه . فلقد أدت الحاجة الى ميناء صالح لرسو السفن فى ساحل غانة غير الملائم لظهور الموانى الطبيعية والذى تحف به المستنقعات والسدود الرملية الى حفر قناة تمتد فى الشطوط البحرية تقوم الكراكات بتطهيرها باستمرار من الرواسب التى قد تتجمع فيها وتقلل من غاطسها وبذلك يتسنى للسفن المحيطية أن تصل الى تاكورادى على الشاطىء مباشرة حيث تشحن بالكاكاو . وقبل حفر هذه القناة كانت السفن تضطر الى التوقف فى عرض البحر على بعد ميل من الساحل ويقوم الاهالى بالخوض فى المياه الساحلية حاملين أكياس الكاكاو المكومة على الشاطىء الى الاطواف التى تنقلها الى السفن .

وقد كان لزراعة الكاكاو فى ساحل الذهب (غانة حاليا) آثار بعيدة المدى على حياتها الاقتصادية وحياة سكانها تجمل فيما يلى :

١ — عادت زراعته والتوسع فيها بآثار طيبة على الشعب الغانى حيث تحولت الدخول الكبيرة التى وصلت الى أيدى الافراد الى سلع استهلاكية وطيبات عملت على رفع مستوى معيشتهم بصورة ليس لها مثيل فى أى مكان آخر من أفريقيا المدارية .

٢ — يكون الكاكاو ٧٠ ٪ من قيمة صادرات الدولة فهى بذلك تعتمد عليه اعتمادا كبيرا كمحصول نقدى تدفع به ثمن حاجياتها من البضائع الاجنبية والمواد الغذائية كما تحصل عن طريقه على حاجتها من العملات الصعبة وخاصة الدولارات الامريكية .

٣ — أصبح نطاق الكاكاو منطقة جذب للسكان حيث تتوافر به فرص العمل والكسب توفد اليه الناس من أنحاء مختلفة منها ومن أراضى غرب أفريقيا المحيطة . ومن هنا أصبح عدد سكان أشانتى سنة ١٩٤٨ ، ٨٢٤٫٠٠٠ نسمة بعد أن كان ٤٠٦٫٠٠٠ نسمة سنة ١٩٢١ ، وزاد ضغط السكان على أراضيها التى تقدر مساحتها بنحو ٢٤٫٣٧٩ ميلا مربعا فتضاعف عدد ساكنى الميل المربع الواحد بها فأصبح ٣٤ نسمة بعد أن كان ١٧ نسمة فقط وذلك فى نفس الفترة سالفة الذكر . كما ارتفع عدد سكان المدن زيادة كبيرة فنجد عدد سكان « كوماس » التى تقع فى قلب نطاق الكاكاو فى أشانتى يصل الى

٥٠٠ر٧٨ نسمة سنة ٤٨ بعد أن كانوا ٨٠٠ر٣٥ سنة ١٩٢١ .

٤ ــ أدت الى التوسع فى انشاء طرق المواصلات ، كما حددت اتجاهاتها . فنجد أن المستعمر البريطانى قد عمل على مد شبكة من الطرق الحديثة تخترق نطاق الكاكاو كما مدت ثلاث خطوط حديدية بداياتها عند أكرا وتاكورادى على الساحل وتلتقى عند كوماس . وقد ساعد ذلك على سرعة نقل الكاكاو وتسويقه والمحافظة عليه من التلف .

مما تقدم يتضح لنا بجلاء أن الكاكاو هو محصول غانة الاول الذى يعتمد عليه اقتصادها بالدرجة الاولى ، وأن زراعته قد امتدت بصورة قللت المساحات المخصصة لانتاج المواد الغذائية ، ومن هنا تحتم عليها أن تستورد ما يسد حاجات السكان من الغذاء . والواقع أن اعتماد الاقتصاد الوطنى على محصول واحد يتضمن مخاطر كبيرة خاصة وأن انتاج الكاكاو وأسعاره ترتبط بعدد من العوامل الطبيعية والاقتصادية التى لا تستطيع غانة أن تتحكم فيها . فالكاكاو يتعرض لبعض الافات التى لم يتوصل العلم بعد الى مبيد حشرى يقضى عليها وكانت السبب فى القضاء على أشجار بعض المناطق بها . كما أن الكاكاو يعتبر من السلع الكمالية التى تستهلكها الشعوب والطبقات الغنية وعلى ذلك فان الاقبال عليها وعلى منتجاتها يعتمد على الرخاء الاقتصادى للمناطق المستهلكة وبالتالى تتحدد الكميات المصدرة والاسعار العالمية . معنى ذلك أن الكميات المنتجة غير مضمونة كما أن أسعاره العالمية قابلة للذبذبة والتغير . فأى انخفاض فى الكميات المنتجة وأى هبوط للاسعار لها آثار بالغة الضرر على اقتصاد الدولة وعلى مستوى معيشة أهلها حيث أنه يعنى قلة فى الكميات التى تستطيع غانة تصديرها ، كما يعنى انخفاض المقابل النقدى لهذه الكميات المصدرة وبالتالى يتعذر عليها الحصول على ما تحتاجه من البضائع الاجنبية والمواد الغذائية والعملات الصعبة حيث انها تدفع ثمن وارداتها عن طريق الكاكاو بنسبة ٧٠ ٪ .

وقد انقسم المسئولون فى غانة تجاه هذه المشكلة فريقين . أولهما وتمثله الحكومة يسندها المزارعون الذين لمسوا الرفاهية السريعة التى عادت عليهم من زراعة الكاكاو وقد اتفق اتجاه هذا الفريق مع سلطات الاستعمار فى ساحل الذهب ، وكان يرى التوسع فى انتاج الكاكاو والتخصص فى انتاجها لاقصى مدى تسمح به الظروف الطبيعية . وقد انتصر هذا الفريق ابان أن كان النفوذ السياسى فيها لبريطانيا ، وبذلك انتشرت زراعة الكاكاو انتشارا كبيرا . والفريق الثانى وكان يمثل مجلس أشانتى الاتحادى وهو السلطة الافريقية العليا بالمقاطعة وكان يعلن مخاوفه من مخاطر اقتصاد المحصول الواحد وما قد ينتج عنه من أضرار بالغة لكل اقتصاديات البلد والعاملين به اذا ما تعرض لاى طارىء يؤثر فى الانتاج أو يحد من التصريف أو يقلل فى الاسعار ولذلك فهو يرى ضرورة البحث عن نواح أخرى للانتاج الى جانب الكاكاو تقلل ولو الى حد ما من الاعتماد شبه الكامل عليه حتى تتخلص الدولة من مخاطر الاعتماد على محصول واحد وحتى تضمن انتاج ما يكفى حاجات السكان المتزايدين من المواد الغذائية.

والواقع أنه بعد أن خلصت أمور الدولة لبنيها بحصولها على الاستقلال السياسى عن بريطانيا نجد أن التفكير بها يتجه نحو تنمية اقتصاديات غانة وتحقيق مبدأ تنويع الانتاج بتنفيذ المشروعات الكبرى مثل سد نهر الفولتا والتوسع فى استغلال الثروة المعدنية خاصة المنجنيز والبوكسيت وهو خام الالومنيوم .

ثانيا انتاج دولة نيجيريا

نقلت شجرة الكاكاو الى نيجيريا كما نقلت الى ساحل الذهب عن طريق احد عمالها العائدين من فرناندوبو ويدعى سكويس باميجو ، حيث زرع البذور التى جلبها معه فى مزرعته الخاصة قرب بونى bonny الى الشرق من دلتا النيجر سنة ١٨٧٤ ، أى قبل وصول النبات الى

ساحل الذهب . وقد انتشرت زراعته من هذه المنطقة الى داخلية البلاد .

ويوجد نطاق الكاكاو فى نيجيريا بالمنطقة الغربية بها . ويمثل خط مطر ٤٥ بوصة فى السنة حدود نطاق الكاكاو من الشمال ، ويحدد امتداد زراعة الشجرة الى الشرق والى المنطقة الشرقية من نيجيريا حموضة التربة . ويلاحظ أن امطار منطقة كاكاو نيجيريا اقل نسبيا من امطار غيرها من المناطق بينما يتراوح مطرها بين ٤٥ — ٥٥ بوصة هنا نجده يتراوح بين ٥٥ — ٨٠ بوصة فى السنة فى نطاق كاكاو غانة .

وتزرع الشجرة بطريقة الزراعة الكثيفة المختلطة حيث يشاركها النمو ابان الثلاث أو الاربع سنوات الاولى حاصلات غذائية يهتم النمط الزراعى النيجيرى بتوفيرها سدا لحاجات الاسر والافراد من الاغذية الى جانب انتاج الحاصلات النقدية كالكاكاو مثلا فى هذا النطاق .

وتعد نيجيريا حاليا ثانية الدول الافريقية انتاجا وتصديرا للكاكاو ، وهى الثالثة بين دول العالم بعد غانة والبرازيل على التوالى . ويتركز انتاجها فى المنطقة الغربية التى تنتج نحو ٩٥٪ وتحل محله غلات أخرى فى المنطقة الشرقية . وتعتبر مقاطعات ايبادان ، وأبوكوتا ، ويجيبو أهم مراكز انتاج الكاكاو بها . ويكون الكاكاو ٤/٥ صادرات المنطقة الغربية ، وهو يمثل ٢٥٪ من دخلها الاجتماعى كما أنه يكون الاساس المعيشى لحوالى مليون نسمة .

وفى أول عهد نيجيريا بزراعة الكاكاو كان الانتاج بسيطا والنوع المنتج رديئا . الا انه قد تكونت منذ سنة ١٩٢٢ عدة جمعيات تعاونية عملت على ادخال تحسينات على زراعته . كما عملت الحكومة النيجيرية ابان الفترة الاستعمارية على تنمية زراعة هذه الغلة النقدية كجزء من السياسة العامه لبريطانيا التى كانت ترمى الى استغلال مستعمراتها ومناطق نفوذها فى انتاج غلات اقتصادية تصدرها وتقوم بريطانيا ومواطنوها بتسويقها وتحقيق الارباح الطائلة منها ، لذلك نجدها تقوم بمد شبكة من الطرق والخطوط الحديدية فى نيجيريا لتحقيق هذا الغرض وايصال الغلات النقدية التى تنتجها اجزاء نيجيريا المتباينة الى موانى التصدير على ساحل خليج غانة . ومن هنا نجد توسعا فى زراعة الكاكاو بعد مد خط سكة حديد لاجوس الذى يمر بمنطقة الكاكاو وينتهى الى لاجوس العاصمة الاتحادية لنيجيريا والتى يصدر عن طريقها معظم محصول الكاكاو .

ونجد ان الكميات المنتجة والمصدرة من الكاكاو تتأثر بعدد من العوامل من أهمها الافات التى تصيب الاشجار والاحداث العالمية التى تعوق حركة التجارة الدولية . فنجد أنه بينما يوضح جدول صادرات بذور الكاكاو أنها صدرت سنة ١٩٣٨ ، ٩٧ر٥٤٢ طنا فان صادراتها سنة ١٩٤٥ أى عقب الحرب العالمية الثانية كانت ٤٥ر٠٠٠ طن . ورغم أنها انتجت سنة ١٩٥٢ ١١٤ر٠٠٠ طن فان انتاجها قد انخفض فى موسم ١٩٥٥/٥٤ ولم تتعد صادراتها سنة ١٩٥٤ ٩٨ر٠٠٠ طن وذلك نتيجة لظهور بعض أمراض ثمار الكاكاو وقد صدرت سنة ١٩٥٨ ، ٨٨ ألف طن زادت الى ١٥٤ الف طن سنة ١٩٦٠ ، ويلاحظ ان الكاكاو يحتل المركز الرابع بين صادرات نيجيريا من حيث الكمية بعد بندق النخيل والفول السودانى وزيت النخيل على الترتيب

وتختلف نيجيريا عن غانة فى أن اقتصادها لا يعتمد على محصول نقدى واحد بل تجدها تنتج عددا من الغلات النقدية الى جانب الكاكاو تجعل اقتصادها أقل عرضة للهزات العنيفة التى قد تصيب الاقتصاد الغانى اذا ما قلت كمية انتاج الكاكاو أو تعذر تصديره أو انخفضت أسعاره . وقد يعزى السبب فى ذلك الى ظروف البيئة الطبيعية لجنوب نيجيريا حيث حدت حموضة التربة من امتداد نطاق الكاكاو شرقا ، الى جانب امتداد الدولة نفسه عبر أقاليم طبيعية متباينة من الاستوائى فى الجنوب الى شبه الصحراوى فى الشمال مما سمح لها بتنوع انتاجها الزراعى وتعدد الغلات المنتجة .



أنجولا في سطور

بقلم : عبد العظيم ملوك

● تقع انجولا فى غرب افريقيا ، ويحدها شرقا روديسيا وغربا المحيط الاطلنطى ، وشمالا الكونغو ، وجنوبا أفريقية الغربية الجنوبية ..

● تبلغ مساحتها ١ر٢٤٦ر٧٠٠ كيلومتر مربع وتزيد مساحتها عن البرتغال بـ ١٤ مرة وهى تضم مقاطعة كانيدا التى تفصل الكونغو عن أنجولا ..

وعلى الرغم من اتساع مساحتها فانها قليلة السكان اذ يبلغ تعداد السكان بها ٤ر٧ مليون نسمة منهم ٢٠٠ر٠٠٠ أوروبى

● تتعدد القبائل فى أنجولا ولكن أهمها قبائل أوفيومبيندو ، وكيمبوندو ولكيكونجو ، واللوندا ، ونجانجلا ..

● وبتعدد القبائل تعددت اللغات ولكن اللغة الرسمية هى البرتغالية وتليها الفرنسية

● أهم المدن هناك لواندا العاصمة وهى من اكبر المدن ومن أجمل مدن افريقية وبها ميناء يعد من احسن الموانىء الافريقية على المحيط الاطلسى ..

ومن المدن الهامة الاخرى بنجويلا ولوبيتو وسادا بانديرا ..

● ويرجع اسم أنجولا الى اسم الاسرة التى كانت فى القرون الوسطى تحكم ندونجوا وهى انجولا الحالية ..

● **وانجولا غنية بالمعادن اذ يوجد بها الحديد** والنحاس والمنجنيز والميكا والزنج والماس

● وتعد من أغنى الاقطار الافريقية ومع ذلك فان شعبها يعد من أفقر الاقطار الافريقية

● **وهى بلاد زراعية وأهم ما تزرعه القطن** والبن ...

● وتمتلك ثروة حيوانية كبيرة ، ومن محاصيلها الرئيسية السمك وتتركز صناعته فى الجنوب ..

● يرجع تاريخ الاستعمار لانجولا الى سنة ١٤٧٠ ، وقد تم الاستيلاء عليها فى عام ١٤٨٢ فلقد ارسل ملك البرتغال يوحنا الثانى حامية فى ظاهرها حماية المراكز التجارية بينما كانت فى الواقع تقصد الاستيلاء على البلاد ، وقد اكتشفوا نهر زير وانحدروا منه حتى الجنوب .

● وفى سنة ١٤٩١ ، سمح ملك البلاد لاحد البرتغاليين بتأسيس مراكز تجارية لجماعته فى أرضه وبذلك بنوا اكواخهم وأسسوا سان بول دى لوندا التى عرفت أخيرا باسم لوندا العاصمة الحالية وبهذا اصبح البرتغاليون من أصحاب الارجحية فى البلاد ..

● وفى سنة ١٩١٠ ، تآمر الانجليز مع الالمان على اقتسام المستعمرات الافريقية البرتغالية فيما بينهم ، ولكن لقيام الحرب العالمية الاولى لم تنفذ هذه المؤامرة ..

● ويعتبر البرتغاليون هذه المستعمرة ولاية برتغالية فيما وراء البحار فتتشابه سياستهم مع السياسة الفرنسية من ناحية اعتبار هذه المناطق جزءا من الوطن الام ..

● ولكى يكون الافريقى « مواطنا » قسموا أهل البلاد الى قسمين مندمج وغير مندمج « فالمندمج » من يعرف القراءة والكتابة والكلام باللغة البرتغالية ويتخلى عن عاداته القبلية ويخلص للبرتغال ويكون أداة طيعة فى أيديهم ومن أجل ذلك يعفى من الضرائب الشخصية بينما يدفع ضريبة الدخل .. وهؤلاء لهم حق الخدمة فى الجندية وانتخاب النواب للبرلمان البرتغالى ..

● ولاعتبار المستعمر ان هذه المستعمرة ولاية اخضعوا اهلها للنظام البرتغالى وتركوا لهم استقلالهم المالى ..

فانجولا تحكم من لشبونة بوساطة حاكم عام برتغالى يقيم فى لوندا ويعاونه فى الحكم ثلاثة عشر حاكما يشرفون على سائر المناطق ، وهذه المناطق قسمت الى ادارات يشرف عليها موظفون برتغاليون وبذلك جردوا زعماء القبائل من جميع السلطات

● فالانجوليون محرمون تماما من تحمل أية مسئولية فى ادارة بلادهم .. وعلى الرغم من ادعاء البرتغاليين بعدم المعرفة بالتفرقة العنصرية فانهم يفرضون على الانجوليين أقصى انواع السيطرة ..

- يحرمونهم من دخول المبانى العامة والفنادق والسفر بالدرجة الاولى ويسمحون لهم بتناول الطعام فى المحال العامة بشرط ارتداء الملابس الجديدة
- ينتشر نظام السخرة فى المزارع التى يعدها البرتغاليون ملكا لهم فهم يتجرون فى العمال الافريقيين ويسخرونهم فى مناطق الاستغلال بحيث يمكنهم تحويلهم الى اى عمل يفرضونه عليهم .. وبهذا يقومون بتسخيرهم فى العمل بمناجم جنوب افريقية ويتقاضون رسوما على سفرهم كما يتفقون مع الشركات على تحويل جانب من اجورهم الى المستعمرة وتتولى الحكومة صرفه للعمال الافريقيين بعد عودتهم لتجبرهم على العودة كل عام ..
- تلزم الحكومة الافريقيين بصيانة الطرق وتقوم بها النساء والاطفال وهذا بدون مقابل ..

وهكذا فالافريقيون فى انجولا يخضعون ليس فقط لاصعب ظروف المعيشة بل لحكم القوة والعقوبات البدنية أيضا فاذا لم يرض صاحب العمل عن سلوك احد العاملين فانه يرسله الى مركز البوليس حيث يضرب على يديه باداة تعرف « **بالمباليد** » وهى عبارة عن مسطرة مسطحة بها ثقوب مستديرة تمتص اللحم اثناء الضرب ..

وكثيرا ما يجلد الافريقى بلا رحمة وتنفذ فيه العقوبة علنا امعانا فى اذلاله .

بقية مقال البترول والأمن الافريقى

كالجمهورية العربية المتحدة ولها أيضا أن تعتمد على الدول المنتجة ذات الميول التحررية كالجزائر ، وذلك فى تأمين انشاء مؤسسات بترولية بين الدول المنتجة مثل ليبيا والجزائر تأمين الحصول باستمرار على احتياجاتها من البترول عبر علاقات افريقية وطيدة خالية من ميول السيطرة والتسلط

وأما الخطوة التى تعد فى الواقع ذات قيمة للنضال الافريقى فهى تنسيق سياسة بترولية وطنية للتكرير والتوزيع أو على الاقل ونيجيريا والجمهورية العربية المتحدة وبين الدول المستهلكة من شأنها حماية ظهيرة التقدم والنمو فى الدول الافريقية من مؤامرات حبس البترول عنها أو جعله قوة سياسية منحازة تهدد الاتجاهات التحررية ومبدأ عدم الانحياز الذى نرجو ان يسود سياسة القارة الافريقية .

أفريقيا في شهر

كينيا

- تبودلت رسائل التهنئة والشكر بين الرئيس جمال عبد الناصر والزعيم جومو كنياتا .. قام بحملها السيد محمد فايق مدير مكتب السيد الرئيس للشئون الافريقية .
- قال الرئيس سيكوتورى فى مطار نيروبى .. ان جومو كنياتا لن يموت أبدا ، وان العلاج الوحيد لمشكلات كينيا هو الاخذ بنظام الحزب الواحد .
- عاد توم مبويا وزير الشئون الاقتصادية الى نيروبى بعد أن أجرى مباحثات فى لندن بشأن الاستقلال وصرح بأنها كللت بالنجاح .
- اجتمع الرؤساء .. جومو كنياتا ونيريرى (تنجانيقا) وميلتون أوبوتى رئيس حكومة أوغندا فى نيروبى للاتفاق على اقامة اتحاد فيدرالى من دول شرق أفريقيا .

تنجانيقا

- أصدر رئيسا جمهوريتى تنجانيقا وغينيا بيانا مشتركا قالا فيه : انهما ملتزمان تحرير أفريقيا بما فيها جنوبها من السيطرة الاجنبية .
- قررت الجمهورية العربية المتحدة افتتاح مكتب ثقافى فى تنجانيقا فى العام الدراسى ٦٣ - ٦٤ .

الكونغو

- أصدر برلمان الكونغو قانونا يقضى بعزل تشومبى من جميع مناصبه ؛ كما نص القانون على انشاء مقاطعة كاتنجا الشرقية .

اثيوبيا

- تلقى الامبراطور برقية من السيد عبد الله عثمان رئيس جمهورية الصومال أكد فيها انه سيبذل كل ما فى جهده لاعادة العلاقات بين البلدين الى مجراها الطبيعى ، وأعرب عن أمله فى تحقيق ما طالب به فى مؤتمر القمة من اعطاء الصوماليين المقيمين بأثيوبيا حق تقرير مصيرهم .

الصومال

- اعتقلت السلطات الاوروبية والبوليس فى منطقة الحدود الصومالية الشمالية ٤٠٠ صومالى بناحية « مانديرا » واستولت على عدد كبير من الجمال والابقار المملوكة للاهالى وحاصرت آبار المياه وأتلفت المحاصيل .. والمعروف أن بريطانيا قررت ابقاء ادارة اقليم الحدود فى يد الحاكم البريطانى مباشرة .
- وصل القاهرة عبد الرحمن حاجى نائب وزير الصحة وصرح بأنه سيبحث مع المسئولين فى القاهرة تزويد الصومال بالاطباء والادوية وقيام الجمهورية العربية المتحدة بانشاء مصنع للادوية بالصومال
- قام المحامى المصرى ابراهيم نور الدين بالدفاع عن الزعيم الدينى الصومالى الشيخ يس عبد الشكور الذى اتهمه الاستعمار بقتل المبشر الكندى .

جنوب أفريقيا

- قررت الحكومة تقسيم البلاد وأن تعطى جزءا منها الى أهلها الاصليين على أن يحكمه أفريقيون !!
- قام ممثلو البلاد الافريقية فى مؤتمر العمل الدولى بجنيف بمنع مندوب جنوب أفريقيا من التحدث فى المؤتمر احتجاجا على سياسة التفرقة العنصرية .
- صرح فيكتور فيرستر مدير السجون بأن

عدد المسجونين فى الاتحاد خلال الفترة الاخيرة يربو على الثلاثة أرباع المليون أفريقى .

السنغال

● اجتمع السيد روبرت جاردنر السكرتير التنفيذى للجنة الاقتصادية التابعة للامم المتحدة . بممثلى تسع دول أفريقية هى .. الجمهورية العربية المتحدة ، الجزائر، جابون ، السنغال، تونس، توجو، سيراليون ، أوغندا ، غانا فى دارالمحافظة بالقاهرة لمناقشة اقامة معهد أفريقى للتخطيط والتنمية فى مدينة داكار عاصمة السنغال على أن يكون له فرع فى القاهرة .

روديسيا

● قال روى ويلنسكى بأنه ينوى اعتزال السياسة بعد أن أحس أنه « ركل » بعيدا عنها بعد أن وافقت بريطانيا على على منح روديسيا الشمالية استقلالها ، وحل الاتحاد الفيدرالى .

السودان

● اجتمعت فى الخرطوم اللجنة التمهيدية لمؤتمر وزراء مالية الدول الافريقية لبحث البرامج النهائية للمؤتمر الذى سيعقد فى الخرطوم ابتداء من ١٦ يوليو .

غينيا

● قالت جريدة « ديلى نيوز » ان اعلان الرئيس سيكوتورى حل اتحاد .. غانا ــ غينيا ــ مالى ، جاء نتيجة منطقية لانشاء « منظمة الوحدة الافريقية »] .

● طلبت الحكومة الاستعانة بخبراء وفنيين ومهندسين من الجمهورية العربية المتحدة لتنفيذ مشروع السنوات السبع .

أوغندا

● استقبل شيخ الازهر بالقاهرة السيد شعبان أنكوتو ، الوكيل البرلمانى لرئيس الوزراء ، الذى طالب بامداد بلاده بالمنح الدراسية التى تساعدها على اعداد جيل من الشباب المسلم المثقف .

مالى

● تسلم موديبو كيتا رئيس الجمهورية جائزة السلام الدولية وقال : ان شعب مالى كان من أوائل الشعوب التى رفعت صوتها ضد استخدام الاسلحة الفتاكة ضد الشعوب التى منها الجزائر وهى أقرب الينا من غيرها .

زنجبار

● حصلت زنجبار والجزر المحيطة بها على الحكم الذاتى وستجرى الانتخابات العامة التى ستؤدى الى الاستقلال فى يوليو .

توجو

● تتوالى اعترافات الدول الافريقية بالحكومة الجديدة ويواصل الرئيس سيكوتورى اتصالاته ومشاوراته فى سبيل ذلك .

أنجولا

● اعترفت الكونغو بحكومة أنجولا التى يرأسها هولدن روبرتو ، وهى تقيم خارج أنجولا (فى ليوبولد فيل) .

الجزائر

● أفتتح الرئيس بن بيللا مؤتمر الاعلام العربى الذى عقد بالجزائر برياسة الاستاذ يحيى أبو بكر وكيل وزارةالثقافة والارشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة .

● أبلغت حكومة الجزائر القنصل البرتغالى بأن يغلق القنصلية فورا .

● أعلن بن بيللا أن حكومة الجزائر سترسل متطوعين لشن حرب العصابات ضد حكومة جنوب أفريقيا .

ليبيا

● نشرت صحيفة طرابلس الغرب حديثا للاستاذ يحيى أبو بكر وكيل وزارةالثقافة والارشاد القومى بالجمهورية العربية المتحدة جاء فيه ان الجمهورية العربية المتحدة علىاستعداد لتقديم كافة ماتطلبه ليبيا من تعاون بين البلدين فى مجال الاعلام وأن معاهد الإعلام العربية مفتوحة للراغبين فى الالتحاق بها .

كتاب الشهر

افريقية الاستوائية

للدكتور جورج هيربرت تينلي كيمبل

عرض وتقديم: محمد عبد الفتاح ابراهيم

كتاب في مجلدين كبيرين أصدرته مؤسسة « القرن العشرين » في منتصف سنة ١٩٦٠ ، جاء أولهما في ستمائة صفحة عن : « الحياة والرزق » وجاء الثاني في خمسمائة صفحة عن « المجتمع والسياسة » وكتاب في أكثر من ألف ومائة صفحة يعتبر عملا مجهدا بالرغم من أن المؤلف الدكتور جورج هيربرت تينلي كيمبل يقرر في ظاهر غلاف كتابه أن المؤسسة قد أعدت هيئة استشارية له من ستة أعلام على رأسهم السير فيليب ميتشل .. وأنه انتفع بدراسات كتبها اربعة واربعون باحثا وباحثة اشار اليهم والى بحوثهم في الصفحتين ٤٧١ و ٤٧٢ من المجلد الثاني .. ورسم الخرائط للكتاب الكبير ثلاثة من محترفي رسم الخرائط والمصورات للمتاحف والمعاهد العلمية .. وقد عمل الرجل لسبع سنوات طوال في اعداد الكتاب .. ووصل

فى كتابه بالاحداث والحوادث حتى آخر سنة ١٩٥٩ وفجر سنة ١٩٦٠ .. وان كان قد وصل بهذا الى صيف سنة ١٩٦٠ في المعلومات الموجزة المختزلة عن البلاد التي تغطيها منطقة البحث والتي جاءت في الصفحات من ٤٤٦ الى ٤٧٥ .

والواقع أن الرجل عندما بدأ يعد لكتابه كانت « افريقية الاستوائية » مجهولة من الناس بعامة .. ومن الناس في الولايات المتحدة بخاصة ، ولم يحدث قبل استقلال غانه أن بدأت المؤلفات عن افريقية تكثر في واجهات المكاتب الامريكية من تأليف علماء الانتروبولوجيا والجغرافيا (تاريخ الارض) الامريكان ، وهكذا يكون الدكتور كيمبل

بكتابه هذا في عداد الرواد الامريكان الاولين في هذه الحقبة من السنين التي نعيش فيها والذين عنوا بالدراسات الافريقية ، وان كان الشيء الذي يجب أن نلاحظه هو ان هؤلاء عنوا العناية كلها بافريقية لجنوب الصحراء .. افريقية التي وسموها بعنوان : « افريقية الزنجية » احدى الدعوات الانعزالية االتي حاولوا بها أن يوهموا الاخوة الافريقيين من السنغال الى نهر الجب (جوبا) انهم من طابع آخر غير طابع الافريقيين الشماليين .

على أن الشيء الآخر الذي يجب أن نلاحظه ايضا بالنسبة للمؤلفات التي صدرت اخيرا عن افريقية والتي سوف تصدر في السنوات القليلة القادمة ، هو ان الحوادث في قارة افريقية تسبق آلات الطباعة هذا من جهة ومن جهة أخرى .. ان اغلب الدراسات تعنى بدراسة افريقية المعاصرة دون تقصى الماضي الى الاعماق التي تمكن من تفهم العوامل التي تسبب هذا التغير السريع في المجتمع الافريقي هذا التغير الاجتماعي الذي هو القوة الدافعة وراء كل ما يجرى اليوم في القارة وبخاصة مع « الصفوة » مع الطبقة الجديدة التي جاءت سابحة مع التيار الى جانب قارب العهد الجديد .

وكتاب العلامة جورج كيمبل من هذه الناحية يعتبر من أكثر ان لم أقل اكثر هذه المؤلفات تفاصيلا واكثرها ايضاحا لهذه العوامل الحاسمة الاهمية وبخاصة في المجلد الثاني من كتابه الكبير ..

على انه من الطبيعي ان يقارن كتاب

كيمبل بمجلد ضخم مماثل هو كتاب « مسح افريقى » للورد هيلى ، الكتاب الذى صدرت أول طبعة منه سنة ١٩٣٨ ثم صدرت طبعته الثانية فريدة منقحة فى سنة ١٩٥٦ ، ولكن الكتابين يتضادان كما يتضاد الرجلان فيما قدره كل وفيما وضعه كل نصب عينيهموضع التقدير والاعتبار .

فالاستاذ الدكتور كيمبل جغرافى ، ولهذا فانه قد عنى العناية كلها ابصـــــود الاطار الجغرافى الطبيعى لمنطقة البحث ، وعمل لكى يبرز تطور الحياة فى (افريقية الاستوائية) داخل هذا الاطار ، وشغلته هذه المحاولة طوال المجلد الاول معنيا بطوابع تجمعات السكان فى نطاق النشاط الاقتصـــــادى ثم وقف المجلد الثانى بأكمله على حديث المجتمع والسياسة والحكم ، فبداهبالحديثعن التغير الاجتماعى فى ضوء مختلف الظروف البيئية للحياة من الاسرة الى الحملة على المرض والجهل وناقش التنظيم السياسى والقومية والحكم وعـرض للسياسة الاستعمارية ..

ولكن هنا يبدأ الخلاف فان لورد هيلى وجه انتباهه كله الى السياسة الاستعمارية التى عالجها كيمبلفىتحفظ نسبى ، وفىهذهالفصول التى عرض فيها كيمبل لمشكلات الاستعمار تضيع النظرات الثقافية العميقة التى كانت طابعه فى المجلد الاول لتحل مكانها الافاضة ، وجاءت التفاصيل والاسهاب مكان التحليـل العميق ، وفى هذه الفصول سبقت الحـوادث كل ما فى الكتاب تبعا للوقت الذى استغرقه طبع الكتاب ، وان كان هـــو قد تداركه فى الصفحات الاخيرة كما قلت .

* * *

والمؤلف جورج هيربرت تينلى كيمبل جغرافى ولد بلندن فى ٢ منأغسطس سنة ١٩٠٨ ، نال البكالوريوس من جامعة الملك بلندن ســـنة ١٩٢٩ ثم نال الماجستير سنة١٩٣١ والدكتوراه من جامعة مونتريال سنة ١٩٤٨ .

عمل محاضرا لعلم الجغرافية بجامعة «هل» بانجلترا لست سنوات تنتهى بسنة ١٩٣٦ ثم بجامعة « ريدنج » الى سنة ١٩٣٩ ، وكان أستاذا للجغـرافية بجامعـــة « ماكجيل » ١٩٤٥ ـــ ١٩٥٠ ، رحل بعدها الى الولايات المتحدة ليعمل فى الجمعية الجغرافية الامريكية حتى سنة ١٩٥٣ ، ثم عمل مديرا للمســـاحة الجغرافية لمؤسسة القرن العشرين ســـنة ١٩٥٦ عندما انتقل الى جامعة انديانا استاذا لعلم الجغرافية سنة ١٩٥٧ مع التفرغ لاكمال مؤلفه الكبير عن « افريقيا الاستوائية » .

له سبعة كتب بين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٥٧ منها كتاب واحد عن الجغرافية البحته وثلاثة كتب عن الجو بعنوان « جو العالم بالامس واليوم » وكتب كتابين عن جغرافيـــة وجو أمريكا بعامة وكتب كتابا واحدا عن الجغرافية

ـ ٢ ـ

منطقة البحث

والمنطقة التى يعرض لها المؤلف فى كتـابه بمجلديه الكبيرين ، منطقة فســـيحة مهولة مخوفة لا بمساحتها الفسيحة فحسب ، بل بما فيها من أناس وحيوان ونبات ، تحـــد شمالا بنطاق الصحراوات الكبرى ، وجنوبا بجمهورية جنوب افريقية ، وتصل الى الشرق والغرب حتى المحيطين الهندى والاطلنطى .

وفى هذه المنطقة تتوازى العناصر السامة بتلك التى تضادها ، فتحتوى على صحراوات وغابات استوائية وهضاب مرتفعة وجبـــال تغطى قننها الثلوج ، وفيها بحيرات واسعة تستورد مياهها من روافد قصيرة سريعـــة الجريان ، وفيها واحد وأربعون مسطحة ادارية فى تقسيم اشبه بالتقسيم السياسى بعضـــها خالصة للافريقيين وبعضها يجمع بين عـــدة اجناس فى صعيد واحد ، بعضها دول مستقلة وبعضها لا يزال خاضعا لطغيان المســـتعمر مثل انجولا وموزامبيق .. وبعضـــها لا يزال يعانى الكثير من حكم البيض على مثال ما هى الحال فى جمهورية جنوب افريقيـة ، ويبلغ تعداد سكان منطقة البحث مائة وســـبعين مليونا يكونون ما يقرب من ستمائة مجمـوعة منفصلة على الاقل بالنسبة للغات واللهجات التى يتحدث بها الاهلون ..

فالمنطقة التى يعنى بها المؤلف فسيحة على ما نرى تدور حول بحيرات نياسا وتنجانيقـا وفيكتوريا ، وتجرى بها عدة انهار تنحدر كلها

نحو البحر للشرق ام للغرب اهمها الكونغو والنيجر والزمبيزى ، وفى امتداد هذه الرقعة الواسعة للشرق والغرب وللشمال والجنوب تجمع مختلف الصور التى جادت بها الطبيعة على المنطقة الاستوائية ، وكانت خزانة الجنس الزنجى يعيش على حوافها الحاميون للشرق وللشمال والبانتو للجنوب .. ويتوزع الاقزام فى جيوب مبعثرة وسط الغابات وان كان أهم مراكزهم فى غابة اتورى .

ولقد كانت هذه المنطقة من أصعب المناطق واعقدها بالنسبة للجغرافيين الذين حاولوا سد الثغرات فى عالم المعرفة بالقارة ، فهى صعبة الاجتياز جبالها صعبةالمرتقى ، وانهارها بل كل مجارى المياه التى تجرى وسطها مليئة بالشلالات والمساقط .. وجريان مياه انهارها سريعا فى موسم الامطار ، وما يصلح منها للملاحة غطت المستنقعات شواطئه وتكاثر الذباب فيه فكان مباءة للحمى .. ومرتعا لمرض النوم .

وهكذا كان اجتياز هذه الارض ـ حتى بعد تكاثر الآلات التى تحرق البترول ـ صعبا ، فهى لا تستطيع السير بعجلاتها على الارض المليئة بالمياه فاذا ترجل المسافرون انغمرت اقدامهم فى الاوحال او غرقوا فى المستنقعات التى تبدو ضحلة على حين انها بعيدة الغور .

ويعتبر هذا الجزء من افريقية على مدار العام منطقة جوع ، فالزراع يزرعون كميات قليلة جدا من المزروعات ، ومن ثم كان المحصول بالطبيعة ضئيلا ولا فائض فيه للتبادل والاتجار ، وأغلب رعاة الماشية يعتبرون ماشيتهم رؤوس اموال منقولة وليست للغذاء ، وحيوانات الصيد اجوع من البشر ، ولهذا فان اهل هذه المنطقة لم يكونوا لينظروا نظرة ودية للمستكشفين لان المستكشفين الذين عرفوهم كانوا هم تجار الرقيق .

وفى ضوء هذا كان من المتوقع الا تكشف هذه المنطقة عن أسرارها قط ، وفى سنة ١٨٥٠ كانت هذه المنطقة هى « الارض المجهولة » ولكنها فى سنة ١٩٠٠ كانت معروفة تماما بل ان الخرائط التى رسمت لها كانت ادق من الخرائط المرسومة لامريكا الشمالية.

وبهذه الصورة يصل جورج كيمبل بالقارىء الى افريقية الاستوائية ليبدأ معه الدراسة التفصيلية فى الطابع الذى رسمه كبرنامج لاخراج مجلديه الكبيرين .. ولكن ..

ـ ٣ ـ

كيف عالج الرجل موضوعه ؟

والواقع ان القارىء العادى لا يمكن ان يتشجع ليدرس افريقية الاستوائية فى مجلدين تزيد صفحاتهما على الالف والمائة صفحة ، وله عذره ، فكفاح الحياة يشغل الانسان عن القراءة الطويلة فى المراجع العلمية .

ولكن الحقيقة ان هذا الكتاب سهل القراءة طريف الاسلوب ، وبخاصة عندما يتحدث المؤلف عن الارض والحياة ومع أنه لا يبدو لى أن الرجل قد طوف طويلا بالبلاد .. ولا اقام بين مجموعة قبلية فى مكان واحد لسنوات طوال على مثال ما فعل سليجمان أوبريتشارد اللذان كتبا عن القبائل الوثنية من الفيلوتين على روافد النيل فى جنوب السودان الا ان الرجل يجب عن دراسة وخبرة ويكتب كتابة واعية .. وفى بعض الصفحات تلقى حديثا عاطفيا عندما يتحدث عن العادات والتقاليد فى الزواج او تنشئة الصغار وبخاصة فى القبائل الاموية اى القبائل التى ينتسب افرادها الى امهاتهم .. ويكون الخال هو الذى يرعى الطفل لا الاب .

والمجلد الاول : « الحياة والرزق ـ المعاش » جاء مليئا بالجداول والمصورات والرسوم على اساس أنه جاء وفقا على الاطار الجغرافى للانسان والارض .. وهو لكى يقدم هذه الصورة الجغرافية بدأ المجلد الكبير بالحديث عن الحياة الاقتصادية . « وهذه مسألة لها أهميتها عندما ننتقل مع المؤلف الى المجلد الثانى من كتابه ، ففى المجلد الاول ٤٩ جدولا بيانيا و ٣٤ خريطة تصويرية للدلالة على شىء ما .. ولقد كانت هذه وتلك تصلح للمقارنة لو قدم الجدول او

الخريطة ممثلا لفترتين مختلفتين على مثـال ما يمكن ان نجد فى الرسوم البيانية ، وهذا شيء لم يتوافر فى كتاب كيمبل فهو مثـلا فى ص ٦٦ يقدم توزيع مناطق الغابات المطيرة فى شرق وغرب المنطقة حول سنة ١٩٥٠ ، ويقدم توزيع السكان للمنطقة بين ذكـور واناث فى سنة ١٩٥٠ وتوزيع السكان للمناطق الحضرية فى سنة ١٩٥٥ ، ويعـرض توزيع الاراضى للزراعة فى روديسيا الجنوبية بين القطاعين الخاص والعام فى سنة ١٩٥٢ ، وكل هـذه الاحصائيات قد تغيرت عند ظهور الكتاب فى سنة ١٩٦٠ ما فى هذا من شك ، ولكن بأية نسبة كان هذا التغيير ؟ !!

على أن هذا ليس حال كل جداوله البيانية فهو يقدم كل الجداول الموضحة لانتاج المعادن من حديد الى منجنيز ــ نحاس ــ رصاص ــ زنك ــ بوكسيت ــ ذهب ــ فضة وماس ، بل وحتى الملح والفوسفات الى ختام سنة ١٩٥٧ وهى آخر احصائيات رسمية كان من الممكن ان يحصل عليها من المراجع الصحيحة عنـد طبع الكتاب .

وفى المجلد الاول تستهوى القـارىء ٢٤ صفحة من الصور بها ١٢١ صورة تقع بين صفحتى ١٧٤ و ١٩٥ من المجلد الاول وكلها تقدم طابعا حضريا متقدما بنسبه بالطبيعـة لدور القوى الغربية فى المنطقة .

والذى تلاحظه ايضا عند مطالعتك للكتاب انه قد تجنب كل الاحاديث الفنية التى يمكن ان يضيق بها القارىء العادى غير المتخصص.

فهو على سبيل المثال لا الحصر عنـدما يتحدث عن الغابات يقول :

« تعنى الغابة أشـياء كثيرة للجماعات المختلفة من الناس ، فهى بالنسـبة للبعض تعنى « المواد الخام » ، وتعنى بالنسـبة للبعض « الغذاء » وتعنى بالنسبة لآخـرين « المغامرة ومواجهة المخاطر فى اجتيازالاحراش ومواجهة الحيوانات والحشرات » وهى لغيرهم تعنى « الخصب » والمجموعات كثـيرة تعنى « حطب الوقود » .

وهنا ينصرف المؤلف للحديث عن مختلف أنواع الاخشاب مصورا علاقاتها بالاقتصاد» .

وهكذا يمكن ان يبدو لنا بوضوح كيف ان القارىء يستطيع ان يخرج من المجلد الاول بحصيلة طيبة من المعلومات الطريفة هى التى تجعله يتابع القراءة فى نهم تطلبـا للمزيد ، وعلى سبيل المثال يستطيع ان يعرف ، أن .

- توزيع السكان فى افريقية الاستوائية ليس نتيجة للظواهر الجغرافية الطبيعية بقدر ما هو نتيجة للظواهر الثقافية والعوامل التاريخية والاوضاع العسكرية .
- الهجرات الحديثة ليست غير تحـركات جماعية بقصد البحثعن عمل ، او بسبب التخلص من الكبت السـياسى فان مائة الف قد هاجروا منموزمبيقالى نياسالاند بين سنة ١٩٠٠ وسنة ١٩٢٠ هربا من كبت المستعمرين البرتغاليين .
- ثلثا الـ ٤٥٥ مدينة الموجودة فى افريقيـة الاستوائية موجودة فى افريقية الغربية ، وربع هذا العدد فى نيجيريا وحدها .
- نسبة الرجال الى النساء فى افريقية كلها كالنسبة بين ٩٦٫٦ : ١٠٠ » وهى نسبة غير موجودة فى أى قارة اخرى غير اوروبا وان كانت فى أوروبا تقل أيضـا عن هذا.
- ٤٣ ٪ من الافريقيين دون سن الخامسـة عشر .
- تدل الظواهر المعاصرة على ان سـكان افريقية سيتضاعفون فى الخمسين سـنة القـادمة .
- طاقة القوى الكهربائية المائية فى حوض الكونغو ربع كمية هذه الطاقة فى العالم كلهـا .
- ليس فى افريقية نهر يصلح للملاحة على مدار السنة .
- بعض الافريقيين يستخدمون وسـائل بدائية فى الزراعة ولكنها مع هذا تجىء بنتائج حسنة ، والكارا Kere على بحيرةفيكتوريا (الصحيحالكاروجونج

– سليجمان ص ١٤٣ ، قد عرفوا كي يحصلون من الميل المربع الواحـــد على غذاء يكفي لستمائة فرد .

- لا تعتبر ارض افريقية في جملتها خصـبة التربة ، والحياة النباتية تعتمد عـلى سقوط الامطار وعلى تحلل النبات .

– ٤ –

النظام القديم والتغير الاجتماعي

على، اننا عندما ننظر الى المجلد الاول من كتاب كيمبل دون ما تأثر بطابع العرض الطيب الذي قدمه فيه نستطيع ان نقول بأن المعلومات التي قدمها في المجلد الاول فيها جهد « التجميع » لانه من الممكن الحصول عليها من كتب اخرى او من التقارير الاحصائية لمنظمة الامم المتحدة في السنوات العشر الاخيرة ، ومن ثم عندي أن المجلد الثاني من كتاب كيمبـل (٥٠٦ صفحات منها ٦٦ صفحة ملاحق واضـافات للمعلومات المقدمة في المتن) هو في الواقـع الاهم ، ذلك لانه يعرض للنواحي والاتجاهات الاكثر التي تتطلب للنقاش والبحث ..

ويبدأ كيمبل المجلد الثاني بالحديث عن النظام القديم والتغير الاجتماعي .

وافريقية الاستوائية في الواقع اكثـر من نسيج من الخيوط الاقتصادية للأرض والناس ففي هذه المنطقة المخوفة خليط عجيب من الناس ومن الثقافات ومن المعتقـدات ففي داخل حدودها يعيش البانتو والبوشـمان والساميـون والحاميـون ثم الاوربيـون ، والاسيويون والملونون ، وفي أسواقها يتحدث الناس اكثر من مائة لغة ولهجة ، وتستخدم حكوماتها مختلف النـاس من شتى الوان الكساء العقائدي من الجمهوريين والملكيـين والقوميـين والمحايدين والشيوعيـين ، وفي مدارسها يتعلم الوثنيون والهندوكيـون ، والمسيحيون والمسلمون ، والى منازلها يلجأ الامير والحقير ، المتعلم والجـاهل ، الثري والفقير فقرا مدقعا ، ولكن مع هـذا فان الظاهرة البارزة هي أن التغير الاجتماعي (قد بدأ من أهم وأعمق نواحي المجتمع ، لقـد جاء هذا كله من داخل القطاع الذي سبب هذا الخلط العجيب الا وهو « الاسرة » ..

والاسرة .. هي قلب المجتمع .. أي مجتمع وقوتها هي مقياس حيوية المجتمع ، وتعتبر البوتقة التي ينصهر فيها كل تطـور ثقافي ، والاسرة في النظرة العادية هي : « الرجـل وزوجه .. او .. زوجته ثم أولادهما » ، ويكون افراد الاسرة معا وحدة اقتصـادية لتعاونهم معا في (المنزل) دار الاقامة المشترك، ولكن قد لا يكون التعاون تاما ، ذلك لانه عادة يكون للزوج أو الزوجة أو حتى للاولاد البالغين املاك خاصة يمنحها كل منهم نصيبا من وقته على انه مع هذا فان الاسرة تتطور في الواقع الى **مجتمع معيشي حقيقي يتوافر بين افراده المحبة والتضحية** .

والواقع ان الافريقيين ينظرون الى الاسرة نظرة اوسع من ناحية العلاقات والمسئولية من نظرة الغربيين اليها ، ولهذا يتوالد في الطفل الشعور بحقيقة انه ليس عضـوا في اسرته المكونة من ابيه وامه واخوانه بل انه عضـو في مجموعة أكبر من الاخـوات للاب والام واولادهم واولادهن ، ثم الجيل الذي يسبق هؤلاء وهؤلاء مع الشبكات التي تربطهم بغيرهم وهؤلاء كلهم **يؤثرون في وجود الطفل من كل الاتجاهات** ، وبذلك فان الاسرة في الواقع تشغل عدة مساكن الا اننا اذا وجـدنا البنات ، وازواجهن فلن نجد الابنـاء وزوجاتهم لان هؤلاء وهؤلاء في مجموعة اخـرى هي اسرة الزوجة وبخاصة في « المجتمع الاموي » كما قلت .

على ان روابط الاسرة لا تنتهي هنا ، ومن الضروري أن نذكر بأن الافريقي البدائي يحصي ضمن أسرته افرادها الاحياء **وافرادها الذين ماتوا على أساس أن هؤلاء يعودون بعد حدوث ما نسميه الموت ليتابعوا الحياة من جديد في أجسام اخرى** .

* * *

والزواج في الحقيقـة مسألة تمس طرفي العقد بأكبر مما تعني الجماعتين اللتين هم فيهما ، ويلعب « الانجذاب الجمالي » دورا

فى هذا ، وقد تكون القاعدة عامة اللهم الا بين « الشجا » سكان جبل كليمانجارو حيث يختار الاب لابنته زوجها الذى يبنى بها ، والا عند « الكيكويو » حيث تفخر النساء بأنهن هن اللاتى يتخيرن أزواجهن .

والقصد من الزواج هو انجاب الاطفال ، وقدرة الزوجة على انجاب الاطفال هى التى تحدد مكانتها من زوجها ومن أسرته واسرتها **والاسرة الكبيرة هى العشيرة التى هى وحدة تكوين « المجتمع »** .

والواقع انه من الصعب ان نلم الماما كاملا بالارتباطات الشبكية ، العارضة والاصيلة ، المستمرة والموقوتة ، الافقية والعمودية ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى « ترتبط » بها الاسرة ..

وفى وسط هذا النسيج نجد على التوالى : العشيرة ــ القرية ــ طبقة السن ــ القبيلة .

والطابع البارز هنا ألا وهو « القبيلة » **انما يعنى تجميع عدة مجموعات وافراد ليس من الضرورى ان تربط بينهم صلات القربى ، لتكوين هذا المجتمع وحدة ثقافية وسياسية عن طريق الحياة فى منطقة واحدة ، وتحت زعامة رجل واحد ، وتبعا للتحدث بلغة واحدة واتباع تقاليد وعادات واحدة** .

وقد لا تخلو هذه التعاريف التى يقدمها كيمبل للاسرة ، والعشيرة ، والمجتمع ، والقبيلة من نقد ، ولكن هذه اقرب فى الحقيقة الى تصوير الفكرة الافريقية عنها تصويرا مقبولا .

* * *

وكما فى اى مجتمع آخر فان الجيل الصاعد هو محور كل شىء . باعتباره هو الذى يحتمل مسئولية المجتمع الصغير (الاسرة) والمجتمع الاكبر (القبيلة) فى المستقبل .

وهذا الجيل .. جيل الاطفال الصغار أحوج ما يكون الى التعليم فى الطابع الذى يراه الافريقى فى افريقية الاستوائية لازما

والافريقى فى قلب القارة « كجامع للغذاء » لا يمكن الا يعرف طبيعة الاشياء من الفاكهة الى الحيات ، وهو يجب أن يتعلم ليعيش ..

ويتعلم دائما من البيئة التى من حوله ، من السهول والانهار ، والجبال ، ومناطق الرعى ، من اراضى الصيد للحيوانات الكاسرة ، ومن مناطق صيد السمك .. من الغابات المشتبكة والاشجار العالية المبعثرة ، من الجو والسماء ..وهو يتعلم هنا من «المراقبة» ومن « الانغمار فى الاشياء » بكل حواسه وكل مشاعره .

ولما كان من النادر ان ينفصل الصغار عن آبائهم كان من الضرورى ان يتعلموا عنهم الحقائق الاساسية للبقاء ، وهنا يجب ان نلاحظ بأن الصغار يبدأون احتمال مسئوليات الحياة فى سن مبكرة حتى فى لهوهم ، فهم يبنون القرى الصغيرة ويقتسمون العمل فيها حتى احضار خشب الوقود والمياه ، وحتى يقومون بدور الزوج والزوجة داخل الاكواخ .

* * *

وهنا نلقى عاملا فعالا يعنى به كيمبل فى حديثه عن « الاسرة » و « العشيرة » ، و « القبيلة » ذلك هو « الدين » .

والدين أساسه « **الروحانيات** » ، ولعل مسألة الروحانيات .. وارتباط الفرد دائما بالاسرة على تعدد طبقات السن والاجيال من داخلها هو الذى يوجد فكرة «تقدير الاسلاف» ولا اقول « تقديس الاسلاف » .

والناس الذين ينشأون فى بيئة مليئة بالروحانيات يخطون ولا شك عدة خطى طويلة للاعتقاد فى « قوة عليا » قوة اكبر من قوى البشر .. قوة فوق كل القوى ، وحتى فى المناطق التى خرجت من « تقدير » الاسلاف الى « تقديسهم » تكون هذه القوة العليا ممثلة فى أصل وجود القبيلة أو الناس ..

ويختلف التفسير لهذه القوة العليا ..

يقول الهريرو فى جنوب افريقية : « فهو ليس برجل ، **ولا والد له** انه يعيش فى السماء **ولا يفعل الا الخير** » .

ويقول الاكور فى غانا وتوجو « هو الذى يمكننا من أن نسير على أقدامنا ونقوم بعملنا ، **هو الذى يرسل المطر فوق الحقول ويرسل الشمس من الشرق** » .

ويقول اليوربو فى نيجيريا « دع الله يقاتل واسند راسك الى يدك » .

« انه طيب لم ينتزع منا الاشياء الطيبة التى أعطاها لنا ، ويتفق الجميع « ان الله قد رحل من بين البشر وصعد السماء للاخطاء التى يرتكبها الانسان على الارض » .

المجتمع والسياسة

والحديث عن المجتمع والسياسة قد غطى فى المجلد الكبير كل ماعرضه المؤلف عن الحملة على الجهل والحملة على الفقر ، نقاشه للتنظيم وللسياسة الاستعمارية ، ونظام الحكم مع الاشارة الى القومية وأثرها فى .. وتأثرها فى .. السياسة .. واخيراينتهى الى « الصفوة » من الطبقة الجديدة .. الطبقة التى تجىء مع التغير والتطور فى كل مجتمع يخرج من ظلمات الجهل الى نور العلم والمعرفة ، واخيرا يناقش « ثمن النمو » الضريبة التى يجب ان تؤديها كل امة من اجل التقدم ومن أجل النهوض ..

وهنا نجد — مع بعض التجاوز — كيمبل العالم لا كيمبل السياسى ، ولذا لا نجد الاستنتاجات البغيضة التى تبدو فى المؤلفات المعاصرة للكتاب الانجليز والفرنسيين وبخاصة اولئك الذين عملوا فى الادارة والحكم فى أواخر أيام الاستعمار عندما يحاولون تجسيم اخطاء الطبقة الحاكمة الجديدة التى جاءت من وراء الافق لتثب تحت الاضواء على مسرح الحوادث .

والواقع أن المؤلف يقدم فى هذا الجزء الكبير من المجلد الثانى من كتابه والذى شغل أكثر من **ثلاثمائة** صفحة .. يقدم لقطات تتطلب التمهل بازائها للدراسة .. **فهو يرى ان الذى جعل افريقية الاستوائية ذات مكانة بارزة اليوم حقيقة ان دولها الحديثة العهد بالاستقلال قد باتت عاملا فعالا جدا فى الشئون الدولية** ، « وقد راينا زعماء الغرب وزعماء الاتحاد السوفييتى يعملون لاكتساب تعضيد الافريقيين داخل منظمة هيئة الامم المتحدة ، وفى نفس الوقت راينا سرعةاستجابة هذه الدول الافريقية لطلب ارسال قوات من بنيها الى الكونغو لمنع وايقاف الحركة الانفصالية لكاتنجا والتى كان يشجعها المستثمرون البلجيكيون الى حد حشد محاربين مأجورين للقتال حتى ضد الامم المتحدة ، ثم وقوف هذه الدول الافريقية لمناصرة همرشولد عندما اهتز المقعد من أسفله » .

والطابع العام لهذه الدول هو **الطابع الحيادى** ، وهنا يناقش المؤلف الفكرة الحيادية فيقول : « وهذه الدول أذا تحولت الى الحياد **على ما تريد هى** فانه سيكون حيادا ايجابيا ، ترى فيه أن المنظمة الدولية هى وسيلتها الاساسية للمعونة » .

« فهل يمكن ان تكون دول افريقية المستقلة بالرغم من وضوح هذا « **الطابع البلقانى** » الذى لها ان تكون قوة مستقرة فى المجتمع الدولى ؟ »

« ان الفوضى التى حدثت فى الكونغو يجب ألا يسمح لها بأن تدفع بالتسمية لتغطى سماء الخمس عشرة دولة التى استقلت دون عنف او انقسام فى سنة ١٩٦٠ وحدها » .

وفكرة « **الطابع البلقانى** » هنا تجرنا فى الواقع الى حديث هام هو الحدود السياسية أو الحدود الادارية التى كانت قائمة ايام حكم المستعمرين الاوروبيين وذلك لان تلك الحدود لم تقدر قط مصالح الناس ولا مصالح الشعوب ولهذا فانها قسمت القبائل او فصلت بين الناس والارض التى يزرعونها ، وهذه كلها مشكلات لا بد من تصفيتها يوما ما بين الدول الافريقية نفسها على حلقات قادمة من السنين .

على انه من الطبيعى ان يحاول المؤلف التعليل لحديثة هذا ، ومن الطبيعى الا يتخلص تماما من عصبيته — ولا أقول تعصبه — نحو الغرب ذلك لانه يقول :

ويجب ان يقتسم فخر قيام هذا :

١ — الزعماء الافريقيون ومنظماتهم التى اوجدت معبر الاتحاد بصعوبة للسيطرة على التنظيم القبلى الذى يفصل بين السكان داخل الدولة الواحدة .

٢ ـ الادارتان البريطانية والفرنسية اللتان أعدتا هؤلاء الناس لايجاد نظام حكم مستقر (!!) .

وقد يتفق القارىء مع الشق الاول من رأى الاستاذ كيمبل فيما يختص بأثر الزعماء الافريقيين والمنظمات السياسية التى تتبعهم ولكن احدا لا يوافقه على القول بأن الادارة الفرنسية بخاصة قد اعدت الناس لحكم أنفسهم .. بل انها صبيحة خروج غينيا على المجتمع الفرنسى سحبت كل الفينيين الفرنسيين من دولاب الحكم بقصد اشاعة الاضطراب والفوضى فى البلاد ، وهذا وغيره من المسائل التى لم يعرض لها المؤلف فى كتابه الكبير .

على انه كان من الطبيعى والمؤلف مؤرخ جغرافى ان يناقش نظام الحكم وان يتحدث عن الصورة التى تبدو لها الاولوية فى تقديره صورة الطابع البرلمانى ، ويقول فى تعجل ظاهر :

« ومن المتوقع ان الدول الافريقية ستفشل فى اتباع الطوابع البرلمانية والادارية التى خلفتها الدول الغربية المستعمرة وراءها عندما انصرفت عن البلاد » .

« والمهم أساسيا الآن :

١ ـ ان تستطيع هذه الدول بالمعونة الخارجية ان تعالج مشكلاتها للتطور .

٢ ـ ان تحتفظ حكوماتها بالاستناد الى التعضيد الشعبى .

٣ ـ الابقاء على فرص السماح بالتعبير عن الرأى فى حرية تامة ، وليس من الضرورى ان يتم هذا عن طريق المعارضة البرلمانية ، بل ربما فى نطاق نظام الحكم الواحد المتطور عقليا أو عن طريق منظمات الشباب والنساء **واتحادات العمال ، أو عن طريق الجيوش التى يبدو ان بها ـ فى بعض الدول ـ قادة متعلمين تعليما تقدميا .**

ويدور كيمبل حول اصطلاح « **القومية** » ويرى ان كلمة « القومية » مثلها مثل : الاستعمار ، الديموقراطية ، الحرية ، انما يحدد معناها بما يتم باسمها اكثر مما يحدد ما يمكن ان يعنى به الاصطلاح نفسه .

وفى افريقية الاستوائية يجرى الكثير باسم القومية ، فهناك حركات قومية فى الدين والتعليم والاقتصاد والفن .. والسياسة ، وفى السياسة توجد حركات على مستويات مختلفة ومن اجل اهداف متباينة ، ووراء سواتر للتغطية متعددة ، فهناك **القومية القبلية** لليوروبا والايبو والجاندا والليو والكيكويو ، وهناك **القومية الاقليمية** فى نيجيريا وفى غانة حتى استقلالها ، وهناك قومية اتحاد دول غربى افريقية وكذلك « قومية كل افريقية » أى على ما يقال « **بأن ـ افريكانزم** » .

وكما ان هناك « **قومية بيضاء** » للاوروبيين وهناك **قومية سمراء** للاسيويين ، فهناك « **قومية سوداء** » للافريقيين ، وهناك **قومية مسيحية** » و « **قومية اسلامية** » .

« ويجب ان يفهم الاصطلاح « القومية » على أن « القومية الافريقية » هى كل مايريده القوميون الافريقيون ، وان « القوميين الافريقيين » هم كل الاجناس الاصيلة التى تعتقد بأن من حقها ان تحكم وان تحكم تبعا لما تختاره هى وان تقاوم بكل وسيلة الذين يعطلون من هذا الحق » .

والفكرة هى « المقاومة » و « المقاومة بكل وسيلة » لكل أولئك الذين يعطلون من حق هذه الشعوب فى أن تحكم تبعا للصورة التى ترضاها والتى تتخيرها لنفسها .

ومن هذه الناحية تكون **جذور القومية** معرقة فى القدم لان حركات المقاومة قديمة.. كانت قبل وصول الاوروبيين فى غانة ، والنكرود ومالى ، والسونغاى ، وجادو ، ودندى ، وكانو وبورنو ، ودارفور ، وجوندار ، وهرر ، وفى عشرات الاماكن الاخرى .

فلما ان جاء الاوروبيون لم تتوقف حركات المقاومة .. كانت احيانا سلبية واحيانا ايجابية ، وابرزها فى السنغال العلوى ١٨٨٦ ـ ١٨٨٨ تحت زعامة الملك بهاء الزين ، وفى روديسيا الجنوبية ١٨٩٢ ـ ١٨٩٤ تحت زعامة لوبنجولا ملك المتابيلى ، وفى تنجانيقا ١٨٩١ ـ ١٨٩٤ تحت زعامة مكواوا .

والناس قد يكونون أكثر اتجاها للسلم من ابائهم ولكنهم ليسوا أقل رغبة - عند الحاجة - من ان يموتوا وهم يقاتلون كما فعل اباؤهم من قبل ..

وهنا يناقش كيمبل المؤثرات للقومية ، ويقسمها الى مؤثرات داخلية هى : الاقتصاد، الحالة الاجتماعية ، الدين ، والسياسة ، والى مؤثرات خارجية هى : الدول الوطنية المستقلة، الولايات المتحدة واهتمامها بأمر القارة وبروز سياسة خارجية افريقية ، الدول الاوروبية التى كانت تمتلك المستعمرات من قبل ورغبتها فى ابقاء الصلات بينها وبين مستعمراتها القديمة فى صورة ما ، والشيوعية ووقوفها فى ميدان التنافس مع الغرب لاكتساب الانصار وبخاصة فى الميدان الدولى ، واخيرا تحرر بلاد آسيا .. ثم الامم المتحدة ..

ولا تلقى هنا فى حديث كيمبل أى جديد ويبدو أنه ينتزع وجهات النظر من الكثير من المؤلفات المعاصرة التى عرضت لهذه المؤثرات بصورة أو بأخرى .

طابع الحكم ودور التخطيط الدولى له

ويتحدث المؤلف عن دولاب الحكومة وآلة الحكم فى سبع وخمسين صفحة يبدأها بالحديث عن طابع التخطيط ثم عن التنفيذ العملى للحكم حتى يصل الى « افرقة » عملية الحكم نفسها .

والفكرة انه لكى يمكن ان حكم منطقة فسيحة فى قلب أفريقية لهو حكم مجموعات مختلفة من الناس تعيش كل مجموعة منها فى قسم من الاقسام التى تفتت اليها هذه المنطقة الفسيحة والصورة متكررة متماثلة كبرت هذه المنطقة الرئيسية أو صغرت .. ومن ثم كان من الضرورى ان يكون طابع الحكم المثالى هو «الحكم غير المباشر» اى ترك الافريقيين يحكمون انفسهم اما تبعا للتقسيم القبلى او لتقسيم ادارى يوضع تبعا للموقف ، **والواقع انه حتى كان مؤتمر التقسيم فى اواخر القرن التاسع عشر كانت افريقية الاستوائية لاكثر من مائة سنة محكومة بالافريقيين انفسهم وان كانت اغلب الحكومات فى الحقيقة كانت تقف عند الحدود القبلية بما فى هذا مختلف صور المصالح التى يمكن تواجدها فى المنطقة .**

وقد لا يبدو أن الدول الاستعمارية خرجت بهذه الفكرة لاول وهلة فهى بالطبيعة قد فكرت فى السيطرة على كل الارض من مركز الحكم الرئيسى ، اى على ما يقال له فى القانون « اظهار السلطة » ولكن هذه السيطرة كانت تتطلب العدد الكبير من الاداريين فضلا عن السلطات البوليسية أو العسكرية الكثيرة ، وكان من المستحيل من الناحية المالية تنفيذ هذا ، وهنا نشأت الفكرة بأنه : **لا يمكن عمل شيء لرفع مستوى الافريقيين الا بعد أن يفعل الافريقيون شيئا ما لانفسهم .**

ومع ان العلاقات بين الحكومات فى طابعها البدائى وبين الناس كانت وثيقة الا أن التقسيم وانشاء الحكم الاوروبى قد بدل من هذا كله اذ جعل هدف الحكومة غير مفهوم للافريقيين (فلم تعد الثورة الدافعة هى مجالس كبار السن ، والزعيم قائد الحرب الذى يتكلم نفس لغة الاهلين وله ذات الاراء ويتوافر له الجهل نفسه بالامور لخارج منطقة القبيلة بل انتقلت السلطة الى جنس أبيض غريب يتكلم افراده لغة غريبة عن لغة الاهلين، ودينهم يخالف أديان ومعتقدات الاهلين) ومهما كانت آراؤهم حكيمة وضرورية ، فانها حكيمة وضرورية من وجهة نظرهم ولهذا فانها تبدو أحيانا خاطئة بالنسبة للرجال الذين تقف كل تجاربهم عند حدود (منطقة القبيلة) ص ٣٠٤ .

على أن أولئك الذين وضعوا التخطيط فى البداية لم يكونوا يعرفون شيئا عن المناطق ولا عن الناس ، ومن النادر حتى ان كانت عندهم خرائط دقيقة ، ولم يكونوا يعرفون أين تنتهى قبيلة أو مملكة وأين يمكن أن تبدأ أخرى ، وكنتيجة لهذا أن القبائل التى لم يكن بينها شيء مشترك وجدت نفسها متجمعة معا فى منطقة ادارية واحدة على حين أن أناسا من قبيلة واحدة ويتكلمون لغة واحدة وجدوا أنفسهم منقسمين على جانبى حدود ادارية تفصل بينهم **فاضطروا أن يتعلموا أساليب جديدة وقوانين ولغات**

مختلفة للحكام الجدد ، وكان الذين وضعوا التخطيط لا يعرفون شيئا كذلك عن عادات الاهلين ومن ثم فان الكثير من القبائل قد ضايقها نقص تفهم الحكام لثقافاتها وهكذا بدأت تقف من الحكومات الغربية موقف العداء السافر .

ولم يستطع أولئك الذين كانوا يعملون للتخطيط ان يطبقوا أسلوب الحكومة الكامل الا فى القليل من المناطق التى توافرت فيها امكانيات الحكم غير المباشر ، وفى أماكن أخرى نقلوا بعض النماذج المبسطة عن دول الغرب مع تكيفها مع البيئة .

والشىء الذى يجب أن نلاحظه هو ان أولئك الذين بدأوا الحكم لاول مرة كانوا لا يملكون الا القليل من المال وكانت المناطق نفسها فقيرة ، وكان الموردان الوحيدان هما العاج **والرقيق** .

وكما أسهم الافراد أسهمت الحكومات فى الاتجار بالرقيق ..

ما بعد الاستقلال

وهنا يعنى المؤلف ببحث المشكلات التى تنتج عن الاستقلال ، ويعجب من أن بلاد افريقية الاستوائية لا تزال تؤمن بالشعار الذى بشر به الرئيس كوامى نيكروما عند ما قال : « **الحصول على الاستقلال السياسى أولا سيجىء كل شىء فى أعقاب الاستقلال على التوالى** » ، وفكرة كيمبل أنه بمجرد الحصول على الاستقلال تثب المشكلات المتوقعة وغير المتوقعة « وبلا شك أنه فى المستقبل القريب ستواجه البلاد الافريقية والبلاد المتعددة الاجناس عوامل مؤثرة عنيفة » .

وتوضح دراسات الاستاذ كيمبل أن امكانيات افريقية للنمو الاقتصادى تتطلب عناية ودقة ذلك لان زعماء كل دولة حديثة العهد بالاستقلال يشعرون بأنهم مضطرون للحصول على المزيد لشعوبهم ، وكلمة « المزيد » هنا تعنى أكثر مما كان الناس يحصلون عليه فى حكم المستعمرين فاذا امكن تحقيق هذا كان معناه أن هؤلاء الزعماء قد نجحوا فى اداء رسالتهم .

ولكن هذه الدول تحتاج العمال المهرة .. وهنا المشكلة ....

ويقدم كيمبل هنا بعض سطور من القصيد تقول :

« مرحى لاولئك الذين لم يخترعوا شيئا قط ...

« مرحى لاولئك الذين لم يستكشفوا شيئا قط ..

« مرحى لاولئك الذين لم يغزوا أرضا قط ..

« مرحى لاولئك الذين يدفعهم الايمان لمحاولة القيام بكل شىء »

وهكذا يختم كتابه بالحديث عن العمال والاجور ، ويذكر انه فى ليبيريا يحصل العمال على كل احتياجاتهم من مخازن الشركات باثمان تقل كثيرا عن اسعارها فى السوق ، فجوال الارز مائة رطل كان العمال يبتاعونه سنة ١٩٥٤ بثلاثة دولارات من مخازن الشركة ، وهذا ثمنه منذ عشرين سنة على انه كان يباع فى الاسواق فى سنة ١٩٥٤ بمبلغ يتفاوت بين ثمانية وعشرة دولارات .

ويقول ان الشركة تتحمل عن كل عامل وزوجة وطفلة فى كاتنجا العليا ٢٤٠ دولارا فى السنة للرعاية الصحية فقط ، ولكنه يخرج من هذا الى ماينقله عن مدير شركة فى الكونغو (برازافيل) بأن الامر المتساوى عن العمل المتماثل قد وضع الان موضع التنفيذ ، ولكن هذا سيوجد حلا اسوأ من الصراع الخاص بالجنس واللون باكثر مما عرفته المنطقة من قبل ، فالعامل الابيض سينكر فى نفسه كمنافس للعامل الاسود بدلا من أن ينظر اليه كمعاون له على ماكانت الحال حتى اليوم

فالكتاب كما ترى دراسة عميقة وانه لجهد طيب من المؤلف ان يقدم دراسة منطقية لامكانيات واحتمالات « افريقية الاستوائية » بالنسبة لما امكن تحقيقه ، وبالنسبة لما يرى انه من الضرورى تحقيقه بدرجة اكبر ، وكان من الضرورى ان تصدر مثل هذه الدراسة القيمة حتى يمكن تفهم المشكلات التى تواجه زعماء هذه الدول الحديثة العهد بالاستقلال

رسائل القراء

وصلت الى المجلة الرسالة الآتية من السيد / يوسف صالح مطر بقطاع غزة . ((أحييكم من قلب شعبي ، ومن الآمال العظيمة في تحقيق عودتنا الى ديارنا ويسعدني أن أخبركم أن مجلة ((نهضة أفريقية تصل الينا بانتظام ، وتفتح لنا طاقات من المعرفة ونوافذ من الفهم العميق للدور الكبير الذى تقوم به القارة الافريقية)) .

والسيد / يوسف صالح مطر ، يطلب صورة الزعيم المغفور له ((باتريس لومومبا)) ، ويهمنا أن نذكر لسيادته أن الصورة التى طلبها ستصل اليه اما عن طريق صفحات المجلة ، واما عن طريق رسالة خاصة .

* * *

ووصلت الى السيد رئيس التحرير الرسالة الآتية من السيد عبده موسى شابرى ، وقد جاء فيها تحيته لباب رسائل القراء ، وانه يد تصافح في كل مكان قراء المجلة ، كما تحدث فيها عن دمار شعب اريتريا ، واستبساله من أجل قضيته ، وقد جاء فيها :

((انى أستغيث من أجل بلادى برجال الفكر والأدب ، وبالقيادات العظيمة في القارة الناهضة ، فاريتريا تقع في شرق القارة الافريقية ، ويسكنها مايعادل ثلاثة ملايين ونصف مواطن ، وقد اتصف هذا الشعب من قديم بالبطولة ، والسماحة الاسلامية ، ولكنه اليوم يقاسى من أثيوبيا ، ففيه الضغط على الحريات ، ومحاربة اللغة العربية من أجل سيادة اللغة الأمهرية ، ومصادرة الصحف التي كانت تنطق بحقوق هذا الشعب .. من أجل هذا وغيره أستغيث برجال الفكر والأدب ، وبالقيادات العظيمة في القارة الناهضة)) .

ووصلت رسالة من وكالة الصحافة بباريس ، انها تطلب الاشتراك في المجلة ، وسيرد على هذه الرسالة برسالة خاصة .

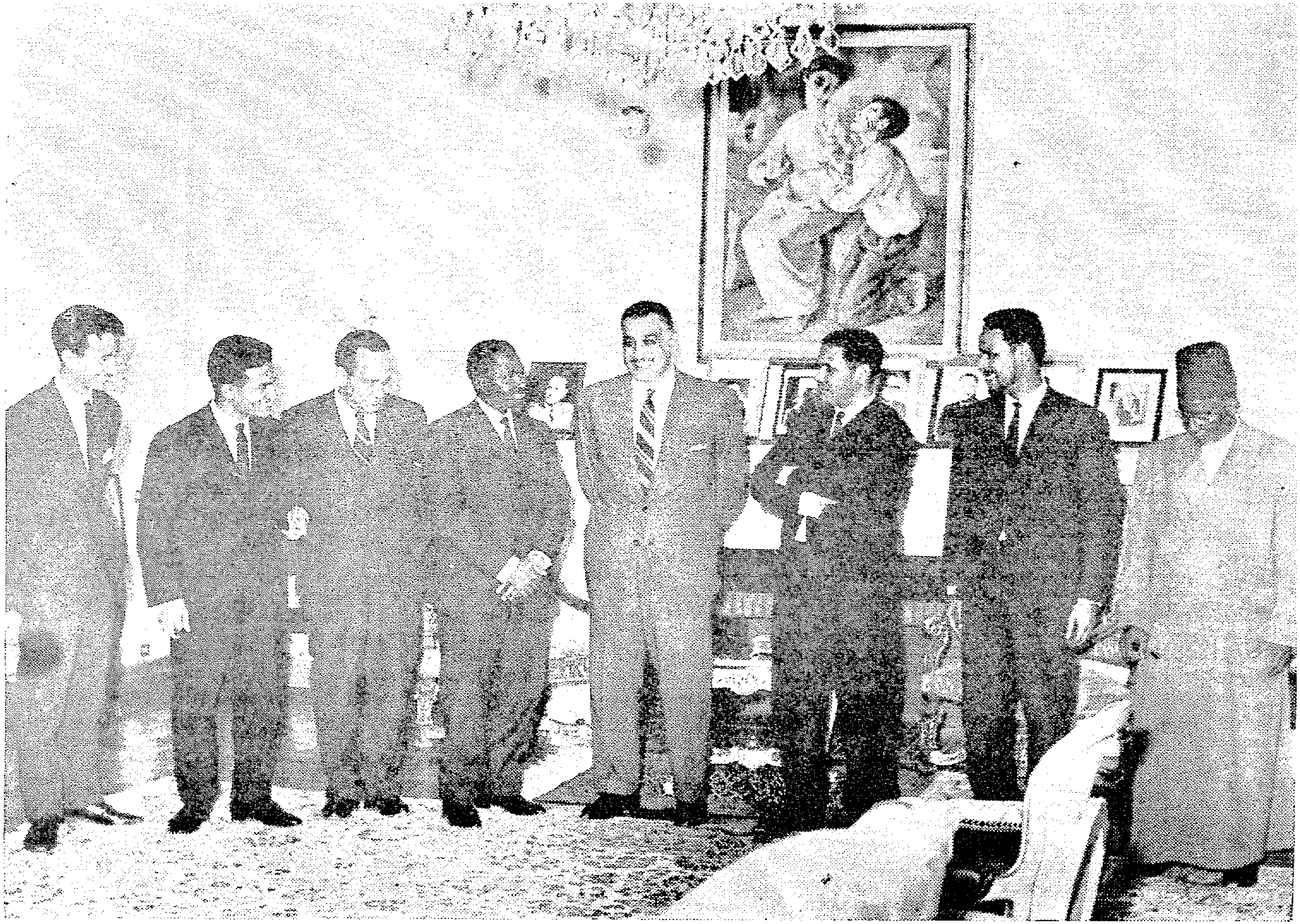
وتلقت المجلة رسالة من السيد / محمد بن عبد الله (درب الفقراء زنقة ١٧ بالدار البيضاء) جاء فيها انه مهتم بالمجلة ، ومقدر لرسالتها ، والمجلة تشكره على رسالته الرقيقة ، وتتمنى له التوفيق .

* * *

والسادة الذين كتبوا للمجلة يستفسرون عن طريقة الاشتراك ، يهمنا أن نذكر لهم ان طريقة الاشتراك هى ارساله حوالة بريدية بمبلغ ٣٠ قرشا الى (دار أخبار اليوم)للتوزيع ٧ شارع الصحافة بالقاهرة .

* * *

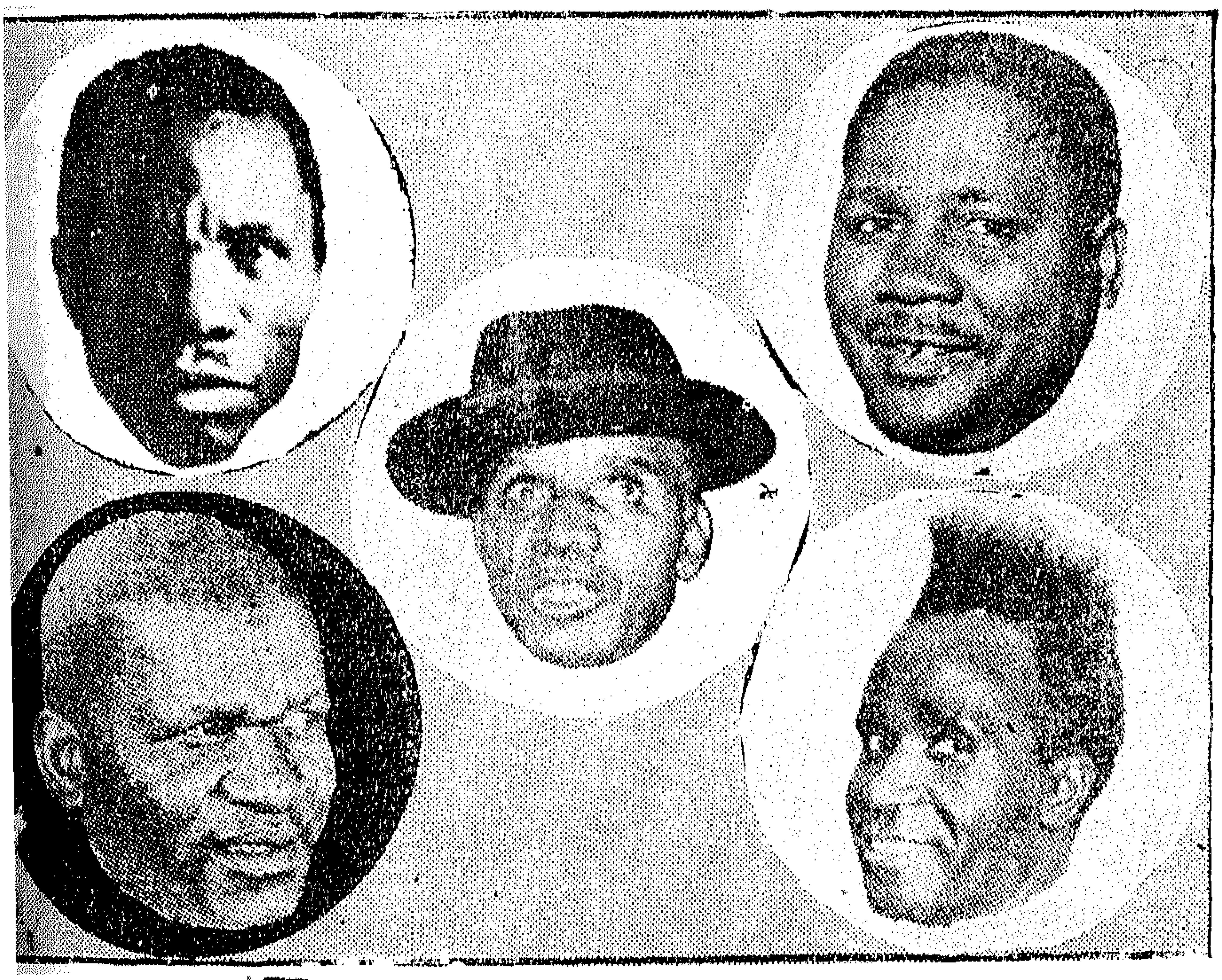
وبعثت الآنسة فاطمة سيد أحمد ارباب ، بجامعة القاهرة في الخرطوم رسالة جاء فيها : انها تريد الحصول على مجموعة كاملة من المجلة ، كما تريد الاشتراك بها . والمجلة تشكرها على رسالتها الرقيقة وتذكر انه توجد بالمكتبة القومية ٥ ميدان عرابى مجموعات كاملة من المجلة ، وانه للاشتراك في المجلة يرسل حوالة بريدية بمبلغ ٣٠ قرشا الى (دار أخبار اليوم) للتوزيع ٧ شارع الصحافة بالقاهرة .



((الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل بعض الزعماء الافريقيين))

ISSUE. 68 SIXTH YEAR July 1963 PRICE. 3 P.T.

RENAISSANCE OF Africa

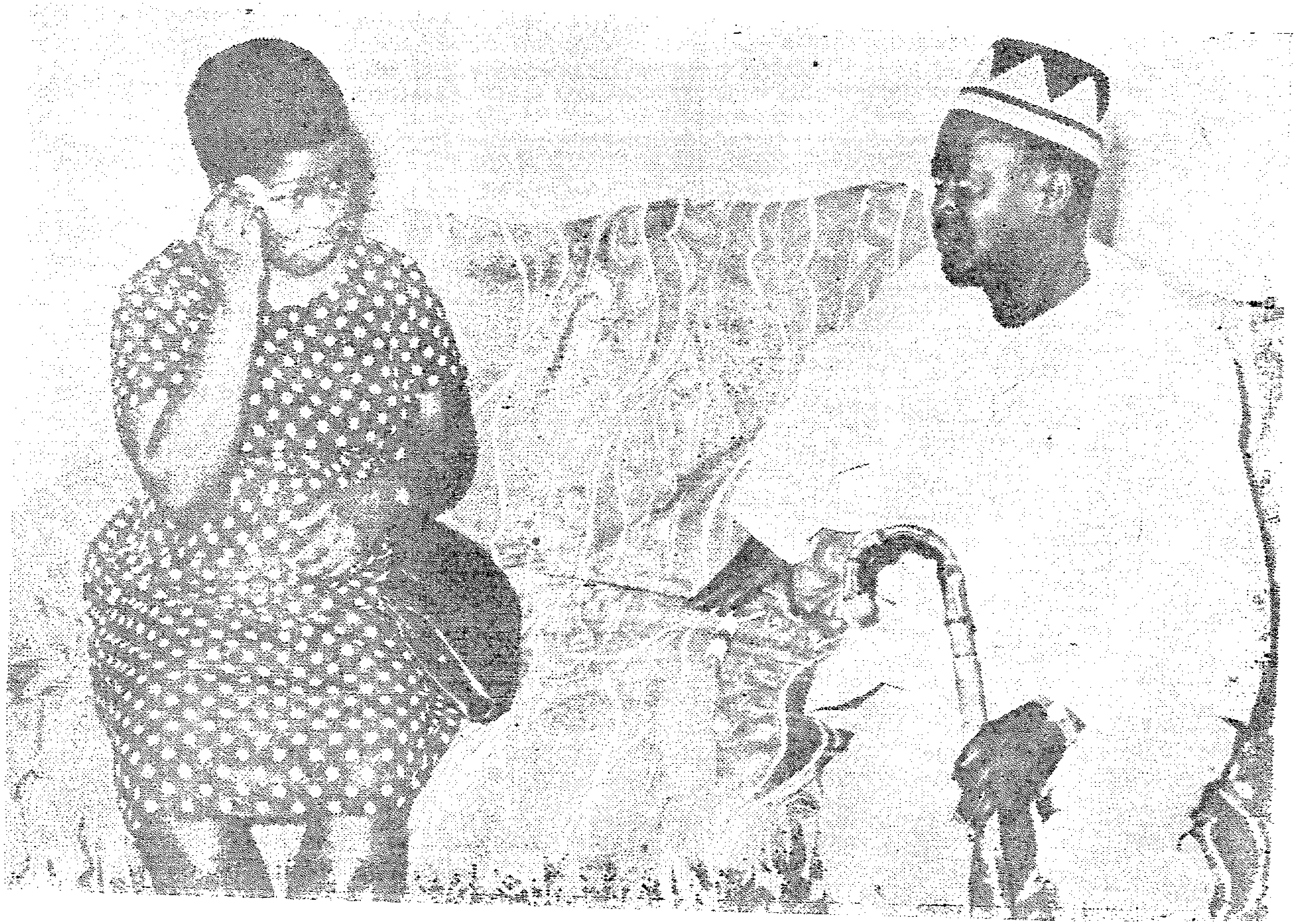


العدد ٦٩ السنة السادسة - اغسطس ١٩٦٣ - الثمن ٣ ق

نهضة افريقية



طبول فى زنجبار



« لقاء بين الزعيم اوجينجا آدونجا ومدام لومومبا فى القاهرة »

نهضـــــة افريقيــة

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

ترسل المراسلات باسم : السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
تليفون ٤٦٢٧٣
الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى : دار اخبار اليوم للتوزيع
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا : لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

نهضة إفريقية

مجلة شهرية للثقافة الافريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز اسحق

رأى..

اذا كانت افريقية فى الماضى تقف وحيدة حين تعرض احدى قضاياها على محفل دولى ، فانها الآن حين تعرض واحدة من هذه القضايا تجد من يساندها بفهم وعمق من كافة الدول فى العالم ، صحيح أن هناك من يتعثر ضميره ، ومن تتلعثم كلمة الحق على شفتيه ، ولكن لا يوجد أبدا من يستطيع ان يقول ان قضية من القضايا الانسانية ليست على غير حق .

ولقد كان قرار «مجلس الامن» الذى يقضى بامتناع الدول الاعضاء عن تلبية حكومة جنوب افريقية الى تزويدها بالاسلحة دليلا واضحا على هذا .

فقد وافق الجميع على المبدأ ، وامتنعت بريطانيا وفرنسا عن التصويت ، ووعدت امريكا بأنها لن تمدها بشىء من الاسلحة بعد انتهاء هذا العام .

ومعنى هذا مرة ثانية أن «الحق الانسانى» أصبح لايقابل «بالرفض» الذى كان يقابل به فى الماضى ، وانما أصبح يقابل بما يمكن أن يسمى «التردد» فى مساندة هذا الحق ، وهذا وحده دليل على ان الامور تأخذ خطوة جديدة على طريق الانسانية الطويل ، وأن الدول الكبيرة لاتستطيع عرقلة هذه الخطوة كما كانت تفعل فى الماضى ، وهذا وحده يبشر بفجر عظيم للانسانية .

عبده بدوى

فهرس العدد ٦٩

حديث الشهر

غيوم فى داكار
طبول فى زنجبار

بقلم المحرر الدبلوماسي

اجتمع منـــذ أيام فى ((**داكار**)) عاصمة الســـنغال ((**مجلس وزراء أفريقيا**)) ..

وهذه هيئة ((جديدة انبثقت عن مؤتمر القمة)) الافريقى والتقى شملها لاول مرة فى أكبر مدن الساحل الغربى واعرقها واكبرها مكانة فى عالم الفنون والآداب ..

لقد كانت ((داكـــار)) الى وقت قريب ، عاصمة ((افريقيا الغربية الفرنسية)) وفيها تمركزت قوة فرنسـا العســكرية والادارية والحضارية ، وقد بلغ من اهتمام فرنسا بـ ((داكار)) أنها وضعت خطة بـ ((فرنستها)) منذ أكثر من مائة عام ، اذ حاولت أن تجعل من أهلها الافريقيين امتدادا للشعب الفرنسى فيما وراء البحار ، ولم تكتف بأن تصـبغ المجتمع الافريقى ، ما استطاعت ، بصبغـة اللغة ، والذوق والتفكير ، والعادات الفرنسية بل انها اشركت اهل ((داكار)) منذ قرن كامل فى انتخابات البرلمان الفرنسى ، وكان لهذه المدينة ممثلون فى مجلس الشيوخ واصـبح منهم، بعد ذلك ،أعضــاء فى مجلس الوزراء الفرنسى ..

والآن وقد هبت ريح الاستقلال فزعزت من أركان الوجود الفرنسى فى ((داكار)) تبدو لاجتماع ((مجلس الوزراء الافريقى)) فى تلك المدينة دلالة ومغزى كبير ، اذ ان الاجتمـاع فى حد ذاته يمثل دخول القومية الافريقيـــة ــ ظافرة ــ الى ما كان يعتبر قلعة من قـلاع الاستعمار ..

ولقد كان امام المجلس جدول أعمال طويل مشحون بالمسائل التنظيمية والمالية والادارية والسياسية ، ولكن مسألتين بعينهما كانتــا تبرزان فى جدول الاعمال ..

أولاهما : قضية الصراع الدموى الجارى الآن فى ((غينيا البرتغالية)) على مقربة من السنغال .

وثانيهما : قضية ((المجموعــة الفرنسية)) المسماة بـ ((مجموعة برازآفيل)) والتى كانت تجمع الدول الافريقية المسـتقلة المنبثقـة عن ((المستعمرات الفرنسية)) ..

وقد حاول المؤتمر ــ جاهدا ــ ان يجمع شمل الهيئات الوطنية التى تمثـل شعب ((غينيا البرتغالية)) فى كفاحه المسلح ضـد البرتغال ، وتقرر أن تضـع دول ((منظمـة الوحدة الافريقية)) كل ثقلها فى جانب ((حزب الاستقلال)) ذلك الحزب الذى يمثل شعبـا صغيرا مجاهدا لا يزيد تعداده على ثلثمليون نسمة ، والذى استطاع فى اسابيع قليلة ان يزحزح جند البرتغال وان يجليهم عن مساحة تبلغ ربع أراضى البلاد ..

وفى المسألة الثانية ، قرر المؤتمر الا تقوم اية مجموعة من الدول الافريقية الا على اساس ميثاق الوحدة الافريقى ، وبهذا لا يمكن ان تنشأ مجموعات افريقية اقليمية تستمد عوامل وجودها من دول اجنبية ..

طبول فى زنجبار :

انجلى غبار المعركة الانتخابية العنيفة التى جرت فى زنجبار ، فى اوائل هذا الشهر ، عن فوز الحزب الوطنى وحلفائه بأغلبيـــة واضحة : ١٨ الى ١٣ ، بعد ان كان فى موقف المتعادل تقريبا ، فى الانتخـــابات الدموية الســـابقة التى جـــرت على ارض الجزيرة الجميلة منذ عامين ..

وقد كانت تلك الموجات المتواليـــة من الانتخابات ، احدى التعـــلات المألوفة من الاستعمار البريطانى لكسب الوقت وتفريق الصفوف واضعاف العزائم حتى يطيل بقاءه أطول وقت ممكن ، وحتى يترك البلاد — اذا تركهـــا — وفى اسوارها الســـياسية ثغرات يستطيع ان يعاود التسلل منها ..

فقد عبر شعب زنجبـــار ، منذ اعوام ، عن رغبته الجماعية فى التحرر من الحكـــم البريطانى ، وكان لزنجبـــــار وضع خاص بالنسبة لاقاليم المنطقة التى كانت مسماة « شرق أفريقيا البريطانيـــة » فانها — اى زنجبار — لم تكن مستعمرة ، ولم تكن احدى « ممتلكات التاج » وانما كانت « محمية » تربطها ببريطانيا « معاهدة » يفترض انهـــا تمت برضى الطرفين وانها يمكن ان تعدل ، أو تلغى ، اذا لم يتوافر لهـــا عنصر الرضى المتبادل ..

لم تكن بريطانيا تستطيع اذن ان تناقش «حق » زنجبار فى الاستقلال ، ولهذا فقـــد لجأت الى مناورات « التطور الدســـتورى » الذى يجب — فى نظـــرها — ان يســـبق الاستقلال ..

ولما أسرع زعماء زنجبار فى خطوات «التطور» المطلوب واثبتوا جدارتهم فى تسلم مقاليـــد بلادهم اصرت بريطانيا على اجراء «انتخابات خاصة » للتأكد من رغبـــة الشـــعب فى الاستقلال وجرت الانتخابات مرة ومرتين ، دون ان «تتأكد » الحـــكومة البريطانيـــة « تمـــاما » من حب الزنجباريين للحرية ورغبتهم فى الاستقلال ..

وفى خلال الانتخابات الماضية ، أوقـــد عملاء الاستعمار نار فتنة حامية فى الجزيرة الآمنة ، وعبرت من الشـــاطىء الافريقى المقابل للجزيرة أفواج من الدعاة المسلحين بالخناجر «وعربات الجيب»و«الميكروفونات» التى أخذت تنفث ســـموم دعـــوة عنصرية صليبية جامحة ..

وعلى ((جزيرة القرنفل))الزاهية الألوان كادت أن تنهزم المثل الافريقية العليا ، وعلى رأسها مبدأ ((الوحدة الافريقية)) ، فقد كان أساس دعوة الفتنة المســلحة ، أن ((الحـــزب الوطنى)) الذى يرأسه الزعيم ((على محسن)) يمثـــل ((العـــرب)) و ((المسلمين)) ، وأن هؤلاء العرب هم سلالة ((تجار الرقيق))الأقدمين الذين باعـوا أجـــداد الافريقيين الحاليين فى ((سوق النخاسة)) .!

ونسى دعاة الاستعمار ان اوهام الماضى لا يمكن ان تحكم الحاضر ، وان العرب اذا كانوا ، قد شاركوا منذ قرون ، فى تجـــارة الرقيق ، فلم يكن ذلك لاسباب « عنصرية » وانما كانت تلك التجارة احدى « علامات النصر » وكان الشريك الآخر فيها هم رؤساء القبائل الافريقية انفسهم وان العرب قـــد اثبتوا عدم عنصريتهم بامتزاجهم بالافريقيين حيثما وضعوا اقدامهم فى ارض القـــارة الافريقية ، وانهم قد اصبحوا ، بعـــد مضى آلاف السنين على هجرانهم الى شمال وشرق افريقيا ، افريقيين اصلاء ، واصبحت لغتهم أقدم لغة افريقية حية ، واصبح دينهم أكثر الاديان اتباعا بين الافريقيين ..

البقية ص ٩

أعمدة الاستعمار الثلاثة

في افريقية الجنوبية الغربية

للدكتور راشد البراوى

« ان افريقية الجنوبية الغربية على السنة الساسة ، وفى أيدى الفلاحين أصحاب المزارع ، وفى جيوب شركات التعدين والمال الكبرى » .

دوث فيرست

لماذا يعامل اتحاد جنوب افريقية المنطقة المجاورة له والمعروفة باسم افريقية الجنوبية الغربية ، كأنها جزء من أراضيه أو بالاحرى كأنها مستعمرة تابعة له مع أنه قانونا يتولى الادارة فيها بمقتضى صك الانتداب الذى أصدرته عصبة الامم فى ١٧ ديسمبر من عام ١٩٢٠ ؟ ولماذا يصر منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية على انكار اعتبارها اقليما يخضع لنظام الوصاية الدولية الذى أقامه ميثاق الامم المتحدة ، أسوة بما تم بالنسبة الى الاقاليم الاخرى التى كانت تدار وفقا لاسلوب الانتداب ؟ ولماذا يواصل تحدى المنظمة العالمية العالمية الى حد رفض السماح لبعثة منها بزيارة المنطقة واستقصاء أحوالها ؟ وما هى القوى الخفية التى تسانده فى موقف التعنت هذا ؟

أسئلة نلقى الجواب عليها فى الاوضاع الاقتصادية القائمة فى هذا الجزء من القارة الافريقية .

فى عام ١٩١٣ ، وفى ظل الاستعمار الالمانى ، كان عدد المستوطنين الاوروبيين فى افريقية الجنوبية الغربية ١٤٨٣٠ نسمة يملكون ١١٣٨ مزرعة تبلغ مساحتها الاجمالية ١١ر٤٩٠ر٠٠٠ هكتار . وحين بدأ الانتداب ألغت حكومة اتحاد

فى افريقية الجنوبية الغربية

جنوب افريقية ملكية شركات الامتياز ، وأعلنت أن جميع الاراضى غير الموزعة تعتبر من أراضى التاج « أى من ممتلكات الدولة » ، ثم شكلت لجنة لتوزيع المزارع المشار اليها على الفلاحين الجدد الذين كانت تقدم لهم كل ألوان المعونة فتقيم لهم السدود وتحفر الآبار وتمنحهم المال لشراء الماشية وأنواع الحيوان الاخرى . وتوقفت حركة الهجرة والاستيطان من جانب البيض خلال سنوات الازمة الاقتصادية العالمية « ١٩٣٠ — ٣٣ » ثم نشطت بعدها مباشرة وأخذت الاراضى الصالحة للاستيطان تنفد بسرعة . وابتداء من عام ١٩٤٦ استخدمت الحكومة سلطانها طبقا لقانون الاراضى للاستيلاء على الاراضى غير المستغلة وتوزيعها على القادمين الجدد . وكانت النتيجة أن ارتفع عدد البيض الذين يعملون فى الزراعة وتربية الحيوان الى ٧٢ر٠٠٠ فى عام ١٩٦٢ ، يملكون أرضا تعادل ٧٦ فى المائة من المساحة الكلية للاقليم . والجدول التالى يلقى أوضح

الضوء على تطورات هجرة الاوربيين «والكثيرون منهم من أبناء الاتحاد» وملكية الارض التى فى حوزتهم :

السنة	العدد
١٩١٣	١٤٨٣٠
١٩٣٥	١٣٨٠٠
١٩٥٥	٤٩٩٣٠
١٩٦٢	٧٢٠٠٠ تقريبا

وقدر ما استولى عليه المستعمرون من الارض منذ ختام الحرب العالمية الثانية بنحو عشرة ملايين هكتار . ويلاحظ ان هذه الاراضى هى أجود أجزاء البلاد من حيث التربة وامكانية توافر المياه السطحية والجوفية . والمساعدات التى تقدمها الحكومة لا تقف عند حد ، ففى نهاية عام ١٩٦١ كان المستوطنون مدينين لبنك الاراضى بنحو ٥ر١٠ مليون جنيه . وفى سنوات الجفاف كانت المساعدات أكثر سخاء ، ففى سنة ١٩٦٠ وحدها بلغت القروض المقدمة بسبب الجفاف الى ١٢٨٣ فلاحا ٧٥٠ر٩٦٠ جنيها ، بينما شطب البنك المتأخرات عن خمس سنوات . وجدير بالذكر أنه ليس للافريقيين أن يطلبوا المساعدة من بنك الاراضى وعليهم ان يتحملوا نتائج تقلبات الطبيعة ، فخلال الجفاف الذى أصاب البلاد فى عام ١٩٥٨/٥٩ نفقت بالمنطقة البوليسية ٥٠٠ر٠٠٠ من رؤوس الماشية ولم تمد الحكومة يد المعونة اطلاقا لأصحابها الافريقيين .

ان الحد المعروف باسم « الخط الاحمر » يقسم البلاد الى قسمين ، القسم الجنوبى ويطلق عليه اسم « المنطقة البوليسية » وهو المخصص للبيض ، أما القسم الشمالى ففيه يقيم الافريقيون ، وهذا الخط انما يفصل فى الواقع بين التقدم المرسوم فى الجنوب وبين الركود المتعمد فى الشمال .

والقسم الشمالى الأقصى يضم المناطق الافريقية الآتية :

(أ) كاوكوفلد Kaokoveld فى الغرب : وهى أرض جبلية جرداء ، يقل فيها السكان . وفى جنوبها يمارس الناس بعض الزراعة فى زسفونتاين Zesfontein ، حيث يأخذون الماء للرى من الآبار القليلة مرة كل أسبوع .

ب) أوفامبولاند Ovamboland فى الوسط ،

عدد المزارع	المساحة بالهكتار
١١٣٨	١١ر٤٩٠ر٠٠٠
٣٢٥٥	٢٥ر٤٦٧ر٦٢٨
٥٠٥٠	٣٧ر٨٦٨ر١٢٤
٥٥٠٠ تقريبا	٣٩ر٨١٢ر٠٠٠

وتضم حوالى نصف الافريقيين ، ويحدث فيها فيضان سنوى ، فيضان سنوى ، وهذه هى المنطقة الوحيدة التى تسود فيها الزراعة . ولكن حتى هنا نجد التربة عبارة عن طبقة رقيقة فوق رواسب ملحية بحيث يكاد الناس الا يحصلوا على عيش الكفاف .

(ج) أوكافانجو Okavango فى الشرق وتتركز معظم الاقامة على طول مجرى النهر .

(د) ممر كابريفى Caprivi فى أقصى الشمال .

وفى داخل المنطقة البوليسية « البيضاء » ١٧ معزلا مساحتها حوالى ٨ر٥ مليون هكتار ، يقيم فيها عدد من الافريقيين . وهذه المعازل فى مواضع متفرقة ، ومساحات كبيرة منها لا تصلح للسكنى وبالتالى لا تتوافر فيها مقومات البقاء ، ولذلك قدر ان المنطقة البوليسية كانت تضم ١٧١ر٧٨٧ من الافريقيين فى عام ١٩٥٢ منهم ٢٥ر٠٤٦ فقط فى هذه المعازل .

واكبر هذه المعازل يعرف باسم Epikuro وهو غير مسكون اطلاقا فى بعض أنحائه . وفى معزل أمينيوس Aminuis يؤخذ الماء من الآبار ولكنه غير كاف بسبب اطراد الزيادة فى الماشية ومعزل أوتجيتوتو Otjituto يكاد يخلو من السكان ، فوسطه ملىء بالكثبان الرملية المتنقلة ، والماء نادر الوجود ، والنبات قليل متفرق . ومعزل أوفيتوتو Ovitoto كله تلال ، بل وجبال فى بعض أجزائه ، والموارد المائية قليلة .

وكانت مساحة الاراضى المخصصة للافريقيين فى البلاد كلها ٨ر١١ مليون هكتار عند ابتداء الحرب العالمية الثانية ، يضاف اليها ٢ر٤ مليون هكتار مخصصة لتوسيعها . وفيما بين

١٩٤٦ ، ١٩٦٢ زادت المساحة الكلية لأراضى غير البيض من ١٥ مليون هكتار الى ٢١ مليون هكتار

والذى يلاحظ على الجهـــات المخصصة للافريقيين سواء الى الشمال من الخط الاحمر أو بالمعازل القائمة بالمنطقة البوليسية ، صغر مساحتها بالقياس الى عـدد السكان ، فهى كما قلنا حوالى ٢١ مليـون هكتار لنحـو ٤٢٨ر٠٠٠ افريقى ، بينما مساحة المزارع التى يملكها ٧٣ر٢٠٠ من البيض تقرب من ٣٩مليون هكتار . وليست العبرة بالمساحة فقط بل ان قسما كبيرا من الاراضى المخصصة لأبناء البلاد صحـراء أو تلال أو جبـال بحيث لا تصلح للسكنى ولا نقول الزراعة أو الرعى . وحتى حيث يمكن ممارسة الزراعة باستخدام الموارد المائية الجوفية نجد الأخيرة فى الغالب على عمق كبير بحيث لا تصلح للاستغلال سـواء لأغراض الزراعة أو الرعى . فمن ١٣ بئرا حفرت بالمعازل فى عام ١٩٥٥ مثلا لم يغل سوى ٦ منها ، ماء يصلح للاستغلال ، وكان متوسط عمق الآبار ٢٤٢ قدما . فاذا أضفنا الى هذا كله ان السلطات الاستعمارية الحاكمة لا تقدم أية مساعدات جدية ، أدركنا ان هدف سياسة اتحاد جنوب افريقيا هو ابقاء الافريقيين فى أدنى مراتب التطور ، وفى حالة من الفقر بحيث يضطر الكثيرون منهم الى العمل فى النشاطات الاقتصادية التى يقوم بها البيض . وهناك هيئات رسمية تقوم بتوريد العمال الى المزارع ومناطق التعدين .

وبالرغم من المساحة الضخمة التى تتمثل فى مناطق الزراعـة والرعى ، التى يملكها الاوربيون ، فالواقع أن التعدين يمثل ثروة البلاد الحقيقية . ففى عام ١٩٦١ وصل انتاج افريقيا الجنوبية الغربية من المعادن الى ٢٦ر٥ مليون جنيه ، منها ١٨ مليـون جنيـه قيمة المبيعات من الماس . وفيما بين عامى ١٩٤٤ ، ١٩٦٠ حصلت الخـزانة على ٤٥ مليـون جنيه من الشركة القائمة باستغلال الماس ، على هيئة ضريبة دخل وضريبة على أرباح الماس ورسم عن التصدير .

هذه الثروة الضخمة يحتكرها عـدد من الشركات الاجنبية العملاقة ، فى مقدمتها شركة مناجم الماس Consolidated Dlamond Mines of S.W.A. Ltd. التى تسيطر عليها شركة دى بيرس للمناجم وجزء من امبراطورية انجلو اميركان . وتقوم هذه الشركة باستخراج ٩٩ر٦ فى المائة من الماس فى الاقليم . ويبلغ رأسمالها ٥ر٢٤٠ر٠٠٠ جنيه ، وفى عام ١٩٦١ كان ربحها ١٥ر٥٥٣ر١٩٧ جنيه بينما ميزانية الاقليم كله ٨ر٠٩٧ر٧١٠ جنيـه . والبيـان التالى يلقى ضوءا واضحا على أرباح هذه الشركة الموزعة على المساهمين فى السنة .

السنة	الربح فى المائة
متوسط ١٩٥٢ ــ ٥٨	١٥٠
١٩٥٩	٢٠٠
١٩٦٠	٢٠٠

وهناك قواعد شـديدة تحكم الدخول الى منطقة الماس أو الخروج منها ، وأية مخالفة تعرض صاحبها للمحاكمة ، وتستخدم الشركة ٦٠٠ من البيض ، ٥٠٠٠ عامل أفريقى . ويقدر خبراء الشركة ان احتياطى البلاد من الماس لن يستمر لأكثر من ثلاثين عاما أخـرى ، ولهذا تكونت شركة الماس البحرى برأسمال قدره خمسة ملايين من الجنيهات لاستخراج الماس من قاع البحر ، واشتركت شركة أنجلو اميركان فيها ، كما يشترك فيها عـدد من الشركات وكبار أصحاب المال فى اتحاد جنوب افريقية .

ومن الشركات العملاقة العاملة فى حقل التعدين بالاقليم شركة مناجم تسومب Tsumeb Mines ى أسستها مجموعة من المصالح الامريكية على رأسها شركة نيومونت للتعدين وشركة كلايماكس الامريكية للمعادن، ولكل منهما حصة قدرها ٢٩ فى المائة من رأس تسومب ومن الشركات الجديدة نذكر :

١ ــ شركة بيت لحم للصلب الامريكية وقامت بالتنقيب عن البترول .

٢ ــ شركة ريو تينتو وهى بيت يشتغل فى ميادين التعدين والمال ، وتشترك مع رأس المال اليابانى فى مشروع لاستغلال النحاس فى أونجانيا

٣ ـ شركة ايتوشا للبترول Onganya وتقـــوم بالبحث عن البترول فى منطقـــة أوفامبولاند . Etosha Petroceum Company (U.S.A)

وهناك شركات كثيرة أخرى تشتغل بالتعدين وتمولهـــا رؤوس أموال من اتحـــاد جنوب افريقية .

هذه المؤسسات هى القوة الاساسية التى تســـاند اتحـــاد جنوب افريقيـــة فى سياسته الاستعمارية بالنسبة الى افريقيـــة الجنوبية الغربيـــة . ولقـــد تحدث نائب رئيس مجلس ادارة شركة نيومونت « وهى المســـاهمة فى شركة تسومب » فى اجتماع الجمعية العمومية لعام ١٩٦٢ ، فقال « اننا نعرف شعب وحكومة (اتحاد جنوب افريقية) ونحن ندعم معتقداتنا بسمعتنا ودولاراتنا » .

ويعتبر صيد الاسماك من ضروب النشاط الاقتصادى الرئيسية بالاقليم ، ويقدر أن انتاجه يعادل ٩٠ فى المائة من انتاج أفريقية الجنوبية الغربية واتحاد جنوب أفريقية . ويشتغل فى هـــذه الصناعة ٧٠٠ صياد ، أما فى مصانع تعبئة الاسماك المحفوظة فيشتغل ٢٦٠٠ شخص منهم ٢٠٠٠ عامل من منطقة أوفامبولاند .

وبخلاف عدد من شركات الصيد المستقلة فان معظم المشروعات القائمة بصيد الاسماك وحفظها وتعبئتها واستخراج زيوتها ، وهى صناعات آخذة فى التوسع السريع فى خليج وولفيس Walvis Bay . تسيطر عليها مؤسسة Federale Volk Sbeleggings التى لمديريها علاقات مع المؤسسة الحكومية التابعة لاتحاد جنوب أفريقية المشتغلة بصناعة الصلب ، وهذه الاخيرة تقوم باستخراج الصفيح من منجم فى بلدة أويس UIS القريبة من صحراء ناميب فى الاقليم .

ومن هذا كله نخلص الى نتيجة رئيسية وهى أن السياسة الاستعمارية التى ينتهجها اتحاد جنوب أفريقية فى هذا الاقليم تستند الى دعامات ثلاث هى الزراعة الاوربيـــة ، التعدين ، وصيد الاسماك . ان المصـــالح المسيطرة على هذه العناصر هى أعمـــدة الاستعمار الثلاثة فى أفريقيـــة الجنوبيـــة الغربية .

وما الذى عاد على أبناء البلاد الحقيقيين من هذه الثروات الكبيرة ؟ للاجـــابة على السؤال نورد طائفة من البيـــانات ، على سبيل التمثيل لا الحصر :

١ ـ زاد دخل الفرد من ٦ر٥٩ جنيه فى عام ١٩٥١ الى ٤ر٨٢ جنيه ســنة ١٩٥٦ ، ولكن بينما كان المتوسط فى داخل المنطقة البوليسية « حيث يقيم البيض » ١ر١٧٦ جنيه كان المتوسط فى خارجها ٥ر٨ ويشمل الدخل الناشىء عن العمل وقيمة الانتـــاج المحلى ، وهـذا أقـل مســتوى للدخـل فى القارة الافريقية بأسرها .

٢ ـ فيما بين عامى ١٩٢٠ ، ١٩٤٨ لم يتجاوز الانفاق من الايرادات العامة ، على الافريقيين ٧ فى المائة من مجموع الانفاق الحكومى وهبطت النسبة الى ٢ ونصف فى المائة خلال سنوات الازمة الاقتصادية العالمية سنة ١٩٣٠ـ ١٩٣٣ ومن هذا المبلغ الضئيل نســبة كبيرة للمصروفات الادارية « مرتبات الموظفين المدنيين وقوات البوليس الخ » .

٣ ـ وفى عامى ١٩٦١ ، ١٩٦٢ كان مجموع الانفاق على غير البيض ٠٠٠ر٤٣٠ر١ جنيه من ايرادات عامة تقدر بحوالى ١٧ ميونا من الجنيهات .

٤ ـ فى عام ١٩٤١ أدخلت ضريبة الدخل لاول مرة ، ولكن فئاتها منخفضة للغـــاية بحيث أن الاوربى الذى يبلغ دخله الشهرى ٣٥ جنيها لايؤدى هذه الضريبة . والمفروض ان هذه الضريبة يقع تحت عبئها الاوربيون وغيرهم من الاجناس الاخرى ، ومع ذلك لم يكن يدفعها من غير البيض سوى ٣٥ ـ ٤٠ شخصا معظمهم من الملونين « المولدين » الذين يشتغلون بالصـــيد فى وولفيس باى «!» ، وليس من دليل أبلغ من هذا على انحطاط مستوى معيشة الافريقيين .

٥ ــ ومما يزيد من شقاء ابناء البــلاد الضرائب المفروضة عليهم . ففي الجزء الشمالي من البلاد تفرض ضريبــة اجبارية على الذكور « اذا تجاوزوا سن الثامنة عشرة » وتتراوح بين عشرة شلنات وجنيه في السنة ، بغض النظر عن الدخل . وتتفاوت رســوم الرعي « التي ضوعفت في عام ١٩٥٤ » من معزل الى آخر ، ولكن المتوسط عبارة عن ٦ بنسات لكل رأس من الماشية والخيول ، ٢ بنس لكل خمس من رءوس الاغنام .

٦ ــ وفي عام ٥٩/١٩٥٨ كان مجمــوع الانفاق على التعليم ١ر٣٧٢ر٩٨٢ جنيه موزع كالاتي :

جنيــــه	
٥٨٥ر١٢١ر١	على البيض
٢١٦ر٣٥٨	على الملونين والافريقيــين في داخل المنطقة البوليسية
٣٥ر٠٣٩	على الافريقيين
١ر٣٧٢ر٩٨٢	الجملة

أما مقدار ما يتكلفه تعليم التلميذ الواحد فيتبين من الارقام العجيبة الاتية « عن سنة ١٩٥٨ ــ ٥٩ » :

المدارس الحكومية البيضاء ٤٢ ج و١٩ شلن « بخلاف مصاريف الاقامة » .

مدارس الملونين ٢٤ ج و١٩ شلن و٣ بنس

مدارس الافريقيين « خــارج المنطقــة البوليسية » ١ ج و١٦ شلن و٢ بنس :

معنى هذا ان الحكومة تنفق على الطفل الابيض ٤٣ جنيهــا في السـنة « للتعليم فقط » وتنفق على التلميذ الافريقي أقل من جنيهين !

هذه الاوضاع الشاذة لخصــها تقرير في عام ١٩٥٧ أعدته لجنة افريقية الجنوبيــة الغربية التابعة للامم المتحدة ، اذ يقــول « والصناعات التي تسهم في الرخاء النسبي للاقليم عبارة عن مشروعات يملــكها ويديرها الاوربيون ، ويقتصر فيها دور الوطنيين على العمل غير الحاذق . والجــزء الاكبــر من الشعب الافريقي يعيش على زراعة ما يقيم أوده وعلى رعي الحيوان ، بعيدا عن المناطق الرئيسية التي بها التقــدم الاقتصــادي الحديث .. ان الدور الاساسي الذي يضطلع به الشعب الافريقي كما حددته سياســة الحكومة وطريقتها ، هو توفير الايدي العاملة التي بدونها لايستطيع الاقتصــادي الاوربي أن يعيش على الاطلاق » .

« دكتور راشد البراوي »

بقية حديث الشهر

لقد هزمت هذه الدعوة الحاقدة في فترة النهضة الافريقية الحديثة مرتين ..

مرة في مؤتمر اكرا الاول للشعوب الافريقية عام ١٩٥٨ حينما أقر ممثلوا الشعوب المجاهدة مبدأ « الوحدة الافريقية » وقضوا بذلك على فكرة « افريقيــا العرب » و « افريقيــا الزنوج » ..

ومرة أخرى ، وأخيرة ان شاء الله على أرض زنجبار الزاهرة التي كانت على مر القرون شعلة أضاءت ساحل افريقيا الشرقي ونفذت منه لضيائها الى هضاب الكونغو وبحيرات « نياسالاند »

الخريطة السياسية لافريقية الجديدة

للدكتور جمال حمدان

« لقد امتلأت القارة بالدول الاصطناعية »

.. حقيقة سياسية اعلنها صريحة زعماء مؤتمر دول الدار البيضاء منذ سنوات قليلة ولا تزال صادقة حتى الان ، ولا يملك العالم الباحث الا أن يؤكدها بكل قوة وموضوعية. فالناظر الى خريطة أفريقيا السياسية لاشك واجد ألوانا من النقائض السياسية والنقائص الجيوبوليتكية ، قل أن اجتمعت فى قارة أخرى.

فثمة يطالعنا التعدد المركب المربك فى الوحدات السياسية ، ثم تعقدها وتداخلها . اما ضآلة أحجام سكانها فى أغلب الاحيان فلا يناظره - ولا يضاعف منه - الا ضخامة المردة فى المساحة والرقعة . وعدا هذه المفارقات الحجمية ، فثمة متناقضة الوحدات الداخلية وشبه الداخلية التى تتبلور فى قارتنا كما لا تتبلور فى قارة سواها . وعدا هذا وذاك فثمة سلسلة كاملة من الجيوب والاسافين الميكروسكوبية ترصع أطراف القارة وتمثل متحفا فريدا من « الحفريات » والعجائب السياسية . كل اولئك فى غير ما منطق جغرافى مفهوم أو مقنع . ولهذا اذا كان لنا أن نستبق نتائج البحث ، فاننا لن نغالى اذ دمغنا افريقيا - كما هى وكما فرض عليها - بأنها **« قارة الشذوذ السياسى »** . ولسنا بحاجة الى أن نقول ان هذا العالم الجديد الطافر لايمكن أن يمضى طويلا أو بعيدا بهذه الصورة السياسية المهلهلة المتهالكة .

وما أحسبنى بحاجة كذلك الى ان أضيف أن كل تشريح وتجريح يوجه الى النمط السياسى الراهن ليس موجها الى الدول الافريقية البريئة وانما الى مهندس

ذلك النمط الخبيث وصانعه وهو الاستعمار الطريد . واذا كان ثمة نقد أو عتاب يوجه الى الدول الافريقيسة بعد ذلك فهسو أن بعضها - ولا نقول كلها - يبدو كما لو قد تقبل تركة الاستعمار لا كارث مزيف فاسد وانما كتراث مرموق . ولكن الحديث عن اعادة التخطيط السياسى للقسارة واعادة تشكيل هيكلها الجيوبولتيكى موضوع اخر .

وانما نقصر دراستنا هاهنا على تحليل وتشريح موضوعى للاندسكيب السياسى لنحدد مواطن القوة «؟» والضعف فيه ، ما كان منها وما يمكن أن يكون ، أى سنقتصر على التقييم دون التقويم . وفى حدود هذا الاطار سنعالج ثلاثة عناصر أولية هى أولا الهيكل السياسى كما يتحدد بملامح الشكل من ترتيب وامتداد ، ثم ثانيا الموقع السياسى كما يتمثل فى الدول الداخلية من ناحيسة والجيوب الساحلية من ناحيسة أخرى ، وثالثا وأخيرا سنعالج أهم جوانب حجسم السكان والمساحة من الوجهة السياسية .

وسنجتزىء فى هذا المقال على موضوع الشكل السياسى والدول الداخلية ، على أن نعود الى العناصر الباقية فى فرصة أخرى .

الشكل السياسى

لعل من أبرز الملامح فى الخريطةالسياسية لافريقيا تشكلها بشكل القارة العسام . وهذا الشكل بسيط فى خطوطه العريضة ، نظرا لانها كتلة واحدة تبدو كجذع يخلو من الزوائد والاطراف ، وتأخذ بوضوح صورة ثمرة كمثرى معوجة أو زاوية قائمة متجانسة العرض الى حد بعيد فيما عسدا فى أقصى الجنوب . فأما الضلع العرضى شسمال خط الاستواء فينتهى غربا بالانبعاج الافريقى الشهير بينما يمتد ضلعها الطولى جنسوب الاستواء كمثلث شبه قارى ، وقد انعكست هسذه الخطة الطبيعية العامة فى أشسكال الوحدات السياسية للقسارة من ناحيتين : الترتب والامتداد .

أو صفحة الاقليم سواء طبيعيا أم حضاريا أم سياسيا .

الترتيب

فمن حيث الترتيب يمكن أن نرى ان هسذه الزاوية القسائمة القارية تنتظم دائمسا فى جميع أجزائهسا **ثلاثة صسفوف** متوازية من الوحدات السسياسية تتمشى مع محورها العام . فهناك باستمرار ثلاثة خطوط من الوحدات تحدد الهيكل السياسى للقارة : **خطان ساحليان يتوسطهما خسط داخلى .** فيبدأ الخط الساحلى الاول بوحدات اقليم المغرب وليبيا ثم الجمهورية العربيةالمتحدة ، ثم ينثنى مع محور الزاوية القائمة ليشمل السودان واثوبيا والصومال وكينياوتنجانيقا وموزمبيق وأخيرا اتحاد جنوب افريقيسا . أما الخط الساحلى الاخر فيبدأ بموريتانيا ثم يشمل وحدات غرب افريقيا ابتسداء من السنغال حتى نيجيريا ، وبعدها ينثنى شاملا الكاميرون والجابون فانجولا فجنوب غسرب افريقيا ، وبعدها يندمج مع الخط الاول فى اتحاد جنوب افريقيا . أما الخط الداخلى الاوسط فيرسم أيضا زاوية قائمسة الا أنه متقطع نوعا ، فهو يبدأ من مالى وفولتا العليا والنيجر وتشاد ثم هو ينحنى شاملا افريقيا الوسطى وأوغندة والروديسيتين وبتشوانالاند ولقد يرى البعض أن الكونغو أدخل فى الصف الداخلى منه فى الصف الساحلى ، أو أنه يجمع بين الاثنين .

هذا اذن هو النمط : محسسدد واضح . وليس هناك ما يفسر هسذه الرتابة التى تنتضد فيها تلك الخطوط المتوازية الثلاثة سوى الايحاء التلقائى لشكل كتلة القارة . ذلك أن شدة عرض القارةوصعوبة اختراقها جعل كل حركات التقسيم السياسى تبدأ من السواحل من جميع الجهات وتسسعى الى الداخل دون أن تستطيع التوغل الذى يصل بها الى الساحل المقابل - باستثناء اتحاد جنوب افريقيا حيث تدق القارة نسبيا . ومن هنا كان شكل القارة ضابطا رئيسيا فى تشكيل تقسيمها السياسى .

الامتداد

أما من حيث امتدادات الوحدات السياسية فى القارة فهى متأثرة تماما فى محاورها بشكلها وامتدادها العام . ففى المثلث الجنوبى وفى القطاع الشرقى من النصف الشمالى من القارة تجنح الوحدات السياسية بقوة الى أن تأخذ محورا طوليا أى أن يكون محورها الشمالى – الجنوبى اطول من محورها الشرقى – الغربى . هذا واضح بدرجات متفاوتات فى السودان واثيوبيا والصومال وكينيا واوغندةوتنجانيقا وموزمبق وحتى فى اتحاد جنوب أفريقيا ، كما يتضح فى الكنغو « ليوبولدفيل » وروديسيا الشمالية وجنوب غرب افريقيا . ولا شك أن اتخاذ خطوط التضاريس الكبرى فى هذا الجزء من القارة لمحاور طولية أيضا قد أكد أثر محور امتداد القارة هنا على محاور امتداد الوحدات السياسية . ذلك أمر واضح خاصة فى خط الوحدات الساحلية الممتد من الصومال حتى موزمبيق ، ففيه تستطيل الوحدات تماما – أحيانا تصبح شريحية بحتة – لانحصارها بين الساحل وبين خط المرتفعات الاخدودية والشرقية اللذين يتقاربان بشدة .

هذا بينما فى الجزء الاكبر من النصف الشمالى المستعرض من القارة نجد محاور الوحدات السياسية تميل فى أغلبها الى الاستعراض : ليبيا ، النيجر ، افريقيا الوسطى ، مالى ، فولتا ، غينيا . ولكن سيلاحظ أن أغلب وحدات ساحل غانة لها حكمها الخاص لان كثيرا منها دول شريحية تتعامد على الساحل وبخاصة داهومى ، توجو ، غانا . وفيما عدا هذا الاستثناء ، فسنجد أن التشكل العرضى للوحدات فى منطقة الانبعاج الافريقى قد تأثر أيضا بامتدادات النطاقات المناخية – النباتية التى تتبع خطوط العرض . فهذه النطاقات هى التى تحدد مسالك الحركة الكبرى عبر القارة وتؤشر الى اتجاهات التوسع السياسى ، وأبرز ما يتضح هذا الدور فى نطاق السفانا – الساحل وفى علاقته بوحدات الامبراطورية الفرنسية العسكرية فى الصحراء الكبرى سابقا .

الشكل والاساس الطبيعى للدولة :

وليس لامتداد محور الدولة أهمية شكلية فحسب ، بل ان له مغزاه العمرانى الوظيفى وبالتالى الاقتصادى والسياسى . ففى الجزء الاكبر من « أفريقيا العليا » حيث نواة القارة تترامى من الشمال الى الجنوب يصبح خط الكنفور ضابطا طبيعيا لا يقل أهمية فى تحديد الحياة المناخية والنباتية عن خط العرض .

أى أن التباين الجغرافى – الذى يؤدى بطبيعته الى اثراء التنوع فى الموارد ويمثل رصيدا سياسيا هاما للدولة – يتم على المحورين العرضى والطولى . ولما كانت معظم الوحدات السياسية هنا طولية الامتداد فان امكانيات التنوع تتضاعف ، الا حيث لاتترامى الوحدة عبر خطوط التضاريس وتتعامد عليه بالقدر الكافى مثل موزمبيق ، والا حيث يتصادف الامتداد على قطاع صحراوى جاف كما فى الصومال وبتشوانالاند وجنوب غرب افريقيا فتكون النتيجة وحدة سياسية بلا معمور أى وحدات سياسية « لافقرية » من « دول الصحراء » .

أما فى القطاع العرضى شمال الصحراء (افريقيا السفلى) وخارج ساحل غانا حيث كثير من الدول عرضية الامتداد فالسطح سهلى عامة ولهذا تختفى أهمية الكنتور ويصبح خط العرض هو الضابط الاول للاساس الطبيعى للدولة . بمعنى آخر يصبح للاستطالة قيمة مضاعفة ، أما الاستعراض فيوسع الرقعة دون جدوى اقتصادية بالضرورة وكل ما يعنيه ان هو الا مزيد من الاعباء السياسية المترتبة على المساحة الضخمة ، وتتأزم الصورة أكثر حين تقع الدولة العرضية أو أغلبها على أفقر العروض مناخيا اذ تصبح الرقعة الكبرى منها صحراوية . ذلك وضع النيجر ومالى وموريتانيا بصفة خاصة ، وكذلك ليبيا الى حد بعيد . أما فى غرب افريقيا (ساحل غانة) فلعل هنا أسعد الدول حظا من هذه

الناحية ، لان أغلب وحداتها شرائح طولية تقطع عبر النطاقات الطبيعية ، وكلما طالت الوحدة كلما كان هذا أفضل — مثل نيجيريا وغانا وداهومى وتوجو .

الشكل والتماسك السياسى

بعض الوحدات الافريقية — لحسن الحظ قلة — تمتاز من حيث الشكل بالشذوذ وعدم الانتظام الهندسى الذى لايجعلها كتلة ملمومة وجسما ضاما متماسكا خاليا من البروزات والزوائد أو النواقص ، وبهذا تتعقد مشكلات الحركة والمواصلات وكثافة الترابط وتواتره وكذلك فى الدفاع والامن القومى . ومن الامثلة مالى التى تحقق تقريبا شكل رباط رقبة السهرة وبذلك تختنق فى الوسط الى « خاصرة » أو عنق زجاجة يكاد يترك على الجانبين كتلتين شبه منفصلتين يسهل قطعهما نظريا عن بعضهما البعض من الخارج من أى من فولتا العليا أو موريتانيا . وبالمثل الصومال التى ترسم شكل حرف « سبعة » الافرنجى ، فهى مفرطة الطول شديدة الضيق بحيث أن المسافة بين أقصى الشمال قرب الصومال الفرنسى واقصى الجنوب قرب مقديشيو لفة مفرطة فى التباعد مما يضعف التواتر والتماسك الداخلى ، كما ان مثلث هرر وأوجان من اثيوبيا يتعمق فى زاوية الصومال كأسفين يمكن منه بسهولة شطر الصومال الى شطرين والمروق الى البحر .

ولكن الاطراف والاسافين الارضية هى صفة النصف الجنوبى لا الشمالى من القارة خاصة . فتبدو الخريطة هنا معقدة بعدد كبير من الزوائد والتغضنات — بينما ان اطار شبه القارة نفسها خطى صقيل بلا تعرجات هامة . فتكرر روديسيا الشمالية صورة مالى على تصغير : فلها خاصرة تفصلها الى كتلتين يسهل شطرهما بدق أسفين من نتوء كاتنجا شمالا أو لسان غرب موزمبيق شرقا . وموزمبيق هى الاخرى لها طول ولكن ليس لها عرض فهى عظيمة الامتداد طوليا ولكنها ضيقة فى أغلبها وتدق عند خليج سوفالا الى خاصرة يمكن شطرها عندها بسهولة من ناحية روديسيا الجنوبية . كما ان هذا ممكن من ناحية نياسالاند . وهذه بدورها ليست الا اسفينا فى موزمبيق . مجموعة شكل زهرة ذات ثلاثة أوراق ، ولهذا فهناك فجوات من السنة أجنبية تفصل بين فصوصها الثلاثة وتعقد الاتصال بينها ، حتى ان الفصل الشرقى من روديسيا الشمالية مهمل نسبيا ولم ينم التنمية الكافية ، وتقل الطرق التى تربطه ببقية الاتحاد . وفى اتحاد جنوب افريقيا تمتد نصف دائرة الترنسفال امتدادا بعيدا عن صلب الدولة بحيث يصعب خدمة أطرافها الشمالية جيدا حتى انها تقع فى منطقة نفوذ لورنس ماركيز تجاريا . كذلك يمتاز الاتحاد بأسفين ناتىء محصور بين بتشوانالاند وجنوب غرب افريقيا . وجنوب غرب افريقيا بدورها تمتاز — رغم جسمها المندمج — بزائدة اصبح كبريفى ، الذى هو اسفين كالجسر خطط خصيصا ليوصلها الى الزمبيزى . وليس ادل على صعوبة ضبط هذا الاسفين المتطرف من انه ، تصحيحا لشذوذه ، بحكم الجزء الاكبر منه من بتشوانالاند . وهنا لا بد ان تلاحظ ذلك التناقض الغريب بين لسان يقتطع ليؤدى بوحدة سياسية بعيدة الى نهر : جنوب غرب افريقيا والزمبيزى ، وبين وحدة سياسية اخرى توازى نهرا طويلا ويقترب منه اقترابا دون ان توصل اليه : الفولتا العليا ونهر النيجر .. هذا وتمتاز الكونغو فى اهم قطاعين بها بأسافين خطيرة أ تنوء كاتنجا التى هى مغروسة غرسا فى روديسيا الشمالية ، ثم مخرج الكونغو على النهر . كذلك تكثر البروزات والتعقيدات فى الحدود المشتركة بين تشاد ، والكاميرون والكونغو (برازافيل) والجابون . وهذا يترك الرقع السياسية واشكال الدول فى كوع القارة أبعد ماتكون عن المثالية أو الكفاءة .

الشكل والحدود

من نتائج عدم الانتظام فى اشكال الدول الافريقية فرط طول حدودها السياسية . فحتى قبل التعديلات السياسية الواسعة

فى القارة أخيرا ، كانت افريقيا تمتاز بأنهـا **أولى القارات من حيث أطوال الحدود السياسية** (البريـة) . فيعطى بوجـز ، لحـــدود الافريقيـة (باســتثناء مدغشـقر والحدود بين اتحاد جنوب افريقيا وما يتاخمها من الممتلكات البريطانية) ١١٣ر٢٦ ميلا ، بينمـا ليس لآسيا الا ١١٣ر٢٦ ميلا رغم ان مساحتها تبلغ نحو مرة ونصف مرة مساحة افريقيا. وتكاد حدود افريقيا تعادل كل حدود العالم الجديد (امريكا الشمالية ٤٣٣ر١١+أمريكا الجنوبية ٩٦١ر١٨ = ٣٩٤ر٣٠) أو ضمن حدود أوربا أكثر القارات تجزئة (٨٤٦ر١٤ ميلا) . ولا شك ان التعديلات السياسية الاخيرة قد أضافت بضعة آلاف من الاميـال الى أطوال الحدود فى افريقيا . واذا نحن نسبنا طول الحدود الارضـية للقارات الى مسـاحاتها لوجدنا ميلا واحدا لكل ٢٥٤ ميلا مربعا فى أوربا ، مقابل ٣٧٢ فى أمريكا الجنوبية ٤٠٩ فى افريقيا ، ٦٣١ فى آسـيا ، ٨١٩ فى امريكـا الشمالية . أى أن افريقيـا من **القارات الاكثر تجزئة بالنسبة لمساحتها .**

ومشكلات طول الحـــدود مشكلات معروفة اهمها مشكلة الدفاع أولا ومشكلة الاحتـكاك السياسى العام ثانيا . ولكن لحسن الحـظ يخفف من هذه الاحتمالات عامل الكثافة . فكما يلاحظ بوجز ، ليس لاطوال الحـدود المطلقة مغزى كبير الا اذا نسبت الى المساحة والسكان معا . وهو لهذا يضع مقياسا عدديا لعامل الاحتكاك السـياسى للحـدود وذلك بضرب نسبة أطوال الحدود الى المساحة فى كثافة السكان فى الميل المربع . فنـجد ان المقياس يصل الى ١٤٠٠ فى أوربا غرب الاتحاد السوفيتى ، والى ١٩٠ فى اسيا عدا الفلبين، مقابل ٣٣ فى أمريكا الجنوبية ، ٣٠ فى افريقيا عدا مدغشقر وحدود اتحاد جنوب افريقيا. ومع ذلك فمشكلات الحدود السياسية بدأت تتضح فى افريقيا خاصة بعد حركات الاستقلال وستزيد لاشك فى المستقبل ، لاسيما ان شدة تجزئة القارة وشدة تداخل حـدودها وكثرة الدول الداخلية أدى الى تعدد الجيران تعددا ماحوظا فى كثير من الحالات . فأغلب الوحدات الافريقية لايقل عدد جيرانها المشتركة معهـا فى حدود أرضية عن ٥ أو ٦ ، تزيد فى حالات الدول الضخمة شبه الداخلية فتصل الى ٨ فى حالة السـودان ، فى حالة الكونغو .

الموقع السياسى :

الدول الداخلية والجيوب الساحلية

رغم مساحة ضخمة تبلغ ٧ر١١ مليـــون ميل ، فان مجموع اطوال ســواحل افريقيا لا يعدو ٩٠٠ر١٦ ميل . ومعنى هذا نســبة لا تزيد عن ميل ساحلى واحد لكل ٧٠٠ ميل مربع من المساحة ، مقابل ١ : ١٧٥ لاوربا ، ١ : ٤٩٠ لآسيا . هكذا بين القارات تمتاز افريقيا (أم نقول تصاب ؟) بأقصر ساحل بالنسـبة لمساحتها . والواقع ان افريقيـا تبلغ ثلاثة أمثال أوربا مساحة ولكنها لاتملك الا نصف ساحل أوربا ، فأفريقيـا اذن هى بالضرورة القارة الكتلة The bloc - Con Tinent جذع بلا أطراف alimbless torso وهى بهذا تمثل مع أوربا طرفى النقيض بين قارات العالم من حيث درجـــة القـارية . **فاذا كانت أوربا « شـبه جزيرة من أشـباه الجزر » ، فان افريقيـا « شبه جزيرة بلا أشباه جزر »** . بل حتى جزيرتها الوحيدة الكبيرة مدغشقر كتلة رصيفة ضخمة شبه قارية حتى لتسمى أحيـانا « قارة المحيط الهندى » !

وليس من الصعب أن نتتبع النتائج والمغزى السياسى لهذه الطبيعة القارية المتطرفة ، فأغلب الدول الافريقية الساحلية لايمكن أن تتمتع بجبهات ساحلية كافية . فليس لدولة سـاحلية على القـارة — أى باسـتثناء مدغشقر — أكثر من جبهة بحرية الا فى أربع حالات : مصر ، المغرب ، اتحاد جنوب افريقيا ، الصومال . ومما له مغزاه الواضح أن أغلب الدول الافريقية التى لها سواحل بحـرية تبدأ ضيقة المساحة على الساحل وتتسع باطراد وتنفرج كثيرا كلما توغلت فى الداخل. ونسب الساحل الى المســاحة فى الوحدات الساحلية منخفضة جدا فى أغلب الحالات كما فى الســودان والكونغو « برازافيل » والكاميرون ، ولكن القمة لا شك هى الكونغو « ليوبولدفيل » . فهنا مساحة نحو مليون

ميل٢ « ٩٠٥ ألف ميل٢ » ليس لها الا ٣٠ ميلا على الساحل ، فالشكل من ثم جسم مربع ضخم ينتهى غربا برقبة مختنقة فاقدة للرأس فى النهاية . هنا اذن « **دولة بوتلدية** » ـ « دولة ممر » بكل معنى الكلمة ، توشك أن تكون شبه داخلية . وفى خروج جانب كبير من صادرات كاتنجا المعدنية عن طريق انجولا دليل على أن ثمة ظهيرا مبتسورا عن مخرجه الطبيعى . على أن الجبهات الساحلية الحقيقية للدول الافريقية أقل مما يبدو رقميا من مقاييس القارية « الخام » . فأغلب قطاعات الساحل اما صحارى قاحلة كمصر وليبيا وموريتانيا وجنوب غرب افريقيا والصومال والى حد ما الساحل الاريترى ، واما مناقعية غابية طاردة كما فى كثير من وحدات غرب أفريقيا والساحل الشرقى . باختصار **ان بداخل المنزل الافريقى عديدا من الحجرات تتقاسم قليلا جدا من النوافذ ...**

الدول الداخلية

على أن أشد خطورة من هذه الوحدات الساحلية تلك الدول الداخلية التى تبرز لصورة محة خطيرة فى التركيب السياسى للقارة . ولقد تطورت هذه الظاهرة أخيرا . فبعد أن كانت اثيوبيا دولة داخلية ـ وان يكون ، تناقضا ، على قرب شديد من البحر فى بعض النقط ـ أصبحت ذات جبهة ساحلية كبيرة بضم ارتريا فى ١٩٥٢ .

والواقع أن أثيوبيا عاشت تحتل « برج المراقبة » على مدخل وبوابة رئيسية للقارة ، تكاد ترى البحر الاحمر من فوق قلعتها ومع ذلك تغلبت علة القلعة الجبلية على الموقع المدخلى والجاذبية البحرية . وعلى العكس من ذلك ، بعد أن كانت كل من أفريقيا الاستوائية الفرنسية وأفريقيا الغربية الفرنسية وحدات تنتهى الى البحر ، أدى تقسيم كل منهما الى مجموعة من الجمهوريات الجديدة الى خلق عدد كبير من الدول الداخلية . هذه تشمل جمهوريات مالى ، النيجر ، الفولتا العليا ، تشاد ، افريقيا الوسطى . فاذا أضفنا الى هذه الوحدات الداخلية القائمة من قبل وكانت أو ما زالت فى النطاق البريطانى وهى أوغندة والروديسيتان ونياسالند وكل وحدات « جنوب افريقيا البريطانية » أى بتشوانالند وسوازى لند وباسوتولند ، ثم أردفنا هذا كله بروانذا وبوروندى اللتين كانتا خاضعتين لبلجيكا ، لوجدنا المجموع ١٢ وحدة سياسية داخلية فى القارة . وهذا من ٥٠ وحدة حالية تتقاسم القارة يعنى أن نحوا من ربع الوحدات دول حبيسة . ومجموع مساحة هذه الوحدات ٢٫٧٧٧٫٠٠٠ ميلا مربعا ، أى أقل قليلا من مساحة الولايات المتحدة أو نحو ٢٤٫١٪ من كل مساحة افريقيا . اما مجموع سكانها فيصل الى ٣٠٫٩٧٣٫٠٠٠ « قل ٣١ مليونا » أو نحو ١٤ ٪ من مجموع القارة .

وهنا لابد أن نقارن بالقارات الاخرى . فبصرف النظر عن ٥ جيوب داخلية أو ساحلية ، نجد ٤ دول داخلية فى أوربا . أما آسيا ، فعدا الجيوب الداخلية القليلة ، فبها ٥ دول داخلية . ولا تملك امريكا الجنوبية الا دولتين داخليتين . أى ان عدد الدول الداخلية فى العالم عدا أفريقيا هو ١١ دولة . أى ان افريقيا وحدها مصابة فى نسيجها الجيوبولتيكى بعدد من الدول الداخلية قدر ما فى بقية العالم أجمع وزيادة ! فهى بلا نزاع **قارة الدول الداخلية . انها ليست فقط قارة التصريف الهيدرولوجى الداخلى ، وانما هى أيضا قارة الصرف السياسى الداخلى** . وسيلاحظ ان مجموع هذه الدول الداخلية يؤلف نطاقا شبه متصل على شكل زاوية قائمة يتوسط القارة ـ كما سبق ـ فاصلا بين صفى الدول الساحلية شرقا وغربا . وفى أغلبها تتفق هذه الوحدات خاصة فى الشمال مع مناطق الصرف الطبيعى الداخلى فى القارة . ومن السخرية حقا أن معظم ممتلكات بريطانيا سابقا فى المثلث الجنوبى كانت وحدات داخلية : يعنى « امبراطورية داخلية » لقوة البحر التقليدية الكبرى فى العالم ! ولا شك ان ضخامة حجم القارة وأبعادها مسؤولة جزئيا عن ظاهرة تفشى الدول الداخلية بها ، كما أن خلو

سواحلها من التعرجات الكبرى والبحار الداخلية عامل آخر . ولكن آسيا أعظم مساحة بكثير وليست شديدة التعرج بوجه خاص ، وانما وحداتها السياسية كبيرة الحجم عادة بدرجة تحاشت كثرة البقايا الداخلية ، فالتمزيق السياسي الشديد اذن هو العامل الاول في افريقيا — وقد رأينا كيف أن تفتيت الامبراطورية الفرنسية السابقة هو الذى ولد أكبر مجموعة من الوحدات الداخلية .

هذا وسيلاحظ ان وجود بعض وحدات داخلية في النصف الشمالي من القارة قد يكون أمرا لا مفر منه نظرا لضخامة حجمه وأبعاده . أما في المثلث الجنوبي الاكثر ضيقا فانها تبدو غير مفهومة الى حد بعيد ، حتى ان بعضها يقترب كثيرا من الساحل في نقط كما تفعل جنوب نياسالاند وشرق روديسيا الجنوبية . ومن المهم ان الامتداد العرضي السائد في الدول في الصحراء الكبرى والطولي السائد في المثلث الجنوبي هما عوامل مسؤولة عن ظاهرة الدول الداخلية في كلتا الحالين ، ولو كان الامتداد على العكس لقلت احتمالات وجودها . ولهذا فان الافراج عن هذه الدول الحبيسة لن يكون الا « بتطويل » الدول المستعرضة في الصحراء الكبرى « «بتعريض» الاشكال المستطيلة في المثلث الجنوبي .

مشكلات الدول الداخلية

ومشكلات هذه الدول الداخلية هي مشكلات الدول الداخلية عامة ، ويمكن أن نصنفها الى مجموعتين اقتصادية وسياسية . فاقتصاديا هي تعاني من الحرمان من الاتصال الحر المباشر بالعالم الخارجي والتجارة الدولية . ففي أسوأ الحالات تتبدى أغراض « تبتية » تنحو نحو العزلة الداخلية والانقطاع والتكيس الحضاري والاكتفاء الذاتي الاقتصادي الذى يشجع بطبيعة الحال على استمرار « الاقتصاديات الماشية » البدائية . وكل هذا جرى بأن يزداد اذا كانت المحاصيل الرئيسية من النوع الثقيل الوزن القليل القيمة النقدية ، فحينئذ تكون غير اقتصادية النقل . مثال هذا الجلود والحيوانات الحية من تشاد والنيجر وبتشوانالاند . ومما يضاعف من حدة هذه العزلة الداخلية فقر وسائل المواصلات بل انعدامها الكلي أحيانا ، كما في منطقة تشاد حيث تخلو من أى سكة حديدية تماما في حدود دائرة مركزها البحيرة وقطرها ٦٧٥ ميلا ! أما في أحسن الظروف فان الدولة الداخلية تقف تحت رحمة دول المخرج حتى لتنمو بينهما علاقات سياسية واقتصادية خاصة — أحيانا تحت قهر الضرورة . فتظهر اتفاقات معينة لمرور التجارة أو الاشخاص أو قد تسعى الدولة الداخلية الى اتحاد جمركي قد يرقى الى نوع من التبعية الاقتصادية . ومن الظاهرات التي لها مغزاها أننا لا نجد اتحادا جمركيا في القارة الا وكانت الدول الداخلية طرفا أساسيا فيه . هكذا النيجر والفولتا « داخليتان » وساحل العاج وداهومي « ساحليتان » يجمع بينها اليوم اتحاد جمركي قوى : ان دول « الوفاق » تمثل في معنى « زولفرين » افريقي . ومعظم صادرات النيجر هي الى وعن طريق نيجيريا ، بينما أغلب صادر فولتا هو الى وعن طريق غانا . ومنذ ١٩٤٩ تؤلف وحدات شرق افريقيا الثلاث منطقة تجارية واحدة « وسوقا مشتركة يضمها اتحاد جمركي . ومعروف أن صادرات أوغندة تمر أساسا عبر كينيا . وفي جنوب افريقيا تقرر — عند تأسيس الاتحاد في ١٩١٠ — استمرار الاتحاد الجمركي القائم من قبل بين الاتحاد « وجنوب افريقيا البريطانية » بوحداته الثلاث التي تكون اما ساقين على ضلوع الاتحاد أو جزرا في جسمه أو تقع في نطاق ظهيره . فيتم أخذ الجمارك على كل الصادرات والواردات في موانى الاتحاد مرة واحدة مع تخصيص حصة منها للطرف الداخلي على أساس الحصص النسبية وفي قلب القارة كانت رواندا — أورندى تؤلف وحدة واحدة مع الكونغو بحكم التبعية السياسية في كل ، وقد أدى هذا الى وضع اقتصادى شاذ تماما ، فكان الاطلسي على بعد ٢٠٠٠ ميل هو مخرج رواندا - أورندى بينما الهندى لايبعد الا نصف هذه المسافة . وهذا التوجيه الشاذ — الذى كان جزءا من سياسة الطريق القومي »
la voie nations

البلجيكية أو بالاحرى سياسة الطريق الاستعمارى ـ لم تؤد الا الى تأخير التنمية الاقتصادية فى تلك الجيوب الداخلية .

اما من الجانب السياسى فتبدو الدول الداخلية من الباحثين بالحاح عن الاتحادات السياسية أو التوحيد السياسى . وهى لاشك مدفوعة الى هذا لكى تضمن منافذ آمنة الى العالم الخارجى ولكى تضع حدا **للاختناق** السياسى الذى تشعر به بغير ذلك . وكثيرا ما يكون الاتحاد الاقتصادى خطوة أولى فى ذلك الاتجاه . ولاشك ان مالى مثال فريد فى هذا الصدد . فهى قد يمكن أن توصف بأنها « **محترفة اتحادات** » حيث كانت قاسما مشتركا أعظم فى كل مشروعات وتجارب الوحدة السياسية فى غرب افريقيا فىالسنوات القليلة الماضية . فكجمهورية السودان « الفرنسى » دخلت مع السنغال فى اتحاد مالى الذى بعد ان تحطم بانسحاب السنغال تركته الى اتحاد جديد مع غينيا وغانا . وواضح فى الاتحادين ان مالى هى القاسم المشترك بينما ان الطرف الآخر دولة ساحلية دائما . ولكى ندرك صعوبات مالى منذ انفصلت السنغال ، يكفى ان تذكر أنها عمدت الى الاعتماد على قوافل منتظمة من السيارات واللوريات الى ليبريا لنقل صادراتها ووارداتها ، ولكنها كانت طريقة باهظة ، فأخذت تنمى الان انشاء الطرق الى غينيا بعد أن دخلت معها فى الاتحاد . ولكن هل فى الاتحاد السياسى دائما حل مشكلة الدولة الداخلية ؟ قد يكون وقد لا يكون . فوحدات اتحاد وسط افريقيا الثلاث ـ على سبيل المثال ـ كانت كلها داخلية والاتحاد بينها لم يحل مشكلة المخرج . ولا زالت بيرا هى الميناء والمنفذ الرئيسى للاتحاد ، تتداول ٦٥ ٪ من كل تجارته الخارجية بحسب القيمة و ٨٠ ٪ من كل تجارته عبر البحار .

« دكتور جمال حمدان »

افريقية

والتمرد على الاستعمار

للدكتور محمد المعتصم سيد

حين يتكلم المؤرخون عن افريقيــة وعن دورها في الصراع مع العالم الغربي لا ينسون أن يضعوا أيديهم وأعينهم على نقطة بعيــدة من التاريخ ثم يسترسلون في ذكر الاحداث .

وهذه النقطة البعيدة في التاريخ ليست سوى تلك الرحلة التي كان يتحمس فيها الامير البرتغالي « هنري » شواطىء أفريقيا وفي عينيه بريق وفي قلبه أمل في ايجاد منفذ للدخول الى أعماق هذه القــارة في القرن الخامس عشر الميــلادي ومع أنه يطيب للمؤرخين الاوربيين أن يشيدوا بهذه الرحلة البحرية وأن يذكروا أنها كانت محاولة ناجحة للحصول على « المفتاح » الذي سيوصلهم الى معرفة القارة معرفة كاملة وأنهـا كانت المحاولة الاولى لرفع الظلام عن القــارة ، ولمعرفة العــالم بها ، بل ولمعرفة الافريقيين أنفسهم بهـا لانها كانت مجهولة تماما حتى على أهالي البلاد .. الا أن هناك حقيقة يجب أن تقال .. وهــذه الحقيقة التي يجب أن تقال هي أن القارة الافريقية لم تكن مجهولة على ســكانها فالمصريون القــدماء يعتبرون الرواد الاول في اكتشاف هذه القارة فقد عرفوا الســودان وعرفوا الحبشــة وعرفوا الصومال وتوغلوا في ساحل افريقيا الشرقي

كمـا أن الفينيقيين الذين اســتقروا في الشمال الافريقي في القرن السابع قبــل الميــلاد قد تمكنوا من الوصول الى البحر الاحمر وأسسوا مراكز تجارية على الساحل الغربي لافريقية .

بل انه يقــال أن القرطاجنيين قد داروا حول افريقية وقامت بينهم وبين غرب القارة علاقات تجارية .

ومثل هذا يقال عن الاغريق الذين توصلوا الى ما يسمى الان بالكاميرون وأن الفرس لم تقف أطماعهم عند ما حضروا وانما أرســلوا برسل الى الحبشة وفكروا جديا في الوصول الى أعالي النيل .

فاذا ذكرنا دور العرب وجدناه عميقا في القارة فقد عرفوا الشرق الافريقي حتى في عهدهم الجاهلي أما حين مجيىء الاســلام فيمكن القول بأن افريقيــة قد كثر وضوحها عن ذي قبل ، وان الرحالة والتجار العرب كان كل شيء أمام أعينهم في القــارة واضحا ومع أن هذا التــأثير كان واضحا تماما في الشمال وفي الشرق الا أن وجود عشر دول اسلامية جنوب الصحراء الكبرى كان كفيلا بأن يجعل افريقية معروفة تماما أمام عدد كبير من المثقفين .

ومن هنا نرى أن القول بأن افريقيــا من مكتشفات الرجل الابيض فيه كثير من الخطأ وفيه كثير من التعدي على الحقائق التاريخية وان من الواجب تصحيح التــاريخ الافريقي من جديد بفهم وعمق ..

فنحن نعرف أن حركة الكشف الجغرافى كانت ثمرة طبيعية لعصر النهضة الاوروبية الحديثة فى أكثر من مكان ، ونعرف ان البرتغال كانت فى مقدمة الدول التى اهتمت بافريقية ، ولكننا لانوافق على طول الخط ان افريقيا كانت بلا تاريخ حتى قدوم الرجل الابيض وان أفريقيا كانت مجهولة من نفسها حتى قدوم المبشرين والمكتشفين .

ونحن يهمنا هنا أن نتعرف على حقيقة الدوافع لعملية الاكتشاف هذه وأن نقف على المكاسب التى حصل عليها الغربيون من وراء عمليات الاكتشاف وكيف أصبحت القارة ممزقة على أيديهم حتى كانت السنوات الاخيرة وكانت عمليات الصحو الافريقى التى هزت كافة أجزاء القارة ، فالحقيقة تؤكد أن دوافع الاستعمار قبل عام ١٨٠٠ كانت تتراوح بين العوامل الدينية والاقتصادية والعاطفية .

ولكن ما يكاد الزمن يأتى الى نهاية القرن المشرين حتى نجد أفريقيا تمتلىء بالمغامرين والمبشرين والمكتشفين والتجار ونجد هؤلاء جميعا يعملون بنشاط فى مقابلة الزعماء المحليين ، وعقد المعاهدات بينهم ، والتزوير فى هذه المعاهدات ومن ورائهم جميعا حكوماتهم تؤيدهم ، وتبارك خطاهم وتقدم لهم التسهيلات وحين استقر التنافس بين هؤلاء جميعا نرى الحكومات تتدخل لتنظيم عملية النهب هذه وتكوين نتيجة هذا التنظيم انعقاد مؤتمر برلين فى عام ١٨٨٤ وخروج الدول الاوروبية من المؤتمر فى عام ١٨٨٥ وفى يد كل منها خريطة بالدول التى أصبحت داخل نفوذها .

وقد فازت بريطانيا بنصيب الاسد لانها كانت قد تحركت قبل انعقاد المؤتمر فى أكثر من اتجاه فى القارة فقد استولت بالفعل على مصر فى الشمال ، ووضعت يدها على جنوب أفريقية وتمركزت على الهضبة الاستوائية وانتزعت لنفسها مساحات طويلة على الشواطىء الافريقية .

وقد هيأ لها كل هذا تكوين امبراطورية فى أفريقية قدرت مساحاتها بثلاثة ملايين ومائتين وخمسين ألف ميل مربع يعيش عليها ستة وأربعون مليونا من السكان .

أما فرنسا فكانت من السابقين كذلك الى التغلغل فى أقطار افريقيا الغربية والوسطى ولكنها استطاعت الحصول على مساحات تقدر بأربعة ملايين ميل مربع يعيش عليها أربعون مليونا من السكان .

أما بلجيكا فقد فازت بحوض الكونغو وروافده الكبرى .

وتمكنت البرتغال من وضع يدها على انجولا وموزمبيق وبعض الجزر الاخرى وكسبت ألمانيا مستعمرتين كبيرتين احداهما فى الشرق وهى تنجانيقا والثانية فى الغرب وهى الكاميرون ثم ضمت اليها بعد ذلك « رواندا أوراندى » .

وقد ترك المؤتمرون فى برلين عام ١٨٨٤ اقليما صوماليا لايطاليا وهو الذى سمى فيما بعد الصومال الايطالى .

ومن هنا نستطيع أن نقول أن أفريقيا تكمن وراء الارستقراطية الغربية ، وانها هى التى دفعت العالم الاوروبى خطوات الى الامام بفضل القوى التى كانت تغتصب منها وتوضع فى خدمة الغرباء .

ولكن أفريقيا تمردت اليوم على الاستعمار وتخلصت من القوى التى كانت تضغط على مصيرها ، وتمنع عنها الحرية وارادة التغيير فهى اليوم تستطيع أن تسهم فى التقدم البشرى ، وفى دفع الحرب وشبحها عن العالم وفى خلق نظرية جديدة تؤمن بالانسان ومن حقه أن يعيش فى كرامة وفى حرية .

انها وقد زور تاريخها تمضى الآن من جديد لتقدم نفسها على حقيقتها انها وقد اغتصبت حريتها فترة كبيرة لابد أن تكون حارسة للحرية ، وهذه هى الخطوط العريضة التى يمكن أن تلقى الاضواء على مستقبل القارة .

((دكتور محمد المعتصم سيد))

ساوتومي جزيرة الشيطان ...

بقلم : عبد السلام شحاته

جزيرة صغيرة كنقطة فى المحيط الاطلسى .. وهى بالمنطقة الاستوائية فى خليج غانة على الساحل الغربى للقارة الافريقية .. تبعد عن داهومى وهى أقرب منطقة ساحليـــة اليها بحوالى ثلاثمائة من الكيلومترات .

وقد ذكرنا بها أخيرا مؤتمر القمة الافريقى الذى عدد أسماء بعض الجزر المستعمرة وذكر بالذات أســـماء ساوتومى وبرنسيبى وكاب فردى أو الرأس الاخضر ، وهى أسماء جزر ما زالت البرتغال تستعمرها حتى اليوم .

ومع أنها جزر صغيرة الا أنها تعتبر أقدم المستعمرات الاوروبية فىافريقية اذ مضى عليها ما يقرب من خمسمائة عام وقد سهل على المستعمر السيطرة عليها أنها كانت فى طريقه البحرى حين بدأت مرحلة الكشف الجغرافى للارض المجهولة ولانها صغيرة المساحة وبعيدة عن حركات التكتل مع الشعوب الاخرى فى القارة . وانفرد بها فظهرت حقيقة النوايا الاستعمارية فقد جعـــل منها قلاعا للاسلحة للهجوم على السواحل وجعـــل منها مركزا لتجـــارة الذهب والرقيق ، ومنفى للاحرار ومزارع للكاكاو والحاصلات الاستوائية . وقد لعبت جزيرة ساوتومى تحت قبضـــة الاستعمار دورها فى تحقيق مآربه هذه ، فهى متحف يحمل آثار هذا الاستعمار البغيض الى اليوم ..

* * *

والجزيرة تبـــلغ مساحتها هى وجزيرة برنسيبى والحصن الذى ظلت تحتله البرتغال فى داهومى حتى عام ١٩٦١ : ٤٠٠ ميل مربع والجزيرة بركانية التكوين خصبة التربة تنتج الكاكاو والبن وزيت النخيل وجوز الهند . وقد لعبت مزارع الكاكاو فيها دورا هاما ، وما زال البرتغاليون يسوقون اليها حتى اليوم الافريقيين من مستعمراتهم ليعملوا فيها فى جو حار خانق ممطر وشمس حارقة وفى ظروف عمل بالغة القسوة .

وحيوانات الجزيرة ذات القيمة الاقتصادية هى الماعز والاغنام والخنازير ، وكان دخل الجزيرة عام ١٩٥٩ — حسب الاحصـــائيات المنشورة فى المراجع الغربية وهى احصاءات متحيزة كما سنرى خلال هذا الحديث — ٩٤ر٥ الف سكودا برتغالية فى مقابل ٨٧ ألف سكودا هى قيمة النفقات .

ومع أن البرتغال احتلت الجزيرة منذ عام ١٤٧١ تقريبا ، وادعت على الدوام أنها تعمل على نشر المسيحية وتحقيق رسالة انسانية واذاعة الثقافة البرتغالية فان عدد المدارس

قليل اذ أن بها ٢١ مدرسة تضم حوالى ٢٨٠٠ تلميذ فى المرحلة الابتدائية فى حين لا يزيد عدد الطلاب الذين ينالون تعليما بالمرحلة الثانوية عن ١٧١ تلميذا ، ومعظم هؤلاء من أبناء البرتغاليين بالجزيرة الذين لا يزيدون على ألفين ، فى حين يوجد بها اكثر من سبعين الف افريقى وعدة آلاف أخرى من الخليط الذين يمتزج فيهم الدم الافريقى بالدم البرتغالى .

وهؤلاء الخليط توجد منهم نسبة كبيرة جدا فى جزر الراس الاخضر تبلغ ٧٠ ٪ من مجموع عدد السكان . غير ان نسبتهم أقل من هذا بكثير فى جزيرة ساوتومى اذ لا يزيدون عن أربعة آلاف . وهؤلاء تسند اليهم البرتغال ، وخاصة فى جزر الرأس الاخضر حيث يشكلون أغلبية ، بعض المناصب والاعمال . وتشير البرتغال الى هذه الظاهرة كلما هوجمت فى الأمم المتحدة وفى المحافل الدولية ، وتفاخر بها لانها تدحض حجة القائلين بأنها تأخذ بسياسة التفرقة العنصرية ، غير أن الكثير من هؤلاء موالون للبرتغال ولا يعتبرون من الافريقيين الخلص . ومن ناحية أخرى يذكر الساسة البرتغاليون أن هذه الظاهرة تدل على أنهم اهتموا بتعليم الافريقيين ، وهذه حجة يمكن دحضها لاول وهلة اذا قارنا نسبة المتعلمين فى المستعمرات البرتغالية بغيرها .

ومن الظواهر البارزة بالنسبة للمجتمع فى جزيرة ساوتومى أن الافريقيين فيه ينقسمون الى قسمين ، أولهما السكان المقيمون الى جانب الحشود التى تساق من المستعمرات البرتغالية قسرا باسم عقود العمل وذلك لاستغلالهم فى المزارع البرتغالية التى تشتهر بانتاج الكاكاو . وتستغل البرتغال هذا الوضع لتعمل على بث الفرقة بين المقيمين والوافدين من الافريقيين تطبيقا لحكمة الاستعمار الغالية « فرق تسد » . وفى الوقت الحاضر تعمل البرتغال على استغلال ضعاف النفوس من الافريقيين ، وتجعل منهم عيونا . لترصد حركات الوطنيين وتشى بهم لدى السلطات .

وحدث أن شكلت بالجزيرة لجنة لتحرير ساوتومى وبرنسيبى فنكلت السلطات بأعضائها أشد التنكيل ، واستطاع فرد واحد أن يقف أمام اللجنة الرابعة فى الامم المتحدة فى أواخر عام ١٩٦٢ ليرفع صوت الاحرار فى الجزيرة ويسمع صوتهم للعالم لاول مرة . وكان هذا الحدث شبه معجزة من المعجزات .

فطالما عانى الافريقيين بالجزيرة من الظلم والعبودية والتعذيب وكان صوتهم يضيع على الدوام فى رياح المحيط الاطلسى ، وهكذا سمع الناس فى أنحاء العالم عن حقيقة حادث الابادة الجماعية الذى وقع بتلك الجزيرة عام ١٩٥٣ ، فقد حاول بعض الاحرار الافريقيين من العمال والزراع أن يحتجوا عما يقاسون من تفرقة جائرة ، فأبادتهم السلطات البرتغالية بلا رحمة .

وهنا يجب أن نقف قليلا لننظر فى عدد هؤلاء الضحايا ، فقد ذكرت المراجع الغربية التى تعتبر من مراجع الاعلام العام عن مناطق العالم مثل كتاب ستاتسمان السنوى الذى يصدر عن دار ماكميلان للنشر بلندن أن هذا العدد بلغ حوالى مائة قتيل . فى حين ذكر مندوب لجنة تحرير جزيرة ساوتومى وبرنسيبى أن هذا العدد بلغ الالف . ومن الفارق الكبير بين المائة والالفين مدى بعد الاحصاءات التى تذكرها المراجع الغربية الاستعمارية عن الحقيقة . فالمستعمر يتعمد تشويه الحقائق بما يتفق مع مصالحه فهو يخفى هذه الحقائق بالنسبة لثروات البلاد وسكانها لايهام العالم بأنها مناطق قليلة الاهمية من النواحى الاقتصادية والاجتماعية . كما أنه يعمد بطبيعة الحال الى اخفاء الجرائم التى يقترفها أو التهوين من شأنها اذا قدر للعالم أن يسمع عنها وخاصة اذا حدثت فى جزيرة نائية صغيرة طالما اقترف فيها الآثام والجرائم .. جزيرة لا تمر بها غير خطوط الملاحة البرتغالية منذ خمسة قرون حتى الان .. جزيرة اعتاد أن يدبر فيها مكائده وحيله واتخذ منها وكرا للاعتداء على ثروة القارة كما اتخذ منها سجنا للاحرار وتكبيلهم بأصفاد العبودية خلال فترة استعماره الطويلة البغيضة .

ولا عجب اليوم أن يثور أبناء الجزيرة فقد وصلهم صوت افريقيا يرتفع عاليا ويدوى عبر المحيط الاطلسى مناديا بالحرية ويقظة العمالقة وذلك فى الوقت الذى لا زالت فيه البرتغال تقترف آثامها فى استعباد البشر وممارسة التفرقة العنصرية فى جميع الخدمات الاجتماعية وفى التعليم وفى الخدمات الصحية كما تحرمهم حق المساواة وحق التقاضى وتفرض عليهم الضرائب الفادحة ، وفى الوقت نفسه تقدم تقارير مزورة لمكتب العمل الدولى وللامم المتحدة .

وازاء الصوت الافريقى المدوى بالحرية الذى اقلق مضاجع المستعمر أخذ البرتغاليون يحيلون الجزيرة الى ترسانة مسلحة ، فجميع السكان البيض حتى الصبية يحملون اليوم البنادق وهناك عدد كبير من الجنود ويجرى تدريب البرتغاليين على الاعمال العدوانية العسكرية ، كما تفشت الجاسوسية بشكل ظاهر ، مما خلق جوا عدوانيا ، وكأنما يريد أبناء البرتغال اقتراف جريمة ابادة الجنس مرة أخرى على نحو ما فعلوا عام ١٩٥٣ .

* * *

غير انهذا الذى نراه اليوم ليس الا صورة باهتة مما كان يجرى على أرض هذه الجزيرة فى الماضى .

فحين فشلت الحروب الصليبية اتجهت البرتغال صوب الساحل الافريقى الغربى لتستولى على كل الجزر والاقاليم التى صادفتها فى طريقها لتطلق عليها أسماء القديسين وكان من نصيب الجزيرة التى نتحدث عنها أن تنسب الى القديس توما ، وهناك جزر وأماكن أخرى تحمل مثل هذه الاسماء (جزيرة ساو جورج دامينا وحصن ساوميجل فى لواندا) .

وكان الاستيلاء على الجزر والاماكن ضرورة حيوية لتأمين الطريق البعيد الذى يهدف الى امتلاك مصادر التجارة فى شرق افريقيا وآسيا ويحرم العرب من احتكارهم التجارة مع الهند والشرق الاقصى .

ثم أن القرن الخامس كان عصر الكشف عن المجهول من الارض ، وكل ما يكشف يعتبر ملكا للدولة الاوربية التى استولت عليه فيضم لتاجها .

وكشفت جزيرة ساوتومى عام ١٤٧١ تقريبا بوساطة يهودى برتغالى وبعض الافاقين الخارجين عن القانون ، وكانت قاعدة لتنظيم تجارة الفلفل فى أول الامر ثم قاعدة للانقضاض على السواحل بغية ضمها للتاج ولتجارة الذهب والعبيد الذين كانت تحتاج اليهم المزارع فى ممتلكات البرتغال بالبرازيل وجزر الهند الغربية . وكان للجزر العديدة التى امتلكها البرتغال فى ذلك الحين وظائفها فى اداء هذه المهمات . وفى القرن الخامس عشر كانت البرتغال تستولى على جزيرة أرجيوم التى تقع شمال غربى جزر الرأس الاخضر وحاولت أن تستخدم هذه الجزيرة فى الوصول الى مناطق بعيدة داخل السودان الغربى كما حاولت الوصول الى تلك المدينة الاسلامية الساحرة بثقافتها وبتجارتها وبأهميتها فى طرق المواصلات وتجارة الذهب وأعنى بها تمبوكتو التى تنازع المستعمرون على الوصول اليها . واليوم نرى تنافسا كبيرا بين جماعة المستعمرين الاوربيين لاثبات من منهم كان اسبق فى الوصول اليها ، فهناك تنافس بين الفرنسيين والبرتغاليين والاسبان . ومن الطريف أن بوستاختى الاسبانى ذكر فى محاضرة له عام ١٩٤٤ أن الاسبان هم أول من وصل الى تمبوكتو غير انه نسب الفضل فى ذلك الى علماء من عرب الاندلس وهؤلاء عرب لا اسبان .

واحتل البرتغاليون فى تلك الفترة المبكرة جزر كاب فردى (الرأس الاخضر) التى تقع بحذاء الساحل الافريقى الغربى بين السنغال وسيراليون فى المنطقة المعروفة اليوم باسم غينيا البرتغالية . وقد ساعد وجودهم فى الجزيرة على الاستيلاء على غينيا .

وساعد احتلالهم لجزر اخرى للوصول الى شمال غينيا فاستطاعوا أن يمروا بسهولة فى السنغال وغامبيا ، أما فى جنوب غينيا فلم يكن دورهم سهلا يسيرا فاتخذ المستعمر البرتغالى من جزيرة ساوتومى قلعة عسكرية لاعداد المحاربين ، كما كانت الجزيرة مركزا للتجارة فى مصب نهر النيجر ومركزا للاتجار

فى الرقيق المجلوب من غينيا والكونغو . وقد ازدادت الحاجة الى الايدى العاملة فى القرن التالى حتى قيل ان عددا من اقتيد من أبناء افريقيا فى السنوات السبعين الاخيرة من القرن السادس عشر يقرب من ٨٠٠ ألف افريقى .

ومع أن التجار البرتغاليين لم يستطيعوا أن يصلوا الى مناجم الاشانتى فى غانة الا انهم صدروا كميات من الذهب قدرت بما يساوى مائة ألف جنيه كل عام ولعبت جزيرة ساوتومى دورها فى نشر المسيحية وأعمال التبشير وهى أعمال لم تستهدف نشر الدين حقا وانما قصد بها اخضاع واستغلال الافريقيين باسم تعاليم المسيح . وانشىء بالجزيرة كنيسة رئيسية لنشر المسيحية وخاصة على مصب نهر الكونغو وسوف أشير الى بعض الاحداث المتعلقة بهذا الموضوع فى نهاية هذه السطور .

وابتداء من القرن السادس عشر أخذت المنافسة تشتد بين الدول الاوربية على كشف الطرق البحرية والجزر التى تمر بها وعملت البرتغال على الاحتفاظ بجزر كاب فردى (الرأس الاخضر) وساوتومى وبرنسيبى وغينيا وحول هذه الاخيرة أخذ نفوذ الفرنسيين يمتد شمالا فى السنغال كما اخذ نفوذ الانجليز يمتد فى غامبيا جنوبا .

ومع أننا بصدد دراسة ساوتومى ، تلك الجزيرة الصغيرة من بين المستعمرات البرتغالية الا أن تاريخ هذه الجزيرة يمثل بحق سير الاحداث والفظائع التى ارتكبها الاستعمار البرتغالى فى المناطق التى خضعت لسيطرته وتحت قبضته ، الامر الذى يؤكد تلك الحقيقة التى يشير اليها بعض المؤرخين ألا وهى أن جزيرة ساوتومى تمثل متحفا تاريخيا يضم آثارا بينة فى تاريخ الاستعمار . فالى تلك الجزيرة كان يساق أبناء أنجولا والكونغو وغينيا فى أول الامر ثم اقتصرت تجارة الرقيق على من يساقون من أنجولا وموزامبيق وغينيا ، والى يومنا هذا يرسل اليها الكثير من أبناء هذه المناطق تحت شعار آخر وان لم يختلف فى جوهره عن تجارة الرقيق ، كما يساق اليها أبناء جزر الرأس الاخضر .

وأدركت البرتغال أهمية جزيرة ساوتومى فعملت على حمايتها وحماية أنجولا من السقوط فى يد قوى أوربية أخرى ، ولقد بلغ حرصها عليها أنها سارعت بطلب النجدة من البرازيل حين ظهرت فى المحيط الاطلسى غربى افريقيا قوى أخرى مهددة .

واسم ساوتومى ما زال رمزا للعبودية والرق وهو يثير الذعر فى قلوب الافريقيين بالمستعمرات البرتغالية حتى فى مستعمرة موزامبيق البعيدة عن هذه الجزيرة والعمال هناك يفضلون ترك عائلاتهم وحقولهم والاغتراب سنوات للعمل فى أسوأ الظروف فى مناجم جنوب افريقيا على أن يكونوا مهددين بالاعتقال فى ساوتومى التى تعتبر فى نظرهم أرض المفقودين . غير أنهم لا يذهبون الى جنوب افريقيا أيضا بمحض رغبتهم وانما يرغبهم البرتغاليون فى ذلك ليجنوا أرباحا طائلة من ترحيلهم كما تقضى اتفاقية بهذا الشأن بينهم وبين حكومة جنوب افريقيا (راجع مقال موزامبيق من وراء ستار فى عدد سابق من هذه المجلة بقلم كاتب هذه السطور) .

وفى أوائل هذا القرن حملت انجلترا على البرتغال حملة شعواء لانها تمارس تجارة الرق رغم الغائها وتحريمها ، وذلك بعد أن كشف الكتاب والصحفيون منذ عام ١٩٠٣ عن هذه الفضائح . كما هددت شركة كاربورى الشهيرة بصناعة الشيكولاتة فى انجلترا بمقاطعة كاكاو جزيرة ساوتومى . ولاشك أن للمنافسة الاقتصادية وهى التى كانت ضمن دوافع انجلترا لتحرير العبيد ، دخل فى مثل هذه الحملات .

والدور الذى لعبته جزيرة ساوتومى فى نشر المسيحية يكشف بوضوح عن الاغراض الكامنة فى نفس المستعمر والتى يخفيها تحت ستار الدين .

فقد حمل المبشرون البرتغاليون الوافدون من الجزيرة الى المناطق الواقعة على مصب الكونغو أحد الملوك الافريقيين على اعتناق المسيحية التى أعجب بتعاليمها اعجابا شديدا مما حمله على ارسال أحد أبنائه لتعلمها فى البرتغال . فلما ان ضمت جزيرة ساوتومى الى املاك التاج البرتغالى عام ١٥٢٢ وأقيمت

بها مدينة ساوتومى العاصمة أصبحت الجزيرة تشرف على الكونغو باعتبارها مستعمرة تابعة للبرتغال وذلك بناء على قرار من التاج البرتغالى ولان الملك الافريقى اعتنق المسيحية وعمل على نشر تعاليمها بين شعبه ! !

ولم يعرف الملك الافريقى نوايا البرتغال وانما رأى البرتغاليين يسوقون أبناء شعبه فى قيود الرق وهاله أن يعامل شعبه الطيب على هذه الصورة ، فأخذ يرسل الرسائل الى ملك البرتغال شاكيا مسترحما باسم المسيحية وأخذ يطلب اليه ارسال رجال دين طيبين ويطلب معلمين لشعبه ويحرم تجارة الرقيق ولكن رسائله كانت تتوقف عند الجزيرة وتحتجز وذكرت بعض المراجع أن واحدة من هذه الرسائل انتهت بقول الملك الافريقى (ونستعطف سموكم ألا تتركنا دون حماية وألا تسمح بانهيار تعاليم المسيحية فى مملكتنا لاننا وحدنا عاجزون عن أن نفعل شيئا) .

وأتصور أن واحدا من أولئك الاداريين البرتغاليين الذين كانوا يستولون على رسائل الملك الافريقى يقهقه ساخرا من سذاجة هذا الذى آمن !

* * *

وبعد فان مؤتمر القمة الافريقى وهو أعظم حدث فى تاريخ قارتنا انما كان يمثل رغبة عشرات الملايين وآمالهم حين رأى تشكيل لجنة تحرير افريقيا المستعمرة .. ان آمال هؤلاء الملايين الذين قاسوا الذل والعبودية والعذاب مدى خمسة قرون ومنهم سكان جزيرة ساوتومى أحيتها أصوات التحرر وطبول الحرية التى تدق ليعبر صداها المحيط فيشعرون أنهم بعثوا من جديد وأن قيودهم قد حطمت الى الابد وان افريقيا للافريقيين .. ويشعر المستعمر فى الوقت نفسه أنه لا يقف على أرض صلبة كما كان وانما يصاب بالذعر اذ يرى الجزيرة تتحرك كأنها كائن دبت فيه الحياة أو وحش مخيف مثل جزيرة السندباد القديم وان عظمته وامبراطوريته انما هى أسطورة كأسطورة ذلك الملاح العتيق الذى عاد أخيرا الى بيته ليقبع فيه بدلا من جوب البحار فى سبيل مطامع لاتنتهى . وهكذا تصبح جزيرة تومى حقا جزيرة القديس بدلا من أن تكون جزيرة للاعمال الشيطانية .. أو جزيرة للشيطان البرتغالى الذى سماها اسما مناقضا لاعماله فيها .

« عبد السلام شحاتة »

من

التاريخ الافريقى القديم

بقلم : عبد الرحمن صالح

المنطقة التى قامت بها هذه المدنية هى مناطق الصحراء التى تمتد من البحر الاحمر شرقا الى السنغال غربا ، ومن منابع النيل وروديسيا الشمالية جنوبا حتى حدود المنطقة العربية الممتدة على طول ساحل البحر المتوسط شمالا . والمظهر المشترك العام لهذه الحضارة فى كل هذه المنطقة هو انها ضمت الشعوب المختلفة المقيمة بهذه المنطقة الشاسعة فى دول تشابهت نظمها حتى تؤكد للدارس أنها جميعا خرجت من نبع واحد وترجع الى أصل مشترك . فقد كان على رأس كل دولة ملك له سلطة مطلقة يستمدها من الحق الالهى فى الحكم ويدين له بالولاء الكامل لانه ظل الآلهة على الارض . ولم يكن الملوك يظهرون لرعاياهم الا من وراء ستار ولم يكن مسموحا لاى انسان حتى لرجال الحاشية الاقربين أن يشاهدوا الملك وهو يزاول المهام البشرية العادية كتناول الطعام والشراب . وكان الملك فى كل العام هو الذى يقوم بافتتاح الاعمال الزراعية فهو الذى يضرب الضربة الاولى للفأس مفتتحا موسم الحرث ، وهو الذى يبذر الكمية الاولى للبذور مبتدئا موسم البذر . واذا كان الملك يتمتع بصحة جيدة فمعنى ذلك ان المحصول سيكون ممتازا وان المطر سينزل مدرارا .

والملك — ظل الآلهة على الارض — لم يكن له أن يموت ميتة الانسان العادى على فراشه حتى ولو كان مريضا أو طاعنا فى السن .. بل لابد أن يموت ميتة جديرة بالآلهة بتناول السم مثلا أو بأن يقتل نفسه فى احتفالات مقدسة تقام لهذا الغرض . وبعد الموت كان يجب حفظ الجسد الملكى وتحنيطه ويجب اقامة الاحتفالات الكبيرة تقدم خلالها الضحايا البشرية وتحفظ بقايا الملك مثل الاظافر والشعر مع الجسد فى المقبرة الملكية .

وكان يراعى ان تقام حفلات الدفن خلال الليالى القمرية وان تشعل النيران المقدسة فى كل مكان لانها الرمز الرئيسى لحياة الملك وسلطته .

وكان الرعايا الذين يتبعون كل ملك من هؤلاء الملوك يتراوح عددهم بين آلاف قليلة وملايين . وبعض هذه الممالك كانت تميل الى التجميع فى وحدات كبيرة تضم مملكة كبيرة تكون هى حاضرة هذا التجمع وحولها عدد كبير أو ضئيل من الممالك الاخرى الصغيرة والجميل فى أمر هذه الممالك التى قامت بالسودان الاوسط انها لم تكن تقوم على أساس النظام الاقطاعى ، كما انها لم تكن تقوم على اساس نظام وراثى .. ولكنها كانت تقوم عادة على نظام بيروقراطى يعتمد على عدد من الموظفين يختارهم الملك لانهم كانوا يحوزون رضاه والذين كان يمكن نقلهم من وظيفة لاخرى او عزلهم أو حتى قتلهم

باشارة من رأس الملك المقدس . وكان اقرب الاشخاص فى حاشية الملك وارفعهم مكانة هم أمه وأخواته البنات ثم زوجاته . وبعد ذلك يأتى الوزراء الذين لم يكن يزيد عددهم فى العادة عن أربعة . وبعد ذلك يأتى رؤساء المراكز والنواصى الذين كانوا يمتون عادة بصلة القربى الى الملك نفسه والذين تلقوا من قبل تعليمهم فى البلاط الملكى نفسه .

وكان هؤلاء يظهرون ولاءهم للملك عن طريق امداده بالمساعدة العسكرية والقوات المحاربة وعن طريق امداده بما يطلب من اغذية ومؤونة ومشروبات ايضا . وكذلك كانوا يقدمون له ما يطلبه من الزوجات والعمال ومن العاج والجلود والذهب والرصاص والملح وثمار الكولا . وكانت التجارة الخارجية فى معظم هذه الممالك احتكارا ملكيا خاصا . كما ان الفنانين والصناع المهرة وباقى الاختصاصيين كانوا يقيمون فى العاصمة الملكية رهن اشارة الذات المقدسة فى اية لحظة . بل ان كثيرا من الملوك كانوا يحذقون أسرار صناعة الحديد والصياغة .

ولقد كان العصر الذى ازدهرت خلاله هذه الممالك بالسودان الاوسط هو الالف الاولى بعد الميلاد . والمراجع الكبرى الموثوق بها التى نستطيع ان نستقى منها معلوماتنا عنها هى كتب الرحالة والجغرافيين العرب من أمثال الفزارى والبكرى القرطبى والمسعودى .

ومن أولى الممالك السودانية التى تواردت الينا أنباؤها .. مملكة غانا التى كانت عاصمتها تقع على بعد خمسمائة ميل تقريبا فى الشمال الغربى لغانا الحالية .

ولقد أورد لنا المعلومات الاولى عن هذه المملكة المؤلف العربى الفزارى الذى عاش خلال القرن الثامن الميلادى . وبعد ثلاثة قرون أى فى القرن الحادى عشر حين اصبحت هذه المملكة معروفة مشهورة لدى العالم الاسلامى لما كانت تصدره للشمال العربى المسلم من ذهب .. كتب الجغرافى الاندلسى البكرى القرطبى يقول عنها ويصف ما شاهده بها « وكانت وما زالت الوثنية ضاربة اطنابها بها » .

ويدعى الناس للحضور أمام الملك بوساطة قرع طبول يسمونها « دابا » مصنوعة من جذوع طويلة مجوفة للاشجار . وحينما يمثل الناس أمام الملك يخرون الى الاذقان ركعا ويعفرون رؤوسهم فى التراب لان هذه هى الطريقة التى يعبرون بها عن ولائهم .

وديانة شعب غانا هى الوثنية وعبادة الاصنام والازلام . وعندما تموت ملوكهم يبنون فوق المكان الذى سيدفن فيه قبة هائلة من خشب الساج . ثم يأتون بجسده موضوعا فوق محفة مغطاة بالعديد من السجاد ويوسدونه تحت القبة . وبجانبه يضعون حليه وأسلحته والاوانى التى اعتاد ان يتناول منها طعامه وشرابه بعد ملئها بمختلف أنواع الطعام كما يدخلون معه فى المقبرة الرجال الذين كانوا يقومون على خدمته . ثم يغلقون الباب بالحصير والاعشاب ثم يجمعون الناس ليهيلوا عليها التراب حتى تصبح كالتل الصغير . وبعد ذلك يحفرون خندقا يحيط بالتل من جميع نواحيه الا ناحية واحدة . وأخيرا يضحون ويقدمون القرابين والمشروبات المسكرة .

وقد زار اليعقوبى مملكة « كانم » التى كانت تقع فى الشمال الشرقى من بحيرة تشاد ووصف حكامها من أسرة « زغاوة » وذلك فى القرن التاسع الميلادى . وفى القرن العاشر الميلادى زارها كاتب عربى آخر هو « المهلب » وكتب عنها يقول :

ان مملكة زغاوة تعتبر مملكة كبرى من ممالك السودان . وعلى الحدود الشرقية لهذه المملكة تقع مملكة النوبة التى تقع جنوب صعيد مصر . وبين المملكتين مسافة مسيرتها عشرة ايام . وفى هذه المملكة تعيش قبائل عديدة . ويقطع المرء بلادهم فى مدة لا تقل عن خمسة عشر يوما وسط بلاد وقرى ومزارع طوال الوقت . وكل المبانى والمنازل مبنية من الحجارة والجير وكذلك القلعة التى يقيم فيها الملك . وهم يقدسون الملك ويعبدونه ولا يعلمون شيئا عن الله العلى القدير . كما أنهم يعتقدون زيفا أن الملك لا يتناول أى طعام .. ولكن طعامه يحمل

أليه سرا داخل قلعته . واذا حدث أن شاهد أحد من رعاياه الجمال التى تحمل الطعام فانه يقتل لفوره . وللملك سلطة مطلقة على رعاياه فهو يأخذ لنفسه ما شاء من ممتلكاتهم ومما يقتنونه من ابقار وماعز وخيل . والذرة هى المحصول الرئيسى الذى يزرعونه فى أراضيهم . وبجانبها يزرعون الفول والقمح . ومعظم الناس العاديين عرايا لا يغطون عوراتهم الا بالجلود . ويقضون أوقاتهم فى الزراعة ورعى قطعانهم . وديانتهم هى عبادة ملوكهم لانهم يؤمنون أن هؤلاء الملوك هم الذين يجلبون لهم الحياة والموت والمرض والصحة » .

وأخيرا فان الجغرافى الشهير المسعودى البغدادى الذى عبر بنفسه الخليج الفارسى وواصل رحلته حتى الساحل الشرقىلافريقيا فوصل الى « سوفالا » فى موزمبيق الحالية سنة ٩٢٢ ميلادية .. أثبت وجود تجارة واسعة للذهب والعاج كانت تحملها السفن من سوفالا الى عمان ومن هناك تنقل الى الصين والهند . وذكر المسعودى ان هذه التجارة كانت تتركز فى دولة افريقية كانت موجودة حينئذ بالداخل فى المنطقة المعروفة الان باسم روديسيا الجنوبية . وكان ملك هذه المملكة يحمل ألقابا سامية مثل « ابن السيد العظيم اله السماوات والارض » وكان هذا الملك هو ابعد الحكام الافريقيين المعروفين حينئذ للرحالة العرب الذين جابوا الساحل الافريقى الشرقى . ومن المحتمل تماما أن المسعودى كان يشير بذلك الى الحكام والملوك الافريقيين الذين شيدوا الصروح الاولى فى البناء الحجرى الكبيرالذى اقيم فى « زيمبابوى » العظيمة . والتى اكتشفها الاثريون المحدثون فى قرننا الحالى . وأرجعوا تاريخ بنائها الى القرن الحادى عشر الميلادى . ويتضح من كتابات الرحالة البرتغاليين الاوائل الذين زاروا المنطقة منذ خمسة قرون مضت أن النظام السياسى فى تلك المناطق يحمل نفس مظاهر ممالك « السودان » المقدسة .

والانتشار الجغرافى لهذه الدول الافريقية التى قامت خلال الالف الاولى عقب ميلاد المسيح بالسودان الاوسط يحملنا على الاعتقاد انها لم تكن هى الدول الوحيدة التى ذكرها الجغرافيون والرحالة العرب الاماجد الذين أثبتوا بكتاباتهم تلك أن الاوربيين لم يكونوا المكتشفين الاوائل للقارة العذراء . ولكن لابد أنه كان يوجد ممالك أخرى غير مملكة غانا ومملكة زغاوة ومملكة زيمبابوى . غير أن هذه المملكة التى ذكرت فى كتب الرحالة العرب كانت هى الممالك التى استطاعت أن تتصل بالعالم الخارجى وتسترعى انظار الدول الكبرى فى الدنيا القديمة حينئذ . ولسوف تثبت الكشوف الحديثة عن مخلفات العصر الحديدى التى تجرى الان فى افريقيا عن سيل منهمر من المعلومات الدقيقة عن دول أخرى كثيرة تقوم خلال تلك الفترة التى يطلق عليها اسم فترة « الحضارة السودانية » فمثلا اكتشف علماء الاثار البلجيكيون منذ فترة قصيرة على شواطىء نهر لوالابا الاعلى آثارا كثيرة ترجع الى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . ومن بين ما اكتشفوه مقابر غنية يدل ما وجد بها على ان النحاس كان يستخرج فى تلك الفترة من مناجم كاتنجا وأنه كان يطرق حليا للزينة وقطعا صغيرة على شكل الحرف اللاتينى (H) لاستعمالها كنقود . وعلى الرغم من انه لم يعثر بعد على موقع للعاصمة أثبتت أن هؤلاء الافريقيين الذين كانوا على درجة كبيرة من التقدم الفنى والذين لا تختلف هياكلهم أو تركيباتهم اختلافا جوهريا عن الافريقيين المعاصرين القيمين بمنطقة « لوبا » .

.. نقول لتثبت أنهم كانوا منتظمين فى دولة من ذلك الطراز « السودانى » الذى تحدثنا عنه .. ولكننا حين نرجع الى التقاليد التاريخية للمنطقة .. نرى أنفسنا مدفوعين للقول بأنهم كانوا منتظمين فعلا فى دولة من هذا الطراز . وعلى بعد قليل من تلك الجهة ناحية الشمال .. أى اوغندا ورواندا وبوروندى والاجزاء المتاخمة لاقليم « كيفو »

بالكونغو حيث يمكن أن نتتبع تكوين كثير من الدول السودانية منذ خمسة قرون مضت.. ولقد اكتشفت حديثا مصنوعات فخارية كثيرة تطابق تماما المصنوعات التى كانت تنتجها الدولة السودانية خلال الالف سنة الاولى الميلادية مما يدل على قيام حضارة ن تلك المناطق من الكونجو وروديسيا شديدة الشبه والاتصال بالحضارة السودانية ..

وكذلك الحال فى الممالك الوثنية التى قامت فى الجنوب الغربى لاثيوبيا وخاصة ممالك كافا وانايا دلت الكشوف على أن تلك الممالك كانت وثيقة الصلة بالحضارة السودانية .

وتدل الكتابات التى تركها السودانيون المسلمون المثقفون الذين كانوا يعيشون فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين على ان أصول دولة « صونغاى » التى كانت تقوم على الضفة الشرقية لمنحنى النيجر .. موغلة فى القدم وانها كانت تقوم فى نفس الوقت الذى كانت تقوم فيه دولة « كانم » ودولة « غانا » القديمة فى القرون الاخيرة من الالف سنة الميلادية الاولى . وفى نيجيريا الشمالية وجمهورية النيجر تدل الاثار على أن دول الهوسا ترجع بأصولها ايضا الى نهاية الالف سنة الاولى للميلاد .

ومما سبق يمكن لنا أن نستخلص عدة نتائج منها :

١ ـ تكوين هذه الدول فى السودان الاوسط عملية تدل على وجود افكار سياسية اصيلة فى تلك المناطق .

٢ ـ ان الاصول الاولى لتلك الافكار ترجع فى جذورها الى المناطق العليا لوادى النيل .

٣ ـ أن تلك الافكار السياسية المنظمة التى أسفرت عن قيام تلك الدول السودانية قد وجدت قبل دخول المسيحية أو الاسلام بتلك المناطق . وبما ان وادى النيل هو المصدر الذى نبعت منه تلك الافكار السياسية فهذا يدل على أنها قد خرجت منه الى تلك المناطق السودانية قبل دخول المسيحية ـ وبالتالى الاسلام ـ بالوادى أو على الاقل ـ كما يقول الاستاذان رونالد أوليجر و ج . فاج فى كتاب موجز تاريخ افريقيا ـ قبل أن تثبت اقدامهما بالوادى . ولقد بدأت المسيحية زحفها من شمال الوادى الى جنوبه فى أواخر القرن السادس الميلادى . واستقرت خلال القرن السابع الميلادى هناك حتى استطاعت مقاومة زحف الاسلام عليها طوال قرون اربعة .. ثم بدأ الاسلام فى صبغ جنوب الوادى بطابعه التوحيدى المشرق الا فى القرن الحادى عشر ولابد أن النظم والقواعد التى تسربت من الحضارة النيلية أو بالاحرى من الحضارة الفرعونية العظيمة الى الممالك السودانية والتى ساهمت اكبر مساهمة فى تكوين تقاليدها ونظمها .. قد بدأت قبل القرن السادس الميلادى وعن طريق دولة « ميروت » التى كانت تقوم فى جنوب الوادى مجاورة لدول السودان الشرقية .

[illegible] من ذلك .. يجزم كثير من علماء الاثار الغربيين على ان بعض التقاليد والعادات التى انتشرت فى دول السودان الاوسط وساهمت فى تكوينها ترجع الى المهاجرين العرب الاوائل الذين وفدوا عن طريق البحر الاحمر من اليمن والجنوب العربى قبل الاسلام وقبل القرن السادس الميلادى .

فدول السودان الاوسط اساسا هى عبارة عن نتائج للتأثيرات المتبادلة بين المجتمعات الزراعية .. يضاف الى ذلك بعض الافكار الجديدة والاساليب الفنية المستحدثة خاصة فى ميدان التعدين والتجارة وفدت اليها من وادى النيل عن طريق الغزوات والمصادمات الحربية بين الجانبين وذلك لمحاولة السيطرة على طرق التجارة القديمة عبر الصحراء التى كانت تؤدى الى الشمال الافريقى الذى كان يقع اولا تحت سيطرة الرومان ثم البيزنطيين ثم العرب .

« عبد الرحمن صالح »

جنوب أفريقية مشكلة مستعصية

بقلم : جاد طه

يمتد جنوب أفريقيا من المنطقة التى تقع جنوب حوض نهر الزمبيزى ـ أى من خط تقسيم المياه بين نهرى الكونغو والزمبيزى ـ حتى راس الرجاء الصالح .

وعلى الرغم من ان جنوب أفريقية يكون وحدة جغرافية متماسكة ، فانه ينقسم الى عدد من الوحدات السياسية ، ويعتبر اتحاد جنوب أفريقيا أهم هذه الوحدات من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية .

ويقع اتحاد جنوب أفريقيا بين مناطق عازلة تحيط به وتفصله عن العالم المجاور ، ففى الغرب المحيط الاطلسى الذى يفصل أفريقيا عن أوربا والامريكتين وفى الشرق المحيط الهندى الذى يفصله عن العالم الشرقى أى آسيا واستراليا ، ويبقى المنفذ الشمالى الذى يربط الاتحاد ببقية الدول الافريقية .

وعلى الرغم من هذه الظروف ، فان الطبيعة وهبت جنوب افريقيا بعض المزايا التى جذبت اليها المستعمرين من البحر .. فوقوع جنوب أفريقيا على الطريق البحرى الذى يربط أوربا بالهند عاد عليها بفوائد كبيرة ، ذلك أن حركة التجارة التى كانت تتمتع بها موانى البحر المتوسط والبحر الاحمر فى العصور الوسطى انتقلت الى رأس الرجاء الصالح ، وظل جنوب أفريقيا يتمتع بنشاط تجاري عظيم حتي شقت قناة السويس ،

وبعد ذلك تحولت التجارة الى البحر المتوسط والبحر الاحمر من جديد .

كما أن وقوع جنوب افريقيا فى مهب الرياح وانتظام هبوبها صيفا وشتاء فتدفع السفن الشراعية من آسيا لافريقيا شتاء والعكس صيفا ، هذه الحركة التى يعبر عنها برحلة الشتاء والصيف ساعدت على ربط آسيا وأفريقيا وعلى نزول العناصر الاسيوية من هنود وعرب وملايو فى شرق القارة ، وهكذا نجد ان المحيطات التى كانت سببا فى عزلة جنوب أفريقيا قد أصبحت من دواعى الاتصال فى العصر الحديث وبعد تقدم وسائل النقل عبر المحيطات .

ويمتاز جنوب افريقية بظروفه المناخية الملائمة ... ولا نعرف ان كان هذا نعمة أم نقمة لان هذا المناخ الملائم جعل جنوب أفريقيا موطنا صالحا للعناصر الاوربية التى لم تلبث ان استولت على البلاد واعتبرت الافريقيين غرباء فى بلادهم .

الثروة الزراعية

تكاد الحياة النباتية الطبيعية فى جنوب افريقية ان تنحصر فى الاعشاب والحشائش ، وقد ساعدت هذه الظاهرة على انتشار حرفة الرعى ... على أن ذلك لم يعق قيام الزراعة التى استغلت فى الادوية . ويعد العنب من أهم المحاصيلات الزراعية كما ان القمح

يمل أهم الحبوب المزروعة . وقد أدت زراعة الفاكهة الى قيام كثير من الصناعات الزراعية كتعبئة الفاكهة وحفظها وتصديرها. ومن أهم الفواكه التى تصدر العنب والبرتقال والمشمش والكمثرى والتين . ويزرع الطباق كذلك فى جنوب افريقيا . وتقوم عليه صناعة السجائر وخاصة فى مدينة الكاب التى لاتكتفى بالانتاج المحلى بل تستورد الطباق اللازم لمصانعها من الترنسفال وروديسيا الجنوبية.

الثروة المعدنية :

تعتبر مناجم ريف Reef هى أغنى مناجم الذهب فى جنوب أفريقيا ، ويحدث التعدين فى منطقة يصل اتساعها نحو ٧٠ميلا فى شرق وغرب جوهانسبرج وعند عمق قد يصل الى ٧٧٠٠ قدم . ويعتمد الاتحاد الى حد كبير على الذهب ، ولهذا فهو يعمل جهده الآن فى ايجاد مصادر أخرى للثروة عن طريق الزراعة والصناعة ، ولكنها لاتكفى اذا مانفذت مناجم هذا المعدن النفيس ، وهذه هى المشكلة الاقتصادية التى تواجه حكومة الاتحاد الآن . أما الماس فتوجد هنا أغنى مناجمه فى العالم خصوصا فى كمبرلى ، وقد ظلت كمبرلى مركزا لصناعة الماس فى افريقيا كلها بالرغم من ان أغنى مناجمها قد نفذت منذ عام ١٩٢١ . كما يوجد فى جنوب أفريقيا النحاس والفحم والحديد خصوصا فى الترنسفال وكذلك البلاتين والمنجنيز .

مشكلات السكان :

سكان الاتحاد خليط من الوطنيين والملونين والآسيويين والاوربيين ، وتنقسم العناصر الوطنية الى ثلاثة أقسام من حيث الترتيب الزمنى فى الوصول الى جنوب أفريقيا . فيذكر علماء الاجناس ان البشمن هم أقدم الجماعات البشرية التى غزت جنوب أفريقيا، والخلص من هذه الجماعات يعيشون الآن فى منطقة محدودة تشغل الاجزاء الوسطى الشمالية من صحراء كلهارى . والبشمن من أمهر الصيادين ، وقليل منهم يعيش على الزراعة ، وهؤلاء يعيشون فى قرى صغيرة ولا يكونون سوى نسبة ضئيلة من عامة البشمن الذين يفضلون حرفة الصيد .

وقد أعقب البشمن الهوتنتوت فى النزول فى جنوب أفريقيا ، وهم يعيشون فى مناطق الهضاب الممتدة على شكل قوس كبير يمتد من الكارو فى الجنوب الى حدود أنجولا فى الشمال ، ويحترف الهوتنتوت رعى البقر والغنم والماعز وبعضهم يقوم بالزراعة .

وبعد ذلك جاءت جماعات البانتو ودفعت أمامها البشمن والهوتنتوت وأجلتها عن المناطق التى كانت تعيش فيها من قبل ماعدا منطقة صحراء كلهارى حيث الظروف الطبيعية التى لاتلائم حياة البانتو . ويؤلف البانتو الآن الغالبية العظمى من سكان جنوب أفريقية .

وهذه العناصر السابقة هى التى يطلق عليها فى جنوب أفريقيا اسم العناصر الوطنية، ومجموع عددها فى الاتحاد هو ٩٫٧٥١٫٠٠٠ نسمة حسب احصاء سنة ١٩٥٩ .

أما الملونون فهم خليط من أجناس مختلفة، وأصلهم من الهوتنتوت الذين كانوا فى الكاب، وقد اختلطت هذه العناصر بالعناصر الزنجية التى جلبها الهولنديون فى القرنين السابع عشر والثامن عشر من شرق أفريقيا وغربها ، وكذلك اختلطت بالعناصر التى جلبت من جزر الهند الشرقية ، كما تأثرت دماؤهم بالعنصر الابيض نتيجة للتزاوج فى الفترة الاولى من الاستعمار، ويبلغ تعداد هذا العنصر حسب احصاء سنة ١٩٥٩ ١٫٤٠٥٫٠٠٠ نسمة .

ويطلق لفظ الاسيويين على سكان اسيا الذين انتقلوا الى جنوب أفريقيا وبالاخص الهنود ، وأغلب الهنود هناك من الذين وفدوا الى ناتال كعمال مهرة فى زراعة قصب السكر وكذلك يقومون بالاعمال التجارية . وقد جمع الآسيويون ثروات كبيرة من الاعمال التجارية مما دعا بعض الاوربيين الى اقتراح اعادتهم الى أوطانهم الاصلية كحل لمشكلة السكان ، ولكن أولى بالبيض أنفسهم ان يتركوا البلاد للعناصر الوطنية ، وبذلك يمكن وضع حل لمشكلة السياسة العنصرية دفعة واحدة .

أما الاوربيون فيعيش معظمهم فى المدن ، وبالرغم من ان الانجليز أقلية فى الإتحاد فانهم

يسيطرون على الحياة الاقتصادية فى الاتحاد، ويبلغعدد الاوربيين حسب احصاء سنة١٩٥٩ ٣ر٠٦٧ر٠٠٠ نسمة .

تاريخ الاستعمار :

كان لكشف طريق رأس الرجاء الصالح فى سنة ١٤٨٧ على يد بارثلميو دياز البرتغالى اثره فى حركة الاستعمار الاوربى ، وقد أقام البرتغاليون مراكز لهم على الساحل الشرقى والغربى للقارة ، ثم توغلوا منها نحو الداخل سعيا وراء الثروة المعدنية وأصبحللبرتغاليين ممتلكات عديدة فى جنوب أفريقية ، الا أنه تحت ضغط هجمات الهولنديين أصبحت الممتلكات البرتغالية قاصرة على موزمبيق وأنجولا .

وهكذا أعقبت هولندا البرتغال فىاستعمار جنوب أفريقيا ، مكان الاستعمار الهولندى على يد بعثة برئاسة فان ريبيك نزلت فى عام ١٦٥٢ فى جنوب القارة ، وبعد هذا التاريخ توالت على هذه المنطقة عناصر اوربية اخرى. وكان تأثير الهولنديين كبيرا على العناصر الاخرى ، فأصبحت اللغة الهولندية هى السائدة ، وبالتدريج تحولت كل العناصر الى (بوير) هولندى . وفى القرن التاسع عشر كانت أملاك البوير تمتد فى الشمال حتى نهر أورنج ، واتسع فى الوقت نفسهالنشاط التجارى لمنطقة الرأس وزادت أهميتها كمحطة للتجارة البحرية القائمة بين هولندا وجزر الهند الشرقية .

وبدأ الاستعمار الانجليزى فى التدخل فى جنوب أفريقيا منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وظلوا يتبادلون مع الهولنديين الاستيلاء على مستعمرةالرأس حتى انتهى الامر باستعمارهم للرأس وتأسيسهم مدينة بورت اليزابث ، ويبدو ان الظروف التى أحاطت بالبوير فى ذلك الوقت لم تكن فى صفهم ... وهكذا بدأوا الهجرة الكبرى ، فتركوا اقليم الكابواتجهوا بكل مايملكون عبر منطقة الكارو نحو الشرق لوجود المراعى ووفرة الامطار ، ولما بلغت هذه الجموع هضبة باسوتو انقسمت الى شعبتين ، واتجهت الاولى نحو الشمال لكى تستقر فى منطقة الفلد العليا فى أورنج . أما الشعبة الثانية ، فانها تابعت السير نحو الشرق وعبرت جبال دراكنزبرج ونزلت فى ناتال وأقامت بها بعد أن اخضعت الوطنيين هناك . ولم تلبث ان كونت كلا هاتين الشعبتين جمهورية فى الاقليم الذى نزلت فيه ، فأصبح للبوير جمهوريتان هما أورنج الى الشمال من اقليم الكاب وناتال الى الشرق من أورنج ... ولكن الانجليز لم يرضوا بهذا الوضع ، وبعد عدة حروب بينهم وبين البوير ، تمكنوا من ضم جمهوريات البوير الى مستعمراتهم ، وبدا تقلص الحكم الهولندى فى جنوب أفريقيا ، الا أنه بعد مضى أربع سنوات من ضم الجمهوريتين منحت بريطانيا كلا من اورنج والترنسفال الاستقلال الداخلى كالذى منح تماما لمستعمرة الرأس وناتال من قبل ، وصار لكل من هذه المناطق الاربع الحق فى ادارة امورها الداخلية .

ولم يمض وقت طويل على ذلك حتى تكون اتحاد فيدرالى فى الولايات الاربع يعرف باتحاد جنوب أفريقية فى مايو سنة ١٩١٠ ، وتألفت فى العام نفسه أول وزارة للاتحاد برئاسة لويس بوتا ، واستهدفت سياسته التوفيق بين فريقى البيض وهما الانجليز والبوير ، الا ان الاخيرين لم ينسوا هزيمتهم التى أصيبوا بها أمام الانجليز .

وفى الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين ، شهد الاتحاد تقدما واضحا فى الصناعة يعتمد أساسا على الايدى العاملة من الوطنيين ، الا ان ريع هذا العمل كان يذهب الى جيوب البيض ، ولما اشتدت حاجة الصناعات الى الايدى العاملة ، تدفق الالوف من الافريقيين للعمل فى المصانع ، الا أن الأقلية البيضاء انزعجت من مصيرها المحتوم وهو الضياع وسط هذه الاكثرية.. الافريقية ، مما أدى الى تنفيذ السياسة العنصرية المعتمدة على الانانية ... أنانية الرجل الابيض .

سياسة التفرقة العنصرية :

لقد بدأت سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب القارة مع دخول العناصر الاوربية الاستعمارية ، ولكن تطبيق هذه التفرقة تميز بالحدة والعنف منذ عام ١٩٤٨ بعد أن ولى الحكم فى الاتحاد داعية التعصب الدكتور مالان رئيس الحزب الوطنى ، ولقد أحس الدكتور مالان استغلال وقوع حركة ماوماو فى كينيا وراح يدعو الى تأييد مبادئه فى التفرقة خشية امتداد تلك الحركة الى الاتحاد . ولما مات مالان خلفه فى رئاسة الوزارة «ستريد يوم» سنة ١٩٥٤ ، وكان أشد تطرفا من سلفه فى تطبيق سياسة التفرقة ، فهو لايدعو الى التفرقة فحسب ، وانما يطالب بأن تكون للرجل الابيض السيادة الكاملة . أما رئيس الوزراء الحالى ، فقد امتاز بطابع أشد قسوة فى تطبيق هذه السياسة المقوتة .

وقد نظمت سياسة التفرقة فى الاتحاد بعدة قوانين متداخلة ، فحرية دخول غير الاوربيين الى المدن قيدها قانون سنة ١٩٤٥ ، كما ان اخراج الوطنيين من المدن الكبرى وضواحيها يحدده قانون صدر فى عام ١٩٥٤ والذى تقرر على أساسه ابعاد حوالى ٦٠٫٠٠٠ من الافريقيين بمدينة جوهانسبرج وحدها ، كما انه لتقييد حق غير الاوربيين فى امتلاك الارض صدر قانون الاراضى فى عام ١٩٥٠ يحرم على الوطنيين والملونين شراء أى عقار ثابت فى الجهات غير المخصصة لسكناهم ، كما ان الاراضى المخصصة لهم فقيرة وتعوزها المياه . كما ان قوانين العمل تفرض على العمال الافريقيين عبودية قاسية ، فالقانون يحرم عليهم ان يتركوا العمل بدون اذن صاحبه ، وهناك قانون فريد فى نوعه ، فقانون تصاريح المرور يقضى على كل أفريقى تزيد سنه على السادسة عشرة بأن يحمل معه عدة جوازات مثل الترخيص بالاقامة والترخيص بالخروج من المنزل بعد العاشرة مساء ... والافريقى الذى له الحق فى الاقامة باحدى المدن لاكثر من ثلاثة أيام هو الذى أقام فيها بصورة دائمة منذ ولادته واشتغل فيها باستمرار عند صاحب عمل واحد لمدة عشر سنوات ، أما من هم غير ذلك فيجب ان يكون معهم ترخيص خاص لمدة ثلاثة أيام يبحث خلالها عن عمل ، فاذا رخص اليه منح ترخيصا بالبقاء ، كما ان عدم حمل الجواز جريمة يعاقب عليها مرتكبها ، وهناك تعسف شديد فى تطبيق هذا النظام ، وهكذا يسير الامر فى اتحاد جنوب أفريقيا على طرفى نقيض ، اذ يمنع الافريقيين من التنقل داخل بلادهم الا بجوازات المرور ، بينما يرتع الغرباء فى البلاد دون ضابط لهم أو رابط .

ولا ريب ان القصد من هذه السياسة هى المحافظة على الامتيازات الضخمة للاقلية البيضاء ، ومن هنا كان عزل الافريقيين فى المعازل التى تؤدى الى انتشار الامراض والاوبئة فى صفوفهم كما تؤدى الى هلاك الكثيرين منهم جوعا ، كما ان أهم أهداف السياسة العنصرية هى المحافظة على مصالح الرأسمالية والاحتكارات الاجنبية الضخمة ، وكل ذلك يؤدى بنا الى ان نستنتج بان السياسة العنصرية هى وسيلة للاستغلال بقصد تضخيم الارباح .

مستقبل الاتحاد :

بالرغم من السياسة التعسفية التى تنتهجها حكومة الاتحاد ، فان فترة مابين الحربين شهدت التطور الرسمى للحركة الوطنية الافريقية ، فقد عمل المؤتمر الوطنى الافريقى — الذى تكون سنة ١٩١٣ — على ان تتعاون معه جميع العناصر الملونة ، فبدأ بتكوين حركة الوحدة بين غير الاوربيين فى عام ١٩٣٥ ، الا ان محاولة توحيد الجهود لم تنجح .

وتطور الامر عند ماظهر على المسرح البرت جون لوتولى رئيس حزب المؤتمر الافريقى الذى ينادى بالمقاومة السلبية والكفاح غير المسلح ... وقد كان قرار لجنة نوبل للسلام بمنح لوتولى الجائزة عن سنة ١٩٦١ مبنيا على انه يمثل صوت العقل وسط موجات التعصب ، الا انه بعد فترة وجيزة انهارت هذه الآراء المثالية ، ففى خلال عام ١٩٦٢ ! انفصل عن حزب لوتولى حزب آخر واتخذ

لنفسه اسم الحزب التحررى ونادى بالثورة المسلحة ، الا ان حكومة الاتحاد دبرت مجزرة رهيبة لافراد هذا الحزب، كما أودع سوبوكوى زعيم هذا الحزب فى السجن .

ثم انفصل عن حزب المؤتمر فريق ثان باسم « رمح الامة » برئاسة الزعيم الافريقى الثائر نيلسون مانديلا ، وبدأ « رمح الامة » نشاطه الايجابى ضد الطغيان بسلسلة من عمليات التخريب ضد الحكومة ...وان كان قد قبض على مانديلا وأودع السجن ليقضى فيه خمس سنوات ، فان العمليات التى يقوم بها اتباعه أثبتت جدوى المقاومة المسلحة عن غيرها من أنواع النضال . وقد كان من الممكن دائما فى الماضى ان يقال انه سوف تمضى سنوات كثيرة قبل ان تصل الاحداث فى جنوب أفريقيا الى الذروة ، وان الاتحاد سوف يغير سياسته فى الوقت الملائم ، ولكن هذا القول لم يعد مقنعا اليوم ، فبرغم اجراءات التعسف التى تزداد عنفا يوما بعد يوم ، فقد فشل الاتحاد فى ان يزيل خطر الثورة الوطنية .

وقد حصلت العناصر الوطنية فى الاتحاد على تأييد الضمير العالمى كله ضد الاستغلال فقرارات الامم المتحدة ، وقرارات المؤتمرات الافريقية المختلفة وعلى رأسها مؤتمر القمة الافريقى الاخير ، قد نصت على قطع العلاقات مع اتحاد جنوب أفريقيا وعلى الغاء السياسة العنصرية وعلى منح الافريقيين حقهم فى الحرية والكرامة ، والآن لم يبق أمام الوطنيين فى الاتحاد سوى طريق واحد وهو طريق الثورة الوطنية الشاملة ضد الاستعمار ، وذلك بالمساعدة الفعالة من الدول الافريقية المتحررة، ولا ريب ان الثورات الوطنية العديدة التى قامت بين عامى ١٩٥٢ ــ ١٩٦٢ فى القارة الافريقية المناضلة لتعد نبراسا للوطنيين فى جنوب أفريقيا يمكنهم الاقتداء به فى ثورتهم المشروعة ضد الاستعمار... ضد الاستغلال.

« جاد طه »



الجمهورية العربية المتحدة وخطة التنمية في الصومال

بقلم : رضا خليفة

قام الدكتور عبد الرشيد شرماركى رئيس وزراء الصومال بزيارة خاطفة للجمهورية العربية المتحدة فى أوائل اغسطس الماضى .. وقضى ٤٨ ساعة فى الاسكندرية فى اجتماعات متصلة مع الرئيس جمال عبد الناصر والسيد على صبرى رئيس المجلس التنفيذى .

وقد أعلن الرئيس الصومالى فى ختام زيارته القصيرة أن مباحثاته فى الاسكندرية تناولت فى المقام الاول اشتراك الجمهورية العربية المتحدة فى تنفيذ برنامج الخطة الخمسية الاولى فى الصومال . فقد انتهت لجنة التخطيط والتنسيق برئاسة الدكتور شرماركى نفسه من اعداد مشروع أول خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ٢٩ يوليو الماضى . ويبدأ تنفيذها فورا على أن يتم فى عام ١٩٦٧ .

وقال الرئيس شرماركى انه بمجرد التصديق على المشروع ، تقرر أن يسافر رئيس الوزراء على رأس وفد كبير ، فى رحلة حول العالم ، يزور فيها الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية والهند وباكستان وايطاليا . وذلك لبحث استخدام القروض والمساعدات التى تقدمها هذه الدول لجمهورية الصومال فى تنفيذ برنامج التنمية . والمعروف أن الاستثمارات المطلوبة لتنفيذ الخطة تبلغ قيمتها الاجمالية ١٤٠٠ر١ مليون شلن صومالى « ما يعادل ٧٠ مليون جنيه » منها ٦٧٧ مليون شلن صومالى من القروض والمساعدات الخارجية و ٧٢٣ مليون شلن صومالى تمويل داخلى .

٤ مليون من ج.ع.م

وقال رئيس وزراء الصومال ان القرض الذى قدمته الجمهورية العربية المتحدة لحكومة الصومال — وقيمته ٤ ملايين جنيه — سيستخدم فى تنفيذ جزء هام من مشروعات التنمية . وكانت القاهرة قد قدمت هذا القرض عام ١٩٦٠ ولم يستخدم بعد .

وقد تم الاتفاق فى الاسكندرية على ان تشترك الجمهورية العربية المتحدة فى تمويل

وانشاء مشروعات مشتركة فى حدود القرض المصرى .. وأهم هذه المشروعات انشاء مجزر حديث واقامة مصنع للاسمنت واخر لحفظ الاسماك وثالث للسكر .

كما وافق الرئيس جمال عبد الناصر على طلب الرئيس شرماركى بتزويد الصومال بالخبراء لدراسة المشروعات الصومالية على الطبيعة ، وبالخبراء الذين تطلبهم حكومة الصومال خاصة الخبراء الزراعيين ، وبزيادة عدد الاطباء المصريين العاملين فى الصومال من ١١ الى ٢١ طبيبا . ووعدت القاهرة ايضا بمضاعفة وارداتها من الصومال حتى يتعادل الميزان التجارى بين البلدين أويكون فى صالح الصومال . والمعروف أن الميزان التجارى الان فى صالح الجمهورية العربية المتحدة بنحو نصف مليون جنيه .

ووافقت الجمهورية العربية على تخصيص عدد من المنح الدراسية للصوماليين القادمين من المناطق الصومالية المحتلة . وكثير من هؤلاء الصوماليين يصلون الى القاهرة سيرا على الاقدام ويتكبدون مشاق مضنية ليلتحقوا بالمدارس والمعاهد والجامعات المصرية ... والمعروف ان هناك نحو ٢٥٠ طالبا صوماليا فى الجمهورية العربية المتحدة .

ولم يهمل الرئيسان المسائل السياسية فى مباحثاتهما . فقد استعرضا الموقف الدولى واتفقا على تأييد اتفاقية موسكو للحظر الجزئى للتجارب النووية .

وعرض الرئيس الصومالى موقف حكومته من النزاع القائم حول اقليم الحدود الشمالية ، واصرارها على ضرورة حل هذه المشكلة التى خلقها الاستعماريون الانجليز ، قبل استقلال كينيا فى ديسمبر القادم .

الخطة طريق شاق

وقال الرئيس شرماركى انالحكومةوالشعب الصومالى يعلمون تماما أن الطريق الذى بدأوا السير فيه لتنفيذ الخطة طريق شاق جدا .. « ولكننا سنبذل كل جهدنا للقيام بهذه المهمة ، لانها حيوية بالنسبة لمصالح الشعب الصومالى ، ونحن واثقون من النجاح » ..

وقد أهدى الرئيس الصومالى نسخة من المشروع الكامل للخطة للرئيس جمالعبد الناصر . وقد قام باعداد هذه الخطة الدكتور عبد الرشيد شرماركى واعضاء مجلس الوزراء وكبار المسئولين وخبراء الامم المتحدة فى الصومال .

مشاكل خلفها الاستعمار

وتستعرض الخطة الاوضاع الراهنة فى الصومال التى مزقها الاستعماريون الانجليز والفرنسيون والايطاليون .

وتبلغ مساحة الجمهورية الصومالية « الصومال الايطالى والصومال البريطانى سابقا » ٦٦٠ كيلو مترا مربعا ، وتقع على الساحل الشرقى لافريقيا بين الصومال الفرنسى واثيوبيا وكينيا ، يحدها المحيط الهندى من ناحية ، وخليج عدن من ناحية أخرى .

وتصل المساحة الصالحة للزراعة نحو ٨ ملايين هكتار ، بينما لا تزيد الاراضى المزروعة فعلا عن ٣٥٠ الف هكتار ، وذلك لعدم كفاية وسائل الرى الدائم . وهناك أيضا ٣٥ مليون هكتار صالحة للمراعى وتربية الماشية .

وتعتمد الزراعة فى الصومال على نهرى جوبا وشبيلى وكلاهما ينبع من اثيوبيا . وكل سنة يجف نهر شبيلى فترة طويلة تتراوح بين شهرين واربعة أشهر . كما تعتمد الزراعة ايضا على الامطار التى يختلفحجمها من سنة لاخرى . وتبلغ مساحة الغابات فى الصومال اكثر من ١٤ ٪ من مساحةالجمهورية وهناك امكانيات هائلة لاستغلال هذه الغابات وهى مصدر لا ينضب ..

وهكذا ، فان ثلثى الشعب الذى يقدر تعداده بخمسة ملايين نسمة ، من البدو الرحل ، يعتمدون فى حياتهم على الرعى ؛ ولن يقبل هؤلاء البدو على الاستقرار فى الزراعة الا بعد اقامة مشروعات للرى .

ومن اصعب المشكلات التى تواجه الصومال الان مشكلة النقل . ففى طول البلاد وعرضها

٦٠٠ كيلو متر من الطرق الاسفلت . وليس فى الصومال سكك حديدية على الاطلاق . وليس فيه موانى صالحة للاستعمال .ويجرى العمل الان فى بناء ميناء يجرى فى كيسيمايو بالجنوب وآخر فى بربيرا فى الشمال .

اهداف الخطة

وقد حددت الخطة الخمسية للتنميـــة الاقتصادية الاجتماعية الاهداف التى تسعى حكومة الصومال الى تحقيقها فيما يلى :

- توحيد النظم الادارية والقانونية والمالية والتعليمية ، وتوحيد اقتصاديات الاقليـــم الشمالى والاقليم الجنوبى للجمهورية .
- اقامة جهاز ادارى سليم فى البلاد .
- تقديم التسهيلات التعليمية .
- بناء اساس اقتصادى متين وذلك بانشاء الموانى والطرق والمطارات وتوفير الخـــدمات الرئيسية كالمواصلات والكهرباء والرى بأجور زهيـدة .
- تطبيق التشريعات الزراعية وتسجيل حقوق الملكية الزراعية .
- زيادة فرص العمالة لتوفير العمل لابناء الصومال .
- توفير المياه الصالحة للشرب للشعب الصومالى وللماشية .
- تنمية الانتاج الزراعى والثروة الحيوانية وتوفير الاسواق لها .
- تنمية الصناعات الكبيرة والصـــغيرة والحرف اليدوية .
- موازنة ميزانية الدولة .
- تحسين الموقف بالنسبة لميزان المدفوعات
- القيام بعمليات المسح والبحث للكشف عن الثروات الطبيعية فى البلاد .
- التوسع فى الخدمات الصحية للبدو الرحل الذين يستقرون فى الارض .
- توفير الوسائل والتســهيلات اللازمة لاستقرار البدو .

التمويل الخارجى

وتعتمد الخطة على التمويل والمساعدات الخارجية . وتأتى هذه القروض والمساعدات من الاتحاد السوفيتى « ٣١٧٫٥٠٠٫٠٠٠ شلن صومالى» والسوق المشتركة « ٨٢٫١٠٠٫٠٠٠» والجمهورية العربية المتحدة «٨٠٫٠٠٠٫٠٠٠» والولايات المتحدة الامريكية « ٧٨٫٤٠٠٫٠٠٠ » والمانيا الاتحادية « ٤٤٫٥٠٠٫٠٠٠ » وايطاليا « ٤٤٫٣٠٠٫٠٠٠ » وتشيكوسلوفاكيـــا « ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ » .

الاولوية فى الخطة

وتستهدف خطة التنمية فى الصـــومال الاستخدام الكامل للقدرات الانتاجيـة فى البلاد .

وقد تم تحديد الاعتمادات المطلوبة بالمليون شلن الصومالى لتنفيذها كما يلى :

١ ـ المواصلات	٤١٠ر ــ
٢ ـ الزراعة	٢٥٠ر ــ
٣ ـ الصناعة	٢٢٠ر ــ
٤ ـ الاسكان والتوطين والمياه	١١٥ر ــ
٥ ـ الرى والصرف واستغلال الفياضانات	٩٠ر ــ
٦ ـ التعليم	٩٠ر ــ
٧ ـ البنوك والتسليف	٩٠ر ــ
٨ ـ الصحة والبيطرة	٤٣ر ــ
٩ ـ المسح والابحاث	٤٠ر ــ
١٠ـ الوقود والطاقة	٢٥ر ــ
١١ـ البرق والبريد	١٦ر ــ
١٢ـ الاستعلامات	١٤ر ــ
١٣ـ الرعاية الاجتماعية	٦ر ــ
١٤ـ الاحصاء	٦ر ــ

ويبلغ اجمالى الاستثمارات المطلـــوبة لتنفيذ البرنامج ١٫٤٠٠ مليون شلن صومالى

وقد أعلن الرئيس الصومالى فى الخطاب الذى قدم به مشروع الخطة ان جميـــع المصالح والادارات الحكومية سوف تسترشد بالخطة ، ولن تسمح الحكومة بأية انحرافات عنها الا بموافقة مجلس الوزراء .

وقال .. « ان الخطة لن تنقلنا مباشرة الى مجتمع الرفاهية والكفاية ولكنها ستقودنا الى هذا المجتمع . واننا نقدر التضحيات التى يتحتم علينا ان نبذلها .. ان علينا ان ندفع ضرائب اكثر وان نوفر اكثر وان نضاعف جهودنا » .

((رضا خليفة))

التنمية الاقتصادية في السودان



بقلم : وهبي غبريال

عمدت حكومة السودان ، رغبة منها فىدفع عجلة التنمية الاقتصادية فى البـــلاد ، الى تخصيص جزء من أموال القطاع العام لتنفيذ بعض المشروعات التى لا يستطيع رأس المال الخاص النهوض بها ، فقامت بانشاء بنـك السودان والبنك الصناعى وبنك التسليف الزراعى ومصنعين للسكر ومصـــنع للورق ومصنع للاسمنت الى جانب مدبغة حكومية كبيرة وعدد اخر من المشروعات الحيـــوية بالنسبة للاقتصاد السودانى .

ورغم التسهيلات الكبيرة التى تقدمهـــا حكومة السودان للاستثمار الاجنبىوما وعدت به الحكومة من منح امتيازات اوفى ارؤوس الاموال الاجنبية لاغرائها على الدخول فى ميادين المشروعات الاقتصادية ، الا انهيلاحظ عدم اقبال رأس المال الاجنبى حتى الان على الاستثمار فى السودان وذلك اذا استثنينا بعض رؤوس الاموال الانجليزية المستثمرة فى تكرير البترول فى بور سودان .

وعموما يمكن القول ان استثمارات القطاع العام تمثل حاليا الجزء الاكبر من الاستثمار فى السودان اذ تبلغ حوالى ٨٩ ٪ من جملة الاستثمار .

هذا وقد اعلنت الحكومة فى اواخر العام الماضى الخطة العشرية للتنمية الاقتصـــادية والاجتماعية (١٩٦١/١٩٦٢ ـ ١٩٧٠/١٩٧١) وهى تهدف الى زيادة الدخل القومى من ٣٥٠ مليون جنيه فى سنة الاساس الى ٥٦٠ مليونجنيه فى نهاية سنى الخطة بمعدل ٥ر٢٪ فى السنة وهذا سوف يؤدى الى زيادة دخل الفرد من ٣٠ جنيها فى السنة الى ٣٧ جنيها سنويا على اساس استمرار المعدل السنوى لزيادة السكان وهو ٨ر٢ ٪ .

وقد شملت الخطـــة العشرية مشروعات حيوية بالنسبة لقطاع الزراعة ، والمقدر ان تزداد المساحات المروية بنحو ٤٠ ٪ كمـــا تعنى الخطة ايضا باســـتخدام الوسائل الميكانيكية بالنسبة للزراعة التى تعتمد على الامطار . وبالتالى فان ذلك سوف يؤدى الى تنويع الحاصلات الزراعيـــة بخلاف القطن كالسمسم والفول السودانى والقمح والبن والشاى وقصب السكر ويزيد من انتاجانواع القطن القصير والمتوسط التيلة .

اما بالنسبة لقطاع الصناعة فقد قـدر ان القيمة الاجمالية لانتاجها سوف ترتفع من ٦ ملايين جنيه الى ٣٦ مليون جنيه سنويا أى بزيادة قدرها ٥٠٠ ٪ تقريبا فى نهـــاية سنى الخطة . وستتركز الزيادة فى انتـاج السلع الاستهلاكية كالزيوت النباتية والسكر والفواكه المعلبة واللبن الجاف والســجاير والمنسوجات والاحذية والكبريت . ومن المقرر

ان تنتج ايضا الاسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية ومنتجـــات البترول والاسمنت والزجاج ومواد البناء .

وفى قطاع المواصلات وجهت الخطة عنايتها للنهوض بمرفق السكك الحديدية وتمهيد الطرق وتضمنت الخطة مشروع انشاء طريق (مدنى ـ الخرطوم) وبعض الطرق الداخلية الاخرى . كما تشمل الخطة ايضا مشروع انشاء مطار دولى جديد بالعاصمة وتزويد الخطوط الجوية السودانية بعدد مناسب من الطائرات .

وقد قدرت جملة الاستثمارات اللازمـــة للخطة العشرية بحوالى ٥١٢ مليون جنيه سودانى ، تبلغ حصة القطاع العام منها ٣٣٧ مليون جنيه وحصة القطاع الخاص ١٧٥ مليون جنيه ، وقدرت الحكومة ان ٨٨ ٪ من المبلغ المقدر للقطاع الخاص يمكن الحصـــول عليه من وفورات القطاع الخاص المحلى ، ١٢ ٪ فقط من رأس المال الاجنبى الخاص . وتبدى الحكومة اهتماما كبيرا لانشاء سوق مالية بالخرطوم يمكن عن طريقها تعبئـــة مدخرات القطاع الخـــاص وتوصيلها الى الاستثمار فى مشروعاتها الانتاجية المقـررة بالخطة .

ولا شك ان تنفيذ الخطة العشرية بالسودان من شأنه سد احتياجات البلاد من السـلع الاستهلاكية وبالتالى تقييـــد الاستيراد من الخارج وتقوية ميزان المدفوعات الى جانب زيادة الصادرات وتنويعها مما يزيد من حصيلة البلاد من تجارتها الخارجية .

ويتوقع الخبراء ان تنفيـــذ المشروعات الواردة بالخطة سوف يخلق الفرص الكافية لتشغيل العمال وان ذلك سوف يتطلب ايجاد نحو ٦٠٠ الف وظيفة جديدة لمختلف طبقات العمال .

ومن المتوقع ان تساهم الثروة المعدنيـة والمنجمية الموجودة فى السودان بنصيب وافر فى خلق رؤوس الاموال المطلوبة لتنفيـــذ المشروعات الاقتصادية فى البلاد ، فقد دلت الابحاث الاولية على وجود النحاس والرصاص والكروم والحديد والجرانيت والرخام والجبس وخامات الاسمنت فى مناطق مختلفة وخاصة فى مناطق البحر الاحمر ، كما قدر المختصون وجود ١٠ ملايين من النحاس فى مديرية بحر الغزال فى منطقة مساحتها ٩٠٠ x ٤٠٠ متر تقريبا وعلى عمق ٢٨ مترا ، الى جانب وجود الحديد فى منطقة أبو تولو فى غرب السودان بكميات وفيرة ، واليورانيوم فى المنطقة القريبة من حدود الكونغو . والواقع أنه حتى الان لم يمكن الاستفادة من هذه الثروة .. الاستفادة المرجوة نظرا لصعوبة الانتقال فى ســـهول السودان الواسعة بسبب عدم وجود شبكة مواصلات ولعدم توافر الاموال اللازمة لعمليات الاستغلال ، الا ان الحكومة تعمل جاهـــدة على اكتشاف هذه الثروات واستغلالها وتبعث بالمختصين الى هذه المناطق لمسحها جيولوجيا ووضع التقارير الفنية عن الثروات الكامنة فيها .

وهبى غبريال

اقتصاديات كينيا وعلاقاتها مع الجمهورية العربية المتحدة



بقلم : محمود متولى

بعد كفاح مرير ونضال قاس .. أجبر شعب كينيا المملكة المتحدة على أن تعترف له بحق تقرير المصير بحقه فى الحياة كشعب يتوق الى الحرية ويعشقها ويقدسها .

وفى أول يونيو ١٩٦٣ تكونت أول حكومة وطنية برياسة جومو كينياتا بعد فوزه فى الانتخابات وحصلت كينيا على الاستقلال ضمن دول الكومنولث .

عرض تاريخى ..

جاء المستعمرون الاوائل الى كينيا فى هيئة تجار ومبشرين وعقدوا معاهدات غير متكافئة مع زعماء القبائل ، وعن طريق هذه المعاهدات أنشأت الشركات التى احتلت الاراضى ، ولم يلبث التدخل ان صار شرعيا لحماية هذه الشركات .

وقد شهدت كينيا موجات عديدة من الهجرات المتتابعة أدت الى توسع المستعمر فى التوتر فى المناطق المرتفعة التى تلائم سكنى الاوربيين ، وقد شكل هؤلاء المهاجرون :

١ — الاوربيون المحاربون خلال الحرب الاولى والثانية بعد تسريحهم من الخدمة .

٢ — اليهود المهاجرون فرارا من المانيا النازية .

٣ — بعض الاوربيين الفارين من أوربا الشرقية بعد وقوعها تحت السيطرة الشيوعية .

وقد وقعت كينيا فى أول نوفمبر سنة ١٨٨٦ شرعيا تحت السيطرة البريطانية بعد المعاهدة التى عقدتها بريطانيا مع سلطان زنجبار التى كانت لها السيطرة على شرق افريقيا فى ذلك الوقت .. وقد وجد المبشرون البروتستانت من الانجليز طريقهم من الداخل ولم تلبث كينيا ان أصبحت مستعمرة فى سنة ١٩١٥ . وفى سنة ١٩٢٠ انشىء بها أول مجلس تشريعى يتكون من المتطرفين البريطانيين والهنود فقط وحرم أصحاب البلاد الاصليون . وفى سنة ١٩٢١ تألفت أول جمعية للمطالبة بمراعاة مصالح الوطنيين وقد انتخب جومو كينياتا زعيما لها . وقد وجدت المقاومة ضد المستعمر فى صور ثلاث .

١ ـ صورة مقاومة القبائل . وقد اتخذت الطابع العنيف خاصة بعد اعتداء البريطانيين على كثير من أراضى هذه القبائل .

٢ ـ صورة المقاومة السلبية من الشعب وعدم التجاوب مع بريطانيا .

٣ ـ صورة المقاومة المسلحة والكفاح الفدائى .

وبالاضافة الى هذه الحركات لم تلبث أن تبلورت صورة رابعة اتخذت طابع المهادنة مع المستعمر ومحاولة الحصول على الحرية بالطريق السلمى وقد ظهرت هذه الصورة عن طريق الجمعيات وأهمها جمعية شرق افريقيا واتحاد كينيا الافريقى . ولما لم تجد هناك من أمل إبأن يتنازل الاستعمار عن جزء من سيطرته بدأت هذه الجمعيات فى الالتجاء الى طرق العنف حيث نجحت فى اثارة المشاعر وتأليب المواطنين على المستعمر مما سبب له ضيقا كبيرا .

وأول ثورات كينيا ضد المستعمر البريطانى كانت سنة ١٩٢٢ وتعرف باسم ثورة (هارى طوكو) كان من نتيجتها تصريح ديفونشير الذى اعترف بأحقية الوطنيين فى أرضهم وأعلن أن بريطانيا موجودة فى كينيا للعمل على تقدم الافريقيين وفى سنة ١٩٤٧ بدأت حركة ثورية خاصة بعد انتخاب كنياتا رئيسا لاتحاد كينيا الافريقى ولم يلبث الصراع أن اشتد بين الوطنيين والانجليز وذلك لمحاولة بريطانيا سد سبل المعيشة امام الشعب وتزعمت قبيلة الكيكويو ، وهى تمثل اكثر من خمس سكان كينيا وأعلنت هذه القبيلة فى سنة ١٩٥٢ حرب العصابات التى تزعمها الرمح الاسود (جومو كنياتا) وأعلنوا حرب الماو ماو التى سببت الرعب والفزع للمستعمر البريطانى رغم القبض على جومو سنة ١٩٥٢ الا أن الحركة الوطنية ازدادت لهيبا وسعيرا وأخيرا لم تر بريطانيا بدا من الاعتراف بالحق الذى تجاهلته كثيرا ووافقت على منح كينيا استقلالها وتكونت أول وزارة وطنية على أساس ديمقراطى وأصبحت كينيا تشارك الركب الوطنى التحررى فى افريقيا . ولقد اعتمد الاستغلال الاستعمارى البريطانى فى كينيا على ثلاث مبادىء كان لها أكبر التأثير السيىء على اقتصادياته .

١ ـ استغلال الاراضى .

٢ ـ استغلال المصادر المعدنية .

٣ ـ استغلال الطاقة البشرية .

ولعل استغلال الاراضى فى كينيا بالذات ممتاز عن منطقة شرق افريقيا لان كينيا بمرتفعاتها كانت أصلح سكن للاوربيين ومن ثم انتزع البريطانيون الكثير من الاراضى الخصبة لانفسهم وتركوا الاراضى الجدباء للافريقيين ومن ناحية استغلال المصادر المعدنية وقد ذهبت بريطانيا فى ذلك بعيدا حيث كانت تستغل كل ثروات كينيا لمصلحتها الخاصة هذا الى جانب أن بريطانيا استغلت كينيا بشريا أبشع استغلال وقد كانت كينيا الى عهد قريب تقع تحت السخرة المباشرة وكانت بريطانيا تفرض الضرائب الكثيرة على سكان الارياف وتجبرهم على التخلى عن وضعهم الزراعى والهجرة الى المدن والعمل فى المناجم والمزارع بأرخص الاجور ولكن بعد عودة استقلال كينيا لا شك ستعدل الاوضاع وتعود الى وضعها الطبيعى ويستغل أهالى كينيا ثرواتها لمصلحتهم وفى تحسين مستوى معيشتهم .

الموقع الجغرافى :

تقع كينيا على ساحل المحيط الهندى وتمتد فى الداخل حتى بحيرة فكتوريا وأوغندا وامتدادها من المحيط الهندى يبدأ من نهر Ymbe الى رأس ديك وقد كان هناك كينيا المستعمرة وكينيا المحمية وكانا يعرفا باسم محمية شرق أفريقيا ، وفى سنة ١٩٠٥ انتقلا من التبعية لوزارة الخارجية الى وزارة المستعمرات وتميزت المنطقة الساحلية بأنها كانت محمية كينيا وهى المنطقة المطلة على المحيط الهندى . ولم تلبث كينيا ان أصبحت وحدة واحدة بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت تشكل حدودها الحالية ، وتتصل حدود كينيا بالحبشة والصومال والسودان ، ومما يذكر أن كينيا لم تعرف باسمها الحالى الا فى يوليو سنة ١٩٢٠ وكان اسمها قديما أرض الزنج قبل ان تعرف بمحمية افريقيا الشرقية .

المساحة والسكان :

المساحة الكلية لكينيا ٢٢٤٩٦٠ ميلا مربعا منها حوالى ٥٢٣٠ ميلا مربعا ماء ويبلغ تعداد السكان فى كينيا سنة ١٩٦٢ حوالى ٩ ملايين ونصف مليون نسمة ، والسكان هناك أربعة أقسام الوطنيون الافريقيون ، الانجليز الاوربيون ، الهنود الاسيويون ، العرب . وقد وصل تعداد هؤلاء فى سنة ١٩٤٨ كالاتى : ٩٧٦٨٧ اسيويا ٢٩٦٦٠ أوربيا ٢٤١٧٤ عربيا ، والوطنيون ينقسمون الى أكثر من ٢٠٠ قبيلة وهم يتكلمون اللغة السواحلية (لغة شرق افريقيا كلها) وبعض القبائل يتكلمون لغات البانتو

ومن أشهر قبائل كينيا الكيكويو والمساى وليمبوا والبالوهيا وقد وصل التعداد سنة ١٩٥٦ بالنسبة للجاليات الاجنبية كالاتى ٥٧٧٠٠ أوربى ، ١٥١٩٠٠ هندى ، ٣٣٠٠٠ عربى ، ومنذ بدأ الاستعمار البريطانى لكينيا حتى نهاية الربع الاول من القرن العشرين تناقص عدد السكان بمقدار الثلثين بينما ارتفع عدد الاوربيين بنسبة ٢٠٤ ٪ فهم فى سنة ١٩١١ كانوا يبلغون ٣١٧٥ وصلوا سنة ١٩٢١ الى ٩٦٥١ وصلوا سنة ١٩٢٦ الى ١٢٥٢٦ ، والسكان العرب يقومون بدور لا بأس به للتجارة ولكن التجارة فى كينيا تكاد تكون احتكارا للهنود حيث ان أكثر من ٨٢ ٪ من الهنود يعملون بالتجارة

المواصلات :

لا تزال المواصلات فى كينيا فى حاجة الى الاهتمام رغم أن المستعمر أقام شبكة لخدمة أغراضه الا أن كينيا فى حاجة فعلا الى مد كثير من الخطوط الحديدية وتوجد عدة موانى لهـا قيمة فى النقل البحرى أهمها منبثة وكيليندينا . والنهر الرئيسى يوجد فى الشمال ويسمى نهر التانا وهو يصب فى المحيط الهندى ولا زال هذا النهر فى حاجة الى العناية لاستخدامه كطريق للمواصلات على انه للنقل البرى أهمية كبيرة خاصة وان كينيا بها طرقا بحرية وذلك نتيجة لسكنى الاوربيين بها ومن المنتظر بعد حصول كينيا على استقلالها ان تهتم بالمواصلات بأنواعها البرية والنهرية والبحرية وانشاء أسطول تجارى واستغلال سواحلها على المحيط الهندى .

المدن الهامة :

نيروبى : هى العاصمة ، ويقدر سكانها بحوالى ٢٧٠٠٠٠ نسمة ويسكنها حوالى ٢٩٠٠٠ أوربى ، ٩٥٠٠٠ اسيوى وتنقسم كينيا الى ستة مديريات .. مديرية الساحل وعاصمتها منبثة . المديرية الوسطى وعاصمتها نيرى . وادى رفت وعاصمته نكيورى . مديرية نزا وعاصمتها كيوميو . المديرية الشمالية وعاصمتها اسبليو . المديرية الجنوبية وعاصمتها فجوجو . ونيروبى تعتبر قائمة بذاتها وأهم الموانى هى منبثة وكينزوين .

العادات والتقاليد الاجتماعية ، ومدى التقدم الحضارى :

تواجه كينيا عادات قبلية غريبة قد تؤثر على استقلالها ، فهناك تناحر بين القبائل ولا بد لكينيا ان تحاول القضاء على الخرافات والاساطير التى تحكم هذه القبائل . القبيلة الافريقية فى كينيا مغرمة بحب الارض وتعتبر أن الارض هى الرزق الالهى المقدس ويمارس أهالى كينيا عادة الختان والارض هناك تعتبر عاملا هاما فى حياة القبيلة من النواحى الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية ولذا أطلقوا عليها اسم أم القبيلة كناية عن ان الام تحمل طفلها ٩ شهور حتى يصير رجلا أما الارض فتغذيه طول عمره حتى يصير كهلا ، ومع أن نظام الملكية الفردية موجود الا أن الارض جميعها تعتبر ملكا للقبيلة .

وقد كان نتيجة لتدخل المستعمر أن ظهرت طبقات اجتماعية تقوم على أساس اللون والعنصر والسلالة ولا تقوم على أساس الثروة أو التملك ، وهذه الطبقات الاجتماعية المصطنعة لا تتفاهم مطلقا ولا تعترف لاى علاقات اجتماعية سوى خضوع وتبعية الطبقة السفلى للطبقة العليا وبين الطبقتين توجد طبقة ثالثة ضائعة . أما العليا فهى طبقة الاوربيين وهم البيض والسفلى هم طبقة الافريقيين وهم السود وهناك تناقض واضح بين الطبقتين فطبقة البيض تملك كل شىء .. أرض وثراء وقوة وسلطان ، وطبقة السود اجراء ومتعطلون ومشردون ، أما أفراد الطبقة الثالثة

فهم الملونون وهم الفريق الاسيوى والعربى وهم فئات عديدة منقسمة اجتماعيا وثقافيا وسياسيا . ولاشك أن هذا المجتمع المختلط عليه أن يجدالطريقة النموذجية ليوحد جهوده خاصة بعد انتهاء عهد السيطرة الاوربية وأصبحت الامور فى يد الافريقيين الممثلين للاغلبية . وما زالت الحياة والثقافة فى كينيا تمتاز بما يأتى :

١ ــ نزعة قبلية حيث القبيلة هى أساس كل تنظيم .

٢ ــ رغم جهود المبشرين المسيحيين الا أن كثيرا من أهالى كينيا لا زالوا يؤمنون بآلهتهم الخاصة .

٣ ــ الاعتقاد فى وجود قوى دينية على رأسها اله قادر ويعتقدون بوجود حياة بعد الموت .

٤ ــ الملكية المشاعة للارض .

٥ ــ الشغف بالالوان .

٦ ــ القدرة على الصبر والتحمل .

٧ ــ استعمال الطبول فى الموسيقى .

أما عن التعليم فى كينيا فهو قبلى حديث حرص البريطانيون على محاربة التعليم ولم ينشئوا سوى عدد قليل من المدارس الابتدائية ولم يهتموا فى وقت من الاوقات بانشاء مدارس ثانوية أو فنية وعند ما أسست كلية المعلمين الافريقية نتيجة لمجهودات الافريقيين أنفسهم بغرض تخريج المدرسين اللازمين حاربتها بريطانياولم تقدم لها أية معونةوالى جانب ذلك أبدى البريطانيون استياءهم من المنح الدراسية التى كانت الهند تمنحها للطلبة الافريقيين ، وتضايقت بريطانيا من تخصيص راديو نيودلهى جزءا من اذاعته باللغة السواحلية وأصبح كل ما يتصل بين الهند والقومية الافريقية يسبب الرعب لبريطانيا

وكثيرا ما شعر الافريقيون المتعلمون فى كينيا بالمرارة لهذه السياسة وقال أحدهم (كلما ازددنا تأخرا كان ذلك مدعاة لسرور المستوطنين والبريطانيين فيضطرون لمقاومة التعليم لان تعليمنا معناه خروجهم من ديارنا فبقاء البيض يتوقف على الاحتفاظ لنا بجهالتنا ، وعلى العموم هناك تعقيد حضارى فى مجتمع كينيا ولا بد من التخلص من الرواسب الاجتماعية والسواقط الاستعمارية لتواجه كينيا بقوة صراعها من أجل المستقبل .

الهيكل الاقتصادى لكينيا :

يلاحظ أن اقتصاد كينيا كما هو الحال تماما بالنسبة للدول الافريقية اقتصاد زراعى ومستوى الانتاج الزراعى ضعيف ولعل ذلك يرجع الى استخدام الوسائل البدائية فى الزراعة والجهل فى كيفية استخدام الارض بأقصى كفاية انتاجية ممكنة . ومعظم المحاصيل الزراعية الهامة فى كينيا تقوم بزراعتها أيد افريقية تحت اشراف السلطة الاوربية ولا يزال التصنيع فى دوره البدائى ، ورغم أن الاستعمار ظل بكينيا أكثر من ثمانين عاما فانه لم يقم باى محاولة لتصنيع كينيا لانه كان يستغلها كسوق لانتاجه وكمزرعة لبريطانيا وكمخزن للمواد الاولية ويلاحظ أنه بالنسبة للتجارة الخارجية من المنتظر أن تزداد فى كينيا ولكنها على العموم كانت ذات حجم قليل وقد ارتبطت هذه التجارة ببريطانيا ارتباطا كبيرا بحيث يمكن أن يقال أن أكثر من ٦٥ ٪ من صادرات كينيا يذهب الى المملكة المتحدة وما يقرب من ٤٠ ٪ من وارداتها يأتى من المملكة المتحدة .

والظاهرة الواضحة فى تجارة كينيا هى اتجاه صادراتها وتجارتها عموما الى المناطق النقدية التى تنتمى اليها الدول الاستعمارية

الكبيرة صاحبة السيطرة وكذلك فان علاقات كينيا تكاد تكون معدومة مع الكتلة الشرقية .

ومن المنتظر ان تتغير هذه الصورة بعد حصول كينيا على الاستقلال وأن تتنوع الصادرات فى كينيا التى ظلت فترة طويلة تكون اما منتجات زراعية واما مواد أولية للصناعة .

الحالة المالية :

١ ــ الدخل القومى (بالالاف جنيه الاسترلينى)

السنة	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤(١)	٥٥/٥٤	٥٦/٥٥
الدخل	١٧ر٤٦٨	٢٠ر٥٤٨	٢١ر٣٥١	١٥ر٠٨١	٢٧ر٧٢١	٤٣ر٣٨٩
المنصرفه أو الانفاق العام	١٦ر٤٣٦	١٨ر٨٥٨	٢٢ر٢٥١	١٨ر٦٩٩	٣٩ر٠٥٠	٣٨ر٣١٤

السنة	٥٧/٥٦	٥٨/٥٧	٥٩/٥٨	٦٠/٥٩	٦٣/٦٢
الدخل	٣٢ر٧٩٣	٣٣ر٤٢٩	٣٢ر٨١٥	٣٢ر٣٠٤	٢٥ر٩٠٠
المنصرفه أو الانفاق العام	٣٤ر٦٨٢	٣٣ر٢٩٠	٣٣ر٠٧٧	٣٢ر٣٢٦	٢٥ر٩٥٠

ويتضح لنا أن الدخل القومى ضعيف جدا بالنسبة لتعداد السكان وانه فى بعض السنوات قد يفوق الانفاق العام الدخل القومى كما يتضح بصورة جلية فى ٥٦/٥٥ حيث وصل الدخل الى ٢٥ر٣٠٠ جنيه استرلينى بينما الانفاق العام فى نفس العام ٣٨ر٧٠٠ ، ويبلغ دخل الفرد طبقا لذلك حوالى ٤٢ جنيها استرلينيا سنويا ولا تزال هذه القيمة بعيدة ايضا عن مستوى المعيشة المعقول

مصادر الدخل القومى :

الجمارك . ضريبة الدخل ــ الضرائب والعوائد على العقارات والاملاك ــ السكك الحديدية ــ وهناك ضريبة الارباح التجارية والصناعية .

الدين العام :

وصل الدين العام حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٤ الى ٣١ر٨٣٠ر٦٠٠ جنيه استرلينى .

وقد وصل هذا الدين حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٥٨ الى ٤٣ر٣٠٥ر٦٠٠ جنيه استرلينى .

وقد وصل هذا الدين حتى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٢ الى ٥٧ر٦٠٩ر٢١٥ جنيها استرلينيا .

العملة والبنوك :

العملة السائدة فى كينيا هى نفس عملة شرق افريقيا (وهى العملة السائدة فى أوغندة وتنجانيقا وزنجبار) ويساوى هذا الشلن الافريقى ١٠٠ سنت وقد أصبح العملة الرسمية لكينيا ابتداء من سنة ١٩٢٢ والعشرون شلنا تساوى جنيها فى شرق افريقيا وهناك عدة بنوك من أهمها :

البنك الوطنى الهندى ليمتد ــ بنك استاندرد لجنوب افريقيا ــ بنك باركليز ــ بنك الهند ــ بنك بارودا .

وهذه البنوك ولاشك أجنبية كلها عن كينيا ولكن من الضرورى أن يكون لكينيا بنك وطنى (وان كانت فى الواقع مرتبطة فى اصدار عملتها بمنطقة شرق افريقيا كلها) الا أن انشاء البنك الوطنى سيساعد الاقتصاد الكينى على التحرر من أجهزة التمويل التابعة للسيطرة الاجنبية وسيدفع بعجلة التقدم الاقتصادى الى الامام .

قطاعات الانتاج الاقتصادية :

أولا ــ القطاع الزراعى :

مشكلة الارض فى كينيا :

فى سنة ١٩٠١ استوطن كينيا ١٣ أوروبيا ولم يكد ينتهى هذا العام حتى كان هؤلاء الاوربيون قد استولوا على ٢٢٠ر٠٠٠ فدان ثم بدأ سيل المهاجرين الاوربيين يتدفق على كينيا وذلك نتيجة لصلاحية جو كينيا ومرتفعاتها لسكنى البيض . وفيما بين عامى

١٩٠٥ ، ١٩١٤ استولى الاستعمار البريطانى على مايقرب من ٤٫٠٤٠٫٠٠٠ فدان وفى سنة ١٩٣٩ سـلمت لهم الاراضى المرتفعـة ، ومسـاحتها تقـرب من ١٦٧٠٠ ميل مربع ووزعت على ٢٠٠٠ من المستوطنين وقد اسـتقبل الوطنيون ذلك الاجراء باعلان الثورة خاصة بعد طرد قبائل « الكيكويو » وهى القبائل التى تمثل خمس سكان كينيا

ولعل الارض وقدسـيتها فى افريقيا عامة وكينيا على وجه الخصوص يرجع الى أن القبيلة تعتبر الارض هى الرزق الالهى والروح القدس الذى تهتدى بها ويفسر ذلك قـول « جومو كنياتا » (الارض هى مفتاح حيـاة الناس وهى توفر عمـلا رتيبا فى الزراعة تمكنهم من تأدية حفلاتهم وطقوسهم الدينية باستمرار بمواجهة جبل كينيا الرابض فى بلادهم) .

والارض أيضا تظهر لنا واقعيتها وأهميتها فى حيـاة افريقيـا من قول Hobley فى كتابه « معتقدات البانتو » (لقد صدق القول بأن الارض التى تشغلها القبيلة وتعيش عليها هى أساس ومحور الحياة فى افريقيا) . والارض فى كينيا تنقسم الى قسمين :

١ – الاراضى المرتفعة :

وهى أراض خصبة تمتاز بمناخ رطب مناسب يسكنها الاوربيون فعلا حتى يومنا هذا .

٢ – الاراضى المنخفضة :

وهى منـاطق السهل الساحلى أو المديرية الشمالية وهى عموما أرض قليـلة الخصب أو صحراء جرداء مناخها حار شديد الرطوبة سكانها قليلون الا بعـد أن أقامت الحكومة فيها المنـاطق المحجوزة الخاصة لسـكنى الاوربيين وكما سبق أن قلنا ان الارض الخصبة امتلكها الاوربيون بعد أن طردوا منها سكانها وقد استبعد القانون صراحـة غير الاوربيين من تملك أو استئجار مناطق الارض المرتفعة .

وفيما يلى صورة لتوزيع الارض فى كينيا سنة ١٩٥٧ وهى نفس الصورة لسنة ١٩٦٢ :

المنطقـة	المساحة بالميل المربع	تعداد السكان
١ – أراضى التركانا والمديرية الشماليـة (صحراء جرداء)	١٠٢٫٥٩٥	
٢ – أراضى الافريقيين	٤٧٫٠٣١	٥٫٣٨٠٫١٠٠
٣ – أراضى الاوربيين وأراضى التاج	١١٫٨٥٩	٢٩٫١٠٠
٤ – أراضى الغابات	٢٫٩٨٠	
٥ – أراضى أخرى	٣٩٫٣٢٢	

ومعنى هذا أنه فى الوقت الذى يعيش فيه ٢٩ ألف أوربى فى مساحة قدرها ١٢ ألف ميل٢ يعيش ٥ر٥ مليون افريقى فى مساحة قدرها ٤٧ الف ميل اى ان متوسط ملكية الاوروبى هو ١٣٠٠ فدان ومتوسط ملكية الافريقى ٨ أفدنة

والسـؤال المهم الان : هو هل يقوم الاوربيون بزراعـة أراضيهم واستثمارها اقتصاديا . والجواب لا . والدليل من واقع الاحصاءات التى أوردتها تقارير الامم المتحدة وفيما يلى صورة لاملاك الاوربيين ومدى استغلالها .

السنة	المساحة الكلية بالفدان	المساحة المنزرعة فعلا	النسبة المئوية
١٩٢٢	٣٫٨٠٤٫١٥٨	٢٣٤٫٥٠٥	٦٫١٥ ٪
١٩٢٤	٤٫١٩٢٫٧٣١	٣٤٦٫٩٨٨	٨٫٢٨ ٪
١٩٤٥	٤٫٤٢٠٫٥٧٣	٣٩٢٫٦٢٨	٨٫٨٨ ٪

ولعل استغلال الاوروبيين للارض يعطينا صورة حقيقية للمعنى الاستعمارى الذى انطوت عليه الادارة البريطانية لكينيا . انها جريمة فى حق الانسانية .

انه المستعمر دخل ليستغل وليسلب . فلا غرابة فى أساليبه .

ولهذا كان لابد من قيام الحكومة الوطنية الجديدة بالاصلاح الزراعى . فالاصلاح الزراعى ضرورة هامة لاهل كينيا واعادة توزيع الارض من جديد على أساس من العدل والمساواة . وأيضا يواجه قانون الاصلاح ضرورة الانتقال بالافريقيين من مرحلة الزراعة البدائية الى مرحلة الزراعة الكثيفة واستخدام الوسائل الفنية الحديثة .

ان استخدام التعاون أيضا كأسلوب للزراعة الجماعية ضرورة تحتمها الرغبة فى قطع الشوط نحو الرخاء بسرعة . ولا شك أن التجميع الزراعى لايعنى الا ان ثورة زراعية قد تفجرت وان هذه الثورة سوف يكون لها آثار بعيدة فى حياة الشعب فالاصلاح الزراعى ما هو الا مقدمة للرخاء ولزيادة القوة الشرائية للفرد حيث أن دخل الفرد الافريقى سيتحسن وبالتالى سيعيش فى مستوى أرقى وستتسع مطالبه ومن هنا يروج السوق ويكون بداية لنهضة اقتصادية كبرى .

المحاصيل الزراعية :

ساعدت الطبيعة كينيا على أن تتنوع بها المحاصيل الزراعية وذلك نتيجة لاختلاف المناخ والتربة حيث توجد المرتفعات والمنخفضات . والمناطق الخصبة توجد فى المنطقة المرتفعة التى يحتلها الاوربيون وفى مديرية « نيانزا » وتنمو فى هذه المناطق محاصيل البن ـ الذرة ـ القمح ـ السيسال والشاى وهذه كلها محاصيل فى غاية الاهمية للمستعمر طبعا . وفى المناطق المنخفضة حيث يسود المناخ الاستوائى ينمو الذرة والسيسال والسكر وجوز الهند والقطن .

وتنمو بعض المحاصيل نتيجة لسقوط المطر فى بعض الاراضى ضمن هذه المحاصيل السمسم والفول السودانى ـ الفول ـ والزيوت النباتية (من جوز الهند) وهذه المحاصيل اما تستخدم للاستهلاك المحلى أو التصدير .

وبلغ قيمة ما صدر من المحاصيل الزراعية الرئيسية سنة ١٩٥٨ كالاتى : ـ

بن ـ ۱۰٫۳۵۳٫۰۰۰ جنيه استرلينى ؛ قطن ـ ٥١٥٫٠٠٠ جنيه . ذرة ١٫٨٨٩٫٠٠٠ جنيه . شاى ـ ٣٫٢١٧٫٠٠٠ جنيه . زبدة ٩٤٦٠٠٠ جنيه . جلود ـ ١٫٠١٨٫٠٠٠ جنيه سيسال (قنب هندى) ٢٫٢٢٨٫٠٠٠ جنيه .

وفيما يلى أهم المحاصيل الزراعية التى تزرع فى كينيا : ـ

١ ـ القطن : ابدىء الاهتمام بادخال القطن فى كينيا وهو من النوع متوسط التيلة وقد ادخل المستعمر هذا المحصول ليضمن لمصانعه فى لانكشير زادا جديدا بالاضافة الى قطن أوغندة وكمية الارض المزروعة قطنا كمية قليلة وتقوم زوراعته فى الاراضى المرتفعة .

٢ ـ الذرة : تعتبر بمثابة الغذاء الرئيسى لسكان كينيا وتصدر كينيا فائض انتاجها الى مناطق شرق افريقيا المجاورة وتقوم زراعته فى الاراضى المنخفضة ، والافريقيون وحدهم هم الذين يزرعونه .

٣ ـ الشاى : ينمو فى المرتفعات ويعتمد بعض محصوله على سقوط الامطار والكمية المنتجة منه كمية لا بأس بها ويصدر معظمها الى الخارج وبالذات بريطانيا والولايات المتحدة .

٤ ـ القنب الهندى : محصول من المحاصيل الرئيسية ولكنه لا يصدر معظمه الى الخارج بل بدىء فى استخدامه محليا فى بعض الصناعات المحلية الا انه محصول نقدى تعتمد عليه كينيا .

٥ ـ البن : يمثل المحصول الرئيسى فى كينيا ويوجد فى الارض المرتفعة وتصدر منه كينيا معظم الانتاج وقد وصل مقدار ماصدر سنة ١٩٦٢ حوالى ٣٢٫٤٥٢ طنا .

مما يلاحظ أن انتاج هذه المواد الزراعية قد ارتفع بصـــورة ملحوظة ســـنة ١٩٦٢ وأصبحت كينيا تمتاز بأنها تعتمد على ثلاثة محاصيل نقدية هى البن والشاى والسيسال وتعدها كى تصدر للخارج فور جمعها .

وتوجد عدة محاصيل أخرى تزرع بصورة بدائية فى أراضى الوطنيين ولكنهـــا ليست واسعة الانتشار كالسكر وجوز الهند .

الثروة الخشبية :

تصل مساحة الثروة الغابية الموجودة فى كينيا حوالى ٤٢٦ر٦ ميلا مربعا ويقع ٩٠ ٪ منها فى المناطق المرتفعـــة (التى يمتلكهـــا المستعمر) والغابات التى تستغل تمتد الى حوالى ٨١٥ر١ ميلا مربعا ولايمتلك الوطنيون من المساحة الغابية التى بدىء فى استغلالهـا الا حوالى ٩٣٧ ميلا بالمقارنة بأن غابات التاج كأرض تبلغ ٢٨٠ر٤ ميلا مربعا بينما هنـــاك اراضى أخرى للتاج يستغلها تصل الى ٢٠٩ أميالا مربعة . وثروة الاراضى المرتفعة تقع فوق جبال كينيا ــ والجوى وتمتـد على نطـاق سلسلة جبلية يصل ارتفاعها من ٦٠٠ قـدم الى ١١ ألف قدم ويقدر مقدار مايستخرج من الخشب اللين سنة ١٩٧٠ أن يرتفـع من ٠٠٠ر٢٤ طن سنة ١٩٥٤ الى ٠٠٠ر٨٠ طن سنة ١٩٦٥ ، ٠٠٠ر٢٥٨ طن سنة ١٩٧٠ .

وأنواع الخشب الماهوجن والمامبو اللجن الخشب الصلب . وعلى كل حال لاتستغل الثروة الخشبية فى حاجة الى الاهتمام والعناية وخاصة إن كينيا مقبلة على دور تصـنيع جديد وعلى عمليات مقاولات وانشاءات متسعة النطاق .

الثروة الحيوانية :

تعتبر الثروة الحيوانية ذات مصدر هام من مصادر التنوع الاقتصادى فى التصـدير حيث أنه توجد فى كينيا ثروة حيوانية ضخمة ساعد على نموها ووجودها الجو المناسب ونمو الحشائش الطبيعية مما سهل تربيـة الاغنام وقد كان لوجود المرتفعات أثر كبير فى مضاعفة الثروة الحيوانية التى تعتمد عليها صناعة الالبان ــ الزبدة وصناعة دبغ الجلود أو تصدير هذه الجلود .

الثروة السمكية :

لكينيا سواحل على المحيط الهندى ولهـا أنهار داخلية كما انها تشترك فى حدود بحيرة فيكتوريا . ولذا كان من المنتظـر ان يكون للثروة السمكية شأن كبير فى حياة كينيا الا انه لما كانت الامور فى كينيا فى يد المستعمر الذى يهـدف الى مصلحته فقط كان من المستحيل ان يحـاول الاستفادة من الثروة السمكية خوفا من ان يهتم الوطنيون بتلك الثروة الجديدة . فهناك امكانيات طبيعيـة كبيرة موجودة بكينيا للثروة السمكيـة ومن المؤسف ان تأتى اساطيل من بلاد أخـرى بعيدة كاليابان مثلا لاصطياد السمك فى هذه السواحل .

وهناك برنامج دولى للبحث العلمى (تشترك فيه الجمهورية المتحدة) بهدف دراسة المحيط الهندى بقصد تنمية المصايد فيه وعلى الاخص بمنطقة شرق افريقيا ويتكلف تنفيذ هـذا البرنامج نحو ٥ر١٢ مليون دولار ولا شـك أن ذلك سيفيد كينيا ويعاونهـا كثيرا على دراسة مناطق أسماكها والانتفاع بها .

ثانيا ــ القطاع الصناعى :

كينيا كأى مستعمرة لم تعرف الصناعـة بمعناها الحقيقى لان ادخال الصناعة لم يكن من مصلحة المستعمر فى شىء حيث ان بريطانيا كانت توجه العناية الى أن تجعل من كينيـا سوقا لمنجاتها هى ومخزنا للمواد الاوليـة لمصانعها فى ويلز ويوركشير ولانكشير وانجلترا وغير ذلك .. على أنه قد قامت هناك نتيجة لظروف الحربين بعض الصناعات التمويليـة مثل صناعة الاسمنت وتكرير الزيت والكيماويات والمنسوجات والصابون والزيت .

وقد أظهرت حركة التصنيع فى كينيا مدى ما ينتظر هـذا البلد من مستقبل صـناعى مزدهر فقد استطاعت كينيا ان تنتج محليـا ما تحتاج اليه من سلع مثل حفظ اللحـوم والخضروات والفواكه وصناعة البيرة والطوب والاثاثات الخشبية والكحول . بل لقـد انتجت كينيا السجاير واشـغال التريكو

والاحذية والبويات . وصناعة منتجات الالبان وصناعة دبغ الجلود — السلال — الالات الموسيقية ويمكن ان نقول ان التصنيع سينجح بصورة مبتدئة فى كينيا لو تم : —

١ — تصنيع المواد الخام المنتجة محليا قبل تصديرها .
٢ — تشجيع وجود صناعات محلية للمواد التى تستوردها كينيا من الخارج .
٣ — العمل على توفير الوقود ورجال الاعمال والمديرين الاكفاء .

الثروة المعدنية :

حتى الان لم تزل الثروة المعدنيه غير مكتشفة بعد ومن ثم فكينيا بعد حصولها على الحرية فى حاجة الى مسح أرضها جيلوجيا والكشف على المعادن واستغلالها استغلالا يعود على أهلها والوطنيين فيها . وتوجد فى كينيا عدة معادن أهمها :

الذهب — الفضة — الصودا — الملح — الحجر الجيرى — جرافيت — أحجار بناء .

ولا شك أن كينيا بجبالها وصخورها وبحارها وهضباتها تحتوى على الكثير من المعادن الهامة ومن ثم يجب الكشف على هذه المعادن كضرورة هامة للتصنيع الذى ستقبل عليه كينيا بصورة واضحة عقب الاستقلال حيث انه لا تصنيع بالمعنى الحقيقى بدون وجود معادن أو ثروة معدنية .

القوى المائية :

كينيا ضعيفة فى الثروة المائية ولكنها من الممكن ان تعتمد على جارتيها أوغندا وتنجانيقا بما لهما من امكانيات ويمكنهما ان تستورد الكهرباء والطاقة الكهربائية بعد تنفيذ المشروعات فوق بحيرة فكتوريا .

ثالثا — القطاع التجارى :

أولا — التجارة الداخلية :

تتبادل القبائل داخليا منتجاتها وبضائعها عن طريق المقايضة ولا تزال كثير من هذه القبائل لا تعرف النقود . والمحاصيل الزراعية هى التى يمكن ان تنتقل من مكان الى اخر .. هذه المحاصيل تتمثل فى جوز الهند — السمسم — الفول السودانى — الفاكهة — الذرة . وتتخذ وسائل المواصلات البدائية . الا اننا نلاحظ بصفة عامة ان الريف يمد المدينة بما تحتاجه من غذاء ورجال .

ومن المنتظر للتجارة الخارجية لو نظمت عن طريق التعاون لاصبح لها دور كبير فى تنمية الدخل القومى كما أن الاهتمام بطرق المواصلات الداخلية يساعد على اتساع السوق فى الدخل ويؤثر فى حجم الدخل القومى ، ٨٨ ٪ من الجالية الهندية يقومون بدور التجار والوسطاء فى التجارة الداخلية وهم ولا شك يكسبون كثيرا من وراء ذلك والعرب أيضا بعضهم يقوم بالتجارة .

ثانيا — التجارة الخارجية :

منذ سنة ١٩٢٧ وقد ارتبطت كينيا باتحاد جمركى مع منطقة شرق افريقيا (أوغندا وتنجانيقا) وهذه المنطقة كانت تعتبر منطقة خطرة لبريطانيا وحدها دون سائر الدول ولم تكن أى دولة تستطيع ان تقر أمرا يتعلق بالتجارة أو العلاقات الا بعد استئذان بريطانيا ومن ثم ظلت تجارة كينيا الخارجية خاضعة لوصاية بريطانيا وهذا طبيعى ما دامت كينيا مستعمرة بريطانيا فكيف كنا ننتظر ولم يكن لانجلترا هدف من استعمارها سوى سلب هذه المستعمرات ، وقد كانت بداية التحرر من بريطانيا معناه انطلاق التجارة الخارجية لكينيا من القيود البريطانية .

القيود التى تتحكم فى التجارة :

كان نتيجة للاستعمار البريطانى ان خضعت قيود التجارة فى كينيا طبقا لاهواء المستعمر وقد أصبح سوق التعامل الرئيسى بعد الوحدة الجمركية هو شرق افريقيا . كما انها تتعامل مع بريطانيا كالدولة الاكثر رعاية بالنسبة لصادراتها ووارداتها . وارتباطها فى الكومنولث أيضا حدد اتجاه تجارتها الى حد ما .

الواردات :

كانت كينيا الى عهد قريب تستورد السلع الاستهلاكية كما تستورد المواد الغذائية وتستورد الخيوط والمنسوجات أى انها كانت لا تفكر فى استيراد سلع رأسمالية انتاجية

تقيم عليها دعائم تصنيعها للمستقبل الا انه بعد حصول كينيا على الحرية من المنتظر ان يتغير الوضع تماما من أجل تنفيذ خطة التنمية وتحقيق فكرة العدالة الاجتماعية وقد كانت اهم الواردات :

البضائع القطنية والمنسوجات ــ الحديد والصلب ــ بعض المصنوعات من المعادن ــ بعض الالات الكهربائية ــ قضبان السكك الحديدية ــ الاوتوبيسات والعربات ــ الجرارات الزراعية ــ غاز الديزل .

الصادرات :

كينيا كبلد افريقى مستعمر لاشك تعتمد على محصول رئيسى والزراعة هى المثلة لصادراتها وأهم الصادرات هى :

البن ــ والقطن الخام ــ والقنب الهندى (السيسال) والشاى ــ والجلود ــ الماس. **وأهم البلاد التى تتعامل معها :**

المملكة المتحدة ــ المانيا الغربية ــ الولايات المتحدة ــ الهند ــ البحرين .

ويلاحظ أن كل كشوف التجارة الخارجية لم تظهر كينيا فيها منفصلة عن منطقة شرق افريقيا الا ابتداء من سنة ١٩٦٣ حيث ابتدأ يكون لها وضعها الاستقلالى بعد حصولها على الحرية .

المشكلات التى تواجه كينيا وعلاقة ذلك بالنمو الاقتصادى :

١ ــ الاقليات :

يساور الاقليات القلق على مصيرها اذ يخيل اليها ان انتقال الحكم الى أيدى الوطنيين سوف يعصف بها ويرغمها على الخروج الى حيث لا مكان لها فى بلادها الاصلية وهذه الاقلية تتمثل فى ٤ جاليات ــ الاقليات البيضاء والاسيوية والصومالية والعربية ولا شك أن العهد الجديد سيمد يديه مرحبا بكل الجهود والتعاون من أجل البناء المشترك وعلى مدى ما يظهر كل من هذه الاقليات ستتحدد سياسة الحكومة الوطنية تجاههم .

٢ ــ مشكلة الارض واعادة توزيعها وهذه بلا شك أم المشكلات التى تواجه جومو كنياتا عند بداية حكمه فكان لا بد من وضع قانون الاصلاح الزراعى ولكن نقول ان هذه المهمة سهلة خاصة بعد احصائيات الامم المتحدة التى دلت على أنه حوالى ٩ ٪ من أراضى الاوربيين هو الذى يستغل ، اذن على الحكومة الوطنية أن تستولى على الباقى بالتعويض اللازم وعلى الاوربيين ان يتنازلوا عن باقى الارض التى لا يستغلونها أو يزرعونها وبهذا تحل مشكلة الارض وتصبح الزراعة فى خدمة الاقتصاد الكينى ويمكن استغلال هذه الاراضى بدلا من تركها بورا لا تزرع على ايدى المستوطنين .

٣ ــ مشكلة الصراع الحزبى والقبلى :

فلا بد من وجود برنامج واحد والبعد عن المهاترات الحزبية خاصة فى تلك الفترة التى تحتاج للبناء من أجل تعويض الشعب عما قاساه من حرمان . ومن أجل تحقيق الانطلاق الاقتصادى نحو الرخاء والرفاهية .

٤ ــ مشكلة اتحاد شرق أفريقيا :

لا شك أن فكرة الوحدة الافريقية هى من الامنيات العزيزة على الشعب الافريقى فرغم الحدود المصطنعة الزائفة التى خططها الاستعمار ليخدم أغراضه الا أننا نحس ونشعر ان أفريقيا فعلا لها أصول تاريخية متقاربة وحضارة ومدنية متشابهة ويجدر بنا أن نسأل لماذا كانت بعض البلاد الافريقية ولازالت ترفض فكرة الوحدة أو الاتحاد ولماذا بدأت بعض الدول الافريقية تفكر فى الوحدة ...

ان الوحدة الافريقية لا شك سيكون لها فوائد عظيمة بالنسبة لكل الشعوب الافريقية وستستطيع أفريقيا التغلب على المشكلات الاقتصادية فيها الى جانب أن الوحدة تعنى قوة افريقيا فى المجال الدولى وستكون ضمانا وتأكيدا لهم ولابنائهم أن ثروات افريقيا ستستغل من أجل أبنائها وحدهم وستستطيع افريقيا موحدة أن تجعل من ثرواتها الطبيعية طريقا للخروج من دائرة التخلف ورفع مستوى

المعيشة . الا أننا يجب أن نقول أن افريقيا كانت ترفض الوحدة فى الماضى لان الاستعمار كان لا يريد هذه الوحدة الا لما يأتى :

١ ـ ضمان سيطرة البيض فى شكل هذه الوحدة .

٢ ـ ضمان استغلال الثروات فى افريقيا لصالح المستعمر .

٣ ـ تكبيل الحرية والوطنية فى افريقيا .

ولا شك أن ذلك يعتبر اتحادا شريرا لا يعتمد على تأييد شعبى ، وبعد هذا العرض يمكننا ان نؤكد ان فكرة الوحدة التى فرضها المستعمر فى الماضى على شرق افريقيا كانت لا تعنى الا فائدة المستعمر وحده ، وحيث ان دول شرق افريقيا الاربع وهى زنجبار ـ كينيا ـ تنجانيقا ـ اوغندا ، قد حصلت جميعها على الاستقلال الكامل فان ذلك سيؤكد النزعة الى الوحدة وهى بداية ونواة لتحقيق الوحدة الافريقية . وهذه الوحدة لدول شرق افريقيا ستعتمد على التأييد الشعبى الذى ينبع من القاعدة نتيجة لتيار التحرر بعد أن أصبح مصير هذه البلاد فى أيدى أبنائها الوطنيين فلم يكن هناك أى اعتقاد بأن الاتحاد الجديد سيخدم مصالح مستعمر أو دخيل أو مغتصب ولن تكون لسيطرة البيض أدنى تأثير وانما شرق افريقيا باتحاده سيحقق لدوله فوائد جمة منها :

١ ـ سوق مشتركة لها موارد هامة للثروة المعدنية والزراعية والمواد الاولية .

٢ ـ تكامل اقتصادى اذ أن اتحاد شرق افريقيا سيتيح الفرصة امامها للتخطيط الاشتراكى على مستوى الاتحاد كله تخطيطا يعتمد على المنطق والعلم ويهدف الى القضاء على مشكلات هذه الدول فى الفقر والجهل والمرض .

٣ ـ سيقضى على بعض المتاعب القبلية .

٤ ـ سيقضى على بعض المتاعب السياسية فى شرق افريقيا حيث تتخلص كينيا وأوغندا من الحرج الذى وقعا فيه نتيجة لعدم وجود رئيس دولة لكل منهما حيث أن رئيس الدولة يعتبر بمثابة الحاكم العام الذى تعينه حكومة جلالة الملكة .

٥ ـ ستتخلص دول الاتحاد من بعض مطالب العصبية القبلية كمطالب الملك فريدى كاباكا أوغندا .

٦ ـ ستختفى المشكلات بين بعض دول الاتحاد مثل مطالبة زنجبار بالشريط الساحلى لكينيا (مما كان يجعلها دولة داخلية لا سواحل لها ويفقدها منطقة حيوية من اراضيها) أما لو اتحدت زنجبار مع كينيا فلا يكون هناك داع لاى نزاع لان أرضهما واحدة .

٧ ـ سيكون الاتحاد دعامة جديدة لقوى التحرر فى افريقيا .

٨ ـ ستختفى فكرة العنصرية البيضاء فى كينيا وذلك لان تعداد البيض سيكون قليلا بالنسبة لتعداد سكان الاتحاد الذى سيبلغ أكثر من ٢٣ مليون نسمة .

٩ ـ سيقضى على مشكلة توزيع الارض فى كينيا وسيستطيع أن يوجه كثيرا من الأيدى العاملة الى التصنيع والى العمل فى مجالات اخرى .

وبهذا يمكننا أن نقول ان اتحاد شرق افريقيا لو تحقق بأصوله وقواعده الجديدة المبنية على الحرية فانه سيعود بالفائدة على دوله ، لذا نرحب بدخول كينيا فى هذا الاتحاد .

كيف تواجه كينيا مشكلة التخلف الاقتصادى :

كينيا تعانى من انخفاض مستوى المعيشة وتقاسى من انخفاض دخل الفرد ولا بد من مواجهة مشكلة التخلف الاقتصادى ولا شك أن استقلال مثل هذه المناطق لا بد أن تصحبه خطة النمو الاقتصادى جنبا الى جنب مع النمو الاجتماعى . ويمكننا الخروج من دائرة التخلف عن طريق :

(ا) الاهتمام بالصناعة جنبا الى جنب مع الزراعة فمن ناحية الصناعة لا بد من دراسة شاملة للثروة المعدنية ولا بد من توفير الطاقة

الكهربية والوقود والخبرة الفنيـة وتحسين المواصلات ومسح الارض جيولوجيا ليمكن البحث عن الثروات المدفونة ، كذلك يجب تقسيم الانتاج واستخدام الاساليب الفنيـة الحديثة فى الزراعة ويمكن الاهتمام بالمزارع القبلية وزراعتها على أساس جماعى . كما يجب أيضا الاهتمام بقطاع التعاون والاخـذ بنظام المزارع التعاونية .

(ب) تمليك الارض للفلاح الكينى واعادة توزيع الاراضى الاوربية بالذات التى لا تزرع أو تستغل .

(جـ) عدم وجوب النزول بمساحة الوحدة المملوكة عن حد أدنى يحدده القانون .

(د) عدم تفتيت الملكية الزراعية عن طريق الارث الى وحدات صغيرة .

(هـ) منع الاحتكار بوضع حد أعلى لما يملكه الفرد لا يجب أن يتجاوز عنه وبذلك يمكن القضاء على الاقطاع الذى يعتبر فى الواقع بمثابة الدليل للتأخر والتخلف .

(و) الاهتمام بالتعاون للاستفادة من مزايا الانتاج الكبير .

(ز) الاهتمـام بوجود قطاع عام قوى يستطيع أن يلعب دورا فى التطور الاقتصادى فى كينيا .

(ح) استخدام الآلية فى الصناعة ووجود طبقة من الفنيين .

(ط) الاهتمام بالتخطيط على أساس من الواقع ، والتخطيط الاجتماعى والاقتصـادى متلازمان . كذلك لا بد من اتباع الآتى حتى تكتمل دائرة النمو الاقتصادى لتحقيق الهدف منها :

١ ـ لابد من زيادة الصادرات عن الواردات لتتوافر لكينيا عملة أجنبية هى فى أشـد الحاجة اليها لمعركتها ضد التخلف .

٢ ـ لا بد أن تتجه تجارة كينيا الخارجية للبحث عن أسواق جديدة ولا يجب بتاتا أن ترتبط بالاسواق التقليدية .

٣ ـ العمل على تنويع الصادرات عن طريق توزيع الانتاج .

٤ ـ لا بد من وضع سياسة منظمة للتسويق وتثبيت الاسعار بالنسـبة للسلع المنتجة أساسا لاغراض التصدير لضمان أسعار ثابتة ودخول مستقلة وتكوين احتياطيات لمعـاونة المنتجين فى حالة هبوط الاسعار العالميـة ولاستثمار جانب منها فى عملية التنمية ، وأهمية هذه السياسة ترجع الى الدور الخطير الذى تلعبه فى بنـاء اقتصـاد كينيا ويلاحظ أن التخلف الاقتصادى فى كينيا يرجع أساسا الى :

١ ـ نقص المدخرات اللازمة لعملية التنمية بسبب انخفاض الدخل القـومى وبالتـالى ارتفاع الميـل الحدى للاستهلاك مما لا يدع مجالا لتكوين رأس مال كامن يسـتخدم فى عمليات التنمية .

٢ ـ نقص العملات الاجنبية فى كينيا مما يجعلها تقاسى كثيرا من أجل الحصول على المعدات الرأسمالية والسلع الانتاجية .

٣ ـ عدم وجود خطة تنمية تخطط اقتصـاد كينيا على أساس علمى نابع من احتياجات الشعب حتى يمكن أن يتفاعل الشعب معهـا ويتجاوب واياها .

ولكننا يمكن أن نقـول ان الامل كبير فى القضاء على مشكلة التخلف الاقتصادى عن طريق المعـونات غير المشروطة وعن طريق الاسـتعانة بالدول الصـديقة وعن طريق استغلال ثروتها والاهتمام بالتعليم فيها .

وهناك أمل كبير أن تبدأ كينيا جديا فى مواجهة التخلف صراحة والتكتل للقضـاء عليـه .

التدخل الاسرائيلى فى كينيا :

لا زالت اسرائيل تسعى جهدها للتدخل فى شـئون الدول الافريقية المستقلة حديثـا للسيطرة على اقتصادياتها ومحاولة استنزاف ثرواتها عن طريق دعاياتها حيث انها تحـاول بقدر الامكان أن توهم الدول المستقلة أنهـا الدولة الوحيدة القادرة على مساعدتهم عن

طريق تنظيمها النقابى (**الهستدروت**) . وقد تدخلت فى كينيا بهذا الشكل ونجحت فى أن تدعو بعض أهالى كينيا الشبان لزيارتها بل **انها نجحت فى أن تدعو « جومو كنياتا »** لزيارتها ايضا قبل الاستقلال .

ولقد ركزت الصهيونية جهودها على بريطانيا لتساعدها على التدخل فى كينيا فى صورة دولة صغيرة ولقد وجد الاستعمار البريطانى فى اسرائيل سمساره البارع المضمون وبدأت اسرائيل عن طريق الدول الاستعمارية التى استخدمها كمخلب قط وكان أن فتحت **بريطانيا ابواب كينيا لاسرائيل فأقامت لها** القنصليات والبعثات التجارية والاقتصادية وأوعزت بريطانيا الى السلطات فى كينيا للتعاون مع رأس المال الصهيونى .

ولكن كينيا **بعد الاستقلال ستصحو وتفيق من السم الترياق الذى تحاول اسرائيل ان تقدمه لكينيا فى صورة كأس من شراب ؛ وستكتشف الحقيقة ان اسرائيل لنفسها تعيش على المعونات وان الدولة التى قامت على قواعد باطلة لايمكن ان تقدم الحق وان الدولة التى تعيش فى الظلام لا يمكن ان تقدم النور**

وستستطيع حكومة كينيا سريعا أن تفرق بين العدو والصديق وستعرف أن اسرائيل وباء استعمارى لا يهدف الا للاستغلال والوقوف ضد حاجته والنمو الاقتصادى .

التبادل التجارى بين كينيا والجمهورية العربية المتحدة :

العلاقة بين الجمهورية المتحدة وكينيا **علاقة ترجع الى عهد طويل ونستطيع ان نؤكد** وجود سلطنة زنجبار بمثابة الحاكم لشرق افريقيا كله ثم خضوع هذه الجزيرة لبعض تحكمات الاسطول المصرى فى عهد محمد على يجعلنا نؤكد أنه قامت علاقات فى كثير من الفترات ، هذه العلاقة لم تظهر بعد استيلاء **انجلترا على كينيا وعزلها عن سلطنة زنجبار** بعد ان اجرها عن طريق معاهدة مزيفة لمدة ٥٠ عاما .

ولم تظهر كينيا فى كشف منفرد للجمهورية **العربية المتحدة الا ابتداء من سنة ١٩٦١ ؛ بل كانت تدخل ضمن منطقة شرق افريقية وفيما يلى الميزان التجارى بيننا وبين شرق افريقية حتى سنة ١٩٦١ بالجنيهات المصرية .**

السنة	صادرات	اعادة تصدير	واردات	الميزان
١٩٥٥	٥٣ر٠٣٢	١١ر٥٤٩	٧١٢ر٩٠١	– ٦٤٨ر٣٢٠
١٩٥٦	٧٢ر٤٩٨	٣ر٥٣٠	١ر١٤٦ر٨٨٩	– ١ر٠٧٠ر٨٦١
١٩٥٧	٢٠ر٥٤٢	—	٣٧٦ر٦٤٥	– ٣٥٦ر١٠٣
١٩٥٨	٤٣ر٤٧٦	٨٠٥	٣٧٦ر٩٢٥	– ٣٣٢ر٦٢٤
١٩٥٩	٧٠ر٦١٨	٢٠٠	٣٢ر١٠٠	+ ٣٠ر٨١٨
١٩٦٠	٧٦ر١٩٢	١٠٠	٥٠٢ر٨٣٥	– ٤٢٦ر٥٤٣

ويتضح **من الميزان لا شك ان هناك عجزا بصفة مستمرة عدا سنة ١٩٥٩ فقد حقق** الميزان فائضا على غير العادة وقد وصل أقصى هذا العجز سنة ١٩٥٦ وذلك يرجع الى اننا **لم نصدر الى تلك المناطق بمقدار ما استوردنا منها او اقل** . ولعل السبب فى ذلك العجز يرجع الى أن كل منطقة شرق افريقيا تتخذ من بريطانيا الدولة الاكثرية وتحاول بقدر ما يمكن أن تجد فى سوق شرق افريقيا ما يروقها وفى السوق البريطانية ما تحتاج اليه .

ونلاحظ أن كينيا فى حاجة الى كثير من السلع والبضائع التى تنتجها الجمهورية المتحدة **ولكنها تستوردها من الخارج** فالجمهورية المتحدة تستطيع أن تمد اسواق كينيا بالمنسوجات القطنية على جميع أنواعها ، بالاثاثات المعدنية التى تحتاج اليها ، كما أن الجمهورية المتحدة يمكن **أن تمدها بالحديد** والصلب وبعض الآلات الزراعية .

ويمكننا أن نستورد منها البن ـ الشاي ـ القنب الهندي ، ولا شك أن قرب السوق بين الدولتين يضع بين أيديهما ميزة النقل الرخيص .

ولو بحثنا احتياجات كينيا في خطة التنمية لوجدناها تحتاج في تطورها الجديد الى

١ ـ رؤوس أموال لاستخدامها في مجال التصنيع .

٢ ـ تحتاج الى خبرة فنية :

وتستطيع الجمهورية المتحدة أن تقدم الى كينيا الخبرة الفنية اللازمة التي تساعدها على التقدم خاصة وأن الجمهورية المتحدة قد قطعت شوطا بعيدا في اعداد رجالات من الخبراء والفنيين .

توصيات بشأن التبادل التجاري بين البلدين :

١ ـ عقد اتفاقية تجارة ودفع بين البلدين وذلك لتدعيم العلاقات الاقتصادية على أساس مدروس للصادرات والواردات لكل بلد وتحديد حد معين للتجارة وحجمها بين البلدين .

٢ ـ تبادل البعثات الاقتصادية بين البلدين

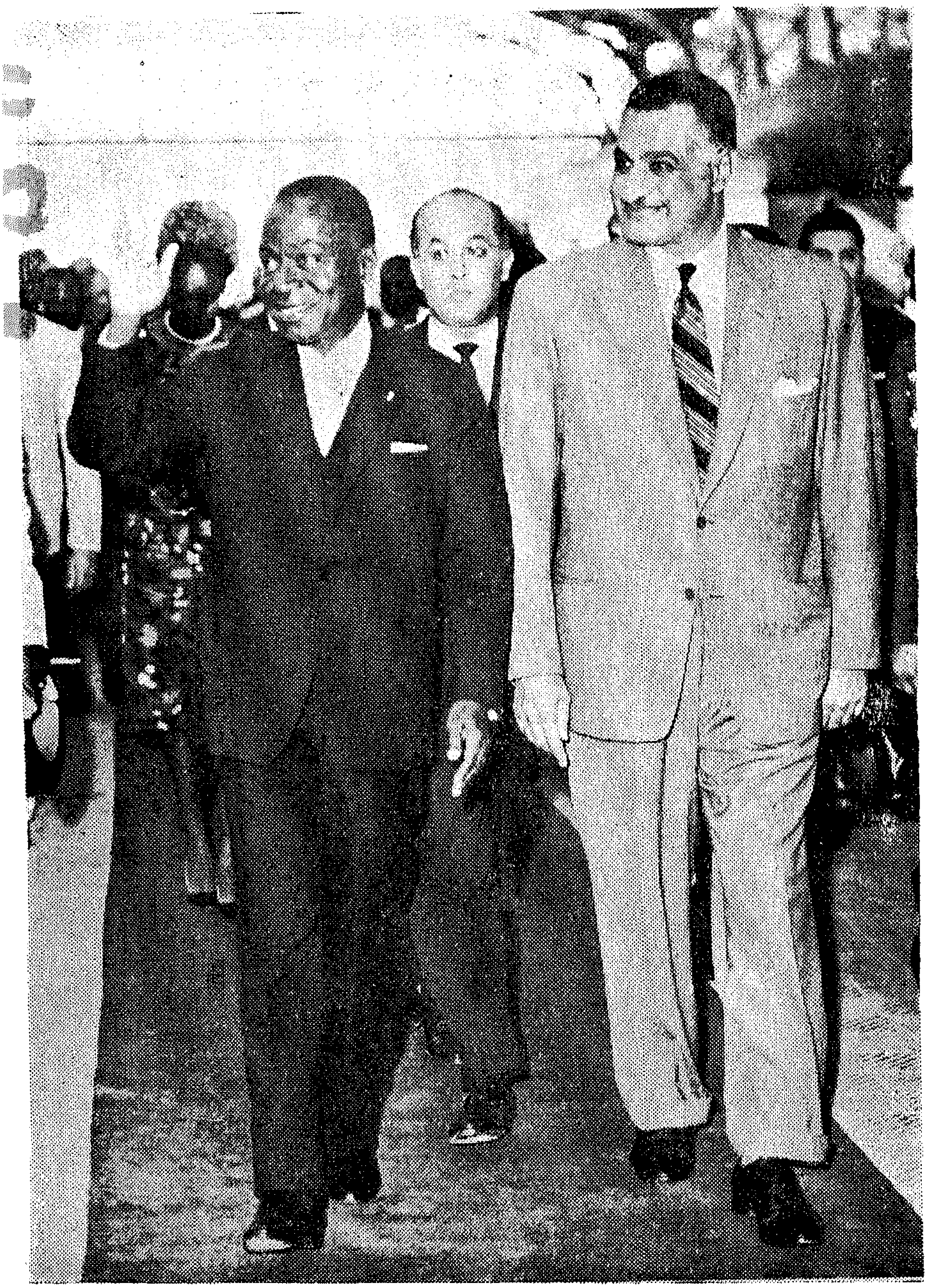
٣ ـ فتح مكتب تجاري عربي في كينيا ولن تقتصر مهمة هذا المكتب على كينيا وحدها بل سيكون بالنسبة لشرق افريقيا .

٤ ـ دعوة كثير من اهالي كينيا ورجال الاقتصادي لزيارة ج.ع.م للاطلاع على مدى ما أحرزته من تقدم في مجال **الزراعة والصناعة**

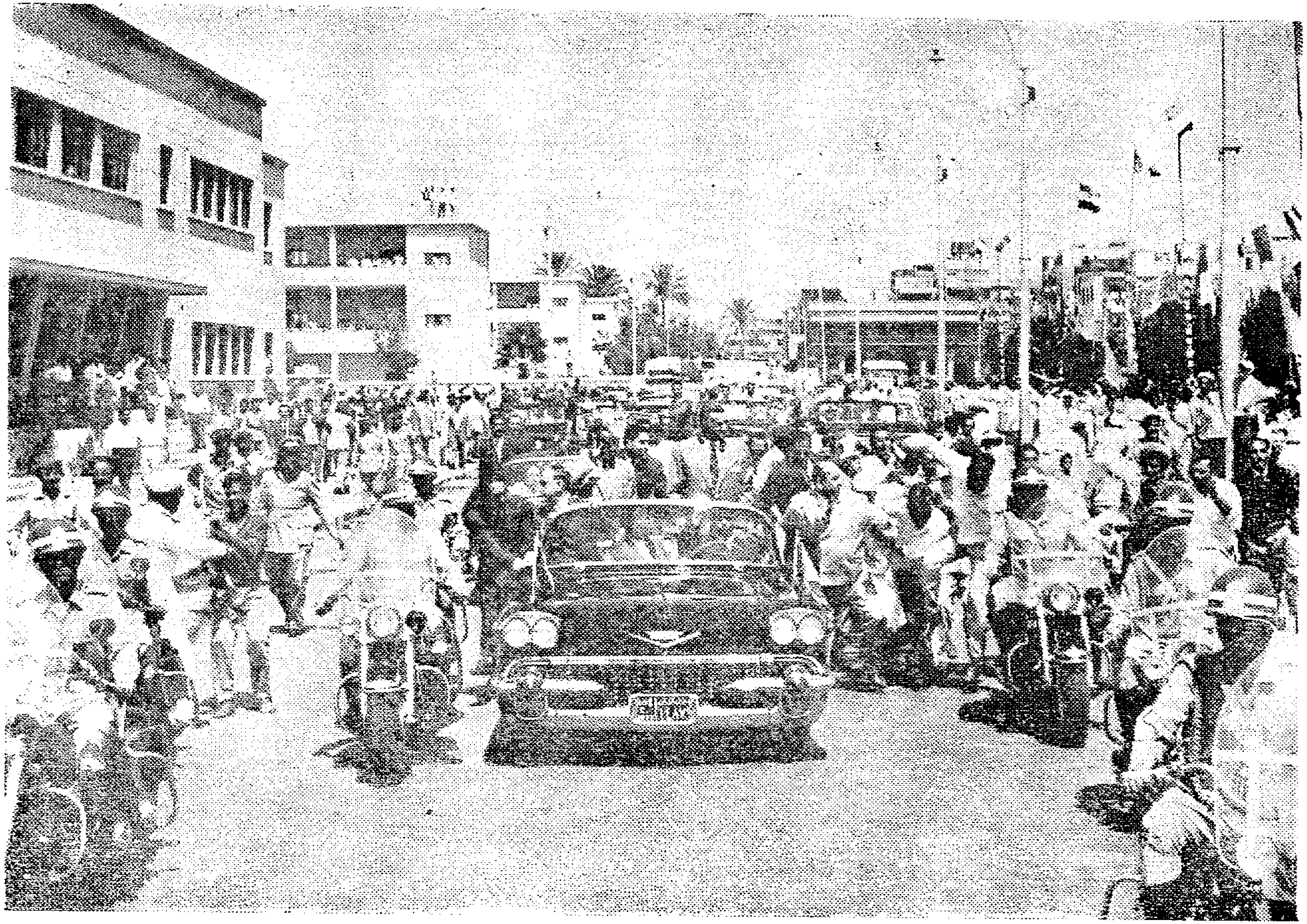
٥ ـ تخصيص منح دراسية في معاهدنا لكثير من طلاب كينيا .

ولا شك انه ، وان كان التبادل التجاري ضعيفا في الماضي ، الا انه بعد حصول كينيا على استقلالها ينتظر لها أن تمد يدها لتطلب معونات زميلاتها أبناء القارة خاصة في ميدان الانشاء والمقاولات ولا شك أن ج.ع.م ستمد يدها بقدر ما تستطيع التعاون مع كل دولة افريقية من أجل المستقبل الزاهر لشعبنا الافريقي كله .

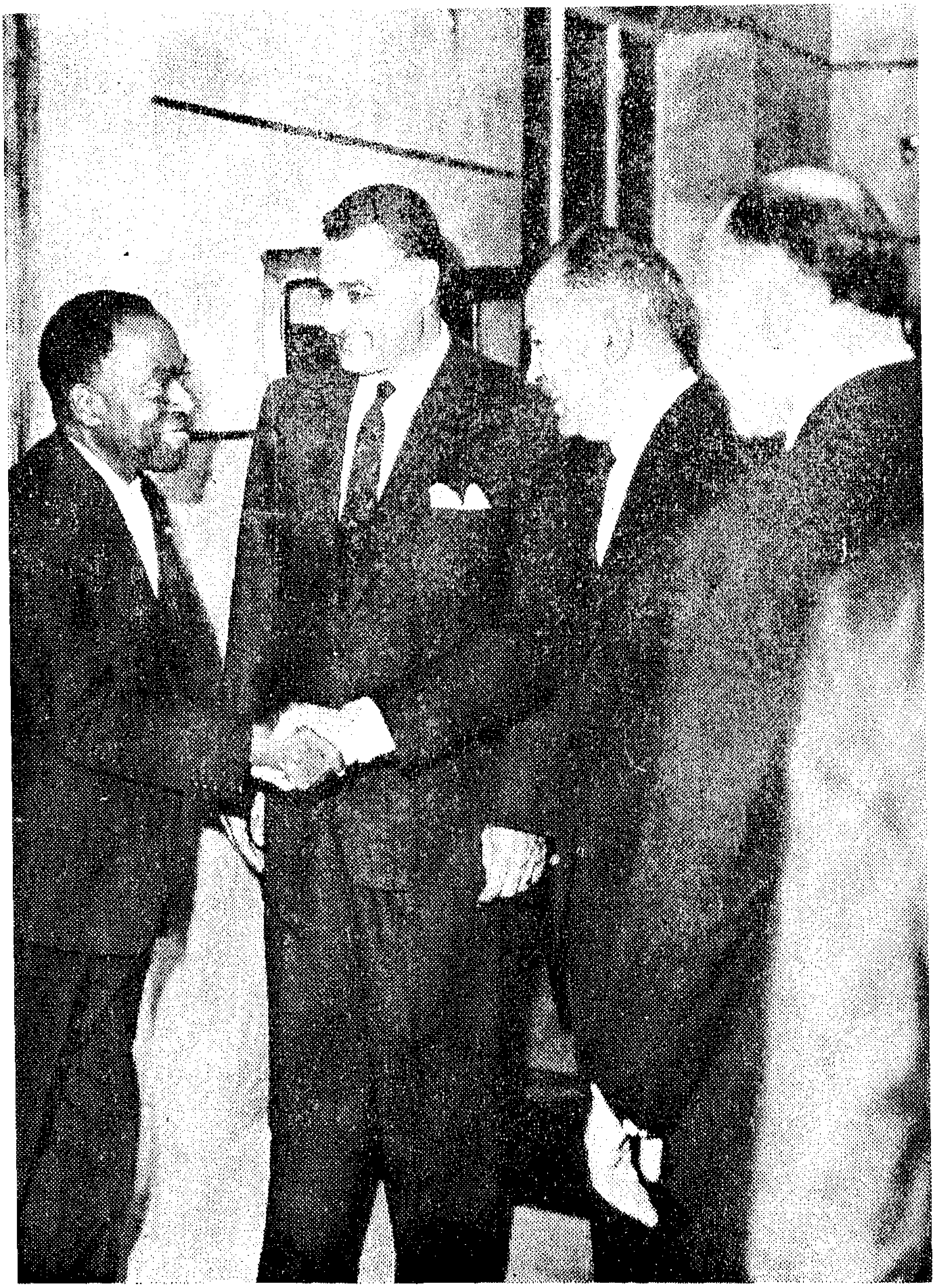
محمود متولي



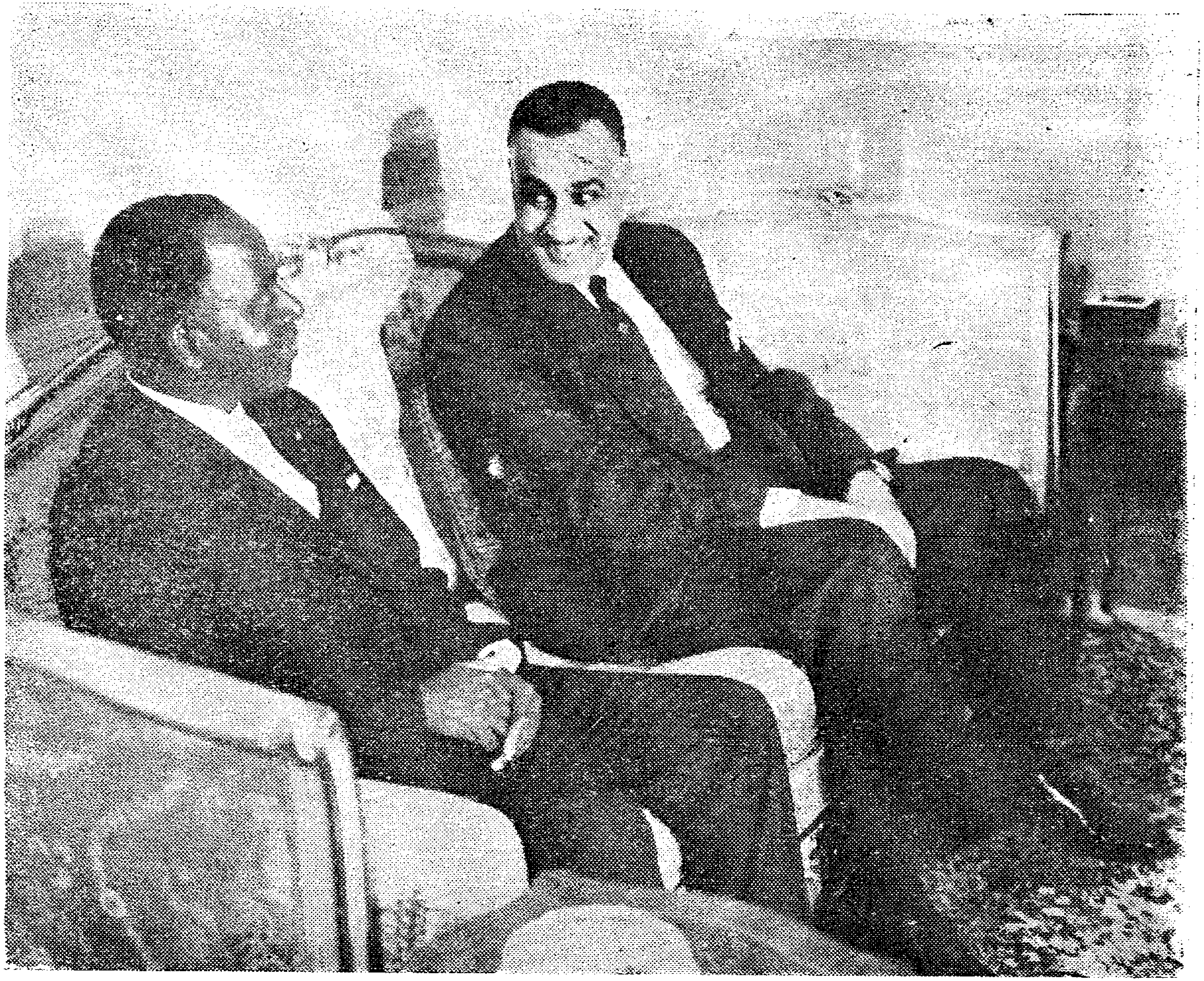
« الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل الرئيس فيلكس هوفويه بوانييه »



((الرئيسان بين ترحيب الجماهير))



((كلمات ترحيب برئيس جمهورية ساحل العاج))



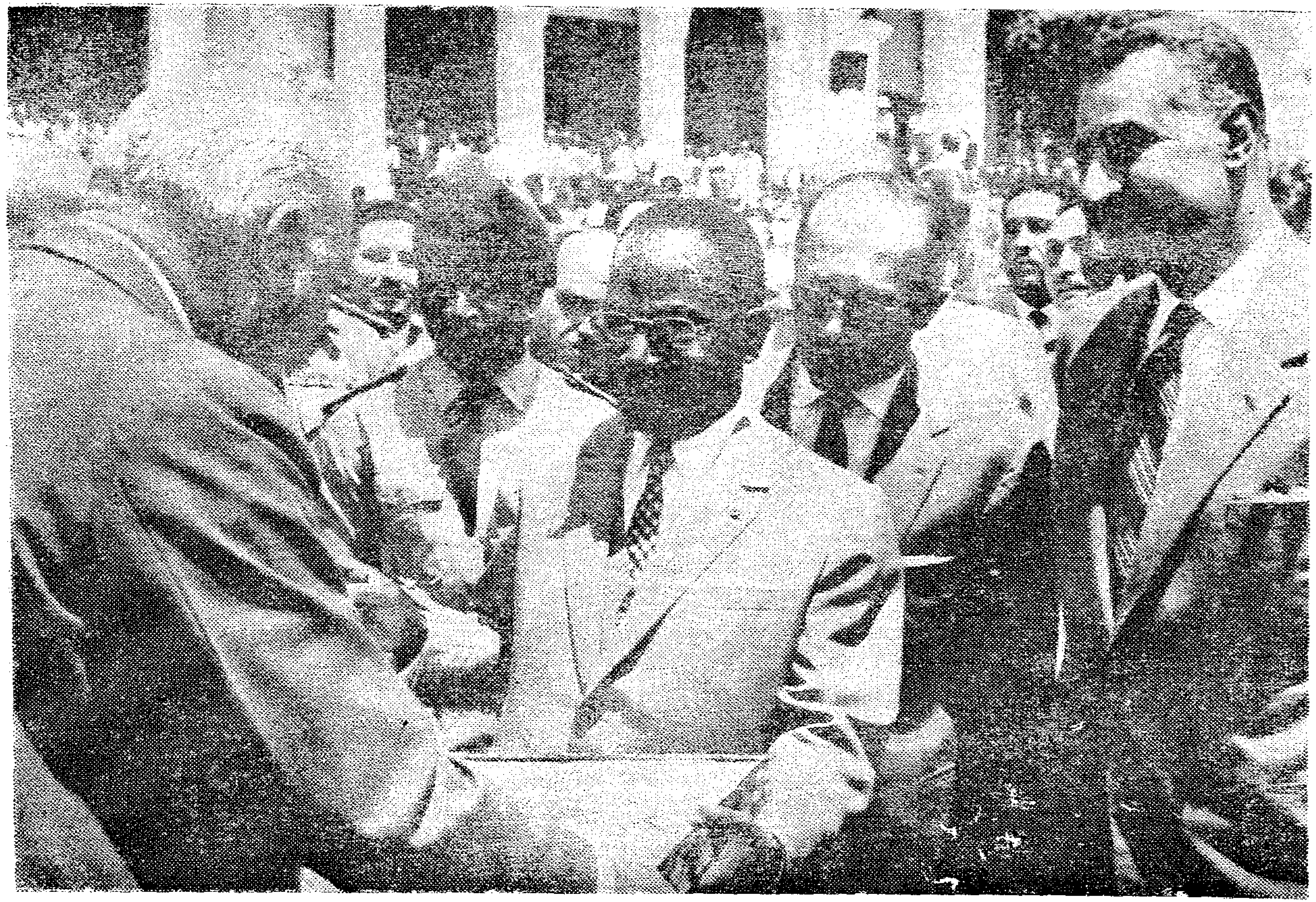
« الرئيسان فى حديث ودى »



((الرئيسان فى احدى الزيارات))



« باقة ورد الرئيس فيلكس هوفويه بوانيي »



« الرئيسان فى زيارة احدى المحافظات »



« .. وودع رئيس جمهورية ساحل العاج بعد زيارته المثمرة »

نقد الكتب

بقلم

عبده بدوى

من الكتب الجديدة التى وضعت فى مخططها اكتشاف ثورة الجزائر ، ومعرفة الخطوط الدقيقة الحاسمة التى مرت بها كتاب « الجهاد الافضل » لعمار أوزيغان ، والكتاب يقدم « الكلمة الجديدة » للجزائر ، ويوضح ان القومية الثورية تستطيع أن تقود الجمهورية الجزائرية الى أن تصبح دولة حديثة تقوم على ديمقراطية قومية ، وهى فى كل هذا تدحض المخططات الاخرى التى تحاول جاهدة أن تلقى ظلها عليها .

وتحت عنوان « الايديولوجية القومية الثورية » تحدث المؤلف عن الايديولوجيات الاتية : —

١ — الايديولوجية الوطنية الرجعية التى يمثلها النساك او اصحاب الطرق الذين يخدمون المستعمر ، والذين كانوا يمثلون « الفئة الثابتة » التى يعمل الاستعمار على الارتباط بها اقتصاديا وسياسيا ، وفى الوقت نفسه يستخدم تأثيرها الدينى والادارى على غالبية الشعب .

٢ — الايديولوجية الوطنية الاصلاحية التى تأخذ طابع عدم العنف ، وترى أن التعليم ، أو التجارة ، او الصناعة ، أو الحياة العصرية ، او التخلص من الحجاب ، او العمل البرلمانى ، قد يوصل الشعب الى غايته .

٣ — ايدولوجية الاستسلام أمام صعوبات الثورة المسلحة .

٤ — الايديولوجية المصالية « نسبة لحركة مصالى الحاج » وهى مناقضة للثورة ، ثم كان أن نشأت « جبهة التحرير الوطنى » بين عدة تيارات تقول :
بالجامعة الاسلامية ، وبالالحاد ، وبحركة الاصلاح الدينى .

ثم يتعرض المؤلف لايام الشؤم فى التاريخ، وللانسانية فى الحضارة العربية ، ويردد كثيرا مما قاله السيد كوهين فى كتابه « ضياء العصر الوسيط » والسيد جونييه فى كتابه « قرون مظلمة فى المغرب » ، وينتهى الى تحية المؤرخين والشعراء الفرنسيين الذين اعتبروا انكسار المسلمين فى « جوتيبه » بمثابة الايام المشئومة فى التاريخ الانسانى ، ويستشهد على هذا بقول « كلودفارير » عضو الاكاديمية الفرنسية : فى عام ٧٣٢ م المت بالانسانية كارثة قد تكون أكثر الكوارث شؤما فى العصر الوسيط كله ، فقد غرق فيها العالم الغربى ، طوال سبعة قرون أو ثمانية فى مهاوى بربرية كان عصر النهضة قد بدأ يبددها ، هذه الكارثة التى أكره حتى

ذكرها ، هى الانتصار المقيت الذى أحرزه قرب « بواتييه » المتوحشون بقيادة شارل مارتل ، على الكتائب العربية والبربرية ، والتى لم ينجح الخليفة « عبد الرحمن » فى تزويدها بما يكفى .. وكان أن تراجعت ، وفشلت .

لقد تقهقرت المدنية فى هذا اليوم المشئوم ثمانمائة عام ، ذلك انه يكفى أن يكون الانسان قد شاهد حدائق الاندلس ، أو البقايا العظيمة ، لعواصم السحر والحلم التى تتمثل فى أشبيلية ، وغرناطة ، وقرطبة ، وطليطلة .. حتى يستشف فى دوار مذهل ما كانت قد تئول اليه فرنسا وقد خلصها الاسلام ، الحاذق ، الفيلسوف ، المسالم ، السمح

والمؤلف يمهد بهذا كله ليصل الى الاعماق التى تلمسها « جبهة التحرير الوطنى » ، وليذكر أن الواقع الدينى - بالنسبة للجزائر - واقع اجتماعى وسياسى لايشوبه الغموض ، وأن التحرك للمطالبة بالعدالة الاجتماعية موجود حتى فى فجر الاسلام ، وان « أبا ذر الغفارى » يعتبر الاشتراكى الثورى الاول .

ولكن هذا لم يمنع من وجود ارستقراطية عمالية ، وبورجوازية وطنية ، ومن وجود نقابيين من الشيوعيين والاصلاحيين حذفوا من مخططهم تماما المطالبة باستقلال الجزائر ، ومن جزائريين انتظروا خلاصهم على يد هتلر حين غاص بأقدامه فى قلب فرنسا ، ولم يكن به من ان ينخرط هؤلاء وغيرهم فى المجازر التى قامت بها فرنسا بعد الحرب ، وأن ينمو من كل هذا « حس قومى » عبر عنه أحد حكام الجزائر بقوله « ان فرنسا تكاد تكون علة رهيبة » كان المسلمون يستجدون حقوقهم ، وهم اليوم يفرضونها .

وقد وضح هذا الحس فى مقاومة الادماج ، وفى كشف أساليب التمثيل البرلمانى ، ثم ثم أخيرا فى مقاومة تلك الافكار التى كانت تقول ان « الوطنى » فكرة لا تصلح لعالم اليوم ، وان فرنسا هى الوطن الأم والوطن العقلى ، وان الاصلاح الزراعى مستحيل ما دامت الاراضى محتلة ، وان فرنسا التى كانت « تزرع » الجمهوريات فى أوروبا ، سوف تتابع رسالتها الديمقراطية فى البلاد ، كما أنهم فرقوا بين « فرنسى فرنسا » ، و « فرنسى الجزائر » .

ولكن تلى هذا النوع من وضوح الرؤية صراع دائم بين الاحزاب لغير أسباب واضحة ، مما استدعى تسميتهم « بالاخوة الاعداء » ، ولكن هذا الطقس المتقلب سرعان ما تبعه جو صحى ، يمكن التأريخ له بأول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، حين ظهرت للوجود الثورة الجماعية ، وحين آمن الوطنيون بأنه لا سبيل لحل قضيتهم الا بالعنف ، ولقد وضح هذا المنشور السرى الاول الذي اذاعته جبهة التحرير الوطني .

((.. اليوم وقد خاض الكثيرون بسمائة هذا الطريق ، نتحمل ، نحن البعيدين الى الوراء ، قدر هؤلاء الذين مضوا ، وهكذا فان حركتنا القومية ، التى اقعدتها سنوات الجمود والرتابة ، واسبىء توجيهها ، وحرمت من دعامة الرأى الشعبى الذى لا يستغنى عنه - وتجاوزتها الأحداث .. تتفسخ شيئا فشيئا وفق مشيئة الاستعمار .

ازاء هذا الوضع ، رأى فريق من الشباب المسئولين ، المناضلين الواعين ، الذين يضحون حولهم أكثرية العناصر التى ما تزال سليمة وحازمة ، اذا اللحظة حانت لاخراج الحركة من الطريق المسدود ، واطلاقها الى جانب الاخوة المراكشيين والتونسيين فى الكفاح الثورى الحقيقى)) .

وهكذا اندلعت هذه الثورة ، وهى بظروفها وتطلعها تكذب التحليل التاريخى المرتكز على المنهج اللينينى ، وتؤكد ان الاسـلام عصب محرك ضرورى للثورة ، وان الحيـاة تصحح الاخطاء التى تخطط داخل غرفة مغلقة ، لقد كان المجتمع الجزائرى لا يضم الا الشوائب ، والاخطاء ، والظلال ، ولكن كل شيء الآن قد عاد الى جوهره حينما ظهر « محور » يجذب الجميع .. يحركهم .. يدفعهم الى الهدف .

●

وفى القسـم الثانى الذى بعنوان « تنفيـذ العقيدة دون الماركسية » ذكـر المـؤلف ان الوطنيـة الجـزائرية تطهرت من الطائفية والتعصبيـة ، وانهـا عرفت بين السـلاح الايديولوجى ، والسلاح العملى ، وانها ترى أن التمهيد للاستقلال القـومى ، لا يستطيع ان يقوم به حزب « عمـالى » ، وانما يجب ان تقوم به جبهة قومية شاملة ، تشمل العامل ، ورب العمل ، والطالب ، والفلاح .

ومن هنا رأينا صخور تجمع « نجمة افريقية الشمالية » الذى تحول الى حزب عمالى تلقى توجيهـاته من موسكو وباريس ، أو الحـزب الشيوعى نفسه ، أما جبهـة التحـرير فقد استندت الى الشعب ، الى حـد أن كلمـة « الله ينصر المجاهـدين » كانت تختتم بها الصلوات الخمس فى كل يوم ، وقد وصلت الى قمـة تماسـكها حين تمكنت من الكشف عن التهازية « الحركة الوطنية الجزائرية » التى كانت تتجر بجمع التبرعات ، وحين تمكنت من تصفية فرق المقـاومة الخائنة واستولت على بنادقها الفرنسية ، واستطاعت التوفيق بين العمل العسكرى والعمل السياسى ، وان يقال عنها بحق :

فى الجزائر التى نالت استقلالها انطلاقا من الصفر ، بعد قتال لا يصدق تقريبا ، ولا تفوق الا ملحمة « السير الطويل » الصينية ، من حيث ان كلا منهما رهان تاريخى ، ومجـازفة ثورية .

●

وقد تعرض المؤلف من موقف ((**البير كامى**)) من قضية الجـزائر ، فذكر انه لم يكن ينظر بعين الرضا الى جبهة التحـرير الجزائرية ، وقد حسبها ذات اهميـة فى أول الامـر ، ولكنه سرعان ما وضح له مدى نفوذها وتماسكها وقد رأى ان يوجه نداء بعد مقابلته للحـاكم العام جاء فيه رغبته فى أن تعلن الحركة العربية والسـلطة الفرنسـية — دون أن تجرى أية مقابلة بين الطرفين — ان السكان المدنيين خلال الزمن الذى ستستغرقه الاضطرابات سيظلون دائما متمتعين بالاحترام والحمـاية معـا ، وبخاصة فى الفترات التى لا تعود فيها الاسلحة وسط ظلام المعركة ، ولا تفرق كذلك بين الرجل والمرأة والجندى والعامل ، ثم يرى أخيرا ان هـذا النـداء سيكون له أثره العميق حتى أن ترتب عليه انقاذ روح واحدة .

وقـد تدخل « كامى » للافـراج عن أحد أصدقائه ، دون محاكمة ، ولكنه فشل أخيرا فى خطته التى كانت تهدف الى جعل الحـرب القائمة بين الطرفين « حربا انسانية » ، ومن هنـا آثر الصمت عـن أن يتـكلم فيحـرج فرنسا .

●

ثم يصف المؤلف الحزب الشيوعى بالغباء والانتهـازية والتبعية ، ثم يقول « والحـزب الشيوعى الجـزائرى — هنا أيضـا — ضحية انانيته البالغة ، وهو يشبه المسافر المـدعى الذى لا يسـمح للقافلة أن تهتز بغير اذنه .. والمعزول الضائع فى الصحراء حيث لا يساعده

أحـد ، يدور حول نفسـه على الرغـم من « البوصلة » التى لا يعـرف أن يستخدمها ، انه يسـير فريسـة السراب الذى يقـود الى الجنون ، والظمأ الذى يقود الى الموت .

أما جبهة التحرير الوطنى فهى القافلة التى تجتـاز الصحـراء ، متغلبـة على جميع الصعوبات ، وحين تحيـد عن الطـريق التى شقها الرواد ، تعرف أن تكتشف فى أعماقهـا المعرفة الفلكية الاليفة جدا منذ أقدم العصور – عند شعوب الشرق – وهى تعرف أن تربط بين الخبرة والعـلم .. » ، ثم يهاجم البيان الذى ظهر متعرضا للقضيـة الجـزائرية فى « الكومنيست » ، قائلا ان خروشوف يجهل أن مهزه الجـزائرى ليس سـباقا لانه هزيل متهـدم ، ثم يذكر أنه كان هناك من صـدم لاتخاذنا اتجاها علمانيـا مطعما بايديولوجية دينية ترتبط بنظام اجتمـاعى قـديم ، ولاننا نعرف تماما دور الاسلام لاننا مرتبطون بالشعب ، ولأنه – كمـا قرر ماكسيم رودنسون – ليس مدعاة جمود أو قسوة أو تعصبية ، أو توقف من التقدم الاجتماعى ، أو خنق للفكر الحر .

وفى الجـزائر فسر الدين – بالتعـاون مع العلماء والمصلحين – تفسيرا يخـدم الوطنية الجزائرية ، فالاسلام لا يتناقض مع الاشتراكية وانه اذا كان كثيرون فى العالم يودعون الاديان توديعـا مأتميـا ، فان هـذا لا ينطبق على الايديولوجية الاسلامية ، لأنها فى كامل اندفاعها وحركتها ، ثم ان الوضوح السياسى ، والفعالية الثورية يستلزمان الاحتفـاظ بالقيم الروحية التى يمكن أن تغـذى النهضـة فى الحيـاة الصناعية المتقدمة .

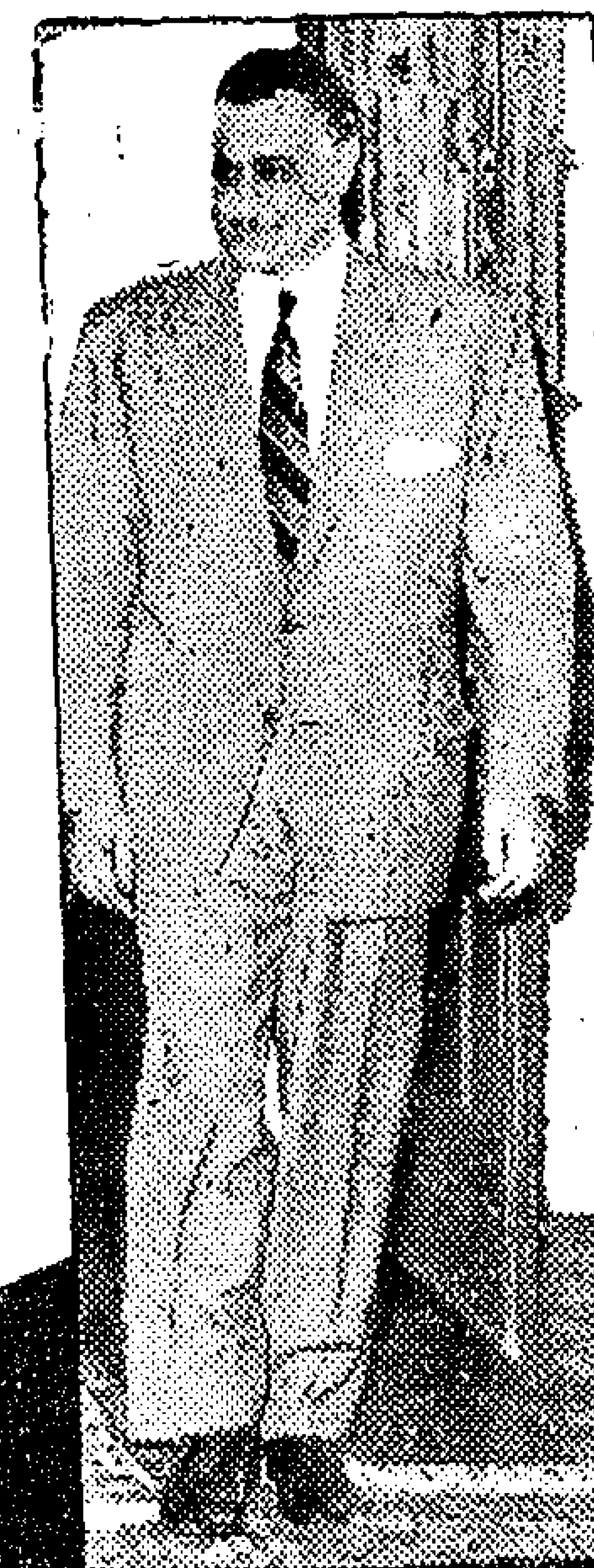
ثم يذكر المؤلف ان معـركة جديدة سلمية ورائعة ، تنتظر فى الجزائر الحرة المجـاهدين والمجاهدات ، الفدائيين ، والفدائيات ، ثم يختم كتـابه كما بدأه بالحديث الشريف :

« أفضل الجهـاد كلمـة عدل عند سلطان جائر » .

والكتاب يقـدم اشارات ذكية وواضحة ، ويكشف عن الوجه الحقيقى للجزائر ، ويقدمها من خلال واقعها الثورى ، ومن خلال تاريخها المتطور ، ومع أن الكتاب مترجم ترجمة سيئة عن دار الطليعة فى بيروت ، الا أن جوهره نابض بالوقع الثورى ، والفهم لطبيعـة المجتمـع الجزائرى .

ولعلنا فى الجمهورية العربية المتحـدة نهتم بنقل الفكر الجزائرى – المكتوب بالفرنسية – الى اللغة العربية ، لانا بالاضـافة الى أنا سنضيف به شيئا قيما .. سنرد شيئا يعطى « تكامل الثقـافة العربيـة » فى هذه الفترة الخصبة التى نعيشها الان .

« عبده بدوى »



أغنية لثورة يوليو

للشاعر أنس داود

لا تسألوا القيثار لحنا لا ترهقوا للناى أذنا
الشعر مرتجف على شفتى .. قافيــة ووزنا
ما تصنــع الكلمات والاطواد للاجيــال تبنى
والليل يسحق ، والظلام يبيد ، والاوغاد تفنى
والصبح يشرق،والزهور البيض نغرسها لتجنى
والشعب يقتحم القلاع ، يدق بالتاريخ حصنا

●

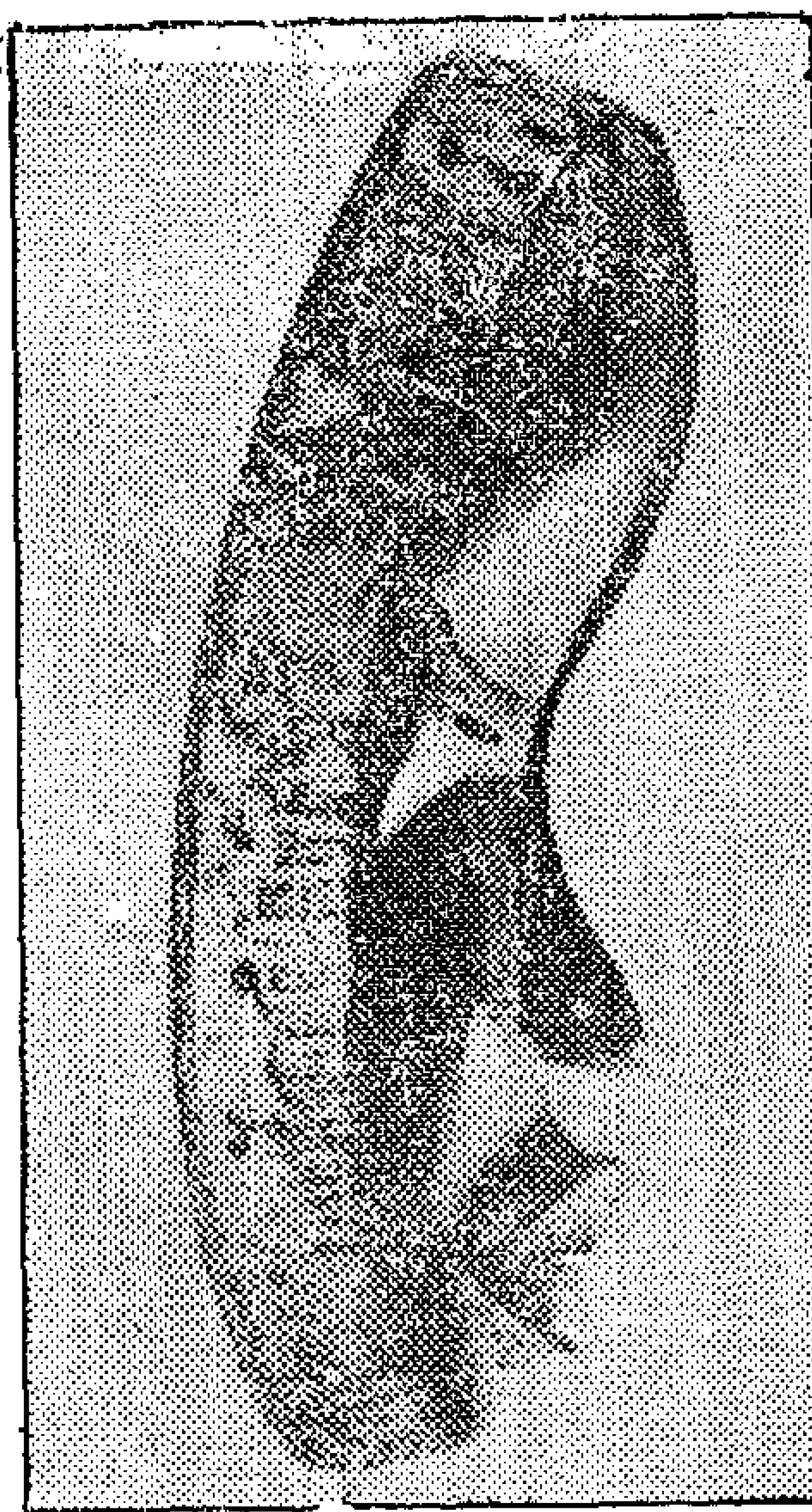
من قال : عصر المعجـزات على مغانينا توارى
الصحوة الكبرى بأرضى ترعش العين انبهارا
فى كل معـركة لـواء يزحم الافـق انتصارا
وبكل شـبر من حمانا تشـهد الدنيـا منارا
وعلى جبين الشعب .شعبى يرفع التاريخ غارا
فهو الذى صنع الحيـاة بعـزمه نورا ونارا

●

يوليو . أكنت على ضفاف النيل مصفود الجناح
هل كان شعبى فى جحيم الذل منزوف الجراح
يروى من المأسـاة يرتشف الانين بكل ساح
حتى اذا انهار الدجى وزهوت فى ألق الصباح
وأسيت للجرح الذى يدمى ، وللشعب المباح
أهرقت عمـرك فى طريق النور مشبوب الكفاح

●

ومشت خطاك تمد أجنحة الضياء على الطريق
وتزيل عن شعبى الابى نذالة الوغد الصفيق
وتقـول للعـار المروع فى القنـاة بكل ضيق
احمل عصاك ، وجرر الاذيال .. ما عدنا نطيق
فانجاب هذا الليل عن فجر وعن شعب طليق
يبنى الحيـاة على ثراه الحـر ايمان عميق
ما زال فى عصـر الكفاح لامتى درب عتيق
رصفته بالشـهداء أجيالا وغـذته العـروق
كل الصحـارى يا كفـاح على عزائمنا تفيق
كل الرمـال يهـزها صحو وينعشـها شروق
ان لم نر الربوات توجها هنـا مجـد عريق
فلتظلم الدنيـا ، ليضرم فى جوانبها حـريق



الشكل في الفن الافريقي

بقلم : عبد المنعم الحفني

يتقن الفنان الافريقى صنعته اتقانا فائقا ، ويشهد على ذلك كل مؤرخى الفنون الجميلة ، حتى ليكاد الاجماع يلخص حرفية الفنان من هذه العبارة الرشيقة التى أعلنها « السى لوزنجر » : ان كل ما يصنعه الفنان الافريقى يصنعه باليد ، وهو يصنعه مستعينا فى صناعته بالصبر وحبه لفنه . وهو يستخدم المادة التى تقع عليها يده ، والتى يضطره اليها الحال بمهارة فائقة . ولكن المهم فى الفنان الافريقى رغم ذلك ، هو انه يحيل الضرورة الحرفية الى ابداعية زخرفية ، بمعنى أن ما تقضى به الضرورة فى الفن لايمكن أن يبقيه كضرورة ، حتى لتحس به أنه موجود بالضرورة ، ولكنه يحيله الى ابداعية زخرفية يلاشى فيها الضرورة ولا يتبقى منها سوى حقيقتها الزخرفية التى تزيد من روعة العمل وتضيف الى جماله » .

والفنان الافريقى يعبر الوصلات الفنية بين الوحدات الجمالية للعمل الواحد ، ويربط بينها ربطا لا يجعلك تحس به كربط ولكن كجزء أصيل فى العمل الفنى . والنتيجة أن المتأمل لقطع الفن الافريقى يخرج منها بحقيقة هامة : انها خالية من الزيف ، أو خالية من « الوجود بالضرورة » ، أو خالية من الاحاسيس المفروضة فيها فرضا ، وخاصة عندما يستخدم الفنان الافريقى تكنيكا فنيا خاصا بفرع من فروع الفن ، وذلك فى فرع آخر ، كأن يقترض أسلوب العمل فى الخشب ويستخدمه للحفر على الحجر مثلا .

ويتناول الفنان الافريقى المواد المحلية الموجودة فى بيئته مهما كانت قيمتها ، ويعمل فيها ابداعيته بحيث يحيلها من مواد تافهة قليلة الشأن الى زخارف وحلى يضيفها الى عمله الرئيسى . وهو مثلا فى اراضى المراعى يحسن استخدام تصنيع الجلود ، أما فى

الغابات فهو يستخدم الاخشاب واعضاء الحيوانات التى يصيدها أو يصيدها غيره ، أما فى الاراضى الزراعية فهو يستخدم ألياف النباتات .

ولقد نبهنا الى اثر « الجماعية » فى الفن الافريقى ، بمعنى ان الفنان الافريقى يحس بنفسه كعضو فى الهيئة الاجتماعية ، وكل ما يشكل أو يصمم هو لمنفعة المجتمع . والملك أو رئيس القبيلة أو الكاهن هو الاختيار الحر للجماعة كلها ، فالملك أو رئيس القبيلة أو الكاهن هو ممثل الجماعة ، وهى ترى نفسها فيها ، بل وتستمد وجودها وكيانها منه ، بمعنى أن الرئيس الذى يغزو ويحكم ، ويحصل الامجاد ، انما يسقط هذه الامجاد على قبيلته ، فتشتهر القبيلة ، ويفخر الفرد بالانتساب اليها ، فالمجد الذى يحققه الرئيس هو مجد كل فرد ، وكل فرد يرى نفسه فى الرئيس ، ولذلك يحاول الرؤساء أن يحققوا هذه الامجاد دائما ، وأن يحيطوا انفسهم بما يوحى بهذه الامجاد ، فبلاط الرئيس يحفل بكل عظيم ورائع ، وهنا يلعب الفنان الافريقى دورا خطيرا فى تحقيق هذه المظمة للرئيس . وكذلك يستمد الفنان الافريقى ، والفن الافريقى دافعا ضخما منشطا من رغبة الحكام هذه . كذلك يستمد دافعا ضخما من حركة الالتقاء الثقافى الناتج من نزوح التجار الاجانب الى قلب القارة بوساطة القوافل عبر الصحراء والسودان .

ويعتمد اختيار الفنان الافريقى للمواد التى يستخدمها فى فنه على تقاليده الدينية ومفاهيمه الروحية ، والعلاقات الغيبية التى يؤمن بها بينه وبين الطبيعة أو بين الانسان وبين الطبيعة . مثلا : الاسنان والقرون التى تملكها الحيوانات القوية ، عندما يستخدمها الفنان الافريقى انما يفعل ذلك ليعبر عن معنى القوة . وعندما يرسم الشجر والغصون والاوراق انما يريد ان يعبر عن الارواح التى تمتلىء بها الطبيعة . ولذلك فان الفنان الافريقى قبل ان يمارس الحفر أو الرسم على هذه المواد ، يؤدى بعض الصلوات والطقوس ليرضى هذه الارواح المتسلطة على هذه المواد . وهو عندما يصبغ مادة من المواد يذبح ذبيحته ويذهب للكاهن ليبارك أوراقه . ويغالى الفنان الافريقى حتى ليستريح بين كل مرحلة والمرحلة التالية عليها فى عمله ، ويذهب فى كل مرحلة الى الكاهن ليبارك ابتداءها .

ويعتبر الخشب اشيع أنواع المواد استخداما فى الفن الافريقى . وليست مادة الخشب هى مجرد شيء ميت ، او مادة بمعنى Matter ، أى شيء غفل خال من الروح أو الحياة . انها « شيء » حى طوال فترة الخلق الفنى . ولذلك فان عملية التقطيع والصقل تؤلم الخشب ، أو تؤلم « الحى » الذى فيها . وهذا هو سبب كثرة الطقوس التى تؤدى أثناء العمل على الخشب .

ويستلزم كل نوع من أنواع الخشب منهجا خاصا ، فمثلا فى السودان يستخدم الفنانون نوعا صلبا من الخشب كى يحققوا فى صنعه خلق زوايا حادة . أما قبائل « الباول » فهذه تبحث على أنواع رقيقة من الاخشاب تعاملها بحرص ورقة شديدين . على أن أكثر انواع الاخشاب استخداما عند كل القبائل والمناطق هى اخشاب الموجنا والابنوس .

ويستخدم العظم والعاج بعد الخشب مباشرة . وهاتان المادتان تدلان على القوة ، ذلك لان الافريقى لا يحصل عليهما الا بالصيد والصيد يتطلب القوة والمهارة والشجاعة ، ومن يمتلك العاج او العظم انما يمتلك بالتبعية الشجاعة والقوة اللازمين للحصول عليهما . القبائل التى تعتمد على الصيد ثروة لا تقدر بمال ، وهى تتخصص فى الحفر على العاج والعظم ، وتصنع منه الحلى والعقود ، ودبابيس الشعر والطبول ، والمذبات والتذكارات . وتصنع قبائل « البالوبا » أشياء رائعة من العاج ، ومن أنياب أفراس البحر وقرون الخراتيت . وتستغل بمهارة فائقة الانحناءة فى الناب فى انشاء زخارفها . وفى الكونغو الادنى تستخدم القبائل اضراس الفيل الضخمة .

ولا يستخدم الحجـــــر كثيرا فى النحت الافريقى ، وهو نادر الاستخدام ســـواء فى التماثيل او فى الهندسة المعمارية . الا ان الحضارات الافريقية القديمة كانت تستخدم الحجارة بدليل الاثار الجميلة الكثيرة التى عثروا عليها فى « نيجيريا » و « الكونغـــــو الادنى » و « جنوب الحبشة » ومنـــاطق « الميند » و « الكيسى » .

وتشكيل الطين فن آخر من الفنون الافريقية الهم كثيرا من الخلق الابداعى بين زنوج كل القارة الافريقية تقريبا على مدى التـــاريخ الافريقى الموغل فى القدم الا ان هذا النـــوع من الفنون التشكيلية الافريقية لم يخلف لنا آثارا كثيرة ، لان عملية حرق الطين وتحويله الى مادة صلبة ، لم تكن تتم بطريقة فعالة فكان الطين يخرج من عملية الحرق وهو مايزال رخوا فلا يستطيع الصمود لعامـــل الزمن والنقل الكثير من مكان الى مكان ، خاصـــة نقله الى المتاحف الاوروبية لدراسته والكتابة عنه . ومعظم الآثار التى وجدت منه وجدت في مناطق تشاد ونهر النيجر ومنطقة اللوزيرا فى اوغنده ، والكافا ، وفى ليوبولدفيل وايفى وتتمثل اروع اعمال التشكيل بالطين فى حضارة ملوك الاشانتى ، وفى غلايين الطباق المنتشرة فى منطقة الكاميرون الرعوية ، وفى الاوعيـــة والاوانى لقبـــــائل الباكونجو والمانجبوتو والكالونيا . وتحلى قبائل الاشانتى غلايينها بالرسوم التى تشرح مثلا من الامثلة الشعبية

ومعظم الفنانين الذين يشتغلون بتشكيل الطين من النساء ؛ فتشكيل الطين هو حرفة النساء ، وخاصة زوجات الحدادين فزوجات الحدادين يعملن اصلا خزافات .

ولا تستخدم النســاء عجـــلة الخزاف فى تشكيل الاوانى والاوعية الخزفية ، مع ان هذه العجلة عرفت فى مصر وشمال افريقيـــا من قديم الزمان . وهم يستعملن ايديهن فى عملية التشكيل ويستعن بالعصى لعمـــــل الايدى والزخارف . ثم يضعن الاوانى وهى ما تزال طرية فى الظل عدة ايام لتجف ، ثم ينقلنها فوق ارفف خشبية ويغطينها بالاعشاب ويوقدون فى الجميع النار لمدة بسيطة . ولقد انتقلت عجلة الخزاف من مصر الى قبـــائل الهوسا والباكونجو . وهذه القبائل نفسها هى الوحيدة كذلك التى تلون الاوانى بعـــد حرقها باللونين الاسود والاحمر .

اما طرق المعادن فقد عرفت افريقيا الحديد قبل البرونز وادخل الحديد الى افريقيـــا الغربية فى نحو ســـنة ٤٠٠ ق.م بوســـاطة مملكة « نباتا » التى قامت يوما من الايام على طول نهر النيل الاوسط ، ولذلك عثر العلماء على الحديد فى شمال نيجيريا . واستخدم الافريقيون الحديد فى صنع البلط والقلنسوات المسلحة بالدبابيس ، والصدارى والسكاكين . كما استخدموا الحديد فى انشاء التماثيل مثل تماثيل داهومى والباكوبا وشرق افريقيا . وتقول الاسطورة الافريقيـــة ان « ووتو » ملك الباكوبو الخرافى ، هو الـــذى أدخل الحديد فى مملكته فى نحـــو القـــرن ، السادس الميلادى .

واضاف الفنان الافريقى بعض القصدير والكثير من الزنك والرصاص للبرونزوالنحاس عند استخدامهما . وهذان يستخدمان بكثرة فى ساحل غينيا .

ويستخدم الافريقى احدى طريقتين فى صب المعادن . الطريقة الاولى هى أن يحفر حفرة فى الطين أو الرمل ويشكلها بالطريقة التى يريد ان تكون تماثيله أو خزفه عليها ، ثم يصب فيها المعدن المنصهر .

والطريقة الثانية هى ان يتناول وعاءقديما ثم يصب فيه شمعا مغليا ويتركه ليجف ثم يشكله حسبما يريد ، وبعد ذلك يصب على الشمع طينا من جميع الجهات ، فيأخذ الطين شكل الشمع المصبوب ، فاذا جف الطين أوقد عليه ، فيسيح الشمع ويخرج ، ويتبقى الشكل من داخل القالب الطينى فارغا ، وبذلك يصب فيه معدنه ، وهكذا .

وعندما يجف المعدن يكسر القالب الطينى ، ويأخذ فى حفر المعدن المصبوب أو زخرفته أو تلميعه .

وهذه الطرق كلها وصلت الى القـــارة الافريقية عن طريق السودان ، وعبر مصبات النيل الى تشاد وحضارة اليوروباواليبينين والساو ، وبلاط سلاطين تيكار وباموموباحام في الكاميرون . ويرجع الفضل فيها للحضارة المصرية التى اخذت تتوسع وتنفذ فى شـكل أسهم تمتد الى مراكز التجارة فى الوسـط والشرق والغرب وتصل اجزاء القارةالافريقية بعضها ببعض .

اما الفضة فقد اتخذت وضعا خاصـا ، ذلك لان الاسلام وقد حرم الذهب ، جعل من الفضة ما يحل محل الذهب ، وعندما تغلغل الاسلام فى مناطق افريقيا ، فى الشمال والشرق والغـرب والوسـط ، هـذا العـزوف عن الذهب ، وأحـل الفضـة مكانه . وتدربت الايدى الافريقية على صناعة حلى الفضة ، وخاصة ما دان منها بالاسلام ، او خضـع للحكم العربى ، واستخدمت الفضة كذلك فى صنع العملات المعدنية ، كما استخدمت فى زخارف الصدر لدى رؤساء القبائل .

أما الذهب فاستخدم ببذخ وشكل خرافى فى ممالك غانا وميللى ودارفور القديمة ، وعند ملوك الاشانتى والمونوموتابا . ولكن هذا التراث العظيم اختفى كله تقريبا ، وذلك لان زخارف الذهب ليست قيمتها فى كونها زخارف ، بل قيمتها فى الذهب نفسه ، ومن ثم كان احتفاظ الناس بها كذهب ، وهذا هو السبب فى لجوئهم الى تسييحه وتشيكله من جديد ، وهو ايضا السبب فى عدم وجود تراث من التشكيلات الذهبية القديمةالا قناع الاشـانتى الـذهبى الرائع الذى كان للملك « كوفى كاكارى » ، والذى يقف دليلا قاطعا على تلك العظمة الفنية القديمة التى كانت للاشانتى فى تشكيل الذهب . ولقد كانت زينة ملوك الاشانتى كلها من الذهب الخالص عند تيجان الرأس ، ودبابيسه ، الى الاقنعة ثم الصدارى ، فالشراريب المدلاة من الوسط على الفخذين والمقدمة ، الى جراب الاسلحة، والايوان الذى يجلس عليه .

أما المناطق الرعوية والغابات فهذه يكثر بها الصيد والحيوانات ، ويأخذون منهـا الجلود ، فالجلود هى ثروتها الحقيقيـة ، وهم يدبغونها بطريقة سهلة ميسرة ، بأن يدهنوا الجلد بعـد ذبح الحيوان أو قتـله ثم سلخه ، ببعض الدهن ، حتى يستبقى الجلد طراوته . ولما اتصلت افريقيـــا بالحضارات العليا فى وادى النيل عـرفت سر دبغ الجلود بواسطة اضافة المـواد النباتية اليها .. وتصنع الجلود المدبوغة بعد ذلك فى شكل ثياب ومعاطف ودروع ، ويستخدم جلد التماسيح العجوزة كدروع مثلا . وقد تستخدم الجلود السميكة فىعمل القوارب الخفيفة . وارتقت صناعة الجلود لدرجة كبيرة فى شرق السودان بين قبـائل الماندينجو والهوسا والفولانى ، ولـكن سر ارتقائها يرجع الى اتصال شرق السودان بحضارة البربر فى الشمال ، والحضـارة الاسلامية وتنافسهم فى الابداع قبائل الطوارق الذين يسكنون الصحراء الكبرى .

ويلون الجلد عادة ، وقد يجدل ويضفر ، وترسم عليه الزخارف المختلفة باللون أو بالفضة أو بالذهب . وقد يصنع حقـائب ومخدات وبراذع وخناجر للزينة وقبعـات واحذية .

ويعرف الافريقى الغزل بالمغزل اليدوى ، وهم يغزلون الصوف أو القطن . والرجال هم الذين يعملون على المغازل ، وهم الذين ينسجون الخيوط ويلونونها ويزخرفونها . وهم يتقنون الصباغة ويستخدمون فيهـا ثلاث طرق :

الطريقة الاولى : وهى تسمى الطريقـة المباشرة بان يلون الفنان الافريقى النسيج نفسه بالالوان .

والطريقة الثانية : بان تلون الارضيـة باللون الاصفر الذى يحصلون عليه منجذور بعض النباتات ، ثم يخيطون بعض الاحجار على الارضية الصفراء ، وبعد ذلك يمسحون على الجميع بنوع معين من الصابون الذى يزيد من اصفرار لون الارضية بينما يترك

مكان الحجارة دون ان يصل اليها ، ثم ترفع الحجارة فيظهر مكانها أشكال تصنع مـــع الارضية شديدة الاصـــفرار مجموعة من الزخارف الجميلة . وبعد ذلك يغســـل النسيج بالماء .

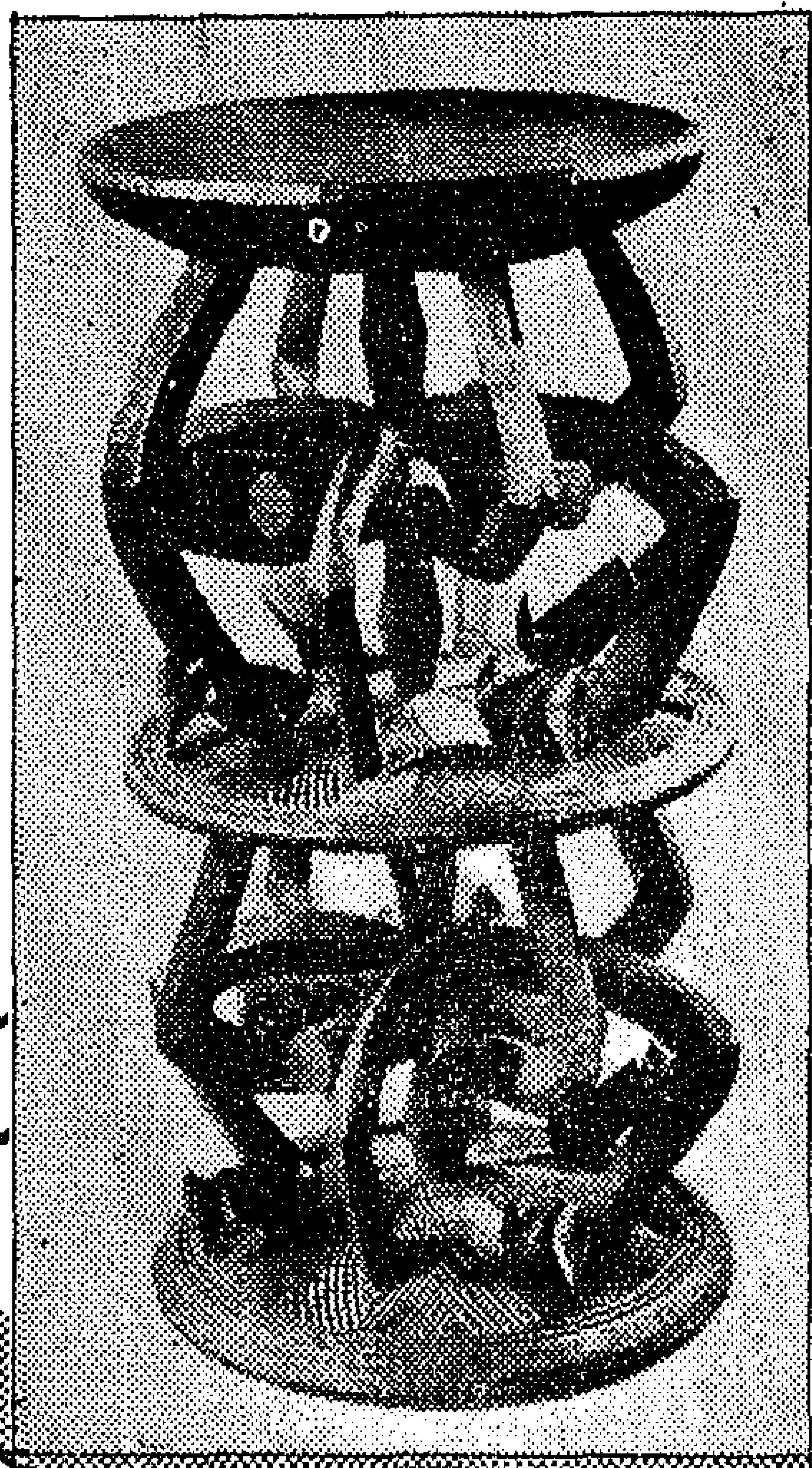
والطريقة الثالثة : وهى الطريقة الاكثر ثباتا وهى صبغ النسيج بالنيلة مع ابقـاء امكنة من النسيج بدون صباغة بواسـطة عقد ، أو تعقيدها .. أى صنع عقد منها ، ثم تجف الصباغة وتحل العقد فتظهر الرسوم الجميلة المقصودة من وراء العقد عـــلى الارضية المصــبوغة بالنيلة . وقـد يحفظ باماكن الرسوم بواسطة عجينة تلصق عليها حتى لا تصلها صبغة النيلة .

ويعتمد الفنان الافريقى كثيرا على ثلاثة ألوان رئيسية هى الابيض والاسود والاحمر، وهو يعتمد عليها لانها الالوان الرئيسية فى الطبيعة ، فالطبيعة هى مدرسته وهى استاذه وهو يحب ان يتناول منها مادته والوانه . وهذه الالوان الثلاثة هى الالوان التى تثير فى ذهنه مصاحبات معينة ، فهى ألوان رمزية ، ولذلك تشترك الطقوس فى الحصـــول عليها ، وتتخصص قبائل معينة فى استخراجها وتحتفظ بسرية تكوينها . ويؤخذ اللـــون الابيض من الحجر الجيرى وهو يوحى بالقوى الغيبية والموت . وهو اللون الذى يلون به الاطفال عند دخولهم مدرسة الغابة . وهو كذلك اللون الذى يلون به المرضى ، والاقنعة التى تمثل الاشباح . ويمثل اللون الابيض لدى قبائل غرب السودان واليوروبا الطهارة والعذرية .

ويستخرجون اللون الاسود من الهباب والفحم ، وهــو يمثــل الارض . أما اللون الاحمر فيمثل الغضب والحيوية والفرحة . وللون الاحمر صفات سحرية ، وهو يستخرج من خشـــب الكام ، ويدهن به الرجال اجسامهم عند احتفالاتهم البهيجة ، وكذلك الصبية عنــد بلوغهم وبداية حياتهم كرجال وتدهن التماثيل كذلك باصباغ الكام لان صبغة الكام ضد الحشرات والمواد الفطرية التى تأكل الخشب .

أما الالوان الازرق والاصفر والاخضر فهذه لا تستخدم الا فى الحضارات المتقدمة ، وهى تستخرج من النيلة . ويدهن بها الرجال وجوههم بدلا من استخدام الاقنعة .

عبد المنعم الحفنى



رأى في الفنون الزنجية

عن الفرنسية ترجمة : محمد شريف

يقول الكاتب « كلودروا » ان الفن الزنجي فن لا وجود له بطبيعة الحال ، وانما تسميته بالفن ، لا تعدو ان تكون سوى مفهوم اطلق

عليه من باب التيسير ، اذ ليس للفن الزنجي وجود ، ولو كان الشعب الاسود يتمتع بقسط وافر من المكر والحيلة وسرعة البديهة لامكنه التحدث عن « الفن الابيض » أو « الفن الاوروبي » .

ان « الفن الزنجي » أو الفن الاسود » لا وجود له عند السود أو الملونين ولم ينشأ هذا الفن الزنجي الا عند البيض نتيجة لقصر النظر عندهم وأقوى برهان على ذلك هو أن أصحاب الاعمال الفنية من الزنوج لا يعتبرون انفسهم قط من الفنانين .

ان نظرية الفن للفن لم تنشأ الا منذ عهد قريب وهذه النظرية محدودة التطبيق فهي غير معروفة الا فى بقعة صغيرة جدا من العالم الا وهى الغرب .. فهناك فقط تطبق هذه النظرية ويرجع ذلك الى تعمق النظرية الفنية هناك والقائمة على معان قوية واصول راسخة ونظريات ثابتة .

ولكن هل من الخطأ أن نستنتج من ذلك ان مفهوم الجمـــال والذوق الفنى السليم والقدرة على حسن التمييز شعور غريب لا يتمتع به السود ....؟ وهل لا توجد لديهم تلك الاحاسيس التى تتيح لهم فرصة الوصول الى مرتبة المشتغلين بالفن ...؟

ان الفن الزنجى قبل أن يصبح متعة ولذة عند السود كان بمثابة ضرب من ضروب

الحيطة عندهم . فقد كان يستخدم هذا الفن عند الضرورة القصوى فى أغراض الطلاسم والتعاويذ أى أنه كان يستخدم فى التعبير عن أشياء عديدة بعيدة عن الفن . فقد تنوعت اغراض استخدامه فيما عدا فرض الفن بذاته . فقد عبر عن اغراض شتى تتعلق بالتقاليد والعادات والعقائد ولا يقصد بها الفن فى حد ذاته .

لذا نلاحظ انه توجد فعلا جمعية للفنانين الفرنسيين بينما لا توجد جمعية لفنانى « اليوربا » و « البملكة » و « البازونجة » ... بيد انه من المحتمل جدا أن يفوق عدد الفنانين فى تلك الجمعيات الافريقية ذات الطابع الفنى « البربرى » أو « المتوحش » بكثير عدد الفنانين المنضمين الى جمعية الفنانين الفرنسيين .

وهناك شكل آخر لهذه الظاهرة وهو أن الفن الذى سوف نلقبه ونسميه — من باب التيسير كما أسلفنا — بالفن الزنجى لايشمل الفن الافريقى بأكمله اذ هل من الممكن مثلا أن نضم الى الفن الزنجى ألوان الفن الصخرى أو « الفن الروبستري » الذى وجدت منه آثار بديعة فى صحراء الجزائر وفزان وفى معظم جنوب افريقية ؟... نعم يمكن دون شك ..! فان آخر قبائل البوشمان بصحراء الكلاهاى كانوا يباشرون الى وقت قريب جدا هذا النوع من الفن . وحسبنا أن نقارن بين قطيع من البقر من رسم « تاسيلى » وقطيع آخر من كهوف « لاسكو » ، أو بين رسم بعض الصيادين فى روديسيا وبعض الصور المحفورة والتى اكتشفت فى استراليا ، وعلى ضوء تلك المقارنة سوف تتلاشى تماما الفكرة الخاطئة التى تسمى « بالتخصص الافريقى » وان يغيب عن ظن احد ان « البوشمان » ليسوا بسود بل هم ينتمون الى أصل آخر مخالف تماما للاصل الاسود وأقدم منه وجودا .

أما فيما يختص بالمدنية المصرية فقد طال الجدال من أجلها بشأن مدى علاقتها بالعالم الاسود وما زالت هذه المسألة حتى الان بعيدة كل البعد عن أن يبت فيها . ولكن هل من المهم حقيقة ومن الضرورى أن نتحرى مصادر « **الفن الفرعونى** » الا يكفى أن يكون لهذا الفن بقاء للدلالة على تنوع وتطور العبقرية الافريقية ...؟

ان العنصر ، والوحيد ، الذى غزا افريقية وترعرع فيها هو دون شك « العنصر الاسلامى » فقد طعم الفن الاسلامى الاراضى المصرية والليبية والبربرية من البحر الاحمر الى المحيط الاطلسى ومن الاسكندرية الى مراكش وطور الوجه الافريقى المطل على البحر الابيض المتوسط وشكله تشكيلا نهائيا فهو يعتبر بمثابة « الفن الكلاسيكى » ذو الطابع الاسلامى فى مصر وهو فى نفس الوقت يعتبر بمثابة الفن الدينى فى تونس وقيروان ، تلك المدينة المقدسة ذات المساجد العتيدة التى لا حصر لها . لقد اتخذ هذا الفن الاسلامى فى مراكش شكلا أصيلا وترعرع وازدهر فى القرنين الثانى عشروالثالث عشر . وقد احتفظت مدن « فاس » و « الرباط » و « مراكش » بالاثار العديدة الموجودة بها من قصور وقبور ومساجد .

ان البرج الموجود الان بمدينة « الرباط » والمسمى « ببرج حسن » وان « الكتوبية » الموجودة فى « مراكش » ذات المنائر المربعة الشكل لهما أقرب فى الشكل الى الابراج الرومانية البدائية ،فيها الى تلك الشموع المشوقة التى تتزين بها مساجد الشرق العربى .

وفى جنوبمصر نمت فى «أثيوبيا المسيحية» مدنية مغايرة خلفت وراءها كنائس تحت الارض ورسومات على الحوائط ذات ألوان حامية كما خلفت أيضا محفوظات زاهية بيد أنه قبل اعتناق الدين المسيحى بفترة طويلة « أى قبل القرن الثالث الميلادى » كانت « مملكة اكسوم » ذات منزلة رفيعة وتتمتع بقسط وافر من المدنية وتشهد لها بذلك تلك الكتل الحجرية الموجودة حتى الان فى مدينة اكسوم نفسها والباقية الى يومنا هذا والتى يربو ارتفاعها على ارتفاع المسلات المصرية ... اما الزخارف الموجودة على ابوابها ونوافذها فتنم عن طابع الفن المعمارى الموجود فى المدن الجنوبية للبلاد العربية

وفى عصرنا هـــذا تتميز « أثيوبيا » على الاخص بمنحوتاتها الخشبية علاوة على بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الخزف والتي تمثل غالبا أشـــكالا مختلفة من الحيوانات وتستخدم فى الاحجبة والتعاويذ .

ولما كان معظم ســكان شرق افريقية البدائيون من الرعاة فلم يكن لديهم انتاج وفير فى المضمار الفنى لان الفن بطبيعة الحال لا يبدأ عادة الا حينما يستقر الانسان فى مكان معين ويتخذ لنفسه من هذا المكان اقامة ثابتة تاركا حياة الارتحال المستمر الامر الذى يحدث غالبا اينما تنمو الزراعة .. ويفسر لنا هذا كيف أن مدنية الشعوب التى تعمل بالزراعة قد نمت وتطورت وترعرعت فنيا عن مدنية الشعوب التى تجوب الصحراء وتعمل فى الرعى ان الشعوب الزراعية أغزر فنـا من الشعوب الرعاة لان الشعب الزراعى مستقر فى مكان واحد بينما حياة الشعب الراعى قائمة على التجوال والارتحال .

ان « الرعاة الشاميت » رحلوا فى الماضى من المنطقة المصرية الى شمال افريقية فاحتلوا هـــذه المنطقة حتى بلغوا المحيط الاطلسى الا أن آثارهم امتدت أيضا الى بلاد الجنوب وعلى الاخص السودان فقد وجدت فى هذه المنطقة أيضا بعض المنقوشات على الخشب وبعض التماثيل الصغيرة من الخزف والبرونز ذات الطابع المحلى المستمد من حيـــاة الشعب نفسه الا أن الاسلام أعاد هـــذه الألوان من الفن البدائى الى الوراء وكان نصيب غانا ومالى هو نفس نصيب السودان فى ذلك .

ومن الرعاة الشـــاميت السالف ذكرهم ينحدر البربر الذين تشتمل ثقافتهم الفنية على جزء وفير من مجمـــوع الفن الافريقى وينتمى البربر الى المجمـــوعة الشـــامتية الموجودة فى الغرب والتى تختلف كل الاختلاف عن المجموعة الموجودة فى الشرق ذات الشعوب الواعية . فقد مارس البربر مهنة الزراعة وتربية الحيوان فى آن واحد والمعروف أن مدنيتهم قبل الاسلام تشبه الى حـــد كبير مدنية شعوب الشـــاطىء الشمالى للبحر الابيض المتوسط .

اما « الطـــوارق » أو رحالة الصحراء المحاربون فانهم يشـــتهرون على الاخص بشعرهم الذى يشبه الى حد كبير شعر الغزل المعروف فى العصور الوسطى بشعر قصـــور الارياف الفرنسية .

واذا كانت شعوب شرق افريقية المشتغلة بالرعى لا تملك من التراث الفنى سوى بعض الاثار العادية منقوشا عليهـا أوجه مختلفـة لرجال أو حيوانات فانهم ، على العكس من ذلك ، اصحاب تراث فنى موسـيقى بديـع تتجلى فيه ((**الطبلة**)) وتشغل مكانا مرموقا كما يشتمل الفن الموسيقى عندهم على الالات الوترية أيضا والناى والمزمار والربابة التى تستخدم جميعها فى احيـاء حفلات الرقص عندهم .

ويشتهر شرق افريقية أيضا ، وعلى الاخص بلاد الصومال ، بعمل القاطف والأســـبتة والسلات المصـــنوعة من القش فان الاهالى يتقنون هذه الصناعة اتقانا عظيما بدرجة خيالية . فان بعض السلات المصـــنوعة من القش تصل بدقتها واتقانها الى أن تتحمل وضع اللبن فيها دون أن تسقط نقطة واحدة منها وهذا دليل واضح على متانة الصناعة والدقة الفنية فيها .

ويصنع هذا الشعب ايضا نوعا من الوعاء البديع الشـــكل ، الجميل المنظر خاصـــة الخشب أو الجلد . الا ان هؤلاء الصـــناع لا يهتمون بصناعة الاوانى الفخارية القابلة للكسر لانهـــا لا تتلاءم مع تجوالهم المستمر ورحلاتهم البعيدة .

ان الفن المسمى « بالفن الزنجى » والذى تحترفه بعض شعوب افريقيـــة الغربيـــة والوسطى يبدو لنا انه يختلف الى حد بعيد عما سبق ذكره .

ان كافة شعوب افريقية الوسطى تمارس منذ أمد بعيد جدا الفن الزنجى ما عدا

الاقزام منهـا وتدل على **ذلك بعض قطـع** « نوك » الثقافية التى اكتشفت فى نيجيريا والآثار التى لا حصر لها الموجودة فى منطقة « تشاد » .

ويمكن ان نحدد جزافا منطقة استخـدام الفن الزنجى بالمنطقة الواقعة بين خطى العرض المتوازيين مع خط **الاستواء ١٥ شمالا وجنوبا** اما فى أعلى هذه المنطقة فقد حال الاسـلام دون عمل التماثيل واما أدنى هـذه المنطقة فترتطم بالصحراء التى تفصل بينهـا وبين جنوب افريقيـة فتكثر بين هذين الحدين التحف الفنية التى تتفاوت قيمها الجمالية فمنها الرائع الثمين ومنها التـافه البسيط

بيد انه يجب الا نهمل أي جزء منها مهما كانت تفاهته لان العالم اذا أراد أن يسجل حقا تاريخ فن من الفنون عنـد شعب من الشعوب وجب عليه أن يأخذ فى الاعتبـار الغالى والرخيص من هـذه الفنون وان يستنتج ويستنبط من كليهما كل ما فيها من معلومات ومعان واغراض .

الا أن الاشياء ذات الاستعمال العـادى لها عادة صفة أخرى وصبغة مغايرة انها غالبا ما تكون ذات سجية زخرفية خاصة .

ان تنوع اساليب الزخرفة سواء فى الحفر على الخشب او فى النسج او فى صـناعة القش أو الفخـار فلا حصر لهـا وقـد رفعت الشعوب المشتغلة بالزراعة مستوى هـذا الفن الى ذروة مجيدة .

ومن المحتمل أن تمجيد القدماء لهـذا الفن قد سبب ايجاد هذه التحف الفنيـة ومن الجدير ان قبائل يوربا وهى من شعوب نيجيريا فى غرب افريقية لها تراث ثقافى يعتبر من أغنى الثقافات التى ورثت عن المدنيـات الارستقراطية العظيمة .

« مدينة ايفيه فى القرن الثالث عشر ومدينة بنين من القرن الثـالث عشر حتى القرن السابع عشر » .

ومنذ ان اكتشف « فروبينيوس » هـذه القبيلة فى عام ١٩١٠ **لم تفتأ الرؤس المصنوعة** من البرنز ومن الطوب المحروق تثير دهشة الاوربيين انها تظهر لهم فنا افريقيا كلاسيكيا بلغ مرتبة الكمال وجماله أقرب الى ادراكهم من جمال الروسومات التجريدية أوالتعبيرية الصادرة عن الشعوب السوداء الاخرى .

●

يرتبط الفن فى افريقية الغربية والوسطى ارتباطا وثيقا بالتقاليد الدينية والعائليـة وتقاليد العشائر والقبائل فقد يصدر الكهنة تحذيرات عن بعض الاعمال كما يأمرون بتنفيذ البعض الاخر ولو كان ذلك على غير ارادة الفنان نفسه ومن هنا يتضح « السر » فى توارث بعض الاشكال الفنية ونقلها من الاب الى الابن أو من أى فرد من أفراد الاسرة الى فرد آخر فلا يجب أن تدهش اذا كان هذا التقليد القـاسى والمتوارث يقضى باستبعاد النسـاء عن الاعمال الفنية .

كما انه لا يجوز صـناعة بعض هـذه الاعمال أو محاكاتهـا أو تكرارها الا بأمر خاص وتصريح يصدر من رئيس القبيلة . وبديهى ان هـذه الطريقة تخلق صـفة الاستدامة فى الاسلوب وتضفى على التحف الفنية روعة كبيرة ولا يفوتنا ان نربط هذا الفن بالفن الحديث لانه قد تأثر به تأثيرا ملحوظا وملموسا الا أن أوجه الشبه بينهما شكلية أكثر منها حقيقية اذ أن الصـانع الاسود أو الفنان « مجازا » لا يهدف ــ كما سبق القول ــ الى عمل فنى بحت بل هدفه الاساسى هو أن يقوم بعمل نافع له ولذويه أو يقوم بعمل له غرض دينى وقصارى القول فان عمله هادف دنيوى بعيـد عن الغرض الفنى ومما يجدر ملاحظته ان تأثير الفن الاوربى على الفن الافريقى كانت نتيجتـه انحطاط الطاقة الخلاقة عند السود وتدهور المعانى التقليدية عندهم .

الفولكلور الافريقى

قصة من المسيرل

يتميز القصص الشعبى الافريقى بأنه ترجمة حية لحياة الشعب ، بحيث يمكن من خلالها دراسة كل ما يتصل بحياتهم من معتقدات وقيم وظروف اجتماعية ، وأفكار بسيطة ، والادب الشعبى فى أفريقية هو « الثروة الاولى » التى يمكن من خلالها فهم هذا الشعب ، ومعرفة البذور التى تتحكم فى حياته ..

وكعادة هذا الادب الشعبى فانه لايجرى على ألسنة الناس قدر جريانه على ألسنة الحيوانات التى تعيش من حوله ، والتى يعتمد عليها فى كل حياته ، على أنها لاتخلو فى الواقع من معنى كثيرا ما يكون أخلاقيا ، أو متصلا بعادات القبيلة ، ونظرتها الى الحياة .

ومن هذا النوع من القصص تلك القصة التى تقول بأن الصداقة قد توثقت أواصرها ، واشتد عراها بين كلب وبقرة ، حتى أنهما كانا لايشاهدان دائما فى الخارج الا معا ، وحتى حينما كانا يعودان من الغابة ، كانا يأويان الى حظيرة واحدة لقضاء الليل .

وقد سئم الكلب فى يوم من الايام من الحياة حوله ، ومن ركود المياه فى البحيرات الضحلة التى تنتشر هنا وهناك ، وطعمها متغير ، لان المطر لايسقط عليها دائما ، ولذا نراه يتمسح بالبقرة ، ثم يرفع اليها وجهه ويدور هذا الحوار :

ـ اننى قد سئمت الحياة هناك ، وبخاصة طعم المياه ، ولذا أريد أن أذهب بعيدا حيث أرى النهر ، وأصافحه بعينى ، ثم أشرب منه ، فما أجمل أن اشرب من نهر عميق يجرى دائما .

ـ ولكن المياه هنا متوافرة ..

ـ ان ما نشربه هنا ليس ماء ..

ـ وماذا تسميه .. ؟

ـ انه الركود ، والطين ، وطعم الاعشاب .

ـ كأنك تريد منى الذهاب معك .؟

ـ بلا شك .. فما أجمل أن نتبادل الحديث معا ، ونحن نسير معا الى النهر ..

ـ ان الصداقة تفرض على أن أسير معك الى حيث تريد ..

وما كادا ينتهيان من الحديث ، حتى سارا ، وكل منهما يقص على الاخر ما يجب أن يسمعه فى مجاملة رقيقة ، وعبارات حانية ..

وبينما هما يسيران اعترض طريقهما خندق ، فوقفا يفكران ، وكل منهما يقدح زناد فكره للتغلب على هذا الخندق ، وبعد قليل دار هذا الحوار :

ـ لابد من قفز هذا الخندق ، ولا محيص عن هذا ..

ـ ان الخندق كبير ، واعتقد انه من الخطر عبوره ..

ـ لابد من المجازفة ، فلم يعد بيننا وبين النهر والشرب منه الا القليل

ـ ولكن هنا الخطر الذى يهدد الحيـاة ، فلأن نشرب من ماء البحيرات ونعيش ، خير من أن نعرض حياتنا للخطر .

ـ انى أرجوك ألا تثبطى عزيمتى ، فمن حق الصداقة أن نجابه الخطر معا ، كماجابهنا الحياة الخالية من الخطر معا . .

ـ ما دمت تريد ذلك فمن الذى سـيقفز أولا .. ؟

ـ أنا الذى سأقفز أولا . .

وفى سرعة تمطى الكلب ، ثم قفز قفـزة طويلة القته على الجانب الاخر للخندق ..

وحين جاء دور البقـرة ترددت وهمت بالعودة ، ولكن الكلب أخذ يغـريها بصوته وانه يطل من الجانب الذى قفز عليه على النهر ، ويكاد يسمع صوت أمواجه المرحة ، وترى البقرة نفسها غير راغبة فى اغضابه ، وانها يجب أن تدخل فى التجربة من أجل خاطر الكلب ، ولذا تجمع قواها ، وترفع صوتها ، ثم تندفع ، واذا بها تسقط داخل الخندق على حجارة صلبة ، فتتهشم أسنانها الامامية ، ويكاد يغمى عليها من الاعيـاء ، ولكنها تستيقظ على صوت الكلب وهو يغرق فى الضحك عليها ، ثم تروع حين تراه يعيرها بسقوطها وثقل جسمها ، ثم يعود ثانية الى ضحك متوتر محموم ، ومن هنا ترفع البقرة رأسها ثم تقول :

ـ لاتتمادى فى الضحك فانى أخشى على فمك من الضحك ، فقد يتسع أكثر مما هو متسع .

ـ ان منظرك هذا يجعلنى لا أكف عن الضحك عليك ، والاستهزاء بك

ـ اذن فبالغ فى الضحك .

ـ انى لا أملك الا المبالغة فيه .

على أنه لم تمض برهة قصيرة وهو يضحك ضحكة المتوتر المحموم ، حتى يتمزق فمه من شدة الضحك ، ويحس بالدم يسـيل ، ويسقط على الارض .

وما أسرع ما قالت له البقرة فى لهجة حازمة :

ـ ان فمك لا يشبه فم الكلاب الاخـرى ، ولكن سيحكم عليكم جميعا ما دمتم على هـذه الصـورة من السـخرية والاستهزاء بالمخلوقات الاخرى بمثل ما حـكم عليـك به ، فأنتم جميعا جنس واحد ، يتمتع بصفات واحدة .

ـ لاتشمتى فى هكذا فسـوف يرد فمى على ما كان عليه من قبل .

ـ لن يرد فمك على ما كان عليه من قبل ، وانما سيظل على هذه الصورة المنفرة ، والمضحكة .

ـ هراء من بقرة تهشمت أسنانها ، ومازالت فى الخندق ..

ـ وستعاقب بعقاب اخر هو انك ـ لاتساع فمك ـ لن تستطيع أن تتناول شـيئا من زبد أية بقرة ، فاذا ما تمكنت من تنـاول بعضه فسوف تستفرغه .

وبينما يقف الكلب فى ذهول ، تعمل البقرة جاهدة للخروج من الخندق وتتسع أفواه الكلاب فى كافة أنحاء الارض .

من الشعر الافريقي

للشاعر ميخائيل دى أنانج — ترجمة : محمد بهى الدين سالم

افيقى أيتها القلوب النائمة
انهضى وقبلى
هذه الجبهة التى تهفو للحب
جبهة الفتاة الابنوسية
افريقيا العزيزة
افريقية التى يأسر سحرها العذرى
قلوبا أضاءها الحب
لشباب مغامرين من البلدان الاخرى
استيقظى افريقيا الجميلة
طالبى بحقك فى الحب
أيتها القلوب الناعسة
عندما تصبغ شمس الصيف الاغصان
المورقة بالاشعة الذهبية
اعلمى أن افريقيا العزيزة
قد وقفت تدق الابواب

— ٢ —

عندما يبزغ فجر
الاستقلال
على هذه الشواطىء الذهبية
دعه يشرق
على أرض قام ضوء الحرية الجميل
بتطهيرها
من ظلمة الطمع
وسحب الصراع
أرض طالما أتلفتها مرارة الحقد
والكراهية
لان المرارة وباء مزعج ولاذع
والاستقلال الذى يضطرع بين نزاع
وكراهية
هو العبودية
فى كل أرض
لهذا تعال وأقم
ولا ترحل أبدا
أيها الاستقلال الحلو
فعندما تشرق على الارض
تصبح جميلة بحب أبنائها
حيث القبيلة مع القبيلة
تعيش معا الى الابد
فى أخوة صادقة
فعندما يبزغ فجر الاستقلال
على هذه الشواطىء الذهبية
دعه يعيش

الكائن الاعظم

فى الديانات الافريقية

بقلم : جيوفرى بارندر
ترجمة : عبد السميع حسن

هنـــاك من كتبوا عن المجتمع الافريقى وما زالوا متمسكين برأيهم الذى يقول بأن وجود الاله الاعظم يرجع الى تأثير المجتمـع الكهنوتى ، وان الاله ليس أكثر من سلف أو زعيم ممجـد ، الا أن هـذا رأى قديم ، فالفيلسوف الاغريقى يوهيميروس (٣٢٠ ــ ٢٦٠ ق.م) يرى أن الالهة كانوا محاربين وزعماء راحلين كرموا فى حياتهم ثم ألهوا بعد موتهم ، ومن ثم فقد استنتج بأن جميع الالهة جاءوا من أسلاف من البشر وان الاساطير التى تتعلق بهم قد ادخرت حوادثهم التاريخية ، وفى القرن التاسع عشر من عصرنا هذا قام هربرت سبنسر ــ وهو صاحب مؤلفات كثيرة ولكنه أحيانا ما يحيد عن جادة الصواب ــ قام يناصر رأيا مشابها اذ يقول « ان استعمال عبارة « السلف » فى أوسع معانيها ــ متضمنة كل عبـادة الموتى ــ سواء أكانوا من نفس القبيلة أم لا ــ تصل بنا الى نتيجة مؤداها أن عبادة السلف هى أصل كل الاديان » .

وقد صرح أحد كتاب « غانا » ، وهو ج.ب. واتكواه بأن الاله الاعظم عند « الاكان » هو سلف مؤله والاله فى رأى الكاتب هو السلف الاول للقبيلة « فهو يستحق أن يعبـد لانه سلف ويعبد فى شخصية الرئيس الظاهر وهو الزعيم الطيب للمجتمع « ولكن هناك كتاب آخرون على أى حال ينكرون مثل هذا القول ويرون بأنه ليس هناك أثر للتعرف على الاله فى الاب الاول للقبيلة » .

ولقد كتب السير جيمس فريزر كتـابا بعنوان « عبادة الطبيعة » يتعلق على وجـه الخصوص بالمعتقدات الافريقية فى الاله الاعظم وانتهى الى نتيجة مؤداها أن الايمان بوجود اله فى أفريقيا هو انعكاس لعبادة الطبيعـة وبعيـد كل البعد عن أن يكون له جذور فى عبادة السلف ، ولقـد استهل فريزر كتابه بهذه الكلمات « ان عقل الانســان يرفض الاذعان لمظاهر الحس » وعلى هذا فالانسان يسعى لشىء أطول بقاء من العالم الحساس يدرك فكرة الكائنات الروحية » .

ويعتقد كتاب آخرون خصـوصا الاب شميدت ومبشرون آخرون بأن الافريقيين ــ فى البداية ــ كانوا يؤمنون باله واحد ثم حادوا عن هذا الايمان الى تعدد الالهة الذى نجده اليوم ، ولقـد اعتقد المبشر « فارو » فى نيجيريا بأن ايمان هذه الشعوب باله يسمو فوق كل الالهة الثانوية لهو أثر واضح من عبادة التوحيد القديمة .

ولقد أرجع أحد القساوسة عبادة التوحيد الافريقية المفترضة الى اليهود الذين كانوا فى رأيه متفرقين فى أرجاء القارة ولكن هناك نظرية تلاقى رواجا وهى أن الديانة الافريقية جاءت من مصر ومن رأى الدكتور « لوكاس »

أن كل آلهة غرب أفريقيا من الممكن ارجاع أصولها الى وادي النيل الادنى .

ولقد بلغت هذه المناقشات درجة من التعقيد يتعذر حلها هنا بما فيها مسألة الاصول الدينية ، ولكن ينقصنا البرهان التاريخى الضرورى وأن أصحاب الرأى القائل بأن فكرة اله واحد يسمو على الجميع هى انعكاس لمجتمع ملكى يجب عليهم أن يضيفوا فى حسابهم الحقيقة القائلة بأن شعوبا ذات تنظيمات اجتماعية مختلفة كل الاختلاف قد آمنت باله واحد ، فالمجتمع الملكى فى « اشانتى » قد عبد الها عظيما آمن به ، كذلك « اليوربا » الملكيين قد آمنوا بهذا الاله وان لم يكن لديهم عبادة منظمة ، أما « الايبو » و« الكيكويو » فهم يؤمنون بهذا الاله أيضا وان كانوا يميلون الى الروح الفردية واذا كان « الايبو » لهم عبادة رتيبة فان الكيكويو ليس لهم مثل هذا .

ويكفى أن نعرض النظريات المختلفة لاصل الايمان بالاله فى أفريقيا ، وان لم يكن من بينها نظرية قاطعة ونحن فى هذا المضمار نوجه اهتماما الى النواحى العملية أكثر من النظرية ، والحقيقة أن معظم الشعوب الافريقية لها معتقدات واضحة فى اله أعظم أما الاخرون فلهم على الاقل بعض المعتقدات الروحية وان كانت أقل وضوحا . ولقد انقضى الزمن الذى كان المرء فيه يستطيع أن يكتب ما كتبه رحالة من القرن السابع عشر فى جنوب أفريقيا حين يقول « ما من أحد يستطيع أن يجد بين القبائل الافريقية البدائية أى أثر للدين أو أى مظهر ينم عن احترام الاله أو حتى الشيطان ونحن نعرف اليوم الكثير عن اللغات والتنظيمات الاجتماعية لهذه الشعوب حتى أصبح فى امكاننا الكشف عن معتقداتهم القديمة .

وفى سيراليون يؤمن شعب « المندى » باله خالق يسمونه « ينجود » الموجود منذ الازل وخالق الحياة كلها — بما فيها العالم المرئى والارواح غيرالمرئية والكائنات البشرية . فهو يملأ الكون وذو قوة روحية ترى فى أشياء تلفت الانظار مثل وميض البرق والشلالات وأحيانا ما تظهر فى الرجال البارزين وهو القادر على كل شىء والذى لا يحد بمكان ، ومصدر كل القوة واسمه تردده كل الشفاة فى التحيات والصلوات والبركات « أطال الاله عمرك » ، « أظلك الاله برعايته » « الاله القاضى » وكلمات وأمثلة مشابهة توضح حتمية أعمال الاله وأحكامه ، ويتحدث شعب « الكونوا » — جيرانهم — عن الاله بقولهم انه موجود فى كل مكان وخالد ويعيش خلال الاجيال البشرية كلها رغما عن بعده فى السماء ويستطيع الانسان أن يلتجىء اليه لانصافه فيجازى فاعل الشر بوميض برق أو عقم أو موت لا يمكن شرحه أو وصفه .

ومن أوضح الامثلة المعروفة عن الايمان بالاله هى التى توجد فى « أشانتى » فى ساحل الذهب فهم يطلقون عليه « ينامى » وهذا الاسم بصيغة أو بأخرى « ينام .. ينونومو — نياما » يوجد منتشرا فى غرب أفريقيا ومن المحتمل أن يكون مختلفا عن اسم اله آخر (نيامبى — نزامبى) الذى يوجد فى وسط وجنوب أفريقيا من « الكمرون » الى « بتشوانا لاند » .

والكتاب المحدثون الذين كتبوا عن أشانتى يتحدثون عن « نيامى » على أنه أنثى ، الام العظيمة ، التى وهبت الحياة للجميع ويرمز لها بالقمر وقد تظهر الشمس كتشخيص للاله الاعظم . ومن المحتمل أن يكون هناك ازدواج الجنس فى هذا المفهوم فلقد تحدث الدكتور أجرى عن الاله الاب الام . وتحكى الاساطير أن الاله قد خلق ثلاث ممالك فى الكون والسماء والارض من العالم السفلى فيحكم « نيامى » فى السماء والهة التناسل فى الارض والارض العجوز فى العالم السفلى حيث يحكم الموتى الذين « يرقدون فى جيبها » .

وفى ساحل العاج يطلقون على الاله اسما مشابها « نيونومو » وهو اله المطر ويسمو على كل الالهة الاخرى فى هذه البلاد حيث يلعب المطر دورا هاما . وقد يترجم الاسم « نيونومو » الى لفظة « طبيعة » لان موت « نيونومو » يعنى موتا طبيعيا لا موتا تسبب عن اجراء شرير . والمشكلات الغامضة جوابها

دائما انها من فعل الاله أو الطبيعة .

ولقد اعتقد أن تشخيص الاله في الشمس قد وحد بين الاقوام التي تعيش في شمال ساحل الذهب ونيجيريا ورغما عن استعمالهم للفظة « الكائن الاعظم » ومعناها « الشمس » فانهم ليسوا من عبدة الشمس مهما كان نوع الاله الذي يعبده آباؤهم . ولفظة الاله والشمس تتميز كل منهما عن الاخرى في لغة الحديث والاله يعني بالنسبة لهم القبة الزرقاء وهم يقولون « الشمس تسقط في الماء ولكنه هو أي الاله هناك دائما » .. وربما يطلق على الشمس ابن الاله والارض زوجته ومنه تستمد الانهار قوتها والاغنياء ثرواتهم والعرافون قواهم الخارقة ، حتى الميت يبعث من جديد ليطلب منه زيادة الاطفال ووفرة المحصول ، وقد يمد الناس أيديهم في الصباح الى الشمس المشرقة ويصلون التماسا للبركة ولكن قبائل أخرى تفعل هذا وان كانت آراؤها عن الكائن الاعظم مختلفة .

وفي نيجيريا يطلق « اليوربا » على الاله « أولورون » « ومعناه « مالك السماء » وهم يؤمنون بأنه خالق كل شيء والقادر بكل صغيرة وكبيرة ، واهب الحياة ، والقاضي الاخير لبني الانسان . ورغما عن عظمته وبعده فان اسمه يسمع كل يوم في التحيات والبركات والامثلة والاحاجي . ولقد افترض البعض بأن هذه الفكرة عن الاله قد أتت من المسلمين أو المسيحيين ولكن هذا الرأي ينقصه البرهان ، فالاديان الجديدة قد استصوبت اسم الله ولكنها لم تدخله كشيء جديد . وفي نيجيريا يعتقد « الايبو » في بعض الافكار المشابهة .

وتؤمن « النجومبى » من بين قبائل الكونغو في روح عظمى تدعى « أكونجو » (وليس لها صلة بلفظة كونغو فهما مختلفان في النغمة وحروف العلة) و « اكونجو » هو أكبر الالهة عند القبيلة وأسلافها وهم يقولون بأن له اسما عند كل الشعوب وينكرون بأنه كان بشرا بل هو في رأيهم روح حارسة تجلب الحظ الحسن والسيء لاي فرد والتقرب اليه ميسور وان لم يكن له معابد أو أصنام .

واذا عبرنا الى شرق القارة فاننا نجد شعب « الباجندا » في أوغندا الذي نجده مسيحيا في معظمه ولذا أصبح من الصعب ان نستخلص معتقداتهم القديمة من الاراء الجديدة التي أتت اليهم . ويطلقون على الاله اسم « كاتوندا » والذي يستعمله المسيحيون أيضا وهو المركز الذي تدور حوله ديانة « الباجندا » ولكنهم يستشيرون قوى أخرى أيضا عند الحاجة اليها وغالبا ما تكون أنبياء أو موتى والاله هو الخالق والحامي والمعين واسمه يتلى في البركات والامثلة اذ يخلق الاطفال ويشكلهم وهم في بطون النسوة ولقد قيل بأن الاله يصل الماء بالدم من المراة والرجل ويصبهم في قالب كما لو كانت فخار .

وفي كينيا يؤمن « الكيكويو » باله أعظم يسمونه « مورنجو » يعيش على أربعة جبال مقدسة وهو لا يرى ويتخلل كل الاشياء ويطلقون عليه « المعترف باللون الابيض » وربما يكون ذلك لاقترانه بالسماء . ويجد المرء في الاجزاء الكثيرة من أفريقيا هذه الرابطة التي تربط الاله الاعظم وكهنته باللون الابيض والاله هو خالق كل شيء ويعرض قوته في الشمس والقمر والنجوم والعواصف والمطر وقوس قزح ويؤدي الناس الصلاة له في المساء والصباح عند ما تشرق الشمس الا أن ذلك ليس له صلة بعبادة الشمس نفسها .

ويوجد الاله « مورنجو » أو « مولنجو » بين خمسة وعشرين قبيلة في شرق ووسط أفريقيا ففي « نياسالاند » هو الخالق واله العواصف والمطر وصوته يسمع في قرقعة الرعد وهو في كل مكان ويستطيع عمل كل الاشياء وليس له شكل معين وتتخلل قوته كل صغيرة وكبيرة بل وينسب البعض قوة السحرة الى هذا الاله .

و « ليزا » هو الاسم المحبوب للاله في شرق أفريقيا ويستعمل في روديسيا وتنجانيقا والكونغو الاعلى ولقد اشتق هذا الاسم من فعل يعني « يرعى » مثل الام التي ترعى طفلها والزعيم الذي يرعى شعبه . ويعني

هـذا الاسم عند التونجا الباعث الاول ، وخالق كل شيء من حرارة وبرودة ومجاعة ومرض وعند ما تسقط الامطار أو تهب الرياح تراهم يقولون « الاله يتساقط » و « الاله يهب » وعند ما يرزقون بمحصول وفير أو ينقذون من خطر جسيم تراهم يرددون «الاله والدنا » وفى روديسيا يصف القوم « ليزا » بقولهم « المشكل والمشيد » فقد خلق كل شيء ووضع عادات القبيلة وهو أبدى وفى كل مكان ومنه أتت كل الاشياء وهو مالك الدنيا فالرعد هو ضربات « ليزا » على سجادة والبرق هو قوسه ويقول القوم « ليزا يمطر » « ليزا يهب » .

ويطلق « الباسوتو » اسم « موليمو » على الكائن الاعظم وهو الاب الحامى والنور ومن العسير أن نقرر ما اذا كانت المسيحية قد أثرت فى الافكار القديمة لهؤلاء الاقوام ويقال بأن المتقدمين فى السن منهم يؤدون صلاة يلتمسون فيها من الالهة الاصغر شأنا أن تصلى للاله العظيم من أجل البشر وعند حدوث موت مفاجيء يقول القوم « لقد قتله الاله » ويطلق « التيشوانا » اسما مشابها على الاله « موريمو » وقد أشار دافيد لفنجستون الى أن استعمال هذا الاسم قد انتشر بينهم بسرعة ويقول كبار السن منهم أن آباءهم قد تكلموا عن الاله بنفس الطريقة . ويبدو أن من الامور المحرمة ذكر اسم الخالق ان مجرد ذكر اسم من هو فى اذن الناس أمر يؤدى الى موت المرء الذى انتهك حرمته » وهذا التحريم ـ الذى يشبه تحريم اليهود استعمال اسم « يهوه » ـ كان السبب فى أن الرحالة الاوائل قد ظنوا أن هؤلاء الاقوام لا يؤمنون باله .

ولقد دارت مناقشات حول لفظة الزولو « أونكولونكولو » والتى تترجم عادة « اله » والكلمة تعنى « عظيم » أو عجوز » وقد خلق كل شيء فى الايام السالفة وهو منظم المجتمع وسلف الانسان وعند الزولو أيضا اسم آخر « سيد السماء » أو « الرئيس فى السماء » ولكنه لا يبدو متداولا اذ أن ذكر الاله محرم .

وأخيرا هناك بعض اقوام لديهم فكرة غامضة عن الاله ، « للفندو » فى شمال الترنسفال لهم تقاليد تتعلق بالعالم والبشر . ويقولون بأن الاله قد ترك آثار أقدامه على الصخور عند ما كانت لينة ولكنه أصبح اليوم غير ذى نفع ويبدو أن الناس لا يعرفون ما حدث له ولم يعودوا يفكرون فيه ومثال ذلك « السورانى » فهم يؤمنون ايمانا غامضا بالكائن الاول والذى يبدو سلفا عظيما وقد خلق الارض والبشر ثم أرسل اليهم الموت ولكن الاسلاف وقفوا بينه وبين البشر فاتخذ له مكانا قصيا ولم يعد يذكر فى الصلوات ولا يتدخل فى الاخلاقيات وأحيانا ما يبعث برسول ذى رجل واحدة من السماء ليظهر للنسوة والاطفال فكان هذا مقدمة لمرض الحمى فأصبح الناس يستعطفونه بالماعز والماشية وربما ادعوا بأنهم يقدمون أطفالهم قرابين له .

وقد يبدو لاول وهلة أن ما قلناه آنفا هو مجمل للقبائل الا أن ما ذكرناه فيها لا يتعدى بعض القبائل المهمة ولكن من الضرورى أن نعطى كلمة موجزة عن الايمان بالاله واضعين فى اعتبارنا التأكيدات الخطيرة التى أحيانا ما تقال عن ايمان الافريقيين أو عدم ايمانهم بهذا الاله .

والسؤال الذى يتردد هو الى أى حد كانت عبادة الاله مهمة . ان احدى الامثلة الواضحة عن العبادة المنظمة فى غرب أفريقيا هى بين قبائل « دوجون » فلديهم مجموعة من المعابد للاله « أما » والتى هى ملك شائع للجميع ويقوم بالخدمة فيها رئيس القبيلة بجانب الكهنة الذين يقدمون خدمات شخصية للاله . وعادة ما تتملك بعض الاشخاص قوة غريبة فيرسمون أنفسهم لخدمة الالة طبقا لنصيحة الكاهن . وعند ما تحقق لاحدى النسوة بغية مقدسة فانها تبنى « مصلى » للاله هناك أو حتى فى بيتها بتراب يؤخذ من المكان الذى تحقق فيه مقصدها وهناك يقدم الكاهن (واسمه رقيق أما) الضحايا العادية بعد اجراء طقوس رسامته وفى الاحتفالات السنوية يقوم الكهنة والكاهنات بالخدمة وهم يمنعون الحرم من الطعام ويعتقد بأنهم منحوا بصرا ثانيا يمكنهم من رؤية الارواح وهى تموت .

ولقد قال الرحالة الاوائل ان «الاشانتى» فى « غانا » لم يعبدوا الها ولكن هناك عدة معابد له وان كانت فى أماكن قديمة وليس فى أماكن عامة ، وقد زخرفت هــذه المعابد برموز من السموات ويقوم على خدمتها كهنة يلبسون حليا من الذهب والفضة تمثل القمر وبجانب ذلك توجد « شجرة الاله فى حوش منزل كل أسرة » وهى عبــارة عن غصن متشعب معه حوض أو قدر به ماء وباطـة الاله وهى آلة حجرية قديمة يعتقد أنهــا نزلت من السماء أثناء عاصفة رعدية ويضع القوم فى هذه القدور أو على سطوح أكواخهم قرابينهم اليومية لاله السماء العظيم والتى تشبه القرابين التى تقــدم للاله على مدى ساحل غينيا وتوضع فى خزانة الاشــياء المقدسة المصنوعة من الفخار فيرفع الكاهن دجاجة ليعرضها على الاله ويقول « يا اله السماء .. اهبط الى الارض لتأخذ دجاجتك الغينية التى طلبتها »

أما « الكيكويو » فى كينيا فهم يعبدون الاله العظيم فى مزارات وسط غابات صغيرة أو أشجار الشربين وهم يعتقدون بأن الاله يأتى هنا فلا تقطع شجرة ولا يسمح لحيوان أن يصـــيبها بأذى وتصبح حرما يلجأ اليه الهاربون » وتقدم الضحايا من خراف سليمة ليست بها شائبة وتترك قطعة من اللحم للاله عند جذور شجرة والباقى يأكله عبدته كما لو كان عشاء ربانيا وتقام طقوس العبادة فى أوقات معينة عند امتناع المطر وتفشى الاوبئة وتقديم الشكر على جودة المحصول ويتقرب الفرد من « الكيكويو » للاله عنــد مولده وتلقى تعليمه الاول وزواجه وموته .

ويجد المرء ظاهرة غريبة فى أماكن كثيرة بأفريقيا وهى أنه طالما يعتقد بأن الاله عظيم وبعيد فانه لا يستوجب العبادة المنتظمة . ويعتقد « المندى » فى سيراليون بأن الاله قد عاد الى السموات بعد أن خلق العالم ولم يعد له علاقة به الان وعلى أى حال فالتقرب اليه مستطاع عن طريق الوسطاء . والحقيقة أن جزءا من هذا المفهوم عن الاله النــائى والارواح الوسيطة يشبه مفهوم الزعيم القادر الذى لا يمكن الوصول اليه فى أغلب الاحوال وان كان التقرب اليه ممكنا عند الحاجة وقد جرت العادة أن يتوجه القوم بصلواتهم الى الالهة الاصغر شأنا والاسلاف أما فى أوقات الشدة فانهم يتوجهون بصلواتهم الى الاله مباشرة دون وسيط .

وتعتقد بعض شعوب نيجيريا فى مثل هذا الاعتقاد ونادرا ما يقدم « الايبو » ضحايا للاله « شوكو » وقد يضع رب العائلة بعضا من جوز الكولا على الارض ويسأل الاله أن يسهر عليه وعلى أطفاله . وتقدم له الهدايا من وقت لاخر ويتوسل له القوم أن يمنحهم بركته عند قيام المسافرين منهم برحلة أو شروع التجار فى مسعى . واذا كانت الضحايا المقدمة للاله نادرة فان القرابين التى تقــدم للالهة الاصغر شأنا ينظر اليها على أنهــا مقدمة للاله نفسه ويقول صاحب الضحايا « شقوكو .. كل الكولا ، آلا .. كل الكولا ، يا أسلافى .. كلوا الكولا » وفيما مضى كانت العبيد تمنح للاله عن طريق وساطة بعض الكائنات الاقل شأنا .

وليس هناك احتفــالات « لليزا » فى روديسيا وتقوم الالهة الاصــغر شأنا بدور الوسطاء وربما يطلب منهم أن يصلوا للاله من أجل البشر . وفى أوقات الحاجة الخاصة يتوجه المرء بصلاته الى الاله عند ما يتعلر علاج مريض وتفشل الالهة الاخرى ويتوسل اليه لان « أذنيه طويلة » .

وتصلى قبائل « أوفامبو » فى جنــوب غرب أفريقيا « لكالونجا » من أجل مساعدتهم فى حاجة اليها ويسألونه أن يبارك أطفالهم وهم يقــدمون ضحاياهم فى أوقات الجدب أما الصلوات فيتجهون بها لروح العاصــفة والاسلاف وشبيه بذلك الــ « هوتنتوت » فهم يقدمون ضحايا من الحيوان للاله فى وقت الحاجة وتقام صلاة سنوية يتوسلون فيهــا اليه أن يسقط المطر وأن يرزقهم بمحصول وفير .

والصورة العامة فى أفريقيــا هى أن الصلوات الجماعية للاله نادرة والمعــابد

والكهنة قليلو العدد . . ولا يوجدون الا عند قبائل بعينها مثل « دوجون » ، « أشانتي » ، « كيكويو ». ولكن الصلوات الفردية تمارس كثيرا خصوصا في أوقات الحاجة الملحة فالاله هو ملاذ القانطين عند ما تفشل كل الوسائل وبالرغم من عظمته وبعده فان في الامكان التوجه اليه مباشرة دون اذن أو وساطة الكهنة والالهة الاصغر شأنا .

ان الاسماء التى أطلقتها هذه الشعوب على الاله تفسر مدى فهم الناس لصفاته والاله كخالق لهذا الكون هو أحد المظاهر العامة التى فهمها الناس وعلى هذا فقد أطلقت عليه أسماء : الخالق ، المصور ، خالق الارواح ، معطى الحياة ، اله الاقدار .

والاله فى الطبيعة يعبر عنه بأسماء : باعث المطر ، مغير الفصول ، باعث الشمس المشرقة ، القوى الكبير فى السموات وهو الذى يرعد من بعيد ويشعل النار .

ان قدرته على كل شيء ومعرفته بكل الامور تبدو جلية فى أسمائه : فهو الذى يعطى ويبلى والاله الذى لا يحد بمكان والاول فى البدء والذى لا يقف فى طريقه أحد ، الحكيم الذى لا تدانيه عظمة والذى يزأر فيوقع الرعب فى قلوب كل الامم والذى تقابله فى كل مكان .

وتعتبر كثير من الالفاظ عن عنايته الالهية فهو أب الاطفال الصغار ، أب خلاص الجنين ، الام الكبرى ، الاله الاب الام ، اللطيف ، أعظم الاصدقاء وسيد الغابة ويكلأ الجميع برعايته مثل الشمس وهو ملىء بالعطف ، اله الراحة والاله الذى يستند عليه الناس ولا يقعون .

وأخيرا هناك الاسماء الغامضة غير المألوفة : القدير المعاصر لكل شيء ، المحيط الواسع الذى يعم الافق رأسه ، الذى يزيل الغابة ، العالى فى السماء ، الذى لا يمكن الحديث عنه والغاضب ، وعظمة القوس ، العنكبوت العظيم .

وللافريقيين ولع بالقصص وهناك كثير من الاساطير تدور حول الارواح . ولقد حلل الاستاذ الالماني باومان ٢٥٠٠ أسطورة أفريقية من اللاهوت وفلسفة الكائنات عندهم . وهنا نستطيع أن نعطى أمثلة قليلة تلقى الضوء على الايمان بطبيعة الاله .

ولقد كانت هناك منذ البداية قصة منتشرة تفسر البعد القصى للاله والسماء من الامكان ربطها بقصص كلاسيكية قديمة انتعشت فى عصر ذهبى انقضى عند ما كان الناس يسيرون مع الاله ويطلق الكتاب عليها أساطير الجنة . ويقول « المارجى » فى نيجيريا انه فى الماضى كان من المستطاع لمس السماء ولم تكن هناك حاجة الى العمل ولكن امرأة قد أخرجت قرعة يابسة وأصابت بالعدوى أحد أطفال السماء فارتد الاله ناضبا الى مكانه القصى الحالى . وهم يرددون فى كل مكان من امرأة قد أقلقت الاله بضرب السماء بمدقتها الثقيلة أو أن النساء قد مزقن قطعا من السماء لوضعها فى الحساء فآوى الاله الى مكانه البعيد .

ويقول « النجومبى — فى الكونغو — بأن الناس قد اعتادوا العيش فى السماء ولكن امرأة أصبحت مصدر قلق مما جعل الاله ينزلها من السموات فى سلة ومعها حبوب كافية لها ولاطفالها . ويعتقد فى « أوروندى » بأن الاله قد اعتاد العيش مع الناس وخلق أطفالهم ، وفى احدى الايام خلق طفلا كسيحا فغضب والداه كثيرا واستلوا سكينا ليقتلوا الاله فابتعد عنهم ، أما فى روديسيا فيقول « البا ايلا » بأن « ليزا » لم يكن صغيرا عند ما كان معتادا القرب منهم ثم تقدم فى السن فسالت دموعه مثل الكبار أمثاله ومنها نزل المطر ولم يعد فى الامكان الوصول اليه بالصلوات مثلما اعتاد أن يكون .

وعند « المندى » قصة تشبه قصة جنة عدن فهم يقولون بان الاله قد سكن فى احدى المرات كهفا ودعا الحيوانات الى الحضور أزواجا ولكنه حرم عليهم أن يلمسوا طعامه وفى احدى الايام اشتمت البقرة رائحة الطعام الزكية وأكلت بعضا منه فأمسك بها على الفور ورماها خارج الكهف ثم اقترف القرد وكل الحيوانات نفس الاثم فلاقت نفس

المصير بما فيها الانسان . فهامت الحيوانات على وجهها تبحث عن ذلك الطعام الشهى وراح الاله يتطلع اليها من عليائه . ولم يكن الناس يصلون فى البداية حتى رزقهم الله بجبل يستطيعون سماع صوته . ويقول الدوجون ان الاله لم يكن له فى الاصل مكان فأتى متنكرا فى هيئة شحاذ يطلب شرابا وعرض على الرجل الطيب الذى قابله كيفية اقامة المعابد .

وتأتى بعد ذلك الاسطورة الاكثر شيوعا عن أصل الموت حيث تلعب الحيوانات الادوار الهامة وأبطالها كلب وحرباء وشاة والمعنى العام الذى ترمى اليه القصة هو أن الاله قد أخبر الناس بأنهم لن يموتوا أو أنهم سيحيون حياة أخرى فبعث برسالة مع كلب أو حرباء ولكن هذا الحيوان تأخر فى الطريق ووصل قبله حيوان آخر ربما يكون سحلية أو ضفدعة برية أو أرنبا وأخبر الناس بأنهم سيموتون وستدفن جثثهم ولن يبعثوا مرة أخرى ، وتقول رواية أخرى أن الاله تملكه الغضب فابتلى الارنب بشفته المشقوقة وثمة رواية أخرى تقول بأن الناس قد غضبوا من الحرباء وطاردوها بعيدا فاضطرت الى تغيير لونها . وتقول أساطير أخرى بأن الناس بعثوا الى الاله ووصل الرسول البطىء أولا فرفض الاله أن يغير قراره للرسول الثانى .. ماذا وراء قصة ايزوب الخرافية عن الارنب والسلحفاة .

وفى بعض الاحيان تدخل الثعابين طرفا فى الموضوع فيقول « الكونو » فى سيراليون بأن الاله أرسل جلودا جديدة للناس فى حزمة وتأخر الكلب حامل الحزمة وسرقها منه الثعبان الذى عرف منذ ذلك الوقت كيف يستبدل جلده ولا يموت مالم يقتل . والاعتقاد فى خلود الثعابين شائع وفى خلال العصور كان ينظر الى الثعبان على أنه تجسيد ثان للاسلاف وربما يكون هذا له صلة « بثعبان جنة عدن » . وربما يكون هناك أيضا مثل هذا فى قصص « أشانتى » فيقال ان أول رجل وامرأة لم يكن لهما دراية بالحمل والاطفال فعلمتهم الحية كيفية الانجاب وذلك بأن جعلت الزوجين يقف كل منهما فى مواجهة الاخر ورشت بطونهم بالماء ثم أمرتهم بالتوجه الى المنزل وأن يناما مع بعضهما ومن ثم فقد أدركت النسوة الامر وأنجبن الاطفال ولذا فما زالت الحية مقدسة عند بعض عشائر « أشانتى » .

ويقول « الكونغو » انه فى البداية لم يكن الليل مظلما وكان الناس يستطيعون الرؤية بوضوح وفى أحد الايام أعطى الاله الخفاش سلة تحوى الظلام ليأخذها الى القمر وأخبره بأنه سيعود ليقول له ما فعل . ومثلما حدث للكلب والحرباء فى القصص الاخرى فقد تأخر الخفاش ليتناول طعامه فى الطريق ونظرت الحيوانات الاخرى خلسة فى السلة فخرج الظلام على الفور وكسى الدنيا فى الليل الى أن أقبلت الشمس وطردته بعيدا ومنذ ذلك الوقت والخفاش يطير فى الليل محاولا الامساك بالظلام ليأخذه الى القمر .

وأخيرا فالاله بالنسبة للافريقيين هو خالق كل شىء ولكنه انسحب الى مكانه القصى لان هذا جزء من عظمته ومن النادر الوصول اليه مثله فى ذلك مثل الملوك الاقوياء ، ويوجه الانسان العادى عناية أكبر الى الالهة الوسيطة والاسلاف ولا يتوجه الى الاله مباشرة الا عند الحاجة الملحة دون كهنة أو معبد وذلك عند ما تفشل كل الوسائل . وبعض هذه المعتقدات ربما تعكس تنظيم المجتمع بزعمائه وحكامه القليلى الشأن ولكن التوجه الى الاله مباشرة يعكس قدرا كبيرا من الديمقراطية لم تعرفها كثير من الشعوب .

وانه وما زال قيد البحث ذلك الرأى القائل بأنه كان هناك توحيد قديم حاد عنه الناس . والان وقد جاء الاسلام والمسيحية الى أفريقيا الاستوائية وخرج الاله القديم من عزلته بصفات جديدة ولكنه قد أحضر معه دون شك بعض مظاهره القديمة الى الاديان الجديدة .

الافريقيون فى الافلام السينمائية

بقلم ميشيل مسيحة

لقد عرف العالم السينما منذ أكثر من نصف قرن ، ودخلت الشخصية الافريقية فى الافلام منذ بدايتها تقريبا .. ولكن للاسف فان معاملة هذه الشخصية منذ اللحظة الاولى كانت معاملة مغرضة تتسم بسوء النية ، وتتضح هذه المعاملة السيئة أكثر ما تتضح فى الافلام الامريكية بنوع خاص ، رغم انها أكثر الافلام انتشارا ونفوذا فى جميع أنحاء العالم . واذا كانت معاملة الافلام الامريكية لشخصيات الاجانب بوجه عام حتى ما بعد الحرب العالمية الاولى بقليل قد اتسمت بالتحيز فان هذه المعاملة لم تتحسن بعد ذلك بالنسبة للافريقيين كما تحسنت بالنسبة لغيرهم بل امعنت فى التحقير والامتهان .

وقد دأبت أفلام هوليود على تصوير الافريقيين وتصوير عقليتهم وطباعهم وأفكارهم وطريقة حياتهم بصورة لا تمثل الواقع بل تمثل وجهة نظر الرجل الابيض الذى عاش على استغلالهم . وحتى بعد ان بدا الرجل الاسود يسترد بعض حقوقه ويدخل المدرسة ويعمل فى الحقل والمصنع استمرت أسطورة تخلفه وخلقت الى جانبها أسطورة أخرى أشد خطورة تؤكد انه انسان متوحش بطبعه .. وقد دفع الى ظهور هذه الاسطورة خوف المستغلين من الرجل الاسود وهو الخوف الذى ما زال يستبد بهم رغم كل مظاهر القوة التى يحيطون أنفسهم بها ، كما دفع الى ظهورها أيضا محاولة تبرير سلوك المستغلين ازاء الافريقيين . وكانت النغمة الواحدة التى رددها هوليود للعالم هى أن افريقيا لاتعرف أية مدنية أو حضارة وان الافريقيين جماعة من الهمج البدائيين عراة الاجسام من حملة الرماح والسهام المسمومة ، تثير دهشتهم مجرد رؤية مرآة فى يد المتحضرين من التجار البيض ويبيعون أغلى ما يملكون فى سبيل حبات من الخرز الملون .

وهذا ما يؤكده المعلق الفنى لمجلة Ebony فى عدد يناير سنة ١٩٤٦ بقوله « أن الفيلم الامريكى لم يبذل أية محاولة قط لان يصور الافريقيين فى غير صورة الهمج المتوحشين الذين يرقصون عراة فى الادغال » . وهو ما يؤكده أيضا الدكتور لورنس ريديك فى مقال له حول ذلك الموضوع نشر بمجلة التربية الزنجية .

اذ يقول : « ان نظرة السينما للسود خاطئة وغير عادلة ، فهى تضع على نحو مباشر أو غير مباشر أسسا معينة للعلاقات الاجتماعية كما تعمق لدى الرأى العام فكرة منحرفة عن السود وهى بتعميق هذه الفكرة الخاطئة انما تقيم عائقا فى سبيل تقدمهم بل هى تعمل

على أذلالهم واضعاف انطلاقهم نحو المساواة كما تبذر بذور الفرقة وتثير الحقد والكراهية نحوهم ونحو قضيتهم .. وهكذا فان هذه الوسيلة الجبارة لنقل الافكار قد اصبحت أداة قوية العمل على بقاء السيطرة العنصرية على السود » .

وقد استمر ذلك الايحاء المسموم عبر السنوات والافلام لخدمة الاستعمار وأعوانه ضد مصالح الافريقيين حتى يفهم الرأى العام العالمى أن الافريقيين ليسو الا أولئك المتوحشين وان افريقيا ليست سوى تلك الادغال والحيوانات التى تظهر على الشاشة ، وان حق الرجل الابيض واستغلاله للافريقيين هو حق طبيعى واضح لا يعوزه المنطق بل يدعمه ويؤيده ويطالب به .

ورغم أننا نستطيع بسهولة أن ندرك شدة خطورة هذا الوضع الا أن الصورة ستبدو مفزعة حقا لو اخذنا فى الاعتبار قوة التأثير الهائلة للسينما فى عصرنا الحاضر .. فهى كوسيلة للدعاية تعد أقوى الوسائل على الاطلاق . وقد قيل بحق « أن من يسيطر على صناعة السينما انما يسيطر على أعظم وسائل التأثير على الجمهور » . وقد روى عن نابليون قوله انه لا يخشى ألف سلاح بقدر ما يخشى صحيفة واحدة ، فترى ماذا كان يقول لو عاش فى عصر السينما .

ان رواد السينما العاديين تتكون وجهات نظرهم داخل قاعة السينما .. فظلام القاعة والموسيقى والاسترخاء الذى يستسلم له المتفرج وتركيز بصره وسمعه وفكره فى الفيلم وتعلقه بالاشخاص الذين يراهم واندماجه معهم باحساسه ، كلها عوامل تهيىء الظروف لعملية هى أشبه بعملية التنويم المغناطيسى .. ومن ثم فليس من المستغرب أن أفكار المتفرج السياسية والاجتماعية والعنصرية انما يشكلها ما يتضمنه الفيلم من دعاية مباشرة او غير مباشرة ، ويكفى لبيان شدة تأثير السينما ، أن بعض الافريقيين أنفسهم اعتقدوا ما اعتقده بقية العالم خارج حدود افريقيا ، اعتقدوا فى الصورة المفرضة التى خلقتها هوليود لصالحها ولصالح السياسة الاستعمارية ، وأصبحت افريقيا الهمجية — طبعة هوليود — هى الصورة الراسخة فى أذهانهم . وعليه فنستطيع أن نقول بثقة أن الشعور الخاطىء لرواد السينما نحو الافريقيين انما هو الى حد كبير نتيجة للصورة التى تظهرهم بها الافلام .

وهذا ما يثبته بيتر نوبل فى كتابه عن الزنوج فى الافلام اذ يقول : « ان الافلام التى ظهرت فى العشرينيات وما بعدها قد استعملت اعدادا ضخمة من الزنوج ليشكلوا الصورة الخلفية وراء تمثيل النجوم البيض .. وكل هذه الافلام بلا استثناء تصور الرجل الاسود كهمجى متوحش او آكل لحوم البشر أو سفاح مما ادى الى نشر الفكرة السائدة بأن جميع السود متوحشون » .

وقد حصر الدكتور لورنس ريديك فى كتيب قيم له الادوار التى تسند الى الرجل الاسود فى أفلام هوليود ، وهى كما يلى بالترتيب :

١ — **الهمجى المتوحش**
٢ — **العبد السعيد بعبوديته**
٣ — **الخادم الوفى**
٤ — **السياسى الفاسد**
٥ — **المواطن الذى لا يقدر المسئولية**
٦ — **اللص الحقير**
٧ — **عدو المجتمع**
٨ — **المجرم الوغد**
٩ — **المتفوق جنسيا**
١٠ — **البطل الرياضى**
١١ — **الشقى لانه ليس « أبيض »**
١٢ — **الطباخ بطبيعته**
١٣ — **الموسيقى بطبيعته**
١٤ — **النديم المثالى**
١٥ — المتدين الاحمق
١٦ — **الحاوى**
١٧ — **المحدث المؤثر**
١٨ — **المتخلف عقليا**

أما روبرت ستبنز فقد أورد فى مقال له بمجلة نيو ثيتر أمثلة من الافلام مع دور الرجل الاسود فى كل فيلم ومنها : الخادم الكسول فى فيلم (القاضى بريست) والسائق الغبى فى فيلم (مسيسبى) والوغد الذى لا يحب الجنس الابيض فى فيلم (القمر الاسود) .. الخ

هـذا عن أدوار الرجل الاسود فى الافلام بصفة خاصـــة أما عن الافلام التى تتناول الافريقيين بصفة عامة ، وكلها صادرة من نفس زاوية التفكير المبنية على كراهيـــة الرجل الاسود فان الامثلة عليها أكثر من أن تحصى ولنبدأ بمثل منذ أوائل عهد السينما ، عام ١٩٠٢ ، حيث بدأ ظهور الزنوج فى فيـــلم بعنوان (**الى ملجأ بدمنجديل**) للمخرج جورج مليلييه رائد الحيل السينمائية .. وفيما يلى ملخص الفيلم نقلا عن كتالوج ميلييه :

« عربة ركاب بها أربعـــة من الزنوج ، يجرها حصـــان آلى بالغ الضخامة .. يرفس الحصـــان الزنوج الذين يسـقطون ويتحولون الى مهرجين بيض اللون . ثم يبـــدأون فى صـــفع وزكل بعضهم البعض فيعودون الى اللون الاسود ثانية .. وفجأة يندمجون ويصبحون زنجيا واحدا عملاقا .. ويأتى المحصل لمطالبته بأجر الركوب ولكنه يرفض فيشعل المحصل النـــار فى العربة وينفجر الزنجى ويتفتت الىآلاف القطع » .

هذا هو أول فيلم عن الزنوج واننى أترك للقارىء أن يستخلص منه المعـــانى ، التى سواء وضعت عفوا أو عمدا فهى فى نظرى واضحة التعبير لدرجة لا تحتاج الى التعليق وفى عام ١٩٠٥ ظهر فيلم بعنوان (عشـــق وزواج زنجى وصفه منتجوه بأنه كوميـــديا حبشية واقعية ولكنه للاسف لم يكن ســـوى سخرية فاضحة واستهزاء بزوجين ملونين . وظهرت بعد ذلك متتابعـــات راســـتوس فى زولاند ، وبطلها مهرج أسود شديد الحماقة . ثم تلتها متتابعات المهرج الاسود (سامبو) من انتاج سيجموند لوبين . أما فيـــلم من أجل ماسا فيروى قصة عبد دفعـــه حبـــه الشديد لســـيده الابيض أن يســـعى لبيـــع فيلمـــا باســـم (الهيبة) صــــورة فى احدى المستعمرات الفرنسية بافريقيـــا وفكرته الاسياسية هىالتفوقا الابدى للبيض على السود . ويكفى أن نأخـــذ الســـطرين التاليين من السيناريو فهما يكشـــفان تماما عن رسالة الفيلم :

« ... يصيح فيرلين بشـــدة فى السجناء الســـود : الى الوراء أيها الخنازير .. ويتقهقر السود بسرعة ... »

وهكذا تصان الهيبة ــ هيبة الرجلالابيض بالطبع .

والامثلة تتابع بعد ذلك بكثرة لا يسهل حصرها . ويكفى أن نشير الى الافلام التى رأيناها فى الســنوات العشر الاخيرة وانتشرت فى أوســـع نطاق رغم أنهـــا تروج للافكار الاستعمارية والعنصرية المسمومة ومن أشهر هذه الافلام : التاجر هورن ومومباسا وكنوز الملك سليمان وثمن الخيـــانة وأفلام طرزان وملوك الادغال ، وغيرها .

والغريب حقـــا أن الذين ينتجون هذه الافلام يبررون عملهم بالقول بأن هذا هو ما يتطلبـــه الرأى العـــام منهم ، وأنهم لا يستطيعون عملشىء خلاف ذلك والا امتنع الاقبال على أفلامهم وبارت صناعتهم . وهذه المسألة محل نظر ولكنها بالنسبة لاولئـــك السينمائيين قاعدة مسلم بها .. ونحن لن ندهش لذلك كثيرا اذا علمنا انالرأى السائد لدى الرجل الابيض هو أن السود جنس متخلف يجب أن يقبلوا سيادة البيض عليهم ومن ثم فانه ليست هناك مشكلة فى العلاقة بين البيض والسود وان كانت هناك مشكلة من هذه الناحية فهى مشكلة بالنسبة للبيض أو السادة ــ Agentile Problem على حد تعبير الكاتب الامريكى اليهـــودى لويس جولدنج .

على أنه انصافا للحق يجب أن نذكر أن هناك أصواتا حرة قد بدأت تعلو مطالبـــة باظهار الحقيقة وهذا محرر بمجلة نيويورك آجز يصـــيح فى قومه : « متى تكون لدى منتجى هوليود الشجاعة الادبية حتى يظهروا شخصيات الســـود بما هى عليـــه فى واقع الحياة .. »

ولكن افريقيا اليـــوم لم تعد تستجدى التقدير والانصاف من أحد ، بل هى التى ستكشف الحقـــائق عن نفسها بنفسها .. وقد أولت الدول الافريقية المتحررة اهتماما بالغا بوســـائل الاعلام ومن أهمها وأخطرها الافلام السينمائية . ويجـــرى الان انتـــاج أفلام افريقيـــة لحما ودما تصور الافريقيين على حقيقتهم وتصور بلادهم العريقـــة فى المظهر اللائق بها .

ميشيل مسيحة

الراعى

قصة من كينيا

بقلم : راج اناند

ترجمة : خديجة قاسم

على الارض المنخفضة ، التى انتشرت وراء تلال كينيا الخضراء .. كانت الغابة تمتلىء بالنباتات البرية الكثيفة ، وتتخلل الشجيرات الشائكة أغرب أنواع الصبار والاوراق العريضة للشجيرات الصغيرة ، تغطى الارض بينما الاشجار الضخمة الكبيرة تتدلى منها أفرع يمكن للمرء أن يسكن عليها ان أراد .

وفى قلب هذه المساحات الدائرة بالخضرة توجد بضع مناطق سهلة تنبت فيها الحشائش الرقيقة ، حيث يلتقى فيها الرعاة الذين يقودون قطعانهم للرعى عن طريق دروب لا يعرفها غيرهم ، والبدائيون الذين يعيشون فى الغابة .

كان سلمون ، الراعى الشاب الوسيم من بلدة مبويا قد ابتكر طريقة فريدة ، يقود بها ماشيته الى المراعى الخضراء .. بعد محاولات اقناع أمه العجوز لتتركه يركب ثور العائلة فى اتجاه المنحدرات السفلى للتلال .. هكذا قال لها :

ـ ان الثور سيتمكن من الرعى ، وانه لن يتعب اذا ما ابتعدت الماشية .. ومن الطبيعى وافقته الام التى كانت تحبه أن يعمل ما يشاء ..

كانت لا تمتلك الكفاية من المال لدفع ثمن علف الثور فقد كانت تعمل خادمة فى منزل سيدة بيضاء تحترف الصيد ، وسلمون كان يمثل لها الحكمة المجسمة لابتكاراته الغريبة .

يعزف الفلوت بروعه .. ويتزعم مجموعة الصبية فى القرية ..

والحقيقة أن أحدا لم يكن يعلم نوايا سلمون من أخذه الثور سوى سلمون نفسه ..

فبعد ظهيرة أحد الايام ، حينما كان يحث الثور على الذهاب الى الترعة ليشرب ، كان الثور قد أرهقته الحرارة فغاص فى الماء .. وكاد الفتى يغرق حين ألقاه من على ظهره .. فضرب الثور يمينا ويسارا بعصاه الخيزران وبالصدفة حين مست العصا قرن الثور الايمن ، أحدث صوتا له لحن جميل .. وأخذ سلمون بعد ذلك يجرب ضربات مختلفة بعصاه الغاب على قرنى الثور .. فاكتشف انه يستطيع تأليف الحان بسيطة وهو يسير فى الطريق .. والاغنام ترعى فى الغابة .. كان الوقت يمر بسرعة وبسهولة ، وهو يدندن ألحانا .. ويبدل نقراته على قرنى الثور بعصاته .

كانت آلامه .. وبؤس حياته تخف حين تصل هذه الانغام الى أذنيه .

وهكذا استطاع سلمون أن يقتل الوقت ، وأن يخلق نوعا مميزا من الموسيقى ، جلب اليه الكثير من الرعاة الاخرين ، الذين كانوا ينضمون اليه أثناء ساعات القلولة ، وتأكدت زعامته للجماعة باعجابهم الصامت لغنـائه الحزين ..

وبعد أن اكتشف سلمون الالحان المهتزة على قرون الثور .. وأحاديث الرعاة ازداد حبه لسـاعات الرعى التى كانت تمر على فترات متقطعة من الموسيقى .. كان يجلس على الثور ويرتجل لحنا .. وبعد أن يخرج لهما صفيرا معينا ينبه به الاغنام بعـدم الابتعاد عنه .. كان يبدأ فى الغنـاء ، وقد تجمع حوله تيم ، وتوم ، وأحمدو ، وعبد الله وأبهى .. وكلهم رعاة يختلفون فى السن ، ولكن أعمارهم تقل عن الثامنة عشرة .

كانوا يجلسون على فرع شجرة ضخمة أو يتمددون على الارض ، وهم يستمعون الى سلمون ..

« لا حبوب فى وجبة العشاء ..

والام غاضبة »

« الرجل الابيض استولى على أراضـينا العاليـة

وترك لنا الواطئة .. »

« ان اغصان الشجرة فى الحقيقة عارية

ويكشف عن كل شىء .. »

« كفيلا بأن يهدم بيتنا »

كان هذا اللحن كفيلا بأن يسكت الغلمان للحظات .. ثم تنطلق التعليقات الحادة بين المستمعين ، وذلك لطرد النوم عنهم ، تحت ضغط الحر ، والضباب الكثيف الذى يغطى الجو كله .. كان من السهل أن تقذف بتلك الاجساد التى بللها العرق ، وهم يحاولون تسلق فروع الشجر ..

وكان سـلمون يتركهم يقومون بهـذه الحركات قبل أن يبدأ فى أنغامه ، وبمجرد أن يرفع عصـاه يسودهم الصمت . كانوا غالبا ما يشتركون معه فى الغناء .

وبعد الالحان الحزينة يغلبهم النعاس ، وبعد انتهاء الاغنية المرحة يسخر كل من الاخر .

كانوا يأكلون ثمارالتوت التى يجمعونها .. ثم يحكى لهم سلمون قصص بطـولاته فى أنه كيف حاول الهرب من قبضة البوليس بعـد أن القى عليـه القبض خطأ أثناء أعمـال الماو ماو ..

كان الفتيـان يستمعون بأنفاس لاهثـة لاعمال قائدهم .. لقد ذهب الى ممبسـة وتعيش من بيع السجائر الامريكية لعمـال مصنع النسيج ..

شىء واحد كان ينقص هذا النـوع من الحياة التى تبدو مثالية .. هو الخوف من النمر أو الاسد أو الفهد ، أو أى حيـوان آخر يأتى ، وهم غارقون فى أنغـام سلمون وينقض عليهم .. لقد نشأوا على أن يتوقعوا مثل هذا الحادث من وقت لاخر .. كان ذلك كانوا ينسون أن ينادوا أغنامهم بتلك اللغة الغريبة ، وهم يهدئون الخراف من ناحيـة ويحذرونها من أن تضل من ناحية أخرى ، وينذرون الوحوش ..

كان سلمون يحاول أن يبث فى زملائه روح الشجاعة بقوله :

— ان ضربة واحدة من عصاى كفيلة بأن تمنع الاسد من أخذ الشاة ..

وفى أحد الايام حينما حلت فترة الراحة ، جذب سلمون الثور نحو شجرة ، جذعها فى لون النمر وربط الثـور ، وقيـل له انه بالقـرب من هـذه الشجرة ، مول مدهشقر يسمى بشجرة المسافر تتساقط منه قطرات من السائل تشبه الماء .

ولكى يخفف سـلمون من وطأة الشمس حذر ماشيته بصفير نادى به زملائه ، ورد عليه الاصدقاء وسمع أصوات ماشيته ففرح لان الماشية تعلمت كيف ترد عليه .

وفجأة وصلت الى أنفه رائحة كريهة .. اشمأزت لها نفسه ، وتنبه لارتفاع أصوات الماشية ، ثم أعقبها أصوات الجرى والحركة .. ولاحظ سلمون أنه على بعد ٢٠ ياردة فقط يقف قط ضخم غير أنه لم يكد يدقق نظره ، حتى تحقق أنت ذئب ، وذئب مفرط الحجم ..

كان تيم وتوم وأشميدو ، وعبـد الابهى متجهين نحوه ، غير عابئين بالخطر ، وكانت ماشيته تحدث أصواتا .. وأسرعت أنفاسه .. « ان اشارة واحدة من عصاى » ترددت هذه الجملة على ذهنه ..

وكان الذئب واقفـا فى تحفز ، مستعد للانقضاض على الفريسة فى اية لحظة .. وشعر سلمون بأنه يرى شيطانا ..

وازدادت ضربات قلبه ، ودارت راسه .. لو يستطيع أن يعود ليحضر عصاه ، ويضرب بها فى الفضاء .. أو يحدث بها صوتا .. فيفر الذئب هاربا .. ولكن روحه الصغيرة ، كانت مندثرة تحت ستار من الرعب والفزع ، أيقظتها قصة عن مغامراته ، وتجاربه ضـد الحيوانات وبعض أنواع الناس ..

وسمع صوت طائر قبض قلبه .. لقـد شعر أن الذئب يقترب نحوه .. وقفز من ظهر الثور .. وجرى .. ورمى عصاه من يده ليخلى يداه .. ان الماشية تزمجر .. وصرخ الاولاد ..

ــ قف ..

ولم ينظر خلفه .. ولكثرة ما لاقاه من صـعاب ومخاوف .. كف عن سـماع الاصوات .. وبعد أن قطع ميلا ، وقف ونظر خلفه ..

ــ لن يستطيع أن يسمع ضربات قلبه ..

ــ اسرع .. اسرع ..

ولم يأت أى صوت آخر .. لقد تخيل عدد الماشية التى استطاع الذئب افتراسها .. واصدقاءه تيم .. وتوم .. وأشميدو

ــ ربما قتلوا .. والثور

وتاه فى كابوس .. وقفز على صـوت انفاسه ..

وبعدفترة طويلة ظن أن الخطر قد زال .. وانه فى استطاعته أن يعود ..

ولكن كيف يمكن أن يواجه مواشيه التى هجرها ..

بل واصدقائه ..

وفى المساء .. أحضر الاصدقاء مواشيهم .. أما الثور ..

الثور الذى كان قرناه يمدان أغنيـاته بالالحان والموسيقى الجميلة ..

فقد مات ..

ماتت روح موسيقاه الى الابد ..

((خديجة قاسم))

تبشوانالاند في سطور

بقلم : عبد العظيم ملوك

● تقع فى جنوب افريقية يحدها شرقا وجنوبا اتحاد جنوب افريقية وغربا افريقية الغربية الجنوبية وشمالا روديسيا الجنوبية .

● تبلغ مساحتها حوالى ٢٧٥ر٠٠٠ ميل مربع

● يبغ عدد سكانها حوالى ٢٩٧ر٠٠٠ نسمة منهم ٢٩٣ر٠٠٠ افريقى ونحو ٢ر٥٠٠ اوربى ونحو ١ر٥٠٠ هجين

● اللغة الرسمية الانجليزية أما اللغة الافريقية فهى لغة تساوانا

● عاصمتها مافيكنج وهى تقع فى اتحاد جنوب افريقية

● هى احدى ثلاث محميات تابعة لبريطانيا هذه المحميات الثلاث هى :

تبشوانا لاندا

سوازيملاند

باسوتولاند

وقد جعل الاستعمار البريطانى هذه المحميات نقط ارتكاز لتهديد الشعوب الافريقية المجاورة .

● دخل الاستعمار البريطانى هذه المناطق فى أوائل القرن التاسع عشر فقد تنكر ـ كعادته ـ فى ثوب المبشرين والتجار واستغلوا طيبة الشعب الافريقى حتى وثقوا بهم وفتحوا صدورهم وائتمنوهم على أموالهم وحياتهم .

وفى الربع الاخير من هذا القرن حدثت مناوشات بين أهل البلاد وبين البوير على حدود الترنسفال فاستعان اهل البلاد بالانجليز لحمايتهم من البوير ، فلبى الانجليز الطلب وحموهم وعينوا لهم سنة ١٨٨٤ مندوبا ليدير شئونهم ، وفى ١٨٨٥ أعلنت الحماية على البلاد .

وفى سنة ١٨٩١ ألحقت ادارتها بالمندوب السامى لجنوب افريقية .

وفى سنة ١٨٩٥ ضم القسم الجنوبى من البلاد بما فى ذلك العاصمة الىمستعمرة الكاب ، وهكذا خرجت العاصمة من البلاد وما زالت خارجها .

● تفرض بريطانيا نظاما على البلاد فيه كثير من التسلط والحكم الاستبدادى .. ولقد برهنوا عى أنهم نقمة على البلاد منذ أن وضعت تحت حمايتهم ... وهم الذين يدعون بأنهم صانعو السلام والعدالةفىالعالم ورواد الدين المسيحى وحماة الديمقراطية ولقد برهنت أعمالهم على عدم امانتهم فىادارة دفة أمور التنمية السياسية والاقتصادية والتربوية .

● فلقد عملوا على حرمان الاهالى الوطنيين من ممارسة حقوقهم عن طريق اقامة جهاز حكومى ديمقراطى .

● عزل بتشوانالاند عن العالم لكى لاتتسرب أعمالهم الوحشية والاجرامية فىحق الانسانية الى الخارج .

● التنكيل بالوطنيين والزج بهم فى السجون والمعتقلات .

● اخذت تعمل على ضم بتشوانالاند وباسوتولاند وسوازيلاند فى جمهورية جنوب افريقية الامبريالية دون أن تستشير فى ذلك شعوب هذه البلاد .

● يشترى الانجليز المستعمرين من الاهالى .. الحيوانات والمنتجات الغذائية بأسعار زهيدة ثم يبيعونها لهم بأسعار فاحشة .

ثروة البلاد

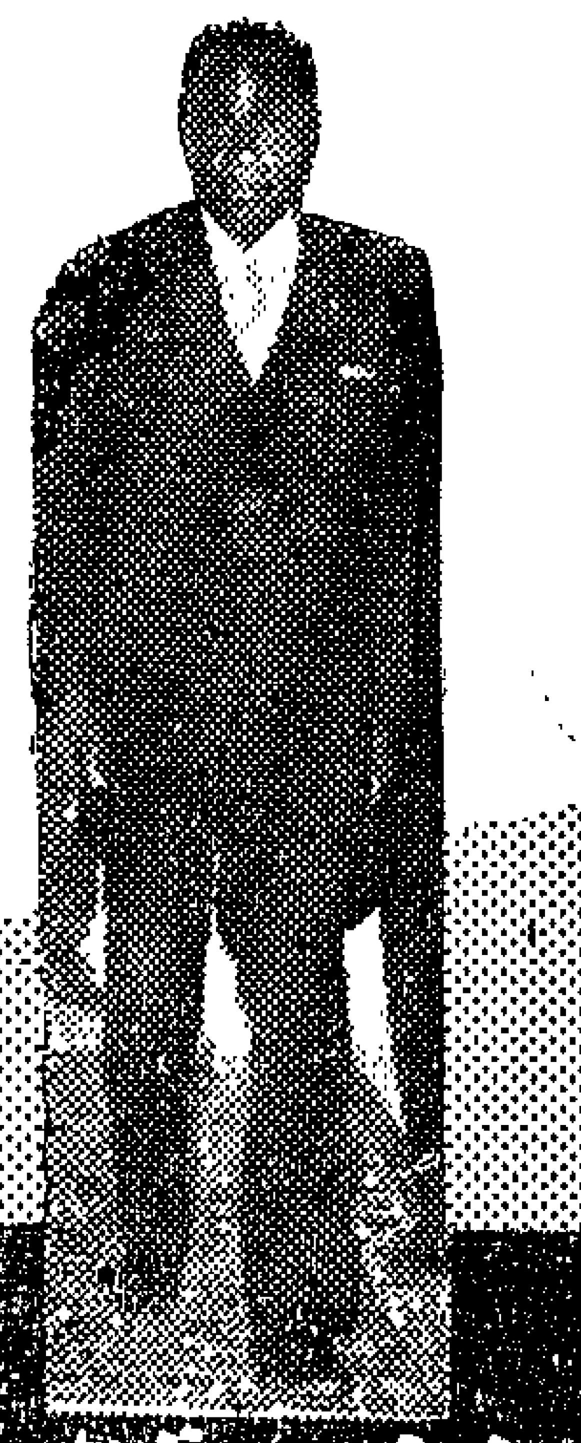
● تقوم الثروة على الزراعة وتربية الحيوانات وهى تصدر كثيرا من محصولاتها.

والايدى العاملة فيها متوافرة وتصدر هذه الايدى العاملة الى مناجم جنوب افريقية للعمل فيها وفى مصانعها ومؤسساتها وذلك بأجر زهيد جدا

● وهكذا نرى أن المستعمرين لم يستطيعوا أن يقدموا للبلاد فى هذه الفترة .. منذ حمايتهم لبتشوانالاند أى تقدم بل على العكس فهم برهنوا على استغلالهم للانسانية والتنكيل بها ، واذلاله ليكون عبدا له وهو السيد الوحيد .

● بالرغم من هذا الجحيم الذى يعيش فيه الشعب الافريقى الا أن المارد لم يعد يتحمل هذا السجن فثار عدة مرات وظهر من بين صفوفه زعماء يطالبون برفع الحماية ومنحهم استقلالهم مثل الزعيم تشيكيدى خاما زعيم بتشوانالاند .

((عبد العظيم ملوك))



شخصية العدد فيلكس هوفويه بوانييه

بقلم : مظلوم خضر

كان لمؤتمر القمة الافريقى « بأديس أبابا » أكبر الاثر فى اظهار الكيان الافريقى فى صورة متماسكة ، فضلا عما حققه من توحيد لارادة الشعوب الافريقية ممثلة فى زعمائها .

ومن ثمرات هذا التقارب بين زعماء افريقية تلك الزيارة التى قام بها أخيرا للقاهرة الزعيم الافريقى « فيلكس هوفويه بوانييه » رئيس جمهورية ساحل العاج .. البلد الذى يقال عنه انه يعيش فى « ربيع دائم » ولقد كان من ثمرة لقاء هذا الزعيم بالرئيس جمال عبد الناصر هذا البيان المشترك الذى صدر فى القاهرة وجاء فيه :

« ان رئيسى الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية ساحل العاج ، يؤكدان عزمهما على تطبيق جميع القرارات المشتركة التى أصدرها مؤتمر أديس أبابا ، كما يؤكدان ضرورة قيام الدولة الافريقية بالعمل المشترك فى جميع الميادين من أجل المحافظة على استقلالها الاقتصادى والسياسى ، اذ أن ذلك يكفل لشعوبها الخير والرفاهية .

ونتيجة لهذا التقارب تقرر اقامة التمثيل السياسى والدبلوماسى بين الجمهوريتين بدرجة سفارة ..

وقد كان هذا بفضل الفهم العميق الذى يتميز به الرئيس « فيلكس هوفويه بوانييه » الذى يعتبر المثل الحى على قوة الارادة الافريقية فى سبيل التحرر والانتصار .

فهو « زميل كفاح » للزعماء الافريقيين « سيكوتورى ، موديبوكيتا ، سنغور ، نكروما » وغيرهم من الذين تأكد دورهم فى القاهرة ، واصبحوا يشكلون ملامحها المتحررة .

والرئيس « فيلكس هوفويه بوانييه » عمل فى حقل الطب لمدة خمسة عشر عاما ، ولم يتحول تماما للسياسة الا فى عام ١٩٤٠ ، حينما وقف من وراء تأسيس النقابة الزراعية التى كانت تهدف الى الدفاع عن حقوق الزراع الافريقيين ضد استغلال الشركات الفرنسية لثروات البلاد .

وفى عام ١٩٤٥ تنافست الكتل الوطنية فيما بينها على الفوز فى أول انتخابات بلدية فى البلاد ، وقد جاء فى المقدمة « فيلكس هوفويه » نتيجة لانه قدم برنامجا محددا ، يتلخص فى تخفيض قيمة الضرائب التى تثقل كاهل المواطنين ، كما أعلن انه ضد الاستغلال والسخرة ، وانه مع كل الذين يعملون على رفع مستوى المعيشة للشعب .

ثم انتقل من هذا النصر الى نصر آخر حين استطاع فى عام ١٩٤٦ أن يجمع الاحزاب المتعددة فى حزب واحد بقيادته ، وهذا الحزب هو الذى عرف فيما بعد « بالحزب الديمقراطى لساحل العاج » وكان ينتظم جميع أنحاء الساحل .

وحين جاء عام ١٩٥٦ ، كان قد ظهر تطور كبير فى أفريقية الغربية ، وبخاصة حين أرغمت حكومة « جى موليبيه » على اعطاء حقوق التصويت لجميع دول افريقية الغربية — ومن بينها ساحل العاج — لتشكيل مجالس افريقية ، وقد فاز فى هذا التصويت حزب « فيلكس » بأغلبية ساحقة ، دفعته الى أن يتولى مناصب وزارية فى عدد من الوزارات الفرنسية بما فيها وزارة ديجول ،

وفى عام ١٩٥٨ انفصل عن زميله فى الحزب الرئيس سيكوتورى حين رفض سيكوتورى اقتراح ديجول بتكوين « الكومنولث الفرنسى » الذى يضم ١٢ دولة افريقية من بينها ساحل العاج ، وفى عام ١٩٥٩ استطاع الغاء أعمال السخرة ، وضريبة الرءوس التى فرضتها فرنسا بالقوة على كل من بلغ السابعة عشر من عمره .

ثم سار ببلاده من نصر الى نصر حتى كان استقلالها فى أغسطس عام ١٩٦٠ ، ثم كان توليه لرئاسة الجمهورية لمدة خمسة أعوام مع رئاسته للحزب الديمقراطى لساحل العاج كما أنه فى الوقت نفسه رئيس للحكومة وفقا للدستور المعدل لساحل العاج التى أصبحت دولة رياسية ذات سيادة ، وعضوا فى منظمة الامم المتحدة .

وقد اهتم باقتصاد البلاد ، وفى دفع عجلة التطور فى كافة الميادين ، ثم بالخروج من العزله السياسية التى كانت مفروضة على غرب افريقية .

ولقد كان فى مقدمة هذا كله اشتراكه الحر فى مؤتمر القمة ، واعلانه أكثر من مرة أن للقارة مصيرا واحدا .

تلك هى الخطوط العريضة لغصن واحد من الزعماء الافريقيين : فيلكس هوفويه بوانييه ..

((مظلوم خضر))

العلاقة بين الصحافة والحكومات الافريقية

بقلم: توم مبويا ● ترجمة: عواطف عبدالرحمن

ان علاقة وموقف الصحافة من الحكومات الافريقية الحديثة يتوقف الى حد كبير على ما يحدث خلال فترة الكفاح الوطنى .

ان أهم العوامل التى سيكون لها وزنها فى تقرير هذه العلاقات فى المستقبل لابد ان تتضمن بعض التساؤلات سواء أكانت الصحافة معادية أو مؤيدة للقضية الوطنية وأهم هذه التساؤلات هى هل هى صحافة تقدمية أم رجعية ؟

وهل كانت مستوردة من الاستعمار والمصالح المالية فى المستعمرات السابقة والى اى مدى سوف تظل أداة للتغلغل الاجنبى وعملية الاستعمار الجديد ..؟

ان الصحافة المحلية فى افريقيا تعانى فى هذا المجال من ازمة الثقة بين الدول الافريقية والصحافة الاجنبية المعادية واثناء محاولة تحليل هذه العوامل سوف يبرز عدد من الاسئلة أهمها فى رأيى مايتعلق بحرية الصحافة .

معظم الافريقيين يتساءلون ماهى حرية الصحافة ..؟ هل تحوى سلطة ترديد وتنفيذ مايريدون حتى لو كانت تهدف بطريق مباشر او غير مباشر الى عرقلة جميع جهودنا فى تدعيم استقلالنا الوليد وجهودنا من اجل اعادة بناء اقتصادنا ..؟

هل تدرك هذه الصحافة أنها فى ظروفنا الحالية عليها واجب نحو افريقيا واننا فى الحقيقة نتوقع منها ان تقوم بكل مساهمتها البناءة نحو جهودنا العامة .

هل تستطيع الصحافة فى افريقيا ان تكتب وتسلك نفس الخط كما لو كانت فى لندن او نيويورك .. او باريس حيث توجد مشكلات واهتمامات تختلف تماما عما يجرى فى افريقيا .. ان هذه الاسئلة وغيرها تدور فى أذهان كثير من الافريقيين وهم يفكرون ماذا تعنى حرية الصحافة بالمضمون الافريقى ؟ ولهذا فانه من المهم أن تعنى الصحافة نفسها بالرد على مايدور فى أذهان الافريقيين .

فى أغلب الحالات كان يتحكم فى الصحافة صحفيون أجانب يقومون بزيارات قصيرة لمختلف أنحاء أفريقيا وكانت نظرة العالم لافريقية مستقاة من كتاباتهم وكذلك وكالات الانباء كانت تعتمد على هؤلاء الصحفيين الذين لم يكن لديهم معلومات عن افريقية تمكنهم من اعطاء صورة متكاملة لما يجرى فى افريقيا او تفسير ما يجرى فى افريقيا وتكون النتيجة أن جميع الاخبار التى تأتى من خارج افريقيا هى غالبا ان لم تكن دائما متحيزة أما للغرب واما للشرق وقليل جدا من هذه الاخبار هو الذى يكون فى صالح أفريقيا .. دعنا ننظر الى الخلف لحظة لنرى الاسباب التى تؤثر

فى العلاقة بين الصحافة والحكومات الافريقية فى الدول الناشئة فى افريقيا .. لاشك أن شعار ((**حكومة الشعب بالشعب وللشعب**)) هو أكثر شعارات الفلسفة الديمقراطية احتراما فى العالم وهو تقريبا أبسط تعريف للديمقراطية العادية فى جميع دول العالم التى تسمى دولا حرة حيث لاتستطيع الرؤية البشرية أن تتابع السرعة التى يندفع فيها السياسيون على المسرح والصحفيون فى مقالاتهم البارزة « افتتاحياتهم » للدفاع عن هذا المبدأ المقدس ويهنئون أنفسهم بأنهم يعيشون فى ظله .

ان بعض الصحف اليومية الواسعة الانتشار تريد لو استطاعت ان ترفق بكل طبعة نسخة من الدستور الانجليزى اذا كان ذلك ممكنا من الناحية العملية واذا أرادت طبعا أن تبرر زيادة معدل الاعلانات .

الحرية والمساواة والاخاء لاشك أنها أدق تعريف لاخاء الانسان .. لقد كان له صدى عاطفى واسع النطاق انعكس فى عبارات الاخلاص والاستعداد للنضال وايضا فى عبارات السلم الروحى لمدى طويل جدا .

انها فلسفة نظيفة وفكرة نبيلة من السهل استيعابها .. لقد شغلت أذهان الكثيرين فى موجات متتابعة من السياسيين ورجال الدولة الذين لم يجدوا أفضل من ذلك كى يقولوه وكذلك كبار الكتاب فى كتاباتهم البارزة وجدوا انه ليس أسهل ما عليهم من استخدام هذه الكلمات ذات الرنين والصدى المعروف مقدما ومعنى ذلك أن الصحافة نجحت خلال أجيال عديدة فى تهشيم معانى القيم الهامة فى حياة الامم الافريقية مثل مبدأ تقرير المصير والحرية بكل أشكالها وكرامة الانسان .

ان موقفى اليوم ضد كل هذا الاطار يبدو من الظاهر شيئا غير عادى اذ يجب على أن أفسر وأعلق على الحقيقة الواضحة المتميزة وهى أن النضال الوطنى فى افريقيا من أجل تقرير المصير والحرية بجميع اشكالها والحقوق الاولية للانسان كان يلاقى فى أغلب الاحيان المعارضة من الصحافة وسوف استشهد بحقيقة بسيطة وغريبة هى أنه فى كثير من البلدان وخاصة فى شرق ووسط افريقيا التى حصلت أو كادت تحصل على الاستقلال يبدو عداء الصحافة واضحا وأعنى بالصحافة طبعا الصحف والمجلات التى تصدر فى افريقيا والتى يشرف على تحريرها واخراجها فنيون مدربون فى الخارج يقرؤها الاوروبيون المستوطنون ويزداد عدد قرائها الافريقيين بازدياد التعليم ، وأنا أقصد أيضا الصحافة الغربية وخاصة بعض الصحف ذات التأثير التى كانت تطبع فى عواصم الدول الاستعمارية .. ان عامل الزمن هام هنا ايضا اننى لا أتكلم عن الرأى أو النغمة التى ترددها الصحف عن احتمال تغير رأيى اليوم او الاسبوع القادم أو فى اى مناسبة غريبة فى أى عام ولكننى أتحدث عن الاتجاه الكلى للصحافة فى التشتيت والمعارضة وبث الذعر خلال أهم فترة فى تاريخ القارة وهى فترة ظهور الشخصية الافريقية والقوى السياسية الافريقية وكلامى هذا لايمس بالطبع الصحافة الوطنية أو الصحافة التى يمتلكها الافريقيون .

ان هذا الموقف من جانب الصحافة غير الوطنية الموجودة فى افريقيا والذى ينبع اساسا من المصالح والافكار الاجنبية يعبر عن نفسه فى ثلاث صور رئيسية :

أولها : الكراهية وعدم الثقة من جانب بعض أصحاب الصحف والصحفيين للتغيير الذى يجتاح القارة ولعلكم تتذكرون مستر هارولد ماكميلان اثناء حديثه عن افريقيا أورد جملة أصبحت مملة لكثرة ترديدها رغم أن الوزراء فى مجلس العموم مازالوا يذكرونها فى خطبهم على أنها من ابتكارهم وهى جملة « ريح التغير » وعموما فان كلمات رئيس الوزراء البريطانى عن الصحافة فى افريقيا ومضمونها كان لها دوى هائل . ان التغير كان مكروها من جانب الذين بحثوا ووجدوا الراحة فى التنظيمات القديمة كما ان التغير لم يكن موضع ثقة من جانب الذين اعتبروا افريقيا ميدانا للمعيشة الطبقية حيث النادى والمنزل المريح الذى يتركونه كل عامين فى رحلة

الى أوربا ثم يعودون اليه فيجدون ان المواطنين ما زالوا دائما فى أماكنهم لم يمسهم أدنى تغير ان التغير كان مذهلا كفكرة بالنسبة للذين ارتبطت مصالحهم بالحالة الراهنة والذين لايستطيعون ان يتحركوا مع الزمن والقوى الجديدة والاحتياجات الجديدة والاسواق الجديدة والمنافسة الجديدة وقوى التوازن الجديدة والموضوعات الجديدة التى تفرض نفسها على الافتتاحيات فى الصحف .

ثانيا : هناك اتجاه مهنى فى جميع الصحف والمجلات الافريقية تقريبا نحو التعبير بصراحة عن معتقدات وطموح وايضا مطالب القومية الافريقية ، وقد كانت صدمة للصحف الغربية أن نطالب نحن الذين نمثل الشعوب الافريقية فى نضالها بمثل هذه الاشياء المعروفة مثل تقرير المصير والحرية بجميع أشكالها والكرامة الانسانية وحقوق الانسان ومن المحتمل ان يكون قد برز نوع من الاستياء الغريب عندما تحدثنا عن اتجاهنا نحو المساواة بعيدا عن جو الامتيازات وعن تحركنا نحو الحرية بعيدا عن التقييدات وتطلعنا نحو الاخاء بعيدا عن التفرقة العنصرية قد يؤدى هذا الى نوع من الخوف لديهم وخاصة عندما يؤدى التفاف الشعب أو زعمائه حول هذه المطالب الى اضافة خطوات جديدة على الطريق نحو الحقيقة التى تنشدها انها تعانى نوعا من الحيرة عندما تكشف خططهم وتقابلها بتخطيط افضل وعندما تواجه مؤامراتهم بالرفض وعندما تؤكد فى اصرار ان حرية شعوبنا وخلق مجالات لتنمية مواهبهم وتسليمهم لمحاربة البؤس الذى يكمن فى مجتمعاتهم وان انجاز هذه المهام فى افريقيا مثل الصحة والتعليم والامن الاقتصادى كل هذه الاشياء ليست لعبة .

ثالثا : هناك حملة نابعة من مركب العظمة تتصرف بنوع من الابوية المجنونة تهدف الى أن ترينا ان شعوب افريقيا غير مستعدة للحكم الذاتى وغير قادرة على حسن استخدام الحرية والتمتع بها وبالتالى غير جديرة بكل مايتعلق بكرامة الانسان وحقه فى حياة عزيزة .

وقد أثير منذ سنوات فى صحافة شرق ووسط افريقيا بالذات ان منحة الحرية كما يسمونها سوف تطفىء الحرية وفى نغمات مختلفة من اليأس والسخرية صرحت الصحافة أن الديمقراطية ستؤدى الى تدهور الادارة وانقراض المشروعات الصناعية وتدهور الزراعة والتسويق والمواصلات والخدمات الاجتماعية وجميع هياكل المجتمع المنظم .

انه لا يصعب علينا ان نقرر خلال كل هذا ما كانت تهدف اليه الصحافة واذا كانت حملتهم قد لاقت بعض النجاح فانه من الطبيعى ان يتبعها تسرب روح اليأس والاحساس بالنقص فى امكانيات شعوبنا ولا شك ان الصورة القاتمة الدائمة التى ترسمها الصحافة عن مصير معظم صناعاتنا وخدماتنا والقائمين عليها تؤدى الى تسرب روح القلق فى الاسر العادية وتقصى الثقة وبالتالى فرار رأس المال مما يشكل صعوبات تتعدى نسبة أى خطر ممكن تصوره امام تطورنا الاقتصادى ان الصحافة لاتقدم تفسيرا لذلك .. انها لاتساعدنا بصدق .. انها تسقط من حسابها فى مجالات التخطيط والمهارة العملية امكانيات الافريقيين كمقياس أو كقضية عامة .

ان الصحافة بخبرتها من الماضى وخوفها من الحاضر تتردد من المستقبل ولاتريد ان تعتقد أو حتى تأمل فى أن الاستقرار والتقدم المادى والعدالة الاجتماعية سوف يتبعها حتما تحرر الانسان فى أفريقيا .

ان الزعماء الافريقيين ليسوا قديسين فليس منهم من يدعى العبقرية .. لا أحد منهم يستطيع أن يقلل من المشكلات التى تعد علامة التغير الحقيقى فى الانظمة ولكن جميعهم يعتنقون الفكرة البريطانية عن العدالة ((**دع الحق يثبت وجوده**)) وجميعهم يستمدون قوتهم من الواقع الموجود وهو أن جميع الانظمة القائمة من قضاء وأمن والامكانيات الاقتصادية فى جميع الميادين لم تخطط أو تدرس بعد ورغم سوء عرض الصحافة المتعمد لهم فاننا نستطيع ان نقول ((**بهم سنستطيع ان نكسب معركة بناء أفريقيا الجديدة وبدونهم لن نستطيع ان نبدأ**)) .

لعلنا نكون بهـــذا قد وصلنا نتيجة لكل ذلك الى مرحلة تحديد العلاقة بين الحكومات المستقلة الناشئة والصحافة الحاليــة فى أفريقيا وهى مرحلة تتميز باشياء كثيرة من كلا جانبيها . لقــد أجبرت الصحافة على أن تتقبل الواقع الذى يؤكد اننا وصــلنا أو على أسوأ تقدير اننا على الابواب وبينما هم لن يستطيعوا بحركة واحدة كاسـحة أن يطردوا مخاوف الماضى وشكوكه فانه يتحتم عليهم ان يتقبلوا الواقع فى ان الشـــمس مازالت تشرق كل صباح وان النوع البشرى ما زال مقسـما الى جنسين وان طعم البيرة لم يتغير وان الحياة مازالت مستمرة وبذلك تصل الصحافة الى نتيجة هامة وهى ضرورة التقائها مع القيم الجديدة ومع الواقع الجديد ككل ، والزعماء الافريقيون يدركون فوائد وجـود صحافة حرة متنافسة تقوم بوظيفة اعلامية وتربوية وتستطيع ان تقدم خلال صفحاتها موضوعات توحى بالامل والابتكار .

ولكن الامل الذى ننظر اليه خلال كل هذا هو وجود صحافة وطنية تنبع من هذه التربة التى تعيش فوقها بدلا من ان تكون مجـرد أداة تعكس مصالح الاجانب . ان رأس المال الذى تقوم عليه صناعة الصحافة الحـديثة يعتمد عموما ، مثل أى مشروع صناعى آخر ، على الاستثمارات الاجنبية وممكن فى خـلال هذه المرحلة وبدون الحاق اضرار بالمصـالح الوطنية أن نساهم فى الصـحافة بالمواهب المحلية وذلك خلال العملية التى نسـميها الإفرقة .. أفرقة الوظائف والخدمات ..

والشركات العامة المستقلة عن الحكومات تستطيع ان تساهم فى هذا المجال اذا ارتبطت مصالحهم وآمالهم وحياتهم بالبلدان الافريقية التى يستثمرون اموالهم فيها ولاشك انه بغض النظر عن الناحية المالية فان هذه مشــكلة جهاز كامل فالصحف والمجلات مزودة بعناصر اجنبية تحمل بطاقة الاتحاد الوطنى الافريقى للصحفيين رغم أن بعضهم لايعلمون شيئا عن افريقيا ولاترتبط مصالحهم بمصيرها ولايعرفون حتى لغة الشعب وبعد أن يوقعوا عقــدا للعمل بالصحافة فى ليبيا مثلا لمدة ٣ سنوات أو فى اى منطقة اخرى فى افريقيا يمضون هـــذه الفترة فى اللهو والتسلية ويكونون سعداء لان فليت ستريت وجد لهم عملا ، لهذا السبب فان مستوى الكتابة فى الصحف كان منخفضا وأحيانا تميل بعض الصحف الى أسلوب غير ملائم من حيث التوقيت أو خارج عن نطاق المفاهيم المتعارف عليها او تفضل رواية قصة عن الفشل أو الخوف عن رواية قصة فيها محاولة او نجاح وتركز دائما على زاوية الصدام الشخصى بدلا من عرض هدف عام وهذا ليس من السهل حله فنحن لم يتوافر لدينا بعد العدد الكافى من الصحفيين الوطنيين المدربين ولكن لا شك ان ذلك سيتوافر فى المستقبل . ان عملية الافرقة ســـوف تفيد فى هذا المجال وسوف تضفى على اخراج الصحف نوعا من الصداقة والالفــة التى لاتخلق الاحتقار ولكن تخلق نوعا من الحراسة ذات القيمة التى تعرف أخطاءها .

ولننظر الى المستقبل فى افريقيا هنـــاك خط وحيد بناء يمكن أن نسير فيه ، والصحف والمجلات الموجودة فى شرق افريقيا عليها أن تتأكد من عدم حاجتها للاندماج فى عمليـــة الدعاية للحكومة ولكن عليهم أن يحـــددوا مواضع أقدامهم .. ان مايواجهونه الان ليس تحديا سياسيا حقيقيا ولكنهم يواجهون ورطة ان تغطيتهم للاخبار يجب ان تكون مملوءة بالادراك والوعى وتعليقاتهم يجب ان تكـون مرتبطة بالاحداث ونزيهة يجب عليهم ان يزودوا الجماهير الجديدة فى افريقيا التى لم توجد من قبل ذات الشخصية الجـــديدة ، بكل مايحتاجونه من أخبار وتفسيرات . وبهـــذه المناسبة يحضرنى مثل عن بعض الصحف التى تنشر قصصا عن مشاغبين وأوباش لم تحدث مطلقا وكذلك قصصا قاتمة بائسة تصـورنا أناسا لاوزن لهم او تسىء الى اناس يعملون وكذلك المراسلون الذين يكتبون بعد حضورهم الى أفريقيا بعشرين دقيقة مادة محرفة تعيد الساعة الى الخلف فى الوقت الذى يحتـاج تاريخنا فيه الى العطف والحكمة كى يساعدونا

على الوصول الى الحقيقة التى نحن جديرون بها .. شيء واحد سوف اوجهه الى الصحافة العالمية وهى أنه عليها أن تفهم أن افريقيا الان شيء جديد تماما .. خططنا وأهدافنا وتصميماتنا وفشلنا ايضا لا يمكن ان يحكم عليه بهذه المقاييس والمعايير العاطفية التى تعد شيئا مألوفا بالنسبة لدول اخرى .. ان حياتنا لاتلونها الاهتمامات اليومية مع الشرق ضد الغرب اننا مشغولون فى افريقيا بخلق شيء جديد .. اننا نبنى مجتمعا يتعهد ليس بالمحافظة على القيم القديمة للكرامة والحرية فحسب بل يحافظ أيضا على العدالة والكفاية والاستقلال الحقيقى اننا نقدم نظاما جديدا للحياة يستطيع ان يقف أمام المعسكرين الكبيرين المسلحين ويجعل العالم يعيد النظر فى أن الانسان الجديد ليس من الضرورى أن ينتمى الى احد هذين المعسكرين .

انها قصة البناء التى لم تخرجها المطابع انك اذا أردت يوما أن تكتب عامودا عنا وأردت ان تأتى الينا فاننا لن نضع أية قيود على مجيئك او تجوالك او على من تريد ان تتحدث اليهم .. أن ذلك سيمنحنا سعادة لاحدود لها . كما نؤكد أننا حققنا كل ذلك رغم الصحافة العالمية وتقديرها غير العادل لكفاحنا وقد حاولت فى هذا الحديث أن ابين اتجاه الفكر فى افريقيا وتأثيره فى الصحافة فى المستقبل وقد حاولت ان كون صريحا كى الفت الانظار الى خطورة الوضع .

الصحافة فى حاجة الى ان تعلم ان عليها مسئولية كبيرة نحو مجتمعنا الافريقى بالاضافة الى سائر أعبائها المألوفة ازاء الجمهورية وازاء الخدمة العامة يجب أن تقف معنا ازاء التحدى الذى يواجهنا ، انها يجب أن تدرب عناصر وطنية فى اقرب وقت ويجب ان تكيف نفسها مع الواقع الافريقى وتفهمنا وتشاركنا قلقنا وتنضم الينا فى بناء قارتنا . يجب أن تتعلم كيف تعامل أفريقيا بمحتواها الخاص بها النابع من مشاعر ابنائها وليس من محتوى الشرق أو الغرب او المصالح الاجنبية .

هذه هى الحقيقة التى يجب أن تضعها الصحافة فى افريقيا نصب اعينها وهى ان الواقع الصعب الذى تعيشه افريقيا الان هو الذى سيشكل علاقتها بالغد ..

افريقيا في شهر

كينيـــــا

- أصدرت الحكومة البريطانية كتابا جاء فيه : ان كينيا ستصبح مستقلة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٦٦ ، بشرط استكمال الخطوات اللازمة فى الوقت المناسب .
- وصل الى القاهرة وفد من كينيا برئاسة أوجنجا أودنجا وزير الداخلية ، وقد استقبل السيد الرئيس جمال عبد الناصر الوفد ثم حمله رسالة شفوية الى الزعيم جوموكنياتا

الصـــومال

- احتفلت الصومال بعيد الاستقلال القومى وقد وصل الى القاهرة السيد عبد الرشيد شارماركى رئيس الوزراء فى زيارة رسمية لمدة ثلاثة أيام

اثيـــوبيا

- وصل الى أديس أبابا وفد من كينيا برئاسة أوجنجا أودنجا وأجرى مباحثات مع الامبراطور هيلاسلاسى .
- اجتمعت سكرتيرية الوحدة الافريقية بأديس أبابا وأعضاؤها .. الجمهورية العربية المتحدة ، الكونغو ، غانا ، نيجيريا ، النيجر ، اوغندا .

زنجبـــار

- توفى السلطان عبد الله بن خليفة أثر عملية جراحية ، وتولى ابنه جمشيد خلفا له
- صرح الشيخ محمد الشمطى رئيس الحكومة الائتلافية بأنه من المتوقع أن تحصل بلاده على استقلالها يوم ٧ اكتوبر

الكونغـــو

- احتفلت بالعيد الثالث للاستقلال ، وأطلقت الحكومة اسم الزعيم الراحل باتريس لومومبا على احد شوارع ليوبولدفيل . وقد قام رئيس الحكومة سيريل ادولا بزيارة رسمية الى بريطانيا بدعوة منها .
- وصلت الى القاهرة زوجة الزعيم جيزنجا وكريمة الزعيم الراحل باتريس لومومبا لقضاء فترة بها وقد نزلتا فى سفارة الكونغـــو .
- وصل القاهرة وفد من شيوخ ونواب الكونغو لدراسة النظم الدستورية بها .

اوغنـــدا

- انفض المؤتمر الدستورى لاتحاد شرق افريقيا المقترح دون اصدار بيان عن المحادثات التى تمت بين .. جوموكنياتا وجوليوس نيريرى ميلتون أوبوتى .

نيجـــيريا

- طلبت نيجيريا من الجمهورية العربية المتحدة الاسهام فى مشروع وقاية اراضى الاصلاح الزراعى . وقد ارسلت ج.م.ع وفدا لدراسة المشروع .
- تقرر انشاء اقليم جديد فى اتحاد الجمهورية يقتطع من الاقليم الغربى ويتألف من مقاطعتى «بنين» و «الدلتا»

النيجـــر

- وصل الى القاهرة الرئيس هامانى ديورى فى زيارة رسمية وقد استقبله السيد الرئيس جمال عبد الناصر بالمطار ، واتفق

الرئيسان على تبادل التمثيل السياسى وعقدا اتفاقات للتجارة والتعاون الفنى

انجـــولا

● قال الدكتور هولدن روبرتو : انه ليست بنا حاجة الأن الى متطوعين افريقيين فلدينا الكثير من الرجال .

● دعا جونى ادواردو ممثل جبهة تحرير انجولا ، وزراء خارجية الدول الافريقية المشتركين فى أبحاث الامم المتحدة الا يعطوا اى تنازلات فى صالح البرتغال الا اذا اعترفت بمبدأ تصفية الاستعمار وتحرير المستعمرات .

موريتانيـــا

● وصل الى القاهرة وفد رسمى من موريتانيا برئاسة الدكتور بابوبكر الذى صرح بأنه يحمل رسالة الى الرئيس جمال عبد الناصر من رئيس جمهورية موريتانيا ، وقد قررت ج٠ع٠م ايفاد المدرسين لتدريس اللغة العربية بموريتانيا .

ساحل العاج

● وصل الى القاهرة فيلكس هوفويه بوانييه رئيس الجمهورية على رأس وفد ، وقد استقبله الرئيس جمال عبد الناصر .. وتناولت المباحثات تبادل البعثات والزيارات ودعم العلاقات وتنمية التبادل التجارى والثقافى والفنى بين البلدين .

روديسيا الجنوبية

● برأت المحكمة جوشوانكومو فى الاستئناف من السجن الذى حكم عليه به من قبل فى تهمة تعويقه أحد رجال البوليس أثناء تأدية واجبه .

جنوب افريقيا

● اعلن اريك لو ، وزير الخارجية ان نفوذ الدول الافريقية يتحكم تحكما كاملا فى الامم المتحدة ، وان بلاده لن تشترك فى اجتماع مجلس الامن الذى ستجرى فيه مناقشة الاتهامات الموجهة الى جنوب افريقيا .

السـنغال

● وصل الى القاهرة السيد ابراهيم وانى وزير التربية والتعليم واجرى مباحثات مع المسئولين فى القاهرة لعقد اتفاقية ثقافية بين البلدين لتبادل الطلبة والاساتذة والبرامج الثقافية .

داهـومى

● وصل الى داهومى ، مندوبا عن السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، السيد محمد فايق مدير مكتب الرئيس للشئون الافريقية للاشتراك فى احتفالات الاستقلال وقد حمل رسالة من الرئيس الى رئيس جمهورية داهومى .

الجــزائر

● فى احتفالات الاستقلال نفى بن بيللا قيام أحزاب فى الجزائر .

● اعتمد بن بيللا « ٢٠٠٠٠٠ » دولار لتدريب الثوار الافريقيين على أرض الجزائر من انجولا وموزمبيق وجنوب افريقيا .

المغــرب

● حدثت موجة اعتقالات ضخمة بالرباط فقد اعتقل اكثر من ١٣٠ من المؤيدين لزعيم المعارضة .. مهدى بن بركة .

● أجرى السيد مهدى بن بركة اتصالات واسعة مع كل من اتحاد المحامين العرب واتحاد العمال ونقابات الصحفيين والاطباء والمهندسين بشأن هذه الاعتقالات .

● قرر حزب الاستقلال مقاطعة انتخابات المجالس البلدية بسبب سياسة الضغط التى تمارسها السلطات ضد المواطنين .

مختارات من شعر

ليوبولد سيدار سنغور

أغاني الطيور تظهـر مرفرفة فى
السماء ..
الحشائش الخضراء الانيقة ..
تدلنا علي ((ابريل)) ..
أنا أسمع نسمات الفجر ..
تحرك الثلج الابيض على ستائرى
أنا أسمع أغنية الشمس الملحنة.
علي شراعة نافذتي ..
أسمعها جميعا ..
أسمعها جميعا ..

* * *

أنا أشعر كأن نسمة علي رقبتي ..
تهفهف ..
تخطر فى كبرياء ..
هكذا تكونين يا حبيبتي ..

*

اسمعى الرياح الحارة فى ((ابريل))
من القارة ..
اسمعى صـوت ((الزحلقة عـلى
الجليد)) ..
وأجنحة السنونو ترفرف علينا ..
اسمعى ((اللقالق)) البيضـــاء
والسمراء ..
اسمعى رسالة الخريف من العمـر
الآخر ..
ومن القارة الاخرى ..
اسمعي رسالة افريقية الجديدة ..

كتاب الشهر

مقدمة لدراسة الاقتصاد لافريقية جنوب الصحراء

بقلم : وولتر برمنجهام

عرض وتقديم العميد ا . ح
محمد عبد الفتاح ابراهيم

الكتاب ومؤلفه :

الكتاب مقدمة للنظرية الاقتصادية بعامة فى دراسة مطلقة ، ولكن مؤلفه يقول أنه كتبه بخاصة للقراء الافريقيين وكل الامثلة التى استشهد بها انما استمدها من احصائيات غرب وشرق افريقية لجنوب الصحراء ، ثم انه قد صدر ضمن سلسلة الدراسات الافريقية لشركة النشر البريطانية « بنجوين » فى آخر سنة ١٩٦٢ .. فاكتسب الكتاب طابعه الافريقى من عدة زوايا اصيلة .

ومبادىء النظرية الاقتصادية قد تكون واحدة فى كل مكان من العالم ، ولكن تطبيقها ولا شك يختلف تبعا لعوامل واسس تختلف بين مكان وآخر ، ومشكلات المجتمعات الزراعية والتجارية هى غير مشكلات المجتمعات الخالصة للصناعة ، على انه من الضرورى الا يظن القارىء بأن المؤلف قد عمد الى تبسيط النظريات الاقتصادية فى كتابه الذى كتبه بخاصة للقراء الافريقيين .. بل الواقع انه قدم كتابه فى أسلوب علمى رصين وفى مستوى عال ومن ثم فان بعض فصول الكتاب تتطلب دراسة عميقة ، وان لم يكن من الضرورى ان تتوافر للقارىء سابق معرفة بعلم الاقتصاد ، وان كان المؤلف قد قدم فى الفصل التاسع الختامى لكتابه دراسات مختزلة من قلمه لعدد من الكتب يمكن الرجوع اليها لمن شاء مزيدا من الدراسة وبخاصة الكتب والتقارير التى عرضت للاقتصاد فى غرب وشرق افريقية بعامة ولغانة ونيجيريا بخاصة .

والمؤلف وولتر بار برمنجهام فى الخمسين من عمره ولد بالهند فى سنة ١٩١٣ لاب اسكتلندى وام ايرلندية ، تعلم بالهند وباسكتلنده ، عمل فى خدمة الحكومة مبكرا ، وهو فى السادسة عشرة من عمره ولولا الحرب العالمية الثانية لكان لا يزال فى خدمتها موظفا مغمورا ، فعندما جاءت الحرب كان قد انصرف لدراسة الاقتصاد بمدرسة الاقتصاد بلندن فى أوقات الفراغ ، وفى سنة ١٩٤٣ كان محاضرا مساعدا للاقتصاد ، بجامعة ويلز فى كارديف

نزل الولايات المتحدة كاستاذ زائر للاقتصاد بجامعة روزفلت فى شيكاغو سنة ١٩٤٨ ثم فى سنة ١٩٥٨ ، عمل فى جامعة غانه بغربى افريقية من سنة ١٩٥٢ الى سنة ١٩٦٠ كبيرا للمحاضرين بقسم الاقتصاد ، وانتقل بعدها الى جامعة لايستر بانجلترا حيث لا يزال يعمل حتى اليوم .

كيف عالج الرجل موضوعه :

ولقد عرض المؤلف للموضوع فى الاسلوب المنطقى لتقديم « المدخل الى الاقتصاد » فتحدث عن المشكلة الاقتصادية **مشكلة الاختيار** على اساس أن الاقتصاد هو «علم الاختيار» أو فن الاختيار **بين شيئين تحتاج كليهما ولكنك لا تستطيع**

الحصول عليهما معا لسبب أو لآخر ، وعرض للدور الذي تلعبه الثروة المادية فى تحقيق احتياجاتنا ، ومن ثم فهى تؤثر فى اختيارنا ، ولكن غاية ما نقنع به يجيء من اغفالنا للثروة من أجل بعض الاتجاهات الاخرى التى قد ترضينا حتى ولو كانت اضاعة الوقت فيما لا طائل تحته ، واشار المؤلف الى ان احد أعضاء الجمعية التشريعية فى ساحل الذهب (غانة فيما بعد) قال فى احدى المحاضرات العامة ان الكثيرين من الرجال فى ساحل الذهب قد قالوا لضباط الاحصاء والتعداد انهم يعملون فى زراعة الارض ، ولو كانت « المهنة » هى العمل الذى يقضى فيه الفرد اغلب وقته لكان لزاما على هؤلاء ان يقولوا بأن عملهم هو « الدردشة » لقتل الوقت ، ولعل هذه الكلمات تستهدف النقد لهؤلاء الرجال ، ولكن لو نظرنا الى الامر من الناحية الاقتصادية لامكن تقبل مسلكهم هذا على أنه اختيار يرضى أصحابه فهم **يفضلون كثيرا من « الدردشة »** مع قلة من « الدخل » ، على « قليل من الدردشة » مع الكثير من « الدخل » .

وفى هذا الاسلوب البسيط الواقعى يناقش الرجل كل مقدمات الاقتصاد من وجهة النظر الافريقية ..

فماذا قال :

الدخل القومى :

ويعرض المؤلف للدخل القومى والانصبة فيه ، ويذكر ان جملة الدخل القومى انما تنشأ من الانتاج ، ويرى أن الدخل القومى لا يجب أن يختلط بدخل الحكومة الوطنية ، فدخل الحكومة جزء من الدخل القومى الذى تستطيع الحكومة بوساطة الضرائب وبغيرها من الوسائل ان تحوله من الاستخدام الخاص الى الاستخدام العام ، وفى أثناء الحرب العالمية الثانية نجحت بعض الحكومات فى نقل نحو نصف الدخل القومى من الاستعمال الخاص الى الاستعمال العام ، ولكن فى السنوات التى تلت الحرب هبطت هذه النسبة الى ما يقرب من الربع ، وفى نيجيريا سنة ١٩٥١/٥٠ كان دخل الحكومة جزءا من عشرين جزء من الدخل القومى .

واحدى الطرق الثلاث لمعرفة جملة حصيلة الدخل القومى هى جمع النفقات الخاصة والحكومية مع قيمة رأس المال الجديد ، ولو كان كل شيء نبتاعه ينتج محليا وفى الوقت نفسه لا يباع شيء من انتاجنا فى الخارج كانت جملة حصيلة النفقات القومية تتعادل مع جملة الدخل القومى وجملة الانتاج القومى ، ولكن الذى يحدث فعلا هو ان كل دولة تتجر مع الدول الاخرى الى حد ما ، وما لم تكن قيمة ما تستورده كل دولة تتعادل مع قيمة كل ما تصدره فان جملة النفقات القومية تكون اكثر او اقل من جملة الدخل القومى وجملة الانتاج القومى .

فجملة الدخل القومى للروديسيتين الشمالية والجنوبية ونياسالاند فى سنة ١٩٥٧ بلغت ٣٢٩ مليون جنيه استرليني ، وكانت جملة السكان ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ على حين أنها كانت بالنسبة لغانا ٢٧١ مليون جنيه وكانت جملة السكان ٤٫٧٥٠٫٠٠٠ ، وقد بلغ تعداد سكان نيجيريا سنة ٥٠/ ١٩٥١ واحدا وثلاثين مليونا وكانت جملة الدخل القومى ٥٩٧ مليونا من الجنيهات .. وتكشف هذه الارقام عن طابع التفاوت بينها على ان الجداول الاحصائية الخاصة بنيجيريا تستحق الدراسة ، فقد كانت كما يلى :

١ ــ جملة الدخل القومى :

	مليون جنيه
أجور ومرتبات	٣١
فوائد ومتحصلات	٣٦
اجور وممتلكات	١٥
دخل من الزراعة	٢٩٦
انواع اخرى من الدخل	٢١٩
الجملة	٥٩٧

٢ ــ جملة الانتاج القومى :

	مليون جنيه
حاصلات زراعية	٢٩٦
منتجات حيوانية	٣١
حاصلات الغابات	٧٥
اسماك	٦
معادن	٨
مبانى وهندسة مدنية	٤٢
صناعات يدوية	١١
نقل وتوزيع	٨٨
صناعات أخرى	٢١
الانتاج الحكومى	١٩
الجملة	٥٩٧

٣ ــ جملة النفقات القومية :

	مليون جنيه
اغذية ومشروبات	٣٥٧
ملبوسات واحذية	٥٥
مساكن ومياه	٣٢
وقود واضاءة	٢٢
اثاثات منزلية	١٣
تبغ وسجاير	١١
نفقات اخرى	٢٩
الجملة	٥١٩
نفقات جارية للحكومة	١٨
استثمارات	٤٠
زيادة صادرات	٣٥
الجملة	٦١٢
مقتطع للضرائب غير المباشرة	١٥
الجملة النهائية	٥٩٧

ولكن بماذا نستطيع أن نخرج من مراجعة هذه الجداول الاحصائية ؟

يوضح الجدول البيانى للنفقات القومية أن ستة اسباع الانتاج القومى يستمتع به الاهلون فى اغذية وملابس ودراجات وبضائع استهلاكية ، وان ٣٥ مليونا أى نحو خمسة فى المائة من حصيلة الانتاج تذهب للخارج كزيادة فى الصادرات ، ويذهب بعض هذا فى الاجور وفوائد الشركات التى تحول قيمة خدماتها للخارج ولكن الجزء الاكبر يمثل رسوم الحكومة على الصادرات والتى تستثمر لبعض الوقت فى الخارج ومن ثم تكون كنوع من الادخار يحول فيما بعد الى واردات وبذلك تعاون البلاد ــ لو لزم الامر ــ على زيادة الاستهلاك فى وقت مقبل اكثر مما يمكنها هذا بوساطة ناتج الدخل القومى .

على ان جداول الانتاج القومى توضح بدورها الاهمية النسبية بين مختلف الصناعات فالزراعة والحقول والغابات تكون ثلثى انتاج نيجيريا ، على انه يجب أن يلاحظ بان المواد التى تستخدم فى الانتاج الجارى لم تذكر فى الجداول فالخشب الذى ينتج من الغابات لم يدرج ثانية عندما حول بوساطة النجارين الى اثاثات للمنازل ، ولم يدرج نقل الاسمنت الى « كانو » لانه ادرج ضمن نفقات بناء المساكن فى الاقليم الشمالى لنيجيريا .

ومن الممكن القول بان « المواريث » قد تكون عاملا هاما فى عدم المساواة فى الدخل ، ولكن يجب أن لا يقف الامر عند حد « **المواريث** » **المادية** فان **توارث الطاقة** والقدرات له دوره فى توزيع الدخل، والتعليم ــ وان كان من غير الممكن أن نصنع هدهدا من غراب ــ يمكن اخراج دكتور من شخص عادى الذكاء .. ولكن سبب وجود عدد كاف من الاطباء فى افريقية الاستوائية هو ان القليلين جدا هم الذين تتوافر لهم الفرصة لدراسة الطب ، ففضلا عن نفقات التعليم فلا توجد غير أماكن قليلة فى المعاهد العليا لتخريج الاطباء والتى تخدم هذه المنطقة الفسيحة ، ولابد أنه بين الالاف الذين يعملون فى تمهيد الطرق عشرات كان يمكن أن يكونوا أطباء لو توافرت لهم الدراسة العامة التى تؤهلهم للتخصص لدراسة الطب ، ولكن تبعا لوجود عدد قليل من الاطباء فان دخل أى طبيب يظل أكبر من دخل أى شخص اخر يتخصص فى صناعة اخرى كالتدريس مثلا ، وهكذا كان عدم توافر المتخصصين فى البلاد الافريقية دافعا مرغما لاستحضار هؤلاء من خارج القارة مع منحهم ما يحثهم على ترك بلادهم وما يعوضهم عن التعرض للمخاطر الصحية لعدم وجود الخدمات التى اعتادوها

فى بلادهم ثم للنفقات الكبيرة التى يجب ان يحتملوها للتكيف مع البيئة غيرالعادية .

علاج تفاوت الدخل :

ويعالج تفاوت الدخل بتفاوت الضرائب ، وقد فرضت حكومات القرن العشرين نظاما تصاعديا للضرائب ، ومع الزمن صار هذا النظام التصاعدى اكثر حدة ، ولكن الحكومات فرضت هذا النظام لمواجهة نفقات الحرب الحديثة اكثر مما قصدت به المساواة بين الناس فى الدخل ، وقد وصفت الحكومات هذا النظام بانه نظام تقدمى ، ولكن كلمة تقدمى لا تعنى أنه نظام جيد ، فالاراءتختلف وتتباين فى هذا الشأن ولكن لا نزاعفىضرورة موازنة الحكومات لاحتياجاتها ، واذا وجدت الحكومات انها تحتاج ربع الدخل القومى او اكثر فهى لا تستطيع ان تأخذ من كل فرد ربع دخله والا لتركت الكثيرين دون مايكفيهم من الضروريات ، ولا حتى مع ما يكفيهم لطعامهم وكسائهم فضلا عن مأواهم وما الى هذا من بعض الالتزامات التى لم تعد فىحدود الكماليات اليوم ..

وليست الحكومات الافريقية الحديثةالعهد بالاستقلال بمنجاة من هذه الاتجاهات .

مشكلة العائل :

على ان المشكلة الاكثر تعقدا بالنسبة لاجزاء كثيرة من افريقية مشكلة الافراد الذين يعولهم صاحب الدخل ، وعندما يجتهد افريقى فى عمله ويدرب نفسه حتى ينجح فى الحصول على عمل ينال منهاجرا كبيرا وبذلك يزداد دخله فانه يجد نفسه يعول عددا اكبر من الاقارب لم يكن يعولهم من قبل عندما كان دخله منخفضا ، ومن ثم فانه لا يحصل على ما كان يصبو اليه من تقدمه ونجاحه .. امل الحصول على مستوى معيشى أعلى تبعا لزيادة دخله..

قيمة العمل :

والنقاش حول عدم المساواة فى الدخل ليسفى جانب العمل المجهد ،ومع اننا لايمكن ان نقول بان المتكاسل لايجب ان يمنح شيئا الا اننا يمكن ان نقول بان العامل المجد يجب ان ينقد اجرا مرتفعا ، ويقل هذا الاجر كلما قلت درجة الانتاج ، ولا عبرة بالوقت،فالعمل لساعات قليلة فى عمل عالى الانتاج يجىء بدخل اكبر من العمل لساعات طويلة فىالعمل الاقل انتاجا ، أى الاقل عائدا على صاحب العمل ، وان كان من الضرورى ان نذكر هنا بان قيمة العمل تتوقف فى الواقع علىتواجد المجتمع الذى يحتاج هذا العمل ، ذلك لان المجتمع هو الذى يوجد «السوق لخدماتنا واعمالنا .

وهكذا نرىان **الدخل القومى** انمايتقاسمه اصحاب كل عناصر الانتاج **من الارض الى راس المال ،** ولكن **الانصبة** لا تتوقف على الملاك انفسهم بل على قدر انتاجية الارض او رءوس الاموال ، وهكذا قد يكون اكبر دخل من نصيب رجل لا يعمل شيئا على حين ان اقل دخل يكون من نصيب عامل مجد يعمل لساعات طوال ، فأجور المساكن والمكاتب فى الاحياء التجارية فى لاغوس أو اكرا مرتفعة جدا ، واصحاب هذه المبانى الذين لا يعملون عملا ما فضلا عن ان يعملوا عملا مجهدا ينالون دخولا كبيرة ، على حين ان الذين يعملون لهم لتحصيل هذه الاجور لا ينالون الا الاجر القليل ، ولو بنيت مراكز تجارية جديدة فى اماكن اخرى من لاغوس او اكرا لانخفضت قيمة ايجارات مبانى الاحياء التجارية الحالية بل قد لا تجد من يشغلها، وهكذا نرى ان قيمة العمل انما تتوقف على تواجد المجتمع الذى تخدمه موارد الدخل هذه .

*

الناس والانتاج :

على اننا عندما ننظر الى العوامل الثلاثة الرئيسية للانتاج : الارض ، والعمل ، وراس المال نجد بأنه لزاما علينا ان نفرق بينالعمل وبن العاملين ، ذلك لانه على حين **ان العمل**

قد يعنى ايضا الرجال والنساء الذين واللاتى **يعملون ويعملن** نجد ان العاملين الاخـــرين مجرد عاملين انتاجيين لارضاء الناس ، الا انهما عاملان يمجدهما السياسيون والشعراء وكتاب القصص ولكن لا روح لهما فلا يشعران بألم ولا بسرور ، ولا يميزان بين الخـــير والشر ، ولا يشـــعران بتضاعف الوسائل التبادلية التى توجد المشكلة الاقتصادية .

أما الرجال والنساء فكل منهم « ومنهن » منتج ومستهلك ، هم الراقصون وهم الجمهور الذى يصفق للرقص ، واقتصاديات أى دولة تستند الى تعداد سكانها وبخاصة اولئـك الذين فى سن العمل ذلك لان هؤلاء ليســت لهم حاجيات يمكن ان تلبى فحسب ، بل انهم هم ايضا الذين يمدون بالموارد التى تمكن من تلبية هذه الاحتياجات .

وتتطلب الموازنة بين الاحتياجات والموارد ضرورة معرفة تعداد السكان ، جملة الايدى العاملة ، اتجاهات هـــذه الايدى . أى الصناعات التى تعمل فيها .. ولكن معظم هذه المعلومات لا يمكن الحصول عليها بدقة من بلاد افريقية الاستوائية بخاصة ، ومن افريقية كلها بعامة ، فجملة سكان افريقية كاحصاء سنة ١٩٥٧ « على ما جاء فى كتاب الامم المتحدة السنوى للسكان فى سنة ١٩٥٨ » ٢٢٥ مليونا ، ولكن الواقع ان هذا الرقم غير دقيق ففى نفس الجدول التفصيلى ذكر مثلا تعداد سكان نيجيريا ٢٦ مليونا على حين ان احصاء سكانها لسنة ١٩٥٢ — ١٩٥٣ كان ٣١٫١٧٠٫٠٠٠ أى بفرق يزيد على الخمسة ملايين .

على اننا لكى نناقش الصلة بين النـــاس والانتاج فى قطاع ما ، يمكن أن نأخـذ على سبيل المثال احدى بلاد غرب افريقية ولتكن غانة مثلا .

١ — جملة السكان :

سكان غانة سنة ١٩٤٨ «احصاء»	٤٫١١٨٫٠٠٠
سكان غانة سنة ١٩٦٠ « تقديرى »	٦٫٦٩١٫٠٠٠

٢ — التقسيم تبعا لطبقات السن :

دون سن الخامسة عشرة	١٫٧٥٥٫٠٠٠
بين الخامسة عشر وسن الخامسة والستين	٢٫٩٩٢٫٠٠٠
ما فوق الخامسة والستين	٧٣٫٠٠٠
الجملة	٤٫٨٢٠٫٠٠٠

ويدلنا هذا على ان ثلاثة اخماس السكان بين سن الخامسة عشرة وسن الخامســة والستين ، وان اكثر من ثلث عدد السكان دون سن الخامسة عشر .

٣ — التقسيم حسب العمل :

الزراعة	٦١٣٫٠٠
الكاكاو	١٨٥٫٠٠٠
التجارة	١١٥٫٠٠٠
الصناعة	٧٤٫٠٠٠
المؤسسات الحكومية	٧٤٫٠٠٠
البناء والانشاء	٥٠٫٠٠٠
التعدين	٤٨٫٠٠٠
صيد السمك	٤٣٫٠٠٠
النقل والمواصلات	٣٩٫٠٠٠
الغابات	٢٤٫٠٠٠
اعمال الكهرباء والاعمال الصحية	٥٫٠٠
الجملة	١٫٢٧٠٫٠٠٠

ولا تتوافر لدينا احصائيات دقيقـــة عن دور النســاء بالاضــافة الى عملهن فى العنـاية بأطفالهن وبمنازلهن ، على ان احصاء أجـرى فى تاريخ سابق لاستقلال غانة عن الافراد من سن الخامســـة عشرة فى ١٥٦ مدينـة وكانت النتيجة كما يلى :

	رجال	نساء	الجملة
الزراعة والغابات وصيد السمك	٥٠٦٩٢	٢٧٨٩٤	٧٨٥٨٦
التجارة بما فيها الكهرباء	٢٥٣١٥	٧٨٨٩٩	١٠٤٢١٤
الانشاء والبناء	٩٧٦٨	———	٩٧٦٨
الخـــــدمات	٢٩٦٩٢	٣٤٨٩	٣٣١٨١
النقل والمواصلات	١١٤٥٣	١٩٧	١١٦٥٠
التعـــــدين	١٩٢٨١	———	١٩٢٨١
نشاط غير محدد بدقة	١٧٦٣٨	٣٦١	١٧٩٩٩
حرفة غير معينة (عمل حيثما اتفق)	٤٧٣٦١	٨٦٧٢٨	١٣٤٠٨٩
الجمـــــلة	٢٤٣ر٠٠٠	٢٠٥ر٠٠٠	٤٤٨ر٠٠٠

فالزراعة صناعة هامة على ما نرى فى هذا الجدول البيانى ، وتستوعب الزراعةوالغابات وصيد السمك والتعدين واستخراج مواد البناء وغيرها من الصناعات التى تستخدم الموارد المائية والارضية ، تستوعب ، ٧٠ ٪ من الرجال الذين يعملون ، وتعتبر هذه النسبة صالحة لغانة كلها صالحة لكل بلاد افريقية الاستوائية .

ويشتغل بالتجارة ثلث عدد النساء وعدد مماثل من الرجال .

ومع ان الرجال الذين يعملون فى الصناعة قليلون الا انه مع مرور الوقت يقل عدد من يعملون فى الزراعة ويزداد عدد من يعملون فى الصناعة ، ولهذا دوره فى تعديل مستويات الحياة فى افريقية الاستوائية .

ويتوقف مستوى المعيشة على كمية الانتاج مع مقارنتها بعدد السكان ولا أهمية لزيادة هذا العدد لو أمكن زيادة الانتاج بنفس السرعة ، بل وبسرعة أكبر وبذلك فانمستوى المعيشة يرتفع حتى مع زيادة عدد السكان .

القيم والاثمان

ويرتبط مستوى المعيشة بقيم أو أثمان كل ما يدخل فى نطاق المتاجر الاستهلاكية ، ويظن أغلب الناس ان **قيمة الشىء** هى النقود التى ستدفع ثمنا **للحصول على هذا الشىء** ، ولكن الواقع ان الاقتصاديين يضعون لهذا تعريفا آخر أكثر تخصصا وفنية ، فهم يقولون **ان ثمن الحرب لا يعنى الثمن الذى ينفق فيها من مال بل انما يعنى أيضا الارواح التى يضحى بها فى أتون الحرب** ، ولما كنا لا نستطيع الحصول على كل ما نريد ، فاننا نتخير ونفاضل بين الاشياء .. ونناقش الكمية التى نريدها من كل ما نتخيره بالتبعية ، فقيمة انتاج شىء ما اذن تشتمل أيضا على التضحيات التى نقوم بها فى أشياء أخرى لكى نحقق الحصول على الكمية التى نريدها من الشىء الذى تخيرناه .

على انه من الضرورى الا يكون فى هذه التضحيات نصيب ما للأيدى العاملة ،والاهتمام فى المجتمعات الصناعية الحديثة على أساس استخدام كامل لكل الايدى العاملة بعكس حقيقة ان أغلب الناس ينظرون الى **العمل** نظرة أكثر من انه مجرد مورد للدخل ، ذلك لانهم **يعملون من أجل الشعور بأنهم أعضاء ضروريون لازمون للمجتمع** .

على اننا لا نستطيع تقدير قيم كثير من الاعمال تبعا لما يحدد لها من أسعار فى السوق العامة ، ومن الامثلة الجيدة عمل السيدة فى منزلها ، فنحن لا نستطيع ان نعتبر قيمة مادية لا لعملها ولا لما تحس به من سرور بسبب هذا العمل ، وان كنا يمكن ان نصل الى رقم تقديرى اذا ما عملت هذه السيدة عملا تنقد لاجله أجرا .

ومن أمثلة هذا أيضا اننا لا نستطيع ان نقدر قيمة أرض مستوية لا مياه جوفية فيها وليست على مقربة من مجرى ماء لو كانت

هذه الارض فى ضواحى نيروبى أوكانوا ، فان هذه الارض لن تنبت شيئا ولا يحتاجها فرد ما لاقامة بعض مساكن بها ، ومن ثم فهى لا قيمة لها أو على الاقل – مع التزام جانب الحرص – لا يسهل تقدير قيمة مادية لها .. ولكن لو اختيرت لاقامة مطار جوى .. أو درس مشروع اقامة قاعدة جوية عسكرية بها فانها تصبح ذات قيمة .. بسبب قيام عدة وسائل تبادلية لاستخدامها واستغلالها ، ولا يكون الامر وقفا عليها ، بل تتعدل أيضا القيمة المادية للأرض من حولها اذ ستنشأ بالتبعية فكرة ومشروعات لانشاء منازل أو فنادق أو ورش للاصلاح فى جوارها .

●

والعمل الذى يحتاج عمالا مهرة هو بدوره عاملا من عوامل الاقتصاد التى تتأثر فى اتجاه عكسى بالنسبة لاتساع نطاق الصناعة ، فقيام مصنع واحد يتطلب ان يقوم المصنع بتدريب عماله على ما ينتجه من مصنوعات ، ويكون هذا التدريب عادة على حساب رأس المال المستخدم فى الاستغلال ، ولكن عندما يزداد عدد السكان الذين تتوافر لهم دراية صناعية يكون من الممكن أن يتخير أى مصنع جديد آخر حاجته من الايدى العاملة من بين السكان الذين تتوافر لهم فكرة عن الصناعة ، وتبعا لأن هذا المصنع الجديد لن يحتمل نفقات للتدريب فان تكاليف الانتاج ستكون بالتبعية أقل ، والمصنع المتخصص فى اصلاح الآلات وصيانتها يمكن أن يقوم بصيانة واصلاح آلات كل المصانع التى تعمل فى ميدان الصناعة بأقل مما يحتمله كل من هذه المصانع لو قام وحده باصلاح وصيانة الآلات الخاصة به .

وأحد الاسباب المهمة لبطء قيام الصناعات الجديدة فى البلاد المتطورة فى افريقية قوة منافسة المصانع الاوروبية التى تركزت منذ أجيال فى مناطق محددة والتى تعمل لصالح مناطق معينة ومن ثم فهى تستطيع الانتاج بأقل مما تستطيع المصانع الموزعة حتى ولو كانت الاخيرة جيدة التنظيم الداخلى .

ولكن هنا مشكلة يجب تدبرها ، مشكلة التحول من الزراعة الى الصناعة ... (×) والمدن التى تتحول الى مدن صناعية تتعرض مبانيها للتلف بسبب الدخان الذى يتصاعد من مداخن المصانع وما فيه من أحماض ، فضلا عن احتياجات الملابس للغسيل وتعرض الافراد لأمراض الرئة والحاجة لاستعمال الضوء الصناعى .

فقيام مشروع الفولتا فى غانة قد صحبه بيان من الحكومة (الحكومة البريطانية يوم ذاك) جاء فيه :

« وقد جاء فى مذكرة المستشارين ان انتاج الالومنيوم بوساطة الكهرباء يسبب انطلاق غاز الفلوزين الذى له – عندما يتكاثر – تأثير ضار على الافراد وعلى الماشية .

وهذه أضرار تقع على سكان غانة وليس على أصحاب رأس المال منتجى الالومنيوم !!

المنافسة والاحتكار

تعنى **المنافسة الصحيحة** بالنسبة لبضاعة ما وجود عدد كبير من الباعة لهذه البضاعة وعدد كبير من المشترين لها ، ومن ثم فلا يستطيع مشترى واحد أو بائع واحد ان يؤثر فى سعر السوق ، وعلى نقيض هذا يسيطر **الاحتكار** على جانب البيع فى السوق عندما يتواجد بائع واحد للبضاعة فان هذا يعتبر احتكارا من جانب البيع ، على مثال الاحتكار من جانب الشراء لو كان هناك مشترى واحد ، **ومجالس تسويق الكاكاو فى نيجيريا وغانة أحسن الامثلة للاحتكار للبيع** لأن كل زراع الكاكاو لايتعاملون مع التجار الا بوساطة هذا المجلس الذى يحتكر – بحكم القانون – سوق البيع للكاكاو فى منطقته ، وهذا المجلس هو الذى يحدد السعر الذى يتقاضاه المزارع .. وهو الذى يحدد أيضا السعر الذى يدفعه المشترى الاوروبى أو الامريكى .

التنافس من جانب المشترى هو العامل المشترك فى سوق القطاعى ، ومن النادر أن يسبب مشترى واحد رجلا كان أو امرأة انخفاض سعر السوق **نتيجة رفض الشراء**

× لاحظ هنا الطابع الاستعمارى الذى خرج به كل الذين تحدثوا عن تحول افريقية الحديثة الى التصنيع .

للسلعة لبعض الوقت ، ذلك لأنه انما يشترى احتياجات أسرته وهو ان نجح فى ترك ما لا يريد شراءه الى ما يفضل ان يشتريه بدله فانه لا يفعل هذا الا لوقت له نهايته طال أم قصر ، ومن هنا كان من الضرورى أن تجىء المنافسة عن طريق اتفاق المشترين على الا يدفعوا أكثر من سعر يحددونه فى سلعة ما يحتاجونها ، والمقاطعة سلاح معروف فى أسواق غرب افريقية للارغام على تخفيض الاسعار وان كان هذا فى الواقع لم يحد من ارتفاع أسعار المعيشة فى جملتها ..

ومن الممكن أن نأخذ أسعار ((**القطاعى**)) أى **الشراء بالتجزئة** فى اكرا فى المدة بين يونيو سنة ١٩٤٨ وديسمبر سنة ١٩٥٥ كنموذج عام للحال فى افريقية لجنوب الصحراء ..

يونيو ١٩٤٨ السنة	١٠٠ القاعدة
ديسمبر ١٩٤٨	١٠٥
ديسمبر ١٩٤٩	١١٥
ديسمبر ١٩٥٠	١٣٢
ديسمبر ١٩٥١	١٥٤
يونيو ١٩٥٢	١٦٣
ديسمبر ١٩٥٢	١٥١
يونيو ١٩٥٣	١٥٣
ديسمبر ١٩٥٣	١٥٠
ديسمبر ١٩٥٤	١٥٠
ديسمبر ١٩٥٥	١٥٧

وقد أمكن الحصول على هذه الارقام من متاجر البيع بالتجزئة للاطعمة والمشروبات والدخان والمنسوجات والملابس والادوات المنزلية والوقود وغيرها نحو اربعين سلعة تباع فى اسواق اكرا .

على انه من الضرورى ان نلاحظ بان هذا انما يوضح ايضا تغير سعر العملة ،والجدول السابق يوضح ان سعر العملة فى غانة قد هبط بنسبة ٤٠ ٪ **بين يونيو سنة ١٩٤٨** وديسمبر سنة ١٩٥٥ .

ومن الضرورى ان نلاحظ ايضا بان المسألة تخضع للعلاقة بين الامداد بالنقود والحاجة اليها ، وقيمة العملة ترتفع عند اشتداد الحاجة الى النقود وتنخفض عندما يزداد توافرها ..

والامداد بالعملة فى افريقية مثله مثل باقى العالم يتم بوساطة النقد واوراق المصارف ((البنكنوت)) ، واصدار المصارف للعملة الورقية على مثال ما يجرى فى غانة وفى الروديستين ونياسالاند يقوم به البنك المركزى الذى يجب ان يحتفظ بذهب وبعملة استرلينية وصكوك اجنبية قابلة للتحويل للذهب أو لاسترلينى على الاقل بنسبة ٢٥ ٪ من العملة النقدية أو الورقية التى سيصدرها .

ولكن فى الاجزاء الاخرى من شرق وغرب افريقية حيث تتولى امر النقد الادارات الخاصة به ، فان هذه الأدارات تصدر اى كمية لاى فرد نظير جنيهات استرلينية وهى تشترى ايضا كل ما يقدم لها من عملة محلية وتدفع بدله عملة استرلينية مع تقاضى عمولة صغيرة فى كلتى الحالتين ،ويتم هذا فى نطاق مجلس النقد فى شرقى افريقية لكينيا وتنجانيقا وزنزبار .

وهكذا فان الامداد بالنقد انما يخضع لكمية الاسترلينى التى تصل الى ايدى الاهلين .. وان كان ما يحصل عليه مقابل صادرات يجب ان يعاد للحصول على الواردات ويستخدم الفرق لزيادة النقد المحلى المتداول بين الناس .

٦ ـ التجارة الخارجية :

على ان حركة التصدير والاستيراد تجارة خارجية ، وهى فى الواقع عملية تبادل بين أفراد ، الا ان الذى يميزها عن التجارة الداخلية انها تجتاز حدودا قومية ، فاذا لم تكن هناك اى حواجز على الحدود ، وكانت البلاد تستخدم نقدا واحدا فلا سبيل الى خلاف على حركة التبادل هذه ، ولكن الواقع ان هناك حواجز عند اغلب الحدود السياسية ، وهناك ايضا اختلاف فى النقد ، ومع وجود هذه الحواجز ومع وجود هذا الاختلاف فى النقد كان من الضرورى أن تتواجد مشكلات فى هذه التجارة الدولية .

والحواجز على حدود البلاد يمكن انتمنع حركة المتاجر والناس والعملة على انه احيانا قد يكون الاستيراد والتصدير ممنوعا ،ولكن الاكثر عادة ان تتحدد الكميات على ما يقال له ((**الكوشة**)) الانصبة ، فاذا ما تم الوصول الى الكمية المحددة من سلعة ما وقف تبادل **التجارة حتى تبدأ سنة جديدة بقوة جديدة .**

وقد عرفت التجارة الخارجية عاملا جديدا هو تخفيض العملة على مثال ما حدث بعد سنة ١٩٤٩ عندما خفض سعر الجنيه الاسترليني من اربعة دولارات الى دولارين وثمانية من عشرة من الدولار :

وقد سبب هذا التخفيض تحديد الاتجاه للاستيراد وللتصدير ، وبات من صالح الدول الافريقية التى فى منطقة الاسترليني ان تستورد الالات والمنسوجات من المملكة المتحدة لان سعر الشراء منها اقل من السعر الامريكى ، وان تصدر حاصلاتها ومنتجاتها الى الولايات المتحدة لان سعر البيع لامريكا أعلى من سعر البيع للملكة المتحدة ..وهكذا تبدو لنا أهمية تنظيم التجارة الخارجية بالنسبة لقارتنا افريقية .

وهكذا ينتهى وولتر برمنجهام من حديثه العلمى بان يصحب القارىء فى « المدخل لدراسات الاقتصاد » ويطوف به فى أرجاء هذا العلم مقدما للقارىء الافريقى الامثلة للايضاح من طبيعة البيئة التى يعيش فيها .. ومن حقيقة الحياة التى تمر به .. ومن هنا كانت لكتابه قيمته الدراسية الكبرى .

((عبد الفتاح أدهم))

رسائل القراء

تلقت المجلة رسالة كريمة من السيد / محمد جاسم الأمين الملحق بسفارة الجمهورية العراقية ، وقد جاء فيها بعد التحية .

((يرجى تسجيل مشاركة سنوية في مجلة نهضة افريقية الغراء باسم عمادة كلية الآداب بجامعة بغداد ، وارسالها من قبلكم مباشرة الى الكلية المذكورة ، وتزويدنا بفاتورة قيمة الاشتراك لتسديدها اليكم من قبلنا)) .

.. والمجلة يسعدها أن تلبى رغبة السيد محمد جاسم الأمين ، وتذكر أن طريقة الاشتراك هى ارسال شيك بالمبلغ على دار أخبار اليوم للتوزيع ، وستقوم المجلة بتحويل رسالته الى ((دار أخبار اليوم للتوزيع)) لتقوم بدورها بعملية التنفيذ باعتبارها الجهة المختصة ، اعتبارا من العدد القادم .

❋ ❋ ❋

كما وصلت المجلة رسائل تثنى على الابحاث الموجودة فى المجلة ، وتطالب بالمزيد من الأبحاث الخاصة بالفنون والآداب ، وتذكر أن القارة الافريقية قد أصبحت معروفة للقارىء العربى سياسيا ، وأن ما يحتاجه القارىء العربى الآن هو الوقوف بعمق على الثراء الوجدانى للانسان الافريقى فى مجالات القصة ، والقصيدة ، والمسرحية .

ونحن نحيي كل السادة الذين كتبوا فى هذا الموضوع ، ونذكر أن المجلة تراعى هذا ، وأنها بصدد تخطيط للتعريف بالثقافة الافريقية فى كافة الميادين

وانه فى الوقت نفسه قد آن الأوان لان يتعرف القارىء الافريقى على أعداد وفيرة من الفنانين والأدباء من أمثال ليوبولد سيدار سنغور ودفيد ديوب ، أموس توتولا ، وعثمان سمبين ، وميشيل دى انانج ، وسادو ، وغيرهم ممن يعبرون عن الوجدان المعاصر ، ومن يرصدون نبض القارة وهى تتقدم فى كافة المجالات ، وهذا الوعى الجديد الذى أخذ يزدهر فى قلب الانسان الافريقى ، والذى أخذ القارىء العربى يطالب بالحاح للوقوف على هذا الثراء النفسى ، وهذه المفاهيم الجديدة التى بدأت تزحم المفاهيم الاخرى المصطلح عليها من قبل ، فالقارة الافريقية تدخر الكثير للانسان فى كل مكان .

❋ ❋ ❋

وتلقت المجلة رسائل متعددة وكلها تدور حول الرغبة فى اقتناء المجلة ، ونحن نذكر لهؤلاء السادة ان طريقة الحصول على هذه المجلة هى ارسال شيك أو حوالة بمبلغ ثلاثين قرشا لدار أخبار اليوم للتوزيع ((٧ شارع الصحافة بالقاهرة))

ولهم نذكر كذلك أنه توجد مجاميع كاملة من المجلة بالمكتبة القومية ه ميدان عرابى بالقاهرة

((ف . ش))



« السيدة بولين تستقبل الزعيم الكينى أوجينجا أودنجا »

ISSUE No 69 — SIXTE YEAB — AUG. 1963

RENAISSANCE OF Africa

